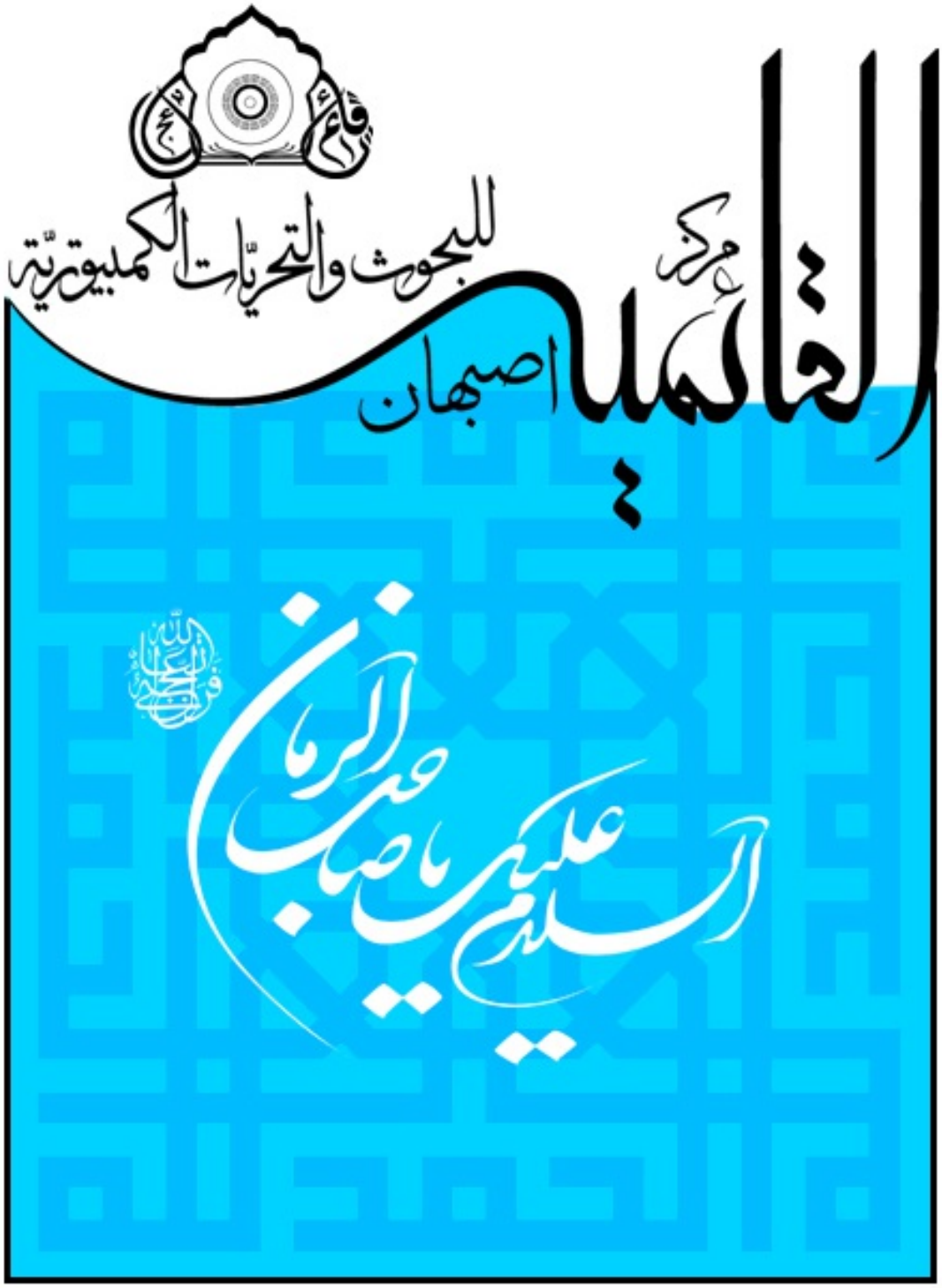

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الدكتور عبد المنعم النمر

الإعجاز في الإسلام

عالم الكتب
بيروت

مكتبة الكليات الأزهرية
القاهرة

جلد (٣-١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الازهر فى الف عام

كاتب:

خفاجى، محمد عبدالمنعم

نشرت فى الطباعة:

عالم الكتب

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الازهر فی الف عام ----- ۳۰
اشارة ----- ۳۰
[الجزء الأول] ----- ۳۰
آراء المفکرین فی الأزهر ----- ۳۰
اشارة ----- ۳۰
کتب عباس محمود العقاد عن الأزهر: ----- ۳۰
و کتب دائرة معارف کولیرز» Colliers «: ----- ۳۰
و کتب الشیخ علی الطنطاوی من علماء سوریا: ----- ۳۱
و کتب الدکتور احمد زکی: ----- ۳۱
تصدیر ----- ۳۱
المقدّمة ----- ۳۲
الباب الأوّل الأزهر خلاک التاریخ ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
الفصل الأوّل مصر الإسلامیّة قبل إنشاء الأزهر ----- ۳۲
- ۱- ----- ۳۳
- ۲- ----- ۳۳
- ۳- ----- ۳۴
الفصل الثانی مصر فی ظلاک الدولة الفاطمیّة ----- ۳۵
تمهید: ----- ۳۵
بدء الدعوة للفاطمیة: ----- ۳۵
قیام الدولة الفاطمیة: ----- ۳۵
جوهر الصقلی فاتح مصر: ----- ۳۶

المعز الملک الفاطمی: ----- ۳۷
الفصل الثالث تأسیس الأزهر و بدء حیاته الجامعیّة ----- ۳۸
الفصل الرابع الأزهر فی ظلاک الفاطمیین ----- ۴۴
تمهید: ----- ۴۴
الأزهر فی عصر الحاکم: ----- ۴۵
مشارکة الأزهر فی الحیاة العقلیّة فی عصر الفاطمیین ----- ۴۷
الأزهر جامع الدولة الرسمی: ----- ۵۴
الأزهر و تجدید مبانیه: ----- ۵۷
الفصل الخامس الأزهر فی عهد الدولة الأیوبیّة ----- ۶۱
التاریخ السیاسی للدولة: ----- ۶۱
الأزهر فی عهد الدولة الأیوبیة: ----- ۶۲
أشهر العلماء فی عصر الدولة الأیوبیّة هل للأزهر و أثر الأزهر فیهم؟ ----- ۶۴
الفصل السادس الأزهر فی ظلاک دولتی المماالیک ۶۵۷- ۹۲۳ ه ----- ۶۵
التاریخ السیاسی لهذا العصر: ----- ۶۵
الأزهر فی هذا العصر ----- ۶۶
۱- فی عهد السلطان بیبرس و السلاطین بعده: ----- ۶۷
جلال الدین السیوطی ----- ۷۳
الفصل السابع الأزهر فی عهد الدولة العثمانیّة ۹۲۳- ۱۲۲۰ ه ----- ۷۶
تمهید: ----- ۷۶
الحرکة العلمیة فی الأزهر: ----- ۷۶
نصیب الأزهر من التعمیر فی هذا العصر: ----- ۷۸
الأزهر و الحرکة العلمیة فی هذا العهد: ----- ۸۱
الأزهر و تاریخنا القومی: ----- ۸۳
الشهاب الخفاجی المصری ۹۷۵- ۱۰۶۹ ه ----- ۸۵

مکانته العلمیة: ۸۶
ثقافة الشهاب: ۸۷
مؤلفات الخفاجی: ۸۸
الفصل الثامن الأزهر بعد الحکم العثمانی ۹۱
الأزهر و الغزو الفرنسی لمصر: ۹۱
جهاد الأزهر الوطنی فی الحملة الفرنسیة و ما بعدها: ۹۳
اما الذین حوکموا رسمیا من العلماء باعتبارهم من زعماه الثورة فهم: ۹۴
عمر مکرم الأزهری الزعیم المصری الخالد: ۹۶
و بادر مکرم بأن جمع العلماء و قال لهم: ۹۸
فحوک العلماء فی قرنین ۹۹
الشیخ أبو الحسن البکری خطیب الأزهر ۹۹
الباب الثانی تاریخ الأزهر الحدیث ۱۰۱
اشارة ۱۰۱
الفصل الأول القوّة الشعبیّة بعد الحملة الفرنسیّة ممثلة فی الأزهر ۱۰۱
اشارة ۱۰۱
الأزهر یسیر فی حیاته العلمیة: ۱۰۴
حادثة الشوام: ۱۰۵
جهاد الأزهر فی الثورة العرابیة: ۱۰۵
الأزهر یغذی ثورة عرابی: ۱۰۷
قوانین الأزهر ۱۱۱
الفصل الثانی بعد الثورة العرابیّة ۱۱۲
الفصل الثالث الأزهر و الحرکة الوطنیة عام ۱۹۱۹ ۱۱۳
اشارة ۱۱۴
الأزهر بعد الثورة المصریة ۱۱۵

الفصل الرابع الثورة المصريّة الثالثة و الازهر ----- ۱۱۷
اشارة ----- ۱۱۷
قانون الازهر الجديد ----- ۱۱۸
اشارة ----- ۱۱۸
۱- المجلس الأعلى للأزهر ----- ۱۱۸
۲- مجمع البحوث الاسلامية ----- ۱۱۸
۳- ادارة الثقافة و البعوث الاسلامية ----- ۱۱۸
۴- جامعة الأزهر ----- ۱۱۸
و ثورة فى الأزهر أيضا ----- ۱۱۹
النوابغ الذين تخرجوا فى الأزهر ----- ۱۲۰
أشهر رجال الأزهر فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى ----- ۱۲۰
نظرة إلى المستقبل ----- ۱۲۱
ثورة التطوير فى الأزهر ----- ۱۲۲
انها ثورة جديدة استحدثها قانون تطوير الأزهر ----- ۱۲۲
هذا هو الأزهر الجديد ----- ۱۲۳
الباب الثالث شيوخ الأزهر ----- ۱۲۴
اشارة ----- ۱۲۴
الفصل الأول مشيخة الأزهر و شيوخه ----- ۱۲۴
وظيفة خطيب الأزهر: ----- ۱۲۴
منصب مشيخة الأزهر: ----- ۱۲۵
شيوخ الأزهر: ----- ۱۲۸
الفصل الثانى تراجم لبعض شيوخ الأزهر ----- ۱۳۹
الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى ----- ۱۳۹
الشيخ محمّد مصطفى المراغى ----- ۱۴۱

الشیخ مصطفی عبد الرازق ----- ۱۴۹
الشیخ مأمون الشنّاوی شیخ الأزهر ۱۸۸۰- ۱۹۵۰ ----- ۱۵۷
- ۱- ----- ۱۵۷
- ۲- ----- ۱۵۷
- ۳- ----- ۱۵۸
- ۴- ----- ۱۵۸
- ۶- ----- ۱۵۹
اشارة ----- ۱۵۹
- ۷- ----- ۱۶۰
الأستاذ الأکبر الشیخ عبد المجید سلیم ----- ۱۶۲
الأستاذ الأکبر الشیخ ابراهیم حمروش ----- ۱۶۳
الأستاذ الأکبر الشیخ محمّد الخضر حسین ----- ۱۷۲
الأستاذ الأکبر الشیخ عبد الرحمن تاج ----- ۱۷۶
الأستاذ الأکبر الشیخ محمود شلتوت ----- ۱۷۷
الشیخ حسن مأمون ----- ۱۸۱
الأستاذ الأکبر الشیخ محمّد الفحّام ----- ۱۸۲
اشارة ----- ۱۸۲
۱- الشیخ خالد الأزهری: ----- ۱۸۳
۲- بحث آخر موضوعه سیبویه: ----- ۱۸۴
الفهرس ----- ۱۸۴
[الجزء الثانی] ----- ۱۸۵
اشارة ----- ۱۸۵
[ادامه باب الثالث] ----- ۱۸۶
[تتمه فصل الثانی تراجم لبعض شیوخ الازهر] ----- ۱۸۶

الأزهر للشاعر عزيز أباظة ----- ۱۸۶
الباب الرابع أعلام من الأزهر فی العصر الحديث ----- ۱۸۷
اشارة ----- ۱۸۷
الشيخ محمّد عبده و أثره فی الإصلاح الدينی ۱۲۶۶ ه- ۱۹۰۵ م ----- ۱۸۷
بين جمال الدين و محمد عبده ----- ۱۹۱
(۱) ----- ۱۹۱
(۲) ----- ۱۹۲
اشارة ----- ۱۹۲
۳ ----- ۱۹۲
۴ ----- ۱۹۳
سعد زغلول فی الأزهر ----- ۱۹۴
أزهريون نابهون ----- ۱۹۷
الشيخ محمد رشيد رضا ----- ۱۹۷
الشيخ محمد شاكر ۱۲۸۲ ه- ۱۸۶۶ م- ۱۳۵۸ ه- ۱۹۳۹ م ----- ۲۰۱
مشايخ السادة المالكية ----- ۲۰۲
الشيخ البحراوی ----- ۲۰۳
الشيخ محمد بخيت المطيعی ----- ۲۰۳
الشيخ حسين والی ----- ۲۰۴
الشيخ محمد الفحام ----- ۲۰۵
الشيخ يوسف الدجوی ----- ۲۰۶
الشيخ عبد الحكم عطا ----- ۲۰۸
الشيخ محمود الدينارى ----- ۲۰۹
الشيخ محمد سليمان السرتی ----- ۲۱۰
الشيخ عبد المجيد اللبان ----- ۲۱۰

الشیخ عبد الوهاب النجار ---- ۲۱۱
الشیخ عبد الرحمن الجزیری ---- ۲۱۱
الشیخ محمد عبد اللّه أبو النجا ---- ۲۱۲
محمود أبو العیون ---- ۲۱۳
الشیخ عبد الحلیم قادوم ---- ۲۱۸
الشیخ فکری یاسین ---- ۲۲۰
الشیخ نافع الخفاجی حفید العلامة الشیخ نافع الخفاجی الکبیر ---- ۲۲۱
أزهریون فی سجل التاریخ ---- ۲۲۵
الباب الخامس صور من الأزهر القدیم و الحدیث ---- ۲۲۶
اشارة ---- ۲۲۶
- ۱- أوقاف قدیمة للأزهر: ---- ۲۲۶
- ۲- أول درس للسیوطی الأزهری: ---- ۲۲۶
- ۳- الحفنی شیخ الأزهر: ---- ۲۲۸
الإجازات العلمیة فی الأزهر القدیم ---- ۲۲۸
اشارة ---- ۲۲۸
صور من إجازات الأزهر العلمیة فی أواخر القرن التاسع عشر ---- ۲۲۹
صورة إجازة علمیة أخری: ---- ۲۳۰
إجازات علمیة أخری: ---- ۲۳۰
الإجازات العلمیة فی الأزهر الحدیث ---- ۲۳۸
الکلیات و ما تمنحه من شهادات ---- ۲۳۹
إصلاحات جدیدة فی الأزهر ---- ۲۴۱
المکفوفون فی الأزهر: ---- ۲۴۲
لجنة الفتوی بالأزهر ---- ۲۴۲
مجلس الأزهر الأعلی: ---- ۲۴۳

العلماء و الطلاب: ۲۴۳
إحصاء عام للطلبة بالأزهر: ۲۴۳
میزانیة الأزهر: ۲۴۴
الأزهر فی صحائف الذکری ۲۴۴
- ۱- ۲۴۴
- ۲- ۲۴۵
- ۳- ۲۴۶
- ۴- نداء من علماء الأزهر إلی أبناء العروبة و الاسلام صدر فی المحرم ۱۳۶۷ ه دیسمبر ۱۹۴۷ م ۲۴۶
- ۵- ۲۴۸
صور عن هیکل الأزهر القدیم ۲۴۹
أبواب الجامع الأزهر: للجامع الأزهر تسعة أبواب: ۲۴۹
الأول: باب المزینین ۲۴۹
لثانی: الباب العباسی ۲۵۰
الثالث: باب المغاربة ۲۵۰
الرابع: باب الشوام ۲۵۰
الخامس: باب الصعایدة ۲۵۰
السادس: باب الحرمین ۲۵۰
السابع: باب الشوربة ۲۵۰
الثامن: باب الجوهریة ۲۵۱
التاسع: باب المیضأة ۲۵۱
مقاصیر الأزهر: ۲۵۱
محاریب الأزهر: ۲۵۱
صحن الأزهر و مناراته و مزاوله: ۲۵۱
أروقة الأزهر: ۲۵۲

اشارة ----- ۲۵۲
الرواق العباسی ----- ۲۵۲
رواق الطیبرسیة ----- ۲۵۳
رواق الأقبغاویة ----- ۲۵۳
رواق الأکراد ----- ۲۵۴
رواق الهنود ----- ۲۵۴
رواق البغدادیین ----- ۲۵۴
رواق البرتیة ----- ۲۵۴
رواق الیمنیة ----- ۲۵۴
رواق الجبرت ----- ۲۵۴
رواق الأتراک ----- ۲۵۴
رواق السناریة ----- ۲۵۴
رواق المغاربة ----- ۲۵۵
رواق السلیمانیة ----- ۲۵۵
رواق الجاوة ----- ۲۵۵
رواق الشوام ----- ۲۵۵
رواق الدکارنة ----- ۲۵۵
رواق الصعایدة ----- ۲۵۵
رواق الحرمین ----- ۲۵۵
رواق البرابرة ----- ۲۵۶
رواق دکارنة سلیح ----- ۲۵۶
رواق الشراقوه ----- ۲۵۶
رواق الجوهریة ----- ۲۵۶
رواق زاویة العمیان ----- ۲۵۶

رواق الحنابلة ----- ۲۵۶
رواق معمر ----- ۲۵۷
رواق الفشنیة ----- ۲۵۷
رواق الحنفیة ----- ۲۵۷
رواق الشنوانیة ----- ۲۵۷
رواق الفیمة ----- ۲۵۷
رواق البحاروه ----- ۲۵۷
حارات الأزهر: ----- ۲۵۷
الباب السادس صورة عن النشاط العلمی فی الأزهر ----- ۲۵۸
Point ----- ۲۵۸
الأزهر و الحرکة الفکریّة المعاصرة ----- ۲۵۸
بعوث الأزهر العلمیة ----- ۲۶۰
منهج الدراسة بالأزهر منذ إنشائه ----- ۲۶۳
الدراسة فی الأزهر قبل النظام ----- ۲۶۵
قوانین الأزهر ----- ۲۶۶
اشارة ----- ۲۶۶
قانون رقم ۱۰ سنة ۱۹۱۱ م: ----- ۲۶۶
القانون رقم ۴۹ لسنة ۱۹۳۰: ----- ۲۶۸
قانون رقم ۲۶ لسنة ۱۹۳۶: ----- ۲۶۹
الدراسة فی الأزهر الحدیث ----- ۲۷۰
قانون الأزهر الجدید لعام ۱۹۶۱ ----- ۲۷۲
المذکرة الإیضاحیة: ----- ۲۷۲
هیئات الأزهر: ----- ۲۷۸
اشارة ----- ۲۷۸

المجلس الأعلى للأزهر ---- ۲۷۸
مجمع البحوث الإسلامیة و إدارة الثقافة ---- ۲۷۹
جامعة الأزهر ---- ۲۸۱
التعلیم فی الأزهر ---- ۲۹۱
جماعة کبار العلماء ---- ۲۹۳
- ۱- ---- ۲۹۳
- ۲- ---- ۲۹۳
الدراسات العلیا فی الأزهر الجامعی ---- ۲۹۵
- ۱- ---- ۲۹۵
- ۲- ---- ۲۹۶
الصلات العلمیة بین الأزهر و الجامعة ---- ۲۹۸
حیاة الأزهر الثقافیة ---- ۲۹۸
- ۱- ---- ۲۹۸
- ۲- ---- ۳۰۲
- ۳- ---- ۳۰۴
دراسة النحو فی الأزهر ---- ۳۰۵
دراسة النحو فی المدارس ---- ۳۰۵
من تاریخ الأزهر المعاصر ---- ۳۰۶
المعمرون من علماء الأزهر ---- ۳۰۶
مکتبة الأزهر ---- ۳۰۶
رفاعة الطهطاوی الأزهری رائد الفکر الحدیث فی مصر ---- ۳۱۰
العید الألفی للأزهر ---- ۳۱۱
إحتفال الأزهر بعیده الألفی ---- ۳۱۲
الأزهر و الحکومة ---- ۳۱۳

کلمة الوفود ----- ۳۱۳
المدارس العلمیّة و الأدبیة فی الأزهر الشریف خلال الف عام ----- ۳۱۴
- ۱- ----- ۳۱۴
- ۲- ----- ۳۱۵
- ۳- ----- ۳۱۶
- ۴- ----- ۳۱۸
- ۵- ----- ۳۱۸
- ۶- ----- ۳۱۸
- ۷- ----- ۳۱۹
- ۸- ----- ۳۱۹
- ۹- ----- ۳۲۰
- ۱۰- ----- ۳۲۱
- ۱۱- ----- ۳۲۱
- ۱۲- ----- ۳۲۲
علماء أزهریون من العصر المملوکی ----- ۳۲۲
اشارة ----- ۳۲۲
الإمام السیوطی ----- ۳۲۴
شمس الدین الحنفی ----- ۳۳۲
شهاب الدین السنباطی ----- ۳۳۳
الشیخ أحمد الدردیر ----- ۳۳۴
الشیخ الصعیدی ----- ۳۳۵
عمر مکرم ----- ۳۳۶
الشیخ الشرقاوی ----- ۳۳۷
الشیخ حسن العطار ----- ۳۳۸

الشیخ محمّد عیاد الطنطاوی ----- ۳۳۹
ائمة الأزهر فی القدیم و الحدیث ----- ۳۴۴
الشیخ محمّد بن عبد الله الخراشی ----- ۳۴۴
اشارة ----- ۳۴۴
مؤلفاته: ----- ۳۴۴
*** الشیخ إبراهیم بن محمد البرماوی ----- ۳۴۴
*** الشیخ محمد النشرتی ----- ۳۴۵
*** الشیخ عبد الباقی القلینی ----- ۳۴۵
*** الشیخ محمد شنن ----- ۳۴۵
*** الشیخ إبراهیم بن موسی الفیومی ----- ۳۴۶
*** الشیخ عبد اللّه بن محمد بن عامر الشبراوی ----- ۳۴۶
*** الشیخ محمد بن سالم الحفنی ----- ۳۴۷
اشارة ----- ۳۴۷
و من مؤلفاته: ----- ۳۴۷
الشیخ عبد الرؤوف بن محمد السجینی ----- ۳۴۸
الشیخ أحمد بن عبد المنعم بن صیام الدمنهوری ----- ۳۴۸
اشارة ----- ۳۴۸
و من مؤلفاته: ----- ۳۴۹
*** الشیخ أحمد بن موسی العروسی ----- ۳۵۰
اشارة ----- ۳۵۰
و من آثاره العلمیة: ----- ۳۵۱
*** الشیخ عبد اللّه الشرقاوی ----- ۳۵۱
الشیخ محمد بن علی بن منصور الشنوانی ----- ۳۵۳
اشارة ----- ۳۵۳

و من مؤلفاته: ----- ۳۵۳
*** الشیخ محمد بن أحمد بن مرسی بن داود العروسی ----- ۳۵۴
الشیخ أحمد زین علی بن أحمد الدمهوجی ----- ۳۵۴
*** الشیخ حسن بن محمد بن العطار ----- ۳۵۴
اشارة ----- ۳۵۴
و من مصنفاته: ----- ۳۵۵
*** الشیخ حسن بن درویش القویسنی ----- ۳۵۶
اشارة ----- ۳۵۶
و من مؤلفاته: ----- ۳۵۶
الشیخ احمد بن عبد الجواد السفطی ----- ۳۵۷
*** الشیخ ابراهیم بن محمد احمد الباجوری ----- ۳۵۷
اشارة ----- ۳۵۷
و من مؤلفاته: ----- ۳۵۷
*** الشیخ مصطفی بن محمد بن احمد بن موسی بن داود العروسی ----- ۳۵۸
اشارة ----- ۳۵۸
و من مصنفانه: ----- ۳۵۸
*** الشیخ محمد المهدی العباس الحنفی ----- ۳۵۹
اشارة ----- ۳۵۹
و من مؤلفاته: ----- ۳۵۹
الشیخ شمس الدین محمد بن محمد بن حسین الأنبابی ----- ۳۶۰
اشارة ----- ۳۶۰
من مصنفاته: ----- ۳۶۰
*** الشیخ حسونة بن عبد اللّه النواوی ----- ۳۶۰
اشارة ----- ۳۶۰

و من مصنفاته: ----- ۳۶۱
*** الشيخ عبد الرحمن القطب النواوى ----- ۳۶۱
*** الشيخ سليم بن أبى فراج البشرى ----- ۳۶۱
*** الشيخ على بن محمد الببلاوى ----- ۳۶۲
*** الشيخ عبد الرحمن بن محمد ابن أحمد الشربينى ----- ۳۶۳
*** الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى ----- ۳۶۳
*** الشيخ محمد بن مصطفى ابن محمد المراغى ----- ۳۶۴
*** الشيخ محمد الأحمدى إبراهيم الظواهرى ----- ۳۶۵
*** الشيخ مصطفى بن أحمد ابن محمد بن عبد الرزاق ----- ۳۶۷
*** الشيخ محمد مأمون الشناوى ----- ۳۶۸
*** الشيخ عبد المجيد سليم ----- ۳۶۹
*** الشيخ إبراهيم حمروش ----- ۳۶۹
*** الشيخ محمد الخضر حسين ----- ۳۷۰
*** الشيخ عبد الرحمن تاج ----- ۳۷۱
*** الشيخ محمود شلتوت ----- ۳۷۲
*** الشيخ حسن مصطفى ----- ۳۷۳
*** الشيخ محمد محمد الفحام ----- ۳۷۴
*** الشيخ عبد الحليم محمود ----- ۳۷۵
*** الشيخ محمد عبد الرحمن بيصار ----- ۳۷۸
*** الشيخ جاد الحق على جاد الحق ----- ۳۷۹
بعض الزعماء من الأزهر ----- ۳۷۹
الأزهر الجامعة الإسلامية الكبرى ----- ۳۸۰
- ۱- ----- ۳۸۰
- ۲- ----- ۳۸۱

- ۳- ۳۸۳
- ۴- ۳۸۷
- ۵- ۳۸۹
الفهرس ۳۹۳
[الجزء الثالث] ۳۹۵
الباب السابع ۳۹۵
حول الأزهر و رسالته ۳۹۵
- ۱- ۳۹۵
- ۲- رسالة الأزهر فی رأی المراغی: ۳۹۶
- ۳- ۳۹۷
- ۴- ۳۹۸
- ۶- ۳۹۹
- ۷- ۴۰۳
- ۸- ۴۰۵
- ۹- ۴۰۷
- ۱۰- ۴۰۸
- ۱۱- ۴۱۰
- ۱۲- ۴۱۱
- ۱۳- ۴۱۳
- ۱۴- ۴۱۵
الأزهری و واجبه الدینی و الروحی ۴۱۹
الأزهری کما ینبغی أن یکون ۴۲۰
حول رسالة الأزهر ۴۲۱
رسالة الأزهر فی النصف الثانی من القرن العشرین ۴۲۵

- ۱- ---- ۴۲۵
- ۲- ---- ۴۲۶
- ۲- ---- ۴۲۶
الباب الثامن ---- ۴۲۷
آراء للأزهر فی مشکلاتنا الفکریّة ---- ۴۲۷
- ۱- ---- ۴۲۷
- ۲- ---- ۴۲۸
- ۳- ---- ۴۳۱
- ۴- ---- ۴۳۲
- ۵- ---- ۴۳۳
- ۶- ---- ۴۳۴
- ۷- ---- ۴۳۵
- ۸- ---- ۴۳۶
- ۹- فکرة توحید التعلیم: ---- ۴۴۲
- ۱۰- ---- ۴۴۲
الباب التاسع ---- ۴۴۳
ألوان ثقافیة فی حیاة الأزهر العلمیّة ---- ۴۴۳
- ۱- ---- ۴۴۴
- ۲- ---- ۴۴۴
- ۳- ---- ۴۴۶
- ۴- ---- ۴۴۹
- ۵- ---- ۴۵۱
من صحائف الذکری ---- ۴۵۳
شعلة لا تنطفیء ---- ۴۵۴

علماء من الأزهر القديم و الحديث ---- ۴۵۵
- ۱- ---- ۴۵۵
- ۲- ---- ۴۵۸
أموال المسلمين الموقوفة على الأزهر ---- ۴۵۹
بعض آراء فی الإصلاح ---- ۴۵۹
الأزهر و الذكريات القومية ---- ۴۶۱
الأزهر و معارک التحرير الأولى ---- ۴۶۳
اشارة ---- ۴۶۴
إعلان الجهاد: ---- ۴۶۴
بين الأزهر و نابليون: ---- ۴۶۴
محاكمة العلماء الثائرين: ---- ۴۶۵
بين الأزهر و الجنرال كليبر: ---- ۴۶۶
مصرع الجنرال كليبر: ---- ۴۶۶
الأزهر يحرض على قتال الحملة الإنجليزية الأولى: ---- ۴۶۶
إنتاج الأزهر العلمی فی العصر الحديث ---- ۴۶۷
اشارة ---- ۴۶۷
كلية اللغة العربية تنشیء صحافة أزهرية ---- ۴۶۸
الأزهر و رسالة الإسلام ---- ۴۶۸
الباب العاشر ---- ۴۶۹
شخصيّات أزهريّة معاصرة ---- ۴۶۹
الشيخ محمد عرفة ---- ۴۶۹
الشيخ على محفوظ ---- ۴۷۳
الشيخ صالح شرف ---- ۴۷۵
الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ---- ۴۷۶

الشیخ شلتوت ---- ۴۷۶
الشیخ محمد کامل حسن ---- ۴۷۶
الشیخ حسین خفاجی ---- ۴۷۷
الشیخ عبد المتعال الصعیدی ---- ۴۷۷
السید حسن القایاتی ---- ۴۸۰
الشیخ محمد الأسمر ---- ۴۸۳
هیئات التدریس فی کلیات الجامعة الأزهریة ---- ۴۸۷
اشارة ---- ۴۸۷
فی کلیة أصول الدین ---- ۴۸۸
فی کلیة اللغة العربیة ---- ۴۸۹
فی کلیة الشریعة ---- ۴۸۹
أهداف الأزهر الجامعی ---- ۴۹۰
اشارة ---- ۴۹۰
الاختصاصات الإداریة: ---- ۴۹۱
الاختصاصات الدراسیة: ---- ۴۹۱
الاختصاصات العلمیة: ---- ۴۹۱
الباب الحادی عشر ---- ۴۹۲
من تاریخ الأزهر الأزهر جامعا و جامعة ---- ۴۹۲
- ۱- ---- ۴۹۲
- ۲- ---- ۴۹۲
- ۴- ---- ۴۹۴
- ۵- ---- ۴۹۴
- ۶- ---- ۴۹۵
الجامع الأزهر ---- ۴۹۶

اشارة ----- ۴۹۶
تاریخ إنشائه ----- ۴۹۶
و الغرض منه ----- ۴۹۷
أول درس فیه ----- ۴۹۷
ابن کلس ----- ۴۹۷
دار العلم أو دار الحکمة ----- ۴۹۸
فی عهد الدولة الأیوبیة ----- ۴۹۸
فی أیام الممالیک ----- ۴۹۹
فی عهد الأتراک ----- ۴۹۹
و حین جاءت الحملة الفرنسیة ----- ۴۹۹
فی عهد محمد علی ----- ۵۰۰
مشیخة الشیخ المراغی ----- ۵۰۰
بین الأزهر و جامعة القرویین ----- ۵۰۲
بین الزیتونة و الأزهر ----- ۵۰۶
الباب الثانی عشر ----- ۵۱۸
شخصیّات .. و مواقف ----- ۵۱۸
ابن السّبکی ----- ۵۱۸
الشیخ محمد الحفنی شیخ الأزهر ----- ۵۲۱
أزهریون خالدون ----- ۵۲۴
اشارة ----- ۵۲۴
الشیخ الدردیر یقود ثورة: ----- ۵۲۴
الشیخ عباس و وقف المغاربة: ----- ۵۲۵
الشیخ السادات یقود الثورة: ----- ۵۲۶
و یخاف منه الأتراک أیضا: ----- ۵۲۶

الأزهری الشیخ سلیمان الجوسقی ----- ۵۲۷
رفاعة رافع الطهطاوی ----- ۵۳۰
صورة عن الامام الشیخ محمد عبده ----- ۵۳۲
نسبه و مولده و نشأته: ----- ۵۳۲
ثقافته و أساتذته: ----- ۵۳۲
بیئته و أثرها فی حیاته: ----- ۵۳۳
تقلبه فی مناصب الدولة: ----- ۵۳۳
وطنیته و دعوته للحریة السیاسیة و الفکریة: ----- ۵۳۳
إصلاحاته و آراؤه. و الصراع بینه و بین علماء عصره: ----- ۵۳۴
مؤلفاته العلمیة و الأدبیة: ----- ۵۳۵
دفاع الشیخ عن الإسلام، و تفنید مزاعم المبشرین: ----- ۵۳۷
الشیخ مصطفی عبد الرازق ۱۸۸۵- ۱۵ فبرایر ۱۹۴۷ ----- ۵۳۷
الأزهری یرد علی اسماعیل باشا ----- ۵۳۹
مفتی .. قبرص! ----- ۵۴۱
مسیرة الألف عام مجلة الاذاعة المصریّة ۲۵/ ۱۱/ ۱۹۷۲ ----- ۵۴۱
و فی رسالة الدکتوراه عن دور الأزهر فی الحیاة المصریة أثناء الحملة الفرنسیة التی کتبها د. مصطفی رمضان ----- ۵۴۲
حوار بین العلماء و الوالی ----- ۵۴۳
الأزهر أکسفورد الشرق ----- ۵۴۴
الأزهر و أثره فی الحیاة الإنسانیة ----- ۵۴۸
قرارات لمؤتمر البحوث الإسلامیّة ----- ۵۵۰
قصّة الأزهر الجامعی بعد عشرین عاما ----- ۵۵۱
الأزهر حصن العربیة ----- ۵۵۳
الأزهر من بعید .. و من قریب ----- ۵۶۱
الأزهر الخالد ----- ۵۶۲

اشارة ----- ۵۶۲
من تاریخ الأزهر: ----- ۵۶۲
فضل الأزهر علی العلوم و الآداب: ----- ۵۶۳
أثر الأزهر فی التوجیه الدینی: ----- ۵۶۴
مکانة الأزهر فی العالم الإسلامی: ----- ۵۶۴
مواقف خالدة للأزهر: ----- ۵۶۵
الأزهر و التجدید: ----- ۵۶۵
الأزهر الخالد ----- ۵۶۶
الدکتور طه حسین و الازهر ----- ۵۶۷
الأزهر فی القرن العشرین ----- ۵۶۸
الشیخ محمد عبد اللطیف السبکی ----- ۵۷۱
نشاط أزهری ----- ۵۷۲
المرأة فی الأزهر ----- ۵۷۴
عمید الأدب العربی فی الأزهر ----- ۵۷۴
اشارة ----- ۵۷۴
و قال الأستاذ الأکبر للدکتور طه حسین ----- ۵۷۵
ثم التفت الأستاذ الأکبر إلی الدکتور طه حسین و قال: ----- ۵۷۵
محمد عبد المنعم خفاجی - أدیبا- ----- ۵۷۷
- ۱- ----- ۵۷۷
- ۲- ----- ۵۷۸
- ۳- ----- ۵۷۹
- ۴- ----- ۵۸۰
- ۵- ----- ۵۸۱
- ۶- ----- ۵۸۱

- ۷- ----- ۵۸۲
- ۸- ----- ۵۸۳
- ۹- ----- ۵۸۵
- ۱۰- ----- ۵۸۶
لو أن للدین رجالا ----- ۵۸۷
اشارة ----- ۵۸۷
تحریر النفس: ----- ۵۸۷
تنمیة الذات: ----- ۵۸۸
۳و غایة هذه التربیة: ----- ۵۸۸
اشارة ----- ۵۸۸
تکوین الأمة: ----- ۵۸۹
تحقیق السلام: ----- ۵۸۹
الشیخ محمود شلتوت ----- ۵۹۰
أعلام معاصرون ----- ۵۹۰
الشیخ محمد محیی الدین عبد الحمید رائد مدرسة التحقیق العلمی ----- ۵۹۰
الشیخ عبد السمیع شبانة ----- ۵۹۲
الشیخ محمد الطنطاوی ----- ۵۹۳
الشیخ عبد الجلیل عیسی ----- ۵۹۴
الشیخ سعاد جلال ----- ۵۹۵
الدکتور أحمد الشرباصی ----- ۵۹۶
اشارة ----- ۵۹۶
کتب إلیّ عام ۱۹۵۸ من دمشق یقول: ----- ۵۹۸
الدکتور الخفاجی- محمد عبد المنعم خفاجی- عالما- ----- ۶۰۳
اشارة ----- ۶۰۳

و یقول عنه الدکتور أحمد زکی أبو شادی رائد مدرسة أبو للو: ---- ۶۰۶
و یقول عنه الأستاذ روکس العزیزی: ---- ۶۰۶
و قال الناقد مصطفی السحرتی فی الخفاجی : ---- ۶۰۷
و قال عنه الدکتور سعاد جلال الأستاذ بجامعة الأزهر: ---- ۶۰۷
و قال الدکتور عبد المنعم النمر فیه: ---- ۶۰۷
و قال عنه الأدیب الحجازی الکبیر الأستاذ عبد الله الجبار: ---- ۶۰۷
و قال الأدیب الحجازی الکبیر أحمد عبد الغفور عطار : ---- ۶۰۷
و قال فیه الشاعر الکبیر محمود غنیم: ---- ۶۰۷
و قال فیه الشاعر الکبیر الدکتور حسن جاد: ---- ۶۰۸
و قال فیه الشاعر کامل أمین: ---- ۶۰۹
و قالت فیه الشاعرة جلیلة رضا: ---- ۶۰۹
و قال الشاعر محمود الماحی فیه: ---- ۶۰۹
و قال عنه الشاعر أحمد أبو المجد عیسی: ---- ۶۰۹
و قال عنه الشاعر إبراهیم شعراوی: ---- ۶۱۰
أبو الجامعات فی الشرق و الغرب قلعة حضاریة فی تاریخ مصر الإسلامیة ---- ۶۱۰
ترجمة القرآن الکریم ---- ۶۱۴
الشیخ المراغی ---- ۶۱۵
شیخ جامعة الأزهر الحالی الدکتور محمد السعدی عوض فرهود ---- ۶۱۷
اشارة ---- ۶۱۷
نشاطه: ---- ۶۱۷
مؤلفاته: ---- ۶۱۸
اشارة ---- ۶۱۸
- فی البیان القرآنی ---- ۶۱۸
- فی الدراسات الأدبیة ---- ۶۱۸

- فی الدراسات النقدیة ---- ۶۱۹
- فی الدراسات البلاغیة ---- ۶۱۹
- فی الدراسات اللغویة ---- ۶۱۹
الإمام نافع الخفاجی الکبیر ۱۲۵۰ ه- ۱۸۳۴ م- ۱۳۳۰ ه- ۱۹۱۲ م ---- ۶۱۹
اشارة ---- ۶۱۹
مؤلفاته: ---- ۶۲۲
أما الکتب الموجودة لدی من مؤلفاته فهی: ---- ۶۲۳
جملة مؤلفات الخفاجی المخطوطة الموجودة فی مکتبتی: ---- ۶۲۵
کتب مفقودة لنافع الخفاجی: ---- ۶۲۶
صور من شعره ---- ۶۲۸
نافع الخفاجی حفید العلامة نافع الخفاجی الکبیر ---- ۶۳۰
اشارة ---- ۶۳۰
شاعریته: ---- ۶۳۰
شخصیته: ---- ۶۳۱
شعره: ---- ۶۳۱
کلمة أخیرة: ---- ۶۳۴
الأزهر فی صور ---- ۶۳۵
الفهرس ---- ۶۳۶
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۶۳۸

الازهر فی الف عام

اشارة

نام کتاب: الأزهر فی ألف عام

نویسنده: خفاجی، محمد عبدالمنعم

موضوع: شرح حال

زبان: عربی

تعداد جلد: ۳

ناشر: عالم الکتب

مکان چاپ: بیروت

سال چاپ: ۱۴۰۸ ه. ق

نوبت چاپ: دوم

[الجزء الأول]

آراء المفکرین فی الأزهر

اشارة

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم

کتب عباس محمود العقاد عن الأزهر:

«یکفی تاریخ کل فترة من حیاة هذا المعهد الخالد للتعریف بوظیفته التی استقر علیها، و بیان مکانته التی تبوأها من الأمة فی أیام خضوعها لسلطان الدخلاء الواغلین علیها، فقد تقرر بحکم العرف و التقلید و حکم العقیدة و السمعة أنه صوت الأمة الذی یسمعه الحاکم الدخیل من المحکومین. و أنه ملاذ القوة الروحیة فی نفوس أبناء الأمة و فی نفوس الحاکمین الذین یدینون بعقیدتها ..»

و کتب دائرة معارف کولیرز» Colliers «:

... و یفد إلی الأزهر الألوف من دول العالم الإسلامی و یعتبر أقدم جامعة فی العالم تدرس علوم القرآن و الشریعة مع العلوم التطبیقیة و الأکادیمیة.

و قال د. ثروت عکاشة وزیر الثقافة فی مصر فی الندوة الدولیة للعید الألفی للقاهرة المنعقدة فی مارس ۱۹۶۹.

و لقد هیىء لهذه المدینة منذ إنشائها أن تقوم فیها أقدم جامعة فی العالم و هی جامعة الأزهر التی کانت منذ إنشائها منهلا للثقافة الدینیة، مکنت القاهرة بذلک أن تحمی لواء الثقافة الدینیة بین شعوب العالم الإسلامی. کما کانت تلک الجامعة الأزهریة مشعلا للفکر. فأیقظت

الأزهر فی ألف عام، ج ۱، ص: ۶

الرأی و أنارت الطریق أمام المفکرین. و کذلک کانت المنبعث للنهضة العربیة فی القرن الماضی. و أصبحت کعبة للقاصدین فی الشرق و الغرب.

ثم قال: إن مما زاد من شأنها وقوعها فی منطقة بین بحرین و بین قارتین و لقد مکن لها هذا الموقع أن تصبح حاضرة من حواضر العالم منذ زمن قدیم و أن تتجمع فیها ثقافات فرعونیة و أغریقیة و لاتینیة و بیزنطیة و إسلامیة و مسیحیة. فاکتسبت بهذا مکانة و منزلة علی مر السنین.

یقول الدکتور بییر دودج P .Dodge فی کتابه عن «

الأزهر»: «إن الأزهر ظاهرة ظهرت مع الزمن شیئا فشیئا، عشرة قرون قام فیها حارسا أمینا علی الدین الاسلامی و علی اللغة العربیة»:

و کتب الشیخ علی الطنطاوی من علماء سوریا:

«أولئکم علماء الأزهر، و هل فی الدنیا معهد علم له قدم الأزهر، و عظمة الأزهر، و أثر الأزهر فی الفکر البشری و فی الحضارة الإنسانیة؟

أی معهد یجر وراءه أمجاد الف سنة؟ فالأزهر درة الدهر تکسرت علی جدرانه أمواج القرون و هو قائم ..»

و کتب الدکتور احمد زکی:

«إنی أدعو کل مفکر أن یفکر فی الأزهر، و کل کاتب أن یکتب فی الأزهر مدرسة الإسلام الکبری، لیتحقق للأزهر ما یبتغیه و ما ینبغی له علی ضوء من الفکر هاد إن شاء اللّه».

و کتبت دائرة معارف القرن العشرین: إن الجامع الأزهر هو أقدم جامعة علمیة فی العالم، و یعتبر مرکزا لنشر علوم القرآن عبر التاریخ.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۷

تصدیر

الأزهر هو النشید الإسلامی الخالد، الذی تردده الأجیال، و تتناقله الألسن من جیل إلی جیل، علی مر العصور ..

و الجامع الأزهر هو الدعامة الأولی التی استطاع الفاطمیون من ألف سنة أن یحققوا بها أهدافهم الدینیة و السیاسیة، و أن یهیمنوا بها علی الشعوب الاسلامیة؛ و لا یزال المحراب الرابع الذی یقدسه و یجله المسلمون کافة، فی مشارق الأرض و مغاربها.

و الجامعة الأزهریة هی أقدم و أعرق الجامعات العلمیة فی العالم کله حتی الیوم.

و إن هذا التاریخ الخالد، و التراث العظیم، و المشارکة الجبارة، للأزهر الشریف، فی الحیاة المصریة و الإسلامیة عامة .. لهی الدافع الأکبر لنا علی إخراج هذا التاریخ الحافل للأزهر، فی ذکری بنائه الألفیة.

و إنه لمن دواعی الفخر للأزهر الشریف أن ینظر إلیه المسلمون کافة خلال العشرة القرون الماضیة، نظرة مملوءة بالإکبار و الإجلال، و أن یعتبروه کعبتهم الثانیة التی استبدت بشرف المحافظة علی التراث الإسلامی المجید.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۸

و فی هذه الدراسة تأریخ لحیاة هذه الجامعة العریقة، من شتی جوانبها الروحیة و العقلیة و العلمیة و التاریخیة .. و اللّه ولی التوفیق، و واهب السداد، و ما توفیقی إلا باللّه ..

المؤلف

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۹

المقدّمة

الأزهر فى مقدمة الجامعات العلمية التى سارت مع التاريخ أجيالا ـ طوالا ـ فهو أطولها عمرا، و أجلها أثرا فى تاريخ الفكر العربى و الإسلامى؛ و إن ألف سنة أو تزيد، قضاها الأزهر الجامعى، و شاهد أحداثها الضخمة، و اشترك فيها فى هذه الأحداث مؤثرا و موجها و بانيا؛ لتاريخ ممعن فى الطول، لا يمكن استيعاب حياة جامعة علمية لم تدون أخبارها فيه، إلا بمشقة و عسر و جهد و إرهاق شديد .. و لم تعمر فى الشرق جامعات علمية غير الأزهر فى القاهرة، و الزيتونة فى تونس ..

و لكن الأزهر ينفرد بضخامة ما أحدث من آثار فى تاريخ العرب و المسلمين، من شتى النواحى الروحية و الثقافية و الفكرية و السياسية و القومية و الاجتماعية، بل و الاقتصادية كذلك.

و الأزهر- طول عصور التاريخ- حارس التراث العربى، و مجدد الثقافة الإسلامية، و المشعل الذى يضىء و لا يخبو، و الملاذ الذى تهوى إليه أفئدة المسلمين من كل مكان، و الضوء ينير لهم الطريق، و يبصرهم سواء السبيل ... و الأزهر اليوم يتدثر برداء هذا المجد الخالد، و ذلك التاريخ القديم المجيد، و إن كان قد أصبح وئيد الأثر و التأثير فى حياة الناس، فى المادية المظلمة التى يعش فيها عصرنا الحاضر، و سار وراء المتنافسين فى ميدان التجديد و الابتكار و اليقظة الفكرية، و قيدته أغلال ثقيلة من الركود و فقدان الحيوية، و أساءت إلى سمعته بين الناس التيارات

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۰

السياسية التى كانت تدخل فى العصور السابقة إلى أروقته و محاريبه و معاهده، هدامة، قاطعة ما بين الأزهر و الناس من أسباب، و استغلال بعض الناس له، حفاظا على منصب، أو تملقا لذى سلطان.

و لكن الأزهر- مع ما انتابه فى بعض الأحايين من الحيرة و التردد- يسير اليوم منطلقا إلى غاياته و أهدافه و مثله، يتطلع فى نظرة الواثق إلى المستقبل، و يحتقر هؤلاء المترددين و الحائرين و المعوقين، و تنظر مئذنته الشماء فى سخرية و إشفاق و احتقار، إلى الذين يحاولون أن يبنوا و أن يهدموا، فلا يستطيعون هدما و لا بناء.

و الأزهر اليوم يأبى النوم و الحياة حوله صاخبة مضطربة متحركة، و هو يكره اللهو و قد خلقه اللّه و خلق الحياة للعمل و الجد و الحيوية و النشاط.

و إذا كانت أول خطوة لفهم الإنسان لنفسه و لرسالته فى الحياة هى أن يعرف تاريخه، و يعى ماضيه، و يدرس ما يتصل به من مقومات و خصائص و تراث، فإن هذا الكتاب لمما يساعد على هذه الدراسة و تلك المعرفة و هذا الوعى؛ التى هى العنصر الأول فى البعث و اليقظة و الإحياء ..

و إنى لأقدمه إلى القارىء، معتزا بأنى أقدم له ثمرة مجهود شاق، و بتوفيق اللّه الذى لا ينسانى، و ما توفيقى إلا باللّه ...

المؤلف

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۱

الباب الأوّل الأزهر خلاك التاريخ

اشارة

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۳

الفصل الأوّل مصر الإسلاميّة قبل إنشاء الأزهر

-۱-

فتحت مصر فی عهد عمر بن الخطاب عام ۱۸ ه علی ید عمرو بن العاص، و بنی بها مسجده الجامع المعروف الیوم باسم «جامع عمرو بن العاص» عام ۲۱ ه ، و اختط الجیزة فی هذه السنة أیضا، کما اختط مدینة الفسطاط حول مسجده الجامع، و اتخذها عاصمة مصر، و حفر خلیج أمیر المؤمنین الموصل للنیل بالبحر الأحمر .

و وفد کثیر من القبائل العربیة علی مصر زرافات و وحدانا، و أقاموا بها، و ذاعت اللغة العربیة بین أهلیها، بسبب اتصال العرب بأهل مصر و اختلاطهم بهم.

و قد استقر بمصر کثیر من الصحابة و مشاهیر التابعین و أتباع التابعین ، و نشأت بها طبقة من المجتهدین کاللیث بن سعد المتوفی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۴

عام ۱۷۵ ه، و هاجر الیها الإمام الشافعی المتوفی عام ۲۰۴ ه، و خلفه البویطی المصری المتوفی عام ۲۳۱ ه .

و قد نمت الحرکة العلمیة فی الفسطاط، و کثرت الحلقات فی مسجد عمرو الذی کان مرکزا علمیا لنشر الدین الإسلامی و تعالیمه السمحة ..

و کبرت هذه الحرکة العلمیة و اتسعت، و نمت و ازدهرت، و أم هذا المسجد الجامع کثیر من العلماء الأعلام، و الأئمة المجتهدین، ممن أفادوا العالم الإسلامی، و أدوا له خدمة صادقة فی میادین الدین و الشریعة، و اللغة و العلوم .. و أشهر هؤلاء: عبد اللّه بن عمرو بن العاص، و عبد اللّه بن لهیعة، ثم اللیث بن سعد .. و قد کان للإمام محمد بن إدریس الشافعی بمسجد عمرو زاویة یدرس فیها مذهبه، و یدون آراءه، و علی یدیه تخرج کثیر من العلماء الفضلاء الذین دونوا مذهبه، و نشروا علمه: کالربیع بن سلیمان، و المازنی، و البویطی، و غیرهم .. و کان أبو تمام یسقی الماء فی جامع عمرو، و فیه کانت دراسته الأولی.

و قد انتشر المذهب الشافعی فی مصر علی یدی الشافعی و تلامیذه، و من قبل کانت السیادة للمذهب المالکی، الذی کان أول من أدخله إلی مصر عثمان بن الحکم الجذامی المتوفی عام ۱۶۳ ه. کما کان أول محاولة لنشر المذهب الحنفی فیها علی ید القاضی إسماعیل بن سمیع الکندی ، الذی ولاه العباسیون قضاء مصر عام ۱۶۴ ه، فعمل علی نشر مذهب أبی حنیفة فیها، و کرهه المصریون من أجل ذلک کرها شدیدا.

و یذکر السیوطی فی کتابه حسن المحاضرة کثیرا ممن کانوا بمصر من

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۵

حفاظ الحدیث و نقاده ، و من المحدثین الذین لم یبلغوا درجة الحفظ ، کما یذکر من کان بها من الفقهاء الشافعیة و المالکیة و الحنفیة .. أما الحنابلة فکانوا قلیلین فیها، و لم یسمع السیوطی کما یقول بخبرهم إلا فی القرن السابع و ما بعده .. کما یذکر من کان بها من أئمة القراءات ، و من الصلحاء و الزهاد و الصوفیة و أئمة النحو و اللغة ، و أرباب المعقولات و علوم الأوائل و الحکماء و الأطباء و المنجمین ، و قد ظل التدریس فی الجامع العتیق عامر الحلقات مدة طویلة.

خضعت مصر- أول ما خضعت للحکم لإسلامی- للخلفاء الراشدین، ثم لدولة بنی أمیة، ثم لدولة بنی العباس، و کان یختار لها ولاة یثق بهم الخلفاء

-۲-

و استقل بمصر أحمد بن طولون و کان قد ولی الحکم فیها سنة ۲۵۳ ه، ثم أضیفت إلیه نیابة الشام و العواصم و الثغور و إفریقیة، فأقام بها مدة طویلة، و بنی جامعه المشهور، و کان میلاده فی بغداد عام ۲۱۴ و کان أبوه طولون من الأتراک الذین أهداهم نوح السمانی

عامل بخارى إلى المأمون.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۶

و استمر ابن طولون أميرا على مصر حتى مات بها عام ۲۷۰ ه ، و ولى بعده ابنه أبو الجيش خمارويه، و ظل أميرا على مصر حتى قتل عام ۲۸۲ ه، و ولى بعده ابنه «جيش» فأقام تسعة أشهر قتل بعدها، و خلفه أخوه هارون بن خمارويه الذى ظل أميرا على مصر حتى قتل عام ۲۹۲ ه، و ولى عمه أبو المغانم شيبان، فورد من قبل المكتفى بعد اثنى عشر يوما من ولايته محمد بن سليمان الواثقى الذى سلم إليه شيبان الأمر، و استصفى أموال آل طولون، و انقضت الدولة الطولونية، و امحت أيامها من تاريخ مصر السياسى.

كان من البدهى أن تكون عاصمة الملك فى أيام الدولة الطولونية هى مدينة أحمد بن طولون، و أصبح مسجده المشهور محط الرحال، و مجلس العلماء، و مستقرا للحلقات العلمية الكثيرة التى تدرس فيها علوم الدين و اللغة و الأدب .. و ظهر فى مصر و فى حلقات مسجد أحمد بن طولون كثير من العلماء و الأئمة و الأدباء و الشعراء.

و مع ذلك فقد ظل «مسجد عمرو» يؤدى رسالته بجانب المسجد الطولونى الكبير، بل ظل إلى أمد قريب يعج بالحلقات و العلماء، حتى لبروى أنه كان فيه قبل عام ۷۴۹ ه بضع و أربعون حلقة، لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه .

أسس جامع ابن طولون عام ۲۶۳ ه، فى مدينة أحمد بن طولون التى سماها «القطائع»، و فرغ من بنائه عام ۲۶۶ ه. و صلى فيه القاضى بكار إماما و خطب فيه أبو يعقوب البلخى، و أملى فيه الحديث الربيع بن سليمان تلميذ الإمام الشافعى ، و ظلت الحلقات العلمية فيه إلى أمد بعيد، فكانت فيه دروس للتفسير و الحديث و الفقه على

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۷

المذاهب الأربعة، و القراءات و الطب و الميقات .. و كان أعمر ما يكون فى دولة بنى طولون.

-۳-

و فى عام ۳۲۱ ه ولى على مصر من قبل خلفاء بنى العباس محمد ابن طغج الإخشيدى الذى أقام الدولة الإخشيدية فى مصر و الشام، و مات فى ذى الحجة عام ۳۳۴ ه، و خلفه ابنه أبو القاسم أنوجور و كان صغيرا، فأقيم أستاذه كافور الإخشيدى وصيا عليه، و حكم المملكة باسمه، و مات أنوجور عام ۳۴۹ ه، فقام أخوه على مقامه حتى مات عام ۳۵۵ ه، فاستقرت المملكة باسم كافور ودعى له على المنابر فى مصر و الشام، و مات عام ۳۵۷ ه، فولى المصريون بعده أبا الفوارس أحمد بن على بن الإخشيد، فأقام شهورا حتى فتح الفاطميون مصر، و انتزعها جوهر الصقلى منه عام ۳۵۸ ه.

و فى عهد الدولة الإخشيدية ظل المسجد العتيق و مسجد أحمد بن طولون يؤديان رسالتهما العلمية.

كانت الحلقات العلمية فى هذين المسجدين حافلة بالعلماء و المتعلمين، و كانت تعقد حلقات خاصة فى منازل أكابر العلماء و الفقهاء، حيث كانوا يجتمعون بتلامذتهم، يقرأون و يدرسون بعض شروح الفقه الإسلامى، و بعض كتب العبادات و التصوف و اللغة و الأدب، و من ذلك حلقة ببيت عبد اللّه بن الحكم الفقيه المالكى و ولديه عبد الرحمن و محمد، و كانوا من أنبغ الفقهاء المحدثين حتى أوائل القرن الثالث ... و هذه الأسرة هى التى أكرمت وفادة الإمام الشافعى فى مصر .. و فى القرن الرابع كان العلماء فى المسجد العتيق و المسجد الطولونى عديدين، و كان من أشهرهم: أبو القاسم بن قديد، و تلميذه الكندى صاحب الكتاب

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۸

المشهور فى تاريخ ولاة مصر و قضاتها، و أبو القاسم بن طباطبا الحسنى الشاعر .. و كانت مجالس الدراسة و الحلقات الأدبية الخاصة من تقاليد الحياة المصرية العالية، و شجع الإخشيدى و خلفاؤه العلوم و الآداب و دراسة الشريعة، و كانت حلقة المتنبى الذى وفد إلى مصر عام ۳۴۶ ه- ۵۹۷ م من أحفل مجالس الأدب و الشعر و النقد.

و لقد كانت السيدة نفيسة بنت سيدى حسن الأنور تعتكف بمسجد عمرو.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۹

الفصل الثانى مصر فى ظلاك الدولة الفاطميّة

تمهيد:

إن شيعة على كرم اللّه وجهه بعد قتل على ظلت تتوارث الدعوة إلى خلافة آل البيت، لإعادة الملك و الخلافة للعلويين، و زعم الكثير منهم أن الخلافة لم تصح و لن تصح لغير أهل البيت من أولاد على .. و لما عجز العلويون عن الاستحواذ على السلطة من طريق السياسة و القوة، لقتل من خرج من أئمتهم، التمسوها من طريق الدين، فقالوا: إن اللّه لا يترك خلقه بدون إمام حق، و اعتقدوا أن ذلك الإمام هو المهدى المنتظر، الذى يبيد المغتصبين، و يحيى مجد بيت رسول اللّه.

بدء الدعوة للفاطمية:

فى عام ۲۸۰ ه- ۸۹۳ م ذهب أحد دعاة الشيعة، و اسمه «أبو عبد اللّه الشيعى» إلى بلاد البربر بشمالى إفريقية، داعيا لعبيد اللّه بن محمد من نسل جعفر الصادق، فنجح فى دعوته «و طرد الأمير الأغلبى الحاكم لتلك البلاد التابع للدولة العباسية، و ذلك عام ۲۹۶ ه- ۹۰۸ م، و أعلن أن الخليفة الحقيقى للمسلمين و رئيس دينهم المنتظر هو إمامه «عبيد اللّه» الملقب بالمهدى، من نسل فاطمة بنت رسول اللّه، و لذلك سميت سلالته بالفاطميين.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۰

قيام الدولة الفاطمية:

حضر عبيد اللّه إلى بلاد المغرب، و ظل ملكا عليها مدة كبيرة (۲۹۷- ۳۲۲ ه: ۹۱۰- ۹۳۴ م)، كان الأمر فيها كله بيده، و أخضع قبائل العرب، و البربر، و دان له الحاكم المسلم الوالى على جزيرة صقلية، و جاهد فى سبيل نشر الدين و محاربة البدع فى تلك البلاد، و كان من أكبر أمانيه فتح مصر، فأرسل لغزوها ثلاثة جيوش: اثنين منها بقيادة ابنه «أبى القاسم» فحال دون نجاحه عدة أمور، منها مجاعة فى المغرب حدثت عام ۳۱۶ ه، و وباء فشا فى أحد هذه الجيوش، و فتكت عدواه بأهل المغرب .. و شغل عبد اللّه بالأمور الداخلية باقى حياته.

و فى عام ۳۲۲ ه- ۹۳۴ م خلفه ابنه الأكبر «القائم بأمر اللّه أبو القاسم محمد»، فبذل غاية همته فى توسيع نطاق ملكه، و أرسل أسطولا أغار على شواطىء إيطاليا و فرنسا و الأندلس، و أرسل جيشا إلى مصر هزمه الإخشيد، و وطد ملكه فى شمال إفريقية.

و خلفه «المنصور إسماعيل» سنة ۳۳۳ ه- ۹۴۵ م، فسار فى الملك سيرة أبيه نحو سبع سنوات.

و لما مات خلفه ابنه «المعز لدين اللّه أبو تميم معد» سنة ۳۴۱ ه- ۹۵۳ م، فكانت أيامه مبدأ عصر جديد فى تاريخ الفاطميين، و كان مثقفا ثقافة عالية، سياسيا داهية، وطد ملكه فى بلاد المغرب، فدانت له جميع رؤساء القبائل المغربية، و خضعت له مراكش بأكملها حتى شواطىء المحيط الأطلسى .. ثم صرف همه لفتح مصر، فحفر الآبار، و بنى أماكن للاستراحة فى الطريق الموصل إليها، و كانت مصر وقتئذ فى اضطراب لحقها عقب وفاة كافور، و لم يكن فى وسع خلافة بغداد مساعدتها لاشتغالها بصد غارات القرامطة، و كان دعاة المعز ينشرون دعوتهم فى أنحاء كثيرة من القطر المصرى .. و وكل المعز قيادة الجيش الفاتح إلى أكبر قواده، و هو جوهر

الصقلی الرومی الأصل، و کان تحت

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۱

إمرته مائة ألف مقاتل مزودین بالآلات الحربیة، و بالمال الکثیر.

جوهر الصقلی فاتح مصر:

ولد جوهر بجزیرة صقلیة نحو عام ۳۰۰ ه، و مع أنه رومی الأصل إلا أنه نشأ فی صقلیة نشأة إسلامیة خالصة، فقد دخل الإسلام جزیرة صقلیة سنة ۲۱۲ ه، و یرجح المؤرخون ان أباه کان مسلما .

و اتصل جوهر ببلاط المعز، و یبدو أنه کان فی حاشیته العسکریة، و قد قربه الخلیفة الفاطمی، لما توسمه فیه من الإخلاص للدین، و لمواهبه الفذة و ثقافته الواسعة، و ظل یتدرج فی سلک المناصب فی دولة المعز، حتی اتخذه المعز کاتبا له عام ۳۴۱ ه- ۹۵۳ م، و هی السنة التی ولی المعز فیها الخلافة، ثم رقاه إلی منصب الوزارة سنة ۳۴۷ ه، و ولاه قیادة جیش کثیف لتوسیع ملک المعز فی شمالی إفریقیة، و قد انتصر جوهر، و توغل فی فتوحه حتی وصل إلی شاطیء المحیط الأطلسی.

و لما فکر المعز فی فتح مصر أسند لجوهر قیادة الجیش الفاتح، و لما رحل جوهر من القیروان إلی مصر فی یوم السبت ۱۴ ربیع الثانی عام ۳۵۸ ه- فبرایر ۹۶۹ م، خرج الخلیفة لتودیعه بنفسه، و قال: و اللّه لو خرج جوهر وحده لفتح مصر و لیدخلن إلی مصر بالأردیة من غیر حرب، و لینزلن فی خرابات ابن طولون، و یبنی مدینة تقهر الدنیا، و انشد ابن هانی الأندلسی المعزّ قصیدته:

رأیت بعینی فوق ما کنت أسمعو قد راعنی یوم من الحشر أروع

غداة کأن الأفق سد بمثلهفعاد غروب الشمس من حیث تطلع

فلم أدر إذ ودعت کیف أودعو لم أدر إذ شیعت کیف أشیع

ألا إن هذا حشد من لم یذق لهغرار الکری جفن و لا بات یهجع

إذا حل فی أرض بناها مدائناو إن سار من أرض غدت و هی بلقع

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۲ تحل بیوت المال حیث محلهو جم العطایا و الرواق المرفع

و کبرت الفرسان للّه إذ بداو ظل السلاح المنتصی یتقعقع

و عب عباب الموکب الفخم حولهورق کما رق الصباح الملمع

رحلت إلی الفسطاط أول رحلةبأیمن فأل بالذی أنت تجمع

فإن یک فی مصر ظماء لموردفقد جاءهم نیل سوی النیل یهرع

و وصل جوهر إلی برقة، و منها سار حتی الإسکندریة فی رجب ۳۵۸ ه، ثم استمر فی سیره فدخل مصر وقت الزوال من یوم الثلاثاء ۱۷ شعبان عام ۳۵۸ ه بناء علی صلح عقد بین المصریین و الفاطمیین، و جاء فی وثیقة الصلح الرسمیة : إنه یتعهد ب «نشر العدل، و بسط الحق، و حسم الظلم، و قطع العدوان، و نفی الأذی و رفع الحزن، و القیام فی الحق، و إعانة المظلوم، مع الشفقة و الإحسان، و جمیل النظر و کرم الصحبة، و لطف العشرة و افتقاد الأحوال، و حیاطة أهل البلد فی لیلهم و نهارهم الخ».

و اتصل نبأ الفتح بالمعز فسر سرورا عظیما، و نظم ابن هانیء أمامه قصیدته:

تقول بنو العباس: هل فتحت مصر؟فقل لبنی العباس: قد قضی الأمر

و أخذ جوهر یعمل علی بث الدعوة للمعز الفاطمی فی مصر خاصة و لأهل بیته من العلویین عامة، و اختط مدینة القاهرة المعزیة، و بنی الأزهر الشریف، و صار جامع عمرو و جامع ابن طولون و الجامع الأزهر مراکز للدعایة لعقائد العلویین الفاطمیین و دعوتهم، کما کانت الدعوة لهذا المذهب تذاع علی یدی داعی الدعاة و من کان یعاونه من الدعاة.

خطب للمعز فی جامع عمرو فی التاسع عشر من شعبان سنة ۳۵۸ ه- ۹۶۹ م، و کان ذکر المعز فی خطبة الجمعة بدل اسم الخلیفة

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۳

العباسی حادثا خطیرا فی تاریخ مصر، و فی یوم الجمعة ۱۸ من ذی القعدة سنة ۳۵۸ ه دعا الخطیب لآل البیت و زاد فی الخطبة: «اللهم صل علی محمد المصطفی، و علی علی المرتضی، و علی فاطمة البتول، و علی الحسن و الحسین سبطی الرسول الذین أذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم تطهیرا، اللهم صل علی الأئمة الراشدین آباء أمیر المؤمنین الهادین المهدیین» ... و فی یوم الجمعة ۸ جمادی الأولی ۳۵۹ ه صلی جوهر بجامع ابن طولون و أذن المؤذنون: «حی علی خیر العمل» ..

أما الجامع الأزهر فقد کان أهم مرکز للدعوة الفاطمیة.

و لا ننسی أن نذکر أن جوهرا قد وضع أساس المدینة الجدیدة «القاهرة المعزیة» فی اللیلة التی دخل فیها مدینة الفسطاط، أی فی ۱۷ شعبان ۳۵۸ ه- ۱۷ یولیو ۹۶۹ م و أقام فیها قصر الخلیفة المعز، و وضع أساسه فی الیوم التالی .. و تشمل القاهرة المعزیة علی ما رواه المقریزی أحیاء: الجامع الأزهر و الجمالیة و الحسینیة و باب الشعریة و الموسکی و الغوریة و باب الخلق، و قد أحیطت القاهرة بسور کبیر من اللبن، و کانت بولاق هی میناء القاهرة، و قد أصبحت بولاق بعد ذلک بمدة کبیرة مدینة تجاریة منذ سنة ۷۱۳ ه، عندما أمر الملک الناصر بعمارتها و بنی بها الدور علی شاطیء النیل فسکنها الناس و عمروها. و قد جعل جوهر للقاهرة أربعة أبواب هی بابا زویلة و باب النصر و باب الفتوح.

و بعد ذلک رحل المعز من مدینته المنصوریة ، و دخل القاهرة فی ۷ رمضان سنة ۳۶۲ ه نصف یونیو ۹۷۳ م، و ظل ملکا علی مصر حتی توفی عام ۳۶۵ ه، و توفی بعده جوهر بمدة کبیرة، و ذلک عام ۳۸۱ ه (۲۰/ ۱ ابن خلکان).

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۴

المعز الملک الفاطمی:

هو الخلیفة الفاطمی الرابع، ینتسب إلی رسول اللّه عن طریق ابنته فاطمة الزهراء و إلی علی بن أبی طالب ابن عم الرسول.

ولد بمدینة المهدیة قرب القیروان، و هی عاصمة الفاطمیین، و ذلک فی ۱۱ رمضان سنة ۳۱۷ ه، و أمه أم ولد. و ربی تربیة عالیة، و کان ولی عهد أبیه المنصور، و ولی الخلافة عام ۳۴۱ ه .. و فی عام ۳۴۸ فتحت جیوشه بقیادة جوهر مصر.

خرج المعز من المنصوریة دار ملکه یوم الاثنین ۲۱ شوال عام ۳۶۱ ه: ۵ أغسطس عام ۹۷۲ .. و دخل الاسکندریة یوم السبت ۲۳ شعبان ۳۶۲ ه: ۲۹ مایو ۹۷۳ م.

و قد دخل القاهرة عام ۳۶۲ ه- ۹۷۳ م، و توفی فی ۱۴ ربیع الثانی ۳۶۵ ه- ۲۰ دیسمبر ۹۷۵ م، بعد أن وسع دولته، و صبغها بصبغة عالیة من الحضارة و الرقی و النهضة، و کانت القاهرة بعد إنشائها عاصمة ملکه الضخم.

کان نقش خاتم المعز یحمل شعار دولته و هو «لتوحید الإله الصمد دعا الإمام معد، لتوحید الإله العظیم دعا الامام أبو تمیم».

و قد وضع علی کل مصلحة من مصالح الحکومة موظفین: أحدهما مصری و الآخر مغربی .. و کان عهده علی قصره من أزهی عصور مصر و أزهرها، و زادت فیه ثروة البلاد زیادة کبیرة. و کانت القاهرة إذ ذاک تسمی «المدینة»، و کانت فی الحقیقة عبارة عن قصرین عظیمین و لواحقهما:

بهما من السکان ۳۰۰۰۰ نسمة، و کان بین القصرین میدان عظیم یکفی لاستعراض ۱۰۰۰۰ جندی، و کان ثروة الأسرة المالکة زمن المعز و بعده فوق ما یتصور، فإن إحدی بناته ماتت و ترکت وراءها ما یعادل ۲، ۰۰۰، ۰۰۰ دینارا، و أخری ترکت خمسة أکیاس من الزمرد و مقادیر کثیرة من الأحجار الکریمة الأخری علاوة علی ۳۰۰۰ إناء فضی مطعم.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۵

و قد بذل «المعز» غایة وسعه فی استجلاب محبة الناس و احترامهم له، بعدله، و حسن إدارته و التفاته إلی جمیع دقائق شؤونهم. فکان یرأس بنفسه حفلة قطع الخلیج، و زاد من محبتهم له إرساله کسوة فاخرة للکعبة کل عام. و منع جنده من البقاء فی المدینة بعد الغروب، اجتنابا لما عساه أن یحدث من الهیاج، و ألغی نظام جبایة الخراج بواسطة الملتزمین، للخسارة التی کانت تلحق البلاد من وراء أرباحهم الباهظة، و بذلک زاد الخراج بدون أن یضر بمصلحة المزارعین.

و کان للمعز عدة أبناء، و من بناته رشیدة بنت المعز، و عبدة بنت المعز .

و قد خلف المعز ابنه العزیز باللّه أبو منصور نزار ۳۶۵- ۳۸۶ ه:

۹۷۵- ۹۶۶ م، و کان یعقوب بن کلس أکبر وزرائه.

و بعده تولی حکم مصر الحاکم بأمر اللّه أبو علی منصور ۳۸۶- ۴۱۱ ه: ۹۹۶- ۱۰۲۱ م، و قد مات مقتولا.

و خلفه ابنه الظاهر لإعزاز دین اللّه أبو الحسن علی ۴۱۱- ۴۲۷ ه:

۱۰۲۱- ۱۰۳۶ م.

و تولی بعده ابنه المستنصر باللّه أبو تمیم معد ۴۲۷- ۴۸۷ ه:

۱۰۳۶- ۱۰۹۴ م .. و ظل الفاطمیون یتوارثون حکم مصر ، حتی انتهی ملکهم منها عام ۵۶۷ ه.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۷

الفصل الثالث تأسیس الأزهر و بدء حیاته الجامعیّة

الأزهر بیت العلم العتیق، و مثابة الثقافة الاسلامیة، حمل لواء المعرفة فی مصر و فی الشرق الإسلامی قرونا متصلة، و حفظ التراث الإسلامی دینا و لغة من عادیات الزمن، و نشره علی الآفاق، و لم یبخل به علی أی طالب علم قصده من مشارق الأرض أو مغاربها. و قد ظل الأزهر طوال ألف سنة- و ما یزال حتی الیوم- کعبة العلم و الدین، و معقد آمال المسلمین، و قد تخرج فیه أفواج و أفواج من جلة العلماء انتشروا فی بقاع الأرض، و حملوا معهم مشاعل المعرفة و الثقافة التی تزودوا بها فی الأزهر، فأضاؤو جنبات الأرض علما و نورا و تقی.

أنشأ الجامع الأزهر جوهر الصقلی قائد الخلیفة الفاطمی «المعز لدین اللّه»، و شرع فی بنائه یوم السبت لست بقین من شهر جمادی الأول سنة ۳۵۹ ه (۹۷۰ م)، و کمل بناؤه لسبع خلون من شهر رمضان سنة ۳۶۱ ه ۲۲ یونیو ۹۷۲ م، و کان الغرض من إنشائه أن یکون رمزا للسیادة الروحیة للدولة الفاطمیة، و منبرا للدعوة التی حملتها هذه الدولة الجدیدة إلی مصر. و قد کتب بدائرة القبة التی فی الرواق الأول و هی علی یمین المحراب و المنبر ما نصه بعد البسملة: مما أمر ببنائه عبد اللّه

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۸

و ولیه أبو تمیم معد الإمام المعز لدین اللّه أمیر المؤمنین صلوات اللّه علیه و علی آبائه و أبنائه الأکرمین، علی ید عبده جوهر الکاتب الصقلی، و ذلک فی سنة ستین و ثلثمائة».

و قد أطلق علی هذا المسجد اسم الأزهر، نسبة إلی فاطمة الزهراء التی ینتسب إلیها الفاطمیون، أو لأنه کان یحیط به قصور فخمة، تسمی بالقصور الزهراء، أو لأنه یظن أن هذا الجامع أکثر الجوامع فخامة ورواء، أو للتفاؤل بأنه سیکون أعظم المساجد ضیاء و نورا.

وضع یوم السبت ۲۴ جمادی الأول سنة ۳۵۹ ه الحجر الأساسی له «و ظل العمال و المهندسون یعملون فی بنائه عامین تقریبا حتی جاءت أول جمعة رمضان سنة ۳۶۱ ه، فجمعت فیه، باحتفال رسمی هائل، تجلت فیه أبهة الملک و سؤدده و عظمته، التی اشهر بها الفاطمیون أکثر من سواهم. و المقریزی یصف لنا هذا الاحتفال و صفا شائقا یفیض روعة و جلالا.

و بعد أن استقر سلطان المعز، و تم بناء المعقل الذی أقامه للدعوة، أفرغ جهده فی إحکام دولته و تنظیمها، و وفق فی ذلک أکثر

توفيق، و قطع المعز الفاطمى كل علاقة بينه و بين الخليفة العباسى، و قضى على كل صلة روحية له فى مصر، فقصر التدريس فى الأزهر على المذهب الفاطمى فى الفقه، و تعاليم الفقه، و تعاليم الشيعة فى الدين و الفلسفة و التوحيد، و استجلب لهذه الدراسة أكابر العلماء و فطاحل الفقهاء فى عصره، و كان عددهم ثلاثين عالما، أجزل لهم العطاء و بنى لهم منازل فخمة ألحقت بالأزهر فيما بعد، و صارت من أروقته، و شرعوا يدرسون و يتفقهون فى مذاهب الفاطميين و تعاليمهم و يهدمون بذلك المذاهب الأخرى التى كانت شائعة فى بغداد مقر الخلافة و سائر البلاد الإسلامية، و كانت هذه النخبة الممتازة من الأساتذة و على رأسها كبير العلماء «أبو يعقوب قاضى الخندق» سببا من الأسباب التى جعلت الأزهر يصبح

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۹

قبل كل طالب من أقاصى الأرض بعد أن ذاع صيته فى الآفاق. و ذكر المقريزى أن أول ما درس فى الأزهر الفقه الفاطمى على مذهب الشيعة، فإنه فى صفر سنة ۳۶۵ ه جلس قاضى مصر «أبو الحسن على بن النعمان ابن محمد بن حيون» و أملى مختصر أبيه فى الفقه على أهل البيت، و يعرف هذا المختصر بالاقتصار، و كان جمعا عظيما أثبتت فيه أسماء الحاضرين .. فكان الأزهر على ذلك ظل معطلا منذ افتتاحه أربع سنوات من التدريس حتى جاء صفر سنة ۳۶۵ ه و افتتحت الدراسة فيه باجتماع عظيم حضره كثيرون، و قيدوا أسماءهم.

و استوزر (المعز) و ابنه (العزيز) من بعده الوزير يعقوب بن كلس، و هو يهودى الأصل ثم أسلم، و لعل الخليفة تخيره لما اشتهر عن اليهود من الحذق فى الدعاية و إتقانها، و قد نشط الوزير فألف كتابا فى الفقه، يتضمن ما سمعه من الخليفة المعز و ابنه من بعده. و هذا الكتاب مبوب على أبواب الفقه الفاطمى، و كان يقرؤه على الناس، و كان يجلس بنفسه يوم الجمعة يقرأ على الناس فى مجلس خاص به مصنفاته كما يجتمع يوم الثلاثاء بالفقهاء و جماعة المتكلمين و أهل الجدل.

قام المعز بتأسيس الأزهر إذن، و استوزر ابن كلس و عمل على استجلاب أكابر العلماء، و أوعز اليهم تدريس الفقه الفاطمى، و لم تقتصر هذه الدعوة فى اتجاهها على هذه الناحية فقط، بل هناك ناحية سرية كان يقوم بها (داعى الدعاة) و أعوانه، من قبل الحكومة، ليبثوا تعاليم الشيعة و مبادئهم و دعوتهم من طريق السر و الخفاء أحيانا و من الجهر و العلانية فى غالب الأحيان. و كان لهذا الداعى مجلس يفرده فى الأزهر للنساء، و هذه الدعوة كما يقول المقريزى وضعوا فيها الكتب الكثيرة، و صارت علما من العلوم المدونة، ثم اضمحلت و ذهبت بذهاب أهلها.

سلك الفاطميون فى دعوتهم طريق الجهر ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا و سلكوا الخفاء و التستر إذا أعوزتهم الحاجة، و كانوا يدرسون الفقه

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۰

الفاطمى علانية لأنه الوسيلة المناسبة التى يستطيعون بها الدخول على سائر الشعب المصرى، الذى كانت تهيمن عليه السنة و مذاهبها سيما المذهب الشافعى منها، و لأن حاجة الناس الى الفقه ماسة، ينظمون به شؤونهم و يحددون به أحوالهم الشخصية و ما يتبعها من حقوق و واجبات، سيما و أن هذا الفقه فى قضاياه ليس بعيد الخلاف مع السنة، بعد مزج التعاليم الشيعية و فلسفتها مع مبادىء التوحيد الإسلامى، و كان يقوم بكل هذا العلماء المعينون و أتباعهم و كانوا يمنحون مرتبات شهرية، و جعلوا ذلك بابا من أبواب الدعوة .. و كان القائم بهذه الدعوة هو داعى الدعاة، و هو من كبار الموظفين، و كان يلى قاضى القضاة فى الرتبة و يتزيّا بزيه، و كانت وظيفة قاضى القضاة و داعى الدعاة تسندان فى كثير من الأحيان إلى رجل واحد، و قد خصص لداعى الدعاة قسم كبير من قصر الخلفاء الفاطميين، و كان يساعده فى نشر تعاليم الفاطمية اثنا عشر نقيبا، كما كان له نواب ينوبون عنه فى البلاد بلغ عددهم مائة و واحدا و خمسين، و كان فقهاء الدولة البارزون فى الشريعة الإسلامية تحت نفوذه و له مكان خاص بالقصر هو (دار العلم)، فكانوا يتصلون به و يتلقون عنه الأوامر و يقدمون إليه فى يوم الاثنين و يوم الخميس ما أعدوه للمحاضرة فى أصول المذهب الفاطمى و كانت

المحاضرات تعرض قبل إلقائها على الخليفة فيقرؤها و يذيلها بإمضائه ثم تبلغ اليهم عن طريق (داعى الدعاة) و هو الذى يعرضها بنفسه على الخليفة. و كان الداعى فوق هذا يعقد المجالس و يقرأ على الناس من مصنفاته، و كان يجلس على كرسى الدعوة فى الإيوان الكبير فيحاضر الناس، و يعقد للنساء مجلسا خاصا بالأزهر، و فيه يلقنهن أصول مذهب الإسماعيلية أو الفاطمية.

و لم يكن ذلك كل ما قام به الفاطميون فى نشر مذهبهم، فكانت هناك مجالس تعرض على الناس كل على حسب طبقته، فكان لأهل البيت مجلس، و للخاصة مجلس. و شيوخ الدولة مجلس، و للعامة و الطارئين مجلس، و الوافدين من البلاد الأجنبية مجلس.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۱

و كان عندما يفرغ داعى الدعاة من إلقاء محاضرته على المؤمنين و المؤمنات أقبلوا عليه فقبلوا يديه فيمسح على رؤوسهم بالجزء الذى عليه إمضاء الخليفة، و كان من اختصاص (داعى الدعاة) جمع النجوى و تدوين اسم من يدفع إليه أكثر من المال المقرر، و النجوى نوع من الصدقة مقدارها ثلاثة دراهم و ثلث درهم، أما السادة الإسماعيلية فكان الواحد منهم يدفع ثلاثة و ثلاثين دينارا و ثلثى دينار و يمتازون عن عامة الناس فيعطى الواحد منهم رقعة مذيلة بإمضاء الخليفة و فيها هذه العبارة (بارك اللّه فيك و فى مالك و ولدك و دينك) .. و قد لاقت الدعوة الفاطمية السياسية و الدينية نجاحا عظيما فى خلافة الحاكم بأمر اللّه، فقد بذل هذا الخليفة مجهودا كبيرا فى نشرها حتى أرغم الناس عليها لقوانينه الجائرة و انضموا إليها مكرهين.

و أهم الكتب التى تبحث فى هذه التعاليم كما يقول الأستاذ أحمد توفيق عياد: كتاب «أسرار الباطنية للباقلانى المتوفى سنة ۴۰۳ ه» و «الملل و النحل» للشهرستانى و «رسائل إخوان الصفا»: و يجب أن يشار إلى وثيقة هامة فى هذا الموضوع و هى المخطوط الموجود بدار الكتب بالقاهرة و عنوانها (رسائل الحاكم بأمر اللّه و القائمين بأمر دعوته). كما أنه يوجد مخطوط آخر فى أربعة مجلدات بالمكتبة الأهلية بباريس عنوانه (المشاهد و الأسرار التوحيدية لمولانا الحاكم).

و منها يتبين أن الدعوة قد بنيت على آراء فلسفية مصدرها عقائد الباطنية و المعتزلة و الفلسفة و هى أساس الشريعة عن الفاطميين قد حلت فى عهد الحاكم فى محل القرآن و السنة، و منها يتضح كيف بلغت هذه الدعوة و عملت فى عقول الأهالى حتى تجاسر الحاكم أن يدعى الألوهية و أن اللّه قد تجسم فى شخصه. و هذه الدعوة تلخص لنا تعاليمهم، و الأصل فيها أنهم أخذوا مذهب الأفلاطونية الحديثة و طبقوه على مذهبهم الشيعى تطبيقا غريبا، و استخدموا ما نقله إخوان الصفا فى رسائلهم من هذا المذهب الأفلاطونى.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۲

و دعوتهم مرتبة على منازل، دعوة بعد دعوة، حتى تبلغ هذه الدعوات تسعا يبدأ الداعى أولا باستدراج المدعو بعد أن يكون قد وقف على هذه التعاليم و مبلغ إيمانه بدينه، و يستهويه إلى هالته العقلية، و يشرع يشككه فى أفكاره بأسئلة إنكارية: ما معنى العدو بين الصفا و المروة؟ و لم كانت الحائض تقضى الصوم و لا تقضى الصلاة و ما بال اللّه قد خلق الدنيا فى ستة أيام؟ أعجز عن خلقها فى ساعة واحدة؟ و ما معنى الصراط المضروب فى القرآن مثلا و الكاتبين و الحافظين؟ أخاف أن نكابره و نجاحده حتى أدلى العيون و أقام علينا الشهود و قيد ذلك فى القرطاس بالكتابة؟

و هكذا يستمر يلقى الأسئلة سراعا و ينفث سموم الريب فى النفس، ثم يعقب على هذه الأسئلة بأسئلة الغرض منها استهواء المدعو إلى حظيرة الفلسفة و الهرطقة التى كانوا يقولون بها: أين أرواحكم؟ و كيف صورها و أين مستقرها، و ما أول أمرها؟ و الإنسان ما هو؟ و ما حقيقته؟ و ما الفرق بين حياته و حياة البهائم؟ و ما معنى قول الفلاسفة: الانسان عالم صغير و العالم إنسان كبير؟ و أمثالها حتى إذا علم الداعى أن نفس المدعو قد تعلقت بما سأله عنه و طلب منه الجواب عنها، قال له حينئذ: لا تتعجل فإن دين اللّه أعلا و أجل من أن يبذل لغير أهله، ثم بعد حديث و إغواء يأخذ عليه عهدا ألا يفشى سرا، و لا يظاهر أحدا عليهم، و لا يطلب لهم غيلة، و لا يكتمهم نصحا! و لا يوالى عدوا لهم، فإذا أعطى العهد طلب منه جعلا من المال يجعله مقدمة أمام كشفه له الأمور و تعريفه إياها.

و ينتقل إلى الدعوة الثانية و مرماها إثبات ضرورة وجوب الإمام الذى ينصبه اللّه للناس، و إلى تقرير أن الأئمة السبعة آخرهم محمد

بن إسماعيل ابن جعفر، و هو صاحب ذلك الزمان، و عنده علم المستورات و بواطن المعلومات التى لا يمكن أن توجد عند أحد غيره، و على جميع الكافة اتباعه و الخضوع له و الانقياد إليه و التسليم له، لأن الهداية فى موافقته و اتباعه و الضلال و الحيرة فى العدول عنه .. ثم ينتقل إلى تعليل اعتقادهم فى الأئمة و النقباء الاثنى عشر.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۳

و هنا يكون الداعى قد تمكن من نفس المدعو فيعمل على تعمير منطقة العقل و يدعوه إلى النظر فى كلام أفلاطون و أرسطو و فيثاغورس، و ينهاه عن قبول الأخبار و الاحتجاج بالسمعيات.

ثم ينتقل إلى اثبات معجزة النبى الصادق و الوحى على طريقة تعاليمهم الشيعية. و قد ظلت الدعوة قائمة الى هذه المبادىء، و كان من زعمائها فى القرن الخامس الهجرى «الحسن بن محمد الصباح».

و هذه التعاليم تظهر بجلاء فى رسائل إخوان الصفا، و توهم أن الروح التى أملتها روح عالية تتسع آفاقها لاستيعاب حيز كبير من حقائق هذا الوجود، و أن العقلية التى أخرجتها عقلية حرة جريئة. و الواقع ربما خالف هذا فإن الفاطميين و إن كان يشم من كلامهم الدعوة إلى وحدة الوجود، و النظر إلى هذا العالم بعين الحكمة و الاعتبار و التفلسف، إلا أنهم أفسدوا هذه النظرة السامية بحجرهم على العقول فى الاعتقاد بأئمتهم، و أفسدوا كل شىء حينما حاولوا أن يستغلوا ما فى هذه التعاليم من طرافة و طلاوة لمصلحتهم الخاصة، بمحاولة تطبيقها على ما تبتغى أهواؤهم السياسية، و أنهم حاولوا فرض شىء كثير من الاستبداد على عقول الناس و مشاعرهم لحد يكاد يبلغ الجمود، و آية ذلك ظاهرة فى الفقه فى هذا العصر، و توقف التفكير فيه عند حد التقليد و عجزه عن الابتكار و الرأى و القياس. و آية ذلك ظاهرة فى بعض شعراء هذا العصر الذين أفسدت عليهم شاعريتهم حتى صاروا يؤلهون الحاكم و يعتقدون أن اللّه قد يتجسم فى شخص الأئمة و الخلفاء: من ذلك ما قاله ابن هانىء الأندلسى فى المعز:

ما شئت لا ما شاءت الأقدارفاحكم فأنت الواحد القهار

و كأنما أنت النبى محمدو كأنما أنصارك الأنصار

و هو الذى تجدى شفاعته غداحقا و تخمد إذ تراه النار

إنهم استمدوا تعاليمهم من الأفلاطونية الحديثة و أخذوا ما نقله

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۴

إخوان الصفا عنها و عن الفلسفة اليونانية فأفسدوها حينما أرادوا تطبيقها على الناس، يبتغون من وراء ذلك تشكيل عقائدهم بأسلوب يضمن لهم السلطان و الإمامة. و مثل هذا الأسلوب فى التفكير و الاعتقاد أقرب الى أن يكون فارسيا منه إلى أى شىء آخر، و قد كان للشيعة أكبر عضد فى فارس، و لعل المذهب تأثر كثيرا بعقلية الفرس الواقعية و اعتقادهم فى الحلول و تأليه الأكاسرة. و مثل هذا الأسلوب بعدما يكون عن النفسية المصرية فقد صعب تمثيله و هضمه فنبذته و لو أنها أكرهت عليه مدة طويلة.

«و لا يمكننا أن نقدر مقدار النجاح فى شيوع المذهب الإسماعيلى بمصر و قدر الذين انتحلوه من خاصة الأمة، إلا أنا نعلم أن أثره فى العامة كان قليلا جدا لما يروى من أخبار نفورهم من مظاهر الاسماعيلية و من عقائدهم، و يظهر أن بيئة الفقهاء لم تتقبله، و وسموه بميسم الكفر و الإلحاد، فنفر الجمهور منه، و زاد نفرته السرية التى كانت تحيط بالدعوة، فزاد ذلك فى تأييد اعتقادهم أنه خارج عن الدين توارثوه عن أئمتهم و عن علمائهم».

و هذه العبودية التى فرضها الفاطميون على العلماء بنشر تعاليمهم وحدها و تأييد مذهبهم الفاطمى فى الفقه و محاجتهم الناس، أثرت أثرا بليغا فى تطور التشريع الإسلامى، فقد سار التشريع فى هذا العهد فى دور التقليد و عدم الاجتهاد. فإن الجو، لا يساعد العلماء على الابتكار و التجديد.

و لكن نلاحظ من ناحية أخرى أن نشاطهم فى بث الدعوة أدى إلى خلق هذا النوع الجديد من العلوم الذى أطلق عليها «أدب البحث»

و ألفت فی قواعدها الکتب، و کثرت مجالس النظر و شاعت المناظرات و المجادلات شیوعا.

و بقی مذهب الشیعة منتشرا فی مصر قضاء و فی الأزهر دراسة، إلی أن انقرضت دولة الفاطمیین.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۵

و عادت لمصر حینئذ السنة المحمدیة، و أول مذهب سنی درس بالأزهر المذهب الشافعی و انقرض من ذلک الحین المذهب الشیعی، و لم یبق له أثر بالأزهر سوی الجرایة، تعطی لمن هو متمذهب بهذا المذهب، و هذا الجرایة کانت تصرف لأصحابها لوقت قریب. هذا و تعالیم الشیعة الآن معمول بها فی فارس و بمصر متحف خاص (بالبهائیة) التی تعمل علی حد هذه التعالیم، و یقرر الأستاذ (بیرم) فی رسالة وضعها عن الأزهر و قدمها لمؤتمر المستشرقین المنعقد بمدینة (هامبورج) فی أوائل سبتمبر سنة ۱۹۰۲ أن العلوم الریاضیة کانت تدرس بالأزهر، کالعلوم الفلکیة و الطبیعیة و الجغرافیة، و لکنه استند فی تقریره هذا إلی أنه استنتج ذلک من عنایة الفاطمیین بهذه العلوم و عنایتهم بالکتب و جمعها و استبعد ألا تکون هذه العلوم قد درست بالأزهر، و الأزهر کان متأثرا فی حیاته بکثیر من العوامل السیاسیة التی ظهرت و قتذاک. و إن ما کان یدرس فیه فی عهد الفاطمیین هو التعالیم الشیعیة الإسماعیلیة و الدعوة إلیها، و المذهب الفاطمی فی الفقه .. و کان لهذه التعالیم أثر واضح فی الحیاة الخلقیة فی ذلک العصر، و قد عدد آفاتها الغزالی و آفات عقلیة أوقفت التشریع الإسلامی عند حد التقلید و عدم الاجتهاد، و أصبح التشریع الإسلامی فی هذا العصر هو المرحلة الأخیرة لتطوره. و لم یکن للعقول فی ذلک الوقت سبیل الی الاجتهاد و القیاس، و احتاجوا إلی تنظیر المسائل فی الإلحاق و تفرقها عند الاشتباه بعد الاستناد إلی الأصول المقررة و صار ذلک کله یحتاج إلی ملکة راسخة یقتدر بها علی هذا النوع من التنظیر و التفرقة.

و من هذا کله نعلن أن الأزهر اتخذ أول ما أنشیء مسجدا لعبادة اللّه و الدعایة للفاطمیین و دولتهم، ثم عقدت فی جنباته حلقات الدروس العامة، فکان الأساتذة من فقهاء الشیعة یجلسون لإلقاء دروسهم علی کل من یحضرها فی الفقه و اللغة و الأدب و المنطق و الطبیعیات و الریاضیات.

و أول کتاب قرئ فی الأزهر علی ما ذکرناه هو «الإقتصار» فی فقه آل البیت لأبی حنیفة النعمان بن أبی عبد اللّه بن محمد القیروانی قاضی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۶

المعز لدین اللّه، و کان مالکی المذهب ثم انتحل المذهب الإسماعیلی فأخلص له، و کان من دعائم الدعوة الفاطمیة. و کتابه «الدعائم» من أصول المذهب الإسماعیلی، و نهج علی منهاجه الوزیر یعقوب بن کلس فی کتابه «مصنف الوزیر» و له کتاب اسمه «مختصر الآثار فیما روی عن الائمة الأطهار» ، و من کتبه أیضا: «الینبوع» «و المجالس و المسایرات». و توفی النعمان هذا فی شهر جمادی الآخرة عام ۳۶۳ ه، و صلی علیه المعز لدین اللّه.

و کان یتولی درسة کتاب «الاقتصار» فی الأزهر ابن النعمان و اسمه أبو الحسن علی بن النعمان .. و کتبه الأخری کان بعضها یقرأ فی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۷

الأزهر، و البعض الآخر یقرأ فی حلقات خاصة للذین یریدون التخصص فی فقه الشیعة و الدعوة الفاطمیة.

و ظل الجامع الأزهر مثابة لحلقات الدروس یلقیها بنو النعمان حتی سنة ۳۶۹ ه، إذ بدأت حلقات الأزهر تتحول إلی دراسة جامعیة منظمة مستقرة، فقد بدأ یعقوب بن کلس وزیر المعز لدین اللّه یقرأ بانتظام فیه کتابه المعروف بالرسالة الوزیریة فی الفقه الشیعی، و کان یجلس بنفسه لقراءته فی الناس خاصتهم و عامتهم، و یهرع لسماعه سائر الفقهاء و القضاة و الأدباء و أکابر القصر و رجالات الدولة و الدعوة، و کانت تمتاز حلقات ابن کلس بتحررها من القیود الرسمیة، و اتجاهها نحو الأهداف العلمیة، و بذلک کانت أول مجالس جامعیة عقدت بالجامع الأزهر.

و فی عام ۳۷۸- ۹۸۸ استأذن ابن کلس الخلیفة العزیز باللّه فی أن یعین بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة و الدرس یحضرون مجلسه و

یلازمونه و یعقدون مجالسهم بالأزهر فی کل جمعة من بعد الصلاة حتی العصر، و کان عددهم سبعة و ثلاثین فقیها، و کان رئیسهم و منظم حلقاتهم هو الفقیه أبو یعقوب قاضی الخندق، و قد رتب لهم العزیز أرزاقا و جرایات شهریة

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۸

و أنشأ لهم دارا للسکنی بجوار الأزهر، و خلع علیهم فی یوم الفطر، و أجری علیهم ابن کلس أیضا رزقا من ماله الخاص .

و فی عام ۳۸۰ ه رتب المتصدون لقراءة العلم بالأزهر، و بذلک صار الأزهر معهدا جامعیا للعلم و التعلیم و الدراسة، و کان هؤلاء الأساتذة الذی رتبهم ابن کلس للقراءة و الدرس بالأزهر و أقرهم العزیز باللّه أول الأساتذة المدرسین الذین عینوا بالجامع الأزهر الشریف، و من هذا التاریخ یبدأ الأزهر حیاته الجامعیة العلمیة الصحیحة .. و فی الحق أن هذا یدل علی أن ابن کلس کان وزیرا عظیما و عالما جلیلا و أدیبا کبیرا.

و کان یعقد بداره مجالس علمیة و أدبیة دوریة ینتظم فی سلکها أکابر الفقهاء و الأدباء و الشعراء ، و کان یشرف بنفسه علی هذه المجالس، و یشترک فی أعمالها، و یغدق العطاء علی روادها. و قد أخذ ابن کلس بقسط حسن فی التألیف و الکتابة فوضع کتابا فی القراءات، و کتابا فی الفقه، و کتابا فی آداب رسول اللّه، و کتابا فی علم الأبدان و الصحة، و مختصرا فی فقه الشیعة مما سمعه من المعز لدین اللّه. و هو المعروف بالرسالة الوزیریة. و کان یقرأ کتبه علی الناس تارة بالجامع الأزهر و تارة بداره، و یجتمع لدیه الکتاب و النحاة و الشعراء فیناظرهم و یصلهم، و کانت موائدة دائما منصوبة معدة للوافدین، و کان کثیر الصلات و الإحسان، و بالجملة فقد کان هذا الوزیر و العالم الأدیب مفخرة فی جبین عصره، و قد أشاد شعراء العصر بجلاله وجوده، و من ذلک ما قاله أحدهم حین أصابت الوزیر علة فی یده:

ید الوزیر هی الدنیا فإن ألمترأیت فی کل شیء ذلک الألما

تأمل الملک و انظر فرط علتهمن أجله و اسأل القرطاس و القلما

و مرض ابن کلس فی شوال سنة ۳۸۰ ه، فجزع علیه العزیز أیما

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۹

جزع، و لبث یعوده و یرعاه، حتی توفی فی الخامس من ذی الحجة، فحزن علیه حزنا شدیدا، و أمر بتجهیزه تجهیز الأمراء و الملوک، و خرج من القصر إلی داره فی موکب صامت محزن، و شهد تجهیزه و صلی علیه بنفسه، و وقف حتی تم دفنه و هو یبکی بدمع غزیر و احتجب فی داره ثلاثا لا یأکل علی مائدته، و الحزن یشمل الخاصة و القصر کله، و أفاض الشعراء فی رثاء الوزیر الراحل و مدیحه، فوصلهم العزیز جمیعا، و علی الجملة فقد سما ابن کلس فی ظل الدولة الفاطمیة إلی أرفع مکانة ..

و مهما کان فإن تلک الخطوة الأولی فی ترتیب الأساتذة و الدروس بالأزهر بطریقة منظمة مستقرة، کان لها أثر کبیر فی تطور الغایة التی علقتها الخلافة الفاطمیة بادیء ذی بدء علی إنشاء الجامع الأزهر، فقد کانت هذه الغایة کما رأینا أن یکون المسجد الجامع الجدید رمز الخلافة الجدیدة و منبرا لدعوتها .

ابتدأ الأزهر حیاته العلمیة المنظمة بخمسة و ثلاثین طالبا. و لم یشجع هؤلاء بما رأینا فحسب، بل کان هناک لون آخر من ألوان التشجیع، فیحدثنا المقریزی أن العزیز باللّه «خلع علیهم فی یوم عید فطر و حملهم علی بغلات». و لم یکن الأزهر فی ذلک العهد مقصورا علی الرجال فحسب، بل کان للمرأة فیه نصیب فکن یفردن فیه بمجلس خاص .

و هکذا آلت تلک الحرکة العلمیة المیمونة إلی الأزهر، و ازدهرت فیه و ترعرعت حتی تخرج فیه أئمة فضلاء، و شیوخ أجلاء، خدموا الإسلام و المسلمین بالتألیف تارة، و بالتدریس أخری، حتی أصبح مفخرة العالم الإسلامی عامة، و مصر خاصة.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۴۰

و لقد عالجت هذه الجامعة الکبری علوم الدین، فیسرت سبلها، و أکثرت کتبها و اهتمت بشؤون اللغة العربیة، فهذبت طرقها، و

أصلحت شأنها، و بقيت على مدى الأجيال و القرون قائمة بعملها، مضطلعة بمهمتها، حتى نبه ذكرها و ذاع صيتها، و أمّها الطلاب من كل فج، ليغترفوا من منهلها، و يستضيئوا بنورها، و انحدر اليها العلماء من كل صوب، ليسهموا فى النفع بها، و نشر آثارها، فازدهرت فيها أنواع العلوم و الفنون، و أمدت العالم الإسلامى بما هو فى حاجة إليه.

و لقد كان الأزهر الشريف منذ نشأته موضع عناية الخلفاء الفاطميين:

يتعهدونه بالعناية و الرعاية، و يغدقون على من به من العلماء و الطلبة العطايا و الهبات، و يذهبون إليه بأنفسهم للصلاة و الوقوف على حاله، مما كان له الأثر البالغ فى حفز همم الشيوخ و الطلبة إلى التفرغ للعلم.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۴۱

الفصل الرابع الأزهر فى ظلاك الفاطميين

تمهيد:

مما تقدم نعلم أن الأزهر بدىء فى بنائه فى ۲۴ جمادى الأولى عام ۳۵۹ ه- إبريل ۹۷۰ م، و افتتح للصلاة فى يوم الجمعة ۷ رمضان ۳۶۱ ه: ۹۷۲ م، و بدأ نظام الحلقات العلمية فيه من عام ۳۶۵ ه: ۹۷۶ م، و صار جامعة إسلامية كبيرة من عام ۳۷۸ ه: ۹۸۸ م.

و إن الفضل فى ذلك يرجع الى المعز و قائده جوهر، ثم إلى أسرة القاضى النعمان الشيعى، ثم إلى الوزير يعقوب بن كلس.

و كان المسجد منذ نشأته يسمى جامع القاهرة باسم العاصمة الجديدة، و قد تكون تسميته بالجامع الأزهر قد تأخرت قليلا عن التسمية الأولى، و يرجح عنان أن اسم «الجامع الأزهر» أطلق عليه بعد إنشاء القصور الفاطمية فى عصر العزيز باللّه، فقد كان يطلق عليها اسم القصور الزاهرة، و منها أطلق على جامع القاهرة و هو مسجد الدولة الرسمى اسم الجامع الأزهر، و استمر مسجد القاهرة الجامع يعرف باسم جامع القاهرة أو الجامع الأزهر حتى عصر المقريزى فى أوائل القرن التاسع، ثم تقلص الاسم

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۴۲

القديم- جامع القاهرة- شيئا فشيئا و غلب عليه اسم الجامع الأزهر، أو جامع الأزهر حتى عصرنا.

و لا بد أن يكون الأزهر قد أسهم فى الحركة العقلية و العلمية فى عصر المعز و العزيز باللّه، و أن يكون أعلام الدين و اللغة و الأدب قد اتخذوا منه حلقة علمية منظمة.

فلقد جاء قوم من علماء المغاربة فى ركب المعز، و من أشهرهم النعمان بن محمد الذى تولى القضاء فى مصر هو و أولاده و أسرته عهدا طويلا فى ظلال الحكم الفاطمى، و كانت هذه الأسرة تقوم بالقضاء و بالدعوة و التأليف فى المذهب الشيعى، و تتخذ من الأزهر مكانا مختارا لنشاطها العلمى، و كذلك ابن كلس الذى أشرف على تنظيم الأزهر تنظيما جامعيا علميا عاليا.

و من أشهر العلماء الذين شهدوا عصر المعز و العزيز: ابن زولاق المصرى المؤرخ (۳۰۶- ۳۸۷ ه)، و عبد الغنى المصرى (۳۳۲- ۴۰۹ ه) و كان حافظ مصر فى عصره ، و الحسن بن الهيثم المصرى الفيلسوف و اشتهر بعد عصر العزيز و توفى عام ۴۳۰ ه و ابن يونس المصرى المنجم المتوفى عام ۳۹۹ ه و الجوفى النحوى المتوفى عام ۴۳۰ ه .. و لا شك أن هؤلاء العلماء و غيرهم قد كانت لهم حلقات فى الأزهر.

و من الأدباء و الشعراء فى هذا العهد أبو الرقعمق المتوفى عام

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۴۳

۳۹۹ ه الشاعر و ابن وكيع الشاعر المتوفى عام ۳۹۳ ه ، و التهامى الشاعر المتوفى عام ۴۱۶ ه و المسبحى المصرى الكاتب (۳۶۶- ۴۲۰ ه) ، و أبو القاسم عبد الغفار شاعر دولة العزيز و الحاكم و قتله الحاكم عام ۳۹۵ ه .. و لا شك أن هؤلاء الأدباء و الشعراء كانوا

یحفلون بإلقاء ثمرات قرائحهم علی تلامیذهم فی حلقات الأزهر العلمیة الحافلة .

الأزهر فی عصر الحاکم:

و فی عصر الحاکم استمر الأزهر یؤدی مهمته العلمیة، و إن کان الأزهر فوجیء بإقامة الخلیفة جامعة جدیدة سماها «دار الحکمة» أو دار العلم الشهیرة فی سنة ۳۹۵ ه- ۱۰۰۵ م.

و لکن الأزهر کان یومئذ بفعل الظروف و التطورات التی أشرنا إلیها قد بدأ حیاته الجامعیة، و مع أن دار الحکمة لبثت مدی حین تنافس الأزهر و تستأثر دونه بالدراسة المتصلة المنظمة، فإنها لم تلبث لصرامة نظمها و إغراق برامجها فی الشؤون المذهبیة، أن اضطربت أحوالها و ضعف نفوذها العلمی، هذا بینما کان الأزهر یسیر فی سبیل حیاته الجامعیة الولیدة بخطی بطیئة و لکن محققة، و یسیر فی نفس الوقت إلی التحرر من أغلال تلک الصبغة المذهبیة العمیقة التی کادت فی البدایة أن تقضی علی صبغته الجامعیة الصحیحة.

و قد وقف الحاکم وقفیة علی الأزهر و دار الحکمة و غیرها من

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۴۴

المساجد، و جامع الحاکم، و جامع المقس، و جامع راشدة، لإقامة الشعائر الدینیة فیها، و صیانة مبانیها و هذا هو نص الاشهاد الشرعی علی هذه الوقفیة:

«هذا کتاب أشهد قاضی القضاة مالک بن سعید بن مالک الفارقی علی جمیع ما نسب الیه مما ذکر، و وصف فیه، من حضر من الشهود فی مجلس حکمه و قضائه بفسطاط مصر فی شهر رمضان سنة اربعمائة، أشهدهم و هو یومئذ قاضی عبد اللّه و ولیه المنصور أبی علی الحاکم بأمر اللّه أمیر المؤمنین ابن الامام العزیز باللّه صلوات اللّه علیهما، علی القاهرة المعزیة و مصر و الاسکندریة و الحرمین حرسهما اللّه، و أجناد الشام و الرقة و الرحبة و نواحی المغرب و سائر أعمالهن، و ما فتحه اللّه و یفتحه لأمیر المؤمنین من بلاد الشرق و الغرب، بمحضر رجل متکلم- أنه صحت عنده معرفة المواضع الکاملة و الحصص الشائعة التی یذکر جمیع ذلک و یحدد هذا الکتاب، و أنها کانت من أملاک الحاکم إلی أن حبسها علی الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة، و الجامع براشدة و الجامع بالمقس، اللذین أمر بإنشائهما و تأسیس بنائهما، و علی دار الحکمة بالقاهرة المحروسة التی وقفها، و الکتب التی فیها قبل تاریخ هذا الکتاب، منها ما یخص الجامع الأزهر و الجامع براشدة و دار الحکمة بالقاهرة المحروسة مشاعا جمیع ذلک غیر مقسوم: و منها ما یخص الجامع بالمقس علی شرائط یجری ذکرها. فمن ذلک ما تصدق به علی الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة، و الجامع براشدة و دار الحکمة بالقاهرة المحروسة، جمیع الدار المعروفة بدار الضرب و جمیع القیساریة المعروفة بقیساریة الصوف و جمیع الدار المعروفة بدار الخرق الجدیدة الذی کله بفسطاط مصر. و من ذلک ما تصدق به علی جامع المقس جمیع أربعة الحوانیت و المنازل التی علوها و المخزنین الذی ذلک کله بفسطاط مصر بالرایة، فی جانب العرب من الدار المعروفة کانت بدار الخرق، و هاتان الداران المعروفتان بدار الخرق فی الموضع المعروف بحمام الفار. و من ذلک جمیع الحصص

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۴۵

الشائعة من أربعة الحوانیت المتلاصقة التی بفسطاط مصر بالرایة أیضا بالموضع المعروف بحمام الفار، و تعرف هذه الحوانیت بحصص القیسی بحدود ذلک کله و أرضه، و بنائه و سفله و علوه و غرفه و مرتفقاته و حوانیته و ساحاته و طرقه و ممراته، و مجاری میاهه، و کل حق هو له داخل فیه و خارج عنه، و جعل ذلک کله صدقة موقوفة محرمة محبسة بتة، لا یجوز بیعها و لا هبتها و لا تملیکها، باقیة علی شروطها، جاریة علی سبلها المعروفة فی هذا الکتاب، لا یوهنها تقادم السنین و لا تغیر بحدوث حدث، و لا یستثنی فیها و لا یتأول، و لا یستفتی بتجدد تحبیسها مدی الأوقات، و تستمر شروطها علی اختلاف الحالات حتی یرث اللّه الأرض و

السماوات، على أن يؤجر ذلك فى كل عصر من ينتهى اليه ولايتها و يرجع إليه أمرها بعد مراقبة اللّه و اجتلاب ما يوفر منفعتها من إشهارها عند ذوى الرغبة فى إجارة أمثالها؛ فيبتدأ من ذلك بعمارة ذلك على حسب المصلحة و بقاء العين و مرمته، من غير إجحاف بما حبس ذلك عليه، و ما فضل كان مقسوما على ستين سهما.

من ذلك الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة المذكور فى هذا الاشهاد الخمس و الثمن و نصف السدس و نصف التسع، يصرف ذلك فيما فيه عمارته و مصلحته، و هو من العين المعزى الوازن ألف دينار واحدة و سبعة و ستون دينارا و نصف دينار و ثمن دينار، و من ذلك للخطيب بهذا الجامع أربعة و ثمانون دينارا، و من ذلك لثمن ألف ذراع حصر عبدانية تكون عدة له بحيث لا ينقطع من حصره عند الحاجة إلى ذلك، و من ذلك لثمن ثلاثة عشر ألف ذراع حصر مظفورة لكسوة هذا الجامع فى كل سنة عند الحاجة إليها مائة دينار واحدة و ثمانية دنانير، و من ذلك لثمن ثلاثة قناطير زجاج و فراخها اثنا عشر دينارا و نصف و ربع دينار، و من ذلك لثمن عود هندى للبخور فى شهر رمضان و أيام الجمع مع ثمن الكافور و المسك و أجرة الصانع خمسة عشر دينارا، و من ذلك لنصف قنطار شمع بالفلفلى سبعة دنانير، و من ذلك لكنس هذا الجامع و نقل التراب و خياطة الحصر و ثمن الخيط و أجرة

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۴۶

الخياطة خمسة دنانير و من ذلك لثمن مشاقة لسرج القناديل عن خمسة و عشرين رطلا بالرطل الفلفلى دينار واحد، و من ذلك لثمن فحم للبخور عن قنطار واحد بالفلفلى نصف دينار، و من ذلك لثمن إردبين ملحا للقناديل ربع دينار و من ذلك ما قدر لمؤنة الناس و السلاسل و التنانير و القباب التى فوق سطح الجامع أربعة و عشرون دينارا، و من ذلك لثمن سلب ليف و أربعة أحبل وست دلاء أدم نصف دينار، و من ذلك لثمن قنطارين خرقا لمسح القناديل نصف دينار، و من ذلك لثمن عشر قفاف للخدمة و عشرة أرطال قنب لتعليق القناديل، و لثمن مائتى مكنسة لكنس هذا الجامع دينار واحد و ربع دينار، و من ذلك لثمن أزيار فخار تنصب على المصنع و يصب فيها الماء مع أجرة حملها ثلاثة دنانير، و من ذلك لثمن زيت وقود هذا الجامع راتب السنة ألف رطل و مائتا رطل مع أجرة الحمل سبعة و ثلاثون دينارا و نصف، و من ذلك لأرزاق المصلين يعنى الأئمة و هم ثلاثة و أربعة قومة، و خمسة عشر مؤذنا خمسمائة دينار و ستة و خمسون دينارا و نصف، منها للمصلين، و لكل رجل منهم ديناران و ثلثا دينار فى كل شهر من شهور السنة، و المؤذنون و القومة و لكل رجل منهم ديناران فى كل شهر، و من ذلك للمشرف على هذا الجامع فى كل سنة أربعة و عشرون دينارا. و من ذلك لكنس المصنع بهذا الجامع و نقل ما يخرج منه من الطين و الوسخ دينار واحد، و من ذلك لمرمة ما يحتاج إليه فى هذا الجامع فى سطحه و أترابه و حياطته و غير ذلك مما قدر لكل سنة ستون دينارا، و من ذلك لثمن مائة و ثمانين حمل تبن و نصف حمل جارية لعلف رأسى بقر للمصنع الذى لهذا الجامع ثمانية دانانير و نصف و ثلث دينار، و من ذلك للتبن لمخزن يوضع فيه بالقاهرة أربعة دنانير، و من ذلك لثمن فدانين قرط لتربيع رأسى البقر المذكورين فى السنة سبعة دنانير، و من ذلك لأجرة متولى العلف و أجرة السقا و الحبال و القواديس و ما يجرى مجرى ذلك خمسة عشر دينارا و نصف، و من ذلك لأجرة قيم الميضأة إن عملت بهذا الجامع اثنا عشر دينارا».

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۴۷

و إلى هنا انقضى حديث الجامع الأزهر، و أخذ فى ذكر الجامع براشدة، و دار العلم، و جامع المقس، ثم ذكر أن تنانير الفضة ثلاثة تنانير و تسعة و ثلاثون قنديلا من الفضة، فللجامع الأزهر تنوران و سبعة و عشرون قنديلا، و منها لجامع راشدة تنور و اثنا عشر قنديلا، و شرط أن تعلق فى شهر رمضان، و تعاد إلى مكان جرت العادة أن تحفظ فيه .. و شرط بعد ذلك فى الوقف شروطا كثيرة ليس هنا مقام ذكرها و قد أسس الحاكم جامعه المشهور عام ۳۹۳ ه، و خطب فيه و صلى فيه بالناس الجمعة و كانت دار الحكمة التى أنشأها يدرس فيها علوم القرآن و اللغة و الفلك و الطب و الرياضة و التنجيم و غيرها. و اجتذبت الجامعة الجديدة إليها كثيرا من أعلام المشرق كالرحالة الفارسى ناصرى خسرو، و لبثت دار الحكمة تنافس الأزهر مدى قرن من الزمان، حتى أغلقت.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۴۸

مشارکة الأزهر فی الحیاة العقلیّة فی عصر الفاطمیین

کان للأزهر نشاط ضخم فی الحیاة العقلیة و العلمیة فی العصر الفاطمی کله حتی نهایته عام ۵۶۷ ه.

و لقد جاءت الدولة الفاطمیة الی مصر مع نفوذها السیاسی بحرکة علمیة قویة فقدمت حرکة العلم و الأدب و الفن فی مصر و الشام خطوات، حتی لا یعد شیئا بجانبها ما کان فی العهد الطولونی و الأخشیدی، و یصح أن توازن بما کان فی العراق و لا سیما العلوم العقلیة و الفلسفیة، فقد ازدهرت فی مصر و سارت شوطا بعیدا .. نعم نشطت الحرکة العقلیة فی مصر و الشام فی هذا العصر نشاطا کبیرا، و ذلک بفضل الأزهر و دار العلم و حلقاتهما العلمیة؛ و عنیت الدولة بدور الکتب و نشر العلم، و تشجیع العلماء، فظهر الکثیر من المؤرخین و الفلاسفة و العلماء و الریاضیین و اللغویین و النحویین و الأدباء، و منهم الأدفوی تلمیذ أبی جعفر النحاس المصری؛ الذی توفی عام ۳۸۸ ه، و ابن بابشاذ ، و ابن القطاع النحوی م ۵۱۵ ه المتوفی عام ۴۶۹ ه و سواهم.

و یقول المقریزی: «ان أول ما درس بالأزهر الفقه الفاطمی علی مذهب الشیعة» و لقد کان ممن القی محاضراته فی الأزهر المؤید

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۴۹

الشیرازی داعی الدعاة الذی ناظر فیها المعری فی عهد المستنصر الخلیفة الفاطمی، و کان الشیرازی شاعرا کتب إلی المستنصر لما حسده الحساد باحتجاب الخلیفة عنه بعد قدوم الشیرازی إلی مصر: کتب المؤید الشیرازی:

أقسم لو أنک توجتنیبتاج کسری ملک المشرق

و أنلتنی کل أمور الوریمن قد مضی منهم و من قد بقی

و قلت ان لا نلتقی ساعةأجبت یا مولای أن نلتقی

لأن إبعادک لی ساعةشیب فودیّ مع المفرق

فأجاب المستنصر باللّه بخطه:

یا حجة مشهورة فی الوریو طود علم أعجز المرتقی

ما غلفت دونک أبوابناإلا لأمر مؤلم مقلق

و لا حجبناک ملالا فثقبودنا و ارجع الی الألیق

خفنا علی قلبک من سمعهفصدنا صد أب مشفق

شیعتنا قد عدموا رشدهمفی الغرب یا صاح و فی المشرق

فانشر لهم ما شئت من علمناو کن لهم کالوالد المشفق

إن کنت فی دعوتنا آخرافقد تجاوزت مدی السبق

مثلک لا یوجد فیمن مضیمن سائر الناس و لا من بقی

و للشیرازی محاضراته التی ألقاها فی الأزهر مناظرا أبا العلاء المعری.

و له مؤلفات أخری عدا سیرته و دیوانه و محاضراته، منها: کتاب الابتداء و الانتهاء، و کتاب المسألة و الجواب، و کتاب نهج العبادة، و شرح المعاد، و المسائل السبعون، و نهج الهدایة للمهتدین، و أساس التأویل بالفارسیة، و السبح السبع، و الإیضاح و التبصیر فی فضل یوم القدیر، و تأویل الأرواح، و المجالس المستنصریة. و قد لاحظنا أن هذه المحاضرات القصیرة، إنما کانت ملخصا لدروس طویلة فیما یظهر فلعله

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۵۰

کان یکتبها بعد إلقاء الدرس و تفهیمه علی سبیل التسجیل و الحفظ، لنکت هامة لینتفع القارىء، کما استفاد السامع.

و هذه هی المحاضرة الأولی من محاضراته:

الحمد للّه الذی نظم بین الانسان و البهائم أن خلقهم من طین، ثم جعل نسلهما من ماء مهین، ثم اقتضت العنایة الإلهیة أن رمی فی أخلاط الصورة الإنسانیة من إکسیر العقل بلغة أهل صنعة الکیمیاء، ما عرج به أعلا المعارج من الفضل و العلیاء، فصار ممن قال اللّه سبحانه فیه- و من أصدق منه قیلا- وَ لَقَدْ کَرَّمْنا بَنِی آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ* وَ فَضَّلْناهُمْ عَلی کَثِیرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِیلًا، فاستنزل بتدبیره الطیر من الهواء و استخلص الحدث من لج الماء، و استعبد أجناس الحیوان طیرا و بهائم و سباعا، فمنها ما انتفع بلحومها، و منها ما استمتع بجلودها و أصوافها و أوبارها استمتاعا، و جعل الفلک المحیط علی عظم فضائه محصورا فی سرادق فکره، بدل کون جسمه بالکون و الفساد محصورا فی سرادق ملکته و أسره، فهذا منفوعه الذی نفعه اللّه به فی الدار الأولی، ثم جعله سلما یرتقی به إلی دائم البقاء فی الدار الأخری. فلولا نور استبصاره بالعقل، لما کانت رسالة عن مرسل تقبل، و لا أمر عن مرسل یؤخذ و یتحمل، و لا نفس بمعرفة توحید اللّه سبحانه ترتسم و تنیر، و لا لسان بمعارف الآخرة بین اللهوات یدور. و صلی اللّه علی محمد خیر رسول، استنار بنور سراجه، و سار علی واضح منهاجه، و علی وصیه الذی عرج به من أفق المجد إلی أعلا معراجه، و علی آله الداعین إلی عذب المشرب و فراته، الناهین عن ملحه و أجاجه.

معشر المؤمنین: جعلکم اللّه ممن استنارت بنور العقل قلوبهم، و تجافت عن مضاجع الجهل جنوبهم، إن قوما من الآخذین الدین بالعادات، و الجارین فیه علی آثار الوالدین و الوالدات، زعموا أن شرائع الأنبیاء علیهم السلام التی هی أسباب النجاة، و الطریق إلی دائم الحیاة علی غیر العقل موضوعها. و فی سوی موقعه وقوعها فلو أنهم أنعموا

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۵۱

النظر، و جردوا من شوب العصبیة و الهوی الفکر، لعلموا أن أحدهم لو قیل له فی شیء من خاصة أعماله، و ما یصدر عنه من أقواله و أفعاله، إن فعلک هذا علی غیر أساس العقل موضوعه، و لا من مطالعه طلوعه، لاستشاط من ذلک غضبا، و لقام له مکذبا، و فی مثل هذه المواجهة مستذنبا، فکیف یرضون للأنبیاء الذین هم سادات دینهم، و الوسائط بینهم و بین ربهم ما لو قابلهم بمثله مقابل لکرهوه، أم کیف لا- یعتبرون أن الخطاب فی کتاب اللّه کله مع أولی الألباب بقوله اللّه تعالی: «فَاتَّقُوا اللَّهَ یا أُولِی الْأَلْبابِ* و قوله: إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِکْری لِأُولِی الْأَلْبابِ، و ما یجری مجراه مما کثر و تکرر، و لیس یخلو من کون هذه الأوضاع الشرعیة لیس لها برهان من العقل عند الرسول علیه السلام، الآتی بها نفسه أو کون البرهان عنده فلم یشعر به، فإن کان لا برهان لها عنده فهو فحش، فلو أن سائلا سأله عن العلة التی اقتضت أن یجعل الصلاة خمسا، و لا یجعلها ستا، فکان یقول لا أدری، لکفاه طعنا أن یأتی بشیء لا یدری العلة فیه إذا سئل عنها، و إن کان لها برهان عند نفسه عقلی- و البرهان مما یجمل الأقوال و الأفعال- ثم لم یظهره فلم یقم إذن بحق البلاغ، و هذا منتف عن الرسول علیه السلام، لأنه بلغ و قال فی النادی: «اللهم اشهد أنی بلغت» و سوی هذا فمعلوم أن الرسول علیه الصلاة و السلام لم یکلف تکلیف الشریعة إلا- ذا عقل، فکیف یکلف ذا عقل ما کان موضوعه علی غیر عقل، لأن ما کان موضوعه علی غیر عقل، فهو بغیر ذی عقل أولی منه بذی عقل، و ما السبب فی تولیة العقل أولا و عزله آخرا؟ و لما لا تکون التولیة آخرا ککونها أولا، أو العزل أولا ککونه آخرا؟ و هذا مما لا خفاء به علی منصف.

و المعلوم أن الفلاسفة یدعون العلوم العقلیة و الأمور الحقیقیة، و أن المسلمین یکفرونهم مع ذلک، لانقطاعهم عن سبب الرسالة، و قولهم أنهم غنوا عن الأنبیاء فی معرفة معالم نجاتهم، و أن الحاجة إلیهم لسیاسة أمور الدنیا فقط، بتحصین الدماء و الأموال، و منع القوی عن الضعیف.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۵۲

و اعتقاد المحققین أن العلوم کلها التی منها العقلیات التی یدعونها فی علوم الأنبیاء اجتمعت، و منها تشعبت و تفرعت، و تصدیقهم

قول اللّه سبحانه وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ و قوله جل جلاله ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ، فلو أن أحد الفلاسفة قدم على الرسول عليه الصلاة و السلام، يسأله عن الملائكة، و العرش، و الكرسى، و الجنة، و النار، و أوضاع شريعته: من صلاتها، و زكاتها، و صومها، و حجها، و جهادها، من حيث يدل عليه البرهان العقلى، أكان يقول النبى صلى اللّه عليه و سلّم، لا قبل لى ببرهان ذلك! حاشا للّه .. و قول آخر مأثور عن النبى صلى اللّه عليه و سلّم أنه قال «أول ما خلق اللّه تعالى العقل، فقال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال: و عزتى و جلالى ما خلقت خلقا أجل منك، بك أثيب، و بك أعاقب» .. فإن كانت الشرائع على غير العقل موضوعها، فلا ثواب لها و لا عقاب على مقتضى الخبر، «بك أثيب و بك أعاقب».

معشر المؤمنين: دعو أهل الفرقة و الخلاف، فإنهم أشياع غى بقول اللّه تعالى لنبيه صلى اللّه عليه و سلّم: إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ: و تمسكوا فى دينكم بالأدلة، و اعرفوا المواقيت بالأهلة، و أصلحوا أموالكم، و طهروا سربالكم و احمدوا اللّه تعالى الذى فتح لكم إلى الحقائق أبصارا و الناس عنها عمون، و كشف لكم حجبا فأنتم فى رياضها تتنعمون. و اجروا فى مضمار التائبين العابدين و استشعروا شعار الراكعين الساجدين. و كونوا دعاة إلى أئمتكم بحسن الأفعال صامتين و قوموا آناء الليل قانتين. جعلكم اللّه من الذين إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا، و أوزعكم شكر عارفيه. إذ ألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا. و الحمد للّه القاهر سلطانه. الباهر برهانه. العظيم شانه.

الواسع إحسانه. و صلى اللّه على محمد المنزل عليه فرقانه. المزلزل للشرك بنيانه. و على وصيه مستودع علمه و ترجمانه على بن أبى طالب بيده يد الحق. و الناطق بلسانه لسانه. و على الأئمة من ذريته المحفوظة بهم حدود الدين و أركانه .. و سلم تسليما، و حسبنا اللّه و نعم الوكيل.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۵۳

و لقد أصيبت الحياة العقلية فى مصر الإسلامية بكثير من الاضطراب و الضعف فى أواسط القرن الخامس الهجرى كما يقول عنان، أى منذ اضطربت شؤون الخلافة الفاطمية فى عهد المستنصر باللّه، و نكبت مصر بالشدة العظمى، و عانت عسف القحط و الوباء أعواما طويلة (۴۴۶- ۴۶۴ ه)، و شغل المجتمع المصرى حينا بما توالى عليه من الأرزاء و المحن، و شغل الخلفاء و رجال الدولة بالتنازع على السلطان و تدبير الانقلابات السياسية العنيفة عن تعهد الحركة الفكرية، و قترت الدولة على معاهد التعليم لنضوب مواردها، و بددت خزائن الكتب أثناء الفتنة و كانت من أنفس و أعظم ما عرف العالم الإسلامى .. و كان لهذا الاضطراب أثره فى الأزهر و دار الحكمة فركدت حركة الدرس و التحصيل تبعا لركود الحياة العامة و اضطراب الحياة الخاصة. و فى أواخر القرن الخامس فى عصر أمير الجيوش بدر الجمالى المتغلب على الدولة (۴۶۵- ۴۸۷ ه) و ولده الأفضل شاهنشاه (۴۸۷- ۵۱۵ ه) عاد النظام و الأمن و الرخاء الى البلاد، و انتظمت الحياة العامة، و استعادت الحياة الفكرية نشاطها بما أسبغ عليها من الرعاية، و ما بذل للإنفاق على معاهد الدرس من الأموال و الأرزاق.

و يقول عنان: كان نظام الحلقات العلمية وقت إنشاء الجامع الأزهر هو نظام الدراسة الممتازة فى مصر الإسلامية و فى معظم الأقطار الإسلامية الأخرى، و كان قوام الحياة الجامعية و الفكرية فى العالم الاسلامى ..

و كان طبيعيا أن الأزهر حينما أتيح له أن يدخل هذا الميدان الدراسى، أن تقوم الدراسة فيه وفقا لهذا النظام التقليدى المتوارث. و لم يك ثمة نظام آخر يمكن التفكير فيه فى عصر لم تكن قد عرفت فيه المدارس بعد ..

و هكذا بدأت الدراسة فى الأزهر فى حلقات علمية و أدبية؛ و استمرت كذلك على مر العصور. و عقدت أول حلقة للدرس بالأزهر فى صفر

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۵۴

سنة ۳۶۵ ه كما تقدم، و عقدها قاضى القضاة على بن النعمان و قرأ فيها مختصر أبيه فى فقه آل البيت و هو الكتاب المسمى

«الاقتصار» فی جمع حافل أثبتت فیه أسماء الحاضرین. و فی سنة ۳۷۸ ه أذن العزیز باللّه لوزیره ابن کلس أن یعین بالأزهر جماعة من الفقهاء للدرس و القراءة، و کانوا یعقدون «حلقاتهم» الدراسیة بالجامع یوم الجمعة من بعد الصلاة إلی العصر، و هم أول أساتذة أجریت علیهم من الدولة رواتب خاصة حسبما قدمنا. و فی هذین النصین القدیمین ما یوضح لنا نظم الدراسة الأساسیة بالأزهر، و هی نظم کان قوامها الحلقة الدراسیة، فیجلس الأستاذ لیقرأ درسه فی حلقة من تلامیذه و المستمعین الیه، و تنظم الحلقات فی الزمان و المکان طبقا للمواد التی تدرس، و یجلس أستاذ المادة من فقه أو حدیث أو تفسیر أو نحو أو بیان أو منطق أو غیرها فی المکان المخصص لذلک من أروقة الجامع أو أبهائه، و أمامه للطلبة و المستمعون یصغون إلیه و یناقشونه.

و کان الأزهر مذ بدأت فیه الدراسة مفتوح الباب لکل مسلم یقصد إلیه الطلاب من مشارق الأرض و مغاربها، و کان یضم بین طلبته دائما إلی جانب الطلاب المصریین عددا کبیرا من أبناء الأمم الاسلامیة یتلقون الدراسة، و تجری علیهم الأرزاق، و تقیم کل جماعة منهم فی مکان خاص بها. و هذا هو نظام الأروقة الشهیر الذی نعتقد أنه بدأ فی عصر مبکر جدا ، و الذی استمر قائما حتی العصر الأخیر، و ما زالت منه إلی الیوم بقیة بالجامع الأزهر. و معظم سکان الأروقة الباقیة الیوم من الطلبة الغرباء. و یذکر المقریزی أن عدد الطلبة الغرباء الذین کانوا یلازمون الإقامة بالأزهر فی الأروقة الخاصة بهم فی عصره- أعنی فی أوائل القرن التاسع- بلغ سبعمائة و خمسین، ما بین «عجم و زیالعة و من أهل ریف

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۵۵

مصر و مغاربة»، و هو رقم کبیر یدل علی ضخامة العدد الذی کان یضمه الأزهر بصفة عامة من طلاب مصر و طلاب الأمم الإسلامیة المختلفة فی تلک العصور.

أما مواد الدراسة بالأزهر فی هذا العصر فلا ریب- کما یقول عنان- أن علوم الدین و اللغة کانت فی المقدمة دائما، و کان للعلوم الدینیة بنوع خاص أوفر قسط، فعلوم القرآن و الحدیث و الکلام و الأصول و الفقه علی مختلف المذاهب، و کذلک علوم اللغة من النحو و الصرف و البلاغة ثم الأدب و التاریخ، هذه کلها کانت زاهرة بالأزهر خلال العصور الوسطی.

و قد کانت الصبغة المذهبیة تغلب کما رأینا علی الدراسة بالأزهر و لا سیما فی بادیة عهدها، و لم یک ذلک غریبا فی ظل دولة کالدولة الفاطمیة نتشح بثوبها المذهبی العمیق و کان من الطبیعی أیضا أن تحتل علوم الشیعة وفقه آل البیت من حلقاته الدینیة المقام الأول، بید أنه یمکن أن یقال من جهة أخری إن هذه الصیغة المذهبیة لم تکن دائما مطلقة، و لم تکن دائما لزاما علی الطلاب. و نحن نعرف أن الخلافة الفاطمیة علی الرغم من استمساکها بصبغتها المذهبیة العمیقة لم تستطع أن تحشد سواد الشعب المصری إلی جانبها فی هذا المضمار، و لم تحاول دائما أن تجری علی سیاسة الإرغام فی طبعه بطابعها، و فی فرض لونها المذهبی علی عقائده، بل نراها فی أحیان کثیرة تلجأ فی ذلک إلی سیاسة الرفق و التسامح. و لنا فی ذلک دلیل فی المرسوم الدینی الذی أصدره الحاکم بأمر اللّه- و هو من غلاة الفاطمیین- فی سنة ۳۹۸ ه (۱۰۰۸ م) و فیه یقرر بعض الأحکام و یفسرها علی أثر ما وقع بین الشیعة و أهل السنة من خلاف فی فهمها، و یحاول أن یوفق فی ذلک بین المذاهب المختلفة، و قد جاء فیه بعد الدیباجة:

«یصوم الصائمون علی حسابهم و یفطرون، و لا یعارض أهل الرؤیة فیما هم علیه صائمون و مفطرون، صلاة الخمیس للذین بما جاءهم فیها

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۵۶

یصلون، و صلاة الضحی و صلاة التراویح لا مانع لهم منها و لا هم عنها یدفعون، یخمس فی التکبیر علی الجنائز المخمسون، و لا یمنع من التکبیر علیها المربعون، یؤذن بحی علی خیر العمل المؤذنون و لا یؤذی من بها لا یؤذنون، لا یسب أحد من السلف و لا یحتسب علی الواصف فیهم بما یوصف و الخالف فیهم بما خلف، لکل مسلم مجتهد فی دینه اجتهاده، و إلی اللّه ربه میعاده، و عنده کتابه و علیه حسابه. لیکن عباد اللّه علی مثل هذا عملکم منذ الیوم، لا یستعلی مسلم علی مسلم بما اعتقده، و لا یعترض معترض علی صاحبه

فیما اعتمد، من جمیع ما نصه أمیر المؤمنین فی سجله هذا، و بعده قوله تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا عَلَیْکُمْ أَنْفُسَکُمْ لا یَضُرُّکُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَیْتُمْ إِلَی اللَّهِ مَرْجِعُکُمْ جَمِیعاً فَیُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .

و کانت الدراسة فی دار الحکمة ذاتها و هی الجامعة الفاطمیة المذهبیة حرة تدرس فیها علوم السنة إلی جانب علوم الشیعة، و قد تحررت کثیرا من صبغتها المذهبیة حینما أعیدت بعد إغلاقها فی عهد الخلیفة الآمر بأحکام اللّه، فمن الواضح إذا أن الدراسة بالأزهر کانت حتی فی الوقت الذی یشتد فیه تیار الدعوة المذهبیة تحظی دائما بقسط من الحریة یزید أو ینقص وفقا للظروف و الأحوال. و کانت دار الحکمة تستأثر بعد ذلک بتدریس العلوم الدینیة. بید أن هذه الصبغة المذهبیة خفت وطأتها ..

و أخذ الأزهر بنصیبه من العلوم بجانب الدین.

هذا و أما عن الکتب الدراسیة التی کانت تدرس بالأزهر فی العصر الفاطمی، فلیس لدینا أیضا سوی إشارات موجزة جدا و أول کتاب درس بالأزهر هو کتاب «الاقتصار» الذی وضعه أبو حنیفة النعمان بن محمد القیروانی قاضی المعز لدین اللّه فی فقه آل البیت، و کان یتولی قراءته و تدریسه بالأزهر ولده أبو الحسین علی بن النعمان کما قدمنا. و استمر فی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۵۷

قراءته مدی حین علی ید بنی النعمان الدین تعاقبوا فی قضاء مصر حتی نهایة القرن الرابع. و کان للنعمان القیروانی کتب أخری فی فقه الإمامیة (الشیعة) ذکر ابن زولاق مؤرخ المعز لدین اللّه أسماءها و هی کتاب «دعائم الإسلام»، الذی عنی بتدریسه فی الأزهر فیما بعد عنایة خاصة، و کتاب «اختلاف أصول المذاهب» و کتاب «الأخبار» و کتاب اختلاف الفقهاء» و من المرجح أنها کانت تقرأ أو تدرس بالأزهر إلی جانب کتاب «الاقتصار» حتی أواخر القرن الرابع .

و قد انتهی إلینا بعض هذه المؤلفات الشیعیة التی افتتحت بها الدعوة إلی دراسة فقه الإمامیة بمصر. و یوجد بدار الکتب المصریة نسخة مصورة من المجلد الأول من کتاب «دعائم الإسلام»، و عنوانه الکامل «دعائم الإسلام فی الحلال و الحرام و القضایا و الأحکام، من أهل بیت رسول اللّه صلی اللّه علیه و علی آله». و یقول النعمان القیروانی فی دیباجته: «إنه لما اضطربت الأحکام و اختلفت المذاهب و انقلبت أوضاعها، رأی عملا بقول رسول اللّه: «إذا ظهرت البدع فی أمتی فلیظهر العالم علمه» أن یضع کتابا جامعا مختصرا بما جاء عن الأئمة من أهل بیت رسول اللّه، من جملة ما اختلف فیه الرواة عنهم فی دعائم الإسلام، و ذکر الحلال و الحرام، و القضایا و الأحکام، و هذه الدعائم حسبما ورد عن الإمام جعفر ابن محمد الصادق هی «الولایة و الطهارة و الصلاة و الزکاة و الصوم و الحج و الجهاد»، و هی الموضوعات التی یتناولها المجلد الأول من الکتاب.

و توجد بدار الکتب نسخة مصورة قدیمة من کتاب «الأخبار» أو «شرح الأخبار»، و قد ذکر النعمان القیرانی موضوعه و طریقة تألیفه فی مقدمته فیما یأتی، «آثرت منه الأخبار و جمعت منه الآثار فی فضل الأئمة الأبرار حسبما وجدته؛ و غایة ما أمکننی واستطعته؛ فصححت ما بسطته فی کتابی هذا و ألفته، بأن عرضته علی ولی الأمر و صاحب الزمان

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۵۸

و العصر، مولای المعز لدین اللّه أمیر المؤمنین علیه السلام و علی سلفه و خلفه، و أثبت منه ما أثبته و صح عنده و عرفه و أثره عن الأئمة الطاهرین و أجاز لی سماعه منه، و بأن أرویه لمن یأخذه عنی و عنه علیه السلام، فبسطت فی هذا الکتاب ما أثبته و أجازه و عرفه، و أسقطت ما أنکره من ذلک، و ذلک مما نسبه إلی أهل الحق المبطلون و حرف من قولهم المحرفون».

ثم قرئ بالأزهر کتاب ألفه الوزیر ابن کلس فی الفقه الشیعی علی مذهب الإسماعیلیة مما سمعه فی ذلک من المعز لدین اللّه و العزیز باللّه، و هو المعروف بالرسالة الوزیریة؛ و کان یجلس لقراءته و تدریسه بنفسه حسبما قدمنا. و أفتی الناس بما فیه .

فالکتب الأولی التی قررت للتدریس بالأزهر هی کتب اشتقت من المصادر المذهبیة الرسمیة أعنی من أولیاء الخلافة الفاطمیة ذاتها، و کان لها صبغة رسمیة واضحة. و کان التدریس بالأزهر یجری یومئذ علی مذهب الشیعة بصفة رسمیة. و شدد فی ذلک بادئ ذی بدء

حتی إنه فی سنة إحدی و ثمانین و ثلاثمائة فی عهد العزیز باللّه، قبض علی رجل وجد عنده کتاب «الموطأ» للإمام مالک. و جلد من أجل إحرازه .

و فی سنة ست عشرة و أربعمائة، أمر الخلیفة الظاهر لإعزاز دین اللّه ولد الحاکم بأمر اللّه بأن یدرس الدعاة للناس کتاب «دعائم الإسلام» و کتاب «مختصر الوزیر» و رتب لمن یحفظهما مالا و الدعاة هم أساتذة دار الحکمة و قد کانوا یجلسون للتدریس بالجامع الأزهر فی أحیان کثیرة و قد عرفنا موضوع کتاب «دعائم الإسلام» و عرفنا مؤلفه. أما «مختصر

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۵۹

الوزیر» فیلوح لنا أنه هو مؤلف ابن کلس أعنی «الرسالة الوزیریة».

و المرجح أن کثیرا من الکتب الفقهیة التی کانت تدرس بدار الحکمة کانت تدرس أیضا بالأزهر کما یقول عنان، و إن کنا لم نعثر علی نصوص أو بیانات أخری تلقی ضوءا علی أنواع الکتب التی کانت تدرس بالأزهر فی هذا العصر فی العلوم الأخری. و کانت تشمل مصنفات أعلام الأساتذة المعاصرین الذین انتهت إلیهم الریاسة فی بعض العلوم أو الذین تولوا التدریس بالأزهر یومئذ، مثل العلامة أبی الحسن علی بن إبراهیم الحوفی إمام العربیة و النحو و صاحب کتاب إعراب القرآن و ابن بابشاذ النحوی صاحب کتاب «المقدمة» «و شرح الجمل»، و ابن القطاع اللغوی صاحب کتاب «الافعال»، و أبی محمد عبد اللّه بن بری المصری إمام اللغة فی عصره، و أبی العباس أحمد بن هاشم المحدث و المقرىء، و أبی القاسم الرعینی الشاطی إمام القراءات و صاحب القصیدة الشهیرة فی علم القراءات «حرز الأمانی و وجه التهانی» ، و غیرهم ممن انتهت إلیهم الریاسة فی هذا العصر، و اعتبرت مصنفاتهم متونا و مراجع. بل لقد لبثت مصنفات بعض أولئک الأئمة تدرس بالأزهر حتی العصر الأخیر مثل قصیدة الشاطبی فی القراءات.

علی أن کثیرا من الکتب التی ألفت و درست فی هذا العهد، قد دثر بانتهاء الدولة الفاطمیة و حرص الدولة الأیوبیة التی خلفتها، علی محو رسومها و آثارها.

هذا و قد عنیت الدولة الفاطمیة عنایة خاصة باقتناء الکتب و إنشاء المکتبات العظیمة، و کان بالقصر الفاطمی مکتبة جامعة یفیض المؤرخون کما یقول عنان فی وصف عظمتها و نفاسة محتویاتها، و کان بها ما یزید علی مائتی ألف مجلد فی سائر العلوم و الفنون، فی الفقه و الحدیث و اللغة

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۶۰

و التاریخ و الأدب و الطب و الکیمیاء و الفلک و غیرها. و قال ابن أبی طی بعد ما ذکر استیلاء صلاح الدین علی القصر «و من جملة ما باعوه خزانة الکتب، و کانت من عجائب الدنیا، و یقال إنه لم یکن فی جمیع بلاد الإسلام دار کتب أعظم من التی کانت بالقاهرة فی القصر» . و کان بدار الحکمة مکتبة أخری یرجع إلیها الأساتذة و الطلاب، و بها عدد کبیر من الکتب الفلسفیة و الریاضیة و الروحانیة و غیرها مما یتصل بدروس الحکمة .

و کانت فی الواقع خلفا لمکتبة الاسکندریة الشهیرة. و کان للجامع الأزهر مکتبة خاصة به، و کانت المساجد الجامعة تزود فی هذه العصور بمجموعات من الکتب و لا سیما کتب الحدیث و الفقه. و لکن یوجد ثمة ما یدل علی أن الأزهر کان له من خزائن الکتب نصیب حسن، و کانت له مکتبة کبیرة ذات أهمیة خاصة، فإن ابن میسر یقول فی أخبار سنة ۵۱۷ ه إنه قد أسند إلی داعی الدعاة أبی الفخر صالح منصب الخطابة بالجامع الأزهر مع خزانة الکتب ؛ و إسناد الإشراف علی خزانة الکتب إلی داعی الدعاة، و هو أکبر رئیس دینی بعد قاضی القضاة، دلیل علی قیمتها و أهمیتها.

و کان فی مقدمة الأساتذة المدرسین فی الأزهر بنو النعمان قضاة مصر، فکان القاضی أبو الحسن علی بن النعمان أول من درس بالأزهر، و کان فوق تضلعه فی فقه آل البیت أدیبا شاعرا، و توفی سنة ۳۷۴ ه، و درس بالأزهر أیضا أخوه القاضی محمد بن النعمان المتوفی سنة ۳۸۹ ه، ثم

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۶۱

ولده الحسین بن النعمان قاضی الحاکم بأمر اللّه . و من المرجح أن فقیه مصر و مؤرخها الکبیر الحسن بن زولاق (المتوفی سنة ۳۸۷ ه)، کان من الذین تولوا الدراسة بالأزهر یومئذ، فقد کان صدیق المعز لدین اللّه و مؤرخ سیرته، ثم صدیق ولده العزیز من بعده. و من المعقول أن یقع الاختیار علیه للتدریس بالمعهد الفاطمی الجدید، کما یقول عنان.

و هناک من أعلام الفکر و الأدب فی هذا العصر من کانت لهم صلة علیة بالأزهر فتلقوا دراستهم کما یقول عنان أو تولوا التدریس فیه، فمنهم المسبحی الکاتب و المؤرخ الشهیر، و هو الأمیر المختار عز الملک محمد ابن عبد اللّه بن أحمد الحرانی، ولد بمصر سنة ۳۶۶ ه، و توفی سنة ۴۲۰ ه. و کان من أقطاب الأمراء و العلماء، تولی الوزارة للحاکم بأمر اللّه و نال حظوة لدیه، و أخذ بقسط فی مختلف علوم عصره، و من المعقول أن یکون المسبحی و هو من أولیاء الفاطمیة و أقطاب علمائها من أساتذة المعهدین الفاطمیین: دار الحکمة و الأزهر. و شغف المسبحی بتدوین التاریخ و ألف فیه عدة کتب منها تاریخه الکبیر المسمی «أخبار مصر»، و هو أثر ضخم یتناول تاریخ مصر و ما بها من الأبنیة و العجائب، و ذکر نیلها و أقالیمها و مجتمعاتها حتی أوائل القرن الخامس الهجری، و لم یصلنا هذا الأثر الذی یلقی بلا ریب أعظم ضوء علی تاریخ الدولة الفاطمیة فی عصرها الأول، و لکن الشذور التی وصلتنا منه علی ید المقریزی و غیره من المؤرخین المتأخرین تنوه بقیمة هذا الأثر و نفاسته. و کتب المسبحی کتبا أخری فی التاریخ و الأدب و الفلک و لکنا لم نتلق شیئا منها .

و منهم أبو عبد اللّه القضاعی الفقیه و المحدث و المؤرخ، و هو محمد ابن سلامة بن جعفر. ولد بمصر فی أواخر القرن الرابع، و توفی بها

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۶۲

سنة ۴۵۴ ه. و کان من أقطاب الحدیث و الفقه الشافعی، تولی القضاء و غیره من مهام الدولة فی عهد الخلیفة المستنصر باللّه الفاطمی، و أوفده المستنصر سفیرا إلی تیودورا قیصرة قسطنطینیة سنة ۴۴۷ ه (۱۰۵۵ م) لیحاول عقد الصلح بینها و بین مصر، و کتب عدة مصنفات فی الحدیث و الفقه و التاریخ منها «الشهاب» و «مسند الأصحاب» و هما فی الحدیث و کتاب «مناقب الإمام الشافعی» و «أبناء الأنبیاء» و «عیون المعارف» و هما مختصران فی التاریخ، و کتاب «المختار فی ذکر الخطط و الآثار» و هو تاریخ مصر و القاهرة حتی عصره .

و منهم الحوفی النحوی اللغوی، و هو أبو الحسن علی بن إبراهیم ابن سعید و کان من أئمة اللغة فی عصره، و اشتغل مدة طویلة بالتدریس فی مصر و القاهرة، و ألف کتبا کثیرة فی النحو و الأدب، منها کتاب «إعراب القرآن» و کانت وفاته فی سنة ۴۳۰ ه.

و منهم أبو العباس أحمد بن هاشم المصری، و قد کان من کبار المحدثین و المقرئین و اشتهر بتدریس علم القراءات، و توفی سنة ۴۴۵ ه.

و منهم ابن بابشاذ النحوی الشهیر، و هو أبو الحسن طاهر بن أحمد المصری المعروف بابن بابشاذ، کان إمام عصره فی اللغة و النحو و ألف فیهما عدة کتب ضخمة و اشتغل حینا بدیوان الإنشاء فی عهد المستنصر باللّه و توفی سنة ۴۶۹ ه.

و منهم أبو عبد اللّه محمد بن برکات النحوی تلمیذ القضاعی، کان أیضا من أئمة اللغة و النحو و توفی سنة ۵۲۰ ه.

و بعد فقد کان الأزهر بحق أعظم مؤسس لصرح الحیاة العقلیة و الثقافیة فی عصر الفاطمیین.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۶۳

و نذکر فی هذه المناسبة أن ممن عهد إلیهم فی التدریس فی الأزهر عند إنشائه القاضی علی بن میمون المتوفی ۳۷۴ ه- ۹۸۴ م و أخوه القاضی محمد المتوفی عام ۳۸۹- ۹۹۸ م. و قد نبغ الحافظ السلفی المتوفی عام ۵۷۶ ه و لا شک أنه کان له نشاط علمی فی الأزهر.

و نحن نعلم مبلغ اهتمام الفاطميين بالعلوم الرياضية و الطبية و الفلكية و الجغرافية تلك العلوم التى أنشأوا لها فى عهد الحاكم سنة ۳۹۵ ه مؤسسة خاصة أسموها دار الحكمة، و هذا مما يرجح فى نظرنا أن هذه العلوم كانت موضوع دراسة فى الأزهر أيضا، بالإضافة إلى العلوم الأخرى. غير أنه ليس من شك أن الصدارة و الشطر الأكبر من العناية كانتا للعلوم النقلية الدينية و لا سيما علوم قانون الشريعة.

نعم إنه فى عهد الدولة الفاطمية- أعنى فى غضون قرنين كاملين- اقتصر التعليم الدينى على المذهب الشيعى، فأصبح هو المذهب السائد فى التطبيقات العلمية و الأحكام القضائية، و صارت مذاهب أهل السنة مجهولة، بل كانت كتبهم تصادر فى بعض الأحيان.

الأزهر جامع الدولة الرسمى:

فى يوم عيد الفطر سنة ۳۶۲ ه ركب المعز لدين اللّه أول الخلفاء الفاطميين بمصر عقب مقدمه إلى عاصمة ملكه الجديد بقليل، كما يقول عنان - إلى الجامع الأزهر لصلاة العيد، و ألقى خطبة بليغة أبكى فيها الناس ، و كانت هذه أول صلاة رسمية يشهدها الخليفة الفاطمى بالجامع الأزهر.

و استمر الأزهر يستأثر بهذا الامتياز الرسمى فى ظل الدولة الفاطمية

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۶۴

زهاء أربعين عاما تقام فيه الجمع الرسمية، و يخطب الخليفة فيه بنفسه فى جمع رمضان و فى الأعياد، حتى تم إنشاء الجامع الحاكمى أو الجامع الأنور فى عصر الحاكم بأمر اللّه، و كان الخليفة العزيز باللّه قد بدأ بإنشائه منذ سنة ۳۸۰ ه، و شهد به الجمعة فى رمضان و خطب فيه غير مرة، و لكنه توفى قبل إتمامه، فعنى ولده الحاكم بأمر اللّه بإتمامه منذ سنة ۳۹۳ ه، و استغرق بناؤه عشر سنين. و لما تم بناؤه عنى الحاكم بفرشه و تأثيثه عناية كبيرة، و زين بالستور الفخمة و التنانير الفضية، و أقيمت فيه الجمعة الرسمية فى رمضان سنة ۴۰۳ ه و صلى فيه الحاكم بالناس و كان يوما مشهودا ، و ألفى الجامع الأزهر لأول مرة فى جامع الحاكم منافسا ينازعه الصفة الرسمية التى استأثر بها حتى ذلك الحين. و كانت الجمعة الرسمية تقام أيضا من وقت إلى آخر فى بعض المساجد الفاطمية الأخرى، مثل جامعى راشدة و المقسى اللذين أنشأهما الحاكم بأمر اللّه، و كانت الخطب الخلافية تلقى فى الأزهر و الجامع الحاكمى، و كذلك فى جامعى عمرو و ابن طولون اللذين لبثا يحتفظان دائما بهيبتهما القديمة ، بيد أن الجامع الأزهر لم يفقد من جراء هذه المنافسة مكانته الخاصة، بل كان دائما يعتبر فى نظر الخلفاء الفاطميين و رجال الدولة مسجد الدولة الأول.

و كانت إقامة الجمعة و الصلوات الموسمية الجامعة بالأزهر من أخص المظاهر المذهبية الرسمية التى أسبغتها عليه الخلافة الفاطمية، و قد رأينا فيما تقدم أن الجامع الأزهر أنشىء ليكون رمزا لإمامة الدولة الجديدة و منبرا لدعوتها، و قد لبث الأزهر منذ إنشائه محتفظا بهذه الصفة بالرغم من قيام عدة أخرى من المساجد الفاطمية الجامعة التى نافسته فيما بعد فى إقامة الجمعة و الصلوات الموسمية، و كان الخليفة يشهد الصلاة أيام الجمع و الأعياد الموسمية، و يخطب فيها بنفسه فى أحيان كثيرة، و كانت خطبة

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۶۵

الجمعة الرسمية ما تزال على عهدها تلقى بالجامع الأزهر حتى أواخر الدولة الفاطمية .

و كان الخليفة يلقى خطب الجمعة فى شهر رمضان بالجامع الأزهر قبل إنشاء الجامع الحاكمى و غيره من المساجد الفاطمية الجامعة، و كان يستريح الجمعة الأولى و يلقى الخطبة فى الجمع الثلاث الأخيرة. و كان يركب إلى الصلاة فى هيئة مخصوصة و يؤديها وفقا لرسوم و تقاليد معينة، و قد انتهت إلينا من أقوال المؤرخين المعاصرين نبذ شائقة فى وصف هذه المواكب و الرسوم المذهبية الفخمة، فمثلا يقول لنا المسبحى فى حوادث سنة ۳۸۰ ه ما يأتى:

«و فى يوم الجمعة غرة رمضان سنة ثمانين و ثلثمائة ركب العزيز باللّه إلى جامع القاهرة بالمظلة الذهبية، و بين يديه نحو خمسة آلاف ماش و بيده القضيب، و عليه الطيلسان و السيف، فخطب و صلى صلاة الجمعة و انصرف، فأخذ رقاع المتظلمين بيده و قرأ منها عدة

فی الطریق، و کان یوما عظیما ذکرته الشعراء» .

و کان للجامع الأزهر یستأثر منذ عهد المعز لدین اللّه حتی قیام الجامع الحاکمی بالخطب الرسمیة الثلاث فی رمضان، ثم کانت تلقی هذه الخطب بعد ذلک علی الترتیب الآتی: الأولی بالجامع الحاکمی (أو الجامع الأنوار)، و الثانیة بالجامع الأزهر، و الأخیرة بالجامع العتیق أو جامع عمرو، و قد نقل المؤرخون المتأخرون عن ابن الطویر و غیره من المؤرخین المعاصرین هیئة صلاة الجمعة فی هذه الأیام المشهودة. و بیان ذلک- کما یقول عنان- أن یرکب الخلیفة فی موکبه الفخم إلی الجامع و یخرج من باب الذهب و المظلة بمشدة الجوهر علی رأسه، و قد ارتدی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۶۶

ثیاب الحریر الأبیض الساذجة توقیرا للصلاة، و یدخل من باب الخطابة، و بین یدیه القراء یتلون منذ خروجه من القصر، و من حوله الجند و الرکابیة. و إذا کانت الصلاة بالجامع الأزهر فإنه یخرج فی موکبه إلی الجامع من باب الدیلم الذی غدا باب المشهد الحسینی فیما بعد، و یعبر «الخوخ» (الدروب) السبع إلی رحبة الجامع الأزهر، و کانت هذه الرحبة ساحة ساشعة تقع فی الجهة البحریة من الجامع، و کان یحتشد فیها الجند کلما قصد الخلیفة إلی الأزهر، ثم یدخل الخلیفة الجامع من بابه البحری، و یجوز إلی الدهلیز الأول الصغیر، و منه إلی القاعة المعلقة التی کانت برسم جلوسه فیجلس فی مجلسة، و ترخی المقرمة الحریر و تحفظ المقصورة من خارجها بترتیب أصحاب الباب و اسفهسلار الجند، و من الداخل حتی الباب بصبیان الخاص و غیرهم. و یقرأ المقرئون و تفتح أبواب الجامع حینئذ للناس بعد غلقها، و وضع الحجاب علیها قبل مقدم الخلیفة، و تتخذ الأهبة منذ الصباح لاستقباله، فیأتی صاحب بیت المال و بین یدیه الفرش المختص بالخلیفة محمولا بأیدی الفراشین المیزین، ملفوفا فی العراضی الدیبقیة، فیفرش فی المحراب ثلاث طراحات فاخرات واحدة فوق أخری، و یعلق ستران یمنة و یسرة یکتب فی أولهما بالحریر الأحمر سورة الفاتحة و سورة الجمعة، و یکتب فی الستر الثانی سورة «المنافقون» کتابة واضحة، فإذا استحق الأذان أذن مؤذنو القصر کلهم علی باب مجلس الخلیفة، و عندئذ یصعد قاضی القضاة إلی المنبر و فی یده مدخنة لطیفة من الخیزران یقدمها صاحب بیت المال و فیها ند خاص بالخلیفة، و یبخر بها أعلی المنبر و هو یقبل درجاته. ثم یدخل مقصورة الخلیفة مسلما بقوله: «السلام علی أمیر المؤمنین الشریف- القاضی- الخطیب و رحمة اللّه و برکاته «الصلاة یرحمک اللّه». فیخرج الخلیفة و حوله الأساتذة المحنکون و الوزراء و الأمراء و الحرس المسلح، و یصعد إلی أعلی المنبر تحت القبة المبخرة، و یقف الوزیر بباب المنبر و وجهه إلیه، فإذا جلس أشار إلی الوزیر بالصعود فیصعد إلیه و یقبل یدیه و رجلیه

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۶۷

بحیث یراه الناس، ثم یزر تلک القبة حتی تصیر کالهودج، ثم ینزل مستقبلا للخلیفة. و یقف ضابطا للمنبر، و ینهض الخلیفة فیلقی خطبة قصیرة من مسطور یعده له دیوان الإنشاء یتلو فیها آیة من القرآن الکریم، ثم یصلی علی أبیه علی بن أبی طالب وجده النبی علیه الصلاة و السلام، و یعظ الناس وعظا بلیغا موجزا، و یذکر من سلف من آبائه حتی یصل إلی نفسه و یتوسل بدعوات فخمة تلیق به، ثم یدعو للوزیر و الجیوش بالنصر و الظفر علی الکافرین و المخالفین، ثم یختتم بقوله: «اذکروا اللّه یذکرکم» فیصعد الیه الوزیر، و یفک أزرة القبة و یعود القهقری، فینزل الخلیفة و یقف للصلاة فوق الطراحات المذکورة فی المحراب وحده إماما، و خلفه الوزیر و القاضی و من ورائهما الأساتذة و الأمراء و أصحاب الرتب و المؤذنون بترتیب مخصوص، فإذا سمع الوزیر الخلیفة أسمع القاضی، و أسمع القاضی المؤذنین فأسمعوا الناس، و یقرأ الخلیفة فی الرکعة الأولی ما هو مکتوب علی الستر الأیمن، و فی الرکعة الثانیة ما هو مکتوب علی الستر الأیسر، فإذا انتهت الصلاة خرج الناس و رکبوا تباعا، ثم یعود الخلیفة بموکبه إلی القصر و البوقات تضرب ذهابا و إیابا، و یتکرر هذا الترتیب و النظام فی الجمعتین الأخریین .

و قد لبث الأزهر فی العهد الفاطمی فضلا عن صبغته الجامعیة و عن إقامة الجمع و الصلوات الرسمیة فیه مرکزا لکثیر من المظاهر و

المناسبات الرسمیة الأخری.

فمن ذلک أنه کان مرکز المحتسب، و کان منصب المحتسب من أهم المناصب الدینیة فی الدولة الفاطمیة، و هو الثالث عندهم بعد قاضی القضاة و داعی الدعاة، و عمله یتناول الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر علی قاعدة الحسبة، و له نواب فی جمیع أنحاء القطر، و یجلس بالجامع

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۶۸

الأزهر و جامع مصر (جامع عمرو) یوما بعد یوم ، و کانت مجالس القضاء تعقد قبل قیام الجامع الأزهر بجامع عمرو و الجامع الطولونی.

و من ذلک أنه کان مرکز الاحتفال الرسمی بالمولد النبوی الکریم، ففی الیوم الثانی عشر من شهر ربیع الأول یرکب القاضی بعد العصر و معه الشهود إلی الجامع الأزهر، و معهم أرباب تفرقة صوانی الحلوی التی أعدت بالقصر لتفرق فی أرباب الرسوم: کقاضی القضاة و داعی الدعاة و قراء الحضرة و الخطباء و غیرهم، فیجلسون فی الجامع مقدار قراءة للختمة الکریمة، ثم یعودون فی موکبهم إلی القصر، و ینتظرون تحت المنظرة التی یجلس فیها الخلیفة، ثم تفتح إحدی طاقات المنظرة و یبدو منها وجه الخلیفة، ثم یخرج أحد الأستاذین المحنکین یده و یشیر بکمه بأن الخلیفة یرد علیکم السلام، و یقرأ القراء و یخطب الخطباء بترتیب معلوم، فإذا انتهی الحفل أخرج الأستاذ یده مشیرا برد السلام کما تقدم، ثم تغلق الطاقتان و ینصرف الناس .

و کان الاحتفال المحزن بیوم عاشوراء، أو مأتم عاشوراء، یقام بالجامع الأزهر قبل إنشاء المشهد الحسینی فی سنة ۵۴۹ ه، و کان هذا الحفل من أجمل المظاهر المذهبیة التی رتبتها الدولة الفاطمیة لإحیاء ذکری الحسین. ففی العاشر من المحرم یحتجب الخلیفة عن الناس، و فی الضحی یرکب قاضی القضاة و الشهود، و قد ارتدوا ثیاب الحداد، إلی الجامع الأزهر (أو المشهد الحسینی فیما بعد) فی حفل من الأمراء و الأعیان و قراء الحضرة و العلماء، ثم یأتی الوزیر فیتبوأ صدر المجلس، و یجلس إلی جانبیه قاضی القضاة و داعی الدعاة، و القراء یتلون القرآن، ثم ینشد قوم من الشعراء أشعارا فی رثاء الحسن و الحسین و آل البیت، و یضج الحضور بالبکاء و العویل، ثم ینصرف الوزیر إلی داره و یستدعی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۶۹

القوم إلی القصر و قد فرشت أروقته بالحصر بدل البسط، فیجدون صاحب الباب فی انتظارهم فیجلس القاضی و الداعی إلی جانبه و الناس علی اختلاف مراتبهم، و یقرأ القراء و ینشد المنشدون علی النحو السابق. ثم یمد فی القاعة سماط الحزن عند الظهر، و لیس فیه سوی العدس و الألبان و الأجبان الساذجة و الأعسال النحل و الخبز الأسمر، و یدخل من شاء لتناول الطعام فإذا انتهی القوم انصرفوا إلی دورهم. و یعم الحزن و النواح القاهرة فی ذلک الیوم، و تعطل الأسواق و یعتکف الناس حتی العصر، ثم تفتح الأسواق و تسترد العاصمة شیئا من نشاطها و مظهرها العادی .

و فی لیالی الوقود الأربع، و هی لیلة أول رجب، و لیلة نصفه، و لیلة أول شعبان و لیلة نصفه، کان الخلیفة یقصد مساء إلی منظرة الجامع الأزهر، و کانت بجواره من الجهة القبلیة و تشرف علیه و یجلس الخلیفة فی هذه المنظرة و معه حرمه، و ذلک لمشاهدة الزینات المضیئة و الاحتفالات الفخمة التی کانت تقام فی تلک اللیالی الشهیرة . و إلیک وصف المسبحی لبعض هذه اللیالی. قال فی حوادث شهر رجب سنة ۳۸۰ ه «و فیه خرج الناس فی لیالیه علی رسمهم فی لیالی الجمع و لیلة النصف إلی جامع القاهرة (یعنی الجامع الأزهر) عوضا عن القرافة، و زید فیه فی الوقید علی حافات الجامع، و حول صحنه التنانیر و القنادیل و الشمع علی الرسم فی کل سنة، و الأطعمة و الحلوی و البخور فی مجامر الذهب و الفضة و طیف بها، و حضر القاضی محمد بن النعمان لیلة النصف بالمقصورة و معه شهوده و وجوه البلد، و قدمت إلیه سلال الحلوی و الطعام و جلس بین یدیه القراء و غیرهم و المنشدون و الناحة و أقام إلی نصف اللیل، و انصرف إلی داره بعد أن قدم إلی من معه أطعمة من عنده و بخرهم»، و قال فی حوادث شعبان من نفس السنة «و فی لیلة

النصف من شعبان كان للناس جمع عظيم بجامع القاهرة من الفقهاء و القراء و المنشدين و حضر

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۷۰

القاضی محمد بن النعمان فی جميع شهوده و وجوه البلد و وقد التنانير و المصابيح على سطح الجامع و دور صحنه، و وضع الشمع على المقصورة و فی مجالس العلماء، و حمل إليهم العزيز باللّه الأطعمة و الحلوى، و البخور فكان جمعا عظيما» .

و هكذا كانت ليالی الوقود من المناسبات العامة التی يتبوأ فيها الجامع الأزهر مكانة خاصة، فيخرج الناس إليه من كل فج، و يبدو فيها المسجد الشهير كأنه شعلة من النور و تضاء فی جوانبه و على حافاته المشاعل و الواقدات الساطعة، و يعقد فی صحنه مجلس حافل من القضاة و العلماء برياسة قاضی القضاة، و يبعث الخليفة إليهم بسلال من الأطعمة و الحلوى الفاخرة، و تضاء جميع المساجد الأخرى و تبدو العاصمة الفاطمية كلها فی حلل بديعة من الأنوار الساطعة.

هذا و قد وصف مؤرخو الدولة الفاطمية أيضا الموكب الرسمی الذی كان ينظم فی ليالی الوقود، عقب الغروب، و يتقدمه القاضی، و من حوله القراء و المؤذنون و يسيرون على ضوء المشاعل و الشموع الساطعة إلى القصر، ثم ينتظمون فی ميدان بين القصرين تجاه باب الزمرد، أحد أبواب القصر الغربية، و ينتظرون هنالك حتى يطل عليهم الخليفة و يحييهم من إحدى طاقات المنظرة الخلافية .

كذلك كان الجامع الأزهر أيام المعز و العزيز و الحاكم، مركزا لمجالس الحكمة الفاطمية. و كانت هذه المجالس الشهيرة التی رتبتها الخلافة الفاطمية لبث دعوتها و توطيد إمامتها تتخذ صورة الدعوة إلى قراءة علوم آل البيت و التفقه فيها؛ و كان يقوم بإلقاء هذه الدروس أيام المعز بنو النعمان، و هم أسرة مغربية نابهة قدمت فی ركاب الخليفة الفاطمی، و تولت قضاء مصر زهاء نصف قرن؛ و كانت مجالس الحكمة تعقد أحيانا

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۷۱

فی القصر و أحيانا فی الجامع الأزهر، و يشترك فی إلقائها بعض كبراء الدولة مثل الوزير ابن كلس وزير المعز ثم ولده العزيز، ثم عهد بعد ذلك إلى داعی الدعاة بالإشراف على تنظيم هذه الدعوة و بثها، و وضعت لها نظم و رسوم خاصة، و أحيطت مجالس الحكمة يومئذ بشیء من التحفظ و استحالت إلى نوع من الدعوة السرية تلقى فی الخاصة قبل كل شیء، و تعقد مجالسها فی القصر، و كان للكافة أيضا نصيب من تلك المجالس، فيعقد للرجال مجلس بالقصر، و يعقد للنساء مجلس بالجامع الأزهر.

و كان الداعی يشرف على هذه المجالس جميعا بنفسه أو بواسطة نقبائه و نوابه، و كانت الدعوة تنظم طبقا لمستوى الطبقات و الأذهان، فلا يتلقى الكافة سوى مبادئها و أصولها العامة و يرتفع الدعاة بالخاصة و المستنيرين إلى مراتبها و أسرارها العليا .

و لا تعرف أية مناسبة أخرى غير مجالس الحكمة الفاطمية يمثل فيها النساء فی الجامع الأزهر فی ذلك العصر لشهود نوع من القراءة و الدرس، بيد انه يوجد ما يدل على أن النساء كن يظهرن أحيانا فی بعض العصور المتأخرة فی حلقات الأزهر الدراسية، و قد كان من هؤلاء أم زينب فاطمة بنت عباس المعروفة بالبغدادية التی توفيت سنة ۷۱۴ ه، و كانت فقيهة وافرة العلم. و انتفع بعلمها كثير من نساء مصر و دمشق و ذكر الجبرتی أيضا ما يفيد أنه كان ثمة سيدة فقيهة عمياء تحضر دروس الشيخ عبد اللّه الشرقاوی شيخ الجامع الأزهر فی أوائل القرن الثالث عشر الهجری .

الأزهر و تجديد مبانيه:

و قد تعهد الخلفاء الفاطميون الجامع الأزهر بالتجديد و العمارة فی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۷۲

فرص عدة، ففی سنة ۳۷۸ ه جدد فيه العزيز باللّه أشياء، ثم جدده ولده الحاكم بأمر اللّه و زوده بمجموعة من التنانير الفضية، و رتب له فی سنة ۴۰۰ ه مع بعض المنشآت الفاطمية الأخرى أوقافا ينفق من ريعها على إدارته و شؤونه، فكانت أول وقفية رتبت للجامع الأزهر.

و قام الخليفة المستنصر باللّه أيضا بتجديد الأزهر، و جدده من بعده الحافظ لدين اللّه، و أنشأ فيه مما يلى الباب الغربى مقصورة عرفت بمقصورة فاطمة الزهراء ... و فى عهد الملك الظاهر بيبرس، قام الأمير عز الدين أيدمر الحلى، نائب السلطة بعمارته و تجديده تجديدا شاملا، و كان الخراب قد تطرق اليه، فأنفق على عمارته و إصلاحه و تجميله أموالا عظيمة، و سعى فى اعادة خطبة الجمعة اليه كما سنذكر، و فى سنة ۷۰۲ ه فى عهد السلطان الملك الناصر وقعت بمصر زلزلة عظيمة، و سقطت منشآت عدة منها الجامع الأزهر، فقام أمراء الدولة على عمارة هذه المنشآت، و تولى عمارة الجامع الأزهر الأمير سلار، و أنشأ الأمير علاء الدين طيبرس نقيب الجيوش مدرسته التى عرفت باسمه «الطيبرسية» بجوار الجامع الأزهر من الجهة الغربية البحرية لتكون ملحقا له، و كمل بناءها فى سنة ۷۰۹ ه و قرر بها درسا للشافعية، و بعد ذلك بقليل أنشأ الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد، أستاذ دار الملك الناصر مدرسته المقابلة لها فى الزاوية البحرية الغربية للجامع الأزهر، مكان دار الأمير عز الدين أيدمر الحلى و قد تم بناؤها عام ۷۴۰ ه و أنشأ بها دروسا للشافعية و الحنفية و ملجأ للصوفية.

و قد حجبت المدرستان الطيبرسية و الأقبغاوية واجهة الجامع الأزهر الغربية و ما زالتا قائمتين فى مكانهما إلى اليوم. و فى سنة ۷۲۵ ه قام بتجديد الجامع الأزهر و عمارته القاضى نجم الدين محتسب القاهرة، ثم جددت عمارته سنة إحدى و ستين و سبعمائة فى عهد السلطان الملك الناصر حسن على يد الأمير سعد الدين بشير الجامدار، و كان يسكن على مقربة من الأزهر، فاستأذن السلطان فى إصلاحه و قام فيه بعمارة شاملة، و أنشأ فيه دروسا جديدة للفقه الحنفى، و رتب لطلابه أطعمة توزع عليهم كل يوم،

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۷۳

و أوقف على ذلك أوقافا جليلة. و فى سنة ۸۸۱ ه فى عهد الملك الأشرف قايتباى أمر السلطان بإزالة الخلوات التى كانت بسطح الأزهر وفقا لفتوى صدرت بذلك، و رسم بتجديد الجامع و عمارة ما تشعث منه، و أمر بإنشاء المنارة الواقعة فى الجهة البحرية الغربية إلى يمين المدرسة الأقبغاوية و الباب الذى تعلوه، حسبما نقش على أحجار هذا الباب، و تمتاز هذه المنارة برشاقتها و زخارفها الجميلة. و فى أواخر عهد الأشرف أيضا، قام الخواجا مصطفى بن محمود بن رستم الرومى بعمارة الجامع الأزهر و تجديده، و أنفق عليه من أمواله جملة كبيرة، و انتهت هذه العمارة فى سنة ۹۰۰ ه. و أنشأ السلطان الغورى بالأزهر منارته الجميلة ذات الرأسين التى ما زالت قائمة إلى الآن فى الجهة الغربية إلى جانب منارة الأشرف قايتباى.

و فى أثناء العهد التركى قام عدة من الولاة و الأكابر بتجديد الأزهر، فجدده فى سنة ۱۰۰۴ ه الشريف محمد باشا و الى مصر و رتب به أطعمة للفقراء. و عمر به الوزير حسن باشا الوالى مقام الحنفية فى سنة ۱۰۱۴ ه، ثم جدده الأمير إسماعيل بك ابن الأمير إيواظ بك القاسمى فى أوائل القرن الثانى عشر. على أن أعظم عمارة أجريت بالجامع الأزهر فى ذلك العهد هى التى قام بها الأمير عبد الرحمن كتخدا القازدغلى فى أواخر القرن الثانى عشر، فقد أنشأ هذا الأمير الكبير فى الناحية الشرقية القبلية من الجامع بهوا كبيرا يشتمل على خمسين عمودا من الرخام تحمل مثلها من البوائك المقوصرة، و أنشأ للجامع محرابا و منبرا جديدين، و بنى فى أعلاه مكتبا بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن، و أنشأ أيضا بداخله رحبة متسعة و صهريجا عظيما، و أنشأ له داخل هذه الرحبة مدفنا عليه قبة معقودة، كما أنشأ بتلك الجهة رواقا خاصا بطلاب الصعيد، و جدد المدرسة الطيبرسية و جعلها هى و المدرسة الأقبغاوية داخل الجامع، و أنشأ فيما بينهما بابا عظيما بالهيئة التى نراها اليوم. و أنشأ للجامع منارتين جديدتين، و تقع إحداها فى الجهة

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۷۴

الشرقية القبلية و الأخرى فى الجهة الشرقية، و على الجملة فقد كانت هذه العمارة أعظم ما شهد الجامع الأزهر منذ قرون، و رتب هذا الأمير الكبير للجامع و طلابه مرتبات و أطعمة كثيرة، و مازال الجامع الأزهر بوجه عام على حاله التى جدده بها عبد الرحمن كتخدا، ما عدا تغييرات و إضافات قليلة أجريت فى العهد الأخير .

و هكذا لبث الأزهر خلال حياته الطويلة الحافلة موضع العناية و الرعاية من الخلفاء و السلاطين و الأمراء، يتعهدونه بالتجديد و الإصلاح و النفقة المستمرة، و لم يحظ جامع آخر من جوامع مصر التاريخية بمثل ما حظى به الأزهر من رعاية، و قد يرجع أكبر الفضل فى ذلك إلى ما يتمتع به الأزهر من الصفات العلمية إلى جانب صفته الدينية، و ما زال الجامع الأزهر بفضل هذه الرعاية المستمرة يحتفظ بفخامته و رونقه وجدته بالرغم من عمره الألفى.

و مما يذكر بالاغتباط أن الأمراء الذين كانوا يبذلون الغالى و الرخيص فى تشييد هذا الجامع و تكبيره كانوا لا يبغون بذلك سوى وجه اللّه تعالى و خدمة العلم، لا حب الظهور و الرياء، فقد ذكر المؤرخون أن الأمير طيبرس مشيد المدرسة الطيبرسية التى هى الآن من ملحقات الأزهر، لما فرغ من بناء مدرسته و أحضروا اليه حساب نفقاتها، استدعى بطست مملوء بالماء و غسل أوراق الحساب بأسرها من غير أن يقف على شىء منها، و قال: شىء خرجنا عنه للّه لا نحاسب عليه!

و ما زال الجامع الأزهر يحتل الموقع الذى أقيم فيه منذ ألف عام.

و ما زالت فيه بقية من أبنية الفاطميين الأولى تحتل مكانها الأول داخل الصرح القائم، و هى تكاد تبلغ نصف المسجد الحالى، و قد وفقت إدارة الآثار العربية أخيرا إلى الكشف عن رأس المحراب الفاطمى القديم، و قد

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۷۵

كان مغطى بغطاء خشبى يرجع إلى عصر الملك الظاهر بيبرس البندقدارى، فظهر بانتزاعه زخارف و نقوش فاطمية يرجح أنها ترجع الى عهد إنشاء المسجد الأول، أى فى عهد جوهر و المعز.

و مقصورة الجامع الأزهر تنقسم الى قسمين: المقصورة الأصلية الكبيرة التى هى من إنشاء القائد جوهر و بها ۷۶ عمودا من الرخام الأبيض الجيد على صفوف متسامتة، و المقصورة الجديدة التى أحدثها الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ۱۱۶۷ ه و بها خمسون عمودا من الرخام: فمجموع أعمدة المقصورتين ۱۲۶ عمودا، و إذا أضيف إلى هذا العدد ما بملحقات الجامع من الأعمدة بلغ عددها كلها ۳۷۵ عمودا، و أرض المقصورة الجديدة مرتفعة عن أرض المقصورة القديمة بنحو نصف ذراع بحيث يصعد من القديمة إلى الحديثة بدرجتين.

و قد أنشأ جوهر القنبقائى مدرسة رواق الجوهرية فى أوائل القرن التاسع الهجرى، و دفن بها سنة ۷۴۴ ه.

و أنشىء فى عهد عباس الثانى الرواق العباسى، و احتفل بافتتاحه فى ۲۴ شوال سنة ۱۳۱۵ ه. و هو غاية فى الدقة و الفن.

و أعظم زيادة دخلت فيه هى كما ذكرنا بناية الأمير عبد الرحمن كتخدا حسن جاويش القازدغلى سنة ۱۱۶۷ هجرية، فزادت فى سعة هذا الجامع بمقدار النصف تقريبا، و هو عمل تاريخى جليل.

و بالأزهر الآن خمس منارات يؤذن عليها فى الأوقات الخمس و فى الأسحار، و تضاء بالكهرباء فى ليالى رمضان و المواسم، منها ثلاث منارات من داخل باب المزينين مشرفة على صحن الجامع، إحداها منارة الأقبغاوية عن يسار الداخل إلى الأزهر أنشأها الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد مع مدرسة الأقبغاوية و اثنتان عن يمين الداخل، فالتى بجانب الباب مما يلى الداخل أنشأها السلطان الأشرف قايتباى، و التى تليها من إنشاء السلطان الغورى و هى أعلى مناراته و أعظمها، و الرابعة بباب الصعايدة،

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۷۶

و الخامسة بباب الشربة، و هما من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا.

و لقد كان الأزهر الشريف فى أول نشأته موضع عناية الخلفاء الفاطميين فى مصر، و من بعدهم الملوك و الأمراء و الوزراء، و ذوى الجاه منها، يتنافسون فى خدمة هذا الجامع، و يتعهدون أهله، و يشرفون على حلقات الدروس فيه، و ينشئون الأروقة لسكنى الطلبة، و يشيدون دور الكتب فى علوم الدين و الحكمة و الفلسفة، مما كان له الأثر فى حفز همم الشيوخ و الطلبة إلى التفرغ للتعلم و التعليم. و قد استمر الأزهر يتسع نطاقه حتى بلغت مساحته الآن سوى ملحقاته ۱۱۳۸۰ مترا مربعا.

و يقول الأستاذ محمد عبد اللّه دراز من كلمة نشرها فى مجلة الأزهر عام ۱۹۵۲: البيت المعمور الذى أرسيت قواعده فى عهد الخليفة الفاطمى المعز لدين اللّه على يدى قائده جوهر الصقلى فى سنة ۳۵۹ ه- ۹۷۰ م- كان يتألف فى أول إنشائه من قسمين: «فناء» فسيح يحيط به نطاق من الأعمدة المعقودة، و «مقصورة» أو «مصلى» لا تقل عنه اتساعا، يشقها «مجاز» ممتد من بابها إلى المحراب. و لا تزال معالم القسمين قائمة إلى يومنا هذا لم ينلها تغيير جوهرى.

نعم إن بعض أجزاء المقصورة قد تناولها شىء من الترميم استجابة لضرورة حفظها و صيانتها. و لكن سائر أجزائها لا تزال كما وضعت أول يوم، و لا سيما «المحراب» الذى تراه الآن بنقوشه و رسومه العتيدة، و «المجاز» الذى نشاهد أعمدته بنقوشها و رسومها الأولى. و كذلك نرى الأعمدة المضروبة حول الفناء قائمة على حالها لم تتسنّه، و إنما أضيف إليها فى مبدأ القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) نطاق آخر من الأعمدة من أمامها.

و لقد بقى الأزهر قرونا عدة مكتفيا بحدوده الأولى هذه، حتى كانت بداية القرن الثامن الهجرى، فهناك أخذت تضاف اليه فى عصور مختلفة زيادات كثيرة أصبحت فى مجموعها أشبه بصوان يحيط به من كل جانب،

الأزهر فى ألف عام، ج ۱، ص: ۷۷

حتى صار «فناؤه» الخارجى «صحنا» داخليا، و حتى بلغت مساحة المسجد الآن ۱۱۳۸۰ مترا مربعا، لا يدخل فيها حساب الملحقات.

أولى هذه الإضافات تستقبلنا بمجرد ما نضع أقدامنا فى المسجد عند دخولنا من الباب الكبير الشمالى الغربى المطل على الميدان. ذلك أننا نجد أنفسنا فى دهليز متوسط الاتساع، فاصل بين جناحين من الأبنية عن يمين و شمال، و نجد أمامنا بابا كبيرا آخر داخليا يفتح على صحن المسجد، فهذا الباب الداخلى الذى يفتح على الصحن هو أول حدود المسجد التاريخى. أما كل هذه الأبنية عن اليمين و الشمال فيما بين البابين، و كذلك الأرض التى أقيمت عليها هذه الأبنية، فإنها من الزيادات التى ضمت إلى الجامع فى القرن الثامن الهجرى و ما بعده.

فالجناح الأيمن (ما عدا منارتيه) أنشأه الامير طيبرس فى سنة ۷۰۹ ه (۱۳۰۹ م) و الجناح الأيسر بمنارته أقامه الأمير أقبغا فى سنة ۷۴۰ ه (۱۳۴۰ م). و الباب الداخلى و المنارة الرشيقة التى فوقه إلى يمين الداخل من عمل السلطان قايتباى فى سنة ۸۷۳ ه (۱۴۶۸ م) و المنارة العظيمة ذات البرجين التوأمين و هى التى تلى هذه على اليمين أيضا من صنع السلطان الغورى فى سنة ۹۱۵ ه (۱۵۱۰ م).

و لقد كان الجناحان فى نظر مؤسسيهما مدرستين، و لكن التثقيف العقلى فى رأيهما- و كذلك هو دائما فى نظر كل سياسة رشيدة- لم يكن لينفصل عن التهذيب الروحى و لذلك أقام كل منهما فى مدرسته محرابا أنيقا دقيقا من الرخام و الذهب لا يزال يتحدى الزمان بنضارته وجدته، كأنما صنع أمس.

و الجناحان اليوم مشغول معظمهما بالمكتبة الأزهرية التى تعد من

الأزهر فى ألف عام، ج ۱، ص: ۷۸

أنفس المكتبات فى العالم، بما فيها من المخطوطات النادرة، و المجلدات التى تبلغ زهاء مائة ألف مجلد .. فلنغادر الآن هذه الزيادات، و لنعبر «الصحن» فى خط مستقيم، و لندخل المقصورة نجتازها إلى المحراب ... هنالك سنشعر بشىء من الدهشة، إذ نجد المحراب غير مستند إلى جدار القبلة كما هو شأن المحاريب، بل نراه منعزلا تمام العزلة فى وسط المصلى؛ و نلاحظ فوق ذلك أن الأرض التى تمتد من خلف هذا المحراب، و التى تكاد تعادل مساحة الأرض التى أمامه، مرتفعة عن هذه بحيث يصعد اليها بدرجتين؛ و نرى أخيرا أن هناك محرابا ثانيا مستندا كالعادة إلى الجدار الجنوبى الشرقى الذى هو جدار القبلة.

غير أن هذه الدهشة ستزايلنا متى عرفنا أن هذا الإيوان المرتفع قليلا، و المحراب الذى عليه، المتصل بالجدار، و كذلك البابان اللذان فى هذا الجدار، و المنارتان المقامتان فوقهما، كل هذه زيادات جديدة فى المقصورة أضيفت إليها أخيرا على يد الأمير عبد الرحمن كتخدا فى سنة ۱۱۶۷ ه (۱۷۵۳ م). و من السهل حينئذ أن نعرف إلى أى حد بلغ ورع هذا الأمير و تقواه فى المحافظة على تراث سلفه

الصالح، و عدم الجرأة على تغيير شيء من معالمه بغير ضرورة مادية .. و هذا هو ما يسمى فى لغة العصر الحاضر: احترام الماضى و صيانة آثار القدماء.

و قبل أن نتأهب للإنصراف من هذه المقصورة يجمل بنا أن نقترب من جدارها الشمالى الشرقى ... فسنجد فيه بابا صغيرا ننفذ منه إلى مبنى جميل أقامه الأمير جوهر قانقباى المتوفى سنة ۸۴۴ ه (۱۴۴۰ م). لقد بناه هذا الأمير ليكون مدرسة صغيرة، و لكنه جمع فيها كل عناصر المسجد الكبير مع جمال التنسيق و دقة الفن. و فيها قبة تقوم على قبر بانيها.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۷۹

و قد جدد فى عهد الخديوى إسماعيل فى سنة ۱۲۸۲ ه (۱۸۶۵ م) بناء أحد البابين اللذين فى جدار القبلة، كما أنه فى عهد توفيق جدد فى سنة ۱۳۰۶ ه (۱۸۸۸ م) بناء الإيوان الذى ينتهى بهذا الجدار، و هاتان المنشأتان المجددتان كانتا من عمل الأمير كتخدا كما يعلم مما أسلفناه.

على أن أحدث الزيادات و أفخمها هى المنشآت التى أقيمت منذ عام ۱۹۳۳ و تم بعضها فى ذلك الحين، و لا يزال العمل جاريا فى تكميل باقيها. و هى مجموعات قائمة خارج نطاق المسجد، و لكنها تشرف عليه من الشمال و الشمال الشرقى، و من الشرق و الجنوب الشرقى، و قد برز إلى الوجود فى سنتى ۱۹۳۵ و ۱۹۳۶ م أربع عمارات كبيرة، خصصت واحدة منها لإدارة الجامعة، و الثلاثة الباقية لسكنى الطلاب. و أما فى عهدنا هذا فقد تم حتى اليوم:

۱- مدرج فخم على أحدث طراز يتسع لألفى مستمع.

۲- كلية للشريعة الإسلامية.

۳- كلية للغة العربية، و الكلية الباقية و هى كلية أصول الدين فى دور الإنشاء، و من الأعمال المتوقع البدء فيها إنشاء.

۱- مكتبة فسيحة تتسع لنصف مليون مجلد.

۲- معهد ابتدائى و ثانوى يحضر للكليات الأزهرية.

۳- مستشفى.

۴- حديقة.

و لما كانت أزمة المساكن لا تزال فى حدتها، فإنه ينظر الآن فى مشروع لبناء عدة بيوت أخرى لسكنى الطلاب، و لا سيما الوافدين منهم من الأقطار الخارجية الإسلامية، بحيث يتألف منها و من المساكن القائمة الآن مدينة جامعية حقيقية تتصل بحرم المسجد و منشآته.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۸۱

الفصل الخامس الأزهر فى عهد الدولة الأيوبيّة

التاريخ السياسى للدولة:

قامت الدولة الأيوبية فى مصر من عام ۵۶۷ ه على يدى مؤسسها:

السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، و قد دعم كيان دولته، و محا من مصر المذهب الفاطمى، و أحل محله المذهب السنى، و عنى بنشر العلم و تشجيع العلماء، و وقف فى وجه الصليبيين وقفات خالدات فى تاريخ الشرق الاسلامى .. و كان عادلا- محببا من قلوب الناس، و كانت مملكته من المغرب إلى تخوم العراق و معها اليمن و الحجاز ، و نشر العدل فى الرعية و حكم بالقسط بين البرية و بنى المدارس و الخوانق و أجرى الأرزاق على العلماء و الصلحاء، مع الدين و الورع و الزهد و العلم، و هو الذى

ابتنی قلعة القاهرة علی جبل المقطم و أصبحت عاصمة البلاد فی عهده، و یذکر السیوطی أنه رحل بولدیه الأفضل و العزیز لسماع الحدیث من السلفی . و توفی عام ۸۵۹ ه عن سبعة و خمسین عاما.

مات السلطان فخلفه علی عرش مصر ابنه عماد الدین عثمان فسار

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۸۲

سیرة حسنة و مات سنة ۵۹۵ ه و دفن فی قبة الامام الشافعی، فأقیم ولده المنصور مکانه، و لکن عم أبیه الملک العادل نزعه عام ۹۹۶ ه و تولی مکانه.

و الملک العادل أبو بکر بن أیوب هو أخو السلطان صلاح الدین، و کان شدید الحب للعلماء، و أبلی بلاء حسنا فی مقاومة الغزو الصلیبی للبلاد و مات عام ۶۱۶ ه.

و خلفه ابنه الملک الکامل محمد، (۶۱۶ ه- ۶۳۵ ه) و قد حکم مصر حوالی أربعین عاما، کان فی العشرین عاما الأولی نائبا عن أبیه، و کان فی العشرین عاما الأخیرة یحکم بنفسه بعد موت أبیه، و کان الکامل معظما للسنة النبویة و أهلها راغبا فی نشرها و التمسک بها، مؤثرا الاجتماع مع العلماء، و الکلام معهم حضرا و سفرا ، و قد أنشأ دار الحدیث بالقاهرة، و عمر القبة علی ضریح الشافعی و کان معظما للسنة و أهلها ، و توفی یوم الأربعاء حادی عشر من رجب عام ۶۳۵ ه، و أقیم بعده ابنه الملک العادل أبو بکر، و لکن الملک الصالح أیوب نزع الملک منه و تولی حکم مصر عام ۶۳۷ ه.

کان الملک الصالح مهیبا جدا، دبر المملکة علی أحسن وجه، و بنی المدارس الأربعة بین القصرین، و عمر قلعة بالروضة، و هو الذی أکثر من شراء الترک و عتقهم و تأمیرهم، و لم یکن ذلک قبله فقام الشیخ عز الدین بن عبد السلام القومة الکبری فی بیع أولئک الأمراء و صرف ثمنهم فی مصالح المسلمین ، و مات فی لیلة النصف من شعبان عام ۶۴۷ ه، و هو مستعد لقتال الصلیبیین فی المنصورة، فأخفت زوجته

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۸۳

شجرة الدر موته، حتی حضر ابنه الملک المعظم توران شاه فتولی الملک فی ذی القعدة عام ۶۴۷ ه، و قاتل الإفرنج و کسرهم، و کان فی عسکر المسلمین الشیخ عز الدین بن عبد السلام، و أسر الملک لویس السادس ملک فرنسا، و حبس فی دار ابن لقمان بالمنصورة ثم نفرت قلوب الجیش من توارن شاه فقتلوه فی ۱۷ محرم عام ۶۴۸ ه، و ولوا شجرة الدر مکانه و کان یخطب لها علی المنابر بعد الدعاء للخلیفة العباسی، و لم یل مصر امرأة فی الإسلام قبلها، و لما ولیت تکلم الشیخ عز الدین بن عبد السلام فی بعض تصانیفه علی ما إذا ابتلی المسلمون بولایة امرأة، و أرسل الخلیفة العباسی المستعصم یعاتب أهل مصر فی ذلک، و أقامت شجرة الدر فی المملکة ثلاثة أشهر ثم عزلت نفسها، و اتفق القواد علی أن یملکوا الملک الأشرف موسی بن صلاح الدین یوسف بن المسعود بن الملک الکامل فملکوه فی جمادی الأولی عام ۶۴۸ ه، و جعلوا عز الدین أیبک الترکمانی مملوک الملک الصالح قیما علیه، و عظم شأن الممالیک الأتراک من یومئذ، و فی عام ۶۵۲ ه خلع عز الدین الملک الأشرف و استقل بالملک، و هو أول من ملک مصر من الممالیک الأتراک، و تزوج شجرة الدر، ثم خطب علیها ابنة صاحب الموصل، فقتلته شجرة الدر عام ۶۵۵، و خلفه ابنه المنصور، حتی قضی علی ملک الدولة الأیوبیة الأمیر یوسف الدین قطز، الذی لقب نفسه بالملک المظفر، و ذلک عام ۶۵۷ ه.

و من الجدیر بالذکر أن ملوک الدولة الأیوبیة کانوا یتلقون مراسیم ولایتهم من خلفاء بغداد العباسیین، مع استقلالهم السیاسی و الإداری علی خلافة بغداد.

الأزهر فی عهد الدولة الأیوبیة:

بزوال الدولة الفاطمیة من مصر و قیام الدولة الأیوبیة مقامها، انمحت معالم الفقه الإسماعیلی الشیعی، فقد غالی الأیوبیون فی القضاء

علی کل

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۸۴

أثر للشیعة، و أفتوا بإبطال إقامة الجمعة فی الأزهر و لبثت إقامة الجمعة معطلة. فیه نحو مائة عام، و ذلک من عام ۵۶۷- ۶۶۵ ه.

و فی عهد الدولة الأیوبیة أنشئت عدة مدارس تنافس الأزهر فی رسالته العلمیة، فبنی صلاح الدین مدرسة للشافعیة بجوار مسجد عمرو، و مدرسة أخری للمالکیة و عرفت باسم «دار الغزل» ثم عرفت بالمدرسة القمحیة، ثم بنی مدرسة ثالثة للفقهاء الحنفیة أطلق علیها اسم «المدرسة السیوفیة»، کما بنی مدرستین أخریین لفقهاء المذهب الشافعی خاصة، و هو المذهب الذی کان علیه أکثر أفراد البیت الأیوبی نفسه، و کانت مدرسة منها بجوار الإمام الشافعی و الأخری بجوار المشهد الحسینی ..

و یحصی المقریزی المدارس التی بنیت فی القاهرة وحدها بثمانی عشرة مدرسة .

و قد بنیت فی القاهرة و الفسطاط معا نحو خمسة و عشرین مدرسة:

منها المدرسة الکاملیة و تسمی دار الحدیث، و قد أنشأها الملک الکامل عام ۶۲۱ ه و کملت عمارتها سنة ۶۲۲ ه، و تولی مشیختها أبو الخطاب عمر بن دحیة ثم أخوه أبو عمرو عثمان بن دحیة ، و من مشایخها أیضا القسطلانی الشافعی و ابن دقیق العید.

و من هذه المدارس المدرسة الصالحیة و قد بناها الملک الصالح عام ۶۳۹ ه و هی أربع مدارس للمذاهب الأربعة، و کانت من أجل مدارس القاهرة .

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۸۵

و منها المدرسة الفاضلیة بناها القاضی الفاضل عام ۵۸۰ ه و کان فی مکتبتها مائة ألف کتاب مجلد .

و کانت کل مدرسة من هذه المدارس تتخصص فی دراسة بعینها، و کان الغرض من إنشاء هذه المدارس هو منافسة الأزهر و صرف الطلاب عنه، و قد کان لقیام هذه المدارس و کثرتها خلال القرنین السابع و الثامن، أی حتی بعد عصر الأیوبیین أثر کبیر فی سیر الدراسة فی الأزهر، إذ نافسته هذه المدارس منافسة شدیدة و جذبت إلیها أعلام الأساتذة، و قضی الأزهر فی هذه المدة عصرا من الرکود الطویل.

و قد کان الأیوبیون من الغلاة فی المذهب الشافعی، و کانوا من أتباع الأشعری، و کان الحنابلة بمفردهم یکونون معسکرا مستقلا یناهض معسکر الأشاعرة، و کان من نتائج تصادم الأفکار بین أصحاب المذاهب المتعددة أن اشتدت روح التعصب و المغالاة، فکان کل فریق یدفع صاحبه بما یملک من أسلحة الهجوم، فکان أهل السنة یطعنون الشیعة بأنهم کفار زنادقة و فساق ملاحدة، و قد أصدر بلاط بغداد فی سنة ۴۰۲ ه فی عهد الخلیفة القادر باللّه فتوی رسمیة موقعا علیها من کبار الفقهاء و القضاة بهذا المعنی، طعنا فی الفاطمیین خلفاء مصر.

و من ناحیة أخری لم یتوان الأشاعرة عن استعمال سلاح التکفیر و التفسیق فی شتی المناسبات، حتی بلغ الأمر فصل الحنابلة کفرقة تلز فی قرن مع النصاری و الیهود و الباطنیة. و من طریف ما یروی أن منشیء المدرسة الرواحیة فی دمشق نص فی حجة وقفیته علی هذه المدرسة نصا یمنع دخول الیهود و المسیحیین و الحنابلة لهذه المدرسة.

و من هنا ورث الأزهر التعصب المذهبی الشدید إلی حد الإفتاء بالکفر و عدم صحة الاقتداء بالمخالف فی المذهب، فقد أفتی ابن حجر الهیثمی بأن ابن تیمیة العالم الفقیه کافر لا تصح الصلاة وراءه، و أمر

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۸۶

القاضی عیاض بإحراق کتب الغزالی لما یوجد بها من أشیاء لا یرتضیها أهل السنة. و نقل الکمال بن الهمام عن أحد علماء الحنفیة أنه لا تجوز المناکحة بین أهل السنة و الاعتزال.

و ظل هذا التعصب یشتد و یشغل أمره العلماء، فاتهم کل مجتهد یخرج علی التقالید العلمیة فی عصره بالزندقة و الضلال. و الضلال

یومذاک کانت کلمة ترادف التفکیر الحر الذی لا یرضی بالتقلید، و لا یرضی أن یکون فی آرائه من العبید. و کان الضلال عنوان نضوج العقل، أو کما یقول الغزالی: و أستحقر من لا یحسد و لا یقذف، و أستصغر من بالکفر أو الضلال لا یعرف.

و لما کثرت المدارس فی عهد الأیوبیین و أرادوا جذب أساتذة الأزهر إلیها، أغدقوا لهم فی العطاء، و أجزلوا فی المرتبات، و بعد أن کان العلماء یعتمدون فی العصور الأولی علی أنفسهم فی سد حاجات عیشهم عن طریق السعی وراء الرزق أو استجلاب الربح من صنعة أو حرفة، فکان منهم فی العصر الأول البزاز و الزجاج و الصائغ و الصباغ و الفراء، إلی ما لهم من شهرة فی العلم، أصبحوا فی هذا العهد و ما تلاه من عهود المماليک یعتمدون علی الدولة و ما تعطیهم من إعانات، و ما تدره علیهم من غلات أوقاف، أو نظارات فی حیاتهم، مما مکن للدولة من ضمان بقائهم فی صفها، و لم یدع للعلماء حریة کاملة فی إبداء ما یرون من آراء علی الوجه الذی یرضی اللّه و الضمیر و الحق و العدل. بل کثیرا ما کان هذا النوع سببا فی تحاسد العلماء و سعی بعضهم ببعض عند الأمراء، لتوجبه وظیفة أو إعطاء وقف.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۸۷

أشهر العلماء فی عصر الدولة الأیوبیّة هل للأزهر و أثر الأزهر فیهم؟

نبغ فی العصر الأیوبی کثیر من العلماء و الأدباء و الشعراء، منهم:

الحسن الفارسی الفقیه الحنفی العالم باللغة و الأدب و الطب و الهیئة المتوفی عام ۵۹۸ ه . و منهم: ابن الحاجب النحوی (۵۶۶- ۶۴۶ ه) المشهور ، و الشاطبی (۵۳۸- ۵۹۰ ه) ، و ابن الفارض (۵۷۶- ۶۳۲ ه) الصوفی الزاهد الشاعر المعروف ، و عز الدین بن عبد السلام شیخ الاسلام (۵۷۷- ۶۶۰ ه) و اشتهر فیه من الصوفیة سیدی أحمد البدوی (۵۹۶- ۶۷۵ ه) ، و عبد الرحیم القنائی المتوفی عام ۵۹۲ ه ، و سواهم.

و من العلماء أیضا الحافظ المنذری شیخ الإسلام (۵۸۱- ۶۶۰ ه)، و السخاوی المصری (۵۵۸- ۶۴۳ ه) صاحب التفسیر المشهور و شرح الشاطبیة، و ابن سرایا (۵۷۰- ۶۵۱ ه) المفسر العالم

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۸۸

بالقراءات، و ابن المنیر (۶۲۰- ۶۸۳ ه) و کان إماما فی النحو و الأدب و الأصول و التفسیر ..

و منهم ابن بری المتوفی عام ۵۸۲ ه، و ابن معطی المتوفی عام ۶۲۸ ه، و کانا إمامین فی العربیة، و ابن مالک الأندلسی المتوفی عام ۶۷۲ ه و قد أقام بمصر حینا کما أقام بدمشق و حلب، و کذلک ابن الصلاح و توفی عام ۶۴۳ ه.

و من الأدباء ابن شیث من أدباء القرن السادس، و ابن أبی الأصبع المتوفی عام ۶۵۴ ه، و ابن الساعاتی المتوفی عام ۶۰۴ ه، و أبو الحسین الجزار الشاعر، و أبو شامة المتوفی عام ۶۹۵ ه، و التلعفری (۵۹۳- ۶۷۵ ه)، و ابن واصل المتوفی عام ۶۹۷ ه، و القاضی الفاضل المتوفی عام ۵۹۶ ه، و العماد الأصبهانی المتوفی عام ۵۹۷ ه.

و من الحکماء الوزیر القفطی (۵۶۸- ۶۴۶ ه).

و من المؤرخین ابن شداد (۵۳۹- ۶۱۵ ه)، و ابن عبد الظاهر (۶۲۰- ۶۹۲ ه).

و لا شک أنه کان لکثیر من هؤلاء العلماء تلمذة علی أساتذة الأزهر و حلقاته العلمیة فی العصر الفاطمی، فإذا کان الأزهر قد أوقف نشاطه العلمی فی هذا العصر فأثره الروحی کان باقیا مستمرا.

و قد اشتهر فی هذا العصر الکثیر من الشعراء، منهم: البهاء زهیر (۵۸۱- ۶۵۶ ه)، و ابن مطروح (۵۹۲- ۶۴۹ ه)، و ابن النبیه المتوفی عام ۶۱۹ ه، و ابن الساعاتی المتوفی عام ۶۰۴ ه، و ابن سناء الملک المتوفی عام ۶۰۸ ه. و ابن التعاویذی (۵۱۹- ۵۸۴ ه)، و سراج الدین الوارق المتوفی عام ۶۵۵ ه. و لا شک أن نشأتهم الأدبیة کانت أثرا لثقافة الأزهر اللغویة و الأدبیة التی ظلت متوارثة فی عهد الأیوبیین.

علی أن قطع صلاة الجمعة من الجامع الأزهر فی تلک الحقبة لم

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۸۹

یبطل صفته الجامعیة، فقد لبث محتفظا بصفته کمعهد للدرس و القراءة.

و مع أنه لم یکن یحظی فی ذلک العصر بکثیر من الرعایة الرسمیة، فإنه لبث مع ذلک محتفظا بکثیر من هیبته العلمیة القدیمة، فنراه مقصد علماء بارزین مثل عبد اللطیف البغدادی الذی وفد علی مصر فی سنة ۵۸۹ ه أیام الملک العزیز ولد السلطان صلاح الدین، و تولی التدریس بالأزهر بضعة أعوام حتی وفاة الملک العزیز فی سنة ۵۹۵ ه .

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۹۱

الفصل السادس الأزهر فی ظلاک دولتی المماليک ۶۵۷- ۹۲۳ ه

التاریخ السیاسی لهذا العصر:

ینقسم هذا العصر إلی عهدین: ۱- عهد دولة المماليک البحریة و ینتهی عام ۷۸۴ ه- ۱۳۸۲ م.

۲- و عهد دولة المماليک الشراکسة- أو المماليک البرجیة (۷۸۴- ۹۲۳ ه: ۱۳۸۲- ۱۵۱۷ م).

أما دولة المماليک البحریة فتبدأ شکلا من عام ۶۵۷ ه و إن کان بدؤها الحقیقی هو عام ۶۴۸ ه: ۱۲۵۰ م، حینما قتل توران شاه و دخلت مصر بعدها فی نفوذ مماليک هذه الدولة، الذی کان الصالح أیوب یکثر من شرائهم و ینزلهم فی قلعة الروضة التی شیدها بجزیرة الروضة، حتی سموا لذلک بالمماليک البحریة، و قد بقی الملک فی أیدیهم إلی عام ۷۸۴ ه، و کان عدد ملوکهم أربعة و عشرین سلطانا.

أولهم السلطان: عز الدین أیبک الترکمانی الذی ولی الحکم عام ۶۴۸ ه، و تزوج شجرة الدر، و قتل عام ۶۵۵ ه، فخلفه ابنه المنصور، الذی تولی الوصایة علیه «سیف الدین قطز»، ثم أعلن قطز تولیه الملک و خلع المنصور عام ۶۵۷ ه- ۱۲۵۹ م و بذلک تبدأ دولة المماليک البحریة فی تاریخ مصر.

کان «قطز» هو المؤسس الحقیقی لهذه الدولة، تولی الملک عام ۶۵۷ ه،

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۹۲

و لما سقطت بغداد عام ۶۵۶ ه- ۱۲۵۸ م فی أیدی التتار، و زحفوا نحو مصر، التقی بهم «قطز» فی «عین جالوت» بفلسطین ثم فی «بیسان» و هزمهم هزیمة ساحقة، و کان الفضل فی ذلک لقائده «الأمیر رکن الدین بیبرس»، و فی عودتهم إلی مصر قتل «بیبرس» السلطان «قطز» و تولی مکانه حکم البلاد.

تقلد السلطان الملک الظاهر رکن الدین بیبرس البندقداری حکم مصر (۶۵۸- ۶۷۶ ه: ۱۲۶۰- ۱۲۷۷ م) و کان أشهر سلاطین المماليک البحریة، و قد نظم أمور الدولة و الجیش، و أنشأ الأساطیل، و عنی بتحصین الشام .. و لکی یعزز زعامته للإسلام دعا إلی مصر أحد أولاد الخلفاء العباسیین الذین فروا من وجه التتار من بغداد، و بایعه بالخلافة و لقبه بالمستنصر، و استمد سلطة الملک منه نائبا عنه عام ۶۵۹ ه- ۱۲۶۱ م ، و کان أول من بایع الخلیفة العباسی شیخ الإسلام عز الدین ابن عبد السلام ، و قد ذهب الخلیفة لمحاربة التتار علی رأس جیش مصری فقتل قرب دمشق عام ۶۶۰ ه فتولی بعده لقب الخلافة العباسیة فی مصر الخلیفة العباسی أبو العباس أحمد و لقب الحاکم بأمر اللّه .

و کان للسلطان «الظاهر بیبرس» أعمال حربیة، و إصلاحات داخلیة، محمودة و فی أیامه طیف بالمحمل و بکسوة الکعبة المشرفة بالقاهرة عام ۶۷۵ ه، و هو أول من فعل ذلک بالدیار المصریة.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۹۳

و بعد وفاة بیبرس خلفه ولدان له أحدهما بعد الآخر و لم تطل مدتهما، و انتهی الأمر بتولی السلطان الملک المنصور سیف الدین قلاوون الصالحی (۶۷۸- ۶۸۹ ه: ۱۲۷۹- ۱۲۹۰ م)، فبقی الملک فی بیته أکثر من مائة سنة، و ساد فی عهده العدل و السکینة.

و خلفه ابنه الأشرف خلیل و کان شجاعا مقداما مظفرا عادلا، فقتل بعد ثلاث سنوات، و مما یذکر أنه هو الذی قضی علی إمارات الصلیبیین بالشام. الأزهر فی ألف عام ؛ ج۱ ؛ ص۹۳

خلفه أخوه الملک الناصر محمد بن قلاوون (۶۹۳- ۷۴۱ ه:

۱۲۹۳- ۱۳۴۱ م)، و قد هزم التتار قرب دمشق عام ۷۰۲ ه- ۱۳۰۳ ه هزیمة ساحقة اثناء محاولتهم التقدم لفتح مصر، و عنی الناصر بشؤون بلاده الداخلیة و نشر العلوم و المعارف، و شید المبانی الفخمة، و توفی الخلیفة العباسی الحاکم بأمر اللّه فی عهده عام ۷۰۱ ه، و دفن بجوار السیدة نفیسة فی قبة بنیت له، و هو أول خلیفة مات بمصر من بنی العباس، و ولی الخلافة بعده ابنه أبو الربیع سلیمان و لقب المستکفی باللّه و خطب له علی المنابر فی مصر و الشام ، و لم یکن السلطان قد أمضی عهد والده له بالخلافة حتی سأل الشیخ تقی الدین بن دقیق العید قاضی القضاة بمصر یومئذ: هل یصلح للخلافة أو لا؟ فقال الشیخ: نعم یصلح، فلما أشار الشیخ باستخلافه أمضی عهد والده له و مات، فی شعبان سنة ۷۴۰ ه فی قوص و دفن بها، و تولی بعده الخلافة الواثق باللّه رغم معارضة قاضی القضاة عز الدین بن جماعة، و مات الناصر عام ۷۴۱ ه (۱۳۴۱ م)، و لم یترک خلفا یقدر علی القیام بعبء الملک بعده، و من أبنائه السلطان حسن الذی بنی المدرسة العظیمة التی لم یخلف السلطان أعظم منها بناء و لا أتقن صناعة، و هی المشهورة الآن بجامع السلطان حسن بجوار قلعة القاهرة، و انتهی الامر بانقراض هذه الدولة

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۹۴

و استیلاء الممالیک الشراکسة علی الملک.

و قد عزل الخلیفة الواثق و بویع لأحمد بن المستکفی و لقب المستنصر ثم لقب بعد ذلک الحاکم بأمر اللّه- لقب جده- و ذلک بحضور ابن جماعة و کتب له ابن فضل اللّه صورة المبایعة و ذلک عام ۷۴۲ ه و مات الخلیفة عام ۷۵۳ ه، و بویع بعده لأخیه المعتضد باللّه و ظل خلیفة حتی مات عام ۷۶۳ ه، و ظل بنو العباس فی مصر یتوارثون الخلافة إلی أمد بعید.

و أما دولة الممالیک الشراکسة فقد حکمت مصر من عام ۷۸۴- ۹۲۳ ه، و معظمهم من الشراکسة، بعکس الممالیک البحریین فکانوا من الترک .. و لم یکن الملک فی دولة الممالیک الشراکسة و راثیا کما کان فی بیت قلاوون، و عدد ملوک هذه الدولة ثلاثة و عشرون، حکم تسعة منهم مدة ۱۲۵ سنة، و حکم فی التسع السنوات الأخری أربعة عشر، و قد کان لملوک هذه الدولة ولع بالعلوم و الآداب و الفنون، و ان کانوا لم یحرصوا علی العدل فی حکمهم.

و أشهر ملوکهم و أولهم: «الملک الظاهر سیف الدین برقوق» و قد مات عام ۸۰۱ ه- ۱۳۹۹ م، و خلف مدرسته العظیمة بین القصرین بالنحاسین الشهیرة بجامع برقوق.

و خلفه ابنه فرج الذی حارب تیمورلنک، و عقد معه صلحا.

و من ملوک هذه الدولة «المؤید شیخ» بانی الجامع المعروف بجامع المؤید بجوار «باب زویلة».

و منهم: الأشرف برسبای ۸۲۵- ۸۴۱ ه: ۱۴۲۲- ۱۴۳۸ م، و قایتبای ۸۷۳- ۹۰۲ ه: ۱۴۶۸- ۱۴۹۶ م، و الغوری ۹۰۶- ۹۲۲ ه:

۱۵۰۱- ۱۵۱۶ م، و قد انتهی أمره بأن قتله السلطان سلیم العثمانی فاتح مصر عام ۹۲۳ ه، و ضم مصر إلی الدولة العثمانیة.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۹۵

الأزهر فی هذا العصر

۱- فی عهد السلطان بیبرس و السلاطین بعده:

فی سنة ۶۶۵ جدده الأمیر عز الدین ایدمر الحلی بسبب أنه کان مجاورا له بالسکنی، و کانت داره مکان الأقبغاویة المجعولة مکتبة الأزهر الآن، فراعی حرمة الجوار و انتزع له أشیاء کانت مغصوبة و أحاط أموره حتی جمع له شیئا صالحا مع ما تبرع به له من المال الجزیل، و أطلق له من السلطان جملة من المال و شرع فی عمارته، فعمر الواهی من أرکانه و جدرانه و أصلح سقوفه و بلطه و فرشه و کساه، حتی عاد حرما بعد أن کان بالیا، و استجد به مقصورة حسنة و ترک آثارا صالحة .. و کذا عمل فیه الأمیر بیلبک الخازندار مقصورة کبیرة رتب فیها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه علی مذهب الشافعی و محدثا یسمع الحدیث النبوی، و وقف علی ذلک الأوقاف الدرارة و رتب به سبعة لقراءة القرآن و مدرسا، و أقیمت فیه الجمعة یومئذ، و حضر فیه الأمراء و الکبراء و العلماء، و کان یوما مشهودا، و بعد الفراغ من الجمعة قام الأمیر عز الدین إلی داره و معه الأمراء فقدم لهم موائد الطعام، و کان قد أخذ فتاوی من العلماء بجواز الجمعة فیه.

و هذا أول افتتاح الأزهر لصلاة الجمعة بعد انقطاعه منه فی عصر الدولة الأیوبیة.

و فی شهر الحجة سنة ۷۰۲ ه حدثت زلزلة شدیدة بدیار مصر فسقط الجامع الأزهر و الجامع الحاکمی و جامع عمرو، و غیرها، فتقاسم أمراء

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۹۶

الدولة عمارة الجوامع، فتولی الأمیر رکن الدین بیبرس الجاشنکیر عمارة الجامع الحاکمی، و تولی الأمیر سیف الدین بکشمر الجوکندار عمارة جامع الصالح، و تولی الأمیر سلار عمارة الجامع الأزهر، فجددوا مبانیها و أعادوا ما تهدم منها .. و فی ۷۰۹ بنیت فیه مدرسة الطیبرسیة.

و الأمیر سلار کان من من ممالیک الصالح علاء الدین بن المنصور قلاوون، و اتصل بخدمة الأشرف و توفی عام ۷۱۰ ه.

و فی سنة ۷۲۵ ه جددت عمارة الجامع الأزهر علی ید القاضی نجم الدین محمد بن حسین بن علی الاسعردی محتسب القاهرة ... ثم فی سنة ۷۴۰ أنشئت الأقبغاویة التی هی محل المکتبة الأزهریة الآن، و فی سنة ۷۴۴ تممت الجوهریة.

و فی سنة ۷۶۱ جددت عمارة الأزهر عندما سکن الأمیر الطواشی سعد الدین بشیر الجمدار الناصری فی دار الأمیر فخر الدین ابان الزاهری الصالحی النجمی بخط الأبارین بجوار الجامع الأزهر بعدما هدمها و عمر داره التی تعرف فی ذاک الوقت بدار بشیر الجمدار، و أحب لقربه من الجامع الأزهر أن یؤثر فیه أثرا صالحا، فاستأذن السلطان الملک الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فی عمارته و کان خصیصا به، فأذن له فی ذلک و کان قد استجد بالجامع عدة مقاصیر و وضعت فیه صنادیق و خزائن حتی ضیقته، فأخرج الخزائن و الصنادیق و نزع تلک المقاصیر و تتبع جدرانه و سقوفه بالإصلاح، حتی عادت کأنها جدیدة، و بیض الجامع کله و بلطه، و منع الناس من المرور فیه و رتب فیه مصحفا و جعل له قارئا، و أنشأ علی باب الجامع القبلی حانوتا لسبیل الماء العذب فی کل یوم و عمل فوقه مدرسة لإقراء أیتام المسلمین کتاب اللّه العزیز و رتب للفقراء المجاورین طعاما یطبخ کل یوم. و أنزل إلیه قدورا من نحاس جعلها فیه و رتب فیه دروسا للفقهاء من الحنفیة یجلس مدرسهم لإلقاء الفقه فی المحراب و وقف علی ذلک أوقافا جلیلة.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۹۷

و فی سنة ۷۸۴ ه ولی الأمیر بهادر المقدم علی المماریک السلطانیة نظر الجامع الأزهر، و نجز مرسوم السلطان برقوق بأن من مات من مجاوری الجامع الأزهر من غیر وارث شرعی و ترک شیئا فإنه یأخذه المجاورون بالجامع، و نقش بذلک علی حجر عند الباب الکبیر و هو غیر موجود الآن.

و کان عدد طلبة الأزهر فی أوائل القرن الثامن ۵۷۰ طالبا کما یقول المقریزی. و فی سنة ۸۰۰ هدمت منارة الأزهر و کانت قصیرة و

عمرت بأطول منها و بلغت النفقة عليها من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم، و كملت فی ربيع الآخر من السنة المذكورة فعلقت القناديل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر و أوقدت حتی اشتعل الضوء من أعلاها إلی أسفلها، و اجتمع القراء و الوعاظ به و تلوا ختمة شريفة و دعوا للسلطان، و لم تزل هذه المنارة إلی شوال سنة ۸۱۸ فهدمت لميل ظهر فيها و عمل بدلها منارة من حجر علی باب الجامع البحری بعدما هدم الباب و أعيد بناؤه بالحجر و ركبت المنارة فوق عقده، و أخذ الحجر لها من مدرسة الملك الأشرف خليل التی كانت تجاه قلعة الجبل ثم هدمها الملك الناصر فرج بن برقوق، و قام بعمارة ذلك الأمير تاج الدين الشوبكی و الی القاهرة و محتسبها، و تمت سنة ۸۱۸ فلم تقم غير قليل و مالت حتی كادت تسقط، فهدمت سنة ۸۲۷، و أعيدت و فی هذه السنة ابتدیء بعمل الصهريج الذی بوسط الجامع فوجد هناك آثار فسقية ماء و وجد أيضا جثث أموات. و تم بناؤه فی ربيع الأول سنة ۷۲۷ ه و عمل بأعلاه مكان مرتفع له قبة يسيل فيه الماء و غرس بصحن الجامع أربع شجرات و لم تفلح و ماتت، و لم يكن للجامع الأزهر ميضأة عندما بنی، ثم عملت ميضأته.

و فی سنة ۸۱۸ ه تولی نظارة الجامع الأزهر الأمير سودوب حاجب الحجاب، فأهان طلبة الأزهر و أخرجهم منه و كان عددهم يومئذ ۷۵۰ طالبا من شتی البلاد الإسلامية و أنحاء مصر، و كان الأزهر يومئذ عامرا بتلاوة

الأزهر فی ألف عام، ج ۱، ص: ۹۸

القرآن و دراسته و أنواع العلوم و الفقه و الحديث و التفسير و النحو و مجالس الوعظ.

و كان الإنسان إذا دخله يجد من الانس باللّه و الارتياح ما لا يجده فی غيره و صار يقصده أرباب الأموال للتبرك و يصلون أهله بأنواع الذهب و الفضة إعانة للمجاورين فيه علی عبادة اللّه تعالی، فرأی سودوب المذكور ان يأمر بإخراجهم و منعهم من المبيت به فأخرجهم و ما كان لهم فيه من صناديق و خزائن و كراسی المصاحف، و قد حل بفقراء المجاورين بلاء شديد بعدما هجم عليهم مرة بعد العشاء الأخيرة، هو و من كان معه من الغلمان و الأعوان و غوغاء العامة و من يريد النهب، فضربهم و نهبت فرشهم و عمائمهم و سلبت نقودهم فتشتت شملهم و ساروا فی القری و تبذلوا بعد الصيانة و فقد الجامع كثيرا مما كان فيه، فعاجل اللّه الأمير سودوب بالانتقام و قبض عليه السلطان و سجنه.

و فی سنة ۹۰۰ أجری مصطفی بن محمود بن رستم الرومی عمارة الجامع الأزهر و صرف عليه من ماله نحو خمسة عشر ألف دينار و جاء فی غاية الحسن.

و أنشأ الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ميضأة بالجامع الأزهر و فسقية معتبرة من داخلها، و قد أبدلت بحنفيات سنة ۱۳۱۷، و أنشأ أيضا سبيلا و مكتبا علی باب الجامع و قد أزيل المكتب أيضا، و هو الذی أنشأ رواق الشوام و رواق المغاربة، و أنشأ المنارة العظيمة علی يمين الداخل فيه.

و قد رتب الملك قانصوه الأشرف خال الناصر الخزيرة بالجامع الأزهر فی شهر رمضان، و الخزيرة عصيدة بلحم .. ثم لما جاء الملك قنصوه الغوری ضاعف ذلك فی أيامه فرتب فی شهر رمضان فی مطبخ الجامع الأزهر كل سنة ستمائة و سبعين دينارا و مائة قنطار من العسل و خمسمائة أردب قمح، و بنی المنارة العظيمة ذات الرأسين به سنة ۹۰۲ ه.

و للعلماء فی سجل التاريخ الإسلامی ذكر، و للشيخ عز الدين بن عبد السلام خاصة نصيب من هذا المجد التليد.

الأزهر فی ألف عام، ج ۱، ص: ۹۹

قدم الشيخ عز الدين إلی مصر سنة ۶۳۹ ه من دمشق، فتلقاه صاحب مصر و سلطانها الصالح نجم الدين أيوب بالإكرام و الإجلال، و أحاطه علماؤها و فقهاؤها بالتقدير و الاحترام، حتی امتنع الشيخ زكی الدين المنذری عن الإفتاء تأدبا معه، و قال: كنا نفتی قبل حضوره، فمنصب الفتيا متعين فيه .. و بالغ السلطان نجم الدين فی إكرام الشيخ فولاه قضاء مصر و الوجه القبلی، و قبل الشيخ المنصب علی إن يؤدی فيه حق اللّه كما يجب، و أن تكون كلمة الشرع هی الفاصلة بين الحاكمين و المحكومين، فلا دالة لصاحب سلطان، و

لا تهاون مع ذى جاه، و لكن الناس سواسية أمام الحق، و فى شرط الإسلام، و على هذا تقلد الشيخ المنصب و تحمل العمل فيه.

و كان أول موقف للشيخ تجاه أصحاب النفوذ و السلطان بين الناس، و كان موقفا عجبا، ذلك أن السلطان قد أكثر من شراء التركـ و تأميرهم على البلاد ليكونوا أعوانه و عيونه، و قد استشرى أمر هؤلاء الأتراك و صاروا أصحاب الجاه و النفوذ على الرعية لا يبالون فى ذلك بطشا و لا ظلما يقع على الناس، و ما كان فى الناس من يستطيع أن يتصدى لهم أو ينكر عليهم، و نظر الشيخ ابن عبد السلام فرأى فى ذلك فسادا لا يستقيم به حق الدين و لا واجب الحكم، و لما بحث الشيخ الأمر فى حقيقة هؤلاء الأمراء الأتراك رأى أنهم بحكم الشرع أرقاء لسادتهم من أبناء مصر، و ذلك لأن السلطان قد اشتراهم بمال الدولة و ما زال حكم الرق مستصحبا عليهم، و كان أن جلس الشيخ و كتب فتواه بأنه لم يثبت عنده أن هؤلاء الأمراء الأتراك أحرار و أن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين و أنه لا بد من بيعهم و صرف ثمنهم فى وجوه الخير و مصالح الأمة. و كان من جملة هؤلاء الأمراء نائب السلطنة، و كلهم أصحاب حكم و سلطان.

و بلغت الفتوى أولئك الأمراء، فامتلأوا غضبا و غيظا، و أدهشتهم تلك الجرأة من ذلك الشيخ الفقيه عليهم، و أرسلوا إليه أن يكف عن هذا

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۰۰

الذى لا يليق معهم. و هم أصحاب الحكم و السلطان، و لكن الشيخ صمم على فتواه، و زاد على ذلك فصار لا يصحح لهم بيعا و لا شراء و لا- نكاحا و لا- أى تصريف فى أمور الناس و شؤون الحكم حتى تعطلت مصالحهم، و توقفت أعمالهم، و هم فى كل هذا يتعاظمون و يعجبون من جرأة ذلك الشيخ، و ما فى مقدور أحد أن ينكر عليهم أى شىء.

و رفع الأمراء الأمر إلى السلطان، و شكو إليه من هذه الجرأة التى هوت بمكانتهم بين الناس. و أرسل السلطان إلى الشيخ ابن عبد السلام يصرفه عن غايته، و بين له ما فى هذه الفتوى من الإضرار بأولئك الأمراء الذين لهم شأنهم فى شؤون الحكم، و كان ابن عبد السلام يقدر تماما أنه.

وفد على مصر غريبا لا أهل له، فقيرا لا مال عنده و ليس له من قوام.

الحياة إلا هذا المنصب الذى يجلس فيه، و زمام المناصب كلها بيد السلطان، و لكن حب الدنيا لم يكن أفسد نفوس رجال الدين فى ذلك الزمن، و ما لرجل مثل ابن عبد السلام ترك وطنه راضيا، و احتمل السجن و شظف العيش فى سبيل الرأى و الحق، أن يثنيه عن الحق مطلب من مطلب العيش أو رغبة فى منصب مهما يكن جاهه، فأرسل الى السلطان بأنه لا بد منفذ لفتواه لانها كلمة الشرع و حق الإسلام، و أنه سينادى على أولئك الأمراء بالبيع و يقبض ثمنهم، و إلا فإنه سيعزل نفسه من منصب القضاء و يترك فتواه قائمة فى أقطار الإسلام يعول عليها المسلمون فى تصريف أمورهم.

و انكمش السلطان بجبروته أمام الشيخ فى إبائه و جرأته، و تلمس نائب السلطان بابا آخر لصرف الشيخ عن إصراره «فأرسل إليه بالملاطفة و الملاينة و الرجاء أن يراجع نفسه فى تلك الفتوى الجريئة و أن يتصرف بما يتفق و مكانة الأمراء بين الناس، و لكن الشيخ الذى كان لا يرهبه فى الحق شدة، كان من الأولى ألا تجدى معه فى الحق ملاطفة أو ملاينة.

و عظم الخطب على نائب السلطنة، و ثار به الغضب ثورته، و قال:

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۰۱

كيف ينادى علينا هذا الشيخ الفقيه بالبيع و نحن ملوك الأرض، و اللّه لأضربنه بسيفى هذا «فما كان حكم الناس من شأن فقيه، و لا كانت أقدار الناس على ما يفتى به، ثم ركب فى جماعته ليثأر لنفسه و لجماعته بالسيف، و ليضع حدا لتطاوله عليهم و هم أمراء مصر و ملوك الأرض!

و وقف نائب السلطنة على باب الشيخ ممتطيا صهوة جواده، و السيف فى يده قائم كأنه متأهب لميدان حرب، و طرق الباب على الشيخ

طرقات قویـة عنیفـة، فخرج ولـد الشـیخ یسـتطلع الأمر، فأذهله ما رأی من هیئـة نائب السـلطنة و جماعته و زاد من رعبه و فزعه أن سأله نائب السـلطنة عن والـده لیفتک به، و لیترکه بدادا بسـیفه، و أسـرع ولد الشـیخ الی داخل الدار فزعا جزعا ینبیء والده بالشـر المتربص بالباب و یسأله أن یختفی، فلا یظهر نفسه حتی یدبر للهرب أو یؤذن اللّه بالفرج.

و ابتسم الشـیخ لما سـمع، و هـدّأ من روع ولده قائلا: لا علیک یا بنی، فأبوک أقل من أن یقتل فی سبیل اللّه، ثم نهض إلی باب الدار، شامخا کالطود، جریئا کالأسـد ثابتا یزیـد من ثباته و هیبته إیمان قوی باللّه یتضاءل کل ما فی هذه الدنیا بجانبه، و وقف الشـیخ الأعزل إلا من قوة الحق و صدق الأیمان أمام نائب السـلطنة و هو فی سلاحه و عتاده و جنده، و ما زاد الشیخ علی أن أرسلها نظرة حادة نافذة، فإذا بنائب السـلطنة یذعن أمام هیبة الشیخ و یتضاءل فی سلاحه و جنده، و إذا به یسرع فیغمد سیفه، و یترجل من فوق جواده، و یهوی علی یـد الشـیخ یقبلهـا، و أطرافه یمسـحها، و یسـأله أن یغفر له مـا فرط منه، و أن یتجـاوز عما ارتکب فی حقه، و یطلب منه الـدعاء و الرضاء «قائلا: ایش یا سیدی ترید أن تعمل».

قال الشـیخ: أرید أن أنادی علیکم و أبیعکم. قال: و ماذا تصـنع بثمننا؟ قال: أصـرفه فی مصالح المسلمین، قال: و من یقبض الثمن قال: أنا أقبضه و أتولی صرفه. قال: لک ما تشاء فی أمرنا.

و أصبح الصباح فی الیوم الثانی، و عقد مجلس کبیر من رجالات

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۰۲

الدولة یحضره السلطان، و حشد الأمراء الأتراک بکامل عدهم فما تأخر نفر منهم، و أخذ قاضی القضاة الشیخ عز الدین بن عبد السلام ینـادی علیهم بـالبیع واحـدا واحـدا، و یغـالی فی ثمنهم لأـنهم أمراء .. و لأـنهم ملوک الأـرض .. و غـالی أکثر مـا غالی فی ثمن نائب السـلطنة، و دفع السـلطان إلی الشـیخ کـل مـا اشترط من مـال، فوزعه علی وجوه الخیر و مصالـح المسـلمین، ثم أعتق الأمراء الأرقاء، و منحهم حق الحریة فی التصرف و البیع و الشراء .

اعتنی الظاهر بیبرس - کما قـدمنا- بأمر الأزهر فأعاد إلیه خطبـة الجمعة فی الثامن عشـر من ربیع الأول سـنة ۶۶۵ ه و شـجع العلم فیه و حـذا حـذوه کثیر من الأمراء فزاد الأمیر بیبک الخازندار مقصورة کبیرة رتب فیها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه علی مذهب الشافعی. و رتب فیها محدثا، و سـبعة لقراءة القرآن، و وقف علی ذلک الأوقاف الدارة. و فی سنة ۷۶۱ ه أحب الأمیر الطواشی سعد الدین بشیر الجامـدار الناصـری عنـدما سـکن بجوار الأـزهر أن یؤثر فیه أثرا صالحا فأنشأ فیه مما أسـداه إلیه درسا لفقه الحنفیـة یلقی فی المحراب الکبیر، و وقف علی هذا الدرس أوقافا کثیرة.

علی هـذا النحو سار الأزهر فی عنایـة المماـلیک ، غیر أنا نلاحظ أن الجامع الحاکمی أخذ ینافس الأزهر بعد أن أصـلح من زلزال ۷۰۲ ه، فلقـد جاء الأمیر رکن الدین بیبرس الجاشـنکیر فأنشأ بالجامع الحاکمی دروسا أربعة لأقراء الفقه علی مذهب الأئمة الأربعة، و درسـا لاقراء الحـدیث النبوی، و جعل لکل درس مـدرسا و عدة کثیرة من الطلبة، فرتب فی تدریس الشافعیة قاضـی القضاة بدر الدین محمد بن جماعة الشافعی، و فی تدریس الحنفیة قاضی القضاة شمس الدین أحمد السروجی الحنفی،

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۰۳

و فی تدریس المالکیة قاضـی القضاة زین الدین علی بن مخلوف المالکی، و فی تدریس الحنابلة قاضی القضاة شرف الدین الجوانی، و فی درس الحـدیث الشـیخ سـعد الـدین مسـعود الحارثی، و فی درس النحو الشـیخ أثیر الـدین أبا حیان، و فی درس القراءات السـبع الشـیخ نور الدین الشـطنوفی، و فی التصدیر لافادة العلوم علاء الدین علی بن إسماعیل القونوی، و فی مشیخة المیعاد و المسجد عیسی بن الخشاب، و أنشـئت به مکتبـة جلیلـة و جعل فیه عـدة متصـدرین لتلقین القرآن الکریم، و عـدة قراء یتناولون قراءته، و معلما یقرىء أیتام المسلمین کتاب اللّه عز و جل. و أوقفت علی ذلک الأوقاف الدارة بناحیة الجیزة، و الصعید، و الإسکندریة .

و أصدر برقوق قرارا «بأن من مات من مجاوری الأزهر من غیر وارث شرعی و ترک موجودا فإنه یأخذه المجاورون بالجامع».

و کان هـذا لتقویـة الأزهر بعـد أن طغت علیه المـدارس و الجامع الحاکمی. و لم یکتف الظاهر برقوق بإصدار المرسوم بل أمر بنقشـه علی حجر عند الباب الکبیر البحری لیکون بمثابة إعلان دائم.

نعرف شـیئا عن نظام الأزهر و العلوم التی کانت تـدرس فیه و بخاصة أیام الممالیک الذین أنقذوه من اضـطهاد الأیوبیین السـنیین؟ بما ذکره المقریزی. فلقد رسم صورة لا بأس بها نری فیها شیئا عن علومه و نظامه و عدد طلبته و ما کان یجری فیه قال:

فی سنة ۸۱۸ ه ولی نظر هـذا الجـامع مع الأـمیر سودوب القاضـی حـاجب الحجاب فجرت فی أیام نظره عـدة حوادث لم یتفق مثلها و ذلک أنه لم یزل فی هـذا الجامع منـذ بنی عدة من الفقراء یلازمون الإقامة فیه و بلغت عدتهم فی هذه الأیام ۷۵۰ رجلا ما بین عجم و زیالعة و مغاربة و من أهل ریف مصـر و لکل طائفة رواق یعرف بهم فلا یزال الجامع عامرا بتلاوة القرآن و دراسـته و تلقیه و الاشتعال بأنواع العلوم من الفقه و التفسیر و الحدیث

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۰۴

و النحو و مجالس الوعظ و حلق الـذکر، و صار أرباب الأموال یقصـدون هـذا الجامع بأنواع البر من الـذهب و الفضة إعانة للمجاورین فیه علی عبـادة اللّه تعالی و کل قلیل تحمل إلیهم أنواع الأطعمـة و الخبز و الحلویات لا سـیما فی المواسم. فأمر هـذا الناظر فی جمادی الأولی من هذه السنة بإخراج المجاورین من الجامع و منعهم من الإقامة فیه و إخراج ما کان لهم فیه من صنادیق و خزائن.

و من هـذا نری ان الأـزهر کان فی ذلک الوقت فوق کونه مدرسـة لطلب العلم تـدرس فیها العلوم المختلفـة و مسـجدا للعبادة و مکانا للوعظ، کان بجوار ذلک دارا للتصوف، و تروی دائرة المعارف الإسلامیة عن ابن إیاس ان ابن الفارض الصوفی کان مقیما بالأزهر. و یروی رشـید بن غالب صاحب شـرح دیوان ابن الفارض ان والـد عمر بن الفارض حین امتنع أن یقبل وظیفـة قاضـی القضاة و نزل عن حکم القاهرة و مصر بالنیابة عن الخلیفة اعتزل الناس و انقطع إلی اللّه تعالی بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر و لعل ابنه کان یقیم معه بعد أن کـان یعود من سیاحته فی جبـل المقطم. و علی کل فقـد کانت المساجـد و المـدارس فی ذلک الوقت مفتوحـة للریاضـة الروحیة بجوار درس العلم، و کانت المدارس و المساجد تقبل طلاب التصوف کما کانت تقبل طلاب العلم، و تفتح صدرها لهؤلاء کما تفتح صدرها لأولئک. فمثلا البدر العینی صاحب عمدة القاریء شـرح صـحیح البخاری حینما حضـر إلی القاهرة مع شیخه العلامة السیرامی سنة ۷۸۸ ه جعله الظاهر برقوق فی عداد صوفیة البرقوقیة.

و نری الأمیر الکبیر سـیف الدین شیخو الناصری لما أنشأ مسجده جعل فیه عشرین صوفیا، و أقام الشیخ أکمل الدین محمد بن محمود الرومی الحنفی شیخا لهم ... ثم لما عمر الخانقاه تجاه الجامع نقل الأکمل و الصوفیة إلیها و زاد عدتهم.

و یـذکر صاحب خلاصـة الأثر فی أعیان القرن الحادی عشـر: ان الشـیخ أحمـد بن عیسـی بن غلاب، المنعوت بشـهاب الـدین الکلبی المالکی، شیخ المحیا النبوی بالأزهر، أخذ التصوف عن الشیخ الشعرانی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۰۵

و جلس بالمحیا الشـریف بعد والده، و والده جلس بعد الشیخ البلقینی و هو جلس بعد الشیخ صالح، و هو جلس بعد الشیخ نور الدین الشوقی المدفون بزاویة الشیخ عبد الوهاب الشعرانی.

۲- و قد أسهم الأزهر بنشاط کبیر فی هذا العصر، فی شتی نواحی الحیاة و العلم و الثقافة.

و کان ابن الدمامینی (۷۶۳- ۸۲۷ ه)- الذی ولد بالإسـکندریة، وفاق فی النحو و النظم و النثر، و شارک فی الفقه و غیره من العلوم، و مهر و اشتهر ذکره- یتصدر بالجامع الأزهر لإقراء النحو .

و قـد نبغ فی هذا العهد من العلماء: الدمامینی، و ابن عقیل المتوفی عام ۷۶۹ ه ، و ابن هشام المتوفی عام ۷۴۹ ه ، و ابن إیاس المؤرخ المتوفی عـام ۹۳۰ ه، و أبـو حیـان (۶۵۴- ۷۴۵ ه) ، و ابـن مکرم صـاحب لسـان العرب (۶۳۲- ۷۶۱ ه) ، و الرضـی النحوی المشـهور المتوفی عام ۶۸۴ ه ، و ابن دقیق العیـد (۶۲۵- ۷۰۲ ه) و تقی الدین السـبکی (۶۸۳- ۷۵۶ ه) ، و شـیخ الإسلام البلقینی ۷۲۴- ۸۰۵ ه و

العینی ۷۶۲- ۸۵۵ ه، و الشمنی ۸۰۱- ۸۷۲ ه، و ابن الهمام المتوفی عام ۸۶۱ ه ، و السیوطی (۸۴۹- ۹۱۱ ه) ..

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۰۶

و کان من الصالحین عبد العال خلیفة أحمد البدوی المتوفی ۷۳۲ ه .

و لا شک أن کثیرا من هؤلاء و سواهم قد اتصلوا بالأزهر اتصالا علمیا، فجلسوا فی حلقاته متعلمین، و تصدروها معلمین.

و کان بجوار الأزهر کذلک مدارس مشهورة منها المدرسة الظاهریة القدیمة التی بناها بیبرس عام ۶۶۱ ه، و رتب بها لتدریس الشافعیة تقی الدین بن رزین، و لتدریس الحنفیة محیی الدین بن عبد الرحمن بن الکحال بن العدیم، و لتدریس الحدیث الحافظ شرف الدین الدمیاطی، و لتدریس القراءات کمال الدین القرشی.

و منها المدرسة المنصوریة التی بناها الملک المنصور قلاوون عام ۶۷۹ ه و رتب فیها دروسا للفقه علی المذاهب الأربعة و الحدیث و التفسیر و دورسا کذلک للطب.

و منها المدرسة الناصریة التی بناها الناصر محمد بن قلاوون عام ۷۰۳ و عین بها المدرسین للمذاهب الأربعة.

و مدرسة السلطان حسن التی بناها السلطان حسن بن الناصر محمد ابن قلاوون عام ۷۵۸ ه.

و المدرسة الظاهریة الجدیدة التی فرغ من بنائها عام ۷۸۸ ه و عین السلطان فیها مدرسین للفقه علی المذاهب الأربعة و للحدیث و القراءات، و کان الشیخ سراج الدین البلقینی مدرسا فیها للتفسیر.

و لکن هذه المدارس کلها کانت عالة علی الأزهر، تأخذ منه، و تستمد علماءها من خریجیه و أساتذته، و یوجهها الأزهر توجیها علمیا.

و من أشهر من نبغوا فی هذا العهد من العلماء و الأدباء و الشعراء:

الفیروزبادی صاحب القاموس المحیط المتوفی عام ۸۱۷ ه، و القلقشندی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۰۷

صاحب صبح الأعشی المتوفی عام ۸۲۱ ه، و النویری صاحب نهایة الأرب المتوفی عام ۷۳۲ ه، و ابن فضل اللّه العمری المتوفی عام ۷۴۸ ه صاحب ممالک الأبصار، و تقی الدین ابن حجة الحموی (۷۶۷- ۸۳۷ ه) صاحب خزانة الأدب، و صلاح الدین خلیل بن أیبک الصفدی (۶۹۶- ۸۲۴)، و صفی الدین الحلی عبد العزیز بن علی (۶۷۷- ۷۵۰ ه)، و الشاب الظریف (۶۲۱- ۶۸۸ ه) و جمال الدین محمد بن نباتة المصری (۶۸۶- ۷۶۸ ه)، و ابن الوردی (۶۸۹- ۷۴۹ ه)، و البوصیری (۶۰۸- ۶۹۵ ه)، و ابن دقماق المتوفی عام ۸۰۹ ه مؤرخ الدیار المصریة، و المقریزی (۷۶۶- ۸۴۵ ه) و محمد جمال الدین الوطواط المتوفی عام ۷۱۸ ه و الدمیری صاحب حیاة الحیوان المتوفی عام ۸۰۸ ه، و هم کلهم إوجلهم أثر من آثار الأزهر العلمیة.

و قد حضر ابن خلدون إلی مصر و اشترک فی الحیاة العلمیة فیها، وزار حلقات الأزهر العلمیة، و تصدر للتدریس فیه.

کما هاجر إلی مصر فی هذا العهد کثیر من العلماء الذین جددوا شباب النهضة العلمیة فی العالم الإسلامی.

و قد کان من العلماء من یعرف کثیرا من العلوم العقلیة و الطبیة و غیرها زیادة علی العلوم الدینیة و العربیة، و هؤلاء لا یحصون، نذکر منهم علی سبیل المثال: الشیخ أحمد عبد المنعم الدمنهوری المتوفی سنة ۱۱۹۲ هجریة، فقد جاء فی سند إجازته ما ملخصه: أنه تلقی فی الأزهر العلوم الآتیة، و له تآلیف فی کثیر منها، و هی: الحساب و المیقات، و الجبر و المقابلة، و المنحرفات و أسباب الأمراض و علاماتها، و علم الأسطرلاب، و الزیج و الهندسة، و الهیئة، و علم الأرتماطیقی، و علم المزاول، و علم الأعمال الرصیدیة، و علم المواید الثلاثة و هی الحیوان و النبات و المعادن، و علم استنباط المیاه، و علاج البواسیر، و علم التشریح، و علاج لسع العقرب، و تاریخ العرب و العجم.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۰۸

و ممن تولی التدریس فیه الفخر البلبیسی الضریر أستاذ القراءات و إمام الأزهر، و تولی ابن حجر خطابة الأزهر حینا آخر.

علی أنه یوجد مع ذلک فی أنباء العصر ما یدل علی أن الأزهر کان خلال هذه الحقبة یحتفظ بمکانته الخاصة؛ یعاونه فی ذلک اتساع حلقاته و أروقته، و تنوع دراساته، و هیبته القدیمة، و ما یلاقیه الطلاب فیه من أسباب التیسیر فی الدراسة و أحیانا فی الإقامة. و قد غدا الأزهر منذ أواخر القرن السابع أی مذ عفت معاهد بغداد و قرطبة، کعبة الأساتذة و الطلاب من سائر انحاء العالم الاسلامی، و غدا أعظم مرکز للدراسات الإسلامیة العامة.

و منذ القرن الثامن الهجری أخذ یتبوأ الأزهر فی مصر و فی العالم الإسلامی نوعا من الزعامة الفکریة و الثقافیة. و فی أنباء هذا القرن ما یدل علی أن الأزهر کان یتمتع فی ظل دولة السلاطین برعایة خاصة، و کان الأکابر من علمائه یتمتعون بالجاه و النفوذ، و یشغلون وظائف القضاء العلیا، و یستأثرون بمراکز التوجیه و الإرشاد. و کان هذا النفوذ یصل أحیانا إلی التأثیر فی سیاسة الدولة العلیا، و أحیانا فی مصایر العرش و السلطان.

و ربما کانت هذه الفترة فی الواقع هی عصر الأزهر الذهبی من حیث الإنتاج العلمی الممتاز، و من حیث تبوؤه لمرکز الزعامة و النفوذ.

و فی أواخر القرن التاسع أخذت الحرکة الأدبیة فی مصر الإسلامیة فی الاضمحلال و ذلک تبعا لاضمحلال الدولة المصریة و المجتمع المصری. و کانت دولة السلاطین قد شاخت و أخذت تسیر نحو الانهیار بخطی سریعة، و تصدع بناء المجتمع المصری و أخذ فی الانحلال و التفکک؛ و اضطربت أحوال المعاهد و المدارس المصریة و تضاءلت مواردها، و فقدت کثیرا مما کانت تتمتع به من رعایة السلاطین و الأمراء؛ و أصاب الأزهر ما أصاب المعاهد الأخری من الذبول و الرکود. و لم یمض قلیل علی ذلک حتی وقعت المأساة المروعة فانهارت الدولة المصریة، و فقدت مصر استقلالها التالد و سقطت صریعة الغزو العثمانی سنة ۹۲۲ ه (۱۵۱۷ م).

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۰۹

جلال الدین السیوطی

ترجم الشیخ لنفسه ترجمة و جیزة فی کتابه (حسن المحاضرة) قال عن والده: هو الشیخ کمال الدین أبو المناقب السیوطی، الذی توفی و سن ولده جلال الدین ستة أعوام. و قد تأثر الولد بسیرة أبیه میتا أکثر مما کان یتأثر بها حیا.

اشتغل ببلده أسیوط و تولی القضاء قبل قدومه إلی القاهرة، و هذا یدلنا علی أن مدرسة العلم فی هذه الحقبة لم تکن قاصرة علی الأزهر و إنما کانت فی کثیر من عواصم البلاد. کما هو الحال الآن، ثم ذکر لنا کیف کانت أحوال أبیه بعد قدومه إلی القاهرة. حیث درس علی کبار الشیوخ علوم الفقه و الأصول و الکلام و النحو و الإعراب و المعانی و المنطق و الحدیث، ثم یقول (و أتقن علوما جمة)، و برع فی کل فنونه. و أقر له کل من رآه فی صناعة الإنشاء و أذعن له فیه أهل عصره کافة. بل کان شیخنا قاضی القضاة شرف الدین المناوی فی أوقات الحوادث یسأله فی إنشاء خطبة تلیق بذلک لیخطب بها فی القلعة .. ثم یقول عن والده من الناحیة الخلقیة:

و کان علی جانب عظیم من الدین و التحری فی الأحکام و عزة النفس و الصیانة، یغلب علیه حب الانفراد و عدم الاجتماع بالناس.

ثم عدد تآلیفه فقال:

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۱۰

«و له من التصانیف حاشیة علی شرح الألفیة لابن المصنف.

و حاشیة علی شرح العضد کتب منها یسیرا، و رسالة فی الإعراب و أجوبة علی اعتراضات ابن المقری علی الحاوی و له کتاب فی التصریف، و آخر فی التوقیع».

هذه خلاصة وافیة لما کتبه الشیخ جلال فی ترجمة والده، و قد أسلفت أنه ترکه بالموت و هو فی سن السادسة. فکیف- و هذه هی الحال- کتب ترجمة أبیه المتوفی، و کیف تأثر بحیاته؟

إنه لم يشاهد من حالات والده إلا حالة واحدة ساعده على مشاهدتها أنه كان يقوم بها فی منزله، أما غيرها فلم يشاهده فيها. هذه الحالة هی التی حدثنا عنها بقوله:

«... مواظبا علی قراءة القرآن، يختم كل جمعة ختمة، و لم أعرف من أحواله شيئا بالمشاهدة إلا هذا».

و قد وجد عند والده كل آثاره العلمية و الأدبية فحببه ذلك فی الانقطاع لطلب العلم و الأدب.

بيئة جلال الدين العلمية هی بيئة الأزهر الشريف بكل خصائصها الحقبة التی انتسب فيها جلال الدين إلی الأزهر هی منتصف القرن التاسع الهجری. و كان فی الأزهر فی ذلك الوقت قد قطع فی بعثه الجديد أشواطا فإنه بعد أن عطله عن الحياة حسا و معنی- السلطان صلاح الدين الأيوبی، ليزيل بذلك كل أثر للفاطميين. و استبدل به مدارس تدرس فيها المذاهب الأربعة- بعد هذا جاء عهد السلطان الظاهر بيبرس من ملوك الجراكسة، فقد ولی هذا السلطان ملك مصر عام ۶۵۸ هجرية و كان- أول ما عنی به من الشؤون- بعث الأزهر بعثا جديدا بترميمه بعد التهدمة، و بإعداده ليكون معهدا علميا تدرس فيه العلوم الدينية، كما تدرس فيه العلوم العقلية مثل (المنطق- آداب البحث و المناظرة) أما علوم التاريخ و الجبر و المقابلة و الإنشاء و الأدب، فلم يكن لها نظام معين تدرس

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۱۱

به، فقد تدرس و قد لا تدرس، و إذا رغبها طالب لم يرغب فيها طلبة.

لم يكن هناك مناهج و لا أوقات تضبط الدروس و تحدد أوقاتها. كما أن الطلبة كانوا أحرارا فی كل شیء: فی العلم الذی يختارونه. و فی الشيخ الذی يحضرون عليه، هذه الحرية فی التحصيل هی التی مكنت الرعيل الذی كان فيه السيوطی من الإجادة و الإتقان و التبحر فی مختلف أنواع العلوم و الفنون فكانوا أعلاما نابهين. أمثال السيوطی، و العز بن عبد السلام، و القرافی، و ابن هشام و السبكی و أبناؤه، و زكريا الأنصاری و غيرهم:

كما كان الزهد فی المال، طابعا للطلبة يقول العلامة ابن دقيق العيد:

لعمری لقد قاسيت بالفقر شدةوقعت بها فی حيرة و شتات

فإن بحت بالشكوی هتكت مروءتیو إن لم أبح بالصبر خفت مماتی

و أعظم به من نازل بملمةيزيل حيائی أو يزيل حياتی

و تحدث السيوطی عن قوة حافظته فقال:

«فحفظت القرآن ولی دون ثمان سنين. ثم حفظت العمدة و منهاج الفقه و الأصول و ألفية ابن مالك» حفظ كل هذه المحفوظات قبل أن ينقطع إلی طلب العلم بالأزهر كما حدثنا.

و تحدث عن تبحره فی العلوم و تعمقه فی فهمها.

«و رزقت التبحر فی سبعة علوم: التفسير، و الحديث، و الفقه، و النحو، و المعانی، و البيان، و البديع ... و الذی اعتقده أن الذی وصلت إليه من هذه العلوم السبعة- سوی الفقه- و النقول التی اطلعت عليها فيها

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۱۲

لم يصل إليه، و لا وقف عليه أحد من أشياخی، فضلا عمن هو دونهم ... و لو شئت أن أكتب فی كل مسألة مصنفا بأقوالها و أدلتها العقلية و القياسية، و مداركها و نقوضها و أجوبتها، و الموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت علی ذلك من فضل اللّه ...».

و يقول أيضا: «و قد كملت عندی آلات الاجتهاد بحمد اللّه تعالی».

ثم يقول فی مقدمة كتابه (المزهر فی علوم اللغة).

«هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه، و اخترعت تنويعه و تبويبه. و ذلك فی علوم اللغة و شروط أدائها و سماعها، حاكيت به علوم الأحاديث فی التقاسيم و الأنواع، و أثبت فيه بعجائب و غرائب حسنة الإبداع، و قد كان كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك، و يعتنی

فی تمهیدها ببیان المسالک، غیر أن المجموع لم یسبقنی إلیه سابق، و لا طرق سبیله قبلی طارق».

هذا ما کتبه الشیخ متفرقا فی ترجمته لنفسه، و فی مقدمات بعض کتبه.

و یقول السیوطی- «و قد بلغت مؤلفاتی للآن ثلثمائة کتاب سوی ما غسلته و رجعت عنه».

و من هذا العدد الکبیر نعرف أنه کان سریع الکتابة إلی حد کبیر، و هو فی ذلک یشبه إمامنا الجاحظ فی السرعة لا فی إشراق الأسلوب، و لا فی متانة التعبیر، و لا فی إجادة الإنشاء.

إن الثلثمائة کتاب التی ألفها السیوطی تدور فی مدار العلوم الآتیة کما ذکرها هو بتعبیراته:

۱- فن التفسیر و تعلقاته و القراءات.

۲- فن الحدیث و تعلقاته.

۳- فن الفقه و تعلقاته.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۱۳

۴- الأجزاء المفردة (و هی المؤلفات التی یتناول کل منها مسألة واحدة).

۵- فن العربیة و تعلقاته.

۶- فن الأصول و البیان و التصوف.

۷- فن التاریخ و الأدب.

هل درس السیوطی کل هذه العلوم فی الأزهر؟ اذا صح أنه درس التفسیر و الحدیث و الأصول و اللغة العربیة و بقیة ما عرف من العلوم الأزهریة فی وقته، فهل درس أیضا التاریخ و الأدب علی الصورة التی رسمها لنا فی تعداد الکتب التی ألفها، أنه لم یترک طبقة من الطبقات إلا- ألف فیها کتابا: (الصحابة- الحفاظ- النحاة کبری و وسطی و صغری- المفسرین- الأصولیین- الکتاب- الشعراء- الخلفاء).

کما أنه الف فی التاریخ العام و الخاص و الرحلات کتبا کثیرة مثل (حسن المحاضرة- رفع الباس عن بنی العباس- یاقوت الشماریخ فی علم التاریخ- رفع شأن الحبشان ... الرحلة الدمیاطیة).

فهل درس الطبقات و التاریخ و کتب اللغة و الأدب فی الأزهر فأهلته المدارسة لیؤلف فیها بهذه الغزارة کما ألف فی العلوم الأزهریة؟

ان السیوطی کانت له صوفیة علمیة تجعله یدرس التاریخ و السیر و المغازی علی نفسه، و لم یکن فی الأزهر حلقات لمثل هذه العلوم.

لقد شبهت جلال الدین السیوطی بالجاحظ فی سرعة الأداء و الکتابة، و لکننی فرقت بینهما من حیث طلاوة الأسلوب، و إشراق الدیباجة. و الآن أشبه مرة أخری السیوطی بالجاحظ فی کثرة الاطلاع و متنوع الدراسات، فلقد کان الجاحظ یستأجر دکاکین الوراقین لیطلع علی ما فیها من کتب و ربما کان یقضی فیها اللیالی بأکملها لنهمه فی القراءة و الاطلاع. و کذلک الشیخ السیوطی فإنه لم یترک کتابا فی زمانه إلا قرأه و استفاد به.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۱۴

و قد کانت له رحلات، و لکنه لم یکشف لنا عن الدافع إلیها، فقد قال فی ترجمته.

«و سافرت بحمد اللّه تعالی إلی بلاد الشام و الحجاز و الیمن و الهند و المغرب و التکرور» و هی رحلات بعضها شاق طویل، و أی رحلة أبعد من الهند؟ و أی متاعب أقسی فی زمنه من الجمع بین الرحیل إلی الشام و الحجاز و الیمن و الهند و الغرب و التکرور؟ إنه طوف فی ذلک بأکثر اجزاء نصف الکرة الشرقی.

و قد ولد السیوطی عام ۸۴۹ و انتقل الی رحمة اللّه عام ۹۱۱ هجریة.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۱۵

الفصل السابع الأزهر فى عهد الدولة العثمانيّة ۹۲۳- ۱۲۲۰ ه

تمهيد:

خضعت مصر للحكم العثمانى خضوعا تاما منذ عام ۹۲۳، و استمرت ولاية عثمانية إلى أن وضع محمد على يده عليها عام ۱۲۲۰ ه، و كان يتولى الحكم فيها الوالى التركى و مساعدوه، و يسنده الجيش و المماليك.

الحركة العلمية فى الأزهر:

فى أواخر القرن التاسع أخذت الحركة العلمية فى مصر الإسلامية تضمحل، و كانت دولة السلاطين هى الأخرى فى طريقها إلى الإنهيار، و اضطربت أحوال المجتمع و تفككت عراه، و أصاب المدارس الركود، و أصاب الأزهر ما أصاب المعاهد الأخرى من الذبول، و فقدت مصر استقلالها، و سقطت فى يد الأتراك العثمانيين سنة ۹۲۲ ه (۱۵۱۷ م) و تقلص ظل الازدهار العلمى، و انصرف كثير عن العلوم العقلية و الفلسفة و الرياضة و الجغرافيا، و أخذ القول بحرمتها يقوى شيئا فشيئا، حتى تركت هذه العلوم من الأزهر، و بقيت مهجورة ينظر إليها بعين السخط، حتى صدرت أخيرا فتوى من شيخ الأزهر الشيخ الإنبابى و الشيخ محمد محمد البنا المفتى بجواز تعلمها و عدم حرمة تدريسها.

و فى الحق أن الفتح العثمانى قضى على مظاهر النشاط الفكرى التى كانت مزدهرة فى عهد السلاطين. فقد عنى الغزاة الأتراك عقب الفتح

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۱۶

مباشرة بتجريد مصر الإسلامية من ذخائرها النفيسة فى الآثار و الكتب، و حمل كل ذلك الى القسطنطينية، و قد قبض الغزاة على العلماء الأعلام و الزعماء و قادة الفكر و بعثوا بهم جميعا إلى تركيا، و هكذا انهار صرح الحركة الفكرية الإسلامية، و تضاءل شأن العلوم و الفنون، و انحط معيار الثقافة، بعد أن كانت مصر موئل الثقافة و محط العلماء بعد سقوط بغداد على أيدى المغول، و انقضاء البقية الباقية من سلطان المسلمين فى الأندلس. بعد أن وجد العلماء من المماليك ما أملوا، و وجد الإسلام فيهم حماة يقفون له كما وقف الأيوبيون من قبل، و كان ردهم للمغول فى موقعة عين جالوت على يد قطز حدثا تاريخيا حفظ الحضارة الإسلامية من معاول التتر، و رفع شأن مصر، و جعلها مهبط الثقافة الإسلامية، و الأمينة على تراث الإسلام منذ ذلك التاريخ حتى اليوم.

و قد كان الفضل فى ذلك للأزهر. فقد اتسع صدره للواردين من العلماء و الطلاب فى كافة البلاد، و مكن لهم من الدراسة الهادئة و البحث المنظم مما أفاد الحضارة الإنسانية بأجزل الفوائد، بما أخرجوا من فرائد الكتب فى الفقه و الحديث و التفسير و اللغة.

و إذا كان الأزهر قد انطوى على نفسه فى العصر التركى و ذوت آثاره العلمية، فقد استطاع بما له من نفوذ فى نفوس العامة و الخاصة أن يحمل العناصر الاستعمارية على احترام مكانته و على اللجوء إليه فى الملمات، و كان يتوسط فيما ينشب بينهم و بين المصريين من خلاف، و استطاع الأزهر فى هذه الحقبة المظلمة من تاريخه أن يحفظ اللغة العربية، و أن يقاوم لغة الفاتحين، و أن يبقى بابه مفتوحا لطلاب العلوم الإسلامية و اللغة العربية مدى ثلاثة قرون، حتى انزاح عن صدره الكابوس التركى، و بدأ النور يبزغ من جديد فى أوائل القرن التاسع عشر يحمل فى طياته الأمل .. و قد تميز العصر التركى فى مصر بفتور الهمم عن التأليف و التدوين، و انصراف المؤرخين عن تناول الشؤون العامة و الأمور النافعة إلى ملق الحكام و الأكابر، و تدوين سيرهم الشخصية. و أما العلماء فقد استكانوا إلى الراحة

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۱۷

و ظنوا أنه لا مطمع لهم فى الاجتهاد، فأقفلوا أبوابه و رضوا بالتقليد و عكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم، و ابتعدوا عن الناس،

فجهلوا الحیاة و جهلهم الناس، و جهلوا طرق التفکیر الحدیثة و طرق البحث الحدیث، و ما جد فی الحیاة من علم، و ما جد فیها من مذاهب و آراء، فأعرض الناس عنهم، و نقموا هم علی الناس، فلم یؤدوا الواجب الدینی الذی خصصوا أنفسهم له.

و لما فترت همة المتأخرین من العلماء عن التألیف. عمدوا الی مصنفات السلف الصالح رضوان اللّه علیهم و شرحوها، ثم عمدوا إلی الشرح فشرحوها، و سموا ذلک حاشیة، ثم عمدوا الی الحواشی فشرحوها و سموا ذلک تقریرا، فتحصل عندهم متن هو أصل المصنف، و شرح، و شرح شرح، و شرح شرح الشرح، و کانت النتیجة أن تطرق الإبهام الی المعانی الأصلیة، و اضطربت المباحث، و اختلت التراکیب، و تعقدت العبارات، و اختفی مراد المصنف.

و ورث الأزهر من هذا التعقید العنایة بالمناقشة اللفظیة، و تتبع کلمات المؤلفین فی المصنفات و الشروح و الحواشی و التقاریر، و تغلبت هذه العنایة اللفظیة علی الروح العلمیة الموضوعیة، و صرفت الذهن عن الفکرة الأصلیة الی ما یتصل بها من ألفاظ و عبارات.

و اتجه العلماء إلی الاشتغال بالفروض و الاحتمالات العقلیة التی لا تقع و ما یتصل بها من أحکام، و علی الأخص فی العبادات و المعاملات، و بدأوا یصنفون الرسائل فی هذه الفروض و الاحتمالات؛ و بذلک انصرفوا عن تنمیة الفقه العملی الذی یحتاج إلیه الناس فی معاملاتهم.

و انصرف الأزهر فی هذه الحقبة المظلمة عن دراسة العلوم الریاضیة و العقلیة، و وجد فیه من ینادی بتحریمها؛ و هکذا بدت بوادر الانحلال فی الأزهر، و انقطعت صلته بماضیه الزاهر، و وقفت حرکة التفکیر العلمی،

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۱۸

و کادت هذه المدرسة الاسلامیة الکبری أن تفقد ممیزاتها، من حریة الفکر و الإنتاج الخصب، لو لا أن قیض اللّه لها مصلحین أخذوا بیدها، و جنبوها عواقب هذه الآفات و العلل حتی تجمعت فیها، و أثرت فی مجری حیاتها.

لقد نفی العثمانیون العلماء المصریین إلی القسطنطینیة ؛ و انتزعوا الکتب من المساجد و المدارس و المجموعات الخاصة لیودعوها مکتبات العاصمة الترکیة. و ما زالت منها إلی الیوم بقیة کبیرة فی مکتبات استانبول، و منها مؤلفات خطیة لکثیر من أعلام القرن التاسع الهجری المصریین مثل المقریزی، و السیوطی، و السخاوی، و ابن إیاس، مما یندر وجوده بمصر صاحبة هذا التراث العلمی.

و هکذا انهار صرح الحرکة الفکریة فی مصر عقب الفتح الترکی، کما انهارت عناصر القوة و الحیاة فی المجتمع المصری، و تضاءل شأن العلوم و الآداب، و انحط معیار الثقافة، و اختفی جیل العلماء الأعلام الذین حفلت بهم العصور السالفة، و لم یبق من الحرکة الفکریة الزاهرة التی أظلتها دولة السلاطین المصریة سوی آثار دارسة، یبدو شعاعها الضئیل من وقت إلی آخر.

و قد أصاب الأزهر ما أصاب الحرکة الفکریة کلها من الانحلال و التدهور، و اختفی من حلقاته کثیر من العلوم التی کانت زاهرة به من قبل، حتی إن العلوم الریاضیة. لم تکن تدرس به فی أواخر القرن الثانی عشر، و قد لاحظ ذلک الوزیر أحمد باشا والی مصر سنة ۱۱۶۱ ه (۱۷۴۸ م)، فی نقاشه للشیخ عبد اللّه الشبراوی شیخ الأزهر یومئذ و أنکره فی حدیث أورده الجبرتی ، مما یدل علی ما آلت الیه أحوال الدراسة بالأزهر خلال العصر الترکی من التأخر و الرکود.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۱۹

علی أن الجامع الأزهر- کما یقول عنان- قام عندئذ بأعظم و أسمی مهمة أتیح له أن یقوم بها. فقد استطاع خلال المحنة الشاملة أن یستبقی شیئا من مکانته، و أن یؤثر بماضیه التالد و هیبته القدیمة فی نفوس الغزاة انفسهم، فنجد الفاتح الترکی یتبرک بالصلاة فیه غیر مرة ، و نجد الغزاة یبتعدون عن کل مساس به، و یحلونه مکانا خاصا، و یحاولون استغلال نفوذ علمائه کلما حدث اضطراب أو ثورة داخلیة. و فی خلال ذلک صار الأزهر ملاذا أخیرا لعلوم الدین و اللغة، و غدا بنوع خاص معقلا حصینا للغة العربیة، یحتفظ فی أروقته بکثیر من قوتها و حیویتها، و یدرأ عنها عادیة التدهور النهائی، و یمکنها من مغالبة لغة الفاتحین و مقاومتها، وردها عن التغلغل فی المجتمع المصری .

و هكذا استطاع الأزهر فى تلك الأحقاب المظلمة أن يسدى إلى اللغة العربية أجل الخدمات. و إذا كانت مصر قد لبثت خلال العصر التركى ملاذا لطلاب العلوم الاسلامية و اللغة العربية من سائر أنحاء العالم

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۲۰

العربى و العالم الإسلامى، فأكبر الفضل فى ذلك عائد إلى الأزهر. و قد استطاعت مصر لحسن الطالع بفضل أزهرها ان تحمى هذا التراث نحو ثلاثة قرون، حتى انقضى العصر التركى بمحنه و ظلماته، و قيض لها أن تبدأ منذ اوائل القرن التاسع عشر حياة جديدة بمازجها النور و الأمل

و ربما كانت هذه المهمة السامية التى ألقى القدر زمامها الى الجامع الأزهر فى تلك الأوقات العصيبة من حياة الأمة المصرية، و العالم الإسلامى بأسره، هى أعظم ما أدى الأزهر من رسالته، و أعظم ما وفق لإسدائه لعلوم الدين و اللغة خلال تاريخه الطويل الحافل.

نصيب الأزهر من التعمير فى هذا العصر:

فى عام ۱۰۰۴ ه أيام ولاية الشريف محمد باشا على عمر الأزهر، و جدد ما خرب منه، و رتب فيه غذاء للفقراء.

و فى عام ۱۰۱۴ عمر الوزير حسن والى مصر مقام السادة الحنفية أحسن عمارة و بلطة بالبلاط الجيد، و قد تولى مصر من عام ۱۰۱۴- ۱۰۱۶ ه.

و جدد اسماعيل بن إيواظ سقف الجامع الأزهر الذى كان آيلا للسقوط، و قد مات اسماعيل عام ۱۱۳۶ ه و من آثاره إنشاء مسجد سيدى إبراهيم الدسوقى و مسجد سيدى على المليجى.

و أنشأ الأمير عبد الرحمن كتخدا مقصورة فى الأزهر مقدار النصف طولا و عرضا يشتمل على خمسين عمودا من الرخام تحمل مثلها من البوائك المقوصرة المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت و سقف أعلاها بالخشب النقى، و بنى به محرابا جديدا، و أنشأ به منبرا و أنشأ له بابا عظيما جهة حارة كتامة المعروف بالدوداري و هو المشهور اليوم بباب الصعايدة و بنى بأعلاه مكتبا بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن الشريف و جعل بداخله رحبة متسعة و صهريجا عظيما و سقاية للشرب، و عمل لنفسه مدفنا بتلك الرحبة و جعل

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۲۱

عليه قبة معقودة و تركيبة من رخام بديعة الصنعة منقوش عليها اسماء العشرة المبشرين بالجنة و كتابات أخرى .. و قد توفى الامير عبد الرحمن كتخدا عام ۱۱۹۰ ه :.

و بنى أمام المدفن المذكور رواقا مخصوصا بمجاورى الصعايدة المنقطعين لطلب العلم الشريف بالأزهر، و به مرافق و منافع و مطبخ و مخادع و خزائن كتب و بنى بجانب ذلك الباب منارة، و أنشأ بابا آخر جهة مطبخ الجامع و هو المشهور بباب الشوربة، و جعل أيضا على يمينه منارة، و جعل فوقه مكتبا و بداخله على يمين الداخل ميضأة، و أنشأ لها ساقية، و صار الان محل الميضة حجرة مكتبة إدارة الأزهر، و قد جاء هذا الباب الكبير و ما بداخله من الطيبرسية و الاقبغاوية من أحسن المبانى فى العظم و الوجاهة و الفخامة و أرخ بعضهم ذلك بهذه الأبيات:

تبارك اللّه باب الأزهر انفتحاو عاد أحسن مما كان و انصلحا

تقر عينا إذا شاهدت بهجتهبإخلاص بأن له للعلم و الصلحا

و ادخل على أدب تلق الهداة بهقد قرروا حكما يزدانها رجحا

بالباب قد بدأ الأكوان أرخهبعبد رحمن باب الأزهر انفتحا

و جدد رواقا للمكاويين و التكروريين و زاد فى مرتبات الجامع، و رتب لمطبخه فى خصوص أيام رمضان فى كل يوم خمسة أرادب

أرزا أبيض و قنطارا من السمن و لحوما و غير ذلك من المرتبات و الزيت و الوقود للطبخ، و زاد فی طعام المجاورين.

و لما مات هذا الأمير عام ۱۱۹۰ ه صلی عليه فی الأزهر، و دفن فی مدفنه الذی أعده لنفسه فيه.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۲۲

و قد حدثت فی الأزهر فی هذا العهد عدة حوادث مختلفة .. فلما توفی ثانی شيخ للأزهر و هو الشيخ النشرتی وقعت فتنة بالأزهر عام ۱۱۲۰ ه بسبب المشيخة و التدريس بالاقبغاوية و افترق المجاورون فرقتين فرقة تريد الشيخ أحمد النفراوی و الأخری تريد الشيخ عبد الباقی القلينی و لم يكن حاضرا بمصر، فتعصب له جماعة النشرتی، و ارسلوا يستعجلونه للحضور فقبل حضوره تصدر الشيخ النفراوی و حضر للتدريس بالاقبغاوية فمنعه القاطنون بها و حضر القلينی فانضم اليه جماعة النشرتی و تعصبوا له فحضر جماعة النفراوی الی الجامع ليلا و معهم بنادق و أسلحة و ضربوا بالبنادق فی الجامع و أخرجوا جماعة القلينی و كسروا باب الاقبغاوية و أجلسوا النفراوی مكان النشرتی، فاجتمعت جماعة القلينی فی يومها بعد العصر و كبسوا الجامع و اقفلوا ابوابه و تضاربوا مع جماعة النفراوی فقتلوا منهم نحو العشرة و جرح بينهم جرحی كثيرون و انتهبت الخزائن و كسرت القناديل و حضر الوالی فأخرج القتلی و تفرق المجاورون و لم يبق بالجامع أحد و لم يصل فيه ذلك اليوم و أمر النفراوی بلزوم بيته و استقر القلينی مكانه.

و لما قربت وفاة شيخ الاسلام الشيخ الدمنهوری الشيخ التاسع للأزهر رغب الشيخ العريشی الحنفی فی المشيخة اذ هی اعظم مناصب العلماء فحضر الی الجامع مع ابراهيم بك و جمع الفقهاء و المشايخ و عرفهم أن الشيخ الدمنهوری أقامه وكيلا و بعد أيام توفی الشيخ الدمنهوری فتعين هو للمشيخة بتلك الطريقة و ساعده الأمراء و كبراء الأشياخ و أبو الأنور السادات و كاد أمره يتم، و منع من ذلك اجتماع بعض الشافعية و ذهابهم إلی الشيخ أحمد الجوهری حيث ساروا إلی بيت البكری و جمعوا عليهم جملة من أكابر الشافعية مثل الشيخ احمد العروسی و الشيخ أحمد السمنودی و الشيخ حسن الكفراوی، و كتبوا طلبا للأمراء مضمونه أن مشيخة الأزهر من مناصب الشافعية و ليس للحنفية فيها قديم عهد و خصوصا إذا كان آفاقيا كالشيخ عبد الرحمن العريشی و فی العلماء الشافعية من هو أهل لذلك

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۲۳

علما وتنا و انهم اتفقوا علی ان يكون المتعين لذلك الشيخ احمد العروسی، و ختموا جميعا علی الطلب و أرسلوه إلی إبراهيم بك و مراد بك فتوقف الأمراء و شددوا فی عدم النقض ورد الطلب للمشايخ فقاموا علی ساق، و شدد الشيخ الجوهری فی ذلك و ركبوا بأجمعهم إلی جامع الامام الشافعی و باتوا به ليلة الجمعة، فهرعت الناس ينظرون فيما يؤول اليه هذا الأمر و كان للأمراء اعتقاد فی الشيخ الجوهری، فسعی أكثرهم فی انفاذ غرضه و خافوا العطب أو ثوران فتنة و حضر مراد بك للزيارة، فكلمه الشيخ الجوهری و قال له لا بد من فروة تلبسها للشيخ العروسی و يكون شيخا علی الشافعية و ذاك شيخ علی الحنفية كما أن الشيخ الدرديری شيخ المالكية و البلد بلد الامام الشافعی و قد جئنا اليه و هو يأمرك بذلك فان خالفت يخشی عليك فاحضر فروة و ألبسها للشيخ العروسی و ذهب العروسی الی بيته و أخذ شأنه فی الظهور و احتد العريشی لذلك و ذهب إلی السادات و الأمراء فألبسوه فروة و تفاقم الأمر و صاروا حزبين، و تعصب للعريشی طائفة الشوام و المغاربة و منعوا الطائفة الأخری من دخول الجامع و استمر الامر نحو سبعة أشهر إلی وقوع حادثة بين الشوام و الأتراك و احتد الامراء للجنسية و اكدوا فی طلب الفصل فی الامر و تصدی العريشی للذب عن الشوام، فانطلقت عليه الألسن و انحرف عليه الأمراء و طلبوه فاختفی فعزلوه عن الافتاء و حضر الأغا و صحبته العروسی للقبض علی الشوام ففروا فاغلقوا رواقهم و سمروه أياما، ثم اصطلحوا و ثبتت مشيخة العروسی و امر العريشی بلزوم بيته فاختلی بنفسه للعبادة و مرض من الحزن و توفی سنة ۱۱۹۳ ه رحم اللّه الجميع ...

و فی غرة رمضان سنة ۱۱۹۹ ثار فقراء المجاورين و القاطنون بالأزهر و أقفلوا أبوابه و منعوا منه الصلوات و كان ذلك يوم جمعة فلم يصل فيه ذلك اليوم و كذلك اغلقوا المسجد الحسينی و خرج العميان و المجاورون يسيرون فی الأسواق و يخطفون ما يجدونه من

الخبز و غیره، و سبب ذلک قطع رواتبهم و اخبازهم المعتادة، و استمروا علی ذلک حتی حضر سلیم اغا بعد

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۲۴

العشاء فی المدرسة الأشرفیة و أرسل إلی مشایخ الأروقة و تکلم معهم و التزم لهم بإجراء رواتبهم ... و فی سنة ۱۲۰۰ ه قطعت أخبازهم و مرتباتهم و فعلوا مثل ذلک و حضر إلیهم سلیم أغا مثل الأول و التزم و لم یوف، فضجت المجاورون فوق المنارات فحضر و نجز لهم بعض المرتبات مدة، ثم انقطع ثم التزم و تکرر الغلق و الفتح مرارا عدیدة مع منع المرتبات و إجرائها.

و فی أول جمعة من جمادی الأولی سنة ۱۲۰۰ ه ثار جماعة من أهالی الحسینیة بسبب ما حصل من حسین بک بشفت فإنه تسلط علی هجم البیوت فرکب بجنده إلی الحسینیة و هجم علی دار أحمد سالم الجزار المتولی ریاسة دراویش الشیخ البیومی و نهبه حتی حلی النساء و الفرش، فحضر أهل الحسینیة إلی الجامع الأزهر و معهم طبول و انضم الیهم کثیر من العامة و بأیدیهم نبابیت و مساوق، و ذهبوا الی الشیخ الدردیر فساعدهم بالکلام، و قال لهم أنا معکم فخرجوا من نواحی الجامع و أقفلوا أبوابه و صعد منهم طائفة علی المنارات یصیحون و یدقون بالطبول و انتشروا بالأسواق فی حالة منکرة و أغلقوا الحوانیت، و قال لهم الشیخ الدردیر: فی غدا نجمع أهالی الأطراف و الحارات و بولاق و مصر القدیمة و نرکب معهم و ننهب بیوتهم کما ینهبون بیوتنا و نموت شهداء أو ینصرنا اللّه علیهم، فلما کان بعد المغرب حضر سلیم أغا و محمد کتخدا الجلفی کتخدا إبراهیم بک و جلسوا فی الغوریة، ثم ذهبوا الی الشیخ الدردیر و تکلموا معه و خافوا من تضاعف الحال و قالوا اکتبوا لنا قائمة بالمنهوبات و نأتی بها من محل ما تکون و قرءوا الفاتحة علی ذلک و انصرفوا، و رکب الشیخ إلی إبراهیم بک و أرسل إلی حسین‌بک و أحضره و کلمه فی ذلک فقال: کلنا نهابون أنت تنهب و مراد بک ینهب و أنا أنهب ثم انفض المجلس و هدأت القضیة.

و بعد حادثة أهل الحسینیة السابقة بأیام قلیلة تعصب مجاورو الصعایدة فی الأزهر و أبطلوا دروس المدرسین به بسبب نهب سلیمان بک الأغا سفینة لهم فیها تمر و سمن مدعیا أن له مالا متأخرا عند أولاد وافی فی الصعید و أن ذلک

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۲۵

مالهم، و لیس کذلک بل هو مال مجاوری الصعایدة، فرکب الشیخ الدردیر و الشیخ العروسی و الشیخ المصیلحی و آخرون إلی إبراهیم بک و تکلموا معه بحضوة سلیمان بک کلاما کثیرا مفحما، فرد سلیمان بک بعض ما أخذه.

و قد حدثت حوادث أیام مشیخة الشیخ الشرقاوی، منها أن طائفة المجاورین بالأزهر من الشرقاویین کانوا قاطنین بالطبیرسیة و کانت لهم خزائن برواق معمر فوقع بینهم و بین أهل الطبیرسیة مشاجرة و ضربوا نقیب الرواق و منعهم شیخ الطبیرسیة منها و کان ذلک سببا لبناء رواق السراقوة.

و منها فی سنة ۱۲۰۹ ه حضر أهل قریة بشرقیة بلبیس، و ذکروا أن أتباع محمد بک الألفی ظلموهم و طلبوا منهم مالا لا قدرة لهم علیه، فاغتاظ الشیخ الشرقاوی من ذلک و حضر إلی الأزهر و جمع المشایخ و قفلوا ابواب الجامع و ذلک بعد أن خاطب مراد بک و إبراهیم بک و لم یبدیا شیئا، و أمر الشیخ الناس بغلق الأسواق و الحوانیت ثم رکبوا ثانی یوم إلی بیت السادات و تبعهم کثیر من العامة و ازدحموا أمام الباب و البرکة، بحیث یراهم إبراهیم بک، فأرسل لهم أیوب بیک الدفتردار فوقف بین أیدیهم و سألهم عن مرادهم فقالوا نرید العدل و إبطال الحوادث و المکوسات التی ابتدعتموها، فقال لا تمکن الإجابة إلی هذا کله فإنا إن فعلنا ذلک لضاقت علینا المعایش، فقالوا لیس هذا بعذر عند اللّه و ما الباعث علی الإکثار من النفقات و المماریک و الأمیر یکون أمیرا بالإعطاء لا بالأخذ، فقال حتی أبلغ و انصرف و انفض المجلس و رکب المشایخ إلی الجامع الأزهر، و اجتمع أهل الأطراف و باتوا به، فبعث مراد بک یقول أجیبکم إلی جمیع ما ذکرتموه إلا شیئین: دیوان بولاق و طلبکم المتأخر من الجامکیة، ثم طلب أربعة من المشایخ عینهم بأسمائهم فذهبوا إلیه بالجیزة فلاطفهم و التمس منهم السعی فی الصلح، و فی الیوم الثلث اجتمع الأمراء و المشایخ فی بیت إبراهیم بک و فیهم الشیخ الشرقاوی و انعقد الصلح علی رفع المظالم ما عدا دیوان بولاق و أن یکفوا أتابعهم عن مد أیدیهم إلی أموال الناس

و یسیروا فی الناس سیرة حسنة، و کتب القاضی حجة بذلک

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۲۶

و وقع علیها الباشا و الأمراء و انجلت الفتنة، و فرح الناس نحو شهر، ثم عاد الحال إلی أصله.

و یذکر ابن إیاس أن السلطان سلیم شاه العثمانی دخل الجامع الأزهر یوم الجمعة سنة ۹۲۳ ه فصلی به الجمعة و تصدق هناک بمبلغ کبیر ..

وزار الأزهر الشریف السلطان الأعظم عبد العزیز خان، و قد حظی بکثیر من خیرات ملوک آل عثمان.

الأزهر و الحرکة العلمیة فی هذا العهد:

نبغ من هذا العصر عدد کبیر من العلماء و الأدباء و الشعراء، منهم:

الشهاب الخفاجی المتوفی ۱۰۶۹ ه، و البدیعی المتوفی عام ۱۰۷۳ ه، و عبد القادر البغدادی المتوفی عام ۱۰۹۳ ه صاحب خزانة الأدب، و السید مرتضی الزبیدی (۱۱۴۵- ۱۲۰۵ ه) مؤلف تاج العروس، و الصبان المتوفی عام ۱۲۰۶ ه.

و منهم المحبی (۱۰۶۱- ۱۱۱۱ ه) مؤلف خلاصة الأثر فی أعیان القرن الحادی عشر، و الشعرانی المتصوف المتوفی عام ۹۷۳ ه، و عبد اللّه الشبراوی المتوفی عام ۱۱۷۲ ه، و سواهم.

و هؤلاء کانوا من غیر شک ممن أفادوا من الأزهر، و تأثروا به.

و فی هذا العهد استمر الأزهر مدی القرون الثلاثة التی حکم العثمانیون فیها مصر، یجاهد لحفظ البقیة الباقیة من اللغة العربیة و العلوم القرآنیة التی أصبحت فی حال ذبول أو شبه جفاف، و کان له الفضل علی کل حال فی الإبقاء علی حشاشة هذا التراث الإسلامی، لقد صار الأزهر أشهر الجوامع فی التدریس علی الإطلاق. و قصده طلاب العلم من کل ناحیة حتی ترکستان و الهند و زیلع و سنار. و لکل طائفة منهم رواق باسمهم کرواق الشوام أو المغاربة أو العجم، أو الزیالعة، أو الیمنیة أو الهندیة، فضلا عن أروقة الصعید.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۲۷

و بلغ عدد تلامیذ الأزهر فی أوائل القرن التاسع للهجرة- أی نحو عام ۸۱۸ ه- ۷۵۰ طالبا من طوائف مختلفة، و کانوا مقیمین فی الجامع و معهم صنادیقهم و خزائنهم یتعلمون فیه فی الفقه و الحدیث و النحو و المنطق، و زادوا فی عصر العثمانیین علی ذلک زیادة کبیرة.

و فی کتاب التعلیم العام فی مصر ما یفید أن العلوم التی کانت تدرس غالبا بالأزهر حتی منتصف القرن التاسع الهجری (الخامس عشر المیلادی) هی الآداب و الفقه التوحید.

و کانت تدرس أحیانا بصفة استثنائیة علوم الفلک، و العلوم الریاضیة، و العلوم الطبیعیة، و التجریبیة، إجمالا.

و اشتدت المنافسة الفکریة التی کانت بین المذاهب فی الأزهر، و التی أدت إلی ظهور المذهب الشافعی علی سائر المذاهب، حیث نری منذ هذا الوقت المذاهب کلها تدرس سویا بالأزهر، إلا أن المشیخة کانت فی الغالب للشافعیین. و المنافسة کما یدلنا التاریخ کانت شدیدة علی هذا المنصب، و کانت فی أکثر الأوقات تدور بین المذهبین الشافعی و الحنفی، و المذهب الحنفی کان غالبا مذهب الأمراء و الولاة من الأکراد و المالیک و الأتراک. و لا زلنا للآن نجد المذهب الحنفی فی صف السلطة القضائیة فی هیئة الحکم، فعلیه تسیر المحاکم الشرعیة فی قضائها. و یری الأستاذ «فولر» أن وجود جدث الامام الشافعی الطاهر فی مسجده المنیف، و کذلک سلطانه الروحی فی نفوس الأهالی، مما ساعدا علی کثرة أتباعه. و قد یکون هذا صحیحا، و الواقع أن مرجع هذه المنافسة یعود إلی خلاف فی طبیعة المذهبین.

و مهما یکن من أمر فالأزهر فی کل عصوره حتی حکم محمد علی کان مرکز التعلیم الذی تدور حوله الحرکة العلمیة فی البلاد، و

لهذا المركز الممتاز أدت هذه الجامعة خدمتين من أجل الخدمات التى لها أثرها الواضح فى حياة مصر الاجتماعية و السياسية عامة: الأولى عمله على نشر

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۲۸

اللغة العربية و توطيدها بالبلاد المصرية، و شد أزرها ضد اللغة القومية التى غزاها الإسلام بلغته العربية العريقة. و الثانية دعم أسس الديانة الإسلامية و وقوفها تسند الإسلام بكل ما انبعث فيها من المجهودات العقلية و الروحية.

و الخطة التى انتهجها الأزهر تتلخص فى أنه بعد زوال الدولة الفاطمية و عمل صلاح الدين على إبادة آثارها، أدخلت المذاهب الأربعة فى الأزهر و صارت سواسية فى التدريس فيه، و كان لكل مذهب شيخ، و له مطلق السلطة على الأساتذة و الطلاب الدين ينضمون تحت لواء مذهبه.

و كان من آثار الأزهر فوق هذا أن جعل لمصر مكانة ممتازة و سلطانا أدبيا على شعوب الشرق، و أصبحت البلاد الشرقية تنظر إلى مصر نظرة الحائر إلى الهادى المرشد. و تعترف لها بالفضل و العلم.

و كان التعليم فيه على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى يبدأ التلميذ فيها بتعلم الهجاء و القراءة و الكتابة و يحفظ ما تيسر من القرآن عن ظهر قلب ليكون هذا الجزء المادة التى يستطيع أن يطبق التلميذ فيها عمليا ما أخذ من المعلومات النظرية فى تعلمه قواعد الهجاء و الكتابة، فيطالب التلميذ بكتابة هذا الجزء و قراءته، ثم ينتقل من هذا الجزء إلى غيره كتابة و قراءة و حفظا حتى يتم القرآن و هذه أول مراحل التعليم، و يكون التلميذ فيها قد تعلم القراءة و الكتابة و تستغرق هذه المرحلة من سنتين إلى ثلاث.

ثم ينتقل إلى المرحلة الثانية و يظل تحت إشراف أستاذه، يعطيه دروسا فى القراءة و الكتابة، و موضوعات إنشائية سهلة تتدرج فيها من السهولة إلى الصعوبة، متمشيا فى ذلك مع النمو العقلى للتلميذ، و يكون التلميذ فى هذه السن على أبواب دور المراهقة و كل ما استفاده من هذه البرامج تحصيله للقرآن الشريف، فالتلميذ يستطيع أن يستغل ما حفظه منه فى تعمير حياته الروحية، و تلاوته تكون سلواه و أنيسه، و يتخير من الآيات ما يتفق و نفسه فيستعملها فى دعائه و عبادته و صلاته كل يوم، و تكون قواه

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۲۹

العقلية بهذا التمرين قد نشطت بوجه ما، و يكون لسانه قد تقوم و اكتسب اللهجة العربية الفصحى .. و أظهر ما يبدو فى هذا الأسلوب التعليمى أنه لا يبدأ بتعليم القواعد و التعاريف و الكليات فى اللغة إلا بعد أن يكون التلميذ قد تذوق هذه اللغة بنفسه، و تكونت فى عقله ملكة و ذوق.

و أغلب المتعلمين كانوا يقفون عند هذا الحد، و يتخرجون فى سن الثانية عشرة، و بعضهم كان يخطو إلى المرحلة الثالثة، يدرسون فيها علوم الدين من فقه و حديث و توحيد الخ، و فى الأحوال الاستثنائية كان بعض الأفراد يدرسون العلوم الطبيعية و الرياضية.

و المتخرج ما كان يحصل على شهادة يعترف بها رسميا، و إنما كان يعتمد على مجهوده الشخصى و شهرته و كفاءته فى إلزام الناس بالاعتراف بوجوده و منزلته، و كان لا يتصدر للتدريس إلا من مارس الفنون المتداولة بالأزهر، و تلقاها من أفواه المشايخ، و صار متأهلا للتصدر، حلّالا للمشكلات و معضلات المسائل، فلا يحتاج لاستئذان إلا على جهة الأدب و البركة، و إنما يعلم بعض المشايخ و الطلبة فيحضرون درسه، و يتراكمون عليه، و هو يتأنق فى الابتداء و يتهالك فى طريق الإغراب و التوغل و قد يتعصب عليه بعض الحاضرين و يتعنت، و البعض الآخر ينتصر له، و إذا تلعثم فى إجابته لسائل ربما أقاموه و منعوه من التصدر، و إذا عاند ربما ضربوه.

و لم يكن للأزهر شيخ منذ أن أنشىء إلى القرن العاشر، و إنما كان يتولاه الملوك و الأمراء الذين كانوا يهتمون بشأنه و يكرمون أهله، حتى إذا كان القرن الحادى عشر الهجرى جعل للأزهر شيخ، و مما يجمل ذكره أن شيخ الأزهر كان بمثابة شيخ الإسلام فى دار الخلافة، فكان يقوم بشؤون الأزهر و يرعى أمور أهله و يفصل فى قضاياهم و يضبط مرتباتهم، و يمثلهم لدى الحكومة، و منوط به إقامة شعائر الدين فى أنحاء القطر قاطبة.

و أول من تولى المشيخة- كما قاله الجبرتى- هو الإمام محمد بن

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۳۰

عبد اللّه الخرشى المالكى، و قد توفى سنة ۱۱۰۱ ه، و تولى بعده الشيخ محمد النشرتى و توفى سنة ۱۱۲۰ ه، و جاء بعده الشيخ عبد الباقى المالكى القلينى، فلما مات تقلد بعده الشيخ محمد شنن المالكى المتوفى سنة ۱۱۳۳ ه؛ ثم تولى بعده الشيخ إبراهيم ابن موسى الفيومى المالكى المتوفى سنة ۱۱۳۷ ه، ثم تولى بعده الشيخ إبراهيم الشبراوى الشافعى و توفى سنة ۱۱۷۱ ه، فتولى المشيخة بعده الشيخ الحفنى المتوفى سنة ۱۱۸۱ ه، ثم تولى المشيخة بعده الشيخ عبد الرؤوف السجينى و توفى سنة ۱۱۸۲ ه، ثم تولى بعده الشيخ أحمد الدمنهورى المذاهبى و توفى بمنزله ببولاق سنة ۱۱۹۲ ه، و بعد وفاته حصل نزاع فى تولى المشيخة بين الشيخين عبد الرحمن بن عمر العريشى الحنفى و أحمد العروسى الشافعى مدة سبعة أشهر، ثم آلت إلى الثانى و توفى سنة ۱۲۰۸ ه، فانتقلت المشيخة إلى الشيخ عبد اللّه الشهير بالشرقاوى و هو الذى أنشأ رواق الشراقوة، و قد دخل الفرنسيون مصر فى أيامه و انتخبوه عضوا فى الديوانين: العمومى و الخصوصى.

الأزهر و تاريخنا القومى:

قاد الأزهر ثورتين هامتين تعتبران من أسبق الثورات الدستورية العالمية، إحداهما كانت بقيادة أكبر علماء ذلك العصر و هو الإمام أحمد الدردير، و الأخرى بقيادة شيخ الأزهر فى ذلك الوقت الشيخ عبد اللّه الشرقاوى رحمهما اللّه تعالى.

فالثورة الاولى سبقت إشارة لها و خلاصتها أنه فى يوم من أيام ربيع الأول عام ۱۲۰۰ ه (يناير عام ۱۷۸۶ م) نهب حسين بك شفت و جنوده دارا لشخص يدعى أحمد سالم الجزار بالحسينية جهارا نهارا ظلما و عدوانا. فثارت ثائرة الأهالى، و تشاوروا فيما يجب عليهم أن يفعلوه و اتفقوا أخيرا على الالتجاء إلى أقوى العلماء شخصية و أوسعهم نفوذا، و هو الإمام الدردير، فاجتمع الأهالى فى اليوم التالى للحادث و يمموا شطر

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۳۱

الجامع الأزهر و قصدوا الشيخ و أخبروه بالواقعة، فغضب الشيخ لاستهتار الأمراء و تعسفهم و نادى فى الجماهير غير هياب و لا وجل: أنا معكم، و غدا نجمع أهالى الأطراف و الحارات و بولاق و مصر القديمة و أركب معكم و ننهب بيوتهم كما نهبوا بيوتنا و نموت شهداء أو ينصرنا اللّه عليهم و أمر الشيخ بدق الطبول على المنارات إيذانا بالاستعداد للقتال، و ترامت الأخبار بين الأهالى، فأسرعوا نحو الأزهر للاشتراك فى المعركة، و كانت أخبار الجماهير الهائجة قد وصلت إلى إبراهيم بك، و بلغه تصميم الإمام الدردير على قيادة الشعب ضد الأمراء، و كان يعلم مقدار ما للشيخ من نفوذ و مكانة على الأهالى، فخشى أن يستفحل الأمر و يؤدى إلى ضياع سلطته فى مصر، فأرسل نائبه و معه أحد الأمراء إلى الإمام الدردير و اعتذر له عما حدث، و وعد بأن يكف أيدى الأمراء عن الناس. كما قرر توبيخ حسن بك شفت على صنيعه و طلب قائمة بجميع ما نهبه ليأمره برد ذلك إلى صاحبه، و هكذا وضع الامام قاعدة دستورية هامة و هى احترام الحكم لارادة المحكومين .

و الثورة الثانية تتلخص كما تقدم فى أنه فى شهر ذى الحجة عام (۱۲۰۹ ه- ۱۷۹۵ م) اشتكى فلاحو قرية من قرى بلبيس إلى الشيخ عبد اللّه الشرقاوى من ظلم محمد بك الألفى و رجاله، فبلغ الشيخ الشرقاوى الشكوى إلى كل من مراد و إبراهيم بك، و خاطبهما فى كف أذى محمد بك الألفى عن الفلاحين فلم يفعلا شيئا، فما كان من الشيخ الشرقاوى رحمه اللّه تعالى إلا أن عقد اجتماعا فى الأزهر حضره العلماء و تشاوروا فى الأمر فاستقر رأيهم على مقاومة الامراء بالقوة حتى يجيبوا مطالبهم، و قرروا إغلاق أبواب الجامع الأزهر، و أمروا الناس بغلق الأسواق و الحوانيت استعدادا للقتال.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۳۲

و فى اليوم التالى: ركب الشيخ الشرقاوى و معه العلماء و تبعهم الجماهير و سار الجميع الى منزل الشيخ السادات يستشيرونه فى بدء المعركة، و كان قصر ابراهيم بك قريبا من قصر الشيخ السادات، فراعه احتشاد الجماهير هناك، و علم باجتماع العلماء عند الشيخ السادات، فبادر بارسال أيوب بك الدفتردار ليسأل عن مرادهم.

فقالوا له: نريد العدل و رفع الظلم و الجور و إقامة الشرع و إبطال الحوادث و المكوسات التى ابتدعتموها و أحدثتموها.

فأجابهم قائلا: لا يمكن الإجابة إلى هذا كله فإننا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش و النفقات. فقالوا له: هذا ليس بعذر عند اللّه و لا عند الناس، و ما الباعث على الاكثار من النفقات و شراء المماليك، و الأمير يكون اميرا بالاعطاء لا بالأخذ!.

فقال لهم: حتى أبلغ و انصرف و لم يعد لهم بجواب.

صمم العلماء فى هذا المجلس على أن يخوضوا المعركة مع الأمراء، فإما ان يستشهدوا أو ينالوا حقوق الشعب كاملة. و أعلنوا أهالى القاهرة بعزمهم. فتقاطرت الجماهير صوب الأزهر و باتوا هم و العلماء داخل المسجد و حوله.

هال إبراهيم بك ما بلغه من احتشاد الشعب و مرابطته مع العلماء استعدادا للقتال. فأرسل الى العلماء يعتذر إليهم و يبرىء نفسه ملقيا التبعة على شريكه فى الحكم مراد بك، بل ذهب الى أبعد من هذا إذ يقول «أنا معكم و هذه الأمور على غير خاطرى و مرادى»، و أرسل مراد بك يستحثه لعمل شىء و يخيفه عاقبة الثورة التى توشك ان تنفجر.

و فى اليوم الثالث للثورة توجه والى مصر إلى منزل إبراهيم بك و اجتمع مع أمراء المماليك و قرروا إيجاد حل سريع حاسم قبل ان يفلت الزمام فتشتعل الثورة، و أرسلوا إلى العلماء ليحضروا الاجتماع، فحضر الشيخ السادات و السيد عمر مكرم و الشيخ الشرقاوى و الشيخ البكرى

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۳۳

و الشيخ الأمير و طال الحديث بينهم، و كان مداره حول حقوق الشعب، و لم يستطع ابراهيم بك و لا مراد بك و لا الأمراء المكابرة فى هذه المرة، فقد كانت القاهرة تغلى كالمرجل و كانت أشبه ببركان يوشك أن يثور، و كان الشعب المتكتل فى الخارج يلوح مهددا متوعدا، و انتهى هذا المجلس التاريخى بموافقة الأمراء و الوالى على القرارات الآتية:

أولا: لا تفرض ضريبة الا إذا أقرها مندوبو الشعب.

ثانيا: أن ينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم.

ثالثا: ألا تمتد يد ذى سلطان إلى فرد من أفراد الأمة إلا بالحق و الشرع.

و كان القاضى الشرعى حاضر فحرر (حجة) تضمنت هذه القرارات وقع عليها الوالى، و ختم عليها إبراهيم بك و أرسلها إلى مراد بك فختم عليها أيضا و انحلت الأزمة. و رجع العلماء يحيط بكل منهم موكب من الأهالى و هم ينادون: حسب مارسمه سادتنا العلماء بأن جميع المظالم و الحوادث و المكوس بطالة من مملكة الديار المصرية.

و لو تأملنا فى هذا النص الذى ساقه مؤرخ مصر الجبرتى و دققنا النظر فى قوله «حسب ما رسمه سادتنا العلماء» لوجدنا أن هذه العبارة الظاهرة تحمل مبدأ دستوريا هائلا: و هو أن الأمة مصدر السلطات.

و قد توافق رأى أكثر المؤرخين الفرنجة على ان هذه الحجة بمثابة و ثيقة إعلان حقوق الانسان، سبقت بها مصر غيرها.

و قد طبق و كلاء الشعب و يمثلهم العلماء و الأعيان هذا المبدأ- مبدأ الأمة مصدر السلطات- على والى مصر خورشيد باشا، حين عجز عن ضبط الأمن فى البلاد، إذ عقدوا مؤتمرا وطنيا يوم ۱۳ صفر عام ۱۲۲۰ ه، و قرروا عزل الوالى. و لما رفض الاذعان لهذا القرار قام العلماء و الأعيان و الشعب بتنفيذ قرار الأمة بالقوة و دارت رحا الحرب بينهم

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۳۴

و بين الوالى، و كانت الأوامر خلال المعركة تصدر باسم السيد عمر مكرم و العلماء بصفتهم و كلاء الأمة، و أجبروه أخيرا على

الاذعان لقرار الأمة فی ۲۹ جمادی الأولی عام ۱۲۲۰ ه.

هـذا و قـد سـجل التاریخ للعلماء السابقین مواقف مجیدة فی الدفاع عن حقوق الشـعب نذکر منهم الإمام شـمس الدین محمد الحنفی المتوفی ی عام ۸۴۷ ه، و الشیخ شـمس الدین الدیروطی الواعظ بالأزهر الشریف و المتوفی عام ۹۲۱ ه، و شـیخ الاسلام الامام محمد بن سالم الحنفی المتوفی عام ۱۱۸۱ ه.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۳۵

الشهاب الخفاجی المصری ۹۷۵- ۱۰۶۹ ه

والده هو محمد بن عمر الخفاجی المصری الشافعی احد علماء عصره، و أعلام دهره.

و کان من الفضـلاء و الأدباء البارعین، المتعمقین المحققین المتقنین، و أخـذ عن کبار الشـیوخ، و تصـدر للإفادة، فانتفع به جماعة من کبار العلماء، من جملتهم ابنه الشاعر العلامة الشهاب الخفاجی صاحب طراز المجالس و سواه من المؤلفات القیمة.

و توفی الخفاجی عام ۱۰۱۹ ه بعد حیاة حافلة، و خدمات جلیلة أسداها للعلم و الدین و الأدب و اللغة .

أما الشهاب الخفاجی :

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۳۶

فمجال الحدیث عنه واسع، و المراجع التاریخیة و الأدبیة عنه و عن حیاته و شعره کثیرة

و سأتناول جوانب هذه الشخصیة الکبیرة فی إیجاز:

یقول ابن معصوم فی «السلافة» عنه:

أحد الشـهب السـیارة، و المقتحم من بحر الفضل لجه و تیاره، فرع تهدل من خفاجة و فرد سلک سبیل البیان و مهد فجاجه ، إلی آخر ما یقول:

و یقول فندیک فی کتابه «اکتفاء المطبوع»:

و الخفاجی یرجع نسـبه إلی قبیلة «خفاجة»، و سـکن أبوه فی قطعة أرض بقرب سـریاقوس شـمالی القاهرة و هی قبیلة عربیة کبیرة کان لها دولة فی العراق و منها أمراء کثیرون.

و إذا فالشهاب یرجع فی نسبته إلی بنی خفاجة علی وجه التحقیق کما رأینا فی هذه المصادر و کما ورد فی سوی هذه المصادر.

و إذا کان المحبی فی خلاصـة الأثر لم یحقق هذه النسـبة و اکتفی بقوله: خفاجة هی من بنی عامر فلعل أصل والده منهم ، فذلک لأنه لم

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۳۷

یکن من علماء الأنساب و کانت حیاته بعیـدة عن الحجاز و نجـد و صـمیم القبائل العربیـة، و لم یکن من العرب الخلص، و غیر العرب الخلص لا یهتمون بالأنساب و معرفتها اهتماما کبیرا.

و الشهاب هو شهاب الدین محمود بن محمد بن عمر الخفاجی.

ترجم لنفسه فی الریحانـة فقـال مـا ننقله عنهـا فی إیجاز «کنت بعـد سن التمییز، فی مغرس طیب النبت عزیز، فی حجر و الـدی. و مقام والـدی غنی عن المـدح، فلما درجت من عشـی قرأت علی خالی سـیبویه زمانه علوم العربیـة ، و نافست إخوانی فی الجد و الطلب، ثم قرأت المعـانی و المنطق و بقیـة علوم الأـدب الاثنی عشـر و نظرت فی کتب المـذهبین: أبی حنیفـة و الشافعی. و من أجل من أخـذت عنهم: شـیخ الإسـلام ابن شـیخ الإسـلام الشـمس الرملی و أجازنی بجمیع مؤلفاته و مروایاته بروایته عن شـیخ الإسلام زکریا الأنصاری [توفی ۹۲۶ ه] و عن والده، و منهم أحمد العلقمی أخذت عنه الأدب و الشـعر، و العلامة الصالحی الشامی و الشیخ داود البصیر أخذت

عنه الطب»

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۳۸

ثم ارتحلت مع والدی للحرمین و قرأت هناک علی ابن جاد اللّه و علی حفید العصام و غیره.

ثم ارتحلت الی القسطنطینیة فتشرفت بمن فیها من الفضلاء و المصنفین و استفدت و تخرجت علیهم، و ممن أخذت عنه الریاضیات و قرأت علیه اقلیدس و غیره أستاذی ابن حسن، ثم انقرض هؤلاء العلماء فی مدة یسیرة فلم یبق بها عین و لا أثر و آل الامر إلی اجتراء السلاطین و الوزراء بقتل العلماء و إهانتهم. و لما عدت إلیها- أی القسطنطینیة- ثانیا بعدما و لیت قضاء العساکر بمصر رأیت تفاقم الأمر و غلبة الجهل فذکرت ذلک للوزیر فکان ذلک سبب عزلی و أمری بالخروج من تلک المدینة .

«فان أردت مالی من المآثر فمن تألیفی: الرسائل الأربعون، و حاشیة تفسیر القاضی فی مجلدات، و حاشیة شرح الفرائض، و شرح الدرة، و طراز المجالس، و حدیقة السحر، و کتاب السوائح، و الرحلة ، و حواشی الرضی، و الجامی، و شرح الشفاء و غیر ذلک: ولی من النظم ما هو مسطور فی دیوانی؛ و من المنثور رسائل منها: الفصول القصار و المقامة الرومیة التی ذکرت فیها أحوال الروم و علمائها ».

و للشهاب عدة مقامات نسج فیها علی منوال مقامات الحریری منها:

مقامة الغربة ، و المقامة الساسانیة ، و مقامة عارض بها مقامة

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۳۹

الوطواط ، و المقامة المغربیة .

«و له کتاب شفاء الغلیل فیما فی کلام العرب من الدخیل، و کتاب دیوان الأدب فی ذکر شعراء العرب ذکر فیه مشاهیر الشعراء من العرب العرباء و المولدین و له کتاب طراز المجالس و هو مجموع حسن الوضع جم الفائدة رتبه علی خمسین مجلسا ذکر فیه مباحث لغویة و نحویة و أصولیة و تفسیریة، و له رسائل کثیرة و مکاتبات وافرة لم یجمعها و مقامات ذکر بعضها فی ریحانته ».

«و کان لما وصل إلی الروم فی رحلته الأولی ولی القضاء ببلاد «الروم ایلی» حتی وصل إلی أعلی مناصبها فی زمن السلطان مراد حتی اشتهر بالفضل الباهر فولاه السلطان قضاء سلانیک فاستفاد مالا کثیرا ثم اعطی بعدها قضاء مصر و بعد ما عزل عنها رجع الی الروم فمر علی دمشق و أقام بها أیاما و مدحه فضلاؤها بالقصائد و اعتنی به أهلها و علماؤها، و دخل حلب إثر ذلک ثم رحل إلی الروم و کان إذ ذاک مفتیها یحیی بن زکریا فأعرض عنه فصنع مقامته التی ذکرها فی الریحانة و تعرض فیها للمولی المذکور فکان ذلک سبب نفیه الی مصر و أعطی قضاء فیها فاستقر بمصر یؤلف و یصنف و أخذ عنه جماعة اشتهروا بالفضل الباهر، منهم: عبد القادر و الحموی و أخذ عنه والدی و کتب عنه أصل الریحانة الذی سماه «خبایا الزوایا فیما فی الرجال من البقایا» ، «و أصل والده من سریاقوس قریة من قری الخانقاه» .

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۴۰

«و منی الشهاب بعداوة بعض شعراء عصره » «و توفی سنة ۱۰۶۹ ه- ۱۶۵۸ م» فی رمضان و عمره فوق التسعین ». و إذا یکون میلاده حوالی سنة ۹۷۵ ه.

مکانته العلمیة:

«الشهاب الخفاجی الحنفی قاضی القضاة المصری و صاحب التصانیف الکثیرة واحد الأفراد المجمع علی إمامته و تفروقه و براعته فی عصره ».

أجری من ینبوع الفضل ما أخجل بمصر نیلها و بالشام سیحانه، و أهدی لأرباب الأدب من ریاض أدبه أطیب ریحانه .

و کان أحد أفراد الدنیا المجمع علی تفوقه و کان فی عصره بدر سماء العلم و نیر أفق النثر و النظم رأس المؤلفین و رئیس المصنفین، سار ذکره مسیر المثل، و طلعت أخباره طلوع الشهب فی الفلک، و کل من رأیناه أو سمعنا به ممن أدرک وقته معترفون له بالتفرد فی التقریر و التحریر و حسن الإنشاء و لیس فیهم من یلحق شأوه و لا یدعی ذلک. و تآلیفه کثیرة مقبولة و انتشرت فی البلاد ورزق فیها سعادة عظیمة فإن الناس اشتغلوا بها، و أشعاره و منشآته مسلمة لا مجال للخدش فیها. و الحاصل أنه فاق کل من تقدمه فی کل فضیلة، و أتعب من یجیء بعده مع ما خوله اللّه من السعة و کثرة الکتب و لطف الطبع و النکتة و النادرة .

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۴۱

و هذا یغنینا عن کل کلام فی بیان منزلة الشهاب الخفاجی فی عصره و بعد عصره.

ثقافة الشهاب:

اما ثقافة الخفاجی الأدبیة فواسعة جدا تنبئنا عنها الریحانة و طراز المجالس أحد مؤلفاته و یدلنا علیها أیضا شعره و مقامته؛ و لقد کان الخفاجی متضلعا فی علوم اللغة و الأدب و البلاغة الی حد بعید.

و أما ثقافته الدینیة فقد أهلته لتولی عدة مناصب قضائیة عظیمة منها منصب قاضی القضاة المصری.

و أما ثقافته العامة الأخری فواسعة جدا کما تنبئنا عنها آثار الخفاجی و کما ذکر فی ترجمته لنفسه و کانت له مکتبة مشهورة، و ذکر بعضهم أنه وجد فی مخلفاته عشرة آلاف مجلد.

نثره: عاش الخفاجی فی آخر عصر المملیک حیث الملکات الأدبیة فی اضمحلال و فناء و الإنتاج الأدبی فی الشعر و النثر سقیم مرذول؛ و لکن الخفاجی مع هذا کله سلیم العبارة قوی الملکة حسن الأسلوب بلیغ الأداء یسیر کلامه مع الطبع و الذوق و لا تنبو عنه الإسماع و لا الأذواق فهو فی نثره:

رسائله و مقاماته و کتبه الأدبیة التی ألفها- زعیم عصره فی هذا المذهب الأدبی المطبوع المقبول البعید عن أثر الصنعة و التکلف أو الحوشیة و الإغراب أو السوقیة و الابتذال.

شعره: للخفاجی دیوان شعر مفقود ذکره فی الریحانة و قد عثرنا بعد ذلک علی نسخة خطیة منه بمکتبة الأزهر (بنمرة ۵۰۵ خصوصیة أدب) و له عدا ذلک شعر کثیر جدا ذکره فی کتابه الریحانة و فی کتابه طراز المجالس.

و له مقصورة فی مدح النبی صلوات اللّه علیه عارض بها مقصورة

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۴۲

ابن درید و قصائد أخری فی هذا المعنی ضمن مجموعة مخطوطة بدار الکتب (۷۶ مجامیع) و مقصورته فی مدح النبی عارض بها مقصورة زهیر ابن أبی سلمی ضمن ترجمة له و عدة أشیاء أخری من آثاره ألحقت بکتاب خبایا الزوایا المخطوط و روی المحبی فی خلاصة الأثر بعض شعره، قال: و من أجود شعره قصیدة دالیة مشهورة:

قدحت رعود البرق زنداأضرمن أشجانا و وجدا

فی فحمة الظلماء إذمدت علی الخضراء بردا

حتی تثاءب نورهو تمطت الأغصان قدا

و علی الغدیر مفاضةسردت له النسمات سردا

و حبابه من فوقهقد بات یلعب فیه نردا

فسقی معاهد بالحمیقد أنبتت حبا و ودا

تذر اللیالی فی ثریمن عنبر للمسک أهدی

عجبا لدر ناصع أودعن فی مسک مندی

فی ظل عیش ناعم بنسیم اسحار تردی

و الدهر عبد طائع أهدی لنا شرفا و سعدا

ما زال أصدق ناصح کم قال ل هزلا و جدا

سلم امرؤ عن طوره فی کل حال ما تعدی

فالخطب بحر زاخر فاصبر له جزرا و مدا

فی ذمة الأیام للأحرار دین قد یؤدی

إن ماطلت فلربما أنجز ن بعد المطل وعدا

فإذا رمی طأطیء له رأسا تراه عنک عدی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۴۳ أفبعد إخوانی الألی درجوا أخاف الیوم نقدا

عینی إذا استسقت بهم تسقی بدمع العین خدا

لو کانت القطرات تجمد نظمت فی الجید عقدا

قوم لهم یدعو الثنامن شاسع الأقطار وفدا

کم فی عکاظ ندیهم جلبوا لهم شکرا و حمدا

لا یشترون بذخرهم إلا جمیل الذکر نقدا

أبقی لهم حسن الحدیث برغم أنف الدهر خلدا

ورثوا المکارم کابرا عن کابر فرضا وردا

من کل طود شامخ متسربل برداه مجدا

أمست عیونا کلها ترنو إلی الأعداء حقدا

تلقی الوری بندیهم نکس العیون إذا تبدّی

لبس الجلال علی الجمال فصد عنه الطرف صدا

فهمو بسلطان التقی اتخذوا قلوب الناس جندا

أمسوا بغمد ضریحهم و بقیت مثل السیف فردا

ما لی أقیم ببلدة فیها بناء الدین هدا

و نها الشهاب إذا سمایخشی من السلطان طردا

و ستأتی نماذج صغیرة من شعره.

مؤلفات الخفاجی:

۱- الریحانة و اسمها «ریحانة الالبا و زهرة الحیاة الدنیا» و یقول فیها الشهاب ذخائر من «خبایا الزوایا فیما فی الرجال من البقایا» و قد سار علیها هذا الإسم أیضا .

و هی تراجم أدبیة واسعة لشعراء القرن الحادی عشر و أدبائه و علمائه فی مصر و الشام و الیمن و الحجاز و المغرب، قسمها عدة أقسام:

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۴۴

فالقسم الأول فی تراجم اهل الشام و نواحیها.

و القسم الثانی فی تراجم العصریین من أهل المغرب و ما والاها.

و القسم الثالث فی تراجم مکة و من بحماها ذکر فیه الدولة الحسینیة و من بها من بقیة العلماء و الشعراء و الأعیان.

و القسم الرابع فی ترجمة أهل الیمن ممن بلغه خبره فی هذا الزمان ممن بقی بها من الفضلاء و الشعراء و کان قریب العهد.

و القسم الخامس فی الترجمة لأدباء و علماء مصر.

و القسم السادس فی الترجمة لنفسه

و قد اثنی علیها کل العلماء و رجال الأدب و یقول فیها ابن معصوم:

«أهدی إلی من مکة المشرفة کتاب ریحانة الألبا تألیف العلامة النحریر. شهاب الدین الخفاجی و هو الشهاب الذی أضاء نور فضله فی هذا الزمن الداجی، فرأیته قد أجاد فیما ألف و تکفل بالمقصود و ما تکلف فللّه کتابه من ریحانة تنفست فی لیلها البارد و عطرت معاطس الإسماع بطیب نشرها الوارد حتی خاطبها کل کلف بالأدب راح لعرفها منتشقا الخ» .

«و قد بنی الخفاجی الریحانة علی التراجم و لکنه توسع فی تراجم الشعراء فشرح أقوالهم و نقد ما یستحق النقد منها و هو کتاب أدب و تاریخ جلیل الفائدة .

و قد ذیلها المحبی صاحب خلاصة الأثر م ۱۱۱۱ ه بکتاب سماه «نفحة الریحانة» و قد طبعت الریحانة فی مصر سنة ۱۲۹۴ ه فی ۳۲۸ صفحة و هذه الطبعة المذکورة هی التی نقلنا منها ما ذکرناه عن الشهاب ثم طبعت مرة أخری سنة ۱۳۰۶ ه فی ۴۳۲ صفحة.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۴۵

۲- حدیقة السحر أشار إلیه الشهاب فی الریحانة .

۳- الفصول القصار و أشار إلیه الشهاب فی الریحانة .

۴- الشهب السیارة .

۵- طراز المجالس کتاب أدب و لغة بناه علی خمسین مجلسا (أی درسا) بحث فیها کثیرا من موضوعات البلاغة و النقد و الأدب و اللغة و التفسیر و الحدیث و التاریخ و سواها و قد طبع فی القاهرة سنة ۱۲۸۴ و طبع بطنطا طبعة أخری و قد أشار إلیه الخفاجی فی الریحانة .

۶- خبایا الزوایا فیما فی الرجال من البقایا، و هو من کتب الأدب و لکنه متضمن تراجم من أهل عصره فیهم شیوخه و شیوخ ابنه و عددهم یزید علی سبعین و منه عدة نسخ خطیة بدار الکتب ؛ و هو خمسة أقسام و خاتمة: الأول فی رجال الشام و الثانی فی رجال الحجاز و الثالث فی رجال مصر و الرابع فی رجال المغرب و الخامس فی رجال الروم .

۷- شفاء الغلیل بما فی کلام العرب من الدخیل، صدره بمقدمة فی التعریب و شروطه ثم أورد الکلمات المعربة مرتبة علی حروف المعجم و بین أصلها فی لغاتها الأولی و کان یأتی بین هذه الألفاظ بکثیر من المحرف و المولد مع الإشارة الی أصلهما و الکتاب نافع عظیم الفائدة فی بابه و قد طبع الشفاء فی مصر سنة ۱۲۸۳ فی ۲۴۵ صفحة ثم طبعته دار الکتب أخیرا فی مجلد کبیر الحجم.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۴۶

۸- شرح درة الغواص فی أوهام الخواص و هو نقد شدید للحریری تعقبه فیه فی کل ما أورده فی «درة الغواص» ورد علیه بحجج و شواهد قویة. و قد طبع هذا الکتاب فی مطبعة الجواکب بالقسطنطینیة من مدة کبیرة .

۹- حاشیة الشهاب علی تفسیر البیضاوی سماها: «عنایة القاضی و کفایة الراضی علی تفسیر البیضاوی» طبعت فی ثمانیة أجزاء ببولاق سنة ۱۲۸۳ ه، فالجزء الأول و الثانی فی تفسیر البقرة، و الثالث و الرابع إلی آخر التوبة.

و الخامس و السادس إلی آخر الفرقان.

و السابع إلی آخر الزخرف

و الثامن هو نهاية هذا الكتاب.

و قد طبع بتصحيح الشيخ محمد الصباغ فی عهد الخديوی إسماعيل عام ۱۲۸۳ ه و فی آخر الجزء الثامن قصيدة للسيد عبد الهادی نجا تقريظا للكتاب.

و فی مقدمة الجزء الأول منه تقريظ للشيخ محمد الدمنهوری.

۱۰- و للخفاجی شرح للشفاء سماه «نسيم الرياض فی شرح شفاء القاضی عياض» و قد طبع فی أربعة أجزاء فی القسطنطينية سنة ۱۲۶۷ ه.

۱۱- و من مؤلفاته: كتاب الرحلة، و كتاب السوانح و كتاب حديقة السحر، و كتاب الرسائل الأربعون، و كتاب حاشية شرح الفرائض، و كتاب

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۴۷

حواشی الرضی و الجامی؛ مما ذكرناه سابقا.

۱۲- و للخفاجی ديوان شعر، و له عدة مقامات و رسائل أوردها فی الريحانة و قد ذكر جورجی زيدان أن فی الخزانة التيمورية نسخة من ديوان الشهاب فی نحو ۳۰۰ صفحة بخط المؤلف علی الأرجح.

و له قصائد مختلفة فی برلين و المكتبة الخديوية.

و له كتاب ريحانة النار أو ذوات الأمثال يتضمن كل بيت مثلا و هو فی باريس.

و قد ذكرنا أن له ابنا ترجم الشهاب لشيوخه فی كتابه خبايا الزوايا، و ليس لدی الآن شیء عن تاريخ ابنه و قد بقيت ذرية الشهاب فی شنوان حتی العصر الحديث، فقد جاء فی الخطط التوفيقية فی الكلام عن شنوان ما يأتی:

و من ذرية الشيخ شهاب الدين المتقدم ذكره عبد الفتاح افندی صبری (الخفاجی) تربی بالمهند سخانة الخديوية ثم نقل من هذه المدرسة فی أواخر سنة ۱۲۶۹ إلی آلای المهندسين للحصول علی التعليمات و الفنون الحربية ثم ترقی إلی ملازم ثانی بآلالای المذكور ثم نقل إلی هندسة الاستحكامات بقلعة القناطر و بلغ فيها رتبة اليوزباشی و الآن- أی سنة ۱۲۹۲ ه هو رئيس هندسة القناطر الخيرية برتبة صافول أغاشی.

و والده أصله من سرياقوس و كل ما أستنتجه من هذا أن أم الشهاب كانت من شنوان و هی إحدی قری المنوفية و أقام بأرض له بجوار

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۴۸

سرياقوس، و إن الشهاب كان له ذرية كبيرة بقيت إلی العصر الحديث.

و أخيرا فإن التراث العلمی و الأدبی للشهاب الخفاجی كبير ضخم و عظيم خالد و هو فی حاجة إلی البحث عنه و العناية به.

رحم اللّه الخفاجی و طيب ذكراه و أكرم مثواه فلقد خدم الدين و العلم و الأدب أجل الخدمات.

نماذج من شعره:

۱- أرح طرف عين جفاها الهجوعفإن عناء الجفون الدموع

حسيت كؤوس الهوی سحرؤو ساقی المنی لمرادی مطيع

إلی حين غابت نجوم الهدیفكان لها فی عذاری طلوع

تقنعت بالوصل من طيفهو كل محب لعمری قنوع

ولی عنده حاجة للهویو ليس لها غير ذلی شفيع

رهنت فؤادی علی حبهفما باله لفؤادی يضيع

تقیل المحاسن فی ظلهو ماء الحمال علیه یشیع

۲- قلت للندمان لمامزقوا برد الدیاجی

قتلتنا الراح صرفافاقتلوها بالمزاج

۳- و من شعره:

لا و غصن راق للطرف ورقو علیه حلل الظرف ورق

و شموس لم تغب عن ناظریو الشعور اللیل و الخد الشفق

و عیون حرمت نومی و ماحللت لی غیر دمعی و الأرق

و له أیضا:

ما احمرار الراح الا خجلمن رضاب سکرت منه الحدق

فجعلت أیام الوصال قصیرةو لبست لیلا للهموم طویلا

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۴۹

۵- و له :

سلا بانة الوادی لدی المنزل الرحبمتی فقدت غر المناقب من صحبی

فهل لی فی حماها نفحة عنبریةفقد استودعتها الریح من نفس الرکب

و هل بین أطلال الرسوم و نؤیهاحمائم بان فی الربی طیرت لبی

و هل من عهود قد تقضت بقیةیوفی بها حقی و یقضی بها نحبی

سقی اللّه عهدا للأحبة صیبامن الطرف تغنیه عن الوابل السکب

و هیف غصون جادها هاطل الغنیفتنبت أوراقا من الشجر القضب

و کل خلیل رقرق الود صافیافکل ملام فی محبته یصبی

أصدق فیه الظن من ضنتی بهعلی کل شیء قد عرفت سوی قلبی

و ما ذاک من سوء الفعال جبلةفکم جاء سوء الظن من شدة الحب

و بعد فشعر الخفاجی کثیر و قوی الأسلوب واضح المعنی کثیر ألوان الخیال ینم عن ثقافة صاحبه و عقلیته و شخصیته؛ و الخفاجی و لا شک بین شعراء القرن الحادی عشر الهجری زعیم الشعر و الشعراء.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۵۱

الفصل الثامن الأزهر بعد الحکم العثمانی

الأزهر و الغزو الفرنسی لمصر:

بعد دخول نابلیون بونابرت القاهرة جمع العلماء و طلب الیهم اختیار عشرة مشایخ لتألیف دیوان منهم، فوقع اختیارهم علی هؤلاء المشایخ العشرة: عبد اللّه الشرقاوی، خلیل البکری، مصطفی الصاوی، سلیمان الفیومی، محمد المهدی الکبیر، موسی السرسی، مصطفی الدمنهوری، أحمد العریشی، یوسف الشبراخیتی، محمد الدواخلی، ثم اختار هؤلاء رئیسا لهم الشیخ الشرقاوی، و احتفل بونابرت بافتتاح الدیوان و أکرم أعضاءه، و أمر المصورین بأخذ صورة کل منهم علی حدة. و هذه الصور ما تزال محفوظة فی معرض فرسای، و هو أول دیوان وطنی، و یعتبر فاتحة السلطة النیابیة الانتخابیة.

و فی ثورة القاهرة علی الفرنسیین ضرب الأزهر بالمدافع، و تتابع الرمی من القلعة و تلال البرقیة حتی تزعزعت الأرکان و هدمت حیطان الدور، فرکب المشایخ إلی کبیر الفرنسیین لیرفع عنهم هذا النازل و یکف عسکره عن الرمی، فعاتبهم فی التقصیر فاعتذروا إلیه، فقبل عذرهم و رفع عنهم الرمی و قاموا من عنده ینادون بالأمان فی المسالک و الطرقات.

و بعد الحادثة السابقة ثارت فتنة بین أهل الحسینیة و العطوف و بین الإفرنج و تراموا، و لم یزل الرمی بین الطائفتین حتی فرغ من الطائفة الأولی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۵۲

البارود، فأثخنهم الفرنج بالرمی المتتابع، و بعد هجعة من اللیل دخل الفرنج المدینة و مروا فی الأزقة و الشوارع و هدموا ما وجدوا من المتاریس و انتشروا فی الطرقات و تراسلوا رجالا و رکبانا. ثم دخلوا الجامع الأزهر راکبین علی خیولهم و تفرقوا بصحنه و مقصورته و ربطوا خیولهم بقبلته و عاثوا بالأروقة و کسروا القنادیل و السهارات و هشموا خزائن الطلبة و نهبوا أمتعتهم و دشتوا الکتب و المصاحف و طرحوها علی الأرض و داسوها بأرجلهم و نعالهم، و بالوا علیها و تغوطوا فیه، و جردوا کل من وجدوه به و أخرجوهم و أصبحوا مصطفین بباب الجامع، و کل من حضر للصلاة یراهم فیکر راجعا، و نهبوا بعض الدور التی بالقرب من الجامع، و خرج سکان تلک الجهة یهرعون للنجاة بأنفسهم، و انتهکت حرمة تلک البقعة بعد أن کانت أشرف البقاع، و بقی الأمر کذلک یومین قتل فیهما خلائق لا تحصی، و نهبت أموال لا تستقصی، فرکب المشایخ بإجمعهم و ذهبوا الی بیت سر عسکر الفرنساویة و طلبوا منه الأمان، فوعدهم مع التسویف، و طلب منهم بیانا بمن تسبب فی إثارة الفتنة من المعممین فغالطوه، فقال لهم علی لسان الترجمان نحن نعرفهم بالواحد، فرجوه فی إخراج العسکر من الجامع الأزهر، فأجابهم لذلک و أمر بخروجهم و أسکن منهم نحو السبعین فی الخطة، ثم فحصوا عن المتهمین، فطلبوا الشیخ سلیمان الجوسقی شیخ طائفة العمیان، و الشیخ أحمد الشرقاوی، و الشیخ عبد الوهاب الشبروای، و الشیخ یوسف المصیلحی، و الشیخ إسماعیل البراوی، و حبسوهم ببیت البکری، ثم رکب الشیخ السادات و المشایخ إلی بیت سر عسکر و تشفعوا فی المسجونین، فقیل لهم: لا تستعجلوا، و بعد أیام حضر جماعة من عسکر الفرنسیین إلی بیت البکری نصف اللیل و طلبوا المشایخ المحبوسین عند سر عسکر لیتحدث معهم، فذهبوا بهم إلی بیت قائمقام بدرب الجمامیز و هناک جردوهم من ثیابهم و طلعوا بهم إلی القلعة فسجنوهم إلی الصباح، ثم أخرجوهم و قتلوهم بالبنادق و ألقوهم خلف القلعة.

و لما توجه بونابرت إلی الشام بعد استیلائه علی مصر؛ استولی علی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۵۳

مدینة العریش و غزة و خان یونس و ورد الخبر الی مصر، فعمل الفرنساویون حصارا و ضربوا عدة مدافع من القلعة و الأزبکیة و حضر عدة منهم راکبین الخیول و بعضهم مشاة و علی بعضهم عمائم بیض و معهم نفیر ینفخون فیه، و بیدهم بیارق کانت عند المسلمین بقلعة العریش إلی أن وصلوا إلی الجامع الأزهر و اصطفوا ببابه رجالا و رکبانا و طلبوا الشیخ الشرقاوی شیخ الجامع الأزهر، و أمروه برفع تلک البیارق علی منارات الجامع الأزهر، فنصبوا بیرقین ملونین علی المنارة الکبیر ذات الهلالین و علی منارة أخری بیرقا و ضربوا عدة مدافع بهجة و سرورا، و کان ذلک لیلة عید الفطر و عند الغروب ضربوا مدافع إعلاما بالعید.

و فی افتتاح محرم سنة ۱۲۱۵ ه وقعت حادثة عجیبة و هی أن سر عسکر الفرنساویة کلیبیر کان واقفا فی بستان داره بالأزبکیة و فی صحبته أحد خواصه فدخل شخص یوهم أن له حاجة و ضربه بخنجر فشق بطنه و فر هاربا، ففتشوا علیه حتی أخرجوه من بئر فوجدوه شامیا، فسألوه فخلط فی کلامه فعاقبوه و حرقوا یدیه بالنار فقال لهم لا تظلموا أهل مصر فأنا من جملة جماعة بعنا أنفسنا للموت و اتفقنا علی قتل رؤسائکم فقیل له أین کنت تأوی فقال عند فلان و فلان برواق الشوام بالأزهر و لا یدرون حالی فأحضروا الشیخ الشرقاوی و العریشی و ألزموهما بإحضار الذین کان یأوی الیهم و هم أربعة ثم رکبوا إلی الأزهر و صحبتهم أغوات الانکشاریة و قبضوا علی ثلاثة و لم یجدوا الرابع ثم أخذوا المقتول و ألبسوه برنیطة، و وضعوا معه الخنجر الذی قتل به و حملوه علی عربة إلی تل

العقارب حیث القلعة التی بنوها هناک و ضربوا له المدافع و احضروا القاتل و ضربوا رقاب الشوام الثلاثة المظلومین و حرقوا جثثهم و رفعوا رؤوسهم علی خوازیق ثم وضعوا قتیلهم فی تخشیبة وضعوا عندها عسکرا یتناوبون لیلا و نهارا و خلفه منو و اظهر أنه أسلم و تسمی بعبد اللّه، و حضر قائمقام و الأغا الی الازهر و شقوا فیه و فی أروقته و أرادوا نبش اماکن للتفتیش علی السلاح و اخذ المجاورون فی نقل أمتعتهم و إخلاء الأروقة و نقلوا کتب الوقف، ثم أنهم کتبوا أسماء

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۵۴

المجاورین فی قائمة و أمروهم أن لا یأووا آفاقیا مطلقا و أخرجوا منه الأتراک بالکلیة، و فی الیوم نفسه توجه الشیخ الشرقاوی و المهدی و الصاوی إلی عسکر منو، و استأذنوه فی قفل الجامع و تسمیره فتکلم بعض القبط و قال هذا لا یصح فحنق علیه الشیخ الشرقاوی و قال ارترکونا یا قبط و اکفونا شر دسائسکم و قصد الشیخ منع الریبة فإنه ربما دسوا من یبیت به و احتجوا بذلک علی إنجاز أغراضهم و لا یمکن الاحتراس من ذلک لکثرة أبواب الجامع و اتساع زواویاه، فأذنوا لهم بذلک و سمروا أبوابه و کذا سمروا مدرسة محمد بک المقابلة له و أخرجوا منها الاتراک و استمرت الشدة و الازعاج إلی أن أخذ الفرنساویون فی الجلاء من الدیار المصریة .. و فی غایة محرم سنة ۱۲۱۶ ه فتح الجامع الأزهر و کذلک المدرسة و فرح الناس فرحا شدیدا و هنأ بعضهم بعضا.

و فی صفر سنة ۱۲۱۹ ه فرض علی أرباب الحرف و الصنائع خمسمائة کیس فضجوا مع ما هم فیه من وقف الحال و أصبحوا لم یفتحوا الدکاکین و حضر منهم طائفة إلی الجامع الازهر و مر الأغا و الوالی ینادون بالأمان و فتح الدکاکین، و فی ثانی یوم تجمع الکثیر من غوغاء العامة و الأطفال و معهم طبول و صعدوا إلی منارات الجامع الأزهر یصرخون و یطبلون و تحلقوا بمقصورة الجامع یدعون و یتضرعون و وصل الخبر إلی الباشا فأرسل إلی السید عمر مکرم النقیب یقول إنا رفعنا عن الفقراء فقال السید عمر إن هؤلاء الناس و أرباب الحرف کلهم فقراء و کفاهم ما هم فیه من القحط و وقف الحال فکیف تطلب منهم مغارم الجوامک، فرجع الرسول بذلک ثم عاد بفرمان یتضمن رفع الغرامة عن المذکورین و نادی المنادی بذلک فاطمأن الناس و تفرقوا إلی بیوتهم و خرج الأطفال یفرحون.

و فی صفر سنة ۱۲۲۰ ه أکلت العسکر الدلانیة الزرع و خطفوا ما صادفهم من الفلاحین و المارین و أخذوا النساء و الأولاد بلا فساد فحضر سکان مصر القدیمة نساء و رجالا إلی الجامع الأزهر یستغیثون و یخبرون أن الدلاتیة أخرجوهم من دیارهم و أخذوا أمتعتهم و نساءهم، فخاطب المشایخ

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۵۵

الباشا فی أمرهم فکتب للدلاتیة بترک الدور لأهلها فلم یمتثلوا فاجتمع المشایخ بالأزهر و ترکوا قراءة الدروس و خرجت الأولاد الصغار یصرخون فی الأسواق فأرسل الباشا کتخداه إلی الازهر فلم یجد به أحدا و کان المشایخ انتقلوا إلی بیوتهم، فذهب إلی بیت الشرقاوی و حضر هناک السید عمر مکرم و خلافه فکلموه و أوهموه، ثم قام و انصرف فرجمه الأولاد بالحجارة و بقی الأمر علی السکون أیاما.

لقد قاد الأزهر الحرکة الوطنیة ضد الفرنسیین و الطغاة، و کانت له زعامة الشعب، و قیادة الحرکة العقلیة و العلمیة فی البلاد.

جهاد الأزهر الوطنی فی الحملة الفرنسیة و ما بعدها:

مرت مصر خلال هذه الفترة بأحداث مثیرة استدعت بذل ضروب عالیة من التضحیة، و قد خاض الأزهر غمار هذه الحوادث، و استجاب زعماؤه لداعی الوطن، باذلین ما فی وسعهم من تضحیات فی سبیله.

فلم تکد تستقر الحملة الفرنسیة فی القطر المصری فی صفر ۱۲۱۳ ه (یولیه ۱۷۹۸) حتی نفر الشعب و زعماؤه دفاعا عن کرامة الوطن و حریته، فقامت الثورات فی جمیع أنحاء القطر، لطرد المستعمرین من البلاد.

و کانت القاهرة مرکزا لثورتین مهمتین: الأولی فی جمادی الأولی ۱۲۱۳ ه (أکتوبر ۱۷۹۸) و علی رأسها الشیخ السادات، و کان رئیسا

لمجلس الثورة.

و الثانية فی ۲۳ شوال ۱۲۱۴ ه (۲۰ مارس ۱۸۰۰) و علی رأسها زعيم العلماء فی ذلک الوقت السيد عمر مكرم نقيب الأشراف. و قد استعمل الفرنسيون جميع أنواع القسوة لكبت الشعور القومی و القضاء علی المقاومة الأهلية، و لكنهم لم ينجحوا فی خطتهم، و انتهی الأمر بفوز المقاومة الأهلية، و جلاء الغاصبين عن ارض الوطن.

فبعد ثورة القاهرة الأولی فی ۹ جمادی الأولی ۱۲۱۳ (۲۰ أكتوبر ۱۷۹۸)

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۵۶

وجه نابليون نظره إلی الأزهر، إذ كان يعلم أنه المعسكر العام للثورة، فقبض علی زعماء الحركة، و أصدر أمره إلی الجنرال بون قومندان القاهرة بأن يأخذهم ليلا إلی شاطیء النيل- ما بين مصر القديمة و بولاق- حيث يعدمهم، ثم يلقی بجثثهم فی النهر. و بهذه الطريقة خفی علينا تاريخ كثير من المجاهدين الذين استشهدوا فی هذه الثورة.

اما الذين حوكموا رسميا من العلماء باعتبارهم من زعماء الثورة فهم:

الشيخ إسماعيل البراوی و الشيخ أحمد الشرقاوی و كانا يقومان بالتدريس فی الأزهر، و الشيخ عبد الوهاب الشبراوی و كان يقوم بقراءة كتب الحديث كالبخاری و مسلم فی المشهد الحسينی، و الشيخ يوسف المصيلحی و كان يقوم بالتدريس فی جامع الكردی، و الشيخ سليمان الجوسقی و كان من العلماء المشهورين بشدة السطو و البأس، و كانت محاكمتهم سريعة و قد حكم عليهم بالإعدام فی يوم ۲۷ جمادی الأولی ۱۲۱۳ (۳ نوفمر ۱۷۹۸).

و فی الساعة الثامنة من صباح يوم ۲۸ جمادی الأولی (۴ نوفمبر) أخرجوا من سجنهم إلی القلعة حيث تلی عليهم الحكم، ثم أعدموا رميا بالرصاص، و لم يعلم لهم قبر بعد مقتلهم، و يروی الجبرتی أن الفرنسيين ألقوهم من السور خلف القلعة بعد تنفيذ الحكم.

و قد نشرت صحيفة (كوريه دليجبت) بالعدد الصادر فی ۱۰ نوفمبر سنة ۱۷۹۸ م (غرة جمادی الآخرة ۱۲۱۳ ه) نبأ إعدامهم و أضافت إلی الأسماء التی ذكرها الجبرتی اسم (السيد عبد الكريم) الذی لم يوقف له علی ذكر.

و كان الشهداء من العلماء خلال هذه الثورة أكثر من هذا العدد، إذ قرر الشيخ عبد اللّه الشرقاوی فی تاريخه «تحفة الناظرين» أن الفرنسيين قتلوا ثلاثة عشر عالما و يؤيد ذلک ما رواه المعلم نقولا الترک فی كتابه «ذكر

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۵۷

تملک الفرنساوية للديار المصرية» إذ قرر أن نابليون أمر بإعدام اثنين من العلماء كانا من أعضاء المجلس العالی.

و علی الرغم من أن نابليون كان يعلم تمام العلم أن الشيخ السادات كان رئيسا لمجلس الثورة إلا أنه لم يمسسه بسوء نظرا لمكانته فی نفوس المصريين المستمدة من نسبه الشريف، و قد طلب الجنرال كليبر من نابليون أن يقبض عليه فأجابه بأن إعدام مثل هذا الشيخ الجليل لا يفيد الفرنسيين بل يؤدی إلی عواقب و خيمة.

أما ثورة القاهرة الثانية التی حدثت فی ۲۳ شوال سنة ۱۲۱۴ ه إلی ۲۵ ذی القعدة سنة ۱۲۱۴ ه (۲۰ مارس- ۲۱ أبريل سنة ۱۸۰۰ م)، فتتلخص أحداثها فی أن نابليون غادر القطر المصری تاركا قيادة الحملة الفرنسية للجنرال كليبر الذی لم يلبث أن واجه أعنف ثورة قامت بها القاهرة، و يرجع عنف هذه الثورة إلی أن رأسها المفكر كان زعيم علماء ذلک الوقت السيد عمر مكرم نقيب الأشراف، و لو لا خيانة المماليک لكان لهذه الثورة الوطنية الجارفة شأن آخر. أما العلماء الذين تعرضوا لانتقام الفرنسيين بعد إخمادها فهم:

الشيخ مصطفی الصاوی و قد فرضت عليه غرامة ۲۶۰ الف فرنک الشيخ محمد الجوهری و أخوه فتوح و قد فرضت عليهما غرامة قدرها ۲۶۰ الف فرنک.

و كان الشيخ السادات معروفا لدی الجنرال كليبر بوطنيته منذ تزعم الثورة الأولی، و لكنه لم يتمكن من النيل لمعارضة نابليون، فانتهز

فرصة اشتراکه فی هذه الثورة لینکل به تنکیلا، إذ فرض علیه غرامة قدرها ثمانمائة ألف فرنک، و سجن فی غرفة قذرة بالقلعة حیث کان ینام علی التراب و یتوسد بحجر، مع ضربه ضربا مبرحا. ثم سمح له بالنزول مخفورا إلی داره لیسعی فی سداد الغرامة المفروضة علیه، فجمع ما فی منزله من المال، و قوم الفرنسیون ما وجدوه من مصاغ و ملابس و متاع فبلغت

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۵۸

قیمة ذلک کله ۱۱۲ ألف فرنک، و لم یکتف الفرنسیون بذلک بل جاسوا خلال الدار و حفروا الارض بحثا عن الخبایا، حتی أعیاهم البحث و لم یجدوا شیئا، ثم نقلوه إلی السجن و صاروا یضربونه خمس عشرة عصا فی الصباح و مثلها فی اللیل، وجدوا فی البحث وراء زوجته و ابنه حتی قبضوا أخیرا علی تابعة محمد السندوبی الذی عذبوه حتی أقر علی مکانهما، فقبضوا علیهما، و سجنوا زوجته معه، و صاروا یضربونه أمامها زیادة فی التعذیب، فشفع فیها کبار العلماء لنقلها من السجن، فأصدر الجنرال کلیبر أمرا بتاریخ ۲۲ مایو بنقلها إلی منزل الشیخ سلیمان الفیومی. و صودرت املاک الشیخ السادات و مرتباته و أوقاف أسلافه، و بقی معتقلا حتی أفرج عنه فی عهد قیادة الجنرال مینو فی ۲۵ صفر سنة ۱۲۱۵ (۱۹ یولیة سنة ۱۸۰۰) و شرطوا علیه ألا- یجتمع بالناس، و ألا- یرکب دون إذن من القیادة الفرنسیة. و قد بقی رهن المراقبة فی داره حتی اعتقل للمرة الرابعة فی أواسط شوال ۱۲۱۵ (أوائل مارس سنة ۱۸۰۱) بعد وصول الحملة الإنجلیزیة العثمانیة إلی مصر، و قد اتخذ الفرنسیون هذا الإجراء خوفا من ان یثیر علیهم الشیخ السادات الأهالی، و قد توفی ابنه أثناء اعتقاله فأذن له بتشییعه مخفورا، و لما انتهی ذلک أعید إلی سجنه بالقلعة.

و یقول نابلیون فی مذکراته تعلیقا علی اضطهاد الشیخ السادات: أن تعذیبه کان من أهم الأسباب التی أدت إلی مصرع الجنرال کلیبر فی ۲ صفر ۱۲۱۶ (۱۴- یونیه سنة ۱۸۰۰).

و کان السید عمر مکرم الرأس المفکر لثورة القاهرة الثانیة، و الیه یرجع الفضل فی تعبئة القوات الوطنیة تعبئة قلما تتوفر فی ثورة من الثورات، و لم یستطع الفرنسیون القبض علیه عقب إخماد الثورة، إذ تمکن من الفرار من القاهرة تارکا أملاکه عرضة للنهب و المصادرة، و لم یدخل القاهرة بعد ذلک حتی جلاء الفرنسیین عن عاصمة البلاد فی ربیع الأول سنة ۱۲۱۶ (یولیة ۱۸۰۱).

و قد اختارت الزعامة الشعبیة ممثلة فی السید عمر مکرم و الشیخ

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۵۹

عبد اللّه الشرقاوی محمد علی والیا علی مصر بشرط أن یحکم بمشورة وکلاء الشعب. و لکن محمد علی کان یمیل إلی الحکم المطلق، و سرعان ما ضاق ذرعا برقابة وکلاء الشعب خصوصا السید عمر مکرم زعیم العلماء، الذی أخذ یحاسب محمد علی باشا علی جمع الضرائب التی فرضها، و بلغ من حماسته فی الدفاع عن حقوق الشعب أن عقد مجلسا عاما من العلماء فی (أواسط جمادی الأول سنة ۱۲۲۴- أول یولیة سنة ۱۸۰۹)، و قد أقسم المجتمعون علی ألا- یلینوا حتی یجیب الوالی مطالبهم التی تتخلص فی عدم فرض ضرائب جدیدة و إلغاء الضرائب المستحدثة، و قد ازدادت العلاقات توترا حینما رفض السید عمر مکرم أن یوقع المیزانیة السنویة. کما یریدها محمد علی، و أن من المعتاد أن یوقع علی المیزانیة وجوه المصریین قبل إرسالها إلی السلطان العثمانی.

تنکر محمد علی للسید عمر مکرم، و أخذ یسعی فی التخلص منه، حتی سمحت له الفرصة فی رجب ۱۲۲۴ (اغسطس ۱۸۰۹)، فقرر خلعه من نقابة الأشراف و نفیه إلی دمیاط، و قد تلقی السید عمر مکرم هذا النبأ بقوله: «أما منصب النقابة فإنی راغب عنه و زاهد فیه و لیس فیه إلا التعب، و أما النفی فهو غایة مطلوبی لأرتاح من هذه الورطة، و لکنی أرید أن أکون فی بلدة لا تدین لحکم محمد علی».

مکث السید عمر مکرم أربع سنوات فی دمیاط نقل بعدها إلی طنطا التی استمر بها حتی عام ۱۲۳۳ (۱۸۱۸)، ثم أذن له بالعودة إلی القاهرة، و لکن استقبال الشعب الرائع لزعیمه أثار شکوک محمد علی مرة اخری، فأمر بنفیه الی طنطا عام ۱۳۳۷ (۱۸۲۲) حیث توفی فی نفس العام.

و قام الأزهر بتأیید القوات الوطنیة فی جهادها ضد الإنجلیز عام ۱۸۰۷ ه، و أفتی زعماؤه فی المؤتمر الوطنی المنعقد فی الأزهر

بوجوب الجهاد الوطنى، و قام العلماء ببذل مجهود كبير فى سبيل الدفاع عن الوطن سواء بالتطوع أو إمداد الجيش بالمؤن و الذخائر أو الدعوة إلى الجهاد.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۶۰

عمر مكرم الأزهرى الزعيم المصرى الخالد:

و كان عمر مكرم من أرفع أسماء المصريين ذكرا فى القرن الثامن عشر، قضى حياته فى خدمة الشعب و تحقيق أمانيه و رفع الحيف عنه و السعى إلى تحريره و إعلاء كرامته، و قد حفزته عاطفته الوطنية المشبوبة الى منأهضة الفرنسيين توطئة لإخراجهم من مصر.

كانت بيوت البكرى و السادات و مكرم هى البيوتات المعروفة فى غضون القرنين السابع عشر و الثامن عشر، فإذا ألم ظلم بأفراد الشعب من الحكام العثمانيين أو المماليك أو رجال الحملة الفرنسية لجأوا إلى هذه البيوت يستظلون بحماها، و يستعدون أربابها و يطلبون المشورة و دفع الحيف عنهم.

و كان أول ظهور عمر مكرم فى ميدان السياسة فى عام ۱۷۹۵ حين اضطربت الأمور فى القاهرة و فزع الناس من طغيان إبراهيم و مراد من أمراء المماليك، فقد أبى الشعب و على رأسه العلماء و نقيب الأشراف أن يترك الطاغية يحكم على هواه، و ألزموه بشروط يعدها المؤرخون و ثيقة حقوق الإنسان الأولى التى سبقت فى تاريخها إعلان حقوق الانسان فى فرنسا فى اعقاب ثورة سنة ۱۷۹۸، و فى هذه الوثيقة الاجتماعية الكبرى أعلن الأمراء المماليك أنهم يتعهدون بالعدل، و يتوبون عن المظالم، و يعدون بالقيام بالواجبات التى يفرضها عليهم القانون و العرف: من صرف الأموال على مستحقيها، و رفع الضرائب الإضافية، و يتكفلون بكف أتباعهم عن امتداد أيديهم بالأذى، و بأن يسيروا فى الحكم سيرة حسنة.

و مضت عدة أعوام حتى إذا كان يوم ۳ يوليه عام ۱۷۹۸ هبطت قوات الحملة الفرنسية مدينة الإسكندرية تغزو البلاد، و كان شعب القاهرة فى حالة فزع و اضطراب، فهل فى وسع المماليك أن يدافعوا و يكافحوا و يردوا الغزاة الفاتحين؟ و تمثلت هذه المحنة فى خاطر عمر مكرم بأنها امتداد للحروب الصليبية، و لذلك أذاع نداء على الشعب يحثه على الجهاد

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۶۱

الدينى، فخرج الرجال و الشبان و لم يبق سوى الضعفاء و الأطفال و النساء، و جاد كل منهم بما يملك من دراهم، و ابتاعوا السلاح و الذخيرة و الخيام.

و هبط مكرم من القلعة إلى ساحل بولاق يحمل علما يسميه العامة «البيرق النبوى»، و الناس حوله ألوف مؤلفة، و فى أيديهم السلاح الساذج من سيوف و مدى و هراوات، و معهم الطبول و الزمور، و وقفوا على غير نظام يشدون أزر جيش المماليك الذى كان يقاتل على الضفة الأخرى للنيل.

كان مكرم يحسب أن الأمراء المماليك من طراز بيبرس و قلاوون و الناصر الذين صدوا جحافل التتار و الصليبيين، و لكن موقعة النيل بددت أحلامه، فقد هزموا فى ساعات معدودات، مما جعله يؤمن بأن مماليك أيامه لا يحاكون فى شىء المماليك الأول، فهم جبناء، عتاة، ظالمون.

و على الرغم من ان مكرم لا- دراية له بفنون الحرب و لا- أساليب القتال، إلا- أنه شهد بعينيه فرار قوات المماليك، و زحف القوات المغيرة على القاهرة، و احتلال أطرافها، و أبت عليه كرامته أن يقبل هذا الهوان، فخرج الى الشام و أقام فى جنوبها يرقب الأحداث التى تجرى فى وطنه عن كثب، فلما كان نابليون بونابرت فى يافا حرص على أكرام من وجدهم من المصريين هناك .. و أكبر فى عمر مكرم عاطفته المشبوبة و رأسه المرفوع، و كرامته التى يذود عنها، فيسر له سبيل العودة إلى وطنه.

و كانت القاهرة فى غضون الفترة التى عاد فيها مكرم تغلى كالمرجل، و الثورة على الأبواب. كانت فى حالة ثورة نفسية كامنة، و كان

تحریر الوطن من نیر الأجنبی قبلة الجمیع، فلما شرع الزعیم یدعو أفراد الشعب إلی الخروج و الجهاد و لقاء الغاصب المحتل، أقبل الناس علی تلبیة دعوته، فأقاموا المتاریس و حفروا الخنادق و تحصنوا فی الجوامع، و انشأوا معملا للبارود، و جاءوا بالصناع و العمال، و احتالوا فی صنع آلات القتال من بنادق و ذخائر، و أشرف مکرم علی جمع التبرعات لتمویل الحرکة، و أخیرا بدأ النضال عنیفا سافرا بین المحاصرین و المدافعین، و شهد الفرنسیون ببسالة المصریین و اقتحامهم المخاطر و الأهوال، و لکن المقاومة انتهت بتغلب

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۶۲

المحتلین لتفوقهم فی معدات القتال، و فرضوا علی السکان غرامة مقدارها عشرة ملایین من الفرنکات، و لجأوا الی أحط وسائل العسف و القسوة فی تحصیلها، و نقموا علی زعیم الحرکة، فأمروا بنفیه الی مدینة دمیاط.

جلت الحملة الفرنسیة و عادت مصر إلی حکم العثمانیین، و فی خلال السنوات الخمس المتعاقبة تولی الحکم خمسة من الولاة، قتل منهم اثنان و طرد الباقون بعد أن سجنوا فی القلعة .. کان آخر هؤلاء الولاة أحمد خورشید، و کان رجلا ضیق الأفق، من بقایا الارستقراطیة العثمانیة، یدعی السیادة علی کل شیء، و لکن دولته کانت تخذله فلا تمده بالمال و الرجال .. کان فی موقف حرج، فخزائنه خاویة من المال لدفع مرتبات الجند، و الممالیک یغیرون علی القری و یتولون تحصیل الضرائب و الاستیلاء علیها، و طبقات الشعب متذمرة من الکلف الفادحة المفروضة علیهم. فاحشدت فی الأزهر جموع من التجار و الصناع و طلبة العلم و جاهروا بالتمرد و العصیان، ثم أغلقوا المتاجر و المصانع و المنازل، حتی بدت القاهرة کمدینة مهجورة.

و انتهز محمد علی أحد قواد الفرقة الألبانیة غیر النظامیة فرصة تذمر طبقات الشعب، فصار یتودد إلی مکرم بوصفه زعیم الشعب، و یزوره سرا فی اللیل و یستمیله بشتی الوعود، و یقسم له الإیمان الکاذبة بأنهم أن مکنوه من الحکم، فإنه یسیر حسب نصوص الشرع، و الإقلاع عن المظالم، و لا یبرم امرا إلا بمشورة العلماء، و انه إذا خالف هذه الشروط عزلوه، و أخرجوه من الحکم.

و صدق عمر مکرم هذه الوعود، و أخذ علی عاتقه إقناع العلماء بمشارکته فکرته، و أذاع نداء علی الشعب بالاجتماع امام المحکمة الشرعیة. فلما کان الیوم التالی خرج الأفراد و الجماعات من دورهم و مصانعهم و متاجرهم، و أقبل المزارعون من الضواحی حتی احتشدت بهم الطرق و المسالک المؤدیة إلی المحکمة، و کانوا جمیعا یهتفون بقولهم: «یا رب یا متجلی أهلک العثمانلی»، و هم یقصدون طبعا الوالی العثمانی، ثم

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۶۳

أقبل السید عمر مکرم، فاقترح المناداة بعزل خورشید و إسناد الولایة إلی محمد علی.

و کان الشعب قد ضاق ذرعا بالاعتداءات المتکررة و بالضرائب الفادحة التی یطلب إلیها دفعها صاغرا. کان فی حاجة إلی مصافحة ای ید تمتد إلیه، لعل فیها خلاصه مما یعانیه من الکروب و المحن، و لذلک وافق علی الاقتراح الذی تقدم به السید مکرم، لا حبا فی القائد الألبانی، و إنما کرها فی الوالی العثمانی.

و طلب العلماء و علی رأسهم مکرم إلی الوالی النزول عن الحکم طوعا لإرادة الشعب، فأبی مستکبرا و أجابهم بأننی معین بأمر السلطان فلا أنزل بإرادة الفلاحین.

و استشاط العلماء غضبا من هذه الإهانة الموجهة إلی الشعب، و اتفقت کلمتهم علی محاصرة الوالی فی القلعة لإرغامه علی التنازل عن الحکم، و بدأ النضال سافرا، و شرع أفراد الشعب فی تکوین فرق شبه عسکریة تتولی إقامة المتاریس و حفر الخنادق و حراسة مداخل المدینة و مد المساعدة إلی الجنود و تسلیح الشعب بالأسلحة البیضاء و الهراوی، و منعوا الماء و الغذاء و المدد عن الوالی فی القلعة.

و کان مکرم فی غضون فترة الحصار حرکة لا تهدأ، کان یتنقل بین الصفوف، و یستثیر الهمم و النخوة القومیة و یشجع المحاصرین، و برزت إلی جانبه أسماء زعماء من الشعب: کابن شمعة و حجاج الخضری الذی تمکن من أسر قافلة من الإبل محملة بالذخائر و المؤن کانت فی طریقها إلی القلعة لتموین الوالی، و قدم هذه القافلة غنیمة باردة إلی القائد المرشح للولایة.

و انتهی النزاع طوعا لإرادة الشعب، فنزل الوالی المعزول عن الحکم، و أسندت الولایة إلی الحاکم الجدید، و بذلک انتصرت إرادة الشعب.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۶۴

ثم وفدت بعد عامین حملة عسکریة بریطانیة لاحتلال مصر و تمکنت من أن تسیطر علی مدینة الاسکندریة دون مقاومة تذکر، بتأثیر خیانة الضباط العثمانیین فی المدینة، ثم سارت الحملة إلی رشید، فقاومها أهل رشید فی بسالة و بطولة و تمکنوا من قهرها و حملت رؤوس القتلی علی أسنة الرماح إلی القاهرة و علقت بأبوابها، و سیق الأسری من الضباط و الجنود الإنجلیز و طیف بهم فی شوارع العاصمة.

و شرع مکرم فی حفز همم سکان القاهرة لمقاومة المعتدین إذا ما حاولوا اقتحام العاصمة، فجمع الجموع و حصن المداخل و أقام المتاریس فی الشوارع، و کون فرقا نظامیة سلحها بالأسلحة الخفیفة، و کان محمد علی فی غضون ذلک فی آرباض اسیوط یقاتل الممالیک، فلما وفد علی القاهرة و أفضی إلیه مکرم بما اعتزمه الشعب من الکفاح و النضال لرد غارة المعتدین، صدمه محمد علی فی عواطفه بأن قال له: علیکم بالمال و بمعدات الحرب و علی أنا وحدی مقاتلة المغیرین.

کان الوالی الجدید لا یفتأ یلجأ الی مکرم لأنه یدرک قوة زعامته الشعبیة فی نفوس العلماء و قادة الرأی و جمیع الطبقات، و لکن لما استولی علی مقالید الأمور أخذ یقلب له ظهر المجنّ، و یقصیه عن الاشتراک فی المسائل العلیا للدولة و فی مهمة الدفاع عن الوطن.

و کان الوالی کلما أعوزته الحاجة إلی المال، مال إلی أموال الأوقاف، فاغتصب منها ما هو فی حاجة إلیه، فضج العلماء بالشکوی لأن هذه الأموال مرصودة علی تعمیر بیوت اللّه و إنفاقها فی وجوه البر، و کان ان اجتمع عمر مکرم بالمشایخ و رجال الدین، و احتجوا علی مسلک الوالی احتجاجا مرا فکان جوابه:

- أنا وحدی الذی ینتفع بالضریبة، و أما أنتم فتبهظون کاهل الأمة بأثقل الأعباء، إنکم تعقدون الاجتماعات فی المساجد، و تتکلمون عنی بلهجة تکاد تکون لهجة الآمر، و هذه نزعة باطلة لا یمکن قبولها بغیر

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۶۵

الازدراء و الاستخفاف، و إننی علی استعداد لأن أرمی عنق کل من یستظل بلواء المعارضة فی وجه سیاستی.

و بادر مکرم بأن جمع العلماء و قال لهم:

- ان هذا الحاکم محتال و إذا تمکن فسیصعب إزالته فلنعزله من الآن.

و نمی ذلک إلی محمد علی فأسرع إلی نفی مکرم تحت الحراسة، و کان ان أجاب علی هذا الأمر بشجاعة: أن النفی غایة ما أتمناه. غیر أننی أرید العیش فی بلد لا یدین بحکم محمد علی.

و رأی مکرم بعین الحسرة أن الآمال التی کان یعلقها علی قیام دولة جدیدة یشترک فیها المصریون قد تبخرت و ذهبت فی الهواء.

و فی یوم ۱۳ أغسطس عام ۱۸۰۹ احتشدت علی ساحل بولاق طوائف مختلفة من الشعب، یودعون زعیمهم الراحل، و هو یبحر فی مرکبه الی دمیاط و انهمرت الدموع من مآقیهم و هم یودعون الرجل الذی وقف حیاته فی سبیل الدفاع عن حقوقهم ورد المظالم عنهم.

و بنفی مکرم اختفت الزعامة الشعبیة من المیدان، و خلا جو المعارضة امام الوالی الذی رفعه الشعب إلی منصة الحکم بعد أن أخذ علیه العهود و المواثیق لیحکم بالعدل و المحبة فتخلی عن هذه العهود و المواثیق.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۶۶

فحوک العلماء فی قرنین

و هؤلاء أعلام من فحول علماء الأزهر فی القرنین: الثانی عشر و الثالث عشر الهجری ... نذکر أسماءهم فی إیجاز: الأزهر فی ألف عام ؛ ج۱ ؛ ص۱۶۶

شیخ محمد البنانی: طلب العلم فی الأزهر. و حضر دروس الشیخ الصعیدی و الدردیر و غیرهم، حتی مهر و أنجب و درس و مات سنة ۱۱۸۶ ه عن ثلاثین سنة .

الشیخ حسن الشبینی، رحل من بلدته فوه إلی الجامع الأزهر، فطلب العلم و أخذ من الشیخ الدیربی فجعله مملیا علیه فی الدرس و توفی عام ۱۱۸۳ ه.

الفقیه الشیخ الحماقی الحفنی من کبار علماء الشافعیة. و تصدر للإقراء و التدریس بالأزهر عدة سنین. ثم تولی مشیخة إفتاء الحنفیة بعد موت الشیخ حسن المقدسی و قد توفی عام ۱۱۸۷ ه.

المحدث المقری شمس الدین محمد بن قاسم البقری شیخ القراء و الحدیث بصحن الجامع الأزهر .

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۶۷

و الشیخ المحدث منصور بن عبد الرزاق الطوخی الشافعی إمام الجامع الأزهر

شیخ الإسلام البراوی الشافعی الأزهری. ورد الجامع الأزهر و هو صغیر، فقرأ العلم علی مشایخ عصره، و تفقه علی الشیخ مصطفی العزیزی، و حضر دروس الملوی و الجوهری و الشبراوی، و شهد له بالفضل أهل عصره و أحدقت به الطلبة، و اتسعت حلقته و قد صلی علیه فی الأزهر فی مشهد حافل و دفن عام ۱۱۸۲ ه.

الفقیه الصالح الشیخ أحمد بن أحمد السنبلاوی الشافعی الأزهری، کان عالما مواظبا علی تدریس الفقه و المعقول بالجامع الأزهر، و لازم علی قراءة ابن قاسم بالأزهر کل یوم بعد الظهر، و کان یحترف بیع الکتب- توفی سنة ۱۱۸۰ ه

الشاعر الکاتب محمد بن رضوان السیوطی الشهیر بابن الصلاحی.

الفقیه (۱۱۴۰- ۱۱۸۰ ه) المحدث شیخ الإسلام الشیخ أحمد بن الحسن الخالدی الشافعی الأزهری الشهیر بالجوهری (۱۰۹۶ ه- ۱۱۸۲ ه). و قد اشتغل بالعلم، و جد فی تحصیله حتی فاق أهل عصره، و درس بالأزهر و أفتی نحو ستین سنة، و مات فصلی علیه بالأزهر عام ۱۱۸۲ ه.

الشیخ عبد الرؤوف بن محمد البشبیشی ولد ببشبیش من أعمال المحلة الکبری، و قد تصدر لتقریر العلوم الدقیقة و النحو و المعانی و الفقه، و انتفع به غالب مدرسی الأزهر. و توفی سنة ۱۱۴۳

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۶۸

الشیخ أبو الحسن البکری خطیب الأزهر

شیخ مشایخ الاسلام عالم العلماء الاعلام الشیخ علی العدوی المالکی (۱۱۱۲- ۱۱۸۹ ه). و هو من بنی عدی، و من مشهوری العلماء، صلی علیه فی الأزهر بمشهد عظیم، و دفن بالبستان بالقرافة الکبری عام ۱۱۸۹ ه.

المفتی الفقیه الشیخ إبراهیم الشرقاوی. و کان لا یفارق محل درسه بالأزهر طول النهار ، و توفی عام ۱۱۸۵ ه.

الشیخ علی الشاوری المالکی مفتی فرشوط قرأ بالأزهر العلوم. و قدم الی مصر و مات بها و صلی علیه فی الأزهر عام ۱۱۸۵ ه الشیخ علی العدوی المالکی الأزهری (۱۱۰۰- ۱۱۸۵ ه) تلقی العلم فی الأزهر ثم درس بالأزهر و نفع الطلبة

الشیخ مصطفی الصاوی، و قد تعلم فی الأزهر، و لازم الشیخ البراوی و تخرج به و أقرأ الدروس، و کان شاعرا لطیفا و کاتبا مجیدا. و

توفی عام ۱۲۱۶ ه .

الشیخ محمد الخالدی الشافعی (۱۱۵۱- ۱۲۱۵ ه)، و قد کان من مشهوری علماء الأزهر فی عهده .. و له کتب کثیرة، و صلی علیه بالأزهر فی مشهد حافل، رحمه اللّه

السید مصطفی الدمنهوری الشافعی من العلماء المشهورین

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۶۹

المذکورین، تفقه علی أشیاخ العصر و لازم الشیخ الشرقاوی الذی صار شیخ الأزهر، و کان یکتب علی الفتاوی علی لسان الشیخ الشرقاوی و یتحری الصواب ... و مات فی عهد الفرنسیین مقتولا

الشیخ عبد الرحمن الأجهوری المالکی، من علماء الأزهر الشریف، درس و درّس بالأزهر مدة فی أنواع الفنون فی الدین و اللغة، و توفی سنة ۱۱۹۸ ه .

الشیخ محمد بن علی الصبان الشافعی الأزهری، صاحب المؤلفات الذائعة المشهورة التی خلدت ذکره، و توفی سنة ۱۲۰۶ ه .

الشیخ أحمد العروسی الشافعی الأزهری (۱۱۳۳- ۱۲۰۸ ه) حضر فی الأزهر علی شیوخه و علمائه .

الشیخ شهاب الدین السمنودی المحلی الشافعی، العالم الأزهری، و قد قرأ بالجامع الأزهر، و توفی عام ۱۲۰۹ ه .

الشیخ أحمد السمالیجی الشافعی المدرس بالمقام الأحمدی بطنطا .. توفی عام ۱۲۰۹ ه .

الشیخ عبد الرحمن النحراوی الأجهوری، درس بالأزهر و أفاد الطلبة و توفی عام ۱۲۱۰ ه .

و فی هذه السنة أیضا توفی الشیخ حسن الهواری المالکی شیخ رواق الصعایدة .

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۷۰

الشیخ عثمان بن محمد الحنفی المصری الشهیر بالشامی، و توفی عام ۱۲۱۰ ه و کذلک الشیخ شمس الدین الفرغلی الشافعی و له شعر عذب.

الشیخ أحمد محمد السجاعی الأزهری قدم الأزهر صغیرا فتمهر و درس و أفتی و ألف، و ترک آثار علمیة مشهورة توفی عام ۱۱۹۰ ه .

الشیخ عطیة الأجهوری الشافعی، العالم الأزهری؛ و قد توفی عام ۱۱۹۰ ه .

الشیخ إبراهیم بن خلیل الصبحانی الغزی الحنفی العالم الأزهری، و قد ولد بغزة و ورد إلی الأزهر فتعلم فیه، ثم عاد إلی غزة و تولی فیها الإفتاء، و ارتحل إلی دمشق و تولی أمانة الفتوی. توفی عام ۱۱۹۰ ه .

الشیخ محمد العوفی المالکی کان شاعرا ماجنا، و مع ذلک کانت حلقة درسه فی الأزهر تزید علی الثلثمائة. مات سنة ۱۱۹۱ ه .

الإمام الشیخ أحمد بن عیسی الزبیری الشافعی البراوی من علماء الأزهر، ولد بمصر و بها نشأ و حضر دروس مشایخ الوقت، و لما توفی والده أجلس مکانه فی الأزهر و قد توفی بطنطا عام ۱۱۹۲ ه، و صلی علیه بالأزهر، و دفن بتربة المجاورین

الشیخ محمد العدوی من علماء الأزهر، درس فی الأزهر و درّس فیه و توفی عام ۱۱۹۳

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۷۱

الشیخ شهاب الدین أحمد السجاعی الشافعی الأزهری، من علماء الأزهر، ولد بمصر و نشأ بها و تصدر للتدریس فی حیاة أبیه و بعد موته فی مواضعه، و صار من أعیان العلماء. و توفی عام ۱۱۹۷ ه .

الشیخ عبد اللّه بن أحمد المعروف باللبان الشافعی الأزهری. توفی عام ۱۱۹۸ ه .

و من مشهوری العلماء الشیخ محمد بن حسن الشافعی الأحمدی الأزهری المتوفی عام ۱۱۹۹ ه .

الشیخ محمد الخشنی الشافعی و کان من خیار شیوخ الأزهر و توفی سنة ۱۲۲۱ ه.

و الشیخ سلیمان البجیرمی الشافعی من علماء الأزهر المشهورین

الشیخ أحمد البرماوی الشافعی (۱۱۳۸- ۱۲۲۲ ه) .. و کان من الشیوخ الأجلاء

الشیخ إبراهیم الحریری مفتی مذهب السادات الحنفیة کوالده، و قد توفی عام ۱۲۲۴ ه .. و توفی فی هذا العام الشیخ عبد المنعم العماوی المالکی و هو من کبار الشیوخ

الشیخ محمد أحمد بن عرفة الدسوقی المالکی الأزهری من علماء البلاغة، تصدر للإقراء و التدریس بالأزهر و إفادة الطلبة، و کان فریدا فی تسهیل المعانی و توفی عام ۱۲۳۰ ه و دفن بتربة المجاورین .

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۷۲

الشیخ محمد الأمیر المالکی الأزهری (۱۱۵۴- ۱۲۳۲ ه) من کبار الشیوخ الأجلاء فی الأزهر

الشیخ محمد الأشمونی الشافعی (۱۲۱۸- ۱۳۲۱ ه) تعلم فی الأزهر و صار مدرسا فیه (۵۰- ۵۲ تراجم أعیان القرن الثالث عشر و أوائل الرابع عشر لأحمد تیمور ط ۱۹۴۰).

الشیخ أحمد الرفاعی المالکی، تعلم و درس فی الأزهر و حضر علیه محمد عبده و الشیخ بخیت و الشیخ أبو الفضل و سواهم، و قد رشح للمشیخة بعد استقالة الشیخ سلیم عام ۱۳۲۰ ه، و لکن لم یقدر اللّه له ذلک، و قد توفی عام ۱۳۲۵ ه (۶۴- ۶۶ المرجع).

الشیخ حسین الطویل المالکی (۱۲۵۰ ه- ۱۳۱۷ ه) من مشهوری العلماء، حضر و درس فی الأزهر، و أول درس قرأه بالأزهر عام ۱۲۸۳ ه، و تتلمذ علیه الکثیرون، و عین مفتشا ثانیا للغة العربیة بوزارة المعارف، ثم مدرسا بدار العلوم

الشیخ أحمد خطوة الحنفی (۱۲۶۸- ۱۳۲۴ ه)، من جلة العلماء، و حضر و درس فی الأزهر، و کان أکثر اشتغاله فی المعقول علی الشیخ حسن الطویل، و کان ابتداؤه للتدریس فی الأزهر سنة ۱۲۹۶ ه، و قد عین مفتیا للأوقاف، ثم نقل عضوا فی المحکمة الشرعیة العلیا

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۷۳

الباب الثانی تاریخ الأزهر الحدیث

اشارة

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۷۵

الفصل الأول القوّة الشعبیّة بعد الحملة الفرنسیّة ممثلة فی الأزهر

اشارة

بعد خروج الفرنسیین من مصر تنازعت الوطن أیاد قویة؛ کل ید تعمل علی الاستئثار بحکم مصر، و کان من هؤلاء الطامعین فی العرش طامح من رعایا خلافة ترکیا هو محمد علی القوللی رئیس إحدی الفرق العسکریة التی أرسلتها ترکیا إلی مصر لطرد الفرنسیین منها.

و تودد محمد علی إلی شعب مصر و الی علماء الأزهر الشریف، و دس أعوانه فی وسط الشعب لینادی به حاکما علی مصر، و استجاب علماء الأزهر لرغبة الشعب، ورأوا فی تولیة مثل محمد علی حکم مصر دفعا لأخطار الحکام الأتراک المتغطرسین، فتوجهوا و علی رأسهم شیخ الإسلام الشیخ عبد اللّه الشرقاوی شیخ الجامع الأزهر، و الشیخ محمد المهدی المفتی، و الشیخ محمد الأمیر من کبار العلماء، و الشیخ سلیمان الفیومی، و السید عمر مکرم نقیب الإشراف، و السید محمد السادات شیخ مشایخ الطرق الصوفیة، و الشیخ

العریشی القاضی، و غیرهم من الشیوخ و العلماء، إلی قصر محمد علی و أفضوا إلیه برغبتهم فی المناداة به والیا علی مصر لإجماع الشعب علی ذلک، و خرج العلماء من عنده إلی الجامع الأزهر لرسم الخطة و متابعة الحوادث. غیر أن الانتظار لم یطل، فما کاد یعلن نبأ تولیة «محمد علی» ولایة «جدة» و استعداده للرحیل، حتی خرج أهل القاهرة عن حد الاحتمال فالتفوا حول شیوخ الأزهر، و طالبوا بوضع حد لسوء الحال، و انتهوا إلی المطالبة بعزل الوالی، و المناداة بمحمد علی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۷۶

والیا علی مصر: و کان عدد المحتشدین من الشعب فی الأزهر یربو علی الأربعین ألفا. و لم یجد العلماء إزاء هذا الموقف بدا من تحقیق رغبة الشعب، فاتجهوا الی دار المحکمة فی بیت القاضی، و حولهم هذا البحر الزاخر من الشعب الهائج یهتف بسقوط الوالی، و فی المحکمة حضر الجمیع و اتفقوا علی کتابة عریضة بمطالب الشعب عددوا فیها المظالم التی وقعت بالناس من مصادرة الحریات و فرض الضرائب، و طالبوا برفع هذه المظالم، و کان ذلک فی یوم الأحد ۱۲ من صفر سنة ۱۲۲۰ ه (۱۲ مایو سنة ۱۸۰۵ م). و لما وصلت هذه القرارات إلی الوالی استدعی العلماء لمقابلته، و لکنهم رفضوا، لأنهم علموا أنه دبر مؤامرة لاغتیالهم فی الطریق و القضاء علی هذه الحرکة الشعبیة، فلما امتنعوا عن الذهاب رفض الوالی إجابة مطالبهم، فاجتمع و کلاء الشعب من العلماء فی یوم الاثنین ۱۳ من صفر سنة ۱۲۲۰ ه (۱۳ مایو سنة ۱۸۰۵ م) بدار المحکمة و قرروا عزل خورشید باشا و تنصیب محمد علی والیا علی مصر.

و عقب إصدار القرار فی المحکمة توجهت الجموع إلی محمد علی، و فی طلیعتهم علماء الأزهر علی رأسهم: الشیخ الشرقاوی شیخ الأزهر، و نقیب الاشراف السید عمر مکرم «و ذهبوا إلی محمد علی و قالوا له: إنا لا نرید هذا الباشا حاکما علینا و لا بد من عزله من الولایة. فقال: و من تریدونه أن یکون والیا؟ قالوا: لا نرضی الا بک، و تکون والیا علینا بشروطنا لما نتوسمه فیک من العدالة و الخیر. فامتنع أولا، ثم رضی.

و أخضروا له کرکا و علیه قفطان. و قام إلیه شیخ الاسلام الشیخ الشرقاوی و السید عمر فألبساه إیاه، و ذلک وقت العصر، و نادوا بذلک فی تلک اللیلة فی المدینة».

و فی ۱۱ من ربیع الثانی سنة ۱۲۲۰ ه (۹ من یولیه سنة ۱۸۰۵ م) وصل مرسوم الدولة، و مضمونه الخطاب لمحمد علی والی جدة سابقا و والی مصر حالا، من ابتداء ۲۰ من ربیع الأول، حیث رضی بذلک العلماء و الرعیة.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۷۷

هذه هی روایة الجبرتی و نحن لا نکاد نسلم بها، فإن محمد علی عندما علم بنبأ وصول الوحدات البحریة الترکیة بقیادة قبودان باشا یحمل أمر السلطان بعزل محمد علی و تولیة موسی باشا، سارع إلی الالتجاء إلی القلعة مستعدا للمقاومة و جمع فیها ما استطاع أن یجمعه من معدات الحرب و العمال و الاجناد، و فی هذه الأثناء علم أن محمد بک الألفی المتحصن فی البحیرة قد اتصل بالأتراک و اتفق معهم. فرأی أن المقاومة لن تجدی ما دام الشعب لا یظاهره، و أن أعوانه فی المقاومة هم قواد الجیش الذین اجتمع بهم و شاورهم فأیدوه فی المقاومة «لأنه ما من أحد منهم إلا و صار له عدة زوجات و عدة بیوت و التزام بلاد (جمع ضرائبها) و سیادة لم یکن یتخیلها و لم تخطر بذهنه أن ینسلخ عنها و الخروج منها و لو خرجت روحه».

و وصلت الأنباء أن الألفی بعث إلی قبودان هدیة فیها ۳۰ جوادا و ۴۰۰۰ رأس من الغنم و البقر و الجاموس و مائة جمل بالذخیرة و نقود و ثیاب و أقمشة.

و هنا التجأ محمد علی إلی زعیم مصر الکبیر السید عمر مکرم نقیب الأشراف و بعض الأعیان، و عرض علیهم الموقف و ما فعله الأمراء و الممالیک و اتفاقهم مع السلطان، و طلب منهم دراسة الموقف فترکوه و انصرفوا.

حدث هذا فی یوم الجمعة و لو أن الشعب المصری کان متعلقا بمحمد علی لا یرضی عنه بدیلا، کما صوره المؤرخون، لما استدعی بحث الموقف طویلا، بل کان الرد أن الشعب سیقف بجانب محمد علی فی موقفه و مقاومته و لا یحتاج إلی تفکیر. و لکن الذی

حدث فعلا أن البحث و الدرس و تقليب الموقف استمر بين الزعماء المصريين أياما.

فمضى السبت و الأحد و الاثنين و الثلاثاء و الأربعاء دون أن يتلقى محمد على ردا، و هنا قرر محمد على اتخاذ إجراء حاسم.

بعث باثنين من رجاله هما مدير مكتبه و رئيس التراجمة، و قد فاجئا

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۷۸

السيد عمر مكرم فی داره صباح الخميس، و قدما إليه صورة التماس كتبه ديوان محمد على، على لسان المشايخ الى الباب العالى لتثبيت محمد على لولاية مصر.

و لو أن المصريين كانوا متمسكين بمحمد على لوقع الزعماء- الذين دعاهم السيد عمر النقيب إلى داره لبحث هذا التطور الجديد فی الموقف- الالتماس دون مناقشة، و لكن الذى حدث هذه المرة أيضا أن الاجتماع استمر اليوم كله.

و فی اليوم التالى، السبت، حمل هذا الالتماس إلى الشيخ عبد اللّه الشرقاوى و معه أمر بتنظيم «العرضحال» و ترصيعه «و توقيعه» بتوقيعات المشايخ و بصمه بأختامهم ليرسله الباشا إلى الدولة، فلم تسعهم المخالفة» ... و قد تم هذا فعلا.

و هذا الالتماس رغم طوله لم يخرج عن كونه مدحا للسلطان، ثم تحقير أعمال الأمراء المماليك، ثم رفع شأن محمد على و تبرير لبعض تصرفاته التى أنكرها عليه السلطان و ينتهى بطلب إبقائه واليا.

و سارع محمد على، بطبيعة الحال، بإرسال العريضة إلى تركيا، و لكن حدث مساء الاثنين أن وصل إلى القاهرة رسول من قبودان باشا ليبلغ المسؤولين عن الشعب و هم الشيخ السادات و السيد عمر مكرم و الأئمة قرار السلطان بعزل محمد على. و لما كان الأمر قد خرج من أيدى هؤلاء الزعماء بعد توقيع الالتماس، فقد ذهبوا إلى محمد على يعرضون الأمر فأمرهم بالعودة إلى منازلهم على أن يرسل إليهم فی اليوم الثانى صورة التماس جديد ينسخونه و يوقعونه.

و فی هذا العرضحال يبدى الزعماء خضوعهم و امتثال لقرار السلطان و لكنهم يبدون تخوفهم من الجند ألا يمتثلوا للأوامر بسبب رواتبهم. و كان محمد على قد احتاط بتدبير هذه المؤامرة بالاتفاق مع قواد الجند الذين يهمهم البقاء فی مصر.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۷۹

و انتهز محمد على الفرصة و ماطل فی تنفيذ أمر السلطان، و هنا وجد قبودان باشا مركزه حرجا، و أن الاعتماد على الأمراء المماليك لا خير فيه و سيؤدى إلى ضياع هيبته، فقر رأيه أن يتصل بمحمد على الذى انتهز الفرصة فعرض العروض الباذخة و تعهد ان يؤدى ضعف ما تعهد الأمراء بتأديته لقبودان: بعضه معجل و الآخر مؤجل.

و اتفق قبودان مع محمد على أن يعود الى استكتاب الزعماء كتابا آخر يرسله إليه مع ولده شخصيا. على أن يتضمن أن محمد على حامى الإقليم و حافظ ثغوره و مؤمن سبله و قامع المعتدين و أن الكلية من الخاصة و العامة راضية بولايته و أحكامه و عدله، و أن الشريعة مقامة فی أيامه و لا يرتضون خلافه لما رأوا فيه من عدم الظلم .. الخ الفضائل و الصفات التى اتفق قبودان باشا مع محمد على، على نسبتها إلى مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ مصر!! ..

و قد انتهت هذه المساعى كلها بإلغاء أمر النقل و تثبيت محمد على على ولاية مصر.

و هذه هى حقيقة مطالبة المصريين بولاية محمد على عندما عزله السلطان، فی المرة الثانية .. و هذا هو موقف الزعماء المصريين، الذين لم يطالبوا بتثبيت محمد على إلا بحد السيف الذى سلطه عليهم.

و لكن ماذا فعل محمد على و أولاده بهذه الثقة الغالية؟ لقد قرر محمد على منذ اللحظة الاولى أن يستبد بالأمر، و يبعد الشعب و زعيمه عن الميدان ..

و أخذته الغيرة من زعيم المصريين عمر مكرم، و أنكر منه أن يتحدث اليه عن آلام الشعب مما فرضه عليهم من الضرائب بسبب الاستعداد للحملة الوهابية .. ثم أراد أن يأخذ إمضاء السيد عمر على حساب غير مضبوط أعده ليرسله إلى الدولة .. فأبى السيد عمر

مکرم ذلک قائلا:

ان الضرائب المعتادة کانت تکفی لکل ما قام به الباشا من الأعمال

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۸۰

العامة ... و إنی لا أستطیع أن أشهد بغیر ما أعتقد أنه حق ...

فقرر محمد علی التخلص من عمر مکرم .. و أراد أن یحتال علیه، و طلب إلیه أن یذهب لمقابلته فی الدیوان، فأجاب السید عمر مکرم قائلا:

إن الباشا إذا أراد مقابلتی، فلینزل من القلعة لمقابلتی فی بیت السادات، لتکون المقابلة علی سواء.

و کان محمد علی یجمع من الضرائب أکثر مما ینفق .. و یحتجز الأموال لنفسه، فاحتج عمر مکرم، و قال کلاما کثیرا جاء فیه:

أما ما صرفه الباشا فی سد الترعة فإن الذی جمعه و جباه من البلاد یزید علی ما صرفه أضعافا کثیرة، و أما غیر ذلک، فکله کذب لا أصل له، و إن وجد من یحاسبه علی ما أخذه من القطر المصری من الفرض و المظالم لما وسعته المظالم ..

فقرر محمد علی نفیه من القاهرة، فابتسم الشیخ عمر مکرم و قال:

أما منصب النقابة فإنی راغب عنه و زاهد فیه، و لیس فیه إلا التعب:

و أما النفی فهو غایة مطلوبی، و أرتاح من هذه الورطة، و لکن أرید ان أکون فی بلد لم تکن تحت حکمه، فإذا لم یأذن لی فی الذهاب إلی أسیوط، فلیأذن لی فی الذهاب إلی الطور أو إلی درنة.

فأخبروا الباشا بذلک، فلم یرض إلا بذهابه إلی دمیاط.

و خرج عمر مکرم زعیم الشعب إلی منفاه فی ۱۳ اغسطس ۱۸۰۹.

و هکذا أخرج محمد علی الشعب المصری من المیدان، و قرر أن یستبد بأمر مصر وحده.

و هکذا أنکر فضل هذا الشعب علیه، و أخذ طریق المستبدین، و خلفه أبناؤه فساروا فی طریقه، و وضعوا أیدیهم فی ید أعداء البلاد .. و زاد أمرهم سوءا، و أحاطت بهم الأزمات ..

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۸۱

و تقدم شعب مصر لیعینهم، فمکروا به، و سخروا منه، إلی أن حدث ما لم یکن لهم فی حسبان

الأزهر یسیر فی حیاته العلمیة:

و قد سار الأزهر فی حیاته العلمیة یائسا من الحکام و الولاة، و اهتم علماؤه بإصلاحه و صدر أول قانون لذلک فی سنة ۱۲۸۸ ه (۱۸۷۲ م) و قد نظم هذا القانون طریقة نیل الشهادة العالمیة و بین مواد امتحانها و قسم الناجحین فیها إلی ثلاث درجات: (أولی، ثانیة، ثالثة) علی أن تصدر بذاک براءة ملکیة بتوقیع ولی الأمر: و عنی الغیورون بالأزهر، و حرصوا علی أن ینهض. و قد کان لهذا التنظیم الذی بدیء فی عهد إسماعیل أثره فی حفز الهمم علی الإصلاح، فتوالت القوانین المنظمة للأزهر، و کان أهمها القانون رقم ۱۰ لسنة ۱۹۱۱، إذ قسم الدراسة بالأزهر إلی مراحل، و جعل لکل مرحلة نظاما و موادا للدراسة، و حدد اختصاص شیخ الجامع الأزهر، و أنشأ هیئة تشرف علی الأزهر تسمی المجلس الأعلی للأزهر، و أوجد هیئة کبار العلماء و جعل لها نظاما خاصا، و جعل لکل مذهب من المذاهب الأربعة التی تدرس فی الأزهر شیخا، و نظم مجالس إدارات المعاهد، و وضع نظاما للمدرسین و الموظفین فی التعیین و الترقیة، و وضع للطلاب شروطا للقبول، و نظم الامتحانات و الشهادات.

و حدث فی هذا العهد عدة أحداث: منها أن بعض الشوام و الصعایدة تزاحموا فی الجلوس فی الدرس و تضاربوا فجاء جملة من الشوام بالعصی و ساقوا الصعایدة سوقا عنیفا إلی رواق الصعایدة، فحضرت طائفة من الصعایدة بعصیهم و وقعوا بالشوام ضربا و هموا

وراءهم بقوة شديدة حتى ادخلوهم رواق الشوام و حاصروهم به، و لم يسع الشوام إلا قفل باب الرواق، بل تسور لهم بعض الصعايدة من فوق السطح، و استمروا كذلك، حتى ذهب الشيخ محمد الرافعى إلى بعض الأعيان من تجار الشوام و أخبرهم، و ذهبوا جميعا إلى خير الدين باشا ضابط مصر، فأرسل جملة

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۸۲

من عساكر الأرنؤود و خلافهم فدخلوا الأزهر بصورة شنيعة و تطاولوا على كل صعيدى بلا تحقيق فأخذ الصعايدة فى الذب عن أنفسهم حتى أخرجوا العساكر من الأزهر و لم يلبثوا أن جاءت عساكر جهادية و أتراك بكثرة من طرف الضابط لما بلغه من التهويل فدخلوا الأزهر بأسلحتهم و نفيرهم و طبلهم لابسين أحذيتهم فقبضوا من الصعايدة على نحو ثلاثين و سجنوهم بالمحافظة، ثم أخذوا ثلاثة من مشايخهم و عوقوهم هناك قليلا و بعد مدة أطلقوهم، و بقى المجاورون فى السجن و كان إذ ذاك سعيد باشا فى الأرض الحجازية فسعى بعض المشايخ عند وكلائه فى الإفراج عنهم فأفرج عنهم بعد نحو عشرين يوما و حصل الكلام فى طريقة يسير عليها الأزهر حيث أن شيخه أقعده الكبر، و اجتمع الرأى على توكيل أربعة من العلماء، و صدر الأمر بذلك، و كان فى مشيخته الشيخ الباجورى

حادثة الشوام:

و قد حدثت هذه الحادثة المفجعة فى ۱۹ من ذى الحجة سنة ۱۳۱۳ بالأزهر الشريف فى مشيخة شيخ الأزهر حسونة النواوى بسبب وباء ذلك العام و تفصيلها أنه مرض برواق الشوام مجاور بالطاعون، و حضرت الحكومة لنقله بالعربة السوداء للمستشفى و كان من أخذ بها لا يرجى له أن يشم هواء الدنيا، فأبت رفقته من طلبة الأزهر تسليمه حيث كان قد أخذ آخر و لم يوقف له على أثر، فاشتد الجدال بين الفريقين و أبلغ الأطباء الحكومة أنهم أهينوا، فحضر إلى الجامع الأزهر المحافظ و معه وكيل الحكمدارية و شرذمة من العساكر فخيل للمجاورين الشوام أنهم مأخوذون لا محالة، فتطاولوا على المحافظ و رجموه و من معه ببعض الحجارة، فأصاب وكيل الحكمدارية رمية فجرح و كانت الشوام أغلقت باب الشوام، فطلب قوة عسكرية أخرى فحضرت و عملوا حصارا على الجامع الأزهر و امر الحكمدار العساكر بكسر الباب و إطلاق الرصاص على الطلبة داخل الجامع فانقضوا عليه حتى خلعوا عقب إحدى أبوابه، ثم بدأ الحكمدار يطلق بندقيته و اتبعته العساكر بإطلاق الرصاص، فتفرق الطلبة فى جميع

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۸۳

نواحى الجامع ثم دخل الضباط و العساكر و اشتغلوا بضبط من بالأزهر مع الإهانة من غير تمييز بين طالب و عالم، فقبضوا على ۸۲ من الشوام و ۲۳ من المصريين و فيهم بعض المدرسين و أصيب بالرصاص خمسة مات بعضهم فى الحال و بعضهم بعد ذلك ثم أفرج عن المقبوضين و انحصرت التهمة فى ۱۴ تقريبا من الشوام و نفى البعض و سجن البعض، و أقفل رواق الشوام سنة كاملة، و استاء لذلك الخديوى و شيخ الأزهر و انصدعت لذلك قلوب الشعوب الإسلامية.

جهاد الأزهر فى الثورة العرابية:

قام الأزهر بنصيب كبير فى إذكاء الحماسة و نشر التعليم و إعداد النفوس لتلبية نداء الحرية، فقد قام رجاله و على رأسهم الشيخ عبد اللّه الشرقاوى منذ أوائل القرن التاسع عشر بإعلان حقوق الشعب و إلزام الوالى باحترام هذه الحقوق، ثم ظهر بعد ذلك رجال أفذاذ سجلوا اللأزهر صفحات خالدة فى تاريخنا مثل رفاعة رافع و السيد عبد اللّه النديم و الشيخ محمد عبده.

فالأول كان زعيما لنهضة العلم و الأدب فى عصره، و من أهم أعماله تأسيس مدرسة الألسن التى خرجت نخبة من العلماء و الأدباء و

الشعراء، كما قام بترجمة الدستور الفرنسي، و علق على الترجمة تعليقات تدل على فهم صحيح لأحكامه و مبادئه، و ميل فطرى إلى النظم الحرة، و ترجم القانون المدنى الفرنسي و نشر رحلته فى فرنسا و سماها «تخليص الإبريز»، و لم يقتصر نشاطه على التأليف و الترجمة و التدريس، بل خدم الأدب، و له قصائد شعرية تدل على وطنية صادقة و تفان فى محبة الوطن، و بلغ من حماسته أنه عرب نشيد المارسلييز الفرنسى الذى يعتبر من أجمل الأناشيد الحماسية القومية، حتى لا يحرم أبناء وطنه من تذوق هذا النشيد.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۸۴

و أما السيد عبد اللّه النديم، فقد حاول أن ينفث فى الأمة الحماسة كى يستيقظ الشعب من غفوته، و نادى بضرورة تعليم أبناء الوطن تعليما نافعا، و فى سبيل تحقيق أغراضه أسس «الجمعية الخيرية الإسلامية» و نحانحوا جديدا لنشر أفكاره، فألف مسرحيتين إحداهما (الوطن و طالع التوفيق) و الأخرى (العرب)، مثلهما هو و تلاميذه على مسرح زيزينيا بالإسكندرية. و قد بين فى مسرحيته الأولى جميع الأمراض و العلل التى تهدد الأمة فى وجودها.

و بينما كان صوت النديم يجلجل بالإصلاح و يمهد للثورة فى نفوس المثقفين كان الشيخ محمد عبده يبث تعاليم السيد جمال الدين الأفغانى فى دروسه، و يعالج الشئون العامة للبلاد فى صحيفتى الأهرام و الوقائع الرسمية.

و رأس الثورة المفكر أحمد عرابى (باشا) تلقى علومه فى الأزهر مدة أربع سنوات، و كان لهذه المدة على ضآلتها أثر كبير فى تكوين شخصية عرابى كزعيم ثورى، إذ جعلت منه خطيبا مفوها يستولى على عقول سامعيه و يهز مشاعرهم ... و وسط هذا النضوج الذهنى اندلع لهيب الثورة.

و فى ۲۵ مايو عام ۱۸۸۲ قدمت كل من انجلترا و فرنسا مذكرة يطلبان فيها إبعاد عرابى (باشا) و إرسال كل من: على (باشا) فهمى و عبد العال (باشا) حلمى إلى أية جهة داخل القطر المصرى، و استقالة وزارة البارودى، فرفض مجلس الوزراء مطالب الدولتين، و اجتمع أحمد عرابى و محمود سامى البارودى و كبار الضباط فى قشلاق عابدين و اتفقوا فيما بينهم على ان يكونوا يدا واحدة فى الدفاع عن البلاد، و ارسلوا إلى الشيخ محمد عبده ليضع لهم صيغة يمين الثورة فوضعها لهم، و تلاها عليهم، فرددوها فى صوت واحد. و استقالت وزارة البارودى يوم ۲۶ مايو عام ۱۸۸۲، و أراد الخديوى

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۸۵

توفيق أن يبث التفرقة فى صفوف الزعماء، فعقد اجتماعا يوم ۲۷ مايو حضره من العلماء الشيخ محمد الإنبابى شيخ الجامع الأزهر و الشيخ محمد عليش و الشيخ حسن العدوى و الشيخ أبو العلا الخلفاوى و حضره شريف باشا و كبار النواب و الضباط و عرض الخديو على المجتمعين تشكيل وزارة برياسته، و قبول المذكرة الإنجليزية الفرنسية. فأجاب طلبة باشا عصمت على كلام الخديو قائلا «إننا مطيعون لجناب السلطان الشاهانى و للجناب الخديوى. و لكن هذه اللائحة يستحيل علينا تنفيذها، و لا حق للدولتين فى طلب تنفيذها، فهى تتعلق بمسائل من اختصاص الباب العالى أن ينظر فيها و يستحيل علينا قبول أحد رئيسا للجهادية خلاف رئيسنا أحمد عرابى»، و وافق على قوله الشيخ عليش و العلماء جميعا. ثم غادر طلبة باشا مجلس الخديو بدون استئذان و تبعه الضباط و العلماء.

و بعد ضرب الإسكندرية فى ۱۱ يولية عام ۱۸۸۲ هب عرابى باشا للدفاع عن البلاد، فأصدر الخديو أمر بعزله فى ۱۰ يولية، و بناء على ذلك اجتمع المؤتمر الوطنى للمرة الثانية فى ۲۲ يولية سنة ۱۸۸۲ ليقرر موقف الأمة من الخديو الذى أعلن بتصرفاته انضمامه إلى الإنجليز. و تلا الشيخ محمد عبده على أعضاء المؤتمر أوامر الخديو التى تثبت إدانته و منشورات عرابى باشا التى تدعو إلى الدفاع عن الوطن. ثم ألقى على باشا الروبى خطبة ندد فيها بموقف الخديو المزرى إزاء قضية البلاد، ثم تليت فتوى شرعية أصدرها العلماء بمروق الخديو عن الدين لانحيازه إلى الجيش المحارب لبلاده، فأصدر المؤتمر الوطنى قراره التاريخى بعزل الخديو و وقف أوامره و تكليف عرابى بالدفاع عن البلاد، و تكليف المجلس العرفى بتبليغ هذه القرارات للسلطان، و وقع الحاضرون على ما قرره المؤتمر الوطنى و كان من بين العلماء الموقعين على ذلك: الشيخ محمد الإنبابى شيخ الجامع الأزهر، الشيخ حسن العدوى، الشيخ عبد اللّه

الدرسناوی مفتی الحنفیة، الشیخ محمد علیش مفتی المالکیة، الشیخ یوسف الحنبلی مفتی الحنابلة، مفتی الأوقاف؛ الشیخ عبد الهادی الإبیاری، الشیخ محمد

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۸۶

الأشمونی الشیخ خلیل العزازی، الشیخ مسعود النابلسی، الشیخ محمد القلماوی، الشیخ زین المرصفی، الشیخ حسین المرصفی، الشیخ سلیم عمر القلعاوی، الشیخ عثمان مدوخ، الشیخ عبد الرحمن السویسی، و من رجال القضاء الشرعی: الشیخ أبو العلا الخلفاوی الشیخ عبد القادر الرافعی، الشیخ عبد القادر الدلیشانی، الشیخ أحمد الخشاب.

الأزهر یغذی ثورة عرابی:

و لقد کان البارودی و محمد عبده و سعد زغلول و محمد ندیم قادة التفکیر و القلم فی هذه الثورة، و استأنفت الحرکة الفکریة سیرها الذی قطعته الحوادث، و بدت طلائع نهضة جدیدة فی الآداب العربیة، و ظهر فی الإنتاج الأدبی یومئذ عنصر قوی من الأدب المبتکر، و أخذت فی نفس الوقت عناصر الثقافة الجدیدة تحدث أثرها فی إنتاج الجیل الجدید. و یعود الفضل فی ذلک کله إلی الأزهر، و ظهرت طائفة من المؤلفات و الکتابات القومیة التی تحررت من اغلال القدیم سواء فی اللفظ أو المعنی، و حملت هذه الروح الجدیدة فی طریقها کل شیء، و غدت أقوی دعامة فی صرح النهضة.

قویت الحاجة الی الصحافة و ظهر عبد اللّه ندیم بجریدته «التنکیت و التبکیت»، إلا ان الندیم ابدل الاسم فی آخر لحظة باسم الطائف تیمنا باسم مدینة الطائف فی الحجاز، و بالنسبة إلی انها تطوف بأرجاء الدنیا، کما کانت «الجواکب» التی یصدرها أحمد فارس الشدیاق باستامبول تجوب أرجاء العالم. و اتخذ رجال الثورة «الطائف» لسان حالهم، فکانت تذیع المنشورات و الأوامر و تحض علی الجهاد، و کانت تطبع من داخل معسکر کفر الدوار.

و الی جانب الطائف صدرت عدة صحف للثورة منها: المفید للسید أمین الشمسی و الزمان، و الاعتدال و غیرها

و قام الشعراء فی القاهرة و فی الإسکندریة یلقون الأشعار الحماسیة

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۸۷

و القصائد الوطنیة، فمن ذلک ما نظمه أحد علماء الأزهر من قصیدة مطولة له یقول فیها:

لعمرک لیس ذا وقت التصابیو لا وقت السماع علی الشراب

و لا وقت الجلوس علی القهاویو لا وقت التغافل و التغابی

و لا وقت التشبب فی سلیمیو لا وقت التشاغل بالرباب

و لکن ذا زمان الجد وافیو ذا وقت الفتوة و الشباب

و وقت فیه الاستعداد فرضإقامة بالقلاع و بالطوابی

و وقت فیه الاستعداد فرضلتنفیذ الأوامر من عرابی

و قولوا یا عرابی دم رئیسالحزب النصر محفوظ الجناب

و من قصیدة أخری لشاعر آخر جاء فیها:

نوال المعالی طعان الکتائبو نیل الأمانی من ثمار المتاعب

و ظهر الأعادی بالتدبر أولاو بعد بإشهار السیوف القواضب

و من کعرابی فی البرایا و حزبهأولی العزم أصحاب القنا و القواضب

و قام الخطباء یحضون الشعب علی مقاومة أعداء الدستور، و الأخذ بناصر زعماء الثورة، و کان عبد اللّه ندیم خطیب الثورة لا یفتأ

یخطب فی کل ناد و مجتمع و مسجد، فمن ذلک خطبته التی خاطب بها جنود الجیش:

حماة البلاد و فرسانها. من قرأ التاریخ، و علم ما توالی علی مصر من الحوادث و النوازل، عرف مقدار ما وصلتم إلیه من الشرف، و ما کتب لکم فی صفحات التاریخ من الحسنات، فقد ارتقیتم ذروة ما سبقکم الیها سابق، و لا یلحقکم فی إدراکها لا حق ألا و هی حمایة البلاد و حفظ العباد و کف ید الاستبداد عنهما، فلکم الذکر الجمیل و المجد المخلد یباهی بکم الحاضر من أهلنا، و یفاخر بأثرکم الآتی من أبنائنا فقد حبا اللّه الوطن بحیاة طیبة بعد أن بلغت الروح التراقی، فإن الأمة جسد و الجند روح، و لا حیاة للجسم بلا روح، و هذا وطنکم العزیز أصبح یناجیکم و یناجیکم.

و کانت خطبة الجمعة فی المساجد تحض علی الجهاد، فمن ذلک

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۸۸

خطبة الشیخ علی المیلجی فی مسجد أسیوط حیث کان یحض المصلین علی الغزو و الجهاد و التطوع فی سبیل نصرة الجیش، إذ قال:

إن الانجلیز قد طاشت عقولهم، و عمیت بصائرهم، فلم یحسنوا الضروریات، فساموا بسوق أموالنا و دیارنا نفیسها، و ساقوا إلینا من زیف المعارضات خسیسها. و قابلوا عیشنا بخداع، و فتشوا أکتافنا لغدر أضمروه لیوم النزاع، و نحن لما جبلنا علیه من محاسن الإیمان. و فینا لهم بعقد الذمة و الأمان. فعاملناهم بالحسنی، و جبرنا ما کان منهم ضعفا و وهنا، فلما صحت أبدانهم، و عمرت أوطانهم، لم یقنعوا، فعاد علیهم سوء الحال بالانقلاب، فخربوا بیوتهم بأیدیهم من غیر زعزعة منا و لا اضطراب.

و هکذا خاتمة أهل السوء و الفحشاء.

و قد بذل العلماء جهودا کبیرة، فی سبیل الدفاع القومی، فدعوا إلی التطوع فی صفوف الجیش المصری و إمداده بالمؤن و التبرعات.

و کان من أبرزهم الشیخ محمد عبده، و الشیخ حسن العدوی، و السید عبد اللّه الندیم الذی کان لسان الثورة الناطق و الذی کان یستدعی للخطابة بالبرق، حتی لقب بخطیب الثورة، بل (خطیب الشرق).

و بعد انتهاء الثورة العرابیة قبض علی زعمائها و علی المشترکین فیها و قدموا للمحاکمة و هذا بیان بالعلماء الذین قبض علیهم و الأحکام التی صدرت ضدهم، و أمام کل منهم اسم البلد التی اختارها لمنفاه :

الشیخ عبد الرحمن علیش، و قد نفی خمس سنوات خارج القطر المصری بالآستانة.

الشیخ عبد القادر قاضی مدیریة القلیوبیة، و قد نفی أربع سنوات خارج القطر المصری ببیروت.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۸۹

الشیخ محمد الهجرسی، و قد نفی أربع سنوات خارج القطر المصری بمکة المکرمة.

الشیخ أحمد عبد الجواد القایاتی، و قد نفی أربع سنوات خارج القطر المصری ببیروت.

الشیخ محمد عبد الجواد القایاتی، و قد نفی أربع سنوات خارج القطر المصری ببیروت.

الشیخ یوسف شرابة، و قد نفی أربع سنوات خارج القطر المصری بغزة.

الشیخ محمد عبده، و قد نفی أربع سنوات خارج القطر المصری ببیروت.

هذا مع تجریدهم من الرتب و الامیتازات و المناصب و علامات الشرف.

و حکم علی العلماء الآتیة أسماؤهم بتجریدهم من جمیع رتبهم و علامات شرفهم و امتیازاتهم:

الشیخ حسن العدوی و ابنه الشیخ أحمد العدوی- الشیخ أحمد المنصوری- الشیخ محمد السملوطی- الشیخ أحمد البصری- الشیخ محمد أبو العلا الخلفاوی العضو الأول بالمحکمة الشرعیة- الشیخ عبد الوهاب عبد المنعم قاضی إسنا سابقا- الشیخ محمد أبو عائشة قاضی بور سعید سابقا- الشیخ علی الجمال نقیب الأشراف بدمیاط- الشیخ أحمد عبد الغنی- الشیخ محمد عسکر- الشیخ أحمد مروان- الشیخ محمد جبر قاضی المنصورة سابقا- الشیخ عبد البر الرملی قاضی العریش سابقا- الشیخ أحمد صلی نائب محکمة

المنصورة سابقا- الشيخ محمد غزالى قاضى مركز البحيرة.

و قد استدعى الشيخ حسن العدوى من السجن لمحاكمته يوم الثلاثاء (۱۴ محرم سنة ۱۳۰۰- ۵ ديسمبر سنة ۱۸۸۲)، فنطق بالحق غير هياب

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۹۰

و لا- وجل، و لا- مكترث بالحكم الذى سيصدر عليه، و نقتبس هنا طرفا من محاكمته: سئل رحمه اللّه تعالى: هل ختم على عزل الخديوى و إسناد أمر الدفاع عن البلاد إلى عرابى باشا برغبته و رضاه، أم لسبب آخر؟. فأجاب «ختمت تابعا للعلماء الذين ختموا قبلى مثل شيخ الإسلام و مفتى الجامع الأزهر و شيخ الجامع و غيرهم، و كان ختمى برغبتى و رضائى للمدافعة الواجبة شرعا و سياسة، و ما كان ينبغى لأحد أن يمتنع عن الختم. و لما سئل: هل علم المجلس أنك أفتيت بعزل الجناب الخديو فهل هذا حقيقة أم لا؟ أجاب: بأنه:

لم تصدر منى فتوى فى ذلك، و لم أسأل فى هذه المادة. و مع ذلك فإن جئتمونى الآن بمنشور فيه هذه الفتوى فإنى أوقعه، و ما فى وسعكم و أنتم مسلمون أن تنكروا أن الخديو توفيق مستحق للعزل لأنه خرج عن الدين و الوطن.

و قد وقفنا على قصيدة لحضرة الفاضل الشيخ محمد النجار جمعت ما جمعت من وصف الحال فى الثورة العرابية، و الدعاء لاستنهاض الهمم و استثارة الحمية، و جاء فيها:

بالنصر قد جاء الكتاب مشيراو به أتى هادى الأنام بشيرا

يا أحمد المرجو لمصر و من غدافينا أمينا للجيوش أميرا

بشراك بالنصر المبين فثق بهو كفى بربك هاديا و نصيرا

فازحف بجيشك يا مظفر ضاربافى الإنجليز و قاتلن سيمورا

و اقطع بسيفك أمة قد أمرواأنثى عليهم إذ عدمن ذكورا

قوم تربوا فى الثلوج فطبعهميهوى البرود و لا يطيق حرورا

يا يوم قد خرجوا و جر و بورهمرمما و جرحاهم تمج بحورا

رجعوا و يوم السبت مبغوض لهمإذ لم يروا فى يوم سبت نورا

قد أحرقوا قتلاهم من ظلمهمحتى لقد ظلموا بذاك سعيرا

ضربوا مدافع حزنهم أسفا علىمن مات منهم خاسئا و حسيرا

ندبوا رؤوسهم و قد هلكوا و مابالبحر إلا من رأيت صغيرا

كتبوا لسيدة لهم أن جهزىغنما لعيد المسلمين كثيرا

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۹۱ و تغيبوا عنا زمانا و انثنوامثل الفراش فدمروا تدميرا

يا إنجليز و من ينادى ميتايخطى و كيف أخاطب المقبورا

بالثغر جئتم بغتة و ضربتمومن غير وعد أولا و أخيرا

و اسكندرية قد ضربتم دورهاما الحرب ضربكم البنا و الدورا

ما عندنا إلا رجال ذكرهميسمو على مر الزمان دهورا

ما عندنا الا أسود عساكروقفت لتنحر بالسيوف نحورا

أنسيتمو أرضا حبتكم ثروةو سكنتموها جنة و قصورا؟

و رأيتم فيها رجالا أمرهمفى حفظهم لكم غدا مشهورا

أنسیتم أرضا دخلتم روضهاو جنیتم ثمرا به و زهورا؟

ذوقوا رصاصا من بنادق هیئةلکم لتشرح فی الصدور صدورا

و خذوا مدافع بالقنابل أرسلتلکم لتأخذ جسمکم و تطیرا

هذا جزاؤکم علی کفرانکمنعما، و لا یرضی الإله کفورا

نحن الألی کنا نیاما حیث لاعدل و کان أمیرنا مأمورا

نمنا کأهل الکهف دهرا لیتناقد کان حافظ أمرنا قطمیرا

نحن الألی کنا ضعافا حیث لاشرع و کان کتابنا مهجورا

حتی فقدنا قوة العرب الألیفتحوا البلاد و أحسنوا التدبیرا

و الیوم نبهنا الزمان و جاءناحامی حمی القطر السعید مجیرا

یا طالما کذبت جرائدکم علیأولاد مصر و اقترفتم زورا

و بعثتم أولادکم و نساءکمو سقیتم أهل الفساد خمورا

کنا ضعافا حیث لا حریةفینا و لم نعرف لذاک غیورا

و الیوم قام لأحمد الجیش الذیوافی و أصبح جیشه منصورا

و أتته من أهل البلاد إعانةو عساکر ضربوا لذاک نفیرا

عرب التقی أهل التقی من خیلهمسبقت لتنزل فی العدو صقورا

و عساکر هجموا أسود فی الوغیولدی اصطفاف الصف صاروا سورا

و رجال دین حیث قد خافوا علیذریة من بعدهم تکفیرا

خافوا علی أعراضهم من أمةخانت و کم فضحت و فضت حورا

خافوا علی أوطانهم و بلادهمخافوا علی جعل الغنی فقیرا

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۹۲ خافوا علی جعل المساجد مربطاللخیل أو جعل الرجال حمیرا

خافوا علی الکتب التی قد دونتو لکم حوت علما یزیدک نورا

خافوا علی آل الرسول و بیتهو اللّه فضلهم علیک کثیرا

خافوا علی الدین القویم و أهلهمن أشبهوا فی الاهتداء بدورا

خافوا علی مفتاح بیت اللّهو البقع التی قد طهرت تطهیرا

خافوا علی ترک الفروض و قطعناجهر الأذان و هجرنا التکبیرا

یا مسلمون استبشروا فعدوکمولی، و أصبح جیشه مکسورا

و لسوف یغلو قدرکم و مقامکمیعلو و امرکم یکون شهیرا

یا أیها الشجعان هذا و قتکمفأروا العدا عزما لکم مشهورا

ان الحیاة مع المذلة موتةو بها نری عذب المذاق مریرا

کونوا کما انتم علیه و جاهدواحق الجهاد و حاذروا التأخیرا

بیضتم صحف التواریخ التیفاحت بذکرکم الزکی عبیرا

لا کان أخذ الانکلیز بلادناأبدا و لا قد کان ذا مقدورا

و اللّه لو رحنا جمیعا ما نریتسلیمنا تلک البلاد یسیرا

أرض سقيناها دموع عيوننا و بها جرى النيل السعيد غزيرا

أرض عليها استشهدت أجدادنافعلام لا يرث الصغير كبيرا؟

إن عاش منا واحد يا سعدهأو مات لاقى جنة و حريرا

وطن بأيدينا زرعنا أرضهفغدا نضيرا ينبت الاكسيرا

يا آل مصر ألا فقووا عزمكمو استغنموا بيد الجهاد أجورا

يا آل مصر ألا أعينوا جيشكمإذ قام يحفظ بالدفاع ثغورا

إذ قام يحفظ أرضكم و بلادكمو نساءكم و صغيركم و كبيرا

يا آل مصر ألا اتركوا من عضدواقوما لقد خانوا فكانوا بورا

هم خائنو الوطن الذى شبوا بهو فقيرهم منه لقى تنكيرا

هم خائنو الرتب التى قد نقصتبهم فكانوا للعباد شرورا

آل النفاق علام تبغون العداألكم بهم نسب غدا مستورا؟

أم أنهم لا كنتم أحبابكمو لديهم صار اسمكم مسطورا

فى بورسعيد و غيره قد ختمتمو فعلتم للانجليز أمورا

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۹۳ بور لكم، و سعيد طالع وقتناو لكم بذا يوم يكون عسيرا

من لم يكن فيه لمسقط رأسهخير رأى فى غيره التحقيرا

سأرى بسعد الفال شعرى ناطقاو لرب أشعار تكون ثبورا

عما قريب سوف يظفر جيشناو يجى عرابينا لنا مسرورا

و نرى الألى حملوا لواء النصر فىحفظ البلاد و أنجزوا المأمورا

و يسرنا تقبيل مسك وجوههمفلقد بنوا لحمى الشريعة سورا

و نرى بهذا القطر أعظم زينةفرحا بما قد ناله و سرورا

و نرى لمصر سعادة أبديةو يكون من فيها بذاك فخورا

و تكون للسلطان أعظم قوةو لها يكون معضدا و ظهيرا

و هى صورة للشعر الوطنى فى الثورة القومية الوطنية التى قام بها عرابى و إخوانه.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۹۴

قوانين الأزهر

و منذ عام ۱۸۷۲ م (۱۲۸۸ ه) وضعت للأزهر عدة قوانين لتنظيمه و إصلاحه من أهمها.

۱- قانون بتنفيذ قانون التدريس- ۳ من فبراير ۱۸۷۳.

۲- قانون امتحان من يريد التدريس بالجامع الأزهر- ۲۴ من مارس ۱۸۸۵.

۳- قرار بضبط عدد أهل الجامع الأزهر- ۱۵ اكتوبر ۱۸۸۵

۴- قانون بامتحان التدريس- ۱۹ يناير ۱۸۸۸.

۵- قانون بتشكيل مجلس إدارة الأزهر- ۳ يناير ۱۸۹۵.

۶- قانون بامتحان من يريد التدريس فى الأزهر- ۱۷ يناير ۱۸۹۵.

۷- قانون صرف المرتبات بالأزهر- ۲۹ یونیو ۱۸۹۵.

۸- قانون کساوی التشریفة العلمیة- أول فبرایر ۱۸۹۶.

۹- قانون الجامع الأزهر- ۸ محرم ۱۳۱۴- أول یولیو ۱۸۹۶.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۹۵

الفصل الثانی بعد الثورة العرابیّة

و اصل الأزهر سیره العلمی بعد الثورة، و عنی الإمام محمد عبده و المصلحون من علماء الأزهر بالدعوة الی تجدید الدراسة فی أروقة الأزهر و معاهده.

و قد صدر عام ۱۳۲۹ ه، ۱۹۱۱ م قانون بإصلاح الأزهر الشریف، کان له أثره الکبیر فی حیاته العلمیة، و جاء فی المادة الأولی منه أن الجامع الأزهر هو المعهد الدینی العلمی الإسلامی الأکبر: و المعاهد الاخری هی:

معهد مدینة الإسکندریة: معهد مدینة طنطا: معهد مدینة دسوق: معهد مدینة دمیاط .. و کل معهد یؤسس فی القطر المصری بإرادة سنیة، و کذا کل معهد أهلی یتقرر إلحاقه بالجامع الأزهر أو بأحد المعاهد الأخری بالشروط و الأوضاع التی تبین فی لائحة یضعها المجلس الأعلی و یصدق علیها بإرادة سنیة.

و جاء فی المادة الثانیة أن الغرض من الجامع الازهر و المعاهد الأخری هو القیام علی حفظ الشریعة الغراء و فهم علومها و نشرها علی وجه یفید الأمة و تخریج علماء یوکل إلیهم أمر التعالیم الدینیة و یلون الوظائف الشرعیة فی مصالح الأمة و یرشدونها إلی طرق السعادة.

و فی المادة الثالثة تکون مدرسة القضاء الشرعی قسما ملحقا بالجامع الازهر و تبقی حافظة لنظامها المقرر لها فی قانون ۲۵ فبرایر سنة ۱۹۰۷، و یحل مجلس الأزهر الأعلی محل ناظر المعارف العمومیة فی جمیع

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۱۹۶

الاختصاصات التی له الآن بمقتضی القانون المشار الیه و تفصل میزانیة المدرسة عن نظارة المعارف و یخصص لها باب مستقل فی میزانیة الحکومة العمومیة، و تجری علیها الأحکام المتعلقة بها و یبقی موظفو المدرسة من مستخدمی الحکومة.

و فی المادة الرابعة: أن شیخ الجامع الأزهر هو الإمام الأکبر لجمیع رجال الدین و الرئیس العام للتعلیم فیه و فی المعاهد الأخری و المشرف الأعلی علی السیرة الشخصیة الملائمة لشرف العلم و الدین بالنسبة إلی من ینتمی لجمیع المعاهد من أهل العلم و حملة القرآن الشریف و کذا من کان من أهل العلم و حملة القرآن الشریف من غیر المصریین.

و فی المادة الخامسة: أن شیخ الجامع الازهر بصفته رئیس المجلس الأعلی هو المنفذ الفعلی العام لجمیع القوانین و اللوائح و القرارات المختصة بالجامع الأزهر و المعاهد الاخری. و أرباب الوظائف فی جمیع المعاهد تابعون بهذه الصفة و خاضعون لأوامره، طبقا لما هو مقرر فی هذا القانون.

و فی المادة السادسة: یکون لکل مذهب من المذاهب الأربعة بالجامع الأزهر شیخ، و کذا یکون لکل معهد من المعاهد الأخری. و یجوز عند الاقتضاء تعیین وکلاء للجامع الازهر و لباقی المعاهد، و یکون لهم جمیع الاختصاصات التی للمشایخ فی حال غیابهم الرسمی.

و فی المادة الثامنة و التاسعة: یکون بالجامع الأزهر مجلس یسمی مجلس الأزهر الأعلی. و تنشأ مجالس إدارة للأزهر و لمعهد الإسکندریة و طنطا. و یؤلف مجلس الأزهر الأعلی من شیخ الجامع الأزهر بصفة رئیس و من ثمانیة أعضاءهم: شیخ السادة الحنفیة، شیخ السادة المالکیة، شیخ السادة الشافعیة، شیخ السادة الحنابلة- مدیر عموم الأوقاف المصریة- ثلاثة ممن یکون فی وجودهم

بالمجلس فائدة لترقية التعليم و حسن انتظام إدارته بشرط أن يكونوا من الحائزين للصفات الملائمة لحالة الجامع الأزهر و المعاهد الأخرى،

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۹۷

و يكون تعيينهم بإرادة سنية بناء على قرار من مجلس النظار و فى غياب شيخ الجامع الأزهر ينوب عنه فى الرياسة شيخ السادة الحنفية.

و فى المادة العاشرة يختص مجلس الأزهر الأعلى بما يأتى:

أولا- وضع الميزانية العمومية للجامع الأزهر و المعاهد الأخرى.

ثانيا- النظر فى إنشاء المعاهد الدينية العلمية الإسلامية و إلحاق بعض المعاهد الصغرى بالتى هى أكبر منها أو تغيير تبعيتها.

ثالثا- النظر فى فصل المعاهد من تبعية غيرها و جعلها تابعة للجامع الأزهر مباشرة.

رابعا- النظر فى إنشاء مجالس إدارة للمعاهد التى ليس لها مجلس إدارة.

خامسا- وضع النظم العامة للتدريس و الامتحانات.

سادسا- التصديق على تقرير الكتب التى تدرس بالجامع الأزهر و المعاهد الأخرى.

سابعا- النظر فى ترشيح مشايخ المعاهد الأخرى و الوكلاء و ترقيتهم و نقلهم و فصلهم.

ثامنا- النظر فى ترشيح مجالس الإدارة.

تاسعا- التصديق على ما تقرره مجالس الإدارة من تعيين المدرسين و الموظفين و ترقيتهم و نقلهم و فصلهم.

عاشرا- النظر فى منح كساوى التشريف العلمية لمستحقيها بناء على قرارات مجالس الإدارة.

و قد نصت مواد القانون على أن مجلس الأزهر ينعقد بالجامع الأزهر مرة فى كل شهر على الأقل بدعوة من الرئيس، و لشيخ الجامع عقده أكثر من ذلك إن دعا الحال.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۹۸

و إن قرارات مجلس الأزهر الأعلى تكون بأغلبية الآراء، و إن استوى الفريقان فالأرجحية للفريق الذى فيه الرئيس، و لا تصح مداولته إلا إذا حضر الجلسة ستة من الأعضاء سوى الرئيس.

و فى المادة الثانية بعد المائة و ما بعدها: يكون بالجامع الأزهر ثلاثون عالما اختصاصيا، لكل واحد منهم بالازهر كرسى خاص فى المحل الذى يخصص للتدريس العام بمعرفة شيخ الجامع الأزهر و يجوز أن يوجد البعض منهم فى المعاهد الأخرى بصفة شيخ المعهد أو وكيله.

و يطلق على العلماء الثلاثين المذكورين فى المادة السابقة اسم هيئة كبار العلماء.

و يشترط فيمن ينتخب ضمن هيئة كبار العلماء:

أولا- أن لا يكون سنة أقل من خمس و أربعين سنة.

ثانيا- أن يكون قد مضى عليه و هو مدرس فى الجامع الأزهر و المعاهد الأخرى عشر سنين على الأقل منها أربع على الأقل فى القسم العالى.

ثالثا- أن يكون قد ألف كتابا فى أحد العلوم الإسلامية، و أن يكون قد منح الجائزة العلمية المنصوص عليها فى المادة الثانية و العشرين بعد المائة فى هذا القانون

رابعا- أن يكون معروفا بالورع و التقوى و ليس فى ماضيه ما يشين سمعته.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۱۹۹

الفصل الثالث الأزهر و الحركة الوطنية عام ۱۹۱۹

اشارة

فجأة و على غير تدبير سابق نهضت مصر نهضتها الكبرى عام ۱۹۱۹. كما تضىء فى الحفلة الرحبة الجوانب مئات الثريات الكهربائية بحركة لينة من أصبعك. و مرد هذه اليقظة الشاملة شعور مصر فى كل حين أن حقها سليب و حريتها منتهبة، و استقلالها مفقود، و إنما تحتاج النهضات الأخر الى تدبير سابق يسلخ من العمر سنوات فى غير النهوض للحرية و الاستقلال. أما و المصريون أحياء يحسون و يشعرون، و الإنجليز أمامهم فى مظهر السيادة و التملك، فلم يحتج الأمر إلى تدبير مبيت فى الخفاء، إلا أن يهتف هاتف: أيها المصريون هذا يوم الخلاص، ليدوى الصوت فى أفق مصر و يستجيب له صائد الأسماك فى بحيرة رشيد، كما يستجيب له القابض على يد المحراث فى وادى حلفا.

خرجت مصر كلها ... كلها حقا، تطلب الحرية و تنشد الاستقلال، و تدفقت قوة الشباب فى جسوم الشيوخ، و جرت البطولة فى أبدان الشباب، و تفتحت البطولة فى روح الأطفال و الغلمان، و احتوت الشجاعة و الحماسة قلوب السيدات قرويات و حضريات، و أصبحت مصر أغرودة الجميع و حرية مصر لحنا يردده كل فم، و استقلال مصر آية مقدسة يرتلها العابدون الخاشعون

و لقد تجلت كبرياء هذا العهد على الأزهر إذ كان مكانا صالحا للنهوض، و حمل أبناؤه علم الجهاد الشريف الوادع.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۰۰

تيقظ الأزهر دفعة واحدة و تحركت بواعث النخوة و الوطنية فيه، كما تحرك كل ما فى مصر، و انتظم الجيش المسلح بإيمانه، المعتد بحقه، و رفعت الراية، و أصبح معهد الدين و العلم مستقر النهضة الكبرى و مستودع آياتها، و على أبوابه سقط أول شهيد مصرى و هو من أبناء الأزهر، احتمل المدفع الرشاش بين يديه. و كان لا يدرى ماذا يصنع به، و بينا هو يهم أن يقصيه فى مكان ما. إذا بثلاثين رصاصة تخترق جسمه فيخر صريعا!

و لست أستطيع أن أقول شيئا عن الاجتماعات التى عقدت فى الأزهر، فلم يكن منبره يخلو لحظة من خطيب. و لا عن أولئك الرجال الأبطال الذين كانوا يتوسدون أيديهم، و ينامون على أرض ذلك المسجد الفسيح .. و من المجاهدين من علمائه الزنكلونى، و عبد الباقى سرور، و الشيخ أبو العيون و سواهم، ممن اشتدت الحركة الوطنية بفضل ما أفادوه فى بعث روح الإقدام و الجرأة فى نفوس المصريين.

و كان الفقيد الكريم القاياتى يؤوب من المظاهرة فى منتصف الليل، فيطوى رداءه تحت رأسه على «حصيرة» فى الأزهر و ينام حتى الصباح ليخطب فى المجتمعين.

أما المظاهرات فحدث عن إقدام الأزهريين و لا حرج، فقد كانت طرقات مصر كلها تغص بهم، و تمتلىء رحابها بإقدامهم، و هم يتراكضون فى أنفة و عزة و شموخ إلى غاية المجد، إلى حيث الحرية و الاستقلال.

كان كل شىء فى هذه النهضة جميلا ساميا، كأننا فى جنة من جنان الخلد، و كان الشعور السائد القوى، شعورا سماويا، حتى نسينا البغض و الحقد و التمرد على الواجب، و أصبح كل فرد يحتضن أخاه المصرى كأنهما ولدا فى منزل واحد، و يناجيه كأنه وليه الحميم.

فى هذا العهد الذى كان يتهم فيه الأزهر بالتعصب و صرامة الرأى، كان هو الذى فتح أبوابه لأبناء الطائفة القبطية محتفلا مرحبا، و كانت هذه الظاهرة العجيبة من أقوى أسباب التضامن الوثيق بين العنصرين.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۰۱

كذلك اغتبط الأزهريون و فرحوا أن تشترك المصريات فى هذه النهضة سافرات و محجبات، و رأينا القس يعانق الشيخ الأزهرى فوق منبر الازهر، كذلك رأينا السيدة المصرية تخطب فى هذا المكان المقدس.

و نذکر أن السلطة قررت منع الجمهور من دخول الازهر، و أرصدت على أبوابه طائفة من الجنود المصريين و طائفة من الإنجليز.

و كان من يحضرون إلى الازهر، يلقون أمر المنع، غير أن الوطنية المصرية أبت على الجنود المصريين أن يشتركوا فى صد جماهير الأمة عن كعبتها المقدسة، فكانوا يقولون لكل من يفد:

زاوية العميان! و كانوا يقصدون بهذا القول أن يرشدوا الناس إلى طريق غير معروف لدخول الأزهر، فلقن الجنود الإنجليز هذا التعبير العربى، و جعلوا يقولون لكل من يفد:

زاوية العميان! و بذلك اشتركوا مرغمين فى أن تعقد الاجتماعات فى الأزهر بدعوة منهم و هم لا يعلمون.

كذلك أتقن الطلاب فن التنكر و التخفى، فقد حرم دخول «الأفندية» الى الأزهر، غير أن هذا جعل الشبان يتنكرون فى أزياء الشيوخ المعممين من شتى الأقطار، فهذا مراكشى و ذاك تركى و ثالث حجازى و رابع هندى و خامس جاوى. و هكذا و لكنهم أخيرا كانوا يخرجون فى زيهم الحقيقى زى «الأفندية»، فكان الجنود الإنجليز يتغيظون و يشتمون.

الأزهر بعد الثورة المصرية

فى سنة ۱۹۲۳ م أنشىء قسم للتخصص فى العلوم الأزهرية بعد الحصول على الشهادة العالمية ليستزيد العالم تمكنا من مادته، و اقتدارا على أداء مهمته، فأنشىء هذا القسم من بضعة شعب. و كانت شعبة الفقة

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۰۲

و الأصول إحدى هذه الشعب، و هى تعد خريجها لتولى وظائف القضاء الشرعى فى الدولة، و قد مهدت لإلغاء مدرسة القضاء الشرعى فيما بعد، و استعيدت حقوق الأزهريين فى شغل هذه الوظائف بعد أن سلبت منهم حقبة طويلة .. و عنى بالتوسع فى دراسة العلوم الحديثة فى المرحلتين الابتدائية و الثانوية بالمعاهد الدينية على غرار ما يدرس منها فى المدارس الأخرى.

و أنشىء لهذه العلوم تفتيش مستقل بإدارة المعاهد، و زودت المعاهد بالمعامل اللازمة لدراستها، و عين كثير من العلماء ممن تميز فى هذه المواد لتدريسها، و قد عدلت هذه البرامج فيما بعد بما يتفق و مكانها من العلوم الدينية، و تم إنشاء القسم الثانوى لمعهد أسيوط و كان ابتدائيا، ثم إنشاء معهد الزقازيق.

و ظل الأزهر يخطو نحو غايته مسرعا إذ وضع الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر مذكرته فى إصلاح الازهر، تلك المذكرة التى تعتبر دستور الازهر الحديث، و كل ما يلهج به دعاة الإصلاح بعدها فهو مقتبس منها أو مستمد من مبادئها و روحها، فقانونا سنتى ۱۹۳۰، ۱۹۳۶ هما فى الحقيقة قانون واحد صيغا من مبادئها و فصلا إجمالها، و بهذين القانونين على الأصح انتقل الأزهر من حال الاضطراب الثقافى إلى حال الاستقرار النهائى، و من حال العزلة التى نكرها على نفسه و أنكرها الناس منه إلى حال المشاركة فى شؤون الأمة العامة، فقد جعلت العالم الأزهرى عضوا حيا فى أمته يفيد منها و تفيد منه، و رسمت له غايته و الوسائل التى تعينه على أدائها، و شمل القانون الذى استمد منها نواحى إصلاحية كثيرة، و الذى يعنينا منها هنا الناحيتان العلمية و المالية.

أما الناحية العلمية فأهمها تقسيم الدراسة العالية لأول مرة فى تاريخ الأزهر إلى ثلاثة اقسام، يعد كل قسم منها خريجيه لمهمة خاصة بعد إعداده لهذه المهمة إعدادا فنيا فى أقسام أخرى تلى هذه الأقسام تسمى «أقسام التخصص فى المهنة».

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۰۳

و أنشىء لمجموع هذه الأقسام كليات ثلاث- و هى كلية الشريعة، و كلية اللغة العربية، و كلية أصول الدين- على أن يلى خريجو هذه الكليات المهن التى تليق بمؤهلاتهم بعد تخصصهم فيها، فيلى خريجو كلية أصول الدين وظائف الوعظ و الإرشاد، و خريجو كلية الشريعة وظائف القضاء الشرعى، و خريجو كلية اللغة العربية وظائف التدريس فى المدارس الأميرية و الحرة.

و قد ألحق بهذه الكليات أقسام للتخصص فى المادة، و هى أقسام علمية ممتازة قصد منها إعداد بعض العلماء إعدادا ممتازا، بعد

دراسة عميقة ليمكنهم القيام بوظائف التدريس فى الكليات.

و الإعداد خريجى هذه الكليات إعدادا صحيحا أدخل فى مناهج الدراسة فيها لأول مرة فى تاريخ الازهر أيضا مجموعة من العلوم التى تتصل بمهمتهم، فأدخل فى مناهجها فقه اللغة و علم النفس و علوم التربية و الفلسفة و تاريخ الأديان و دراسة الفرق الإسلامية، و أصول القوانين و الاقتصاد السياسى، و النظام الدستورى، كما أدخل فيها دراسة بعض اللغات الغربية و الشرقية.

و مما تضمنه القانون إنشاء معاهد للاستماع خاصة فى بعض المدن لا تتقيد بقيود المعاهد النظامية، و الغرض منها سد حاجة من يريد معرفة أحكام الدين و اللغة العربية من جمهرة الأمة، على أن يتبع فيها طريقة التدريس التقليدية فى الأزهر، و يكون مقرها فى المساجد.

و أما الناحية المالية و أعنى بها الحقوق التى ظفر بها خريجو الأزهر بمقتضى هذا القانون، فأهمها أنه ألغى مدرسة القضاء الشرعى، فأصبحت وظائفه خالصة لخريجى كلية الشريعة دون غيرهم، و جعل من حق خريجى كلية اللغة العربية التدريس فى مدارس الحكومة و المدارس الحرة و كانت محجورة عليهم قبل ذلك، و جعل من حق خريجى كلية أصول الدين شغل وظائف الوعظ و الإرشاد التى أنشئت قبيل صدور القانون، و التى لم تزل

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۰۴

تنمو حتى أصبحت لها إدارة خاصة، و بلغ عدد الوعاظ الذين تشرف عليهم هذه الإدارة نحو ۲۵۰ واعظا يؤدون للأمة أجل الخدمات فى إصلاح الأمن و تهذيب النفوس. و يقضينا الإنصاف أن نشير هنا إلى فضل المغفور له محمد محمود فى إنشاء قسم الوعظ، فقد أشار عليه الشيخ المراغى شيخ الجامع الأزهر سنة ۱۹۲۸ م بتعيين عدد من العلماء فى وظائف الوعظ بوزارة الداخلية لإصلاح حال الأمن من طريق نشر تعاليم الدين، فاستجاب لهذه الإشارة بعد استحسانها من لدن الرأى العام فى الأمة، و عين خمسين واعظا فى الوجه البحرى. و بعد تعيينهم ببضعة أشهر نقلوا بميزانيتهم إلى الأزهر، فكانوا نواة هذا القسم الكبير. و قد كفل القانون لخريجى الكليات حقوقا أخرى فى وظائف الدولة، ليس هذا موضع تفصيلها. و بهاتين الناحيتين من الإصلاح العلمى و المادى اللتين شملهما القانون المستمد من المذكرة المشار إليها فيما سبق تقاربت مسافة الخلف بين خريجى الأزهر و خريجى المعاهد الأخرى و طوائف الأمة عامة، و تجدد نشاط الأزهر فى أداء رسالته، و أحست الأمة بأن له مكانا فى خدمتها، و أنه يأخذ منها و يعطيها. و لما كانت الكليات الأزهرية و التى تضمنها القانون فى حاجة إلى اماكن للدراسة، لذلك بدىء بإنشاء هذه الأماكن فى مدينة أزهرية خاصة واسعة الأرجاء حول الجامع الأزهر، لا- تقصر عليها بل تتسع لها و لأماكن لمعهد القاهرة و لمساكن الطلاب و للإدارة العامة للأزهر و لمستشفى أزهرى خاص، و تسع عدا هذه الأبنية بناء للمكتبة الأزهرية و ما يلحق بها من المطابع وقاعة للاحتفالات العامة تسع ألفين من النظارة، و وضع تصميم هذه المبانى و فتح لها فى الميزانية العامة سنة ۱۹۲۹ م اعتماد مالى بمبلغ يقرب من ثلاثة أرباع المليون من الجنيهات، و بدىء فى تنفيذها إذ ذاك بالفعل، و فكر المراغى سنة ۱۹۲۸ م فى إرسال بعثات أزهرية دراسية إلى بعض الجامعات الأوربية ليكون أعضاؤها دعاة إلى الإسلام كما كان أسلافهم، و ليفيدوا من ثقافة هذه الجامعات المتجددة ما يتصل بمهمتهم و يسدوا حاجة الأزهر إلى تدريس المواد التى اقترح إدخالها ضمن برامج الدراسة فى المذكرة المشار اليها. و فى سنة ۱۹۳۶ م سافرت هذه البعثات

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۰۵

إلى انجلترا و فرنسا و ألمانيا فى جو من الغبطة و الحذر، و كان فى ذلك أحياء لمجد الأزهر، و قام شيخ الجامع الأزهر بتوديع هذه البعثات بنفسه فى حفل من العلماء و الطلاب، و ألقى فيهم خطابا رسم فيه الغاية من إرسالهم، و صور الجو الذى أحاط بهذه الفكرة فقال: «أرسلكم الأزهر و قلبه يخفق، و أنا واثق من أنكم ستكونون بهديكم و بقولكم و عملكم و محبتكم أحسن الأمثلة لخريجى الأزهر الشريف». و قال: أنتم فى البلاد التى ستقيمون فيها مرشدون أولا و تلاميذ ثانيا و لا يعفيكم واجبكم الثانى من واجبكم الأول

هو فی الحق المقصد الأسمی من هجرتکم» .. و لتمکین الأزهر من أداء رسالته بکل ما یمکن من الوسائل فکر الشیخ الظواهری فی إنشاء مجلة خاصة بالأزهر تکون صوته الرسمی یدوی فی مصر و الأقطار الاسلامیة، و تکون مجالا للنشاط العلمی لعلمائه و طلابه، «و تعمل علی نشر آداب الإسلام، و إظهار حقائقة خالصة من کل لبس و تکشف عما ألصق بالدین من بدع و محدثات و تنبه إلی ما دسّ فی السنة من أحادیث موضوعة، و تدفع الشبهة التی یحوم بها مرضی القلوب»، و ابتدأ صدورها سنة ۱۹۳۰ م و أنشیء لها و لمطبوعات الأزهر و المعاهد مطبعة خاصة کاملة الأدوات تسد الآن حاجة المجلة و الکلیات و المعاهد من جمیع المطبوعات.

و فی یوم الثلاثاء ۲ من ذی الحجة سنة ۱۳۵۱ ه- ۲۸ مارس سنة ۱۹۳۳ احتفل رسمیا بافتتاح کلیة أصول الدین. و فی یوم الأربعاء التالی له احتفل کذلک رسمیا بافتتاح کلیتی الشریعة و اللغة، و جاء فی کلمة شیخ الأزهر إبان ذاک، الشیخ محمد الاحمدی الظواهری التی ألقاها فی هذه المناسبة بحضور رجالات الدولة:

«صدر القانون رقم ۴۹ لسنة ۱۹۳۰ وافیا بهذه الأغراض السامیة، مع المحافظة علی صبغة الأزهر الدینیة و العربیة. و کان من أکبر مزایاه إنشاء کلیات: أصول الدین، و الشریعة، و اللغة العربیة، و جعل أبوابها مفتحة لجمیع الطلاب المسلمین علی اختلاف جنسیاتهم. و استدراک ما کان

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۰۶

فی القوانین السابقة من نقص فی مواد التعلیم علی اختلاف مراحله، فقد جعل من مواد الدراسة فی الکلیات: تاریخ التشریع الإسلامی، و مقارنة المذاهب، و فن الحدیث درایة، و آداب اللغة العربیة و تاریخها، و فقه اللغة، و تاریخ الأمم الإسلامیة، و علم النفس، و الفلسفة، مع الرد علی ما یکون منافیا للدین منها، و غیر ذلک من المواد التی لم تکن تدرس فی القسم العالی من الأزهر الشریف.

و لما کان التخصص فی العلوم هو الطریقة المنتجة التی جری علیها علماء الاسلام فی أوائل العصور، و إلیها یرجع الفضل فی تقدم العلوم و ارتقائها قدیما و حدیثا، نص هذا القانون علی إنشاء أقسام للتخصص فی المواد التی تعنی بها الکلیات، للتبحر فیها، و علی منح المتخرجین منها شهادة العالمیة مع لقب أستاذ، و علی جعلهم أهلا لشغل کراسی الأستاذیة فی الکلیات، کما نص علی إنشاء أقسام للتخصص فی التدریس و القضاء الشرعی و الوعظ و الإرشاد، یکون متخرجوها أهلا للتدریس فی مدارس الحکومة و المعاهد و تولی الوظائف الشرعیة و الدینیة فی الدولة.

و إذا کانت کلیات الأزهر ستکون فی دور خاصة فی حیّه و بحواره، فإن نفس الجامع الأزهر سیکون معمورا بالدروس علی اختلاف أنواعها، مفتح الأبواب لقاصدیه، من المسلمین علی اختلاف طبقاتهم، غیر مقصور علی إقامة الصلاة.

و لقد کان لصدور هذا القانون و انتشار أنبائه وقع حسن عظیم فی نفوس المسلمین فی عامة الأقطار، و قد ابتدأت البعثات تتوارد و تتتابع: من الصین و بولونیا و ألبانیا، و الهند، و غیرها، للاغتراف من هذا المنهل العذب. و أخذت الجامعات الکبری تتصل بالأزهر الشریف، و کان منها جامعة غرناطة، التی لبی الأزهر الشریف دعوتها إلی الاحتفال بمرور القرن الرابع علی تأسیسها».

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۰۷

الفصل الرابع الثورة المصریّة الثالثة و الازهر

اشارة

و قد قامت الثورة المصریة الوطنیة القومیة العسکریة الأخیرة فی ۲۳ یولیو ۱۹۵۲، و کان للأزهر فضل کبیر فی قیامها، و توالت أحداث الثورة، فألف محمد نجیب وزارته الأولی فی ۷ سبتمبر ۱۹۵۲، ثم وقعت اتفاقیة السودان بین مصر و انجلترا فی ۱۲ فبراير ۱۹۵۳، و أعلنت الجمهوریة فی ۱۸ یونیو ۱۹۵۳، و ألفت وزارة الرئیس جمال عبد الناصر بعد ذلک. و کان الأزهر یقوی من دعائم الثورة، و

یدعهم العهد الجدید، الذی ثار علی الفساد فحطمه، و علی الطغیان فهدمه، و لا یزال الأزهر یبارک مبادیء الثورة، و یدعو للإیمان بها.

و منذ بدء الثورة تولی منصب مشیخة الأزهر الشیخ محمد الخضر حسین، ثم الشیخ عبد الرحمن تاج.

و یرجی للأزهر أن یصطبغ بالصبغة العلمیة، و أن یسیر قدما فی سبیل أداء رسالته الجلیلة.

قانون الازهر الجدید

اشارة

و صدر قانون تطویره الأزهر فی عام ۱۳۸۱ ه (۱۹۶۱ م) .. و هذا القانون هو الذی جعل من الأزهر جامعة دینیة علمیة شاملة .. و الذی انتقل بالأزهر إلی مسایرة التطور العلمی فی العالم الحدیث. محافظا فی نفس الوقت علی رسالته الدینیة السامیة و تقالیده القدیمة.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۰۸

و ینص القانون علی أن الأزهر یشمل الهیئات الآتیة:

۱- المجلس الأعلی للأزهر

و هو الهیئة التی تختص بالتوجیه و رسم السیاسة العامة لکل ما یحقق أغراض الأزهر فی سبیل خدمة الفکرة الإسلامیة الشاملة. و یرأس هذا المجلس شیخ الأزهر و یضم أعضاء من کبار العلماء المتخصصین.

۲- مجمع البحوث الاسلامیة

و هو الهیئة العلیا للبحوث الإسلامیة. و یقوم بدراسة کل ما یتصل بهذه البحوث. و یعمل علی تحدید الثقافة الإسلامیة و تنقیتها من الشوائب، و الکشف عن جوهرها الأصیل. و العمل علی نشر الدعوة الاسلامیة.

و تنظیم بعوث الأزهر إلی العالم الإسلامی، و من العالم الاسلامی. و یتکون المجمع من خمسین عضوا من کبار علماء الإسلام، یمثلون جمیع المذاهب الإسلامیة، و یکون من بینهم عدد لا یزید عن العشرین من غیر مواطنی جمهوریة مصر العربیة و یرأس المجمع شیخ الأزهر. و یکون نصف أعضائه علی الاقل متفرغین لعضویته.

۳- ادارة الثقافة و البعوث الاسلامیة

و هی الجهاز الذی یهییء لمجمع البحوث الإسلامیة کل أسباب البحث و الدراسة. و یختص بکل ما یتصل بالنشر و الترجمة و العلاقات الإسلامیة من البعوث و الدعاة و استقبال طلاب المنح.

۴- جامعة الأزهر

و تختص بكل ما يتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر. كما تهتم ببعث التراث العلمى و الفكرى و الروحى للشعوب الاسلامية و العربية. و إعداد بعض العاملين الذين يجمعون إلى جانب التفقه فى العقيدة و الشريعة و لغة القرآن، كفاية علمية و مهنية تؤهلهم للاشتراك فى كل أنواع النشاط و الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة و الموعظة الحسنة. و تضم الجامعة كليات

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۰۹

الدراسات الإسلامية (اصول الدين و الشريعة و القانون)، و كلية الدراسات العربية، و كلية المعاملات و الإدارة، و كلية الهندسة و الصناعات، و كلية الزراعة، و كلية الطب، و كلية التربية، و ذلك علاوة على كلية البنات الإسلامية و التى فتحت مجالا جديدا لدخول الفتيات إلى هذه الجامعة العتيدة.

و ما أن صدر قانون تطوير الأزهر، حتى بدىء فى وضعه موضع التنفيذ.

و فى شهر مارس ۱۹۶۴ وضع حجر الأساس لمبانى الجامعة الجديدة فى مدينة نصر. و قد تم افتتاح مبانى بعض الكليات مثل كليات الهندسة، و العلوم، و الإدارة و المعاملات، و الزراعة، و كلية البنات، و يجرى الآن العمل فى إنهاء بقية مبانى و معامل هذه الكليات و تقدر تكاليف هذه المبانى بحوالى ۰۰۰، ۵۰۰، ۲ جنيه مصرى. و هى مصممة على أحدث الطرز و تضم مدرجات و معامل حديثة.

و تقع كلية الطب فى مستشفى الحسين الجامعى بجوار الجامع الازهر. و هى تضم حاليا ۵۰۰ طالب.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۱۰

و ثورة فى الأزهر أيضا

و جاءت الثورة ..

الثورة بكل مبادئها و روحها و قوتها الثورة التى حررت الشعب، و رفعت سمعة الوطن، و نهضت ببلادنا، فى شتى مرافقها، و أولت الدين نصيبا من إعزازها و عنايتها.

فكان لا بد أن ينال الأزهر على يديها النصيب الموفور من الإصلاح و التجديد و التطور.

و هنا نلجأ إلى الأرقام ..

كانت معاهد الأزهر قبل الثورة عشرين فصارت ۴۵ و كانت ميزانيته مليونين فصارت ۴ ملايين، و فى العام القادم ستصبح ۷ ملايين .

و يقول نائب الرئيس الأسبق السيد حسين الشافعى: إنه لا بد أن ينشأ فى كل مدينة معهد دينى .

و قد قامت الثورة عام ۱۹۵۲ و فى مشيخة الأزهر الشيخ عبد المجيد سليم، ثم خلفه الشيخ محمد الخضر حسين، فالشيخ عبد الرحمن تاج، فالشيخ محمود شلتوت، فالشيخ حسن مأمون، و غير لقب شيخ الأزهر فصار هذا اللقب هو «الإمام الأكبر»

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۱۱

و دخل التطور فى الأزهر بأوسع نطاق، فأعيدت عام ۱۹۵۷ أقسام الدراسات العليا من الأزهر، و أسهم الأزهر فى مختلف وجوه النشاط من العالم الإسلامى، و زيدت بعثاته العلمية إلى الدول العربية و الإسلامية، و استقبل ألوف الشباب من أبناء العالم العربى و الاسلامى ليتثقفوا فى معاهده و كلياته على خيرة الأستاذة و ليعودوا إلى بلادهم أئمة و مرشدين فى شتى علوم الدين و العربية و ذهب الشيخ تاج شيخ الأزهر فى رحلة إلى باكستان و الهند و أندونيسيا، ثم ذهب من بعده الشيخ شلتوت فى رحلة إلى الفلبيين و الملايو. و فى عهده أنشئت إدارة للبحوث و الثقافة الاسلامية.

و جاء دور التنظيم الجديد، تطوير الأزهر فسنّ جمال عبد الناصر قانون الأزهر، الذى صدر فى ۱۸ يوليو ۱۹۶۱، و نص فيه على ما يلى:

۱- إنشاء كليات للدراسات الإسلامية، و كلية للدراسات العربية.

۲- إنشاء کلیات جدیدة للطب و الهندسة و الزراعة و الإدارة و المعاملات فی الأزهر.

۳- إطلاق اسم جامعة الأزهر علی کلیاته الحالیة و ما یجد من کلیات.

۴- انشاء مجلس أعلی لجامعة الأزهر، و مجلس أعلی للأزهر.

۵- انشاء مجلس إسلامی أعلی.

و وضعت مناهج جدیدة للمعاهد الأزهریة و لکلیات جامعة الأزهر، و صارت اللغات مواد أساسیة فی جمیع سنی الدراسة، و کانت هذه المواد من قبل لا تنال عنایتها من المنهج و لا من الدراسة.

هذه هی الثورة الضخمة .. التی دبت فی أروقة الأزهر و معاهده و کلیاته، ثورة بانیة، ترید إیجاد رجل الدین المثقف الواعی المستنیر، و ترید أن یسلح رجل الدین بسلاح العصر القوی المتین.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۱۲

النوابغ الذین تخرجوا فی الأزهر

و قد تخرج فی الأزهر فی العصر الحدیث فریق کبیر من عظماء الرجال.

فمن الزعماء زعیم مصر المغفور له سعد زغلول، و من الأدباء المرحوم علی باشا مبارک و عبد الله فکری باشا، و السید رفاعة الطهطاوی، و حفنی ناصف بک، و الشیخ حمزة فتح الله، و من المصلحین الأستاذ الأکبر الشیخ محمد عبده.

و تخرج فیه کثیرون من أمراء الشرق و مجاهدیه، فمنهم السید الادریسی الذی درس فی الأزهر ثم عاد إلی الیمن یعلم البدو أمور دینهم و یحارب الأتراک فی سبیل استقلال بلاده حتی تقلص الحکم الترکی عن بلاد العرب فی ختام الحرب العظمی، و ما زال سلطانا مستقلا واسع النفوذ حتی لقی حتفه فی سنة ۱۳۴۰ ه.

و منهم السید صدیق حسن خان أمیر یهوبال السابق و قد تخرج فی الأزهر، و کان منتسبا لرواق البخاریة ثم عاد إلی إمارته فاصلح شؤونها و أقام فیها مجالس العلم حتی توفی فی سنة ۱۳۲۹ بعد أن رفع شأن بلاده.

و منهم الشیخ محمد بن عبد الله منلا الصومالی الذی درس فی الأزهر ثم رحل إلی الصومال فأخذ یعلم أمور دینهم و یدعوهم إلی طرح نیر الاستعباد حتی استطاع أن یؤلف بین قلوب القبائل الصومالیة و یحارب الانجلیز و الإیطالیین و البلجیک و البرتغالیین و یستعمل الحیلة و الدهاء فی حروبه، فحطم

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۱۳

جهود الاستعماریین و طرد جیوشهم و ما زال فی کفاح معهم حتی لقی ربه فی سنة ۱۳۲۳ هجریة، فمهد موته الطریق أمام جیوش الاستعمار، و سقطت الصومال بعده فی أیدی الانجلیز و الإیطالیین.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۱۴

اختلافا شدیدا فستراه علی ذلک مؤتلفا أشد الائتلاف یؤلف بین مختلفات ما تفیض علیه نفس الکاتب الهادئة السمحة الرزینة من هدوء سمح رزین

أشهر رجال الأزهر فی أوائل القرن الرابع عشر الهجری

و قد اشتهر فی العصر الأخیر جلة من العلماء الراحلین کانوا فی طلیعة الشیوخ البارزین، علی طریقة الأزهر القدیمة، و قد أدرک البعض زمانهم، و تلقی بعض العلماء عنهم، نذکر منهم:

الشیخ أحمد رفاعی الفیومی. الشیخ أحمد الجیزاوی. الشیخ محمد النجدی. السید أحمد حنبلی البسیونی. الشیخ عبد القادر الرفاعی، الشیخ محمد عبده، الشیخ عبد الکریم سلمان. الشیخ سلیمان العبد. الشیخ أحمد أبو خطوة. الأخوین: الشیخ محمد، و الشیخ أحمد عبد الجواد القایاتی . الشیخ حسن الطویل. الشیخ محمد حسنین البولاقی .

الشیخ حسین زین المرصفی. الشیخ هرون عبد الرازق الشیخ محمد البیجرمی. الشیخ إبراهیم الظواهری. الشیخ محمد بخیت المطیعی. الشیخ عبد الرحمن البحراوی. الشیخ محمد راضی الکبیر. الشیخ محمد رصی البحراوی. الشیخ محمد حسنین العدوی. الشیخ علی البولاقی.

الشیخ عبد الغنی محمود. الشیخ محمد السمالوطی. الشیخ محمد الحلبی. الشیخ أحمد نصر. الشیخ محمد شاکر. الشیخ دسوقی العربی.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۱۵

الشیخ عبد الرحمن قراعة. الشیخ یوسف الدجوی. الشیخ عبد الحکم عطا. الشیخ سید علی المرصفی.

و ثمة شخصیات بارزة لها فی تاریخ البلاد مکان ملحوظ.

و هؤلاء لم یتموا دراستهم فی الجامع الأزهر، و أقبلوا علی أعمال أخری فی المحاماة، و القضاء، و فی العلم و الأدب و الصحافة، نذکر من بینهم: سعد زغلول زعیم مصر السیاسی، و إبراهیم الهلباوی المحامی، و محمد أبو شادی، و محمد الحسینی المحامی، و حسن جلال، و محمد صالح المستشارین بالمحاکم الوطنیة، و عبد اللّه ندیم خطیب الثورة العرابیة و السید علی یوسف صاحب جریدة المؤید، و محمد النجار صاحب جریدة الأرغول و السید مصطفی لطفی المنفلوطی، و عبد اللطیف الصوفانی، و غیرهم و غیرهم.

و من علماء الأزهر المشهورین العالم العلامة الشیخ نافع الجوهری ابن سلیمان بن حسن بن مصطفی بن أحمد الخفاجی من بنی خفاجة (۱۲۵۰ ه- ۱۸۳۴ م- ۱۳۳۰ ه- ۱۹۱۲ م)، و هو جد المؤلف لأمه، ولد فی قریة تلبانة من أعمال الدقهلیة، و حفظ القرآن الکریم، و نال العالمیة من الأزهر عام ۱۲۸۳ ه، حیث تتلمذ فیه علی جلة العلماء و الزاهدین، و أقام ببلدته واعظا زاهدا، و مفتیا مرشدا، و مؤلفا واسع الشهرة بین أقرانه. حتی مؤلفاته إلی قبل وفاته نحوا من مائة مؤلف، أغلبها فی الشریعة و الدین و الفقه و المواعظ و التصوف و علوم العربیة، و کان شاعرا مجیدا بلیغا مفوها، و أدیبا لا یشق له غبار .

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۱۶

نظرة إلی المستقبل

إن ما کسبه الأزهر من هذا الانقلاب فی مصایره لا یزال رهن الزمن و المستقبل. و من سبق القول- کما یقول عنان- أن نتحدث عن مزایا نظام جامعی لم یتمخض بعد عن آثاره، و لکنا نستطیع بالعکس أن نقول أن الأزهر الحدیث علی الرغم من جمیع الجهود التی بذلت لإصلاحه منذ نصف قرن، و بالرغم من تحویله الظاهر إلی جامعة أزهریة، فقد کثیرا من المزایا العلمیة و الجامعیة الحقیقیة التی اقترنت بتاریخه القدیم.

فقد اختفی جیل العلماء الأعلام المبرزین فی علوم الدین و اللغة ممن حفلت بهم حلقاته فی أواخر القرن الماضی، و کانوا بقیة أخیرة لذلک الجیل القدیم، من علماء الأزهر الذین وهبوا حیاتهم للدرس، و قد کان الأزهر حتی أواخر القرن الماضی یأخذ بنصیب بارز فی تکوین الزعامة الفکریة و القومیة؛ و کان ظهور رجال مثل محمد عبده و سعد زغلول من بین صفوف طلبته، أسطع دلیل علی أن هذا المعهد التالد لم یفقد خلال عصور الانحلال و التأخر کل حیویته الفکریة، و لکن هذه الظاهرة تکاد تختفی الیوم.

و قد فقد الأزهر کثیرا من خاصته الروحیة التی کانت تحمل شیوخه و طلابه علی التفانی فی التحصیل و الدرس، و التعلق بشرف العلم و الإعراض عن مغریات الدنیا، و إیثار التقشف و الزهد، علی الحیاة الناعمة .. و تحول شیوخ الأزهر فی ظل النظم الجدید شیئا فشیئا إلی نوع

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۱۷

من أرستقراطیة رجال الدین، التی تمتاز ببسطة فی الرزق و الجاه، و تحول طلابه إلی میدان الصراع المادی فی سبیل العیش، و السعی وراء الوظائف و منازعة أضرابهم من المعاهد الأخری فی الفوز بها. و قد أحدثت هذه الأرستقراطیة الاجتماعیة، و هذه النزعة فی الإقبال علی الدنیا، أثرا لا یحمد فی جو الأزهر العلمی، و ذهبت بکثیر من خواصه الروحیة القدیمة.

و من جهة أخری فإن الأزهر الحدیث علی الرغم من اتسامه بسمة الجامعات العصریة، لا یزال بعیدا عن أن یجاری روح العصر فعلا فی تنظیم مناهجه و أسالیبه العلمیة. فهو لا یزال یعیش علی تراث الأزهر القدیم، و لا یزال مرجع الدراسة بالکلیات الأزهریة الحدیثة فی علوم الدین و اللغة طائفة من الکتب القدیمة التی یعرفها الأزهر منذ العصور الوسطی، فالشاطبیة، و الهدایة، و السنوسیة، و الصبان، و ألفیة بن مالک، و شرحها لابن عقیل، و مختصر السعد و حواشیه، و کتب ابن حجر، و البلقینی، و السیوطی، و البرماوی، و الزماوی، و الزیلعی، و غیرها، تدرس فی الکلیات للطلبة النظامیین، و بعض هذه الکتب یرجع إلی القرن السادس الهجری کالشاطبیة، أو السابع مثل مختصر ابن الحاجب، و ألفیة ابن مالک، أو الثامن کشرح ابن عقیل و مختصر السعد، و مع أن هذه المصنفات القدیمة لا تزال تحتفظ بقیمتها العلمیة، فهی لا تصلح سواء بمادتها أو طرائقها العتیقة لعقلیة الطالب الحدیث. و لم یزود طلبة الجامعة الأزهریة حتی الیوم من الکتب و المذکرات الدراسیة الحدیثة إلا بقدر ضئیل جدا فی بعض المواد المستحدثة: مثل التاریخ الإسلامی، و السیرة النبویة، و تاریخ التشریع، و تفسیر بعض آیات الأحکام، و کذا بعض کتب البلاغة و الأدب و النحو و الصرف، و سیمضی وقت طویل قبل أن یستطیع المشرفون علی الدراسة بالجامعة الأزهریة أن یضعوا من الشروح و التآلیف المنظمة الحدیثة ما یسد حاجة الطلاب.

و قد فقد الأزهر کثیرا من مزایا الدراسة الحقة بإلغاء الحلقات الدراسیة الشهیرة، التی لبثت قرونا تزین أروقته و ساحاته، فقضی علیها

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۱۸

النظام الجدید، و لم تبق منها إلا آثار ضئیلة، تتمثل فی إلقاء بعض الدروس العادیة فی علوم الدین أو اللغة بالجامع الأزهر و بعض المساجد الأخری التی توجد بها المعاهد الدینیة، و تقرأ فیها الکتب القدیمة، و یشهدها الطلاب غیر النظامیین، و لا سیما الغرباء و بعض أفراد الجمهور، و تعرف فی ظل النظام الجدید بالأقسام العامة.

و الواقع أن الحلقات القدیمة لم تکن إلا المدرج الجامعی الحدیث، و قد کانت تتفوق بلا ریب فی عناصرها الجامعیة علی فصول الکلیات الأزهریة، و کان خیرا لو أصلحت و نظمت علی غرر الدراسات الجامعیة العلیا، التی یتولاها أعلام الأساتذة قد کان فی استبقائها علی هذا النحو تخلیدا لذکری الحلقات الأزهریة التاریخیة التی کانت أیام ازدهارها من محاسن الدهر و آلاء الأزهر، و کانت فی کثیر من الأحیان مجمع الصفوة من الأساتذة و المستمعین.

و لقد اضطرم الصراع مدی حین بین الثقافتین القدیمة و المحدثة، و قد أحرز الجدید نصره النهائی علی تراث القدیم و أسالیبه، و تبوأت الثقافة المحدثة فی مصر المکان الأول، و هی تؤکد هذا الظفر کل یوم بما تخرجه من جندها المستنیر الطموح إلی الحیاة العصریة، بکل ما أوتی من المزایا المعنویة و المادیة. علی أن ذلک لا یعنی أن مهمة الأزهر قد انتهت، أو انها یجب أن تنتهی، بل بالعکس من ذلک أن للأزهر مهمة جلیلة، یستطیع الاضطلاع بها إذا وفق إلی الوسائل و الأسالیب الصالحة لتأدیتها.

تلک المهمة هی العمل علی دعم رسالة الإسلام، و رسالة اللغة العربیة و الحضارة الإسلامیة، بأسالیب مستنیرة .. و قد کان الأزهر معقلا من معاقل هذه الرسالة طوال العصور الوسطی، و العصر الترکی، و فی وسعه أن یکون معقلها الیوم

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۱۹

ثورة التطویر فی الأزهر

انها ثورة جدیدة استحدثها قانون تطویر الأزهر

على أن روح الثورة أكبر من أن تخطط بقوانين، روح الثورة التى اشتعلت بين الملايين من العرب و المسلمين قوية بحمد اللّه و إذا كان الأزهر فى حاجة إلى ثورة كبيرة، فإن هذه الثورة المنشودة التى يتطلبها المسلمون من الأزهر لا يمكن أن يصنعها قانون، بل لا بد أن تشتعل روحها أولا و قبل كل شىء فى نفوس العلماء و الطلاب ...

فالقانون لم يكن ثمة كبير حاجة إلى تخطيطاته فى بعث روح الثورة المنشودة داخل الأزهر، لكى يؤدى الأزهر رسالته.

و لننظر بعد ذلك الى روح القانون:

۱- فأولا: سوف تنشأ كليات علمية جديدة لا صلة لها بالدراسات الإسلامية، و تضاف إلى جامعة الأزهر و هذه الكليات لا تتوقف عليها رسالة الأزهر، و ستكلف إنشاؤها الملايين من الجنيهات دون ما داع إلى ذلك، و كان فى الامكان إباحة دخول طلاب المعاهد الثانوية الجامعات المصرية ليتخرجوا أطباء و مهندسين و محاميين .. فضلا عن أن جامعات المنصورة، و طنطا، و الزقازيق لم تنشأ بعد، و جامعة أسيوط لا تزال فى دور التكوين و الإنشاء.

۲- و ثانيا: وجود كلية الدراسات العربية لا يزيد عن إنشاء كلية آداب فى الأزهر تحل محل كلية اللغة العربية، و لنا فى كليات الآداب فى

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۲۰

الجامعات المصرية غنى، بالإضافة الى كلية دار العلوم و معاهد المعلمين، و سواها

۳- و ثالثا: كليات الدراسات الإسلامية لا بد من أن تحتوى على كليتين:

الأولى للشريعة، و الثانية للأصول و فى هذه الحالة .. لا نكون قد صنعنا شيئا أكثر من تكرار إنشاء كليتين جديدتين بدل كليتين قديمتين، و كان فى الإمكان أن تطور مناهج الكليتين الحاليتين، لنصنع بذلك الإصلاح المنشود.

۴- و جملة الأمر من القانون أنه ينص على إدماج مناهج المعاهد الثانوية و الابتدائية من مناهج المدارس الحكومية مع الإبقاء على مناهج علوم الدين و فى هذه الحالة سيرهق الطالب إرهاقا شديدا من جانب، و سيضعف مستواه فى الدراسات التى تؤهله لدراسات علوم الدين من جانب آخر، و كان فى الإمكان الاكتفاء بضم المعاهد الابتدائية إلى وزارة التربية و الإبقاء على المعاهد الثانوية كمرحلة إعدادية للتأهل لدراسات كليات الأزهر.

۵- على أن قانون الأزهر فى الإمكان أن يعرض على الهيئات الإسلامية لدراسته و إبداء رأيها فيه، و تأجيل تنفيذه إلى ما بعد وصول هذه الآراء كلها إلى الجهات التنفيذية للاستفادة من تقريراتها فى علاج كل نقص يمكن أن يكون من القانون، أو ما عسى يمكن أن يكون له من نتائج فى الدراسات العربية و الإسلامية.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۲۱

هذا هو الأزهر الجديد

* الهيئات التى يتكون منها الأزهر هى:

۱- المجلس الأعلى للأزهر و يرأسه شيخ الأزهر و يشترك فيه كبار العلماء و خبراء فى التعليم و الإدارة.

۲- مجمع البحوث الإسلامية و يعمل على تجديد الثقافة الإسلامية و رسم نظام البعوث الأزهرية إلى العالم الإسلامى و منه.

۳- ادارة الثقافة و البعوث الإسلامية و تجهز الدراسات و البحوث للمجمع و تتابع التنفيذ و تتحمل مسئولية البعوث الإسلامية.

۴- جامعة الأزهر و تضم كليات للدراسات الإسلامية و كليات للدراسات العربية و كلية المعاملات و الإدارة و كلية الهندسة و الصناعات و كلية الطب و كلية الزراعة و لن تكون صورة مكررة للكليات القائمة الآن أو بالجامعات الأخرى ..

* المعاهد الأزهرية و تعد طلبة الجامعة الأزهرية و تزودهم بالمعرفة و الخبرة إلى جانب الثقافة العربية و الإسلامية و لكن لهم مطلق الاختيار لمتابعة الدراسة الجامعية بعد تخرجهم سواء فى كليات الأزهر أو فى غيرها من الكليات و المعاهد العالية.

* ميزانية الازهر تطورت على ثلاث مراحل:

۱- فى سنة ۱۹۴۰ كانت حوالى ۳۴۲ الف جنيه.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۲۲

۲- فى سنة ۱۹۵۳ وصلت إلى مليون و ۵۳۷ ألف جنيه.

۳- فى سنة ۱۹۵۸ قفزت إلى مليونين و ۱۲۵ ألف جنيه.

و هناك مبلغ ضخم من هذه الميزانية يصل إلى ۲۵۰ الف جنيه ينفق على المبعوثين فى آسيا و إفريقيا إلى كليات الأزهر و معاهدة فى مدينة البعوث الإسلامية و رصد فى الميزانية الأخيرة ۲۱ ألف جنيه لإعادة ترميم الجامع الأزهر و تجديده.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۲۳

الباب الثالث شيوخ الأزهر

اشارة

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۲۵

الفصل الأول مشيخة الأزهر و شيوخه

وظيفة خطيب الأزهر:

نقل المقريزى فى مواضع مختلفة إشارات لبعض مؤرخى الدولة الفاطمية عن «خطيب الجامع الأزهر». من ذلك ما نقله عن ابن الطوير فى تقديم خطيب الجامع الأزهر فى إلقاء الخطبة بين يدى الخليفة فى أيام الموالد الستة التى كانت تحتفل بها الخلافة الفاطمية، و هى المولد النبوى و مولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب، و مولد ولديه الحسن و الحسين، و مولد زوجته السيدة فاطمة الزهراء، و مولد الخليفة القائم .

و كذلك كان «خطيب الجامع الأزهر» يذكر فى وصف الاحتفال بليالى الوقود، حيث يخطب أيضا بين يدى الخليفة فى هذه الليالى الأربع متقدما زملاءه من خطباء المساجد الأخرى . فالإشراف على الجامع الأزهر- كما يقول عنان- كان يجرى فى ظل الدولة الفاطمية على هذا النحو:

ما تعلق بإصلاحه و عمارته و الإنفاق عليه يرجع أمره إلى الخلفاء أو من يختارونه لذلك من الأمراء و الوزراء.

و ما يتعلق بشئون الصلاة يرجع إلى الخطيب و إلى عدد من الأئمة

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۲۶

و القومة و المؤذنين، و الخطيب فى الواقع هو رئيس الجامع الدينى و هو الذى يتولى الخطابة فى الصلوات الجامعة، و الحفلات الدينية الرسمية بين يدى الخليفة أو نائبه، و يدير شئون المسجد الدينية بوجه عام.

و يبدو أن وظيفة «خطيب» الجامع الأزهر لبثت تنمو فى الأهمية على ممر الزمن تبعا لنمو أهمية الازهر نفسه، فهى فى أواخر الدولة الفاطمية تسند إلى رجال من أصحاب المناصب الدينية الرفيعة مثل داعى الدعاة، فقد ذكر ابن ميسر فى أخبار سنة ۵۱۷ ه أنه قد أسند إلى داعى الدعاة أبى الفخر صالح «منصب الخطابة بالجامع الأزهر» مع خزانة الكتب .

أما إدارة المسجد الداخلية من قرش و تنظيم و تجميل فترجع إلى المشرف و معاونيه من العمال و الخدم.

و أما ما يتعلق بشئون الدراسة و الأساتذة و الطلاب و النفقة عليهم، فقد رأينا أنه يرجع إلى الخلفاء و إلى ذوى البر من أكابر رجال الدولة، و قد كان العزيز باللّه و وزيره ابن كلس أول من رتب النفقة الدائمة للقراء و الأساتذة بالأزهر، و حذا حذوهما فى ذلك الخلفاء و الأمراء و الكبراء؛ فى مختلف الدول و العصور.

و هذا النظام فى الإشراف على الجامع الأزهر ربما لبث متبعا فى جوهره بعد الدولة الفاطمية، فمثلا نرى فى أواخر القرن الثامن، فى عهد الملك الظاهر برقوق، ولاية النظر على الجامع الازهر، تسند فى سنة ۷۸۴ ه إلى الطواشى بهادر مقدم المماليك السلطانية، و فى أثناء ولايته صدر مرسوم ملكى يقضى بأن من توفى من مجاورى الجامع دون وارث شرعى، و خلف تركة، فإنها تؤول إلى زملائه المجاورين «و فى سنة ۸۱۸ ه فى عهد السلطان المؤيد ولى نظر الجامع الأمير سودوب القاضى حاجب الحجاب.

فكان مما قرره منع المبيت بالجامع الازهر، و أخرج المجاورين الذين

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۲۷

اعتادوا السكنى فيه . و بعد ذلك بقليل فى زمن السلطان المؤيد أيضا ولى نظر الجامع شمس الدين محمد الماحورى، أحد تجار الكارم و الجوهر، و كان من أصدقاء المؤيد. و ذلك بطريق النيابة عمن له النظر على الجامع (و لعله الأمير سودوب أيضا)، فاستعمل القسوة فى تنظيم شئونه الداخلية، و كان يطوف و معه عصى لردع المخالفين، و قاسى الطلاب منه شدة .. على أن ولاية هؤلاء الكبراء النظر على الجامع كانت تقتصر على الناحية الإدارية مما يتعلق بإصلاحه و تعميره و الإنفاق عليه، و تعيين الموظفين اللازمين لإدارته.

أما شئون العبادات فقد كانت دائما من اختصاص خطيب الجامع و إمامه. و قد كان يلى خطابة الجامع الأزهر فى العصور المتأخرة و العصور المتقدمة أكابر القضاة و العلماء، فنرى بين خطباء الجامع الأزهر فى أواخر القرن السابع الهجرى قاضى القضاة تقى الدين أبا القاسم ابن قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز ، و فى أوائل القرن التاسع قاضى القضاة الحافظ ابن حجر العسقلانى .. و كان يوجد دائما إلى جانب منصب الخطيب منصب الإمام يشغله أيضا بعض العلماء الأعلام، و صاحبه يلى الخطيب فى الأهمية، و يعاونه فى القيام بشئون العبادات. و ثمة منصب هام آخر هو منصب «الواعظ» يليه أيضا جماعة من أكابر العلماء، و قد لبثت هذه المناصب الثلاثة قائمة خلال العصر التركى. و كان من مشاهير العلماء الذين تولوا إمامة الجامع الأزهر فى العصور المتأخرة الفخر البلبيسى الضرير أستاذ القراءات، تولاها فى أواخر القرن التاسع الهجرى ، و الشيخ رضوان المتوفى سنة ۱۱۱۵ .. و من الذين تولوا

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۲۸

منصب الوعظ الشيخ شهاب الدين بن عبد الحق السنباطى المتوفى سنة ۹۵۰ ه، و الشيخ شمس الدين الصفدى المقدسى المتوفى فى حدود التسعين و تسعمائة .

و أما شئون الدراسة فكان المرجع فيها على الأغلب إلى السلطان و وزرائه. و قد كانت مناصب التدريس فى الأزهر و ما إليه من المدارس الكبيرة يومئذ من المناصب الدينية الهامة، فلا يعين فيها سوى أكابر الأساتذة و العلماء، بيد أنه كان للواقفين و الواهبين بلا ريب رأى فى تعيين أنواع العلوم التى يخصونها بهباتهم، و فى اختيار الأساتذة الذين يتولون تدريسها.

منصب مشيخة الأزهر:

و إذا كان من المستطاع أن يتتبع الباحث بعض النصوص و الإشارات التى تلقى ضوءا على نظم الإشراف على الجامع الأزهر فى العصر الفاطمى و فى عصور السلاطين، فإنا لا نظفر بعد ذلك برواية أو نصوص شافية توضح لنا كيف تطورت النظم إلى نظام المشيخة الحالى. و من المعروف الذائع أن نظام المشيخة الحالى إنما هو نظام حديث يرجع على الأكثر إلى نحو قرنين و نصف و أنه طبق لأول مرة فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى، حينما أسندت مشيخة الجامع الأزهر إلى الشيخ محمد عبد الخرشى المالكى المتوفى فى

شهر ذی الحجة سنة ۱۱۰۱ ه (۱۶۹۰ م)، و خلفه فی المشیخة الشیخ محمد النشرتی المالکی. و لما توفی هذا الشیخ سنة ۱۱۲۰ ه (۱۷۰۸ م)، وقعت بالأزهر بسبب المشیخة و التدریس فتنة شدیدة، و انقسم المجاورون- الطلاب- فرقتین: ترشح إحداهما الشیخ أحمد النفراوی و ترشح الأخری الشیخ عبد الباقی القلینی و کلاهما من المالکیة. و وقعت بین الفریقین معارک قتل و جرح فیها کثیرون. و انتهی الأمر باستقرار الشیخ القلینی فی المشیخة و التدریس.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۲۹

و الظاهر أن نظام مشیخة الجامع الأزهر یمت بصلة إلی هذا المنهج فی نظام الوظائف الدینیة الرئیسیة. و قد یرجع التفکیر فیه و فی قیامة إلی منتصف القرن العاشر الهجری. ذلک أن ولاة الأمر العثمانیین کانوا یعلقون علی الوظائف الدینیة أهمیة خاصة، و کان الجامع الأزهر یحتل یومئذ بین المساجد و المعاهد الإسلامیة مرکز الصدارة، و یزخر دائما بجمهرة کبیرة من العلماء المصریین و إخوانهم من سائر أنحاء العالم الإسلامی، هم صفوة الأئمة و الأساتذة فی ذلک العصر، و من المعقول أن تکون ریاسة الجامع الأزهر ذات أهمیة خاصة فی نظر ولاة الأمور. و إذا کان الجبرتی لم یذکر شیخا للأزهر قبل الشیخ الخرشی المتوفی سنة ۱۱۰۱ ه، فإنه من جهة أخری لم یقل بصفة قاطعة انه کان أول من ولی المشیخة. و مع أنه لم یعثر کذلک فیما أتیح من المراجع علی نصوص قاطعة تلقی ضوءا واضحا علی أصل مشیخة الأزهر و الوقت الذی بدأ فیه تطبیق هذا النظام. فإنه توجد مع ذلک قرائن عدیدة، تدل علی أنه یرجع إلی ما قبل أواخر القرن الحادی عشر بکثیر.

من ذلک ما رواه صاحب کتاب «ذخیرة الأعلام» فی حدیثه عن واقعة الشیخ شهاب الدین أحمد بن عبد الحق السنباطی مع داود باشا الذی تولی ولایة مصر سنة ۹۴۵ ه (۱۵۳۸ م)، فقد ذکر أنه حدث فی شهر شعبان سنة ۹۵۰ ه أن الشیخ ابن عبد الحق قال یوما لداود باشا و هو فی موکبه: أنه رقیق لا یجوز له أن یتولی الأحکام، و أن أحکامه باطلة ما لم یحصل علی عتقه .. ثم یقول فی قصیدته التی یروی فیها تفاصیل هذه الواقعة:

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۳۰

لما صغی الباشا للکلام هم بضرب الشیخ بالحسام قال له الجند فدع جذب الحسام فإن هذا شیخ الإسلام الإمام

و انحاز الجند للشیخ، فأرسل الباشا نبأ هذه الواقعة إلی السلطان فأنعم علیه بعتقه مع تبلیغ الشکر إلی الشیخ. و سعی الباشا بعد ذلک إلی الشیخ و استرضاه و قبل رجله، و لم یقبل الشیخ منه مالا و لا هدیة، و لکنه أصبح من ذلک الحین لا یرد للشیخ رأیا و لا شفاعة .

و المهم فی هذه الروایة هو نعت الشیخ ابن عبد الحق «بشیخ الإسلام الإمام»، فإنا نعرف أن لقب شیخ الاسلام کان یطلق قبل الفتح العثمانی علی «قاضی القضاة» الشافعی، و قد کان آخر من لقب بهذا اللقب من المصریین قاضی القضاة شهاب الدین أحمد بن عبد العزیز بن علی المتوفی سنة ۹۴۹ ، فلما ألغی الترک نظام القضاء المصری، و أقاموا فی ریاسة القضاء قاضیا ترکیا، کان هذا اللقب یطلق فیما بعد علی أکابر العلماء الذین یصلون إلی مرتبة الزعامة العلمیة أو علی شیوخ الجامع الأزهر و الأغلب أن یطلق علی هؤلاء الشیوخ.

فهل کان ابن عبد الحق شیخا للجامع الأزهر؟ لقد جاء فی ترجمته أنه کان واعظا بالجامع الأزهر. و قال معاصره الإمام الشعرانی عنه ما یأتی:

«لم نر أحدا من الوعاظ أقبل علیه الخلائق مثله. کان إذا نزل من فوق الکرسی، یقتتل الناس علیه، و کان متفننا فی العلوم الشرعیة، و له الباع الطویل فی معرفة مذاهب المجتهدین. و کان من رؤوس أهل السنة و الجماعة، و کان قد اشتهر فی أقطار الأرض کالشام و الحجاز و الیمن و الروم، و صاروا یضربون به المثل، و أذعن له علماء مصر الخاص منهم و العام»، ثم قال: «و لما مات أظلمت مصر لموته و انهدم رکن عظیم من

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۳۱

الدين»، و كانت وفاة ابن عبد الحق، حسبما ذكر صاحب الكواكب السائرة فى أواخر صفر سنة ۹۵۰ ه .

لا- يميل المؤرخون إلى القطع بأن ابن عبد الحق كان شيخا للجامع الأزهر. و نستطيع القول بإنه يوجد ثمة فى ترجمته و فيما نعته به صاحب الذخيرة ما يحمل على الظن بأنه كانت له صفة الرياسة بالأزهر من مشيخة أو غيرها .

و من ذلك ما رواه فون همار مؤرخ الدولة العثمانية فى تاريخه عما حدث بمصر من الاضطرابات فى سنة ۱۰۶۷ ه (۱۶۵۸ م) فى عهد الوالى محمد باشا المعروف بشاه سور زاده (و نقله سامى باشا فى كتابه) إذ يقول:

«جرد هذا الوالى حملة ضد كاشف البهنسى محمد بك فقتل هذا الأمير وجىء برأسه إلى القاهرة. و قد قتل غيره من الأمراء، و أدت زيادة الاضطرابات إلى أن عقد مجلس كان فيه القاضى و شيخ الجامع الأزهر و غيرهما، فتقرر فيه الفتوى بضرورة محاربتهم لاستمرار مخالفتهم الأوامر السلطانية، فجرد عليهم و حاربهم» .

و هنا- نجد أنفسنا كما يقول عنان- أمام ذكر صريح «لشيخ الجامع الأزهر» و إن كنا لا نعرف من هو هذا الشيخ، و ذكره يجىء فى مناسبة تتقدم التاريخ الذى اصطلح على رد المشيخة إليه بنحو أربعين عاما. و من ذلك ما أورده الجبرتى فى ترجمة العلامة إبراهيم بن محمد بن شهاب الدين بن

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۳۲

خالد البروماى المتوفى سنة ۱۱۰۶ ه، فقد ذكر صراحة انه كان شيخا للجامع الأزهر ، فمتى كان ذلك، لا ريب انه تولى المشيخة قبل أن يتولاها الشيخ الخرشى فى أواخر القرن الحادى عشر، و قد توفى الشيخ الخرشى كما تقدم فى سنة ۱۱۰۱ ه و تولى المشيخة من بعده الشيخ النشرتى المتوفى سنة ۱۱۲۰ ه فربما كان البرماوى المتوفى سنة ۱۱۰۶ قد تولى المشيخة قبلهما، اى فى أواخر القرن الحادى عشر حوالى سنة ۱۰۸۰ الى سنة ۱۰۹۰ ه.

فمشيخة الأزهر إذا ترجع إلى أواخر القرن الحادى عشر فقط، و الشيخ الخرشى كان أول من تولاها غالبا.

و المرجح أن هذا النظام يرجع إلى أواسط القرن العاشر، و أنه يمت كما قدمنا بصلة إلى التغييرات التى أحدثها الترك العثمانيون فى الوظائف الدينية الكبرى، و قد كان لشيخ الجامع الأزهر و علمائه نفوذ خاص يعتمد عليه ولاة الأمر كلما اقتضت الظروف و الحوادث.

و قد بلغ هذا النفوذ فيما بعد مبلغ الرياسة و الزعامة فى أواخر القرن الثالث عشر، و لا سيما وقت مقدم الحملة الفرنسية، حيث كان لأكابر الشيوخ رأى بارز فى معظم الحوادث و الشؤون الداخلية، و كانوا يعتبرون دائما ممثلى الأمة، و كان منهم أعضاء الديوان الذى ألفه الفرنسيون لحكم مدينة القاهرة. و كان لهم نفوذ يذكر فى سير الحوادث فى ذلك الحين.

و من المعروف أن العصر التركى هو أكثر العصور فى تاريخ مصر الإسلامية غموضا و اضطرابا، و أقلها وثائق و مراجع، لما حدث فيه من اضمحلال الحركة الأدبية. و فتور الهمم عن التأليف، و انصراف المؤرخين عن تناول الشؤون العامة و الأمور النافعة، إلى ملق الحكام و تدوين سيرهم الشخصية.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۳۳

فلم يكن للأزهر إذن شيخ من قبل عهدهم يتولى رياسة الدينية.

و يدير شؤونه الإدارية. بل كان يتولاه الولاية العامة سلاطين مصر و أمراؤها، كباقى المساجد الجامعة بالديار المصرية. و يباشر شؤونه الداخلية مشايخ المذاهب الأربعة و شيوخ الأروقة يعاونهم خطيب المسجد.

و المشرف و معاونوه من العمال و الخدم .. و بقى هذا النظام متبعا فى الجامع الأزهر غالبا مدة حكم الفاطميين و الأيوبيين و المماليك الأولى (البحرية)، و فى عهد سلطنة الملك الظاهر برقوق، أول سلاطين المماليك الثانية (البرجية) عين للأزهر: «ناظر» سنة ۷۸۴ ه (۱۳۸۲)، و كان «ناظر الأزهر» يختار من بين كبار موظفى الدولة، و كان هذا «الناظر» هو الأمير «بهادر» الطواشى كبير المماليك السلطانية، و كان «ناظر الجامع الأزهر» ينوب عن سلطان مصر، أو حاكمها، فى الإشراف على شؤون الأزهر، و القيام على تنفيذ الأوامر

و الأحكام السلطانية، و السهر على رعاية مصالح الجامع الأزهر، و مصالح أهله من علماء و طلاب. و قد عرف من «نظار» هذا العهد المملوكى أيضا الأمير «سودوب» القاضى و حاجب الحجاب، ولى «نظارة الجامع الأزهر» سنة ۸۱۸ ه (۱۴۱۵ م) .. و لما استولى الأتراك العثمانيون على مصر سنة ۹۲۳ ه (۱۵۱۷ م) ساروا على نهج من سبقهم من سلاطين مصر و أمرائها، فحافظوا على الأوضاع المرعية فى الأزهر، و اهتموا برعاية شؤونه، و السهر على مصالح أهله، و اقتدى الولاة العثمانيون بسلاطين آل عثمان فعرفوا لهذا المعهد العلمى الدينى الإسلامى حقه من الرعاية و التقدير، و جددوا به كل دارس، و زادوا فى عمارته، و وسعوا من رقعته، و أوقف الأمراء، و الولاة و كبار رجال الدولة و الأعيان الكثير من الأموال و الأملاك، و العقارات على علمائه و طلبته، فاتسعت إدارته، و تشعبت مصالح أهله، و أصبحت الحاجة ماسة إلى وجود شخص يتفرغ للإشراف على شؤون هذا المعهد الدينية و الإدارية معا، و يكون رئيسا لشيوخ المذاهب و الأروقة، و سائر علماء الأزهر و طلابه، و مسؤولا مباشرة أمام الولاة و السلاطين، و حلقة اتصال بين الحكومة و أقسام الأزهر

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۳۴

المختلفة، فاستحسنت «الدولة العلية» قبيل نهاية القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) أن يعين للأزهر: «شيخ عموم» يدير شؤونه، و يراقب أموره من تعاليم و غيرها، و يلقب: «بشيخ الجامع الأزهر».

و منذ العهد التركى العثمانى و الجامع الأزهر يحتفظ بهذه الوظيفة، التى تطورت مظاهرها، و اتسعت اختصاصاتها على حسب تطورات الزمن، و مقتضيات الظروف و الأحوال، حتى آلت إلى ما هى عليه الآن.

و اليوم يختار «شيخ الجامع الأزهر» من بين جماعة كبار العلماء، ممن تتوافر فيهم الشروط الآتية: أن تكون سنة خمسا و أربعين سنة على الأقل، و أن يكون معروفا بالورع و التقوى فى ماضيه و حاضره، و حائزا لشهادة العالمية منذ خمس عشرة سنة على الأقل، و أن يكون قد اشتغل بالتدريس مدة خمس سنوات على الأقل فى إحدى كليات الجامع الأزهر، أو بالقسم العالى المقرر بالقانون رقم ۱۰ لسنة ۱۹۱۱ م، أو يكون قد شغل منصب مفتى الديار المصرية، أو كان عضوا بالمحكمة العليا الشرعية.

و يعين «شيخ الجامع الازهر» بأمر جمهورى، و يصير من يعين شيخا للجامع الأزهر من غير جماعة كبار العلماء عضوا فى هذه الجماعة بحكم القانون.

شيوخ الأزهر:

و قد تولى مشيخة الأزهر كثير من الأئمة الأعلام، و هم: الأزهر فى ألف عام ؛ ج۱ ؛ ص۲۳۴

الشيخ الخرشى المالكى- و ترجمة فى تاريخ الجبرتى الجوء الأول ص ۶۵- و قد توفى الخرشى ۱۱۰۱ ه .

و يعد أول من تولى مشيخة الأزهر، و هو الشريف الإمام أبو عبد اللّه

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۳۵

محمد بن عبد اللّه الخرشى المالكى، و الخرشى نسبة لبلدة يقال لها أبو خراش من البحيرة بالديار المصرية، انتهت إليه الرياسة فى مصر حتى لم يبق بها فى آخر عمره إلا طلبته، و كان متواضعا عفيفا واسع الخلق كثير الأدب و الحياء كريم النفس حلو الكلام كثير الشفاعات عند الأمراء مهيب المنظر دائم الطهارة كثير الصمت كثير الصيام و القيام زاهدا ورعا متقشفا فى مأكله و ملبسه و مفرشه، و كان لا يصلى الصبح صيفا و شتاء إلا بالجامع الأزهر، و كان يقضى مصالحه من السوق بيده و مصالح بيته فى منزله، يتعمم بشملة صوف بيضاء، و كانت ثيابه قصيرة على السنة المحمدية و اشتهر فى بلاد الأرض من بلاد الغرب و التكرور و الشام و الحجاز و الروم و اليمن، و كان يعير من كتبه من خزانة الوقف بيده لكل طالب مع السهولة ايثارا لوجه اللّه تعالى، و لا يمل فى درسه من سؤال سائل، و كان أكثر قراءته بالأقبغاوية، و كان له فى منزله خلوة للعبادة، و من مشايخه: على الاجهورى و إبراهيم اللقانى، و والده الشيخ عبد اللّه

الخرشی، و مات فی ۲۷ ذی الحجة ۱۱۰۱ ه و دفن مع والده بقرب مدفن سیدی محمد البنوقری بواسطة قرافة المجاورین. و له شرحین علی متن خلیل، و کتاب فی الکلام و هو أول شیخ تولی مشیخة الأزهر الشریف، و کان فی العلم غایة لا تنال .. و یقول الشیخ منصور رجب من مقال نشره عنه فی مجلة الأزهر:

أول شیخ تولی مشیخة الأزهر هو الشیخ محمد عبد اللّه علی الخرشی المالکی المتوفی سنة ۱۱۰۱ ه نسبة إلی قریة من قری مدیریة البحیرة اسمها «أبو خراش». و هذه القریة یقول عنها المرحوم علی مبارک باشا فی خططه : «إنها بقسم شبراخیت واقعة فی بحری الکوکبة بنحو ستمائة متر، و فی قبلی «محلة نابت» بنحو ثمانمائة متر، و ابنیتها باللبن، و بها جامع ضریح لولی علیه قبة، و فی مشرقیها ضریح سیدی عطیة، و بها إبعادیة لمنصور باشا یکن، و فیها- لعمدتها محمد عمر- دوار و مضیفة

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۳۶

و زراعة متسعة نحو ألف فدان، و بها بستان نضر، و أکثر أهلها مسلمون».

و الشیخ الخرشی هذا ترجمه الشیخ علی الصعیدی العدوی فی حاشیته علی شرحه الصغیر لمتن خلیل، فقال: «هو العلامة الإمام، و القدوة الهمام، شیخ المالکیة شرقا و غربا، قدوة السالکین عجما و عربا، مربی المریدین، کهف السالکین، سیدی أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن علی الخرشی، و نسب عصبته بأولاد صباح الخیر، انتهت إلیه الریاسة فی مصر حتی لم یبق بها فی آخر عمره إلا طلبته و طلبة طلبته، و کان متواضعا عفیفا، واسع الخلق، کثیر الأدب و الحیاء، کریم النفس، جمیل المعاشرة حلو الکلام، کثیر الشفاعات عند الأمراء و غیرهم، مهیب المنظر، دائم الطهارة، کثیر الصمت، کثیر الصیام و القیام، زاهدا ورعا، متقشفا فی مأکله و ملبسه و مفرشه و لا یصلی الصبح صیفا و لا شتاء إلا بالجامع الأزهر، و یقضی بعض مصالحه من السوق بیده و مصالح بیته فی منزله. و یقول من عاشره: ما ضبطنا علیه ساعة هو فیها غافل عن مصالح دینه أو دنیاه، و کان إذا دخل منزله یتعمم بشملة صوف بیضاء، و کانت ثیابه قصیرة علی السنة المحمدیة، و اشتهر فی أقطار الأرض، کبلاد الغرب و الشام و الحجاز و الروم و الیمن، و کان یعیر من کتبه من خزانة الوقف بیده لکل طالب، مع السهولة إیثارا لوجه اللّه تعالی، و لا یمل فی درسه من سؤال سائل، لازم القراءة سیما بعد شیخه البرهان اللقانی و أبی الضیاء علی الأجهوری. و کان أکثر قراءته بمدرسة الأقبغاویة. و کان یقسم متن خلیل نصفین: نصف یقرؤه بعد الظهر عند المنبر کتلاوة القرآن، و یقرأ النصف الثانی فی الیوم الثانی، و کان له فی منزله خلوة یتعبد فیها، و کانت الهدایا و النذور تأتیه من أقصی بلاد الغرب و غیرها فلا یمسک منها شیئا، بل أقاربه و معارفه یتصرفون فیها.

أخذ العلوم عن عدة من العلماء الأعلام کالعلامة الشیخ علی الأجهوری، و خاتمة المحدثین الشیخ إبراهیم اللقانی، و الشیخ یوسف القیشی و الشیخ عبد المعطی البصیر، و الشیخ یسن الشامی، و والده الشیخ عبد اللّه الخرشی، و تخرج علیه جماعة حتی وصل ملازموه نحو مائة، منهم

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۳۷

العارف باللّه الشیخ أحمد اللقانی، و الشیخ محمد الزرقانی، و الشیخ علی اللقانی، و الشیخ شمس الدین اللقانی، و الشیخ داود اللقانی، و الشیخ محمد النفراوی، و أخوه الشیخ أحمد، و الشیخ الشبراخیتی، و الشیخ أحمد الفیومی، و الشیخ إبراهیم الفیومی، و الشیخ أحمد الشرفی، و الشیخ عبد الباقی القلینی و الشیخ علی المجدولی. و لما توفی فی صبیحة یوم الأحد السابع و العشرین من شهر ذی الحجة سنة ۱۱۰۱ دفن مع والده بقرب مدفن الشیخ العارف باللّه سید محمد البنوقری بوسط تربة المجاورین.

یقول: و قبره مشهور، و ما رأیت فی عمری أکثر خلقا من جنازته إلا جنازة الشیخ سلطان المزاحی، و الشیخ محمد البابلی.

و له مؤلفات، منها شرحه الکبیر علی متن خلیل ثمانیة أجزاء، و شرحه الصغیر علی خلیل أیضا أربعة أجزاء، و له جزء فی الکلام علی البسملة نحو أربعین کراسة، و غیر ذلک.

هذا هو الشیخ محمد الخرشی أول شیخ من أبناء الأزهر تولی هذه الریاسة الدینیة العامة. و لقد کانت مصر أول ما عرفت من مذاهب

الفقهاء عرفت مذهب مالک، فلقد دخلها به عبد الرحیم بن خالد بن یزید بن یحیی مولی جمح و توفی بالإسکندریة سنة ۱۶۳ ه، فی أیام اللیث بن سعد، و اشتهر بمصر هذا المذهب، و لم یزل مشتهرا حتی قدم محمد بن إدریس الشافعی فی سنة ۱۹۸. أما مذهب أبی حنیفة فلم یکن أهل مصر یعرفونه کما یعرفون مذهب مالک و الشافعی. و الحنابلة لم یسمع عنهم بمصر إلا فی القرن السابع.

و کان التفاف الناس فی ذلک العصر حول مذهب مالک و الشافعی أکثر من التفافهم حول مذهب أبی حنیفة، حتی أن مدرسة محمد بک أبی الذهب قبیل عصر الشیخ الخرشی بقلیل لما وظف بها المدرسون و کانوا ستة عشر مدرسا، کان منهم سبعة من شیوخ الشافعیة و ستة من شیوخ المالکیة، و ثلاثة من شیوخ الحنفیة. و کان الإفتاء فی ذلک الوقت لا یقتصر

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۳۸

علی مذهب بعینه، بل کان لکل مذهب مفت. و کان المفتون یجلسون بعد دروسهم لإفادة الناس، فکان بجامع محمد بک ثلاثة أماکن برسم جلوس ثلاثة من المشایخ المفتین، و کان منهم الشیخ أحمد الدردیر مفتی المالکیة، و الشیخ عبد الرحمن العریشی مفتی الحنفیة، و الشیخ الکفراوی مفتی الشافعیة. و کان الأزهر یتولی شئونه فی أول عهده رجل یسمی مشرف. و فی عهد الممالیک کان یتولی أمره رجل من کبار الموظفین یسمی ناظرا، منهم الأمیر الطواشی بهادر المقدم علی الممالیک السلطانیة، ولی نظره فی سنة ۸۷۴ ه و هو الذی أنجز مرسوم السلطان الملک الظاهر برقوق الخاص بجعل أبناء الأزهر أسرة واحدة یرث بعضهم بعضا إذا مات أحدهم و لم یکن له وارث شرعی. و منهم الأمیر سودوب القاضی حاجب الحجاب، ولی نظره سنة ۸۱۸ ه. أما تلک الریاسة الدینیة العلمیة فعرفها الأزهر فی العهد الترکی بلقب «شیخ الأزهر» .. و لقد توالی علی هذه الریاسة منذ إنشائها حتی الآن أربعون شیخا، و أولهم الشیخ الخرشی هذا.

۲- و تقلدها علی الأرجح بعده الشیخ إبراهیم بن محمد البرماوی الشافعی و بقی فیها إلی أن توفی سنة ۱۱۰۶ ه.

۳- الشیخ محمد النشرتی المالکی و قد توفی عام ۱۱۲۰ ه و هو ثالث شیخ للأزهر.

۴- و خلفه الشیخ عبد الباقی القلینی المالکی فی المشیخة و التدریس ، و لما مات تقلدها بعده الشیخ محمد شنن.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۳۹

۵- الشیخ العلامة شیخ الجامع الأزهر الشیخ محمد شنن المالکی .. توفی سنة ۱۱۳۳ ه عن سبع و سبعین سنة .

۶- الشیخ ابراهیم بن موسی الفیومی المالکی شیخ الجامع الأزهر .. تفقه علی الشیخ محمد بن عبد اللّه الخرشی، قرأ علیه الرسالة و شرحها، و کان معیدا له فیهما. و تلبس بالمشیخة بعد موت الشیخ محمد شنن، و مولده سنة ۱۰۶۲ .. و أخذ عن الشبراملسی و الزرقانی و الشهاب أحمد البشبیشی و غیرهم کالشیخ الغرقاوی و علی الجزایرلی الحنفی. و أخذ الحدیث عن یحیی الشاوی و عبد الرحمن الأجهوری و الشیخ ابراهیم البرماوی، و له شرح علی العزیة فی مجلدین ...

توفی سنة سبع و ثلاثین و مائة و ألف عن خمس و سبعین سنة .

۷- و لما مات الشیخ الفیومی المالکی شیخ الجامع الأزهر عام ۱۱۳۷ ه، انتقلت المشیخة الی الشافعیة، فتولاها الشیخ عبد اللّه الشبراوی. و یتحدث الجبرتی عن جاهه و مکانته و یذکر أسماء بعض شیوخه، و منهم: الشیخ خلیل اللقانی، و الشهاب الخلیفی، و محمد بن عبد الباقی الزرقانی، و أحمد النفراوی، و الشیخ منصور المنوفی، و صالح الحنبلی، و سواهم .

و کان طلبة العلم فی أیام مشیخته فی غایة الأدب و الاحترام.

و من آثاره: مفاتح الالطاف فی مدائح الأشراف، و شرح الصدر فی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۴۰

غزوة بدر و توفی سنة ۱۱۷۱ ه، عن ثمانین سنة، و صلی علیه بالأزهر .

و صار لأهل العلم فی مدته رفعة و مقام و مهابة عند الخاص و العام، و لم یزل یملی و یدرس و یفید، و عد إماما عظیما. و کان مقبول

الشفاعة، و هاداه الأمراء، و عمر دارا عظيمة على بركة الازبكية بالقرب من الرويعى.

و من آثاره «شرح الصدر فى غزوة بدر» و «مفاتح الألطاف فى مدائح الإشراف.

و هو ديوان يحتوى على غزليات و أشعار و مقاطيع، و قد ذهب الجبرتى و غيره الى أن مفاتح الألطاف هذا كتاب غير الديوان، و ليس كذلك فإنه يقول نفسه فى فى مقدمة الديوان «و سميته مفاتح الألطاف ...» و هو القائل لهذه القصيدة العذبة التى تسيل عذوبة ورقة المشهورة على ألسنة بعض المغنين:

بحقك أنت المنى و الطلبو أنت المراد و أنت الأرب

ولى فيك يا هاجرى صبوةتحير فى وصفها كل صب

أبيت أسامر نجم السماإذا لاح لى فى الدجى أو غرب

و أعرض عن عاذلى فى هواكإذا نم يا منيتى أو عتب

أمولاى باللّه رفقا بمنأليك بذل الغرام انتسب

فانى حسيبك من ذى الجفاو يا سيدى انت أهل الحسب

و يا هاجرى بعد ذاك الرضابحقك قل لى: لهذا سبب؟

فانى محب كما قد عهدتو لكن حبك شىء عجب

متى يا جميل المحيا أرىرضاك و يذهب هذا الغضب؟

أشاع العذول بأنى سلوتو حقك يا سيدى قد كذب

و مثلك ما ينبغى أن يصدو يهجر صبا له قد أحب

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۴۱ أشاهد فيك الجمال البديعفيأخذنى عند ذاك الطرب

و يعجبنى منك حسن القوامو لين الكلام و فرط الأدب

و حسبك أنك أنت المليحالكريم الجدود العريق النسب

أما و الذى زان منك الجبينو أودع فى اللحظ بنت العنب

و أنبت فى الخد روض الجمالو لكن سقاه بماء اللهب

لئن جدت أو جرت أنت المرادو ما لى سواك مليح يحب

۸- الشيخ محمد بن سالم الحفنى الشافعى الخلوتى الحسينى (۱۱۰۰- ۱۱۸۱ ه) ولد فى حفنا قرب بلبيس، و قرأ بها القرآن إلى الشعراء .. ثم أكمله فى القاهرة ثم اشتغل بحفظ المتون، و أخذ العلم عن علماء عصره، و أجازوه بالإفتاء و التدريس، فدرس الكتب الدقيقة كالأشمونى و جمع الجوامع و المنهج و مختصر السعد، و شهد له معاصروه بالتقدم فى العلوم .. و كان يتردد على زاوية سيدى شاهين الخلوتى بسفح الجبل متحنثا .. و اشتغل بعلم العروض حتى برع فيه، و عانى النظم و النثر، و تخرج عليه غالب أهل عصره.

و من تآليفه: حاشية على شرح رسالة العضد على السعد، و على الشنشورى فى الفرائض، و على شرح الهمزية لابن حجر، و على مختصر السعد، و على شرح السمرقندى للياسمينية فى الجبر و المقابلة.

و هو صاحب .. أحدتك حدوتة، بالزيت ملتوتة، حلفت ما آكلها، حتى يجى تاجرها الخ.

و توفى عام ۱۱۸۱ ه .

و كان قطبا و علما شهيرا، و أوحد أهل زمانه علما و عملا، و هو الإمام محمد بن سالم الحفناوى الشافعى الخلوتى ولد بحفنة قرية من قسم

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۴۲

بلبیس من مدیریة الشرقیة بالقطر المصری علی رأس المائة الحادیة عشرة و هو شریف حسینی من جهة أم أبیه نشأ بالقریة المذکورة و حفظ بها من القرآن إلی سورة الشعراء و ألزمه أبوه بالمجاورة بالأزهر فکمل حفظ القرآن، ثم قدم مصر و حفظ المتون و اجتهد فی تحصیل العلوم و أخذ من علماء عصره حتی مهر، و أفاد حیاة أشیاخه و أجازوه بالإفتاء و التدریس فدرس الکتب الدقیقة من غالب الفنون و کان فی ضیق من العیش فاشتغل بنسخ الکتب، ثم من اللّه علیه بکرامات فترک النسخ فأقبلت علیه الدنیا و کان یتردد إلی زاویة الشیخ جاهین الخلوتی فی سفح الجبل، و کان یمکث فیها اللیالی متحنثا أی متعبدا و تخرج من درسه غالب علماء عصره، و له مؤلفات کثیرة منها حاشیة علی شرح العضد للسعد و حاشیة علی الشنشوری فی الفرائض و حاشیة علی مختصر السعد و حاشیة علی شرح السمرقندی للیاسمینیة فی الجبر و المقابلة و حاشیة علی شرح العزیزی للجامع الصغیر .. و کان کریم الطبع جدا و لیس للدنیا عنده قدر.

۹- الإمام العلامة الفقیه شیخ الإسلام الشیخ عبد الرؤوف بن محمد السجینی الشافعی الأزهری شیخ الأزهر .. تولی مشیخة الأزهر بعد الحفنی إلا أنه لم تطل مدته .. و توفی سنة ۱۱۸۲ ه .

و قد أخذ العلوم عن عمه الشمس السجینی و لازمه، و بعد وفاته درس فی موضعه و بعد أن تولی مشیخة الأزهر سار فیها بشهامة و صرامة و توفی سنة ۱۱۸۲، و صلی علیه بالأزهر و دفن بجوار عمه بأعلی البستان، و اتفق أنه وقعت له حادثة قبل مشیخته علی الجامع الأزهر بمدة و هی التی کانت سببا لاشتهاره بمصر، و ذلک أن تاجرا من تجار خان الخلیلی تشاجر مع رجل خادم فضربه ذلک الخادم و فر من أمامه فتبعه هو و اثنان من أبناء جنسه فدخل الفارّ بیت الشیخ السجینی فدخل التاجر خلفه و ضربه برصاصة فأصابت رجلا من أقارب الشیخ فمات و هرب الضارب و طلبوه فامتنع علیهم

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۴۳

و تعصب معه أهل خطته فاهتم الشیخ و جمع المشایخ و القاضی و حضر إلیهم جماعة من أمراء الوجاقیة و انضم إلیهم الکثیر من العامة و ثارت الفتنة و أغلقت الناس الأسواق و اعتصم أهل خان الخلیلی بدائرتهم و أحاط الناس بهم من کل جهة و قتل بین الفریقین عدة أشخاص و استمر الحال علی ذلک أسبوعا، ثم اجتمعوا بالمحکمة بعد حضور علی بک و اجتمع الأمر علی الصلح و نودی فی صبیحتها بالأمان، و فتحت الحوانیت و الأسواق.

۱۰- الشیخ الإمام أحمد بن عبد المنعم بن یوسف بن صیام الدمنهوری الأزهری (۱۱۰۱- ۱۱۹۲ ه).

ولد بدمنهور و قدم الأزهر و هو صغیر فجد فی الطلب، و أجازه علماء المذاهب الأربعة، و ولی مشیخة الجامع الأزهر بعد الشیخ الحفنی عام ۱۱۸۲ ه: ۱۷۶۷ م.

و له مؤلفات کثیرة، منها حلیة اللب المصون بشرح الجوهر الکنون، و القول الصریح فی علم التشریح، و الزهر الباسم فی علم الطلاسم، و منهج السلوک إلی نصیحة الملوک. و کان مسکنه ببولاق و صلی علیه بالأزهر .

و کان یدرس بالمشهد الحسینی فی شهر رمضان و هابته الأمراء لکونه قوالا للحق أمارا بالمعروف، و قصدته الملوک من الأطراف و هادته بالهدایا، و من مؤلفاته شرح الجوهر الکنون و منتهی الإرادات فی تحقیق الاستعارات و نهایة التعریف بأقسام الحدیث الضعیف، و الفتح الربانی بمفردات ابن جنبل الشیبانی، و طریق الاهتداء بأحکام الأمة و الابتداء علی مذهب الإمام الأعظم و إحیاء الفؤاد بمعرفة خواص الأعداد، و الرقائق الألمعیة علی الرسالة الوضعیة و عین الحیاة فی استنباط المیاه، و الوفق المئینی، و القول الصریح فی علم التشریح، و إقامة الحجة الباهرة علی هدم کنائس مصر و القاهرة

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۴۴

و الزهر الباسم فی علم الطلاسم .. و له غیر ذلک من غالب الفنون، و توفی سنة ۱۱۹۲ ه: ۱۷۷۸ م و کان منزله ببولاق، فخرج بمشهد حافل، و صلی علیه بالازهر و دفن بالبستان رحمه اللّه.

۱۱- الشیخ عبد الرحمن بن عمر الحنفی الأزهری ولد بقلعة العریش من أعمال غزة و بها نشأ و حفظ بعض المتون ثم حضر فی الأزهر و تولی مشیخة رواق الشوام، و عین مفتی الحنفیة.

و أقیم وکیلا للشیخ الدمنهوری، فلما توفی الشیخ الدمنهوری تولی المشیخة، و لکن علماء الأزهر لم یرضوا عنه و کتبوا للأمراء بأن مشیخة الأزهر من مناصب الشافعیة، و لیس للحنفیة فیها قدیم عهد أبدا، و خصوصا إذا کان آفاقیا لیس من أهل البلدة، و رشحوا للمشیخة الشیخ أحمد العروسی، و استمر الاضطرب سبعة أشهر، ثم ثبت العروسی للمشیخة .. و توفی سنة ۱۱۹۳ ه.

۱۲- الشیخ أبو الصلاح أحمد بن موسی العروسی الشافعی، ولی المشیخة و بقی فیها إلی أن توفی فی أواخر شعبان سنة ۱۲۰۸ ه، و مولده ۱۱۳۲ ه، و من تآلیفه شرح علی نظم التنویر فی إسقاط التدبیر، و حاشیة علی الملوی علی السمرقندی.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۴۵

۱۳- الشیخ عبد اللّه الشرقاوی الشافعی شیخ الجامع الأزهر، ولد بالطویلة بشرقیة بلبیس عام ۱۱۵۰ و تعلم فی الأزهر، و صار من شیوخه و مدرسیه

و لما مات الشیخ أحمد العروسی تولی مشیخة الأزهر بعده، و کانت تعارضت فیه وفی الشیخ مصطفی الصاوی، ثم انتهی الأمر بإسنادها إلیه.

و توفی عام ۱۲۲۷ ه .

کان لما ترعرع و حفظ القرآن قدم إلی الجامع الأزهر و سمع الکثیر من العلوم عن الشهابین الملوی و الجوهری و الشمس الحفنی و الشیخ الدمنهوری و السید البلیدی و الشیخ عطیة الأجهوری و الشیخ محمد الفارسی و الشیخ عمر الطحلاوی، و أخذ الطریق عن الشمس الحفنی ثم عن الشیخ محمود الکردی و لازمه و حضر معه فی أذکاره، و درس بالجامع الأزهر و بمدرسة السنانیة بالصنادقیة و برواق الجبرت و الطیبرسیة و تمیز فی الالقاء و التحریر و أفتی فی مذهبه، و له مؤلفات دالة علی سعة فضله منها حاشیة علی التحریر، و شرح نظم الشیخ یحیی العمریطی، و متن العقائد المشرقیة مع شرحها، و شرح رسالة عبد الفتاح العادلی فی العقائد، و مختصر الشمائل مع شرحه، و شرح الحکم لابن عطاء اللّه، و شرح الوصایا الکردیة فی التصوف، و شرح ورد السحر للبکری، و مختصر مغنی اللبیب فی النحو، و حاشیة علی شرح الهدهدی فی التوحید، و طبقات فقهاء الشافعیة المتقدمین و المتأخرین و تاریخ مصر، و له غیر ذلک .. و کان فی قلة من العیش ثم بعد مدة اشتهر ذکره و وصله بعض التجار بالهدایا، فراج حاله و تجمل بالملابس و اشتری دارا بحارة کتامة و هی المعروفة الآن بالدواداری قرب جامع العینی، و استمر حاله فی تحسن إلی أن مات الشیخ أحمد العروسی فتولی بعده مشیخة الأزهر، و کانت تعارضت فیه و فی الشیخ مصطفی الصاوی، ثم حصل الاتفاق علیه .. و قد أنشأ رواق الشراقوة بالأزهر لأسباب عدیدة، و حصلت

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۴۶

أیامه حوادث الحملة الفرنسیة و توفی فی یوم الخمیس ثانی شوال سنة ۱۲۲۷، و دفن بمدفنه الذی بناه لنفسه بقرافة المجاورین، ثم عملت أتباعه و أولاده له مولدا فی أیام مولد الشیخ العفیفی و کتبوا بذلک فرمانا من الباشا.

۱۴- و تولی الشیخ محمد الشنوانی مشیخة الأزهر بعد الشیخ الشرقاوی عام ۱۲۲۷ ه.

و قد توفی عام ۱۳۳۳ ه .. و لتولیه المشیخة قصة، هی أنه لما توفی الشیخ الشرقاوی فی السنة المذکورة طلع المشایخ إلی القلعة للباشا بعد وفاته بثلاثة أیام و استأذنوه فیمن یجعلونه شیخا علی الأزهر، فقال لهم اعملوا رأیکم و اختاروا شیخا یکون خالیا عن الأغراض و أنا أقلده ذلک فنزلوا إلی بیوتهم و اختلفت آراؤهم، فالبعض اختار الشیخ المهدی الکبیر و البعض اختار الشیخ الشنوانی و امتنع الشیخ الأمیر عن المشیخة و کذلک ابن الشیخ العروسی، و کان الشیخ الشنوانی منعزلا عنهم یقرأ درسه بجامع الفاکهانی و بیده وظائف خدمته و عند فراغه من الدرس یغیر ثیابه و یکنسه و یغسل القنادیل و یعمرها و یکنس المراحیض فلما بلغه أنهم ذکروه تغیب ..

ثم إن الباشا أمر القاضی بهجت أفندی أن یجمع المشایخ و یتفقوا علی شخص یکون شیخا بالشرط المذکور، فجمع القاضی أکابر العلماء کالقویسی و الفضالی، إلا ابن العروسی و الهیثمی و الشنوانی فأرسلوا إلیهم فحضروا، و لم یحضر الشنوانی فأرسلوا إلیه رسولا فرجع بورقة و یقول: أن له ثلاثة أیام غائبا عن داره و قال لأهله إن طلبونی فاعطوهم هذه الورقة، فأخذ القاضی الورقة ففضها و قرأها فإذا فیها بعد البسملة و الصلاة علی النبی صلی اللّه علیه و سلّم: لحضرات مشایخ الإسلام إننا نزلنا عن المشیخة للشیخ بدوی الهیثمی، فعند ذلک قام الحاضرون قومه واحدة و أکثرهم من الشوام و قالوا هو لم یثبت له مشیخة حتی ینزل عنها، و قال کبارهم لا یکون شیخا إلا

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۴۷

من یفید الطلبة، فقال القاضی و من الذی ترضونه؟ فقالوا نرضی الشیخ المهدی، و قام الکل و صافحوه و قرءوا الفاتحة و کتب القاضی إعلاما بذلک، و رکب المهدی إلی بیته فی کبکبة و حوله المشایخ و المجاورون و شربوا «الشربات» و هنئوه و انتظروا جواب الإعلام من الباشا فلم یأت، و المدبرون بدبرون شغلهم، و أحضروا الشیخ الشنوانی من مصر القدیمة و تمموا تدبیرهم، و أحضروا الشیخ منصور الیافی لیعیدوه إلی مشیخة الشوام و جمعوا بقیة المشایخ آخر اللیل و رکبوا فی الصباح إلی القلعة فخلع الباشا علی الشیخ محمد الشنوانی فروة سمور و قرره شیخا، و کذلک علی السید منصور الیافی و قرره علی رواق الشوام کما کان، و أتی إلیه الناس أفواجا یهنئونه بالمشیخة.

۱۵- الشیخ محمد العروسی .. و قد تولی المشیخة بعد الشیخ الشنوانی و توفی فی عام ۱۲۴۵ ه .

۱۶- الشیخ أحمد بن علی الدمهوجی .. و توفی فی ۹ من ذی الحجة عام ۱۲۴۶، و هو نسبة إلی قریة دمهوج قرب بنها.

۱۷- الشیخ حسن بن محمد العطار، توفی عام ۱۲۵۰ ه.

و کان أبوه فقیرا عطارا له إلمام بالعلم و کان یستخدم ابنه هذا فی صغار شؤون الدکان و یعلمه البیع و الشراء فاختلف إلی الجامع الأزهر خفیة عن أبیه حتی قرأ القرآن وجد فی التحصیل علی کبار المشایخ کالشیخ الصبان و الشیخ الأمیر. و لما دخل الفرنسیون مصر فر إلی الصعید کجماعة من العلماء. و لما رجع اتصل بهم فکان یستفید منهم و یفیدهم اللغة العربیة و کان یقول: إن بلادنا لا بد أن تتغیر أحوالها و یتجدد بها من المعارف ما لیس فیها و یتعجب مما وصلت إلیه تلک الأمة من المعارف و العلوم و کثرة کتبهم و تحریرها و تقریبها لطرق الاستفادة .. ثم ارتحل إلی الشام و کان

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۴۸

یقول الشعر دون اهتمام به کما هو عادة کثیر من العلماء، و من شعره:

إنی لأکره فی الزمان ثلاثةما إن لها فی عدها من زائد

قرب البخیل و جاهلا متفاصحالا یستحی و تودد من حاسد

و من البلیة و الرزیة أن تریهذی الثلاثة جمعت فی واحد

و ارتحل إلی بلاد الروم و أقام بها مدة و تأهل بها ثم عاد إلی مصر و عقد مجلسا لقراءة تفسیر البیضاوی، کان یحضره أکابر المشایخ. و له تآلیف کثیرة منها:

۱- حاشیة علی جمع الجوامع نحو مجلدین.

۲- حاشیة علی الأزهریة فی النحو.

۳- حاشیة علی مقولات السجاعی.

۴- حاشیة علی السمرقندیة.

و له رسائل فی الطب، و التشریح «و الرمل»، و الزیارجة و کان یرسم بیده المزاول النهاریة و اللیلیة.

۱۸- الشیخ حسن القویسنی نسبة إلی قویسنا توفی سنة ۱۲۵۴ ه، و کان مع انکفاف بصره مهیبا جدا عند الأمراء و غیرهم.

۱۹- الشیخ أحمد الصائم السفطی نسبة إلی سفط العرفاء قریة جهة الفشن بمدیریة المنیا توفی سنة ۱۲۶۳ ه.

۲۰- الشیخ إبراهیم الباجوری من الباجور بمدیریة المنوفیة توفی سنة ۱۲۷۷ ه، و کان قویا فی علمه ضعیفا فی إداراته، و کان عباس الأول یزوره فی درسه و بعد موته بقی الأزهر مدة بلا شیخ بل بمجلس مؤلف من أربعة وکلاء تحت ریاسة الشیخ مصطفی العروسی. و هم: الشیخ العدوی المالکی، و الشیخ الحلبی الحنفی، و الشیخ خلیفة الفاشنی، و الشیخ مصطفی الصاوی الشافعیان، و کان هذا المجلس قد ألف لمباشرة أمور الأزهر بعد أن ضعف الشیخ الباجوری و کثرت حوادث الأزهر، و لما کانت سنة ۱۲۸۱ ه تقلد المشیخة الشیخ العروسی.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۴۹

۲۱- تقلد الشیخ مصطفی العروسی کأبیه وجده المشیخة إلی عام ۱۲۸۷ ه. و لقد أبطل الشیخ العروسی کثیرا من البدع کالشحاذة بالقرآن و عزم علی إدخال الامتحانات بالأزهر ففاجأه العزل من المنصب فنفذ ذلک خلفه.

۲۲- الشیخ محمد العباسی المهدی الحنفی (۱۲۴۳- ۱۳۱۵ ه).

حضر فی الأزهر و درس فیه و تولی الافتاء عام ۱۲۶۴ ه جلس للتدریس فی الأزهر أیضا، و تولی مشیخة الأزهر جامعا بین هذا المنصب و منصب الإفتاء، و وضع أول قانون لإصلاح الأزهر و عزل من المشیخة عام ۱۲۹۹ و تولی بدله الشیخ الإنبابی و انفرد هو بالإفتاء، ثم استقال الإنبابی فأعید الشیخ المهدی للمشیخة، و لکنه استقال بعد مدة فأعید الشیخ الإنبابی شیخا و عین الشیخ محمد البنا مفتیا، ثم أعید المترجم له إلی الافتاء- و له الفتاوی المهدیة (۶۷- ۸۰ تراجم أعیان القرن الثالث عشر- أحمد تیمور).

و قد عاش الشیخ محمد المهدی الحنفی- و هو من شیوخ الأزهر الأجلاء- إلی أن توفی عام ۱۳۱۵ ه.

و کان المهدی العباسی الحنفی مفتی الدیار المصریة و رئیس السادة الحنیفیة، و قد تقلد المشیخة أواخر سنة ۱۲۸۷ ه، فسار فیها سیرا حسنا و دان له الخاص و العام و زاد الامراء فی تعظیمه، و هو أول من تقلدها من العلماء الحنفیة، و لما تقلدها قلت علی یدیه الشرور و المفاسد فی الأزهر و کثرت به المرتبات من النقود و الکساوی و الجرایات المتجددة، و صار لأکثر أهل الأزهر مرتبات من المالیة و غیرها، و أثری کثیر منهم بسببه، و خلعت علیهم الخلع و دعوا فی المجامع الشریفة، و کان له سیر بلیغ فی صرف الاستحقاقات و المشی علی شروط الواقفین و قوانین الحکام و هو الذی سن امتحان التدریس للعلماء .. و ذلک أنه استأذن ولی الأمر فی عمل قانون الامتحان، و اجتمع الرأی بینهم علی تعیین ستة لذلک من أکابر العلماء من

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۵۰

کل اهل مذهب من المذاهب الثلاثة اثنان، سوی مذهب ابن حنبل لقلته، و جعل الامتحان فی أحد عشر علما من العلوم المتداولة بالأزهر و هی، الحدیث، و التفسیر، و الأصول، و التوحید، و الفقه، و النحو، و الصرف، و المعانی، و البیان، و البدیع، و المنطق، و من یرید الامتحان لا بد أن یکون قد حضر هذه الفنون بالجامع الأزهر و حضر کبار الکتب مثل: السعد و جمع الجوامع، ثم یقدم طلبا لشیخ الجامع یذکر فیها أنه یرید الدخول فی حومة العلماء المدرسین و ینتظم فی سلک المعلمین و یبین أنه حضر کذا و کذا من الفنون و حضر مختصر السعد و ابتدأ فی جمع الجوامع مثلا، فیؤخر الشیخ تلک الرغبة عنده حتی یستخبر عن أحواله ممن یعرف حقیقة أمره، ثم یکتب للمشایخ بإعطاء الشهادة فی حقه بالکتابة فیشهد له جمع من المشایخ أقلهم ثمانیة، ثم یعین له من کل فن درسا و یعطیه میعادا یطالع فیه کل فن فی یوم و علی رأس الأحد عشر یوما ینعقد مجلس الامتحان فی بیت شیخ الجامع (و صار ینعقد فی الأزهر بالرواق العباسی)، و یجعل مرید الامتحان بمنزلة الشیخ و الممتحنین بمنزلة الطلبة فیدرس و هم یسألونه و هو یجیبهم و لا یحضر فی ذلک المجلس غیرهم فإذا أجاب فی کل فن کتب من الدرجة الأولی، و إذا أجاب فی أکثر الفنون کتب من الدرجة الثانیة، و إذا أجاب فی الأقل کتب من الدرجة الثالثة، و إذا لم یجب لم یؤذن له فی شیء، ثم تکتب الشهادة لصاحب الدرجة الأولی و

ترسل إلى الخديوى، فتكتب له عريضة تشريف متوجة بختم الخديوى تكون معه، و يخلع عليه فرجية و شريط مقصب بجعله فى عمامته فى موضع التشريفات و يكتب للجهات باحترامه و يخفف عنه فى السفر نصف الأجرة، و كان قد استحسن أن لا يمتحن فى العام أكثر من ستة، فإذا تراكمت الطلبات من طالبى الامتحان نظر الشيخ فى موجبات الترجيح كالشهرة بالعالمية أو الوجاهة أو سبق التاريخ أو كبر السن ... فكان هو أول من سن قانونا لامتحان طلبة الجامع الأزهر ... و ولد الشيخ المذكور بالإسكندرية سنة ۱۲۴۳ و قدم مصر سنة ۱۲۵۵ و اشتغل بالعلم فى سنة ۱۲۵۶ و تولى الإفتاء سنة ۱۲۶۴ و كان يحضر فى مقدمة السعد على الشيخ

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۵۱

إبراهيم السقا و فيها جلس للتدريس، ثم تولى المشيخة سنة ۱۲۸۷ و انصرف عن المشيخة و الافتاء و رجع إليهما مرتين، و من مؤلفاته الفتاوى المهدية الشهيرة المستعملة كثيرا فى أيدى القضاة و المفتين، و كان له من الأولاد اثنان من المدرسين بالأزهر و أرباب المكانة بمصر، و هما الأستاذ الشيخ محمد أمين و الشيخ عبد الخالق .. و توفى الشيخ ليلة الأربعاء ۱۳ رجب سنة ۱۳۱۵ و دفن بزاوية الاستاذ الحفنى بقرافة المجاورين، ورثته العلماء و الفضلاء بقصائد شتى قيل فى تاريخ بعضها «جزاؤك يا مهدى فى جنة الخلد»، و قال بعضهم فى مرثية له:

عليه دمع الفتاوى بات منحدراو للمحارب حزن ضاق عن حد

فيها المسائل قد باتت تؤرخهمات المجيب الإمام المقتدى المهدى

۲۳- الشيخ محمد الإمبابى الشافعى، و قد تولى المشيخة عام ۱۲۹۹، ثم تركها و عاد إليها الشيخ محمد المهدى الحنفى ثانية، و بقى فيها إلى أن استقال منها فى ۱۳۰۴ ه و تقلدها بعده الشيخ محمد الإمبابى ثانية، و بقى فيها إلى أن استقال منها عام ۱۳۱۳ ه.

ولد الشيخ المذكور بالقاهرة سنة ۱۲۴۰ و حفظ القرآن الشريف و المتون بالجامع الأزهر، و فى سنة ۱۲۵۳ شرع فى تلقى العلوم فاجتهد فى الطلب و أخذ عن شيخ الإسلام الشيخ البجورى و الشيخ إبراهيم السقا و الشيخ مصطفى البولاقى و أضرابهم و شغل ليله و نهاره بالمطالعة حتى فاق أقرانه و تمكن تمكنا زائدا، و درس فى سنة ۱۲۶۷ و قرأ جميع الكتب التى تدرس فى الأزهر، و كتب عليها تقارير و حواشى .. و منها تقرير على حاشية العطار على الأزهرية، و تقرير على حاشية السجاعى على القطر، و تقرير على حاشية الأمير على شرح الشذور، و تقرير على حاشية السجاعى على شرح ابن عقيل، و تقرير على شرح الأشمونى، و تقرير على التجريد حاشية مختصر السعد، و تقرير على جمع الجوامع و تقرير على حاشية البجورى على السلم و تقرير على آداب البحث و تقرير على حواشى السمرقندية و تقرير على مختصر السنوسى و حاشية على رسالة الصبان، و حاشية على

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۵۲

مقدمة القسطلانى شرح صحيح البخارى، و حاشية على رسالة الدردير فى البيان، و تقرير على حاشية البرماوى على شرح ابن قاسم فى فقه الشافعى .. و منها فتاوى فقهية، و رسالتان فى البسملة صغرى و كبرى، و رسالتان فى «زيد أسد» صغرى و كبرى، و رسالة فى علم الوضع، و رسالة فى «من حفظ حجة على من لم يحفظ» .. و له غير ذلك من التآليف النفسية، و بالجملة فقد جمع بين العلم و العمل و الدنيا و الدين، و قد تخرج على يديه كثير ممن تصدروا للتدريس .. و الإنبابى نسبة إلى إنبابة و هى تجاه بولاق مصر من الشاطىء الغربى للنيل و لم يكن الشيخ منها و إنما نسب إليها لكون والده كان منها و اشتهر بالنسبة اليها و كان والده من أكبر التجار بالقاهرة، و لما توفى الشيخ حزنت عليه العلماء و أظهرت الأمة الحزن عليه، ورثته الشعراء بقصائد كثيرة.

۲۴- الشيخ حسونة النواوى الحنفى (۱۲۵۵- ۱۳۴۳)

تعلم فى الأزهر و صار مدرسا فى دار العلوم و مدرسة الإدارة (الحقوق)

ثم عين رئيسا لمجلس الأزهر الأعلى فى عهد الشيخ الإنبابى- و لما أقيل الشيخ الأنبابى عام ۱۳۱۳ عين المترجم له شيخا للأزهر.

و أضيف إليه منصب الافتاء بوفاة الشيخ محمد المهدى العباسى المفتى عام ۱۲۱۵ و أقيل أول عام ۱۳۱۷ و أقيم ابن عمه الشيخ عبد

الرحمن القطب النواوی شیخا للأزهر و الشیخ محمد عبده مفتیا. و توفی ابن عمه بعد شهر من ولایته علی الأزهر سنة ۱۳۱۷، فعین الشیخ سلیم البشری شیخا له عام ۱۳۱۷ و لما أقیل آخر عام ۱۳۲۰ ولی الشیخ علی البیلاوی علی الأزهر، و استقال فی ۹ المحرم عام ۱۳۲۳، و عین بعده الشیخ عبد الرحمن الشربینی شیخا ثم استقال فی ۱۶ ذی الحجة عام ۱۳۲۴، فعین النواوی شیخا للأزهر للمرة الثانیة، و استقال من المنصب عام ۱۳۲۷، فأعید الشیخ سلیم للمشیخة، (۵۶- ۶۳ أعیان القرن الثالث عشر- أحمد تیمور).

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۵۳

و سن الشیخ قانونا لأهل الأزهر، و فی أواخر مشیخته أسس مجلسا الإدارة الأزهر بأمر الخدیو، و سن قانونا لاصلاح الأزهر .. و کان بعد استعفاء الشیخ الإنبابی عن المشیخة تولاها فی سنة ۱۳۱۲ بأمر الخدیوی و کانت جملة أکابر العلماء قدموا التماسا بطلب المشیخة فلم یلتفت الخدیو إلیهم، ثم سن قانونا آخر مشتملا علی ستة أبواب تشتمل علی اثنین و ستین مادة .. و لنذکر بعض أبوابه.

الباب الاول فی الإدارة العمومیة، و فیه تشکیل مجلس إدارة الأزهر من خمسة أعضاء غیر الرئیس منهم ثلاثة من أفاضل علماء الازهر و اثنان من العلماء و الموظفین بالحکومة و انعقاده علی الأقل کل خمسة عشر یوما مرة و اختصاصه بتصدیر القرارات و القواعد التی یکون بموجبها سیر التدریس و ضبط الطلبة و الأعمال و کل ما له علاقة بالازهر و غیر ذلک.

الباب الثانی فی شروط الانتظام فی سلک طلبة الازهر، و منه أن لا یعتبر من طلبة العلم فی الأزهر إلا من بلغ من السن خمس عشرة سنة علی الأقل و أن یکون له درایة بالکتابة و القراءة و أن یکون حافظا لنصف القرآن، و یتعین حفظ کله علی کفیف البصر، و غیر ذلک.

الباب الثالث فی التعلیم، و منه منع قراءة الحواشی و التقاریر منعا باتا فی جمیع العلوم فی الأربع سنوات الأول و بعدها تخیر الطلبة و الأساتذة فی النظر فی الحواشی، أما التقاریر فلا یجوز استعمالها إلا بقرار من مجلس الإدارة، و غیر ذلک.

الباب الرابع فی الامتحان، و فیه انقسام الامتحان إلی قسمین: الأول امتحان شهادة الأهلیة لمن أمضی ثمان سنوات فأکثر فی الأزهر و حصل ثمانیة علوم علی الأقل، و یؤلف لجنة الامتحان من ثلاثة من العلماء تحت رئاسة شیخ الجامع الأزهر، أما امتحان شهادة العالمیة فلمن أمضی اثنتی عشرة سنة، و تؤلف لجنة الامتحان من ستة من أکابر المدرسین من کل مذهب اثنان و الدرجات التی یمنحها الطالب: أولی، و ثانیة، و ثالثة .. ثم

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۵۴

تکوین مجلس إدارة الأزهر و فی مقدمته صاحب الفضیلة الشیخ محمد عبده مفتی الدیار المصریة، و کان برئاسة الشیخ حسونة النواوی لإجراء مقتضیات هذا القانون، فقرر قواعد الانتساب و الانتظار و الاستحقاق فی الجرایات و التدریس و المسامحات و العلوم، و أوجدوا فی الأزهر نهضة علمیة عظیمة، و أحضروا للعلوم الریاضیة أمهر المدرسین، و وضعوا امتحانا سنویا، و صرفوا ستمائة جنیه مکافأة للناجحین فی أی فن کان، و تقدم طلاب الأزهر تقدما کبیرا .. و انضمت للشیخ وظیفة الإفتاء سنة ۱۳۱۵ بعد وفاة الشیخ المهدی بعد ما قام وکیلا عنه مدة، و هو ثانی من جمع بین الإفتاء و المشیخة الأزهریة من الحنفیة .. و فی مشیخته أنشئت المکتبة الأزهریة، و بنی الرواق العباسی، و أکثر من امتحان طالبی التدریس، و زید فی مرتبات العلماء و مشایخ الأروقة و الحارات من الأوقاف، و صرف عن الإفتاء و المشیخة فی ۲۵ محرم سنة ۱۳۱۷، و ولد الشیخ سنة ۱۲۵۵ بنوای قریة من أعمال أسیوط بمرکز ملوی و قدم الأزهر و أخذ عن کبار المشایخ و تربی علی یده کثیر من المدرسین و درس بجامع القلعة و ألف کتابا فی الفقه الحنفی یدرس بها .. و من أولاده الشیخ محمد حسونة من علماء الأزهر.

۲۵- السید علی البیلاوی المالکی (۱۲۵۱- ۱۳۲۳ ه) حضر فی الأزهر و درس فیه، و تولی نظارة دار الکتب عام ۱۲۹۹ ه ثم عین شیخا لمسجد الحسین سنة ۱۳۱۱ ه، و أقیم نقیبا للإشراف عام ۱۳۱۲ ه.

و عین شیخا للأزهر عام ۱۳۲۰ ه بعد استقالة الشیخ سلیم البشری- و ظل فی المشیخة إلی أن استقال منها أول عام ۱۳۲۳ ه (۸۱- ۸۵

أعیان القرن ۱۳- أحمد تیمور).

۲۶- الشیخ سلیم البشری المالکی، و ظل فیها إلی أن أقیل منها فی ذی الحجة ۱۳۲۰ ه، بسبب حادث مسجد السیدة نفیسة مع حاکم مصر وقتئذ.

ولد الشیخ بمحلة بشر سنة ۱۲۴۸، و هی قریة من مدیریة البحیرة بمرکز بلاد الأرز شرقی ترعة الخطاطبة بالقطر المصری، و قدم إلی مصر

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۵۵

بعد ما حفظ القرآن الکریم و اشتغل بالعلم علی مذهب الإمام مالک رضی اللّه عنه، وجد فی التحصیل علی کبار العلماء کالشیخ البجوری و الشیخ علیش و أضرابهما حتی مهر، و درس فی سنة ۱۲۷۲، و درس جمیع الکتب المعتادة بالأزهر مرات عدیدة و تخرج من درسه کثیر من أکابر و مشاهیر العلماء المدرسین بالأزهر کالشیخ الفاضل الشیخ محمد راشد إمام المعیة و المرحوم الشیخ البسیونی البیبانی و المرحوم الشیخ محمد عرفة، و غیر هؤلاء من أفاضل المدرسین بالأزهر، و لما عین شیخا للجامع الزینبی و کان خالیا من المدرسین رتب نحو السبعة من العلماء للتدریس به منهم من یقرأ الحدیث و منهم من یقرأ الفقه علی الأربعة المذاهب و منهم من یقرأ الاخلاق و غیر ذلک، و طلب لهم مرتبات من الأوقاف، و رتب لهم ذلک حتی صار ذلک الجامع کأنه قطعة من الأزهر، و فی ۱۳۰۵ ه صار شیخا للمالکیة و کانت قد ألغیت نحو خمس سنوات بعد الشیخ علیش فأحیاها الشیخ و قد جمع بین المشیختین، و من تألیفه تحفة الطلاب فی شرح رسالة الآداب، و حاشیة علی رسالة علیش فی التوحید. و کان ابنه الشیخ عبد العزیز البشری من أفاضل العلماء و الکتاب، و توفی عام ۱۹۴۳.

۲۷- السید علی محمد البلاوی المالکی و قد بقی فیها إلی أن استقال منها فی أوائل محرم سنة ۱۳۲۳ ه

۲۸- الشیخ عبد الرحمن الشربینی ولی المشیخة فی ۱۳ محرم ۱۳۲۳ ه و بقی فیها إلی أن استقال منها فی ذی الحجة ۱۳۲۳ ه.

۲۹- الشیخ حسونة النواوی للمرة الثانیة، و استقال فی السنة نفسها فتولاها مرة ثانیة.

۳۰- الشیخ سلیم البشری، و توفی سنة ۱۳۳۵ ه.

۳۱- محمد أبو الفضل الجیزاوی ولی المشیخة إلی سنة ۱۳۴۶ ه، ثم خلفه فی ذی الحجة ۱۳۴۶ ه ۲۲ مایو ۱۹۲۸ المراغی.

۳۲- الشیخ محمد مصطفی المراغی، ولی المشیخة إلی أن استقال

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۵۶

فی سنة ۱۳۴۸ ه اکتوبر سنة ۱۹۲۹.

۳۳- محمد الأحمدی الظواهری (المتوفی فی ۱۳ مایو سنة ۱۹۴۴)، و قد عزل من المشیخة فی ۲۳ محرم ۱۳۵۴ ه- ۲۶ ابریل ۱۹۳۵

۳۴- الشیخ محمد مصطفی المراغی للمرة الثانیة.

و ظل فی المشیخة الشیخ المراغی رحمه اللّه .. حتی توفی فی ۱۴ رمضان عام ۱۲۶۴ ه الموافق ۲۲ أغسطس عام ۱۹۴۵ .. و قام بأمر المشیخة بعده الشیخ محمد مأمون الشناوی وکیل الأزهر فی ذلک الحین .. و لما استقال من الوکالة خلفه الشیخ عبد الرحمن حسن فی وکالة الأزهر و الإشراف علیه.

۳۵- ثم عین الشیخ مصطفی عبد الرازق- شیخا للأزهر فی ۲۸ دیسمبر ۱۹۴۵- و ظل فیها حتی توفی فی منتصف فبراير عام ۱۹۴۷ (۱۳۶۴- ۱۳۶۵ ه).

۳۶- و عین الشیخ محمد مأمون الشناوی فی المشیخة عام ۱۳۶۷ ه، ۱۸ ینایر ۱۹۴۸ و ظل فیها حتی توفی فی ۲۱ من ذی القعدة عام ۱۳۶۹ ه، ۴ سبتمبر عام ۱۹۵۰، و امتاز عهده بضعف أثر العصبیات فی الأزهر، و بالقضاء علی الفتن و الاضطرابات و بزیادة البعوث الاسلامیة الوافدة علی الأزهر، و زیادة العلماء الذین أرسلوا إلی الأقطار الاسلامیة، و بمکانة الأزهر فی المجتمع، و بالغاء البغاء و

تحدید الخمور و جعل الدین مادة رسمیة فی المدارس، و بارتفاع میزانیة الأزهر الی نحو ملیون و ثلث، و بکثرة خریجی الأزهر فی مدارس الحکومة .. و أنشیء فی عهده معهد محمد علی بالمنصورة، و معهد منوف، و ضم معهد سمنود إلی الأزهر.

و کذلک معهد الفیوم و المنیا .. و قد شیعت جنازته إلی مقرها الأخیر یوم الثلاثاء ۵ سبتمبر عام ۱۹۵۰ .

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۵۷

۳۷- و عین بعده الشیخ عبد المجید سلیم شیخا للأزهر فی یوم الأحد ۲۶ من ذی الحجة ۱۳۶۶ ه، ۸ أکتوبر عام ۱۹۵۰، و ظل فی المشیخة إلی أن أعفی منها فی الیوم الرابع من سبتمبر عام ۱۹۵۱، لمناهضته للحکومة القائمة و عدم الاستقرار و الهدوء فی الأزهر، و ذلک فی ۴ سبتمبر عام ۱۹۵۱.

۳۸- و أسندت المشیخة- إلی الأستاذ الأکبر الشیخ إبراهیم حمروش .. و فی عهده قامت الحرکة الوطنیة لمناهضة الإنجلیز و الاستعمار، و کان للشیخ مواقف مشهودة فی هذه الحرکة .. و قد ظل فی المشیخة إلی أن أعفی منها فی الیوم العاشر من شهر فبراید عام ۱۹۵۲.

۳۹- و أسندت المشیخة فی هذا الیوم نفسه إلی الأستاذ الأکبر الشیخ عبد المجید سلیم للمرة الثانیة .. و قد ظل فیها حتی استقال منها فی ۱۷ سبتمبر ۱۹۵۲ ، و قد توفی علیه رحمة اللّه فی صباح یوم الخمیس ۱۰ صفر ۱۳۷۴ ه- ۷ أکتوبر عام ۱۹۵۴ و کان رحمه اللّه مثلا کریما فی الغیرة علی الأزهر و إصلاحه، و ترک فیه آثارا کثیرة، و کانت له شهرة عالمیة فی الإلمام بشتی العلوم و المعارف الإسلامیة .. و قد ترک فراغا کبیرا لا یسد، کما ترک تلامیذ و مریدین یذکرونه بالخیر الإجلال و الوفاء.

۴۰- الأستاذ الأکبر الشیخ محمد الخضر حسین، و قد تولی المشیخة بعد الشیخ عبد المجید سلیم، و بدأ عمله بإحالة وکیل الأزهر الشیخ عبد الرحمن حسن إلی المعاش و تعیین الشیخ محمد عبد اللطیف دراز و الشیخ

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۵۸

محمد نور الدین الحسن وکیلین، و بإلغاء منصبی السکرتیر العام و مدیر المعاهد- و استمر فی المشیخة إلی أن استقال منها فی أوائل ینایر ۱۹۵۴.

۴۱- الأستاذ الأکبر الشیخ عبد الرحمن تاج، و قد تولی المشیخة بعد الشیخ محمد الخضر حسین فی یوم الجمعة ۲ جمادی الأولی ۱۳۷۳ ه- ۸ ینایر ۱۹۵۴، و بدأ عمله بإحالة الوکیلین الشیخ دراز و الشیخ نور الدین الحسن إلی المعاش، و بتخفیض سن الإحالة علی المعاش لعلماء الأزهر إلی الخامسة و الستین، و بإحالة أعضاء جماعة کبار العلماء الذین بلغوا هذه السن إلی المعاش کذلک.

و الشیخ تاج مولود عام ۱۸۹۶ بأسیوط و نال العالمیة عام ۱۹۲۳ و شهادة التخصص عام ۱۹۲۶، و سافر عام ۱۹۳۶ إلی فرنسا، حیث عاد منها عام ۱۹۴۳ بلقب دکتور، و حصل علی عضویة جماعة کبار العلماء ۱۹۵۱ م.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۵۹

الفصل الثانی تراجم لبعض شیوخ الأزهر

الشیخ محمد الأحمدی الظواهری

توفی رحمه اللّه فی ۱۳ مایو عام ۱۹۴۴، و قد تولی المشیخة خمس سنوات کان الأزهریون و الشیخ فیها فی نضال مستمر؛ مع ما کسب الأزهر فیها من استتباب الدراسة و قوة الروح العلمیة.

ولی مشیخة معهد طنطا، فی سن مبکرة، و بقی شیخا له، إلی أن نقل شیخا لمعهد أسیوط، فی أکتوبر- ۱۹۲۳ فأحسن الناس استقباله وراقهم فیه فخامة مظهره، و فصاحة منطقه، و سخاء یده. و سرهم أن یروا لشیخ العلماء مهابة خاصة.

و لکن الشیخ فی أسیوط، لم یکن یفارقه الحزن إلا- قلیلا- لأنه نقل إلی أسیوط، و هو غیر راض بنقله، لذا کان کثیر المرض، کثیر السفر قلیل الاهتمام. بالحیاة.

و له علی معهد أسیوط فضل کثیر، إذ نقل الدراسة من المساجد و أنقذ الطلاب من افتراش الحصر، و استأجر للدراسة قصورا فخمة واسعة، فی مناطق عامرة. و تنازل للحکومة عن مستشفی الحمیات، و أخذ بدله تلک البقعة التی أقیم علیها المعهد الجدید، علی شاطیء النیل بالحمراء، سنة ۱۹۲۴. و حینما وضع الحجر الأساسی فی بناء المعهد، سنة ۱۹۳۰ کان الشیخ شیخا للأزهر.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۶۰

و لما عین الأستاذ المراغی، شیخا للأزهر سنة ۱۹۲۸ و شاع الخبر فی أسیوط، اتفق ان أصیب الشیخ الأحمدی بمرض شدید، أثار حوله الأقاویل، و لکنه شفی منه، و بعد قلیل نقل شیخا لمعهد طنطا، فی یولیو- ۱۹۲۷.

و فی أکتوبر ۱۹۲۹ استقال الشیخ المراغی، و عین الشیخ الأحمدی، شیخا للأزهر.

و فی ۲۸ أبریل ۱۹۳۵ استقال من وظیفة المشیخة و عین الشیخ المراغی مکانه ... و یقول الدکتور عثمان أمین عنه من کلمة له:

«یرجع اهتمامی بالشیخ الظواهری إلی ما قرأته عنده لأحد المستشرقین، فی النسخة الفرنسیة لدائرة المعارف الإسلامیة، تعریفا بکتاب له عنوانه «العلم و العلماء» نشر بطنطا سنة ۱۹۰۴، و قد أحببت أن أقتطف من مقال ذلک المستشرق ما ترجمته إلی العربیة: «إن روح الإخلاص و الصفاء التی تظهر فی هذا الکتاب لتعد نادرة حتی بیننا نحن المسیحیین، فما بالک بوجودها فی الإسلام الذی دب فیه الجمود» و من العجب جدا فی هذا الکتاب الجمع بین وجهة النظر الإسلامیة و الإحساس بفائدة ما یأتی من مصادر أخری. فالمؤلف یری أنه یجب أن یأخذ المسلمون لیس عن أوروبا فحسب، بل عن الصین و الیابان ایضا. و یری أن من بین المواد التی ینبغی دراستها الدعوة للإسلام، و یرغب المؤلف فی عقد المؤتمرات السنویة لبناء فکرة الجامعة الإسلامیة ثم یعین وسائل الثقافة التی تتطلبها لجان من العلماء، و اخراج دائرة معارف، و نشر التعلیم الجامعی بین أفراد الأمة، کما قال إنه یجب تطهیر الإسلام من الخزعبلات و العوائق التی تبهظه. و الکتاب علی کل حال برهان ساطع علی عقیدة الکاتب الراسخة و إیمانه بالمثل العلیا».

أغرانی هذا الوصف الذی قرأته فی باریس بالبحث عن الکتاب فی مصر. فلما قرأت الکتاب بنفسی انکشف لی منه أمران: أولهما ان مؤلفه

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۶۱

کان من تلامیذ الأستاذ الإمام محمد عبده: فهو یذکره فی الکتاب صراحة، و هو ینهج فی التعلیم نهجه، و یدعو الأزهریین إلی ترسم خطاه، و ثانیهما أن هذا الشاب کان فیلسوفا ناشئا، و أن لم یکن یعلم ذلک عن نفسه، فإنه حین تکلم فی کتابه عن الکمال الروحی و عن الصوفیة عالج هذه الأمور بروح فلسفیة، و لعل الفلسفة أخذت سبیلها إلی نفسه، دون وعی ظاهر منه عن طریق أستاذه محمد عبده.

و یرجع توثق الصلة بین الأستاذ و التلمیذ إلی سنة ۱۹۰۲ حین تقدم الظواهری لنیل شهادة العالمیة إلی لجنة الامتحان المنعقدة برئاسة محمد عبده، فأجاد فی الإجابة أعجب بها الأستاذ الإمام، فأثنی علیه علی مسمع من الحاضرین، و یقال إنه طلب له شیئا من شراب الخروب و قال له «لقد فتح اللّه علیک یا أحمدی، و و اللّه إنک أعلم من أبیک، و لو کان عندی أرقی من الدرجة الأولی لأعطیتک إیاها». و لهذه الحادثة نفسها دلالتان: الأولی انها تشیر إلی ذکاء الاحمدی الظواهری و سعة علمه اللذین اشتهر بهما منذ نشأته، و الثانیة انها تشیر إلی ما اتصف به الاستاذ الإمام من الإنصاف و قوة الأخلاق: فقد کان بینه و بین الشیخ ابراهیم الظواهری- والد الشیخ الأحمدی- خلاف فی الرأی و المنازعات، لأن إبراهیم الظواهری کان من الشیوخ المحافظین المیالین إلی تصدیق الکرامات و الاعتقاد بقصص المجاذیب و الأولیاء، و کان الشیخ محمد عبده یستنکر ذلک، لکنه لم یتأثر فی حکمه علی الابن بما کان بینه و بین أبیه.

و فی مکتبته ذخیرة من العلم المخطوط بیده، هی مجموعة من مؤلفات کتبها فی شبابه منها «خواص المعقولات فی أصول المنطق و

سائر العقليات» و «التفاضل بالفضيلة» و «الوصايا و الآداب» و «صفوة الأساليب» و «حكم الحكماء» و «براءة الإسلام من أوهام العوام» و «مقادير الأخلاق» و لكن مخطوطا منها استوقفني لطرافته، و عنوانه «الكلمة الأولى في آداب الفهم». و قد أراد به أن يكون بمثابة ضابط عقلي أو قانون كلي، لرفع الخلاف القائم في كيفية فهم المتأخرين لأقوال المتقدمين من المؤلفين في

الأزهر في ألف عام، ج۱، ص: ۲۶۲

العلوم الدينية. و قد جاء في مقدمة المخطوط: «لقد دعاني داعي الاستكمال و التمسك بأذيال الامتثال إلى مطالعة أسرار الدين للوصول إلى عين اليقين، و النهوض من مراقد الوهم و ظلمات الجهالة إلى مراقي الفهم و نور الحق المبين» ... «بيد أنه قد تباينت الطرق، و تنازعت الفرق، و اختلفت أهواء الخلف في كيفية الوصول الى مرامي أنظار الأول، و إصابة الغرض المقصود من عباراتهم، و تفرقوا شيعا في تقرير المسائل، فكانت همة قوم فيما يرجع إلى المعاني الأصلية، و مال قوم إلى الخطابة و الجدل، و آخرون إلى التخريج على المعنى البعيد أو التنبيه على احتمال جديد، و تنافس البعض في الاستشكال و التغليط، حتى إنه ليخيل الى الناظر في طرائقهم أن الحقيقة صعبة المنال، و أن اليقين مطلب محال .. فدفعني ذلك إلى أن اضع علما شاملا و قانونا جامعا به تستفاد حقائق المعاني من أصداف الكلام، و يجمع الناظرين على أقوم طريق به يمكن الوصول الى تمام المعنى بحيث يوقف القارىء البصير في وقت قصير على كل ما في الحواشي و التقارير. و يرفع الخلاف القائم في كيفية الفهم، و يزيل التشويش و الإبهام، و يمكن أهل العلم من الانتصار على جيوش الأوهام».

و قلما تحمس الظواهري في شبابه لإعلاء شأن الأزهر و إصلاح المسلمين، كما يتضح من كتاب «العلم و العلماء»، فأصابه من جراء ذلك ما أصاب غيره من المصلحين، كما يتضح ذلك من مذكراته التي نشرها ابنه بعنوان «السياسة و الأزهر». و تبين من الرسالة التي نشرتها مشيخة الأزهر هذا العام لمناسبة المعرض المصري الأخير أن أكثر ما استحدث من منشآت و ما تم من إصلاحات في الأزهر الحديث كان للظواهري فيه أثر بارز .. و بمقتضى القانون رقم ۴۹ لسنة ۱۹۳۰ الذي صدر في عهد مشيخته أنشئت الكليات الأزهرية الثلاث، و بمقتضى القانون رقم ۳۷ لسنة ۱۹۳۲ الذي صدر في عهده أيضا نظم التخصص، و غيرت مناهج التعليم في الجامعة الأزهرية لكي تتمشى مع التقدم العلمي الحديث. و بذلك دخلت الأزهر على يد الظواهري دراسات لم يكن للأزهريين عهد بها من

الأزهر في ألف عام، ج۱، ص: ۲۶۳

قبل، كاللغات الأجنبية، من شرقية و غربية و الاقتصاد السياسي و القانون الدولي الخاص، و أصول القوانين و وسائل الدعوة الى سبيل اللّه، و الخطابة و الالقاء و المناظرة، و علم النفس و التربية البدنية و غيرها، و يتبين من رسالة مشيخة الأزهر أيضا أن الظواهري قد سبق إلى التفكير في إيفاد بعوث من الأزهر للدعوة للاسلام في الخارج، فأوفد بعثتين للصين و الحبشة و أنشأ مجلة «نور الإسلام» و وضع مشروع الأبنية الفخمة للجامعة الأزهرية الحديثة، و قد تمت في عهده ثلاث من عمائرها الكبرى.

و للشيخ الأحمدي أثر ظاهر في ميدان آخر نحب أن لا ـ يفوتنا التنويه به هنا. و يتجلى ذلك في الأثر في تقرير محفوظ بوزارة الخارجية المصرية عن المؤتمر الإسلامي الذي دعا إليه الملك ابن سعود، و عقد في مكة سنة ۱۹۲۶، و يتبين منه أن الشيخ الظواهري استطاع و هو رئيس وفد مصر في ذلك المؤتمر أن يكون واسطة العقد بين المؤتمرين، و أن يكون رسول سلام و توفيق بين المتنازعين في موضوع الحرية المذهبية في أرض الحجاز، كما استطاع بقوة حجته و إقناعه أن يستصدر من المؤتمرين قرارا يصرح على رؤوس الإشهاد بوحدة مصر و السودان. و مما يجدر ذكره في هذا المقام أن عبد الخالق ثروت وزير الخارجية المصرية و قتئذ قال حين علم بنجاح الشيخ الظواهري في ذلك المؤتمر: «لم أكن أعلم أن الأزهر يخرج سفراء في السياسة».

الأزهر في ألف عام، ج۱، ص: ۲۶۴

الشيخ محمّد مصطفى المراغي

علم من أعلام الفكر الإسلامی المعاصر، و شخصیة نادرة من أشهر الشخصیات الإسلامیة فی القرن العشرین. و رجل غریب بین زملائه و أقرانه فی العصر الذی عاش فیه، و زعیم روحی ألقیت إلیه مقالید الأزهر فترة طویلة.

ذلكم هو الشیخ محمد مصطفی المراغی، تلمیذ محمد عبده، و العالم الأزهری الواسع الأفق، العمیق الثقافة، و قاضی القضاة المصری فی السودان، و رئیس المحكمة العلیا الشرعیة، و شیخ الأزهر من عام ۱۹۲۸ إلی عام ۱۹۲۹ م ثم من عام ۱۹۳۵ حتی عام ۱۹۴۵ م (۱۳۶۴ ه) حیث وافاه أجله المحتوم.

كان المراغی مثالا نادرا فی الاعتزاز بالنفس، و الشعور بالكرامة، و الإیمان بالإصلاح، و فی عهد توله مشیخة الأزهر وضع أساسا قویا لصرح الأزهر العلمی برعایته لأقسام الدراسات العلیا فیه، و تشجیعه لطلابها و خریجیها، و إشرافه علی مواسمها العلمیة، و مناقشته لرسائلها. و كان الشیخ المراغی ذا قوة فكریة قویة عن الثقافة الحدیثة، و رغبة حافزة فی صبغ الأزهر بصبغتها. و قد عمل علی إخراج جیل جدید من العلماء المثقفین بشتی الثقافات، و نجح فی ذلك إلی حد بعید، و كانت صلات المراغی بأقطاب المجتمع و السیاسة و الفكر و الأدب فی عهده عونا له علی بلوغ آماله فی إصلاح الأزهر، و قد جاهد جهادا حثیثا للنهوض بهذه الجامعة

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۶۵

الإسلامیة الكبری، و لبث روح الحیاة و الإصلاح فیها. و كانت مكانته فی نفوس الجماهیر من العلماء و الطلاب تساعده علی الإصلاح. و كان أكثر الأزهریین تقدیرا للكفایات من العلماء و الطلاب و تشجیعا لها، كانوا یأخذون علیه تدخله فی السیاسة، و قیام إدارته فی الأزهر علی العصبیة، و لكن ذلك شیء تافه لا یقاس بجانب ما أحدثه فی الأزهر من ثورة و حیاة و تجدید.

لقد انتهت بعد المراغی الاجتماعات فی المناسبات الدینیة التی كانت تضم الألوف من القادة و العلماء و الطلاب و الجماهیر. و حوربت و عطلت أقسام الدراسات العلیا فی الأزهر. و ساءت أمور الأزهر، و ضعف نشاطه العلمی.

استقال رحمه اللّه من مشیخته الأولی فی آخر سبتمبر سنة ۱۹۲۹ علی أثر تأخر صدور المرسوم الملكی بقانون الأزهر الجدید، و قد حاول رئیس الوزراء آنئذ و هو المرحوم محمد محمود باشا إقناعه بالعدول عنها، و لكنه لم یقبل، و صدر المرسوم الملكی بتعیین الشیخ الظواهری شیخا للأزهر فی أوائل أكتوبر سنة ۱۹۲۹.

و أذكر أنه لما تولی المراغی مشیخة الأزهر للمرة الثانیة، استقبله الأزهر استقبالا كریما، و أقام له حفلة تكریم فی یولیو عام ۱۹۳۵ بسرای معرض الجیزة بالقاهرة حضرها حشد كبیر من الشخصیات الكبیرة و رجال الدین، و دعی ممثلو طلبة المعاهد الدینیة لإلقاء كلمات فی هذه الحفلة، و كنت ممثلا لطلاب معهد الزقازیق الدینی، و كان ممثل الأساتذة الأستاذ الكبیر الشیخ محمود النواوی و كنت قد أعددت حینئذ كلمة لألقائها فی الحفلة، و لكن عدل عن إلقاء ممثلی المعاهد لكلماتهم، لضیق الوقت و كثرة الخطباء، و كان من هذه الكلمة التی أعددتها حینئذ، و أنا طالب فی السنة الرابعة الثانویة بمعهد الزقازیق الدینی:

فی هذا الیوم الخالد و الحفل الحاشد تتحدث الأجیال عن الأزهر

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۶۶

الشامخ و شیخه الجدید حدیثا ملؤه الإعجاب و الإجلال، لأنه حدیث الأرواح و نجوی القلوب. أما الأزهر فهو الأزهر كما یعرفه الخاصة و العامة و كما یعرفه المسلمون فی مشارق الأرض و مغاربها و كما تعرفه الأجیال الغابرة و الأجیال الحاضرة .. هو محط الرحال، و كعبة الآمال، و مجمع الدین و العلم و الأدب و مفخرة مصر و الشرق و العرب، هو قلب الإسلام الخافق و لسانه الناطق، و علمه المرفوع، هو تلك الجامعة العظیمة التی أضفی علیها الزمان ثیاب الجلال و أسبل علیها الخلود ستور الجمال، فحفظت للإسلام مكانته و رفعت للدین رایته و مدت علی العربیة ظلها الممدود، و حملت لواءها المعقود، و خرجت أئمة الهدی و مصابیح الحكمة و شعت منها أشعة النور فی كل بقعة و مكان- فالأزهر هو دعامة الأخلاق و حصن الفضیلة و مفخرة القاهرة و صرح مصر الخالدة، بل هو معجزة الدهور و آیة القرون .. و ما دام للأزهر وجود فله رسالة فی الحیاة تضارع فی جلالها رسالة الأنبیاء و وحی المرسلین، و إن

استمدت آیتها من آیتهم، و هدیها من هدیهم.

رسالة الأزهر هی العنایة بنشر الدین، و السهر علی مصالح المسلمین، و إحیاء الأخلاق الفاضلة، و إقامة المبادیء العادلة التی جاء بها القرآن الکریم، و إیقاظ الشرق الراقد من غفلته، لیکون مهبط الوحی و مبعث النور و مصدر الهدایة و رسول الحضارة، و قائد العالم کما کان الأزهر فی أیامه الماضیة.

و إذا کان للأزهر مکانة و جلالة و مهمة و رسالة، فله رئاسة جلیلة نصبها الإسلام عنه وکیلا و أقامها الأزهر له کفیلا، فالتفت حولها القلوب، و شایعتها الأرواح و آوی الیها الخائف و المظلوم و المکروب.

و لقد أدت مشیخة الأزهر للشرق و الإسلام خدمات جلیلة، فحفظت تراث السالفین و سهرت علی تهذیب الناشئین، و أطفأت نار الشک ببرد الیقین.

و لما طفر التعلیم المدنی فی مصر أقبل علیه الناس و جحدوا

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۶۷

ما للأزهر من فضل و جمیل، و طفقوا ینعون علیه جهوده، و یعیبون علیه جموده، حتی هزمتهم صیحة الإصلاح من رجل الإصلاح الأول حکیم الإسلام و فقید الشرق المغفور له الإمام محمد عبده، فعارضها المعارضون و سخر منها الجامدون، و لم یقدرها إلا أفراد قلائل کان من بینهم شاب ذکی وفتی نابه اقتفی أثر أستاذه الحکیم، هو الشیخ المراغی.

و جاء من خطبة فضیلة الأستاذ الشیخ علی سرور الزنکلونی فی حفلة تکریم الأستاذ المراغی عام ۱۳۵۴- ۳ یولیو ۱۹۳۵ ما یلی: «الأزهر کما تحدث عنه التاریخ و کما تصورناه نحن حین رحلنا الیه فی نعومة الأظفار، و کما یعرفه المصریون و غیر المصریین حین یخطر ببالهم، و یحجون إلیه لطلب العلم، هو هذه الشخصیة الکبری البارزة فی العالم، و التی ینعکس منها علی طلابه و رواده نور العلم و جلال الدین و التی عاشت ألف سنة إلا قلیلا، و هی تصارع الأحداث و الأحداث تصارعها بما لم یقو علی احتماله أضخم بناء فی التاریخ، و لو لا سر اللّه الخفی لتلاشی، فهو الذی حفظه و لا یزال یحفظه و یجدد مجده إلی الیوم .. إن الأزهر کما تواضع علیه الناس هو الذی تحیا علیه علوم الإسلام و القرآن، و هی أسمی ما تستکمل به النفس الإنسانیة قواها. و الأزهر بمقتضی وضعه و طبیعته یجب أن یکون خالصا للّه وحده، فإذا ألمت به الأحداث و سلطت علیه تیارات الأهواء الملتویة فللّه فیه نصیب کبیر: دینه، و علومه .. و هذا الشباب الغض من الطلاب الذین یبعثون إلیه بنیة صادقة لیتفقهوا فی دین اللّه و لینذروا قومهم إذا رجهوا إلیهم لعلهم یحذرون، للّه فیهم النصیب الأوفر، و اللّه غیور علی دینه، و علی وحیه. و علی هذا الشباب الغض الذی یحب الخیر و لا یرید إلا الخیر .. و من هنا تدرکون سر بقاء الأزهر و ثباته علی کثرة ما نزل به من أحداث .. ما هی مشیخة الأزهر؟ لا أرید ان أتعرض إلی مشیخة الأزهر بالنظر إلی ما ورثته عن العواصم الإسلامیة من خلافة العلم و الدین، و لا- إلی ما قامت به من جلائل الأعمال فی عصور مصر المختلفة و مواقفها المشرفة فی وجوه الظالمین، فذلک للتاریخ وحده، و لکنی أتحدث عنها

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۶۸

الآن بالنظر إلی طبیعتها و إلی ما یفهمه الناس فیها قبل أن یحتکم الهوی و ینتشر الفساد. إن مشیخة الأزهر الکبری هی التی تقوم بمعونة الأساتذة و الطلاب علی حراسة الدین و أحیاء تعالیمه، فإذا فکر العقل تفکیرا مستقیما و لم یلتفت إلی زخارف الحیاة الکاذبة، فلا یستطیع أن یدرک الجلال الحق إلا فی کنف هذه الرعایة السامیة، لأن شرف الاشیاء بشرف غایاتها، و مشیخة الأزهر تقوم علی حراسة ما به تؤدی وظیفة الرسل علیهم الصلاة و السلام و وظیفة الرسل إذا أدیت علی غیر وجهها فکلها خیر و کلها سعادة، فإذا تنکب الأزهر الطریق یوما، فلیس ذلک من طبیعة الدین الذی یقوم علی حفظه، و لا من طبیعة علومه التی هی نور العقل و قوة للإنسان، و إنما منشأ هذا التنکب هو القوی التی تتسلط علیه و توجهه إلی طریقها، و إذن لا تلوموا الأزهر ما دام غیر قائم علی قدمیه بنفسه، و إنما اللوم علی من یمتلکون أمره و یوجهونه حیث تأبی طبیعته أن تتوجه ... إن أعدل میزان تعرفون به الفرق فی کل عصر بین رجل الأزهر

القائم على حراسة دين اللّه و بين عبد الشهوات الجامحة و أن تربع بين الأزهريين و نال أكبر مناصبهم أن ترى عزة النفس و خشية اللّه ماثلتين فى رجل الأزهر خصوصا إذا عظمت المحنة و اشتد البلاء، أما عبد الشهوات فتراه دائما مغمورا بخشية الناس و الطمع فيما بأيديهم. و قلب المؤمن الصادق فى إيمانه لا يتسع لخشيتين، فأظهر مظاهر الإيمان العميق خشية اللّه وحده إذا اشتد الخطب، و أظهر مظاهر الإيمان الرقيق الذى لا يزن مثقال ذرة أن يخشى صاحبه الناس أشد من خشية اللّه، و إن كثرت و تفرعت صور عبادته لأنها فى ميزان الدين و العلم ليست أكثر من صور كاذبة تولدها العادة أو الرياء .. إن الحقائق لا يغيرها و لا ينقص من جلالها الذاتى ما قد يطرأ عليها من أمراض و علل تدفعها يد الشهوة على غفلة من أهلها، و لهذا يعاقب اللّه حراس الحقائق أولا فأولا، بمقدار غفلتهم و إهمالهم، ثم يكتب النصر لهم فى النهاية إذا ما انتبهوا .. أما المبطلون المفتونون باستشراء الضعف ليتمتعوا بباطلهم فلا يعاقبهم اللّه أولا فأولا، و إنما يمهلهم لتتجلى حكمة اللّه فى قوله:

«سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ* وَ أُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ»*. إن من

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۶۹

الغرور و عدم الإنصاف أن يقال: ما فائدة الأزهر و أين جلال مشيخته؟

و أقوى رد على هذه الغفلة و هذا الغرور أن نقول لأصحابهما: إذن ما فائدة علوم الحياة كلها؟ و هى اليوم تولد الجشع فى قلوب الأمم و تقلبها سباعا كاسرة و حيوانات مفترسة .. فالدين خير كله و العلم خير كله بمقتضى طبيعتهما فعليهما أن يتنبها إلى من يعمل على تغيير وضعهما، فاذا حرص الأشرار على أداء وظيفتهم بمقتضى طبعهم، فحرص الأخيار يجب أن يكون أشد و ألزم .. هذا هو الأزهر على ما يجب أن يكون و هذه هى مشيخته كما نفهم عظمتها و جلالها. فإذا ظهر يوما ما فى غير مكانهما فالمصريون شركاء فى المسؤولية أمام اللّه و أمام التاريخ. لأن العلماء غير معصومين. و الأمم الحية هى التى تقوم على حراسة قواها الطبيعية و المعنوية، و لا ترتفع المسؤولية عن الأمم إلا- إذا كانت فى طفولتها أو فى شيخوختها، و قد أدت الأمة المصرية و الحمد للّه واجبها نحو مشيخة الأزهر».

و قد ألقى فى حفلة التكريم الشيخ عبد الجواد رمضان الاستاذ بالأزهر قصيدة جاء فيها:

دعوا باسمك الآمال فهى بواسمو بلّوا به الأرواح و هى حوائم

دجاليلهم حتى إذا لحت أصبحواو أنف الدياجى و الحوادث راغم

هو الدين، فادعم عرشه بعزيمةفقد و هنت أركانه و الدعائم

و ما الأزهر المعمور إلا مناروو لا أهله الأدنون إلا العمائم

مطالع يمن للزمان و أهلهبها تسعد الدينا و تدنو العظائم

فيا رجل الإسلام أدرك رجالهفقد أنكرتهم فى الحياة المكارم

و فيهم، بحمد اللّه، غر أزاهرو فيهم بحار فى العلوم خضارم

إذا عالجوا كانوا الشفاء و إن دعواإلى رد باغ فالذرا و المقادم

و كم لهمو- فى اللّه- غرّ مواقف‌تنشّق ريّاها القرى و العواصم

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۷۰ أولئك أجناد إذا جدّ جدّهم‌سمت بهمو للفرقدين العزائم

إذا ما المراغى قام تحت لوائهمفقد زأرت فى الغاب تلك الضياغم

فتى فتية الشرق الأولى تنجلى بهم‌غياهبه، و الشرق بالخطب غائم

و صارم هذا الدين دين محمدو قد أسلمته فى الجلاد الصوارم

فمن مبلغ أفناء يثرب أنناسلمنا، على أن ليس فى الناس سالم

و أنّ الذى شاد النبيّ محمدعلى حفظه شيخ المراغة قائم

تبوّأ عرش الدين فاهتزّ ركنهو طاولت الجوزاء منه القوائم

و أمست شعوب الشرق نشوى قريرةتساهم فى تكريمه و تزاحم

قصاراه أن يدعو بها عمريّةترد وجوه الشرك و هى سواهم

إذا ائتلقت فى مصر أضواء شمسهاسعت فى هداها للكمال العوالم

و قد ألقى المراغى كلمة فى حفلة تكريمه جاء فيها:

أحمد اللّه جل شأنه على ما أولانيه من الكرامة بهذه المنزلة فى نفوسكم، و أشكر لحضرات الداعين المحتفلين برهم و كرمهم و عاطفة الحب الفياض البادية فى قولهم و فعلم فى شعرهم و نثرهم و لحضرات المدعوين تشريفهم و احتمالهم مشقة الحضور الذى أعربوا به عن جميل عطفهم و حبهم.

و يسهل على قبول هذه المنن كلها و احتمالها إذا أذنتم لى فى صرف هذه الحفاوة البالغة عن شخصى الضعيف و اعتبارها كلها موجهة إلى الأزهر الشريف الذى تجلونه جميعا، و تعتبرونه بحق شيخ المعاهد الإسلامية فى مصر و غيرها من البلاد.

و لئن دل هذا الاجتماع بالقصد الأول على غرض التكريم فقد دل بالإشارة على ما هو أسمى من غرض التكريم.

دل على أن الأزهر خرج عن حالته التى طال أمدها و نهض يشارك الأمة فى الحياة العامة و ملابساتها و عزم على الاتصال بها ليفيد و يستفيد، و هذه ظاهرة من ظواهر تغير الاتجاه الفكرى الذى نشأ عن تغير طرائق

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۷۱

التعليم فيه و عن شعوره يجب أن تحتذى و يهتدى بها. و منذ أربعين سنة اشتد الجدل حول جواز تعليم الحساب و الهندسة و التاريخ فى الأزهر و حول فائدة تعليمها لعلماء الدين و منذ أربعين سنة قرأ لنا أحد شيوخنا كتاب الهداية فى الفلسفة فى داره على شرط أن نكتم الأمر لئلا يتهمه الناس و يتهمونا بالزيغ و الزندقة .. و الآن تدرس فى كلية أصول الدين الفلسفة القديمة و الحديثة، و تدرس الملل و النحل، و تقارن الديانات، و تعلم لغات أجنبية شرقية و غربية. و من الحق علينا ألا ننسى فى هذه المناسبة و الحديث حديث الأزهر و الأزهريين ذلك الكوكب الذى انبثق منه النور الذى نهتدى به فى حياة الأزهر العامة، و يهتدى به علماء الأقطار الاسلامية فى فهم روح الإسلام و تعاليمه، ذلك الرجل الذى نشر الحياة العلمية و النشاط الفكرى و وضع المنهج الواضح لتفسير القرآن الكريم و عبد الطريق لتذوق سر العربية و جمالها و صاح بالناس يذكرهم بأن العظمة و المجد لا- يبنيان إلا على العلم و التقوى و مكارم الأخلاق، ذلك الرجل الذى لم تعرفه مصر إلا بعد أن فقدته و لم تقدره قدره الا بعد أن أمعن فى التاريخ، ذلك هو الأستاذ الإمام محمد عبده قدس اللّه روحه و طيب ثراه، و قد مر على وفاته ثلاثون حولا كاملة، و من الوفاء بعد مضى هذه السنين و نحن نتحدث عن الأزهر أن نجعل لذكراه المكان الأول فى هذا الحفل، فهو مشرق النور و باعث الحياة، و عين الماء الصافية التى نلجأ إليها إذا اشتد الظمأ، و الدوحة المباركة التى نأوى إلى ظلها إذا قوى لفح الهجير.

و الأزهر كما تعلمون هو البيئة التى يدرس فيها الدين الإسلامى الذى أوجد أمما من العدم، و خلق تحت لوائه مدنية فاضلة، و كان له هذا الأثر الضخم فى الأرض فهو يوحى بطبعه إلى شيوخه و أبنائه واجبات إنسانية، و يشعرهم بفروض صورية و معنوية، يعدون مقصرين آثمين أمام اللّه و أمام الناس إذا هم تهاونوا فى أدائها و أنهم لا يستطيعون أداء الوجب لربهم و دينهم و لمعهدهم و أنفسهم إلا إذا فهموا هذا الدين حق فهمه، و أجادوا معرفة لغته، و فهموا روح الاجتماع، و استعانوا بمعارف القدامى و معارف

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۷۲

المحدثين فيما تمس الحاجة إليه مما هو متصل بالدين، أصوله و فروعه، و عرفوا بعض اللغات التى تمكنهم من الاتصال بآراء العلماء و الاستزادة من العلم و تمكنهم من نشر الثقافة الإسلامية فى البلاد التى لا تعرف اللغة العربية، هذا كله يحتاج إلى جهود تتوافر عليه و

إلى التسانـد التـام بين العلماء و الطلبـة و القوامين على التعليم، و يحتاج إلى العزم و التصـميم على طى مراحل السير فى هـدوء و نظام وحب و صدق نية و كمال توجه إلى اللّه و حب للعلم لا يزيد عليه إلا حب اللّه و حب رسوله.

و للمسلمين فى الأزهر آمال، و من الحق أن يتنبه أهله لها و هى:

أولا- تعليم الأمم الإسـلامية المتأخرة فى المعارف و هـدايتها إلى أصول الـدين و إلى فهم الكتاب و السـنة و معرفة الفقه الإسـلامى و تاريخ الإسـلام و رجاله، و قد كثر تطلع هذه الأمم إلى الأزهر فى هذه الأيام و زاد قاصدوه منها أفرادا و جماعات، و اشتد طلبها لعلماء الأزهر يرحلون إليها لأداء أمانة الدين و هى بيانه و نشره.

ثانيا- إثارة كنوز العلم التى خلفها علماء الإسـلام فى العلوم الدينيـة و العربيـة و العقلية و هى مجموعة مرتبط بعضـها ببعض، و تاريخها متصل الحلقات، و قد حاول العلماء كشـفها فنقبوا عنها و بذلوا جهودا مضـنية و عرضوا نتائج بعضـها صحيح و كثير منها غير صادق، و عـذرهم أنهم لم يـدرسوا هـذه المجموعة دراسة واحدة على أن بعضـها متصل بالآخر، كما هو الحال فى دراسة الأزهر .. فإذا وفق اللّه أهل الأزهر إلى التعمق فى دراسـة هـذه المجموعة قديمة حديثة و دراسة المعارف المرتبطة بها و أتقنوا طرق العرض الحديثة أمكنهم أن يعرضوا هـذه الآثـار عرضـا صـحيحا صادقا بلغة يفهمها أهل العصـر الحـديث و إذ ذاك يكونون أداة اتصال جيـدة بين الحاضـر و الماضـى و يطلعون العـالم على ما يبهر الأنظار من آثار الأقـدمين، و أعتقـد أن التعليم الأزهرى على النحو الـذى أشـرت إليه هو الـذى يرجى لتحقيق الأمل، و أنه مدخر لأبنائه إن شاء اللّه.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۷۳

ثالثا- عرض الإسـلام على الأمم غير المسـلمة عرضا صحيحا فى ثوب نقى خال من الغواشى المشوهة لجماله، و خال مما أدخل عليه و زيد فيه من الفروض المتكلفة التى يأباها الذوق و يمجها طبع اللغة العربية.

رابعا- العمل على إزالة الفروق المذهبية أو تضـييق شـقة الخلاف بينها، فإن الأمة فى محنة من هذا التفرق و من العصبية لهذه الفرقة، و معروف لدى العلماء أن الرجوع إلى أسـباب الخلاف و دراستها دراسة بعيدة عن التعصب المذهبى يهدى إلى الحق فى أكثر الأوقات، و إن بعض هـذه المـذاهب و الآـراء قـد أحـدثتها السياسة فى القرون الماضـية لمناصـرتها و نشـطت أهلها و خلفت فيهم تعصـبا يساير التعصب السياسـى، ثم انقرضت تلك المـذاهب السياسـية و بقيت الآراء الدينيـة لا ترتكز إلا على ما يصوغه الخيال و ما افتراه أهلها، و هـذه المـذاهب فرقت الأمـة التى وحـدها القرآن و جعلتهـا شـيعا فى الأـصول و الفروع و نتـج عن ذلك التفرق حقـد و بغضاء بين من يلبسـون ثـوب الـدين، و نتـج عنه سـخف مـا يقـال فى فروع الفقه الصـحيح أن ولـد الشـافعى كفء لبنت الحنفى؛ و مثـل مـا يرى فى المساجد من تعدد صـلاة الجماعة و ما يسـمع اليوم من الخلاف العنيف فى التوسل و الوسـيلة و عذبات العمائم و طول اللحى حتى إن بعض الطوائف لا تستحى اليوم من ترك مساجد جمهرة المسلمين.

إن من الخير و الحق أن نتـدارك هـذا، و أن يعنى العلمـاء بدراسـة القرآن الكريم و السـنة المطهرة دراسـة عبرة و تقـدير، لما فيها من هدايـة و دعوة إلى الوحـدة، دراسـة من شأنها أن تقوى الرابطة بين العبد و ربه، و تجعل المؤمن رحب الصدر هاشا باشا للحق مسـتعدا لقبوله عاطفا على إخوانه فى الإنسانية كارها للبغضاء و الشحناء بين المسلمين .. قد أتهم بأنى تخيلت فخلت، و لا أبالى بهذه التهمة فى سبيل رسم الحدود، و لفت النظر إليها و فضل اللّه واسع و قدرته شاملة، و ما ذلك على اللّه بعزيز.

و الآن و قد أوضحت بالتقريب آمال المسلمين فى الأزهر، ترون أن

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۷۴

العبء الملقى على عاتق الأزهر ليس هين الحمل، فإنه فى حاجـة إلى العون الصادق من كل من يقدر على العون: إما بالمال أو العقل، أو بالمعارف و التجارب، و كل شىء يبذل فى طريق تحقيق هذه الآمال هين، إذا أتت الجهود بهذه الثمرات الطيبة المباركة ..

و لقد ولد الشـيخ مصطفى المراغى فى اليوم التاسع من شهر مارس سنة ۱۸۸۱ فى المراغة من أعمال مديرية جرجا بمصر العليا و حفظ

القرآن الكريم بمكتب القرية و تلقى على أبيه بعض العلوم ثم التحق بالأزهر، و اتصل بالأستاذ الإمام محمد عبده فثقف نفسه عليه فى دروس التفسير التى كان يلقيها بالرواق العباسى.

و نال شهادة العالمية عام ۱۹۰۴، و كانت سنة إذ ذاك أربعا و عشرين سنة، و كان بذلك من أصغر الحاصلين على هذه الشهادة يومذاك.

و كان تاريخ دخوله امتحان الشهادة العالمية هو ۱۲ ربيع الثانى ۱۳۲۲ ه، و قد أعجب به الإمام محمد عبده إعجابا شديدا.

و لم يكن رحمه اللّه، من العاكفين على تناول علوم الأزهر وحدها و إنما كان يضيف إليها ما يشعر به هو نحو العلم من احتياجات، شأن الشبان الفائقين، فلقد أخذ دراساته الشخصية، من بطون الكتب، و من منابعها الأصلية فى المخطوطات و الهوامش و المتون .. كما كان عاكفا على دراسة الأدب، و دراسة الفلسفة و علم الكلام، و ما ذلك إلا استجابة منه للوقوف على روح الثقافة، و لذلك فقد نشأ صاحب عقلية مرنة مبسوطة، تمضى إلى الدقائق و ما يخفى أمره على الكثيرين.

و لا جرم بعد ذلك أن يشيع اسمه بين الطلبة الذين أقبلوا حول حلقته بالجامع الأزهر، و هو يلقى عليهم الدروس بعد تخرجه، بطريقة جديدة، كان هدفها البحث عن الحقيقة، و وسيلتها التعريج بعقلية السامع إلى فنون الأدب و أشتات الفلسفة و أمشاج الكلام.

و رشح بعد لمنصب كبير، هو منصب القضاء لمديرية دنقلة فى

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۷۵

السودان، ذلك المنصب الذى ساعده على تسلق الحواجز السياسية، و إعلاء شأن كلمة الدين و الحق بين الشمال و الجنوب، فتتلمذ عليه الكثيرون من أبناء الجنوب، بعد أن استساغوا لذة الوطنية الإسلامية من شروح الشيخ الجليل لقضايا الوطن بين خلصائه و صفوة تلاميذه فى السودان، و كان يعنى بذلك المسلك أن رجل الدين إنما هو من رجال السياسة يدلى بدلوه فيها دون انغماس، حتى يكون القائد إلى تحقيق الوطنية الإسلامية، وفقا لتعاليم الدين، لا انحيازا إلى المعتقدات السياسية.

لقد كان الشيخ المراغى- رحمه اللّه- يعرف رسالة رجل الدين تماما، و هى رسالة العالم الذى يعمل للحياة كلها، و للوطن الإسلامى كله، فلا يصدر رأيا إلا إذا كان الرأى لبنة فى بناء هذا الوطن الكبير ..

و من ذلك، أن سلاطين باشا يوم أن عرض عليه قبول منصب قاضى قضاة السودان- قبل أن يتولى منصب رئيس المحكمة الشرعية العليا- اشترط لقبول المنصب أن يكون تعيينه فيه بأمر يصدره خديو مصر، لا رجال السلطة الإنجليزية فى السودان.

و فى عام ۱۹۲۳ عين رئيسا للمحكمة العليا الشرعية، فواجه بمنصبه ذلك تلك الحوائل التى تمنى أن يقضى عليها بالمحاكم.

و كانت المحاكم الشرعية فى ذلك الوقت تحكم فى قضايا الزواج و الطلاق و سائر الأحوال الشخصية، وفق القول الراجح من مذهب أبى حنيفة.

و لما كانت هناك أحكام أخرى تحقق التيسير على المتقاضين، فقد رأى أن يؤخذ بهذه الأحكام، و أن يعدل قانون المحاكم الشرعية.

و كان من رأيه الأخذ برأى ابن تيمية و محمد بن قيم الجوزية فى جعل الطلاق الثلاث فى لفظ كلمة واحدة طلقة واحدة، و ما كاد يجهر بهذ

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۷۶

الرأى فى مشروع أعده، حتى استهدف لحملة عنيفة من بعض العلماء و رجال القضاء الشرعى.

و لكن تاريخه فى العلم، و الدراسة، و تشربه من روح الإمام الأكبر الشيخ محمد عبده مكنته من الثبات للمعركة، و العمل على تيسير القضاء و تم له ما أراد.

و لعل ما كتبه فى الرد على العلماء الذين تناقشوا معه فى تيسير تعاليم الإسلام فى المحاكم الشرعية مما يشرح عقلية الرجل المبسوطة فى ثقافة الإسلام الممدودة فى بطون أسفار العلوم الإسلامية، قال رحمه اللّه:

أثار مشروع قانون الزواج و الطلاق حركة فكرية اجتماعية دينية، فنشط العلماء للبحث و الاستنباط و الرجوع إلى كتب الشريعة المطهرة، و تطبيقها على القانون، و نشط غيرهم إلى بحثه من الوجهة الاجتماعية، و ما لنا لا نغتبط بهذا، و قد تستمر هذه الحركة، و يتجدد نشاط الفقه الإسلامى بعد ركوده فى المتون و الشروح، و تتجه إليه الأنظار و تتولد فكرة تهذيبية باختيار ما صح دليله و ما قام البرهان على أن فيه مصلحة الناس من أقوال أئمة الهدى وفقهاء الإسلام.

و قد يقضى على تلك الفكرة الخاطئة فكرة وجوب تقليد الأئمة الأربعة دون سواهم سواء أوافقت مذاهبهم أم خالفتها مصلحة المجتمع.

أما جهوده فى إصلاح الأزهر و العناية بإعادة سالف مجده إليه كأقدم جامعة فى التاريخ، و الجامعة الكبرى التى قامت على حفظ التراث الإسلامى و لغة القرآن فحديث معاد .. و يقول فيه الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم:

لقد كان المراغى ذا فطرة سليمة صافية، يمدها ذكاء شديد، و استعداد طيب، و كان مما أفاده و خرجه تخريجا قويا تلمذته على الرجلين العظيمين المغفور لهما الشيخ أحمد أبى خطوة و الشيخ محمد عبده، فعنهما اكتسب الاستقلال فى التفكير و الميل إلى الحرية، و القصد فى

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۷۷

الاعتقاد بما يراه أهل التقليد، و كان له مع هذا كله قدرة عظيمة على التعبير عن أفكاره، فى لفظ رائق و أسلوب قوى و بيان فصيح، و هذا هو السر فى أنه ظهر بين شيوخ الأزهر مبرزا قويا، مجلجلا مدويا، و إن لم يكن أكثر علما من الشيخ أبى الفضل و لا من الشيخ الشربينى.

إن العلم كسائر ما وهبه اللّه للناس، منه مبارك فيه، يجل به النفع، و يسرى من صاحبه إلى غيره سهلا مفيدا، و منه ما ليس كذلك، و ليست العبرة على كل حال بالقلة أو الكثرة، و قد كان المغفور له الشيخ المراغى كالمغفور له الأستاذ الإمام الشيخ عبده من أصحاب العلم النافع المبارك فيه .. ثم قال.

لقد كنت أنا و الشيخ المراغى صديقين حميمين، كلانا يحب صاحبه، و يقدر فيه مواهبه، و لم تكن هذه الصداقة عارضة بل كانت أصيلة، مرت بها عهود، و أعمال مختلفة اشتركنا فيها و لكننا مع ذلك اختلفنا بعد لأى من مشيخته الثانية للأزهر، و كان خلافنا معروفا للخاصة و العامة من الأزهريين و غيرهم، و سببه الجوهرى ميله رحمه اللّه إلى ناحية السياسة الحزبية و شدة نفورى من ذلك، فإنى أرى أن الخير كل الخير فى أن يتجنب العلماء السياسة الحزبية، و ينأوا عن مكايد الحزبية و متاعبها التى تقضى إلى ما لا يحمد من العواقب، و لكن هذا الخلاف لم يخرج بى و لا به عن الجادة، و ما ينبغى أن يكون عليه أهل العلم من المودة و النصيحة، فكنت أبدى له ودى و نصحى، و أنقد مع ذلك بعض تصرفاته التى أرى أن مبعثها غالبا هو ذاك، و كان يتقبل ودى، و يبادلنى إياه، و يعتذر عن عدم مشاطرتى الرأى فيما أنقده فيه، أو يبدى من المبررات ما يراه لفعله. و على كل حال لم يكن هذا الخلاف بالذى يقطع ما بيننا من محبة و تعاون، بل كان خلاف الشرفاء و الحمد للّه.

لقد كان رحمه اللّه فى عهد مشيخته الأولى مؤيدا تمام التأييد، و كنت معجبا بآرائه و أفكاره الإصلاحية و طريقته فى الإدارة، و تركيز قواه و ما آتاه اللّه من مواهب فى الأزهر و إصلاح شأنه، و لقد كنت أعاونه معاونة

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۷۸

قوية، و قد ظللت أقوم على رياسة قسم التخصص و أنا فى منصب الإفتاء مدة طويلة، أشرفت فيها على تخريج مئات العلماء الأقوياء الذين يحملون الآن على عواتقهم أهم أعباء الأزهر، و كنت أشترك معه فى كثير من اللجان العلمية: كلجنة الأحوال الشخصية و لجنة مناقشة الرسائل العلمية التى كان يتقدم بها طلاب شهادة العالمية من درجة أستاذ، و قد كانت هذه اللجنة تعقد أحيانا فى الرواق العباسى، و يشهدها- و المناقشات العلمية على أتم ما تكون قوة و دقة- علماء الأزهر و طلابه و الراغبون فى العلم و البحث من غير

الأزهريين .. و كما كان يتجلى فى هذه المناقشات الحرة ذكاء الشيخ المراغى و علمه و قوة تفكيره و إخلاصه للفكرة العلمية و حرصه على تبين الحق، و ضرب المثل لأبناء الأزهر فى تقبله و النزول على حكمه.

و كتب الأستاذ محمد فريد وجدى بمناسبة وفاته يقول: رزئت أسرة العلم فى العالم الإسلامى كله بوفاة عميدها، غير مدافع، الشيخ مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر، فلا نقول: كان لها أثر بالغ فى النفوس، و لكننا نقول: إنها كانت كارثة على الجهود النبيلة التى يبذلها العارفون بأمور الأزهر، و يعملون على إحلاله المكانة التى تناسب عظمة الاسلام، و تمثله على حقيقته فى نظر العالم. نعم إن البذر الذى وضعه رحمه اللّه، لينتج هذا الأثر الفخم، بطىء النمو، و لكنه هو الدواء الوحيد لداء المسلمين فى مشارق الأرض و مغاربها. لسنا نعنى بإصلاح الأزهر ترتيب الدروس فى أوقاتها، و توزيع مقررات الدراسات عليها، و تعيين المدرسين الأكفاء لتدريسها، و مراعاة كفايتهم فى تحديد مرتباتهم، كل هذه الشؤون أعراض لا تمت إلى اللباب فى شىء، و إنما إصلاحه الصحيح ينحصر فى أن يصبح جهة دينية يسندها العلم و تؤيدها الفلسفة، بحيث يتفق ذلك و حقيقة الإسلام و معناه، و لا يدع فى صدر مستشكل اعتراضا بأن الأزهر يمثل عهدا لا يمت إليه اليوم أحد بسبب. هذا الاصلاح، إن لم يصل إليه الأزهر فى يوم من الأيام، فى غير تطرف و لا تعسف، تلمس المسلمون

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۷۹

ما يمثل مطالب روحهم فى مكان آخر، أو- و هو الأرجح- اندفعوا فى تيار الفلسفة المادية لا يلوون على شىء، على مثال غيرهم من الأمم الأخرى. إن الشيخ المراغى كان يجيد فهم هذه الناحية من نفسية المعاصرين، و كان يعمل فى سبيل الوصول إلى ما أشرنا إليه فى تؤدة و رفق، صابرا على ما يحتوش هذه التؤدة، مما يخيل أنها الوقوف بل القهقرى بل الانحلال الذريع، و الحقيقة كانت غير ذلك لمن يتأملها تحت ضوء النظر البعيد، و التفكير العميق فى مستقبل العقيدة الإسلامية.

كان المراغى يعلم أن العالم المتمدن اليوم انتهى إلى حد من عقائده، أملته عليه فلسفة بوخنر و هايكل و مولخوت الخ، و ان العالم الإسلامى يترسم خطواته شبرا بشبر، مدفوعا بطبيعة الدراسات العلمية التى لا بد له منها، و كان يعلم أن الأزهر فى حالته التى هو عليها لا يصلح أن يقف حائلا دون هذا التطور، و إنه لا بد له من انقلاب ذريع يطرأ عليه ليصبح جديرا بالمهمة التى أرادها مؤسسوه منه فى كل عهد فماذا يفعل؟

و ليس بين يديه ممن يحسون بهذا الخطر سوى عدد نزر، لا يكفون لإحداث انتقال خطير، يتأدى به إلى غرضه بالسرعة المرجوة؟

اضطر لأن يسير وئيدا، و السير الوئيد فى مثل هذا العهد جريمة.

فماذا يفعل و الأحوال حوله تجرى فى تيار معاكس؟ و كثيرا ما رأى أن الأولى به التخلى عن وظيفته، لو لا أن الشعب كان يرى أن ليس لهذه المهمة العالمية غيره فيتمسك به.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۸۰

الشيخ مصطفى عبد الرازق

ولد رحمه اللّه عام ۱۸۸۵ بأبى جرج من أعمال مديرية المنيا، و هو الابن الثانى من أولاد المرحوم حسن عبد الرازق باشا، و بعد أن أتم تعليمه الأولى حفظ القرآن الكريم وجوده، ثم التحق لطلب العلم بالأزهر الشريف و تخرج فى سنة ۱۹۰۶ و حصل على شهادة العالمية من الدرجة الأولى بين زملائه الشافعية. و عين للتدريس فى مدرسة القضاء الشرعى، و فى سنة ۱۹۰۹ سافر إلى فرنسا و التحق بجامعة السربون ليضم إلى ثقافة الشرق ثقافة الغرب و ندبه مسيولابيير لتدريس بعض المباحث الإسلامية بجامعة ليون، ثم عاد من فرنسا فى أوائل الحرب الكبرى و عين سكرتيرا لمجلس الأزهر و كان ذلك فى سنة ۱۹۱۶ و فى سنة ۱۹۲۱ عين مفتشا فى المحاكم الشرعية، ثم عين سنة ۱۹۲۷ أستاذا للفلسفة بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول و ظل فى كرسى الأستاذية حتى اختير فى سنة ۱۹۳۸ وزيرا

للاوقاف فی وزارة المغفور له محمد محمود باشا الثانیة و اختیر عدة مرات فی وزارات مختلفة لتولی هذا المنصب حتی انتقل المغفور له الشیخ المراغی شیخ الأزهر إلی جوار ربه، فاختیر لهذا المنصب و هو وزیر الأوقاف و صدر الأمر الملکی بتعیینه شیخا للأزهر فی ۲۷ دیسمبر سنة ۱۹۴۵، و ظل فی هذا المنصب حتی لقی الرفیق الأعلی و قد اختیر أمیرا للحج فی العام الذی توفی فیه، فکان خیر مبعوث لمصر بین أبناء البلاد الإسلامیة عند البیت الحرام. و یقول عند الأستاذ محمد فرید وجدی حین وفاته: انتقل إلی عالم الأرواح الخالدة الأستاذ الأکبر الشیخ مصطفی عبد الرازق، شیخ الجامع

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۸۱

الأزهر، و هو أصح ما یکون جسما و عقلا، فکان لهذه الفجاءة أثر فی النفوس لم نشهد مثله لأحد قبله، لأن الناس کانوا أحوج ما یکونون إلی مثله فی هذا العهد من الانتقال، و فی هذا الدور من الاعتراک بین القدیم و الحدیث، و کان الأستاذ بشخصیته الممتازة، و سعة أفقه الثقافی خیر من یدرک آثار هذا العهد فی حیاة الأمم، و أصلح من یوکل إلیه أمر التوفیق بینهما لمصلحة الدین و الدنیا معا. فلا غرو إن ساور الهلع کل نفس تنتظر عهد الاستقرار و الهدوء و التقدم. لم أر فیمن قابلت من القادة و الأعلین أکرم خلقا فی غیر استکانة، و لا أهدأ نفسا فی غیر وهن، و لا أکثر بشاشة فی غیر رخوة، من الشیخ مصطفی عبد الرازق، و کل ذلک إلی حزم لا یعتوره لوث، و احتیاط لا یشوبه تنطع، و أناة لا یفسدها فتور، و إدمان علی العمل ینسی معه نفسه، و هی صفات کبار القادة. و علیة المصلحین، ممن خلقوا لمعالجة الشؤون المعقدة، و حسم المنازعات الشائکة، و التوفیق بین المطالب المتنافرة، و هذه مواقف کما تقتضی مضاء العزیمة، تحتاج إلی هوادة الأناة، و کما تستدعی سرعة البت، لا بد لها من القدرة علی إزالة الحوائل، و قدیما قالوا: رب عجلة أورثت ریثا، و رب إقدام جر إلی نکوص، فکان بما حباه به بارئه من هذه المواهب النادرة، کفاء المهمة التی وفق المسؤولون فی إسنادها إلیه، و کنت لا أشک فی أنه بما جبل علیه من حب الإصلاح، و ما اتصف به من الصفات التی سردناها آنفا، سیصل إلی حل مشکلة الأزهر حلا حاسما، یعیش تحت نظامه آمنا شر العوادی، و فی منجاة من عوامل القلق و الاضطراب. ذلک أنه بما تضلع من إلمام بنظم الجامعات، و ما حصل من علم بمقوماتها و حاجاتها؛ لتمضیته فی صمیمها سنین طوالا من حیاته طالبا و مدرسا، یعرف من أسرار حیاتها و بقائها و بواعث عللها و أعراضها، ما لا یعلمه إلا الأقلون، و الأزهر لا یخرج عن جامعة قدیمة فی دور انتقال، تتفاعل لتتناسب و العهد الذی تعیش فیه، فهی فی حاجة إلی أن تحصل علی المقومات التی تؤاتیها بهذا التناسب، و هو لا ینحصر فی زیادة میزانیتها، و لا فی تهذیب برامج

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۸۲

دراستها، و لکنه یتعداهما إلی ما هو إیجاد المجال الحیوی لخریجیها.

ولد فقیدنا أجزل اللّه ثوابه فی قریة أبی جرج بمدیریة المنیا سنة (۱۳۰۴) ه الموافقة لسنة (۱۸۸۵) م و تلقی التعلیم الأولی فیها، ثم بعث به والده إلی الأزهر فلبث فیه اثنتی عشرة سنة. و لما نال درجة العالمیة فیه أسندت إلیه مهمة التدریس فی مدرسة القضاء الشرعی. ثم رأی أن الأولی به أن یتمم ثقافته بالمعارف الغربیة، فأم باریس، و التحق بجامعة (السوربون) المشهورة و نال إجازة فی الأدب الفرنسی و الفلسفة، و انتقل من السوربون إلی معهد الدراسات الاجتماعیة العلیا لینال حظا من معارفها. ثم دعاه الأستاذ لامبییر إلی لیون لیلقی محاضرات فی الشریعة الإسلامیة، و یقوم بتدریس اللغة العربیة هناک، فلم تمنعه هذه الأعمال من متابعة دراساته فی الفلسفة و الأدب الفرنسی. و فی هذه الأثناء تتلمذ للأستاذ جوبلو، الذی کان مرجع علم المنطق فی فرنسا إذ ذاک، و لما عاد إلی مصر سنة ۱۹۱۶، عین سکرتیر المجلس الأزهر الأعلی، ثم مفتشا للمحاکم الشرعیة سنة ۱۹۲۱. و فی سنة ۱۹۲۷ عین أستاذا للمنطق و الفلسفة الإسلامیة بجامعة فؤاد، و إلیه یرجع الفضل فی إحیاء المصطلحات العربیة القدیمة و استعمالها فی تعلیم فروع الفلسفة.

و مما هو جدیر بالذکر أن جمیع مدرسی الفلسفة فی عهدنا الحاضر بجامعتی فؤاد و الاسکندریة من تلامیذه، و لم تنقطع صلتهم به، و قد أسندت إلیه وزارة الأوقاف مرتین ، و لما توفی الأستاذ الشیخ محمد مصطفی المراغی، و عز وجود من یملأ مکانه، أسندت

المشیخة إلیه فی ۲۷ من دیسمبر سنة ۱۹۴۵.

و من مؤلفاته العدیدة:

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۸۳

۱- ترجمة فرنسیة لرسالة التوحید تألیف الشیخ محمد عبده، وضعها بالاشتراک مع الأستاذ میشیل، و حلاها هو بمقدمة طویلة.

۲- رسائل صغیرة بالفرنسیة عن المرحوم الأثری الکبیر بهجت بک، و عن معنی الإسلام و معنی الدین فی الإسلام.

۳- کتاب التمهید لتاریخ الفلسفة.

۴- فیلسوف العرب و المعلم الثانی. لاسلامیة.

۵- الدین و الوحی فی الإسلام.

۶- الإمام الشافعی.

۷- الامام محمد عبده، و هو مجموع محاضرات ألقیت فی الجامعة الشعبیة سنة ۱۹۱۹ .... و کلها مؤلفات تعتبر غایة فی الإفادة.

و له کتب لم تنشر، منها مؤلف کبیر فی المنطق، و کتاب فی التصوف، و فصول فی الأدب تقع فی مجلدین کبیرین. و کان رئیسا لمجلس إدارة الجمعیة الخیریة، التی کان والده من مؤسسیها، و کان عضوا فی مجمع اللغة العربیة، و المجمع العلمی المصری.

و فی ۲۷ مارس عام ۱۹۴۷ أقیمت حفلة لتأبینه فی جامعة فؤاد الأول، ألقی فیها لطفی السید و عبد العزیز فهمی و الدکتور حسین هیکل و منصور فهمی و إبراهیم دسوقی أباظة و طه حسین و أمین الخولی و العقاد و سواهم کلمات و قصائد فی الإشادة بمناقبه. و ألقی الشیخ محمد عبد اللطیف دراز فی الحفلة کلمة جاء فیها:

عرفت مصطفی عبد الرازق سکرتیرا عاما لمجلس الأزهر الأعلی، و عرفته موظفا فی وزارة العدل بعد إبعاده عن الأزهر بسبب موقف وطنی کریم، و عرفته أستاذا فی الجامعة، و وزیرا، و شیخا للجامع الأزهر، و خالطته أطول مخالطة، و خبرته أشد الخبرة فی کل ما ینبغی أن یعرف صدیق عن صدیق، و أخ عن أخ، فأشهد ما تقلب به دهر، و لا حاد عن

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۸۴

عهد، و لا زال عنه من خلق الرجال ما یزول عن المسترجلین و المتعاظمین، إذا دالت الدولة و نبا الزمان و تقطعت بهم الأسباب، فهو راض و إن سخط غیره، و هو سمح و إن تعسر الزمان.

کان مصطفی عبد الرازق مثقفا، و لکن أیة ثقافة هی؟ هی الثقافة الإسلامیة التی أفنی العمر فی تصویرها و الدعوة إلیها، و حمل الأمة علیها جمال الدین الأفغانی و محمد عبده و عبد الرحمن الکواکبی و محمد مصطفی المراغی و غیرهم من قادة النهضة و أئمة الإسلام فی عصرنا القریب. کان هو المثال الذی تمثلت فیه هذه الثقافة الحیة الناهضة الجامعة بین خیر ما فی الشرق و خیر ما فی الغرب من تراث الإسلام الطاهر، و ثمرة العقول الناضجة، و بهذا نعلم مقدار خسارتنا و خسارة الأزهر و الإسلام بفقد هذا الرجل. کان مصطفی عبد الرازق مؤمنا، و إیمانه هو الذی کون له هذه النفس القویة العظیمة، فإن الثقافة وحدها لا تصنع النفوس، فنحن نری بعض المثقفین یتخذون من ثقافتهم طریقا لمجرد کسب العیش، و هی فی البعض الآخر طریق إلی الشرور و المآثم و الفتن، تشقی و لا تسعد، و تدمر و لا تعمر، و تهلک الحرث و النسل، و یبغی بها الناس بعضهم علی بعض، و یسعون بها فی الأرض فسادا، فما أبعد الفرق بین هذه الثقافة و بین کرائم الإیمان!. تلک مادیة صرف، و لیس من هذا فقط کان فسادها فقد تنفع المادة و تصلح، و لکن فسادها کان من أن الشیطان تولی زمامها فصرفها عن غایتها المثلی و أرکسها فی الشهوات و الأهواء. أما مواهب الایمان فهی نفحات قدسیة تملأ القلب هدایة و نورا، و سکینة و ثباتا، و أمنا و سلاما، و محبة و رضا، و أملا فی اللّه و مراقبة له، و عملا لوجه ربک ذی الجلال و الإکرام. و هذه هی السعادة التی جاء بها المرسلون و جاهد فی سبیلها المصلحون، و سعد بها المؤمنون، فإذا هیء لنفس طیبة نبیلة أن تجمع بین هبة الدین الحق و العلم الصحیح، فقد أشرقت بنور علی نور، و نور الإیمان باللّه یملأ القلب، و نور العلم یهتدی به العقل فی الوصول

إلی الحق. و کذلک کان فضل اللّه و نعمته علی فقیدنا الکریم علیه رحمة اللّه:

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۸۵

جمع اللّه له من خیر ما یحمد لعباده الصالحین، فمنحه سلامة الفطرة، فکان من أسلم الناس نفسا، و منحة سداد العقیدة فکان من أنفذ الناس بصیرة فی الدین، و من أشدهم استمساکا به و اعتصاما بهدیه، و منحه العلم الصحیح و المعرفة الواسعة فکان من أجمع الناس لعلوم الشرق و الغرب، تمثلهما عن خبرة و درایة و إمامة، و هو بهذا من الأمثلة الکاملة فی الشرق للثقافة الإسلامیة الکاملة. فإذا أراد الأزهر مثالا- أعلی لأبنائه و إذا أراد الأزهر مثالا أعلی لشیوخه و رؤسائه، فإن مصطفی عبد الرازق هو المثل الذی یعز نظیره و یندر وجوده. و هل هناک أدلة علی بنوته الأصیلة للأزهر من أن ثقافته الحدیثة لم تحل بینه و بین أزهریته فی جمیع مراحل حیاته، و بقی ابنا للأزهر فی روحه و عمله و فی وفائه لأصدقائه؟ و قد بالغ فی التمسک بأزهریته إلی حد أنه و قد تقلد منصب الوزارة لم یستطع أن یغیر زیه الأزهری و قد قبل منه ذلک علی روی. و هل هناک دلیل علی تأصل الروح الأزهری فی نفسه أظهر من هذا؟ إن الطلبة الأزهریین الآن یحاولون أن یخلعوا أزیاءهم لیبرزوا فی صورة أخری زعموا أنها هی الموافقة لروح العصر، فکیف تقول فی رجل سافر إلی أوروبا و تولی من المناصب و خالط من الأشخاص و الهیئات و البیئات ما کان یلح فی دعائه إلی تغییر زیه فلم یجد منه ذلک کله إلا إباء و امتناعا و اعتصاما بکل ما یدل علی أنه ابن الأزهر؟ و مسألة الزی عندنا مسألة شکلیة، و لکنی قصدت أن أشیر إلی مظهر للأزهریة الأصیلة فی نفس مصطفی عبد الرازق، و هذه الأزهریة الصحیحة هی التی مکنت له أن یجمع بین ثقافة الشرق و الغرب فلم یختلفا علیه، و لم یستعص علیه أمرهما کما استعصی علی غیره. و إذا تحدث متحدث عن مصطفی عبد الرازق فلن یستطیع أن یغفل الحدیث عن سماحة نفسه و عطفه علی المحتاجین، و إن کان حدیثه معادا، لأن فی تکرار هذا الحدیث متعة لنفس المتحدث و نفوس السامعین، یعرف هذه السماحة کل موطن من المواطن التی عاش فیها الفقید موظفا و غیر موظف، فی الجامعة و فی الأزهر، یعرف الطلبة الذین کاد الفقر أن یحول بینهم

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۸۶

و بین عایتهم، فکان مصطفی عبد الرازق هو الذی یکفیهم، و هو الذی یفرج عنهم- بفضل اللّه علیهم و علیه- هذه الشدة، و تعرفه عائلات فقیرة أخنی علیها الدهر، فکان مصطفی عبد الرازق غوثها و مددها و عائلها، یخفی ذلک عن الناس، و لو استطاع لأخفاه عن نفسه، حتی لا تعرف شماله ما تنفق یمینه.

و فی مارس عام ۱۹۴۷ أیضا أقام معهد المنیا الدینی حفلة تأبین للمغفور له الأستاذ الأکبر الراحل، ألقی فیها صاحب الفضیلة الشیخ محمود أبو العیون خطبة بلیغة جاء فیها: فجع الأزهر فی شیخه فجاءة، فکانت صدمة الفجیعة فیه شدیدة، صدمة روعت القلوب، و أذهلت النفوس، و أدهشت العقول. وقعت الواقعة فی وقت کان الأزهر یستشرف بواکیر أعمال شیخه الجلیل و إصلاحاته التی وضع أسسها فی أیامه القلیلة التی قضاها بین ربوعه .. إن الشیخ مصطفی کان یحمل علی أطواء قلبه النابض بالخیر للأزهر و الإسلام بنود العمل المجید، و النهضة الصالحة للجامعة الأزهریة بما یکفل لها الحیاة الأزهریة القیمة، و المستوی الرفیع بین جامعات الأمم المتحضرة. و کان طموحه و هدفه أن ییسر للأزهر النهوض برسالته الدینیة و الجماعیة، و نشر السلام و الطمأنینة فی هذا العالم المملوء بالشرور و القلق الروحی.

کان یجمعنا إلیه و یضع الاقتراح فی مسألة معینة من مسائل الإصلاح فی الأزهر، و نتداول الرأی فیها و یدلی هو برأیه کالمستفهم، و فی النهایة یستقیم الأمر علی الأساس الذی ارتآه فی نفسه و فی سریرته. و هکذا دالیک، حتی اجتمع من ذلک جملة مسائل للإصلاح الذی انتواه، و وضع أساسه، و أزمع إجراءه. و فی الحق: انه ما کان یقطع برأی دون الإجماع منا علی استحسانه و نفعه، و کان سبیله فی الإقناع الرفق و اللین، و الحجة الناطقة، و البرهان الواضح. وضع مرة مسألة أمامنا: فقیدنا العظیم، و وکیل الأزهر، و مدیره، و المائل أمامکم. تداولنا الرأی فی المسألة فکان رأیی مخالفا للجمیع فی صلابة. فابتسم المغفور له ابتسامة عمیقة الإحساس،

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۸۷

ثم قال: لعل لفلان حجة یکون فیها مقنع لنا. و ما زال بی یلطف و یرق، و یعالج و یقنع، حتی جرنی إلیه و أسلس قیادی، فکنت فی صف الجماعة.

و کان شیخنا کثیر الحلم و الأناة. و أذکر أنه عرض من بعض الطلبة شیء مخالف قبیل وفاته مما یستفز صدر الحلیم، فرعد و زمع، و تمعر وجهه علی غیر عادته، فقلت: سیدی أین غاب عنک حلمک، و لم تغیرت عادتک فی هذه المرة؟! فقال مبتسما، و فی صوت مرنان: و من ذا الذی یاعز لا یتغیر؟

إن الأزهر حین فجع فی شیخه الأکبر، فإنما فجع فی أسمی و أطیب و أعرق الخلال الکریمة التی لو وزعت علی جماعة کثیرة لوسعتهم جمیعا، و کان أجلی ما فی خلاله الوفاء، الوفاء الخالص المتصل، لأصدقائه ولداته، و العفاة المحرومین الذین اتصلوا به، و کان إلی جانب الوفاء الکرم و السماحة، کرم النفس، و سماحة الصدر إلی حد التضحیة بکل نفیس فی سبیل ذلک. و فی جانب الوفاء و الکرم و السماحة و الحیاء.

و من کلماته کلمة ألقاها بمناسبة اختیاره رئیسا فخریا لجمعیات المحافظة علی القرآن الکریم بعد وفاة الشیخ المراغی، قال فیها:

«القرآن مصقلة القلوب کما ورد فی الحدیث، و ما أحوج قلوبنا إلی ما یصقلها و یجلو منها الصدأ! و القرآن هدی و نور، فهل إلا القرآن لما بغشی العالم الیوم من ظلام و ضلال، و القرآن من بعد هذا ثقاف للألسن، یقوم عوجها، و یصلح عجمتها، و یغذی من البلاغة مادتها، فمن عمل علی تنشئة أطفالنا علی حفظ القرآن و ترتیله و مدارسته، فإنما یصلح القلوب، و یقوم الأخلاق، و یخدم العربیة، و ما أشرف ذلک مقصدا و أعظمه نفعا!» و یتقاضانا الوفاء بمناسبة أول احتفال سنوی بعد وفاة الرئیس الفخری السابق رضی اللّه عنه أن نذکر مآثره الباقیات فی خدمة القرآن الکریم: کان رحمه اللّه مسلما صادقا، و کان یحب القرآن حبا جما، و قد عنی فی أکثر دروسه الدینیة بالتفسیر فی أسلوب یلائم جلال کتاب اللّه، و یوطد أسباب فهمه لأذواق الأجیال الحاضرة، کما کان یصنع من قبل أستاذنا الإمام «الشیخ محمد عبده». و وجه الأزهر إلی العنایة بالدراسات العالیة لعلوم

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۸۸

القرآن، و قد أنشأ معهد القراءات و التجوید، و المرجو أن یتابع الأزهر السیر فی هذه السبیل، فیقوی معهد القراءات و یکمله، و ینشیء إلی جانبه دراسات عالیة للحدیث و علومه، حتی یستوفی الأزهر جمیع الوسائل التی تعده لأن یکون کعبة المسلمین فی کل ما یتصل بالقرآن و الحدیث. و فی مجلة الأزهر دراسة عن الشیخ مصطفی عبد الرازق .

رأی طه حسین فی الشیخ کتب طه حسین عن مصطفی عبد الرزق یقول: کنت فی السادسة عشرة حین لقیته لأول مرة حین أقبل زائرا لثلاثة من رفاقه فی الأزهر، بینهم أخی، و کانوا جمیعا یقیمون فی غرفات متقاربة فی ربع من تلک الربوع التی کان طلاب الأزهر یحتلونها فی حوش عطی .. و کانوا یجتمعون فی غرفة أحدهم حین یزورهم الزائرون، و قد کان الاجتماع فی غرفتنا تلک المرة. و قد لقیت منه شابا حار الصوت، صادق اللهجة، عذب الحدیث، لا یرفع صوته إلا بمقدار، و کان قلیل الحرکة، معتدل النشاط، یمتاز من رفاقه أولئک بهذا الوقار الهادیء المطمئن الذی لا یتسم به الشباب عادة، و إنما هو سمة الشیوخ و من یجری مجراهم من الذین تقدمت بهم السن.

کان جم الأدب، موفور التواضع، لا یتجاوزر القصد فی قول أو عمل، یفرض علیه طبعه ذلک، و یفرضه هو علی الذین یجالسهم أو یتحدث إلیهم، کأنما کان یلقی فی نفوسهم و قلوبهم و علی ألسنتهم، فضلا من وقاره و هدوء نفسه. فهم یتحدثون مثله فی أناة، و یضحکون مثله فی قصد، و یروون معه أحادیث الجد، و ربما عبثوا شیئا بنوادر الشیوخ من أساتذة الأزهر. و مضی وقت غیر قصیر قبل أن تقوی الصلة بینه و بینی.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۸۹

كان قد أشرف على الخروج من طور الطلب إلى طور العلماء، و كنت فى أول عهدى بالدرس، لم أنفق فى الأزهر إلا عامين أو ثلاثة، و كان أولئك الرفاق يلقونه فى درس الأستاذ الإمام، و يزورونه- إذا أقبل الليل- فى داره بعابدين. فإذا عادوا تحدثوا عنه و عن إخوته، و عمن كانوا يلقونه فى تلك الدار من أصحاب المنازل الرفيعة، يملأون أفواههم بهذه الأحاديث، و يشعرون بأنها ترفعهم درجة عن أمثالهم من الطلاب.

و كان أولئك الرفاق يمتازون من زملائهم بالذكاء، و حسن التحصيل، و البراعة فى مجادلة الشيوخ. و أكبر الظن أن هذا هو الذى لفت إليهم زميلهم مصطفى عبد الرازق، فقد كان شديد الحرص على أن يصل أسبابه بأسباب الذين يحبون العلم، و يمتازون فيه، كأنه أخذ هذه الخصلة عن والده و عن أستاذه الإمام، فكلاهما كان يرى حب العلم نادرا فى مصر، و يبحث عن الذين يتصفون به بين طلاب الأزهر و غيرهم من الشباب. و قد ظلت هذه الخصلة ملازمة لمصطفى عبد الرازق حياته كلها، و قد وصلت أسبابه بكثير من الذين امتازوا فى طلب العلم بين الأزهريين و بين المختلفين إلى مدرسة القضاء و بين الجامعيين آخر الأمر، على اختلاف بيئاتهم و طبقاتهم.

و كان لا يعرف محبا لطلب العلم مخلصا فى هذا الحب إلا سعى إليه و اتصل به و قربه منه و فتح له قلبه و عقله و داره أيضا. و مهما أنس فلن أنسى تلك الجماعة التى ألفها من بعض أولئك الممتازين من طلاب العلم فى الأزهر، و نظم لها اجتماعا برياسته مساء الجمعة من كل أسبوع.

و كانت هذه الجماعة تلتقى فى غرفة من غرفات الطلاب فى ربع من ربوعهم أيضا بخان الخليلى، و يلقى أعضاؤها أحاديث فى موضوعات مختلفة تدور كلها حول الإصلاح الذى كانت مصر كلها تتحرق ظمأ إليه، و إلى إصلاح الأزهر خاصة بعد أن شب الأستاذ الإمام فى قلوب الممتازين من شبابه جذوة الثورة على ذلك الركود الذى اطمأن إليه الأزهر قرونا طوالا.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۹۰

و كان افتتاح مصطفى عبد الرازق لجلسات تلك الجماعة هو أشد ما يعجبنى و يروعنى، فهو لم يكن يزيد على أن يسمى اللّه و يقرأ الفاتحة، ثم تأخذ الجماعة فيما تريد أن تدير بينها من الحديث و أى افتتاح أبلغ و أوقع فى القلوب من اسم اللّه و فاتحة الكتاب المجيد! و قد عرفت بعد ذلك أن مصطفى عبد الرازق كان يذهب فى ذلك مذهب الوفاء الصادق لأستاذه الإمام الذى افتتح رسالته فى التوحيد نفس هذا الافتتاح.

و إذا كان حب العلم و طلابه المخلصين هو الخصلة الأولى من الخصال التى لزمته حياته كلها، فخصلة الوفاء هى الخصلة الثانية من خصاله. فقد عرفته محبا للعلم و طلابه كأشد ما يكون الحب و أصدقه و أعمقه، يسعى إليهم و يقربهم منه و يؤثرهم بالخير و ينزلهم من نفسه مكانة الصديق، و عرفته كذلك وفيا لكل من أحب من الناس لا يفرق بينهم فى ذلك مهما تكن الظروف و مهما يبعد بهم الزمان و المكان و مهما تلم الأحداث و تدلهم الخطوب.

كان وفيا للشافعى، رحمه اللّه، لأنه كان يذهب مذهبه فى الفقه، و يرى الوفاء له دينا عليه. و من أجل ذلك ترجم رسالته و عنى بدرسها و ترجمتها وقتا غير قصير. و أثر هذا الوفاء للشافعى فى حياته العقلية نفسها و فى نهجه الفلسفى تأثيرا شديدا، و فتح له أبوابا من العلم لم تفتح لأحد من قبله من علماء المسلمين. فدراسته لرسالة الشافعى فى الأصول ألقت فى روعه رأيا خصبا لم يستغله تلاميذه بعد، و أرجو أن يتاح لبعضهم تعمقه و استقصاء آثاره الخطيرة فى تاريخ الحياة العقلية للمسلمين. فقد رأى أن الشافعى يفلسف فى أصول الفقه و ما يتصل به من المشكلات المختلفة فى الدين و اللغة و استنباط الأحكام من النصوص، فارتقى برأيه هذا إلى من سبق الشافعى من المفكرين المسلمين الذين لم يجادلوا فى أصول الفقه وحدها، بل جادلوا فى أصول الدين أيضا، فأولئك الزعماء القدماء للأحزاب الإسلامية الأولى. حين كانوا يجادلون فى مذاهب أحزابهم و آرائها فيمن ثاروا بعثمان و من تابعوا عليا و من خاصموه و من وقف من هذه

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۹۱

الفتنة موقف الحیاد، و حین کانوا یجادلون فی مقترف الکبیرة أمؤمن هو أم کافر أم هو یصیر إلی منزلة بین منزلتین من الإیمان و الکفر أم هو مرجأ إلی اللّه یقضی فی أمره بالحق؟ و حین صاروا من هذا الجدال إلی الجدال فی أمور أخری أعمق من هذه الأمور، فجادلوا فی العدل و التوحید، إنما کانوا یفلسفون فی مسائل الدین قبل أن یعرفوا الفلسفة الیونانیة، بل قبل أن یحسنوا العلم باللاهوت عند المسیحیین و الیهود. و معنی ذلک أن المسلمین قد أنشأوا فلسفتهم الأولی من عند أنفسهم، و کانت فلسفة یسیرة سمحة کالإسلام نفسه، ثم لقیت الفلسفة الیونانیة بعد ذلک فأدرکها ما فی هذه الفلسفة من العسر و التعقید.

و کذلک جره الوفاء للشافعی، رحمه اللّه، إلی استکشاف مذهب جدید فی الفلسفة الإسلامیة له خطره العظیم أن عرف تلامیذه کیف یتعمقون و ینتهون به إلی غایته.

و کان وفیا للذین عرفهم و حسنت الصلة بینه و بینهم من الأساتذة الفرنسیین حین أقام فی فرنسا طالبا للعلم الحدیث، بعد أن أخذ بحظه من العلم القدیم فی مصر.

عرف أستاذا فرنسیا شابا فی إحدی الجامعات هناک و اشتد الألف بینهما، ثم أعلنت الحرب العالمیة الأولی، و دعی ذلک الأستاذ الفرنسی إلی أداء واجبه العسکری، فاستجاب للدعاء و ترک زوجة و لیس لها عائل، فکان مصطفی عبد الرازق یؤثرها علی نفسه بالنصیب الأوفر مما کان یصل إلیه من المال، لا یتردد فی ذلک و لا ینقطع عنه حتی عاد إلی مصر. و اللّه یعلم ماذا فعل بعد عودته. و قد عرفت ذلک من الأستاذ الفرنسی نفسه، و قد کلمت فیه مصطفی فغیر مجری الحدیث، و ظل وفیا لهذا الأستاذ، حتی إذا وضعت الحرب أوزارها، و مضی شیء من الوقت، و خلا منصب فنی من المناصب فی مصر، و لم یکن بین المصریین من یستطیع النهوض بأعباء هذا المنصب، و أخذت الحکومة تبحث عن أجنبی- جدّ مصطفی حتی اختیر صدیقه ذاک لهذا المنصب. و سألته عن عنایته الخاصة بهذا

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۹۲

الأستاذ وجده فی السعی له، فأنبأنی بأنه یری فیه الکفایة لمنصبه أولا، و بأنه فقد زوجه و جزع لفقدها، فمن الخیر أن یترک وطنه و مدینته و یشغل عمله ذاک الجدید، عسی أن یجد فی ذلک عزاء و تسلیة.

و ربما جر علیه وفاؤه ذاک بعض ما کان یضیق به من الأمر، و لکنه لم یحفل قط بعواقب الوفاء أتکون خیرا أم شرا، بل لم یحفل قط بعواقب الواجب و ما یمکن أن تجر علیه مما یسوؤه أو یرضیه. کان سعد زغلول منفیا عن وطنه و کانت زوجه تعیش فی دارها بالقاهرة یبرها المصریون و السعدیون منهم خاصة، و کان مصطفی من أسرة تذهب مذهب الأحرار الدستوریین الذین کانوا یخاصمون سعدا أشد الخصام، و کان مفتشا قضائیا بوزارة العدل، و أقبل عید من الأعیاد، فلم یتردد مصطفی فی أن یذهب إلی دار سعد و یترک بطاقته هناک.

و انقضت أیام العید، و ذهب مصطفی إلی عمله، فلم یکد یستقر فی مکتبه حتی دعی للقاء الوزیر. فلما لقیه قال له الوزیر: ألم أعلم أنک ذهبت الی دار سعد و ترکت فیها بطاقتک یوم العید؟ قال مصطفی: قد کان ذلک. قال الوزیر: أو لم تعلم أن سعدا یناوئ الحکومة القائمة و أن زیارة داره سیاسة محظورة علی الموظفین؟ قال مصطفی: تلک مجاملات لا شأن لها بالسیاسة و لا بالحکومة، قال الوزیر: فأنت مفصول منذ الآن. قال مصطفی: أنت و ما ترید. و عاد مصطفی إلی داره غیر حافل بما کان.

و لکن رئیس الوزراء ثروت باشا، رحمه اللّه، علم بالأمر فعاتب الوزیر فیه، و ترضی ذلک الوفی الذی وشت به الأرصاد فعوقب علی الوفاء.

و البر بطلاب العلم خاصة، و بکل من یحتاج إلی البر عامة، کان الخصلة الثالثة من خصال مصطفی عبد الرازق. فلم أعرف قط قلبا ابر بفقیر و لا نفسا أرق لذی حاجة، و لا یدا أسرع إلی العطاء، من قلب مصطفی عبد الرازق و نفسه و یده.

کان أستاذا فی کلیة الآداب بجامعة القاهرة، و کنت لها عمیدا فی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۹۳

بعض الأوقات، و کان فقراء الطلبة أکثر مما تحتمل قواعد المجانیة فی الکلیة إذ ذاک، فکان یسعی إلی فی بعضهم، فأجتهد له فی ذلک حتی لا أجد سبیلا إلی الاجتهاد، فأشهد ما تخلف قط عن أداء نفقات التعلیم عن أولئک الذین کانت تضیق بهم القواعد. و کلمته فی ذلک ذات یوم و قلت له: توشک ألا تجد شیئا من مرتبک آخر الشهر، فضحک ضحکة حلوة، و قدم إلی سیجارة من نوع جدید، کما کان یقول، ثم ألقی بهذه الکلمة التی لم أنسها قط، و التی ینبغی أن یذکرها کل قادر علی العون:

و ماذا ترید أن نصنع بهؤلاء الطلاب؟ أترید أن نترکهم یصدون عن العلم و نحن نری؟

کان وفیا و کان أبیا و کان برا و کان سمح الطبع و النفس و القلب. لم أره قط یخرج عن هذه الخصال منذ عرفته إلی أن فرق بیننا الموت. و کان لهذه الخصال کلها تأثیر أی تأثیر فی حدیثه إذا تکلم و فی فنه اذا کتب.

و اقرأ ما شئت من فصول هذا الکتاب: ما کتبه منها أیام شبابه الأول، و ما کتبه منها بعد أن تقدمت به السن، ما کتبه منها حین کانت الأیام هینة لینة، و ما کتبه منها حین کانت الأیام شدادا ثاقلا.

لم یکن شیء قادرا علی ان یغیر من خصاله تلک شیئا. کان سمحا فی جمیع أطواره و فی أطوار من حوله من الناس و ما یحیط به من الظروف. کانت الابتسامة الحلوة أدل شیء علیه، و الحدیث العذب ألزم شیء له. و کان یضیف إلی خصاله هذه خصلة أخری إذا کتب، و هی خصلة العنایة الدقیقة جدا بالتفکیر أولا و بالتعبیر بعد ذلک عما فکر فیه.

کان لا یکره شیئا کما کان یکره العجلة فی القول و العمل و المشی أیضا.

کان شدید الإیثار للإناة. و کان ذلک ربما عرضه لدعابات الصدیق و الزملاء، فما أکثر ما کانت تعقد الاجتماعات، و یحضر أعضاء هذه الاجتماعات فی الموعد المقدر لا یتأخرون عنه إلا الدقیقة أو الدقائق القلیلة إلا مصطفی، فکان یأتی دائما متأخرا جدا و کان زملاؤه لا یحبون

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۹۴

أن یأخذوا فی العمل قبل حضوره. فکانوا ینتظرون و ینتظرون، و ربما اضطرهم ذلک إلی بعض الضیق، و لکنه کان یطلع علیهم بابتسامته الحلوة تلک، فلا یکادون یرونه حتی یضحکوا له، و لا یأخذون فی عملهم إلا بعد دعابة لا تمل.

و کان لهذه الأناة أثرها فی کتابته، فأنت لا تجد فیما یکتب معنی نافرا أو فجا لم یتم نضجه قبل أن یعرب عنه. و أنت لا تجد فیما یکتب لفظا نابیا عن موضعه، أو کلمة قلقة فی مکانها، و إنما کان کلامه یجری هادئا مطمئنا کما یجری ماء الجدول النقی، حتی حین یداعب صفحته النسیم و کنت أشبه له کتابته بعمل صاحب الجواهر: یستأنی بها و یتأنق فی صنعها لتخرج من یده جمیلة رائعة تثیر فیمن یراها المتعة و الرضی و الإعجاب. کان یتأنق فی فنه کما کان یتأنق فی حیاته کلها، و کما کان یتأنق فی سیرته مع الناس جمیعا، سواء منهم من کان یألف و من کان یجفو. فلست أعرف أن أحدا سخط علیه أو ضاق به أو شکا منه. کان راضی النفس، یبعث الرضی فی نفوس الناس حین یرونه و حین یسمعونه و حین یقرؤون له.

و انی لأذکر حدیثا له ألقاه فی مؤتمر من مؤتمرات المستشرقین فی مدینة «لیدن» و کان المؤتمرون کثیرین، و کانت أحادیثهم کثیرة متنوعة، و کان رئیس الجلسة مضطرا إلی أن یقدر للمتحدثین عشرین دقیقة لا یعدوها احد مهما یکن حدیثه. و قد التزم المؤتمرون ذلک و لم یخالف عنه أحد منهم. فلما أخذ مصطفی فی حدیثه فی صوته ذاک الهادیء العذب الرقیق أصغت إلیه الآذان، ثم صغت إلیه القلوب، ثم اتصلت به النفوس، و کان یقطع حدیثه بین حین و حین و یلتفت إلی الرئیس مبتسما کأنه یسأله: أیمضی فی حدیثه! فیشیر الرئیس إلیه: أن نعم، حتی إذا أتم حدیثه کان قد جاوز الأربعین من الدقائق. لم یحس أحد أنه قد أطال، و أخذ من الوقت أکثر مما کان ینبغی له.

و اقرأ هذا السفر الضخم الذی تختلف فیه الأحادیث و الموضوعات

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۹۵

اختلافا شدیدا فستراه علی ذلک مؤتلفا أشد الائتلاف یؤلف بین مختلفاته ما تفیض علیه نفس الکاتب الهادئة السمحة الرزینة من هدوء سمح رزین.

و لو أنی أرسلت نفسی علی سجیتها لما وجدت لحدیثی عن مصطفی غایة انتهی الیها أو حدا أقف عنده.

فاشهد ما مر بی یوم دون أن أفکر فیه یقظا، و أشهد ما مر أسبوع دون أن أراه فیما یری النائم، کما کنت ألقاه اثناء الحیاة.

فلأخلص أنا للتفکیر فی هذا الصدیق العزیز، و لتخلص أنت لقراءة أصدق حدیث لأخ عن أخیه اولا، و أسمح کلام کتبه کاتب فی هذا العصر الحدیث بعد ذلک.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۹۶

الشیخ مأمون الشنّاوی شیخ الأزهر ۱۸۸۰– ۱۹۵۰

–۱–

من بیت علم و تقوی و صلاح، کان والده الشیخ سید أحمد الشناوی من مرکز السمبلاوین، و أقام فی بلدة الزرقا من أعمال مدیریة الدقهلیة لمصالح مالیة له، و کان عالما جلیلا متفقها فی شئون الدین، و کان أخوه الأکبر فضیلة الأستاذ الجلیل المرحوم الشیخ سید الشناوی من کبار رجال القضاء الشرعی، و تولی رئاسة المحکمة العلیا الشرعیة، و مات بعد أن ترک وراءه ذکری عاطرة، و آثارا طیبة فی القضاء، و أحکاما تعد مثالا یحتذی فی سلامة الفهم، و نفاذ الخاطر، و سعة الإطلاع.

–۲–

ولد عام ۱۸۸۵، و حفظ القرآن الکریم فی قریته و هو فی الثانیة عشرة من عمره.

و أرسله والده إلی الأزهر الشریف بالقاهرة یطلب العلم، فعاش عیشة طلاب الأزهر، یوجهه أخوه الأکبر الشیخ السید الشناوی الذی کان قد سبقه بسنوات إلی المجاورة فی الأزهر.

و کاد الشیخ محمد مأمون یسأم من حیاته فی الأزهر، و ینقطع عن الدراسة، و یترک التعلیم، و یعیش فی قریته فلاحا یزرع الأرض، لو لا أن والده أخبره أنه

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۲۹۷

رأی فی نومه حلما یدل علی أنه سیکون له ولدان عالمان، فاستبشر محمد مأمون بهذه الرؤیا و عاد إلی الأزهر.

و واصل الدراسة حتی کان موضع إعجاب شیوخه، و أساتذته، و فی طلیعتهم الأستاذ الإمام الشیخ محمد عبده، و الشیخ أبو الفضل الجیزاوی.

و تقدم الشاب الشیخ محمد مأمون لامتحان العالمیة، و لکنه کان قد سبقته و شایات بعض الطلاب إلی أساتذته، بأنه یتناولهم بالنقد، و أنه شاعر، إلی غیر ذلک، فأخذ أعضاء اللجنة یتحدونه و هو یتحداهم .. و کان الشیخ أبو الفضل الجیزاوی أحد الأعضاء، و لکنه لم یکن یعرف شیئا عن الوشایات التی بلغت زملاءه، و رأی هذا العالم الصغیر الشاب جدیرا بلقب «عالم»، بل مثالا لإخوانه فی سلامة

الفهم و سعة المحصول العلمى، فدافع عنه و نال شهادة العالمية عام ۱۹۰۶ .. و مما يذكر أنه و هو يتأهب لامتحان العالمية أصابه إجهاد شديد من كثرة المذاكرة، فذهب إلى عالم صالح من أولياء اللّه، يستفتيه فى أمره، فبشره هذا الولى بأنه سيكون عالما فاضلا فقاضيا عادلا، فإماما نبيلا، فرئيسا جليلا، فشيخا كبيرا .. و تحققت النبوءة على مر الأيام.

-۳-

و عين مدرسا بمعهد الاسكندرية الدينى، بعد تخرجه من الأزهر. ثم اختير عام ۱۹۱۷ قاضيا شرعيا بعد أن طارت شهرته، و ذاع صيته، و ضرب أحسن الأمثال فى جلال الخلق، و سعة الأفق، و طول الباع فى الإلمام بأسرار علوم الشريعة و الدين.

و اختير محمد مأمون الشناوى إماما (للسراى)، ثقة بعلمه و خلقه و دينه و فضله، فكان موضع التقدير و الإجلال من الجميع.

و فى عام ۱۹۳۰ صدر قانون تنظيم الجامع الأزهر و المعاهد الدينية فى عهد شيخه الشيخ الأحمدى الظواهرى؛ و أنشئت الكليات الأزهرية الثلاث: الشريعة و اللغة و أصول الدين، على نظام جامعى راق، فاختير ثلاثة من كبار رجال الدين

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۹۸

لتولى مشيخة الكليات الثلاث، و هم الشيخ محمد مأمون الشناوى الذى تولى مشيخة كلية الشريعة، و الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش شيخ معهد الزقازيق الدينى حينذاك و قد تولى مشيخة كلية اللغة العربية، و الشيخ الجليل المرحوم الشيخ عبد المجيد اللبان شيخ القسم العام بالأزهر الشريف الذى تولى مشيخة كلية أصول الدين. و كان للشيخ مأمون طيب اللّه ثراه آثار جليلة فى التوجيه العلمى و الدينى للأساتذة و الطلاب ...

و لما افتتحت كلية الشريعة- يوم الأربعاء ۳ من ذى الحجة عام ۱۳۵۰ ۲۹ مارس ۱۹۳۳- ألقى الشيخ محمد مأمون الشناوى كلية قيمة فى حفلة الافتتاح صور فيها سير النهضة العلمية و الدينية فى الأزهر عامة و فى كلية الشريعة خاصة.

-۴-

و فى عام ۱۹۳۴ منح الشيخ محمد مأمون الشناوى عضوية جماعة كبار العلماء.

ثم اختير وكيلا للأزهر بعد ذلك بعشر سنوات- عام ۱۹۴۴- و فى عهد وكالته للأزهر فاض الخير على العلماء، و شملهم الأنصاف و سارت الأمور فى الأزهر فى مجراها الطبيعى .. و تولى منصب رئاسة لجنة الفتوى بالأزهر الشريف.

و فى عام ۱۹۴۵ توفى شيخ الأزهر الشريف الأستاذ الأكبر المغفور له الشيخ مصطفى المراغى طيب اللّه ثراه، و أريد اختيار خلف له، و كان من الطبيعى أن يعين فى منصب المشيخة وكيل الأزهر أو أحد كبار علماء الأزهر الشريف و فى مقدمتهم الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش، و مفتى الديار حينذاك الشيخ عبد المجيد سليم، و لكن الحكومة فى عهد النقراشى أصرت على تعيين المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق فى منصب المشيخة الجليلة.

و قدم الشيخ مأمون استقالته من وكالة الأزهر، كما قدم الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش استقالته من كلية الشريعة، و الشيخ عبد المجيد سليم

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۲۹۹

استقالته من الإفتاء، و ذلك يوم الثلاثاء ۱۱ ديسمبر عام ۱۹۴۵.

و أصدر كبار الشيوخ و فى مقدمتهم الشيخ الشناوى بعد ذلك بيومين بيانا تاريخيا للأمة الإسلامية عن الخلاف بين الأزهر الشريف و

الحکومة فی شأن مشیخة الجامع الأزهر، إثر إقدام الحکومة علی تعدیل قانون الأزهر و تعیین المغفور له الأستاذ الأکبر الشیخ مصطفی عبد الرازق شیخا للأزهر، و قد رفع هذا البیان إلی المسئولین فی ۱۳ دیسمبر عام ۱۹۴۵.

-۵-

و فی مساء یوم الأحد ۷ ربیع الأول عام ۱۳۶۷ ه- ۱۸ ینایر عام ۱۹۴۸ عین الأستاذ الأکبر الشیخ محمد مأمون الشناوی شیخا للأزهر الشریف بعد شیخه الراحل المغفور له الأستاذ الشیخ مصطفی عبد الرازق.

و استقبل فضیلته من الأزهریین و من العالم الإسلامی استقبالا رائعا.

و للأستاذ الأکبر الشیخ الشناوی مآثر خالدة علی الأزهر فی عهد مشیخته ..

ففی عهده أنشیء معهد محمد علی الدینی بالمنصورة و معهد منوف، و أنشئت الوحدة الصحیة للأزهر، و ضم معهد المنیا و جرجا و سمنود إلی الأزهر. و زادت البعوث الإسلامیة إلی الأزهر، کما زادت بعثات الأزهر إلی البلاد العربیة و الإسلامیة.

و فی عهده ألغی البغاء الرسمی، و جعل الدین مادة أساسیة فی المدارس، و حوربت الفوضی الخلقیة و الاجتماعیة و الصور الخلیعة، و حددت الخمور فی المحلات العامة.

و فی عهده نقلت کلیة اللغة من الصلیبة إلی البرامونی، و نقلت کلیة الشریعة إلی المبانی الجدیدة للجامعة الأزهریة، و اشترک الأزهر فی المؤتمر الثقافی العربی، و تمت أمانی کلیة اللغة فی المساواة بینها و بین معاهد اللغة العربیة المختلفة،

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۰۰

و ارتفعت میزانیة الأزهر، و قضی علی الفتن المختلفة فیه، إلی غیر ذلک من جلائل الأعمال.

-۶-

اشارة

و بعد حیاة حافلة بجلائل الأعمال توفی الأستاذ الأکبر الشیخ الشناوی علیه رحمة اللّه، ففی الساعة العاشرة من صباح الیوما لحادی و العشرین من ذی القعدة عام ۱۳۶۹ ه- ۴ سبتمبر عام ۱۹۵۰ فاضت روحه الطاهرة إلی بارئها راضیة مرضیة.

و ابنته الصحف فی العالم العربی و الغربی فی حسرة و لوعة و تقدیر. و فی ذلک تقول جریدة المصری عدد ۵ سبتمبر ۱۹۵۰ م: فجعت مصر بل العالم الإسلامی کله أمس بوفاة المغفور له الأستاذ الأکبر محمد مأمون الشناوی شیخ الجامع الأزهر؛ و قد خسر العالم الإسلامی بوفاته عالما ثبتا و حجة قویة و فقدت مصر فیه الورع و التقوی و البر و الخیر و الإخلاص لدین اللّه، و فقد الأزهر فیه کبیر علمائه و شیخا من أخلص شیوخه، ظل یعمل لخیره، و یواصل السعی لتحقیق رسالته بین ربوع العالم الإسلامی، و لم یقعد به المرض أو النصب یوما عن مواصلة سعیه و صرف اهتمامه إلیه.

تولی رحمه اللّه مشیخة الأزهر فی ۱۸ ینایر سنة ۱۹۴۸ و کان الأزهر فی ذلک الحین نهبا لعصبیة ممقوتة کادت تقضی علی ما یتمتع به من سمعة طیبة و ماله فی العالم من مکانة، فرأب الصدع و لم الشمل و قضی علی الفتنة فی مهدها، و شعر الأزهریون جمیعا بأنهم أبناء جامعة واحدة و أنهم تربطهم صلات أقوی من صلات الدم .. و علی هذا النحو ساس فضیلته شئون الأزهر، و عمل علی تقویة ما بینه و بین العالم الإسلامی من روابط فأوفد البعوث الإسلامیة المختلفة إلی ربوع العالم الإسلامی تنشر مبادیء الإسلام و الثقافة الإسلامیة و تقرب ما بین المسلمین و تعمل علی إزالة الفرقة و الخلاف بینهم.

و زیادة فی تقویة الروابط بین البلاد الإسلامیة أرسل فضیلته بعثة إلی انجلترا

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۰۱

لدراسة اللغة الانجليزية، لإرسال أعضائها إلى البلاد العربية الإسلامية التى لا تجيد التخاطب باللغة العربية.

و لم يكتف فضيلته بذلك بل عنى أيضا بربط الجامع الأزهر بجميع المعاهد الإسلامية فى بقاع الأرض، فاهتم بشئون التعليم فى الباكستان و الهند و الملايو و أندونسيا و أفريقيا الجنوبية.

و إلى جوار هذا و ذاك عمل على التمكين لأبناء المسلمين بطلب العلم فى الأزهر و فتح أبوابه للوافدين حتى بلغت البعوث الإسلامية فى عهده ما يزيد على ألفى طالب، خصصت لهم أماكن الدراسة و المسكن اللائق.

و أخذ يعمل على زيادة المعاهد الدينية فى عواصم المديريات، و قد افتتحت فى عهده أربعة معاهد نظامية كبيرة، هى معاهد المنصورة و المنيا و سمنود و منوف.

و هكذا مضى فى سياسته الإصلاحية و التوسع فى رسالة الأزهر، و قد نال الأزهر بفضل جهوده و تقواه خيرا كثيرا، فارتفعت ميزانيته إلى أكثر من مليون جنيه، و وضع مشروع كادر لتسوية أساتذة الكليات فى الأزهر بزملائهم الجامعيين.

و كان من رأيه رحمه اللّه جعل دراسة الدين مادة أساسية فى المدارس ليقى النشىء من الآراء الفاسدة، و ما زال ينافح عن هذا الرأى حتى تحققت أمنيته و تقررت دراسة الدين مادة أساسية فى المدارس.

و منذ شهور مرض مرضا ألزمه الفراش، و لكن ثقته باللّه و شدة إيمانه حفزاه على مقاومة العلة، و تمكن الأطباء فى النهاية من القضاء عليها.

و رأى أن يستجم فى الاسماعيلية عند نجله الأستاذ عبد العزيز الشناوى فسافر إليها و كان ينعم فيها بالصحة التامة، و زاره كثيرون من أصدقائه و من كبار رجال الأزهر هناك.

و لكن القدر المحتوم أبى إلا أن يوافيه فى الاسماعيلية فأصيب بنوبة قلبية

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۰۲

حادة تمكن الأطباء من مقاومتها، ثم أصيب فى عقبها بالتهاب رئوى كان أيسر و أهون ما لقيه فى مرضه، و لكن استعصى دواؤه على الأطباء، و فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها فلقى ربه راضيا مرضيا.

و قد شيعت جنازته يوم الثلاثاء ۵ سبتمبر ۱۹۵۰ بما يليق بمكانته التى كانت له فى القلوب، و بأعماله الجليلة فى خدمة الإسلام و المسلمين .. و صلى عليه فى الأزهر الشريف، و كبر المؤذنون فى شتى المساجد حينما صلى عليه، ثم ووری جسده الطاهر التراب.

-۷-

لقد كان- رحمه اللّه و طيب ثراه- كريم الخلق نبيل النفس رائعا فى وقاره و هيبته و سمته و صلاحه و ورعه و زهده، ذا شخصية قوية بارزة.

و كان موضع المهابة من الجميع يجلونه و يحترمونه و يرجعون أ إليه يستفتونه، كان موثوقا بعلمه و رأيه، واسع الثقافة، كثير الإطلاع.

اشترك فى كل الأعمال التى كانت تبذل لإصلاح الأزهر و تنظيمه فى الربع الثانى من القرن العشرين .. و تقول جريدة المصور من مقال عنه بعد وفاته:

كان رحمه اللّه يتذوق الشعر و ينظمه و يقدر الشعراء .. و قد ترك فى مكتبته الكبيرة فى بيته بالحلمية الجديدة، مجموعة من دواوين الشعر و كتب الأدب، غير كتب الدين و التاريخ الإسلامى و البلاغة و الفلسفة و الأصول و الحديث و الفقه و التوحيد.

و خير الشعراء عنده شاعران: المتنبى و شوقى .. و قد عثرت بين أوراقه على بعض القصائد التى نظمها بنفسه أيام الشباب.

أمضی المرحوم الشیخ مأمون الشناوی حیاته فی الدرس و الاطلاع، و قد اعتاد منذ أیام الشباب أن یتلو بعض الأدعیة قبل کل صلاة و بعدها و فی الطریق بین

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۰۳

البیت و مقر العمل .. و کان یکتب بعضها و یضعها فی حافظته لتلازمه علی الدوام و تصونه من المکاره .. و ظل محافظا علی ذلک لا یتهاون فیه إلی أن دعاه اللّه إلیه.

و وجدت بین مخلفاته ورقة کتب فیها بخطه: «ید اللّه فوق أیدیهم» و ورقة أخری کتب فیها بخطه أیضا: «اللهم اهدنی من عندک، و أمنن علی من فضلک، و انشر علی من رحمتک، و انزل علی من برکاتک، اللهم استرنی بسترک الجمیل، اللهم ارزقنی سعادة الدارین و اکفنی همهما».

و کان بعد الصلاة یتلو دعاء طویلا هذه بدایته: «اللّه أکبر اللّه أکبر، بسم اللّه علی نفسی و دینی، بسم اللّه علی أهلی و مالی، بسم اللّه علی کل شیء أعطانیه ربی، بسم اللّه خیر الأسماء، بسم اللّه الذی لا یضر مع اسمه داء، بسم اللّه الذی لا یضر مع اسمه شیء فی الأرض و لا فی السماء، و هو السمیع العلیم» ...

و قد ساهم رحمه اللّه فی الحرکة الوطنیة عند قیامها فی سنة ۱۹۱۹، فکان یلقی الخطب الحماسیة فی المساجد و الکنائس و یکتب المقالات فی الصحف، بل نظم المظاهرات، و مشی فی طلیعتها، مع أنه کان وقتئذ قاضیا بمحکمة الاسکندریة الشرعیة!.

لکنه کان ینفر من الحزبیة، و یری أن رجل الدین لا ینبغی له أن یجمع بین الدین و السیاسة ..

حینما کان إماما فی السرای طلب إلیه أحد رجال القصر أن ینضم إلی حزب الاتحاد فأبی، ثم ألح علیه فازداد إباء و قال له: «إننی أستطیع بسهولة أن أخرج من الباب الذی دخلت منه».

و فی الیوم التالی دعاه رئیس الدیوان لمقابلته، و کان المرحوم توفیق نسیم، و أبلغه أن الملک فؤاد أحیط علما بما حدث، و أنه سر من موقفه، و لکنه یأخذ علیه قوله إنه یستطیع الخروج بسهولة من الباب الذی دخل منه .. لأن الدخول من هذا الباب لا یستأثر به فریق من المصریین دون فریق.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۰۴

و لم یرث فضیلة الشیخ محمد مأمون الشناوی شیئا عن أبیه. و ظل لا یملک إلا مرتبه، حتی رأی فی سنة ۱۹۳۰ أن یستبدل بجزء من معاشه قطعة أرض زراعیة هی کل ما کان یملک من حطام الدنیا ..

و کان رحمه اللّه قوی الإیمان، کثیر تحری العدالة، یحب الهدوء و النظام، و یشتد فی الحق، و یسوس من مرؤسیه باللین و العطف، و یقسو أحیانا للتأدیب .. و کانت داره فی الحلمیة الجدیدة محط أهل الفضل و العلم و الأدب ..

و قالت مجلة الأزهر فی تأبینه: «انتقل إلی الدار الآخرة فی الیوم الرابع من شهر سبتمبر سنة ۱۹۵۰ العالم الشیخ محمد مأمون الشناوی شیخ الجامع الأزهر متأثرا بداء عضال ألم به نحو ثلاثة أشهر، فکان لنعیه أسف عمیق لدی کل من عرفه و غشی مجلسه، لما کان علیه، رحمه اللّه، من محاسن الشیم، و التواضع، و حسن الإصغاء لذوی الحاجات.

و قد تلقی رحمه اللّه العلم فی الأزهر، و نال درجة العالمیة فی سنة ۱۹۰۶، و عین مدرسا فی معهد الاسکندریة، ثم تولی القضاء بالمحاکم الشرعیة، و تقلب فی وظائفها و اشتهر فیها بإیثار العدل و الإنصاف. و فی سنة ۱۹۱۶ اختیر لیکون إماما فی السرای فظل فی هذا المنصب نحو خمس سنین، و فی سنة ۱۹۳۱، حین وضع للتدریس بالأزهر نظام جدید، و قسمت الدراسة العالیة فیه إلی ثلاثة فروع، و أنشئت لها کلیات ثلاث: واحدة للشریعة و أخری لأصول الدین، و ثالثة للغة، اختیر الشیخ رحمه اللّه شیخا لکلیة الشریعة، فمکث یشغل منصبه فیها بکفایة محمودة، و عمل قرابة ثلاث عشرة سنة. و فی سنة ۱۹۴۴ أسندت إلیه وکالة الجامع الأزهر، و کان المرحوم الشیخ مصطفی المراغی شیخا له، فلبث فی هذا المنصب حتی توفی الأستاذ المذکور، و ترددت الحکومة فی تخیر رجل

کفء لشغل منصب المشیخة، فوقع الاختیار علی المرحوم الأستاذ مصطفی عبد الرازق، فرأی أن قانون الأزهر یشترط فیمن یتولی هذه الوظیفة أن یکون من هیئة کبار العلماء.

و لم یکن الأستاذ المذکور منها، فاستحسن أن ینقح هذا القانون حتی یتسع لتعیین

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۰۵

من یصلح ممن لا- تنطبق علیه شروطه من أجلاء العلماء، ما دامت تتوافر فیه المؤهلات العلمیة و الأدبیة. فلما عرض هذا الحل علی المرحوم الشیخ محمد مأمون الشناوی أبی و رأی أن یستقیل من منصبه، و أن یتولی هذا الأمر غیره. فقبلت استقالته و مضت الحکومة فی إصلاح ذلک القانون، و عین المرحوم الشیخ مصطفی عبد الرازق شیخا للأزهر: فلما کانت سنة ۱۹۴۸ و توفی الأستاذ المذکور، أسندت الحکومة مشیخة الأزهر إلی الشیخ محمد مأمون الشناوی فی الشهر الأول من تلک السنة فلبث فیها إلی أن وافاه أجله فی الحین الذی ذکرناه آنفا. و مما یجب تسجیله للأستاذ المرحوم حالة الاستقرار الذی شمل جمیع طلبة الکلیات و المعاهد الأزهریة، و ما قام به للأزهریین من مساواة خریجیهم بخریجی الجامعة المصریة فی المرتبات، و من عمله علی تحقیق أمانیهم.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۰۶

الأستاذ الأکبر الشیخ عبد المجید سلیم

کان الأستاذ الأکبر عبد المجید سلیم من العلماء القلائل الذین قل أن شهد لهم الأزهر مثیلا: فی سعة الأفق، و جلال الخلق، و عظمة النفس، و قوة النزوع إلی المثل العلیا، فهو بحق خلف عظیم لأسلاف کرام.

تتلمذ علی الإمام محمد عبده، فتخرج عالما قدیرا، و شیخا جلیلا، و ما لبث أن جعلته مواهبه و کفایته و شخصیته علما بین زملائه العلماء.

و شاهد الأحداث الکبری فی تاریخ الوطن الدینی و الفکری و الاجتماعی و السیاسی، و اشترک فیها موجها و هادیا و شغل الکثیر من المناصب الدینیة الجلیلة فی الأزهر و القضاء الشرعی و الإفتاء، و کان لآرائه الدینیة صداها البعید فی العالم الإسلامی کافة، ثم عهد إلیه بالإشراف علی الدراسات العلیا فی الأزهر الجامعی، ثم صارت إلیه ریاسة لجنة الفتوی، فکان له فی کل ناحیة أعمال خالدة مأثورة .. و إصلاح الأزهر الجامعی فی شتی أطواره المختلفة فی العصر الحدیث مدین لفضیلته بالرأی و التوجیه.

و قد ولد الشیخ عبد المجید سلیم فی ۱۳ أکتوبر ۱۸۸۲، و تخرج من الأزهر عام ۱۹۰۸، حاملا العالمیة من الدرجة الأولی .. و شغل وظائف التدریس و القضاء و الإفتاء و مشیخة الجامع الأزهر. و مکث فی الإفتاء قرابة عشرین عاما. و له من الفتاوی ما یربو علی خمسة آلاف.

و لقد تولی مشیخة الأزهر مرتین، أقیل فی أولهما لأنه نقد الملک.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۰۷

و قد رکز نشاطه فی السنوات الأخیرة فی الاشتغال بجماعة التقریب بین المذاهب الإسلامیة، و قد جعلت هذه الجماعة من أهدافها أن تتفاهم الطوائف الإسلامیة علی ما ینفع المسلمین، و أن تعمل علی نسیان الخلاف و استلال الضغائن من بینهم، و له فی هذه الناحیة کتابات و رسائل و مراسلات بینه و بین کثیر من علماء البلاد الإسلامیة، فلم یقتصر فضله علی العلم فی مصر، و لکنه تجاوز ذلک إلی آفاق الإسلام، و إلی کل الطوائف.

و لفضیلته عدة رسائل مخطوطة، و قد أثر عنه الشجاعة فی قول الحق و الجهر به أمام الحکام دون خوف أو حذر، و قد استقال من الإفتاء عام ۱۹۴۶ حین وجد حکومة ذلک العهد ترید التدخل فی شؤون الأزهر، و قال لرئیس دیوان الملک حین حذره من الخطر الذی سیلحقه: «إننی ما دمت أتردد بین بیتی و المسجد فلا خطر علی». عین فضیلته فی مشیخة الأزهر للمرة الأولی یوم ۲۶ ذی الحجة

عام ۱۳۶۹ ه- الثامن من شهر أكتوبر عام ۱۹۵۰ و أعفى من المنصب فى ۴ سبتمبر ۱۹۵۱ ثم تولى المشيخة لثانى مرة فى ۱۰ فبراير ۱۹۵۲ و استقال من المنصب فى ۱۷ سبتمبر ۱۹۵۲، و توفى عليه رحمة اللّه فى صباح يوم الخميس ۱۰ من صفر ۱۳۷۴ ه- ۷ من أكتوبر ۱۹۵۴، تاركا ذكريات إسلامية لا تنسى.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۰۸

الأستاذ الأكبر الشيخ ابراهيم حمروش

ملء القلوب و الأسماع، و حديث الخاصة و العامة، و شخصية تكاد من جلالتها و تواضعها تعد مع الخالدين الأوائل من كبار أئمة الإسلام .. حجة فى علوم الدين و اللغة و الأدب، و إمام فى المعقول و المنقول، و شيخ كثير من علماء الأزهر المعاصرين، تتلمذوا عليه، و نهلوا من معين علمه الفياض، و استمعوا لأحاديثه و آرائه فى اللغة و البلاغة و الأدب، و فى علوم الشريعة و أحكامها، و فى دقائق الاجتماع و التاريخ، فكان لهم من ذلك علم غزير، و مدد فياض .. و مجلسه العامر يفيض بالجديد الطريف من معارفنا الحاضرة، و بالتليد القديم من علوم الأوائل و معارفها، و إلى جانب ذلك النكتة الرائقة و الفكاهة الشائقة، و الآداب الرفيعة، فى سمت الصالحين الورعين، و الزاهدين العابدين، مع التقوى و التواضع، و عفة اللسان، و طهارة القلب، و يقظة الضمير. و هو صوفى ورع، محب لآل البيت، كثير الإجلال لذكرهم، مع التوكل على اللّه و التباعد عن السياسة. و هو من أرومة عربية طيبة، من عرب إقليم البحيرة، حفظ القرآن، و جاور فى الأزهر، و تتلمذ على الإمام محمد عبده، و نال العالمية من الدرجة الأولى، و شغل منصب التدريس فى الأزهر، ثم فى مدرسة القضاء الشرعى، ثم تدرج فى مناصب القضاء، ثم اختير شيخا لمعهد أسيوط، فشيخا لمعهد الزقازيق، فعميدا لكلية اللغة العربية، فشيخا لكلية الشريعة .. ثم أسندت إليه رياسة لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، ثم منصب المشيخة العظمى،

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۰۹

و الامامة الكبرى للإسلام و المسلمين. إلى جانب عضويته فى مجمع اللغة العربية منذ نشأته حتى اليوم، و لقد عاش طول حياته يحلم بإصلاح الأزهر و يعمل مع العاملين لهذا الهدف، و يشترك فى جميع اللجان التى ألفت لذلك.

و لقد تخرج الشيخ إبراهيم حمروش من الأزهر، عام ۱۹۰۶، و عين مدرسا فى الأزهر، ثم اختير للتدريس فى مدرسة القضاء الشرعى ۱۹۰۹، و مكث مدرسا بها حتى سنة ۱۹۱۶، ثم عين قاضيا فى المحاكم الشرعية، و ظل يرقى فى مناصبها، إلى أن اختير عام ۱۹۲۸ شيخا لمعهد أسيوط، و نقل بعد شهور شيخا لمعهد الزقازيق، و لما أنشئت الكليات الأزهرية اختير عام ۱۹۳۲ شيخا لكلية اللغة العربية، و فى عام ۱۹۴۴ اختير شيخا لكلية الشريعة، ثم استقال من منصبه عام ۱۹۴۶ احتجاجا على السراى لتدخلها فى شؤون الأزهر، و عين عام ۱۹۵۰ رئيسا للجنة الفتوى .. و هو عضو فى المجمع اللغوى بالقاهرة منذ إنشائه عام ۱۹۳۲.

و للأستاذ الأكبر مكانته الكبيرة فى قلوب الأزهريين، فهو حيثما حل و حيثما كان موضع التجلة و الاحترام و التقدير، من كل أزهرى و كل مسلم .. و مكانته العظيمة فى العالم الإسلامى فى غنى عن البيان.

و إن معاهد الأزهر و كلياته لتفخر بجهوده فى تنظيمها و فى توجيهها لأداء رسالتها، و لقد نال مكانته المرموقة بما فطر عليه من نبل خلق و عظمة شخصية و سعة علم و صلاح و إيمان ...

كان فى الوظائف الكبرى التى تقلدها مثالا عاليا للرئيس اليقظ العادل و الإمام الراعى الساهر، و الشيخ الحكيم المدبر، و العالم الحانى على طلاب العلم و شيوخه. و قد تولى الشيخ حمروش مشيخة الأزهر للمرة الأولى فى ۴ سبتمبر عام ۱۹۵۱ و كانت له مواقف خالدة فى الحركة الوطنية المصرية الأخيرة، و أعفى من منصبه فى ۱۰ فبراير عام ۱۹۵۲ لاشتراكه فى الحركة الوطنية التى قام بها الشعب و قيادته للمظاهرة الشعبية

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۱۰

التى خرجت تهتف بحرية مصر، و مقالاته عن وجوب محاربة الاستعمار، و أذكر أنه لما تولى المشيخة للمرة الأولى استقبل فى الأزهر استقبالا حافلا، و هنأته بهذه الأبيات:

عاد الدين مجده و سلامهو حمى الدين هذه أيامه

و دع الأزهر الغداة لياليه، و نادته بالمنى أحلامه

تلك آماله الكبار، و هذاشيخه الأكبر الحكيم إمامه

يشهد اللّه أنه كاهل الدين،و للأزهر العريق سنامه

إن (إبراهيم) الملاذ لبيت اللّهتسعى بسعيه أعلامه

أمة واحدة، و فى اللّه مسعاه،و للحق عزمه و مقامه

أمل المسلمين، و النور يهدىليس إلا للمكرمات اعتزامه

يا إمام الإسلام بايعك الأزهرشيخا له، و أنت سلامه

تلك آماله إليك، و هذافى يديك الكريمتين زمامه

و على منكبيك برد جلالصيغ من نسج الصالحات و سامه

سر على يمن اللّه تحرس بيت العلمفى يمنى راحتيك و سامه

جمعت حولك القلوب و هذا البيت جذلان من هداك ابتاسمه

و الشيخ حمروش، هو البقية الباقية من علماء الأزهر الأعلام، و من الجيل القديم، الذين يعتز بهم الأزهر الحديث، و الذين ليس لهم نظير فى العلم و الغيرة على شؤون الإسلام و العروبة، أمد اللّه فى حياته .. و ما من أزهرى اليوم إلا و هو من تلامذته، أو من تلامذة تلامذته ..

و من كلماته هذه الكلمة التى ألقاها فى الأزهر فى ذكرى الهجرة و هى: بسم اللّه الرحمن الرحيم، الحمد للّه رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين: شاعت فى الأمم السابقة خرافات و عقائد باطلة لم تكن وليدة بحث و دروس و نظر و استدلال، و إنما هى أقوال ملفقة مما يأخذها الخلف عن السلف، و يقلد فيها الأبناء آباءهم، من غير فهم و لا روية، و هى موضع تقديرهم، و محل اعتبارهم، و أشد الناس تمسكا بها

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۱۱

و محافظة عليها المترفون، لأنهم يعتقدون أن فى الدين زوالا لهيبتهم و ذهابا لعظمتهم، قال تعالى: وَ كَذلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ، و قد أرسل اللّه تعالى محمدا صلى اللّه عليه و سلّم إلى الناس كافة بدينه الذى ارتضاه لخلقه، و اختاره لعباده، من يوم مبعثه إلى أن يرث اللّه الأرض و من عليها، فكان موقف أمته منه موقف الأمم السابقة من رسلها، و لم تستحدث الأيام خلقا، و لا حالت من الزمن العهود.

بدأ محمد صلى اللّه عليه و سلّم، بدعوة العرب، و كانوا وقتئذ أقل الناس حظا و أشقاهم عيشا، و أبينهم ضلالة، بأسهم بينهم شديد، يقتتلون لأقل الأمور و أحقر الأسباب، و كانوا متفرقين لا تجمعهم وحدة، و لا يشملهم نظام، و كان يجاور العرب دولتان عظيمتان: دولة الفرس، و دولة الروم الشرقية، استولت كل واحدة منهما على ما جاورها من بلاد العرب، و جعلت عليه حاكما من العرب، يعمل لها و ينفذ إرادتها، و يرعى مصالحها، و بهذا الوضع كان العرب محصورين فى جزيرتهم، قانعين بما فيها من مفاوز و صحراوات.

دعاهم صلى اللّه عليه و سلّم إلى خير الأمور، و أفضل الأعمال: دعاهم إلى عبادة اللّه وحده، و ترك عبادة الأصنام، لأنها لا تضر و لا تنفع، و لا- تعطى و لا- تمنع، و لا- تدفع عن نفسها أذاة، و لا- تميط قذاة، و لا- تخلق حصاة، و مع ظهور الحجة و وضوح البرهان، و تنبيههم للحق فى كثير من الآيات، قال تعالى:

يـا أَيُّهَـا النَّاسُ ضُـرِبَ مَثَلٌ فَاسْـتَمِعُوا لَهُ، إِنَّ الَّذِينَ تَـدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَ إِنْ يَسْـلُبْهُمُ الـذَّبابُ شَـيْئاً لا يَسْـتَنْقِذُوهُ مِنْهُ، ضَـعُفَ الطَّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ إلى غير ذلك من الأمثال التى صرفها اللّه تعالى فى كتابه، و مع كل ذلك لم يؤمنوا به، بل كذبوه أشد تكذيب و بالغوا فى الإنكار، و قالوا: إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ.

و من جهلهم زعموا أن دعوة النبى صلى اللّه عليه و سلّم الناس إلى عبادة اللّه، و ترك عبادة الأصنام، لم تكن إلا لأنه صلوات اللّه عليه يكره الأصنام، و يريد الانتقام منها، لأن بعضها اعتراه بسوء، و ألحق به ضررا، فقالوا: إِنْ نَقُولُ إِلَّا

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۱۲

اعْتَراكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ، فكـان ذلـك صـراعا بين الحق و الباطـل، و بين الحجـة و البرهـان، و الجهـل و الطغيـان، و لم يقفوا عند التكذيب و الإنكار، بل تجاوزا ذلك إلى إيذائه و إيذاء من شرح اللّه صدورهم للإسلام، فقبلوا دعوته؛ و آمنوا برسالته. و فازوا بشرف السبق، و كلما بالغوا فى الإيذاء، بالغ صلى اللّه عليه و سلّم فى الصبر، و اجتهد فى الدعوة، و كان صلى اللّه عليه و سلّم شديد الحرص، عظيم الاهتمام بكثرة الأعوان و الأنصار، ليتمكن بذلك من أداء مهمته، و تبليغ رسالته، فكان عليه السـلام يتلقى من أقبلوا إلى مكة فى موسم الحج، فيدعوهم إلى الإسـلام، و يقرأ عليهم القرآن، فما أجابه أحد، و منهم من رد عليه ردا قبيحا، و قد اجتهد رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلّم فى مقابلة الوفود، و لم يصرفه إيذاء قريش عن دعوته، و لا الرد القبيح عن السعى فى إدراك طلبته، فكان يقابل الوفود فى كل موسم، ففى موسم التقى رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلّم بجماعة من الخزرج، و لما عرض عليهم الإسـلام قبلوه، فكان ذلك الاجتماع مقدمة النجح و وسـيلة الفوز، فإنهم لما عادوا إلى أهلهم بالمدينة ذكروا لهم رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلّم، و الدين الذى يدعو إليه، فأسلم منهم كثيرون، و فى موسم آخر حضر جمع من مسلمى المدينة و التقى بهم رسول اللّه و بايعوه، إن هاجر إليهم، على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم و أبناءهم، و بعـد ذلك أمر صـلوات اللّه عليه، أصـحابه بالهجرة إلى المدينة و اللحوق بإخوانهم، و قـال لهـم: «إن اللّه قـد جعـل لكـم إخوانـا و دارا تـأمنون بهـا» فخرجـوا أرسالاـ رجالاـ و نسـاء، إلاـ مـن حيـل بينهم و بين الهجرة من المستضـعفين، و لما رأت قريش أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم قد صارت له شيعة و أصحاب من غير بلدهم، و خرج أصحابه من المهـاجرين إليهم، و عرفوا أنه قـد أجمع لحربهم، ائتمروا على قتله قبل الهجرة حتى يأمنوا حربه. و لما علم رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلّم ما أجمعت عليه قريش و عرف الليلة التى يريدون الفتك به فى صبحها، توجه صلوات اللّه عليه إلى أبى بكر، و أخبره أن اللّه أذن له بالهجرة، فسأله الصـحبة، فأجابه إليها، و اتعد على الهجرة فى تلك الليلة، و قد أمر النبى صـلوات اللّه عليه على بن ابى طالب أن ينام مكانه فى تلك الليلة و يتسجى ببرده لئلا يرتاب أحد فى وجوده، و أصبحت فتيان قريش ينتظرون

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۱۳

خروجه صـلى اللّه عليه و سـلّم للفتـك به، فـإذا بعلى يخرج إليهم، فعلموا أنهم بـاتوا يحرسون عليـا. و لمـا علمت قريش بـذلك ثارت ثائرتهم و أخـذوا يقتصون الأثر، و جعلوا لمن يأتى به حيا مائة من الابل، و هاجر صـلى اللّه عليه و سـلّم بإذن اللّه و فى رعايته و حفظه إلى أن بلغ المدينة، و لما اسـتقر بالمدينة أخذ ينشـر دعوته و يبلغ رسالته إلى أن بلغ كل ما امر بتبليغه، و بذلك تمت الشريعة، و كمل النظام الذى وضعه العليم الحكيم.

و الشريعة التى بلغها سمو بالعقول عن التقليد، و اتباع القول بلا دليل، و أمر بالنظر فيما بث اللّه فى الآفاق من آيات. و نصب فى الكون من دلائل تـدفعها إلى الاذعان بوجود اللّه، و بما له من صـفات الكمال: من القدرة التامة و العلم المحيط و التفرد بالسـلطان فيما عداه، يمضـى فيه حكمه و ينفـذ قضـاؤه، و عبـادة و خضوع و تقرب و خشوع. شـكرا لمن خلقهم، و أسـبغ عليهم النعم الظـاهرة و الباطنـة، و تهـذيب نفـوس، و تطهير قلـوب، و بعـد عن الآثـام و الـذنوب، و تنزه عن الصـغائر، و صـدق فى القـول، و إخلاـص فى العمـل، و أمر بالمعروف، و نهى عن المنكر، و شـجاعة و نجـدة، و إعـداد عـدة لارهاب الأعداء، و مساواة فكلهم عند اللّه سواء، لا فرق بين عظيم و حقير و غنى و فقير، لا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى اللّه و التقرب منه، و مساعدة الضـعفاء و المحتاجين، و تعاون و تناصر، و تواد و

تراحم و تعاطف و طاعة اللّه و رسوله و أولی الأمر من المسلمین. إلی غیر ذلک مما أمرت به الشریعة. و حثت علیه. و رغبت فیه. و قد اعد اللّه تعالی للذین یعملون الصالحات سعادة الدنیا و الآخرة، قال تعالی: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الْأَرْضِ کَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ. وَ لَیُمَکِّنَنَّ لَهُمْ دِینَهُمُ الَّذِی ارْتَضی لَهُمْ. وَ لَیُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً و قال تعالی: إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ کانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا. و قد عملت الأمة بتلک الشریعة، فآتت اعمالها الصالحة أکلها، و أثمرت ثمرتها فی بناء الأمة علی أسس متینة، و أخلاق عظیمة، و ربطت بینها برباط التعاون و المساواة و الألفة و المحبة، و الدین و الخلق، فاتحدت بعد تفرق،

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۱۴

و قویت بعد ضعف، و سعدت بعد شقاء، و عزت بعد ذل. فعظم قدرها و علا شأنها، و أحکم أمرها، فغیرت وجه التاریخ، و فکت الحصر الذی ضربته دولة الفرس و دولة الروم. و فتحت بلاد الأعداء الذین کانوا یکیدون لها و یعملون علی مضایقتها. و لا زالت الدولة الإسلامیة تنتقل من فتح إلی فتح و من نصر إلی نصر، و عاشت قویة عزیزة، تقدرها الأمم، و یرهبها الأعداء و لما انحرفت عن العمل بالدین، و اتباع هدی سید المرسلین، اعتراها الضعف و الوهن، فلانت قناتها. و ذهبت هیبتها.

و قد توفی رحمه اللّه عصر یوم الاثنین ۲۵ جمادی الأولی ۱۳۸۰ ه ۱۴ نوفمبر ۱۹۶۰ و شیعت جنازته فی الیوم التالی إلی مقبرة سیدی جلال فی ۱۵ نوفمبر ۱۹۶۰.

و کتب عباس محمود العقاد فی یومیاته فی الأخبار (عدد ۲۳/ ۱۱/ ۱۹۶۰) یقول:

کان صاحب الفضیلة الشیخ إبراهیم حمروش بقیة صالحة من بقایا المدرسة الإمامیة التی استفادت من قدوة أستاذها الشیخ محمد عبده فی العنایة بعلوم اللغة و الأدب و الحکمة إلی جانب العنایة بعلوم الفقه و الشریعة.

کان الأستاذ الإمام یعنی بالأدب و اللغة فیدرس نهج البلاغة و مقامات البدیع و یعنی بالفلسفة الإسلامیة فیکتب رسالة التوحید و یعلق علی «العقائد العضدیة» و یهدی طلا به إلی أسرار حکمة الغزالی فی مطولاته و مختصراته، و یعنی بالفقه و الشریعة فیلقی دروسه فی تفسیر القرآن الکریم و یکتب تقریراته الوافیة فی إصلاح المحاکم الشرعیة.

و بهذه القدوة العالیة کان تلامیذه الأوائل یقتدون و یهتدون و منهم فقید اللغة و الفقه الأستاذ حمروش شیخ الأزهر الأسبق و عضو مجمع اللغة العربیة، الذی فقده العالم العربی و العالم الاسلامی، منذ أیام.

کان عجبا فی سرعة الشاهد من الشعر و النثر علی خاطره و علی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۱۵

لسانه، و کان من شواهده فی جلسة قریبة من جلسات لجنة الأصول بالمجمع أن بعض الزملاء تذاکروا شروط السن فسمعنا الشیخ- کعادته- عند حضور الشاهد یهمس ببیت التمیمی الذی یقول فیه:

و إن امرأ قد سار خمسین حجةإلی منهل من ورده لقریب

و هو بیت یکثر فیه تبدیل العدد علی حسب المناسبة، فصاحب البیت یقول «خمسین حجة»، و بدیع الزمان فی مقامته الأهوازیة یقول «عشرین حجة» و ... و الشیخ حمروش یرویها أولا «ستین حجة» ثم یذکر أنه جاوزها فیصلح وزن الشطر علی الثامنین، و یعود قائلا:

و ان امرأ یسعی ثمانین حجةإلی منهل من ورده لقریب

و هکذا کنا نسمع منه الشواهد الحاضرة حین یستشهد بها فی موضعها من الدلالة علی الأحکام اللغویة، ثم یتصرف فیها- متبسطا- علی حسب الحالة الحاضرة کما یقول:

و لم یکن من المتشددین فی استناده إلی أقوال الشعراء و الرواة، فانه کان علی خلاف علماء اللغة الذین یقفون بالحجة عند اقوال المخضرمین- یتوسع فیستشهد أحیانا بأقوال العباسیین من أمثال بشار و أبی نواس، بل یستشهد أحیانا بأقوال المولدین المتأخرین إذا

درجت فی مدارج الاستعمال الشائع، و یظرف غایة الظرف حین تسمعه فی وقاره و سمته یروی بیتا لأبی نواس أو لبشار لا یتحرج فیه هذا و لا ذاک، و لا یبالی الشیخ لغوهما إذا کان فیه حجة «اللغویین» ... و قد ینطقها أحیانا بفتح اللام من «اللغو» لا من «اللغة» تفکها منه علی حسب المقام.

و کثرا ما کان یعزز حجة «النحوی» بحجة الفقیه «المنطیق».

و کثیرا ما کان یسأل عن مقابل الکلمة باللغات الأجنبیة لیضعها فی موضعها من المعنی و الترکیب، و لا نذکر أنه حصر رأیه قط فی أفق ضیق

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۱۶

من التقلید أو التقیید، و لکنه کان مثلا للعالم السلفی الذی یرعی حق القدیم و لا ینسی فی غیرته علیه حق الجدید.

و کتب الشیخ محمد علی النجار عنه یقول :

تعلقت بأسبابه ، و وصلت حبلی بحبله فی سنة ۱۹۳۷ حین عملت فی التدریس فی کلیة اللغة العربیة و کان عمیدها، فأولانی من عطفه، و أخذ بضبعی، و کان لی منه الخیر الکثیر.

صحبته إذن، و قد استوی علی صهوة المجد و الشرف الباذخ. فهو من رجالات الأزهر و أولی الأمر فیه، و هو عضو فی مجمع اللغة العربیة، و هو حجة فی علوم الدین و اللغة.

کان جامعا بین الحزم فی سیاسة الکلیة و تدبیر الأمور فی الأزهر، و الاضطلاع بالمطالب العلمیة التی یتطلبها المجمع و الأزهر.

کان ساهرا علی رعایة الکلیة، خبیرا بما فیها، لا یشذ عنه شیء من أحوالها. حریصا علی أن تتبوأ المرکز اللائق بها، فکان یختار لها المدرسین الکفاة من الأزهر و غیره، و کان ینظم امتحان مسابقة لدخول الطلاب فیها، و لم یکن ذلک مسنونا فی قانون الأزهر، و لکنه الحرص علی أن یکوّن طبقة ممتازة من الطلاب.

و لقد کان یطوف بحجر الدراسة فی الیوم غیر مرة، و یسأل الطلبة فی دروسهم، و یقف علی درجة تقدمهم و تخلفهم، و یطب لکل مقام بما یقتضیه.

و لقد مرت فتن سیاسیة و أعاصیر هوج کان الطلبة یسلکون فیها فی بعض الحین مسلک الشطط و النزق، فکان یعالج الأمر بالحزم و الکیاسة،

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۱۷

یخلط الشدة باللین، و المخاشنة بالمحاسنة، فیعود الطلبة طوع یدیه، یأتمرون بأمره و یقفون حیث أحب

و لقد بلغت کلیة اللغة العربیة أوج مجدها، و کانت غرس یدیه.

و ترک کلیة اللغة إلی کلیة الشریعة فی ۲۴ من أکتوبر سنة ۱۹۴۴ م فأصلح من شأنها، و قوم من أودها، و ثقف من قناتها، و کان له فیها أثر محمود حتی استقال من ریاستها فی ۲۳ من دیسمبر سنة ۱۹۴۵ م علی أثر أمور فی الأزهر لم ترضه. و لکنه بقی عضوا فی جماعة کبار العلماء.

و أسند إلیه منصب مشیخة الأزهر فی ۳۰ من ذی القعدة سنة ۱۳۷۰ ه (۲ من سبتمبر سنة ۱۹۵۱ م) و بقی متقلدا هذا المنصب الجلیل حتی یوم ۹ من فبرایر سنة ۱۹۵۲ م.

و کان الوطن فی أیام تولیه مشیخة الأزهر فی محنة مع الإنکلیز فی قناة السویس و فی حاجة إلی جمع الصفوف و توحید الکلمة، فکان للشیخ السهم الموفور فی هذه الدعوة الشریفة.

فنراه ینشر علی الناس فی یوم ۱۵/ ۱/ ۱۹۵۲ کتابا یقول فیه:

«أیها المصریون، أتوجه إلیکم فی هذه الظروف التی غشیتکم فتنتها، و حزبتکم شدتها، أن تکونوا إخوانا فی الوطن متآخین متحابین،

رائدکم الإخلاص لبلادکم و أنفسکم «و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ریحکم».

«و إن شر ما تبتلی به الأمم فی محنتها أن تتفرق کلمتها، و أن تنحل وحدتها، و تنقطع أواصر المودة بین جماعاتها، فیشق العدو الطریق إلیها، و ینفذ بسهامه إلی صدور أبنائها».

«و هذه مصر، بلادکم العزیزة و وطنکم المحبوب تناديکم جمیعا، شیبا و شبانا، رجالا و نساء، أقباطا و مسلمین، أن تکونوا سهاما مسددة نحو عدوها، و أن تلقوا الغاصب صفا واحدا کأنکم بنیان مرصوص، بقلوب لا تعرف إلا الوطن و الدفاع عن حوزته».

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۱۸

«و أذکرکم- حتی لا یغیب عن أذهانکم- تاریخ هذا الغاصب الرابض فی دیارکم، و ما اعتاده من سیاسة التفریق طلبا للسیادة و رغبة فی السلطان و بسطا للنفوذ، لمصلحته هو لا لمصلحة أحد سواه. و أذکرکم جمیعا مسلمین و أقباطا بماضیکم المجید. فقد قمتم کتلة واحدة تطالبون باستقلال البلاد و استکمال حریتها، و تبوئها مکانة سامیة بین الأمم. و أشهدتم العالم کله علی وحدتکم و ائتلافکم».

«و إنی أعیذکم باللّه من التفرق و اختلاف الکلمة، فتضیع جهودکم الکبیرة التی بذلتموها فی سبیل عزتکم و عزة بلادکم».

«و اعلموا أن النصر المؤزر لقضیتنا رهن باتحاد صفوفنا و اجتماع کلمتنا، و وقوفنا جمیعا فی وجه عدونا، حتی تظفر بلادنا بما تصبو إلیه من السیادة و الحریة و الاستقلال، و یتمتع أهلها جمیعا بالأخوة الصادقة و الاطمئنان علی أموالهم و أنفسهم».

و حین اشتد حنق الإنکلیز فی القناة و الإسماعیلیة فأنزلوا عذابهم علی القری الآمنة أصدر الشیخ منشورا جاء فیه:

«إن شعب وادی النیل الباسل فی کفاحة السلمی لإخراج المغتصبین المحتلین من بلاده لم یجاوز حقه الشرعی فی الدفاع عن عقیدته و المطالبة بحریته، و لکن هذا الدفاع لم یرق فی أعین المحتلین من الإنجلیز، فعملوا بکل الوسائل العدوانیة علی توهین وحدته، و اندسوا فی صفوفه، یشیعون الأراجیف لتفریق کلمته. فلما واجههم الشعب وحدة متراصة، و قام فی وجههم علی قلب رجل واحد یطالب بحقه فی الحیاة الحرة طاشت أحلامهم و لجئوا إلی القوة الغاشمة یسلطونها علی الآمنین فی دیارهم، و علی النساء فی خدورها، و علی الأطفال فی مهادها».

«و کلما زاد الشعب تمسکا بحقه و صبرا علی هذا العنت زاد عسفهم، و تعددت مظالمهم، حتی خرجوا علی کل شرعة، و بزوا کل ما عرف من أعمال التنکیل التی اشتهرت بها محاکم التفتیش، و ما قام به النازیون من

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۱۹

أعمال وحشیة، فأزالوا القری الآمنة من الوجود بدباباتهم، و هدموا البیوت بمدافعهم الثقیلة، و شردوا النساء و الأطفال الأبریاء، و انتهکوا کل الحرمات، و اعتدوا علی المساجد و الکنائس، و لم یبق جرم إلا ارتکبوه، و لا شناعة إلا فعلوها. و لم تقف شناعتهم عند حد، فراحوا یطلقون النار علی حفظة الأمن و رجال الشرطة، و یقتلونهم تقتیلا فی رائعة النهار، و یأسرون من نجا منهم ...».

«و إنی باسم الأزهر علمائه و طلابه لأعلن استنکاری لهذا الإجرام الفظیع الذی انتهکت فیه الأعراض، و استبیحت الأموال و اعتدی علی حریة الإنسان و حقه المشروع فی أن یطالب بحریته و استقلاله، و احتج بشدة علی هذه الأعمال العدوانیة التی تنافی جمیع الشرائع و الأدیان. و أهیب بالضمیر العالمی أن یثور علی هذا الوضع المهین لکرامة الإنسان، و أن یهب لوقف هؤلاء المستبدین عند حدهم، لیعلموا أن فی العالم ضمائر تتحرک لنصرة الحق، و نفوسا تثور للأخذ بید العزل المکافحین لنیل حریاتهم ..».

«و لیعلم الإنجلیز أن هذه الفظائع التی یصبونها علی رؤوس أبنائنا لن تلین للشعب قناة، و لن ترده عن المطالبة بجلائهم الناجز عن وطننا العزیز، و أن وادی النیل کله لن یسکت بعد الیوم علی ضیم یراد به، و لن یفرط فی حق من حقوقه، مهما ابتلی بالشدائد و مهما ضحی من أرواح غالیة ...».

«و إنی إذ أستمطر رحمة اللّه و رضوانه علی شهدائنا الأبرار أتوجه إلی أبناء الوطن جمیعا مناشدا إیاهم أن یشدوا من عزائمهم، و ألا یجعلوا لهذه الأحداث أثرا فی نفوسهم، فلا یهنوا و لا یحزنوا و لا یضعفوا، و هم الأعلون إن شاء اللّه. فلا بد للجهاد من تضحیة و

للحریة من ثمن یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ».

و إن النیل من الإنجلیز و جبههم بالغلیظ من القول فی ذلک العهد لم یکن بالسهل الهین، و لا یقاس به عهدنا الحاضر الذی نعمنا فیه بجلائهم و ذهاب سلطانهم عنا. فقد کان الانکلیز لا یزال لهم من السلطان علی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۲۰

صاحب القصر و رجاله الشیء الکثیر، و کان القدح فیهم لا یطور به من ذوی المناصب إلا من لا یتمسک بمنصبه، و یؤثر الحق علی زینة السلطان و جلاله الکاذب، و أکبر الظن أن إقالته من المشیخة ترجع إلی هذا المنزع السیاسی الذی ضاق به الإنکلیز.

و إنی أقص هنا سیرة الشیخ و نشأته حتی استوی سیدا جلیلا.

ولد الشیخ فی قریة الخوالد التابعة لمرکز إیتای البارود من أعمال مدیریة البحیرة فی العشرین من شهر ربیع الأول ۱۲۹۷ ه (أول مارس ۱۸۸۰ م) و نشأ فیها فحفظ القرآن الکریم حین بلغ الثانیة عشرة من عمره، و أرسله والده إلی الأزهر، و کان یحکی أن والده إذ ودعه حین ذاک أوصاه أن یحافظ علی الصلاة لأول وقتها، و حافظ الشیخ علی هذه الوصاة طوال حیاته، فإذا دخل الوقت کان أکبر همه أن یؤدی الصلاة، و فی یوم وفاته قدر له أن صلی العصر، و لم یلبث أن وافاه الحمام.

و جاور الشیخ فی الأزهر فأخذ عن الشیوخ المنتفعین الذین کان الأزهر ملآن بهم. و کان الشیخ ذکیا ثقفا لقفا عرف بالذکاء و الزکانة طول دهره، فحصل تحصیلا عجبا، و فطن لدقائق العلوم، و استحکمت عنده الملکة الأزهریة.

و قد تلقی الفقه الحنفی عن الشیخ أحمد أبی خطوة و اختص به، و کان یثنی علیه کثیرا، و أخذ عن الشیخ محمد بخیت و أخذ النحو علی الشیخ علی الصالحی المالکی. و لزم الأستاذ الإمام الشیخ محمد عبده فی دروسه فأخذ عنه أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز و البصائر النصیریة فی المنطق. و قد یرجع إلی تلمذته للشیخ محمد عبده الفضل فی تحرر فکره و اتساع أفقه و حسن التصرف فیما یعلم.

و کان إلی جانب اشتغاله بعلوم الدین و اللغة یشتغل بالعلوم الریاضیة، و کان ریاض باشا رحمه اللّه قد أعد مکافآت مالیة لمن یفوز فی امتحانات الریاضة ففاز الشیخ فی هذه الامتحانات غیر مرة.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۲۱

و قد أتم تحصیله فی سنة ۱۳۲۴ ه (۱۹۰۶) و تقدم لامتحان شهادة العالمیة و کان صغیر السن بین أقرانه فی ذلک الحین. و کان امتحان العالمیة فی أصول الفقه یکون فی مسألة من مسائل مقدمة جمع الجوامع، و رأی شیخ الأزهر الشیخ عبد الرحمن الشربینی تجاوز المقدمة و الامتحان فی مسألة أخری حتی لا یقصر الطلبة جهودهم علی المقدمة، فعیّن مسألة للامتحان فی القیاس فتخلف عن الامتحان کثیر ممن جاء موعد امتحانهم، فأبیح التقدم لم بعدهم و تقدم الشیخ ففاز فی امتحان دقیق کان شیوخنا یحدثوننا عن عسره و کان الطالب یقضی فی الامتحان سحابة نهاره، و لکن الشیخ لم یتجاوز ثلاث ساعات، و کان الامتحان فی أربعة عشر علما.

و عقب تخرجه نظم فی سلک مدرسی الأزهر فی ۲۱ من نوفمبر سنة ۱۹۰۶. و کان رحمه اللّه أحیانا یتحدث بما أفاء اللّه علیه من النعمة، و ما کان علیه الأزهر فیقول: کان مرتب المدرس فی الأزهر خمسة و سبعین قرشا فی الشهر، و لقد کان أول ما تسلمته بعضا من هذا القدر إذ کان دخولی فی التدریس فی أعقاب الشهر، و لقد کان فرحی بهذا المال الذی هو أول مال اکتسبته من الأزهر عظیما: إذ کان فیه و صلی لحبلی بحبال علماء الأزهر. و قد اختیر لتدریس الریاضة بعد، و کان یتقاضی علی ذلک خمسین و مائة قرش فی الشهر، و هو مع ذلک یدرس العلوم الدینیة و اللغویة. و یذکر بعض من تلقی العلم عنه فی هذه المدة فیقول: کان الشیخ جمیل البزة مونقها غیر متزمت فی هدیه، یلقی الدرس فی ترتیب عجیب و سیاق لطیف یأخذ بألباب السامعین، یبعد عن الحشو و التطویل و اللغو من القول، و لا یطیل فی المباحث اللفظیة، له نغمة حلوة فی الإلقاء تجذب الطلاب.

و فتحت مدرسة القضاء الشرعی فی ذلک العهد، و کان علی أمرها عاطف برکات رحمه اللّه، و کان یختار لها من الأزهر المبرزین

الفوقة، فذكر له الشيخ فاختاره، و كان ذلك فى سبتمبر سنة ۱۹۰۸ فبقى فيها إلى ۱۲ يونية سنة ۱۹۱۶ م. و قام فيها بتدريس الفقه و أصول الفقه، فتخرج

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۲۲

عليه الثقات الكفاة الذين تقلدوا مناصب القضاء، و الإفتاء، أذكر منهم الشيخ فرج السنهورى، و الشيخ حسنين مخلوف، و الشيخ حسن مأمون.

و الشيخ علام نصار، و غيرهم كثير.

و ولى بعد المدرسة منصب القضاء الشرعى، فكان القاضى الفاضل الذكى البصير بالأحكام و مكايد الخصوم، الصادع بالحق، الناطق بالفضل، و كان أخوه الشيخ أحمد حمروش قاضيا، و كذلك كان عمه الشيخ عبد الحميد حمروش قاضيا، فهو من أسرة تأثل فيها هذا المنصب الرفيع. و لقد عرفه فى ساحة القضاء الشيخ المراغى رحمه اللّه، فلما ولى مشيخة الأزهر نقله إلى الأزهر يستعين به فى أمره، فكان له فى الأزهر اليد الطولى فى شؤونه و تقلب فى مناصبه حتى صار شيخا لكلية اللغة العربية فى ۱۳ يونية سنة ۱۹۳۱.

و تتوج حياته العلمية فى الأزهر بدخوله فى جماعة كبار العلماء فى ۲۸ من صفر سنة ۱۳۵۳ ه (۱۰ من يونية سنة ۱۹۳۴ م). و قد قدم لنيل هذه الدرجة رسالة جليلة فى «عوامل نمو اللغة» تدل على تحقيق و دقة نظر فيما تناول من المسائل، يقول فى مقدمتها:

«و بعد: فإن اللغة العربية بفضل عواملها المتعددة رحب صدرها، و اتسع نطاقها، و كثرت مادتها، و تنوعت أبنيتها، و صار لها جمال المنطق و جلال الدلالة و حسن الديباجة و لطف العبارة، و قد وسعت بتلك العوامل علوم اليونان و الفرس و غيرهما؛ و صارت لغة العلم و الدين».

«و قد كتبت كلمة فى التوليد بالزيادة و الإبدال و القلب و الاشتقاق و الترادف و الاشتراك و المجاز و النحت و الارتجال و التعريب».

و أذكر هنا مبحث للتعريب فى ختام الرسالة ليكون نموذجا لمباحثها.

و عنوان البحث: «أثر التعريب»: «فى التعريب زيادة مادة اللغة بالألفاظ الدخيلة فيها، و قد أجرت العرب على بعضها أحكام الألفاظ العربية من القلب و الاشتقاق و غيرهما، و قد جرى العلماء على تسمية ما أدخله العرب

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۲۳

بالمعرب، إلى أن اختلطت العرب بغيرها و فسدت اللغة و ما أدخله غير العرب بعد فساد اللغة و الاختلاط بالأعاجم سموه مولدا، و هناك قسم آخر يسمى بالعامى، و هو ما أخذ من غير مادة عربية، أو من مادة عربية و لكن بتحريف و تبديل لا تجيزه قواعد اللغة».

«بقى الكلام الآن فى أمر هو محل نزاع الباحثين و موضع اهتمامهم، و هو أن المعانى الجديدة، و المستحدثات العصرية كثرت و تعددت بعد أن وقف التعريب، و أصبحت اللغة العربية لا- تنهض بالدلالة على تلك المعانى و لا- تقوم بحاجة التعبير عنها، فهل للموجودين أن يعربوا ألفاظ المعانى و المستحدثات تمشيا مع الحاجة، و دفعا للضرورة و رفعا لعيب نقص اللغة العربية عن الاضطلاع بحاجة أبنائها»؟.

«ذهب فريق إلى التعريب، و قال: إن اللغة كائن حى كسائر الموجودات و كل موجود حى يتدرج فى الرقى، و كما تدرج أهل اللغة يجب أن تتدرج اللغة، و إن التعريب يؤدى إلى اتحاد لغة العلم، و يحفظ للمخترع اسمه، و يبقى له ذكره».

و ذهب فريق إلى أنه لا حاجة إلى التعريب و أن اللغة العربية يمكن أن تنهض بالدلالة على المعانى الجديدة باتخاذ الوسائل المؤدية إلى ذلك، فعندنا مهجور فى اللغة لا يستعمل الآن، و بنقله إلى المعانى الجديدة يقوم بالدلالة على بعضها و يتداول بين الناس فتحيا به اللغة العربية. و عندنا المجاز، و هو يدل على غير الموضوع له بواسطة العلاقة و القرينة و علاقاته كثيرة متعددة، و عندنا المشتق، و منه قسم مطرد».

«و بهذه الوسائل يمكن اللغة العربية النهوض بالدلالة على المعانى الجديدة».

«علی أن فی التعریب فشو الکلمات الدخیلة فی اللغة، و هو یودی باللغة الفصیحة، و یذهب بجمالها و رونقها. و فی ضیاع اللغة الفصیحة

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۲۴

تعطیل الأداة الصالحة لفهم القرآن و الحدیث، و هما عماد الدین و إلیهما یرجع المسلمون». الأزهر فی ألف عام ؛ ج۱ ؛ ص۳۲۴

و فی جواز التعریب ضیاع أخص ممیزات الجنس العربی؛ لأن الجامعة الجنسیة لا تکون بغیر اللسان العام الذی یتفاهم به الجمیع علی السواء. فلو تساهل کل شعب فی استعمال ألفاظ أعجمیة لضاعت روابط الجنسیة، و أصبح لکل شعب لسان خاص».

و أما أن التعریب یوحد لغة العلم و یحفظ للمخترع اسمه فکلام لا یلتفت إلیه؛ فإن اتحاد لغة العلم إنما یکون إذا اتحدت أبجدیات الأمم و هی مختلفة جدا. و حفظ اسم المخترع لا نبالی به إذا کان فی عدم الالتفات إلیه صیانة اللغة العربیة».

«هذا حاصل کلام الفریقین باختصار. و أری أنه إذا أمکن باتخاذ الوسائل المتقدمة أو باتخاذ وسائل أخری غیرها أن تنهض اللغة العربیة للدلالة علی جمیع المعانی و المستحدثات العصریة فلا نقدم علی التعریب حفظا للغتنا العربیة التی هی أداة فهم القرآن و الحدیث اللذین هما أساس الدین و عماده. و إن لم یمکن أن تقوم اللغة بعد اتخاذ الوسائل بالدلالة علی جمیع المعانی أقدمنا علی التعریب بقدر الحاجة فقط، مع المحافظة علی اللغة الفصحی، بأن نذکر اللفظ و نذکر بجانبه معناه، و أنه مما عرب للدلالة علیه، و نبین تاریخ التعریب، فیکون ما وضعه المتقدمون معروفا، و ما ألحق باللغة معروفا، فتتحقق المحافظة علی الموروث عن السلف».

و أرانی قد ألممت ببعض حیاته فی الأزهر، و سألم ببعض حیاته فی المجمع.

دخل الشیخ- رحمه اللّه- المجمع لأول نشأته فی سنة ۱۹۳۴ م فاختیر فی معظم لجانه، و شارک فی بحوثه، و کان من الرعیل الأول الذین أرسوا قواعد المجمع و أقاموا عمده. و کان له فیما یعرض فی اللجان

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۲۵

و مجلس المجمع و مؤتمره الرأی السدید و البصر النافذ و اللحظ الناقد و البحوث المستفیضة فی الشؤون العلمیة.

و من آرائه أن اللفظ المولد إذا اشتهر یستعمل فی غیر اللغة و الأدب.

و عرض المجمع فی بعض جلساته لرسم المصحف و طلب إلی الشیخ أن یکتب رأیه، فکان رأیه الوقوف عند الرسم المعهود له، و لا ینبغی کتابته بالرسم العادی: لأنه عرضة للتغییر و التبدیل فی کل عصر، فلو أبیح هذا لتعدد رسم المصحف، و کان مظنة لأن یعزی إلیه الاختلاف فحفظ القرآن و صونه یقضی بإبقاء رسمه علی الکتبة الأولی.

و قدم أحد الأعضاء المراسلین بحثا فی کلمة «الضرر» رأی قصره علی الزمانة و فقد البصر و أنه مصدر لفعل لازم علی زنة فرح، و إن لم یجیء هذا الفعل فی المعاجم، و أنه لا یقال: أصاب فلانا الضرر فی ماله أو فی حمیمه مما لیس بداء لازم و خطأ الجوهری فی جعله الضرر اسما بمعنی الضر، و ارتاب فی الحدیث: لا ضرر و لا ضرار، و أثار مسألة الاحتجاج بالحدیث فی اللغة فقدم الشیخ بحثا رد به حجج هذا الباحث و أورد من الشواهد ما لا یقبل الجدل؛ کقول جریر:

فإن تدعهم فمن یرجون بعدکمأو تنج منها فقد أنجیت من ضرر

و قول أبی تمام:

لو کان فی البین إذ بانوا لهم دعةلکان فقدهم من أعظم الضرر

و له بحث قیم فی التضمین و نیابة بعض الحروف عن بعض، و بحث فی الاشتقاق الکبیر.

و کان الشیخ- رحمه اللّه- عجیب الاستحضار لما یقرأ و یسمع، کثیر المحفوظ من الشعر، حسن الاستشهاد به فی المقامات المناسبة، جری مرة فی لجنة الأصول الحدیث فی التضمین، و أنکر بعض الحاضرین أن یضمن فعل متعدّ معنی فعل آخر متعد، فقال الشیخ: أذکر قول الشاعر:

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۲۶ علفتها تبنا و ماء باردا. و قد قال اللغویون: إن علف هنا مضمّن معنی أطعم، و کلاهما متعد.

و کان بیته محجة أولی العلم ینهلون من مورده العذب، و یجدون ما طاب من حدیث فی دقائق العلم ممزوجا بفکاهة حلوة و طیب سمر، و کان الشیخ طیب النفس بعیدا عن التزمت مؤنسا للجلیس لا یمل مجلسه. و فی یوم الجمعة الذی توفی بعده اجتمع الشیوخ عنده عقب الصلاة فجری البحث فی تفسیر قوله تعالی: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ».

و أفاض الشیخ فی الحدیث فیها، و کان الشیخ یفسح الکلام لمن یتکلم و یعقب برأیه السدید.

و لقد طویت صفحات خالدة من تاریخ الأزهر الحدیث بوفاة الأستاذ الأکبر الشیخ إبراهیم حمروش شیخ الأزهر الأسبق، فقد عاصر رحمه اللّه مدرسة محمد عبده فی الإصلاح الدینی، و اشترک فی نشاطها، و کان أحد أقطابها، و کان الإمامان المراغی و حمروش یمثلان عنصر الشباب فی هذه المدرسة التی تتجه بکل کفاحها إلی خلق بیئة دراسیة مستقرة فی الأزهر، و تکوین أجیال من الشباب المثقفین ثقافة واسعة تحیط بشتی علوم الشریعة و العربیة، و تتمثل فیهم رسالة رجل الدین الروحیة و العلمیة .. و کان حمروش یمثل الجانب العلمی لهذه المدرسة خیر تمثیل، فی دروسه و هو شاب مکافح، و فی توجیهه للتعلیم فی الأزهر و هو فیه مفتش فشیخ معهد فعمید لکلیة اللغة و عضو فی جماعة کبار العلماء فرئیس للجنة الفتوی، و فی ندواته اللیلیة الدائمة فی منزله فی القلعة و قد کان کعبة العلماء و المفکرین، حیث کانت تعرض أمامه مشکلات الدین و الثقافة فیفتی فیها برأی سدید، و حکمة نافذة، تعد خیر توجیه لرواد مجلسه، و لم تحل مهامه الإداریة حین تولی مشیخة الأزهر الشریف فی أکتوبر عام ۱۹۵۱ حتی نوفمبر عام ۱۹۵۲ و بین عقد هذه الندوة کما کانت من قبل.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۲۷

و کان منزل حمروش مفتوحا دائما للناس و لمختلف طبقات الشعب یستفتونه فی مشکلاتهم الروحیة، و یطلبون معاونته فی مصالحهم الشخصیة و هو یبتسم دائما لا تعرف «لا» طریقا إلی لسانه.

و قد اختیر حمروش عضوا فی المجمع اللغوی منذ ان نشأ و اشترک فی نشاطه اللغوی الکبیر، و أسس کثیرا من لجانه، و وجه أعمال المجمع وجهة تفید العرب و تراثهم و لغتهم و الثقافة العربیة العامة.

لم یترک حمروش کتبا مطبوعة و إن کانت له کتب مخطوطة لم تطبع بعد، إنما ترک أفکارا قیمة فی نفوس تلامیذه و مریدیه، و جمیع علماء الأزهر الیوم و شیوخه من تلامیذه و مریدیه، و ترک منهجا علمیا یستضاء به دائما فی إصلاح الأزهر، و ترک ذوقا علمیا یستفاد منه فائدة جلی و ترک مع ذلک کله قدوة طیبة تعد خیر نبراس یرشد إلی الحق و الخیر و العزة و الغیرة علی الدین و علی الوطن و علی المبادیء المثلی التی دعا إلیها الإسلام و کتابه الحکیم.

و قد کان حمروش رحمه اللّه مثالا للوطنیة النزیهة لم یحن رأسه للطغاة، و لم یتملق احدا فی حیاته کائنا من کان، و سار فی الصفوف الأولی مع الشعب فی المظاهرة الوطنیة الکبری فی نوفمبر ۱۹۵۱ احتجاجا علی جیش الاحتلال و أعماله فی منطقة القتال .. حقا لقد کان مثالا عظیما، و عنوانا کریما لرجل الدین المعاصر و صفحة خالدة من تاریخ الأزهر الحدیث.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۲۸

الأستاذ الأکبر الشیخ محمّد الخضر حسین

عین الشیخ الخضر حسین شیخا للأزهر فی یوم الأربعاء ۲۷ من ذی الحجة ۱۲۷۱ ه- ۱۷ سبتمبر ۱۹۵۲.

و کان أحمد تیمور فی مقدمة الذین قدروا فضیلة الأستاذ الشیخ محمد الخضر حسین شیخ الجامع الأزهر السابق حین قدم مصر من أکثر من ربع قرن- و قد عثر السید خلیل ثابت رئیس لجنة نشر المؤلفات التیموریة بین آثار العلامة أحمد تیمور علی ترجمة لحیاة الشیخ محمد الخضر حسین- هذا نصها:

ولد بمدینة نفطة بالقطر التونسی فی ۲۷ رجب سنة ۱۲۹۳ و اشتغل بالعلم و حفظ القرآن الکریم و قرأ بعض الکتب الابتدائیة فی بلده، و فی آخر سنة ۱۳۰۶ رحل مع أبیه و أسرته إلی القاعدة التونسیة فاشتغل بالطب ثم دخل الکلیة الزیتونیة سنة ۱۳۰۷ فقرأ علی أشهر أساتذتها و تخرج علیهم فی العلوم الدینیة و اللغویة و نبغ فیها و فی غیرها، فطلب لتولی بعض الخطط العلمیة قبل إتمام دراسته فأبی و واظب علی حضور حلقات الأکابر مثل الشیخ عمر ابن الشیخ و الشیخ محمد النجار و کانا یدرسان التفسیر و الشیخ سالم بو حاجب و کان یدرس صحیح البخاری.

ثم رحل إلی الشرق فی سنة ۱۳۱۷ و لکنه لم یبلغ طرابلس حتی اضطر إلی الرجوع بعد أن أقام بها أیاما فلازم جامع الزیتونة یفید و یستفید، إلی سنة ۱۳۲۱ ه، فأنشأ فیها مجلة- السعادة العظمی- و لاقی فی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۲۹

سبیل بث رأیه الإسلامی ما یلاقیه کل من سلک هذا السبیل. و فی سنة ۱۳۲۳ ولی القضاء فی مدینة بنزرت و التدریس و الخطابة بجامعها الکبیر، ثم استقال و رجع إلی القاعدة التونسیة، و تطوع للتدریس فی جامع الزیتونة، ثم أحیل إلیه تنظیم خزائن الکتب بالجامع المذکور- و فی سنة ۱۳۲۵ اشترک فی تأسیس جمعیة زیتونیة، و فی هذه المدة جعل من المدرسین المعینین بالجامع المذکور. و فی سنة ۱۳۲۶ جعل مدرسا بالصادقیة و کلف بالخطابة فی مواضیع إنشائیة بالخلدونیة، و لما قامت الحرب الطرابلسیة بین الطلیان و العثمانیین کان من أعظم الدعاة لإعانة الدولة و نشر بجریدة الزاهرة قصیدته الشهیرة لتی مطلعها:

ردوا علی مجدنا الذکر الذی ذهبایکفی مضاجعنا نوم دها حقبا

ثم رحل إلی الجزائر فزار أمهات مدنها، و ألقی بها الدروس المفیدة، ثم عاد إلی تونس و عاود دروسه فی جامع الزیتونة و نشر المقالات العلمیة و الأدبیة فی الصحف.

و فی سنة ۱۲۳۰ سافر إلی دمشق مارا بمصر ثم سافر إلی القسطنطینیة فدخل یوم إعلان حرب البلقان فاختلط بأهلها و زار مکاتبها، ثم عاد الی تونس فی ذی الحجة من هذه السنة و نشر رحلته المفیدة عنها و عن الحالة الاجتماعیة بها ببعض الصحف، ثم جعل عضوا فی اللجنة التی ألفتها حکومة تونس للبحث عن حقائق فی تاریخ تونس ثم ترک ذلک لما عزم علی المهاجرة إلی الشرق فرحل إلیه، و نزل مصر و عرف بعض فضائلها ثم سافر إلی الشام ثم للمدینة المنورة ثم إلی القسطنطینیة ثم عاد إلی دمشق معینا مدرسا للغة العربیة و الفلسفة بالمدرسة السلطانیة بدمشق، و بقی کذلک إلی أن اتهمه مدة الحرب العظمی جمال باشا حاکم سوریا بکتم حال المتآمرین علی الدولة و اعتقله ستة أشهر و أربعة عشر یوما ثم حوکم فبرىء من التهمة فأطلق سبیله فی شهر ربیع الثانی سنة ۱۳۳۵ و من شعره فی حبسه و کانوا حالوا بینه و بین أدوات الکتابة:

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۳۰ غل ذا الحبس یدی عن القلم کان لا یصحو عن الطرس فناما

هل یذوذ الغمض عن مقلتهأو یلاقی بعده الموت الزؤاما

أنا لو لا همة تحدو إلیخدمة الاسلام آثرت الحماما

ثم استمر علی التدریس بالمدرسة بدمشق إلی أن دعی إلی القسطنطینیة سنة ۱۳۳۶. ثم هاجر الی استنبول بعد عام و عمل محررا بالقلم العربی بوزارة الحربیة، ثم أرسلته الحکومة إلی المانیا للقیام بعمل سیاسی و هو تذکیر الأسری هناک بظلم فرنسا ثم رجع إلی الشام فدرس الفقه بالمدرسة السلطانیة العربیة .. و بعد أن احتلت فرنسا الشام بعشرة أیام هاجر إلی مصر فی عام ۱۳۲۹ ه. ثم نال الشهادة العالمیة بالأزهر و تولی التدریس بکلیة أصول الدین و التخصص اثنتی عشرة سنة.

و تولی ریاسة تحریر مجلة الأزهر و لواء الإسلام و ریاسة جمعیة الهدایة الإسلامیة و اختیر عضوا بهیئة کبار العلماء ۱۹۵۱، و هو إلی ذلک عضوا بمجمع اللغة العربیة منذ أنشیء. و قد استقال فضیلته من المشیخة فی ۲ جمادی الألی ۱۳۷۳ ه- ۸ ینایر ۱۹۵۴ و توفی رحمه اللّه فی ۱۴ من رجب عام ۱۳۷۷ ه.

و قد نعی الأزهر فی یوم الاثنین ۱۴ رجب سنة ۱۳۷۷ عالما إسلامیا جلیلا و مجاهدا من الرعیل الأول ممن أبلوا البلاء الحسن فی کفاح الاستعمار: الأستاذ الأکبر الشیخ محمد الخضر حسین شیخ الأزهر السابق و رئیس جمعیة الهدایة الإسلامیة، عن نیف و ثمانین عاما قضی معظمها فی التدریس و فی الکتابة و التألیف و فی جهاد مریر فی شبابه دفاعا عن حقوق عرب شمال افریقیا و غیرهم من أقطار العروبة.

ولد الفقید الجلیل فی وطنه الأول فی بلدة «قفصة» من مقاطعة الجرید بتونس و نشأ فی بیت علم ینتمی أصله إلی الجزائر، و شرع فی طلب العلم فی بلدته ثم أتم تعلیمه فی جامعة الزیتونة، و تخرج منها و مارس بعد تخرجه التدریس ثم القضاء، کما قام بإنشاء أول مجلة علمیة

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۳۱

أدبیة بالمغرب، ثم رحل إلی ترکیا، و أقام بها وقتا قصیرا ثم حضر إلی دمشق حیث عین مدرسا بمدرستها الثانویة الوحیدة یومذاک،- و کانت تعرف بمدرسة عنبر- و ظل فی دمشق إلی أوائل الحرب العالمیة، ثم رجع إلی استانبول فانتدبته الدولة العثمانیة إلی برلین مع بعثة مؤلفة من کبار علماء شمال افریقیا للاتصال بأبناء شمال افریقیا ممن وقعوا فی أسر الألمان أثناء الحرب و بانتهاء الحرب عاد إلی دمشق مدرسا فی نفس المدرسة و کان العهد عهد الحکومة الفیصلیة الوطنیة ..

و کانت الحکومة الفرنسیة قد حکمت علیه بالإعدام، لانضمامه إلی الدولة العثمانیة و لذهابه إلی ألمانیا- کما مر ذکره- فما أن دخلت فرنسا سوریا حتی غادرها جمیع الأحرار من المجاهدین العرب و کان منهم الفقید الشیخ الخضر فجاء إلی مصر حوالی عام ۱۹۲۰ م و ظل فیها بعض الوقت مغمورا ثم عرف فضله و مکانته فعین أولا مصححا بدار الکتب المصریة.

و فی هذه الأثناء صدر فی مصر کتابان شهیران أحدثا دویا فی ذلک الوقت فی الأوساط الفکریة و هما کتاب «الإسلام و أصول الحکم» للعالم الأزهری الشیخ علی عبد الرازق و کتاب «فی الشعر الجاهلی» للدکتور طه حسین، و نظرا لما اشتمل علیه هذان الکتابان من آراء مضللة تصدی بعض کبار الباحثین للرد علی کل منهما، و کان للمرحوم الشیخ محمد الخضر حسین فضل الرد علی کلا الکتابین حینئذ حیث أفرد لکل منهما کتابا مستقلا کانا من خیر ما کتبه الکاتبون فی هذا المجال.

و ظل الفقید یعمل مصححا بدار الکتب بضع سنوات إلی أن منح شهادة العالمیة الأزهریة ثم تعین مدرسا بالأزهر و کان ذلک فی عهد الشیخ المراغی .. و أخیرا تعین عضوا فی هیئة کبار العلماء و هو المنصب الذی أهله فیما بعد لأن یصبح شیخا للأزهر ..

و عقب تعیینه مدرسا بالأزهر أنشأ جمعیة الهدایة الإسلامیة بمصر و ظل یرأسها و یرأس مجلتها إلی عهد قریب، کما کان أول رئیس تحریر

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۳۲

لمجلة نور الإسلام و هی المجلة التی أصدرتها مشیخة الأزهر سنة ۱۳۴۹ ه.

و للشیخ محمد الخضر حسین یرجع الفضل فی تکوین جمعیة تعاون جالیات افریقیا الشمالیة فی مصر قبل حوالی عام ۱۹۲۴ م، و کان یرأس هذه الجمعیة بنفسه، و هدفها رفع مستوی تلک الجالیات من الناحیتین الثقافیة و الاجتماعیة.

غیر أن هذه الجمعیة لم تعش طویلا، لأن استعمارا ثلاثیا: إیطالیا و فرنسیا و إسبانیا کان لها بالمرصاد فقضی علیها فی سنواتها الأولی ..

و للفقید الکبیر عدا کتابیه السالفی الذکر، محاضرات و رسائل عدیدة مطبوعة و متداولة، و هو کاتب بلیغ و له دیوان شعر مطبوع، و قد اشتهر بمقالاته و بحوثه فی کبری المجلات الإسلامیة.

و عندما صدرت مجلة لواء الإسلام لصاحبها الوزیر السابق الأستاذ أحمد حمزة کان الشیخ الخضر یرأس تحریرها و ظل بها إلی أن عین شیخا للأزهر، ثم استأنف نشر مقالاته فیها بعد تنحیه من المشیخة، و آخر مقالاته فیها فی جزء رجب الأخیر.

کما کان عضوا فی مجمع اللغة العربیة بمصر منذ إنشائه قبیل الحرب العالمیة الثانیة.

و کتب الأستاذ أنور الجندی عن محمد الخضر حسین یقول:

«کان نظام التعلیم فی المعهد الزیتونی من أسباب تنافس أصحاب المذهبین: المالکی و الحنفی فی میدان العلم، و قد أخرج جامع الزیتونة فقهاء یعتزون بعلمهم و یزهدون فی المناصب، أدرکت من هؤلاء فقهاء و أساتذة بلغوا الغایة فی سعة العلم و تحقیق البحث، مثل عمر بن الشیخ، و أحمد بن الخوجة و محمد النجار، و من نظر فی فتاوی هؤلاء الأساتذة أو رسائلهم التی حرروا بها بعض المسائل العویصة رآهم کیف یرجعون إلی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۳۳

الأصول و القواعد و مراعاة المصالح، و لا یقنعون بنقل الأقوال دون أن یتناولوها بالنقد و المناقشة.

و یدلنا التاریخ القریب علی أن بعض رجال الدولة التونسیة عندما اتجهوا الی إصلاح الحالة السیاسیة أو العلمیة أو الاجتماعیة، و جدوا فقهاء یدرکون مقتضیات العصر، و یعرفون کیف تسعها أصول الشریعة بحق، فکانوا یعقدون منهم بعض لجانهم، و یستنیرون بآرائهم مثل أساتذتنا: عمر ابن الشیخ، و سالم أبو حاجب، و مصطفی رضوان، و ما زال الرسوخ فی الفقه، و ربط الأحکام بأصولها، من مواضع عنایة الأساتذة فی جامعة الزیتونة لهذا العهد، یشهد بهذا ما نقرؤه فی محاضراتهم و مقالاتهم التی تنشر فی الصحف التونسیة و المصریة.

کانوا یدرسون الفقه بأنظار مستقلة، و آراء تستضیء بالأدلة و یتفاضلون فیها علی قدر تفاضلهم فی العبقریة وسمو الهمة ..».

لا ـ شک کان محمد الخضر حسین علما من أعلام الفکر المغربی الإسلامی، مکافحا وطنیا، و مغتربا فی سبیل الحفاظ علی حریة الکلمة، و أقام کابن خلدون بقیة عمره فی مصر، و رقی فیها إلی أعلی المناصب، و عمل فی میدانی الإصلاح الإسلامی و القیاسی اللغوی، و عمل فی التدریس و الصحافة و الکفاح الوطنی، و لقد أتیح له أن یقاوم حرکات التغریب بدعوته إلی إنشاء جمعیة الشبان المسلمین، و کانت مجلته و قلمه من ألسنة الدفاع عن المغرب و قضایاه، و معلما قویا یستصرخ المشارقة حین یکشف لهم عن مؤامرات الاستعمار و یدعوهم إلی مقاومة التغریب و التجنیس و الفرنسة، فهو منذ أقام فی مصر بعد الحرب العالمیة الأولی یحمل هذه الرسالة، و یعمل فی کل هذه المیادین: الإسلام و اللغة و الکفاح السیاسی.

و کان محمد الخضر حسین مستنیرا متفتح الذهن یدعو إلی الإصلاح علی أساس قاعدة علمیة واضحة، فهو یعتمد الرأی حیث یثبته الدلیل،

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۳۴

و یتقبل الحکم متی لاحت بجانبه حکمة، و یثق بالروایة، بعد أن یسلمها النقد إلی صدق الغایة ...

و من رأیه أن علی العلماء قول کلمة الحق لأهل الحل و العقد دائما، و عدم التوقف عنها.

«لا ـ ینبغی لأهل العلم أن یغفلوا عن سیر أرباب المناصب و الولایات، فمن واجبهم أن یکونوا علی بینة من أمرهم، حتی إذا أبصروا عوجا نصحوا لهم بأن یستقیموا، أو رأوا حقا مهما لفتوا إلیه أنظارهم، و أعانوا علی إقامته.

و من أدب العلماء أن ینصحوا للأمة فیما یقولون أو یفعلون، و یحتملوا ما ینالهم فی سبیل النصیحة من مکروه، و کم من عالم قام فی وجه الباطل فأوذی فتجلد للأذی».

و قد کانت حیاة الخضر حسین رمزا علی هذا المعنی، معنی طلب الحریة و الهجرة من بیئة الظلم، فقد فر من تونس و من الشام و من ترکیا، و کان فراره لیحتفظ لنفسه بحقه فی الکلمة، یقول: «نشأت فی بلدة من بلاد الجرید بالقطر التونسی یقال لها «نقطة» و کان للأدب المنظوم و المنثور فی هذه البلدة نفحات تهب من مجالس علمائها، کان حولی من أقاربی و غیرهم من یقول الشعر، فتذوقت الأدب من أولی نشأتی. و حاولت و أنا فی سن الثانیة عشرة نظم الشعر. و فی هذا العهد انتقلت أسرتی إلی مدینة تونس، و التحقت بطلاب العلم بجامع الزیتونة «و کان ذلک عام ۱۸۹۹، أحب أستاذه الشیخ سالم أبو حاجب الذی کان یحثه علی البحث»، و یلاقی

السؤال المهم بابتهاج، و يدعو للطالب بالتفتح يقول: «كان يقول الشعر مع كونه يغوص على المسائل العلمية بفكر ثاقب» و كان الشيخ أبو سالم قد رفض و سام السلطان و وسام الباى، فأحب منه الشيخ الخضر هذا الاعتداد بالنفس، «بعد أن نلت درجة العالمية أنشأت مجلة علمية أدبية، و هى أول مجلة أنشئت بالمغرب، فأنكر على، بعض الشيوخ، و ظن أنها تفتح باب

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۳۵

الاجتهاد، و شجعنى على إنشائها شيخنا أبو حاجب، كما شجعنى عليها الوزير محمد أبو عنور.

كانت خطته الإصلاح الاجتماعى و الدينى، و العمل لإعادة مجد الإسلام، و لكنه لم يلبث أن اختلف مع السلطات بشأن العمل فى القضاء، بعد أن وليه فى بنزرت ۱۹۰۵، إذ فضل العودة إلى التدريس فى الزيتونة، فلما خاطبته المحكمة الفرنسية ۱۳۲۵ ه بالعمل فى المحكمة عضوا ليحضر حكمها بين الوطنى و الفرنسى، امتنع و لم يقبل أن يصدر الحكم الجائر.

و استقر رأيه إثر ذلك على الهجرة إلى الشرق، فاستوطن دمشق عام ۱۹۱۲، و كانت تحت سلطات العثمانيين، فنصب للتدريس فى المدرسة السلطانية فى كرسى الشيخ محمد عبده.

ثم اعتقله جمال باشا حاكم الشام، و رحل إلى الآستانة فأسند إليه التحرير بالقسم العربى بوزارة الحربية، و حين احتل الحلفاء الآستانة رحل مع زعماء الحركة الإسلامية عبد العزيز شاويش و عبد الحميد سعيد و الدكتور أحمد فؤاد.

و عاد إلى دمشق ۱۹۱۸ فى عهد الحكومة العربية لفيصل، و عهد اليه بالتدريس فى المدرسة السلطانية، و لكن فرنسا لم تلبث أن بسطت سلطانها على سوريا فترك دمشق إلى القاهرة ۱۹۱۹، و فى مصر عرف الشيخ أحمد تيمور باشا الذى كان خير رفقائه، و كان له فضل واضح فى إنشاء جمعية الشبان المسلمين مع السيد محب الدين الخطيب صاحب الفتح. كما أنشأ من بعد جمعية الهداية الإسلامية و مجلة الهداية الإسلامية، و تولى ثمة مجلة لواء الإسلام و (مجلة الأزهر)، و اتصل بالأزهر و نال إجازته، و عمل فى كلياته، و اختير عضوا فى جماعة كبار العلماء، فشيخا للأزهر عام ۱۹۵۲، و عضوا فى مجمع اللغة العربية.

و تطلع إلى مجد المغرب و حريته.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۳۶

و قد كانت مجلة الهداية: مجلة مغربية واضحة الدلالة، فى كتابتها و أبحاثها، و دفاعها عن مختلف المواقف الوطنية و الإسلامية و العربية، و رأس جبهة شمال افريقيا، التى ضمت الرجال الذين سعوا نحو مصر من أجزاء المغرب العربى.

و كان الشيخ الخضر كاتبا و شاعرا له شعر كثير جيد، و قد وصفه الفاضل ابن عاشور فقال: كان كاتبا بليغا ذا طبع خاص و أسلوب قوى الروح الأدبية، فصيح العبارة بليغ التركيب، ينزع إلى طرائق كتاب الترسل الأولين، رحل عام ۱۹۱۲ إلى مصر و سورية و تركية، فكتب رحلة بديعة نشرت فى مجلة الزهرة، طافحة بانتقاداته و أفكاره.

و أشار إلى مجلة السعادة العظمى (التى أصدرها فى تونس ۱۹۰۴) فقال: انها كانت مركزا للحركة الفكرية وقوة توجيهية متصلة بجميع أهل الثقافة العربية يجتمع تحتها شقان متباعدان ... و لم تدم إلا عاما ناقصا.

و للخضر حسين: مؤلفات متعددة أهمها:

محمد رسول اللّه، رسائل الإصلاح، آداب الحرب فى الإسلام، القياس فى اللغة العربية، هذا بالإضافة إلى عشرات الفصول و المقالات فى صحف مصر و المغرب و الشام ...

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۳۷

الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج

قرر مجلس الوزراء فى جلسته المنعقدة يوم الخميس ۲ جمادى الأولى سنة ۱۳۷۳ (۷ يناير سنة ۱۹۵۴) الموافقة على قبول الاستقالة

المقدمة من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر، و اختار لهذا المنصب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج عضو جماعة كبار العلماء و أستاذ الشريعة الإسلامية فى كلية الحقوق بجامعة إبراهيم و عضو لجنة وضع مشروع الدستور.

و فى يوم السبت ۴ جمادى الأولى (۹ يناير) صدر قرار مجلس الوزراء الخاص بتعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخا للأزهر، و قد أبلغته السكرتيرية العامة لمجلس الوزراء إلى فضيلته.

و فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج مولود بمدينة أسيوط سنة ۱۳۱۴ (۱۸۹۶) و نال شهادة العالمية بالمرتبة الأولى سنة ۱۳۴۱ (۱۹۲۳) و شهادة التخصص بالمرتبة الأولى أيضا سنة ۱۳۴۵ (۱۹۲۶) و عين بعد تخرجه مدرسا بمعهد أسيوط الدينى ثم نقل إلى المعهد الأزهرى سنة ۱۹۳۱ ثم اختير أستاذا بكلية الشريعة سنة ۱۳۵۲ (۱۹۳۳). و فى سنة ۱۳۵۵ (۱۹۳۶) اختير عضوا فى أول بعثة للأزهر إلى أوربا و مكث فى فرنسا سبع سنوات و ثلاثة أشهر. و نال الدكتوراه من جامعة السوربون، و عاد من فرنسا سنة ۱۳۶۲ (۱۹۴۳) فاختير للتدريس فى قسم تخصص القضاء

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۳۸

الشرعى، ثم عين مفتشا للعلوم الدينية و العربية بالمعاهد الأزهرية، و عين شيخا لمعهد الزقازيق الدينى، ثم شيخا للقسم العام و البعوث الإسلامية بالأزهر، و عضوا دائما و سكرتيرا فنيا للجنة الفتوى بالأزهر و قد كان فى عضوية هذه اللجنة منذ إنشائها فى سنة ۱۹۳۵، و اختير أستاذا للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق فى جامعة إبراهيم، و حصل على عضوية جماعة كبار العلماء سنة ۱۳۷۰ (۱۹۵۱) و كان موضوع رسالته «السياسة الشرعية و الفقه الإسلامى». و اختير عضوا فى لجنة وضع مشروع الدستور الجديد عند تكوينها فى العام الماضى.

و فى صباح يوم الاثنين ۱۱ يناير توجه فضيلة الأستاذ الأكبر إلى إدارة المعاهد الدينية حيث تسلم مهام منصبه الجديد، و كانت فى استقبال فضيلة جموع حاشدة من أساتذة الأزهر و طلابه، و تعالت الهتافات بحياة فضيلته و حياة رجال الثورة الأحرار.

و قد أقبل أعضاء جماعة كبار العلماء و أساتذة الكليات و المعاهد الدينية و الموظفون الإداريون على مكتب فضيلته مهنئين. و بعد أن استمع فضيلته لكلماتهم أطل على جموع الأزهريين المحتشدين أمام مبنى الإدارة و ارتجل الكلمة الآتية:

«أشكر لكم هذه الحفاوة البالغة و هذا الاستقبال الرائع. و إنى أرجو أن يوفقنى اللّه لأن أتقدم بالأزهر إلى المكانة العالية التى كان يتبوؤها من قبل.

و إنى أبشركم بأن بوادر هذا المستقبل الزاهر المرجو للأزهر قد لمستها فى جلسات قصيرة خفيفة مع رجال هذا العهد. فقد لمست فيهم إيمانا خالصا و ضراعة إلى اللّه تعالى أن يعينهم على ما فيه خير الأزهر.

و الذى أرجوه أن ينصرف كل منا إلى واجبه و أن يحافظ على النظام.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۳۹

الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

كتب الأستاذ العقاد فى مجلة الأزهر عن الشيخ شلتوت يقول بعنوان:

«الإمام المصلح محمود شلتوت»:

فى كتابات الإمام الفقيد- الشيخ محمود شلتوت- كلمات لها طابعها الذى تتميز به بين أمثالها من الكلمات فى كتابات غيره، ممن ينهضون بأمانة الدراسة الدينية.

و لعل أبرز هذه الكلمات فى كتاباته، و فى أحاديثه، كلمة «الشخصية».

یلحقها بوصف العقیدة، و وصف الفرائض المقدسة، بل یجعل العقیدة- کما یجعل الفریضة- معلما من معالم شخصیة الأمة، و شخصیة الإنسان فی حیاته الباطنة و حیاته الظاهرة.

قال رحمه اللّه فی مفتتح مقاله عن رسالة الأزهر إن: «للإنسان فی هذه الحیاة فردا کان أم جماعة شخصیتین، حسیة و معنویة، و لا یحظی بالوجود الکامل إلا إذا نال حظه من الشخصیتین. و شخصیة الفرد الحسیة یکونها اللون و الطول و العرض، و شخصیته المعنویة یکونها إیمانه و مبدؤه و هدفه فی الحیاة، و ما له من عقل و تدبیر و ثبات و مثابرة فی سبیل مبدئه و هدفه».

ثم قال عن شخصیة الأمة الحسیة: «إنها ترجع إلی إقامتها فی

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۴۰

الإقلیم الذی نشأت فیه، و إلی الأمل الذی تنتسب إلیه» ... «أما شخصیتها المعنویة فهی ترجع إلی روابطها القلبیة و العقلیة و الشعوریة، و علی قدر ما یکون لها من التأثر بتلک الروابط المتفاعلة و الحرص علیها و علی معارفها التی تکونها، و علی الإیمان بمصدر تلک المعارف ... یکون لها بین الأمم من آثار الوجود المعنوی».

و کتب عن الصلاة فی فصل من فصول «الإسلام عقیدة و شریعة»، فقال عنها: «إنها العنصر الثانی من عناصر الشخصیة الإیمانیة».

و علی هذه الوتیرة کانت کلمة «الشخصیة» تتردد فی أحادیثه للدلالة علی قوام کل «وجود» حتی یتمیز به عقل الإنسان و ضمیره فی حیاته الروحیة، و هی لمحة من لمحات التعبیر الباطنی تدل علی معناها و تدل مع هذا المعنی علی مقدار شعوره بکرامة الشخصیة و اقترانها بحق الإنسان و واجبه و بالتبعة التی تناط بها الحقوق و الواجبات، و تقرر له موقفه من الشخصیات الإنسانیة الأخری فی إبداء الرأی و الاضطلاع بأعباء الدعوة و الإقناع.

هذه واحدة من خصال العقل المجتهد، بل هی أولی تلک الخصال فی کل ترتیب لکفایات المجتهدین. من کان له رأی و علم و لم یکن له نصیبه الأوفی من هذه الخصلة فلا سبیل له إلی الاجتهاد، لأنه یلقی العائق الأول عن أداء وظیفة الاجتهاد من قبل نفسه، و یحجم عن العمل فی سبیله قبل أن یصده غیره عن تلک السبیل.

و تلک هی الخصلة التی توافرت للأئمة الأسبقین من أصحاب الرأی و القیاس فی الشریعة، و بفضل الثقة التی کانت تملأ نفوسهم، من هذه الخصلة کانوا یقولون لمن یستکثر علیهم التعقیب علی أهل العلم من الصحابة و التابعین: إنهم رجال و نحن رجال.

و إذا اجتمع الاجتهاد فی کلمات معدودات صح أن یقال إنه هو القدرة علی الرجوع إلی روح القرآن الکریم، أو أنه بعبارة أخری تفسیر

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۴۱

المذاهب بمعانی القرآن الکریم، و لیس هو تفسیر القرآن الکریم بمعانی المذاهب أو بنصوصها أو بأقوال الرواة فیها.

و لقد کان هذا هو إیمان الإمام الفقید بالکتاب المبین، و کان هذا هو منهجه فی الاحتکام بالمذاهب إلی آیاته و أحکامه، مستقلة عما یضاف إلیها من شروح المختلفین و تأویلات أصحاب الرأی أو أصحاب اللغة من المفسرین.

و قد لخص العالم الفاضل الدکتور محمد البهی هذا المنهج فی تقدیمه لتفسیر الإمام الفقید فقال: «التفسیر الذی نقدمه الیوم للمسلمین هو تفسیر للمسلمین أجمعین، لا لمذهب معین من المذاهب الفقهیة، و لا للون من ألوان العقیدة الکلامیة و لا لاتجاه خاص من اتجاهات أهل الظاهر أو أهل الباطن».

ثم قال عن المنهج الذی اختاره الأستاذ المفسر و اقتدی فیه بالمعلم المصلح العظیم محمد عبده فقال: إنه منهج «جعل السورة وحدة واحدة، یوضح مرامیها و أهدافها و ما فیها من عبر و مبادیء إنسانیة عامة»، و أنه لا یقحم فی القرآن علی القرآن من رأی خارج عنه، أو مصطلح انتزع من مصدر آخر، فجعل کلمات القرآن یفسر بعضها بعضا کما أطلق الحریة للقرآن فی أن یدلی بما یرید دون أن یحمل علی ما یراد.

و بهذه المثابة يصبح تفسير القرآن تفسيرا للمسلمين جميعا، و عليه يقام أساس التوفيق بين المسلمين أجمعين، و هى أمانة لا يضطلع بها غير أهلها من القادرين على الاستقلال بالفهم و على مواجهة الخلاف بما ينبغى للمجتهد من الشجاعة الصادقة و وسائل الإقناع بإحسان، و ما ينبغى للمجتهد المعلم خاصة من الصمود إلى غاية التعليم، و غاية المعهد العلمى الذى يتولاه.

وصف الإمام الفقيد رسالة الجامع الأزهر معهد العلم الإسلامى

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۴۲

الأكبر. فقال فى بضع كلمات: «إنه معهد الدين و حصن اللغة المكين».

و من أراد هذه الرسالة للجامع الأزهر، فقد عرف من قبل رسالة القرآن الكريم، بل عرف المعجزة الكبرى لهذا الكتاب فى ناحية إعجازه التى لا مراء فيها، و هى معجزة الأثر الخالد التى نستطيع نحن- أبناء هذا العصر- أن ندركها و أن يكون إدراكنا لها أقوى و أوضح ممن سبقونا إلى العلم بمعجزة الكتاب المبين.

معجزة الأثر فى ألف و أربعمائة سنة أقوى و أوضح من معجزته التى شهدها أبناء القرن الأول ثم شهدها أبناء القرون الأولى بعد عصر الدعوة ... فإننا اليوم نستطيع أن ندرك تلك المعجزة التى لا- نظير لها و التى تقاصرت عنها الهمم و وقفت دونها دعوات الأفراد و الأمم، و تم بها ما يتم بعمل إله و قول إله، و هيهات أن يتم بجهد الإنسان بغير معونة اللّه.

أربعمائة مليون من بنى آدم فرقتهم الأجناس و اللغات و البقاع و الأزمان، و جمعتهم كلمات القرآن.

و كلمات حفظت اللغة التى نزلت بها و ليست هذه اللغة هى التى حفظتها، و لم يتفق قط للغة من اللغات أن عاشت بكتاب واحد مدى هذه السنين، فلم تعش لغة اليونان خمسمائة سنة بكتاب هوميروس، و لم تعش لغة اللاتين بعض هذه السنين بلغة فرجيل و هوراس، و ذهبت لغة فارس و لغة الهند و فيها من الكتب ما لا يقرأه اليوم غير كهان المحاريب، و ماتت لغات أخرى كانت تعيش قبل الإسلام و بقيت لغة القرآن حية فى عالم الديانة و فى عالم الكتابة و فى عالم الثقافة، و ستحيا غدا كما حييت بالأمس، ماشاء اللّه، و صح فيها قول الأستاذ الفقيه: «إنها ليست فى هذا المقام عربية الإقليم و الجو و لا عربية النسب إلى أصل ينتسب إليه الجنس ... و صارت عربية الشخصية المعنوية المكونة من عنصرى العروبة و الإسلام ...».

و لما تكلم عن غايته من التعليم فى المعهد الأكبر الذى تولاه قال:

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۴۳

«نريد تخريج تبريز لأئمة فى اللغة و فروعها و أئمة فى الفقه و أصوله، نريده تخريجا أساسه النظر العميق و الاجتهاد العلمى الذى يكون الشخصية الفقهية و الشخصية اللغوية العربية، لا نريده تخريجا نلتزم فيه مخلفات الماضى من آراء و مذاهب بل يجب أن نجتهد و أن نؤمن بأن حاجة اليوم فى الفقه و اللغة و عقائد الدين غيرها بالأمس، و أن نؤمن بأن فضل اللّه فى كل ذلك لم يكن وقفا على الأولين».

و نستعير من أسلوب الفقيد فنقول إن الاجتهاد كما أراده هو الاجتهاد بعناصر «شخصيته» على تمامها كما ينبغى أن يضطلع به المجتهد فى جميع العصور، و هو أتم من ذلك بالنسبة إلى عصرنا هذا الذى نعيش فيه، و بالنسبة إلى العصر المقبل الذى يواجهه المجتهدون عما قريب.

فما من عنصر من عناصر الاجتهاد إلا قد ظهر له فى هذا العصر باعث يستدعيه لم يكن ظاهرا بهذا الجلاء و هذه الضرورة فى عصر من عصوره الماضية.

فها هنا عنصر النظرة الموحدة إلى الكتاب المبين فى العصر الذى ارتفعت فيه حواجز الاستعمار الأجنبى و وجب أن تحل فى مكانها روابط القربى بين أمم الإسلام على تباعد الديار و تباعد الشيع و المذاهب التى لا بقاء لها مع توحيد النظرة إلى كتاب المسلمين أجمعين ..

و ها هنا عنصر اللغة فی عصر النهضة العربیة و قوامها کله نهضة الثقافة العربیة التی تتحد بها ثقافة الإسلام فی جمیع اللغات.

و ها هنا عنصر «الاستقلال» فی عصر الحریة الفکریة أو عصر «الإنسان» الحر فی الجماعة الحرة، و قد مضت الجماعات فی طریقها إلی الخلاص من طغیان الاستبداد و طغیان الاستقلال.

و ها هنا العصر الذی أصبح فیه معهد الإسلام الأکبر کما قال الشیخ رحمه اللّه: «یضم السودانی، و المغربی، و الحبشی، و الیمنی، و الشامی،

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۴۴

و الفلسطینی، و الأندونیسی، و الترکستانی، و السعودی، و الأفغانی، و الترکی، و الروسی، و الیونانی، و الیوغسلافی، و الکردی، و العراقی، و الکویتی، و الإیرانی، و السیامی، و الباکستانی، و الفلیبینی، و الملاوی، و البرمی، و الأردنی، و اللبنانی، و الزنجباری، و الأوغندی، و اللیبی، و التونسی، و الجزائری، و المراکشی، و الأرتیری، و السنغالی، و الصومالی، و النیجیری» ... إلی غیر هؤلاء ممن وفدوا إلیه أو یتوافدون مع الأیام بلا انقطاع لا جرم کان من بشائر الأمل- کما أسلفنا فی غیر هذا الموضع- أن ینهض الشیخ شلتوت بمشیخة الأزهر فی الزمن الذی تفتحت فیه الطرق بین البلاد الإسلامیة بعد أن تحررت من الطغیان الأجنبی علیها و بین هذا المعهد الذی لا معهد فی العالم الإسلامی أولی منه بضم الشمل و تقریب مسافة الخلف بین المسلم و المسلم حینما کان فی أقاصی البلدان.

«و من عرف الإمام الفقید عرف أنه قد تزود لهذه الرسالة بزاد غیر علمه الغزیر و شجاعته الصادقة، و هو زاد القلب الطیب و السجیة الکریمة، تجمع الخصوم علی الألفة و الثقة کما تجمع الأصحاب و الأنصار».

و لقد عرفنا الشیخ الأکبر سنوات فی مجمع اللغة العربیة فتعودنا أن نعرفه «قرآنیا» فی دراسته لأسرار اللغة، قبل أن نعرفه «لغویا» فی دراسته لأسرار القرآن، و کنا نسمعه یقول: إن القرآن معجز بما هو به قرآن، و یعنی بذلک نسقه الذی ینتظم ألفاظه و معانیه و یوحی من معانیها بما لیس فی مفردات الکلم و لا فی أجزائه التی یقتضیها الإعراب فی کل عبارة ..

فلیست الکلمة الواحدة هی محل إعجاز، و لیس محل الإعجاز هو الکلمتین أو الکلمات الثلاث التی تتم بها جملة الفعل و الفاعل أو المبتدأ و الخبر و الجار و المجرور أو المضاف و المضاف إلیه، و لکنه نسق دقیق یتخطی لوازم العلاقة بین الألفاظ فی النحو و الصرف إلی لوازم العلاقة بین المعنی و الوجدان، و بین الوحی و البصیرة، مما لا تدرکه و لا تبلغ إلیه بلاغة الإنسان. و بهذه البصیرة المتفتحة تسنی له أن یفهم القرآن کتابا للمسلمین جمیعا یرجعون إلیه فیرجعون إلی مصدر واحد یبطل فیه الخلاف، أو

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۴۵

یختلف فیه المختلفون و لکن کما یختلف العقل الواحد بینه و بین نفسه فی و جهات نظره بین حین و حین، و بین اعتبار و اعتبار.

و بهذه النظرة «القرآنیة» عمل الشیخ الأکبر فی تنظیمه الدروس بمعاهد التعلیم، کما عمل علی هذه الهدایة فی علاقته بالأمم الإسلامیة و علاقته ببلاد العرب أجمعین. و الجدید فی خطته علی هذه الجادة القدیمة أنه فهم أن اللغة العربیة، أو اللغة القرآنیة، شیء یتعلمه العربی المسلم کما یتعلمه المسلم غیر العربی، فلم یکن علی المسلمین غضاضة فی هذه المساواة الشاملة، و لم یکن للعربی إیثار علی غیره؛ لأن عروبته فی هذا المنهج هی عروبة القرآن الذی یتساوی فیه المسلم و المسلم من کل جنس، و بکل لسان.

تولی مشیخة الأزهر بعد استقالة الشیخ عبد الرحمن تاج عام ۱۹۵۸، و قد رحب بتولیه المشیخة العالم الإسلامی کافة، و ظل فی المشیخة سنوات عدیدة، و فی عهده صدر قانون تطویر الأزهر الشریف

و قام برحلات کثیرة إلی بلاد العالم الإسلامی.

کان شیخ الأزهر محمود شلتوت علی موعد لا یستطیع أن یتخلف عنه .. و تحدد هذا الموعد بالذات فی (لیلة الإسراء) و (لیلة الجمعة) و فی مستشفی العجوزة .. و فی نهایة اللحظة الأخیرة لسبعین عاما، و سبعة اشهر، و عشرین یوما و خمس دقائق .. فقد صادف میلاده الساعة التاسعة و الدقیقة العشرین من مساء ۲۲ ابریل ۱۸۹۳ فی منیة بنی منصور بمحافظة البحیرة .. کانت الدقائق الخمس هی مدة

النوبة القلبية المفاجئة التى أسلم فى نهايتها روحه إلى بارئها فى ۱۳/ ۱۲/ ۱۹۶۳.

لم يكن الشيخ مرحا فى يوم من الأيام أكثر منه فى اليوم الأخير فى حياته .. فقد أفاق من العملية التى أجريت له فى الصباح بعد ۳ ساعات من إجرائها و دعا أسرته .. و ظل ينادى كلا منهم باسمه و يداعبه .. كما استدعى أحفاده الصغار و ظل يداعبهم و يبتسم لهم ابتسامة عريضة لم تفارق شفتيه طول اليوم حتى فاجأته النوبة.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۴۶

و كان آخرما عرضه عليه سكرتيره الخاص أحمد نصار و نجله المقدم الهادى شلتوت رسالة رقيقة من الخارج .. من الرئيس أحمد بن بيللا رئيس الجزائر، و برقية داخلية بعث بها من طهطا محمود عبد العزيز رفاعة يستفسر فيها عن صحة شيخ الإسلام.

كما كان آخر ما كتبه بخطه ترجمة كاملة لحياته طلبتها إحدى المجلات فى الخارج و بحثا جديدا عن تنظيم النسل و حقوق المرأة فى الإسلام و صلاحية المرأة المسلمة للمساهمة فى بناء المجتمع.

و كانت آخر الدعوات التى تلقاها الشيخ شلتوت من الخارج و لن يتمكن من تلبيتها هى دعوات لزيارة الهند و يوجوسلافيا و جنوب أفريقيا و الجزائر و اليمن و إيطاليا و ألمانياغ.

كان الشيخ شلتوت دائما محل تقدير العالمين الإسلامى و المسيحى.

و قد تلقى أخيرا عرضا من إحدى دور النشر ب ۰۰۰، ۱۵ جنيه لترجمة بعض كتبه إلى اللغات الإنجليزية و الفرنسية. كما ترجمت له عدة دول كتبه التى اصدرها و تعتبر مراجع هامة فى الشريعة الإسلامية.

و خلال رحلته الأخيرة للشرق الأقصى عام ۱۹۶۱ وضع رئيس جمهورية الفليبين طائرته الخاصة و ياوره الخاص تحت تصرفه طوال رحلته ..

و فى مؤتمر لاهاى عام ۱۹۳۷ تمكن بأبحاثه التى قدمها للمؤتمر ان يحصل على قرار إجماعى بصلاحية الشريعة الإسلامية مصدرا للتشريع فى العالم.

و قد منحته أربع دول الدكتوراه الفخرية كما منحته أكاديمية شيلى درجة الزمالة الفخرية و أهدى إليه رئيس الكاميرون قلادة تقديرا لأبحاثه العلمية. و كان الأجنبى الوحيد الذى رأس المجلس الأعلى لجمهورية أندونيسيا أثناء وجوده هناك. كما أصدر قرارا خاصا بتعيين قائد الجيش و وزير الدفاع إماما لمسجد سوكارنو بالقصر الجمهورى. و قد زاره فى منزله

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۴۷

بمصر الجديدة عدد كبير من زعماء العالم الإسلامى و رؤساء الدول، منهم الرؤساء عبد السلام عارف و السلال و أحمد بن بيللا و الإمبراطور هيلاسلاسى إمبراطور الحبشة.

إن نواب الرئيس و أعضاء مجلس الرياسة و رئيس المجلس التنفيذى و الوزراء أبو إلا- أن يشيعوا جنازته سيرا على أقدامهم من المسجد لازهر حتى الامام الشافعى تكريما لرحلته الأخيرة التى ترك وراءها أماكن خلت بفقده هى عضوية كبار العلماء التى شغلها عام ۱۹۴۱ و عضوية المجمع اللغوى التى شغلها عام ۱۹۴۶ و عضوية المؤتمر الإسلامى التى شغلها عام ۱۹۵۷ و عضوية مجلس الإذاعة الذى شغله عام ۱۹۵۰ و مشيخة الأزهر التى شغلها عام ۱۹۵۸.

الأزهر فى ألف عام، ج۱، ص: ۳۴۸

الشيخ حسن مأمون

الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر. صدر قرار جمهورى فى شهر صفر ۱۳۸۴ ه يوليو ۱۹۶۴ بتعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخا للأزهر، و يعتبر فضيلته الشيخ التاسع و الثلاثين فى تعداد شيوخ الأزهر، و من الجدير بالذكر أن منصب شيخ الأزهر شاغر

منذ ۱۳ دیسمبر الماضی إثر وفاة فضیلة الإمام الأکبر الشیخ محمود شلتوت.

و فضیلة الإمام الأکبر الشیخ حسن مأمون من مواليد عام ۱۸۹۴ بحی الخلیفة بالقاهرة، و ظل یعمل فی مناصب القضاء بمصر و السودان خمسة و أربعین عاما، و فی عام ۱۹۴۱ عین قاضیا لقضاة السودان و ظل فی منصبه ست سنوات عاد بعدها إلی القاهرة- بعد موقفه الوطنی المعروف- رئیسا لمحکمة مصر الابتدائیة الشرعیة، ثم عضوا فی المحکمة الشرعیة العلیا ثم نائبا لها ثم رئیسا، و فی عام ۱۹۵۵ عین مفتیا للدیار المصریة خلفا لصاحب الفضیلة الشیخ حسنین مخلوف إلی أن أحیل إلی الاستیداع.

و کان أن صدر القرار الجمهوری فی أواخر شهر یولیو الماضی بتعیینه إماما أکبر و شیخا للجامع الأزهر.

و ینص قانون تطویر الأزهر الذی صدر فی یونیو ۱۹۶۱ علی أن شیخ الأزهر هو الإمام الأکبر و صاحب الرأی فی کل ما یتصل بالشئون الدینیة و المشتغلین بالقرآن و علوم الإسلام، و له الریاسة و التوجیه فی کل ما یتصل بالدراسات الإسلامیة، و یرأس المجلس الأعلی للأزهر.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۴۹

و قد صدر مع القرار الجمهوری قرار آخر فی ۱۴ یولیو ۱۹۶۴ کان لصدوره بتعیین العالم الأدیب فضیلة الشیخ أحمد حسن الباقوری مدیرا لجامعة الأزهر هزة سرور غمرت الأوساط الأزهریة و غیر الأزهریة.

و الذی لا شک فیه أن الجامعة الأزهریة فی تطورها الجدید- حیث أرید لها أن تدخل معترک الحیاة فی شتی میادین المعرفة، کانت فی حاجة إلی عالم أدیب کالشیخ الباقوری، عرف عنه بالإضافة إلی علمه، سعة أفقه، و مرونة تفکیره، و تمتعه بطاقة کبری من الحیویة و النشاط.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۵۰

الأستاذ الأکبر الشیخ محمّد الفحّام

اشارة

تقدم الاستاذ الأکبر الشیخ حسن مأمون استقالته من المشیخة و عین الشیخ الدکتور محمد الفحام شیخا للأزهر و ذلک یوم الثلاثاء ۴ رجب ۱۳۸۹ ه- ۱۶ من سبتمبر ۱۹۶۹.

لقد ولد الدکتور محمد الفحام بالإسکندریة فی ۱۸ من سبتمبر سنة ۱۸۹۴ م و سلک فی تعلمه المسلک الذائع فی عصره، فحفظ القرآن الکریم، ثم لحق بمعهد الإسکندریة الدینی، و قضی به سنوات حصل فیها علی شهادته الابتدائیة و الثانویة، ثم درس بالجامع الأزهر و نال شهادته العالمیة سنة ۱۹۲۲ م.

فلما کانت سنة ۱۹۳۶ م اختار الأزهر بعثة من خیر المتخرجین فیه لیدرسوا فی باریس دراسة تمکنهم من الحصول علی الدکتوراه فی الآداب، فکان منهم الدکتور محمد الفحام.

قضی فی باریس هو و أسرته عشر سنوات، صبر فیها علی ما لقی من شدائد فی ظلمات الحرب العالمیة الثانیة، حتی حصل علی اللیسانس من السوربون، و علی عدة دبلومات ثم حصل علی الدکتوراه فی الآداب بدرجة الشرف الممتازة من جامعة باریس سنة ۱۹۴۶.

أما موضوع رسالته فکان (معجم عربی فرنسی لا صطلاحات النحویین و الصرفیین العرب) و کان هذا المعجم مناط تقدیر الأساتذة و المستشرقین

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۵۱

و ثنائهم، حتی إن أحدهم قال له: لست أظن أن عالما زار فرنسا أکثر إلماما باللغة العربیة منک.

و عاد الشیخ إلی مصر. فوجد شهرته العلمیة قد سبقته، فنهض بتدریس الأدب المقارن لطلبة کلیة اللغة العربیة بالأزهر، و بتدریس النحو بکلیة الآداب بجامعة الإسکندریة. و ما زال یتدرج فی وظائف التدریس حتی صار عمیدا لکلیة اللغة العربیة إلی أن أحیل إلی التقاعد.

و حینئذ لم یرکن إلی ما یرکن إلیه بعض المتقاعدین، بل انکب علی البحث و الدرس فی مکتبته الخاصة، نحو عشر سنوات، إلی أن اختارته الدولة إماما أکبر للأزهر الشریف سنة ۱۹۶۹ م، ثم انتخبه مجمع اللغة العربیة عضوا به و احتفل باستقباله فی ۱۲ من صفر سنة ۱۳۹۲ ه (۲۷ من مارس سنة ۱۹۷۲ م).

و شاء اللّه سبحانه و تعالی أن یرتبط الفقید بالعالم العربی و الإسلامی ارتباطا فکریا و عملیا فقام برحلات متعددة إلی کثیر من الأقطار.

زار لبنان، و مثل الأزهر فی مؤتمر ثقافی سنة ۱۹۴۷، و سافر إلی نیجیریا موفدا من الأزهر لدراسة أحوال المسلمین بها، و اقتراح حلول لمشکلاتهم، و قضی هنالک خمسة أشهر، و لم یثنه عن السفر ما زعمه له بعض المبشرین المسیحیین الذین زاروا نیجیریا من قبل أنها مقبرة الرجل الأبیض، بل خرج من داره یتلو قول اللّه تعالی: وَ مَنْ یَخْرُجْ مِنْ بَیْتِهِ مُهاجِراً إِلَی اللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ یُدْرِکْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَی اللَّهِ وَ کانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِیماً».

و کانت رحلته ذات آثار طیبة، إذ اختار بعض أبناء نیجیریا لیتعلموا بالأزهر، و تخیر طائفة من علماء الأزهر لیدرسوا هنالک، و لم تلبث نیجیریا أن حفلت بعدة مدارس و بکثیر من المعلمین العرب و القضاة العرب.

و بعد ذلک سافر إلی باکستان ثلاث مرات اتصل فیها بکثیر من علمائها، و زار کثیرا من مدارسها و معاهدها و مکتباتها.

ثم اتجه إلی موریتانیا، و أسهم فی إنشاء مکتبة إسلامیة کبیرة بها و شارک فی مناقشات إسلامیة، منحوه بعدها و ثیقة مواطن موریتانی.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۵۲

کذلک سافر إلی إندونیسیا ثلاث مرات ممثلا للأزهر، و سافر إلی أسبانیا و السودان و الجزائر و إیران و لیبیا، و زار السعودیة خمس مرات، مرتین للعمرة و ثلاثا للحج.

و للدکتور الفحام مؤلفات قیمة.

أذکر منها مذکراته فی الأدب المقارن لطلبة کلیة اللغة العربیة بالأزهر، و مذکراته فی النحو لطلبة کلیة الآداب بجامعة الإسکندریة التی ذللت مسائله المعقدة، و سهلت صعوباته.

و له کتاب عن سیبویه.

کذلک تفوق فی دراسة علم المنطق، فألف رسالة سماها (رسالة فی الموجهات) و هو طالب بالسنة الثانیة الثانویة، جمع فیها بین العلم و سهولة عرضه، فأعجب زملاؤه بما کتب، حتی إن طلاب شهادة العالمیة المؤقتة نهلوا من معین رسالته.

و کذلک تفوق فی دراسة الجغرافیة.

و له بحوث نشر بعضها فی مجلة مجمع اللغة العربیة مثل:

۱- الشیخ خالد الأزهری:

ذکر فیه المصادر الاثنی عشر التی تحدثت عنه، و عرض أسماء أساتذته، و أسماء مؤلفاته الستة عشر التی وصلت إلینا، و منها المقدمة

الأزهریة، و شرحها، و إعراب الأجوبة و شرحها.

۲- بحث آخر موضوعه سیبویه:

بدأه ببیان معنی کلمة سیبویه، فنقل ما ذکره القدماء، ثم نقل ما ذکره المستشرق کرنکو، و لم یعتمد علی ما ذکره المستشرق، بل سأل علماء اللغة الفارسیة، و انتهی إلی ترجیح أن کلمة سیبویه معناها تفاحة صغیرة لا رائحة التفاح، کما هو ذائع شائع.

و بعد هذا التمهید الشائق ذکر عدة من العلماء اسم کل منهم سیبویه هم

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۵۳

سیبویه الأصفهانی، و سیبویه المغربی، و سیبویه المصری.

ثم انتقل إلی شیخهم سیبویه البصری إمام علماء البصرة، و شیخ النحاة، و أول من لقب بهذا اللقب، فتحدث عن مولده و مکانه و تلامیذه و المناظرة التی کانت بینه و بین الکسائی.

سافر رحمه اللّه إلی فرنسا، و نال منها أرفع درجاتها العلمیة، و عاش فیها عشر سنوات، کان من المظنون أن تغیر من عاداته و من صلاته و من مظهره، وزیه، و لکنه عاد إلی مصر حریصا علی أخلاقه الإسلامیة الرفیعة، و کلفا بعاداته الطیبة التی ورثها من مصر المسلمة العریقة، و مشوقا إلی زیه العربی الذی یمیز علماء الأزهر، فلم نره إلا معمما و فی جبة و قفطان، و قد یستعیض عن الجبة المعطف السابغ الذی یسمی کاکولة.

و لم یکن یتعالم بمعرفته الفرنسیة و بإجادته لها، فیتکلف الرطانة بها حیث لا مسوغ لرطانة، و یتصید المفردات منها لیحشرها فی حدیثه حشرا حیث تسعفه الألفاظ العربیة. و لیس من عیب علی العالم باللغات أن یستشهد بها، و أن یستعین إذا ما مست حاجته أو دعت مناسبة أو کانت ثمة مقارنة و استشهاد.

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۵۵

الفهرس

الموضوع الصفحة

آراء المفکرین فی الأزهر ۵

تصدیر ۷

المقدمة ۹

الباب الأول: الأزهر خلال التاریخ ۱۱- ۱۷۲

الفصل الأول: مصر قبل إنشاء الأزهر ۱۳- ۱۸

الفصل الثانی: مصر فی ظلال الدولة الفاطمیة ۱۹- ۲۶

الفصل الثالث: تأسیس الأزهر و بدء حیاته الجامعیة ۲۷- ۴۰

الفصل الرابع: الأزهر فی ظلال الفاطمیین ۴۱- ۸۰

الفصل الخامس: الأزهر فی عهد الدولة الأیوبیة ۸۱- ۹۰

الفصل السادس: الأزهر فی ظلال دولتی المماليک ۹۱- ۱۱۴

جلال الدین السیوطی ۱۰۹

الفصل السابع: الازهر فی عهد الدولة العثمانیة ۱۱۵- ۱۵۰

الشهاب الخفاجی المصری ۱۳۵

الفصل الثامن: الأزهر بعد الحکم العثمانی ۱۵۱

فحول العلماء فی قرنین ۱۶۶

الباب الثانی: تاریخ الأزهر الحدیث ۱۷۳- ۲۲۲

الأزهر فی ألف عام، ج۱، ص: ۳۵۶

الفصل الأول: القوة الشعبیة ممثلة فی الأزهر ۱۷۵

الفصل الثانی: بعد الثورة العرابیة ۱۹۵

الفصل الثالث: الأزهر و الحرکة الوطنیة عام ۱۹۱۹ ۱۹۹

الفصل الرابع: الثورة المصریة الثالثة و الأزهر ۲۰۷

ثورة فی الأزهر ۲۱۰

النوابغ الذی تخرجوا من الأزهر ۲۱۲

اشهر رجال الأزهر فی القرن الرابع عشر ۲۱۴

نظرة إلی المستقبل ۲۱۶

ثورة التطویر فی الأزهر ۲۱۹

الأزهر الجدید ۲۲۱

الباب الثالث: شیوخ الأزهر ۲۲۳- ۳۵۳

الفصل الأول: مشیخة الأزهر و شیوخه ۲۲۵- ۲۵۸

الفصل الثانی: تراجم لبعض شیوخ الأزهر ۲۵۹

الشیخ الظواهری ۲۵۹

الشیخ المراغی ۲۶۴

الشیخ مصطفی عبد الرازق ۲۸۰

الشیخ الشناوی ۲۹۶

الشیخ عبد المجید سلیم ۳۰۶

الشیخ حمروش ۳۰۸

الشیخ الخضر حسین ۳۲۸

الشیخ عبد الرحمن تاج ۳۳۷

الشیخ شلتوت ۳۳۹

الشیخ حسن مأمون ۳۴۸

الشیخ محمد الفحام ۳۵۰

[الجزء الثانی]

اشارة

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم

إن للعلم أزهرا یتسامی کسماء ما طاولتها سماء

حین وافاه ذو البناء، و لو لامنّة اللّه ما أقیم البناء

رب إن الهدی هداک و آیابک نور تهدی به من تشاء

مذ تناهی أرخت باب علومو فخار به یجاب الدعاء

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۷

[ادامه باب الثالث]

[تتمه فصل الثانی تراجم لبعض شیوخ الازهر]

الأزهر للشاعر عزیز أباظة

منبر فی ثری الکنانة قدسی تتمنی لو قد حوته الثریا

ما ارتقی الانبیاء أعرق منه شرفا سامقا و عتقا سنیا

إنه الأزهر الشریف أجد اللّه فی صحنه السنا العربیا

و اجتباه مجاهدا خاشی اللّه مقیما حدوده مخشیا

درجت حوله القرون فلم تعرفه تحت الأحداث إلا جریا

سل طواغیت کل عصر بمصر کیف هابوا المعمم الأزهریا

آنسوا فیه مغاویر عمرو شبها واضح السمات جلیا

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۸ عزة عفة و أنفا حمیاو إباء علی الهنات عصیا

فإذا ما دعاه للحق داع لم یبت ناکلا و لا قعدیا

فی حمی الأزهر الرحیب و فی افنائه الحانیات عشنا ملیا

یوم هبت تذود عن عرضها مصر کمی منها یباری کمیا

و المنایا من حولهم حاشدات یتخطفن رائحات غدیا

نبذ الأزهر المتون و ألقی بالحواشی و انقض لیثا عتیا

سل أبناؤه إلی النصر عزما حیدریا و صارما خالدیا

یا أبا الجامعات فی الشرق و الغرب و یا شیخها الوقور الفتیا

کم بنیت الأفذاذ فکرا و علما عبقری منهم یلی عبقریا

الأشداء فی یقین و دین و الارقاء فی السجود البکیا

النواوی و المراغی و العدوی و الرازقی و البشریا

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۹ و البحیری من محلة نصر مالیء العصر کابن رشد دویا

مصلحا مخضعا فتاواه للفکر و حبرا مجددا سلفیا

یتحری النقلی فی العلم بالبحث و یغزو بعقله العقلیا

صفوة من بنیک عزت بهم مصر و کادت علوا تشق السمیا

لست أحصی و لا أخصص بل أجنیت من زحمة الحلی حلیا

من رسول الأزهریین شیخاو فتیا و دانیا و قصیا

أدرکوا الصدع قبل أن یصبح الصدع علی الرائبین صعبا عصیا

و شباب یستمرئون ذلیل العجزوردا رنقا و مرعی و بیا

رکبوا الجهل و السهولة و الوشک و لیست للراشدین مطیا

أرسلوا الشعر طمطمات فلا غربی نسج سدوا و لا شرقیا

و انتحوه کأنما هو ثأر حین رضوا وزنا و هضوا رویا

مذهب من مذهب السوء یطوی بجلال الفصحی العداء الضریا

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۰ یتعدی بهدمها فض شمل العرب فضا کما نثرت العصیا

یتعدی بهدمها أن یبیت الدین لا راعیا و لا مرعیا

و استباحوا کرامة الحق و الفن دعی منهم یمالی دعیا

هاتکا حرمة المعاییر و الأخطار حتی عدوا الفصاحة عیا

فغدا الذم عندهم أن یقولواشاعر یؤثر البیان السریا

أو یقولوا أسف و اعتاقه العجز فجاری الشریف و البحتریا

أو یقولوا عن کاتب ما له هان فأمسی أسلوبه جاحظیا

أنه الزیع فاضربوا حوله الایمان سدا یوأد دنیا شقیالا و من أنزل القرآن علی المبعوث الحق مرسلا و نبیا

لن تضام الفصحی و فینا کتاب اللّه یتلی صبیحة و عشیا وعد اللّه أن یصون حماها إنه کان وعده مقضیا

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۱

الباب الرابع أعلام من الأزهر فی العصر الحدیث

اشارة

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۳

الشیخ محمّد عبده و أثره فی الإصلاح الدینی ۱۲۶۶ ه- ۱۹۰۵ م

ولد الأستاذ الإمام الشیخ محمد عبده، فی إحدی قری مدیریة البحیرة. و فی مکتب القریة حفظ القرآن و تعلم القراءة و الکتابة، ثم انتقل إلی الجامع الأحمدی فی طنطا، فإلی الجامع الأزهر بالقاهرة، لتلقی العلم، علی أن طرق التدریس التی کانت متبعة حینذاک فی الأزهر لم ترقه. حتی إذا جاء السید جمال الدین الأفغانی إلی مصر، اختلط به، و أخذ عنه کثیرا من مبادیء الفلسفة و المنطق، و تدرب علی الکتابة فی الصحف السیاسیة.

فلما نفی السید الأفغانی بعد ذلک من البلاد، کان مما قال لمریدیه: «قد ترکت لکم الشیخ محمد عبده، و کفی به لمصر عالما».

و عمل الأستاذ الإمام مدرسا فی المدارس الأمیریة، و محررا فی «الوقائع المصریة». و تولی الکتابة فی بعض دواوین الحکومة. حتی قامت ثورة العرابیین فاتهم بممالأتهم و نفی من مصر، فأقام بسوریا ست سنین ألقی خلالها کثیرا من الدروس. ثم نزح إلی باریس حیث أصدر مع السید جمال الدین جریدة «العروة الوثقی». و بعد العفو عنه و عودته إلی مصر عین مستشارا فی محکمة الاستئناف

الأهلیة، و عضوا فی مجلس إدارة الأزهر، ثم أسند إلیه منصب مفتی الدیار المصریة.

و یعد الشیخ محمد عبده حامل لواء الإصلاح الدینی فی العالم

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۴

الإسلامی فی العصر الحدیث، فقد قضی حیاته فی تنقیة الدین من الشوائب التی طرأت علیه، و تقریب المسلمین من أهل التمدن الحدیث لیفیدوا من ثمار مدنیتهم، و کذلک اشتهر بصراحته فی فتاواه الدینیة، و تفسیره القرآن بما یطابق أحکام العقل، و یحل الإسلام من قیود التقلید، و قد طالما هاج علیه جماعة الجامدین و أنصار بقاء القدیم علی قدمه، و لکنه لم یعبأ بهم، و مضی فی سبیله قدما لتحقیق برنامجه الإصلاحی العظیم.

تولی الأستاذ الإمام منصب القضاء فعین فی ۷ یونیة ۱۸۸۸ نائب قاض بمحکمة بنها، ثم رقی قاضیا من الدرجة الثانیة بمحکمة المنصورة، فقاضیا من الدرجة الأولی بمحکمة مصر من ۷ ینایر ۱۸۹۲، و فی ۲۱ نوفمبر ۱۸۹۵ رقی نائب مستشار بمحکمة الاستئناف،- و لم یکن یوجد غیرها- و ظل بها إلی أن وقع علیه الاختیار مفتیا للدیار المصریة فی ۵ یونیة ۱۸۹۹.

کان الأستاذ الامام قاضیا بمحکمة عابدین- و کانت أهم محاکم العاصمة فی ذلک الحین- فاطمأن الکافة إلی قضائه، و قال فیه ذوو الرأی من أهل عصره: «إنهم لا یذکرون إن کرسی القضاء فی تلک المحکمة قد ازدان بمثله و أن الوقار و الهیبة و الجلال کانت تفیض فی أفقها» و قال فیه أحد شیوخ المحامین رحمة اللّه علیه: «کان محمد عبده یصدر الحکم و یشفعه أو یسبقه بدروس و مواعظ یلقیها علی المحکوم علیه أمام الجمهور إلقاء یشعر الجماهیر و المحکوم علی نفسه أنهم فی حضرة أب و مصلح کبیر.

و ترجع صلة محمد عبده بجمال الدین الأفغانی (۱۲۵۴ ه- ۱۸۳۹ م- ۱۳۱۴ ه- ۹ مارس ۱۸۹۷ م)- إلی شهر المحرم عام ۱۲۸۸ ه- ۲۲ مارس ۱۸۷۱ م، حین نزل جمال الدین مصر، و کان یعرفها من قبل قلیلا، و لکنه فی هذه المرة اندمج فی حیاتها الأدبیة و الاجتماعیة، و تردد علی دار إبراهیم بک المویلحی، و کانت قائمة فی حارة الأمیر حسین بشارع محمد علی، و هی فی ذلک الوقت ندوة المفکرین و العظماء و القادة، فلما

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۵

أجری علیه ریاض باشا رزقا شهریا قدره عشرة جنیهات مقابل بقائه فی مصر و لو لم یؤد عملا، استأجر منزلا فی حارة الیهود، و یقول الشیخ محمد عبده:

إن طلاب العلم عرفوا الأفغانی عند ذلک و «اهتدوا إلیه و استوروا زنده فأوری، و استفاضوا بحره ففاض درّا، و حملوه علی تدریس الکتب فقرأ من الکتب العالیة فی فنون الکلام الأعلی و الحکمة النظریة طبیعة و عقلیة، و فی علم الهیئة الفلکیة و علم التصوف و علم أصول الفقه الإسلامی، و کانت مدرسته بیته من أول ما ابتدأ إلی آخر ما اختتم».

و فی هذه المرة بقی جمال الدین فی القاهرة فترة أطول، و هی الفترة التی کون فیها مدرسته و بث فیها رسالته، و اتصل بتلمیذه و صفیه الشیخ محمد عبده.

بقی الشیخ جمال الدین یدرس و یدعو دعوته الإصلاحیة، و یشارک فی کل أمر ذی خطر من حیاة مصر فی ذلک العهد أکثر من ثمانی سنین حتی نفی الشیخ من مصر ف سنة ۱۲۹۶ ه إلی الهند مرة اخری.

و یقول الشیخ الباقوری:

إن أحدا لا- یستطیع إلا أن یری فی الأستاذ الإمام قائدا زعیما یحرص أشد الحرص علی إیقاظ الرأی العام و تنبیهه من غفوته بشتی الأسالیب و مختلف الوسائل، حتی یکون له أن یمیز ما للحاکم من حق الطاعة علی الشعب و ما للشعب من حق العدل علی الحاکم، لأن الحاکم بشر یصیب و یخطیء.

و یقظة الرأی العام من طریق الصحافة النزیهة و التربیة الاجتماعیة السلیمة و إعداد القادة المستنیرین الغیاری علی صالح الأمة، هی

الوسيلة القادرة بالقدرة على تقصى الحقائق و درس المسائل درسا وافيا و إبداء الرأى فى أمانة و إخلاص.

و لئن كان الأستاذ الإمام قد سلك فى بيروت عاصمة لبنان الشقيق مسلكا قرب فيه بين مختلف المذاهب و الأفكار و الطوائف، فإن عمله فى

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۶

مصر بعد أن عاد من المنفى لم يكن أقل قدرا من عمله فى لبنان، فقد عمل على دعم الوحدة الوطنية فى لبنان، و كان كثير من شيوخ الأمة فى ذلك الوقت على مثل رأيه السياسى كسعد زغلول، و حسن عاصم، و محمود سليمان و غيرهم من رجال حزب الأمة، و لكنه هو جم من هذه الناحية أكثر مما هو جم أصدقاؤه الذين كانوا على مثل رأيه، لأن الخديو عباس كان يؤلب عليه أكثر مما يؤلب عليهم، ثم لأن الناس اعتادوا أن يروا علماء الدين بعيدا عن السياسة.

لقد كان الشيخ محمد عبده- بما وهبه اللّه من غزارة علم و بعد نظر و قوة نفس و رحابة صدر- شيئا كبيرا لا يقدره حق قدره إلا أولئك الذين يتخلصون من كبرياء الغرور، و تسلط النزوات فيحكمون عليه بأنه إن لم يكن أفضل زعيم حكيم فإنه فى الصدارة من حكماء الزعماء الذين تحتاج إليهم الأمم إبان نهضتها و على طول تاريخها، بحيث تخسر الإنسانية كثيرا بالتجهم لهم و التهجم عليهم فى حياتهم و بعد مماتهم.

و ليس يخفى ما كان الشيخ قد لقى من العنت و دناءة الخصومة و عقوق قومه له و جحود فضله عليهم، فكانت حربهم له من جهات متعددة، فالخديوى عباس يتخذ السيد توفيق البكرى و غيره وسيلة للإفساد بينه و بين رجال الأزهر و تحريض أعضاء مجلس الإدارة على الاستقالة حتى يحل محلهم من يكرهون الشيخ لكى يقفوا فى سبيله. و كثير من شيوخ الأزهر يخاصمونه لانه كان لا يكف عن الدعوة إلى تحرير الأفكار من قيود التقليد حتى يكون للمفكرين أن يفهموا الدين على طريق سلف الأمة قبل ظهور الخلافات المذهبية.

و لا ريب فى أنه أيقظ الشعور الدينى و أشعر المسلمين بأن عليهم أن يهبوا من رقدتهم لإصلاح نفوسهم و إكمال نقصهم غير معتمدين على الفخر

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۷

بماضى أسلافهم، بل ساعين إلى أن يبنوا من جديد لحاضرهم و مستقبلهم فى حياتهم كما بنى أسلافهم.

فهو أبدا داع إلى أن العقل يجب أن يحكم كما يحكم الدين، فالدين عرف بالعقل و لا بد من اجتهاد يعتمد على الدين و على العقل معا حتى يستطيع المسلمون أن يواجهوا الاوضاع الجديدة فى المدينة الجديدة مقتبسين منها ما يفيد و ينفع، و إذا كان المسلمون لا يستطيعون ان يعيشوا فى عزلة فلا بد لهم من أن يتسلحوا بما يتسلح به غيرهم، و اكبر سلاح فى الدنيا هو العلم. و اكبر عمدة فى الأخلاق، هو الدين و من حسن حظ المسلمين إن دينهم يشرح للعلم صدره حاضا عليه غير ضائق بالأخلاق الفاضلة التى تدعو إليها المدنية الحاضرة.

ان الشيخ- مع هيبته وحدته- كان طيب القلب سليم الصدر وفيا لأصدقائه لطيف الحديث سمح النفس ينصف الناس فى الحق حتى من نفسه.

و من أعجب ما يعجب له الذين يحبون أن يعرفوه على حقيقته أن يطلب إلى فاضل من فضلاء علماء المسلمين النيل منه حتى يتخذ من ذلك ذريعة إلى تعيينه شيخا لعلماء مدينة الاسكندرية فتتهيأ بذلك له السبيل إلى إصلاح الأزهر من مدينة الاسكندرية و قد عجز عن ذلك الإصلاح فى مدينة القاهرة و ذلك- على ما يروى السيد رشيد رضا- أن الإمام أشار على الأستاذ الشيخ محمد شاكر قاضى قضاة السودان أن يظهر السخط عليه لاستمالة الخديو تمهيدا لتعيينه شيخا لعلماء مدينة الإسكندرية، إذ كان من المعروف لدى الخديو أن الشيخ محمد شاكر هو من حزب الشيخ محمد عبده و من رجاله و أنه هو الذى اختاره للسودان و سعى لجعله قاضى القضاة فيه، و

بهذه الحيلة من الرجلين الكبيرين محمد عبده و محمد شاكر لطف اللّه بعباده العلماء و أراد ألا يبقى حالة الإسكندرية على ما كانت عليه من الخلف و تعطيل الأعمال فتقرر انتخاب الشيخ شاكر شيخا لعلماء الإسكندرية و صدر الأمر العالى بذلك فى ۲۶ إبريل سنة ۱۹۰۴.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۸

و لا يجهل الناس أن هذه منقبة للأستاذ الإمام تذكر فى تاريخه كما تذكر كبار المناقب لكبار المصلحين .

و يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق: لم يكن الإمام أول من أحدث فى الأزهر حركة تجديد، فإن حركة التجديد الأولى ترجع إلى عهد قبل ذلك، و من مظاهر هذه الحركة اختيار شيوخ الأزهر من الأذكياء ذوى الوجاهة و حسن السياسة من غير مراعاة لما كانت تجرى به التقاليد فى هذا الباب، فإن الشيخ مصطفى العروسى الذى ولى مشيخة الأزهر من سنة ۱۲۸۱ ه إلى ۱۲۸۷ ه- ۱۸۶۴ م- ۱۸۶۹ م و الشيخ محمد العباسى المهدى الذى اختير على أثره شيخا للأزهر سنة ۱۲۸۷ ه ۱۸۷۰ م لم يكونا من أسن شيوخ عصرهما، و لا من أوفرهم شهرة بالتدريس و العلم.

و قد أبطل الشيخ العروسى كثيرا من البدع الدينية و أقال جماعة ممن يدرسون فى الأزهر بلا استحقاق و عزم على عمل امتحان لمن يريد التدريس ففاجأه العزل من منصبه، و جاء من بعده الشيخ المهدى فوضع سنة ۱۲۸۸ ه- ۱۸۷۱ م أول قانون للأزهر يحصر مواد الدروس و يبين طريقة الامتحان، و فى عهده عنى بإصلاح الأزهر ليصل بذلك إلى إصلاح المحاكم الشرعية .. فالغرض من هذا الإصلاح كان تخريج قضاة المحاكم الشرعية تخريجا نظاميا تتم به المشاكلة مع صورة التخريج لقضاة المحاكم المدنية.

و هذا الاتجاه فى إصلاح الأزهر هو بعينه ما أعرب عنه الخديوى عباس فى خطبته بقصر عابدين فى حفلة الإنعام بالخلعة على الشيخ عبد الرحمن الشربينى شيخ الأزهر سنة ۱۳۲۳ ه- ۱۹۰۵ م و هى الخطبة التى استقال على أثرها الشيخ محمد عبده و صديقه الشيخ عبد الكريم سلمان من مجلس إدارة الأزهر. قال الأمير- على ما جاء فى الجزء الأول من تاريخ الأستاذ الإمام-:

إن كل ما يهم الحكومة من الأزهر شيئان: الأول استتباب الأمن فيه و هو ما

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۹

أوصى به دائما، و الثانى تخريج القضاة الشرعيين .. و يوشك أن يكون كل تغيير فى الأزهر توجهه الحكومات قائما على مثل هذا الأساس. أما الشيخ محمد عبده فقد أراد بنهضة الأزهر غاية هى الجديرة بأن تسمى إصلاحا.

كان الشيخ محمد عبده يرى أن إصلاح الأمة لا يكون إلا بإصلاح عقولها و قلوبها بالعلم الصحيح و الدين الصحيح و السبيل إلى ذلك إحداث نهضة دينية و علمية معا، و الأزهر هو أخصب مكان لهذه النهضة فإن الحياة إذا انبعثت فيه سرت مسرعة فى جسم الأمة و فى الشرق الإسلامى كله، و قد اتصل الشيخ محمد عبده بالخديوى عباس الثانى و أوحى إليه أن ينهض لإصلاح الأزهر نهضة قوية تحيى الشرق الإسلامى لأن الأزهر قبلة المسلمين فى أقطار الشرق المختلفة و أقنعه بأن ذلك يرفع شأن مصر فى الشرق كله و يجمعه حول الشعب المصرى و يخلد له فى المصلحين ذكرا.

و استمع عباس لنصح الناصح فتوجه بكل عزمه لإصلاح الأزهر على مبادىء الشيخ محمد عبده، و فى ۷ رجب سنة ۱۳۱۲ ه- ۱۸۹۵ م صدر أمر عال بتشكيل مجلس إدارة للأزهر من أعضائه اثنان من موظفى الحكومة هما الشيخ محمد عبده و الشيخ عبد الكريم سلمان. و أخذ مجلس الإدارة فى وضع ما لا بد منه من نظم تقر العدل و تمحو ما كان سائدا من الفوضى، و تبعث على الجد فى تحصيل العلم النافع و ترشد الى أساليب الدرس القويمة. كل ذلك فى غير مساس بحرية التعليم، و بلا إسراف فى العناية بالأشكال و الصور. و يقول الشيخ عبد الكريم سلمان فى كتاب أعمال مجلس إدارة الأزهر عند الكلام على مشروع نظام التدريس و الامتحان الذى وضعه المجلس: «و فى كل باب من هذه أحكام فسيحة تتوجه كلها إلى مقصد واحد هو تحصيل جواهر العلوم الدينية فى زمن

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۰

محدود بطريقة سهلة التناول و التحلى بثمرة تلك العلوم و هى محاسن الاخلاق و الأعمال».

و كتاب الشيخ عبد الكريم سجل مفصل لأعمال مجلس الإدارة يهدى القارىء الى الفرق بين وجهة الإصلاح فى عهد الشيخ عبده التى كانت ترمى إلى احداث نهضة علمية دينية يكون الأزهر حامل لوائها، و بين الإتجاهات الأخرى.

و من حضر بعض عهد الإمام فى الأزهر شهد ذلك المعهد العتيق يبعث من مرقده حيا يضطرم بالشباب و الأمل و رأى نهضة صحيحة فى الدراسات الأدبية و دراسة العلوم العقلية و علوم الدين و العلوم الحديثة ..

نهضة تحتفظ بأحسن ما فى معارف الأزهر و تقاليده التعليمية و تقتبس خير ما فى النظم و المعارف الحديثة و أخذ الشيخ محمد عبده يبث فى العقول مذاهبه و آراءه فى كتبه و رسائله، و فى دروسه و محاضراته التى كانت تجتذب بطرافتها و سمو أفكارها و خلابة بيانها كل الطبقات المثقفة من أزهريين و غير أزهريين. و جملة مذهبه الدينى أن الاسلام دين بساطة و يسر يلائم الفطرة و يوافق العقل، و أنه قد جاء بعقائد سليمة لا تعلو على متناول الفكر الانسانى و جاء بأصول للفضيلة و الخير تغرى بالصالحات و توفر للإنسان حريته و كرامته و تبعثه للنشاط و الكمال فى كل نواحى الحياة.

«فهل رأيت تسامحا مع الفلاسفة و الحكماء أوسع من هذا؟ و هل يليق بالحكيم أن يكون من الحمق بحيث يقول قولا- لا- يحتمل الإيمان من وجه واحد من مائة وجه؟».

كانت العقول المتعطشة الى الحرية تتهافت على هذا الداعى إلى حرية العقول، و تثور على قيودها و أغلالها، لكن أكثر العقول قد ألفت سجنها و اطمأنت إليه، فهى تنزعج لهذه الصيحة الجديدة و تدفعها بكلتا اليدين. و أصبح الأزهر ميدانا لصراع محتوم بين مذهب الشيخ محمد عبده

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۱

و مذهب الشيوخ الجامدين، و كان هذا الصراع نفسه آية حياة و انتعاش و تنبه فكرى.

و أنشأ الشيخ عبده فى بضع سنين جيلا طموحا للفهم المستقل، عزوفا عن التقليد يشعر بالكرامة الإنسانية، و يلتمس المثل العليا فى الحياة الدنيا و فى الآخرة. و كان ذكر الشيخ عبده يطير فى الآفاق مقرونا بذكر النهضة الإصلاحية التى استرعت الأنظار، و قد تحركت نوازع الحقد و الحسد فى أنفس لا ترضى عن الشيخ و لا عن دعوته، فكادوا له من كل سبيل، حتى اضطر إلى الاستقالة من منصبه فى الأزهر فى مارس سنة ۱۹۰۵ م- المحرم سنة ۱۳۲۳ ه.

و توفى الشيخ فى الحادى عشر من يوليو عام ۱۹۰۵- ۷ جمادى الأولى ۱۳۲۳ ه بعد جهاد طويل فى سبيل إصلاح الأزهر، و فى سبيل الاصلاح الدينى و الإسلامى فى كل وطن عربى و لا سيما فى مصر قلب الإسلام الخافق.

بين جمال الدين و محمد عبده

(۱)

كان الأفغانى و محمد عبده أعظم مصلحين ظهرا فى القرن التاسع عشر الميلادى، حملا رسالة الإصلاح الدينى و الفكرى و كونا مدرسة أدبية و سياسية كان لها أعظم الأثر فى تاريخ الشرق الإسلامى.

و عن هذه المدرسة انبعثت روح التحرر و الرغبة فى التقدم و نضال الاستعمار فى جميع البلاد الشرقية و العربية.

و ترجع صلة محمد عبده بجمال الدين الأفغانى إلى أول المحرم عام ۱۲۷۰ ه، حيث كان الأفغانى فى زيارة قصيرة للقاهرة فى طريقه إلى الآستانة منفيا بيد الإنجليز من الهند، و كان محمد عبده إذ ذاك طالبا بالأزهر.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۲

و تردد محمد عبده على بيت جمال الدين، و تتلمذ عليه و على مائدة علمه و فضله؛ و بعد أيام قصيرة سافر جمال الدين إلى الآستانة،

و ودعه محمد عبده و داعا حارا، و فی الآستانة نال جمال الدین تقدیرا کبیرا، و عین عضوا فی مجلس المعارف هناک، و لکنه شعر بالدسائس و الوشایات تحاک من حوله فعاد إلی القاهرة مرة أخری فی أول المحرم ۱۲۸۸ م، فعاد محمد عبده إلی التلمذة علیه و الإفادة من ثقافته.

و عرف محمد عبده من أستاذه جمال الدین أن الاستعمار الغربی و بال علی الإسلام و المسلمین، و أنه یجب محاربة الدیکتاتوریة الملکیة، و الفساد السیاسی؛ و عن طریقه علم أن الأدب یجب أن یکون فی خدمة الشعب و تحریره، و أنه یجب أن یتحرر من قیود الصناعة اللفظیة، و أن المعنی لا اللفظ هو سر کل بلاغة، و تعود الکتابة الدینیة و الوطنیة فی الصحف و المجلات، و بدأ یهتم بمطالعة مصادر الثقافة الإسلامیة و الأدبیة، و یطالع الکتب المترجمة، و یسعی مع إخوانه من تلامذة جمال الدین فی إصلاح الأزهر الشریف و فی الإلحاح فی طلب الحکم النیابی و الدیمقراطیة السیاسیة.

و ظفر محمد عبده بشهادة العالمیة عام ۱۲۹۴ ه ۱۸۷۷ م و أصبح مدرسا بالأزهر و دار العلوم و مدرسة الألسن، و بدأ یکون جیلا جدیدا من تلامذته، ینفخ فیهم روح أستاذه جمال الدین.

(۲)

اشارة

و فی الخامس و العشرین من یونیو عام ۱۸۷۹ م عزل إسماعیل و تولی مکانه ابنه توفیق، و قد بدأ حکمه بنفی جمال الدین من مصر، و إقالة محمد عبده من وظائفه العلمیة، و تحدید إقامته فی قریته «محلة نصر»، و ذلک فی الرابع و العشرین من أغسطس عام ۱۸۷۹ م- أواسط رمضان عام ۱۲۹۶ ه، خوفا من النهضة الوطنیة التی یتزعمانها، و یدعوان إلیها، و قبل

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۳

أن یغادر الأفغانی أرض مصر قال: «إنی ترکت فی أرض مصر الشیخ محمد عبده یتم ما بدأت به».

و بعد شهور عفا توفیق عن محمد عبده، و أسند إلیه ریاض باشا التحریر فی الوقائع، فاختار معه سعد زغلول و جماعة من زملائه من تلامذة جمال الدین؛ و کون محمد عبده عن طریق الوقائع مدرسة صحفیة نزیهة غایتها خدمة الشعب، و تحریره فکریا و قومیا من قیود الاستعباد و الاستبداد و الرجعیة و الجهل و الجمود و التأخر.

و قامت الثورة العرابیة، و کان محمد عبده من أبرز زعمائها، و کان جمال الدین آنذاک فی الهند، فاعتقلته بریطانیا حتی لا یتصل بزعماء الثورة، و انتهت الحرکة العرابیة بالفشل و الاحتلال البریطانی لمصر، و قبض علی محمد عبده و سجن و حوکم، و حکم علیه بالنفی ثلاث سنوات، فاختار سوریا منفی له. و أفرجت بریطانیا عن جمال الدین. و سافر من الهند إلی لندن فباریس. و هناک استدعی جمال الدین محمد عبده من بیروت لیقیم معه فی عاصمة فرنسا.

۳

و فی باریس أخذ الإمامان یجاهدان من أجل الشرق الإسلامی و تحرره، و یعملان لیعود للإسلام مجده و ألفا جمعیة «العروة الوثقی» عام ۱۸۸۴ م، ثم أصدرا صحیفة باسم «العروة الوثقی» للجهاد فی سبیل الشرق و الإسلام. و خلق الوعی السیاسی المستنیر فی الشعوب الإسلامیة «و مناهضة الحکم الدیکتاتوری» و العمل علی إحیاء الأخوة الإسلامیة، و علی قیام حکم دیمقراطی شوری بین الناس.

و صدر العدد الأول من العروة الوثقی فی ۵ جمادی الأولی ۱۳۰۱ ه- ۱۳ مارس ۱۸۸۴ م، و کله حرب علی الاستعمار الغربی فی بلاد المسلمین، و دعوة إلی حکومة إسلامیة موحدة أو حکومات إسلامیة

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۴

متآخیة متحدة المناهج و الأهداف و الأفکار یرتبط بعضها ببعض بروابط الود و الإخاء وحب السلام.

و فی یولیو عام ۱۸۸۴ م أوفد جمال الدین الأستاذ الإمام محمد عبده إلی لندن لمفاوضة السادة الإنجلیز فی القضیة المصریة، و دعوة إنجلترا إلی الجلاء عن مصر، و ترک السودان للسودان، و أدی محمد عبده مهمته خیر أداء، و أعلن فی عزم و قوة أن مصر ستحارب الإستعمار الإنجلیزی بکل ما أوتیت من قوة.

و عاد الإمام إلی باریس لیشهد توقف مجلة العروة الوثقی التی حاربها الاستعمار و الانجلیز حربا لا هوادة فیها، و ذلک بعد العدد الثامن عشر الصادر فی ۲۶ من ذی الحجة عام ۱۳۰۱ ه- ۱۶ أکتوبر عام ۱۸۸۴ م.

و عاد جمال الدین فأوفد الإمام إلی السودان لتغذیة الثورة المهدیة و الإفادة منها فی تحریر مصر من الاحتلال، فسافر محمد عبده سرا إلی تونس و منها إلی مصر، و أراد السفر إلی السودان و لکنه فوجیء بوفاة المهدی فی الحادی و العشرین من یونیو عام ۱۸۸۵، و تسلیم التعایشی، فسافر سرا إلی بیروت و أقام فیها، و بقی أستاذه جمال الدین فی باریس، و أخذ کل منهما یجاهد فی سبیل منهجه الإصلاحی المرسوم.

و فی بیروت ألف محمد عبده جمعیة التألیف و التقریب هو و صدیقه تلمیذ جمال الدین «میرزا محمد باقر» للدعوة إلی الإسلام فی جمیع أنحاء العالم؛ و تعریف الغرب بحقائق الإسلام و التعاون علی إزالة اضطهاد أوروبا للشرق أو المسلمین.

و کان قیام هذه الجمعیة تطبیقا رائعا لأفکار جمال الدین و نزعاته و تعالیمه.

۴

و فی أواخر عام ۱۸۸۸ م عاد محمد عبده إلی وطنه بعد أن ظل فی المنفی ست سنوات «و أخذ یکون مدرسة فکریة متحررة لتثقیف الشعب

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۵

و تربیته و تحریره من الجهل و الخوف و الجمود، و إعداده لحیاة دیمقراطیة صالحة، و کان من تلامیذه سعد زغلول و المنفلوطی و لطفی السید و الهلباوی و مصطفی عبد الرازق و الأحمدی الظواهری و محمد مصطفی المراغی و الزنکلونی و رشید رضا و سواهم.

و عاد جمال الدین إلی الآستانة یقیم فیها فی ظلال السلطان عبد الحمید، و أخذت دعوة جمال و محمد عبده إلی التحرر الفکری و الإصلاح الدینی تنتشر فی صفوف الشباب فی مصر و العالمین العربی و الإسلامی انتشارا کبیرا.

و سعی محمد عبده فی إصلاح الأزهر و المحاکم الشرعیة و القضاء و المساجد و الإفتاء ذائع معروف، و ساح محمد عبده فی الأقطار الإسلامیة فقام برحلات إلی تونس و الجزائر و الشام و الآستانة و أوروبا و السودان، و هو أینما نزل، و حیثما رحل، ینشر رسالته، و یدعو إلی الإصلاح و التجدید.

و مات جمال الدین فی الآستانة فی صباح الثلاثاء الخامس من شوال عام ۱۳۱۴ ه- التاسع من مارس عام ۱۸۹۷ م و دفن فیها، و بعد سنوات ثمان مات محمد عبده فی الثامن من جمادی الأولی عام ۱۳۲۳ ه- ۲۱ یولیو عام ۱۹۰۵، و ذهب الإمامان إلی ربهما راضیین مرضیین بعد أن أدیا رسالتیهما علی خیر الوجوه، و جاهدا فی سبیل الإسلام و المسلمین جهاد الأبطال و أسهما فی خلق الوعی السیاسی و تأجیج الشعور الوطنی، و إحیاء العزة القومیة فی نفوس المسلمین عامة.

و کان نضال الإمامین و کفاحهما مضرب الأمثال، لأنه کان نضالا صادقا خالصا لوجه اللّه و الإسلام.

مات الإمامان و لکن تلامیذهما کانوا هم محور النهضة السیاسیة و الوطنیة فی تاریخ العالمین العربی و الإسلامی بعد وفاتهما، و ظلت مبادیء جمال الدین الأفغانی و الإمام محمد عبده حیة فی النفوس مشتعلة فی القلوب، مسجلة فی أنصع صفحات التاریخ الحدیث.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۶

إن هذین الإمامین الجلیلین و الحکیمین الرائدین، و العبقریین المصلحین، لهما سبب کل تقدم أحرزناه خلال الخمسین سنة الماضیة، و من أفکارهما و آرائهما و دعوتهما انبعثت شعلة الثورة و التحرر و الإصلاح فی کل مکان ..

سعد زغلول فی الأزهر

جاور سعد فی الأزهر عام ۱۸۷۵ و هو فی سن الخامسة عشرة و حضر الأزهر یصحبه شقیقه الشناوی سعد زغلول الذی تولی أمره بعد وفاة أبیه، و أوصی به طالبین یکبرانه سنا و هما: الشیخ حسن البلیهی و الشیخ محمد أبو رأس الذی وصل فیما بعد إلی شیخ معهد دسوق، و توطدت الصلة بینه و بین الهلباوی الأزهری الذی کان یسبقه فی الدراسة و کان یسکن معه فی منزل واحد فی غرفة أمام غرفته. حضر سعد دروس محمد عبده و بواسطته اتصل بجمال الدین الأفغانی، و قضی سعد فی الأزهر خمس سنوات نبغ فیها، ثم عین محررا بالوقائع سنة ۱۸۸۰ م.

و یقول زمیله الهلباوی عنه: اشتهر سعد بین زملائه طلبة الأزهر بالیسر و سعة الید. فقد کانت عائلته أکبر العائلات فی الریف المصری و من أعظمها جاها و سلطانا فی موطنها. و قد کان سعد هو الطالب الوحید الذی یلبس الجبة و القفطان فی (شلتنا)، فکنا نفتخر به و بجبته و قفطانه و نتباهی بملبسه أمام الطلبة الآخرین .. و لا عجب فی ذلک فقد کنت أنا مثلا ألبس (الزعبوط) الذی لازمنی طول مدة دراستی حتی تخرجت فی الأزهر فتوظفت و أنا ألبس (الزعبوط) ..

و کان سعد یعیر دروسه الاهتمام الأول، و لم یکن له درایة بشئون المنزل- شأن طلبة الأزهر- فأهمل مأکله و ملبسه رغم النقود و الملابس لدیه، و لاحظ ذلک شقیقه الشناوی أفندی فخصص له زمیلین من زملائه عهد إلیهما فی إعداد طعامه و قضاء لوازمه. و کان یعطیهما أجرا خاصا نظیر هذه المهمة، فإذا تصادف یوما أن شغلهما شاغل عن القیام بخدمته حار

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۷

سعد و أسقط فی یده .. فکنت أتطوع لخدمته شفقة و عطفا علیه، إذ کان قاصرا صغیر السن.

و قد یعرف أن المغفور له سعد زغلول درس فی الأزهر، و لکن کثیرین منا لا یعرفون إلی أی مدی وصل فی دراسته، و لا کیف تلقی علومه و دروسه.

لقد زامل سعد زغلول فی الأزهر فرقة کان فی طلیعتها، و لم یبق من زملائه فی هذه الفرقة علی قید الحیاة إلا فضیلة الشیخ عبد المعطی الشرشیمی العضو السابق فی جماعة کبار العلماء، و هو العضو الوحید الذی استقال من الجماعة منذ انشائها إلی الآن، لأن جماعة کبار العلماء لم یکن من قبل یشترط فیها مدة قانونیة یحال بعدها العضو إلی المعاش.

و قد تلقی سعد و عبد المعطی و زملاؤهما الفقه علی مذهب الإمام الشافعی فی أوائل حیاتهم الدراسیة فی زاویة العدوی بالقرب من الجامع الأزهر، ثم انتقلوا إلی الجامع الأزهر لاستیفاء دراستهم فیه.

و قد أوغل سعد فی علوم الأزهر و دراساته، و ضرب فیها بسهم وافر، و لم یبق بینه و بین أداء امتحان الشهادة العالمیة إلا أن یتقدم لهذا الامتحان.

و لکنه لم یتقدم لهذا الامتحان مکتفیا بما أحرز من ثقافة و ما حصل من علوم، و انصرف إلی التحریر فی الوقائع المصریة مع أستاذه الإمام محمد عبده ثم إلی میدان المحاماة بعد ذلک، و عکف سعد علی دراسة اللغة الفرنسیة و هو فی سن متقدمة و حصل علی إجازة الحقوق.

و قد کانت دراسة سعد فی الأزهر خیر معوان له فی حیاته، خصوصا بعد اتصاله بالإمام محمد عبده، و توجیهه وجهة أخری تختلف فی ذلک الوقت عما درج علیه الأزهریون فی حیاتهم الدراسیة.

و قد بلغ من شغف الطالب سعد زغلول بعلوم الأزهر أن ألف كتابا فی

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۸

الفقه، قدره أساتذة الأزهر و أثنوا على كفايته و صفاء ذهنه، و قد طبع هذا الكتاب و نشر و نفد بعد طبعه.

و كان المغفور له الشيخ المراغی شيخ الأزهر الأسبق يحتفظ فی مكتبه بنسخة منه.

و ذات يوم كان لطفی السيد باشا يزور صديقه المرحوم الشيخ المراغی فی داره بحلوان، و جرى الحديث فی شئون العلم و الفلسفة على دأبهما فی ذلك.

و تناول الحديث الزعماء و العلم فقال لطفی باشا: إن بين الزعماء السياسيين نوابغ لو تفرغوا بعض الوقت للتأليف و الانتاج لأفادوا فائدة عظيمة.

و هنا ابتسم المرحوم الشيخ المراغی و قال لصديقه: هل تعلم أن المرحوم سعد زغلول باشا ألف كتابا فی الفقه؟

و شغف لطفی بالاطلاع على هذا الكتاب، فقام الشيخ المراغی إلى مكتبته و جاء بهذا الكتاب إلى لطفی باشا الذی تناوله كما يتناول المنهوم الطعام، و قلب صفحاته و قلب الكتاب و هو يقول: عجيبة.

و أزاح لطفی باشا غلاف الكتاب و قرأ اسمه، و قد كتب الناشر تحت عنوان الكتاب ما يلی: ألفه الفقير إلى اللّه تعالى الشيخ سعد زغلول الشافعی المذهب من طلاب الأزهر الشريف.

ثم قضى لطفی باشا و صديقه الشيخ المراغی بعض الوقت فی دراسة فصول الكتاب، و فی ذكريات طريفة عن صديقهما المغفور له الشيخ سعد زغلول باشا.

و لسعد فی الأزهر ذكريات كثيرة شهد بعضها المنزل رقم ۲۰ فی درب الأتراك بحی الأزهر المتداعی للسقوط اليوم.

و فی الدور الأرضی من هذا المنزل وقف سعد زغلول يترافع ذات

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۹

ليلة .. و لعلها كانت المرافعة الأولى فی حياته، و من أجل غرامة قدرها مليمان! و قد تحمس فی دفاعه؛ و حمی وطيس المناقشة بينه و بين ممثل الاتهام إبراهيم الهلباوی، فلم تنته الجلسة إلا فی الخامسة صباحا! أما المرافعة فهی أن سعد زغلول كان خامس خمسة يسكنون غرفة واحدة، و يطلبون العلم فی الأزهر، و كانوا يضيئون غرفتهم بقنديل يشعل بالزيت و يكلفهم طول الشهر عشرة مليمات، يدفع كل منهم نصيبه فيها. و لكن إبراهيم الهلباوی رأى أن يضايق (سعدا) من باب المداعبة فحرض بقية المشايخ ضده متهما إياه بأنه أكثرهم انتفاعا بالقنديل، لأنه أكثرهم قراءة بالليل و لذا حق عليه أن يدفع أربعة مليمات!

و فی آخر الشهر فوجیء سعد بالثورة ضده و مطالبته بالغرامة، و ظن الهلباوی أنه ربح المداعبة، و لكن سعد المحاور المداور، شرع يدافع عن نفسه، و ضرب لهم مثلا غاية فی الطرافة إذ قال: لو أن رجلا علق على باب بيته فانوسا ليضيء له، فانتفعت بهذا الضوء غازلة أو ناسجة و هی فی منزلها، و زاد انتاجها، فهل يعنی هذا أن للرجل الحق فی مقاسمتها انتاجها الذی زاد؟ كلا بالطبع! و هكذا حالكم معی فقنديلكم مشعل طول الليل، قرأت عليه أم لم أقرأ ... و ليس لكم أن تطالبونی بأكثر مما يدفعه أی واحد منكم!.

و أفحم الجميع. ثم جاءت القوانين الحديثة فأيدت مبدأه بحق الارتفاق و هو حق قانونی معروف!.

و فی حارة (القرد) المتفرعة من شارع (المقريزی) خلف الأزهر منزل متهدم تنام تحت أنقاضه قصة طريفة من قصص سعد زغلول و الهلباوی و ثالث (من بلدياتهم) كان اسمه الشيخ (بسطاويسی) لم يقدر له من الشهرة و المجد ما قدر لزميله، فقد كان الفرسان الثلاثة، يسكنون غرفة أجرتها ستة قروش و لكنهم عجزوا فی شهر ما لأزمة طارئة عن سدادها ... و فشلت كل المفاوضات التی حالوا أن يقنعوا بها صاحبة المنزل لتأخير الدفع، فأنذرتهم

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۰

بأنها سوف تلقى فى الصباح بكل متاعهم و كتبهم فى عرض الحارة الضيقة!. و اجتمع الفرسان تحت القنديل للتداول و خطرت لسعد زغلول فكرة بسطها عليهم، فصفقوا لها ثم ناموا دون تفكير فى كارثة الصباح!.

و دخلت صاحبة المنزل فى الصباح تهدد و تتوعد و مدت يدها تنفذ وعيدها و لكنها لم تلبث أن هدأت ثورتها و خفت حدتها و اغرورقت عيناها بالدموع. لقد كان (الشيخ بسطاويسى) يتأوه من الحمى فى فراشه ...

و كانت صاحبة البيت لا تطيق أن ترى غريبا مريضا، فقد توفى لها ابن فى بلاد الغربة!.

و نجحت الحيلة، لكنها كانت بالنسبة للشيخ (بسطاويسى) مقلبا ...

فقد أصرت المرأة على أن تعالجه بنفسها، و راحت تسقيه ألوانا من الوصفات البلدية، كالحنظل المنقوع و الخل و غيره!

و بعد أيام وصلتهم النقود و حاول (بسطاويسى) أن يغادر الفراش و لكن الفراش رفض أن يتركه فقد مرض بالحمى فعلا!

و قد ظل (الشيخ بسطاويسى) يتندر بهذه القصة حتى توفى سنة ۱۹۴۵!.

و يتلخص تاريخ سعد زغلول الأزهرى فيما يلى:

ولد سنة ۱۸۵۹، و فى ۵ أكتوبر سنة ۱۸۸۰ عين الشيخ سعد زغلول الطالب بالأزهر الشريف محررا بقلم الوقائع المصرية بمرتب قدره ۸۰۰ قرش فى الشهر (و هو حسن السير و السلوك بمقتضى شهادة للمرحوم الشيخ محمد عبده).

و فى أول فبراير سنة ۱۸۸۲ منح ۱۳۳ قرشا علاوة شهرية فصار راتبه الشهرى ۹۳۳ قرشا.

و فى ۳ مايو سنة ۱۸۸۲ صدر الأمر بنقل سعد زغلول إلى وظيفة

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۱

معاون بنظارة الداخلية، و منح ۵۶۷ قرشا علاوة لابلاغ ماهيته (۱۵) جنيها فى الشهر اعتبارا من ۲۶ إبريل سنة ۱۸۸۲.

و فى ۶ سبتمبر سنة ۱۸۸۲ فصل سعد زغلول من وظيفة التحرير بالوقائع المصرية لأنه عين ناظرا لقلم القضايا بمديرية الجيزة ابتداء من ۷ سبتمبر سنة ۱۸۸۲.

و فى ۲۷ يوليو سنة ۱۸۹۲ عين نائب قاض بمحكمة استئناف مصر الأهلية براتب قدره ۴۵ جنيها فى الشهر.

و فى أول فبراير سنة ۱۸۹۴ صدر الأمر بمنحه ۱۵ جنيها علاوة شهرية لإبلاغ ماهيته ۶ جنيهات.

و فى أول يناير سنة ۱۸۹۷ منح خمسة جنيهات علاوة شهرية.

و فى ۸ ابريل ۱۸۹۹ أنعم عليه برتبة (المتمايز).

و فى ۱۲ يونيو سنة ۱۹۰۴ أنعم عليه بالنيشان المجيدى الثالث.

و فى أول يناير سنة ۱۹۰۶ عدلت درجته و جعل راتبه ۱۰۰۰ جنيه فى السنة.

و فى ۲۸ أكتوبر سنة ۱۹۰۶ عين سعد زغلول (بك) المستشار بمحكمة الاستئناف الأهلية ناظرا للمعارف العمومية بدلا من حسين فخرى باشا.

و فى ۱۲ نوفمبر سنة ۱۹۰۶ أنعم عليه برتبة (الميرمران) الرفيعة.

و فى ۱۸ يناير سنة ۱۹۰۸ أنعم على سعد زغلول باشا وزير المعارف العمومية بالنيشان المجيدى الأول.

و فى ۲۳ فبراير سنة ۱۹۱۰ عين سعد زغلول باشا ناظرا للحقانية.

و فى ۲۷ يناير سنة ۱۹۲۴ عين رئيسا لمجلس الوزراء و أنعم عليه برتبة الرياسة الجليلة.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۲

و فى ۲۳ مارس سنة ۱۹۲۵ انتخب رئيسا لمجلس النواب.

و فى ۱۰ يونيو سنة ۱۹۲۶ عين رئيسا لمجلس النواب للمرة الثانية.

و فی ۲۳ أغسطس سنة ۱۹۲۷ توفی إلی رحمة اللّه.

أزهریون نابهون

و من الذین حضروا فی الأزهر أو تتلمذوا علی شیوخه، من الجیل الماضی:

الشیخ زین المرصفی الشافعی توفی عام ۱۲۰۰ ه و کان من علماء الأزهر و تولی منصب کبیر المفتشین بوزارة المعارف (۸۶- ۸۷ أعیان القرن ۱۳ لأحمد تیمور).

الشیخ مصطفی السفطی الأزهری عین فی وظائف التدریس بالمعارف و توفی عام ۱۳۲۷ ه (۹۸- ۱۰۲ المرجع).

أحمد تیمور باشا (۱۲۸۸- ۱۸۷۱- ۱۳۴۸ ه- ۱۹۳۰)، و کان عالما حجة بحاثة فی شتی العلوم. و من أساتذته الطویل و الشنقیطی و سواهم .

الشیخ أحمد مفتاح (۱۲۷۴- ۱۳۲۹ ه)

طلب العلم بالأزهر، ثم التحق بدار العلوم و عین مدرسا فیها. و مرت علیه أحداث کثیرة .

و من علماء الأزهر الشیخ محمد البسیونی البیبانی، و قد اختیر إماما للمعیة، ثم مدرسا للغة العربیة بمدرسة الإدارة- الحقوق- و قد کان أستاذ شوقی فی اللغة و الأدب، و توفی فی ۱۳ ربیع الآخر ۱۳۱۰ ه ۳ نوفمبر

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۳

۱۸۹۲، و له کتاب «حسن الصنیع فی المعانی و البیان و البدیع، و کان من تلامیذه کذلک أحمد زکی (باشا).

و منهم الشیخ حسین المرصفی المتوفی سنة ۱۳۰۷ ه- ۱۸۸۹ م و هو أستاذ البارودی فی الأدب و الشعر و اللغة، و کذلک تتلمذ علیه عبد اللّه فکری باشا ... و أشهر مؤلفاته «الوسیلة الأدبیة للعلوم العربیة، و قد طبع فی جزءین و شهرته ذائعة، و له کتاب «الکلمات الثمانی»، و کتاب «دلیل المسترشد فی الإنشاء».

و من الذین درسوا فی الأزهر الشیخ علی اللیثی شاعر إسماعیل المتوفی ۱۳۱۳ ه- ۱۸۹۶ م، و کان مولده فی بولاق مصر سنة ۱۲۳۶ ه، و تعلم بالأزهر.

و من الذین درسوا فی الأزهر کذلک المرحوم مصطفی لطفی المنفلوطی الأدیب الکبیر (۱۸۷۶- ۱۹۲۴) صاحب الکتب المشهورة الذائعة بین الأدباء و المتأدبین و من أشهرها: النظرات، العبرات، الشاعر، ماجدولین، الانتقام، فی سبیل التاج، الفضیلة.

و منهم کذلک عمید المحاماة إبراهیم الهلباوی، و کان من أشهر الخطباء فی العصر الحدیث، و توفی عام ۱۳۵۹ ه- ۱۹۴۰ م.

و منهم الشیخ عبد العزیز البشری نجل الشیخ البشری شیخ الأزهر السالف، و کان أدیبا کاتبا ناقدا متذوقا، و له کتاب «المرآة»، و مختارات البشری و غیرهما، و کان من أعلام القضاء الشرعی. و توفی نحو عام ۱۹۴۰.

و من الأزهریین فی النشأة العلمیة ممن یعاصروننا أو کانوا یعاصروننا إلی عهد قریب: الدکتور طه حسین، و أحمد أمین، و زکی مبارک، و عبد الوهاب عزام، و الشیخ محمد أبو زهرة، و أحمد حسن الزیات، و الدکتور أمین الخولی، و الشیخ عبد الوهاب خلاف، و الشیخ مصطفی خفاجی، و سواهم من الشخصیات المعاصرة المعروفة فی مصر و العالم الإسلامی.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۴

الشیخ محمد رشید رضا

فی ۲۳ جمادی الأولی ۱۳۵۴ ه- ۲۲ أغسطس عام ۱۹۳۵ م توفی الشیخ محمد رشید رضا ، و کان الشیخ قد تجرد رحمه اللّه لخدمة الإسلام، و وقف له کل ما وهبه اللّه من علم و قوة و صبر و مثابرة، و لیس یؤسف الناس من وفاته خفوت صوت من أرفع الأصوات

فی الـدفاع عن الإسـلام فحسب، و لکن من خلو مکان رفیع کان یشـغله أیضا بین العاملین علی تطهیر عقول المسـلمین من البـدع التی اعتبرها عامتهم من الدین و لیست منه فی شیء.

نعم إن ثورة المرحوم السـید رشـید علی البدع لا یوجد لها نظیر إلا فی أفراد من السـلف الصالح، فقد صمد لها صمودا أشفق علیه منه حتی الذین کانوا یشاطرونه رأیه من العارفین، و لکنهم لم یؤتوا الشجاعة التی أوتیها، فباتوا یتوقعون له الشر المستطیر، و قد لقی منه ما لو لقیه سواه لصده عن السبیل، و لکنه ثبت للمعارضـین، و اسـتبسل فی الکفاح أیما استبسال، حتی استطاع بفضل إخلاصه و صبره أن یحدث فی الصفوف المتراصة حیاله ثغرة اقتحمها علی مناوئیه و فی أثره جمهور غفیر ممن کانوا لا یجرءون علی مواجهتهم مجتمعین، فأصبحنا و للسنة الصحیحة أنصار مجاهرون، و حیال البدع خصوم مجاهدون.

فلو لم یکن لفقیـد العلم السـید رشـید غیر هـذا الموقف لخلد ذکره فی تاریخ المسـلمین، فما ظنک به و قد أسـقط دولة التقلید، تلک الدولة التی قضت علی المسـلمین بأن ینقسـموا شـطرین شطرا جمدوا علی ما هم علیه من التقالید المنافیة لروح الدین، و قوما مرقوا من الإسلام و اتخذوا لهم طریقا غیر طریق المؤمنین، فلو کان دام سلطان التقلید لقضی علی کل مفکر أن یفنی فی حزب المقلدین، و هی کارثة جدیر بکل من یعرف حقیقة الإسلام ان یذوب قلبه أسفا منها.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۵

فکان السـید رشـید البطل المعلم فی هذا الموطن الشـریف، تلقی فیه بصدره کل ما یتلقاه المصلحون من الجامدین، و کان لجهاده أثر بعید فی تبصیر المسلمین بسماحة دینهم، و ببقاء باب الاجتهاد فیه مفتوحا إلی یوم یبعثون.

و کان تلمیـذ الأسـتاذ محمـد عبده، و حامل لواء الإصـلاح الدینی من بعده، و لا بدع فإن أربعین سـنة قضاها الفقید الکریم فی تحریر المنار یفسـر کتاب اللّه علی طریقـة الإمام و یبسط أحادیث الرسول علی نهـج السـلف، و یحرر الفتاوی فی المسائل الدینیة المختلفة، و یقطع ألسـنة المبشـرین و الملحدین بالأدلة النواهض، و یجلو عن الشـریعة ظلام الشـبه بالعقل المنیر، و یزید فی ثروة الأدب الإسـلامی بالمصنفات القیمة، حریة أن تحله من قلوب المؤمنین موضع التجلة، و تبوئه من صفحات التاریخ مکان الأئمة.

ولـد الفقیـد فی قریـة (القلمون) إحـدی قری لبنان القریبـة من طرابلس، فتلقی العلم طفلا و یافعا فی هذه المدینة، ثم هاجر إلی مصـر، فدخل الأزهر و اتصل بالإمام محمد عبده اتصالا وثیقا، فأشار علیه أن یصدر (المنار) فکانت سـجلا لآراء الأستاذ الاجتهادیة فی حیاته، و اسـتمرارا لدعوته الإصـلاحیة بعد مماته. ثم أسـهم فی النهضة العربیة و اتصل بجمعیاتها السـریة فی أطوارها المختلفة من سـنة ۱۹۰۸ إلی قیام الحرب الکبری. فلما أعلنت الهدنـة عاد إلی سوریـة فانتخب رئیسا للمؤتمر السوری الذی نادی بالأمیر فیصل ملکا، ثم ظل فی خدمة هذه الدولة العربیة الجدیدة حتی ثل عرشها الفرنسیون سنة ۱۹۲۰، فارتد إلی القاهرة یحرر المنار و یعالج التألیف، فأصدر طائفة من الکتب القیمة أشهرها تکملة تفسیر الإمام علی هدیه و وحیه، ثم الجزء الأول من تاریخ الإمام و کان قد أصدر منه جزءه الثانی فیما قاله، و الثالث فیما قیل فیه، ثم کتابه «الوحی المحمدی».

و کان علما من أعلام الدین و العلم، و تلمیذ محمد عبده الوفی،

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۶

و الرجل الذی قضی حیاته فی خدمة الاسلام و تراثه إلی أن توفی فی ۲۲ أغسطس ۱۹۳۵- ۲۳ جمادی الأولی عام ۱۳۵۴ ه.

مات فبکته مصـر و العروبة و الإسـلام و الشـرق، و أقیمت بجمعیة الشبان المسلمین حفلة تأبین له فی أبریل ۱۹۳۶، خطب فیها جمهور من العلماء و الأدباء.

و قال فیه العالم العلامة الشیخ علی سرور الزنکلونی فی حفلة تأبینه:

کـان لصاحب المنار منـذ عرفته مصـر وجود قوی، و شخصـیة بارزة، امتـد صوتها إلی الأقطار العربیـة و الأقطار الشـرقیة، بل کان لهـذا الصوت أثر فی بعض الأمم التی لیست شـرقیة و لا- إسـلامیة، لأن الأبحـاث التی تعرض لهـا صـاحب المنـار و أن اتصـلت بالشـرق و

بالإسلام اتصالا قويا، فانها متصلة بالغرب أيضا، لأن عيون الغرب لا تنام عن المسلمين و لا عن الشرقيين.

اشتغل صاحب المنار طوال حياته بقضية الاسلام و قضية العرب، و بما يتصل بالاسلام من أمر الخلافة، و ما يتصل بالعرب من هجمات الاستعمار، و لم تحرم مصر من نزعاته السياسية فى ظروفها المختلفة، فكان بهذا كله لمصر، و للشرق و للاسلام و المسلمين.

و ليس فى وسعى أن أوفى صاحب المنار حقه فى مثل هذا الموقف، و لكنى أردت ان أساهم مع المساهمين، وفاء لحق الصداقة، و تقديرا لتلك الشخصية النادرة.

عرفت المغفور له صاحب المنار منذ ابتداء الأستاذ الإمام- رضوان اللّه عليه- دروسه فى الأزهر، و لم يكن صاحب المنار فى ذلك العهد يدهشنا وجوده العلمى، لأن طلاب الشيخ جميعا كانوا يغترفون من بحر واحد، و إن تفاوتت مراتب جهودهم و استعدادهم. و لم يكن لصاحب المنار ميزة فى ذلك الوقت سوى أنه كان يكتب ما يلقنه أستاذنا علينا، و قد كان مثل هذا العمل فى نظر الأزهريين عملا عاديا لا أثرا لموهبة خاصة، و لا لنبوغ ممتاز، تآخينا

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۷

و تآخى معنا السيد رشيد بحكم صلة الدرس العامة، و بقدرها، و كان هذا لا يمنع بعضنا من توجيه النفس إلى السيد رشيد، توجيها خاصا كلما ظهر السيد رشيد بمواهب ممتازة، قد يطول الحديث عنها، حتى هوجم الأستاذ الإمام فى آرائه الدينية و الاصلاحية، مهاجمة عنيفة، من كل القوى التى توفرت لها عوامل الكيد و الاستبداد، و إذا بالسيد رشيد يبرز فى وجوده القوى لمناصرة الحق، و الوقوف فى وجه هذه الجيوش الحاشدة، فأخذ السيد رشيد يواجه خصوم الشيخ بقلمه و لسانه، و ينشر فى مجلة المنار آراء أستاذه و اتجاهاته، و كان يتلقاه من دروس شيخه، و ما كان يعلق عليها بعبارات من عنده تدل على كمال الفهم و استقلال الفكر، و كذلك كان أمر السيد رشيد فى كل ما كان يكتب من مقالات، و ما يدون من أبحاث! لأن أسلوب الأستاذ الإمام خلق ممتاز، و سيبقى ممتازا.

مات الأستاذ الإمام، و للسيد رشيد فى نفوس إخوان الشيخ و ابنائه منزلة سامية، و مع سمو هذه المنزلة لم يخطر ببال أحد أن السيد رشيد سيرث الشيخ فيما كان يدعو إليه، و أنه سيرتفع صوته فى بلاد الإسلام النائية؛ و لكن أبى اللّه سبحانه إلا أن يسير السيد رشيد بخطى واسعة الى الامام، و قدر اللّه لصوته و هو على منبر منارة ان يدوى فى بلاد الاسلام و الشرق، و لم يصب جهاده فى سبيل العلم و الدين بعد وفاة شيخه مع كثر المخاطر شىء من الوهن و الفتور، و لا جرم ان هذه الميزة هبة الهية لا تمنح الا للقليل من أفذاذ الرجال، لأن حياة الأستاذ الإمام كانت قوية فى مصر و فى غير مصر. لهذا كان بقاء صاحب المنار أكثر من ثلاثين عاما بعد وفاة شيخه فى وجوده القوى، يصد عادية جيوش الباطل التى لم تفتر و لم تنم، دليلا ملموسا على أنه من الأفذاذ الذين بخل التاريخ بالكثير من أمثالهم، و لعل أكبر شاهد على ذلك ان مهمة السيد رشيد العلمية لم يستطع إلى الآن أن يقوم بها فرد او جماعة على كثرة العلماء و الكاتبين. ان لصاحب المنار- رحمة اللّه عليه- من حياته العلمية آثارا كثيرة، و جوانب قوية لا أستطيع أن أوفيها حقها. و قد أردت أن تكون كلمتى فيه الآن مقصورة على علمه بالقرآن و بأسرار القرآن، لأن صلتى به

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۸

لم تتأكد إلا من درس التفسير على الأستاذ الإمام، و لأن آثاره فى تفسير القرآن هى أقوى الآثار و أظهرها فى الإقناع و الإلزام، و لأن مفسر القرآن إذا أخلص و صدق! استحق الثناء الخالد، لأنه بصدقه و إخلاصه يشرف عقله على الوجود، و على ما وراء الوجود، و قد تحقق ذلك للسيد رشيد رحمة اللّه عليه، فالقرآن كتاب الوجود، و كتاب ما وراء الوجود، و كل من جهله، و اتجه إلى غيره مهما كان قويا فى نظر نفسه، و فى نظر أمثاله، فحياته غير صادقة، و سعادته لا ضمان لها، و لا استقرار، بل المسلمون إذا أخلصوا للقرآن فهما و عملا، و عرضوا جواهره السماوية على عقول البشر، فقد ملكوا كل شىء، لأن العقول من مادة السماء، و مادة السماء إذا تركزت فى الأرض محال أن يطغى عليها شهوات النفس الترابية، و الانسان إذا أهمل فهم القرآن و التبصر فيه، و قد أحاط بما فى الأرض علما، فليس من اللّه و لا من الوجود الحق فى شىء، فحصر العقل فى جزء صغير من الوجود يستخدمه فى حياته المادية لا يصور الحقيقة، و

لا یحقق معنی الحیاة و السعادة إذ الحیاة الانسانیة مسبوقة بوجود لانهائی و بعدها وجود لانهائی، و من حق العقل ان یفکر طویلا فی ذلک لوجود اللانهائی، و هذا لا یتم إلا بفهم القرآن. و من أجل ذلک یقول اللّه تعالی: یَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ و یقول: وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَیَوانُ لَوْ کانُوا یَعْلَمُونَ. إن لأهل القرآن و أنصاره مرتبتین. المرتبة الأولی- هی فهم معانیه الصحیحة و امتزاجها بالعقل و الروح و النفس، فیشع منها النور و القوة بحیث یعملان عملهما فی الوجود بقدر الطاقة البشریة، و هذه هی مرتبة النبی صلی اللّه علیه و سلم، و مرتبة الصدیقین من أصحابه و أمته إلی یوم الدین.

و المرتبة الثانیة هی فهم معانیه فهما صحیحا، و امتزاجها بالعقل، و بالنفس فی أغلب أحوالها، و هذه هی مرتبة کبار العلماء و الصالحین مع ما فی کل من المرتبتین من المنازل المتفاوتة بتفاوت الاستعداد، و صفاء الجوهر. و انی أو من إیمانا قویا بأن السید رشید قد تمت له المرتبة الثانیة فی أرقی منازلها، و أرجو أن یکون له نصیب من المرتبة الأولی. و إذا علمتم

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۹

أن القرآن هو کلام اللّه، و أنه کتاب الوجود. تعلمون مقدار ما بذلته و تبذله العقول فی استخراج جواهره منذ أنزل إلی الیوم، و لا یتم للعقل استقصاء کل ما فیه و تحدیده بالدقة ما دام الوجود قائما، و لکن العقل یأخذ منه ما استکمل به وجوده، و طمأنینته فی الدنیا و الآخرة علی قدر فهمه. و من هنا تعددت آراء المفسرین لاختلاف وجوه النظر، و لذلک کان تفسیر القرآن فی أکثر العصور فن علم و جدل، مع أن التفسیر یجب ان یکون زبدا مستخلصا بالمقاییس العلمیة الصحیحة المستمدة من الفن و البحث، کما أن التفسیر الذی لا یعتمد علی مقاییس العلم و العقل، لا یسمی علی الحقیقة تفسیرا للقرآن الکریم. و یجب أن یدخل فی مقاییس العلم ما یستظهره العقل من أسرار الوجود بالدلائل القاطعة، و لیس من التفسیر مظاهر الحیاة التی تعتمد علی نزعات النفس فی إنسانیتها الضعیفة المضطربة. و هذا هو ما وفق إلیه الراحل الکریم فی تفسیره للقرآن، و فی علاجه للأبحاث الدینیة، فقلما کان یتعرض السید رشید لبحث ما یتصل بالقرآن اتصالا- جوهریا إلا- بقدر ما تمس له الحاجة. و کثیرا ما کان یتعرض لأقوال المفسرین، و ما یستدلون به و لکنه لم یترک القرآن فی المکان الذی تتجاذبه فیه الآراء کما فعل أکثر المفسرین، بل کان فی تفسیره یستخلص القرآن للعقل مؤیدا باللغة و بالشواهد و الأدلة من ظواهر الوجود. و أول من فتح هذا الطریق و عبده الأستاذ الإمام رضی اللّه عنه، و قد سار فیه تلمیذه صاحب الذکری شوطا بعیدا انتهی فیه إلی آخر سورة یوسف علیه الصلاة و السلام، و قد فسر من القرآن علی هذا المنوال الحکیم اثنی عشر جزءا، و هی أصعب أجزاء القرآن فهما و استنباطا، و کان آخر آیة فسرها من سورة یوسف و مات علی أثر تفسیره لها قوله تعالی: رَبِّ قَدْ آتَیْتَنِی مِنَ الْمُلْکِ وَ عَلَّمْتَنِی مِنْ تَأْوِیلِ الْأَحادِیثِ فاطِرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَنْتَ وَلِیِّی فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَةِ تَوَفَّنِی مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِی بِالصَّالِحِینَ.

و قال فی رثائه الشاعر الحاج محمد الهراوی:

أی صرح هوی و حصن حصینو لواء طوته أیدی المنون

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۰ و کتاب فی الرشد یهدی إلیالرشد و سیف مهند مسنون

مات رب المنار و الأمر للّهو ما مات غیر داع أمین

عاش للّه مخلصا فی جهادنصف قرن مبارک فی القرون

و مضی بالیراع یدعو الی الحقو بالقلب و اللسان المبین

لا یطیق السکون فی جرح الدین و یمضی یرج اهل السکون

لم یدع راحة له أی حینو هو فی حاجة لها کل حین

طاح بالقلب حین أودی به الجهد و جهد الغیور نار أتون

فقد العلم منه أی کتابفقد الدین منه أی معین

شعر الناس باحتیاج الیه‌بعد ان لم یروا له من قرین

عز عن صاحب المنار حمی الشام و عز الأحباب فی «قلمون»

بلدة فی ذری طرابلس قرت‌من طرابلس غرة فی الحبین

بلدة انجبت الی الشرق قوماهم نجوی الهدی و أسد العرین

غاب عنها منارها فتوارت‌من جوی الحزن بالسحاب الجون

بعثتنی جماعة الفضل فی مصر الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۱ رسول القریض فی التأبین‌بعثتنی لأندب العلم و الدین

و أبکیهما بدمع سخین‌بعثتنی و ساقها حسن ظن

فی ضعیف ینوء تحت الظنون‌و لعمری لو لم تکن بعثتنی

لرأتنی بالدمع غیر ضنین‌فلقد کان بی حقیقا و کانت

بیننا عروة الود المتین‌عقدت بیننا المودة قربی

زاد توثیقها توالی السنین‌شیبتنی مواقف الحزن تتری

و رثاء الخدن أثر الخدین‌و وقوفی علی الربوع الخوالی

و بکائی المکان بعد المکین‌و التیاعی علی أیامی تخلت

عن حماها ید الکفیل المعین‌و یتامی تذوق فی العیش بؤسا

بعد خفض من الزمان و لین‌برح الحزن و الجوی بفؤادی

قرح الدمع و البکا من جفونی‌من مجیری من بعدها و مقیلی

من وقوفی بطرف باک حزین؟یا غریب الدیار لم تفقد الأهل

فما مصر غیر ام حنون‌جئتها عالما و طالب علم

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۲ فتلقتک فی الحشی و العیون‌یا ربیب الامام فی مجلس العلم

و فی موطن الهدی و الیقین‌کنت أو فی بنیه حفظا لذکراه

و أبقی علی الوفاء المصون

الشیخ محمد شاکر ۱۲۸۲ ه- ۱۸۶۶ م- ۱۳۵۸ ه- ۱۹۳۹ م

تعلم الشیخ محمد شاکر بن أحمد بن عبد القادر فی الأزهر، و کان من أسرة ابی علیاء من أشراف الصعید. و ولد بمدینة «جرجا» فی منتصف شوال من سنة ۱۲۸۲ ه- مارس سنة ۱۸۶۶، و قد تخرج من الأزهر. و فی منتصف رجب سنة ۱۳۰۷ ه- ۴ من مارس سنة ۱۸۹۰ عین أمینا للفتوی مع مفتی الدیار المصریة أستاذه الشیخ محمد العباسی المهدی. و فی السابع من شعبان سنة ۱۳۱۱ ه- ۱۳ من فبرایر سنة ۱۸۹۴ ولی منصب نائب محکمة مدیریة القلیوبیة، ثم عین فی منصب قاضی قضاة السودان فی ۱۰ من ذی القعدة سنة ۱۳۱۷ ه- ۱۱ من مارس سنة ۱۹۰۰، ثم عاد شیخا لمعهد اسکندریة فی أبریل ۱۹۰۴، و فی أواخر سنة ۱۳۲۴ ه ندب للقیام بأعباء مشیخة الأزهر نیابة عن الشیخ عبد الرحمن الشربینی شیخ الأزهر إذ ذاک، فجمع بین ذلک و بین مشیخة المعهد الاسکندری، حتی کان التاسع من ربیع الاخر سنة ۱۳۲۷ ه- ۲۹ من أبریل سنة ۱۹۰۹ م، حیث صدر أمر بتعیینه وکیلا للجامع الأزهر، و فی عهد وکالته صدر قانون النظام فی الأزهر سنة ۱۹۱۱ م الذی قسمت بمقتضاه الدراسة إلی مراحل لکل منها نظام و مواد خاصة، و عهد إلیه بتطبیق القانون الجدید، فأنشیء القسم الأول و عین شیخا له مع بقائه وکیلا للجامع الأزهر. و قد أنشأ معهدین فی أسیوط و قنا. و اختیر

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۳

عضوا فی جماعة کبار العلماء، و فی سنة ۱۹۱۳ عین عضوا فی الجمعیة التشریعیة، و لما اشتعلت الثورة المصریة سنة ۱۹۱۹ م صال فیها و جال، و أذکاها بقلمه و لسانه و رأیه، حتی إذا وافت سنة ۱۹۳۱ أعرض عن الدنیا و لزم داره لمرض الفالج الذی أصابه، و ظل ینتظر المنون حتی دعاه مولاه، فلباه فی صباح الخمیس الحادی عشر من جمادی الأولی سنة ۱۳۵۸، التاسع و العشرین من یونیه سنة ۱۹۳۹.

مشایخ السادة المالکیة

کانت العادة بالأزهر الشریف أن للسادة المالکیة شیخا علیهم، و درجته قریبة من درجة شیخ الجامع، و أما السادة الحنفیة و السادة الشافعیة و السادة الحنبلیة، فکان شیخهم هو شیخ العموم، و من عهد قریب صار للسادة الحنفیة شیخ، و صار للحنابلة شیخ کذلک، و لنأت بذکر مشایخ السادة المالکیة، فمن تولی مشیخة السادة المالکیة إمام المحققین، و عمدة المدققین، العلامة الشیخ علی العدوی المنسفیسی الصعیدی المالکی، ولد ببنی عدی سنة ۱۱۱۲ ه و قدم إلی مصر و حضر دروس مشایخ عصره کالشیخ الحفنی و اضرابه و کان له کرامات عجیبة و له مؤلفات مفیدة و هو أول من خدم کتب مذهب المالکیة بالحواشی و أول من درس بمسجد محمد بک ابی المذهب و کان یدرس بالأزهر و بمسجد الغریب و یوم الجمعة بمسجد مرزه ببولاق، و کان علی قدم السلف فی التقوی و الاشتغال بالعلوم .. و توفی سنة ۱۱۸۹ و دفن بالبستان.

ثم تولاها أبو البرکات سیدی أحمد الدردیر العدوی المالکی الأزهری الخلوتی، و ولد ببنی عدی سنة ۱۱۲۷ و حفظ القرآن الشریف و قدم الی الأزهر و حضر دروس مشایخ عصره کالشیخ علی الصعیدی و الشیخ الحفنی و اضرابهما و ألف و أفاد و تآلیفه أشهر من ان تذکر، و کان شیخا لرواق الصعایدة و توفی سنة ۱۲۰۱ ه و دفن بزاویته التی أنشأها بخط الکعکیین و هو مشهور یزار.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۴

ثم تولاها عالم عصره، و وحید دهره بلا خلاف سیدی محمد الأمیر الکبیر صاحب التآلیف العدیدة فی کل فن معقول و منقول، ولد سنة ۱۱۵۴ بسنبو و هی بلد من قسم دیروط بمدیریة أسیوط، و ختم القرآن الشریف و هو ابن تسع سنین، ثم التحق بالأزهر و حصل و درس و لم یدع فنا الا اتقنه و درسه حتی فقه الحنفی و الشافعی، و له تآلیف جمة فی فنون کثیرة و هی کجوامع الکلم، و کان توجه فی بعض المقتضیات إلی دار السلطنة و ألقی هناک دروسا حضره فیها العلماء و شهدوا بفضله و استجازوه و رجع الی مصر معظما مبجلا و معه کتب توصیة للباشا و الأمراء و قد أنعم علیه من الدولة و کانت تأتیه الصلات من سلطان المغرب و تلک النواحی و کان کلامه حکما، و من کلامه:

دع الدنیا فلیس بها سروریتم و لا من الأحزان تسلم

و نفرض أنه قم تم فرضافان زواله أمر محتم

و کن فیها غریبا ثم هیءالی دار البقا ما فیه مغنم

و إن لا بد من لهو فلهوبشیء نافع و اللّه أعلم

و سبب تلقیبه بالأمیر أن جده الأقرب أحمد بن عبد القادر کان له إمارة حکم فی بلاد الصعید و أصله من المغرب و توفی علیه سحائب الرحمن و الرضوان یوم الاثنین العاشر من ذی القعدة سنة ۱۲۳۲ ه، و دفن أمام ضریح الشیخ العفیفی، و مما قیل فی رثائه تمثلا:

حلف الزمان لیأتین بمثلهحنثت یمینک یا زمان فکفر

ثم تولاها ابنه الشیخ محمد الأمیر الصغیر، ثم تولاها الشیخ ابراهیم الملوانی، ثم تولاها الشیخ عبد اللّه القاضی، ثم تولاها شیخ الشیوخ

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۵

الجامع بین العلم و التقوی فرع الشجرة النبویة و خلاصة السلسلة الهاشمیة الشیخ علیش، و قد ولد رحمه اللّه بالقاهرة بحارة الجوار

بجوار الجامع الأزهر فی شهر رجب سنة ۱۲۱۷ ه، و حفظ القرآن و اشتغل بالعلم بالأزهر و أدرک الجهابذة کالشیخ الأمیر الصغیر و أضرابه و الشیخ مصطفی البولاقی و الشیخ البنانی صاحب التجرید و کثیر من کبار العلماء و درس سنة ۱۲۳۲ و لم یدع فنا إلا درسه و تخرج من درسه جل أهل الأزهر أو کلهم و توفی عام ۱۲۹۹ ه و توفی ابنه الشیخ عبد اللّه علیش عام ۱۲۹۴ ه .. ثم ألغیت مشیخة المالکیة بعده خمس سنوات حتی تولاها الشیخ سلیم البشری.

الشیخ البحراوی

هو الشیخ عبد الرحمن البحراوی الحنفی الأزهری، ولد بکفر العیص قریة علی شط النیل بمدیریة البحیرة، و کانت ولادته سنة ۱۲۳۵ ه، و قدم لمصر و قرأ القرآن بالأزهر وجود فیه، و فی سنة ۱۲۴۹ شرع فی حفظ المتداول من المتون، و فی سنة ۱۲۵۱ حضر دروس المشایخ فتلقی الفقه و التفسیر و الحدیث عن الشیخ محمد الکتبی و أهل طبقته و تلقی علوم الأدب و المنطق و التوحید عن الشیخ إبراهیم السقا و الشیخ مصطفی البولاقی و الشیخ إبراهیم البیجوری و اضرابهم. و کتب بیده کل کتاب حضره فضلا عما کان یکتبه للاقتیات بثمنه لأنه کان قد قل من العیش و قد اجتهد فی التحصیل و سهر اللیالی مع جودة قریحته حتی تأهل للتصدر للتدریس فی سنة ۱۲۶۴ و شهد بفضله أعیان الأزهر و لم یزل متصدرا للتدریس مع حسن القائه و عذوبة ملحه و کان محترما عند أولی الأمر، و فی سنة ۱۲۷۱ نیط به تصحیح الفتاوی الهندیة بالمطبعة الکبری ببولاق مصر، و بعد تمام الطبع تولی قضاء اسکندریة سنة ۱۲۷۷ ثم رفع من قضائها سنة ۱۲۸۲ فعاد للتدریس بالأزهر و فی سنة ۱۲۸۹ عین للفتوی بالمجلس الخصوصی، و فی سنة ۱۲۹۳ عین رئیس المجلس الأول بالمحکمة الشرعیة المصریة الکبری، ثم بعد ذلک تولی افتاء الحقانیة، ثم رفع و عاد للتدریس بالأزهر، و له من التآلیف تقریر

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۶

علی شرح العینی و حاشیة علی شرح الطائی، و له کتابات علی أغلب کتب المذهب الحنفی، و تخرج من درسه کثیر ممن تولی القضاء و ممن درس بالأزهر، و من أجلهم الأستاذ الفاضل الشیخ محمد بخیث المطیعی.

الشیخ محمد بخیت المطیعی

فی الیوم الحادی و العشرین من شهر رجب ۱۳۵۴ ه- الثامن عشر من شهر أکتوبر ۱۹۳۵ استأثرت رحمة اللّه بالعلامة، الشیخ محمد بخیت المطیعی، فقضی مبکیا علیه من مئات الألوف من العلماء و الطلاب فی جمیع بلاد المسلمین، الذین کانوا یرون فیه المثل الأعلی للاطلاع الواسع و الإفادة و الفتیا .. ولد رحمه اللّه فی بلدة المطیعة من أعمال أسیوط سنة ۱۲۷۱ ه- ۱۸۵۶ م، و حفظ القرآن و حصل رحمه اللّه العلم بالأزهر فتخرج فی علوم الشریعة و العربیة، و نال فیها شهادة من الدرجة الأولی سنة ۱۲۹۴ للهجرة أی منذ نحو اثنتین و ثمانین سنة، و أکب من ذلک العهد علی التدریس و الافادة بهمة ینذر أن یصادف لها مثیل فی حیاة العلماء العاملین، ثم ندب للاشتغال فی القضاء عام ۱۲۹۷ ه فتنقل فی وظائفه حتی بلغ أعلی درجاته، مظهرا فی کل منها من الکفایة ما لا یکون إلا للعلماء الراسخین .. و من المناصب التی شغلها قضاء مصر نیابة عن القاضی الترکی، و فی عام ۱۹۱۴ عین مفتیا للدیار المصریة، و بعد سبع سنوات بلغ السن القانونیة لوظائف الحکومة، فترک الاشتغال بالقضاء، و عکف علی الدرس و التدریس و الافتاء. فکانت داره مثابة للمستفتین و المستفیدین، و کان لا یبخل علی أحد بفتیا، حتی إذا کان بعیدا عنه تکلف له کتابة الفتوی و أرسلها إلیه بالبرید.

و کان شهرته قد تجاوزت مصر الی العالم الإسلامی کله، فکانت ترد الیه الاستفتاءات تتری فی مختلف المسائل، و منها مسائل تحتاج الی مراجعات کثیرة مضنیة، فکان لا یضن بنفسه عن القیام بها فیحررها و یرسل بها للمستفتین.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۷

و مما انفرد به أنه کان قد استخدم کتابا لنقل فتاواه و تولی إرسالها إلی طلابها فی مختلف الأقطار، متحملا مکافآتهم شهریا و أجر ما

يرسله بالبريد من الكتب و الرسائل.

و قد عرف رحمه اللّه بالزعامة فى علم الأصول، فكان يرجع إليه جلة العلماء فيما يشكل من مسائله، و يصادفون لديه لكل مشكلة حلا كأنها مرت به من قبل فعالجها و انتهى الى ما يحسن السكوت عليه من أمرها .. و كان خاتم طبقة من العلماء المحققين الذين تميزوا فى حياة الأزهر بالتبسط فى العقائد، و التعمق فى الفقه، فانتهت إليه الامانة فيهما حينا من الدهر. كما كان- غفر اللّه له- من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التى قام بها الامام محمد عبده. دفعه الى تلك المعارضة الثائرة دوافع المنافسة من جهة، و تحريض أولى السلطان من جهة أخرى، و كان فى الشيخ زكاته شاهدة و دعابة لطيفة، و طموح إلى مساماة الامام فى منصبه و نفوذه و شهرته، حرك فيه الأخذ بنصيب من الادب و الثقافة العامة. و لعله كان أعلم أهل جيله بدقائق الفقه الحنفى، و أبسطهم لسانا فى وجوه الخلاف بين أصحاب الشافعى و أصحاب أبى حنيفة.

و كان ميلاده فى المطيعة من أعمال أسيوط فى ۱۰ محرم عام ۱۲۷۱ ه، و شب على الذكاء و العقل و حفظ القرآن المجيد، ثم حفظ متن الإجرومية فى النحو و متن العشماوية فى فقه المالكى و حضرهما على حضرة الأستاذ الشيخ محمد عنتر الكبير والد الشيخ محمد عنتر أحد علماء الأزهر، ثم طلبت نفسه الشريفة التوجه الى الأزهر لتحصيل العلوم من معدنها فقدم لمصر فى أوائل سنة ۱۲۸۱ و اشتغل بالتحصيل مقلدا مذهب أبى حنيفة النعمان، فحضر على مشاهير الأزهر كالشيخ الدرستاوى، و الشيخ عبد الغنى الملوانى، و الشيخ عبد الرحمن البحراوى، و الشيخ حسن الطويل، و الشيخ الدمنهورى، و الشيخ المهدى، و الشيخ عبد الرحمن الشربينى، و الشيخ جمال الدين الافغانى حتى حضر غالب الكتب المعتاد قراءتها بالأزهر من فقه و نحو

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۴۸

و حديث و أصول و تفسير و بلاغة و منطق و حكمة و غير ذلك على المشايخ المذكورين و غيرهم من كبار الأزهر و لازم الاجتهاد الى ان مهر و امتحن للتدريس و حاز الدرجة الأولى و درس سنة ۱۲۹۲ و لازم تدريس كتب المنطق و الحكمة و التوحيد الى سنة ۱۲۹۵ ثم درس الفقه و النحو الى سنة ۱۲۹۷ و فيها تولى قضاء مديرية القليوبية ثم قضاء مديرية المنيا ثم قضاء محافظة بور سعيد ثم قضاء محافظة السويس ثم قضاء مديرية أسيوط ثم تولى تفتيش نظارة الحقانية ثم قضاء اسكندرية ثم تولى رياسة المجلس الشرعى بمحكمة مصر الكبرى ثم عضوية المحكمة العليا بها، و مع ذلك كان حفظه اللّه ملازما لتدريس العلوم فى كل جهة تولى بها مع همة و نشاط، و لم يزل يدرس الكتب العالية مع القيام بكامل شئونه و أعماله، و له تآليف عديدة، منها حواشى الخريدة، و حواش على شرح العقائد العضدية، و ارشاد الأمة فى أحكام اهل الذمة، و حسن البيان فى ازالة بعض شبه وردت على القرآن، و الدرر البهية فى الصلاة الكمالية لدفع شبه وردت على تلك الصيغة، و مقدمة شفاء السقام المسماة بتطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد و سواها.

الشيخ حسين والى

كان مقررا ان تنعقد لجنة الفتوى بالأزهر فى الساعة الرابعة من مساء يوم السبت ۶ من ذى الحجة سنة ۱۳۵۴ الموافق ۲۹ من فبراير سنة ۱۹۳۶ برياسة فضيلة رئيسها المغفور له الشيخ حسين والى، و ما كادت تبزغ شمس ذلك اليوم حتى فوجىء أعضاؤها، كما فوجىء الناس عامة بنعى رئيسها العظيم، و ما كادت تحين الساعة المحدودة لانعقاد اللجنة، حتى كان شيخها الجليل يعبر الطريق من منزله الى الأزهر الشريف محمولة فوق الأعناق، مشيعا بقلوب مكلومة، و زفرات حارة، و دموع منهمرة، فذاق اعضاء لجنة الفتوى الذى خبروا الفقيد عن كثب، فعرفوا فيه العلم الغزير، و الخلق الكريم، و العقل الراجح، و الفكر الثاقب، و الجلد على البحث، و الشغف

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۴۹

بالاطلاع، و الدقة فى تلمس الحق، ذاقوا آلام الحزن العميق على هذا المصاب الجلل .. و يقول عنه الشيخ عبد الجواد رمضان: هو السيد حسين والى بن العلامة السيد حسين والى بن السيد إبراهيم والى، ينتهى نسبه الى الإمام أبى عبد اللّه الحسين بن على، رضى اللّه

عنهما، ولد فی منیة ابو علی من اعمال مرکز الزقازیق فی مدیریة الشرقیة، فی رجب الفرد سنة ۱۲۸۵ نوفمبر سنة ۱۸۶۸، و طلب العلم فی الأزهر، منتسبا الی رواق معمر، إلی ان نال شهادة العالمیة سنة ۱۳۱۷ ه- ۱۸۹۹ م. و أذن له بالتدریس فی الأزهر سنة ۱۹۰۰، ثم ندب للتدریس فی مدرسة القضاء الشرعی سنة ۱۹۰۷. ثم عین مفتشا فی الأزهر و المعاهد الدینیة سنة ۱۹۱۱، ثم وکیلا لمعهد طنطا سنة ۱۹۱۴، ثم سکرتیرا عاما للمجلس الأعلی بالأزهر سنة ۱۹۲۰، و بقی فی هذا المنصب الی أن ألغی فی دیسمبر سنة ۱۹۲۶، و فی ۷ من شهر ربیع الأول سنة ۱۳۴۳ (۶ من أکتوبر سنة ۱۹۲۴) عین فی هیئة کبار العلماء بمرسوم جاء فیه: «عین فی هیئة کبار العلماء کل من حضرات.

الشیخ محمد مصطفی المراغی الحنفی المذهب رئیس المحکمة العلیا الشرعیة، و الشیخ حسین والی السکرتیر العام لمجلس الأزهر الأعلی و المعاهد الدینیة، و الشیخ محمد الحلبی، و الشیخ سید علی المرصفی، الشافعی المذهب». و توفی- طیب اللّه ثراه- فی ۲۸ من فبراير سنة ۱۹۳۶، و هو عضو فی مجلس الشیوخ، و فی المجمع اللغوی. و ما تزال أصداء جولاته تدوی فی قبابهما فیتجاوب بها آفاق العروبة فی مشارق الأرض و مغاربها إلی الیوم.

و السید حسین والی، أحد الأقطاب الذین سما حظهم من التبحر فی علوم اللغة العربیة و آدابها، و أخذوا بآفاقها و شعابها، علی جمیع الباحثین و المتأدبین، فی عصر النهضة، فلا یسبقهم سابق، و إن ناصاهم شواذهم فی أقطار الشرق العربی معدودون معروفون. هم الأئمة «و سائر الناس علی آثارهم مهتدون».

لا جرم ان مواهب السید حسین والی، جدیرة بأن تبوئه هذه المنزلة

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۵۰

الرفیعة التی لا- ترام، فلقد کان- إلی تبحره فی علوم الأزهر- کاتبا قدیرا، و شاعرا فحلا. یکتب کما یکتب حمزة فتح اللّه، و السید توفیق البکری، و الشدیاق الخ، و یشعر کما یشعر حمزة فتح اللّه، و السید توفیق البکری، و آل الیازجی، و غیرهم من کبار الکتاب و فحول الشعراء، فی مصر و الشام و العراق، و یصاول المؤلفین و الباحثین فی وزارة المعارف و غیرها، و ینقدهم، و ینال منهم و یوجههم فیتجهون، و یفتی فی اللغة و الأدب، فینقطع کل قول، و یخفت کل صوت. ذلک بأنه کان مطلعا فقیها لغویا، ذواقة، هاضما لما علم، واثقا مما یقول .. و الإیمان بالرأی أقوی أسلحة الشجاع.

و کان من الطبیعی أن ینال السید حسین والی من الشهرة عند الخاصة و العامة کفاء هذه المواهب المتوافرة، بید أنه عض من شهرته شمائل، هی فی شرفها و عنصرها أنفس جوهرا، و أعز قیمة، و أرفع جمالا من کل شهرة.

و کان السید حسین والی غالیا فی التعصب للقدیم، یعتز به، و یحافظ علیه، و یرعاه فی دینه، و فی سمته، و فی لغته، و فی کل ما یحیط به، حتی لقد سمی أولاده: أسامة، و لؤی، و نزار، و الفرات. یحدوه إلی ذلک نسبه الشریف، و نشأته الأزهری، و وقار ألبسة اللّه منه رداء فضفاضا، ثم نزعة صوفیة عمیقة ظهرت فیه طول حیاته.

الشیخ محمد الفحام

تخرج الأستاذ رحمه اللّه فی الأزهر، و بعد نیله شهادة العالمیة التحق بخدمة القضاء الشرعی، و تقلب فی وظائفه سنین کثیرة عرف فیها بسداد الرأی و الحزم، ثم نقل من القضاء إلی الإمامة الخاصة للملک، ثم خرج منها إلی مشیخة معهد الاسکندریة، فکانت له فیها آثار ظاهرة، و نظم مفیدة، و سمعة بین الناس طیبة رشحته إلی تقلید وکالة الجامع الأزهر، و کان قد تملأ خبرة بادارة الاعمال، و بالزمان و أهله، و بقیادة الموظفین، فکان یخوض معهم فی الادارة العامة عباب الأعمال المختلفة، و یمضی معهم الساعات الطویلة مناقشة و بحثا و تحقیقا و تثبتا، و یقابل فی أثناء ذلک الوافدین

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۵۱

علیه فیسعهم بتلطفه و طلاقة وجهه، لا یکاد یفرغ من هذا العمل المتواصل آنا یسترد فیه ما فقده من قواه حتی موعد الانصراف.

لبث علی ذلک بضع عشرة سنة، و لو لا صفات متأصلة فیه من المضاء و المرونة المستندة إلی اللباقة، لاصطدم طوال هذه المدة التی اجتاز الأزهر فیها أزمات خطیرة، و عقبات کأداء، بعواثیر لا تذلل، و لکنه رحمه اللّه عالجها علی أسلوبه بالموازنة و المیاسرة، و تمکن بذلک أن یستبقی الادارة العامة قائمة تؤدی واجباتها الدیوانیة خلال هذه الأزمات الشدیدة.

أصابه رحمه اللّه قبل نحو شهرین من وفاته، مرض عضال أصاب الطحال و القلب، بذل کثیر من الأطباء جهد العلم فی معالجته فاستعصی، و ما زال رحمه اللّه یضعف حتی أسلم الروح فی مساء السبت ۱۸ من جمادی الأولی سنة ۱۳۶۲ (الموافق ۲۲ من مایو سنة ۱۹۴۳).

الشیخ یوسف الدجوی

فی مساء الثلاثاء ۴ صفر سنة ۱۳۶۵ ه- ۸ ینایر سنة ۱۹۴۶ م، توفی الشیخ العلامة، یوسف الدجوی الأزهری النابغة الکفیف البصر، و عضو جماعة کبار العلماء.

و کان الأستاذ الدجوی من العلماء الراسخین فی العلوم التی تدرس فی الأزهر أخذها عن أئمتها مثل الشیخ هارون عبد الرازق و الشیخ احمد الرفاعی الفیومی و الشیخ محمد طموم و الشیخ احمد فاید الزرقانی، و الشیخ رزق البرقامی، و الشیخ سلیم البشری، و الشیخ البحیری، و الشیخ العدوی، و کلهم من أقطاب الجامعة الأزهریة الذین صانوا رسالتها الی هذا العصر الحدیث.

ولد الدجوی فی قریة دجوة التابعة لمرکز قلیوب فی سنة (۱۲۸۷) من أب عربی، و أدخله والده الأزهر فی سنة (۱۳۰۱ ه) و نال الشهادة العالمیة فی سنة (۱۳۱۷) بنجاح عظیم کان مدعاة لأن یزوره فی دارة الشیخ راضی

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۵۲

الحنفی من کبار العلماء و هنأه علی ما أصاب من توفیق. و ما فعل ذلک إلا من شدة إعجابه به، و إکباره لشأنه، و توقعه له حیاة علمیة تشرف الأزهر و الأزهریین، و قد صدق حدسه، فإن الأستاذ الدجوی لم یلبث أن ظهرت مواهبه، و تجلت خصائصه، فصار مرجعا للمستهدین و المستفتین فی جمیع البلاد الإسلامیة.

و لما أسست المشیخة الأزهریة مجلة الأزهر کان من أول من وقع اختیارها علیهم لیحرروها الشیخ الدجوی رحمه اللّه، فکتب فیها البحوث الممتعة فی الدین و التفسیر و الحکمة، و بقی علی موافاتها ببحوثه الی عهده الأخیر.

و من ممیزات الشیخ رضی اللّه عنه أنه کان یأنس الی البحوث النفسیة الحدیثة فی اوروبا و یراها خیر أداة لکسر شوکة الماديین، و قد اعتمد فی کتاباته علی ما حققوه منها و کان لا یخشی فی مجاهرته بذلک لومة لائم.

و قد ترجم له قلم ترجمة مجلة الأزهر کتابه القیم (رسائل السلام) الی اللغة الانجلیزیة، فطبعت المشیخة الأزهریة منه عشرة آلاف نسخة بعث کثیرا منها لمن لا یستطیعون فهم العربیة و للأجانب الراغبین.

کان مفسر الأزهر و محدثه، بل فیلسوفه و کاتبه، و خطیبه، کما کان موضع ثقة الجماهیر الاسلامیة فی شتی الأقطار، تتوارد الیه استفتاءاتهم من جمیع الجهات، و تصلهم مقالاته النافعة بمجلة الأزهر و غیرها من المجلات و الصحف العربیة و الافرنجیة و مؤلفاته الممتعة .

و منها کتاب سبیل السعادة الذی ألفه عام ۱۹۱۲ م فی فلسفة الاخلاق الدینیة و أسرار الشریعة الاسلامیة، و الرد علی الطبیعیین، و قد قرظه امام اللغة المرحوم الشیخ حمزة فتح اللّه بکلمة طویلة منها: «أحسنت یا شیخ

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۵۳

الدین، و أدیت فرض الکفایة عن علماء المسلمین، و شفیت السقام، و رویت الاوام».

و من مؤلفاته رحمه اللّه: الجواب المنیف فی الرد علی مدعی التحریف فی الکتاب الشریف، اخرجه عام ۱۹۱۳ م، رد فیه علی القس الانجلیزی (کولدساک) الذی طعن القرآن الکریم و نقص من شأن الاسلام، فأتی الشیخ علی مزاعمه فهدمها من أساسها، و ظل یتابع حملاته علی کتاب هذا القس حتی صودر. و من مؤلفاته النادرة رسالة فی تفسیر قوله تعالی:

«لا یُسْئَلُ عَمَّا یَفْعَلُ وَ هُمْ یُسْئَلُونَ» لم یتقید فیها بما قاله المفسرون، بل ذهب فیها کل مذهب، و تصرف فیها کل متصرف، و دعا فیها علماء المسلمین شرقا و غربا للاجتماع و التشاور لاستنباط أسرار القرآن قبل ان یتهددهم الخطر ... و منها رسالة فی علم الوضع، اخرجها عام ۱۹۱۷ م و قد نالت الجائزة الاولی من لجنة فحص الکتب العلمیة ... و منها مذکراته فی الرد علی کتاب الإسلام و أصول الحکم، و کلماته فی السلفیات الحاضرة، و قد طبع هذه الکلمات علماء دمشق و نشرت هناک ... و منها صواعق من نار فی الرد علی صاحب المنار. و منها هدایة العباد الی طریق الرشاد. جمع فیه من محاسن الدین الإسلامی الشیء الکثیر، و قد انفرد فیه بأشیاء لم یسبقه بها غیره. و منها کتاب رسائل السلام و رسل الإسلام، انتهی من تألیفه عام ۱۹۲۲ م علی أثر تکلیف مشیخة الأزهر له بإخراجه بمناسبة اعتناق الألوف المؤلفة من أهل أوروبا و أمریکا، الدین الإسلامی، و قد ترجمته مشیخة الأزهر باللغة الإنجلیزیة و طبع بالمطبعة الامیریة، و أرسل الی الجهات النائیة.

و قد وجهت صحیفة الاهرام الغراء فی نهایة عام ۱۹۳۹ م نصحها و ارشادها الی زعیمی دول المحور الهر هتلر و السونیور موسولینی باتباع ما جاء بهذا الکتاب و العمل بالتعالیم الموجودة بین دفتیه، إذ انها تدعو للوئام و السلام. و لا یفوتنا أن نذکر فی هذه الکلمة ما کان یقوم به من المحاضرات

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۵۴

العلمیة فی تفسر آی الذکر الحکیم، و حدیث النبی الکریم، عقب صلاة الفجر بالرواق العباسی بالأزهر، و کان جلة العلماء، و مثقفو الطلبة حریصین علی تلقی هذه المحاضرات، للارتشاف من منهل الامام الکوثر العذب، یبادرهم الیها، سیادة السید المجددی، وزیر الافغان المفوض بمصر سابقا، و قد کتب بعض المستشرقین؛ عند استماعه هذه المحاضرات، مقالات ممتعة، نشرتها صحف فرنسا بعنوان (سبنسر و باکون، فی الأزهر الشریف) الخ.

أما ناحیته العملیة، فتتمثل فیما قام به من تألیف الجمعیات الإصلاحیة الدینیة، التی منها جمعیة النهضة الإسلامیة لمناهضة المبشرین الذین استشری فسادهم، و عم ضررهم حتی ضجت البلاد من شرهم، فکانت جمعیة موفقة أدت واجبها خیر أداء، و انتشرت فروعها فی جمیع الانحاء، فوقفت هذا التیار الجارف. و منها الجمعیة العظمی لمساعدة منکوبی حرب الأناضول، بمناسبة الحرب الترکیة الیونانیة، و أسندت رئاستها إلیه اول مرة، و بمناسبة تأسیسه لها أرسل إلیه الخلیفة عبد المجید کتاب شکر و ثناء و تقدیر. و لم یقتصر نشاط الشیخ علی ما تقدم، بل لم یلهه الجهاد العلمی عن الجهاد الوطنی، فکانت له مواقفه المشهودة فی خدمة أهداف البلاد الوطنیة، و من تلک المواقف احتجاجه لدی العمید الإنجلیزی علی اعتقال المرحوم الزعیم الخالد سعد زغلول و صحبه المجاهدین المخلصین، اذ قال: «عجبا لسیاستکم العتیقة کیف یفوتها أن شدة الضغط تولد الانفجار، و أن تقلیم الأشجار لا یزیدها إلا تهیجا و نماء، و أن النفوس الانسانیة متی امتلأت بشیء استعذبت الموت فی سبیله، و لا تظنوا یا جناب اللورد ان هذه احتجاجات تفوه بها الألسن. و إنما هی قلوب متأججة و أرواح مشتعلة و أعصاب متنبهة، فاعملوا إنا عاملون، و لا ییأس من روح اللّه إلا القوم الکافرون». و قد نشرته الصحف فی حینه. و من مواقفه التی تشهد له بالفخر و الاریحیة و الاقدام و الشجاعة، ذلک الکتاب الذی رفعه الی ملک الانجلیز طالبا به تخفیف حکم الإعدام الذی صدر علی شاب من شباب الأزهر و هو-

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۵۵

الشیخ محمد الشافعی البنا- و قد استجیب طلبه. کما أن الأستاذ الدجوی کان محاضرا ممتازا تدعوه الجمعیات الاسلامیة لإلقاء محاضرات علمیة إجتماعیة، إلی غیر ذلک من مواقفه المجیدة، و أعماله الحمیدة.

كتبت عنه مجلة «هدى الإسلام» تقول: قد وقف (الدجوى) أمام المضللين الذين عرفوا أنفسهم ب (المبشرين) وقفات جبارة أحبطت جميع مساعيهم و حطمت آمالهم القوية من جهتين:

أولا: بكشف أغراضهم و بيان ضلالهم و بطلان عقائدهم و مبادئهم.

ثانيا: بيان صلاحية الشريعة الإسلامية للأزمنة و الأمكنة، و أنها الشريعة الكافلة لحياة البشر، و له فى ذلك رسائل و مقالات كثيرة تشهد له بفائدتها شدة وقعها فى النفوس، و مع ذلك فهو متعقب حركات المضللين و سكناتهم لا يدع لهم حيلة إلا فضحها، و هذه المثابرة أنتجت فكرة المقاومة و يسرت سبيل الغلبة، و لو لم يتداركوا أمرهم و يبدلوا خطتهم القديمة، لما سمعت لهم صوتا فى بلاد الإسلام، و على كل فالهمم متضافرة و العزائم متعاونة على ملاحقتهم و مكافحة أفكارهم، فللدجوى يد فعالة فى كل حركة إسلامية لا تعرف الهوادة و اللين، و هو خير مثال للعالم الوقور، و له مؤلفات عديدة تشف عما انطوت عليه نفسه من الحكمة و السياسة الدينية و الترغيب فى التدين و تصوير حقائق الإسلام إلى غير ذلك من المباحث القيمة التى انفرد بها، و لا تخلو منها مكتبة عامرة، و مع ذلك فقد كان دائبا على الكتابة و النشر، حريصا على استثمار حياته، و المتتبع له يعتقد اعتقادا جازما بأنه قد جعل حياته كلها وقفا لخدمة الأمة الإسلامية.

و للدجوى أسلوب جذاب فى الكتابة، و هذه الجاذبية كما قلنا ليست بنت التصنع و التزويق و إنما من تواضع صاحبها و نوادر المعانى العالية، تتخذ لها القوالب الموافقة، فيأتى المبنى منطبقا على المعنى، و على الرغم من ذلك فأسلوبه لا يتبدل مهما تبدلت مواضيعه.

و قد تكون بعض مقالاته فهرس مقالات خصبة ممتعة. فكتاباته كانت أشبه بالإلهام و الخواطر بصرف النظر عن بعض الدواعى التى تدعوه إلى الكتابة حتما، و هذا السر فى أن كتابة الدجوى تأخذ مفعولا كبيرا فى

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۵۶

العقليات لأنها ابتعدت عن التصنع و الزخرفة الفارغة، و له قدرة جليلة على حسن الاختيار من بدائع المنقول، فهو يعرف كيف يقتطف لباب الغير و أروع الحوادث من كتب المتقدمين و كذلك يعرف كيف يختار لها المناسبة و يعطيها اللائق بها، فكثير من الناس لا يعرفون كيف يستفيدون من تلك العبر و الحوادث و هى بين أيديهم، فلا غرابة اذا هم لم يفيدوا بها و إذا فهموها فربما سولت لهم أنفسهم أن يستغلوا تأويلها فى مآربهم الخاصة كما جرى على هذه الطريقة كثير من تجار النفاق. و أنت إذا قرأت منقول الدجوى، اطمأنت نفسك اليه و ارتاحت من عناء البحث و التنقيب و تعقيب المطولات، فإنه إذا نقل حفظ الامانة و أشار الى خلافها كما أنه يبنى عليه المعقول البديع الذى يخلب الألباب، و ينادم الأفكار الحرة المجردة من قيود التعصب الأعمى و التقليد الطائش، و تكاد تلمس تحكمه فى معقوله تحكما ينطبق على الواقع و يلائم الأحوال.

ولع بالعلوم الدينية صغيرا و لم يكن ولعه مقصورا على الكسب و الدرس، بل أفسح لدماغه التجول و المناقشة و النقد للرواية و الدراية فظهر نبوغه بين أقرانه و رمقته عيون الحاسدين فلم تنل منه شيئا إنما زادته جرأة و حرية أوسع، ثم جمع بين العلم و الزمان فرأى مفهوم العلم عند بعض الناس يناقض حاجة العصر. حيث إن بعض العلماء عاجزون عن التوفيق بينهما و ذلك لأن فهمهم استمد من حالات قديمة تختلف كل الاختلاف عن الأحوال الراهنة. وقب، أما اليوم فليحارب و ليثبت و لهذا كان (الدجوى) يسعى فى التوفيق ليوحد رأى العلماء و يكون منهم جبهة مناضلة بقوة العلم الحقيقى، ليقضوا على الأدعياء الكاذبين، فهو بطل العلم و حامل لواء نهضته. هذه ناحية من جهاده تريك تأثيره القوى و ما كان له من الكلمة النافذة فى حياته عند المفكرين و الجماهير.

الشيخ عبد الحكم عطا

كان مولده سنة ۱۸۶۵ فى «نواى ملوى- أسيوط» من أسرة كريمة، فوالده المرحوم الشيخ عطا عبد الفتاح كان عالما جليلا مشهورا بالتقوى،

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۵۷

و العلم و الجرأة فی الحق، و له مقام عظیم لدی الکبراء و العظماء، و کان المرحوم محمد باشا سلطان یجل الشیخ و یحترمه، حتی ألح علیه فی الانتقال من بلدته. و الاقامة فی «بنی أحمد بالمنیا» فاستجاب دعوته.

و توارث آل سلطان باشا حب أبناء الشیخ و إکبارهم. و فی بلدة بنی أحمد.

کان الشیخ عطا، یلقی دروسه لأبناء الأعیان. و قد تتلمذ له ولده الناشیء «عبد الحکیم» حتی إذا کانت سنة ۱۸۷۹ أرسله إلی الأزهر فأخذ عن العلماء الاعلام و ابتدأ نجمه یتألق بین طلاب العلم فی الأزهر.

و قد حصل علی العالمیة الممتازة، سنة ۱۸۹۵ و لفت الأنظار عامئذ، إلی کفاءته و ذکائه و علمه، و أشادت بذکره صحافة العهد. ثم اتخذ مکانة بین المدرسین فی الأزهر، فعمرت دروسه، و غصت بالمئات من تلامیذه، المعجبین به، الناهلین من علمه. و مکث یدرس فی الأزهر قرابة الثلاثین عاما، و رفض غیر مرة. أن یلی الوظائف، و صدف عن التنعم فی بحبوحة المرتبات. متلذذا بخدمة العلم و تخریج العلماء. حتی عرض علیه أستاذه المرحوم أبو الفضل، بإلحاح، مشیخة القسم الثانوی سنة ۱۹۲۰ فخضع لأمر شیخه، و من وقتئذ بدأ حیاته الاداریة، فولی مشیخة القسم الثانوی و القسم العالی، و جمع بینهما فی بعض الأوقات.

و فی سنة ۱۹۲۸، فی عهد مشیخة الشیخ المراغی الأولی، عین شیخا لمعهد أسیوط، فبقی به سنة. ثم نقل الی معهد الزقازیق عام ۱۹۳۰، و قد أحیل إلی المعاش بعد حین. و کان من العلماء المقدمین، فی هیئة کبار العلماء، و هو بحق شیخ الشیوخ بلا مراء لکثرة من أخذ عنه من الأساتذة ..

و الشیخ أحمد حمیدة شیخ معهد أسیوط الیوم، کان امتحانه فی العالمیة من ثلاثین عاما امام الشیخ عبد الحکم. و لقد کان فی علمه دائرة معارف اسلامیة أزهریة، فقد حفظ کتاب اللّه، و فهم دقائقه، و استوعب کتب السنة، و ألم بالکتب الأزهریة صغیرها و کبیرها، متونها و شراحها و حواشیها، إلماما عجیبا، کأنه استظهرها عن ظهر قلب. و ذلک راجع إلی قوة عقله، و شدة ذکائه و جلده و صبره علی البحث و الدرس.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۵۸

و فی إداراته، کان مثال الإخلاص، کل همه أن یتجه الأساتذة و الطلاب، بکلیتهم، نحو الثقافة الأزهریة الصمیمة، و أن یجعلوا وقتهم بأجمعه وقفا علی تحصیل العلم، لذلک کانت نتائج معاهده فی مقدمة النتائج.

أما خلقه و تقاه، فکان فیهما علی سنن السلف الصالح، لا یعرف مداجاة هذا العصر، و لا ریاءه. دیدنه الصدق و الصراحة، و التواضع و الحلم، و العطف علی المحتاجین .. و بعد حیاة حافلة، عامرة بالخیر، لقی اللّه فی ۱۰ ذی الحجة سنة ۱۳۵۱ ه (۱۹۳۲) و صلی علیه بالأزهر، و استقر جثمانه هنالک، فی جوار العلماء و الصالحین، بقرافة المجاورین. و لم یعقب، الشیخ رحمه اللّه أبناء، و لکنه ترک ثلاث بنات أصهر بهن فی حیاته، إلی الشیخ محمد علی سلامة، المدرس بکلیة أصول الدین، و الشیخ قطب أبو العلا المدرس بالمدارس الثانویة، و محمود افندی حسن من أعیان تله- المنیا. و قد قرت عینه بأسباطه قبل وفاته، و منهم الأستاذ محمود محمد سلامه، و المهندس عزت بالهندسة، و غیرهما.

الشیخ محمود الدینارى

کان مولده فی «قای- بنی سویف» سنة ۱۸۷۵، و بین ربوعها نشأ و حفظ القرآن الکریم، ثم مکث سنة فی طنطا یجود حفظه و قراءته، و فی سنة ۱۸۸۸ ألحق بالأزهر الشریف و بقی ینهل العلم من أعذب مناهله، حتی سنة ۱۹۰۴ و فیها نال العالمیة، بدرجة ممتازة.

و فی هذه السنة عین مدرسا فی الأزهر، ثم اختیر مدرسا بمعهد الاسکندریة لیکون من حراس النظام الناشیء بها. و استمر به إلی سنة ۱۹۱۱ ثم نقل مراقبا للقسم النظامی الجدید بالأزهر، فکان عونا و ظهیرا للاستاذ الشیخ محمد شاکر علی ترکیز النظام. و فی سنة ۱۹۲۰

عين شيخا للقسم الأولى، فعضوا فى مجلس إدارة الأزهر، ثم أضيفت إليه مشيخة القسم المؤقت، و فى سنة ١٩٢٥ عين شيخا للقسم العالى، ثم اختير مفتشا

الأزهر فى ألف عام، ج٢، ص: ٥٩

للمعاهد الدينية عام ١٩٢٨ فى عهد الأستاذ الشيخ المراغى.

و فى ديسمبر سنة ١٩٢٩ عين شيخا لمعهد أسيوط، فظهر فيه حزمه و كفايته، و سار المعهد فى عهده سيرا حميدا، و أحبه الأساتذة و الطلاب جميعا، و ظهرت فى المعهد روح الجد و النظام. و فى ديسمبر سنة ١٩٣٠ زار الملك فؤاد أسيوط و وضع الحجر الاساسى فى بناء المعهد الجديد، و كان الشيخ موضع رعايته.

و فى يونية سنة ١٩٣١ نقل شيخا لمعهد طنطا، فعالج الروح الثائرة فى الطلاب بحكمته، ثم عنى بإنشاء جمعيات المحافظة على القرآن الكريم، فى طنطا و ما حواليها. حتى جعلها فى مقدمة جمعيات القطر، موردا و إنتاجا.

و فى سنة ١٩٣٤ قدم رسالة فى (البلاغة)، عين على إثرها عضوا فى جماعة كبار العلماء، و فى سنة ١٩٣٦ أنعم عليه بكسوة التشريفة الأولى.

و لقد كان من المشهود لهم، بالقوة فى العلم، و الدقة فى الادارة، كما عرف بالدهاء و حسن السياسة، و هو كفء قليل النظير، تتجلى كفاءته فى كل عمل يسند إليه، و هو مع ذلك رجل يقدر الناس رجولته و يعجبون بها، و يجلونه، و يحبونه .. و جمهرة كبيرة، من أساتذة الأزهر و المعارف و رجال القضاء، مدينون للشيخ، بالأستاذية، عارفون فضله حافظون عهده .. ثم استجاب نداء ربه، بعد هذا الجهاد المبرور، فى فجر يوم الجمعة ٢٧ رمضان سنة ١٣٥٥ ه (ديسمبر سنة ١٩٣٦) بمدينة طنطا، ثم نقل جثمانه الطاهر إلى القاهرة، حيث هدأ هدأة الخلود، فى قرافة المجاورين، فى ظلال من رضوان اللّه.

الشيخ محمد سليمان السرتى

عين مدرسا بالمعاهد، عام ١٩٠٧، و تنقل بين وظائف التدريس و المراقبة، حتى عين شيخا لمعهد دسوق، فبقى فيه بضع سنين. و فى ١٢

الأزهر فى ألف عام، ج٢، ص: ٦٠

يونيه ١٩٣١ عين شيخا لمعهد أسيوط، و هو الذى جمع الدراسة من الدور المتفرقة. إلى مكان واحد، هو المدرسة الابتدائية القديمة، و بفضله ابتدأ العلم فى بناء المعهد الجديد، بعد تعطيله، و فى عهده انتقل المعهد من تلك الأماكن المستأجرة، لدراسته و إدارته، إلى ذلك الصرح المشيد، المشرف على نهر النيل، و له بأسيوط مواقف مشهودة، فى الغيرة على الدين، و من أجمل آثاره، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، فقد أسسها و تعهدها، حتى نمت و ترعرعت .. و المدرسة الإسلامية الابتدائية بأسيوط- التى أنشأها المؤلف- لن تنسى تشجيعه لها، و فضله عليها، و كانت له صلات طيبة بالأهلين، و كلهم محب له، معجب بصراحته، و جراءته، و فصاحة منطقه، و كثيرا ما كان يخطب الناس فى المساجد، و المحافل، فى الشئون الاجتماعية الهامة، و الحادثات الإسلامية المهمة، و قد نقل شيخا لمعهد الزقازيق، فى فبراير سنة ١٩٣٥، فشيخا لمعهد الاسكندرية، ثم نقل شيخا لمعهد طنطا، و فى طلابها بعض الثورة، فحاول علاجهم، و لكن زمامهم أفلت من يده، فأحيل إلى التقاعد فى ١٩ يونيه سنة ١٩٣٧، و عمره نحو ۶۴ سنة.

الشيخ عبد المجيد اللبان

كان رحمه اللّه من أمثل العلماء خلقا، و أقواهم دينا، و أصحهم عقيدة، و أرفعهم شخصية، مات و هو فى نحو السبعين من عمره، و ذلك نحو عام ١٩۴٠ م، و كان يشغل منصب شيخ كلية أصول الدين، حيث ظل شيخا للكلية منذ إنشائها عام ١٩٣٢ إلى وفاته، و كان

مع ذلک عضوا فی مجلس الأزهر الأعلی، و عضوا فی جماعة کبار العلماء، و عضوا فی کثیر من اللجان التی ألفت لإصلاح الأزهر، و تعدیل مناهج الدراسة فیه، و سوی ذلک، و کان رحمه اللّه قبل أن یشغل منصب «شیخ کلیة أصول الدین» یتولی منصب شیخ القسم العالی فی الأزهر. و قد تخرج علی یدیه آلاف العلماء الذین کانوا یحبونه حب الابن لأبیه، و التلمیذ لأستاذه، و عند ما بدأ لأول مرة امتحان أقسام الأستاذیة فی الأزهر، التی تعد خریجیها للتدریس فی الکلیات

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۶۱

الأزهریة، کانت لجان الامتحان برياسة ثلاثة شیوخ من کبار الشیوخ فی الأزهر، و هم الاستاذ الأکبر الشیخ محمد مأمون الشناوی، و الشیخ عبد المجید اللبان، أجزل اللّه لهما مثوبته، و الأستاذ الأکبر الشیخ ابراهیم حمروش اطال اللّه فی حیاته، و کانت للشیخ اللبنان رحمه اللّه مواقف محمودة، و ذکریات لا تنسی، و کانت عصبیة المراغی رحمه اللّه تناهضه، لأنها کانت تعتقد أن الشیخ یعمل لیکون شیخ الأزهر المرتقب بعد المراغی. و کان الشیخ اللبان یحرص کل الحرص علی أن یبقی للأزهر تقالیده و مقوماته و خصائصه، و کان یری ان الطفرة فی الاصلاح قد تؤدی إلی نکسة، و لذلک کان خیر عماد للأزهر فی تطوره، و ملاذا لشیوخه الحذرین الخائفین من نتائج الطفرة و السرعة.

و کان اللبان مکانة کبیرة عند الحکام، و منزلة عظیمة لدی أولیاء الأمور، و کانوا یستشیرونه دائما فی أمور الأزهر و إصلاحه، و لما تولی المراغی مشیخة الأزهر لثانی مرة، و أقیمت حفلة لتکریمه فی ۳ یولیو ۱۹۳۵، کان الشیخ اللبان رئیس لجنة الاحتفال .. و کان فی مطلع کل عام دراسی یستقبل الیوم الأول بخطبة بلیغة یلقیها علی الطلاب و الأستاذة، یضمنها نصائحه و تجاربه و خبرته الواسعة.

و قد بدأ الشیخ حیاته العلمیة بعد تخرجه من الأزهر الشریف مدرسا فی معهد الاسکندریة الدینی، حیث مکث مدة طویلة، کان فیها محبوبا مکرما من الشعب و الحکام و المسئولین، و دارت الأیام حتی أصبح شیخا للقسم العام فشیخا لکلیة أصول الدین، إلی أن توفی رحمه اللّه ترکا ذکریات أزهریة طیبة لا تنسی علی مر الأیام.

الشیخ عبد الوهاب النجار

درس فی الأزهر و تخرج فی مدرسة القضاء الشرعی و عمل مدرسا فی وزارة المعارف المصریة. و قد غضب علیه وزیر المعارف فنقله من مدرسة عابدین إلی مدرسة أسوان، و هو مدرس حدیث العهد بالوظیفة إثر اشتراکه

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۶۲

فی جمعیة مکارم الأخلاق الاسلامیة فاستقال من وظیفته. و سافر بعد فترة إلی السودان مدرسا فی کلیة غرودن، ثم عاد إلی مصر فعین بمدرسة البولیس و الإدارة بعد فترة قضاها فی المحاماة، ثم اختیر مدرسا بمدرسة دار العلوم إلی أن أحیل إلی المعاش، ثم عین ناظرا لمدرسة عثمان باشا ماهر و ندب مدرسا بکلیة أصول الدین. و هو فی جمیع هذه الوظائف کان الداعی إلی الدین بالبرهان الساطع، و البیان الناصع، الواقف لأعدائه بالمرصاد؛ یرد کیدهم و یبطل سعیهم. و قلما وجد منبر من منابر الدعوة الإسلامیة إلا کان الشیخ من أبطاله. و أبرز ما فی تاریخ الشیخ اشتراکه فی جمعیة الشبان المسلمین، و نهوضه بجزء عظیم من عملها العلمی و الإداری عضوا فوکیلا، ثم سفره إلی الهند بعد بعثة أزهریة لدراسة أحوال المسلمین و غیرهم هناک، و تمکین الروابط بین مسلمی الهند و طوائفهم، و للشیخ فی التألیف العلمی آثار قیمة: فله کتاب (قصص الأنبیاء) و هو کتاب استقصی فیه قصص الأنبیاء الذین ورد ذکرهم فی القرآن و غیره و جرده مما علق بها من ضلالات و أوهام.

و له کتاب «تاریخ الخلفاء الراشدین». و له غیرهما آثار دینیة و أدبیة و تاریخیة، حفلت بها المجلات و الصحف طول حیاته ، و توفی رحمه اللّه فی ۱۹- ۷- ۱۹۴۱.

الشیخ عبد الرحمن الجزیری

کان بعید الأثر فی الاصلاح الدینی و التهذیب العلمی. فقد کان مما اضطلع به وظیفة التفتیش علی الأئمة و الخطباء بمساجد الأوقاف، فی عهد ساءت فیه حال الخطابة الدینیة بالمساجد، و شکا الناس من طریقة إلقائها، و ضیق موضوعاتها، التی کانت تدور غالبا حول النهی عن السرقة و شهادة الزور و تحریم الربا و شرب الخمر. فما زال الشیخ یلاحظ و یرشد حتی استطاع ان یخرج الخطابة عن هذا المحیط الضیق، و یجعلها تلمس حیاة الناس و ما یجری بینهم، مما ینغص الحیاة و یبعد من اللّه. ثم أحیل إلی المعاش فندب فی کلیة أصول الدین مدرسا بها تقدیرا لعلمه و فضله. و قد

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۶۳

یستطیع أحد تلامیذه، و هم کثیر، أن یتحدث عن کفایة الشیخ و إخلاصه و إتقانه لعلمه.

و للشیخ فی ناحیة التألیف العلمی امتیاز خاص، فقد کان کثیر الانتاج فی تحقیق و تدقیق و من یقرأ «کتاب الفقه علی المذاهب الأربعة» و هو فی أربعة مجلدات، یعجب لمواهب الشیخ فی هذا الباب، و یدهش کیف و اتته الفرصة علی أن یقرأ الفقه فی المذاهب الأربعة ثم یجمع و یهذب و یکتب.

و للشیخ غیر هذا الکتاب کتب کثیرة منها: أدلة الیقین، و توضیح العقائد، و الأخلاق. هذا عدا ما للشیخ من مقالات نشرت فی مناسباتها بالصحف و المجلات .

الشیخ محمد عبد اللّه أبو النجا

کان المرحوم الشیخ محمد عبد اللّه أبو النجا من أفذاذ العلماء، و من أمثلهم خلقا و دینا و ورعا، و حجة ثبتا فی علوم الدین و العربیة، و کان یسیطر علی قلوب تلامذته و مریدیه: بأدبه الجم، و تواضعه المأثور، و صلاحه النادر، و عفة لسانه، و قوة بیانه، و شجاعته فی قول الحق و الجهر به. و کانت محاضراته و دروسه فی کلیة اللغة- فی النحو و الصرف و أصول الفقه و الحدیث و التفسیر و غیرها- میدانا لتسابق العقول، و شحذ الملکات، و تربیة المواهب. و لا یزال إخوانه و أبناؤه فی العلم یذکرون ذلک بالوفاء و التقدیر و عرفان الجمیل. أیة موهبة کان یضمها إهابه، و أی دین کان ینطوی علیه قلبه، و أی عقل کنا نعتز بالانصات لتفکیره و التأدب بأدبه. کان رحمه اللّه من خیار أساتذته فی طلب العلم: والده المغفور له الشیخ عبد اللّه أبو النجا، العالم الکبیر، و الأزهری النابغة، الذی اختیر للتدریس بمعهد الاسکندریة الدینی (۱۹۰۸- ۱۹۲۲ م)، و عند إنشاء أقسام التخصص فی الأزهر اختیر لتدریس الفقه و الأصول فیها. و کان من خیار شیوخه فی اللّه: العارف باللّه الشیخ منصور أبو هیکل، و ولده الشیخ عثمان، و قد وصل علیهما الشیخ،

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۶۴

و الشیخ عبد الخالق الشبراوی الذی کان ملازما له، و الشیخ عبد الحمید ابراهیم. و سواهم من أولی الصلاح و الولایة.

و کانت لذة البحث و العلم عند الشیخ واضحة جلیة فی جمیع أطواره، فکان یلازم والده فی غدواته و روحاته، و یناقشه فی مسائل العلم و الدین حتی حین تناول الطعام و فی أوقات الراحة، و کثیرا ما کانت تعقد الندوات العلمیة فی منزل والده فیشترک فیها سامعا و مناقشا.

و قد ولد رحمه اللّه عام ۱۸۹۷ فی قریة «کفر عیسی» من بلاد مرکز فاقوس و نال العالمیة بتفوق کبیر عام ۱۹۲۵ م.

ثم عین مدرسا فی المعهد الابتدائی، و نقل للتدریس فی المعاهد الثانویة ثم مدرسا فی کلیة اللغة العربیة منذ إنشائها عام ۱۹۳۱، إلی أن نقل وکیلا لمعهد القاهرة، فمفتشا بالأزهر، فوکیلا لکلیة اللغة العربیة.

و فی ۸ مارس عام ۱۹۴۹ شعر الفقید الکبیر بتعب و اجهاد، فاستراح فی منزله یومین استأثرت به بعدهما رحمة اللّه تعالی فی ۱۰ مارس سنة ۱۹۴۹، فخسرت کلیة اللغة العربیة بوفاته علما من أعلامها، و رکنا من أقوی أرکانها، و أذهلت لوعة المصاب فیه عقول تلامذته و

مریدیه و عارفی فضله.

فرحمة اللّه رحمة واسعة، و جزاه علی ما قدم من صالحات خیر الجزاء.

و للشیخ کتاب فی علم أصول الفقه، یجمع صواب الرأی و دقة الملاحظة و عمق الدراسة، و قوة الملکة. و کان شیخنا رحمة اللّه یدرس هذا العلم و هذا الکتاب.

محمود أبو العیون

طویت بوفاة أبی العیون صفحة خالدة من الإیمان و الحماسة و الکفاح و الوطنیة و وری الرجل فی ومسه، و فقدنا فیه أمة فی رجل، و مصلحا قل أن یجود بمثله الزمان. کان أبو العیون مضرب الأمثال فی الغیرة الدینیة، و الجهاد

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۶۵

الوطنی، و حب الإصلاح ... و کانت الصحف و المجلات تتسابق إلی أحادیثه فی مختلف المناسبات، و کان فی الأزهر رکنا من أرکانه، و علما من أعلامه، أحبه الجمیع، و قدروا فیه العفة و النزاهة و طیبة القلب و حلاوة اللسان.

ولد رحمه اللّه عام ۱۸۸۲ من أسرة کریمة، عرفت بالورع و التقوی و العلم، و حفظ القرآن الکریم، ثم التحق بالأزهر و نال العالمیة عام (۱۳۲۶ ه- ۱۹۰۸ م). و عین مدرسا بمدرسة ابتدائیة، ثم اختیر للتدریس فی الأزهر عام ۱۹۰۹. و بدأت قصة کفاحه منذ عام ۱۹۱۲ م حین قامت الحرب الطرابلسیة .. و کتب فی ثورتنا الوطنیة سنة ۱۹۱۹ م و ما بعدها أروع الصفحات و أکرم الآیات. و قد اتجه إلی الرذائل الاجتماعیة یحاربها، فأعلن الحرب علی البغاء و الخمر، و علی المجون، و علی التبذل و الاستهتار فی المصایف و الشواطیء. و کان أبو العیون کثیر الاعتزاز بکرامته، و لا نزال نذکر بالفخر قصة خطف احد رجال البولیس لعمامته. دون أن یعرف شخصیته، أثناء حصار المعهد الأزهری الدینی عام ۱۹۴۶، و احتجاجه المشهور علی رئیس الوزراء، و إنذاره له بان طربوش رئیس الوزراء بعمامة أبی العیون، و اعتذار رئیس الحکومة له- و کان النقراشی باشا- فی مأدبة غداء أقامها لهما أحمد عبد الغفار باشا .. و لأبی العیون کتب قیمة فی تاریخ مصر و الإسلام، تدرس فی الأزهر. و له مقالات و بحوث مشهورة. فی محاربة البغاء جمعها فی مؤلفات .. و قبیل وفاته نشرت مجلة «إلا خمسة» الجامعیة حدیثا وطنیا بعنوان «دم الانجلیز- الذین یحاربوننا فی القنال- غیر معصوم» .. رحم اللّه أبا العیون، لقد کان رجلا و کان بطلا و کان مؤمنا بربه و دینه، و کان من الخالدین. تخرج الشیخ فی الأزهر عام ۱۹۰۹، و عمل مدرسا بوزارة المعارف، ثم نقل إلی الأزهر و تقلب فی وظائفه، و اشترک فی الثورة المصریة عام ۱۹۱۹ و حکم علیه بالسجن، و عین بعد الثورة مفتشا بالأزهر، ثم اختیر عام ۱۹۳۵ شیخا لمعهد أسیوط، و نقل فی ۱۹ مایو ۱۹۳۵ شیخا لمعهد الزقازیق، ثم نقل بعد سنوات شیخا لمعهد طنطا، فالإسکندریة، ثم اختیر سکرتیرا عاما للأزهر، و توفی علیه رحمة اللّه فی ۲۸

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۶۶

صفر ۱۳۷۱ ه- ۲۰ نوفمبر عام ۱۹۵۱ م، و هو من مواالید دشلوط مرکز دیروط من أعمال مدیریة أسیوط .. و مواقفه فی محاربة البغاء و السفور و العری علی الشواطیء مشهورة.

و قد أقیمت بدار الشبان المسلمین حفلة تأبین لأبی العیون یوم الجمعة ۲۸- ۱۲- ۱۹۵۱.

و یقول فیه الأستاذ أبو الوفا المراغی : جل مصاب الوطن، و فدحت خسارته فیک، فلقد کنت فی الرعیل الأول من المجاهدین لحریته و استقلاله، و جهادک صفحة خالدة فی تاریخک، یعرفها المجاهدون الأحرار و یقدرونها لک و یضعونک بها فی الصف الأول من المجاهدین الصادقین.

لقد کنت فی طلیعة العاملین فی فجر النهضة الوطنیة، عرفتک المنابر العامة فی الأزهر و غیره خطیبا مبرزا من خطباء الثورة، و استضافتک السجون کما استضافت غیرک من قادة الثورة و محرکیها، و شارکت فی المظاهرات بشخصک، و عرضت نفسک

للحراب و الرصاص، و لقیت ما یلقی الأحرار من تشرید، و کسب تجار الوطنیة ما کسبوا من مال و جاه، و لم تکتسب إلا ما ادخره اللّه لأمثالک من المجاهدین المخلصین. و کنت بین الأدباء من مواطنیک أدیبا ممتازا، واضح الأسلوب مشرق الدیباجة، جزل العبارة تصل الی غرضک فی لباقة و کیاسة، عفا فی عبارتک و خصومتک، لم تدنس قلمک بما لا ترضی عنه أصول المناظرة و قواعد الآداب. و ها هی ذی جولاتک فی مجلات الأدب الراقیة، و أندیته الرفیعة تشهد بطول باعک فی الأدب و تبریزک فی فنونه، و تضعک فی الطلیعة من أدباء العربیة، و لن ننسی لک جزالة أسلوبک و قوة روحک و شخصیتک فی مؤلفاتک التاریخیة لطلاب المعاهد الدینیة، و فی مقالاتک بمجلة الأزهر و الهلال و غیرهما من المجلات الراقیة ذات الطابع الأدبی الخاص.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۶۷

و من قصیدة للشیخ عبد الجواد رمضان فی رثائه:

شیعوا کواکب التقی و الرشادو طووا رایة الهدی و الجهاد

حین قالوا: أبو العیون تردیفجعت أعین العلا فی السواد

قائد مات، و البلاد جنودتأثرت، ترنو إلی القواد

حرة تنشد الحیاة، و تدعومن بینها، بکل حر مفادی

یا قریع الخطوب فی کل هولیا لواء الکفاح فی کل عادی

کیف طاح اللواء، قل لی، متی طحت، و ما طحت فی زحام الجلاد

کم تدرعته عزیزا کریماخضبت وجهه دماء الأعادی

و اقتحمت الصفوف تزخر بالموت، مشیحا، تصیح: تحیا بلادی

فی الرعیل السباق من حاملی العبء، و من کل أریحی جواد

نزلت مصر منهمو فی السویداء، فهزت نفوسهم للطراد

رفعوا رایة الجهاد و هبواحین نادی الجهاد. کالآساد

لا یبالون بالحدید و بالنار، و بالموت، فی سبیل المراد

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۶۸ لهف نفسی علیک، فارقت مرماک، إلی غیر رجعة أو معاد

علیکا لهدی و الجهاد فی یوم منعاک، توارى سناهما فی الحداد

فعزاء لمصر فیک، إذا أغنیعزاء لدی الکبود الصوادی

و سلام علیک فی جنة الخلد،مجیدا، من عترة أمجاد

و من قصیدة لفضیلة الشیخ أحمد شفیع السید الأستاذ المساعد فی کلیة اللغة العربیة فی رثائه أیضا:

طویت صحیفة عالم موهوبقاد الطلائع و هو غیر هیوب

و مجاهد فی اللّه حق جهادهلم یخشی من سجن و لا تعذیب

الثورة الکبری ذکت نیرانهابراعة و بیانه المشبوب

فلو استمعت الیه فی عزائهالرأیت ای مناضل و خطیب

کم ذا یجلجل صوته فیهزناکالعاصفات تهز کل قضیب

و تخال من عجب نمیر بیانهنارا تلظی فی نهی و قلوب

فی کل مجتمع و کل صحیفةذوب البراعة من بنان أریب

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۶۹ هو واحد حرس الفضیلة جاهدالم یلف من ند له و ضریب

یا مذکی العزمات فی أبنائهو مواصل الارشاد بالتهذیب

مترفقا فی کل ما یبدیه من‌نصح بلا لوم و لا تثریب

و شعاره فی حکمة: لا تغضبن‌لکنه للحق جد غضوب

فی کل ناحیة تری آثاره‌کالغیث شؤبوبا علی شؤبوب

أو فی السبعین و هو مجاهدبذ الشباب بعزمه و دؤوب

الدین أول ثاکل بمکافحقد کان عدته لکل عصیب

لو کان فی الأعلام مثلک داعیاهان المصاب لثاکل کل محروب

یا من رأی بطل الجلاد مجندلافی غیر میدان و غیر حروب

واها لحدثان الحیاة فإنه‌یأتی من الأهوال کل غریب

یا یوم نعی (ابی العیون) ترکتناریع النهار بحالک غربیب

فالیل ممدود الرواق مخیمو الصبح آذن ضوءه بمغیب

و تری العنادل أمسکت لهواتهاشجنا، و للغربان شر نعیب

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۷۰ للّه ای شهادة کتبت له‌حین الجهاد فنال خیر نصیب

أدی رسالة ربه حتی إذاهتف الحمام أجاب خیر مجیب

هبنی یراعک أقض حق مآثرکالشمس لکن غیر ذات غروب

و قد توفی رحمه اللّه یوم الثلاثاء ۲۸ صفر ۱۳۷۱ ه- ۲۰ نوفمبر ۱۹۵۱، و شیعت جنازته فی الیوم التالی فی موکب رهیب إلی الأزهر الشریف. و نعته الأهرام إلی العالم الاسلامی، فقالت:

ننعی إلی العالم الإسلامی أجمع، فقید الشرق و الإسلام صاحب الفضیلة العالم الجلیل الشیخ محمود أبو العیون السکرتیر العام للجامع الأزهر، فقد فدحت الفجیعة بوفاته لیلة أمس إثر حادث ألیم، ففقدت مصر و الشرق بفقده عالما من خیرة العلماء العاملین، و مجاهدا من صفوة المجاهدین المخلصین، و مصلحا سلکته جهوده الإصلاحیة التامة فی الخالدین.

لقد درج الفقید العظیم فی حجر الأزهر یافعا یتلقی العلم عن شیوخه الاجلاء، و یقف فی الطلیعة من طلابه النجباء، حتی نال شهادة العالمیة فی عام ۱۳۲۶ هجریة (۱۹۰۸ میلادیة) و اختیر عقب ذلک مدرسا فی الأزهر حتی رؤی الانتفاع بکفایته فی التوجیه العلمی، فأسندت الیه مهمة التفتیش فی سنة ۱۹۲۵ ثم ندب شیخا لمعهد أسیوط سنة ۱۹۳۵ و عین بعد ذلک شیخا لمعهد الزقازیق فشیخا لمعهد الاسکندریة، و قد ظل فی هذا المعهد حتی اختیر سکرتیرا عاما للجامع الأزهر و المعاهد الدینیة.

و مع حرص الفقید طیب اللّه ثراه علی أن یخص العلم و أهله بالنصیب الأفی من وقته و جهده، فقد استخلص جانبا من الوقت و الجهد لما عمر به قلبه الکبیر من رغبة قویة فی الاصلاح الاجتماعی، فکانت له جولاته

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۷۱

الخالدة علی صفحات الأهرام فی مکافحة البغاء و فی غیر ذلک من النواحی الاجتماعیة التی یعنی بها أنداده من العلماء المصلحین.

و حین نهضت مصر نهضتها الوطنیة الکبری سنة ۱۹۱۹ کان الفقید اکرم اللّه مثواه فی مقدمة الصفوف، یخطب و یکتب و یحفز الهمم و یشحذ العزائم و یدعو الی الجهاد لاسترداد المغصوب من حقوق البلاد، حتی لقد غدت مواقفه الوطنیة فی ذلک الحین موضع التنویه و التقدیر فی کل مکان.

و من مقالاته الرائعة مقال نشرته الهلال عنوانه «اتهم رجال الدین» جاء فیه:

«اتهم رجال الدین فی الماضی القریب، لأنهم قصروا فی أداء رسالتهم من تبلیغ حکم اللّه للمسلمین فی الأحداث التی زحزحت الدین

عن مکانه، و عطلت تنفیذه فی القضاء و الأحکام، و تطبیقه فی الحوادث التی تخالف الشریعة و تناقضها.

فی سنة ۱۸۸۵ استبدل القانون الفرنسی بالشریعة الحنیفیة الغراء التی سار علیها المسلمون أجیالا بعد أجیال فی أزهر عصور الاسلام، فلم یحرک علماء ذلک العهد ساکنا، و لم ینکروا ذلک الحدث العظیم فی الاسلام، و إذا کانوا قد أنکروا فلم یسجل التاریخ لهم أنهم أوذوا- أو نفوا من الأرض- فی سبیل إنکارهم لذلک التبدیل و التغییر فی شرع اللّه.

و نظم الاحتلال الانجلیزی بعد استقراره البغاء، و جعله رسمیا، و أصبحت المسلمة فی بلاد الاسلام تمتهن حرفة الزنا علنا، تحت حمایة الحکومة و القانون، و بین سمعها و بصرها، فلم یحرک رجال الدین ساکنا، و لم یرو التاریخ انهم غضبوا للّه و للحق و للأعراض تستباح و تنتهک، او انهم انکروا تشریع هذا الرجس.

و شاع الربا، و استعملت الحکومة الربح و الفائدة رسمیا، و سمحت بها للجمهور و تأسست له المصارف الأجنبیة و الوطنیة فی طول البلاد و عرضها فلم نسمع ان العلماء أنکروا ذلک الاثم، أو انهم غضبوا لتشریعه و تنظیمه.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۷۲

و أباحت الحکومة الخمر و المیسر، و انتشرت الحانات، و أنواع القمار، فی النوادی و الأمکنة العامة، و فی المدن و القری و الطرقات و منازل الأثریاء، فلم یعرف عن رجال الدین أنهم عارضوا الحکومة معارضة جدیة فی انها أحلت ما حرم اللّه.

و فی عهدنا الحاضر ذاع الفساد، و تحللت الأخلاق، و استشری الداء، و خلعت المرأة العذار. و هجرت المنزل و خالطت الرجال علی شواطیء البحار- عرایا- و فی النوادی العامة، و فی الحفلات الزاخرة بالمجانة و العبث و الهوی و العربدة، و نبذت التقالید الصالحة الموروثة و هجر الدین، و زال طابعه فی مقدرات البلاد و معنویاتها و لم یدرس دراسة تعلیمیة تطبیقیة نافعة فی المدارس و الجامعات.

وقعت تلک الأحداث الخطیرة الفاجعة، فلم نر جمهرة العلماء و رجال الدین یجمعون جموعهم، و یرفعون عقائرهم بالانکار و الاحتجاج علی أولی الأمر من أجل هذه المنکرات الشائعة، و هذه المقابح الظاهرة، و ما رأینا أحدهم غامر و جاهد فی سبیل اللّه، حتی ناله الضر فی نفسه او رزقه، لم نر شیئا من ذلک و لم نسمع به، بل کل ما نفعله هو أن نکتب فی الصحف، و أن نرفع العرائض الفاترة لأولیاء الأمر، و هم لا یحرکون ساکنا، و لا نحرک نحن ساکنا کذلک، زعما بأننا أدینا و اجبنا بالخطابة و العرائض و بالکلام و علی الورق.

و تفرقت البلاد أحزابا و شیعا، و انشقت علی نفسها أقساما و فرقا، و تزعم کل فریق زعیم یدعو الی شخصه، و إلی تولی الحکم دون الآخرین، حتی نسی القوم قضیة الوطن، و إصلاح أداة الحکم و شئون البلاد، و رجال الدین یتفرجون علی الموقف، علی حین أن اللّه أمرهم بإصلاح ما فسد من أحوال المسلمین، و رتق ما تصدع من أمورهم «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَیْنَ أَخَوَیْکُمْ، وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ» فلم نجتمع و لم ندع المتخاصمین إلی الصلح، و المتنازعین إلی التفاهم و المتفرقین إلی الاتحاد، و المدبرین إلی الرجوع إلی الحق، و لم نقل کلمة الدین فی المخالف، حتی یفیء إلی أمر اللّه، و حتی ننقد البلاد من البلاء المسلط علیها، و المحیط بها من کل

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۷۳

جانب، لم نفعل ذلک، بل إن جماعتنا نفسها فی حاجة إلی إصلاح ذات بینهم و العمل علی جمع کلمتهم، و تألیف قلوبهم.

إنی أتهم رجال الدین- و أنا منهم- و عزیز علی أن أتهم نفسی و رفاقی و عهدی بهم أن یکونوا رجال ورع و تقی، و رشاد و هدی.

و من بحث له عن «الإشتراکیة فی الإسلام»:

لا ریب ان فی الاسلام یؤید الملکیة الفردیة، و الاقتصاد الإسلامی اقتصاد رأسمالی، له شأنه فی الإسلام، بل هو یقوم علی الأسس الثلاثة:

المصلحة الشخصیة کهدف، المزاحمة کوسیلة، الحریة کشرط. و لکن قیام الملکیة فی الاسلام علی هذه الأسس لیس علی إطلاقه، بل

يصاحبها فى كل اتجاهاتها العامل الأخلاقى، فهو فى تلك الأركان الثلاثة عنصر جوهرى فيها لازم لها، إن هدف الإسلام هو تكوين مجتمع مثالى، فالعامل الأخلاقى يسير معه جنبا إلى جنب، بل يكون رائده، فإذا انحرف السلوك الاجتماعى رده العامل الأخلاقى بقوة إلى الاستقامة ليكون ضابطا عاما فى مصلحة المجتمع، و على هذا الاعتبار نجد ان العيوب التى أخذت على الأسس الثلاثة فى الاقتصاد الشائع فى امريكا و فى اوروبا ليس لها أثر فى الاقتصاد الإسلامى، لأن المصلحة الشخصية فى الرأسمالية الفردية فى الغرب تجرف كل شىء يقف فى طريق الانتاج أو العبث به، فهى لا- تبالى بالعامل الأخلاقى، و لا بمصلحة المجتمع، بل هى تنكره، و لا تتعرف عليه. أما الرأسمالية فى الإسلام، فإن مصلحة المجتمع عنصر لا غنى عنه فيها، كما أن الإسلام دين له منهج ثابت هو تطهير المجتمع من عوامل الفساد، و يمتاز بطابعه الذى يقرن الأعمال بالخلق و العقيدة، فلا ضرر و لا ضرار ..

و هو يناهض تكديس الثروات، و تجميعها فى يد فئة قليلة، و حرمان الأكثرية من ضرورات العيش، و رنق الحياة، و ما كانت الناحية الروحية فى القرآن الكريم إلا- تهذيبا للأمم ليعيش الناس فى ظلال الأخوة و المساواة و المودة و الأمن و الاطمئنان، و يكون التعاون بينهم على الجد و التفانى فى الصالح

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۷۴

العام، لذلك وضع دستورا ثابتا واضحا يجعل الثروات رأسماليات متوسطة و صغيرة، فحث المسلمين على الانفاق فى أكثر من سبعين آية، و فرض الزكاة فى مال الأغنياء للترفيه عن الفقراء و المساكين، و لقد قاتل الخليفة أبو بكر منكريها و مانعيها، و جعل الاسلام إطعام الفقراء، و التصدق على المساكين كفارة لكثير من الهفوات كما فى حنث اليمين، و فى إفطار رمضان عمدا أو لعذر، و فى الظهار، و فى محظورات الحج. كما شرعه فى مناسبات كثيرة مثل يومى عيد الفطر و الأضحى و غيرهما من المواسم الدينية. فى كل هذه الأحوال و غيرها جعل الإسلام التخفيف من ويلات الفقراء و العطف على المساكين، من سمات تلك المواسم و الأحوال.

أضف إلى ذلك النظام الارثى فى الإسلام، فإنه يحطم الثروة و يفتتها تفتيتا لا مثيل له فى أى قانون آخر. فالقانون الانجليزى يحصر الثروة فى البكر من الأولاد، و يحرم من عداه، و بعض القوانين الأخرى تجيز الوصية لأى كائن بجميع المال، سواء أكان وارثا أم غير وارث حتى للكلاب و القطط، و سائر الحيوان، أما الإسلام فيوزع أنصباء الارث توزيعا واسعا، فيعطى للقرابات أنصبة متفاوتة، و لا يسمح لصاحب الثروة ان يتصرف فيها بالوصية إلا بالثلث، و الثلث كثير، و هذا كله محافظة على التوازن الاقتصادى، و يقول اللّه تعالى فى سورة الحشر: كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ.

فأنت ترى أن الإسلام قد نحا بالاقتصاد منحى عادلا، رعاية منه للمصلحة الاجتماعية، و اجتنابا لطغيان الاغنياء إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى. و هكذا نجد الدين الإسلامى قد وقف موقفا رائعا فى توزيع الثروة و تجزئتها إلى ملكيات متوسطة و صغيرة من غير إكراه، ليقى المجتمع شرور البطر من الأثرياء، و الحقد و البغضاء من الفقراء.

و المزاحمة هى وسيلة فى الاقتصاد الغربى، و كانت عيبا من عيوبه، و هى أيضا وسيلة الاقتصاد الإسلامى لكنها ليست عيبا فيه. فهى مختلفة فى النظامين، فما قيل من أنها تؤدى إلى دخول الرأسماليين فى السوق بغير

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۷۵

أسلحة متكافئة، و أن المنافسة فى معركة الحياة الاقتصادية ليست متساوية كما هو معروف فى الاقتصاد الغربى- هذا الذى قيل- منفى فى الاقتصاد الإسلامى، فالإسلام قد قرب أصحاب الملكيات بعضهم من بعض بما شرعه فى نظام الوصية و الإرث و الزكاة، و جعل الارث أنصبة متعددة، و شمول الزكاة ثمانية أصناف «إنما الصدقات للفقراء و المساكين و العاملين عليها، و المؤلفة قلوبهم، و فى الرقاب و الغارمين، و فى سبيل اللّه و ابن السبيل».

و نضيف إلى ما قدمنا تحريم الربا لكيلا يثرى أحد من عمل على حساب غيره، و تحريم لعب الميسر لكيلا يثرى أحد بطرق الحظ. هذه الاعتبارات كلها إذا روعيت كعهد المسلمين من قبل لا تدع أحدا محروما من سلاح يزاحم به مضمار الحياة، ففى الإرث يدور

دولاب تجزئة رأس المال باستمرار، و لا يجيء عام جديد حيث يبدأ صندوق الزكاة إلا ترى المال يدور فى أيدى جميع الأصناف، حتى من أثقلتهم الديون، فإن صندوق الزكاة يدفع عنهم مغارمهم، و يسلحهم من جديد ليدخلوا السوق آمنين مطمئنين، فأى ضمان للناس بعد هذا؟ و ما عيب الرأسمالية فى الإسلام؟

أما الحرية التى هى شرط فى الاقتصاد الرأسمالى الغربى، و عدت من عيوبه، فإن هذا العيب منتف فى الاقتصاد الاسلامى، فالحرية فى الاقتصاد الغربى تسير مطلقة لا تقف عند حد، حتى انقلبت تلك الحرية الى فوضى، مما اضطر أصحابها إلى إتلاف الحاصلات أحيانا للاحتفاظ بالأسعار العالية، أما هذه الحرية فى الاقتصاد الإسلامى، فمقيدة بقيدين هما: العامل الأخلاقى و المصلحة الاجتماعية، و يتدخل ولى الأمر فى السوق حين يرى تنكب التجار أصول التعامل، و يضرب بيد من حديد على أيدى المحتكرين المتحكمين فى الأسواق، و العازفين عن المصلحة العامة، و كان عمر بن الخطاب يمشى فى الأسواق و معه الدرة يؤدب بها ذوى الأثرة و الطامعين فى الكسب الحرام. و الحسبة معروفة فى الإسلام، و كان رجالها يقام لهم فى الأسواق وزن و اعتبار.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۷۶

فأى نظام نجده نزيها و عادلا- كنظام الإقتصاد فى الإسلام؟ إن الإسلام قد امتاز فى نظامه عن الشيوعية و الإشتراكية، فالإقتصاد الإسلامى رأسمالى فردى من نوع خاص، قد جمع خير ما لدى الشيوعية و الإشتراكية، و تجنب عيوبهما، و لكن كثيرا ممن أخذوا بزيف المدنية الغربية يشيدون بالاشتراكية، التى تضمنت المساواة فى لذة العيش، و بسطة الحياة، من غير تفرقة بين سوقة و سادة، و أغنياء و فقراء، و هى مذاهب وضعية خاضعة للتجارب و التعديل و التغيير، كما هو حادث فعلا، و الاشتراكية الصحيحة المعقولة فى الإسلام الذى يضمن للعاجز العيش، و للعامل الكسب، و للفقير القوت، و للمريض الصحة، و للعالم كله أمنا و سعادة، الإشتراكية الصحيحة المعقولة هى فى الإسلام الذى يشعر المسلمين بأنهم أسرة واحدة، و أنهم جميعا كأسنان المشط و أنهم تتكافا دماؤهم، و يسعى بذمتهم أدناهم، و أنهم «كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى و السهر».

هذه هى الإشتراكية فى الإسلام. فأين منها تلك المذاهب الحديثة المادية المتداعية الواهنة.

الشيخ عبد الحليم قادوم

فى ديسمبر عام ۱۹۵۳ توفى المغفور له الشيخ عبد الحليم قادوم أستاذ كرسى التفسير فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف، و قد عرفت الشيخ قبل هذا التاريخ بنحو ستة عشر عاما حينما دخلت عليه فى لجنة من لجان الامتحان الشفوى، فسألنى و أجبت، ثم بعد حين رأيت تقديره لى فى الشهادة التى استلمتها، و فى عام ۱۹۴۰ كنت فى الفرقة الأخيرة، و كان الشيخ يدرس لنا بلاغة عبد القاهر الجرجانى فى كتابيه أسرار البلاغة و دلائل الاعجاز، فلم أر ذوقا أصفى من ذوقه، و لا بيانا أنصع من بيانه، و لا تحليلا لأسرار كتابة عبد القاهر فى النقد الأدبى مثل تحليله .. و من قبل ذلك طالعت كتابين مطبوعين للشيخ: احدهما فى المنطق، و الثانى فى الحديث.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۷۷

فوجدت فيهما المؤلف ذا مواهب نادرة قلما تكتمل فى عالم، من عمق الدراسة، و كثرة الإحاطة بالآراء و المراجع، و دقة الفهم، و براعة التعبير، و زرت الشيخ فى منزله فى فترات متباعدة فوجدت نفسى حيال شخصية لطيفة جذابة تختلف عن شخصية الشيخ العلمية، و كان يقيم فى منزله كل أسبوع حلقة علمية يدرس فيها كتب الأخلاق و التصوف و التفسير و الحديث و فى مقدمتها الاحياء للغزالى، و كانت هذه الحلقة عامة للمستمعين من الناس، و فى مقدمتهم أهل (منشية الصدر) الذين كان الشيخ يسكن بينهم .. ثم كنت مدرسا بمعهد الزقازيق الدينى، و كان الشيخ شيخا للمعهد، فوجدت من الشيخ خبرة واسعة بشئون إدارة معهد كبير مثل هذا المعهد، كما كنت أجد لطفه مع الأساتذة، و حنوه على الطلاب، ما لا- يتسع المقام لتفصيله، و كان الشيخ من قبل مفتشا عاما بالأزهر فكانت له أعمال محمودة فى التوجيه العلمى و الدينى.

و قبیل وفاته مرض مرضا خطیرا ألزمه الفراش، و استمر فی العلاج و مقاساة المرض، إلی أن استأثرت به رحمة اللّه فی أواخر عام ۱۹۵۳ ..

تارکا وراءه ذکریات لا تنسی، و تراثا عالیا عزیزا علی کل من طالع فیه.

و قد درس الشیخ فی معهد الأسکندریة الدینی، و نال العالمیة عام ۱۹۲۴ من الدرجة الأولی، و عین مدرسا فی الأزهر، ثم اختیر مدرسا فی کلیة اللغة منذ بدء إنشائها، ثم اختیر مفتشا، فشیخا لمعهد الزقازیق الدینی، فاستاذا للتفسیر فی کلیة اللغة العربیة.

عبد العزیز المراغی

هو شقیق المراغی شیخ الأزهر، توفی صباح الخمیس ۱۶ نوفمبر عام ۱۹۵۰ م. فخبا بوفاته نجم لامع، و توارت و مضات أمل ضاحک. و قد لاقی ربه بعض مرض لم یمهله، و لم یشفق علیه، و هو شاب القلب، فتی الفؤاد، یقظ الرأی، موثب الرجاء.

یقول عنه صدیقه الأستاذ محمود رزق سلیم:

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۷۸

کان عبد العزیز واسع الأفق فی نواح من الحیاة کثیرة، فقد هیأت له ملابساته- مع ذکائه و فطنته- ان تکشف له کثیرا من حقائقها، کما دفعته إلی تجربة الأمور و ملاحظتها. فاکتسب من وراء ذلک مرانة و خبرة، و حنکة و حسن بصر بالأمور و معالجتها. و قد کان منذ صغره شغوفا بأخیه الأستاذ الشیخ المراغی، یری فیه نموذجا یقتدی به، و قد جمعت بینهما ظروف الحیاة، أکثر مما تجمع بین شقیقین. فرحل معه إلی السودان، و تعلم بکلیة غردون. ثم عاد إلی مصر فاندمج فی سلک طلاب الأزهر، مبرزا بینهم حتی تخرج منه بأرقی شهاداته حینذاک. و أرسل فی بعثة علمیة إلی انجلترا، فلبث بها زهاء خمسة أعوام، ازداد فیها علما بالحیاة، و معرفة بمذاهبها و مآتیها. و تخصص فی دراسة التاریخ الاسلامی و تاریخ الأدیان، و هما من أهم المواد الثقافیة صقلا للأذهان، و دعما للتجارب و تبلیغا إلی الحق.

و لما بلغ أخوه الأکبر مرتبة المشیخة الجلیلة، للمرة الثانیة، کان عبد العزیز- و بخاصة بعد عودته من انجلترا- أشد سواعده القویة، و من أقرب مستشاریه إلی نفسه، فحمل معه شیئا من العبء، علی مقدار طاقته و جهده. و طبعی أن یصبح فی ذلک الحین، موضعا للأمل و الآملین، کما کان محطا للنقد و الناقدین.

و قد استطاع عبد العزیز فی هذه الحقبة- و هو علی کثب من أمور الأزهر- أن یدرسها ظاهرها و باطنها، صریحها و مؤولها، و أن تتکشف له منها مواضع الداء و أن یقدر لها الدواء. و لا أغلو حینما أذکر أن حدب عبد العزیز علی الأزهر، و شغفه به، و أمله القوی أن یسمق بنیانه، و ترتفع أرکانه، کان شیئا فوق مکنة الطالب الذی یعشق معهده، و یتعصب له.

و قد عرف فیه إخوانه دماثة الخلق، و المرح، و بشاشة الوجه، و ابتسامة الثغر، و عفة اللفظ، کما کان مطاوعا لکل ذی حدیث، و لو کان فیه إملال.

لا یصده عنه إلا بکیس و رفق، و ربما نعی علیه بعض خلطائه أنه یلقی عدوه کما یلقی صدیقه، فلا برم و لا تنکر- و ما کانت هذه منه إلا لرحابة صدره

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۷۹

و حسن سیاسته، و حبه لتلافی ما یستطاع باللطف تلافیه. و لذلک ظل کثیر ممن یقدرونه و یحملون علیه، یبجلونه لذاته، و یحبونه لشخصه، و یلقونه لقاء الإخوة الکرام.

و لما اختیر إماما للمعیة الملکیة تفتحت له من الحیاة سبل جدیدة، ازداد بها مرانة و معرفة، و أخذ یخطو و یبرز نحو الصفوف الأولی بین رجالات الوطن. و کان إذ ذاک حرکة دائبة، یؤدی واجبه الدینی، و یلقی دروسه و خطبه، و یذیع فی المذیاع، و یکتب فی المجلات، فی الأمور الدینیة و الإجتماعیة و التاریخیة.

و قد كان عبد العزيز عالما أزهريا، بالمعنى الذى يفهمه التاريخ و العرف، و مرجع ذلك- فيما أعتقد- إلى حبه العميق للأزهر، و ما فى الأزهر من علم، و ما له من تقاليد.

و أهم خصوصيات العالم الأزهرى- فضلا عن معرفة الشريعة الغراء- حبه الجدل و المناقشة، و قدرته على سوق الحجة و الدليل، و عدم تسليمه لخصمه فى سهولة و يسر. و قد كان عبد العزيز فى ذلك، من الطراز الأول، لا يكاد المرء يدخل معه فى نقاش حتى يفيض بالاعتراض و الاستشهاد، و بالتدليل و التعليل، و الموازنة، حتى يصل إلى قرار الحق. يشهد بذلك تلاميذه الكثيرون فى كليات الأزهر، و أصدقاؤه أعضاء لجنة الفتوى و كان زميلا لهم، قد لمسوا فيه هذه الخصوصية، خلال عضويته بها.

و كان ضليعا فى معرفة الشريعة السمحة و أحكامها، خبيرا بمذاهب أئمتها على اختلافهم، بصيرا بمذاهب الكلاميين من فقهائها، و قد أخرج كتابا فى حياة «تقى الدين بن تيمية الحرانى»، ألقى فيه ضوءا على جهاد هذا العلامة فى سبيل دينه، موضحا عقيدته، مبينا أنها عقيدة السلف، و أنها بعيدة عن مزالق المبتدعة من متطرفى الحنابلة.

و قد كان مؤرخا واعيا لتطورات التاريخ الإسلامى و تقلب دوله، منقبا عن ذلك فى كتب التاريخ الإسلامى: العربى منها و غير العربى.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۸۰

و كان أديبا متذوقا. فقد أوتى حافظة قوية كنت أغبطه عليها، ملمة بشتى عصور الأدب و تقلباتها و حوادثها إلماما محمودا، و كثيرا ما تجود بالأبيات و الطرف الأدبية و الأمثال و نحو ذلك عند أدنى مناسبة .. و كان يطرب للدعابة اللطيفة و النكتة الرائعة- و لو على حسابه- و يأخذ حينذاك سبيله إلى المرح قائلا: «لقد قتلتنا كثرة الجد»، و لكنه سرعان ما ينحدر إلى سوق الحكم، و النعى على الدنيا، مع الرضا و الاستسلام لقضاء اللّه و قدره.

و كان كثير البحث عن مظان اللغة، يحفظ من ألفاظها عددا تكتنز فيه المعانى، أو يعبر عن المعانى الغريبة او المستحدثة، و يعنى بالألفاظ الطوافة فى اللغات، و ما كسبته فى كل لغة من المعانى. و أغلب الظن أن فى مسجلاته كثيرا منها.

و لا نقول جديدا إذا نوهنا بدروسه الدينية و خطبه المنبرية، فإنه أسبغ عليها سمة من التجديد، و غذاها بما تفيض به نزعته الأدبية و ثقافته الواسعة، فخرجت بجديد أسلوبها و معناها، عصرية بريئة من السمت التقليدى القديم. و منذ سنوات أخذ على عاتقه إخراج كتاب من أهم كتب الحديث و الفقه و القضاء الإسلامى، و هو كتاب (أخبار القضاة) لمحمد بن خلف بن حيان، المشهور بوكيع، استعار نسخته الشمسية الوحيدة، و أنفق فيها النفيس من وقته، و المرجو من راحته، حتى استقام له تقديمها إلى المطبعة.

فأنجزت منها جزءين و بقى جزآن.

و قد عنى فى الكتاب بالتصحيح و التعليق و شرح الغامض و تخريج الأحاديث، بما يشعرك بعمله الغزير و أدبه الجم و إحاطته بمسائل الفقه و مواضع الحديث و مظان الأدب. و بما يشعرك بصبره و بالغ جهده فى سبيل خدمة دينه و شريعته.

و قد توفى بعد الشيخ بقليل أخوه الأكبر الشيخ أحمد مصطفى المراغى صاحب «تفسير القرآن الكريم» المسمى تفسير المراغى، و سواه من الكتب، و ذلك عام ۱۹۵۲.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۸۱

الشيخ فكرى ياسين

هو أحد علماء الأزهر الأجلاء .. كان رحمه اللّه هينا لينا مهذب النفس، بعيدا عن اللغو و اللهو، و كانت همته مصروفة إلى زيادة مادته العلمية، بمعالجة المسائل الإجتماعية الكبرى بالتحليل الدقيق تحت ضوء الدين و العلم، فكان فى كل ما يكتبه مفيدا لقارئه يأتى له بشىء جديد، و هذه ميزة علمية نادرة.

ولد- رحمه اللّه تعالى- ببلدة قصر هور مركز ملوى فى ۲۴ يناير ۱۸۹۷، و هو من أسرة مشهورة بالعلم، فوالده كان من العلماء، و جده

کان عالما.

و قد تعلم فی الأزهر، و نال الشهادة العالمیة النظامیة منه سنة ۱۹۲۵، و درس فیه علوم اللغة و الأدب علی المرحومین الشیخ سید علی المرصفی- الذی کان معروفا بشیخ اللغة فی ذلک الوقت- و الشیخ مصطفی عبد الرازق، و الشیخ مصطفی القایاتی، و تلقی کثیرا من العلوم الأخری، مثل الفقه و الأصول و البلاغة و النحو و التصریف و علوم القرآن و السنة و الفلسفة و المنطق و غیرها عن کثیر من علماء الأزهر البارزین فی ذلک العصر، من أشهرهم الشیخ محمد بخیت و الشیخ محمد حسنین و الشیخ حسین والی.

و کان یزاول الکتابة و التحریر فی الصحف و المجلات و هو طالب، و کانت أول مقالة نشرت له فی جریدة النظام عن إصلاح الأزهر، ثم واصل الکتابة بعد ذلک، إلی أن جاءت الحرکة الوطنیة فی سنة ۱۹۱۹ فاشترک فیها و اعتقل، و أذکت فیه روح الحمیة و النشاط، و زاد إقباله علی الکتابة و متابعته لها، و کانت أکبر عنایته فی الکتابة موجهة فی ذلک العهد إلی إصلاح الأزهر، و إلی الشئون الإسلامیة، و حریة الوطن فی جهاده المقدس آنذاک ضد الغاصب المحتل، و لقد کان هذا الجهاد باعثا لزملائه فی الأزهر علی ان یعتبروه رائدا لهم فی المناداة بالآراء الاصلاحیة، و قد جر ذلک علیه متاعب کثیرة، فلقد کان أول طالب فی الأزهر أحیل مع زملاء له علی

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۸۲

المجالس التأدیبیة سنة ۱۹۲۴، و لقد رأی طلاب الأزهر فی ذلک الحین ان تکون لهم لجنة تمثلهم و تتکلم باسمهم، فاختاروه رئیسا لهذه اللجنة، و کانت مهمتها الدعوة الی إصلاح الأزهر.

و فی سنة ۱۹۲۶ عین مدرسا فی الأزهر، و أسند إلیه تدریس مادتی الأدب و التاریخ فوضع فی المادة الأولی مؤلفا فی جزءین، و وضع فی المادة الثانیة مؤلفا فی ثلاثة أجزاء، و اختیر الی جانب ذلک سکرتیرا لجمعیة الهدایة الإسلامیة، و محررا بمجلتها، و فی سنة ۱۹۳۱ فصل من الأزهر مع عدد کبیر من العلماء، فصلهم المرحوم الشیخ الظواهری، و کان منهم الشیخ الزنکلونی و الشیخ العدوی و الشیخ دراز و الشیخ شلتوت و الشیخ فکری، و لقد کان هذا الفصل سببا قویا فی نشاطه فأخذ ینشر آراءه فی الجهاد و البلاغ و الکوکب و السیاسة الیومیة و الأسبوعیة و الوادی، و فی فبراير سنة ۱۹۳۵، أعید إلی التدریس فی الأزهر و ندب مع قیامه بالتدریس فی القسم الثانوی سکرتیرا للجنة الفتوی، و فی سنة ۱۹۳۸ اختیر مدرسا بکلیة الشریعة ثم وکیلا لمعهد قنا، ثم أعید إلی کلیة الشریعة، و جاء الشیخ مصطفی عبد الرازق فنقل من الکلیة إلی معهد الزقازیق، ثم أعید إلی الکلیة مرة أخری حتی جاء المغفور له الأستاذ الاکبر الشیخ مأمون الشناوی، و کان قد خبره و عرف فیه مراقبا مساعدا لمکتب البحوث و الثقافة بالأزهر.

و قد کتب فی جملة موضوعات علمیة نافعة منها «غریب القرآن» و «أعلام القرآن» و «التجارة فی الإسلام، و الفقه و الفقهاء» و فی بحوث قیمة أخری، و وضع رسالة فی الحدیث لم تطبع بعد. و قد قام بالکتابة فی السنة المحمدیة عن الأحادیث النبویة. فی مجلة لواء الاسلام من أول إنشائها إلی یوم وفاته، کما قام بالتحریر فی باب السنة المحمدیة ایضا بمجلة الأزهر، و قد کتب أکثر من ألف مقال فی الصحف فی مصر و فی صحف سوریا و تونس و العراق و البلاد الشرقیة .. و کان رحمه اللّه کریم الخلق عف اللسان محبا لطلابه محبوبا عندهم رحیما بأهله و أقاربه عطوفا علیهم.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۸۳

و قد توفی- طیب اللّه ثراه- فی الساعة الرابعة بعد عصر یوم الثلاثاء ۲۱ من ربیع الثانی سنة ۱۳۷۰ ه- الموافق ۲۹ من ینایر سنة ۱۹۵۱ م.

الشیخ نافع الخفاجی حفید العلامة الشیخ نافع الخفاجی الکبیر

ولد یوم الجمعة ۲ شوال سنة ۱۳۲۲ م، الموافق دیسمبر سنة ۱۹۰۴ م. ثم تعلم الکتابة و حفظ القرآن الکریم، و ذهب إلی المعهد الأحمدی بطنطا سنة ۱۹۱۹ م لیتعلم فیه و أخذ منه الإبتدائیة عام ۱۹۲۳ م، ثم کان قد أنشیء فی ذلک الحین معهد فالتحق به و استمر

فی دراسته إلی أن أصیب بمرض عصبی عضال کان یحول بینه و بین المشی وحده، فأخذ یعالج نفسه منه و لکن العلاج لم یجد شیئا، اللهم إلا فی تأخیر زحف المرض علی صحته، ثم أخذ الثانویة من الخارج من معهد الزقازیق عام ۱۹۲۸ م الموافق سنة ۱۳۴۶ ه، ثم التحق بالقسم العالی بالأزهر، و نال منه شهادة العالمیة فی یونیو سنة ۱۹۳۲ م الموافق سنة ۱۳۵۱ ه.

و عاد العالم بعد ذلک فأقام بالقریة یطالع فی أسفار الأدب و بنظم القریض و یعالج نفسه من مرضه العضال، ثم تزوج فی سبتمبر سنة ۱۹۳۹ م، و وافاه أجله المحتوم فی ۱۳ أغسطس سنة ۱۹۴۰ م- الثلاثاء ۹ رجب سنة ۱۳۵۹ ه. و کان شاعرا مجیدا.

نماذج من شعره- قال فی الغزل:

رویدا مهجتی هذا الأنین‌لعمری کاد یقتلنی الحنین

أحن إلی مغان شمت فیهابروق الصدق یتلوها الهتون

مغان لیلها عندی قصیریقصر طوله نوم رصین

و إن غاب الکری فالسهد حلوبأخدان تسالیهم فنون

ندامی لا یجالسهم بئیس‌یجوس خلال جدهم المجون

من السمر البریء لنا مدام‌تطیر به من الرأس الشجون

و من ضحکاتنا نغم لذیذکقرع الکأس یتبعها رنین

تخالس دهرنا لمحات انس‌فتسهل فی مسالکنا الحزون

و نجنی من فم الدنیا ابتساماکغصن الزهر تجلوه الغصون

و وجه زماننا حسن بشوش‌تلاشت من نضارته الغضون

و قال فی قصیدة عنوانها «أین الصباح»؟:

طلت یالیل فأین الصباح‌و الکری خاصم عینی و راح

طلت یالیل علی مغرم‌مسبل الدمع طویل النواح

رب لیل لم یکن شملنایتلاقی فیه والدیک صاح

و سواء طلت أم لم تطل‌لیس یالیل علیک جناح

لست أنسی فیک حسن اللقاو علینا منک ستر و جناح

و اجتماع فیک أخفیته‌عن رقیب و عذول و لاح

فیک من لیلی شبیه لهاقمر یحکی وجوه الملاح

فیک شهب کلحاظ المهاتلک فی قلبی، و ذی فی البطاح

فی سکون اللیل کم آهة‌من فؤاد أن وجدا و ناح

فی سکون اللیل کم عاشق‌هاجت الذکری علیه الجراح

فی سکون اللیل کم مدنف‌بخفایا السر للیل باح

لا تلوموا اللیل فی طوله‌أیها العشاق أین السماح؟

یحمل الطیف لأهل الهوی‌إن یکن جفن المحب استراح

یکتم السر و یخفی الجوی‌عن و شاة السوء خوف افتضاح

أیها اللیل لک الشکر من‌کل قلب فیه حب صراح

یا نجوم اللیل لا تنکری‌أن عینی و الکری فی کفاح

فاحملی عنی سلامی لمن‌هو لی روح و روح و راح

و قال من قصیدهٔ أخری:

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۸۶ بحسبک ما أشکو و ما أتوجع‌زفیر و آهات و سهد و أدمع

فیا للنوی، لا بارک اللّه فی النوی‌و قلبی من حر النوی یتقطع

فبتنا جمیعا ثم أصبح شملناشتیتا کأن لم یحتو الشمل مجمع

تکلفنا الأیام ما لا نریده‌و طبع اللیالی صدع ما یتجمع

لقیت هوانا فی الهوی و سل الدجی‌و نجم الدجی إن کنت فی اللیل أهجع

و لی مهجهٔ ذابت من الوجد و الجوی‌و طارت بخارا أینما هب یتبع

رعی اللّه عهدا کان بالأمس ناضراغدا و هو مطموس المعالم أصلع

شربنا کؤوس الحب حتی ثمالهاو لم یبق فی قوس الصبابهٔ منزع

و لم ترتکب فی الحب ذنبا یسوءه‌سوی أن نفسینا إلی الطهر تنزع

و إن أنسی م الأشیاء لا أنسی قوله‌غداهٔ النوی: هل علی البین تزمع

فقلت و ما أدراک و العزم فی الحشافقال فؤادی عن فؤادک یسمع

فقلت له: حینا، فقال: یخیفنی‌و یوم النوی شهر و عام و أفظع

فقلت تجلد قال جهدی و إنماتأکد بأنی رغم أنفی سأجزع

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۸۷

و قال فی شکوی الزمان:

أواه من عثرات الحظ أواه‌و الحظ ما شاء قد شاءه اللّه

لا الحزن یجدی و لا حظی یساعفنی‌و لا الزمان رقیق فی سجایاه

أرزاء شتی إذا ما خلت أصغرهامضی أری ضعفه یحتل مأواه

تتری دراکا کطیر طاب موردهافزاد وارده شوقا لمرعاه

یلج صرف اللیالی فی معاکستی‌کأنما أنا وحدی کل أعداه

خطوب دهری لا تنفک تذکرنی‌بعطفها ذکر مجنون لیلاه

فالحزن و السهل فی سیری سواسیهٔ‌و اللیل و البوم فی الظلماء أشباه

کلما قلت لما استحکمت فرجت‌أری قشیب شقاء کنت أنساه

إن غاب عنی شقاء جاء مصطحباإخوانه لیقیموا فی راعایاه

ما حیلتی و هی الدنیا و سلطتهاأی امرىء نال منها ما تمناه؟

نصیب کل امرىء فی عکس همته‌و رفع کتفه وزن خفض أخراه

و رب ذی عزمهٔ تنبو مضاربه‌و طائش السهم أصمی الحظ مرماه

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۸۸ و نابه النفس سوء الحظ أخمده‌و خامل القدر حسن الحظ رقاه

و کم حریص له من علمه صفهٔ‌و کم کسول له من جهله جاه

هی المقادیر لا سعی و لا کسل‌و کل ذی قدر لا بد یلقاه

انظر إلی قطع الشطرنج إذ نحتت‌ما ذا أتی الشاه حتی انه شاه

کم بیدق مات لم یذنب و صاحبه‌سما مسوقا و لم یعمل لمرقاه

کذلک الکون لم تعلم عواقبه‌و لیس یعلم ساع غب مسعاه

الدهر علمنی الشکوی فقمت بهاطوعا و کرها و خیر العلم أفشاه

أشکو الزمان و فی الشکوی رفاهیةو ما علاج شقی غیر شکواه

و قال:

حرام علی عینیک أن تتنازعافؤادی إلی أن صار نهبا موزعا

أفر من الیمنی لیاذا بأختهافتطعننی الیسری فأرجع موجعا

أری لک لحظا کالقذیفة لو رمی‌یمیل من العشاق لیتا و أخدعا

بعینیک و مض کالشهاب إذا هوی‌فیحرق أکبادا و یخرق أضلعا

إذا نظرت عیناک أبصرت فیهمالذاذة نفسی و العذاب المبرقعا

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۸۹ لحاظک من حظی سوادا و قوةو أبیضه یبدو و یذهب مسرعا

أخاف نفارا حین أرجو تعطفاو أخشی فراقا حین أبغی تجمعا

دلالک أخشی أن یکون ملالةو حبک أخشی أن یکون تصنعا

حنانیک إنی قد ثکلت سعادتی‌و ذبت غراما و احترقت تفجعا

ظننت هنائی فی الهوی فأتیته‌فلم أر إلا لوعة و تصدعا

سهاد و أشواق و سقم و حسرةفیا أسفی إنی سأقضی توجعا

و لو کان لی فی الجاذبیة حیلةلکنت من السلوی جمادا و أفظعا

فلو رمت سلوی بالنوی لتوترت‌حبال الهوی لکنها لن تقطعا

یزید الهوی قبضا بقلبی کلمابعدت کحبل کلما شد قطعا

و للحب مغناطیسه و اجتذابه‌یخالف قانون التجاذب موضعا

فیضعف ذا بالبعد و الحب شأنه‌یزید اهتیاجا لو تباعد موضعا

بحسبک یا لیلی غرام زرعته‌فأنبت أشجانا و أثمر أدمعا

سفحت دموعی فی غرامک مرغماعلی حین أنی ما هویتک طیعا

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۹۰ فما کدت ألقی نحو وجهک نظرةإلی أن غدا قلبی من الحب مترعا

سحرت فؤادی و امتلکت زمامه‌و أطلقت عبدا فی جمالک مولعا

عتبت علی قلبی جواه و ذله‌فثار و کادت أضلعی أن تصدعا

سکرت غراما و انتشیت صبابةو أعییت یأسا و اشتفیت تطلعا

و من عجب آلام حبی لذیذةو لو لی آمال لعشت ممتعا

أحب و لا أرجو من الحب غایةسوی أن أری وجه الحبیب و أسمعا

و حسبی إذا أغفیت طیف یزورنی‌فأقطف من خدیه وردا تضوعا

أقبل فاه أو أضم خیاله‌فإن زاد بی وجدی صحوت و ودعا

أحبک یا لیلی بدون ملالةو أنت دجی بدر و شمس ضحی معا

و أنت المها و الغصن و الدر و الطلاتبارک ربی فی جمالک مبدعا

عبدتک یا لیلی و حسنک دلنی‌علی اللّه حتی لا أضل فاخدعا

و قال:

ذهبت و من رام المعالی یذهب‌و أبت و لم أظفر بما أتطلب

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۹۱ سعیت إلی العلیاء غایة طاقتی‌و رحت إلی أفلاکها أتوثب

سبحت علی بحر المجرة ماخراعبابا من الآمال أطفو و أرسب

رصدت السهی حینا فأبصرت طالعی‌جمیلا و لکن فیه سر محجب

فیا طالعی باللّه هل من هناءةتألق لی أم أن برقک خلب

و هل مطمئن أنت أم أنت خائف‌تفر من النحس البغیض و تهرب

و هل لی إلی النعمی سبیل موصل‌و هل لی من البؤسی مناص و مهرب

أتسعدنی الآمال بعد مطالهاو یدنو من الآمال ما أترقب

إزاء شقائی مطعم الصاب کالجنی‌و نور نهاری من مشاکیه غیهب

و لو لم أصادف سوء حظی و شؤمه‌لعشت سعیدا لم یضق بی مذهب

یسمونه حظا وجدا و طالعاو أما المسمی فالقضاء المغیب

مقادیر شتی و المقدر واحدمشیئته کالسیف بل هی أثقب

له المثل الأعلی و فی کل ذرةمن الکون سر بالتأله یعرب

هنالک شیء کل فکر یمسه‌و یلمسه الوحشی و المتهذب

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۹۲ هو اللّه سماه الطبیعی قوةو طبعا، و فی علم الأثیر تربب

و من شأنه فینا الظهور بفیضه‌و آثاره، و الشأن فینا التعجب

أ أجهل روحی ثم أعلم ربهاضلال غریب و التشبث أغرب

سننظر وجه اللّه فی الخلد ظاهراکما هو یجلوه الجلال فنطرب

نراه بإحساس بدیع مخصص‌یطیب خیالا و التحقق أطیب

هنالک یبدو کل حسن مذمماو کل ارتیاح غیر ذلک متعب

عن المثل و الأضداد جل جلاله‌و راجی سوی التوفیق منه مخیب

و ما الکون إلا ذرة فوق ذرةسماء و أفلاک و أرض و کوکب

فکل بکل فی نظام مدبرجماد وحی، کل شیء مرتب

بدائع إحکام و إتقان صانع‌فسبحانک اللهم أنت المحجب

تمنیت موتا لیس فیه جهنم‌و إلا فعیشا لست فیه أعذب

و کیف حیاة المرء ناء بعبئه‌و جمر الأسی فی صدره یتلهب؟

و کیف حیاة المرء عی طبیبه‌و أعضله الداء العقام العصوصب؟

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۹۳ برمت بآمالی و عفت تجلدی‌و مل جلیس ما أقول و أکتب

و لو نلت من عین العنایة نظرةفما مر بی عذب و ما بعد أعذب

أزهریون فی سجل التاریخ

و من أظهر الشیوخ الذین قضوا نحبهم: الشیخ سید علی المرصفی إمام علماء اللغة و الأدب فی مصر و من هیئة العلماء، و صاحب (شرح الکامل)، و شرح (دیوان الحماسة)، و شرح (أسرار البلاغة)، و غیرها .. و قد توفی فی ۱۲ فبرایر سنة ۱۹۳۱ م.

و منهم الشیخ عبد العزیز البشری نجل الشیخ سلیم البشری شیخ الأزهر الأسبق و القاضی الشرعی النابه، و المؤلف الکاتب المحدث اللبق الممتاز، و صاحب (المرآة) (و المختار) و سواهما، و قد توفی فی ۲۵- ۳- ۱۹۴۳ م.

و الأزهر فضل علی کثیرین، ممن جلسوا فی حلقاته العلمیة، و إن لم یکملوا ثقافتهم فیه، و هؤلاء عدد کبیر لا یحصون، و من أوائلهم الشیخ أحمد علی السکندری، و قد توفی فی ۱۹ ابریل ۱۹۳۸ م، و کان عضوا فی المجمع اللغوی بالقاهرة، و أقام المجمع فی ۱۳ ینایر ۱۹۳۹ م حفلة تأبین له و للمستشرق الایطالی نلینو (۱۸۷۲ ه- ۱۹۳۸ م) بدار الأوبرا ...

و السکندری کان طالبا بالأزهر، و تخرج من دار العلوم، ثم عمل مدرسا فی المدارس الأمیریة، فناظر المدرسین المعلمین. و کان یؤمن باللغة العربیة، و بقدرتها علی استیعاب المعانی المتجددة التی تأتی بها الحضارة، حتی فی الکیمیاء و الطب، و اختیر عضو فی المجمع اللغوی بعد إنشائه بقلیل، و له کثیر من المؤلفات العمیقة، و من بینها کتاب فی الأدب العباسی، کما أنه اشترک فی تألیف الوسیط، و فی کتب أخری.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۹۵

الباب الخامس صور من الأزهر القدیم و الحدیث

اشارة

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۹۷

- ۱- أوقاف قدیمة للأزهر:

فی کتاب الخطط للمقریزی نص سجل الوقف الذی وقف «الحاکم» بمقتضاه بعض أملاکه بمصر و القاهرة علی الجامع الأزهر و دار الحکمة و بعض المساجد الأخری، و قد مضی تلخیص لهذا السجل فی هذا الکتاب .

- ۲- أول درس للسیوطی الأزهری:

فی عام ۸۶۷ ه ألقی السیوطی العالم الأزهری بعد تخرجه من الأزهر أول درس له. و قد عرض له الشیخ مصطفی عبد الرازق فی حدیث له فی محرم عام ۱۳۶۵ ه و مما جاء فی کلمته عنه:

منذ حوالی خمسمائة عام ألقی العالم الشهیر «جلال الدین السیوطی»

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۹۸

المتوفی سنة ۹۱۱ ه أول درس من دروسه حین أجلس للتدریس، بحضور شیوخه و کبار القضاة و الأفاضل فی عهده، و قد ألقی هذا الدرس فی جامع شیخون المسجد المعروف فی هذه العاصمة. و فی دار الکتب الأزهریة مخطوطة تجمع مؤلفات و رسائل للجلال السیوطی رحمه اللّه. و ورد فی هذه المجموعة أنها بخط المؤلف. و مما حوته هذه المجموعة رسالة جاء فی أولها: «تصدیر مبارک ألقیته یوم أجلست للتدریس بجامع شیخو، رحمه اللّه، بحضرة شیخنا قاضی القضاة شیخ الإسلام علم الدین البلقینی و جماعة من القضاة و الأفاضل، و ذلک یوم الثلاثاء تاسع ذی القعدة سنة ۸۶۷ ه، و قد مضی من عمری ثمان عشرة سنة و أربعة أشهر و ثمانیة أیام و الحمد للّه».

و هذا الدرس الذى ألقاه السيوطى فى مفتتح عهده بالتدريس هو فى تفسير آية من سورة (الفتح) الكريمة.

و هـذا التصدير على صـغر حجمه يفيد الباحثين فى تطور الدراسات الإسـلامية و أساليبها، و فى الطرق التى كانت تعتمد عليها مدارس المسـلمين فى إجازة طلابها و تخريجهم، و قـد بدأ المؤلف درسه بذكر المراجع التى طالعها فقال: «طالعت على هذا التصدير الكشاف و تفسـير الإمام الرازى و تفسير الإمام ابن العربى و البحر لأبى حيان و أسباب النزول للواحدى و تفسير السجاوندى و ينبوع الحياة لابن ظفر و صـحاح الجوهرى، و الخطبـة إلى آخر الصـلاة من كلام الإمام الشافعى رضـى اللّه عنه يعنى من خطبـة،، الرسالة،،» ... و بعد أن حمـد اللّه بما حمـد به الإمام الشافعى فى صدر «الرسالة» و صـلى على النبى و آله قال: «رضـى اللّه عن السادة الصـحابة أجمعين و عن إمامنا الشافعى المطلبى و سائر الأئمة و عن سـيدنا و مولانا شـيخ الإسـلام و والده شـيخ الإسـلام و سائر مشايخنا و السادة الحاضـرين و جميع المسـلمين، ثم قـال: «أمـا بعـد فقـد قـال اللّه تعالى: «إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَـدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ، وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ، وَ يَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً، وَ يَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً».

الكلام على هذه الآية من جهات: الأولى سبب النزول و مكانه

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۹۹

و زمانه، و الثانية علم اللغة، و الثالثة علم الإعراب، و الرابعة علم المعانى، و الخامسة علم التفسير.

أقول: قدمت أولا الكلام على النزول و ما يتعلق به، و مناسبة تقديمه ظاهرة، و ثنيت باللغة و قدمتها على الإعراب، لأنها تبين المعنى، و الاعراب فرعه و متوقف على معرفته، و ثلثت بالاعراب و قدمته على المعانى الذى هو ثمرة الإعراب، ثم تلاه المعانى، و لما انتهيت من الأدوات ذكرت المقصود بالذات من الآية و هو التفسير و بيان المراد، ثم ختمت بالنهاية و هو علم التصوف، و هذا ترتيب حسن لطيف.

و بـدأ بالكلام على سبب النزول و ما يتعلق به نقلا عن الواجـدى، ثم تكلم عن اللغـة فبين معنى النصـر و البيان و المغفرة و الـذنب و النعمة و الهدى و الصـراط المستقيم و العزيز. و ذكر بعد ذلك ما يتعلق بالآية من جهة الإعراب، ثم ما يتعلق بها من جهة علم المعانى. ثم قال: و أما ما يتعلق بها من جهـة التفسير، قوله: (إنا فتحنا)، فى المراد بالفتـح هنا أقوال: أحـدها فتـح مكة و اختاره الفخر الرازى من الجميع و أبو حيان، و الثانى عام الحديبيـة عنـد انفكاكه منها، و الثالث قاله مجاهد فتح خيبر و فى بعض الآى ما يدل عليه، و الرابع قال الضحاك: و المراد فتح اللّه بالإسلام و النبوة و الدعوة بالحجة و السيف، و لا فتح أبين منه و أعظم، و هو رأس الفتوح كلها، إذ لا فتح من فتوح الاسـلام إلا و هو عنه و مشتق منه. الخامس قال غيره: المراد نصـر اللّه تعالى على أهل مكـة بعد ان أوحى اليه: إنك تدخلها أنت و أصـحابك من قابل لتطوفوا بالبيت. قوله: ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ قال ابن عباس: ما تقدم قبل النبوة و ما تأخر بعدها. و قال غيره: مـا وقع و ما لم يقع على طريق الوعـد بأنه مغفور له. و قال سـفيان: ما تأخر هو ما لم يعلمه، و قال آخر: المتقـدم و المتأخر معا ما كـان قبـل النبوة. و قـال آخر تأكيـد للمبالغـة كما تقول: أحبك من عرفك و من لم يعرفك. و قال آخر ما تقـدم من ذنبك يعنى من ذنب أبيك آدم و حواء، و ما تأخر: ذنوب أمتك. و قال آخر:

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۰۰

المعنى لو كان لك ذنب قـديم أو حـديث لغفرناه. قوله: وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ* قيل النبوة و الحكمة، و قيل بفتح مكة و الطائف و خيبر، و قيل بخضوع من استكبر، و الصحيح بدخول الجنة.

قوله: وَ يَهْدِيَكَ المراد يثبتك على الهـدى كمـا فى قوله: «يـا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ» يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا و أمثال ذلك. قوله صِراطاً مُسْتَقِيماً* المراد به هنا الإسـلام ... و آخر جملـة فى هـذه الرسالـة هى (و أما من جهة علم التصوف)، ثم يتلوها بياض بالأصل مقداره نحو ثلاثـة أسـطر بخط السـيوطى الدقيق. و إذا كان لم يصل إلينا ما كتبه السـيوطى فى تصديره عن التصوف فإن بعض المؤلفين أشار فى تحديـد معانى الفتـح إلى معنى هو أقرب إلى معانى الصوفية. قال الراغب فى كتابه (المفردات فى غريب القرآن): و قوله: إِنَّا فَتَحْنا

لَکَ فَتْحاً مُبِیناً قیل عن فتح مکة، و قیل بل عنی ما فتح علی النبی من العلوم و الهدایات التی هی ذریعة إلی الثواب و المقامات المحمودة التی صارت سببا لغفران الذنوب، و لعل هذا المعنی هو الذی عبر عنه بعض المفسرین بالإلهام.

- ۳- الحفنی شیخ الأزهر:

کان شیخ الأزهر الحفنی (۱۱۰۰ ه- ۱۶۹۸ م- ۱۱۸۱ ه- ۱۷۶۷ ه) شجاعا فی الحق شجاعة نادرة. تخاصم علی بک الکبیر مع طائفة کبیرة من الأمراء و تفاقم بینهم الشر حتی أوشک أن ینتهی إلی الحرب. و اجتمع لذلک کبار القوم و معهم الشیخ الحنفی. فعارض المیل إلی الحرب معارضة شدیدة، لما یصیب الناس من شرها. و قال للأمراء:

إنکم خربتم البلاد، بحربکم و خصامکم. ثم أرسل إلی علی بک، و کان خارج القاهرة، کتابا شدیدا فیه زجر و عظة و نصیحة. و قد انفرد علی بک بعد ذلک بحکم مصر، و فتح الشام و الحجاز، و کان مع ذلک لا یستطیع مخالفة الشیخ. و له مع الأمراء و الولاة مواقف من الشجاعة و الصلابة یطول بنا الحدیث عنها. و کان لا یتم أمر من أمور الدولة، إلا بعلمه و إذنه. و کانت له

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۰۱

مهابة عظیمة حتی لا یستطیع کثیر من جلسائه أن یتوجه إلیه بسؤال، و کانت علی إحدی عینیه نقطة، و مع ذلک لم یدرک أکثر الناس ذلک و لم یلحظوه.

لأنهم کانوا یغضون الطرف عند النظر إلی وجهه.

تولی المشیخة بعد الشیخ الشبراوی، الذی مات فی آخر سنة ۱۱۷۱ ه ... و کان إلی ذلک کله ظریفا و شاعرا، یقول الشعر، و الموالیا.

کان له رفیق اسمه الشیخ حسن شمة، رآه مرة یکتب، فسأله ما ذا یکتب؟

فقرأ علیه الشیخ «شمة» هذا البیت:

قالوا تحب المدمس؟ قلت بالزیت حارو العیش أبیض تحبه؟ قلت و الکشکار

فضحک الشیخ و قال له: أما أنا فلا أحبه بالزیت حار، بل بالسمن.

و أنشده:

قالوا تحب المدمس؟ قلت بالمسلیو البیض مشوی. تحبه؟ قلت و المقلی

و له شیء غیر قلیل من الموالیا، بعضه فی الغزل، و کله رقیق جمیل فیه عاطفة و عذوبة. و له شعر رقیق جمیل ایضا، منه:

فلو فتشوا قلبی لألفوا بهسطرین، قد خطا، بلا کاتب

العلم و التوحید فی جانبو حب آل البیت فی جانب

و هذان البیتان، یمثلان حیاته الی حد کبیر، فقد کان عالما کبیرا مخلصا للعلم، و متصوفا مؤمنا طاهر السریرة.

و من شعره هذان البیتان الرقیقان. اللذان یفیضان یسرا و إیمانا و رضاء، و صفاء و روحانیة:

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۰۲ خبز، و ماء و ظلهو النعیم الأجل

جحدت نعمة ربیإن قلت إنی مقل

و قد عمر طویلا. حیث مات ظهر یوم السبت السابع و العشرین من ربیع الأول سنة ۱۱۸۱ (۱۷۶۷) .. و کان یوم وفاته یوم هول و بکاء.

و قال فیه الوالی راغب باشا: انه کان سقفا علی أهل مصر، یمنع عنهم نزول البلاء .

الإجازات العلمیة فی الأزهر القدیم

اشارة

ذکر القلقشندی فی صبح الأعشی صور طائفة من الإجازات التی کان یصدرها أکابر العلماء لتلامیذهم أو لمن یتقدم الیهم من الطلاب، کإجازة التدریس و الفتیا و الروایة و غیرها (ج ۱۴ ص ۳۲۲ و ما بعدها)، و تصدر هذه الإجازة بعد اختیار الطالب فیما طلب الإجازة فیه.

۱- و هذه صیغة إجازة بالفتیا و التدریس علی مذهب الإمام الشافعی، أصدرها العلامة سراج الدین أبو حفص عمر الشهیر بابن الملقن لأبی العباس القلقشندی صاحب کتاب صبح الأعشی سنة ۷۷۸ ه، و کتبها القاضی تاج الدین بن غنوم موقع الحکم بالاسکندریة، و ذلک بعد البسملة و الدیباجة:

«و لما کان فلان- أدام اللّه تسدیده و توفیقه، و یسر إلی الخیرات طریقه- ممن شب و نشأ فی طلب العلم و الفضیلة، و تخلق بالأخلاق المرضیة الجمیلة، و صحب السادة من المشایخ و الفقهاء، و القادة من الأکابر و الفضلاء، و اشتغل علیهم بالعلم الشریف اشتغالا یرضی، و إلی نیل السعادة- إن شاء اللّه- یفضی، استخار اللّه تعالی سیدنا و شیخنا و برکتنا،

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۰۳

العبد الفقیر إلی اللّه تعالی، الشیخ الإمام العلامة، الحبر الفهامة فرید دهره و نسیج وحده، جمال العلماء، أوحد الفضلاء، عمدة الفقهاء و الصلحاء سراج الدین، مفتی الإسلام و المسلمین، أبو حفص عمر بن الملقن ...

الخ».

«و أذن و أجاز فیه لفلان المسمی فیه، أدام اللّه معالیه، أن یدرس مذهب الإمام المجتهد المطلق العالم الربانی، أبی عبد اللّه محمد بن إدریس المطلبی الشافعی، رضی اللّه عنه و أرضاه، و جعل الجنة متقلبه و مثواه، و ان یقرأ ما شاء من الکتب المصنفة فیه، و ان یفید ذلک لطالبیه، حیث حل و أقام، کیف شاء متی شاء و أین شاء، و أن یفتی من قصد استفتاءه خطا و لفظا، علی مقتضی مذهبه الشریف المشار إلیه، لعلمه بدیانته و أمانته، و معرفته و درایته، و أهلیته لذلک و کفایته ... و کتب فی تاریخ کذا».

۲- و هذه صیغة إجازة أصدرها الشیخ شمس الدین محمد بن عبد الدایم إلی ولده أبی العباس المسمی نجم الدین أبی الفتح، متضمنة إتقانه لحفظ کتاب (المنهاج) فی الفقه للنووی، و ذلک سنة ۸۱۳ ه جاء فیها بعد الدیباجة: «و بعد فقد عرض علی الفقیه الفاضل، نجل الأفاضل، و سلیل الأماثل، ذو الهمة العلیا، و الفطنة الذکیة، و الفطرة الزکیة، نجم الدین أبو عبد اللّه محمد بن فلان، نفع اللّه به کما نفع بوالده، و جمع له بین طارف العلم و تالده»- مواضع متعددة من «المنهاج» فی فقه الإمام الشافعی المطلبی رضی اللّه عنه و عنا به، تألیف ولی اللّه ابن زکریا بن شرف بن مری النووی، سقی اللّه تعالی ثراه، و جعل الجنة مأواه، دل حفظه لها علی حفظ الکتاب، کما فتح اللّه له مناهج الخیر دقه و جله، و کان العرض فی یوم کذا».

۳- و کتب العلامة الشیخ عز الدین بن جماعة فی بعض الإجازات ما صورته: کذلک عرض علی المذکور باطنها عرضا حسنا، محررا مهذبا مجادا متقنا، عرض من أتقن حفظه، و زین بحسن الأداء لفظه، و أجزل لی من عین العنایة حفظه، مر فیه مرور الهملاج الوساع فی فسیح ذی السباع،

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۰۴

و قد دلنی ذلک منه، نفعه اللّه تعالی و نفع به، و وصل أسباب الخیر بسببه، علی علو همته، و وفور أریحیته، و توقد فکرته، و اتقاد فطنته ... و قد أذنت له أن یروی عنی الکتاب المذکور، و جمیع ما یجوز لی و عنی روایته، من مصنفاتی و غیرها من منظوم و منثور، و منقول و معقول و مأثور، بشرطه المعتبر؛ عند أهل الأثر، و کتب فلان بتاریخ کذا ...

صور من إجازات الأزهر العلمیة فی أواخر القرن التاسع عشر

من صور هذه الاجازات إجازة خطية طويلة عندى، و هى التى كتبها الشيخ الباجورى للعالم الكبير الشيخ نافع الجوهرى الخفاجى التلبانى (۱۲۵۰- ۱۳۳۰ ه ۱۸۳۴- ۱۹۱۲ م)، و قد أثبتها فى كتابى «بنو خفاجة و تاريخهم السياسى و الأدبى » فلا داعى لذكرها كاملة هنا، و فى آخرها يقول الشيخ الباجورى: «أجزت المذكور بكل ما تجوز لى به الرواية، و ما تلقيت من أشياخى- ضاعف اللّه أجورهم رواية و دراية، و بما لى من تأليف و تصنيف» .. و الاجازة مذيلة بهذا التوقيع: الفقير إبراهيم الباجورى خادم العلم.

و مع هذه الإجازة صورة أخرى لرجاء من أساتذته الشيخ المبلط و الشيخ البدرى و الشيخ على محمد، مرفوع إلى شيخ الجامع الأزهر لإعطاء «ولده الفقير نافع خفاجى تذكرة أسوة بأمثاله بإكرامه و عدم المعارضة له بطريق ما، و إجازته بكل ما أفتى و ما فعل».

و يلى ذلك إجازة شيخ الأزهر له، و جاء فيها: «انتظم المذكور فى سلك العلماء» و أخذ عن الشيوخ الموجودين فى هذا العصر بعضا من العلوم، و دأب فى التحصيل فمنح دقائق المفهوم، فأجازه أشياخه بما أخذ عنهم، و تلقاه منهم، و لما أراد الرجوع إلى وطنه، التمس إجازته، بما تجوز

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۰۵

له روايته من منقول و معقول، و تنسب له عن أشياخه روايته، فأجزته بما تجوز لى روايته من منقول و معقول، و ما تنصرف إليه همم أرباب العقول، و عليه العمل بتقوى اللّه، و أن لا ينسانى من دعواته.

و تاريخ هذه الإجازة العلمية عام ۱۲۸۳ ه، و كان من شيوخه فى الأزهر الشيخ إبراهيم السقا و الشيخ محمد الأشمونى و الشيخ الخضرى و الشيخ مصطفى البدرى و الشيخ الرهبينى، و الشيخ الرفاعى و الشيخ على المبلط و سواهم، و كان مما حضره من كتب فى الأزهر: الكفروای و شرح الشيخ خالد، و الأزهرية، و القطر، و الخطيب، و التحرير و المنهج، و سواها من كتب و شروح و حواش، فى الفقه و الحديث و التفسير و النحو و الصرف و البلاغة و الأدب و الأصول و التوحيد و العروض و المنطق و سواها.

صورة إجازة علمية أخرى:

بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين، أما بعد: فقد سألنى الأخ فى اللّه الشيخ العالم العلامة و الحبر البحر الفهامة الشيخ نافع خفاجى بن الجوهرى خفاجى التلبانى ان أجيزه فى جميع مروياتى من معقول و منقول من فقه و حديث و تفسير و إفتاء و تدريس، فعلمت لياقته لذلك فقلت: قد أجزته فى جميع مروياتى عن مشايخى، و أوصيه بتقوى اللّه و الوقوف على حدود شريعة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أن يتحرى فى القول و العمل و أن لا ينسانى من صالح دعواته .. حرر ذلك فى سنة الف و مائتين و ثلاث و ثمانين فى شهر جمادى الآخرة، و صلى اللّه على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم. الفقير إلى اللّه تعالى: على ابن احمد الرهبينى خادم العلم بالحرم الشريف.

إجازات علمية أخرى:

و من هذه الإجازات مجموعات خطية وقعت لى، و من إجازاتها:

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۰۶

۱- بسم اللّه الرحمن الرحيم لك الحمد على مرسل آلائك و مرفوعها، و لك الشكر على مسلسل نعمائك و موضوعها بحسن الانشاء و صحيح الخبر، يا من تجيز من استجازك وافر الهبات، فيغدو موقوفا على مطالعة الأثر، ما بين مؤتلف، الفضل و متفقه، و مختلف العدل و مفترقه، جيد الفكر سليم الفطر، يجتنى بمنتج قياسه شريف الفؤاد، و يجتبى بمنهج اقتباسه ثمار السداد، و يحلى نفيس النفوس بعقود العقائد الغرر، فان صادفه مديد الامداد، و صادقه مزيد الانجاد، و صفا مشربه الهنى و لا كدر، و وجد درر الجواهر و يا نعمت

الوفادة، بادر عند ذلک بالاستفادة و الافادة، و لا أشر و لا بطر، فبذل المعروف و بدل المنکر، اذ لیس عند الاصحاح الجوهر، ما اعتنی و ما افتنی غیرها عند ما عثر، لا یزور و لا یدلس و لا یطهر و لا یکلس و لا یعانی الشرر، فیامن من علی هذا المنقطع الغریب، و منحه منحة المتصل القریب، امنحنی السلام فی داره و نجنی من سقر، و منک موصول صلات صلواتک لا مقطوعها. و سلسل سلسبیل تسلیماتک و مجموعها، علی سندنا و سیدنا محمد سید نوع البشر، و علی آله و أصحابه، و حملة شریعته و أحبابه، و من اقتفی أثرهم و علی جهاده صبر ... أم بعد:

فلما کان الاسناد مزیة عالیة، و خصوصیة لهذه الأمة غالیة، دون الأمم الخالیة، اعتنی بطلبه الأئمة النبلاء أصحاب النظر، إذ الدعی غیر المنسوب، و القصی غیر المحسوب، و سلیم البصیرة غیر أعشی الفکر ..

و لما کان منهم الإمام الفاضل، و الهمام الکامل، و الجهبذی الأبر، اللوذعی الأدیب، و الألمعی الأریب، ثاقب الفکر، صاحب النظر، ولدنا السید محمد الهجرسی الحفناوی، نجل المرحوم العلامة السید خلیل الهجرسی، زین الدین الشافعی الشرقاوی، أسکنه اللّه الفردوس و جنبه سقر، و ظهرت لی نجابته أذنته بالتدریس. و أن یتخذ العلم خیر جلیس، فشمر عن ساعده، و ظهر و مهر، و طلب منی إجازة لیتصل بسند سادتی سنده و لا ینفصل عن مددهم مدده، و ینتظم فی سلک قد فاق غیره و بهر. فأجبت و إن لم أکن

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۰۷

لذلک أهلا، رجاء أن ینشر العلم و أنال من اللّه فضلا، و أنجو فی القیامة مما للکاتمین من الضرر، فقلت:

أجزت المومی إلیه بما تجوز لی روایته، أو تصح عنی درایته. من کل حدیث و أثر، و من فروع و أصول، و منقول و معقول، و فنون اللطائف و العبر، کما أخذته عن الأفاضل السادة، الأکابر القادة، مسددی العزائم، فی استخراج الدرر، منهم أستاذنا العلامة، ولی اللّه المقرب، و ملاذنا الفهامة الکبیر ثعیلب، بوأه اللّه أسنی مقر، عن شیخه الشیخ أحمد الملوی، ذی التآلیف المفیدة، و عن شیخه أحمد الجوهری الخالدی صاحب التصانیف الفریدة، عن شیخهما عبد اللّه بن سالم صاحب الثبت الذی اشتهر. و منهم شیخنا محمد بن محمود الجزائری، عن شیخه علی بن عبد القادر الأمین، عن شیخه أحمد الجوهری المذکور المصون بالعرفان و التمکین، عن شیخه عبد اللّه بن سالم، و منهم الشیخ محمد صالح البخاری عن شیخه رفیع الدین القندهاوی، عن الشریف الإدریسی عن عبد اللّه بن سالم راوی أحادیث الابر، و منهم سیدی محمد الأمیر عن والده الشیخ الکبیر، عن أشیاخه الذی حوی ذکرهم ثبته الشهیر، و منهم غیر هؤلاء رحم اللّه الجمیع ولی و للمجاز و لهم أکرم و غفر، و هؤلاء و غیرهم یروون عن جم غفیر، و جمع کثیر، کالشیخ الحفنی، و الشیخ علی الصعیدی، و غیرهما، فمسانیدهم مسانیدی، فما أکرمها من نسبة وابر، و قد سمع منی المجاز المذکور کتبا عدیدة معتبرة مفیدة، وفقه اللّه لمحاسن ما به أمر، آمین بجاه طه الأمین.

۲- و کتب تحت هذه الإجازة ما یلی، و هی صورة إجازة أخری بإمضاء الشیخ محمد خلیل الهجرسی:

بسم اللّه الرحمن الرحیم و به نستعین من کل شیطان رجیم، و أفضل الصلاة و التسلیم علی سیدنا و سندنا و مولانا محمد الرءوف و علی آله أولی الفضل و الهدایة الحائزین قصب السبق فی مضمار الدرایة و الروایة، و بعد فأقول و أنا الحقیر المقر بالتقصیر محمد خلیل الحفناوی الهجرسی قد أجزت

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۰۸

بما فی هذه الإجازات الکامل الفاضل الشیخ إبراهیم کراویة الدمیاطی، و أنا أوصیه بالتقوی و لا ینسانی من صالح دعواته فإنها السبب الأقوی فی خلواته و جلواته.

و ذیلت بتاریخ عام ۱۳۱۰ ه.

۳- صورة إجازة أخری صادرة من الشیخ شمس الدین الانبابی:

بسم اللّه الرحمن الرحیم: نجوز بإجازتک یا اللّه علی صراط الحمد، فنفوز بهدایتک یا وهاب علی بساط المجد، و نزید شکرا فنزید

أجرا، و نصلی و نسلم علی السید السند الأعظم، لکل ذی هدایة ممن تأخر من العلماء أو من الأنبیاء تقدم، إنسان عین حقیقة التوحید و ترجمان لسان القرآن المجید، مفتاح الرحمة کشاف الغمة، صاحب الشمائل الحسنة. و مصدر مناهل السنة، أصل منبع أصول الحکم، و عین جمیع جوامع الأمم، فقه أمته، فأظهرت ملته، فلم تنح نحوها فی تسهیل تفهیم المسائل المهمة أمة، و لم تتصرف تصرفاتها فی العبادات الجمیلة الجمة، لها فی تهذیب الطلاب غایة لطافة، و فی الحث علی الدأب یحسن الأدب فی آداب البحث، فیبلغ الطالب فی أسرع مدة من الفنون بلاغة و تسر سریرته بسرور أسرار البلاغة، و غایته أنها رزقت السعد فی علومها و حسن المنطق فی نظم کلامها، لاستنادها فی کل أفعالها علی أعلی سند و أقوی أساس، فکانت بذلک کما فی التنزیل خیر أمة أخرجت للناس، ثم نصلی و نسلم بعد ذلک علی أصحابه الذین سلکوا بنوره أقوم المسالک، و أهل بیته الطاهرین و من تبعهم من الأولین و الآخرین .. أما بعد: فلما کان الاسناد من المزایا العالیة إذ فیه حفظ نسب الأرواح، فأولی و أعلی عنایة به أسانید العلماء للطلاب، و کان الدعی غیر المنسوب و المنسوب مطلقا محسوب، اشتدت عنایته العلماء الجهابذة، و فضلاء هذه الأمة الأساتذة قدیما و حدیثا سواء کان العلم صناعة أم حدیثا بأخذ الأسانید مسلسلة، و إجازة الآخذین عنهم بعلوم مفصلة، و ما عنی بهذا الأمر أشد عنایة الا من صدق و صدق فصادفته العنایة، فاستجاز

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۰۹

و التمس الانجاز لحفظ نسبه العلمی، المقدم علی نسبه الجسمی، فابتدر شیخه لإجابته، إذ لاحت منه أمارات نجابته، و أجازه بما أجیز، و أصبح بعز الافادة أعز عزیز ... و ممن اعتنی بعد ما اقتنی و قطع المفازة، فطلب الإجازة، ولدنا النبیه النبیل و العالم النجیب الجلیل، الفاضل المحقق النحریر، البارع فی الالقاء و التحریر من صدق فی نجابته اختیاری و تفرسی، الحسیب النسیب السید محمد الهجرسی بن شمس الصلاح، و کوکب سعد الفلاح، قائد زمام الحقیقة، و شائد بناء الطریقة، کاشف الغمة عن الطلبة و المریدین، العالم العلامة المرحوم السید خلیل الهجرسی زین الدین بعد أن لازمنی مدة مدیدة و أخذ عنی فنونا عدیدة، فلما لاح لی کوکب صلاحه، و فاح لی نشر مسک فلاحه، حیث أقرأ بالجامع الأزهر مهرة الطلاب و أفاد و أجاد، و کشف عن مخدرات التحقیق النقاب، و أخذ من الفنون بأقوی طرف، و زاد فی الاقتداء فی اخذ الأسانید بمن سلف، فبادرت لطلبه بإعطائه بلوغ أربه، فلم أثن عنه عنان العنایة، بل أجزته بما یجوز لی روایة، و یصح عنی درایة، من فروع و أصول، و منقول و معقول، و أذنته بالتدریس، و أن یتخذ العلم خیر جلیس، لیکون فی إفادته العلوم لطالبیها علی أحسن سنن، و ینتظم بصحیح مرسل درایته فی عقد مسلسل الفضلاء بانتظام حسن، فلا یعضل فی مقام، و لا یوضع له مقام، و لیکون أیضا بذلک السند فی العلم و الشرف ذا غزارة و غرازة، لأن إجازتی هذه جازت من علو السند أجزل إجزاء و إجازة إذ هی إجازة مشایخی الأعلام، أکابر الشیوخ و مشایخ الإسلام کشیخی و ملاذی و قدوتی و أستاذی، البحر الزاخر، ذی القدر الفاخر، العلم الفرد، و الوبل لا ـ الثرد، بحر التحقیق، حبر التدقیق، مولی الفوارق، من ضربت به الأمثال السائرة، فی نشر تآلیفه الزاهیة الباهرة، علمه سار فهو الشمس و الدنیا فلک المورد العذب، و المصدر الرحب، مسدد غلطات الأوهام، مشید عرفات الافهام من لا یدرک شاؤه، إذا جوری شیخ الإسلام أستاذی الشیخ الباجوری قدس اللّه سره، و عظم فیه أجرنا و أجره، فإنه أجازنی بما تجوز له روایته، و اذن لی فیما تصح عنه درایته من فروع

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۱۰

و أصول، و منقول و معقول، بل أجاز إجازة عامة أهل العصر، و ذلک کان فی درسه الحافل بعد العصر، و هو مجاز من شیخیه الإمامین، و أستاذیه الشهیرین، الهمامین، أحدهما واحد العصر و علامة الأنام، من أصبح کل لسان من کل إنسان علیه مثنیا، الأستاذ الملاذ شیخ الإسلام السید حسن القویسنی، فإنه أجازه بما حواه ثبت شیخ مشایخ الاسلام، و القدم الراسخ فی مقام العرفان لأهل الإقدام، البحر العذب الراوی، الأستاذ الشیخ عبد اللّه الشبراوی، و بجمیع مروایاته، ضاعف اللّه فی حسناته .. کما أجاز السید المذکور بذلک شیخه الهمام الحبر الشرعی، الأستاذ أبو هریرة داود بن الأستاذ محمد القلعی، فکتب الشیخ أبو هریرة المذکور علی ثبت

العلامة، المتقدم ذكره المشهور.

۴- و بعد ذلك ما يلى، و هو مذيل بتوقيع الفقير اليه تعالى محمد الأنبابى خادم العلم بالأزهر:

بسم اللّه الرحمن الرحيم و به ثقتى، و صلى اللّه على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين، و بعد: فقد أخذت العلم عن رجال صالحين، منهم الشيخ أحمد السحيمى بن محمد شارح عبد السلام فقد أجازنى بضمن ما فى هذا الثبت الذى أجازه به شيخه الشيخ عبد اللّه الشبراوى صاحب هذا الثبت، و منهم الشيخ أحمد الملوى فقد أجازنى بجميع مروياته، و منهم الشيخ أحمد الدمنهورى أجازنى بما فى ثبته، و كتب عليه أنه أجازنى بما فى ضمنه، و منهم الشيخ محمد الحفنى حضرت عليه سنين كثيرة، و منهم الشيخ أحمد البجيرمى، و الشيخ عيسى البزاوى، و الشيخ حسن المدابغى، و الشيخ محمد المصيلحى، و الشيخ عبد اللّه الشبراوى، و الشيخ عطية الأجهورى، و الشيخ أحمد القوصى، و الشيخ عمر الطحلاوى، و غيرهم ممن يطول ذكره، و قد أجزت بذلك السيد حسن العلوى، ابن السيد درويش، ابن السيد عبد اللّه القويسنى، و بجميع مروياتى، راجيا من اللّه أن لا ينسانى من صالح دعواته ... كتبه داود القلعى، و صلى اللّه على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون، و غفل عن ذكره

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۱۱

الغافلون ... و ثانيهما الفرد الذى ليس له ثان، و لا لعنان عنايته فى ميدان أهل العرفان ثان، فإنه جواد العلم السابق الأصم، بل بحره الزاخر الدافق الخضم، أستاذ الأساتذة و مولى الموالى، شيخ مشايخ الإسلام، الفاضل الفضالى المجاز من العلامة الأمير الكبير، بما حواه ثبته الشهير، و من غيره من الأعلام، و الأساتذة الجهابذة الكرام، و كشيخى الإمام علامة الأنام من سارت بفضائله سائر الركبان، و شوهدت طوالع تحقيقاته من مطالع عباراته، فهو أبو السعود. لهذا الوجود، و كشاف لثام الأفهام و لا فخر، و مفتاح أرواح استرواح عبير العرفان و لا نشر، ذى المقاصد الحسنة القوية الصادقة فى كشف مواقف العقول الزكية الفائقة.

فإن يفق الأنام و كان منهمفإن المسك بعض دم الغزال

فهو للقطر القطب الذى عليه المعول، و كل مادح فيه مقصر و لو كان مدحه مطولا، لا زال فى معراج المعارف يرقى، أستاذى و شيخى العلامة السقا، أدام اللّه لنا وجوده، و وقاه ما يكره و وفاه سعوده، فإنه أعزه اللّه العزيز الحكيم أعزنى، و بما حواه ثبت العلامة الأمير الكبير أجازنى، و قد أجازه به العلامة الأمير الصغير، عن والده الأستاذ الأمير الكبير، عن أشياخه الأفاضل، و العلماء الأوائل الأماثل، و بما حواه ثبت العالمين، و الهمامين، الإمامين، العلمين، صاحبى الفضل العبقرى، الشهاب أحمد الملوى، و الشهاب أحمد الجوهرى، و بجميع المرويات لهما من المعقول و المنقول، كتوحيد و تفسير و حديث و فقه و نحو، و أصول كما هو مجاز بذلك عن شيخه العلامة و الحبر الفهامة، غاية كل مأرب، و نهاية كل طالب، الأستاذ الأعظم، و الملاذ المكرم الشيخ ثعيلب. عنهما و عن شيوخهما الفضلاء، الأئمة الفحول، المعول عليهم فى الفروع و الأصول، و بالكتب المأخوذة منها الأحاديث المشمولة لرسالة الفاضل عبد اللّه بن سالم البصرى، المشهورة برسالة الأوائل، كما أجازه بذلك شيخه محمد بن محمود محمد ابن حسين الجزائرى، من أكابر الحنفية عن شيخه الشيخ عبد القادر الأمين مفتى

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۱۲

المالكية، بالجزائر المحمية، عن شيخه الجوهرى الشافعى، أستاذ أولى اليقين، عن الشيخ عبد اللّه بن سالم، ملاذ ذوى التمكين، و كما أجازه بذلك أيضا شيخه شيخ الإسلام، و ملجأ الأنام السيد حسن القويسنى بن السيد درويش مطاوع، عن شيخه الشيخ سليمان البجيرمى، عن شيخه الشيخ محمد العشماوى، ذى النور اللامع، عن شيخه الشيخ أبى العز العجمى، الشهير عن شيخه الشيخ محمد الشرنوبى، ذى العلم الغزير، عن شيخه شمس الملة و الدين، محمد الرملى سيد العارفين، عن شيخه شيخ الإسلام زكريا الأنصارى الهمام، عن شيخه الحافظ أحمد بن حجر العسقلانى، و أسانيده فى أوائل الفتح ليس لها ثان، و كما أجازه بذلك أيضا شيخه السيد حسن القويسنى المتقدم أولا، عن شيخه السيد القلعى إمام الملا، و سنده يأتى مفصلا، و كما أجازه بذلك أيضا شيخه العلامة ثعيلب

المار، عن شیخه العلامة الجوهری، ذی الفخار، عن شیخه العلامة عبد اللّه بن سالم الفهامة، و کذا أجازنی بما أجازه به مشایخه من منقول و معقول، کشیخه الناظم بتحقیقه عقود اللآلیء، الأستاذ الملاذ ذو الأفضال الفضالی، و کشیخه ذی التجلی الحسنی، الأستاذ شیخ الإسلام القویسنی و کشیخه الشیخ محمد بن محمود الجزائری الحنفی، صاحب الثبت المستوفی، و کشیخه الشیخ محمد صالح البخاری، عن شیخه رفیع الدین القندهاری، عن الشریف الادریسی، الإمام العالم، عن أستاذ الأساتذة، الأستاذ عبد اللّه بن سالم، ثم و قد من اللّه علینا الکریم الباری بالاجتماع بالشیخ محمد بن صالح البخاری و ذلک فی منصرفه الی الحج الشریف و أخذنا عنه بلا واسطة، و من جملة ما أخذنا عنه حدیث الأولیة المنیف، فالحمد للّه علی ما أولاه، و کشیخی الهمام الآخذ بزمام العلم و أی زمام، مرکز دائرة العرفان. و المعنی بنادرة هذا الزمان صاحب العلوم اللدنیة، صافی الطویة صادق النیة، علم العلم الکسبی و لسان قلم اللوح الوهبی غایة مطلبی و منتهی أربی سیدی و سندی السید مصطفی الذهبی، فقد أجازنی بالکتب التی أخذت منها الأحادیث المشمولة لرسالة عبد اللّه بن سالم الذی صارت مسانیدی المتقدمة بها

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۱۳

موصولة و ذلک عن شیخه شیخ الإسلام القویسنی عن شیخه السید داود القلعی عن الشیخ أحمد جمعة البجیرمی عن شیخه الشیخ الاسکندرانی عن شیخه عبد اللّه بن سالم المذکور عن أشیاخه الموضحة المسطرة بثبته المعروف المشهور و بجمیع المرویات جزاه اللّه عنی أحسن الجزاء، و کشیخی القطب العارف بر العوارف و بحر المعارف التقی النقی و الولی الجلی صاحب الصفا و الوفا قطب الأزهر الأستاذ الشیخ المبلط مصطفی فقد أجازنی و أعطانی أمنیتی و أمانی بإجازة ما حواه ثبت علامة الزمان و قطب أهل العرفان الأستاذ الشنوانی عن أشیاخه الموضحة بثبته و بجمیع مروایاته، أمدنا اللّه بمدده و أسکنه فی أعلی غرفاته، و کشیخی شیخ الإسلام و زهرة الأزهر و بهجة الأنام، ذی القدر الجلیل الأوحد، و النسب الشهیر الأمجد. کما قال فیه بعض واصفیه:

نسب و ایم اللّه لم یسبق و لم‌یلحق و لم یرمق إلی إنسان

کیف و هو شیخ الإسلام ابن شیخ الاسلام سلسلة علماء أفاضل جهابذة أعلام، من أشرقت من تحقیقاته شموسی، الأستاذ الأجل مصطفی العروسی، فقد أجازنی بالکتب التی أخذت منها الأحادیث المشمولة برسالة عبد اللّه بن سالم البصری و غیرها و هو مجاز فی ذلک عن شیخه شیخ الإسلام القویسنی عن شیخه السید داود القلعی. بسنده السابق نفعنا اللّه تعالی بهم و یسر بحبهم أمرک و أمری ... هذا و أوصیک بالتقوی فإنها السبب الأقوی، و أن لا تنسانی من دعواتک و حسن توجیهاتک أیدک اللّه بالرشاد و أفاض علیک غیوث الأمداد، و حفظک من الزلل و وفقک لخیر العمل. اللهم أحسن عاقبتنا فی الأمور کلها و أجرنا من خزی الدنیا و عذاب الآخرة، و أفضل الصلاة و السلام علی سیدنا محمد الذی للرسل ختام، و آله الکرام، و أصحابه الأعلام آمین و سلام علی المرسلین، و الحمد للّه رب العالمین.

۵- و یلی ذلک ما نصه:

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۱۴

بسم اللّه الرحمن الرحیم و صلی اللّه علی سیدنا محمد و آله، الحمد للّه حمدا یلیق بکماله و صلی اللّه علی سیدنا محمد و آله. یقول الفقیر محمد بن محمود بن محمد بن حسین الجزائری الحنفی غفر اللّه ذنوبه و أناله مطلوبه: إنه قد وقعت لی روایة صحیح البخاری و بقیة الکتب الستة من طرق عدیدة، أشهرها طریق الامام الحافظ شیخ الاسلام أحمد بن علی بن حجر العسقلانی رحمه اللّه تعالی و رضی عنه، فأرویه إلیه من طریق سماعی، و قراءتی علی والدی أبی الثناء محمود بن محمد، و قد توفی رحمه اللّه سنة ست و ثلاثین و مائتین و ألف فی منصرفه من الحج؛ و دفن بساحل سویس و هو بسماعه، و قرأته علی والده عبد اللّه محمد بن حسین قاضی الجزائر المتوفی سنة ثلاث و مائتین و ألف، و قد سمعت أنا علی جدی رحمه اللّه قطعة من کتاب فضائل القرآن من صحیح البخاری، و وقعت منه إجازة تعمه و بقیة السنة و هو کذلک عن عمه ابن أم أبیه الشیخ مصطفی بن رمضان القبانی الحنفی المتوفی سنة ثلاثین و

مائـة و ألف و هو کـذلک عن شـیخه ابی عبـد اللّه محمد بن شـقرون المقری التلمسانی المتوفی سـنة تسع و ثمانین و ألف، و هو عن شیخه أبی علی الحسن الأجهوری المالکی، و أرویه سـماعا لبعضه و إجازة تعمه و بقیـة السـتة و سائر مرویات الحافظ العسـقلانی عن شیخی أبی الحسن علی بن عبـد القادر ابن الأمین مفتی المالکیة بالجزائر المحمیة المتوفی سـنة ست و ثلاثین و مائتین و ألف عن نحو من ثمانین سنة، عن شیخه أبی العباس احمد الجوهری الشافعی عن شیخه الأستاذ أبی العباس أحمد بن البنا عن الشیخ علی الأجهوری و هو عن مشایخه الثلاثة:

شیـخ الإسـلام محمـد الرملی الشافعی و الشـیخ المعمر عمر بن الجای الحنفی و الشـیخ بدر الدین الکرخی ثلاثتهن عن شـیخ الإسـلام زکریا الأنصاری؛ و یرویة شـیخنا ابن الامین عن شـیخه أبی الحسن علی بن العربی السـقاط المغربی عن شـیخه محمد بن عبد الرحمن الفاسـی صاحب المنح البادیة فی الأسانید العالیة، عن شـیخه محمد بن عبد الکریم الجزائری، عن الشیخ المعمر مائة و ثلاثین سنة عبد الرحمن البهوتی الحنبلی عن الشیخ زکریا

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۱۵

الأنصاری المـذکور و هو عن الحافظ أحمد بن علی بن حجر العسـقلانی و هو عن شـیخه إبراهیم بن أحمد التنوخی، و هو عن شـیخه احمد بن أبی طالب الحجار عن شـیخه الحسـین بن أبی بکر الزبیدی عن أبی الوقت عبد الأول ابن شـعیب السـنجری عن عبد الرحمن بـن محمـد الـداوودی، عن عبـد اللّه بن احمـد السرخسـی عن محمـد بن یوسـف الفریری عن الإمـام الجلیـل أبی عبـد اللّه محمـد بن اسـماعیل البخاری، و أرویه بأعلا سند یوجد فی الدنیا عن شیخی أبی الحسن علی بن عبد القادر عن شیخه احمد الجوهری عن شیخه احمـد بن البنا عن شـیخه أحمـد بن محمـد العجل الیمنی عن یحیی بن مکرم الطبری، قال: أخبرنا البرهان ابراهیم بن محمـد بن صدقة الدمشـقی و غیره بروایتهم عن الشـیخ عبـد الرحمن ابن عبد الأول الفرغانی و کان عمره مائة و أربعین سـنة و أجازهم سـنة عشـرین و سبعمائـة و قـد قر البخاری جمیعه علی ابن عبد الرحمن محمد بن شاذبخت الفرغانی بسـماعه لجمیعه علی الشـیخ ابی لقمان یحیی بن عمـار بن مقیل بن شاهان الختلانی، و کان عمره مائـة و ثلاثـة و أربعین سـنة، و قـد سـمع جمیعه علی بن عبـد اللّه محمـد بن یوسـف الفریری و قد توفی سـنة عشـرین و ثلاثمائة عن الامام الحافظ ابی عبد اللّه محمد بن اسـماعیل البخاری بهذا الاسـناد عشرة رجال فتقع لی ثلاثیاته بأربعة عشر و للّه الحمد و المنة.

و قد أجاز شـیخنا ابو الحسن کل من أدرک حیاته و بینی و بین الحافظ العسـقلانی من طریق البهوتی خمسة رجال و بینی و بین الإمام البخاری من طویقه أربعـة عشـر رجلا، و یروی زکریا عن الأسـتاذ ابن الجزری عن الصـیرفی عن ابن اللیثی عن ابی الوقت فبینی و بین الإمـام البخـاری بهـذا الطریق ثلاثـة عشـر رجلا و یروی أبو الحسن الأجهوری عالیا عن قریش العثمانی عن ابن الجزری فیقع لی من طریقه أیضا بثلاثة عشر و للّه الحمد و المنة و بهذه السابقة أروی جمیع مؤلفات الحافظ العسقلانی و سائر مروایاته التی تضمنها معجمه و بهـا إلی الشـیخ زکریـا أروی جمیع کتبه و مرویـاته و أروی کتب الإمـام الحافـظ السـیوطی من طریق الأجهوری عن مشایخه الثلاثة المذکورین عن

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۱۶

الحافظ السـیوطی و أروی الأربعین النوویة بالاسـناد إلی الشیخ زکریا الأنصاری قال: قرأتها علی أبی إسحاق الشروطی، قال: أخبرنا بها أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن علی الرفا، قال: أخبرنا العالم أبو الربیع سـلیمان بن سالم الغزی، قال: أخبرنا ابو الحسن علی ابن ابراهیم بن داود بن العطار، قال: أخبرنا مؤلفها الامام محیی الـدین یحیی بن شـرف النووی فـذکرها و أروی فقه ابی حنیفـة رحمه اللّه تعالی و رضـی عنه و عن والدی عن شـیخه ابی الحسن علی بن إمام القصـبة الجزائری عن الشـیخ سلیمان المنصوری عن الشیخ عبد الحی عن الشـیخ حسن الشد نبلالی عن الشـیخ علی المقدسی عن الشیخ أحمد بن یونس الحلبی عن الشیخ عبد اللّه بن الشحنة عن الشیخ کمال الـدین بن الهمام عن الشـیخ عمر قارىء الهدایـة عن شـیخه اکمل الـدین صاحب العنایـة، عن قوام الدین السـکاکی، عن حسام الدین

السفناقی صاحب النهایة، عن حافظ الدین الکبیر عن شمس الأئمة محمد ابن عبد الستار الکردی، عن صاحب الهدایة عن نجم الدین عمر النسفی عن ابی الیسر البزدوی عن إسماعیل بن عبد الصادق عن عبد الکریم البزدوی عن الامام أبی منصور الماتوریدی عن أبی بکر الجوزجانی عن أبی سلیمان الجوزجانی عن محمد بن الحسن الشیبانی عن ابی حنیفة النعمان ابن ثابت، و هو تفقه علی شیخه حماد ابی سلیمان و هو علی إبراهیم النخعی و هو علی علقمة و الأسود و شریح، و هؤلاء أخذوا عن عمر و علی و ابن مسعود رضی اللّه عنهم، و هم من رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم ... و قرأت علی والدی رحمه اللّه سورة الفاتحة و هو سمیع بالاستعاذة و البسملة و الوقف علی الرجیم و الرحیم إلی آخر ما یذکر من وقوفها بقراءته لها کذلک علی والده محمد بن حسین، کذلک علی عمه الشیخ مصطفی بن رمضان بقراءته لها کذلک علی شیخه أبی عبد اللّه محمد بن شقرون بقراءته لها کذلک علی أبی عبد اللّه محمد الدلجمونی بقراءته لها کذلک علی أبی عبد اللّه محمد الجزری، و ینتهی سنده إلی أن قرأها علی سید المرسلین صلی اللّه علیه و سلم، و کان یمد قراءته مدا و یقف علی قوله الرجیم و الرحیم و العالمین و الرحیم و الدین و نستعین و علیهم الأول

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۱۷

و الضالین ... و صاحب شیخنا الشیخ علی بن الأمین رحمه اللّه و هو صاحب أبی عبد اللّه محمد التاودی بن سودة و هو صاحب أبی العباس أحمد بن المبارک، و هو صاحب الشیخ عبد العزیز الدباغ و هو صاحب أبی العباس الخضر و هو صاحب النبی صلی اللّه علیه و سلم، و روی المسلسل عن شیخنا علی ابن الأمین عن شیخه الحفنی، عن شیخه البدیری بسنده، و قد قرأ علی الشیخ الإمام الفاضل أبو الحسن إبراهیم بن علی بن حسن المعروف بالسقا حفظه اللّه جل جلاله صحیح البخاری إلی باب الاختباء من کتاب اللباس و سمع ذلک الشیخ الإمام أبو العباس أحمد بن یوسف القنیاتی إمام الجامع الأزهر حفظه اللّه بمنة و الشیخ الإمام أبو عبد اللّه محمد بن محمد مطر العفیفی الشافعی حفظه اللّه بمنة و الشیخ الإمام أبو زید عبد الرحمن بن عثمان الدمیاطی الغمراوی الشافعی حفظه اللّه بمنة و الشیخ الإمام أبو الحسن إبراهیم بن حسن الأشعری الشافعی حفظه اللّه .. و أجزتهم بباقیه و بجمیع مرویاتی التی تضمنها هذا الثبت و غیره، و أوصیهم و نفسی بتقوی اللّه فی السر و العلن و الإخلاص له فیما ظهر و بطن و نسأله سبحانه و تعالی أن یوفقنا لما یحبه و یرضاه بمنه و کرمه، و صلی اللّه علی سیدنا محمد و آله، الفقیر إلیه سبحانه محمد بن محمود بن محمد بن حسین الجزائری الحنفی المشهور ببلده بابن العنانی لطف اللّه به و تجاوز عنه بمنة.

۶- صورة إجازة أخری من الشیخ عبد الهادی نجا الإبیاری.

بسم اللّه الرحمن الرحیم: الحمد للّه الذی فض لمن فضل ختام الفضائل و الفواضل و جم لمن جمل بالمعارف أنواء أنواع المآثر التی تتطاول بها أعناق الجحافل فی المحافل و أجاز بأحسن الجوائز کل من جاز علی الحقیقة مجاز الرشاد و الارشاد، و جازی بمخارف الجنة و زخارفها کل من شمر عن ساعد الجهد و الاجتهاد .. و الصلاة و السلام علی من خففت أعلام علومه فی الخافقین، و شرقت بوحی محامده فی آفاق الکونین فبرقت منها أسارید أوجه الثقلین سیدنا محمد المخصوص بجوامع الکلم و القول الفصل الذی إلیه ینتمی إیراد کل فضل، و ینتهی إسناد کل فضل، و علی آله نجوم الهدی و صحبه الذین فاز من بهدیهم اقتدی، و بعد: فلما کان مقام العلم الأزهر فی ألف عام ؛ ج۲ ؛ ص۱۱۸

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۱۸

رفعا، و مکانه مکینا و حصنه منیعا، و ریاض غیاض فضله زاهیة زاهرة، توشیجا و توشیعا، تطلع من أفقه نجوم السعادة، و تنبع فی ریاه حدائق السیادة. تثمر أدواح فنونه قطوف المنی و تسفر عن وجوده عز فی الدنیا و الآخرة، باهرة السناء و السنا، دأب فی جوز صراطه المستقیم، صراط الدین أنعمت علیهم، و حوز مناطه الکریم، مناط من مدت العلیاء أیدیها إلیهم الحسنة التی أحسن بها الزمان المسیء، والدنا اللوذعی الأریب و الألمعی الأدیب السید محمد الهجرسی فخفض جناح الذل منه لتحصیل حاصله، و رفع جناح الفتور عن همته فیه لنیل فیوض فضائله، حتی جنی من روضه الأزهر الأزهری و بنی من قواعده المتینة صرحا ممردا من محاسنه المبینة لا

یدرکها مدی الأزمان خلل، و لا یعتری، و تجمل بلباس الفضل المبین، و تصدر حتی تصدی للتدریس و تصدر فأقرت تقاریره السهلة الممتنعة فی المقامات الصعبة بتفوقه علی أقرانه، و أقرت معاهد تنصیص الدقائق أقدامه، فی مزالق الأقدام و شواهد ثبات جنانه، و تطلعت نفسه النفیسة إلی مطالع طوالع عوالی الإسناد، إذ کانت من أجل مطامح أنظار الأمجاد، و مسارح أفکار الأسیاد، فأومأ لطلب الاجازة من الفقیر بطرف أدب ناعس الجفون، یقول لکل عاشق من أهل الإجازة: کن مجیبا فیکون، فما وسعنی إلا المبادرة بالاجابة و إن کنت لست بهذه المثابة من تلک العصابة، فقلت:

أجزتک بما تجوز لی روایته، و تجوز فی مناهج الإحسان درایته، من منقول الفنون و معقولها، و محلول العلوم و معقولها، مما تلقیته عن مشیختی الذین کانت تشرق الدنیا ببهجتهم، و تشرق سماء الفضل بنضرة وجه حضرتهم، کحضرة باب فتوحی، و مربی جسمی و روحی، من فتح للعلم و العمل بابا مرتجا، سیدی و أستاذی الوالد السید رضوان نجا عن مشایخه أعلام الأمة، و بدور الدیاجی المدلهمة، کالعلامة الجوهری صاحب النهج و غیره و العلامة الصبان و الامیر الکبیر، و ثبتهم شهرته مغنیة عن ذکره و کشیخنا شیخ الإسلام العلامة القویسنی و الضیاء الباجوری و ثبتهما أشهر من علم، و الفقیه المحدث الشیخ محمد محمود الجزائری و سنده أعلا سند فی عصرنا یکون لشم

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۱۹

المحدثین أرفع شمم، موصیا لحضرته البهیة، بملازمة السنة السنیة، و التشبث فی معارک مدارک العلوم بأحسن رویة، لیروی ظمأ القلوب حین یروی و یسند، و یروی إلیه من الثناء الحسن حین یهدی و یرشد، و یتدارکنی بدعاته المقبول کلما خطرت بساحات فکره، وفقنا اللّه و إیاه لما فیه رضاه و أوزعنا القیام بشکره، ما هبت الصبا.

۷- صورة إجازة أخری:

بسم اللّه الرحمن الرحیم: یا من یقف المتروک ببابه فیصیر مرفوعا مقبولا، و ینقطع الضعیف لعزیز جنابه فیجعله صحیحا موصولا، افض متصلات صلواتک، و مسلسلات تحیاتک، علی الحبیب المرسل، بإقامة معروف الفضائل و مشروعها و إزالة منکر الرذائل و موضوعها، و علی آله و صحبه و التابعین لآثار سننه، و خلفائه من بعده، الرافعین لاعلام سننه ما رتعت ظباء القلوب فی ریاض أحادیثه الخصیبة و هب نسیم القبول علی ناشری برود أخباره بسوح حضرته الرحیبة .. اما بعد: فلما کان الاسناد اجل مزیة تتطاول بها أعناق البزل و أجمل زینة تتحلی بها أجیاد الکمل کیف لا و هو الخصیصة المعدودة لهذه الامة من أشرف المزایا، و المنقبة التی ضربت فی تحصیلها أکباد المطایا و الفخار الذی شغف به أعیان السادات و التجارة التی لا تبور فی أسواق الخیرات، و کان الحائز من طارف الروایة و تلادها أعظم الذخائر، المالک لأزمة التحقیق و الدرایة کابرا عن کابر، قد بلغ من اهتمامه بأمر الدین، و اتباعه سبیل الأئمة المهتدین، إنه لم یدع طریقة من فوائد الروایة إلا سلکها، و لا ثمینة من فرائد الدرایة الا ملکها:

فی المهد ینطق عن سعادة ذاتهأثر النجابة ساطع البرهان

إن الهلال إذا رأیت نموهأیقنت بدار منه فی اللمعان

الجامع بین شرف الذات و نسب الوالد الطالع من مطلع غرته نور

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۲۰

طریف المجد و التالد، ولدنا الأجل السید محمد الهجرسی الحفناوی، سلالة من حاز منقبة النسبتین الروحیة و الجسمیة، و فاز بمزیة البنوتین المعنویة و الحسیة، المرحوم مولانا السید خلیل الهجرسی الشرقاوی نور اللّه ضریحه المقدس و أسکنه الفردوس الأقدس و کان المومی الیه من کثرة کماله، شاهد شاهدا فی سنی أحواله، فظن ان عندی إسنادا مفیدا ، أو لدی من عزیز المطالب ضالة، و ما دری انی ما حل المحل من التروی بمعینه، عاطل الجید من التحلی بثمینه، لکن لما کانت رابطة المحبة تقتضی الإمارة و امتثال الأمر بمجرد الاشارة لبیت سؤاله، و امتثلت أمره و مقاله، فأقول قد أجزت ولدنا السید محمد المومی إلیه بما سمعته منه من حدیث المسلسل

بالأولية و بجميع ما تجوز عنى روايته، و تتقوى بسندى درايته، من مقروء و مسموع مجاز، و ما بالمناولة له فى قوانين الرواية مساغ و جواز إجازة تامة مطلقة عامة بالشرط المعتبر، عند أهل الأثر، ولى بحمد اللّه تعالى فى جميع العلوم أسانيد كثيرة و طرق واضحة شهيرة عن مشايخ يستومض من جواهر عباراتهم لمعات من بروق اللّه نور السموات، و يستفتح من أزهار إشاراتهم نسمات إن لربكم فى أيام دهركم نفحات، الذين منهم الإمام المحقق، و الهمام المدقق، المرحوم سيدى و أستاذى السيد الشيخ يوسف كساب الغزى مولدا المدنى إقامة و مدفنا عن مشايخه الذين منهم الشيخ محمد المرحوم الأمير الصغير، عن والده المرحوم الشيخ محمد الأمير الكبير، من ثبته بين العالمين شهير، و منهم المرحوم الشيخ محمد عليش المالكى

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۲۱

الأشعرى الشاذلى المتصل سنده أيضا الى الشيخ محمد الأمير صاحب الثبت العزيز، و من أشياخ المومى إليه الشيخ عوض الصعيدى السنباوى و الشيخ حسن حميد الصعيدى العدوى و الشيخ إبراهيم الصعيدى الملوى و الشيخ فراج البحيرى و الشيخ عبد الجواد البحيرى الشباسى و الشيخ يوسف الصاوى و الشيخ محمد حبيش البحيرى و الشيخ حسن الأبطحى البحيرى و الشيخ محمد السباعى و الشيخ أحمد السباعى و الشيخ على المغربى الحلو و الشيخ محمد الأمير و ذكر فى سنده أن هؤلاء السادات كلهم تلاميذ الشيخ الأمير الكبير و الشيخ مصطفى البولاقى ، تغمدهم اللّه برحمته و أسكنهم بحبوحة جنته، و قد كان رحمه اللّه تعالى كتب لى هذا السند بعد قراءتى عليه بعض الأحاديث حين قدومه لزيارة النبى صلى اللّه عليه و سلم و إقامته تلك المدة فى دارى .. و من مشايخى الأستاذ الطود الأشم الكامل، و الجهبذ الألمعى الواصل سيدى الشيخ السيد محمد العطوشى الطرابلسى مولدا المدنى إقامة و مدفنا تغمد اللّه الجميع بالرحمة و الرضوان، و أنا لهم بجوار حبيبه أعلا الجنان، متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا و لا زمهريرا، يقال لهم إن هذا كان لكم جزاء و كان سعيكم مشكورا. هذا و للتبرك بذكر أعلا سند لى فى صحيح البخارى أقول أرويه عن شيخى محمد العطوشى المشار إليه عن شيخه محمد بن سنه عن أبى الوفا أحمد بن محمد بن العجل عن قطب الدين محمد بن أحمد النهروانى عن والده عن الحافظ نور الدين أبى الفتوح أحمد بن عبد اللّه الطاوسى عن المعمر الملقب بأبى يوسف الهروى عن محمد بن شاذبخت الفرغانى عن المعمر أبى لقمان يحيى بن عمار

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۲۲

الختلانى عن أبى عبد اللّه محمد بن يوسف الفريرى عن سيد حفاظ الإسلام محمد بن إسماعيل البخارى فيكون بينى و بين البخارى أحد عشر رجلا لكن قد ذكر الشيخ عبد الخالق بن على الجرجانى انه صح ان الشيخ قطب الدين محمد النهروانى روى صحيح البخارى عن الحافظ نور الدين ابى الفتوح الطاوسى بلا واسطة والده و عليه فيكون بينى و بين البخارى عشرة رجال. قال أستاذى صاحب هذا السند: لا أعلم فى الدنيا سندا أعلا من هذا السند ... هذا و إنى أوصى ولدنا السيد محمد المومى إليه بما أوصى به نفسى من مراقبة مولاه فى سره و نجواه، و اللّه أسأل ان يجعلنى و إياه و جميع إخواننا من العلماء العاملين و آخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

و جاء فى آخر هذه الإجازة ذكر تاريخها و هو السابع بعد العاشر من الواحد بعد العاشر من العاشر من الرابع بعد العاشر من هجرته صلى اللّه عليه و سلم .. و فى ذلك ما يفيد ان تاريخ هذه الإجازة هو ۱۷ من ذى القعدة عام ۱۳۱۰ ه.

الإجازات العلمية فى الأزهر الحديث

كانت شهادات الأزهر فى نظامه القديم قبل النظام الحديث هى:

۱- العالمية النظامية و كان ينالها من أتم دراسة القسم العالى و هى فى قيمتها العلمية و المادية كدبلوم مدرسة المعلمين العليا و ليسانس الحقوق و الآداب.

۲- شهادة التخصص القدیم و کان یمنحها الأزهر بعد العالمیة، لمن قضی دراسة مهنیة تربویة یعلم فیها طرائق التدریس و ما یتصل بها، مع ثقافة تکمیلیة لتعویض ما کان فی المستوی العلمی من ضعف حینذاک. و قیمتها قیمة دبلوم معهد التربیة للمعلمین.

أما الشهادات التی تعطی للناجحین فی الإمتحانات النهائیة وفق النظام الحدیث فهی:

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۲۳

۱- الشهادة الابتدائیة- لمن أتموا دراسة القسم الابتدائی بأعوامه الأربع، و تخول صاحبها الاندماج فی القسم الثانوی.

۲- الشهادة الثانویة لمن أتموا دراسة السنة الخامسة من القسم الثانوی. و تخول صاحبها الاندماج فی الکلیات، و دار العلوم، و التدریس فی مدارس التعلیم الأولی.

۳- الشهادة العالیة لمن أتموا دراسة کلیة من کلیات القسم العالی، و الحائزون لها یکونون أهلا للوظائف الکتابیة بالجامع الأزهر، و المعاهد الدینیة، و المحاکم الشرعیة، و المجالس الحسبیة، و الأوقاف، و التدریس فی المساجد و لوظائف الخطابة، و الإمامة و المأذونیة.

۴- شهادة العالمیة لمن أتموا دراسة التخصص فی مهنة التدریس أو القضاء الشرعی أو الوعظ و الإرشاد .. و الحائزون لها من قسم التخصص فی مهنة التدریس یکونون أهلا للتدریس فی المعاهد الدینیة و فی مدارس الحکومة. و الحائزون لها من قسم التخصص فی القضاء یکونون أهلا للوظائف القضائیة بالمحاکم الشرعیة و الافتاء و المحاماة أمام المحاکم الشرعیة و المجالس الحسبیة. و الحائزون لها من قسم التخصص فی الوعظ و الارشاد یکونون أهلا لوظائف الوعظ و الارشاد.

۵- شهادة العالمیة مع لقب أستاذ لمن تخصص فی مادة من المواد، و الحائزون لها یکونون اهلا للتدریس فی الکلیات و فی أقسام التخصص.

الکلیات و ما تمنحه من شهادات

۱- کلیة الشریعة و تمنح الشهادات الآتیة:

أ- شهادة الدراسة العالیة و مدتها أربع سنوات. و المواد التی تدرس للحصول علیها:

التفسیر، الحدیث متنا و رجالا و مصطلحا، أصول الفقه، الفقه مع

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۲۴

حکمة التشریع و مقارنة المذاهب فی المسائل الکلیة، تاریخ التشریع الإسلامی، المنطق، الفلسفة، لغة أجنبیة (الانجلیزیة او الفرنسیة) و تدرس بصفة اختیاریة.

ب- شهادة العالمیة مع اجازة القضاء. و المواد التی تدرس للحصول علیها بعد النجاح فی الشهادة العالیة:

قوانین و لوائح المحاکم الشرعیة و الأوقاف و المجالس الحسبیة، التوثیقات الشرعیة، إجراءات و تمرینات قضائیة و دراسة القضایا ذات المبادیء السیاسیة الشرعیة، القانون الدولی الخاص، تاریخ القضاء و القضاة فی الاسلام، النظام الدستوری للدولة، محاضرات فی مبادیء الاقتصاد، محاضرات طبیة، محاضرات فلکیة، لغة اجنبیة اختیاریة، و هی التی درست فی الکلیة.

ج- شهادة العالمیة من درجة أستاذ فی الفقه و الأصول. و المواد التی یتخصص فیها للحصول علیها بعد النجاح فی الشهادة العالیة:

الأصول، الفقه مع حکمة التشریع و مقارنة المذاهب و تاریخ التشریع الاسلامی.

۲- کلیة أصول الدین، و تمنح الشهادات الآتیة:

أ- شهادة الدراسة العالیة فی أصول الدین. و العلوم التی تدرس للحصول علیها هی:

التوحید، التفسیر، الحدیث متنا و مصطلحا و رجالا، المنطق و أدب البحث، الأخلاق، الفلسفة، الأصول، التاریخ الإسلامی، علم النفس،

لغة اجنبية (الانجليزية او الفرنسية).

ب- شهادة العالمية مع الاجازة فی الدعوة و الارشاد. و المواد التی تدرس للحصول علیها بعد النجاح فی الشهادة العالية هی:

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۲۵

القرآن الكريم و علومه، الحديث الشريف و علومه، الدعوة الى سبيل اللّه و وسائلها، الخطابة و المناظرة، الملل و النحل و المذاهب الفقهية و تواريخها، البدع و العادات، اللغة الأجنبية التی درست فی الكلية، لغة شرقية.

ج- شهادة العالمية مع درجة أستاذ فی التوحيد و الفلسفة. و المواد التی تدرس للحصول علیها بعد النجاح فی الشهادة العالية هی:

التوحيد، المنطق، الفلسفة، الأخلاق.

د- شهادة العالمية مع درجة أستاذ فی علوم القرآن الكريم و الحديث الشريف. و المواد التی تدرس للحصول علیها بعد النجاح فی الشهادة العالية هی:

التفسير، علوم القرآن الكريم، الحديث و علومه.

ه- شهادة العالمية من درجة استاذ فی التاريخ الاسلامی. و المواد التی تدرس للحصول علیها بعد النجاح فی الشهادة العالية هی:

التاريخ الاسلامی و ما يلزمه من دراسات.

۳- كلية اللغة العربية، و تمنح الشهادات الآتية:

أ- شهادة الدراسة العالية فی اللغة العربية. و العلوم التی تدرس للحصول علیها هی:

النحو، الصرف، الوضع، فقه اللغة، الأصول، الانشاء، علوم البلاغة: (البيان و المعانی و البديع)، الآداب العربية و تاريخها، العروض و القافية، التفسير، الحديث، المنطق، الفلسفة، المطالعة، الأدب المقارن، علم الاجتماع، الخط، الجغرافيا، التاريخ السياسی، النقد الأدبی، لغة أجنبية: الانجليزية، و الفارسية، و العبرية، و التركية، و الأخيرة بصفة اختيارية، و تعطی علیها مكافأة شهرية قدرها جنيه لعشرة طلاب.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۲۶

ب- شهادة العالمية مع الاجازة فی التدريس. و المواد التی تدرس للحصول علیها بعد النجاح فی الشهادة العالية هی:

علم النفس العام، علم النفس التعليمی، أصول التربية و الطرق العامة و التنظيم المدرسی، تاريخ التربية العملية، طرق التدريس الخاصة، الأخلاق، تدبير الصحة المدرسی، الرسم، تجويد الخط، التربية البدنية، لغة اجنبية اختيارية و هی التی درست فی الكلية.

ج- شهادة العالمية من درجة استاذ فی النحو. و المواد التی تدرس للحصول علیها بعد النجاح فی الشهادة العالية هی:

النحو، الصرف، الوضع، فقه اللغة، العروض و القافية، و تدرس مبادیء اللغتين العبرية و السريانية.

د- شهادة العالمية من درجة أستاذ فی البلاغة و الأدب، و المواد التی تدرس للحصول علیها بعد النجاح فی الشهادة العالية هی:

علوم البلاغة و تاريخها، الأدب العربی و تاريخه، العروض و القافية، النقد الأدبی، مبادیء اللغتين العبرية و السريانية. و مدة الدراسة للحصول علی شهادة الدراسة العالية أربع سنوات، و للحصول علی شهادة العالمية مع الاجازة سنتان. و مدة الدراسة للحصول علی شهادة العالمية من درجة أستاذ لا تقل عن ست سنوات، و لا تزيد علی ثمانی سنوات.

و هذه صور من شهادات الأزهر الحديث:

۱- بسم اللّه الرحمن الرحيم- براءة بمنح شهادة العالمية، من فؤاد ملك مصر بعناية اللّه تعالی، الی حضرة الشيخ نافع محمد نافع الخفاجی الشافعی من تلبانة مركز المنصورة مديرية الدقهلية- رفع إلينا صاحب العزة وزير الأوقاف ما أقره مجلس الأزهر الأعلی فی ۱۴ ربيع الثانی ۱۳۵۱ ه ۱۶ أغسطس ۱۹۳۲، من نجاحكم فی امتحان شهادة العالمية الذی اجری بالجامع الأزهر فی سنة ۱۳۵۰ ه لذلك أمرنا بإصدار براءتنا هذه من ديواننا

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۲۷

بمنحکم شهادة العالمیة، مع حقوقها التی تخولها لکم القوانین و الأوامر المتبعة نفع اللّه الناس بعلمکم، و وفقکم لما فیه الخیر- تحریرا فی ۲۳ محرم سنة ۱۳۵۲ ه من هجرة خاتم المرسلین.

۲- بسم اللّه الرحمن الرحیم- المملکة المصریة- الجامع الأزهر و المعاهد الدینیة العلمیة الاسلامیة- الشهادة العالیة بکلیة اللغة العربیة- استحق هذه الشهادة الأستاذ محمد عبد المنعم عبد المنعم خفاجی بن عبد المنعم عبد المنعم خفاجی بن عبد المنعم خفاجی المولود سنة ۱۹۱۵ فی تلبانة مرکز المنصورة مدیریة الدقهلیة، بعد أن نجح فی امتحانها المنعقد سنة ۱۳۵۹ ه- ۱۹۴۰ م- و اللّه أسأل أن یوفقه لخدمة العلم و الدین- شیخ الجامع الأزهر- محمد مصطفی المراغی- القاهرة فی صف ۱۳۶۰ ه- ۱۹۴۱ م.

۳- بسم اللّه الرحمن الرحیم- براءة بمنح شهادة العالمیة من درجة أستاذ فی البلاغة و الأدب- من ملک مصر بعنایة اللّه تعالی، إلی حضرة الأستاذ محمد عبد المنعم عبد المنعم خفاجی الحنفی، من تلبانة بمرکز المنصورة بمدیریة الدقهلیة، رفع الینا حضرة صاحب الفضیلة الأستاذ الأکبر شیخ الجامع الأزهر ما أقره المجلس الأعلی للأزهر فی ۲۴ ربیع الأول ۱۳۶۶ ه- ۱۵ فبراير ۱۹۴۷، من نجاحکم فی امتحان شهادة العالمیة من درجة أستاذ فی البلاغة و الأدب الذی اجری فی سنة ۱۳۶۵ ه لذلک أمرنا بإصدار براءتنا هذه من دیواننا بمنحکم هذه الشهادة مع حقوقها التی تخولکم إیاها القوانین و الأوامر المتبعة، نفع اللّه الناس بعلمکم و وفقکم لما فیه الخیر.

إصلاحات جدیدة فی الأزهر

۱- مما جد علی الأزهر من إصلاحات: إنشاء قسم للوعظ، یتبعه الوعاظ من العلماء فی جمیع القطر المصری، و یصدر قسم الوعظ مجلة اسمها «نور الإسلام»، و عند ما بدأ قسم الوعظ سنة ۱۹۲۸ کان عدد الوعاظ فیه نحو أربعة، و هم الآن نحو ۲۵۰ واعظا من العلماء.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۲۸

۲- و کذلک إنشاء مراقبة البحوث و الثقافة الاسلامیة فی یولیو ۱۹۴۵، و إنشاء وحدة طبیة کاملة للأزهر عام ۱۹۴۷.

۳- و کذلک إنشاء کثیر من المعاهد الدینیة الابتدائیة و الثانویة فی عواصم المدیریات و بعض المدن الکبری، و یبلغ عددها الآن نحو ۲۵ معهدا، و من أقدمها: معهد الاسکندریة و معهد طنطا، و أسیوط، و الزقازیق و دمیاط و دسوق، ثم أنشیء معهد شبین الکوم و المنصورة و قنا و سوهاج و المنیا و منوف، و فی عهد الثورة انشیء معهد فی دمنهور و آخر فی بنها ..

الی غیر ذلک من المعاهد الدینیة العدیدة التی هی فروع صغیرة للجامعة الأزهریة الکبری.

۴- و کذلک إنشاء مجلة الأزهر، فقد رأت مشیخة الأزهر بعد أن استقر فیه النظام الجدید الذی وضع له، ان تجعل لهذه الجامعة الدینیة العالمیة مجلة تحمل رسالتها الی جمیع البلاد الاسلامیة، لتکون صلة علمیة بینها و بین جمیع الشعوب التی تدین بالدین الحنیف فی مشارق الأرض و مغاربها، و لتحمل الی القائمین بتعلیم الدین فیها ما تثمره قرائح حفظته مما یزید فی مادته ثروة جدیدة، أو ما یتأدون إلیه نظام مفید. فظهرت هذه المجلة باسم «نور الإسلام» فی أول محرم من سنة ۱۳۴۹ ه- ۱۹۳۰. و کان ذلک فی عهد المرحوم الشیخ محمد الأحمدی الظواهری، و یؤثر عنه انه بذل فی إقامة صرح هذه المجلة مجهودا محمودا. و لما تولی المشیخة المرحوم الشیخ محمد مصطفی المراغی نظر إلی هذه المجلة نظرة تشجیع و رأی ان یغیر اسمها إلی «مجلة الأزهر» بدل مجلة نور الإسلام. و قد سر الناس بظهور المجلة، و اتسع انتشارها حتی بلغ ما یطبع منها حدا لم تبلغه مجلة إسلامیة قبلها فی البلاد العربیة .. کان مما یکتبه فیها أعلام الأزهر بحوث فی التفسیر و الحدیث، و بحوث تحض علی إحیاء السنة و إماتة البدعة، و الدعوة إلی الفضائل. ثم اتسع میدان الکتاب فیها، فأخذت تفند ما تسرب إلی بعض المقلدین من الشبهات و الشکوک، محمولة بین ثنایا المعارف المدرسیة الحدیثة و ما تنشره المجلات العلمیة من المباحث فی الطبیعیات،

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۲۹

و ما تلم به أحیانا من المعضلات فی مختلف الفلسفات. فکانت مجلة الأزهر فی تلک المواقف حائلا قویا بین تلک الموجات العنیفة و الدین، علی أسلوب علمی بحت، و بأسلحة من الطراز الذی یهاجم به الدین فی أخص ما یدعو الیه.

و طار صیت مجلة الأزهر فی الآفاق الاسلامیة، بما کان یقتطفه منها کتاب تلک الأقطار، و ما یترجمه عنها المشتغلون منهم بالصحافة، فکان أثرها بعیدا فی حمایة العقائد، و تقویم المذاهب، و طمس معالم البدع، و تجلیة الدین الحق فی صورته الصحیحة.

و لما تولی مشیخة الأزهر المرحوم الشیخ مصطفی عبد الرازق رغب فی ان تکون مجلة الأزهر مستکملة لنظم المجلات الجامعیة، فوضع لها قانونا، و حدد المواضیع التی تطرقها، و وضع لها نظاما، و شجع علی السیر بها قدما بکل ما استطاع من وسیلة.

و کان من أجل ما قامت به هذه المجلة من خدمات، تلک الصلة الکریمة التی أوجدتها بین المسلمین فی البلاد کافة و بین الأزهر، فإن لهذه الصلة أثرا أدبیا یظهر فعله فی الأخلاق و الآداب، إن لم یکن عاجلا، فعلی مدی الأیام و السنین، و کان لا بد من إیجاد هذه الصلة فی هذا العهد.

و قد تولی إدارة المجلة علماء ممتازون، منهم الأستاذ الکاتب العالم محمد فرید وجدی المتوفی فی ۶ فبرایر ۱۹۵۴ .. و فی عهد مشیخة الشیخ عبد المجید سلیم الثانیة عهد بإدارة المجلة إلی الأستاذ احمد حسن الزیات.

ثم تولی إدارتها بعده الأستاذ الکبیر الشیخ محمد عرفة عضو جماعة کبار العلماء، ثم الشیخ محمد عبد اللطیف السبکی عضو الجماعة کذلک.

و منذ المحرم ۱۳۷۴ ه بدأت المجلة تصدر مرتین فی الشهر بدلا من مرة واحدة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۳۰

المکفوفون فی الأزهر:

امتاز الأزهر عن جمیع المعاهد العلمیة و الجامعات الکبری بمزید الاهتمام و عظیم الرعایة و العنایة بالطلبة المکفوفین، فهو یحتضنهم و یمددهم بالاعانات الرتیبة فی کل شهر، و یکفل لهم الاستقرار فی حیاتهم المدرسیة، و هم فی منهاج تعلیمهم کالمبصرین سواء بسواء، ما عدا المواد التی لا بد فیها من الإبصار، کالعلوم الریاضیة و التجارب العلمیة فی الطبیعة و الکیمیاء، و تصدر لهم براءات ملکیة من ولی الأمر عند انتهاء دراساتهم کالمبصرین، و یضمن لهم مستقبلهم، إذ یمتهنون بعض المهن العلمیة فی الدولة:

کالتدریس و الامامة و الخطابة و الوعظ و الارشاد.

و لقد تخرج فی الأزهر کثیر منهم، کان لهم القدح المعلی فی الثقافة العامة و التربیة و التعلیم، و اشتهر منهم کثیر فی الأزهر، و المیادین العلمیة قدیما، کالشیخ القویسنی و قد وصل بشهرته و مکانته إلی مشیخة الاسلام فی الأزهر سنة ۱۲۵۰ ه، و حدیثا: کالشیخ حسین زین المرصفی، و الشیخ علی الصالحی، و الشیخ محمد ماضی الرخاوی، و الشیخ إبراهیم الحدیدی، و الشیخ یوسف الدجوی، و الشیخ سالم البولاقی، و الشیخ عبد المطلوب برعی، و الشاعر الفحل الشیخ احمد الزین، و کان له فی دار الکتب الملکیة آثار محمودة فی البحوث الأدبیة و العلمیة.

و من بین هؤلاء من لم یتم دراسته فی الأزهر و لکنه نجح فی الحیاة، و طار صیته فی الآفاق کل مطار، کالدکتور طه حسین .. و قد سافر فی بعثة دراسیة الی فرنسا الأستاذ فتحی عبد المنعم و هو من مدرسی الأزهر المکفوفین.

لجنة الفتوی بالأزهر

کانت ترد إلی مشیخة الأزهر من الأقطار الشقیقة و غیرها استفتاءات کثیرة فی مسائل دینیة متنوعة، یطلب أصحابها الافتاء فیها علی

مذهب معین، او من غیر تقید بمذهب من المذاهب .. و لما کانت تلک

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۳۱

الاستفتاءات و ما یصدر فیها من فتاوی علی جانب عظیم من الأهمیة، لما لها من وثیق الصلة بأحوال الناس الشخصیة و الاجتماعیة و غیرها، ثم هی وسیلة من وسائل نشر أحکام الشریعة الاسلامیة الغراء علی وجه صحیح بین جمهور المسلمین. و نظرا إلی ما یتطلبه هذا العمل العلمی الدینی الجلیل من جهد و ما یستنفده من وقت فی البحث و الدرس، فقد رأی المغفور له الشیخ محمد مصطفی المراغی شیخ الأزهر الأسبق ان تضطلع بهذا العمل لجنة خاصة من جهابذة العلماء، فأصدرا قرارا بتکوینها فی ۱۲ من جمادی الأولی سنة ۱۳۵۴ ه ۱۱ من اغسطس سنة ۱۹۳۵- من رئیس و أحد عشر عضوا، منهم ثلاثة من علماء الحنفیة، و ثلاثة من المالکیة، و ثلاثة من الشافعیة، و اثنان من الحنابلة. و منذ تألفت اللجنة و هی دائبة علی أداء واجبها بعقد اجتماعات تتوافر فیها علی بحث ما یرد إلیها من استفتاءات بحثا وافیا مستفیضا، ثم تجیب علیها مبینة حکم الشرع فیها، إما وفق أحکام مذهب معین إن طلب السائل ذلک، و إما بغیر تقید بمذهب فتکون الاجابة علی وفق ما تقتضی به القواعد العامة المأخوذة من کتاب اللّه و سنة رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و إجماع المسلمین او القیاس الصحیح الموافق لقواعد الدین العامة و الملائم لصالح المسلمین.

و لیس ادل علی عظیم اثرها و جلیل نفعها من أنها تصدر نحو ۳۵۰ فتوی سنویا و قد تعاقب علی ریاستها من أول تکوینها الی الآن، حضرات أصحاب الفضیلة: المغفور له الشیخ حسین والی و المغفور له الشیخ محمد عبد اللطیف الفحام و المغفور له الشیخ محمد مصطفی المراغی و المغفور له الشیخ محمد مأمون الشناوی و الشیخ عبد الرحمن حسن و الشیخ عبد المجید سلیم و الشیخ إبراهیم حمروش و الشیخ محمد العنانی.

مجلس الأزهر الأعلی:

و للأزهر مجلس أعلی أنشیء بمقتضی القانون رقم ۱۹۱۱، و یؤلف من شیخ الأزهر، و وکیله، و مفتی الدیار المصریة، و مشایخ الکلیات، و وکلاء

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۳۲

وزارات المالیة و العدل و المعارف و الأوقاف، و اثنین من هیئة کبار العلماء، و اثنین من کبار رجال التعلیم و یعینان لمدة سنتین.

العلماء و الطلاب:

لا یوجد فی السجلات ذکر لعدد علماء الأزهر إلا من سنة (۱۲۸۷ ه- ۱۸۷۵ م) بید انه یوجد إحصاء عام قبل ذلک بلغ ۲۵۲ عالما، و ذلک قبل صدور قانون نظام الامتحانات فی عهد الشیخ المهدی العباسی ای فی سنة ۱۲۸۷ ه، و نفذ فی سنة ۱۲۸۸. و کان عدد الشیوخ المدرسین بالأزهر فی هذا العام ۳۶۱ شیخا.

و نذکر هنا أن العلماء الذین یزاولون التدریس فی الأزهر- کلیاته و معاهده- یبلغ عددهم الآن نحو ۱۲۳۵ مدرسا، و کذلک الوعاظ یبلغ عددهم الآن نحو عشرین و مائتی واعظ. و ذلک خلاف باقی الموظفین فی غیر التدریس و الوعظ بالأزهر و معاهده.

إحصاء عام للطلبة بالأزهر:

فی سنة ۳۷۸ ه بلغ عددهم ۳۵ طالبا و فی سنة ۸۱۸ بلغ عددهم ۷۵۰ طالبا و فی سنة ۱۲۶۳ بلغ عددهم ۷۴۰۳ طلاب و فی سنة ۱۲۷۲ بلغ عددهم ۵۹۴۰ طالبا و فی سنة ۱۲۸۲ بلغ عددهم ۲۸۱۷ طالبا و فی سنة ۱۲۹۲ بلغ عددهم ۱۱۰۹۵ طالبا و کان عدد العلماء فی هذا العام ۳۲۵ عالما .. و فی سنة ۱۲۹۳ بلغ عددهم ۱۰۷۸۰ طالبا و فی سنة ۱۳۱۹ بلغ عددهم ۸۲۵۹ طالبا و فی سنة ۱۹۰۲ م بلغ عدد الطلبة

۱۰۴۰۳ طلاب و فی سنة ۱۹۰۶ بلغ عددهم ۹۰۶۹ طالبا و فی سنة ۱۹۱۶ بلغ عددهم ۱۵۳۳۵ طالبا و فی سنة ۱۹۲۰ بلغ عددهم ۱۳۲۸۰ طالبا و فی سنة ۱۹۲۶

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۳۳

بلغ عـددهم ۱۱۷۹۷ طالبـا و فی سـنة ۱۹۲۹ بلغ عـددهم ۱۰۶۸۰ طالبـا و فی سـنة ۱۹۳۳ بلغ عـددهم ۸۹۴۵ طالبـا و فی سـنة ۱۹۳۸ بلغ عددهم ۱۳۱۶۳ طالبا و فی سنة ۱۹۴۱ بلغ عددهم ۱۴۱۱۶ طالبا و فی سنة ۱۹۴۷ بلغ عددهم ۱۷۵۱۴ طالبا.

میزانیة الأزهر:

و کـانت میزانیـة الأزهر عام ۱۸۹۲ م مبلـغ ۴۳۷۸ جنیهـا حیث کـانت مرتبـات العلمـاء ضـئیلة فی ذلک العهـد. فکان مرتب العالم ذی الدرجـة الأولی مائـة و خمسـین قرشا، و ذی الدرجـة الثانیـة مائـة قرش، و ذی الدرجـة الثالثة خمسة و سـبعین قرشا. و کانت المرتبات محـدودة العـدد. فکان المـدرس الجدیـد لا یمنح مرتبا الا إذا توفی احد المسـتحقین من قبل، و یکتفی بالجرایة. و فی ذلک العهد لم یکن فیه إحالة علی المعاش. فالعالم یتقاضـی مرتبه إلی الوفاة. و بقی الحال کذلک إلی سنة ۱۹۰۹ م. ففی ذلک التاریخ طلب العلماء من أولیاء الأمور النظر فی حالـة الأزهر بما یلائم حال العصـر من وضع الـدرجات و رفع المرتبات، حتی تتسع لکل العلماء المدرسـین، مع طلب إصـلاحات اخری، و لمـا رأی أولیـاء الأمر أن حالـة الأـزهریین اشـتدت، و انقلبت الحالـة الی ثـورة جامحـة اسـتغلتها بعض الأحزاب السیاسـیة، قرروا إجابة طلبهم أولا فی وضع الدرجات، و ان المدرس یتقاضـی ثلاثة جنیهات شهریا.- و قد کان مرتب الشیخ محمود أبی العیون المـدرس فی الأـزهر بعـد تخرجه عام ۱۹۰۸ خمسـة عشـر رغیفا، و ظل یتناول هـذا الأجر إلی یونیه سـنة ۱۹۰۹ م، فرتب له ثلاثة جنیهات کزملائه.

و من ذلک الوقت بدأ الأزهر یسیر فی طریق النظم المالیة فی الدولة.

و فی سنة ۱۹۱۲ بلغت میزانیـة الأزهر ۵۹۹۲۴ جنیها- و فی سـنة ۱۹۲۰ بلغت ۲۰۶۸۸۱ جنیها. و بلغت میزانیـة الجامع الأزهر و المعاهد الدینیة العلمیة فی سنة ۱۹۲۸ المالیة ۰۰۰، ۳۰۵ جنیه منها ۸۳۷ و ۱۹۴ مخصصة للجامع الأزهر، و یبلغ عدد الأساتذة المدرسین بالجامع الأزهر فی العام

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۳۴

نفسه ۲۵۳ أستاذا، و عدد الطلبة بالقسم الأولی ۱۳۶۶ طالبا، و بالقسم الثانوی ۵۸۸ طالبا، و بالقسم العالی ۱۲۳۸ طالبا، و بالقسم المؤقت ۵۷۳ طالبا، و فی فرقة التخصص ۱۶۰ طالبا، و بلغ عدد المدرسین فی معهد الاسکندریة ۹۲ مدرسا و عدد الطلبة ۷۱۶ طالبا، و فی معهد طنطا ۱۰۷ مدرسین و ۲۰۹۲ طالبا و فی معهد أسـیوط ۵۵ مدرسا و ۶۷۴ طالبا، و فی معهد دسوق ۲۶ مدرسا و ۳۶۰ طالبا، و فی معهد دمیاط ۲۵ مدرسا و ۳۰۶ طلاب، و فی معهد الزقازیق ۱۱۱ مدرسا و ۱۱۱۴ طالبا.

و فی سنة ۱۹۲۹ بلغت میزانیة الأزهر ۱۲۱۰۳۳ جنیها، و فی سنة ۱۹۴۲ بلغت ۴۰۰۲۰۰ جنیه، و فی سنة ۱۹۴۸ صارت ۹۰۰۷۵۲. و تبلغ الیوم نحو الملیون و الثلث من الجنیهات.

الأزهر فی صحائف الذکری

-۱-

فی عام ۱۸۹۹ أرادت حکومة مصـطفی فهمی باشا اسـتجابة لأمر الإنجلیز أن تضعف القضاء الشرعی. فوضعت مشروعا لتعدیل اللائحة الشرعیة و ضم اثنین من أعضاء الاستئناف الأهلی الی المحکمة الشرعیة العلیا، و لم تبال الحکومة المصریة باحتجاج الحکومة العثمانیة

علی المشروع فعرضته علی مجلس الشوری، و کان من أعضائه الشیخ حسونة النواوی الذی جمعت له مشیخة الأزهر و فتوی الدیار المصریة، فثار علی المشروع و انسحب من المجلس و تبعه القاضی الترکی، فخذل المجلس الحکومة و فشل المشروع.

-۲-

شیئان لهما فی نفوس السائحین المکان الأرفع. و هما أول ما یفکرون فی زیارتهما .. الأهرام و الأزهر.

و للسائحین- و الأمر یکیون بالأخص- فکرة عجیبة عن الأزهر الشریف یکتنفها الخیال بأوسع معانیه، فهم یتصورون فیه بقیة من بقایا العصر

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۳۵

الاسلامی الزاهر، و یذکرون به قصص ألف لیلة و لیلة و قصور بغداد و القاهرة و قرطبة.

و یروی أن اللورد کرومر المعتمد البریطانی أراد أن یتعارف بشیخ الجامع الأزهر فقیل له إنه معتکف فی حجرته بالجامع لا یخرج منها و لا یغادر باب الأزهر لزیارة احد مهما کان مرکزه عظیما، و ذهب اللورد لزیارة الأسد فی عرینه .. أو الناسک فی صومعته، و کان اللورد حینذاک فی إبان بطشه و قوته یهابه الکل و یسارعون لتلبیة أمره و قد ظن انه سیجد من شیخ الاسلام تابعا و نصیرا.

و دخل الأزهر و سار بین أعمدته و علی بلاطه فامتلأ رهبة و روعة و راعه الصمت السائد، و الطلبة الذین یتحرکون فی صمت و خشوع کأنهم الأشباح الساریة، و استقبله وفد من المشایخ فی عمائم کبیرة و أکمام واسعة طویلة بطیء الحرکة یسیرون فی تؤدة و وقار و لا یحنون رءوسهم الا ساعة الرکوع و السجود.

و سار بینهم یخترق الحجرات و الابهاء و هو یتجرد فی کل خطوة من ثیاب جبروته و کبریائه، حتی إذا وصل الی باب صغیر أدی به الیه السیر کان العمید البریطانی العظیم قد أصبح فردا یشعر بالضعف و الخشوع.

و فتح الباب و تنحی الموجودن و دخل اللورد و معه أحد یاوران السرای، فرأی نفسه فی حجرة مجردة من الأثاث و الفراش عاریة الأرض مکشوفة البلاط، ساکنة یکتنفها شیء من الظلام إلا من شعاع ینفذ من نافذة نصف مغلقة، و فی واجهة تلک الحجرة دکة عالیة علیها قطعة من بساط و قد تربع فوقها شیخ الاسلام و المسلمین فی ثیاب بسیطة و فی یده سبحة یعد خرزاتها و یتمتم بالتسبیح علیها، و هو مطرق برأسه مستغرق فی نجواه.

و أدار اللورد نظره حوله فلم یجد مقعدا، و تقدم خطوتین فلم یرفع الشیخ رأسه و لم یبادره بالتحیة و لبث یتمتم نجواه و هو فی سکون و جمود.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۳۶

و وقف اللورد فی وسط الحجرة أمام الشیخ فترة طویلة خانته فیها اعصابه و ارتبکت حواسه و شعر بأنه یتضاءل و یتضاءل امام ذلک الشیخ النحیف الجسد السابح فی ذکره حتی لم یعد یشعر بنفسه.

و بعد ان مرت فترة طویلة رفع الشیخ رأسه دون ان یتحرک من مکانه و نظر الی اللورد نظرة هادئة عمیقة و قال بصوت لطیف: «أهلا و سهلا»!.

ثم مد إلیه یده کما یمدها الملک إلی أحد رعایاه، و تقدم اللورد فتناول هذه الید و لثمها بشفتیه.

و استرد الشیخ یده ثم قال له: «فی أمان اللّه ... فی امان اللّه ..»

و خرج اللورد یتعثر، و قد أدرک ان فی مصر من هو أعظم منه شأنا و أقوی شخصیة.

و لکن المسجد الأزهر الآن تبدل کثیرا عما کان علیه منذ نیف و أربعین سنة فدخلته جحافل المدنیة، و لم یعد ذلک المعهد الرهیب الذی یتصوره الأجانب مکتنفا بالأسرار تصدر منه الأوامر الخفیة إلی المسلمین قاطبة فیخضعون لاشارته کما کان الفاتیکان فی عهد

ازدهار البابویـة .. بل أصـبح السائحون یزورونه الآن و عم یعرفون انهم قادمون علی جامعـة دینیـة کبری أخـذت من العلوم الحدیثـة و المدنیة العصریة بکثیر من أسبابها.

-۳-

فی دیسمبر ۱۹۴۶ أرادت حکومة النقراشـی باشا ان تنفذ رغبة ملکیة بتعیین الاسـتاذ الأکبر الشیخ مصطفی عبد الرازق شیخا للأزهر، و کان الأسـتاذ الأکبر حینئـذ بعیدا عن الأزهر، حیث کان وزیرا للأوقاف، و کان من قبل ذلک أسـتاذ الفلسـفة فی کلیة الآداب .. و کان وکیـل الأـزهر فی ذلک الحین هو الشـیخ محمـد مأمون الشـناوی، فاستشـیر فی الأمر، فأشار بأن هـذا التعیین یخالف نص قانون الأزهر الذی یشترط فی شیخ الأزهر ان یکون من بین جماعة کبار العلماء، فقیل له: إن للأستاذ الأکبر کتبا عدیدة و سیقدم کتابا

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۳۷

منهـا لعضویـة الجماعـة، فـأخبرهم الشـیخ مأمون الشـناوی بأن قانون الجماعـة یمنع منحها للأسـتاذ الأکبر لأنه لیس من أساتـذة کلیات الأزهر الشـریف الذین یباح لهم التقدیم لعضویة الجماعة بشروط خاصة، فأشیر علی الشیخ الشناوی بأن یجمع الجماعة لتعدیل قانونها، فرد علیهم بأن رئیس الجماعة هو الأسـتاذ الأکبر الشـیخ عبد المجید سـلیم، فدعی الشـیخان لمقابلة النقراشـی، و یبدو ان الشناوی قابل النقراشـی أولاـ حیث ذکر له ان هـذا التعیین یجب ان یتم، لأـنه قـد طلبه أغـا خـان من السـرای، و کان المفهوم فی أوساط الشـعب ان الخاصة الملکیة استولت من وزارة الاوقاف علی أطیان ضخمة من بینها تفتیش الوادی و تفتیش شاوة لادارتها بدلا من وزارة الأوقاف، و ان الملـک یرغب فی مکافأة وزیر الأوقاف بتعیینه شـیخا للأزهر، علی الرغم من اعتـذار الأسـتاذ الأکبر الشـیخ مصـطفی عبـد الرازق طیب اللّه ثراه عن قبول هذا المنصب.

و خرج الشـیخان من مکتب النقراشـی، حیث جمعا الجماعة، فرفضت ان توافق علی تعدیل قانونها، و کان فی مقدمة الرافضـین الأستاذ الاکبر الشـیخ ابراهیم حمروش و کان شـیخا لکلیـة الشـریعة آنذاک .. و إثر ذلک طلب من المشایخ الثلاثة الاسـتقالة فاسـتقال الشـیخ الشـناوی وکیل الأزهر و الشیخ ابراهیم حمروش شیخ کلیة الشریعة و الشیخ عبد المجید سلیم المفتی من وظائفهم، و عین مدیر الأزهر الشـیخ عبد الرحمن حسن وکیلا للأزهر، و نفذ الرغبة الملکیة بتعدیل القانون الذی أثار تعدیله ثورة فی الشعب و فی أوساط العلماء و الطلاـب، و نشـر کبار الشـیوخ المسـتقیلون بیانا علی الأمـة المصـریة الکریمـة و العالم الاسـلامی عن انتهاک الحکومـة القائمـة لقانون الأزهر، و ذکروا فیه تهدیـد رئیس دیوان الملک للمفتی الأکبر الشـیخ عبـد المجید سـلیم إذ دعاه إلی مکتبه و قال له: «إن فی وقفتک هـذه ضـد رغبـة الملک خطرا علیک»، فأجاب علی الفور: أیحال بینی و بین الـذهاب إلی بیت اللّه؟ فقال رئیس الـدیوان: لا. فرد علیه الشیخ علی الفور: إذن لا خطر.

و کان الأستاذ الأکبر الشیخ مصطفی عبد الرازق طیب اللّه ثراه من أشد

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۳۸

الشخصـیات مکانـة و حبا فی قلوب الأزهریین، و طالما اعتـذر عن قبول منصب المشـیخة فی هـذه الأزمة، إلا ان الملک کان یحب ان یتصرف فی الأزهر وفق هواه، و کانت وقفة الشیوخ المشرفة ضد الملک ذات مغزی بعید فی الشعب و العالم الاسلامی.

- ۴- نداء من علماء الأزهر إلی أبناء العروبة و الاسلام صدر فی المحرم ۱۳۶۷ ه دیسمبر ۱۹۴۷ م

بسم اللّه الرحمن الرحیم: یـا معشـر العرب و المسـلمین! قضـی الأـمر! و تـألبت عوامـل البغی و الطغیـان علی فلسـطین، و فیهـا المسـجد الأقصـی أول القبلتین. و ثالث الحرمین، و منتهی إسـراء خاتم النبیین، صـلوات اللّه و سـلامه علیه، قضی الأمر، و تبین لکم ان الباطل ما

زال فی غلوائه سادرا، و أن الهوی ما فتیء علی العقول مسیطرا، و أن المیثاق الذی زعموه سبیلا للعدل و الانصاف ما هو إلا تنظیم للظلم و الاجحاف، قضی الأمر! و لم یبق بعد الیوم صبر علی تلکم الهضیمة التی یریدون ان یرهقونا بها فی بلادنا، و أن یجثموا بها علی صدورنا، و أن یمزقوا بها أوصال شعوب وحد اللّه بینها فی الدین و اللغة و الشعور، إن قرار هیئة الأمم المتحدة، قرار هیئة لا تملکه، و هو یعد قرارا باطلا جائرا لیس له نصیب من الحق و العدالة، ففلسطین ملک العرب و المسلمین بذلوا فیها النفوس الغالیة، و الدماء الزکیة، و ستبقی إن شاء اللّه- رغم تحالف المبطلین- ملک العرب و المسلمین. و لیس لأحد کائنا من کان ان ینازعهم فیها أو یشطرها او یمزقها. و إذا کان البغاة العتاة قد قصدوا بالسوء من قبل هذه الأماکن المقدسة. فوجدوا من أبناء العروبة و الاسلام قساورة ضراغم ذادوا عن الحمی، و ردوا البغی علی أعقابه مقلم الأظفار محطم الأسنة. فإن فی السویداء الیوم رجالا، و فی الشری آسادا، و إن التاریخ لعائد بهم سیرته الأولی.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۳۹

یا أبناء العروبة و الاسلام! لقد اعذرتم من قبل، و ناضلتم عن حقکم بالحجة و البرهان ما شاء اللّه أن تناضلوا، حتی تبین للناس وجه الحق سافرا.

و لکن دسائس الصهیونیة و فتنتها و أموالها قد استطاعت ان تجلب علی هذا الحق المقدس بخیلها و رجلها، فعمیت عنه العیون، و صمت الآذان، و التوت الأعناق، فاذا بکم تقفون فی هیئة الأمم وحدکم، و مدعو نصرة العدالة یتسللون عنکم لواذا، بین مستهین بکم و ممالیء لأعدائکم، و متستر بالصمت متصنع للحیاد. فاذا کنتم قد استنفدتم بذلک جهاد الحجة و البیان، فإن وراء هذا الجهاد لإنقاذ الحق و حمایته جهادا سبیله مشروعة و کلمته مسموعة، تدفعون به عن کیانکم، و مستقبل أبنائکم و أحفادکم، فذودوا عن الحمی، و ادفعوا الذئاب عن العرین، و جاهدوا فی اللّه حق جهاده! «فَلْیُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ الَّذِینَ یَشْرُونَ الْحَیاةَ الدُّنْیا بِالْآخِرَةِ وَ مَنْ یُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَیُقْتَلْ أَوْ یَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً». «الَّذِینَ آمَنُوا یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ الَّذِینَ کَفَرُوا یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ الطَّاغُوتِ فَقاتِلُوا أَوْلِیاءَ الشَّیْطانِ إِنَّ کَیْدَ الشَّیْطانِ کانَ ضَعِیفاً».

یا أبناء العرب و الاسلام! خذوا حذرکم، فانفروا ثبات أو انفروا جمیعا، و إیاکم أن یکتب التاریخ ان العرب الاباة الاماجد قد خروا أمام الظلم ساجدین، أو قبلوا الذل صاغرین.

إن الخطب جلل، و إن هذا لیوم الفصل، و ما هو بالهزل. فلیبذل کل، عربی و کل مسلم فی أقصی الأرض و أدناها من ذات نفسه و ماله، ما یرد عن الحمی کید الکائدین، و عدوان المعتدین، سدوا علیهم السبل، و اقعدوا لهم کل مرصد، و قاطعوهم فی تجاراتهم و معاملاتهم، و أعدوا فیما بینکم کتائب للجهاد، و قوموا بفرض اللّه علیکم، و اعلموا أن الجهاد الآن قد أصبح فرض عین علی کل قادر بنفسه أو ماله، و أن من یتخلف عن هذا الواجب فقد باء بغضب من اللّه و إثم عظیم. «إن اللّه اشتری المؤمنین انفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة یقاتلون فی سبیل اللّه فیقتلون و یقتلون

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۴۰

وعدا علیه حقا فی التوراة و الانجیل و القرآن، و من أوفی بعهده من اللّه؟

فاستبشروا ببیعکم الذی بایعتم به، و ذلک هو الفوز العظیم».

فاذا کنتم بایمانکم قد بعتم اللّه أنفسکم و أموالکم فها هو ذا وقت البذل و للتسلیم، فأوفوا بعهد اللّه یوف بعهدکم. و لیشهد العالم غضبتکم للکرامة، و ذودکم عن الحق. و لتکن غضبتکم علی أعداء الحق و أعدائکم، لا علی المحتمین بکم، ممن لهم حق المواطن علیکم و الاحتماء بکم، و احذروا ان تعتدوا علی أحد منهم، إن اللّه لا یحب المعتدین .. و لتتجاوب بعد الاصداء فی کل مشرق و مغرب بالکلمة المحببة إلی المؤمنین: الجهاد! الجهاد! الجهاد! و اللّه معکم لن یترکم أعمالکم.

-۵-

أقیم حفل لتأبین المرحوم «عاطف برکات» بمدرسة المعلمین العلیا فی الخمیس الثالث عشر من صفر ۱۳۴۳ ه، الموافق الحادی عشر من شهر سبتمبر سنة ۱۹۲۴، و أرسل شوقی قصیدة لتلقی فی الحفل، و کان مما قاله فیها:

و حارب دونها صرعی قدیم کأن بهم علی الزمان انقطاعا

إذا لمح الجدید لهم تولواکذی رمد علی الضوء امتناعا

و کان فی الحفل جمهرة من شیوخ الأزهر. منهم شیخ الجامع الأزهر و مفتی الدیار المصریة إذ ذاک، فعدوا ذلک جرحا لکرامتهم، و کتب المرحوم الشیخ محمود الغمراوی مقالا بعنوان «امیر الشعراء و رجال الأزهر للحقیقة و التاریخ» نشرته جریدة الأخبار بتاریخ ۱۷ من صفر سنة ۱۳۴۳ ه الموافق ۶ من سبتمبر سنة ۱۹۲۴ م.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۴۱

و قال شوقی یرد علی ما کتب حول الموضوع: و ما أنا من ینسی أن معظم أساتذة مدرسة القضاء نفسها فی العلوم الشرعیة بوجه خاص کانوا من شیوخ الأزهر و رجاله، و لیس من المعقول أن یکون هؤلاء الأفاضل حربا علیها و هم فی النهوض بها شرکاء. إن للأزهر عندی حرمة لا أحب ان یتشککک فیها الأستاذ، و أعتقد أن الأزهر قد سد فراغا کبیرا کان التعلیم فی مصر و البلاد الشرقیة جمیعا لا یرجی له بدون الأزهر من سداد. و سأظل فخورا بأن من أساتذتی شیوخا من صمیم الأزهر الشریف و کبار علمائه.

و قد أراد شوقی ان یؤکد حبه للأزهر، و ینفی عنه مظنة النیل من أبنائه فالتمس فکرة إصلاح الأزهر، و نظم قصیدته:

قم فی فم الدنیا و حی الأزهراو انثر علی سمع الزمان الجوهرا

و اجعل مکان الدر إن فصلتهفی مدحه خرز السماء النیرا

و اذکره بعد المسجدین معظمالمساجد اللّه الثلاثة مکبرا

و اخشع ملیا و اقض حق أئمةطلعوا به زهرا و ماجوا أبحرا

کانوا اجل من الملوک جلالةو أعز سلطانا و أفخم مظهرا

زمن المخاوف کان فیه جنابهمحرم الآمان و کان حصنهم الذرا

من کل بحر فی الشریعة زاخراو یریکه الخلق العظیم غضنفرا

و منها:

لا تحذ حذو عصابة مفتونةیجدون کل قدیم شیء منکرا

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۴۲ و لو استطاعوا فی المجامع أنکروامن مات من آبائهم أو عمرا

من کل ماض فی القدیم و هدمهو إذا تقدم للبنایة قصرا

و أتی الحضارة بالصناعة رثةو العلم نزرا و البیان مثرثرا

یا معهدا أفنی القرون جدارهو طوی اللیالی رکنه و الأعصرا

و مشی علی یبس المشارق نورهو أضاء أبیض لجها و الأحمرا

و أتی الزمان علیه یحمی سنةو یذود عن نسک و یمنع مشعرا

فی الفاطمیین انتمی ینبوعهعذب الأصول کجدهم متفجرا

عین من الفرقان فاض نمیرهاو حیا من الفصحی جری و تحدرا

ما ضرنی ان لیس أفقک مطلعیو علی کواکبه تعلمت السری

لا و الذی وکل البیان إلیک لمأک دون غایات البیان مقصرا

لما جری الإصلاح قمت مهنئاباسم الحنیفة بالمزید مبشرا

نبأ سری فکسا المنارة حبرةو زها المصلی و استخف المنبرا

و سما بأروقة الهدی فأحلهافرع الثریا و هی فی أصل الثری

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۴۳ و مشی إلی الحلقات فانفرجت لهحلقا کهالات السماء منورا

حتی ظننا الشافعی و مالکاو أبا حنیفة و ابن حنبل حضرا

إن الذی جعل العتیق مثابةجعل الکنانی المبارک کوثرا

العلم فیه مناهلا و مجانیایأتی له النزاع یبغون القری

یا فتیة المعمور سار حدیثکم‌ندا بأفواه الرکاب و عنبرا

المعهد القدسی کان ندیهقطبا لدائرة البلاد و محورا

ولدت قضیتها علی محرابهو حبت به طفلا و شبت معصرا

و تقدمت تزجی الصفوف کأنها(جاندرک) فی یدها اللواء مظفرا

هزوا القری من کهفها و رقیمهاأنتم لعمر اللّه أعصاب القری

الغافل الأمی ینطق عنکموکالببغاء مرددا و مکررا

یمسی و یصبح فی أوامر دینهو أمور دنیاه بکم مستبصرا

لو قلتمو اختر للنیابة جاهلاأو للخطابة باقلا لتخیرا

ذکر الرجال له فأله عصبةمنهم، و فسق آخرین، و کفرا

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۴۴ آباؤکم قرأوا علیه و رتلوابالأمس تاریخ الرجال مزورا

صور عن هیکل الأزهر القدیم

أبواب الجامع الأزهر: للجامع الأزهر تسعة أبواب:

الأول: باب المزینین

و هو الباب الکبیر تجاه رأس شارع الصنادقیة له بابان کل باب بمصراعین و هو من زیادات الأمیر عبد الرحمن کتخدا و منقوش علی وجهته من الخارج أبیات مموهة بالذهب تشتمل علی تاریخ بنائه و هی:

إن للعلم أزهرا یتسامی‌کسماء ما طاولتها سماء

حیث وافاه ذا البناء و لو لامنة اللّه ما تسامی البناء

رب إن الهدی هداک و آیاتک نور تهدی به من تشاء

مذ تناهی أرخت باب علومو فخار به یجاب الدعاء

و الباب الأصلی فی هذه الجهة هو الباب المواجه للداخل مما یلی صحن الجامع و بینهما کان یجلس المزینون لحلق رءوس الطلاب فعرف الباب بذلک، و کان منقوشا علی هذا الباب الأصلی فی الحجر: بسم اللّه الرحمن الرحیم: أمر بإنشاء هذا الباب و المئذنة الشریف مولانا السلطان الأشرف قاتیبای بتاریخ شهر رجب الفرد ثلاثة منه سنة ۸۸۸ ه، و فوق ذلک: لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه نصر من اللّه و فتح قریب و فوقها إنما الأعمال بالنیات و إنما لکل امرىء ما نوی، و فوق ذلک کتابة کوفیة دقیقة الحروف یتعسر

قراءتها و قد أزيلت هذه الكتابة بالتجديدات القريبة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۴۵

لثانی: الباب العباسی

و هـذا البـاب فی صف البـاب الأـول و هو باب شامـخ ذو فخامـة و شأن، أحـدثته الأوقاف عنـد تأسـيس الرواق العباسـی منقوش علی واجهته من الخارج فی الحجر بالحروف المموهة بالذهب من أعلاه:

كـان الإنشـاء و الفراغ فی عهـد إدارة فيضـی باشـا لعموم الأوقاف بمباشـرة صابر بک باشـمهندس عموم الأوقاف، و تحت ذلک بيتان فيهما تاريخ الإنشاء.

و منقوش تحت ذلک آية «إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ» من الجانب الأيمن إلی الجانب الأيسـر و من داخل هذا الباب فناء يصل لباب يصـل لصحن الأزهر و علی يمين الداخل باب زاوية الرواق العباسی المعدة للتدريس.

الثالث: باب المغاربة

و هو تجاه درب الأتراک و يتوصل منه إلی صحن الجامع بعد المرور بين رواق المغاربة و رواق السنارية و الأتراک.

الرابع: باب الشوام

يقابله الوكالة التی أنشأها السلطان قايتباى و يسلک منه إلی المقصورة القديمة.

الخامس: باب الصعايدة

هو بعد باب الشوام تجاه حارة الباطلية و له بابان، كل باب ذو مصـراعين و هو من إنشاء المرحوم الأمير عبد الرحمن كتخدا و يتوصـل منه بين المرور بعد رواق الصعايدة و مدفن الكتخدا الی باب واحد يوصل الی المقصورة الجديدة التی هی من إنشاء الكتخدا.

السادس: باب الحرمين

و هو يسلک من رواق الحرمين و هو مغلوق أبدا و هو من إنشاء الكتخدا.

السابع: باب الشوربة

و هو تجاه رقعة القمح بجوار منزل السـيد عمر مكرم نقيب الأشراف بالديار المصرية سابقا و هو من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا و يتوصل منه إلی المقصورة الجديـدة بساحـة طويلـة تنتهی إلی مدفن فی زاوية المسـجد يقال له مدفن الست نفيسة البكرية بنت الشـيخ محمد بن عبد اللّه جلال الدين البكری الصديقی و هو صاحب المسـجد القريب من باب الشوربة أمام عطفة الشيخ الأمير و سمی باب الشوربة لقربه

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۴۶

من مطبخ الشوربة الذی كان يطبخ فيه الأرز فی رمضان و يفرق علی فقراء الأزهر.

الثامن: باب الجوهرية

هو باب صغير تجاه زاوية العميان يسلك منه إلى المقصورة الجديدة بعد المرور فى المدرسة الجوهرية و يسلك الخارج منه إلى زقاق ضيق يوصل إلى شارع الشنوانى أ
مام مسجد العدوى و هو من إنشاء جوهر القنقبائى.

التاسع: باب الميضأة

ينفذ فى الزقاق الخارج إلى باب المزينين مجعول لدخول الحفاة.

مقاصير الأزهر:

للأزهر مقصورتان جديدة و قديمة: فالجديدة من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا و هى المعروفة عند أهل الأزهر بالإيوان العالى.
و القديمة أصل الجامع الأزهر من إنشاء القائد جوهر و تحتوى على ست و سبعين اسطوانة و تمتد من باب الشوام إلى رواق الشراقوة و كان فيها المنبر فنقله الكتخدا لما بنى المقصورة الجديدة و لها ثلاثة أبواب إلى صحن الأزهر و يتخللها شبابيك من الخشب المخروط.

محاريب الأزهر:

فى المقصورة الجديدة محرابان: محراب كبير يصلى فيه الإمام الصلوات الخمس و هو مالكى المذهب، و عليه قبة مرتفعة قائمة على ستة أعمدة، و المحراب الآخر عن شمال المنبر و هو محراب صغير مزركش يعرف بقبلة الشيخ الدردير، و فى المقصورة القديمة الآن محراب واحد، و هو المحراب الأصلى القديم و يعرف بالقبلة القديمة، يصلى فيه الإمام الصلوات الخمس و هو شافعى المذهب، و على هذا المحراب أيضا قبة عظيمة مرتفعة و على يمينه صندوق موضوع على رف يقال إن به آثارا قديمة، و أن لذلك سرا عجيبا فى عمارته، و كان فى المقصورة القديمة قبلة بقرب باب الشوام
الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۴۷
و كانت تعرف فى الزمن الأخير بقبلة الشيخ البيجورى شيخ الإسلام بسبب صلاته عندها كثيرا، و كان بقرب رواق الشراقوة قبلة صغيرة من خشب تعرف بقبلة الخطيب الشربينى، و كان عليها كتابة بالخط تدل على أن عملها كان سنة ۶۲۷ ...
و فى صحن الجامع كان أربعة محاريب صغار بظاهر المقصورة محراب يلى رواق معمر و كان مكتوبا عليه: جدد هذا المحراب السعيد على يد العبد الفقير إلى اللّه تعالى الخواجة مصطفى ابن الخواجة محمود بن جلبى غفر اللّه له و للمسلمين و يكتنف باب المقصورة الوسط محرابان من الحجر مكتوب بأعلى أحدهما بالكوفى لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، و كان عند الباب الثالث محراب مكتوب عليه أمر بتجديد هذا المحراب السعيد سيدنا و مولانا الإمام الأعظم و الملك الأكرم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى، و كان عند رواق الأتراك محراب صغير مصنوع بالقيشانى و قد أزيلت، و كان أمامه «دكة» صغيرة غير مستعملة للتبليغ و ذلك غير المحاريب التى فى المدارس الملحقة بالجامع و موجود بالمقصورتين «دكتان» تستعملان يوم الجمعة للتبليغ.

صحن الأزهر و مناراته و مزاوله:

أما صحن الأزهر هو متسع مفروش بالحجر النحت، و تحت هذا الفرش أربعة صهاريج متسعة للماء الحلو، و لها أفواه من الرخام ناتئة فی الصحن نحو متر يجلس فيه الطلاب أيام الشتاء للمطالعة و الرياضة و يبيتون فيه فی ليالی الصيف، و فی دائرة بوائک مسقفة يجلس فی بعضها الأطفال و معلمو القرآن الشريف.

و أما مناراته فكان به ست منارات يؤذن عليها فی الأوقات الخمس و فی الأسحار و توقد فی ليالی رمضان و المواسم، منها منارة خارج باب المزينين عن يمين الداخل تشرف علی الشارع و هی من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا و كان يتوصل إليها من باب الميضأة الصغيرة الذی عن يمين

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۴۸

الداخل قبل الطيبرسية و قد أزيلت مع الميضأة و بنی مكانهما الرواق العباسی و إدارة الأزهر القديمة ... و منها ثلاث منارات من داخل باب المزينين مشرفة علی صحن الجامع: إحداها منارة الأقبغاوية عن يسار الداخل الی الصحن و هی أول مئذنة عملت بديار مصر من الحجر بعد المنصورية و كانت المنارات قبل ذلک تبنی بالآجر و قد أنشأها الأمير علاء الدين آقبغا عبد الواحد مع مدرسة الأقبغاوية، و اثنتان عن يمين الداخل فالتی فی جانب الباب مما يلی الداخل أنشأها السلطان الأشرف قايتباى و التی تليها من انشاء السلطان الغورى و هی أعلی مناراته و أعظمها و يتوصل لهما من باب صغير فی صحن الجامع يصعد منه إلی سطحه فيه لكل منهما باب، و الخامسة بباب الصعايدة يتوصل إليها من رواق الصعايدة، و السادسة بباب الشوربة و بابها من الداخل و هما من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا و الغالب فی مؤذنی الأزهر قديما أن يكونوا مكفوفين محافظة علی عورات أهل المساكن المجاورة للأزهر و لكل منارة خلوة لإقامة مؤذنيها لانتظار الآذان بها و لا يؤذنون إلا بتنبيه الميقاتی المجعول لخصوص ذلک، و الغالب أن آذان الأزهر ينبنی عليه آذان أكثر منارات القاهرة.

و أما مزاوله: فكان فيه قديما سبع مزاول أربع فی صحنه لمعرفة وقت الظهر علی يمين الداخل من باب المزينين و ثلاث جهة رواق معمر لمعرفة وقت العصر و لم يوجد الآن غير مزولة واحدة بصحن الأزهر علی يمين الداخل من باب المزينی و أخری محفوظة بالسطح غير مستعملة، و هما من عمل الوزير أحمد باشا كور المتولی علی مصر سنة ۱۱۶۱ نقشهما علی لوحين من رخام، و عمل لهما تاريخا منقوشا علی كل لوح منهما و هو هذا:

مزولة متقنةنظيرها لا يوجد

راسمها حاسبهاهذا الوزير الأمجد

تاريخها أتقنهاوزير مصر أحمد

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۴۹

أروقة الأزهر:

اشارة

أما أروقة الأزهر فعددها ۲۹ رواقا، و الأروقة هی:

الرواق العباسی

: بنی هذا الرواق المشيد و تم بناؤه فی عهد الأريكة العباسية، و فی مشيخة الشيخ حسونة النواوی للأزهر، و احتفل بافتتاحه فی ۲۴ شوال سنة ۱۳۱۵ هجرية فجاء هذا الرواق علی أبدع طراز مصری فی هندامه و نقشه و أوضاع شبابيكه و أبوابه و أنفقت الأوقاف عليه

ستة آلاف و ثمانين جنيها و هو فى الحدود الغربية للجامع مطل على الشارع، و يشتمل هذا الرواق على ثلاثة أدوار:

الأول: المسامت سطحه لسطح الجامع، و هو فسيح يشتمل على محل لمجلس إدارة الأزهر الشريف و باب المشيخة، و منه محال للمكتبة و زاوية كبيرة بمحراب جميل الصنع دقيق التركيب و النقش للصلاة و التدريس و الحفلات الرسمية الكبيرة للجامع، و فيه جملة منافع أخرى.

الثانى: مقسم بأجمل نمط صحى يشتمل على قاعة للميقاتية بجوار السلم و قاعة أخرى لجندى الأزهر، و رواق متعدد القاعات لطلاب اليمن، و محل لحكيم و صيدلى الأزهر، و أول حكيم للأزهر كان هو الدكتور عباس حلمى، و رواق لبعض الطلاب و آخر لطلاب الطيبرسية و أمثاله للبحاروة و الاسكندرانية و محل للدفترخانة الأزهرية.

الثالث: يشتمل على محلات لمفتى الديار المصرية و أمين الافتاء و كتبة الإفتاء، و على رواق بأربعة غرف لطلبة الأكراد، و آخر لطلبة الأقبغاوية، و آخر للدكارنة، و آخر للهنود و آخر للبغداديين. فقد جمع أهالى كثير من الأروقة، و الرواق العباسى افتتح فى ۲۴ شوال ۱۳۱۵ ه.

رواق الطيبرسية

: فى الخطط المقريزية هذه المدرسة من المدارس الملحقة بالجامع الأزهر و هى غربية مما يلى الجهة البحرية أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس و جعلها مسجدا للّه تعالى زيادة فى الجامع الأزهر

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۵۰

و قرر بها درسا للفقهاء الشافعية و أنشأ بجوارها ميضأة و حوض ماء ترده الدواب و تأنق فى رخامها و تذهيب سقوفها حتى جاءت فى أبدع زى و أبهج ترتيب و انتهت عمارتها سنة ۷۰۹ و كان لها بسط تفرش يوم الجمعة، و كان لها إمام، و كان فيها خزانة كتب و خزن كثيرة، و جددها الأمير عبد الرحمن كتخدا، و قد ذهبت أوقافها و رممت فى عهد الخديوى عباس الثانى و جعلت كتيخانة الأزهر فى سنة ۱۳۱۴ و نقلت طلبتها للرواق العباسى، و طيبرس كان قائدا للجيوش المصرية، و مات سنة ۷۱۹ ه.

رواق الأقبغاوية

: فى خطط المقريزى هذه المدرسة بجوار الأزهر على يسرة الداخل إليه من بابه الكبير الغربى- باب المزينين- تجاه المدرسة الطيبرسية كان موضعها دار الأمير الكبير ايدمر الحلى نائب السلطنة فى أيام الملك الظاهر و ميضأة للجامع الأزهر أنشأها الأمير أقبغا و جعل بجوارها قبلة و منارة و كانت مدرسة مظلمة ليس عليها من بهجة المساجد و من أنس بيوت العبادات شىء البتة، و ذلك أن أقبغا عبد الواحد أقرض ورقة ايدمر الحلى مالا، و أمهل حتى تصرفوا فيه ثم ألجأهم فى الطلب إلى أن أعطوه دراهم فهدمها و بنى موضعها هذه المدرسة، و أضاف أمثال ذلك من الظلم فبناها بأنواع من الغضب و أخذ قطعة من سور الجامع حتى ساوى بها المدرسة الطيبرسية و حشر لعملها الصناع من البنائين و النجارين و جميع أنواع الفعلة بأن يعمل كل منهم فيها يوما فى كل أسبوع بغير أجرة و جعل عليهم مملوكا من مماليكه لم ير الناس اظلم منه و لا أعتى منه، و لا أقسى قلبا منه، فلقى العمال منه مشقات لا توصف و حمل إليها سائر ما يحتاج من خشب و حجر و رخام و دهان، من غير ان يدفع ثمنا البتة، و تم بناؤها سنة ۷۴۰ هجرية، و رتب لها الخدمة فكان لها إمام و مؤذن و فراشون و قومة و مباشرون، و كان لها ثلاثة أبواب أحدها يصل للصحن من رواق الفيمة، و الثانى لزقاق الميضأة، و الثالث لباب المزينين، و موجود لها الآن بابان أحدهما يفتح على القبة، و للقبة باب آخر من باب المزينين، و هو مستعمل، و الثانى و هو مغلوق، و هى الآن محل كتبخانة الأزهر، و نقلت طلبتها للرواق العباسى.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۵۱

رواق الأکراد

: کان عن یمین الداخل من باب المزینین بجوار رواق الیمنیة و بأعلاه مساکن فأزیل و نقلت طلبته إلی الرواق العباسی.

رواق الهنود

: کان عن یمین الداخل من الباب المذکور بینه و بین باب الطیبرسیة به مسکن أرضی و أربعة مساکن علویة و قد أزیل و نقلت طلبته إلی الرواق العباسی.

رواق البغدادیین

: هو کان بأعلی رواق الهنود کان یشتمل علی مسکنین و مطبخ و بیت خلاء و أزیل و نقلت طلبته للرواق العباسی.

رواق البرتیة

: کان فی زاویة الرحبة المسقوفة خارج باب الأتراک بین راق الأتراک و رواق الیمنیة، و هو محل أرضی صغیر کان جزءا من رواق الأتراک، و قد هدم و العمارة جاریة فیه الآن.

رواق الیمنیة

: کان بجوار رواق البرنیة له باب علی الرحبة المسقوفة خارج باب الأتراک و قد أزیل و سکنت طلبته الرواق العباسی.

رواق الجبرت

: هو داخل رواق البریتة و هو أوسع منه و قد هدم و أجریت فیه العمارة من زمن بعید.

رواق الأتراک

: أنشأه السلطان قایتبای، و جدده الامیر کتخدا و أنشأ فیه زیادات، و کان یحتوی علی ستة عشر عمودا من الرخام و اثنی عشر مسکنا علویا و له خزانة کتب عظیمة جامعة و کان له مطبخ و بئر، و أوقافه یستحقها کل طالب من بلاد الترک، و لو کان عتیقا، و کان له بابان باب مسامت لباب رواق المغاربة و باب علی صحن الجامع، و فی سنة ۱۳۱۹ أخذت الأوقاف فی نقضه مع ما ساواه من الأروقة لغایة باب الصعایدة، و کان فی عزمها تجدید هذه الأروقة ببناء شامخ مثل الرواق العباسی.

رواق السناریة

: کان علی یسار الداخل من باب المغاربة قبل رواق الأتراک، و کان یحتوی علی مساکن علویة و نقض فی ضمن العمارة السابقة سنة

.۱۳۱۹

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۵۲

رواق المغاربة

: هو کان علی یمین الداخل من باب المغاربة، و کان له بابان باب فی الصحن فی طرقة باب المغاربة، و کان یشتمل علی خمس بوائل قائمة علی أعمدة من رخام، و کان فیه مساکن علویة و له کتبخانة کبیرة، و کان له مطبخ و بئر و حنفیة و یستحق أوقافه کل مجاور مغربی، و کان له کاتب مثل رواق الأتراک.

رواق السلیمانیة

: کان بین باب الشوام و رواق الجاوة، و کان به خمسة مساکن و خزانة کتب کبیرة.

رواق الجاوة

: هو کان بین رواق السلیمانیة و رواق الشوام، و به خزانة کتب و نقض بناؤه.

رواق الشوام

: و هو عن یمین الداخل من باب رواق الشوام و هو من إنشاء السلطان قایتبای و زاد فیه الامیر عثمان کتخدا ثم الأمیر عبد الرحمن کتخدا حتی صار أکبر من رواق الصعایدة و کان بأعلاه نحو الثلاثین حجرة لمجاوری الشوام و قد أوقف علیه کل من الأمیرین المذکورین اوقافا جاریة علی أهله إلی الآن و به خزانة کتب کبیرة و کان فیه بئر و حنفیة.

رواق الدکارنة

: هو فوق الأوان عن شمالی الداخل من باب الصعایدة و هو أرضی و فوقه بعض من رواق الشوام.

رواق الصعایدة

: و هو من أشهر أروقة الأزهر و هو علی یمین الداخل من باب الصعایدة و هو یحتوی علی إیوان متسع بوسطه عمود من الرخام و بداخله خزانة فیها کتب کثیرة و لها قیم یغیر منها لمن یطلب من اهل العلم و له مطبخ، و کان تحت الرواق صهریج کبیر یشرب منه عموم أهل الأزهر و هذا الرواق بجمیع جهاته من إنشاء الأمیر عبد الرحمن کتخدا مع عماراته بالأزهر و له شیخ مخصوص و قد استقرت مشیخة هذا الرواق عدة أجیال فی المشایخ العدویة، و له أوقاف کثیرة.

رواق الحرمین

: هو عن یمین الذاهب الی المنبر السالک من باب الصعایدة و هو یحتوی علی قاعة سفلیة و ثلاث حجر علویة و یسکنه اهل مکة

المشرفة و المدينة المنورة و الطائف و غيرهما من بلاد الحجاز و هو من إنشاء المرحوم عبد الرحمن كتخدا.
الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۵۳

رواق البرابرة

: هو مجرد خزن و دواليب عن شمال الداخل من باب الشوربة.

رواق دكارنة سليح

: هو مجرد مخزن و دواليب بجوار رواق الشراقوه و نقلت طلبته الى الرواق العباسى.

رواق الشراقوه

: فى النهاية البحرية من المقصورة القديمة، و هو من إنشاء إبراهيم بك الوالى بسبب شيخ الاسلام الشيخ الشرقاوى شيخ الأزهر و يشكنه مجاورو الشراقوة، و قد استعان الشيخ بامرأة عمياء فقيهة تحضر عنده فى درسه إلى الست عديلة هانم بنت إبراهيم بك الكبير فكلمت زوجها إبراهيم بك المعروف بالوالى بأن يبنى له مكانا خاصا بطائفته فأجابه إلى ذلك و بنى الرواق المذكور، و كان المجاورون الشراقوه يسكنون بمدرسة الطيبرسية و رواق معمر فتشاجروا مع أهل الطيبرسية و منعهم شيخها من الدخول فكان ذلك سببا فى بنائه.

رواق الجوهرية

: هو مدرسة من المدارس الملحقة بالأزهر و هى تجاه زاوية العميان و هى صغيرة ليس بها عمد و تشتمل على إيوانين متقابلين و بينهما ممر مفروش بالرخام و بها قبلة صغيرة و على دائرها منقوش فى الحجر، بسم اللّه الرحمن الرحيم: فى بيوت أذن اللّه أن ترفع و يذكر فيها اسمه الآية، و بأعلاها خلوتان و بها خزن جميلة التركيب، و كان يدرس بها بعض العلماء، و قد أنشأها جوهر القنقبائى، و كان بداخله مدفنه، و بنيت فى القرن التاسع.

رواق زاوية العميان

: هو خارج الجوهرية فى الجانب الثانى من الحارة بينهما ممر من الحجر يمشى عليه المتوضئون من ميضتيها و هى من إنشاء المرحوم الأمير عثمان كتخدا و هذه الزاوية تحتوى على أربعة أعمدة من الرخام، و لها قبلة و ميضأة، و فوقها ثلاث حجر للعميان و لا يسكنها غيرهم، و لهم شيخ منهم و مرتباتهم تصرف عليهم.
الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۵۴

رواق الحنابلة

: و هو بجوار زاوية العميان أنشأه المرحوم عثمان كتخدا منشىء زاوية العميان و هو يحتوى على ثلاثة مساكن علوية جددها الأمير راتب باشا و أجزى على أهل هذا الرواق مرتبات عظيمة.

رواق معمر

: هذا الرواق عن يمين الداخل لدورة المياه، للأزهر و هو رواق مشهور لكثرة من ينتمى إليه بسبب أنه لا يخص جهة بخلاف غيره.

رواق الفشنية

: كان بين رواق الحنفية و بين دورة المياه، و قد أزيل و لم يبق به سوى خزن و دواليب لمنافع المجاورين.

رواق الحنفية

: هذا الرواق بين رواق الفشنية و الشنوانية و كان بابه إلى الصحن يدخل منه فى سرادب ضيق طويل و ذلك السرداب أصله من رواق الفشنية أخذ منه بعوض، و قد أزيل ذلك السرداب كما أزيل غيره من الأروقة المجاورة له فإنه لم يوجد بها سوى خزن لأمتعة المجاورين .. أنشأ هذا الرواق الأمير راتب باشا الكبير سنة ۱۲۷۹ و كان موضعه بيوتا مملوكة لأربابها فاشتراها المرحوم عباس الأول و هدمها و أسسها ليبنيها رواقا لأهل بلد الشيخ البيجورى شيخ الأزهر فى ذاك الوقت، ثم مات و لم يتمه فمكث زمنا طويلا ثم أكمله راتب باشا المذكور من ماله و جعله رواقا للحنفية و هو متسع و فيه أربعة أعمدة من الرخام و به دواليب كثيرة لمنافع مجاوريه و بأعلاه ثلاث عشرة حجرة للمتقدمين من مجاوريه، و به خزانة كتب جامعة لها قيم يغير منها لعموم المجاورين، و كان له باب ينفذ إلى الميضأة و جعل فيه حنفية للوضوء و أوقف راتب باشا على أهله أوقافا عظيمة و جعل النظر عليه لمفتى الديار المصرية من الحنفية، و لما تولى افتاء الديار المصرية الشيخ محمد عبده سنة ۱۳۱۷ زاد فى مرتبات أهله و شكل لجنة لامتحان من ينتقل من درجة لأخرى و أجرى الامتحان على العموم، و بذلك تقدم من تأخر و تأخر من تقدم و حرم من حرم.

رواق الشنوانية

: هو بالزاوية الشرقية من الصحن بجوار رواق الفيمة، و هو الآن مجرد خزن و دواليب فيها أمتعة المجاورين.
الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۵۵

رواق الفيمة

: هو فى الزاوية الشرقية المذكورة بجوار رواق البحارة و لم يبق به سوى خزن لأمتعة المجاورين و نقلت طلبته من قبل بالرواق العباسى.

رواق البحاروه

: هو مخصوص بمجاورى أهل البحيرة لا يشاركهم فيه غيرهم و له شيخ و نقيب و مرتبات و لم يبق به الآن غير خزن لامتعة المجاورين و نقلت طلبته للرواق العباسى.

حارات الأزهر:

عددها ثلاث عشرة حارة: حارة البيجيرمية، حارة العفيفى، حارة الزراقنة، حارة البشابشة، حارة السليمانية، حارة الجيزاوية، حارة الدكة و المنبر، حارة الممشى، حارة النفاروة، حارة الزهار، حارة الواطية، حارة الشنوانية، حارة المناصرة، و لكل حارة شيخ و نقيب.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۵۷

الباب السادس صورة عن النشاط العلمى فى الأزهر

Point

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۵۹

الأزهر و الحركة الفكريّة المعاصرة

يتولى الزعامة الفكرية فى مصر اليوم أفراد قلائل من كبار مفكرينا، الذين جمعوا بين الثقافتين العربية و الغربية، و هم فى فهمهم للثقافة الغربية مدينون للدراسات الغربية التى تلقوها فى جامعات الغرب أو فى أمهات الثقافات الأوربية المعاصرة، أما فهمهم للثقافتين العربية و الإسلامية فهم مدينون أولا لآراء محمد عبده فى الإصلاح الدينى و التوجيه الفكرى.

لقد كانت آراء محمد عبده الاصلاحية التقدمية هى المعين الذى استقى منه كبار مفكرينا من أمثال عبد العزيز فهمى و لطفى السيد و طه حسين و سواهم، و إليه يرجع الفضل فى تحررنا الفكرى، و يقظتنا الروحية و فى النهضة التى وصلنا إليها.

و ممن تأثر بآراء محمد عبده الشيخ طنطاوى جوهرى، و كان من أعلام الأزهريين فى العصر الحديث، و له كثير من البحوث و المؤلفات العميقة، و من أهمها:: تفسيره للقرآن الكريم، و من أهم مؤلفاته الأخرى: جمال العالم- جواهر العلوم- ميزان الجواهر- النظام و الإسلام- نظام العالم و الأمم- التاج المرصع- الزهرة فى نظام العالم و الأمم- نهضة الأمة و حياتها- الفرائد الجوهرية فى الطرف النحوية- الحكمة و الحكماء- جوهر التقوى- الرسالة القازانية- مذكرات أدبيات اللغة العربية- أين الإنسان- صدى

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۶۰

صوت المصريين فى أوربا- رسالة تعدد الزوجات- رسالة الموسيقى- سوانح الجوهرى- ملخص كتاب فلنون- جواهر الإنشاء- نظم ملخص كتاب أدب الدنيا و الدين- رسالة الهلال- أصل العالم- ملخص كتاب حى ابن يقظان- الأرواح- جوهرة السفر.

و كذلك تأثر به الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر الأسبق، و الشيخ محمد رشيد رضا، و الشيخ المراغى، و الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى، و الشيخ عبد المجيد سليم، و الشيخ ابراهيم حمروش، و غيرهم من أعلام الفكر و قادة الحركة الإسلامية فى مصر و الشرق العربى.

و يقول حافظ فى رثاء الإمام محمد عبده، مصورا عظم النكبة فيه، و متحدثا عن مكانة الأستاذ الإمام، و عن أثره الفكرى فى حياة الجيل المعاصر:

سلام على الإسلام بعد محمدسلام على أيامه النضرات

على الدين و الدنيا، على العلم و الحجاعلى البر و التقوى، على الحسنات

لقد كنت أخشى عادى الموت قبلهفأصبحت أخشى أن تطول حياتى

فوالهفى- و القبر بينى و بينه-على نظرة من تلكم النظرات؟

وقفت عليه حاسر الرأس خاشعاكأنى حيال القبر فى عرفات

لقد جهلوا قدر الإمام فأودعواتجاليده فى موحش بفلاة

و لو ضرحوا بالمسجدین لأنزلوابخیر بقاع الأرض خیر رفات

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۶۱ تبارکت! هذا الدین دین محمدأیترک فی الدنیا بغیر حماة؟

تبارکت! هذا عالم الشرق قد قضیو لانت قناة الدین للغمزات

زرعت لنا زرعا فأخرج شطأهو بنت و لما نجتن الثمرات

مددنا إلی الأعلام بعدک راحنافردت إلی أعطافنا صفرات

و جالت بنا تبغی سواک عیوننافعدن و آثرن العمی شرقات

و آذوک فی ذات الاله و أنکروامکانک حتی سودوا الصفحات

رأیت الأذی فی جانب اللّه لذهو رحت و لم تهمم له بشکات

لقد کنت فیهم کوکبا فی غیاهبو معرفة فی أنفس نکرات

أبنت لنا التنزیل حکما و حکمةو فرقت بین النور و الظلمات

و وفقت بین الدین و العلم و الحجافأطلعت نورا من ثلاث جهات

وفقت «لها نوتو» و «رینان» وقفةأمدک فیها الروح بالنفحات

و خفت مقام اللّه فی کل موقفخافک أهل الشک و النزغات

و ولیت شطر البیت وجهک خالیاتناجی إله البیت فی الخلوات

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۶۲ و کم لیلة عاندت فی جوفها الکریو نبهت فیها صادق العزمات!

و أرصدت للباغی علی دین أحمدشباة یراع ساحر النفثات

إذا مس خذ الطرس فاض جبینهبأسطار نور باهر اللمعات

فیا سنة مرت باعواد نعشه،لأنت علینا أشأم السنوات

حطمت لنا سیفا و عطلت منبراو أذویت روضا ناضر الزهرات

و أطفات نبراسا و أشعلت أنفساعلی جمرات الحزن منطویات

مشی نعشه یختال عجبا بربهو یخطر بین اللمس و القبلات

تکاد الدموع الجاریات تقلهو تدفعه الأنفاس مستعرات

بکی الشرق فارتجت له الأرض رجةو ضاقت عیون الکون بالعبرات

ففی الهند محزون و فی الصین جازعو فی «مصر» باک دائم الحسرات

و فی الشام مفجوع و فی الفبرس نادبو فی تونس ما شئت من زفرات

بکی عالم الإسلام عالم عصرهسراج الدیاجی هادم الشبهات

فلا تنصبوا للناس تمثال «عبده»و إن کان ذکری حکمة و ثبات

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۶۳ فإنی لأخشی أن یضلوا فیومئواإلی نور هذا الوجه بالسجدات

فیاویح للشوری إذا جد جدهاو طاشت بها الآراء مشتجرات!

و یا ویح للفتیا إذا قیل: من لها؟و یا ویح للخیرات و الصدقات

فیا منزلا فی «عین شمس» أظلنیو أرغم حسادی برغم عداتی

علیک سلام اللّه، مالک موحشاعبوس المغانی، مقفر العرصات؟

لقد کنت مقصود الجوانب آهلاتطوف بک الآمال مبتهلات

مثابة أرزاق، و مهبط حكمةو مطلع أنوار، و كنز عظات

و يعد كذلك الأستاذ الإمام من فحول الكتاب الذين حرروا الكتابة العربية فى النهضة الحديثة من قيودها القديمة، و أخذوا يرجعون بأساليبها إلى أرقى عصورها و أزهر أيامها. و لقد كان الشيخ محمد عبده من أفاضل رجال الدين، و قادة المفكرين- و كان أجمل و أروع قدوة المصلحين .. كما كان من أشهر رجال مصر العاملين فى نهضتها الحاضرة. ولد سنة ۱۸۴۵ م بمحلة نصر، إحدى قرى مركز شبراخيت بمديرية البحيرة. و حفظ القرآن، و تعلم مبادىء القراءة و الكتابة بها ثم أرسله والده إلى معهد طنطا، فصادف عناء فى فهم العلوم لعقم طريقة التعليم وقتئذ، و كاد ينكص على عقبيه، و يعود إلى قريته، و يشتغل بالفلاحة كأبيه و بقية أسرته. و لكن عناية اللّه قيضت له من يسر له سبيل الفهم، و حبب إليه طلب لعلم، فعاد إلى مناهل العلم نهما، و غادر معهد طنطا إلى الأزهر. و أخذ يتزود من علومه بقدر استطاعته، حتى نبه اسمه، و عرف بالذكاء و الفطنة بين إخوانه. و لما قدم إلى

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۶۴

مصر فيلسوف الشرق، جمال الدين الأفغانى، انتظم الشيخ محمد عبده فى سلك تلاميذه، و اقتبس من علمه و فلسفته، و لازمه ملازمة ظله، و نال إجازة العالمية، و اختير مدرسا للأدب العربى و التاريخ بدار العلوم و أستاذا للغة العربية بمدرسة الألسن، ثم اشتغل بالتحرير فى الوقائع المصرية. و شبت الثورة العرابية، فكان من أبطالها، و نفى من القطر المصرى بعد انتهائها، فذهب إلى سورية ثم انتقل إلى باريس. و أنشأ مع أستاذه جمال الدين صحيفة العروة الوثقى. ثم عفى عنه سنة ۱۸۸۸ م فعاد إلى مصر، و عين قاضيا فى المحاكم الأهلية، ثم كان مفتيا للديار المصرية. و بقى فى منصبه مسموع الكلمة، واسع الجاه، شديد البأس، عظيم السلطان- إلى أن وافته منيته سنة ۱۹۰۵ م فاهتز العالم الإسلامى لوفاته، و فقد فيه الرائد المصلح، و الشجاع الأبى، و المناضل المكافح، و المشعل الذى أضاء دياجى الظلمات، و السيف الذى روع الاستعمار.

بعوث الأزهر العلمية

اتصل الأزهر بأوربا التى كان يجتويها و ينظر إلى علومها نظرة المعجب لا المصدق و المتفرج لا المتأثر، و المشاهد الذى تدركه الغيبوبة فى أثناء شهوده من الدهشة و الغرابة، ففى سنة ۱۸۲۶ شهدت باريس و شهد الباريسيون الأزهريين فى صفوف بعثات محمد على، و فى سنة ۱۸۲۸ شهد السربون حفلا عاما من علماء فرنسا و عظمائها يستمعون إلى الأزهريين فى امتحانهم، و يعجبون باجابتهم و يصفقون لهم تنويها بهذا الاعجاب و أثبت الأزهريون عند هذا الامتحان للمرة الأولى فى تاريخ مصر الحديث أن الإسلام دين علم، و أنه لين هين لا- يستعصى على نزعات الفكر، إنما يستعصى على نزعات الشيطان تزجى اليه باسم العلم و باسم الدين .. نعم، كان المرحوم رفاعة الطهطاوى إمام بعثات القرن التاسع عشر، و كانت وظيفته أن يصلى بالمسلمين من أفرادها، و أن يذكرهم إذا نسوا. و أن يتخولهم بالموعظة ليوقظ فيهم إلى جانب حاسة عرفان العلم، إحساس وجدان

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۶۵

الفضيلة، و ما لبث رفاعة الأزهرى أن كان إمام البعثات فى العلم، و مبرزهم فى العمل، و سابقهم فى الفضل، و لم تمض سنتان على عمله الذى اختطه لنفسه حتى كتب و ترجم و نقل من الشمال إلى اليمين، ما كان قد نقل من اليمين إلى الشمال، فكان فيما كتب و نقل موفقا كل التوفيق و مسددا كل السداد.

رجع رفاعة إلى مصر فاكب و تلاميذه «تلاميذ مدرسة الألسن» على الترجمة و التأليف فى السياسة و الاجتماع و الادب و الجغرافيا و التاريخ حتى كان أول من بنى قنطرة فوق الهوة التى كانت تفصل الأزهر، بل الشرق كله، عن أوربا. و رفاعة فى كل أولئك لم ينس منبته و لا- نشأته و لا- أزهريته، فإذا كتب فى تاريخ فرنسا، كتب إلى جانبه فى تاريخ العرب و فى تاريخ مصر، و كأنه يقول «لكم تاريخكم و لنا تاريخنا، و لكم تراثكم و لنا تراثنا، و إذا أخذنا فلكى نزيد شخصيتنا لا لنقلل منها» و إذا كتب فى جغرافية «ملطبورن»

نوره بـذکر یـاقوت الحموی و أبـان عن معجمه، و إذا تحـدث عن المرأة قـال: إن الإسـلام لم یظلمها و إنما ظلمها أهلوها و إن تعالیم الإسلام لم تعد علیها و إنما عدت علیها اعتبارات وضعیة من العادات و التقالید.

و ضـرب رفاعة بهذا الاتجاه الجدید المثل الأعلی لمن یرید أن یوفق بین ماضـیه و حاضره، و اتخذ لمقیاس التقدم وحدة الزمن الثلاثة التی تبتدیء بالماضی، و تتطلع إلی المستقبل، و تتخذ من الحاضر وصلة ما بینهما.

و منـذ أکثر من قرن أکب المستشـرقون علی دراسة الإسـلام و علوم الإسـلام فبحثوا و أفادوا، و ما یفید الأزهر أن یقف أمام المتطرف من هـذه البحوث موقف الصـاخب مکتفیـا بمـا ینقـل إلیه عنهم إن بالحق و إن بالباطل، بل یجب علیه أن یتصل بهم، و أن ینازلهم فی میدانهم، و أن یقارعهم بأسـلحتهم حجة بحجة و دلیلا بدلیل .. و سیسـمع الأزهر عن هؤلاء المستشرقین دروس الملل و النحل، الغریب منها عن الإسـلام، و المشتق منها من تعالیمه و آیاته، و المناسب منها مع عقلیة العرب المسلمین، و ما أجبروا علیه إجبارا بلا مسوغ و لا تقدیر. سیسمع الأزهر عن قرب و باتصال مباشر کیف تسربت

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۶۶

الفلسـفة إلی المسـلمین، و کیف أساغوا ما أساغوا منها، و رفضوا منها ما رفضوا، و سیسمع عن تطور القراءات القرآنیة و علاقتها باللغة العربیة و بلهجات العرب، و سیدهش أبناء الأزهر إذ یرون أن کل هذه العلوم مبوبة مفصلة، سهلة لا تستعصی علی قارىء و لا تحتجب وراء أسالیب تقرأ لتفهم هی لا مدلولاتها.

و قد رأی الأزهر مسایرة النهضة العلمیة الحدیثة فی البلاد فأرسل البعوث من علمائه الأکفاء إلی البلاد الأوربیة للتخصـص فی الفلسـفة و التربیـة و علم النفس و التاریـخ و مـا إلی ذلک من علوم الحیاة لیمکن الانتفاع بهم بعـد عودتهم فی کلیاته الجامعیـة بـدل الاساتـذة المندوبین إلیها من المعاهد الأخری.

بقی أن نتحدث عن الاربعة الأزهریین الذین وصلوا باریس عام ۱۹۳۶ و الذین أحدثوا ضجة فی أنحاء الحی اللاتینی فالمصریون کانوا یتوافدون علی فندقهم جماعات یحیون فی أشخاصـهم عهدا جدیدا، و یمجدون فی طلعتهم بلادهم الشـرقیة التی لم تمنعها شرقیتها أن تتطلع إلی الغرب فی المفیـد النافع من أسالیبه مع احتفاظها بطابعها الشـرقی، و مدیر البعثة کان یشـغل بدراسـتهم و بترتیب مسـکنهم و مـأکلهم و کـل مـا یمس حیـاتهم فی هـذه البلاـد، و ما ذلک بالشـیء الیسـیر لعلماء الأزهر المعروفین بالتمسک بمبادئهم. أما الأسـتاذ ماسـنیون فقد عنی بهم عنایة خاصة فقدمهم إلی إخوانه من العلماء الفرنسـیین الذین یعملون معهم، و کان جمیلا منه بعد أن عرف أن من بینهم واحـدا بزوجه و أطفاله الثلاثـة أن یعمل علی إسـکانه بالقرب من حدیقة «لکسـمبرج» لتکون متعة و مراحا لهؤلاء الأطفال. و لعل من الطریف أن نعرف أن الدکتور تاج أحد أعضاء هذه البعثة، و خریج السوربون قد صار شیخا للأزهر. و قد کان من أعضاء بعثة عام ۱۹۳۶ هـذه فی مشـیخة الشـیخ المراغی .. و قـد أرسـلت طائفة أخری فی عهد الشـیخ مأمون الشـناوی عام ۱۹۴۹، و آخر مبعـوث للأزهر هو الشیخ محمد فتحی عبد المنعم و قد سافر إلی فرنسا فی شهر یولیو عام ۱۹۵۲.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۶۷

و من الذین أوفدوا من الأزهریین إلی أوربا المرحوم الشـیخ عبد العزیز المراغی، و الشیخ محمد عبد اللّه دراز، و الشیخ محمد الفحام، و الدکتور ماضی، و الدکتور البهی، و الدکتور عبد الحلیم محمود، و الاستاذ علی حسن عبد القادر و سواهم.

و کتب الدکتور طه عام ۱۹۳۵ یبدی رأیه فی بعثات الأزهر العلمیة إلی أوربا، فقال:

«إذا أراد الأزهر أن یرسل بعوثا إلی أوربا فلیرسل بعوثه أول الأمر إلی الجامعـة المصـریة لیتثقفوا فیها بالثقافـة الحدیثة ثم لیختر من بین البعوث من تظهر کفایته، و ینبه شأنه، و تنهض الحجـة علی حسن اسـتعداده. و إذا کان عنـد الأزهر اثنان أو ثلاثـة أو أربعـة قد امتازوا بکفایـة نادرة و اسـتعداد باهر فلا بأس بإرسالهم منـذ الآن علی أن ترسم لهم برامـج و مناهج تلائم حاجات الأزهر الماسة و ضـروراته الملحة.

الواجب كل الواجب أن تتوازن الثقافات الاوربية حتى تستطيع الثقافة العربية الاسلامية أن تسيغها جميعا و أن تحتفظ بشخصيتها. إنا نضن بالأزهر كل الضن أن يلقى بنفسه فى أحضان الثقافة اللاتينية أو السكسونية و نلح أشد الالحاح فى أن يظل عربيا و عربيا خالصا يأخذ من الثقافات الاوربية المختلفة بمقادير متناسبة، لا يطغى بعضها على بعض. فاذا لم يكن للأزهر بد من أن يتعجل إرسال البعوث إلى أوربا غير حافل بما يقدم إليه من نصح بالمهل و الاناة، فليعد للنظر فى توزيع بعوثه على الاقطار الاوربية و ليحذر كله أن يلتهم بلد من البلاد الاوربية بعوثه كلها، أو أكثرها. و لينظر إلى الجامعة فقد يحسن الاقتداء بالجامعة فى بعض الأشياء، إنها لا ترسل بعوثها إلى بلد بعينه، و إنما ترسلهم إلى البلاد الراقية فى أوروبا، فمنهم من يذهب إلى انجلترا و منهم من يذهب إلى فرنسا و منهم من يذهب إلى ألمانيا، و منهم من يذهب إلى إيطاليا. و الأصل فى هذا التوزيع ما قدمته من أن الجامعة حريصة كل الحرص على أن تأخذ بأطراف مختلفة من الثقافات

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۶۸

المختلفة لأنها ترى أن هذا أحفظ للشخصية المصرية الخالصة و أجدر أن يفتح للمصريين أبوابا متمايزة من العلم، و أجدر بعد هذا كله أن يعصم العقل المصرى من الاحتكار الثقافى».

و قد درج الأزهر كذلك منذ أمد بعيد على إرسال بعوث من علمائه البارزين لتثقيف الأمم الإسلامية و الدعوة إلى الإسلام فى البلاد التى تدين بالوثنية. فأرسل إلى الصين بعثة و إلى الحبشة و جنوب إفريقيا و الهند و اليابان بعثات، و قد كان لهؤلاء جميعا أثر حميد فى نشر مبادىء الإسلام، و تبليغ تلك الأقطار رسالة الأزهر.

و لقد ظهرت آثار تلك النهضة الدينية ظهورا واضحا، مما بعث الأقطار الإسلامية بعثا جديدا، و رغبها فى طلب بعثات من علماء الأزهر للتعليم فى معاهدها، فلبى الأزهر طلب تلك البلاد بسخاء و كرم، و أرسل البعثات تلو البعثات إلى العراق و المملكة العربية السعودية و سوريا و لبنان و إمارة الكويت و السودان و أسمرة و البحرين و ليبيا.

على الرغم من مشكلة إعداد طالب الأزهر ليكون مبعوثا ناجحا، فإن الكثيرين نجحوا فى رسالتهم، و كان اللقاء مع نموذجين لهؤلاء المبعوثين الناجحين .. أولهما: الدكتور رءوف شلبى المتخصص فى الدعوة الإسلامية و الذى اتم ۴ سنوات فى اندونيسيا و هو حاليا مدير المركز الإسلامى فى ماليزيا منذ ۳ سنوات .. يقول: ان أهم المشاكل التى واجهته هى الدعاية الغربية و الصهيونية هناك. و لذلك فهو يرى ضرورة الربط بين مبعوثى الأزهر و السفارات المصرية بالخارج و أجهزة الإعلام الموجهة بالاضافة إلى إراحة المبعوث ماديا حتى لا تمتد يده إلى مصادر غريبة تمده بالمال لاغراض معينة. و يضيف بأن من عيوب اعداد مبعوث الأزهر القصور اللغوى الواضح لدرجة أنه تعلم اللغة المالاوية بمجهوده الشخصى لا عن طريق الجامعة، و رغم ذلك فقد أقنع آلاف البوذيين باعتناق الإسلام خلال ۳ سنوات.

و نموذج آخر للمبعوث الناجح. صاحبه على على الشربينى

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۶۹

المتخصص فى التفسير و الحديث و الذى سافر إلى «جامبيا» عام ۱۹۷۲، و هو مدير المدرسة الإسلامية التى تضم (۴۰۰) تلميذ، و رشح ليكون مديرا للمدرسة الجديدة التى سوف تنشئها الجمعية الإسلامية فى (بانجول) فى العام القادم. و يتحدث عن المشاكل قائلا: لا يوجد فى جامبيا برنامج تعليمى منظم و لا يوجد كتاب واحد مؤلف باللغة العربية، حتى انه قام بكتابة الدروس بخط اليد لاساتذة مدرسية!، و هو يرى ان جامعة الأزهر مسئولة عن اعداد برنامج الدراسة و الكتب العربية.

و كذلك و قد من الأقطار الإسلامية طلبة يتعلمون فى الأزهر، و هو يقوم بكل ما تتطلبه إقامتهم من راحة، و رفاهة عيش، و يكل إلى بعض الأساتذة المربين تعليمهم أولا اللغة العربية، ثم يعدهم لمراحل التعليم المختلفة.

و قد بلغ عددهم عام ۱۹۵۰ زهاء الألف طالب.

منهج الدراسة بالأزهر منذ إنشائه

أول كتاب درس بالجامع الأزهر هو كتاب الاقتصار الـذى وضـعه أبو حنيفة النعمان بن محمد القيروانى قاضـى المعز لدين اللّه فى فقه آل البيت، و كان يتولى دراسـته بالأزهر ولده أبو الحسن على بن النعمان كما أسـلفنا، و درسه بعده بنو النعمان الذين تعاقبوا فى قضاء مصـر حتى نهايـة القرن الرابع. و كان يـدرس بجانب الاقتصار كتب أخرى فى فقه الشـيعة للنعمان القيروانى أيضا، و هى: كتاب دعائم الإسلام، و كتاب اختلاف الأصول، و كتاب الأخبار، و كتاب اختلاف الفقهاء.

و قرىء بالأـزهر كتـاب ألفه الوزير يعقوب بن كلس، و كـان يجلس لقراءته و تـدريسه بنفسه، و أفتى النـاس بما فيه. و موضوعه الفقه الشيعى على مذهب الاسماعيلية مما سمعه الوزير ابن كلس من المعز لدين اللّه، و العزيز باللّه، و لهذا اشتهر بالرسالة الوزيرية.

و كان التـدريس بالأزهر يجرى على مـذهب الشـيعة يومئذ، و كان فى أول الأمر من المحظور أن يدرس غير ذلك، و لهذا قبض على رجل وجد

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۷۰

عنده كتاب الموطأ للإمام مالك، فحبس و جلد فى سنة ۳۸۱ ه فى عهد العزيز باللّه. و فى أواخر الدولة الفاطمية كادت تكون الدراسة فى الأزهر حرة، و لكن لم يعرف بالضبط أسماء الكتب التى كانت تدرس فى ذلك العصر.

و ممن تولى التدريس بالأزهر، فى العصر الفاطمى، الأساتذة بنو النعمان قضاة مصر، فكان القاضى أبو الحسن على بن النعمان أول من درس بالأزهر، و توفى سـنة ۳۷۴ ه، و درس بالأزهر أخوه القاضـى محمد بن النعمان و توفى سـنة ۳۸۹ ه، ثم ولـده الحسن بن النعمان قاضـى الحاكم بامر اللّه، و المؤرخ الحسن بن زولاق المتوفى سـنة ۳۷۸ ه و المسـبحى المتوفى سنة ۴۲۰ ه و كـان من أعلام التفكير و الأدب و الفلك و التاريخ، و أبو عبد اللّه القضاعى، و هو محمد بن سـلامة بن جعفر المتوفى سـنة ۴۵۴ ه و الحوفى النحوى، و هو أبو الحسن على بن إبراهيم بن سعيد المتوفى سنة ۴۳۰ ه و أبو العباس أحمد بن هاشم المصرى المتوفى سنة ۴۵۴ ه، و ابن بابشاذ النحوى، و هو أبو الحسن طـاهر بن أحمـد المصـرى المعروف بابن بابشاذ المتوفى سـنة ۴۶۹ ه و أبو عبـد اللّه محمـد بن بركـات النحوى تلميذ القضاعى المتوفى سنة ۵۳۰ ه.

و لا شك أنه قد اشـتهر من أولئك الأئمة من صـنف الكتب الكبيرة، و المراجع العظيمة فى العلوم الدينية و العربية، التى كانت تدرس فى الأـزهر، كالعلامـة أبى الحسن على بن إبراهيم الحوفى إمـام العربيـة و النحو و صـاحب كتاب إعراب القرآن، و ابن بابشاذ النحوى صاحب كتاب المقدمـة و شـرح الجمل، و ابن القطاع اللغوى صاحب كتاب الأفعال، و أبى محمد عبد اللّه بن برى المصـرى إمام اللغة فى عصره، و غيرهم ممن انتهت اليهم الرياسة فى هذا العصر، و اعتبرت مصنفاتهم متونا و مراجع.

و فى أواخر القرن السادس أى بعـد ذهاب الدولـة الفاطميـة، و قيام الدولـة الأيوبية نرى الأزهر جامعة حرة تدرس فيها العلوم العقلية أو العلوم

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۷۱

المدنيـة إلى جانب العلوم الدينيـة بصورة منتظمـة. فمثلا نرى بين أساتـذة الأزهر فى هـذه الفترة العلامـة عبـد اللطيف البغدادى يدرس الطب و الفلسفة و المنطق مدى حين .

بيد أنه لا ريب أن صـفة الأزهر الدينية كانت و ما زالت تغلب على كل صـفة أخرى، و أن علوم الدين كانت و ما زالت خلال العصور تحتل المقام الأول.

و هـذه خاصـة لم ينفرد بهـا الأـزهر فى العصور الوسطى. ذلـك أن الحركـة العقليـة كانت خلال هـذه العصور ترتبط فى جميع الأمم بالدين أشد ارتباط، و كانت الأديرة مراكز الدراسة فى أوروبا و الأحبار هم قادة الفكر.

بید أنه لما تقدمت الحرکة الفکریة، و تسربت النظریات الفلسفیة إلی تعالیم الکنیسة، أخذت سیطرة الدین علی حرکة التعلیم تضعف شیئا فشیئا.

و لم تلبث الجامعة الأوروبیة أن نشأت منذ القرن الثانی عشر ثم أخذت تقوی و یشتد ساعدها و تسیر نحو استقلالها، و اضطرت الکنیسة أن تناصر هذا الاستقلال، طالما کان بعیدا عن الاصطدام بتعالیمها و تقالیدها، و ذلک خوفا من أن یقع التعلیم تحت سیطرة أمیر أو حاکم مطلق یوجهه نحو خصومتها. و لم یأت ختام العصور الوسطی حتی کانت الجامعة الأوروبیة قد حققت استقلالها العلمی، و أخذت تسیر نحو النور و الحقیقة، بعیدة عن المؤثرات الدینیة و السیاسیة ما استطاعت إلی ذلک سبیلا.

و قد کان التعلیم الجامعی یمیل منذ البدایة نحو التخصص، و کانت الدراسة تجری تقریبا علی نفس الأسالیب التی کانت تتبع فی الأزهر و باقی المعاهد الإسلامیة من الاستیعاب و التخصص، مثال ذلک جامعة بولونیا التی اشتهرت فی القرن الثانی عشر بتوفر أساتذتها و طلبتها علی دراسة القانون الرومانی و وضع حواشیه الشهیرة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۷۲

و قد وفد إلی مصر عقب انتهاء الدولة الفاطمیة أبو القاسم الرعینی الشاطبی الضریر، المقرىء الشهیر المتوفی سنة ۵۹۰ ه و هو صاحب حرز الأمانی و وجه التهانی الذی ما زال إلی الیوم من أهم متون التجوید و القراءات.

و یظهر من عنایة الخلفاء الفاطمیین بالعلوم الریاضیة و الفلکیة و الطبیة و الجغرافیة أن تلک العلوم لا بد أن تکون قد درست فی الأزهر فی زمانهم، کما کانت تدرس فی دار الحکمة التی أسسها الحاکم بأمر اللّه سنة ۳۹۵ ه (۱۰۰۵ م).

و قد کان الأزهر فی زمن الفاطمیین موئل الثقافة الدینیة، و کان له الأثر الواضح فی تنمیة الحیاة العقلیة و الفکریة و تخریج علماء الدین و اللغة، و لکنه لم یکن له أثر فی توجیه الحیاة السیاسیة فی ذلک العصر، مثل ما ظهر له ظهورا جلیا فی الدولة المصریة بعد ذلک.

و لما انقرضت دولة الفاطمیین سنة ۵۶۷ ه و استولی صلاح الدین بن یوسف الایوبی علی ملک مصر، أنشأ بالقاهرة مدرسة للفقهاء الشافعیة، و أخری للفقهاء المالیکیة، و نحی قضاة مصر الشیعة کلهم، و ابتنی خلفاؤه من بعده المدارس المتنوعة و التی خصصت کل مدرسة منها بتدریس علوم خاصة، و تحولت الحرکة و النشاط العلمی فی الأزهر إلی تلک المدارس، و إن لم تنقطع الدراسة فیه، کما أسلفنا.

و فی زمن الظاهر بیبرس البندقداری من ملوک الجراکسة سنة ۶۶۵ ه أعاد للأزهر حیاته العلمیة و الدینیة. و أول ما درس به من مذاهب أهل السنة مذهب الإمام الشافعی رضی اللّه عنه، ثم أدخلت الیه المذاهب الأخری تباعا.

و اتجهت العنایة الکبری حینئذ لا تقان تدریس العلوم الدینیة بوجه خاص، و تسابقت همم الفحول فی إتقان آلاتها، من نحو و صرف و بلاغة، فنبغ بمصر أئمة أعلام یفتخر بهم الیوم العالم الإسلامی أجمع، کالإمام عز

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۷۳

الدین بن عبد السلام، و الإمام السبکی و أبنائه، و الشهاب القرافی، و ابن هشام، و السراج البلقینی، و جلال الدین السیوطی، و غیرهم من المصریین، و إبراهیم بن عیسی الاندلسی، و عز الدین عمر بن عبد اللّه عمر القدسی، و الإمام الاصبهانی، و الإمام الزیلعی، و ابن الحاج محمد العبدری الفاسی، و أبی حیان محمد بن یوسف الغرناطی، و تاج الدین التبریزی، و الحافظ العراقی، و الحافظ بن حجر العسقلانی، و علاء الدین الحموی، و الرضی الشاطبی، و محمد بن محمد البغدادی، و شیخ الإسلام زکریا الانصاری، و قاسم بن محمد التونسی، و غیرهم من الذین رحلوا من أقاصی الأرض لمصر لتعلم العلم بالأزهر.

و کانت العلوم العقلیة من ریاضیة و غیرها تدرس أیضا، و لسکن المشتغلین بها کانوا نزرا من الطلبة.

و فی أواخر القرن التاسع الهجری أصاب الأزهر ما أصاب المعاهد الأخری من الذبول و الرکود، و فقدت مصر استقلالها سنة ۹۲۲ ه-

(سنة ۱۵۱۷ م) فتقلص ظل النشاط و الازدهار العلمی، و انصرف کثیر عن العلوم العقلیة و الفلسفیة و الریاضیة و الجغرافیة، و أخذ القول بحرمتها یتسرب شیئا فشیئا حتی ترکت هذه العلوم من الأزهر، و بقیت مهجورة ینظر الیها نظرة السخط، حتی صدرت فتوی من شیخ الأزهر الشیخ الإنبابی و الشیخ محمد البنا مفتی مصر بجواز تعلمها، و عدم حرمة تدریسها.

و لا یفوتنا أن ننبه إلی أنه کان من العلماء فی عهد رکود الأزهر و جموده من یعرف کثیرا من العلوم العقلیة و الطبیة و غیرها زیادة علی العلوم الدینیة و العربیة، و هؤلاء لا یحصون، نذکر منهم علی سبیل المثال: الشیخ أحمد عبد المنعم الدمنهوری شیخ الأزهر المتوفی سنة ۱۱۹۲ ه فقد جاء فی سند إجازته ما ملخصه: أنه تلقی فی الأزهر العلوم الآتیة و له تآلیف فی کثیر منها، و هی: الحساب، و المیقات، و الجبر، و المنحرفات، و أسباب الأمراض و علاماتها، و علم الأسطرلاب و الزیج، و الهندسة، و الهیئة، و علم الأرتماطیقی، و علم المزاول، و علم الأعمال الرصدیة، و علم المواقیت

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۷۴

الثلاثة، و هی الحیوان و النبات و المعادن، و علم استنباط المیاه، و علاج البواسیر، و علم التشریح، و علاج لسع العقرب، و تاریخ العرب و العجم.

و مما لا ریب فیه أن العلوم الدینیة و العربیة کان لها الشأن الأول من العلوم نسبیا، و ما عداها من العلوم کالحکمة الفلسفیة و التصوف لم یکن یدرس فی الأزهر و لا بین جماهیره، و لکن کان له دراسة خاصة فی المنازل، أو الأروقة التابعة للأزهر.

و یحسن أن نثبت هنا وثیقة رسمیة لمشیخة الأزهر وضعتها بناء علی طلب الحکومة لتبعث بها إلی لجنة معرض باریس، و ذلک فی عهد الخدیوی إسماعیل سنة ۱۲۸۲ ه (۱۸۶۴ م).

و قد جاء فی هذه الوثیقة أن المواد التی کانت تدرس بالأزهر فی تلک العهد هی: الفقه، الأصول، التفسیر، الحدیث، التوحید، النحو، الصرف، المعانی و البیان و البدیع، متن اللغة، العروض و القافیة، الحکمة الفلسفیة، و التصوف، المنطق، الحساب، الجبر و المقابلة، الفلک و الهیئة.

و زادت المشیخة علی ذلک أنه یقرأ فی الأزهر، فضلا عن هذه المواد المتداولة، بعض مواد أخری کالهندسة و التاریخ و الموسیقی و غیرها لمن لهم اقتدار علی دراستها، بید أنه لا یشتغل بدراستها سوی القلیل.

الدراسة فی الأزهر قبل النظام

منذ أصبح الأزهر مدرسة جامعة، کان یسیر علی نظام سهل یکاد یکون فطریا، أساسه التقوی، و قوامه احترام الدین و أهله. و کان شیخ الجامع الأزهر المرجع الأعلی لمن کان فیه من أصغر طالب إلی أکبر عالم، کلمته هی العلیا، و إشارته حکم لا یتخطاه واحد منهم، یوزع الأحباس و الهبات، و یجیز العلماء و المدرسین، و کان إذا أشکل علیه أمر استشار فیه أکابر العلماء.

کان الطالب یدخل الأزهر مختارا بلا قید و لا شرط، و یختلف إلی من

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۷۵

أراد من العلماء لتلقی العلم عنه، و یبقی فیه ما شاء أن یقیم، فاذا آنس من نفسه علما کافیا، و ملکة یتمکن بها من إفادة غیره، استأذن أساتذته، و جلس للتدریس حیث یجد مکانا خالیا، و عرض نفسه علی الطلبة، فکانوا إذا لم یجدوا فیه الکفایة للإفادة انفضوا من حوله، و إذا وجدوه علی علم وثقوا به، و استمروا علی تلقی العلم عنه، و حینئذ یجیزه شیخ الأزهر إجازة.

و لما کان أساس التعلیم فیه دینیا ابتداء علی الطریقة التی کان السلف یدرسون علیها الدین، و علومه، فکانت الدروس تعقد به حلقات، یتصدر کل حلقة أستاذها، و قد یجلس علی کرسی لیتمکن من إسماع طلبته الکثیرین.

و کان عماد الدراسة إذ ذاک النقاش و الحوار بین الطلبة و أساتذتهم بما یثقف العقل و ینمی ملکة الفهم، و ظلوا علی ذلک مدة

طویلة إلی أن أقتضی الحال وضع قوانین خاصة للأزهر و طلبته و علمائه و إدارته و الدراسة فیه.

قوانین الأزهر

اشارة

أول قانون وضع للأزهر فی عهد إسماعیل والی مصر الأسبق سنة ۱۲۸۸ ه سنة ۱۸۷۲ م، و کان شیخ الأزهر وقتئذ الشیخ محمد المهدی العباسی.

و قد نظم هذا القانون طریقة نیل شهادة العالمیة، و بین مواد امتحانها، و قسم الناجحین فیها إلی ثلاث درجات: (أولی، و ثانیة، و ثالثة)، علی أن تصدر بذلک براءة ملکیة بتوقیع ولی الامر، و المواد التی بینها ذلک القانون و التی یدرسها الطلبة و یمتحنون فیها هی: الأصول، الفقه، التوحید، الحدیث، التفسیر، النحو، الصرف، المعانی، البیان، و البدیع، المنطق.

و لکن مما یؤسف له أن هذا القانون لم یستطع أن ینهض بالأزهر النهضة المرغوبة، و لم یتجاوز بمواد الامتحان لنیل شهادة العالمیة «الاحد

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۷۶

عشر علما »، مما یدل علی جمود الحرکة العلمیة، و فتور النشاط فیه.

و حدث بعد ذلک أن عین المرحوم الشیخ حسونة النواوی شیخا للأزهر. و کان الشیخ محمد عبده رحمه اللّه عضده و ساعده، فتعاونا علی إنهاض الأزهر من کبوته، و فی ذلک الحین وضع القانون الصادر بتاریخ ۲۰ المحرم سنة ۱۳۱۴ ه- ۱۸۹۶ م.

و قد لحظ واضعو هذا القانون من وجوه الاصلاح مارأوه کفیلا بإنهاض الأزهر، فأدخلوا فیه مواد جدیدة هی: الاخلاق، مصطلح الحدیث، الحساب، الجبر، العروض و القافیة، و جعل التاریخ الإسلامی، و الإنشاء، و متن اللغة، و مبادیء الهندسة، و تقویم البلدان و غیرها من مواد یفضل محصلها علی غیره، و یقدم علیه، و فک التقید بکتب دون أخری، و حرم قراءة الحواشی فی السنوات الأربع الاولی، و حرم التقاریر التی علی الحواشی، و بذلک نهض الأزهر نهضة مبارکة، لو ظلت علی حالها و لم تناهضها الاحداث لکان لها فی تاریخ الأزهر شأن یذکر، و لکنها کانت کلسان الشمعة أضاء حینا ثم انطفأ. فقد انفرط عقد النظام، و انهارت النهضة العلمیة بخروج الشیخ محمد عبده من مجلس إدارة الأزهر و وفاته سنة ۱۹۰۵ م.

و ما زالت تتوالی علی الأزهر القوانین و الأنظمة و اللوائح حتی سنة ۱۳۲۹ ه (۱۹۱۱ م) و لم تکن فی تلک القوانین و اللوائح ما یمس جوهر المواد الدراسیة، و إنما یتناول تنظیم بعض الحالات الداخلیة فی الأزهر، کحضور الطلاب، و صرف المرتبات، و منح کساوی التشریفات من ولی الأمر، و تعیین بعض المدرسین لدراسة الحساب و الجبر و الهندسة و الجغرافیا و الخط و غیر ذلک.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۷۷

قانون رقم ۱۰ سنة ۱۹۱۱ م:

یعتبر القانون رقم ۱۰ سنة ۱۹۱۱ م من أهم قوانین الأزهر فی ذلک العهد، حیث تناول الدراسة، و جعلها مراحل، و جعل لکل مرحلة نظاما و علوما، و زاد فی مواد الدراسة، و حدد اختصاص شیخ الجامع الأزهر، و أنشأ هیئة تشرف علی الأزهر تحت رئاسة شیخه تسمی مجلس الأزهر الأعلی، و أوجد هیئة کبار العلماء و جعل لها نظاما خاصا، و أن یکون لکل مذهب من المذاهب الأربعة التی تدرس فی الأزهر شیخ، و لکل معهد من المعاهد مجلس إدارة، و جعل للموظفین نظاما فی التعیین و الترقیة و التأدیب و الاجازات، و للطلاب شروطا فی القبول، و حدودا للعقوبات و المسامحات و نظم الامتحانات و الشهادات .

و نستطيع أن نبين بإيجاز الظروف و الأحوال التى مرت فيها هذه القوانين، و الثمرات التى جناها الأزهر منها. و المآخذ التى أخذت عليها، إلى أن وضع قانون سنة ۱۹۳۰ م المعدل بقانون سنة ۱۹۳۶ م.

أشرنا فيما سبق أن قانون سنة ۱۲۸۸ قد وضع حدا للفوضى و الارتباك الذى تورط فيه الأزهر فى ذلك الحين. و لكنه لم يستطع أن ينهض به إلى الغاية التى يرنو إليها محبو الإصلاح، و لم ينقله من جموده الذى استولى عليه، فبقى التعليم فيه كما كان مقصورا على العلوم الدينية و العربية و قليل من الهيئة و الميقات و الحساب للحاجة إليها فى مواقيت الصلات و المواريث.

و لم يتأثر الأزهر و لا مناهج الدراسة فيه بالنهضة العلمية التى بعثها محمد

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۷۸

على الكبير فى مصر، على حين أن الباشا قد وجد فى أبناء الأزهر المادة الأساسية التى أقام بها دعائم نهضته.

و رغم اقتصار الأزهر على هذه المواد فإن الطلبة كانوا يقضون فى تحصيلها مددا طويلة أقلها خمس عشرة سنة، و لا حد لأكثرها.

و مع أنها كانت تدرس فى كتب سقيمة من المختصرات التى لا تفهم إلا بشروح و حواش و تقارير، فإن الطلبة كانوا يقدرون على الاستقلال بدراسة الكتب و يقدرون على فهمها، و كانت تنمو فيهم ملكات البحث و الجدل. و لكن إذا وازنا بين الفائدة التى يجنيها الأزهر من التعليم التحاورى اللفظى و المزايا التى يفقدها من عدم عنايته بالعلوم الكونية التى لا بد منها فى تطبيق الأحكام الشرعية على وجهها الصحيح، لو وازنا بين ذلك أدركنا عدم قيام الأزهر بالثقافات التى تتطلبها حاجات العصر.

كل هذا كان يبعث أهل الغيرة من رجال الأمة و رجال الحكومة على تلمس وجوه الاصلاح، و لم يكن من الميسور أن يكون إصلاح الأزهر سهلا لاعتبارات تقليدية تاريخية. و لا من الجائز أن يسلك فى إصلاحه ما يسلك فى تنظيم المدارس المدنية. بل كان يجب أن يتناوله الاصلاح برفق، و أن يكون بإضافة القدر الضرورى من المعارف، و إصلاح طريقة التعليم، و باختيار الكتب، و بتوجيه هذه القوى الجبارة إلى جوهر العلم، و أسرار الدين، و أسرار العربية.

و هذا الذى أشرنا إليه هو الذى لاحظه واضعو قانون سنة ۱۸۹۶ فضمنوه من وجوه الإصلاح مارأوه كفيلا بإنهاض الأزهر، و كان من حسن الحظ أن الذى قام على تنفيذ هذا القانون مجلس إدارة يضم طائفة من العلماء خلصت نيتهم و توافرت لديهم وسائل التنفيذ، و هم المشايخ: حسونة النواوى، محمد عبده، سليم البشرى، عبد الكريم سلمان، سليمان العبد، أسبغ اللّه عليهم واسع رحمته و رضوانه ..

و قد أضاف هذا القانون مواد جديدة هى: الأخلاق، مصطلح الحديث، الحساب، الجبر، العروض و القافية.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۷۹

و جعل التاريخ الإسلامى و الإنشاء و متن اللغة و مبادىء الهندسة و تقويم البلدان، و غيرها من مواد يفضل محصلها على غيره و يقدم عليه، و فك التقيد بكتب دون أخرى، و حرم قراءة الحواشى فى السنوات الأربع الأولى.

و جعل من اختصاص مجلس الإدارة أن يعدل فى مواد التعليم طبقا لما يراه من المصلحة.

سار الأزهر على هذا النظام عشر سنوات سيرا متئدا متزنا، لم تطغ فيه المواد الجديدة على المواد القديمة، لأنها أخذت بمقدار يناسب حال الأزهر، و نشطت دراسة العلوم الدينية و العربية بما كان يعطى للطلاب من المكافآت السنوية، و بما كان ينشر بينهم من أفكار المرحوم الشيخ محمد عبده فى دروسه و مجتمعاته. و قد انفرط عقد النظام بخروج الشيخ محمد عبده من مجلس الإدارة ثم وفاته سنة ۱۹۰۵ رضى اللّه عنه، كما قدمنا.

جدت بعد ذلك أحداث و فتن، و عولت الحكومة على إنشاء مدرسة للقضاء الشرعى، فصدر بها قانون فى سنة ۱۹۰۷، و شعر الأزهريون بأن الحكومة أصبحت فى غنى عنهم، لأن لها مدرسة لتخريج معلمى العربية فى مدارسها و معاهدها، هى دار العلوم، و مدرسة لتخريج القضاة.

و خاف القائمون على الأزهر من تقلص ظله، و من عدم إقبال الناس عليه، حيث لم يبق بعد ذلك للعلماء إلا وظائف الإمامة و الخطابة

فى المساجد، ففكروا و فكر الناس معهم فى إعادة تنظيم الأزهر على مثال مدرسة القضاء، و مدرسة دار العلوم، بل على مثال يوجد للدراسة مواد أكثر و مناهج أطول. و انتهى الأمر بهم إلى وضع القانون رقم ۱۰ لسنة ۱۹۱۱ و كثر الاقبال على الأزهر، و وجدت معاهد أخرى فى عواصم المديريات، و بعض المحافظات، جرت على نهجه، و سارت عليها نظمه، حتى صار عدد الطلاب فى سنة ۱۹۱۷ م أكثر من عشرين ألفا.

و هذا القانون لم يخل من الفائدة، لأن تعلم التاريخ و الجغرافيا و الرياضة و مبادىء الطبيعة و الكيمياء قرب طلبة الأزهر من تلاميذ المعاهد

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۸۰

الأخرى، و غير عقليتهم، و وسع أفقهم، و إدخال المطالعة و المحفوظات و الإنشاء أوجد من أهل الأزهر عددا كبيرا من الكتاب و الشعراء، و مكن لهم من القدرة على الخطابة و الوعظ.

و هذه الفائدة التى أفادها القانون رقم ۱۰ لسنة ۱۹۱۱ تعد ضئيلة بجانب الضرر الذى نجم عنه، فقد اضطر الطلاب ليفوزوا بالنجاح فى الامتحان التحريرى إلى أن يعتمدوا على الحفظ و الاستظهار، و استهانت المعاهد بالامتحان الشفوى.

و قد شعر المهيمنون على التعليم فى الأزهر منذ وضع ذلك القانون بأن الأزهر أخذ يفقد أهم خصائصه و مميزات تعليمه، و لم تخل تقارير المفتشين فى سنة من السنوات من الشكوى من اعتماد الطلبة على الاستظهار، و من ضعف ملكاتهم العلمية. و قد توالت على هذا القانون تعديلات آخرها التعديل الذى أدخل عليه بالقانون رقم ۴۹ لسنة ۱۹۳۰ و هو أظهر تعديل طرأ عليه، ففى هذا القانون قسم التعليم العالى إلى ثلاث كليات: واحدة لعلم أصول الدين، و ثانية لعلوم الشريعة، و ثالثة لعلوم اللغة العربية، و أوجد تخصصا سمى تخصص المادة، و آخر سمى تخصص المهنة.

و قد كان الغرض من هذا تفرغ كل طائفة من التلاميذ فى التعليم العالى و التخصص لطائفة من المواد الكثيرة التى كانت تدرس مجتمعة حتى يتيسر إتقان الدرس و الفهم، و إتقان التحصيل. و مع هذا ظلت الشكوى قائمة، و ظهر أن الداء الذى يجب أن يحسم و يستأصل هو ضعف الطلبة فى القسم الثانوى بسبب كثرة المواد، و بسبب طول المناهج فى بعض المواد التى لا يحتاج الطالب فى الأزهر إلى طول المناهج فيها. فهذه الكثرة و هذا الطول لم يدعا وقتا لفهم الدروس و تمثيلها، و لم يدعا وقتا لطول التفكير و البحث و الجدل، و تنمية ملكات العلوم و الاستنباط

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۸۱

القانون رقم ۴۹ لسنة ۱۹۳۰:

صدر هذا القانون فى عهد المغفور له الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى شيخ الجامع الأزهر (۱۹۲۹- ۱۹۳۵) و قد أنشئت بمقتضاه الكليات الثلاث القائمة الآن بالأزهر، و هى كليات اللغة العربية، و أصول الدين، و الشريعة.

و قد نص فيه على جواز إنشاء كليات أخرى.

و يعد هذا القانون بحق أول خطوة رسمية فى تمكين الجامع الأزهر من مسايرة التقدم العلمى و الاجتماعى فى العصر الحاضر، و فى تزويد طلابه بما يجب أن يحيط به رجل الدين الحديث من العلوم و من الاتجاهات.

و قد افتتحت هذه الكليات فى الأماكن التى أعدت لها مؤقتا لحين الانتهاء من الابنية الفخمة التى خصصت لها. فتم ذلك فى يومين مشهودين فى حياة الأزهر، هما يوما ۱۷ و ۱۸ مارس سنة ۱۹۳۳.

و قد جعل هذا القانون التعليم فى الأزهر أربع مراحل:

۱- ابتدائى و مدته أربع سنوات، و يدرس فيه من المواد ما يلى:

الفقه، الأخلاق الدينية، التجويد، استذكار القرآن الكريم، التوحيد، السيرة النبوية، المطالعة و المحظوظات، الانشاء، النحو، الصرف، الاملاء، الخط، التاريخ، الجغرافيا، الحساب، الهندسة العملية، مبادىء العلوم، تدبير الصحة، الرسم.

۲- ثانوى و مدته خمس سنوات، و تمنح منه شهادة الثانوية قسم أول، و «شهادة الثانوية قسم ثان» و يدرس فيه من المواد ما يلى:

الفقه، التفسير، الحديث، التوحيد، استذكار القرآن الكريم، النحو،

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۸۲

الصرف، البلاغة (البيان و البديع و المعانى)، العروض و القافية، المطالعة و المحفوظات، الانشاء، أدب اللغة، الرياضة (الحساب و الهندسة و الجبر)، العلوم (الطبيعة و الكيمياء و التاريخ الطبيعى)، المنطق، التاريخ، الجغرافيا، الأخلاق، التربية الوطنية.

۳- عال و مدته أربع سنوات، و ينقسم إلى ثلاث كليات:

۱- كلية اللغة العربية، و يدرس فيها من المواد ما يلى:

النحو، الوضع، الصرف، المنطق، علوم البلاغة، الآداب العربية و تاريخها، تاريخ العرب قبل الإسلام و تاريخ الأمم الإسلامية، التفسير، الحديث، الأصول، الإنشاء، فقه اللغة.

ب- كلية الشريعة. و يدرس فيها من المواد ما يلى:

التفسير، الحديث متنا و رجالا و مصطلحا، أصول الفقه، تاريخ التشريع الإسلامى، الفقه مع مقارنة المذاهب فى المسائل الكلية و حكمة التشريع، أدب اللغة العربية، علوم البلاغة. المنطق.

ج- كلية أصول الدين. و يدرس فيها من المواد ما يلى:

التوحيد مع إيراد الحجج و دفع الشبه خصوصا الذائع فى العصر منها:

المنطق و المناظرة، الفلسفة مع الرد على ما يكون منافيا للدين منها، الأخلاق، التفسير، الحديث، آداب اللغة العربية و تاريخها، تاريخ الإسلام، علم النفس، علوم البلاغة.

۴- التخصص و هو على نوعين: تخصص فى المهنة، و تخصص فى المادة، و الغرض من التخصص فى المهنة، هو إعداد علماء يقومون بمهنة الوعظ و الارشاد أو الوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية، و الافتاء و المحاماة، أو التدريس فى المعاهد الدينية و مدارس الحكومة.

و الغرض من التخصص فى المادة: إعداد علماء متفوقين فى العلوم الأساسية لكل كلية من الكليات الثلاث.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۸۳

و يعين حاملو شهادة هذا القسم فى وظائف التدريس بالكليات، و بأقسام التخصص و هناك علاوة على ذلك أقسام غير نظامية يسمح فيها بدخول الطلبة الذين لم تتوافر فيهم شروط القبول بالأقسام النظامية، و كذلك أفراد الجمهور للتوسع فى دراسة اللغة العربية و العلوم الدينية.

قانون رقم ۲۶ لسنة ۱۹۳۶:

و رأى الشيخ محمد مصطفى المراغى عقب توليته شيخا للأزهر سنة ۱۹۳۵ م أن يضع مشروع قانون لإصلاح الأزهر يفى بالأغراض التى تحقق آمال المسلمين فيه، و ترجع به إلى عصوره الزاهرة من البحث العلمى السليم و التفكير الحر، و دراسه الفنون التى تتفق مع طابعه القديم. و تطابق مقتضيات العصر و تلبى مطالبه، و قد وضع ذلك المشروع، و تقدم به لولى الأمر فصدر به مرسوم بقانون تحت رقم ۲۶ لسنة ۱۹۳۶، و قد وضع بجانبه مذكرة إيضاحية بين فيها الأغراض التى قصد إليها فى مشروعه. و نحن نثبت هنا بعض ما جاء فى المذكرة فى هذا الصدد:

«إننا إذ نحاول إصلاح الأزهر نريد أن نوجد طالبا يفهم مسائل العلوم فهما صحيحا، و يفهم أغراضها وصلتها بأدلتها، وصلتها بعضها ببعض، و يستطيع التطبيق على الجزئيات، و يستطيع الاستنباط و التدليل، و يستطيع فهم الكتب القديمة التى ألفت فى العصور المختلفة فى جميع الفنون الإسلامية.

«و إنى على بغضى لأكثر الكتب التى ألفت فى العصور المتأخرة، أكره من الطلاب أن يعجزوا عن فهمها. لأن فيها خيرا كثيرا، و دقائق لا يصح الجهل بها. لذلك أحب أن يستطيع الطلاب فهمها، و يقدروا على حلها.

«نعم إنى لا أحب أن تدرس العلوم على هذه الكتب، بل أحب أن توجد كتب فى جميع الفنون الحديثة على أسلوب عربى صحيح مناسب لأذواق الأجيال الحاضرة تهذب فيه المسائل على أحسن ما وصل إليه

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۸۴

التحقيق العلمى، و أن تحيا الكتب القديمة الجيدة فى الأسلوب و الوضع.

فهذا الميراث العظيم يجب أن يؤخذ كله سلسلة متصلة الحلقات.

«هذا الذى نحاوله بالتجديد يجب على ما أرى أن يضعه الناس أمامهم، و أن يجدوا للوصول إليه، و هو غاية يقل فى جانبها كل جهد، و يرخص فى سبيلها كل ما يبذل للوصول إليها. و لقد كان أسلافنا أشد الناس عناية بالعلم، فلم يمض الزمن القليل حتى أخذوا علم اليونان و أدب الفرس و حكمة الهند، و استعانوا بذلك كله فى تفسير القرآن، و فى وضع علم الكلام على الأسس التى نراها فى مثل المواقف و المقاصد، و استعانوا به فى تنظيم مسائل العلوم جميعها، فلم يخل علم من أثر الفلسفة و المنطق. و لقد كانت لهم محاولات جديرة بالاعجاب فى التوفيق بين الدين و نظريات الفلسفة. و قد أخذ العلم يسير فى هذا العصر سيرة جديدة، و تغيرت نظريات الفلسفة و حدثت نظريات أخرى، و كان من شأن ذلك كله أن توجه على الأديان جملة، و على الإسلام خاصة، حملات، و صار من الواجب الحتم على علماء المسلمين أن يحيطوا علما بكل ما يوجه إلى الأديان عامة، و إلى الإسلام خاصة من مطاعن، و أن يردوا تلك المطاعن التى توجه إلى الإسلام، و يذودوا عن عقيدتهم بأدلة ناصعة، و أسلوب مقنع ممتع، ليجنبوا المتعلمين تعليما مدنيا الشبه الزائفة، و ليضموا إلى الإسلام أفرادا و شعوبا من الأمم التى تتطلع إلى الإسلام، و تبتغى الوقوف على خصائصه و مزاياه. و هذا لا يتم لهم على ما ينبغى إلا- بالاتصال بغيرهم اتصالا- علميا و بتعرف اللغات الحية التى يكثر فيها الإنتاج العلمى، و التى يتناول بها العلماء مسائل الإسلام و مسائل اللغة العربية. لذلك وجب أن يكون لأهل الأزهر نصيب من هذه اللغات. و هناك فائدة أخرى لتعليم اللغات، و هى أنها تساعد على معرفة طريقة وضع الكتب، و على معرفة الاسلوب الحديث فى التأليف و التفكير، و طريقة عرض المسائل على أنظار المتعلمين.

«و لا ندعى أن إصلاح القانون، و تنفيذ هذا المشروع، يحقق

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۸۵

الأغراض التى نرمى إليها، و يوجد الطالب الأزهرى الذى نبتغيه، بل إن الذى يحقق هذه الأغراض الرغبة الصادقة فى التعليم، و العزيمة القوية على احتمال الجهد و الصبر لقطع مراحل التعليم فى هدوء و طمأنينة، و الإيمان بأن العلم عزيز يقتنى، و حلية للنفس، و متعة للعقل، و جمال لمن يتصف به، و الحرص على الإفادة و التعليم، و الإيمان بأن ذلك فرض للعلم واجب للّه و لرسوله و للمؤمنين، و الشعور بلذة الإنفاق منه يزيد فى الثروة، و يشبع نهم النفس التواقة إلى الغنى، و أن هذه الثروة خير مما هو مخزون فى خزائن الأغنياء. و عند النظر فى مواد التعليم لإصلاح القانون رقم ۴۹ لسنة ۱۹۳۰ و القانون رقم ۳۷ لسنة ۱۹۳۳ رئى إدماجهما معا، كما رئى أيضا أن يشمل الإصلاح الأبواب الأخرى من هذين القانونين، فتم ذلك، و تألف منهما هذا المشروع».

الدراسة فى الأزهر الحديث

جعل قانون ۱۹۳۶ التعليم فی الأزهر أربع مراحل:

۱- ابتدائی و مدته أربع سنوات، و يدرس فيه من المواد ما يلی:

علوم دينية: الفقه، التوحيد، السيرة النبوية، و سيرة كبار الصحابة، تجويد القرآن الكريم.

علوم اللغة العربية: الإنشاء، النحو، الصرف، الاملاء، المطالعة، المحفوظات.

علوم أخرى: التاريخ، الجغرافيا، الرياضة، تدبير الصحة، الرسم، الخط.

۲- ثانوی و مدته خمس سنوات، و يمنح منه شهادة واحدة هی شهادة اتمام الدراسة الثانوية، و يدرس فيه من المواد ما يلی:

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۸۶

علوم دينية: الفقه، التفسير، الحديث متنا و مصطلحا، التوحيد.

علوم اللغة العربية: النحو، الصرف، البلاغة: البيان و المعانی و البديع، و الإنشاء، أدب اللغة، العروض و القافية، المطالعة، و المحفوظات.

علوم أخرى: المنطق و أدب البحث، الطبيعة، الكيمياء، علم الحياة، الجغرافيا.

۳- الكليات و هی ثلاث:

كلية الشريعة و تتبعها الأقسام الآتية:

أ- شهادة الدراسة العالية و مدتها أربع سنوات. و المواد التی تدرس للحصول عليها:

التفسير: الحديث متنا و رجالا و مصطلحا، أصول الفقه مع حكمة للتشريع و مقارنة المذاهب فی المسائل الكلية، تاريخ التشريع الإسلامی، المنطق، الفلسفة، لغة أجنبية (الانجليزية أو الفرنسية) و تدرس بصفة اختيارية.

ب- شهادة العالمية مع إجازة القضاء. و المواد التی تدرس للحصول عليها بعد النجاح فی الشهادة العالية: قوانين و لوائح المحاكم الشرعية و الأوقاف و المجالس الحسبية، التوثيقات الشرعية، إجراءات و تمرينات قضائية، و دراسة القضايا ذات المبادیء، السياسة الشرعية، القانون الدولی الخاص، تاريخ القضاء و القضاة فی الإسلام، النظام الدستوری للدولة، محاضرات فی مبادیء الاقتصاد، محاضرات طبية، محاضرات فلكية، لغة أجنبية اختيارية، و هی التی درست فی الكلية.

ج- شهادة العالمية من درجة أستاذ فی الفقه و الأصول. و المواد التی

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۸۷

يتخصص فيها للحصول عليها بعد النجاح فی الشهادة العالية: الأصول الفقه مع حكمة التشريع و مقارنة المذاهب، و تاريخ التشريع الإسلامی.

كلية أصول الدين، و تتبعها الأقسام الآتية:

أ- شهادة الدراسة العالية فی أصول الدين. و العلوم التی تدرس للحصول عليها هی:

التوحيد، التفسير، الحديث متنا و مصطلحا و رجالا، المنطق و أدب البحث، الأخلاق، الفلسفة، الأصول، التاريخ الإسلامی، علم النفس، لغة أجنبية (الانجليزية أو الفرنسية).

ب- شهادة العالمية مع الإجازة فی الدعوة و الإرشاد. و المواد التی تدرس للحصول عليها بعد النجاح فی الشهادة العالية هی:

القرآن الكريم و علومه، الحديث الشريف و علومه، الدعوة إلی سبيل اللّه و وسائلها، الخطابة و المناظرة، الملل و النحل و المذاهب الفقهية و تواريخها، البدع و العادات، اللغة الأجنبية التی درست فی الكلية، لغة شرقية.

ج- شهادة العالمية مع درجة أستاذ فی التوحيد و الفلسفة. و المواد التی تدرس للحصول عليها بعد النجاح فی الشهادة العالية و هی: التوحيد، المنطق، الفلسفة، الأخلاق.

د- شهادة العالمية مع درجة أستاذ فی علوم القرآن الكريم و الحديث الشريف.

ه- شهادة العالمیة، مع درجة أستاذ فی التاریخ الإسلامی.

کلیة اللغة العربیة، و تتبعها الأقسام الآتیة:

أ- شهادة الدراسة العالیة فی اللغة العربیة.

ب- شهادة العالمیة مع لإجازة فی التدریس.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۸۸

ج- شهادة العالمیة من درجة أستاذ فی النحو.

د- شهادة العالمیة من درجة أستاذ فی البلاغة و الأدب.

قانون الأزهر الجدید لعام ۱۹۶۱

وافق مجلس الأمة علی القانون الجدید لتنظیم الأزهر و تطویره مع الاحتفاظ له بطابعه و بخصائصه و صفته، عالج القانون مشکلات الأزهر فی صمیمها.

المذکرة الإیضاحیة:

لقد قام الأزهر بدور عظیم فی تاریخ العلم، و فی تاریخ الإسلام، و فی تاریخ العروبة. و فی تاریخ الکفاح القومی علی توالی العصور و وقف قلعة شامخة فی وجه کل المحاولات التی قصد منها استعبادنا و السیطرة علینا و تحطیم کیاننا القومی و الروحی.

و کانت التقالید العلمیة فی الأزهر أساسا للنظام الجامعی و التقالید الجامعیة فی کل بلاد الدنیا، فهو أقدم جامعة فی العالم و إن لم یکن اسمه بین أسماء جامعاتنا.

و من علم الأزهر شع نور الإسلام فی بلاد کثیرة من إفریقیا و من آسیا و زاد عدد المسلمین عشرات الملایین. و کانت بعوث الأمم المختلفة إلی الأزهر سببا لتوثیق علاقاتنا ببلاد کثیرة و شعوب متعددة منذ أقدم العصور إلی الیوم، و قد اکتسب اسم الأزهر بذلک قدسیة، و اکتسب المنتسبون إلیه احتراما، و صار رأیه الرأی فی کل ما یتعلق بالعقیدة و الشریعة، و صار هو الجامعة الإسلامیة الکبری فی الشرق و الغرب، لا یطلب أحد علوم الإسلام إلا عن طریق الأزهر، و لا تتجه قلوب المسلمین فی مشارق الأرض و مغاربها إلی معهد یفد إلیه أولادهم للتزود من أسباب المعرفة غیر الأزهر.

علی أن التزام الأزهر الوقوف قرونا طویلة فی وجه کل محاولات العدوان قد ألزمه نوعا من المحافظة لعلها کانت بعض خصائص الموقف

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۸۹

الدفاعی الذی التزمه خلال تلک القرون، فلما نشطت الحیاة حوالیه و زالت الأسباب التی کانت تضطره إلی المحافظة و التزمت لم یجد الوسیلة الملائمة التی تعینه علی الحرکة المتجددة التی تلائم بینه و بین عصره مع احتفاظه بخصائصه و قیامه بواجبه لحیاطة الدین و المحافظة علی تراث الإسلام، من ذلک أن خریجیه لم یزالوا حتی الیوم- فیما یریدون لأنفسهم أو فیما یصفهم غیرهم- رجال دین، لا یکادون یتصلون بعلوم الدنیا اتصال النفع و الانتفاع، و الإسلام فی حقیقته الأصیلة لا یفرق بین علم الدین و علم الدنیا، لأنه دین اجتماعی ینظم سلوک الناس فی الحیاة لیحیوا حیاتهم فی حب اللّه عاملین مؤثرین فی المجتمع فی ظل طاعة اللّه، و لأن الإسلام یفرض علی کل مسلم أن یأخذ بنصیبه من الدین و الدنیا، فکل مسلم یجب أن یکون رجل دین و رجل دنیا فی وقت معا، و اللّه فی یقین المسلم أقرب إلیه من حبل الورید، یجیب دعوة الداعی إذا دعاه، فلیس فی حاجة إلی شفیع أو وسیط یقربه إلیه.

علی أن العالم الإسلامی الیوم قد انفسح مداه و اتسع نطاقه و أطل علی آفاق فکر جدیدة و وضعته الظروف السیاسیة التی تمر به وضع الاختبار فی مجالات شتی. و أکثره قد خرج منذ قریب من تحت النیر الاستعماری و فی نفوس أهله آمال ضخمة لاستکمال أسباب تحرره و نهضته و الارتفاع بمستوی معیشته.

و کانت الثقافات الاستعماریة تحاول طوال السنین التی یسیطر فیها الاستعمار علی العالم الإسلامی أن تلون أفکار أهله و عقائدهم و أن تضع فی نفوسهم موازین جدیدة و قیما جدیدة یمکن أن تباعد بینهم و بین الإسلام.

فلو لا طبیعة المقاومة فی نفوس المسلمین لسحقتهم المحاولات المتوالیة خلال تلک السنین و أخرجتهم عن دینهم، و لعلها قد بلغت من ذلک مبلغا ما حین أوقعت فی أذهان کثیر منهم أن الإسلام عبادة و قربی إلی اللّه و فناء فی اللّه، و أن العمل للحیاة شیء آخر یختلف عن الدین أو یتعارض مع الدین.

و ربما أوقعت فی أذهان بعضهم کذلک أن المذاهب الاجتماعیة المستحدثة

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۹۰

تضمن للبشر سعادة و رفاهیة لا یکفل مثلها الإسلام، و ربما لا یکفلها غیر الإسلام من الأدیان السماویة.

و فی کثیر من البلاد التی تخلصت حدیثا من ربقة الاستعمار رغبة فی التخطیط و العمل و الإنتاج فی مجالات الصناعة و التجارة و التعدین و التعلیم و الصحة و غیرها من أسباب النهوض، و هی حین تلتمس الخبراء فی کل نوع من أنواع هذا النشاط لا تکاد تجد إلا أجانب عن بیئتها و دینها من المواطنین أو من غیر المواطنین، و حین تلتمس من المواطنین خبراء یملکون مع الخبرة معارف دینیة صحیحة و عقیدة واعیة لا- تکاد تعرف أین توفدهم لیتعلموا و یستفیدوا الخبرة و المعرفة و العقیدة. و هی عناصر ثلاثة ضروریة لتستکمل هذه البلاد نهضتها و تمضی فی وجهها علی الطریق السوی و إذ کان الأزهر وحده هو المعهد أو الجامعة التی یحرص المسلمون وراء الحدود علی ان یقنع فیه أبناؤهم لهذه المسئولیات فقد کان من الطبیعی أن یکون نظام الأزهر و علی الأزهر بحیث تعد هؤلاء الخبراء مستکملین لکل العناصر التی تهیئهم لحمل أعباء النهضة فی بلادهم.

أو لکن الأزهر إذ یعد علماء فی الدین و فی لغة القرآن لم یتهیأ بعد لتأهیل العالم الدینی المتخصص فی عمل من أعمال الخبرة و الإنتاج التی تحتاج إلیها نهضة المسلمین فی کل البلاد. و حین تنبهت بعض البلاد الإسلامیة إلی هذه الحقیقة المؤسفة فحولت بعثاتها کلها أو بعضها إلی الجامعات المدنیة فی الجمهوریة العربیة المتحدة أو فی غیرها من البلاد، عاد إلیها مبعوثوها بعد إتمام دراستهم و هم یملکون الخبرة و لا یکادون یعرفون الدین، فی حین یعود المبعوثون منهم إلی الأزهر و قد حصلوا من علوم الدین و علوم القرآن حظا کبیرا، و لکنهم لا یحسنون عملا و لا یطیقون إنتاجا و لا یقدرون علی المشارکة فی لون من ألوان النهضة التی أشرنا إلیها آنفا. و بهؤلاء و أولئک تعقدت الحیاة الاجتماعیة فی کثیر من بلاد العالم الإسلامی و تعثرت النهضة فی تلک البلاد.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۹۱

و من حسن الحظ أن یجمع کل أهل الغیرة فی کل البلاد الإسلامیة علی رأی واحد فی هذه المشکلة هو أن یعرف عالم الدین علوما أخری یعیش بها و یشارک بها فی النهضة لیرتفع مقام الدین عن أن یکون حرفة أو أن یکون سببا للتعطل و الضیاع فی المجتمع، و سبیل ذلک أن تتطور معاهد الدراسات الإسلامیة العالیة بحیث تواجه احتیاجات النهضة فلا تقتصر علی الدراسات الدینیة بل یجب أن تجمع إلیها علوما أخری تتحقق بها لکل خریج الخبرة و المعرفة و سلامة العقیدة لیعود هؤلاء الخریجون إلی مراکز القیادة فی کل مجال من مجالات النشاط فی العالم الإسلامی المتحرر.

هذه الحقائق المسلم بها لا- تکاد تجد لها صورة صحیحة فی خریجی الأزهر لعصرنا، و من ثم کان نوع من الانعزال بینهم و بین المجتمع الذی یعیشون فیه. و نشأت مشکلة تعطل کبیرة بین هؤلاء الخریجین زادتهم انعزالا عن المجتمع. و أعقبت هذه المشکلة آثارا کبیرة فی نفوس الأزهریین و فی نفوس الشعب جمیعا، کما کان لها أثرها فی قوة العقیدة فی نفوس هؤلاء و أولئک، أما فی نفوس

الأزهريين فذلك أن خريج الأزهر حين يتعطل يمكن أن يقع فى وهمه أحد أمرين: إما أن عالم الدين مآله التعطل و الهوان، فيصيبه و هن العقيدة قبل أن يصيب غيره، و إما أن الدولة لا تعترف به و الشعب يحاربه، فيعتزل الدولة و المجتمع.

و أما فى نفوس الشعب فإن الناس لا يكادون يعرفون الدين إلا من صورة عالم الدين، فإذا كان عالم الدين على ما وصفنا فما أسرع أن يرين الشك على بعض القلوب و تفسد بعض العقائد.

من ذلك أو من بعضه يكون و هن العقيدة و تكون بعض صور الانقسام فى المجتمع، و يكون تعقد نفوس كثيرة، و يكون سوء ظن بعض المواطنين ببعض، و سوء رأى بعض المواطنين فى بعض.

و يمكن أن نلحظ مثل هذا الشعور فى بلاد أخرى وراء حدود وطننا، إذ كان مآل كثيرين من المبعوثين من تلك البلاد إلى الأزهر بعد أن عادوا

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۹۲

إلى بلادهم مثل مصير خريجى الأزهر فى بلادنا، فانتقلت هذه الآثار إلى مجتمعهم و كاد مجتمعهم يفقد ثقته بالأزهر، و يوشك هذا الشعور إن عم أن يقطع كثيرا من الأواصر بيننا و بين تلك البلاد.

من أجل ذلك جميعه كان لا بد من تجديد الأزهر و تطويره و الاعتراف بمكانته و أثره مع الاحتفاظ له بطابعه و خصائصه و صفته التى استحق بها أن يبقى مسيطرا على تاريخنا و على العلاقات الوثيقة بيننا و بين إخوان لنا فى شرق الأرض و غربها أكثر من ألف سنة.

و قد تكررت محاولات لمثل هذا الغرض منذ أكثر من نصف قرن، و لكنها جميعا لم تنفذ إلى صميم المشكلة و لم تحاول علاجها جذريا، فكانت قشورا من الإصلاح لعل بعضها كان أسوأ أثرا.

و لعلاج المشكلة من صميمها كان لا بد من تقرير مبادىء لتكون أساسا لكل محاولة إصلاح.

و على أساس المبادىء التى انتهينا إلى تقريرها كان مشروع الإصلاح الذى يتضمنه هذا القانون. و هذه المبادىء هى:

أولا: أن يبقى الأزهر أو أن يدعم، ليظل أكبر جامعة إسلامية و أقدم جامعة فى الشرق و الغرب.

ثانيا: أن يظل كما كان منذ أكثر من ألف سنة حصنا للدين و العروبة، يرتقى به الإسلام و يتجدد و يتجلى فى جوهره الأصيل و يتسع نطاق العلم به فى كل مستوى و فى كل بيئة و يذاد عنه كل ما يشوبه و كل ما يرمى به.

ثالثا: أن يخرج علماء قد حصلوا كل ما يمكن تحصيله من علوم الدين و تهيئوا بكل ما يمكن من أسباب العلم و الخبرة للعمل و الإنتاج فى كل مجال من مجالات العمل و الإنتاج فلا تكون كل حرفتهم أو كل بضاعتهم هى الدين.

رابعا: أن تتحطم الحواجز و السدود بينه و بين الجامعات و معاهد

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۹۳

التعليم الأخرى و تزول الفوارق بين خريجيه و سائر الخريجين فى كل مستوى، و تتكافأ فرصهم جميعا فى مجالات العلم و مجالات العمل.

خامسا: أن يتحقق قدر مشترك من المعرفة و الخبرة بين المتعلمين فى جامعة الأزهر و المعاهد الأزهرية و بين سائر المتعلمين فى الجامعات و المدارس الأخرى- مع الحرص على الدراسات الدينية و العربية التى يمتاز بها الأزهر منذ كان- لتتحقق لخريجى الأزهر الحديث وحدة فكرية و نفسية بين أبناء الوطن، و يتحقق بهم للوطن و للعالم الإسلامى نوع من الخريجين مؤهل للقيادة فى كل مجال من المجالات الروحية و العلمية.

سادسا: أن توحد الشهادات الدراسية و الجامعية فى كل الجامعات و معاهد التعليم فى الجمهورية العربية المتحدة.

على أساس هذه المبادىء أعد مشروع القانون المرافق لتنظيم الأزهر فاحتفظ له بكيانه و صفته و خصائصه العلمية، و جعلت الهيئات التى يتكون منها خمسا هى:

۱- المجلس الأعلی للأزهر.

۲- مجمع البحوث الإسلامیة.

۳- إدارة الثقافة و البعوث الإسلامیة.

۴- جامعة الأزهر.

۵- المعاهد الأزهریة.

أما المجلس الأعلی للأزهر، فهو الهیئة التی تحمل مسئولیات التوجیه فی کل شئون الأزهر و تخطط لأنواع النشاط فی هیئاته المختلفة، و تتابع تنفیذ سیاسة البحث و سیاسة التعلیم فی أجهزته المختلفة، و یرأسها الأستاذ الأکبر شیخ الجامع الأزهر، و یشترک فی عضویتها إلی جانب الکبار من العلماء- متخصصون و ذوو خبرة فی التعلیم و فی الإدارة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۹۴

و أما مجمع البحوث الإسلامیة فوضع نظامه بحیث یکون هو الهیئة العلیا للبحوث الإسلامیة، یقوم بالدراسة فی کل ما یتصل بهذه البحوث، و یعمل علی تجدید الثقافة الإسلامیة و تجریدها من الفضول و الشوائب و تجلیتها فی جوهرها الأصیل الخالص و توسیع نطاق العلم بها لکل مستوی و فی کل بیئة و بیان الرأی فیما یجد من مشکلات مذهبیة أو اجتماعیة تتصل بالعقیدة، و حمل تبعة الدعوة إلی سبیل اللّه بالحکمة و الموعظة الحسنة، و جعل من مهمة هذا الجمع کذلک أن یتتبع ما ینشر عن الإسلام و التراث الإسلامی من بحوث الأجانب و دراساتهم، للانتفاع بما فیها من رأی صحیح أو مواجهتها بالتصحیح و الرد. کما یقوم المجمع علی رسم نظام بعوث الأزهر إلی العالم الإسلامی و من العالم الإسلامی، کما یعاون فی توجیه الدراسات الإسلامیة العلیا لدرجتی التخصص و العالمیة فی جامعة الأزهر و الإشراف علیها و المشارکة فی امتحاناتها، و جعلت شروط العضویة فی هذا المجمع تضم أصلح العناصر لأداء مهمته.

و أما إدارة الثقافة و البعوث الإسلامیة فهی الجهاز الذی یهیء لمجمع البحوث الإسلامیة کل أسباب البحث و الدراسة فی الموضوعات التی تتصل باختصاصته، کما تقوم بالإعداد و التحضیر لهذه البحوث و الدراسات و تحمل المسئولیة الکاملة للمتابعة و التنفیذ، و تضع نتائج هذه البحوث و الدراسات موضع الانتفاع العام، سواء فی المجالات الثقافیة العامة أو فی فروع الدراسات الأزهریة. و تقوم هذه الإدارة کذلک علی إعداد مشروعات البعوث من الأزهر و إلیه، و تحمل مسئولیة التنفیذ بالنسبة لهذه البعوث و تقوم نتائجها.

و أما جامعة الأزهر فقد وضع مشروعها علی أساس أن تختص بکل ما یتعلق بالتعلیم العالی فی الأزهر، و بالبحوث التی تتصل بهذا التعلیم أو تترتب علیه، کما نهتم ببعث التراث العلمی و الفکری و الروحی للشعوب الإسلامیة و العربیة، و تعمل علی تزوید العالم الإسلامی و الوطن العربی

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۱۹۵

بالعلماء العاملین الذین یجمعون إلی التفقه فی العقیدة و الشریعة و لغة القرآن، کفایة علمیة و عملیة و مهنیة تؤهلهم للمشارکة فی کل أنواع النشاط و الإنتاج و الریادة و القدوة الطیبة و الدعوة إلی سبیل اللّه بالحکمة و الموعظة الحسنة، کما تعنی بتوثیق الروابط الثقافیة و العلمیة مع الجامعات و الهیئات العلمیة و الإسلامیة و العربیة و الأجنبیة. و قد نص القانون فی المادة ۳۴ علی الکلیات التی تشملها جامعة الأزهر و هی:

کلیات الدراسات الإسلامیة، و کلیة الدراسات العربیة، و کلیة المعاملات و الإدارة. و کلیة الهندسة و الصناعات، و کلیة الزراعة، و کلیة الطب، مع النص علی جواز إنشاء کلیات أخری کلما دعت الحاجة، و طبیعی أن هذه الکلیات کلها أو بعضها لا یمکن أن تکون صورة مکررة للکلیات القائمة الآن فی الأزهر أو فی الجامعات الأخری، إذ لا بد أن تتحقق لها مع صفتها العامة صفة تلائم الصفة

الخاصة بجامعة الأزهر، بحيث يكون فيها إلى جانب الدراسات الفنية الخاصة، دراسات إسلامية و دينية تتحقق بها للطالب ثقافة دينية عميقة و واعية إلى جانب الثقافة المهنية التى يحصلها نظراؤه فى الكليات المماثلة فى الجامعات الأخرى، و بحيث تتاح لخريجيها بعد الحصول على درجة الإجازة العالية (الليسانس أو البكالوريوس) من أية كلية من كلياتها دراسة عليا فى مادة التخصص أو فى مادة من مواد الدراسات الإسلامية و العربية العالية للحصول بها على درجة التخصص أو العالمية (الماجستير أو الدكتوراه) فى مادة الدراسة، و ليس مثل هذا النظام مستحدثا فى تاريخ الأزهر و الجامعات الإسلامية، فإن أعظم علماء الطب و الكيمياء و الرياضة فى الماضى كانوا علماء فى الدين، منهم أبن سينا و الفارابى و ابن الهيثم و جابر بن حيان و آخرون ...

و لا بد أن يكون لكل كلية من هذه الكليات أقسام مختلفة تختص بها أو تشترك فيها مع غيرها من الكليات لتنويع الدراسات و تنويع الخريجين إلى أكثر مما يدل عليه عدد هذه الكليات.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۹۶

و إذ كانت جامعة الأزهر هى جامعة المسلمين من كل بلد منذ كانت، فقد نصت المادة الثامنة و الثلاثون على أن تتساوى فرص القبول فى كلياتها و الأقسام الملحقة بها للطلاب المسلمين من كل بلد.

و رعاية للصفة الخاصة لجامعة الأزهر، رؤى أن تستقل عن الجامعات الأخرى فى الجمهورية العربية المتحدة، بتبعيتها لرياسة الجمهورية، مع الحرص على التنسيق بينها و بين الجامعات الأخوى بقدر ما تقتضيه الصفة الخاصة بالأزهر و أغراض الدراسة فيه.

و حرص القانون على أن يكون أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ممثلين فى مجلس الجامعة بالقدر الذى يتيح لهم أن يوجهوا الدراسات الإسلامية فى الكليات المختلفة، فتقرر أن يكون منهم فى مجلس الجامعة ثلاثة من أعضاء هذا المجمع، مع احتمال زيادة عددهم ببعض الأعضاء الذين يمثلون هيئات أخرى من الأزهر أو من خارجه.

و إذ كان المأمول أن تكون بعض أنواع الدراسة فى كليات جامعة الأزهر على هذا الأساس نموذجا لنوع من الدراسات يلائم رغبات كثير من المواطنين، لتتحقق بها لأبنائهم معارف و ثقافات دينية و قومية و كان من المتوقع لذلك أن يقبل بعض خريجى المدارس الثانوية على هذه الكليات، فقد حرص مشروع القانون على مواجهة هذا الاحتمال باشتراط أداء الطلاب الذين لم تتهيأ لهم فرصة الدراسة فى المعاهد الأزهرية امتحان معادلة يؤهلهم لمتابعة الدراسة فى هذه الكليات مع زملائهم من خريجى المعاهد الأزهرية.

و أما المعاهد الأزهرية، فإنه لكى يعد لكليات الجامعة الأزهرية على اختلافها طلاب على حظ من الثقافة الإسلامية و العربية لا يقل عن حظهم منها فى الوقت الحاضر، إلى جانب المعارف و الخبرات التى تتيح لهم الاستمرار فى الدراسات الجامعية على الوجه الذى وصفناه، وضع نظام المعاهد الثانوية و الابتدائية للأزهر، بحيث يتهيأ فيها الطلاب إلى جانب

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۹۷

دراساتهم الدينية و العربية للحصول على الشهادات الإعدادية و الثانوية بأنواعها المختلفة، لتتكافأ فرصهم مع فرص غيرهم من التلاميذ فى مدارس الدولة فيحصل تلميذ القسم الإبتدائى على الإعدادية العامة، أو الإعدادية الفنية، إلى جانب ما درس من علوم الدين و اللغة، و يحصل تلميذ القسم الثانوى على الثانوية العامة بأحد قسميها الأدبى أو العلمى، أو على الثانوية الفنية بأنواعها من زراعية أو صناعية أو تجارية أو غير ذلك، إلى جانب ما درس كذلك من علوم الدين أو اللغة، و بهذا يتاح لكل تلميذ فى هذه الأقسام أن يوجه حياته الوجهة التى يريد و التى تلائم ميوله و استعداده، فإن شاء خرج إلى الحياة ليعمل و يكسب بعد كل مرحلة، و إن شاء استمر فى الدراسة مرحلة أخرى أو مرحلتين ليخرج بعدها مؤهلا للعمل و الكسب، و إن شاء تحول إلى المدارس الأخرى يتم فيها دراسته وفق ميوله و رغباته، و تجد كليات جامعة الأزهر فى النهاية طلابا يجمعون بين علوم الدين و علوم الدنيا، و لهم كل الأهلية لمتابعة الدراسة الجامعية فى كليات جامعة الأزهر أو فى غيرها من الكليات و معاهد الدراسة العالية.

و قد حرص القانون فى هذه الناحية على أن يكون التعاون كاملا بين وزارة التربية و التعليم و الإدارة المختصة بالإشراف على هذه

الأقسام و إدارتها ليتحقق بهذا التعاون نوع من الثقة يدعم قيمة الشهادات التى يحصل عليها الطلاب من هذه الأقسام.

و قد واجه مشروع القانون مرحلة الانتقال بين وضع الأزهر و كلياته و الأقسام الملحقة به فى الوقت الحاضر. و وضعها المنتظر بعد التطبيق الكامل لهذا القانون فنص على إنشاء دراسات إضافية فى الأقسام الثانوية و الابتدائية منذ الموسم الدراسى المقبل لتهيئة تلاميذ هذه الأقسام الحاليين للحصول على شهادات معادلة تتيح لهم الانتفاع بمزايا هذا القانون فى أسرع وقت ممكن. كما حرص على الملاءمة بين وضع الطلاب الحاليين فى الكليات الأزهرية و بين مقتضيات تطبيق القانون.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۹۸

كما نص مشروع القانون على أن يحتفظ للعلماء الموظفين الآن و المدرسين فى أقسام الأزهر و أعضاء هيئات التدريس فى الكليات الأزهرية الحالية و أعضاء جماعة كبار العلماء، و لطلاب الأزهر الحاليين، بكل الحقوق المالية المقررة لهم فلا تتأثر هذه الحقوق بشىء نتيجة لتطبيق هذا القانون.

سواء فى المرتبات أو فى المعاشات و مدة الخدمة. أو غير ذلك. لتكون النظم المستحدثة فى هذا الشأن بغير أثر رجعى.

و لكيلا يتضمن القانون تفصيلات يضخم بها رؤى أن يقتصر على الخطوط الرئيسية للتنظيم، على أن تتضمن اللائحة التنفيذية التى يصدر بها قرار من رئيس الجمهورية كل التفصيلات التى توضح الصورة و تيسر التنفيذ.

و إذ كانت تفصيلات المشروع قد أحيل أكثرها على تلك اللائحة التنفيذية، فقد نص المشروع على ألا يتأخر صدور هذه اللائحة عن تاريخ معين، ليتهيأ الأخذ فى أسباب التنفيذ الكامل للمشروع قبل ابتداء الموسم الدراسى المقبل.

و المشروع معروض رجاء الموافقة على إصداره:

باسم الأمة

رئيس الجمهورية:

قرر مجلس الأمة القانون الآتى نصه و قد أصدرناه:

مادة ۱- تستبدل النصوص المرافقة بأحكام القانون رقم ۲۶ لسنة ۱۹۳۶ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر و القوانين المعدلة له و يبطل كل ما يخلفه من القوانين.

مادة ۲- الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى و دراسته و تجليته و نشره، و تحمل أمانة الرسالة

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۱۹۹

الإسلامية إلى كل الشعوب، و تعمل على إظهار حقيقة الإسلام و أثره فى تقدم البشر و رقى الحضارة و كفالة الأمن و الطمأنينة و راحة النفس لكل الناس فى الدنيا و الآخرة، كما تهتم ببعث الحضارة العربية و التراث العلمى و الفكرى للأمة العربية، و إظهار أثر العرب فى تطور الإنسانية و تقدمها، و تعمل على رقى الآداب و تقدم العلوم و الفنون و خدمة المجتمع و الأهداف القومية و الإنسانية و القيم الروحية، و تزويد العالم الإسلامى و الوطن العربى بالمختصين و أصحاب الرأى فيما يتصل بالشريعة الإسلامية و الثقافة الدينية و العربية و لغة القرآن، و تخريج علماء عاملين مثقفين فى الدين يجمعون إلى الإيمان باللّه و الثقة بالنفس و قوة الروح، كفاية علمية و عملية و مهنية، لتأكيد الصلة بين الدين و الحياة و الربط بين العقيدة و السلوك، و تأهيل عالم الدين للمشاركة فى كل أسباب النشاط و الإنتاج و الريادة و القدوة الطيبة، و عالم الدنيا للمشاركة فى الدعوة إلى سبيل اللّه بالحكمة و الموعظة الحسنة، كما تهتم بتوثيق الروابط الثقافية و العلمية مع الجامعات و الهيئات العلمية الإسلامية و العربية و الأجنبية و مقره القاهرة، و يتبع رياسة الجمهورية.

مادة ۳- يعين بقرار من رئيس الجمهورية وزير لشئون الأزهر.

مادة ۴- شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر و صاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية و المشتغلين بالقرآن و علوم الإسلام، و له

الرياسة و التوجيه فی كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية فی الأزهر و هيئاته و يرأس المجلس الأعلى للأزهر.

مادة ۵- يختار شيخ الأزهر من بين هيئة مجمع البحوث الإسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة فی أعضاء هذه الهيئة. و يعين بقرار من رئيس الجمهورية فإن لم يكن قبل هذا التعيين عضوا فی تلك الهيئة صار بمقتضى هذا التعيين عضوا فيها.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۰۰

مادة ۶- يكون للأزهر شخصية معنوية عربية الجنس و يكون له الأهلية الكاملة للمقاضاة و قبول التبرعات التی ترد إليه عن طريق الوقف و الوصايا و الهبات بشرط ألا تتعارض مع الغرض الذی يقوم عليه الأزهر.

و شيخ الأزهر هو الذی يمثل الأزهر و يكون له حق مقاضاة نظار الأوقاف التی للمدرسين أو الموظفين أو الطلاب نصيب فيها، و ذلك دون إخلال بما لوزارة الأوقاف من الحقوق و الاختصاصات المقررة فی اللوائح و القوانين.

مادة ۷- يكون للأزهر وكيل يختار من بين هيئة مجمع البحوث الإسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة لأعضاء هذه الهيئة.

و يعين بقرار من رئيس الجمهورية، فإن لم يكن قبل هذا التعيين عضوا فی هيئة المجمع صار بمقتضى هذا التعيين عضوا فيها.

و يعاون الوكيل شيخ الأزهر و يقوم مقامه حين غيابه.

هيئات الأزهر:

اشارة

مادة ۸- يشمل الأزهر الهيئات الآتية:

۱- المجلس الأعلى للأزهر.

۲- مجمع البحوث الإسلامية.

۳- إدارة الثقافة و البعوث الإسلامية.

۴- جامعة الأزهر.

۵- المعاهد الأزهرية.

المجلس الأعلى للأزهر

مادة ۹- يكون للأزهر مجلس يسمى المجلس الأعلى للأزهر، و يتكون على الوجه الآتی:

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۰۱

شيخ الأزهر و له رياسة المجلس.

وكيل الأزهر.

مدير جامعة الأزهر. الأزهر فی ألف عام ؛ ج۲ ؛ ص۲۰۱

داء الكليات بجامعة الأزهر.

أربعة من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية يختارهم المجمع و يصدر بتعيينهم قرار من رئيس الجمهورية بناء على ترشيح شيخ الأزهر لمدة سنتين.

أحد وكلاء الوزارات أو الوكلاء المساعدين من كل من وزارات الأوقاف و التربية و التعليم و العدل و الخزانة، يصدر بتعيين كل منهم قرار من الوزير الذی يمثل وزارته فی المجلس.

مدیر الثقافة و البعوث الإسلامیة.

مدیر المعاهد الأزهریة.

ثلاثة أعضاء علی الأکثر من ذوی الخبرة فی شئون التعلیم الجامعی و الشئون العامة المتعلقة به، یکون أحدهم علی الأقل من أعضاء المجلس الأعلی للجامعات فی الجمهوریة العربیة المتحدة، و یعینون بقرار من الوزیر المختص بعد أخذ رأی المجلس، و بناء علی ترشیح شیخ الأزهر و ذلک لمدة سنتین.

مادة ۱۰- یختص المجلس الأعلی للأزهر بالنظر فی الأمور الآتیة:

۱- التخطیط و رسم السیاسة العامة لکل ما یحقق الأغراض التی یقوم علیها الأزهر و یعمل لها فی خدمة الفکرة الإسلامیة الشاملة.

۲- رسم السیاسة التعلیمیة التی تسیر علیها جامعة الأزهر و المعاهد الأزهریة و الأقسام التعلیمیة فی کل ما یتصل بالدراسات الإسلامیة و العربیة و اقتراح المواد و المقررات التی تدرس لتحقیق أغراض الأزهر.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۰۲

۳- النظر فی مشروع میزانیة هیئات الأزهر و إعداد الحساب الختامی.

۴- اقتراح إنشاء الکلیات و المعاهد الأزهریة و الأقسام التعلیمیة.

۵- قبول الأوقاف و الوصایا و الهبات مع مراعاة أحکام المادة (۶) من هذا القانون.

۶- النظر فی کل مشروع قانون أو قرار جمهوری یتعلق بأی شأن من شئون الأزهر.

۷- النظر فی منح العالمیة الفخریة لجامعة الأزهر أو إحدی کلیاتها بناء علی اقتراح الکلیة أو الجامعة.

۸- تشکیل للجان الفنیة الدائمة أو المؤقتة من بین أعضائه أو من غیرهم من المتخصصین لبحث الموضوعات التی تدخل فی اختصاصه.

۹- تدبیر أموال الأزهر و استثمارها و إدارتها.

۱۰- النظر فیما یعهد إلیه هذا القانون أو غیره من القوانین و القرارات و اللوائح و فیما یعرضه علیه شیخ الأزهر، و فی کل ما یری المجلس فائدة فی بحثه من المسائل التی تدخل فی اختصاصه.

مادة ۱۱- لا تنفذ قرارات المجلس الأعلی للأزهر فیما یحتاج إلی قرار من الوزیر المختص إلا بعد صدور هذا القرار- فإذا لم یصدر منه قرار فی شأنها خلال الستین یوما التالیة لتاریخ وصولها مستوفاة إلی مکتبه تکون نافذة.

مادة ۱۲- یکون للمجلس الأعلی للأزهر أمین عام، یصدر بتعیینه قرار من رئیس الجمهوریة.

مادة ۱۳- یحدد الجدول الملحق باللائحة التنفیذیة لهذا القانون

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۰۳

مرتبات شیخ الأزهر و وکیله و أمین المجلس الأعلی للأزهر و مکافآت أعضائه.

مادة ۱۴- یکون للمجلس جهاز یتابع تنفیذ مقرراته و یرأسه الأمین العام للمجلس.

مجمع البحوث الإسلامیة و إدارة الثقافة

مادة ۱۵- مجمع البحوث الإسلامیة هو الهیئة العلیا للبحوث الإسلامیة و تقوم بالدراسة فی کل ما یتصل بهذه البحوث و تعمل علی تجدید الثقافة الإسلامیة و تجریدها من الفضول و الشوائب و آثار التعصب السیاسی و المذاهبی، و تجلیتها فی جوهرها الأصیل الخالص، و توسیع نطاق العلم بها لکل مستوی و فی کل بیئة، و بیان الرأی فیما یجد من مشکلات مذهبیة أو اجتماعیة تتعلق بالعقیدة و حمل تبعة الدعوة إلی سبیل اللّه بالحکمة و الموعظة الحسنة.

و تعاون جامعة الأزهر فی توجیه الدراسات الإسلامیة العلیا لدرجتی التخصص و العالمیة و الإشراف علیها و المشارکة فی امتحاناتها.

و تحدد اللائحة التنفیذیة لهذا القانون واجبات مجمع البحوث الإسلامیة بالتفصیل الذی یساعد علی تحقیق الغرض من إنشائه.

مادة ۱۶- یتألف مجمع البحوث الإسلامیة من خمسین عضوا من کبار علماء الإسلام، یمثلون جمیع المذاهب الإسلامیة، و یکون من بینهم عدد لا یزید علی العشرین من غیر مواطنی الجمهوریة العربیة المتحدة.

مادة ۱۷- یشترط فی عضو المجمع:

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۰۴

۱- ألا تقل سنه عن أربعین سنة.

۲- أن یکون معروفا بالورع و التقوی فی ماضیه و حاضره.

۳- أن یکون حائزا لأحد المؤهلات العلمیة العلیا من الأزهر. أو إحدی الکلیات أو المعاهد العلیا التی تهتم بالدراسات الإسلامیة.

۴- أن یکون له إنتاج علمی بارز فی الدراسات الإسلامیة، أو اشتغل بالتدریس لمادة من مواد الدراسات الإسلامیة فی کلیة أو معهد من معاهد التعلیم العالی لمدة أدناها ۵ سنوات أو شغل إحدی الوظائف الإسلامیة فی القضاء أو الإفتاء أو التشریع لمدة أدناها خمس سنوات.

و یعتبر الأعضاء الحالیون فی جماعة کبار العلماء- فی حکم هذا القانون- مستوفین لهذا الشرط.

مادة ۱۸- یعین بقرار من رئیس الجمهوریة أعضاء مجمع البحوث الإسلامیة فی أول تشکیل له- بناء علی عرض الوزیر المختص باقتراح من شیخ الأزهر.

و یکون شیخ الأزهر رئیسا لهذا المجمع.

مادة ۱۹- یکون نصف أعضاء المجمع علی الأقل متفرغین لعضویته، و تبین اللائحة التنفیذیة واجبات العضو المتفرغ و العضو غیر المتفرغ.

مادة ۲۰- هیئات المجمع هی:

(أ) مجلس المجمع: و یتألف من الرئیس، و الأعضاء المتفرغین، و الأعضاء غیر المتفرغین من مواطنی الجمهوریة العربیة المتحدة، و الأمین العام للمجمع.

(ب) مؤتمر المجمع و یتألف من کل أعضاء المجمع.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۰۵

(ج) الأمانة العامة للمجمع.

مادة ۲۱- یجتمع مجلس المجمع مرة فی کل شهر علی الأقل- و لا یکون اجتماعه صحیحا إلا بحضور أکثریة أعضائه.

مادة ۲۲- یجتمع مؤتمر المجمع اجتماعا عادیا مرة فی کل سنة.

و تستمر دورة اجتماعه أربعة أسابیع للنظر فی جدول أعمال السنة و یجوز أن یدعی المؤتمر إلی اجتماع غیر عادی إذا اقتضت الظروف ذلک بموافقة الوزیر المختص و بناء علی اقتراح شیخ الأزهر و یکون اجتماع المؤتمر صحیحا فی الحالتین بحضور أکثریة أعضائه، بشرط أن یکون من بینهم ربع الأعضاء غیر المواطنین علی الأقل.

مادة ۲۳- یکون للمجمع أمانة عامة دائمة یرأسها أمین عام و یشغل هذا المنصب مدیر الثقافة و البعوث الإسلامیة بشرط أن تتحقق فیه شروط العضویة المنصوص علیها فی المادة ۱۷ من هذا القانون، و یصدر بتعیینه قرار من رئیس الجمهوریة. بناء علی عرض الوزیر المختص و بموافقة شیخ الأزهر و یکون الأمین العام للمجمع بمقتضی قرار التعیین عضوا فی المجمع ما دام شاغلا لهذه الوظیفة.

مادة ۲۴- تتألف الأمانة العامة للمجمع من الأمین العام، و أمین مساعد أو أکثر، و عدد من الموظفین اللازمین لتصریف الشئون الفنیة و

الإداریة للمجمع و مباشرة تنفیذ قراراته طبقا لما تبینه اللائحة التنفیذیة لهذا القانون.

مادة ۲۵- تختص إدارة الثقافة و البعوث الإسلامیة بکل ما یتصل بالنشر و الترجمة و العلاقات الإسلامیة من البعوث و الدعاة و استقبال طلاب المنح و غیرهم من ذوی العلاقة، فی نطاق أغراض الأزهر، و علیها إلی ذلک تنفیذ مقررات المجمع و نشر بحوثه و دراساته و تجمیع ما یلزمه من البیانات لهذه الدراسات.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۰۶

و تبین اللائحة التنفیذیة لهذا القانون تفصیل ذلک و وسائل تنفیذه.

مادة ۲۶- یختار مؤتمر المجمع بالأغلبیة المطلقة بناء علی ترشیح اثنین من الأعضاء، أعضاء مراسلین من مواطنی الجمهوریة العربیة المتحدة أو من غیرهم، ممن یری الاستعانة بهم فی تحقیق أغراضه و یصدر باعتماد عضویتهم قرار من الوزیر المختص.

مادة ۲۷- یجوز منح لقب عضو فخری لأعضاء المجمع السابقین، أو لمن یؤدی للإسلام خدمات علمیة ذات أثر، و یصدر بمنح هذا اللقب قرار من رئیس الجمهوریة بناء علی عرض الوزیر المختص باقتراح من مؤتمر المجمع.

مادة ۲۸- یؤلف المجمع من أعضائه لجانا لتحقیق أغراضه المنصوص علیها فی هذا القانون و فی اللائحة التنفیذیة.

مادة ۲۹- یجوز دعوة الأعضاء المراسلین و الأعضاء الفخریین إلی جلسات المجمع بموافقة الوزیر المختص بناء علی قرار مجلس المجمع.

مادة ۳۰- تسقط عضویة المجمع فی إحدی الحالات الآتیة:

(أ) إذا صدر ضد العضو حکم ماس بالشرف و الأمانة.

(ب) إذا وقع من العضو ما لا یلائم صفة العضویة، کالطعن فی الإسلام، أو إنکار ما علم منه بالضرورة، أو سلک سلوکا ینقص من قدره کعالم مسلم، و یکون سقوط العضویة فی هذه الحالة بقرار مسبب یصدره المجمع بأغلبیة الثلثین من أعضائه و یعتمده الوزیر المختص.

(ج) إذا عجز العضو عن مباشرة أعماله لمرض أو لظروف أخری، و یکون سقوط العضویة فی هذه الحالة بقرار جمهوری بعد موافقة المجمع.

(د) إذا تقرر قبول استقالته، أو اعتبره المجمع مستقیلا بتخلفه عن حضور جلسات المجمع، وفقا لما تفصله اللائحة التنفیذیة لهذا القانون.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۰۷

مادة ۳۱- إذا خلا مکان عضو من أعضاء المجمع لأی سبب من الأسباب السابقة أو غیرها، انتخب المجمع العضو الذی یخلفه من بین المرشحین للعضویة و یتم الترشیح بتزکیة اثنین من الأعضاء، و لا تکون جلسة الانتخاب صحیحة إلا إذا حضرها الثلثان علی الأقل من أعضاء المجمع، و یکون انتخاب المرشح صحیحا إذا حصل علی أکثریة أصوات الحاضرین بشرط ألا یقل عددهم عن نصف العدد الکلی لأعضاء المجمع و یکون التصویت سریا، و یصدر باعتماد العضویة قرار من رئیس الجمهوریة بناء علی عرض الوزیر المختص.

مادة ۳۲- یحدد الجدول الملحق باللائحة التنفیذیة لهذا القانون مکافآت المتفرغین و غیر المتفرغین من أعضاء المجمع، کما یحدد مکافآت أعضاء اللجان من غیر أعضاء المجمع الذین قد یستعان بهم لخبرتهم.

جامعة الأزهر

مادة ۳۳- تختص جامعة الأزهر بکل ما یتعلق بالتعلیم العالی فی الأزهر و بالبحوث التی تتصل بهذا التعلیم أو تترتب علیه و تقوم علی حفظ التراث الإسلامی و دراسته و تجلیته و نشره. و تؤدی رسالة الإسلام إلی الناس و تعمل علی إظهار حقیقته و أثره فی تقدم البشر

و کفالة السعادة لهم فی الدنیا و فی الآخرة کما تهتم ببعث الحضارة العربیة و التراث العلمی و الفکری و الروحی للأمة العربیة. و تعمل علی تزوید العالم الإسلامی و الوطن العربی بالعلماء العاملین الذین یجمعون إلی الإیمان باللّه و الثقة بالنفس و قوة الروح و التفقه فی العقیدة و الشریعة و لغة القرآن، کفایة علمیة و عملیة و مهنیة لتأکید الصلة بین الدین و الحیاة، و الربط بین العقیدة و السلوک، و تأهیل عالم الدین للمشارکة فی کل أنواع النشاط، و الإنتاج و الریادة و القدوة الطیبة، و عالم الدنیا للمشارکة فی الدعوة إلی سبیل اللّه بالحکمة و الموعظة الحسنة، فی داخل الجمهوریة العربیة المتحدة

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۰۸

و خارجها من أبناء الجمهوریة و غیرهم کما تعنی بتوثیق الروابط الثقافیة و العلمیة مع الجامعات و الهیئات العلمیة الإسلامیة و العربیة و الأجنبیة.

مادة ۳۴- تتکون جامعة الأزهر من الکلیات الآتیة:

۱- کلیات للدراسات الإسلامیة تحدد عددها اللائحة التنفیذیة.

۲- کلیة الدراسات العربیة.

۳- کلیة المعاملات و الإدارة.

۴- کلیة الهندسة و الصناعات.

۵- کلیة الزراعة.

۶- کلیة الطب.

و یجوز إنشاء کلیات أخری أو معاهد عالیة بقرار من رئیس الجمهوریة.

و تتکون کل کلیة من عدد من الأقسام العملیة یتولی کل قسم منها تدریس المواد التی تدخل فی إختصاصه و یقوم علی بحوثها فی الکلیة أو فی غیرها من کلیات الجامعة و معاهدها و تعین هذه الأقسام بقرار من الوزیر المختص.

و لا یجوز أن تتکرر الأقسام المتماثلة فی کلیات الجامعة.

و تحدد اللائحة التنفیذیة لهذا القانون الأقسام التی تتبع کل کلیة من هذه الکلیات و أنواع الدراسات بها و الدرجات العلمیة التی تمنحها الجامعة من هذه الکلیات.

مادة ۳۵- یجوز أن تنشأ بقرار من الوزیر المختص معاهد تابعة للکلیات إذا کانت الدراسة فیها تتصل بأکثر من قسم من الأقسام، و تسری علی هذه المعاهد الأحکام الخاصة بأقسام الکلیة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۰۹

مادة ۳۶- یجوز أن تلحق بکلیات الجامعة أو بعضها مدارس تعلیمیة لمواد أو دراسات تتصل بأغراض الأزهر، مثل مدرسة تجوید القرآن الکریم و تعلیم القراءات، أو أقسام الإرشاد العامة المنشأة لمراجعة حاجات الذین یریدون التزوید من المعارف الدینیة و العربیة و غیرها من فئات الشعب. و لا تنطبق علی هذه المدارس و الأقسام شروط الدراسة الجامعیة، و تحدد اللائحة التنفیذیة نظام العمل بها.

مادة ۳۷- اللغة العربیة هی لغة التعلیم فی جامعة الأزهر، ما لم یقرر مجلس الجامعة فی أحوال خاصة استعمال لغة أخری.

مادة ۳۸- تتساوی فرص القبول للتعلیم بالمجان فی کلیات الجامعة و معاهدها المختلفة للطلاب المسلمین من کل جنس و کل بلد، فی حدود الإمکانیات و المیزانیة و الأعداد المقرر قبولها، وفقا لما تقضی به اللائحة التنفیذیة.

و تنظم الدراسات الخاصة لطلاب البعوث من غیر مواطنی الجمهوریة العربیة المتحدة، لیتأهلوا لمتابعة الدراسة فی الکلیات و المعاهد مع نظرائهم من الطلاب العرب.

مادة ۳۹- یتولی إدارة جامعة الأزهر:-

۱- مدیر جامعة الأزهر.

۲- مجلس الجامعة.

مادة ۴۰- یتولی إدارة کل کلیة:-

۱- عمید الکلیة.

۲- مجلس الکلیة.

مادة ۴۱- یکون تعیین مدیر الجامعة بقرار من رئیس الجمهوریة، بناء علی ترشیح الوزیر المختص و اقتراح شیخ الأزهر و یشترط فیه أن یکون

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۱۰

قد شغل أحد کراسی الأستاذیة بجامعة الأزهر أو إحدی الجامعات فی الجمهوریة العربیة المتحدة.

مادة ۴۲- یتولی مدیر الجامعة إدارة شئون الجامعة العلمیة و الإداریة و المالیة. و هو الذی یمثلها أمام الهیئات الأخری، و هو مسئول عن تنفیذ القوانین و اللوائح فی الجامعة و قرارات مجلس الجامعة فی حدود هذه القوانین و اللوائح و له فی حالة الإخلال بالنظام أن یقف الدراسة کلها أو بعضها. علی أن یعرض قرار الوقف علی مجلس الجامعة خلال ثلاثة أیام.

مادة ۴۳- یقدم مدیر الجامعة إلی شیخ الأزهر فی نهایة کل سنة جامعیة تقریرا عن شئون التعلیم و البحوث العلمیة و سائر نواحی النشاط الأخری بالجامعة.

مادة ۴۴- یکون لجامعة الأزهر وکیل یعاون المدیر فی إدارة شئونها العلمیة و الإداریة و المالیة، و یقوم مقامه عند غیابه. و یکون تعیین وکیل الجامعة بقرار من رئیس الجمهوریة بناء علی عرض الوزیر المختص و اقتراح مدیر الجامعة و موافقة شیخ الأزهر. و یشترط فیه أن یکون قد شغل أحد کراسی الأستاذیة بجامعة الأزهر أو بإحدی الجامعات فی الجمهوریة العربیة المتحدة.

مادة ۴۵- یکون للجامعة أمین یعین بقرار من رئیس الجمهوریة بناء علی عرض الوزیر المختص بعد استطلاع رأی مدیر الجامعة.

مادة ۴۶- یدیر الأمین العام للجامعة الأعمال المالیة و الإداریة بالجامعة تحت إشراف مدیر الجامعة و وکیلها، و یکون مسئولا عن تنفیذ القوانین و اللوائح فی حدود اختصاصه.

مادة ۴۷- یتکون مجلس جامعة الأزهر علی الوجه الآتی:

مدیر الجامعة: و له ریاسة المجلس.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۱۱

وکیل الجامعة.

عمداء الکلیات.

ممثل لوزارة التربیة و التعلیم یختاره الوزیر من بین کبار موظفیها.

ثلاثة أعضاء علی الأکثر من بین أعضاء مجمع البحوث الإسلامیة یرشحهم المجمع و یصدر بتعینهم قرار من الوزیر المختص، و ذلک لمدة سنتین.

ثلاثة أعضاء علی الأکثر من ذوی الخبرة فی شئون التعلیم الجامعی و الشؤون العامة المتعلقة به، یعینون بقرار من الوزیر المختص و ذلک لمدة سنتین.

مادة ۴۸- یختص مجلس جامعة الأزهر بالنظر فی الأمور الآتیة:

۱- وضع خطط الدراسة.

۲- وضع النظام العام للدروس و المحاضرات و البحوث و الأشغال العلمیة و توزیع الدروس و المحاضرات بالکلیات.

۳- تعیین مدة الدراسة و مدة الامتحان و مدة العطلة.

۴- شروط قبول الطلاب فی الجامعة و نظام تأدیبهم.

۵- المکافات و الإعانات المالیة علی اختلاف أنواعها.

۶- إدارة حرکة الامتحانات و تشمل مدة اشتغال الممتحنین و لجان الامتحان و مقدار مکافآتهم و کیفیة تعیینهم و واجباتهم.

۷- منح الدرجات العلمیة و الشهادات.

۸- تنظیم الشئون الاجتماعیة للطلاب.

۹- وضع اللوائح الخاصة بالمتاحف و المکتبات و مساکن الطلاب و غیرها من المنشآت الجامعیة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۱۲

۱۰- تتبع النشاط العلمی للکلیات و المعاهد و التنسیق بین الدراسات و البحوث القائمة بها.

۱۱- تنظیم البحث العلمی و توفیر الإمکانیات اللازمة له.

۱۲- إنشاء کراسی الأستاذیة.

۱۳- تعیین أعضاء هیئات التدریس بالجامعة و نقلهم و إیفادهم للمهمات العلمیة.

۱۴- ندب أعضاء هیئة التدریس و إعارتهم.

۱۵- إعداد مشروعات المیزانیة و الحساب الختامی.

۱۶- إقامة أبنیة الجامعة و ترمیمها.

۱۷- منح العالمیة الفخریة للجامعة أو إحدی کلیاتها بناء علی اقتراح مجلسها و بموافقة المجلس الأعلی للأزهر، و یصدر بذلک قرار من رئیس الجمهوریة.

۱۸- إبداء الرأی فیما یتعلق بجمیع مسائل التعلیم فی درجاته المختلفة.

۱۹- الترخیص لمدیر الجامعة فی إجراء التصرفات القانونیة.

۲۰- وقف الدراسة بالکلیات و معاهد الجامعة.

۲۱- الموضوعات التی یحیلها علیه الوزیر المختص أو شیخ الأزهر.

۲۲- الموضوعات الأخری التی تتصل باختصاص الجامعة وفقا لهذا القانون.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۱۳

یؤلف مجلس الجامعة بین أعضائه و من غیره من أعضاء هیئة التدریس و المتخصصین لجانا فنیة دائمة أو مؤقتة لبحث الموضوعات التی تدخل فی اختصاصه.

مادة ۴۹- لمجلس الجامعة أن یلغی القرارات الصادرة من مجالس الکلیات أو المعاهد التابعة للجامعة إذا کانت مخالفة للقوانین و اللوائح أو القرارات التنظیمیة التی تعمل بها الجامعة.

مادة ۵۰- لا تنفذ قرارات مجلس الجامعة فیما یحتاج تنفیذه فی هذا القانون أو فی اللائحة التنفیذیة الی تصدیق من شیخ الأزهر أو من الوزیر المختص إلا بعد صدور قرار التصدیق. فإذا لم یصدر قرار فی شأنها خلال الستین یوما التالیة لتاریخ وصولها مستوفاة إلی مکتبه تکون نافذة.

مادة ۵۱- یعین الوزیر المختص عمید الکلیة من بین أساتذة الکلیة بناء علی ترشیح مدیر الجامعة و موافقة شیخ الأزهر، و یکون العمید مسئولا عن تنفیذ القوانین و اللوائح الجامعیة، و کذلک عن تنفیذ قرارات مجلس الکلیة و مجلس الجامعة، فی حدود هذه القوانین و اللوائح، و یقدم العمید إلی مدیر الجامعة فی کل سنة جامعیة تقریرا عن شئون التعلیم و البحوث العلمیة و سائر نواحی النشاط بالکلیة.

مادة ۵۲- يكون لكل كلية وكيل يعاون العميد فى أعماله و يقوم مقامه عند غيابه، و يكون تعيينه من بين أساتذة الكلية بترشيح من العميد و قرار من مجلس الجامعة.

مادة ۵۳- يكون تعيين كل من العميد و الوكيل لمدة سنتين.

مادة ۵۴- يؤلف مجلس الكلية من:

عميد الكلية.

رؤساء الأقسام بالكلية.

أحد الأساتذة من كل قسم.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۱۴

و للوزير المختص بناء على اقتراح الجامعة ان يضم إلى مجلس الكلية عضوا أو عضوين من الخارج ممن لهم دراية خاصة فى المواد التى تدرس فى الكلية، و يكون التعيين لمدة سنتين.

و تكون رياسة المجلس لعميد الكلية و عند غيابه للوكيل.

و يشترك رؤساء الأقسام التى تقوم بأعباء التدريس بكلية غير الكلية التابعة لها فى مجلس هذه الكلية عند النظر فى المسائل الداخلة فى اختصاص أقسامها.

مادة ۵۵- يختص مجلس الكلية بالنظر فى الأمور الآتية:

۱- وضع القواعد المتعلقة بمواظبة الطلاب و نظام الدروس و المحاضرات و الأعمال الجامعية الأخرى.

۲- وضع مناهج الدراسة و برامجها و التنسيق بينها فى الأقسام المختلفة و توزيع الدروس و المحاضرات على أعضاء هيئة التدريس.

۳- تنظيم البحوث العلمية و تنسيقها بين أقسام الكلية.

۴- وضع نظام الامتحان و توزيع أعماله على هيئة الممتحنين.

۵- تقديم اقتراحاته إلى مجلس الجامعة بخطط الدراسة و مواعيد الامتحان و شروط منح الدرجات العلمية الدبلومات و الشهادات.

۶- رعاية الشئون الاجتماعية و الرياضية للطلاب.

۷- تقديم ما يراه من الاقتراحات إلى مجلس الجامعة فى شأن التعليم و النظام فى الكلية.

۸- الأمور الأخرى التى يختص بها وفقا للقانون.

و يؤلف المجلس من بين أعضائه و غيرهم من أعضاء هيئة التدريس و المتخصصين لجانا فنية دائمة أو مؤقتة لدراسة الموضوعات التى تدخل فى اختصاصه.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۱۵

مادة ۵۶- أعضاء هيئة التدريس فى الجامعة هم:

(۱) الأساتذة.

(ب) الأساتذة المساعدون.

(ج) المدرسون.

و تحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون شروط تعيينهم و نقلهم و ندبهم و إعارتهم و إجازاتهم العلمية و الإجازات الاعتيادية و المرضية و غير ذلك من شئون الوظيفة، كما تحدد اللائحة واجباتهم و النظم التأديبية الخاصة بهم و جدول مرتباتهم.

مادة ۵۷- يجوز أن يعين فى هيئة التدريس مسلمون من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة ممن تؤهلهم كفايتهم لذلك لمدة معينة و يكون التعيين بقرار من الوزير المختص بناء على طلب الجامعة.

مادة ۵۸- یجوز الاستعانة بأساتذة مسلمین من غیر مواطنی الجمهوریة العربیة المتحدة بصفة زائرین لمدة معینة و یکون ذلک بقرار من مدیر الجامعة بناء علی طلب الکلیة المختصة.

مادة ۵۹- یجوز أن یعین مدرسو لغات و موظفون فنیون مسلمون من غیر مواطنی الجمهوریة العربیة المتحدة لمدة معینة و یکون تعیینهم بقرار من مدیر الجامعة بناء علی طلب الکلیة المختصة.

مادة ۶۰- یجوز أن یعین فی الکلیة معیدون یقومون بالدراسات و البحوث العلمیة و بما یعهد إلیهم القسم المختص من التمرینات و الدروس العملیة و سواها من الأعمال تحت إشراف أعضاء هیئة التدریس و بالأعمال الأخری التی یکلفهم بها العمید و تحدد اللائحة التنفیذیة شروط تعیینهم.

مادة ۶۱- مرتبات مدیر الجامعة و وکیلها و أعضاء هیئة التدریس

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۱۶

و المعیدین و قواعد تطبیقها و مکافآت الأساتذة غیر المتفرغین یحددها الجدول الملحق باللائحة التنفیذیة لهذا القانون.

مادة ۶۲- مع مراعاة أحکام هذا القانون و لائحته التنفیذیة:-

(أ) یطبق مجلس الجامعة دون الرجوع إلی وزارة الخزانة أو دیوان الموظفین اللوائح الخاصة بأعضاء هیئة التدریس، و تکون قراراته فی ذلک نهائیة و نافذة.

(ب) یطبق مدیر الجامعة دون الرجوع الی وزارة الخزانة أو دیوان الموظفین القواعد المالیة العامة المعمول بها فی حق جمیع الموظفین و المستخدمین فی الدولة علی المعیدین و علی سائر الموظفین بالجامعة من غیر أعضاء هیئة التدریس، إلا أنه فی الحالات التی توجب القوانین إصدار قرار من رئیس الجمهوریة یتعین إرسال القرارات إلی الوزیر المختص لاتخاذ اللازم فی شأنها.

مادة ۶۳- للجامعة فی حالة الضرورة التجاوز عن شرط الحصول علی شهادة الدراسة الثانویة العامة أو ما یعادلها عند التعیین فی وظائف مدرسی اللغات إذا کانت لدی المرشح إجازات علمیة أخری تعتبر کافیة بالنسبة إلی الوظیفة التی سیعین فیها.

مادة ۶۴- لمدیر الجامعة إعفاء الموظفین من شروط اللیاقة الطبیة کلها أو بعضها بعد أخذ رأی اللجنة الطبیة العامة «القومسیون الطبی العام».

مادة ۶۵- تکون الإجازات الاعتیادیة السنویة لموظفی الجامعة من غیر أعضاء هیئة التدریس فی أثناء العطلة الصیفیة فیما عدا المعاهد التی تکون طبیعة العمل فیها مختلفة فتحدد الإجازات فی هذه الحالة بقرار من

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۱۷

مدیر الجامعة بعد أخذ رأی عمید الکلیة المختص.

و یجوز منح الموظف إجازة اعتیادیة بمرتب کامل لتأدیة فریضة الحج و ذلک مرة واحدة خلال مدة خدمته.

مادة ۶۶- فیما عدا أعضاء هیئة التدریس فی کلیات الجامعة، و مع مراعاة أحکام هذا القانون یطبق علی الموظفین فی الأزهر بجمیع هیئاته القانون رقم ۲۱۰ لسنة ۱۹۵۱ بشأن نظام موظفی الدولة فی الإقلیم المصری و القوانین المعدة له.

و ذلک فیما یختص بتعیینهم و تأدیبهم و إنهاء خدمتهم و إجازاتهم و ترقیاتهم و غیر ذلک من شئونهم الوظیفیة، و یکون للأمین العام للمجلس الأعلی للأزهر و للأمین العام لمجمع البحوث الإسلامیة و للأمین العام للجامعة، و لمدیر الثقافة و البعوث الإسلامیة و لمدیر المعاهد الأزهریة سلطة مدیر المصلحة بالنسبة للموظفین التابعین لکل منهم و لوکیل الجامعة سلطة وکیل الوزارة بالنسبة للموظفین التابعین له و لمدیر الجامعة سلطة الوزیر فیما یختص بموظفی الجامعة طبقا لما تحدده اللائحة التنفیذیة.

مادة ۶۷- إذا نسب إلی أحد أعضاء هیئة التدریس بالجامعة ما یوجب التحقیق معه طلب مدیر الجامعة إلی أحد أعضاء هیئة التدریس بإحدی الکلیات او طلب إلی النیابة الإداریة مباشرة التحقیق و یقدم عن التحقیق تقریر إلی مدیر الجامعة، و إلی الوزیر المختص إذا

طلبه- و يحيل مدير الجامعة العضو المحقق معه إلى مجلس التأديب إن رأى محلا لذلك.

مادة ۶۸- لمدير الجامعة أن يوقف أى عضو من أعضاء هيئة

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۱۸

التدريس عن عمله احتياطيا إذا اقتضت مصلحة التحقيق معه ذلك. و لا يجوز أن تزيد مدة الوقف على ثلاثة أشهر إلا بقرار من المحكمة التأديبية و يترتب على وقف عضو هيئة التدريس عن عمله وقف صرف مرتبه ابتداء من اليوم الذى أوقف فيه، ما لم يقرر مجلس التأديب صرف المرتب كله أو بعضه بصفة مؤقتة إلى أن يقرر عند الفصل فى الدعوة التأديبية ما يتبع فى شأن المرتب عن مدة الوقف سواء بحرمان عضو هيئة التدريس منه أو بصرفه إليه كله أو بعضه.

مادة ۶۹- يعلن مدير الجامعة عضو هيئة التدريس المحال إلى مجلس التأديب ببيان التهم الموجهة إليه و بصورة من تقرير التحقيق و ذلك بكتاب موصى عليه مصحوب بعلم وصول قبل الجلسة المعنية للمحاكمة بعشرين يوما على الأقل.

مادة ۷۰- لعضو هيئة التدريس المحال إلى مجلس التأديب الإطلاع على التحقيقات التى أجريت و ذلك فى الأيام التى يعينها له مدير الجامعة.

مادة ۷۱- تكون محاكمة أعضاء هيئة التدريس بجميع درجاتهم أمام مجلس تأديب يشكل من:-

وكيل الجامعة رئيسا.

مستشار من مجلس الدولة.

أستاذ من إحدى كليات الجامعة يعينه مجلس الجامعة سنويا.

و يحل أقدم العمداء محل وكيل الجامعة عند غيابه.

و تسرى بالنسبة للمحاكمة أحكام القانون رقم ۱۱۷ لسنة ۱۹۵۸ على أن تراعى بالنسبة للتحقيق و الإحالة إلى مجلس التأديب أحكام المادة ۷۶ من ذلك القانون.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۱۹

مادة ۷۲- العقوبات التأديبية التى يجوز توقيعها على أعضاء هيئة التدريس هى:

۱- الإنذار

۲- توجيه اللوم

۳- توجيه اللوم مع تأخير العلاوة المستحقة.

۴- العزل من الوظيفة مع الاحتفاظ بالمعاش أو المكافأة.

۵- العزل مع الحرمان من كل أو بعض المعاش أو المكافأة وفقا للقوانين و اللوائح المعمول بها فى هذا الشأن.

و كل فعل يزرى بشرف عضو هيئة التدريس أو لا يلائم صفته كعالم مسلم أو يتعارض مع حقائق الإسلام. أو يمس دينه و نزاهته يكون جزاؤه العزل.

مادة ۷۳- تقضى الدعوى التأديبية باستقالة عضو هيئة التدريس و قبول مجلس الجامعة لها و موافقة الوزير المختص و ذلك فيما عدا الحالات التى نصت عليها القوانين و اللوائح الخاصة بالمخالفات المالية و لا تأثير للدعوى التأديبية فى الدعوى الجنائية و الدعوى المدنية الناشئتين عن الواقعة ذاتها.

مادة ۷۴- لمدير الجامعة أن يوجه تنبيها إلى أعضاء هيئة التدريس الذين يخلون بواجباتهم أو يتصرفون تصرفا لا يلائم صفتهم كعلماء مسلمين، و يكون التنبيه شفهيا أو كتابيا و له توقيع عقوبتى الإنذار و توجيه اللوم المنصوص عليهما فى المادة ۷۲، أو يطلب نقلهم إلى وظائف أخرى خارج نطاق الأزهر و ذلك كله بعد سماع أقوال عضو هيئة التدريس و تحقيق دفاعه. و يكون قراره فى ذلك مسببا و

نهائيا و على عميد كل كلية أن يبلغ مدير الجامعة كل ما يقع من أعضاء هيئة التدريس فى كليته من إخلال بواجباتهم أو بمقتضيات وظيفتهم.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۲۰

مادة ۷۵- تمنح جامعة الأزهر الدرجات العلمية الآتية وفقا لأحكام اللائحة التنفيذية:

أولا: درجة الإجازة العالية للكليات، و تعادل الليسانس أو البكالوريوس فى الجامعات الأخرى بالجمهورية العربية المتحدة.

ثانيا: درجة التخصص فى دراسة من الدراسات المقررة فى إحدى الكليات و تعادل درجة الماجستير.

ثالثا: درجة العالمية فى أى الدراسات الإسلامية أو العربية من إحدى كليات الدراسات الإسلامية و الدراسات العربية للحاصلين على الإجازة العالية منهما أو من غيرها من الكليات: و تعادل درجة الدكتوراه.

رابعا: درجة العالمية أو الدكتوراه فى أى الدراسات العليا من أى الكليات الأخرى.

مادة ۷۶- تبين اللائحة التنفيذية تفصيل الدرجات العلمية و الإجازات التى تمنحها جامعة الأزهر و الشروط اللازمة للحصول على كل منها، و يجوز بقرار من رئيس الجمهورية التعديل فى الدرجات العلمية بالإضافة أو بالحذف و يكون ذلك بناء على عرض الوزير المختص و بعد أخذ رأى مجلس الجامعة و موافقة المجلس الأعلى للأزهر فيما يخصه.

مادة ۷۷- تبين اللائحة التنفيذية مناهج الدراسة و المقررات التى تدرس لنيل الدرجات العلمية و الإجازات و الشهادات التى تمنحها جامعة الأزهر كما تبين كيفية توزيعها على سنى الدراسة و فصولها الدراسية.

و لمجلس الجامعة بناء على طلب الكلية أو المعهد و موافقة المجلس الأعلى للأزهر فيما يخصه أن يعدل فى هذه المناهج و المقررات بالإضافة أو بالحذف إذا اقتضت مصلحة التعليم ذلك.

مادة ۷۸- تنظم اللائحة التنفيذية الامتحانات، و لا تمنح الدرجات

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۲۱

العلمية أو الإجازات العالية أو الشهادات إلا من نجح فى جميع الامتحانات المقررة لكل منها.

مادة ۷۹- يشترط لنجاح الطالب فى الإمتحانات أن ترضى لجنة الإمتحانات عن فهمه و تحصيله فى كل مقررات الدراسة، و ذلك وفقا لأحكام اللائحة التنفيذية.

مادة ۸۰- لمجلس الجامعة بناء على طلب مجلس الكلية أو المعهد أن يعفى طالب الإجازة العالية من المقررات الدراسية كلها أو بعضها عدا مقررات السنة النهائية، إذا ثبت أنه حضر مقررات دراسية تعادلها فى كلية جامعية أو معهد عال معترف بهما من الجامعة.

و للمجلس أن يعفيه كذلك من امتحانات النقل كلها أو بعضها إذا ثبت أنه أدى بنجاح امتحانات تعادلها فى كلية أو معهد عال معترف بهما من الجامعة.

و للمجلس أن يعفى طالب الدراسات العليا من بعض المقررات الدراسية و من امتحاناتها إذا ثبت أنه حضر مقررات مماثلة فى كلية جامعية أو معهد عال معترف بهما أو أدى بنجاح الإمتحانات المقررة.

مادة ۸۱- يشترط فى قيد الطالب للتحضير لدرجة التخصص أو لدرجة العالمية أن يحصل على إذن من مجلس الكلية فى متابعة الدراسات و البحوث الخاصة بالدرجة.

مادة ۸۲- يشترط فى رسالة العالمية: «الدكتوراه» أن تكون عملا ذا قيمة علمية يشهد للطالب بكفايته الشخصية فى بحوثه و دراساته و يأتى للعلم بفائدة محققة.

و يشترك مجمع البحوث الإسلامية فى الموضوعات التى تتصل بإختصاصه.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۲۲

مادة ۸۳- تلحق بالأزهر المعاهد الأزهرية المذكورة فى اللائحة التنفيذية، و يجوز أن تنشأ معاهد أخرى بقرار من الوزير المختص بعد موافقة المجلس الأعلى للأزهر.

و تسمى الأقسام الإبتدائية منها المعاهد الاعدادية للأزهر و تسمى الأقسام الثانوية المعاهد الإعدادية للأزهر.

مادة ۸۴- تقوم مدارس تحفيظ القرآن مقام مدارس الأولى بالنسبة للطلاب المتقدمين إلى المعاهد الإعدادية للأزهر.

و تحدد اللائحة التنفيذية نظام القبول و شروطه بالنسبة للمتقدمين من تلاميذ هذه المدارس و من غيرها.

مادة ۸۵- الغرض من المعاهد الأزهرية الملحقة بالأزهر تزويد تلاميذها بالقدر الكافى من الثقافة الإسلامية، و إلى جانبها المعارف و الخبرات التى يتزود بها نظراؤهم فى المدارس الأخرى المماثلة ليخرجوا إلى الحياة مزودين بوسائلها و إعدادهم الإعداد الكامل للدخول فى كليات جامعة الأزهر و لتتهيأ لهم جميعا فرص متكافئة فى مجال العمل و الإنتاج، كما تتهيأ لهم الفرص المتكافأة للدخول فى كليات الجامعات الأخرى فى الجمهورية العربية المتحدة و سائر الكليات و معاهد التعليم العالى.

مادة ۸۶- مدة الدراسة فى المعاهد الإعدادية للأزهر أربع سنوات، يعد فيها التلميذ إلى جانب ما يحصل من علوم الدين و اللغة للحصول على الشهادة الإعدادية العامة أو الفنية.

مادة ۸۷- مدة الدارسة فى المعاهد الثانوية فى الأزهر خمس سنوات يعد فيها التلميذ إلى جانب ما يحصل من علوم الدين و اللغة للحصول على الشهادة الثانوية العامة بأحد قسميها العلمى و الأدبى، أو

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۲۳

للحصول على الشهادة الثانوية الفنية بأحد أنواعها الصناعى و التجارى و الزراعى و غيرها.

و يجوز أن تعدل مدة الدراسة فى الأقسام الثانوية الفنية بالزيادة أو بالنقص بقرار من رئيس الجمهورية.

مادة ۸۸- للحاصلين على الشهادة الإعدادية من المعاهد الإعدادية للأزهر حق الدخول فى المعاهد الثانوية للأزهر و لهم إلى جانب ذلك فرص متكافئة مع نظرائهم للتقدم إلى المدارس الأخرى التى تجعل الشهادة الإعدادية شرطا للقبول.

و تحدد وزارة التربية و التعليم مدى التجاوز عن شرط السن بالنسبة لهؤلاء التلاميذ على أن يوضح ذلك فى اللائحة التنفيذية كما يجوز للحاصلين على الشهادة الإعدادية من المدارس الإعدادية العامة أن يطلبوا الالتحاق بالمعاهد الثانوية بالأزهر بعد النجاح فى امتحان يحقق التعادل بينهم و بين الحاصلين على الشهادة الإعدادية من المعاهد الإعدادية للأزهر.

مادة ۸۹- للحاصلين على الشهادة الثانوية من المعاهد الثانوية للأزهر حق الدخول فى إحدى كليات جامعة الأزهر و معاهدها وفق قواعد القبول التى يقررها مجلس الجامعة، و لهم إلى ذلك فرص متكافئة مع نظرائهم للتقدم إلى الكليات المختلفة فى الجامعات الأخرى، و إلى سائر الكليات و معاهد التعليم العالى وفقا للقواعد المقررة لذلك. كما يجوز للحاصلين على الشهادة العامة من المدارس الثانوية العامة أن يطلبوا الالتحاق بإحدى كليات جامعة الأزهر و معاهدها بعد النجاح فى امتحان يحقق التعادل بينهم و بين الحاصلين على الشهادة الثانوية من المعاهد الثانوية للأزهر.

مادة ۹۰- مع مراعاة أحكام المواد ۸۵، ۸۶، ۸۷، ۸۸ و ۸۹ من

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۲۴

هذا القانون تحدد اللائحة التنفيذية المواد التى تدرس فى كل من المعاهد الإعدادية و الثانوية للأزهر بناء على اقتراح لجنة من الأزهر و وزارة التربية و التعليم. كما تحدد اللائحة التنفيذية شروط القبول و النظام العام للدراسة و الإمتحانات فى هذه المعاهد.

مادة ۹۱- يكون للمعاهد للأزهرية إدارة عامة مهمتها الإشراف و الإدارة و على وزارة التربية و التعليم تقديم المعونة اللازمة فى هذا الشأن مع الاستعانة بالأجهزة المختصة بوزارة التربية و التعليم. و تحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون مهمة هذه الإدارة و نظام العمل بها و اختصاصات مديرها و موظفيها و وسائل التعاون بينها و بين وزارة التربية و التعليم.

مادة ۹۲- تشکل لجنة من الأزهر و وزارة التربیة و التعلیم لوضع المناهج و تخطیط المواد الدراسیة فی المعاهد الأزهریة وفقا لأحکام هذا القانون و تحدد اللائحة التنفیذیة نظام العمل فی هذه اللجنة.

مادة ۹۳- تجری الإدارة العامة للمعاهد الأزهریة بالإشتراک مع وزارة التربیة و التعلیم امتحانات الشهادات الإعدادیة و الثانویة بأنواعها المختلفة فی المعاهد الأزهریة.

مادة ۹۴- إلی أن یتم تنفیذ هذا القانون و یتعادل خریجو الأقسام الإبتدائیة و الثانویة بالمعاهد الأزهریة مع نظرائهم من خریجی المدارس الإعدادیة و الثانویة تنظم دراسات إضافیة للتلامیذ المقیدین فی هذه الأقسام حین صدور هذا القانون لتأهیلهم لدخول امتحانات معادلة للشهادة الإعدادیة بالنسبة لتلامیذ الأقسام الإبتدائیة للمعاهد الأزهریة و للشهادة الثانویة العامة أو الفنیة بالنسبة لتلامیذ الأقسام الثانویة لهذه المعاهد.

و علی وزارة التربیة و التعلیم أن تعاون فی تنظیم هذه الدراسات و أن تعد العدة لعمل امتحانات المعادلة المشار إلیها فی ختام العام الدراسی ۱۹۶۱/ ۱۹۶۲.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۲۵

و مع ذلک فإن من حق کل حاصل علی إحدی الشهادتین الإبتدائیة أو الثانویة من هذه الأقسام دخول إمتحانات المعادلة المشار إلیها وفقا للنظام الذی تحدده اللائحة التنفیذیة و ینتهی العمل بهذا النظام بانتهاء العام الدراسی ۱۹۶۵/ ۱۹۶۶.

مادة ۹۵- یستمر قبول التلامیذ الحاصلین علی الشهادة الإبتدائیة من الأقسام الإبتدائیة فی المعاهد الأزهریة هذا العام فی الأقسام الثانویة بهذه المعاهد وفقا للنظام الذی تحدده اللائحة التنفیذیة و تعدل مناهج الدراسة بالنسبة لهؤلاء التلامیذ، و للتلامیذ المعیدین بالسنة الأولی بالأقسام الثانویة علی الوجه الذی یحقق التعادل فی آخر المرحلة.

مادة ۹۶- ابتداء من العام الدراسی ۱۹۶۲/ ۱۹۶۳ و إلی ابتداء العام الدراسی ۱۹۶۶/ ۱۹۶۷ یکون للتلامیذ الحاصلین علی معادلة الشهادة الإعدادیة أو معادلة الشهادة الثانویة المشار إلیهما فی المادتین السابقتین کل الحقوق المقررة للحاصلین علی الشهادة الإعدادیة أو الشهادة الثانویة سواء فی القبول بالمدارس و الکلیات الجامعیة و معاهد التعلیم العالی، أو فی غیر ذلک من الحقوق المقررة باللوائح و القوانین و القرارات، مع التجاوز عن شرط السن إلی سنتین بالنسبة للحاصلین علی معادلة الإعدادیة و إلی ثلاث سنوات بالنسبة للحاصلین علی معادلة الثانویة أو طبقا لما تحدد اللائحة التنفیذیة.

مادة ۹۷- الطلاب المقیدون فی کلیات الأزهر الحالیة، و الذین ینتظر قیدهم فی أول الموسم الدراسی ۱۹۶۱/ ۱۹۶۲، تحدد اللائحة التنفیذیة لهذا القانون النظام الذی یتبع الملائمة بین وضعهم و بین مقتضیات تطبیق هذا القانون.

و مع ذلک فإنه یجوز أن تزاد سنة الدراسة بالنسبة للطلاب المقیدین حالیا فی کلیات الأزهر سنة أو سنتین بصفة مؤقتة لتحقیق هذه الملاءمة.

کما یجوز للحاصلین علی الشهادة العالیة من کلیات الأزهر الحالیة أن

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۲۶

ینتظموا فی دراسات علیا فی جامعة الأزهر الجدیدة للحصول علی درجة التخصص أو العالمیة، و الذین یحصلون منهم علی إحدی هاتین الدرجتین او کلتیهما مثل الحقوق المخولة للحاصلین علیهما أو علی الماجستیر أو الدکتوراه من جامعات الجمهوریة العربیة المتحدة.

مادة ۹۸- یحتفظ للعلماء الموظفین الآن و للمدرسین فی أقسام الأزهر المختلفة و فی المعاهد الأزهریة و أعضاء هیئات التدریس فی کلیات الأزهر الحالیة و أعضاء جماعة کبار العلماء، کما یحتفظ بأصحاب الحقوق من أولاد العلماء و للطلاب فی الکلیات و المعاهد الأزهریة و الأقسام العامة بکل الحقوق المالیة المقررة لهم قبل صدور هذا القانون سواء فی المرتبات أو فی المعاشات أو فی الأوقاف

أو فی مـدة الخدمة بالنسـبة للموظفين، أو غير ذلك. على أن تتضـمن اللائحة التنفيذية لهذا القانون تحديد كل ما يتعلق بهذه الحقوق بالنسبة للذين يعينون فی الوظائف أو يلتحقون بأقسام الدراسة المختلفة مستقبلا.

مادة ۹۹- تحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون المسائل الآتية و غيرها مما وردت الإشارة إليه فی هذا القانون:

۱- اختصاصات شيخ الأزهر، و وكيل الأزهر، و مدير جامعة الأزهر، و وكيل جامعة الأزهر، و عمداء الكليات، و الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر، و الأمين العام للجامعة، و مدير الثقافة و البعوث الإسلامية، و مدير المعاهد الأزهرية، و المجالس المختلفة، و ذلك فی الحدود المبينة فی هذا القانون.

۲- جدول المرتبات و المكافآت لشيخ الأزهر و وكيل الأزهر و أعضاء المجلس الأعلى للأزهر و أعضاء مجمع البحوث الإسلامية.

۳- كيفية إدارة أموال جامعة الأزهر.

۴- شروط قبول الطلاب فی الجامعة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۲۷

۵- نظام تأديب الطلاب.

۶- كل ما يتعلق بالمنح و المكافآت و الإعانة الخاصة بالطلاب.

۷- مناهج الدراسة.

۸- مدة الدراسة و مدة الإمتحان و مدة العطلة.

۹- الدرجات العلمية و الشهادات التی تمنحها الجامعة و شروط كل منها.

۱۰- القواعد العامة للإمتحان.

۱۱- مدة اشتغال الممتحنين و لجان الإمتحان و مقدار مكافآتهم و كيفية تعيينهم و واجباتهم.

۱۲- الانتداب للتدريس.

۱۳- تحديد المكافآت المالية و المنح لأعضاء هيئة التدريس و المعيدين.

۱۴- نظام تعيين أعضاء هيئة التدريس و المعيدين و جدول المرتبات و المكافآت فی الجامعة.

۱۵- قواعد الشئون الاجتماعية و الرياضية للطلاب.

۱۶- القواعد العامة للتنظيم الدراسی و الإدارى فی المعاهد الأزهرية الملحقة و ذلك فی الحدود المبينة فی هذا القانون.

مادة ۱۰۰- تصـدر اللائحـة التنفيذيـة لهـذا القانون فی مـدى أربعة أشـهر من تاريخ صدوره، و يعمل بها من تاريخ صدورها. و للوزير المختص إصـدار ما يراه من قرارات تنظيميـة أو تكميليـة مؤقتـة تتعلق بشـئون الأزهر و هيئاته بما لا يتعارض مع نصوص هذا القانون و ذلك خلال الفترة التی تعد فيها اللائحة التنفيذية لحين صدورها.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۲۸

التعليم فی الأزهر

يسير الأزهر على التوسع فی التعليمين الثانوى و العالی و إتاحـة الفرص لكل قادر على متابعة الدراسة من إكمال معارفه و التزود بحظ من الثقافـة العاليـة يسـتطيع به أن يكون مواطنا نافعا يخـدم دينه و يعلى من شأن وطنه. و يعتقـد الأزهر أن الكفايـة ليس لها حدود و لا موطن معين، و لذلك فسياسته التعليمية منذ قديم تقوم على مبدأ تكافؤ الفرص بأوسع معانيه. فهو لا يضع حدودا أو عوائق مالية تحول بين الطالب مهما تكن قـدرته الماليـة و بين متابعـة الدراسـة حتى نهايتها، إذ الدراسـة فيه مجانية تتكفل الدولة بكل تكاليفها المالية. و فضـلا عن ذلـك فـإن الأـزهر على خلاف الجامعات كلها ينفرد بتقرير مكافآت ماليـة للطلاب تعينهم نوعا ما على طلب العلم و تحمل

نفقات المعيشة. و هو يتبع سياسة منظمة فى التوسع فى التعليمين الثانوى و العالى بحيث يكفل فى كل وقت ألا يرد طالبا راغبا فى العلم عن المعاهد الثانوية أو الكليات. و تبدأ سياسة الأزهر منذ المرحلة الأولى، فهو يضع شروطا للقبول بالسنة الأولى الإبتدائية من شأنها أن ترد غير القادرين على الدراسة، أو الذين لا تتوافر فيهم الأهلية لمتابعة الدراسة الدينية، فهو يشترط فى المادة ۹۹ من قانونه الأساسى ما يأتى: يشترط لقبول الطالب فى السنة الأولى من القسم الإبتدائى:

أولا- ألا تقل سنة عن اثنتى عشرة سنة، و لا يزيد على ست عشرة.

ثانيا- أن يكون حافظا للقرآن الكريم كله و يؤدى امتحانا يثبت ذلك.

ثالثا- أن يؤدى بنجاح امتحانا فى المطالعة و الإملاء و الخط و الحساب.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۲۹

رابعا- أن ينجح فى الكشف الطبى طبقا للشروط التى توضع لذلك.

و قد دل تحرى الدقة فى تطبيق هذه الشروط على المتقدمين إلى المعاهد الابتدائية أن نسبة كبيرة قد تصل إلى ۵۰٪ من عدد المتقدمين لم يستطيعوا أن يحرزوا النصاب المقرر للنجاح فى امتحان القبول، و بذلك أمكن منذ اللحظة الأولى أن يوجهوا إلى دراسة تتفق مع ميولهم، و بذلك ضمن إلى حد كبير أن أكثرية الذين اجتازوا هذا الامتحان التمهيدى الديهم استعداد للدراسة الدينية، و أنهم لديهم من الكفاية ما يؤهلهم لمتابعة الدراسة فى المرحلتين: الثانوية و العالية. و فضلا عن اشتراط هذا الامتحان التمهيدى فقد جرى قانون الأزهر حتى السنة الحالية على التشدد فى إمتحان طلاب السنتين الأولى و الثانية الابتدائيتين و عدم منحهم فرصا للدخول فى الدور الثانى، لينصرف الطلبة إلى الدراسة، و ليبقى فى التعليم من يؤهله استعداده و حرصه على الدراسة حتى المرحلة الثانوية، و ليتمكن هؤلاء الطلاب منذ بدء الدراسة من تخير طريق آخر و عدم إضاعة وقتهم و جهدهم دون جدوى. و ثمة قيد آخر اختص به التعليم الإبتدائى هو عدم السماح للطالب من الإعادة فى فرقة واحدة أو فى سنى الدراسة الأربع أكثر من مرتين. كل هذه القيود النافعة كانت عنصرا فعالا فى تصفية الطلاب غير المؤهلين للدراسة، و إبقاء من لهم قدرة و كفاية على مواصلة الدرس. و بتتبع نتائج القبول و إحصائيات المتقدمين تعرف الأزهر حاجياته فى التعليم الثانوى من فصول و معاهد. و بمراجعة البيان بعدد الطلاب الذين قبلوا فى السنوات من سنة ۱۹۳۶ حتى سنة ۱۹۴۹، يتبين مقدار الزيادة فى طلاب الأقسام الإبتدائية و اطرادها فى السنوات الأخيرة، مما حمل الأزهر على التوسع فى الفصول الثانوية، و افتتاح معاهد جديدة لتخفيف الضغط عن المعاهد القديمة.

و قد أنشأ الأزهر فى خلال هذه السنوات معهد شبين، الكوم و معهدا بقنا (ثانوى، ابتدائى)، و معهدا بسوهاج، و معهدا بالمنصورة، و معهد المنيا

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۳۰

و معهد سمنود و من ذلك يتبين أن الأزهر سار فى سياسة التوسع على خطة مرسومة أساسها الإحصائيات و سد حاجات الطلاب المقبولين فى المعاهد الدينية و تزايدهم سنة بعد سنة.

و حين كانت الظروف المالية لا تسمح بإنشاء معاهد جديدة أو فصول ثانوية جديدة، كان الأزهر يضطر إلى فرض قيد على قبول الطلاب، فيحدد عدد من يقبلون فى السنة الأولى الإبتدائية فى جميع المعاهد. و قد كان لهذه السياسة ضرر على الطلاب أنفسهم، فقد كانوا على رغم استعدادهم و رغم صرفهم سنين فى حفظ القرآن الكريم يصرفون فى سنة متأخرة عن الدراسة التى أهلوا أنفسهم لها و استعدوا للسير فيها. و هذا بدوره يثبط روح الأمل، و يقعد بزهرة الطلاب قد تكون فيهم كفاية ناضجة عن مواصلة التعليم، و تبقيهم فى بلادهم على مضض منهم، فيصرفون جهودهم إلى أشياء أخرى قد يكون فيها ضرر على المجتمع. و الأزهر حين اضطر إلى هذا التحديد كان يركن إليه لصالح الدراسة و مراعاة القواعد، من عدم جمع أكثر من أربعين طالبا فى فصل واحد، و كان الغرض منه أولا مراعاة إمكانيات المعاهد، و عدم توافر الفصول اللازمة لهؤلاء الطلاب، و عدم وجود المدرسين اللازمين لتعليمهم.

و ثمة عامل آخر كان يراعيه الأزهر فى هذا التحديد هو ملاحظة حاجة البلاد إلى المتخرجين فى سنوات كانت الأزمة الاقتصادية فيها مستفحلة، و كان مستقبل الخريجين فيها مظلما لا يبشر تقدم. و فى الحق لقد عانى الأزهر من سياسة التوسع فى تخريج العلماء و المدرسين معاناة شديدة، فقد جاء وقت كان المتخرجون فيه أكثر من حاجة البلاد، مما اضطر معه الأزهر فى سبيل التخفيف عنهم إلى النزول بمرتباتهم إلى مستوى ضئيل، و مع ذلك كانوا يقبلون على هذه الوظائف إقبالا شديدا، فكان العالم المتخصص يمنح مقابل قيامه بالتدريس جدولا كاملا فى المعاهد مرتبا شهريا ضئيلا لا يذكر، و قد دفع هذا ولاة الأمور إلى الأخذ بسياسة التحديد فى قبول الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۳۱

الطلاب بالسنة الأولى الإبتدائية حتى يمكن أن تتعادل حاجة البلاد و حاجة الأزهر إلى المدرسين مع عدد المتخرجين فى الأقسام النهائية. و يمكن القول بعد هذا أن العامل الاقتصادى لعب دورا هاما فى سياسة التحديد، و إنه حين- انتعشت الأحوال الاقتصادية فى البلاد و سمحت ميزانية الدولة بالتوسع فى التعليم العام، و أخذت بمبدأ تكافؤ الفرص و إتاحة التعليم الإبتدائى المجانى لكل من يرغب فيه، اتسعت آفاق الآمال للمتخرجين، و اشتدت الحاجة إلى المعلمين يسدون حاجة هذه المدارس- خفت وطأة التحديد و بدأت المعاهد تقبل جميع الناجحين من المتقدمين إليها، حتى تضاعف هذا العدد من ۱۰۰۰ فى سنة ۱۹۴۰ إلى ۲۰۰۰ فى سنة ۱۹۵۰.

جماعة كبار العلماء

-۱-

أنشئت هذه الجماعة بمقتضى قانون إصلاح الأزهر الذى صدر عام ۱۹۱۱، و قد ظلت قائمة حتى اليوم. و أعضاؤها يظلون فى مناصبهم العلمية حتى الوفاة، و لما جاء الشيخ عبد الرحمن تاج شيخا لمشيخة الأزهر هذا العام و أصدر قانونه بإحالة علماء الأزهر إلى المعاش فى سن الخامسة و الستين بدلا من سن السبعين نص فى القانون على أن هذا القيد يسرى على أعضاء جماعة كبار العلماء أيضا، و بذلك أصبح الأعضاء لا يتمتعون بهذه الميزة الكبرى التى كانت لهم من قبل، و قد خرج من الجماعة لذلك شيوخ الأزهر الكبار الذين بلغوا هذه السن أو تجاوزوها.

و قد كتبت فى مناسبات عديدة عدة مقالات عن الجماعة، أرى تسجيلها فى هذا المقام.

-۲-

أنشئت هذه الجماعة فى الأزهر لتنهض بأعباء الإصلاح الدينى المنشود، و لتحمل عبء المجهود العلمى فى مصر و الشرق، بخدمة التراث الإسلامى، و رعاية الثقافة الدينية، و امدادها بالمؤلفات و البحوث.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۳۲

و قد حدد قانون سنة ۱۹۳۶ المقاعد العلمية للجماعة بثلاثين كرسيا، و شرط لاختيار أعضائها شروطا كثيرة، أهمها أن يكون العضو الذى يرشح لها من العلماء الذين أسهموا فى الثقافة الدينية بنصيب فى الأزهر أو فى خارجه و أن يقدم رسالة علمية فى أية ناحية من نواحى البحث تظهر فيها صبغة الجدة و الابتكار.

إن رسالة الجماعة عظيمة خطيرة، فعليها أن تعنى بالتراث الإسلامى لعلمائنا الأمجاد، و أن تقوم بإخراجه للناس سائغا جميلا ملائما لعقولهم و مناهجهم الحديثة فى البحث و التفكير، و عليها ألا تقف عنده و تحافظ عليه فقط، و لكن عليها أن تبنى على أسسه، و أن تسير على امتداده، و أن تتابع الحركة العلمية فى مصر و سواها من الأقطار، و أن توجهها و تؤثر فيها، و تسير بها إلى غاياتها المثلى المنشودة.

تلك رسالة الجماعة، أما حاضرها على ضوء رسالتها فهو حاضر ينبغى أن يتغير لتستطيع الجماعة أن تخدم التراث الإسلامى، كما يجب أن يكون صوتها قويا مسموعا فى حياتنا الفكرية الصاخبة.

لقد كثر نقد الباحثين و المفكرين للجماعة، و كثر تساؤلهم عن انتاجها و عما أدته من الواجبات الخطيرة التى وضعت فى عنقها و قامت لأجلها، و سرى هذا التيار من خارج الأزهر إلى داخله، فلفت الرأى العام الأزهرى أذهان المفكرين من رجال الأزهر إلى ذلك.

و إن يعين الجماعة على أداء رسالتها ألا تحرم أولى الكفايات، و أن تفتح أبوابها لهم حتى تجنى الأمة و الأزهر ثمار هذه الجماعة، و يشعر الرأى العام بفائدتها و أثرها فى الحياة، و حتى تسير الجماعة إلى غاياتها السامية، و تخطو إلى مستقبلها المجيد، و تؤدى للعالم و الدين ما ينتظر منها أن تؤديه من خدمات .

و أخيرا حققت الآمال العظيمة التى طمح إليها دعاة الإصلاح فى مصر

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۳۳

و الشرق الإسلامى، و توج هذا الجهاد الحافل بالفوز و التوفيق، فأنصت الأزهر لهذه الدعوة الصارخة، و آمن بها، و أخذ يضيف إلى تاريخه التليد صفحات طريفة مجيدة. فمنذ أسابيع قرأنا أن عضوا بارزا من جماعة كبار العلماء قدم إلى الجماعة اقتراحا جديدا تشيع فيه الرغبة الصادقة فى توجيه الثقافة فى هذه الجامعة العظيمة وجهة جديدة صالحة تجمع بين أمرين عظيمين:

الأول: بعث روح الانتاج العلمى، و الاضطلاع بأعبائه فى شتى فروع الثقافة الدينية.

الثانى: العناية بشئون المجتمع، و بحث مشكلاته الخلقية و الاجتماعية و الاقتصادية، و بيان موقف الدين الإسلامى حيالها.

ثم علمنا أن هذا الإقتراح يشق طريقه نحو التنفيذ، فأيقنا أن الأزهر مصمم على السير إلى أبعد غايات الإصلاح، مؤمن بتوفيق اللّه و رعايته. و لا يخالجنا شك فى أن الجماعة- و قد ضمت عناصر جديدة ممتازة- ستظفر بتحقيق هذه الآمال، و ستكتب فى تاريخ الأزهر الحديث أروع الصفحات.

و ليس هذا على الجماعة بكثير، فقد عنى بها المراغى عناية كريمة فآثر بعضويتها أولى الكفايات من العلماء الحريصين على مسايرة الحياة إلى أسمى غاياتها، و توجيه الحياة الاجتماعية بنور الدين و هدايته. إن المجتمع فى حاجة إلى الأزهر، و الأزهر فى حاجة إلى المجتمع، و لا ريب فى أن اتجاه علمائنا نحو المجتمع و بحث شئونه و مشاكله ستجعل الناس على بينة من دينهم، و تهديهم إلى سبل الخير و الفضيلة و الرشاد.

لقد مضى زمن الجدل العقيم فى العقائد، و البحث النظرى فى القشور دون اللباب، و سئمنا الكلام فى المياه التى يجوز بها التطهير و التى لا يجوز، و فى إثبات كرامة الأولياء و نفيها، و فى طبقات السماء أمن فضة هى أم من ذهب، إلى غير ذلك. و ها نحن أولاء نشاهد إشراق عهد جديد يشارك فيه علماؤنا الناس، و ينزلون من عزلتهم التقليدية إلى حيث يسير

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۳۴

الناس و تتحرك الحياة، و يضعون شئون المجتمع و مشاكله نصب أعينهم، و يقفون منه موقف الناصح الأمين.

لعمرى لقد ملأ الإيمان قلوب الناس، بل و عقولهم يوم كان الدين روحا و عقيدة و خلقا و عملا. و لم يمتحن المسلمون بأعظم من الجدل فى العقيدة و الخلاف فى الدين، حتى انحل ما كان معقودا من ألفتهم، و خمد ما كان متأججا من روحهم. و لقد ظهر الغزالى فى عصر مفعم بالفتن و الاضطرابات و الجدل و الخلاف، فدعا الناس إلى دين اللّه بلغة العاطفة و القلب حين رأى الدعوة إليه عن طريق الخصومة و الجدل داعية فتنة و ثائرة ضلال، و لكن الغزالى يئس من المجتمع لأنه كان يود أن يراه مجتمع ملائكة أبرار لا مجتمع شياطين أشرار، فزهد فى الحياة، و عزف عن المجتمع، و اعتزل الناس، إيثارا لسلامة الدين و النفس و بعدا عن شرور المجتمع و سيئاته، و قلده فى مذهبه الاجتماعى أصحابه و مريدوه، فظلت تلك الروح نزعة لعلمائنا حتى العصر الحديث.

و لقد كانت أسمى غاية للأستاذ الامام محمد عبده من إصلاح الأزهر أن يحمله على الاندماج فى المجتمع، و التغلغل فى أعماقه، و

السمو به- عن طريق الارشاد و التهذيب الدينى الصحيح- إلى أبعد ما يستطاع من غايات، و كان يريد من وراء ذلك أن يذكى فى الأمة الإسلامية روح القوة و الفضيلة، و أن يدفع بها إلى الحياة الكريمة العزيزة، لتستطيع أن تذود عن حريتها، و تحافظ على تراثها المسلوب، و حتى يتسنى لها- إذا تابعت السير فى هذا المضمار- أن تستعيد ما كان لها من مجد باذخ و جلال قديم، فتسير فى قافلة الحياة البشرية داعية خير و هدى و سلام. و لقد أبى الأزهر حينئذ أن يستجيب لدعوة الأستاذ. الإمام و آثر أن يعيش فى ظلام الجمود و الحيرة، عزوفا عن الجديد الذى كان يؤمن بأنه بدعة، و كل بدعة ضلالة، و كل ضلالة فى النار ...

و بعد ربع قرن من وفاة الأستاذ الإمام تكشفت غيوم الحيرة، و خضدت

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۳۵

شوكة الجمود و حماته، و ألقيت مقادة الأزهر فى يد تلميذ من تلامذة الإمام، فأخذت دعوته طريقها إلى قلوب الأزهريين و عقولهم، و سرت فى الأزهر روح جديدة، و أيقن رجالاته بضرورة الإصلاح، و أن اتجهوا فى ذلك و جهات مختلفة متباينة ...

فليعد علماؤنا إلى المجتمع حاملين فى ظلمات الحياة الاجتماعية نور الدين و هدايته، ناشرين فى ضلال الحياة الإنسانية دعوة اللّه و رسالته، هادين الناس إلى الحق و إلى طريق مستقيم ... .

إن هيئة كبار العلماء أكبر هيئة دينية فى العالم الإسلامى، و أعضاؤها الموقرون من أفذاذ العلماء فى الأزهر الشريف، و إنى لأقترح على أولى الأمر فى الأزهر تحويل عضوية الهيئة إلى كراسى دائمة، تطلق عليها أسماء الخالدين من شيوخ الأزهر و سواهم من أعلام العلماء: فنجد من بينها كرسى الظواهرى، و المراغى، و مصطفى عبد الرازق، و الشناوى. و كرسى محمد عبده، و جمال الدين الأفغانى ... ففى ذلك تخليد لذكرى أئمتنا و كبار شيوخنا، و فيه تمجيد لأعمالهم العظيمة فى خدمة الأزهر، و ما حملوا من أعباء الجهاد فى سبيل الإصلاح الدينى.

الدراسات العليا فى الأزهر الجامعى

-۱-

نعنى بالدراسات العليا تلك الدراسات الخاصة التى تنظمها الجامعات للنابغين من أبنائها الذين وقفوا حياتهم على الدرس و البحث.

و هذه الدراسات بمعناها العلمى دعامة من دعامات الحضارات الإنسانية التى تقوم على أساس وطيد من المعرفة و الثقافة، و هى أعظم ما تعنى به الجامعات الكبيرة فى الدول العريقة، و عليها يتوقف التطور البشرى.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۳۶

و لقد عرفتها الجامعات العلمية الأولى فى الشرق فى أحقاب التاريخ القديم، و فى شتى أطوار الحياة الإسلامية العظيمة، ففى البصرة و الكوفة، و فى دمشق و بغداد و فى قرطبة و القاهرة و سواها من العواصم الإسلامية ازدهرت الدراسات العليا التى كان يقوم بها قادة الفكر الإسلامى، ثم شاء اللّه أن تذوى هذه الحضارة الزاهرة، و تطفأ مصابيح ذلك النور المشرق، و أن يستكين المسلمون لأحداث الزمن و نكبات التاريخ، فحمل العلماء فى هذا الاضطراب العاصف مشعل الثقافة الإسلامية، و لكن الأحداث كانت أقوى من جهودهم، فتلاشى كثير من تلك الدراسات فى شتى الجامعات، و لم يبق منها إلا شعاع خافت ضئيل.

و خضع الأزهر فى حياته العلمية الطويلة لهذه التطورات حتى كان العصر الحديث، و قيض اللّه لمصر و الشرق رجلا من أنبه رجال الفكر فيه هو السيد جمال الدين الأفغانى، فنفخ فى حياته روح الشباب و القوة و التفكير، و كان من أبر أبنائه الإمام محمد عبده الذى جاهد فى سبيل الأزهر و العلم و الدين جهاد الأبطال، و كانت أول دعوة للأستاذ الإمام رفع مستوى الدراسة فى الأزهر، حتى يستطيع أن يساير النهضة الفكرية فى الشرق و الغرب أولا، و أن تؤدى رسالته العظيمة ثانيا، و أنشئت على أساس أفكاره أقسام الدراسات العليا

فی الأزهر- التخصصات- بعد وفاته بكثير، و كان من أهم هذه الأقسام تخصصات العالمية من درجة أستاذ التی أنشئت عام ۱۹۳۰ و التی حملت عبء الثقافة الدينية و العربية و العقلية فی الأزهر و كلياته من ذلك العهد إلی الآن، و قام خريجوها ببحوث جديدة فی شتی فروع الثقافة تجلت فی رسائلهم المختلفة التی تقدموا بها لنيل العالمية من درجة أستاذ، و كانت الغاية من إنشاء هذه الأقسام هی:-

أولا- افساح مجال البحث الحر أمام الأساتذة و الكفايات الممتازة من طلبة الأزهر.

ثانيا- خلق جيل جديد من الخريجين يحملون فی مستقبل حياتهم مشعل الثقافة فی مصر و العالم الإسلامی.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۳۷

و قد بعثت رغبات جامحة لا- نعرف أسبابها علی أن ينظر كثير من المسئولين فی الأزهر إلی هذه الأقسام نظرة لا- تليق بمكانتها و جهودها فی الأزهر و رسالتها التی تحملها، حتی لقد مضی عليها خمس سنوات لم يقبل فيها أحد من أوائل الشهادات العالية بالأزهر.

و نحن ننادی بفتح هذه الأقسام من جديد، علی أسس أكثر نظاما، و أدق تجديدا من النظم الأولی التی كان يسير الأزهر عليها، فجهود خريجه و رسائلهم و بحوثهم العلمية و آثارهم الثقافية فی حياة الأزهر الآن هی سجل ناطق بمدی نجاحهم و نجاح هذه الأقسام الدراسية العليا فی غايتها الثقافية و العلمية.

و أهم هذه الأسس التی نراها صالحة لتوجيه هذه الدراسات و الطلبة المثابرين عليها هی:

أولا- العناية التامة بطلبة هذه الأقسام عناية أدبية و مادية تحول بينهم و بين كل ما يعوقهم عن التفرغ للبحث و الدرس.

ثانيا- الاختيار الصالح لأساتذة هذه الأقسام، فحيث يوجد الأستاذ الكفء يوجد النشاط العلمی و الحياة العقلية الخصبة، و يخلق الطالب النابغة، و ذلك هو ما ننشده لهذه الأقسام، و لقد كانت محاضرات الأستاذ الشيخ محمد عرفه فی هذه الأقسام و مدی أثرها و توجيهها العقلی دليلا علی ما يمكن للأستاذ أن يفعله و أن يأتی به من معجزات حينما يختار لمهمته فيحسن اختياره، و يكلف بالعبء الذی يستطيع أن ينهض به.

ثالثا- تحديد مناهج الدراسة و الكتب و مواعيد المحاضرات و الامتحانات تحديدا واضحا لا لبس فيه و لا غموض.

رابعا- جعل العلوم الإضافية فی هذه الأقسام قاصرة علی السنتين الأوليتين فيها، علی أن يعقد امتحان بعد العامين للطالب الذی يلتحق بها يمتحن فيه فی جميع المواد الإضافية ليفرغ بعد هذا الإمتحان إلی المواد الأساسية التی يعد نفسه من أجلها.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۳۸

خامسا- دراسة إحدی اللغات الأجنبية الأوروبية فی هذه الأقسام.

سادسا- وضع الخريجين من هذه الأقسام بعد تخرجهم منها فی وظائف التدريس فی الكليات مباشرة بدون أی تأخير، و اختيار أعضاء البعثات التی تسافر إلی الخارج من بينهم. فبذلك يكون الأزهر قد عمل علی خلق جيل جديد من شبابه يقدر علی حمل أعباء رسالته و النهوض بها.

-۲-

و لقد كان محمد عبده رحمه اللّه أبرز قائد لحركة البعث و الإصلاح الدينی فی مصر و الشرق الإسلامی، بعد أستاذه جمال الدين الأفغانی. و كان من البدهی أن يتجه هذا المصلح الدينی الخالد الذكر إلی إصلاح الأزهر نفسه لأنه نواة الفكرة الإسلامية، و مغذی الروح الدينی. و لم تظهر آثار جهاد الشيخ عبده و جهوده فی إصلاح الأزهر إلا بعد وفاته، و علی أيدی تلاميذه الذين تحمسوا لآراء أستاذهم فی الإصلاح، و تعهدوها بالعناية و التنفيذ.

كانت الدراسة فی الأزهر فی عهد محمد عبده تسير علی النظام القديم البدائی: حلقات للتعليم، و طلبة يختارون أستاذهم الذی

یتتلمذون علیه و یناقشونه فیما صعب من مشکلات العلم و الثقافة، و کتب ألفت فی العصور الوسطی و غلبت علیها آثار الثقافة العقلیة التی کانت سائدة فی هذه العصور. و فی ۱۸۷۲ م وضع قانون لإصلاح الأزهر، نظم طریقة نیل العالمیة، و حدد مواد الامتحان فیها، و بتعضید الشیخ محمد عبده، و علی ید صدیقه المرحوم الشیخ حسونة النواوی شیخ الأزهر حینذاک، صدر قانون عام ۱۸۹۶، الذی نظم الدراسة فی الأزهر، و أدخل العلوم الحدیثة فی مناهجه، أما النظام الإداری للأزهر و معاهده فقد صدر به قانون عام ۱۹۱۱، بعد وفاة الإمام محمد عبده بسنوات. و أخذ الأزهر یسیر علی هذا النمط من الدراسة، دون أن یوجد فیه أثر للدراسات العلیا، حتی صدر قانون ۱۹۲۳، الذی أوجد نوعا من هذه الدراسات قامت علی أسسه أقسام التخصص القدیم، التی کانت تمنح درجات علمیة تعادل درجة الماجستیر فی جامعتی القاهرة و الاسکندریة، ثم أخذ الأزهر یعمل علی مسایرة النظم

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۳۹

الجامعیة التی تسیر علیها شتی الجامعات فی الشرق و الغرب، ففکر المراغی فی عهد مشیخته الأولی فی إنشاء أقسام أکبر للدراسات العلیا فی الأزهر، و المراغی أنبه تلامیذ محمد عبده، و أکثرهم دعایة لآراء أستاذه، و تحقیقا للکثیر منها ... و قد ظهرت آثار هذا الاتجاه فی قانون إصلاح الأزهر الذی صدر عام ۱۹۳۰ فی عهد المرحوم الشیخ الأحمدی الظواهری، و قد نظم هذا القانون الأزهر الجامعی، فقسمه إلی کلیات و معاهد، و أنشأ أقسام الدراسات العلیا بشتی فروعها، و عدل عام ۱۹۳۶ و ما والاه تعدیلا أملته الضرورة و التجربة و الرغبة فی خلق الروح الجامعی فی الأزهر. و سمی هذا القانون أقسام الدراسات العلیا: أقسام تخصص المادة، و منها ینال المتخرج شهادة العالمیة من درجة أستاذ، و هی أرفع شهادات الأزهر العلمیة، و تعادل الدکتوراه الممتازة، و تدرس بها علوم الشریعة و أصول الدین و القرآن و الحدیث و البلاغة و الأدب و اللغة و الفلسفة و التاریخ، و مدة الدراسة بها لا تقل عن ست سنوات بعد انتهاء دراسة الکلیة، و کان طلبتها یختارون من بین أوائل المتخرجین. و اختیر للتدریس بهذه الأقسام أئمة العلماء و المفکرین فی الأزهر و مصر، و قد حققوا نهضة فکریة و علمیة جدیرة بالإشارة فی تاریخ الأزهر الحدیث، کما کانت امتحانات أقسام هذه الدراسات، و مناقشات رسائل الخریجین مواسم خالدة للعلم و الأدب فی الأزهر، و کان یشرف علیها أفذاذ العلماء و الأدباء و المفکرین، و من بینهم المراغی و لطفی السید و مأمون الشناوی و اللبان و حمروش و عبد المجید سلیم و عرفة و شلتوت و الجارم و سواهم.، و رسائل الخریجین من أقسام العالمیة من درجة أستاذ فیها جهد کبیر و ألوان جدیدة من البحث و التحلیل، و هی أوضح أثر لنهضة الأزهر العلمیة الحدیثة، و قد طبع بعض قلیل منها. کما حمل خریجوه بجدارة مناصب التدریس فی کلیاته و معاهده، و لکثیر منهم نشاط علمی خصب، و انتاج حافل فی الأدب و الشریعة و الفلسفة و التاریخ و العقائد. و من سوء الحظ ألا- یهضم الأزهر الجامعی نظام الدراسات العلیا، و أن یحاربها من وراء ستار، و أن یعطل الدراسة بأقسامها من عام ۱۹۴۱ حتی الآن. و کان

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۴۰

اعتزاز الأزهر بهذه الدراسات ضئیلا محدودا، تجلی فی طبع رسالتین أو ثلاث من رسائل خریجیها، و فی عرض بعضها فی المعرض الزراعی عام ۱۹۴۹ و لا یزال جل هذه الرسائل مخطوطا فی مکتبات الکلیات الأزهریة، و عددها یقارب المائتین.

فمن مبلغ الأزهر بأن نظامه الجامعی و ازدهاره العلمی لن یکون لهما کیان إلا إذا عادت من جدید هذه الدراسات العلیا فیه، تؤدی رسالتها العظیمة فی خدمة الدین و الثقافة، و تجدید مناهج البحث العلمی الحر، و الکشف عن آثار التراث الإسلامی المجید، و النهضة بالثقافة الأزهریة، حتی تبلغ المنزلة الرفیعة، التی بلغتها الثقافات الحدیثة، فی جامعات الشرق و الغرب.

و یتحدث الخریجون من قسم الأستاذیة فی مذکرة رفعوها إلی المسئولین فی أکتوبر عام ۱۹۵۲، عن حاضرهم و آمالهم فیقولون:

أنشیء قسم الأستاذیة فی الأزهر بمقتضی القانون رقم ۴۹ لسنة ۱۹۳۰ المعدل بالقانون رقم ۲۹ لسنة ۱۹۳۶ حینما أرید للأزهر أن یکون جامعة و أن تنشأ به کلیات للتعلیم العالی، و أن یقضی علی عوامل الانحلال التی عصفت به و ذهبت بکل ما کان له من مجد و جلال. و لم یکن بالأزهر عند صدور القانون أساتذة یحملون مؤهلات ممتازة تخول حامیلها التدریس فی کلیاته، فأنشیء فیه هذا

القسم لتخريج أساتذة ممتازين يعهد إليهم بهذه المهمة، و أطلق عليه إسم تخصص المادة ... و يختار طلابه من أوائل الشهادات العالية من الكليات و يقضى فيه الطالب ست سنوات على الأقل، ثم يقدم فى نهايته رسالة قيمة تناقش مناقشة علنية و يمنح الناجح فيها شهادة تسمى العالمية من درجة أستاذ و هى تعادل «دكتوراه ممتازة حرف أ». و من هؤلاء وحدهم تتكون هيئات التدريس بالكليات تطبيقا للمواد ۴۱، ۴۲، ۱۱۹ من القانون رقم ۲۶ لسنة ۱۹۳۶، كما جعل الحصول على هذه الشهادة شرطا لعضوية جماعة كبار العلماء، و من بين هؤلاء يختار شيخ الأزهر و كبار الموظفين الإداريين فيه ..

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۴۱

و لكن الذى حدث من المسئولين فى الأزهر حيال أقسام الأستاذية هو:

۱- أغلقوا قسم الأستاذية إغلاقا نهائيا منذ أكثر من أربع عشرة سنة، و احتجوا لذلك بأنهم سيعيدون النظر فى نظامه.

۲- سلكوا الحاصلين على هذه الشهادة مع حملة أدنى شهادات الأزهر فى سلك واحد و حكموا الأقدمية المطلقة بينهم فى الترقيات و منح الألقاب العلمية.

و إنا لنقترح مساواة خريجى الأستاذية بنظرائهم فى الجامعات من كل النواحى العلمية و الأدبية و المادية، و فتح أقسام الدراسات العليا فى كليات الأزهر فورا و قبول المتقدمين إليها من الطلاب. و زيادة عدد الأساتذة ذوى الكراسى فى كليات الأزهر بما يناسب الزيادة فى عدد الطلاب و المدرسين و المواد الدراسية فقد حدد عدد هذه الكراسى فى عام ۱۹۳۶، و لم يكن بالكليات من المدرسين و الطلاب أكثر من خمس العدد الحالى.

الصلات العلمية بين الأزهر و الجامعة

منذ أعوام قلائل قرأت فى بعض الصحف، سؤالا لشاب أزهرى كتب يقول: «أنا طالب أزهرى حاصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية من معهد القاهرة و أجيد الفرنسية و الانجليزية إجادة تامة، فهل يجوز لى الالتحاق بكلية الآداب؟» و نشر مع السؤال رأى سيادة عميد كلية الآداب و نصه: «لا يمكن قبول الطالب بكلية الآداب، وفقا للوائح التى لا تزال متبعة إلى الآن»، و أمر هذه اللوائح عجيب حقا، فهى التى تسيطر على التفكير الحر فى مصر. و كيف يمكن إقناع الطالب المسكين الذى يريد إكمال دراسته بقسم اللغة بكلية الآداب بأن رد العميد عادل و معقول؟ و لم فات الدكتور طه حسين أمر هذه اللوائح حين كان عميدا لكلية الآداب، فأمر بقبول عدد كبير من طلاب الأزهر بكليته، و نظم لمن لا يعرف منهم لغة أجنبية دراسات خاصة، فكانوا أكثر خريجها نشاطا و انتاجا؟. و لا تزال هذه اللوائح أيضا تحول بين أساتذة الأزهر و حرية التقديم لشهادات الجامعة، و الانتظام فى

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۴۲

دراساتها، فإلى متى تظل هذه اللوائح و القيود و الأفكار القديمة تتحكم فى مصير الثقافة فى مصر فى القرن العشرين؟.

حياة الأزهر الثقافية

-۱-

لقد ابتدأت الدولة الفاطمية حياتها السياسية بالقيروان سنة ۲۹۶ ه على يدى مؤسسها الأول عبيد اللّه بن محمد- و أخذت توسع نطاقها السياسى و مجالها الدولى بالتدريج، و فى عهد الخليفة الرابع المعز لدين اللّه دخل الفاطميون مصر بعد منتصف القرن الرابع الهجرى بقليل .. فقضوا على نفوذ الخلافة العباسية فيها، و على مذاهبها السياسية و الاجتماعية و العقلية من جميع أرجائها، و بسطت الدولة الجديدة سيادتها على البلاد بالقوة و أخذت تصبغ جميع نواحى النشاط فى الدولة بصبغة تلائم عقيدتها الشيعية الاسماعيلية، سواء فى

أداء الشعائر أم فی سیاسة الدولة و أمور الاجتماع و نواحی التفکیر.

و کان لا بد للدولة الجدیدة أن تقوم بدعایة واسعة النطاق تکرس لها کل ما تستطیع من قوة و جهد فی سبیل تغییر الاتجاه الفکری فی مصر کلها، حتی یؤمن العقل المصری بعقیدتها الشیعیة، و یتحمس لها و یدعو إلیها، و یکون بین الدولة و الشعب تفاهم عقلی بعد هذا الوثام السیاسی الذی وجهته القوة و أملاه السیف.

و من ذا الذی یقوم بهذه الدعایة، و بدأ فی جد لتغییر مناحی التفکیر فی مصر، و لجذب الشعور الوطنی نحو الدولة؟ إنهم العلماء الشیعیون الاسماعیلیون و رجال السیاسة و التفکیر فیهم .. و إذا فلتقم جامعة علمیة منظمة، و لتشرف هذه الجامعة بأساتذتها و شیوخها علی مناحی الثقافة و التفکیر فی الدولة، داعیة إلی العقیدة الشیعیة بأصولها و تشریعها الفقهی و کافة آرائها السیاسیة و الاجتماعیة و العقلیة، حریصة علی نشر هذه المبادیء فی مصر و سائر أنحاء الشرق الإسلامی.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۴۳

و شید الأزهر و تم تشییده فی عامین و افتتح فعلا للصلاة فی ۷ رمضان عام ۳۶۱ ه و قام رجال الدولة بإلقاء المحاضرات العامة فیه بین حین و حین إلی أن تولی العزیز بن المعز لدین اللّه العرش (من عام ۳۶۵ إلی ۳۸۶ ه) فاتجه بعنایته إلی الأزهر و جعله معهدا علمیا منظما، شمله برعایته الکاملة، و اختار للدراسة فیه أساطین الفقه الشرعی من شتی أنحاء العالم الإسلامی و أحاطهم بشتی أسباب الرعایة و التقدیر و کان من بین هؤلاء وزیر العزیز باللّه یعقوب بن کلس .

و قام الأزهر بما طلبته منه الدولة، و ما هیأته له، فأخذ ینشر العقیدة الاسماعیلیة و یدرس مبادئها السیاسیة و تشریعاتها الفقهیة، و أصولها المذهبیة و اتجاهاتها الفکریة فضلا عن عنایته بالکثیر من الدراسات العقلیة و اللغویة و الأدبیة- و صار أعظم بیئة علمیة و أحفلها فی الشرق الإسلامی بهذه الدراسات، التی خرج فیها جیلا جدیدا من العلماء الذین أصبحوا ید الدولة و دعاتها و قوام الحیاة السیاسیة و الاجتماعیة و العقلیة و الأدبیة فیها، کانت الدولة الفاطمیة تشمل بنفوذها السیاسی حوض البحر الأبیض الأفریقی کله من مراکش إلی الشام، فضلا عن الحجاز و یهفو إلیها جمیع الاسماعیلیین فی العراق و إیران و الهند بقلوبهم، و یتجهون إلیها بشعورهم و کان الأزهر هو المثابة العظیمة للعلم و التفکیر و الثقافة فی هذه الأقطار کلها، و هو الذی یحمل مشعل النور و الهدایة إلی سائر هذه الأمصار، و وفدت إلیه أفواج الشباب من شتی هذه الأرجاء، ترتوی من معینه- و تقتبس من نوره و تهتدی بهدیه، و تضافرت هذه العوامل الأجنبیة و السیاسیة و الفکریة کافة علی تکوین شخصیة مستقلة لهذه الجامعة الجدیدة، ظهر أثرها الفذ فی الثقافة الإسلامیة فی مصر و جاراتها الشقیقة علی عهد الدولة الفاطمیة.

و من العبث أن نوازن بین الأزهر حینئذ و بین المدرسة النظامیة التی کان یدرس فیها أقطاب العلماء ببغداد کالغزالی و سواه، لأن مواد هذه

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۴۴

الموازنة مفقودة، فالتاریخ الذی حفظ لنا تراث المدرسة النظامیة فی شخصیات کبار أساتذتها قد ضن علینا بتراث الأزهر و إنتاجه العلمی فی هذه الحقبة، لأنه إنتاج شیعی تعصب علیه و ناوأه أعداء الشیعة.

و لقد شاء القدر العتید أن تطوی الدولة الفاطمیة و آثارها من الوجود بعد قرنین حافلین- حیث ثل السلطان صلاح الدین الأیوبی عرشها و محی آثارها و ثقافتها، و قبض بیده علی أمور مصر و سیاستها عام ۵۶۷ ه، و کان فیما حاربه و قضی علیه المذهب الشیعی الفاطمی، و أحل محله المذهب السنی الذی تؤیده خلافة بنی العباس و تنکر الزمن للأزهر فعطلت دروسه، و تفرقت شیوخه، و منعت منه الخطبة، و حل الکثیر من أوقافه، و شارک الدولة الراحلة آلام التطور السیاسی الجدید و بعد عهد الانقلاب السیاسی و عودة الاطمئنان العقلی، عادت إلی حلقاته الدراسات الفقهیة، لا سیما الفقه الشافعی و لکن بشکل متقطع غیر مستقر، و استمر الأمر علی ذلک قرنا من الزمن.

و لکن الأحداث السیاسیة العظیمة فی الشرق الإسلامی أعادت إلی الأزهر ماضیه العلمی المجید .. ففتح التتار المغول لبغداد و شتی عواصم البلاد الإسلامیة و عصفهم بالتراث الإسلامی الثقافی بإحراق دور الکتب، و تبدید نفائس الأسفار فیها حرقا و تمزیقا و رمیا بها فی ماء دجلة و الفرات، و تفریق العلماء و رجال الثقافة الإسلامیة و تعطیل الدراسات الثقافیة: دینیة و عقلیة و لغویة فی شتی مدارس الشرق الإسلامی و جامعاته، ثم انتقال الخلافة العباسیة من بغداد إلی القاهرة فی عهد الممالیک و علی ید السلطان الظاهر بیبرس سنة ۶۵۹ ه، ثم أهمیة مصر السیاسیة و الاقتصادیة و صبغتها العربیة، و وقوعها فی قلب العالم الإسلامی و ثقافتها العقلیة القدیمة- کل هذه الأسباب أدت إلی إعادة النشاط العلمی فی الأزهر فشجع بیبرس التعلیم فیه و أعاد إلیه الخطبة عام ۶۵۹ ه، و وقف علی أساتذته و طلابه الأوقاف الکثیرة و الأموال الطائلة.

و منذ ذلک الحین ذاع صیت الأزهر و استعاد مکانته العلمیة و أمه الطلاب من کل صوب و حدب، من أواسط أفریقیة إلی جنوب روسیا، و من

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۴۵

مراکش إلی أقاصی الهند، وجد الأزهر و علماؤه فی إحیاء الثقافة الإسلامیة التی رماها التتار بأقسی النکبات فی فتحهم الوحشی لبلاد الخلافة العباسیة، فکان للأزهر جهوده العظیمة الحافلة فی هذا المضمار، مما وطد من مکانته، و دعم من کیانه، و أقر له منزلته العلمیة العظیمة و شخصیته الجامعیة الضخمة. و زاد من مکانة الأزهر قوة و استقرارا انقراض الحضارة الإسلامیة من الأندلس عام ۸۹۷ ه و انتهاء جامعاتها العلمیة الکبیرة و تبدید مسیحیی أسبانیا للتراث العربی فیها، فألقیت مقالید الثقافة الإسلامیة فی الشرق کافة فی ید الأزهر، فحمل الأمانة، و بذل فی سبیل أداء رسالته کل ما یستطیع من جهد و قوة، و أخذ الأزهر یسیر فی دراساته الدینیة، و فی انتاجه الثقافی علی المنهج العلمی المألوف فی عصره، فکانت کتب الدراسة فیه و المؤلفات العلمیة التی یؤلفها علماؤه، شروحا لأصول الکتب العلمیة الدائمة فی عصره، و حواشی علی هذه الشروح و تقاریر علی هذه الحواشی؟

- و هذه الشروح و التقاریر و الحواشی تتجه إلی خدمة أمرین عظیمین: أولا:

الشرح التحلیلی التفصیلی لأسالیب هذا الأصل العلمی المشروح، و المبالغة البعیدة فی توجیه الفهم فیه وجهة خاصة، یتحری فیها الدقة و العمق و الإحاطة بألوان الثقافة المنوعة، عند ما تستوجب هذه الإحاطة دراسة الأسلوب و الفاظه. و ثانیا: إثارة المشکلات العلمیة العمیقة التی تتصل بأصل الفکرة المبحوثة أو التی تضیء جوانب البحث فیها، أو التی تعتبر لازمة للتوسع فی دراستها، و بجانب هذه الدراسة العلمیة، و هذا الانتاج الثقافی الخاص، توجد موسوعات علمیة ألفت فی شتی نواحی الثقافة الإسلامیة لتعویض ما فقده التراث الإسلامی من نفائس المؤلفات و کانت الطریقة العلمیة ملائمة لعقول العلماء إذ ذاک و متمشیة مع أسالیب المنهج العلمی المألوف فی عصرهم، فقد کان الشرق کله یقرها و یسیر علیها فی میادین الثقافة و التعلیم و التفکیر، و ما زالت محل اعجاب الباحثین من المستشرقین و المفکرین، و من العبث أن نزوی بها أو نحط من شأنها، أو نرمیها بالخطأ و الخمول.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۴۶

و من أساتذة الأزهر فی ذلک العهد عز الدین بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء و تلمیذه القشیری و هو الذی لقبه بهذا اللقب، و عز الدین هذا کما کان مثلا فی الشجاعة و هو أصدق مرآة نری فیها أخلاق العلماء، یقول ابن السبکی فی طبقاته: «إنه وقف فی وجه القائم بأمر مصر وقتئذ لما أراد أن یفرض ضریبة علی التجار قائلا: «إذا أحضرت ما عندک و عند حریمک من الحلی و أحضر الأمراء ما عندهم من الحلی الحرام و ضربته سکة و نقدا و فرقته و لم یقم بالکفایة فلک أن تطلب القرض، و أما قبل ذلک فلا». و یقول عنه أیضا إنه لما توفی عز الدین بن عبد السلام سنة ۶۶۰ ه و مرت جنازته تحت القلعة، و شاهد الظاهر بیبرس کثرة الخلق الذین معها قال لبعض خواصه: «الیوم استقر أمری فی الملک لأن هذا الشیخ لو کان أمر الناس فی بما أراد لبادروا إلی امتثال أمره». و کان عز الدین هذا خطیبا لجامع عمرو، و لهذه المناسبة أقول: إن المقریزی المؤرخ العظیم کان هو الآخر خطیبا لجامع الحاکم.

و من علماء مصر الأفاضل الذين أثروا فی الأزهر و تأثروا به العالم البارع الطويل الباع فی أصول الفقه و فروعه و فی العربية و غيرها، الفقيه المالكی ابن الحاجب و كان أبوه حاجبا عند الأمير عز الدين موسك الصلاحی، و قد صنف فی الأصول: المختصر و المنتهی، و فی فقه المالكية المختصر و له فی النحو الكافية، و الوافية، و فی التصريف الشافية، و شرح الكل، و له شرح المفصل، و الأمالی النحوية و قصيدة فی العروض. و من أساتذته فی القراءات الشاطبی و توفی بالأسكندرية سنة ۶۴۶ ه، و نذكر أنه مدفون بجوار أبی العباس المرسی، و منهم إمام النحو و اللغة ابن هشام الذی قال عنه ابن خلدون «ما زلنا و نحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه»، و من أكابر أساتذة العلم المنتجين الذين عرفتهم مصر: الثبت الثقة، الصدوق النبيل، الحافظ للحديث، الحجة فيه، أستاذ الحديث فی المؤيد، البدر العينی صاحب عمدة القارىء شرح صحيح البحاری، و يقولون: إنه داوم على إقراء الحديث

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۴۷

فيه وحده ما يقرب من أربعين سنة عدا ما له من الدروس فی بقية مدارس القاهرة، و تناوب وظيفة حسبة القاهرة هو و المقريزی مدة، و قد ولاه الملك المؤيد «نظر الأحباس»- وزارة الأوقاف- و كان معاصرا للحافظ ابن حجر صاحب كتاب فتح البارى شرح صحيح البخاری «و كان ابن حجر هذا أصغر من العينی باثنتی عشرة سنة، و يروی المقريزی أنه كان بينهما من المنافسة ما يكون بين المتعاصرين، فلما فوض إلى العينی تدريس الحديث بالمؤيدية صادف أن مالت مئذنة الجامع المؤيدی على البرج الشمالی و كادت تسقط فهدمت و بنيت من جديد، فقال الحافظ بن حجر فی ذلك:

لجامع مولانا المؤيد رونق‌منارته بالحسن تزهو و بالزين

نقول و قد مالت عليهم: تمهلوافليس على حسنی أضر من العين

فتحدث الناس أنه قصد التورية بالعينی، و يروی المقريزی أن العينی رد عليه بهذين البيتين و هما من نظمه، و غيره يقول إنهما لبدر الدين العنتابی:

منارة كعروس الحسن إذ جليتو هدمها بقضاء اللّه و القدر

قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلطما آفة الهدم إلا خسة الحجر

و للعينی مؤلفات كثيرة أجلها عمدة القاری الذی تقدم ذكره، و يقولون: إنه ابتدأ فيه سنة ۸۲۱ و أتمه سنة ۸۴۷ ه بعد فراغ ابن حجر من شرحه فتح البارى بخمس سنوات، و له أيضا «نخب الأفكار فی تنقيح مبانی الأخبار، فی شرح معانی الآثار» فی مجلدين، و منها «البناية فی شرح الهداية» للإمام المرغينانی فی عشرة مجلدات، و منها «الدرر الزاهرة فی شرح البحار الزاخرة» لشيخه الرهاوی فی المذاهب الأربعة فی مجلدين، و منها

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۴۸

عقد الجمان فی تاريخ الزمان» فی خمسة و عشرين مجلدا، و عد مؤلفاته أمر يطول، فليرجع إليها فی مقدمة كتابه عمدة القارىء.

و من رجالات مصر و أعيان العلماء جلال الدين السيوطی مؤلف حسن المحاضرة و سواه من نفائس المؤلفات.

و جاء العصر العثمانی بفتح السلطان سليم مصر سنة ۹۲۲. و بقضائه على دولة المماليك فيها فاستمرت للأزهر أهميته البالغة فی الدراسات الدينية. و لكن روحه أصابها الوهن. و قوته نال منها الضعف و اعتورتها عوامل الخمول و الجمود، و لذلك أسبابه البعيدة و القريبة .. فقد ضعفت ملكات التفكير فی الشرق كافة و صارت الدولة الحاكمة بعيدة عن الروح العربية الصحيحة، بعنصرها و دمها التركی المتطرف و كثرت الفتن السياسية و الأحداث الإجتماعية فی مصر و الشرق و لم تجد دولة العلم و الثقافة من الدولة رعاية و لا عطفا، اللهم إلا نوعا ضئيلا من التشجيع لا يجدی و لا يبعث على المجد و الرجاء. كل ذلك أورث الأزهر صبغة من التقليد العلمی و أضاع منه روح التجديد و الاجتهاد فأصبحت غاية رجاله نقل ما ورثوه عن السلف فی أمانة و اخلاص دونه العناية بالبحث و التمحيص

و الموازنة و التحقیق و عکف شیوخه علی دراسة الکتب التقریریة التی ألفت فی العصور المتأخرة دون الرجوع إلی الأصول الأولی التی ألفت قدیما و التی قلت فیها روح البحث و الجدة و الابتکار.

و کانوا یقدسون کل ما یتصل بالقدیم من خلق و عادات و دین، و کانت الدراسة قاصرة علی العلوم الدینیة و ما یتصل بها من العلوم اللغویة و قلیلا من الفلسفة، و قلت فیه الدراسات العقلیة و الفلسفیة فی کتبها الواسعة التی کان یحرمها عصره، و تحاربها الهیئات العلمیة و الجماعات الدینیة حین ذاک، و فضلا عن ذلک فقد ناوأ الأزهر المذاهب المتطرفة لأنها کانت مشربة بفلسفة خاصة، و لم یکن فیه مکان للشعرانی الصوفی م سنة ۹۷۳ و لا لأمثاله، و کانت کل جهود الأزهر فی هذا العصر العثمانی هی المحافظة علی التراث القدیم، و الذود عنه و القیام بشرحه و التعلیق علیه دون زیادة به أو

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۴۹

تغییر فی أصوله أو تجدید فی بحوثه، و لیس فی ذلک من ذنب، فالأحوال السیاسیة و الاجتماعیة التی عاش فیها المسلمون آنذاک، کانت باعثة علی الضعف العقلی الذی تجلی أثره فی بیئة الأزهر العلمیة.

کان الأزهر منذ نشأته یدرس العلوم العقلیة و الریاضیة و الطب و الموسیقی، و فی العصر الأیوبی شاعت فکرة تحریم علوم الفلسفة و الریاضة علی العالمین و المتعلمین، و قد ساعد علی ذلک فتوی ابن الصلاح بتحریم المنطق، حیث سادت موجة کراهیة علم المنطق و الفلسفة، و لذلک کره العلماء دراسة المنطق و تدریسه، و منهم السیوطی.

و لما تولی حکم مصر سنة ۱۶۱۱ ه أحمد کور باشا، و کان و لعا بالعلوم العقلیة، قابل صدور العلماء، و منهم الشیخ عبد اللّه الشبراوی شیخ الأزهر، فتکلم معهم فی الریاضیات، فقالوا لا نعرف هذه العلوم، فضحک ..

و استمر الحال کذلک إلی أن أصدر الشیخ محمد الانبابی و الشیخ محمد البنا فتوی بجواز تعلم هذه العلوم، و ذلک فی أواخر عام ۱۳۰۵ ه.

و کان الأزهر مبعث المقاومة الوطنیة للاحتلال الفرنسی فلقی من القائد و جیشه کثیرا من الأذی و المقاومة، و إن استعان ببعض رجاله المرنین فی أعمال الإصلاح و الإدارة، فکان فی المجلس الوطنی الذی ألفه نابلیون بعض کبار شیوخه و أعلامه.

و کان الأزهر یکره الاستعانة برجال الغرب و علمائه، فقاوم محمد علی، و استولت الحکومة علی أملاکه و أوقافه و لکن بقی له علی کل حال نفوذه الدینی و الأدبی بین الشعب.

فعلماء الأزهر و شبابه هم الذین اختارهم الوالی للدراسة فی مدارسه الخصوصیة الکثیرة التی أنشأها من طب و هندسة و زراعة و صناعة و قانون و لغات إلخ.

و أعضاء بعوثه العلمیة التی أوفدها إلی أوروبا من بدء عام ۱۸۲۶ کان جلها من أبناء الأزهر الناضجین.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۵۰

و عاد أعضاء هذه البعثات من أوروبا فکانوا فی مصر جیلا جدیدا له میزته الخاصة فی الثقافة و التفکیر و الترجمة و الإنتاج.

و سار الأزهر علی منهجه العلمی القویم بعیدا عن الدراسات العقلیة و الأدبیة و عن العلوم الحدیثة، اللهم إلا دراسة الکتب الأولیة فی المنطق و دراسة بعض کتب الأدب و آثاره کالمقامات و المعلقات التی ابتدئت قراءتها فیه نحو عام ۱۸۲۸.

-۲-

و فی الحدیث انتشر النفوذ الأجنبی، و الثقافة الغربیة فی مصر، و وفدت علی ربوعها رسل الثقافة الأوروبیة و رجال البعثات العلمیة الذین أوفدهم إسماعیل إلی باریس و روما و جامعات انجلترا، و أخذت هذه العوامل الجدیدة تعمل عملها فی تکوین العقلیة المصریة تکوینا یتلاءم مع النهضة الفکریة و الاجتماعیة التی کانت تسود أوروبا، و أبعد رجال الأزهر عن کثیر من میادین النشاط الاجتماعی

فی الدولـة، و مع هـذه العوامل الهدامـة فی صـرح الأزهر فقـد کان إسـماعیل یحلم بتکوین دولـة عربیة خاضـعة لنفوذه، مؤتمرة بأمره، فدفعته آماله السیاسـیة إلی العنایة بأمر الأزهر و إصـلاحه حتی یساير روح النهضة الحدیثة فی مصـر، و فی عام سـنة ۱۸۷۱ صدر قانون بإصـلاح الأزهر لرفع مسـتوی أساتذته و طلابه و الثقافة فیه، و ذلک فی عهد شـیخه الشـیخ محمد العباسی المهدی الحنفی الذی کان یتبرک به الخـدیوی و یصـطفیه. و نص هـذا القـانون علی إجراء امتحـان نهـائی للمتخرجین فی الأـزهر، و عین المواد التی یجب أداء الامتحان فیها (و هی إحدی عشـرة مادة) .. و قدرت مرتبات عالیة للأساتذة و مکافآت مالیة للطلاب. و لکن الأزهر عادی الإصلاح، و حمل الشیخ علیش لواء المعارضة، فوقفت روح الإصلاح فیه.

و اضـطرب جو مصر السیاسی بالثورة العربیة و أحداثها، کما زلزل کیانها المالی فی تصفیة دیونها العامة، و کان الاحتلال الأجنبی عام ۱۸۸۲، فوقفت حرکات التجدید فی سائر مرافق البلاد، و أخذ دنلوب و أعوانه یغیرون اتجاه

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۵۱

الثقافة فی المدارس المصـریة، حریصین علی تغییر العقلیة المصریة المعارضة لمبادیء انجلترا السیاسیة، سواء بنشر الثقافة الانجلیزیة فی مصـر و مدارسـها الحکومیة أم بإرسال بعوث إلی انجلترا، أم بإنشاء مدارس انجلیزیة لنشـر الثقافة الغربیة أم بإلقاء زمام الثقافة فی مصر فی أیدی الأساتذة و المستشارین الانجلیز.

و أخـذت المـدارس المصـریة تتأثر بالآراء الغربیـة علی کل حال، ما عـدا الأزهر فإنه بقی علی تقالیـده الصـریحة و آثر الذود و الدفاع عنهـا، و نجـم عن ذلـک أن اتسـعت مسافـة الخلاـف بین الأـزهر و رجـال المدرسـة الحدیثـة، و وجـدت فی مصـر ثقافتـان مختلفتـان متعارضـتان: تقوم إحـداهما علی التراث الشـرقی القـدیم و التخصـص له و تتمثـل فی بیئـة الأزهر، و تقوم الأخری علی العلم و التفکیر الغربی الحـدیث و تتمثل فی مدارس الحکومة علی شتی درجاتها، و فی المدارس الأجنبیة علی اختلاف الثقافات التی تدعو إلیها، من فرنسـیة و انجلیزیة و أمریکیة و إیطالیة .. و هکذا اسـتقلت الحیاة السیاسیة فی الدولة عن الأزهر، و ترک الأزهر علی حاله، یتصرف فیه رجاله کما یریـدون، بعیدین عن توجیه السـیاسة المباشـرة لشـئون الثقافة و التعلیم فیه، و فکر الغیورون علی مسـتقبل العلم و الدین من أبنائه ملیا فی أمره، و رأوا حاجته الماسة إلی الإصـلاح، فطالبوا بإصلاح مناهجه و نظمه، و لکن هذه الدعوات قوبلت فی داخل الأزهر بعصبیـة متطرفـة فی الانکار، بیـد أن رغبات الإصـلاح کانت قویـة جبارة، و کانت النهضة الحدیثة تدفع الأزهر إلی التجدید العلمی، و کان أبرز شخصـیة دعت إلی هذا الإصلاح هی شخصیة الإمام محمد عبده تلمیذ جمال الدین الأفغانی، و کان الشیخ محمد عبده یری أن بقاء الأزهر علی حاله محال، فإمّا أن یعمر و إما أن یخرب و ابتدأ یعمل علی تغییر مناهج الدراسة و الثقافة فیه: بدراسـته کتابی عبد القاهر الأسـرار و الدلائل، و بقراءته البصائر النصـیریة، و قد علق الشـیخ محمد عبده علی نهج البلاغة و مقامات البدیع، و هو مدین فی أسلوبه لمقدمة ابن خلدون، و اهتم الشیخ بالإصلاح.

فاستصدر مرسوما بکساوی التشریف، و اهتم بمساکن الطلاب

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۵۲

و مکافآتهم المالیـة و حـدد مـدة الإجازات السـنویة و أدخل فی مناهـج الدراسة بعض العلوم الحدیثة، و عنی بمکتبة الأزهر و مکتبات المعاهد التابعة له.

و فی عـام ۱۹۱۱ صـدر قانون رقم ۱۰ الـذی انتقل بالأزهر إلی مرحلـة أخری من النظام فزیـدت مواد الدراسة و جدد اختصاص شـیخ الأزهر، و أنشـیء للأزهر مجلس یسـمی الأزهر الأعلی، و وضع نظام هیئـة کبار العلماء و جعل لکل معهد مجلس إدارة و لکل مذهب شیخ.

و هکـذا أثرت دعوات الإصـلاح و أخـذت تخطو بالأزهر خطوة فخطوة فی سبیل التجدیـد و النظام و الثقافـة، و کان من أثرها صدور قانون رقم ۳۳ عام ۱۹۲۳ خاصا بانشاء قسم للتخصص .. ثم صدر عام ۱۹۳۰ مرسوم بقانون رقم ۴۹ خاصا بإعادة تنظیم الأزهر و فروعه

فقسم الأزهر إلى كليات، و أنشئت معاهد فروعا له فى كثير من الأقاليم. و أنشئت أقسام الإجازات و أقسام الدراسات العليا و تخصصات الأستاذية، و عدل هذا المرسوم بمرسوم جديد عام ۱۹۳۶. و هكذا خطا الأزهر خطوات جديدة واسعة فى سبيل إصلاحه المنشود، و صار الأزهر يخرج شبانا ناضجى العقلية و الثقافة.

و أصبحت مناهج الدراسة و التعليم فى الأزهر تنصرف تدريجيا عن القشور إلى اللباب و عن العناية بالبحوث اللفظية إلى الاهتمام بالفكرة و فهمها و مناقشتها.

و لكن رغم ذلك كله يجب أن نسائل أنفسنا من جديد. هل فرغنا حقا من خطوات الإصلاح، و هل أثمرت هذه الإصلاحات ثمراتها المنشودة؟

و للجواب عن ذلك نقرر الحقائق الآتية:

۱- ما يزال المنهج العلمى السائد فى الأزهر: كلياته و معاهده، هو المنهج القديم المحافظ. و لا تزال الكتب القديمة هى أهم المقررات العلمية للطلبة.

۲- لا يزال انتاج الأزهر العلمى ضئيلا قليلا لا تكاد تحس به أو تلمس آثاره.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۵۳

۳- ما تزال رغبات الإصلاح فى الأزهر حائرة لا يستقر لها قرار، و لا ندرى كيف تسير مرافق الدولة بسرعة مدهشة، و يبقى الأزهر وحده متخلفا عن القافلة لا يشعر بأثر الحياة فيه أحد.

۴- ما تزال مكانة الأزهر الاجتماعية فى الدولة ضئيلة و شخصيته فى المجتمع غير واضحة.

-۳-

و قد بسطنا تاريخ الأزهر الثقافى و العيوب التى لا تزال محيطة به، و الآن نبسط رأينا فى بعض مناهج الإصلاح، راجين أن يتفضل الغيورون على الأزهر بإصلاحه و تمكينه من أداء رسالته.

إننا نريد أن يكون للأزهر شخصية علمية واضحة، و أن يكون فيه بيئة قوية مهذبة أساسها الخلق الدينى و النمو الروحى، الذى يجب أن يشيع فى نفس كل رجل من رجال الدين.

و نرى أنه يجب علينا أن نعنى بالأمور الآتية:

أولا- مدة التعليم فى الأزهر.

و فى رأيى أن يكون التعليم فى الأزهر على المراحل الآتية:

۱- مرحلة التعليم العام و مدتها ست سنوات، و تدرس فيها إحدى اللغات الأجنبية، و تكون مناهجها قريبة جدا من مناهج التعليم فى وزارة المعارف و يجب إقصاء الكتب القديمة و الحواشى عن هذه المرحلة إقصاء تاما، و يباح لمن ينال هذه المرحلة الالتحاق بجميع المدارس المتوسطة، الزراعية و الصناعية و التجارة و الصيارف و مدارس الجيش و مدرسة أخرى تنشأ لتكوين المعلم تكوينا قويا ملائما للآمال المنشودة الملقاة على عاتق رجال التعليم.

۲- مرحلة التعليم الخاص: و مدتها ثلاث سنوات، و يعنى فيها بدراسة العلوم الدينية و العلوم الحديثة، و إكمال دراسة لغة من اللغات الأجنبية، و يباح لخريجى هذا القسم الالتحاق بجميع المدارس العالية و بالجامعات المصرية.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۵۴

۳- مرحلة التعليم العالى و مدة الدراسة فيها خمس سنوات، و يمنح منها الطالب العالمية و يباح له الالتحاق بجميع وظائف الدولة و بالوظائف الدينية و سواها فى الأزهر و فروعه و فى خارجه.

۴- مرحلة الدراسات العليا و مدتها أربع سنوات، و يخرج منها أساتذة الكليات و أعضاء البعثات التى تسافر إلى الخارج.

ثانيا- يجب تغيير الزى الأزهرى بالزى المدنى فى المراحل الثلاث الدراسية، أما مرحلة الدراسات الدينية فيجب الاحتفاظ فيها بالزى الأزهرى خاصة.

ثالثا- خلق صلات ثقافية بين كلية اللغة و كليات الآداب و بين كليات الشريعة و كلية الحقوق.

رابعا- تنظيم الأزهر و فروعه و معاهده و هيئاته العلمية تنظيما حديثا قائما على أساس الافادة من التجارب الحديثة فى التربية و الثقافة و التنظيم.

خامسا- وضع الفقه الإسلامى على نظام المجموعات الفقهية الحديثة كما هو متبع فى الفقه المدنى و الكتابة فيه.

سادسا- برسم برنامج واضح لإصلاح الأزهر محدد الزمن و الغاية و الأهداف.

سابعا- يجب أن يؤلف رجال الأزهر مؤلفات حديثة فى فروع الثقافة التى تدرس فيه ليستطيع أن يفيد منها الناس كافة.

ثامنا- يجب أن يكون مستوى القضاء الشرعى و الأهلى واحدا، كما يجب إتمام مدينة الأزهر. و إنشاء كراسى الأساتذة و جعل كادر الأزهر على نظام الكادر الجامعى.

دراسة النحو فى الأزهر

كان يدرس فى الأزهر من كتب النحو شرح الشيخ حسن الكفراوى

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۵۵

على متن الاجرومية ثم حاشية أبى النجا على شرح الشيخ خالد ثم حاشية العطار على الأزهرية ثم حاشية السجاعى على شرح القطر ثم شرح الشذور و حواشيه ثم حاشية السجاعى أو الخضرى على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ثم حاشية الصبان على شرح الأشمونى على الالفية ثم المغنى و شروحه و حواشيه و ذلك فى نحو ست سنوات و هذا كله بعد حفظ الطلاب متن الاجرومية و منظومة الألفية و غيرهما و كيفية الدراسة أن يعين المدارس لطلبته جزءا من أول الكتاب المراد قراءته يطالعه كل واحد منهم على انفراده أو بالاشتراك مع غيره ثم يجيئون فى اليوم التالى و يجلسون بين يدى شيخهم بهيئة حلقة و يسمعون منه توضيح ما عينه لهم و يناقشونه فيه هذا يسأل و هذا يعترض على المصنف و ثالث يجيب عنه و هكذا و كل منهم يجتهد فى اظهار علمه فى مناقشاته و ربما طالع لهذا الغرض حواشى غير المقرر قراءتها و لا يزال الطلبة فى أخذ ورد و تصويب و تخطئة إلى أن ينتهى الدرس فى نحو ساعتين و ربما لا يتم الجزء المعين فيعين لهم جزءا آخر و يحصل فيه ما حصل فى سابقه و هكذا إلى أن يفرغ الكتاب و هذه الطريقة تربى فيهم ملكة الجدل و البحث.

دراسة النحو فى المدارس

نتقدم أولا بذكر نبذة من تاريخ المدارس فى مصر فنقول:

قبل استيلاء محمد على باشا رأس الأسرة الفخيمة الخديوية على مصر كانت المعارف فيها مقصورة على معرفة القراءة و الكتابة و حفظ القرآن الكريم بالكتاتيب التى أنشأها سلاطين المماليك و أمراؤهم و على التخرج من علوم الأزهر السابقة فكانت هذه الكتاتيب بمنزلة مدارس ابتدائية و الأزهر بمنزلة مدارس ثانوية و عليا فلما استقام الأمر للباشا بهذه الديار أنشأ عدة مدارس ذات شأن كبير منها مدرسة للطب بأبى زعبل و مدرسة للهندسة ببولاق و مدرسة للألسن و مدرسة للزراعة ببلد نبروه و مدرسة للصناعات و ثلاث مدارس للفنون الحربية ثم اقتفى أثره فى ذلك من خلفه من أمراء هذه

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۵۶

الأسرة الخديوية و كذا حكوماتهم و أشراف الأمة فزادوا فى المدارس و شيدوا فى أركانها و فرضوا لها النفقات إلى أن وصلت الى ما هى عليه فى وقتنا الحاضر من التقدم و النظام يدير شئونها ديوان عال يرأسه وزير كبير من وزراء الحكومة و له وكيل من كبار الأمراء.

من تاريخ الأزهر المعاصر

تولى الشيخ عبد المجيد سليم المشيخة فى ۲۶ ذى الحجة ۱۳۶۹ ه- ۶ أكتوبر ۱۹۵۰، و أقيل منها فى ۲ ذى الحجة سنة ۱۳۷۰ ه- ۴ سبتمبر ۱۹۵۱، و تولى مكانه فى اليوم نفسه الشيخ إبراهيم حمروش.

و فى ۱۴ جمادى الأولى ۱۳۷۱ ه- ۱۰ فبراير ۱۹۵۲ أقيل الشيخ حمروش و عين مكانه الشيخ المجيد سليم.

و قد استقال الشيخ سليم فى ۲۷ ذى الحجة ۱۳۷۱ ه- ۱۷ سبتمبر ۱۹۵۲ م و عين مكانه الشيخ محمد الخضر الحسين، و ظل فيها إلى أن استقال فى يوم ۸ يناير ۱۹۵۴ و تولى مكانه الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الحالى.

المعمرون من علماء الأزهر

فى عام ۱۹۵۲ أحتفل بالعيد المئوى للشيخ عبد المعطى الشرشيمى من كبار علماء الأزهر الشريف، متعه اللّه بالصحة و العمر المديد.

و من علماء الأزهر المعمرين ممن عرفناهم الشيخ محمد عبد اللّه العربى و قد ولد عام ۲۴۰ ه فهو اليوم يبلغ أربعة و ثلاثين و مائة عام من عمره المديد، و قد تخرج فى الأزهر عام ۱۲۷۴ ه، و اشتغل مدرسا فى الأزهر، و ترك التدريس عام ۱۳۱۵ ه، و كان من شيوخه الشيخ الباجورى و الشيخ عليش، و حدثنا أن جمال الدين الأفغانى حدثه أنه- أى الأفغانى- من مواليد عام ۱۲۳۵ ه.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۵۷

مكتبة الأزهر

كان من تمام التيسير على طلبة العلم أن يكون لكل رواق مكتبة خاصة به، تبتدىء بعدد قليل من الكتب يقفها أهل الخير ثم يتكاثر، و على هذا كان لكثير من الأروقة مكتبات خاصة لا تخضع لأنظمة المكتبات التى عرفت أخيرا، بل كان الانتفاع بها متروكا لمن ينشده من أهل الرواق أو غيرهم، و ليس فى التاريخ نص صريح على أنه كان للأزهر مكتبة عامة قبل هذه المكتبة، كما أنه يتعذر تحديد الوقت الذى نشأت فيه مكتبات الأروقة، و كل ما يمكن أن يقال عنها: إنها قديمة أو قديمة جدا.

و قد لبثت مكتبات الأروقة على النحو الذى ذكرناه من عدم الضبط و إهمال الرقابة إلى عهد عبده، فقد كان فيما تناوله تفكيره فى الإصلاح إنشاء مكتبة أزهرية عامة تجمع شتات هذه الكتب المتفرقة فى مكتبات الأروقة، و تحفظ ما بقى من ذلك التراث العلمى الذى خلفه علماء الجامع الأزهر فى العصور المتعاقبة من العبث و الضياع. فقد ذكر بعض الباحثين أن كثيرا من نفائس الكتب التى كانت مودعة بمكتبات الأروقة تسرب إلى أيدى علماء أوروبا بواسطة سماسرة الكتب و استغلال الجهل و الضعف الخلقى فى نفوس القائمين على هذه المكتبات، «فحين رئى تنظيم الجامع الأزهر و توحيد مكتبته ظهر و هن الضمائر و ضعف النفوس و إهمال الواجب نحو الكتب التى لعبت بها أيدى الضياع، فتسرب بعضها و أهمل البعض الآخر للحشرات و الأتربة فتلفت أوراقها و بليت و مزقت و خرمت و قطعت جلودها، و أصبح لا يوجد منها كتاب سليم مستقيم إلا ما ندر، و يظهر للباحث أن كتب الأزهر قبل سنة ۱۸۹۷ كانت تتسرب لمتصيديها المتربصين لها منتهزين فرصة وجودها فى عهدة أشخاص ملأ الجهل صدورهم و تبرأت الأمانة من قلوبهم بداعى الحاجة أو الاغراء، فأساءوا للتعليم و خانوه جهلا أو عمدا أو تقصيرا من أولى الشأن، فبدد هؤلاء الاشخاص أثمن ما ترك السلف ثروة

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۵۸

للخلف من هذه الكتب القيمة، و تصرفوا فيها تصرف الملاك فباعوها مع نفاستها بالثمن البخس» و لا أدل على مقدار ما فقدت

مکتبات الأزهر فی الماضی من المثال الآتی: «حوالی سنة ۱۲۷۰ ه- ۱۸۵۳ م أمر دیوان عموم الأوقاف بجرد کتب مکتبات المساجد و التکایا و أروقة الأزهر و حاراته و قیدت جمیعها فی سجلین جامعین، خصص أولهما لمکتبات الجامع الأزهر، و ثانیهما لمکتبات المساجد و التکایا، و قد بلغ مجموع المجلدات الموجودة فی ذلک الوقت فی مکتبات أروقة الأزهر و حاراته ۱۸۵۶۴ مجلدا: فإذا رجعنا الآن إلی هذا السجل التاریخی فلا نجد من أثمن الکتب و أنفسها إلا أسماءها، و کأن هذین السجلین أنشأ لیکونا فی الواقع مرشدا لأیدی الأغتیال التی عمدت إلی أنفس ما فی المکتبات من المؤلفات الأصیلة القیمة فانتهبتها انتهابا. «و أغرب من هذا أن نفس السجلین تسربا أیضا إلی أید أجنبیة خارج الأزهر و لم یعودا الیه إلا بالشراء سنة ۱۹۱۱ م و دفع لهما ثمن قدره ۱۵۰ قرشا، و أعید قیدهما بالمکتبة».

و یقول الأستاذ عبد الکریم سلمان: «کان فی الأزهر خزائن کتب وضعت فی بعض الأروقة و الحارات و بعضها فی المساجد القریبة کجامع الفاکهانی و جامع العینی و نیط حفظها جمیعها بأشخاص یقال لهم «المغیرون» فتصرفوا فیها تصرفا سیئا للغایة صح معه اطلاق اسم «المغیرین» علیهم، لأنهم غیروا وضعها و شتتوا جمعها، و مزقوا جلودها و أوراقها، و ترکوا ما لا عنایة لهم به منها فی التراب یأکله العث و یبلیه التراب، و هذا غیر ما تصرفوا فیه تصرف الملاک و طار بأیدی باعة الکتب، یباع علی نفاسته بالثمن البخس، و لم یبال المتصرف الأول و الباغة بما کتب علی ظهور تلک الکتب من العبارات التی تفید وقفها علی طلبة العلم و العلماء، و بالجملة فلم یکن لیعرف للکتب قیمة، و لا لینتفع بها لعدم إمکان الانتفاع». و لقد کان تعرض کتب الأروقة و الحارات للضیاع و التسرب إلی أیدی المترصدین لها ممن یعرف مقدارها، هو الذی أوحی إلی الإمام بفکرة إنشاء المکتبة، و قد تقدم بها إلی مجلس إدارة الأزهر و کان ذا نفوذ فیه فنالت القبول من أعضائه،

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۵۹

و بخاصة من الشیخ حسونة النواوی، و الشیخ عبد الکریم سلمان الذی کان عضدا قویا للأستاذ الإمام فی حرکات إصلاح الأزهر، و وافق علیها المجلس و اختار المکان المناسب، و کتب لدیوان الأوقاف الذی کان یتولی الاشراف علی شئون الأزهر لاعداده للمهمة التی أختیر لها، فنفذت الفکرة فعلا من أول سنة ۱۸۹۷ م الموافق شعبان سنة ۱۳۱۴، و قد لاقی صاحب الفکرة عناء عظیما فی إقناع أهل الأروقة بفائدتها، و رغم ما بذله من المحاولات فی هذا السبیل فقد امتنع أهل بعض الأروقة عن ضم مکتباتها إلی المکتبة العامة کرواق الأتراک و رواق المغاربة، و قد ضمت مکتبة الصعایدة إلی المکتبة العامة سنة ۱۹۳۶، و لاقی المباشرون للتنفیذ صعوبات جمة فی ترمیم الکتب و إصلاحها و ترتیبها للحالة السیئة التی کانت علیها فی خزائن الأروقة کما أسلفنا .. و یصور الشیخ عبد الکریم سلمان هذه الصعوبات کلها، فیقول:

«حملت تلک الکتب من خزائنها إلی المکان الجدید، فکان یأتی بها أولئک المغیرون محشوة فی الزکائب و المقاطف، ثم یفرغونها تلالا و أکواما علیها خیوط العناکب و بینها الأتربة، و یتخللها الجلود البالیة، و لیس بینها من کتاب سلیم مستقیم الوضع إلا ما لا یکاد یذکر، و بجانبها أولئک الموظفون المکلفون بجمعها و ترتیبها و أعضاء المجلس و الأمین یراقبون عملهم و یرشدونهم إلی الطریق الأقوم، فعملوا و أکدوا و أستخلصوا من بین هذه الدشوت و الأوراق المتفرقة کتبا معتبرة فی کل الفنون، و کان معهم مندوب من دیوان الأوقاف و موظف آخر نیط به تقویم کل کتاب وجد أو جمع بالثمن اللائق به، و قیدت فی دفاتر بأعداد متسلسلة، و استلمها الأمین بأثمانها المقدر لها، ثم اشتغلوا بعد ذلک فی توحید الفنون، و قرروا لکل فن موضعا مخصوصا من المکان، و قد استغرق عملهم هذا أزمانا طوالا کانت کلها أتعابا و مشاقا، و إنی لأعرف کتبا کثیرة مما نجده الآن کاملا کان الکتاب الواحد منها بعضه فی خزانة فلان، و بعضه الآخر فی خزانة فلان، و باقیه فی خزانة فلان. و لم تجمع أجزاؤه بعضها علی بعض إلا بطریق المصادفة

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۶۰

الحسنة، و أعرف کذلک أن بعض الکتب النفیسة النادرة الوجود وجد فی دشت کان فی خزائن الجامع العینی و لم یعبأ به أحد ممن

تولوا تغییرها للطلاب، و لم یعن بفرز الدشت لتوحید تلک النفائس، إلا بعد أن کان قد صدر أمر أحد مشایخ الجامع بإحراقه و تدارک الأمر من یعرف قیمة العلم و لا یبالی بالتعب فی المحافظة علیه، و قد رأیت بعینی کثیرا من المصاحف الشریفة و هی بین الأتربة مع أنها من أجود المصاحف خطا و ورقا و فیها من الفوائد و علوم التجوید ما لا یوجد فی سواها، و غیر ذلک کثیر نکتفی بما ذکرناه، فما الغرض إلا بیان حالها قبل جمعها، و فی هذا القدر ما یکفی».

و لم یکتف الأستاذ الإمام فی تکوین المکتبة بما جمع من مکتبات الأروقة، بل دعا العظماء و العلماء إلی المشارکة فی فضل تکوینها، و استعان فی ذلک بنفوذه عندهم و مکانته لدیهم، فاستجاب لدعوته بعض هؤلاء، و وهبها الشیخ حسونة مکتبته الخاصة، و وهبها ورثة سلیمان باشا أباظة مکتبة والدهم، و کان المرحوم سلیمان أباظة من خاصة أصدقاء الشیخ، و کان أبناؤه یعدون الشیخ کوالدهم فی العطف و الرعایة، و هذه المکتبة أنفس المکتبات الخاصة بالمکتبة الأزهریة.

و تشغل المکتبة الأزهریة الآن ثلاثة أمکنة: اثنان منها داخل الأزهر و هما: المدرسة الأقبغاویة و المدرسة الطیبرسیة، و الثالث خارج الأزهر ملاصق له و هو الطابق الثانی من بناء أنشأته مشیخة الجامع الأزهر سنة ۱۹۳۶ کملحق للإدارة العامة المجاورة للأزهر. و لقدم المکانین الأولین و قیمتهما نلم بتاریخهما: أما المدرسة الأقبغاویة فهی علی یسار الداخل إلی الأزهر من بابه الغربی الکبیر «باب المزینین» و قد أنشأها الأمیر أقبغا علی نظم المدارس الإسلامیة لهذا العهد، و المدرسة الإسلامیة لهذا العهد مسجد له خصائص المساجد من منارة و محراب و میضأة و نحو ذلک، إلا أنه تقام فیه الحلقات الدراسیة فیقال له مدرسة، و أنشأ بها مدفنا به قبة تعتبر من نوادر الفن الإسلامی فی العمارة إلا أنه لم یدفن به و دفن بالإسکندریة، و انتهت عمارة المدرسة سنة ۷۴۰ ه. و من الطرائف التاریخیة عن هذه المدرسة ما

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۶۱

یرویه المؤرخون من أنها «مدرسة مظلمة لیس علیها من بهجة المساجد و لا أنس بیوت العبادات شیء البتة»، و یعللون ذلک بأن منشئها اغتصب مکانها من مالکیها و سخر العمال فی عمارتها و حصل علی مواد البناء و لوازم العمارة بطریق الغصب أو الخیانة و وقف علی هذه المدرسة أوقافا و شرط فی کتاب وقفه ألا یلی النظر أحد من ورثته

و أقبغا هو الأمیر علاء الدین، کان رقیقا للتاجر عبد الواحد ابن بدال اشتراه منه الناصر قلاوون، و رفعه حظه و ذکاؤه إلی مراتب الموظفین، و تقلب فی مناصب الدولة المختلفة، إلی أن قتله الملک الصالح عماد الدین فی الفتنة بینه و بین أخیه أحمد الناصر. أما المدرسة الطیبرسیة فهی علی یمین الداخل إلی الأزهر من بابه الغربی المذکور، وقد أنشأها علاء الدین الطیبرس نقیب الجیوش المصریة، و فرغ من عمارتها سنة ۷۰۹ ه و جعل له بها مدفنا دفن به، و قد عرف بالصلاح و التقوی، فاتفق أنه لما فرغ من بناء هذه المدرسة أحضروا له حساب مصروفها فاستدعی بطست فیه ماء و غسل أوراق الحساب بأسرها من غیر أن یقف علی شیء عنها، و قال: «شیء خرجنا عنه للّه لا نحاسب علیه».

و قد شغلت المکتبة أولا المدرسة الاقبغاویة، لاتساعها و استقلالها بعض الاستقلال، و لما ضاقت بالکتب ضمت إلیها المدرسة الطیبرسیة.

و یقول الشیخ عبد الکریم سلمان: «و لما جاءت للمجلس فکرة جمع هذه الکتب فی مکان واحد و إصلاح ما أفسدته منها هذه الأیدی و تسهیل الانتفاع بها اختار المکان المعروف فی الأزهر برواق (الابتغاویة) و کتب لدیوان الأوقاف سنة ۱۳۱۴ فأرسل من أخذ المقایسة لاصلاحه و إنشاء ما یلزم له من الخزائن التی توضع فیها الکتب، ثم عرض الأمر علی ولی الأمر فأقره مستحسنا له، و خرج هذا العمل من القوة إلی الفعل و تهیأ المکان لما وجد له من وضع الکتب و حفظها فیه و من الانتفاع بها تحت ضوابط و نظامات، و شرع عمالها فی إنقاذ ما عهد إلیهم من أول مایو سنة ۱۸۹۷ الموافق شعبان سنة ۱۳۱۴، و یقول: و اشتریت کتبا کثیرة من کثیر من الترکات حتی

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۶۲

ضاق بها المکان علی سعته، فاضطر المجلس إلی أخذ مکان آخر من الأزهر أصلحه دیوان الأوقاف و عمل فیه ما عمل فی الأول، و امتلأت خزائنه أیضا بمعتبرات الکتب و نفائسها مما یتجدد شراؤه کل عام.

و بالمدرسة الاقبغاویة الآن المکتبة العامة بجمیع فنونها، و بقبتها الخارجیة، و دهلیزها مکتب الأمین و إدارة المکتبة، و بالمدرسة الطیبرسیة طائفة من کتب الفنون التی تدور حولها الدراسات الأزهریة، کالتفسیر، و الحدیث، و الفقه المالکی، و الحنفی، و الشافعی، و الحنبلی، و البلاغة، و النحو، و الصرف .. و بالمبنی الجدید مکتبتا الشیخین المغفور لهما الشیخ الامبابی و الشیخ بخیت، و الأمکنة المشار إلیها لم یلاحظ فی إنشائها أن تکون مکتبة، لهذا فهی غیر وافیة بالغرض الذی تؤدیه، و تفقد کثیرا من الأمور التی یجب توافرها فی أبنیة المکتبات، و یکفی للتدلیل علی ذلک أن المکتبة تفقد أهم خواص المکتبات، و هی قاعة المطالعة و مکان الإدارة، و لیس لها مرافق خاصة بها، و ینقصها الأحکام فی الأبواب و النوافذ لمنع تسرب الأتربة و الحشرات.

و کان عدد الکتب التی ابتدأت بها المکتبة سنة ۱۸۹۷- ۷۷۰۳ کتب منها: ۶۶۱۷ کتابا بطریق الاهداء، و ۱۰۸۶ بطریق الشراء و عدد فنونها ۲۷ فنا و هی: المصاحف. القراءات، التفسیر، الحدیث، الأصول، النحو، الصرف، البلاغة، فقه أبی حنیفة. فقه مالک، فقه الشافعی، فقه أحمد بن حنبل، المجامیع، التوحید، المنطق، التاریخ، التصوف، الأدب و المدیح، الآداب و المواعظ و الفضائل، الأحزاب و الأوراد و الأدعیة، الوضع و آداب البحث و العروض، الفلک و المیقات، مصطلح الحدیث، الفنون المنوعة، الحساب و الهندسة، اللغة، الطب، و قد بلغت فنون المکتبة سنة ۱۹۴۳- ۵۸ فنا و بلغ عدد مجلداتها ۹۰۰۷۵ مجلدا.

و بالمکتبة الأزهریة مکتبات خاصة حملت الغیرة الدینیة أصحابها أو ورثتهم علی إهدائها للمکتبة الأزهریة لیکون نفعها وقفا علی العلماء و طلبة العلم بالأزهر ابتغاء مغفرة اللّه و رضوانه، و یذکر لأصحابها هذا العمل بالثناء

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۶۳

مقرونا بالدعاء أن یحسن اللّه لهم الجزاء و یهبهم الثواب، و هذه المکتبات و إن کان بعضها مستقلا بخزائنه کشروط أصحابها إلا أنها مسجلة و مفهرسة ضمن المکتبة العامة، و یجری الانتفاع بهما معا دون تمییز، و هذه هی أهم هذه المکتبات مرتبة حسب أهمیتها:

۱- مکتبة سلیمان أباظة باشا، و قد أهداها ورثته إلی الأزهر سنة ۱۸۹۸ م عملا بمشورة الإمام محمد عبده کما أسلفنا، و هی أنفس المکتبات الخاصة بالمکتبة الأزهریة، یستأثر فنا التاریخ و الأدب بغالب کتبها، و تمتاز بکثرة المخطوطات و بخاصة الفنین المذکورین، و عدد مجلداتها ۱۴۸۴ مجلدا، و بها جملة صالحة من مطبوعات أوربا.

۲- مکتبة حلیم باشا، و قد وزعت بین المکتبة الأزهریة و وزارة المعارف فی أغسطس سنة ۱۹۱۲، و خص المکتبة الأزهریة منها نحو ۲۸۵۷ مجلدا، و یظهر من فنونها: القراءات و الحدیث و التصوف و الطب و الفلک و التاریخ، و بها کتب فی بعض الفنون باللغات الترکیة و الفارسیة، و کثیر من کتبها بخطوط جیدة موشاة بالذهب.

۳- مکتبة الشیخ عبد القادر الرافعی المفتی المتوفی سنة ۱۳۲۳ ه و قد وقفت بخزائنها الخاصة بها علی الأزهر فی مارس سنة ۱۹۲۷ م و وضعت فی حجرة خاصة بها، و عدد مجلداتها ۱۴۵۷ مجلدا، و هی أغنی المکتبات الخاصة بفن الفقه الحنفی، و بها مخطوطات فی هذا الفن یقال إنها من النوادر العالمیة کشرح السندی علی الدر المختار.

۴- مکتبة المغفور له الشیخ محمد بخیت المطیعی مفتی الدیار المصریة المتوفی سنة ۱۹۳۵ م و قد وقفها فی حیاته بخزائنها الجمیلة، و نفذ ورثته رغبته سنة ۱۹۳۸ م، و عدد مجلداتها ۳۳۶۵ مجلدا فی فنون مختلفة یغلب فیها الفقه علی مذهب أبی حنیفة.

۵- مکتبة المغفور له الشیخ الامبابی شیخ الجامع الأزهر المتوفی

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۶۴

سنة ۱۳۱۳ ه، وقفها علی طلبة العلم، و جعل مقرها منزله بالظاهر، و جعل لها مغیرا بمرتب مما وقفه من ماله علی جهات البر، و قد

خشیت علیها وزارة الأوقاف فأهدتها إلی المکتبة الأزهریة سنة ۱۹۴۱ م، و عدد مجلداتها ۱۴۵۲ مجلدا، و بها مخطوطات نادرة فی الفقه الشافعی.

۶- مکتبة یسیم أغا، کانت برواق الجبرت، و رغب فی نقلها إلی المکتبة الأزهریة بخزائنها، فتمت رغبته سنة ۱۹۲۵، و بها نحو ألف مجلد فی مختلف الفنون

۷- مکتبة الشیخ العروسی شیخ الجامع الأزهر المتوفی سنة ۱۲۹۳ ه، و قد أهداها ورثته إلی المکتبة الأزهریة سنة ۱۹۳۸ م، و عدد مجلداتها ۸۱۸ مجلدا. و کتبها کلها تقریبا بخطوط قدیمة و حدیثة، و بها نوادر فی النحو و التاریخ.

۸- مکتبة الشیخ إبراهیم السقا و أخیه الشیخ عبد العظیم السقا، أهدیت إلی المکتبة الأزهریة سنة ۱۹۲۷ م و عدد مجلداتها ۵۹۰ مجلدا، و بها نوادر من الکتب الخطیة.

۹- مکتبة إبراهیم بک حفظی، و قد أهدیت إلی المکتبة الأزهریة سنة ۱۹۲۲ م، و عدد مجلداتها الآن نحو ۳۹۲ مجلدا، و هی فی نمو مستمر و تجدد دائم، فقد وقف علیها مهدیها مبلغا سنویا خصص نصفه لشراء کتب برسمها و نصفه للمغیرین بها.

۱۰- مکتبة المغفور له الشیخ حسونة النواوی شیخ الجامع الأزهر المتوفی سنة ۱۹۲۵ م؛ و بها کتب کثیرة فی فنون مختلفة، أهداها إلی المکتبة الأزهریة عقب إنشائها لتکون نواة للمکتبة، و لیحرک بها همم أهل الخیر إلی تعضید مشروعها.

۱۱- مکتبة الشیخ الجوهری، و قد أهدیت إلی المکتبة سنة ۱۹۲۸ م، و عدد مجلداتها ۳۴۱ مجلدا.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۶۵

۱۲- مکتبة المرحوم الشیخ محمد عبد اللطیف الفحام المتوفی سنة ۱۹۴۳، أهداها ورثته إلی المکتبة إثر وفاته، و بها نحو ألف مجلد.

و بالمکتبة الأزهریة مکتبات أخری کمکتبة رضوان باشا و مختار باشا و ثابت باشا و رشید باشا و بعض مکتبة مدرسة القضاء و بعض مکتبة زکی باشا و مکتبة رواق الصعایدة.

و مما تختص به المکتبة الأزهریة کثرة المخطوطات بالنسبة إلی مجموع کتبها، و قد بلغت المخطوطات إلی سنة ۱۹۴۳ م ۲۴۰۰۰ مجلد تقریبا.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۶۷

رفاعة الطهطاوی الأزهری رائد الفکر الحدیث فی مصر

هو أحد زعماء نهضتنا العربیة الحدیثة الذی فتح أمامنا آفاقا واسعة للمعرفة .. و علی یدیه تکونت نواة الطبقة المثقفة المصریة الصحیحة التی حملت لواء التجدید .. و هو ابن نابه من سلالة أرض الکنانة تفخر الأمة به .. رفاعة رافع الطهطاوی أحد العباقرة الذین سیخلدهم تاریخ مصر الحدیثة.

رجل جاد به الزمان حین شح الزمان بالرجال و جاد هو علی الزمان حین شح الرجال بالأعمال استطاع أن یجمع بین حضارة الغرب المتقدمة و مفاخر حضارة العرب القدیمة، و لذلک عنی باحیاء التراث القدیم مثلما عنی بترجمة مآثر الغرب تحقیقا للنهضة الفکریة و دفعا لحرکة البعث الجدید .. و کما کان الطهطاوی مترجما مبدعا فی اختیار موتنا و له- و لیس مجرد ناقل- کان أیضا موسوعیا فی کتاباته المختلفة و لیس مجرد رحالة، کما کان عالما مؤرخا یستند إلی الوقائع و یرجع إلی الکشوف الأثریة، خاصة و أنه من رواد المؤرخین المصریین الذین عرفوا تاریخ مصر القدیم و أعنوا بأمجاد هذا التاریخ. عنی بالکشف عن هذه الحقبة الحضاریة الأصیلة فی تاریخنا، فأرخ أیضا للدعوة الإسلامیة و الفتح العربی الإسلامی فی کتابه الذی صدر بعد عام واحد من وفاته بعنوان- نهایة الإیجاز فی سیرة ساکن الحجاز و لعل من الجوانب المجهولة فی حیاة رفاعة هو اهتمامه بحقوق المرأة، و قد کتب

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۶۸

فی ذلک کتابا شهیرا أسماه:- المرشد الأمین فی تربیة البنات و البنین-

تبدأ السیرة العطرة للمصری الفذ رفاعة الطهطاوی فی صعید مصر، حینما ولد فی طنطا عام ۱۸۰۱ فی أسرة متواضعة الحال، و جاء إلی القاهرة صغیرا لیتخرج فی الجامع الأزهر و ینتهز فرصة تعیینه اماما لأول بعثة تعلیمیة أرسلتها مصر إلی فرنسا فیتعلم الفرنسیة و یتقنها، و بعد عودته یعمل مترجما فی المدارس الفنیة التی أنشأها محمد علی قبل أن یعین مدیرا لمدرسة الترجمة و إلی تغیر اسمها لمدرسة الألسن فیما بعد، و المؤرخ لتاریخ الصحافة العربیة یضع رفاعة و أعماله الصحفیة فی الصدارة .. فالرجل وجد فی الصحافة منبرا شعبیا و سلطة کبیرة لها خطرها کما لمس حوادث الثورة الفرنسیة عام ۱۸۲۰ الأمر الذی جعله یأخذ علی عاتقه مهمة التجدید فی الصحافة التی لم تکن وقتئذ سوی نشرات رسمیة، و حینما صدرت جریدة- الوقائع الرسمیة- ظل رفاعة مشرفا علیها لمدة ثمانی سنوات فی الفترة من عام ۱۸۴۲ حتی عام ۱۸۵۰ بعد أن کلفه محمد علی بالإشراف علی القسم الأدبی فیها، خاصة و أن جزءا کبیرا منها کان یحرر بالترکیة، و بعد الوقائع نولی رئاسة تحریر مجلة- روضة المدارس- عام ۱۸۷۰ .. و کانت لرفاعة الطهطاوی نظرات فی السیاسة مثلما کانت له نظرات فی التربیة و الاجتماع، و آراؤه السیاسیة موزعة بین کتبه العدیدة:- تخلیص الابریز، و المرشد الأمین، و أنوار الجلیل، و مناهج الألباب المصریة و غیرها و کان فیها جمیعا متأثرا بالعلوم السیاسیة الفرنسیة و لیس أدل علی ذلک من ترجمته للدیوان الفرنسی .. و لم یعش الطهطاوی لیری بنفسه ثمرات جهوده فی بناء الوعی السیاسی فی مصر فرحل عام ۱۸۷۳ بعد أن سجل إسمه فی مقدمة قادة نهضة مصر الحدیثة فی القرن ۱۹.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۶۹

العید الألفی للأزهر

احتفل الأزهر بعیده الألفی عام ۱۴۰۳ ه- ۱۹۸۳ إحتفالا کبیرا شهده الرئیس حسنی مبارک. و بدأ الأزهر الشریف احتفالات مرور ألف سنة علی انشائه. یشارک العالم الإسلامی فی الاحتفالات التی تأخرت ۱۰ سنوات عن موعدها الأساسی. تقرر ان تحتفل الهیئات الإسلامیة و الوزارات و المؤسسات الشعبیة و الحکومیة فی الاحتفالات التی تعم مصر تقدیرا لدور الأزهر.

کما تنظم وزارة الأوقاف حلقات فی المساجد حول هذه الذکری و کذلک الجامعات فی مصر و الخارج. و عددا من المنظمات العالمیة فی أوروبا و آسیا و أمریکا ستحتفل بذکری مرور ألف سنة علی الأزهر الشریف.

ینتظر أن تستمر الاحتفالات الرسمیة أکثر من شهر و علی مدی السنة الهجریة الحالیة بما یحفظ للذکری جلالها.

و کان الأزهر مثابة العلماء و الطلاب من أنحاء العالم الاسلامی. کما کان معقل الوطنیة و موکل الأحرار .. لقد قاد الأزهر ثورتین کبیرتین تعدان من أسبق الثورات الدستوریة العالمیة و من أعلم معالم الحرکة الوطنیة ..

الثورة الأولی کانت بقیادة الإمام أحمد الدردیر. و الثانیة بقیادة شیخ الأزهر الشیخ عبد الله الشرقاوی فی اواخر القرن الثامن عشر المیلادی ..

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۷۰

أما الثورة الاولی فکانت فی ربیع الأول من عام ۱۲۰۰ هجریة- ینایر عام ۱۷۸۶. کان سببها ان محافظ القاهرة آنذاک و هو احد المماليک و اسمه حسین بک بشفت کان بعث بجنوده فنهبوا دار رجل من الشعب اسمه أحمد سالم الجزار نائب طریقة الشیخ البیومی الصوفی بالحسینیة. فثارت ثائرة أهالی الحی و توجهوا إلی الشیخ الدردیر الذی أعلن أنه سیخرج مع الجماهیر من کل أنحاء القاهرة لینهب بیوت المماليک کما نهبوا بیوت الشعب .. و أمر الشیخ بدق الطبول علی المنارات إیذانا بالاستعداد.

و أصبحت القاهرة علی أبواب ثورة شعبیة .. و أصبح المماليک یحیط بهم الرعب. و بلغ ذلک إبراهیم بک والی مصر. فأرسل نائبه فی الحکم.

و معه أحد الأمراء من المماليك إلى الإمام الدردير يعتذر له عما حدث و يعده بأن أبدى الامراء عن الناس و برد كل ما نهب إلى صاحبه و قبل الشيخ الدردير ذلك و تم كل ما أراده .. و هكذا وضع هذا الإمام الجليل قاعدة دستورية فحواها «وجوب احترام الحاكم لادارة المحكومين».

و أما الثورة الثانية فقد حدثت بعد ذلك بتسع سنوات. فى شهر ذى الحجة عام ۱۲۰۹ هجرية ۱۷۹۵ ميلادية. و كان بطلها هو الإمام الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهر الشريف .. و سببها أن الفلاحين فى قرية من قرى بلبيس ذهبوا إلى الشيخ الشرقاوى فى الجامع الازهر و شكوا له من ظلم محمد بك الألفى و رجاله لهم، و من فرضهم على القرية اموالا لا طاقة لها بها.

و تأثر الشيخ الشرقاوى بما بلغه. و بلغ الشكوى الى كل من مراد بك و إبراهيم بك. و لكنهما لم يفعلا شيئا. فعقد مؤتمرا وطنيا فى الأزهر حضره العلماء و الطلاب و الشعب. حيث استقر الرأى على مقاومة الأمراء بالقوة حتى يخضعوا لمطالب الشعب. و عندئذ أمر الامام الشرقاوى باغلاق أبواب الجامع الأزهر. كما أعلن الشعب بإعلان الإضراب العام و إغلاق الأسواق و المحلات.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۷۱

و فى اليوم التالى ركب الشيخ الشرقاوى و معه العلماء و تبعتهم الجماهير. و سار الموكب إلى منزل الشيخ السادات و هو من كبار العلماء و كان منزله قريبا من قصر إبراهيم بك. فأفزعه مواكب الشعب الثائرة فبادر بإرسال رئيس ديوانه أيوب بك ليسأل العلماء عن مطالبهم و حاول التنصل من إجابة مطلب الشعب .. و لكن العلماء أصروا على موقفهم و تقاطرت الجماهير صوب الأزهر .. و بدأت ثورة وطنية عاصفة.

هال ابراهيم بك ما بلغه .. و أرسل إلى العلماء يعتذر .. و فى اليوم التالى توجه والى مصر العثمانى إلى منزل إبراهيم بك و اجتمع مع أمراء المماليك حيث أرسلوا إلى العلماء ليجتمعوا بهم. فحضر الإمام الشرقاوى و السيد عمر مكرم و الشيخ السادات و الشيخ البكرى و الشيخ الأمير .. و انتهى الاجتماع بالموافقة على مطالب الشعب التى قدموها و تتلخص فى:

«عدم فرض أية ضريبة إلا إذا أقرها مندوبو الشعب. و ينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم. و لا تمتد يد أى سلطان الى أى فرد إلا- بالحق» و تم تحرير وثيقة تتضمن هذه القرارات .. و رجع العلماء يحيط بهم موكب من الأهالى و بهم يهتفون «حسب ما رسمه ساداتنا العلماء بأن جميع المظالم و المكوس و الحوادث لاغية من جميع الديار المصرية».

و يجمع أكثر المؤرخين على أن هذه الوثيقة كانت بمثابة اعلان حقوق الانسان سبقت بها مصر غيرها من الشعوب. و ذلك قبل اعلان الثورة الفرنسية لميثاق حقوق الإنسان.

إحتفال الأزهر بعيده الألفى

و من إحتفال الأزهر بعيده الألفى و أعلن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى كلمته أن رسالة الأزهر ليست من الرسالات المحلية بل رسالته تجاوزت توصيل المعرفة للفرد و الجماعة إلى تنمية العلاقات بين الشعوب العربية و الإسلامية باعتبارها أمة واحدة تجمعها أخوة الإسلام.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۷۲

و قال فضيلته: لقد تبوأ الأزهر مكانته العالمية المتينة فى دراسة علوم القرآن و السنة النبوية و شتى العلوم الاسلامية، و الحفاظ على اللغة العربية و القيادة الرشيدة الى العمل بأحكام الاسلام و تعاليمه و نظمه و قوانينه .. حتى أصبح له جامعة تضم ۳۵ كلية تخدم الإسلام و المسلمين، و نمت معاهده فبلغت أكثر من ألف و مائة معهد. و أنه فى كنف مصر يستقبل الأزهر أبناء المسلمين من كافة الشعوب و الأقطار فى أعداد متزايدة حتى بلغت بضعة آلاف يواصلون الدراسة فى كافة مراحلها بالمعاهد و الكليات.

و أشار فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر فى كلمته الى الدور الدينى و العلمى و الوطنى الذى قام به الأزهر فى

مختلف العصور حتى أصبح منارا للدين الاسلامى و أن رسالة الأزهر تنبثق من رسالات السماء. و أن دعوته تأتى من العبادات السليمة. و تنقية الاسلام من بعض المفاهيم الخاطئة.

و قال فضيلته: إذا ما أجتمع القول بالعمل لعلمائنا فيكونون بحق ورثة الانبياء .. و حتى يضطلع الأزهر برسالته على أكمل وجه فلابد له من العناية التامة من المسئولين .. و المزيد من العناية و الرعاية و الدعم المادى الكبير حتى يؤدى رسالته على أكمل وجه استجابة لمطالب المجتمع الإسلامى.

الأزهر و الحكومة

و أشاد فضيلة الدكتور محمد السعدى فرهود وكيل الأزهر و الأمين العام للجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر بالجهود المبذولة لرفع شأن الأزهر و الأزهريين و الخطوات التى بذلتها الحكومة حتى يشهد جيلنا هذا الحدث التاريخى فى حياة الأمة الإسلامية. و ضرب الأمثلة لدعم هذا العمل.

و ألقى فضيلة الدكتور الحسينى هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية قال فيها: إن الأزهر الشريف قد فتح أبوابه منذ القدم، و تلاقت

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۷۳

فى رحابه جميع الأجناس و ألوان المسلمين ينهلون من علمه فأصبح الأزهر المعمور بطلابه و علمائه الذين يسعون فى الارض لنشر الدين الحنيف.

كلمة الوفود

و ألقى كلمة الوفود لحضور احتفالات العيد الألفى للأزهر فخامة الرئيس مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية مالاديف. و وجه التهنئة باسم جميع الشعوب الإسلامية إلى الأزهر الشريف فى احتفاله بالعيد الألفى ..

و أشاد بالعلاقات الطيبة التى تربط مصر بدول العالم العربى و الإسلامى بصفة عامة و بجمهورية مالاديف بصفة خاصة.

و قام الرئيس حسنى مبارك أمس خلال المؤتمر لعلماء المسلمين الذى عقده مجمع البحوث الإسلامية احتفالا بالعيد الألفى للأزهر بتوزيع الأوسمة على بعض علماء الأزهر. فقد سلم الرئيس و شاح النيل إلى فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق. و سلم الرئيس و سام العلوم و الفنون من الطبقة الأولى إلى أصحاب الفضيلة الشيوخ إبراهيم الدسوقى و أحمد حسن الباقورى و محمد متولى الشعراوى و زكريا البرى و محمد السعدى فرهود و حسنين محمد مخلوف و مصطفى محمد الطير و عطيه محمد صقر و أحمد فتحى الزيات و عبد اللطيف خليف و أحمد محمد عمر و عبد الرحمن الكردى و الحسينى هاشم و عبد الحكيم حسن نعناع و حامد عبد الحميد جامع.

منح الرئيس حسنى مبارك و سام العلوم و الفنون من الطبقة الاولى الى كل اسم المرحوم أصحاب الفضيلة الشيوخ حسون عبد اللّه النواوى و سليم أبو فرهاد البشرى و محمد أبو الفضل الجيزاوى و محمد مصطفى محمد المراغى و محمد الأحمدى إبراهيم الظواهرى و مصطفى حسن أحمد عبد الرازق و محمد مأمون سيد أحمد الشناوى و عبد المجيد سليم و ابراهيم ابراهيم حمروش و محمد الخضر حسين- من أصل تونسى- و عبد الرحمن سيد على حسن و محمود شلتوت و حسن مصطفى مأمون و محمد محمد الفحام و عبد الحليم محمود على.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۷۴

و منح الرئيس حسنى مبارك نفس الوسام للدكتور عبد المنعم أحمد النمر و اسم المرحوم الشيخ الدكتور محمد البهى و الدكتور

محمد حسین الذهبی و الدکتور بدوی عبد اللطیف عوض و الدکتور عوض الله حجازی و أسماء المرحومین الدکتور محمد حسن فایق و الحسینی أحمد سلطان و دسوقی محمد العربی و سید علی المرصفی و عبد الرحمن حسن عبد المنعم و عبد الرحمن محمد قراعه و محمد أحمد عرفه و محمد بخیت المسیری و محمد الشافعی الظواهری و محمد عبد اللطیف الفحام و محمد عبد الله دراز و محمود اسماعیل الدیناری و یوسف أحمد نصر الدجوی.

و منح الرئیس نفس الوسام للدکتور أحمد فهمی أبوسنة و أصحاب الفضیلة الشیوخ أحمد محمد هریدی و بدر متولی، عبد الباسط و علی حسن عبد القادر و عبد العزیز هویدی و سلیمان حزین و صالح موسی شرف و عبد الحلیم الجندی و عبد اللّه عبد الخالق المشد و الدکتور محمد جمال الدین الفندی و محمد خاطر الشیخ و محمد شمس الدین ابراهیم و محمد عبد الله ماضی و الدکتور محمد مصطفی شلبی و الدکتور محمد مهدی علام.

و منح نفس الوسام لأعضاء مجمع البحوث الإسلامیة من البلاد الشقیقة و هم: الدکتور إسحق موسی الحسینی- من فلسطین- و الدکتور عبد الجلیل حسن- من مالیزیا- و الدکتور عبد الله تمام- من المغرب- و علی عبد الرحمن الأمین- من السودان- و الدکتور محمد الحبیب الشاذلی- من تونس- و اللواء الرکن محمود شیت خطاب- من العراق- و الأستاذ وفیق القطان- من لبنان.

و منح الرئیس حسنی مبارک هذا الوسام الی أسماء المرحومین الشیوخ عیسی أحمد متولی- و هو من أصل فلسطینی- و محمد أبو زهرة و محمد أحمد فرج السنهوری و محمد علی السایس و محمد نور الحسن- و هو من أصل سودانی- و المهندس عبد السلام فهمی و الشیخ ثابت أبو المعالی معالی عثمان و اسم المرحومین الشیخ محمد عبد اللطیف دراز و محمود أبو

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۷۵

العیون و منحه لکل من: الشیخ خلف السید علی و عبد الجلیل عبده شلبی و اسم المرحوم محمود حب الله خیر الله و منحه للشیخ عبد الحمید عبد الحکیم الغفاری و عبد العزیز عبد الله عبید و عبد الغنی عبد الله الراجحی و محمد محمد أبو شهبة و اسم المرحوم محمد علی سالم أبو الروس.

و منح الرئیس نفس الوسام الی أصحاب الفضیلة الشیوخ سلیمان حسن ربیع و الشیخ عبد السلام أبو النجا و محمد عبد المنعم خفاجی و محمد نایل حمد و یوسف أبو العلا- الجاشع و یوسف البیومی البسیونی و اسم المرحومین الشیوخ إمام الخولی و یوسف أحمد عوض.

و منح الرئیس نفس الوسام إلی الشیوخ محمد قناوی عبد الله و محمد کامل الفقی و إبراهیم علی أبو الخشب و عبد العظیم علی الشناوی و محمد رفعت فتح الله سلیمان سید أحمد دنیا و عبد الغنی عبد الخالق.

و الی أسماء المرحومین الشیوخ أحمد الشرباصی و عبد الحمید علی قادوم و عبد المتعال الصعیدی و محمد فتح الله بدران و محمد محمد الاودین و محمد یوسف موسی و منحه الی الشیخ زکی إبراهیم سویلم و اسم المرحوم الشیخ محمد حسن شبانة.

و منحه إلی الشیوخ محمد عبد التواب محمد مرسی عامر و أسماء المرحومین الشیوخ محمد محمد التمیری و علی محمود.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۷۶

المدارس العلمیّة و الأدبیة فی الأزهر الشریف خلال الف عام

-۱-

جامعة الجامعات، و حارس الإسلام، و الداعیة الأمین إلی دین اللّه، طیلة ألف عام أو تزید.

و حدث عن مجد الأزهر العلمی خلال تاریخه الطویل و لا حرج، و عن مواکب العلم و العلماء فیه علی امتداد عشرة قرون کاملة، و

عن حلقات العلم فى أروقته الشم، و عن طلابه و علمائه الوافدين من قرى مصر و من كل أنحاء البلاد الإسلامية و لا عجب .. فالحديث كله عطر و شذى، و كله حقيقة و تاريخ.

الأزهر، هذه الكلمة الجميلة، المقدسة، الطاهرة، ما أجملها، و ما أكرمها و ما أروعها .. إنها تاريخ أجيال، و صمود أبطال، و مواكب تاريخ، و هى فلق الصباح، و نور الشمس الباهر، وضوء البدر المسفر، و اليقين كل اليقين بعظمة الإسلام و جلاله و خلوده. يقول الشاعر الكبير إبراهيم ناجى من رسالة أدبية له وجهها إلى الدكتور طه حسين (۹۲ من كتاب ناجى الشاعر لصالح جودت):

«أرجو بحق اللّه عليك ألا تذكر الأزهر إلا بالخير، أتعلم لم أحبه؟

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۷۷

أحبه لتلك الحلقات التى تجعل العالم و تلاميذه فى صعيد واحد، فلا يعلو عليهم إلا بعلمه؛ و على ذكر الأزهر لأجلسن فى الحلقات، و أتعلم الصبر على المكاره».

و يقول أمير الشعراء. أحمد شوقى: (۱۸۶۹- ۱۹۳۲):

يا معهدا أفنى القرون جداره‌و طوى الليالى ركنه و الأعصرا

إن الذى جعل العتيق مثابة‌جعل الكنانى المبارك كوثرا

أمضى الأزهر أحقابا طوالا فى حراسة التراث، إذ ظل بيت العلم و العلماء، و موئل المفكرين و الرواد، و مجدد الثقافة الإسلامية الخالدة، و النور الوهّاج الذى يضىء و لا يحرق، و الملاذ الذى تهوى إليه أفئدة المسلمين من كل صوب و حدب.

و مصر منذ القدم وطن الجامعات، جامعة عين شمس القديمة، و جامعة منف، و جامعة الإسكندرية الأولى، و فى الإسلام جامعة الفسطاط، ثم جامعة الأزهر، و دار الحكمة؛ ثم جامعات مصر الحديثة.

و حين تحتفل مصر، و يحتفل معها العالم الإسلامى بالعيد الألفى للأزهر نذكر كيف أصبح الأزهر منذ إنشائه قلعة الإسلام الثقافية و صرح اللغة العربية الحضارى، و معقل التراث الإسلامى العربى بكل ذخائره و فنونه و علومه على امتداد الأجيال ... و لقد شيده الفاطميون فى مطلع حكمهم لمصر، بعد أن شيدوا مدينة القاهرة لتكون حاضرة دولتهم الكبيرة، و قصدوا أن يكون الأزهر المنارة الثقافية و الحضارية لمملكتهم الواسعة ..

-۲-

و يحدثنا التاريخ فيقول:

- وضع الحجر الأساسى يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۷۸

عام ۲۵۹ ه- ۹۷۰ م فى رواية، أو يوم السبت الرابع من رمضان فى العام نفسه فى رواية أخرى؛ وكمل بناؤه لسبع خلون من رمضان عام (۳۶۱ ه- ۲۲ يونيو ۹۷۲ م).

- أختار المعز لدين اللّه عددا من كبار العلماء و الفقهاء فى عصره ليتولوا الوعظ و الأرشاد فى هذا البيت الكريم، و كان عددهم ثلاثين، و أجزل لهم العطاء، و بنى لهم منازل فخمة، ألحقت بالأزهر، و صارت فيما بعد من أروقته.

- و فى صفر ۳۶۵ ه/ ۹۷۶ م جلس فى الأزهر قاضى القضاة أبو الحسن على بن النعمان بن محمد، يملى و يشرح مختصر أبيه فى الفقه على مذهب آل البيت؛ و عنوان هذا المختصر هو «الاقتصار»، و كان جمعا كبيرا أثبت فيه أسماء الحاضرين من شهود هذا الجمع. و كان ذلك بمثابة افتتاح رسمى لحلقات التدريس فى الأزهر الشريف.

و كان وزير المعز يعقوب بن كلس يجلس كل يوم جمعة فى الأزهر ليدرس. مؤلّفه «الرسالة الوزيرية» فى فقه آل البيت فى حلقة

خاصة به.

کما کان یجتمع فیه کل ثلاثاء بالفقهاء و جماعة المتکلمین و أهل الجدل، و ذلک منذ عام ۳۶۹ ه/ ۹۸۰ م و کان یرع إلی مجلسه القضاة و الفقهاء و الأدباء و أکابر القصر، و رجالات الدولة و الدعوة.

- و فی عام ۳۷۸ ه- ۹۸۸ م استأذن هذا الوزیر الخلیفة العزیز باللّه فی أن یعین بالأزهر جماعة من الفقهاء للتدریس فیه، و کان عددهم سبعة و ثلاثین فقیها، و قد رتب لهم العزیز أرزاقا و جرایات شهریة، و أنشأ لهم دار اللسکنی بجوار الجامع، و خلع علیهم فی یوم الفطر و کان عدد الطلبة خمسة و ثلاثین طالبا، کانوا کذلک موضع رعایة العزیز و تشجیعه .. و بذلک صار الجامع جامعة، و أصبح قبلة العلماء و الطلاب، و أخذت حلقاته تنال شهرة عالمیة .. و قامت المدارس الفکریة و العلمیة و الأدبیة فیه. الأزهر فی ألف عام ؛ ج۲ ؛ ص۲۷۹

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۷۹

-۳-

و المدرسة الفقهیة فی الأزهر هی دعامة من أکبر دعاماته، ففی العصر الفاطمی رأینا مدرسة فقه آل البیت یتصدرها القضاة من بنی النعمان، و أحیانا داعی الدعاة، و المؤید الشیرازی داعی الدعاة هو ممن کان یلقی محاضراته فی الأزهر فی عهد المستنصر الفاطمی (۴۲۷- ۴۸۷ ه:

۱۰۳۶- ۱۰۹۴)، و کان المؤید شاعرا کبیرا، و أدیبا موهوبا، و له دیوان شعر، و من کتبه: المجالس المستنصریة نهج- الهدایة- نهج العبادة، و غیرها. و کان یناظر أبا العلاء المعری فی بعض محاضراته.

فتحت أبواب الأزهر منذ إنشائه لکل مسلم، و قصده الطلاب من مشارق الأرض و مغاربها. یتلقون العلم فیه، و تجری علیهم الأرزاق، و تقیم کل جماعة منهم فی مکان خاص بهم، و هذا هو نظام الأروقة الذی بدأ ببدایة الحلقات العلمیة فی الأزهر. و من کتب فقه آل البیت التی کانت تدرس فی الأزهر آنذاک: کتاب الاقتصار- الرسالة الوزیریة- دعائم الإسلام و غیرها. و فی مقدمة الأساتذة المدرسین فیه.

- بنو النعمان قضاة مصر، و منهم: أبو الحسن علی بن النعمان (- ۳۷۴ ه) أخوه أبو عبد اللّه محمد بن النعمان (۳۸۹ ه)- ابنه الحسن ابن علی بن النعمان قاضی الحاکم بأمر اللّه. و قد ظل فقه آل البیت یدرس حتی جاء الأیوبیون، فمنعوا دراسة الفقه الاسماعیلی فیه.

و من المرجح أن فقیه مصر و مؤرخها الکبیر، الحسن بن زولاق (- ۳۸۷) کان من الذین تولوا التدریس فیه، فقد کان صدیق المعز لدین اللّه و مؤرخ سیرته، ثم صدیق ولده العزیز من بعده، فمن المعقول ان یکون من الذین اختیروا للتدریس فیه.

و فی العصر الفاطمی کان الأزهر مرکزا، و مقرا لمجالس القضاء، و مرکز الاحتفال الرسمی بالمولد النبوی الشریف، و بیوم عاشوراء کذلک قبل إنشاء المشهد الحسینی عام ۵۴۹ ه.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۸۰

و من أعلام الفکر فی الأزهر فی العصر الفاطمی: المسبحی الکاتب و المؤرخ المشهور (۳۶۶- ۴۲۰ ه)، و قد أخذ بقسط کبیر من ثقافات عصره و علومه.

و من کتبه: أخبار مصر، و کتب أخری مفقودة. و قد نشأ و تعلم فی الأزهر و أفاد من علمائه.

و منهم کذلک أبو عبد اللّه القضاعی (۳۹۰- ۴۵۴ ه) الذی کان من أقطاب العلماء، و تولی منصب القضاء و غیره من مهام الدولة فی عهد المستنصر و أوفده الخلیفة سفیرا إلی قیصرة القسطنطینیة عام ۴۴۷ ه/ ۱۰۵۵ م للمفاوضة فی عقد صلح بینهما. و له کتاب مفقود فی تاریخ مصر بعنوان «المختار فی ذکر الخطط و الآثار». و منهم الحافظ السلفی (۴۷۰- ۵۷۶ ه).

و فی العصر الأیوبی عطلت صلاة الجمعة فی الأزهر نحو مائة عام، و لکن حلقات الدراسة بقیت مستمرة فیه، و ألغی درس الفقه الاسماعیلی، و درس فقه أهل السنة و المذاهب الفقهیة الأخری. و قام فی حلقاته فی هذا العصر و ما بعده الآلاف من کبار الفقهاء و المفتین، و نذکر منهم:

- شیخ الإسلام الحافظ المنذری (۵۸۱- ۶۶۰ ه).

شیخ الإسلام عز الدین عبد السلام (۵۷۷- ۶۶۰ ه).

- قطب الدین القسطلانی (۶۱۴- ۶۶۶ ه).

شیخ الإسلام ابن دقیق العید (۶۲۵- ۷۰۲ ه).

- الإمام الزیلعی ۷۴۳ ه.

- الإمام تقی الدین بن السبکی (۶۸۳- ۷۵۶ ه).

- الإمام البلقینی (۷۲۴- ۸۰۵ ه) مجدد المائة الثامنة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۸۱

- الإمام السیوطی (۸۴۹- ۹۱۱ ه) مجدد الإسلام فی المائة التاسعة.

- الإمام الکمال بن الهمام (- ۸۶۱ ه).

الإمام شهاب الدین ابن عبد الحق السنباطی (۹۲۱ ه).

- و کان واعظا بالأزهر الشریف.

- شیخ الإسلام الرملی.

- شیخ الإسلام الشیخ عبد اللّه الشبراوی (۱۰۹۱- ۱۱۷۱ ه).

- شیخ الإسلام الفقیه المحدث المفتی أحمد الخالدی الأزهری الشهیر بالجوهری (۱۰۹۶- ۱۱۸۲ ه).

- شیخ الإسلام الشیخ الخرشی (- ۱۰۰۱ ه).

- الشیخ علی العدوی المالکی (۱۱۱۲- ۱۱۸۹ ه).

- الشیخ الدردیر (۱۱۲۷- ۱۲۰۱ ه).

و ظلت المدرسة الفقهیة ممثلة فی الأزهر أتم تمثیل، و بها نال مجدا باذخا وصیتا عالیا، فی جمیع المذاهب الإسلامیة الفقهیة، فکان شیوخ الأزهر من کبار الفقهاء فی العالم الإسلامی، حیث وجدنا:

- الشیخ المهدی العباس الحنفی مفتی الدیار المصریة، و صاحب الفتاوی المهدیة (۱۲۴۳- ۱۳۱۵ ه).

- الشیخ حسونه النواوی شیخ الأزهر الشریف (۱۲۵۵- ۱۳۴۳ ه)

- الشیخ بخیت المطیعی.

- الشیخ عبد المجید سلیم.

- الشیخ حسنین مخلوف.

- الشیخ محمد حسنین مخلوف.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۸۲

- الشیخ محمود شلتوت. و غیرهم.

و لا ریب أن المدرسة الفقهیة فی الأزهر خلال ألف عام قد رفعت رایة الإسلام خفاقة عالیة، و حافظت کل المحافظة علی روح التشریع الإسلامی. فقها و أصولا و فتیا و قضاء.

-۴-

و مدرسة التفسیر و الحدیث و القراءات فی الأزهر الشریف ذات صدی کبیر فی التراث الإسلامی، و قبل إنشاء الأزهر عاش فی مصر نافع (۱۲۰ ه)، و ورش شیخ القراء، و حسبنا فی القراءات الشاطبی (۵۳۸- ۵۹۰ ه)، و الفخر البلبیسی أستاذ القراءات و إمام الأزهر؛ و محمد بن سرافة الشاطبی (۵۹۲- ۶۶۳ ه)، و قد تولی مشیخة دار الحدیث الکاملیة فی القاهرة.

و من المحدثین من أعلام الأزهر کذلک: أبو العباس أحمد بن هاشم المصری، کان من کبار المحدثین و المقرئین حیث اشتهر بدرسه فی القراءات بالأزهر الشریف، و توفی عام ۴۴۵ ه)، و منهم. السخاوی المصری (۵۵۸- ۶۴۳ ه)، و هو صاحب تفسیر مشهور، و الحافظ المنذری شیخ الإسلام، و الحافظ السلفی، و ابن المنیر و کان إماما فی التفسیر و النحو و الأدب (۶۰۲- ۶۸۳ ه)، و قطب الدین القسطلانی (۶۱۴- ۶۶۶ ه)، و شرف الدین الدمیاطی المحدث (۶۱۳- ۷۱۵ ه)، و ابن حجر (۷۷۳- ۸۵۲ ه) و هو مؤلف «فتح الباری فی شرح صحیح البخاری» و قد تولی خطابة الأزهر حینا من الزمان، و کذلک بدر الدین العینی (۷۶۲- ۸۵۵ ه) مؤلف «عمدة القاری‌ء بشرح صحیح البخاری»، و کذلک شیخ الأزهر الشیخ عبد اللّه الشرقاوی (۱۱۵۰- ۱۲۲۷ ه).

و من المفسرین الأجلاء: الجلالان: السیوطی، و المحلی، و الخطیب الشربینی .. و من المفسرین فی عصرنا: شلتوت و مخلوف و الشیخ عبد الجلیل عیسی، و الخفاجی و سواهم.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۸۳

و لیتنا نجد فی جامعة الأزهر کلیة للتفسیر و الحدیث خاصة لیستعید الأزهر مکانته فی هذا الجانب العلمی الجلیل.

-۵-

و حدث عن مدرسة التصوف فی الأزهر الشریف و لا حرج، و أمامنا:

عبد الرحیم القنائی (۵۹۲ ه)، و أبو العباس المرسی (۶۱۶- ۶۸۶ ه)، و ابن الفارض (۴۷۶- ۶۳۲ ه)، و إبراهیم الدسوقی (۶۳۳- ۶۷۶ ه)، و البوصیری (۶۰۸- ۶۳۹ ه)، و ابن عطاء الله السکندری (۶۳۸- ۷۰۹ ه) و ابن دقیق العید (۶۲۳- ۷۰۲ ه)، و شمس الدین الحنفی (۸۴۷ ه)، و الشعرانی (۸۹۸- ۹۷۳ ه)، و عبد الله الشبراوی (۱۱۷۱ م)، و الشیخ الحفنی ۱۱۸۱ ه، و الشیخ الدردیر .. و سواهم ..

-۶-

و مدرسة الأدب و الشعر و النقد فی الأزهر مدرسة ممتدة علی طول الأیام .. و نحن لا ننسی: ابن شیت من أدباء القرن السادس، و ابن الفارض (- ۶۳۲ ه)، و ابن أبی الأصبع (- ۶۵۴)، و ابن الساعاتی (- ۶۰۴ ه)، و البهاء زهیر ۵۸۱- ۶۵۶ ه)، و ابن مطروح (۵۹۲- ۶۴۹ ه)، و القلقشندی صاحب صبح الأعشی (- ۸۲۱ ه) و النویری، صاحب نهایة الأرب (۷۳۲ ه) و السیوطی (۹۱۱ ه)، و العباس صاحب کتاب «معاهد التنصیص»، و ابن نباته المصری (۶۸۶- ۷۶۸ ه)، و محمد جلال الدین الوطواط (- ۸۱۸ ه)، و ابن الوردی، و شمس الدین النواحی، و الشهاب الخفاجی (۹۷۵- ۱۰۶۹)، و المحبی (۱۰۶۱- ۱۱۱۱ ه)، و عبد اللّه الشبراوی (۱۱۷۱) و سواهم. و فی العصر الحدیث نجد الشیخ حسن العطار و الشیخ عبد الهادی نجا الإبیاری (۱۸۲۱- ۱۸۸۸ م) و حسین المرصفی و سید بن علی المرصفی و غیرهم.

و لما ظهر الإمام محمد عبده بدأت النهضة الأدبیة تشق طریقها بقوة داخل أروقة الأزهر، و قد ألف الإمام جمعیة إحیاء علوم العلوم العربیة عام

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۸۴

۱۹۰۰ م و کان فاتحة أعمال هذه الجمعیة- طبع کتاب المخصص لابن سیده، ثم نهج البلاغة. کما طبع أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز و هما لعبد القاهر الجرجانی، و قد درسهما الإمام محمد عبده فی الأزهر.

و لما ألقی الإمام محمد عبده درسه الأول فی کتاب «أسرار البلاغة» فی الأزهر قال الشیخ محمد المهدی: لقد اکتشفت معنی البیان هذه اللیلة: و من تلامیذ الإمام فی حلقات العلم و الفکر: حافظ إبراهیم، و محمد رشید رضا: و سعد زغلول، و مصطفی لطفی المنفلوطی، و مصطفی صادق الرافعی، و عبد المحسن الکاظمی، و أحمد لطفی السید، الذی کان یقول عن الإمام: أستاذنا، و الشیخ مصطفی عبد الرازق، و محمد مصطفی المراغی، و الشیخ حسین والی، و عباس محمود العقاد الذی کان یقول عن الإمام محمد عبده: إنه أعظم رجل ظهر فی مصر منذ خمسة قرون.

و مدرسة الامام هی التی قادت مواکب النهضة و التجدید و الاصلاح فی مصر. علی أن جل أدباء مصر منذ القرن الخامس حتی الیوم، هم من أبناء الأزهر، و فی هذا المقام نذکر الشیخ محمد الخضر حسین، و السید حسن القایاتی، و شاعر الأزهر الشیخ محمد الأسمر (۱۹۰۰- ۱۹۵۶):

و نذکر الشاعر محمود أبو الوفا؛ و صالحا الشرنوبی.

و أول رائد فی النقد فی العصر الحدیث هو الشیخ الأزهری حسین المرصفی (۱۸۸۹ م)، و أول رائد فی القصة القصیرة هو الأزهری مصطفی المنفلوطی، و أول رائد فی الصحافة المصریة هو الصحفی الأزهری الشیخ علی یوسف رحمه اللّه.

و فی الأزهر ألف المقری کتابه الخالد «نفح الطیب من غصن الأندلس الرطیب» نحو عام ۱۰۲۰ ه، و کذلک فی الأزهر ألف کتاب «وفیات الأعیان» لابن خلکان (۶۸۱ ه).

-۷-

و فی البلاغة و النقد ظهرت مدرسة کبیرة فی الأزهر، و من أعلامها:

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۸۵

ابن أبی الأصبع المصری (۵۸۵- ۶۵۴ ه)، و هو مؤلف کتاب بدیع القرآن، و تحریر التحبیر.

و تلاه ابن السبکی صاحب کتاب «عروس الأفراح» (۶۸۳- ۷۵۶ ه)، ثم السیوطی صاحب کتاب «عقود الجمان فی المعانی و البیان».

و ألف البدیعی (۱۰۷۳ ه) کتابه «الصبح المنبی» عن حیثیة المتنبی.

و تمتاز مدرسة البلاغة فی الأزهر بجمعها بین طریقتی المتکلمین و الأدباء و بأنها ترجع إلی الذوق أکثر من احتکامها إلی المنطق.

-۸-

و قامت فی الأزهر مدرسة لغویة و نحویة کبیرة، بدأت بالحوفی النحوی الذی کان من أئمة اللغة فی عصره، و ألف کتبا کثیرة فی النحو و الأدب، منها کتاب «إعراب القرآن» و توفی عام ۴۳۰ ه؛ و قد أخذ عن أبی بکر الأدفوی، و کتابه «الموضح» فی النحو استوفی فیه العلل و الأصول.

ثم ظهر ابن بابشاذ النحوی المشهور، و کان کاتبا فی دیوان الانشاء فی خلافة المستنصر الفاطمی، و توفی عام ۴۶۹ ه، و له شرح علی کتاب الجمل للزجاجی، و شرح علی الأصول لابن السراج.

و تلاه أبو عبد اللّه بن محمد بن برکات النحوی، و هو تلمیذ القضاعی، و کان من أئمة اللغة و النحو، و توفی عام ۵۲۰ ه.

و تلاهم ابن برى المصرى المتوفى عام ۵۸۲ ه، الذى رأس ديوان الرسائل، كابن بابشاذ، و له فى النحو و اللغة مؤلفات كثيرة، ثم ابن القطاع اللغوى صاحب كتاب الأفعال.

و فى العصر الأيوبى و عصر المماليك و العصر العثمانى فى الأزهر طائفة من أعلام اللغويين و النحاة، من أشهرهم:

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۸۶

ابن منظور (۳۶۲- ۷۱۱ ه) الذى ألف معجمه «لسان العرب» فى الأزهر.

و ابن معطى (۶۲۸ ه) الذى تصدر لقراءة النحو و الأدب فى الأزهر، و له شرح على الجمل للزجاجى.

و ابن الحاجب، الذى نصدر فى النحو، و له كتاب الإيضاح و هو شرح على المفصل للزمخشرى.

و المرادى المصرى (۷۴۹ ه)، و له شرح كذلك على المفصل، و شرح على كتاب التسهيل لابن مالك.

و الفيروز أبادى (- ۸۱۷ ه) الذى وضع معجمه «القاموس المحيط» فى الأزهر.

كما ظهر ابن هشام النحوى المصرى (۷۰۸- ۷۶۱ ه) صاحب الشذور، و القطر، و أوضح المسالك، و مغنى اللبيب، و الجامع الكبير، و الجامع الصغير، و قواعد الإعراب، و غيرها. و قال عنه ابن خلدون فى مقدمته: ما زلنا نسمع و نحن بالمغرب أنه قد ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه.

و تلاه ابن عقيل المصرى (۷۶۹ ه) و الدمامينى الذى التف حوله الطلاب فى الأزهر، و له شرح على التسهيل و شرح على المغنى.

ثم الشمنى (۸۷۲ ه)، و خالد الأزهرى، و السيوطى (۹۱۱ ه) و الأشمونى (۹۲۹ ه)، و ابن قاسم (۹۹۴ ه)، و الشنوانى (۱۰۱۹ ه) و عبد القادر البغدادى (۱۰۹۳) صاحب «خزانة الأدب»، و الشيخ يس (۱۰۶۱ ه) و الحفنى ۱۱۷۸ ه و الصبان (۱۲۰۶ ه) و غيرهم.

و فى الأزهر ألف السيد مرتضى الزبيدى (۱۲۱۵ ه) معجمه اللغوى الكبير «تاج العروس».

-۹-

و فى الأزهر ظهرت مدرسة تاريخية ضخمة بدأت بالحسن بن زولاق

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۸۷

المصرى (- ۳۸۷ ه) الذى كان من أوائل الذيى تولوا التدريس فى الأزهر.

ثم ظهر المسبّحى (۳۶۶- ۴۲۰ ه) الكاتب و المؤرخ الشهير، و كتابه «أخبار مصر» الذى فقدناه كان ثروة كبيرة، و قد اعتمد عليه المؤرخون.

و ظهر بعد المسبحى الفضاعى المؤرخ و المحدث و الفقيه و له كتب كثيرة منها «المختار فى ذكر الخطط و الآثار».

و فى الأزهر فى العصر الأيوبى وفد على مصر عام ۵۸۹ ه ظهر عبد اللطيف البغدادى (۵۵۷- ۶۲۹ ه) المؤرخ و الأديب و الناقد و الطبيب، الذى ألقى رجاله فى الأزهر، و كان يلقى دروسه فيه على الطلاب أعواما طوالا.

ثم وفد كذلك على مصر ابن خلدون (۷۳۷- ۸۰۸ ه) و ذلك عام ۷۸۴ ه، و ألقى رجاله فى الأزهر، و أكمل كتابه التاريخى «العبر و ديوان المبتدأ و الخبر» و هو ستة أجزاء، و انتهى كذلك فى الأزهر من كتاب مقدمة هذا التاريخ المعروفة بالمقدمة، و هى فى علم الإجتماع، و ابن خلدون هو رائد علم الإجتماع فى العالم. و نشرت المقدمة فى مصر عام ۱۸۵۸ م، و قد كان الإمام محمد يدرسها لتلاميذه فى الأزهر، و فى مدرسة دار العلوم.

و فى عصر المماليك ظهر أيضا من أعلام المؤرخين فى الأزهر:

السخاوى، و المقريزى، و ابن إياس، و تقى الدين الفاسى تلميذ ابن خلدون، و السيوطى و سواهم.

-۱۰-

و لم یقتصر التعلیم فی الأزهر علی المبصرین، بل شمل المکفوفین کذلک، و کان منهم طائفة من کبار العلماء، و منهم فی عصرنا الحدیث الشیخ یوسف الدجوی (۱۹۴۶ م).

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۸۸

و کذلک لم یقتصر علی الرجال، بل شمل النساء، و یحدثنا المقریزی عن فقیهة کانت تدرس فی الأزهر للنساء و اسمها أم زینب فاطمة بنت عباس البغدادیة (۷۱۴ ه). و یحدث الجبرتی عن فقیهة مکفوفة کانت تحضر دروس الشیخ عبد اللّه الشرقاوی شیخ الأزهر فی المسجد الشریف (۴/ ۱۷۲ الجبرتی).

-۱۱-

و قد شملت ثقافات الأزهر العلوم الریاضیة و الهندسة و الطب و الفلسفة غیرها، فقد کانت العلوم الریاضیة و الفلکیة و الطبیعیة و الجغرافیة تدرس فی الأزهر الشریف منذ العصر الفاطمی.

و من الفلاسفة لأطباء الأزهریین أبو الحسن علی بن رضوان (- ۵۴۳ ه) و شرف الدین عبد الله بن علی (۵۹۲ ه)، و الرشید بن الزبیر، و کان شیخا للأطباء فی مصر و توفی عام ۵۶۳ ه، و القطب المصری (- ۶۱۸ ه).

و کان عبد اللطیف البغدادی یدرس فی الأزهر الطب لطلابه و جاء فی إجازة الشیخ أحمد عبد المنعم الدمنهوری (شیخ الأزهر من عام ۱۷۶۸- ۱۷۷۶ م، و الذی توفی عام ۱۱۹۲ ه- ۱۷۷۸ م أنه تلقی فی الأزهر العلوم الآتیة، و له تآلیف فی کثیر منها، و هی:

الحساب- المیقات- الجبر و المقابلة- المنحرفات- أسباب الأمراض و علاماتها- علم الاسطرلاب- الزبج- الهندسة- الهیئة- علم المزاول- علم الأعمال الرصدیة- علم الحیوان و النبات و المعادن علم استنباط المیاه- علاج البواسیر- علم التشریح- علاج لسع العقرب- التاریخ.

و کان الشیخ حسن الجبرتی، و هو والد الجبرتی المؤرخ، ذا شهرة کبیرة فی العلوم الریاضیة، و قد ذکر ابنه المؤرخ أنه فی عام ۱۱۵۹ ه- ۱۷۴۶ م أتی إلیه طلاب من الفرنجة و تلقوا علیه علم الهندسة.

و قد تلقی الشیخ حسن الجبرتی هذه العلوم الریاضیة فی الأزهر علی

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۸۹

الشیخ محمد النجاحی، ثم علی الشیخ حسام الدین الهندی الذی کان قدم إلی الأزهر للتعلم، و کان بارعا فی العلوم الریاضیة و الفلسفیة، فتلقاها عنه طلاب الأزهر، و من بینهم الشیخ حسن الجبرتی الذی طارت شهرته بها، و کان عنده کثیر من الآلات الفلکیة و الهندسیة و آلات أکثر الصناعات و الأسطرلابات و غیرها و آلات الرسم و التقاسیم. و کان یجتمع به مهرة الصناع لیستفیدوا من علمه. و کان یعرف صناعة استخراج المیاه.

و فی سنة ۱۱۷۲ ه/ ۱۷۵۸ م وقع خلل فی الموازین فصححها ...

و لم ینقص ذلک من إلمامه بالعلوم الدینیة و العربیة، بل کان حجة فی الفقه و غیره. و توفی عام ۱۱۸۸ ه/ ۱۸۷۴ م.

و لقد نعی والی مصر العثمانی منذ عام ۱۱۶۱ ه أحمد کور باشا إهمال مصر و الأزهر للعلوم الریاضیة و ذلک أمام الشیخ عبد اللّه الشبراوی شیخ الأزهر الشریف.

کما کان الشیخ حسن العطار ینعی علی الأزهر أیضا إهمال هذه العلوم و له مؤلفات فی الطب و التشریح.

و الوالی أحمد کور باشا هو الذی روی عنه قوله:

إن مصر منبع العلوم و الفضائل كما هو مسموع عندنا فی الديار الرومية- العثمانية- (۱/ ۱۸۷ الجبرتی).

و فی وثيقة رسمية لمشيخة الأزهر عام ۱۲۸۲ ه/ ۱۸۶۴ م أن من العلوم التی كانت تدرس فی الأزهر آنذاك: التصوف و الفلسفة و الهندسة و الموسيقی و المنطق و الحساب و الجبر و الفلك و الهيئة.

و فی عام ۱۳۱۰ ه/ ۱۸۹۲ م كان من العلوم التی تدرس فيه:

التصوف-.

و قد أصدر الشيخ الإنبابی فتوی بجواز تعلم العلوم الرياضية و علم الطب و غيرهما ...

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۹۰

-۱۲-

و بعد فهذا هو الأزهر، و هذه صورة للمدارس العلمية التی كانت سائدة فيه طيلة عشرة قرون.

الأزهر العظيم الذی وصفه المقريزی بأنه دار الإسلام، و أن الزائر له يجد فيه من الأنس باللّه و الارتياح له و نزوع النفس إليه ما لا يجده فی غيره.

و حينما وفد ابن خلدون من تونس إلی القاهرة للإقامة فيها هاله أمر القاهرة و مسجدها العظيم و جامعتها الكبری فقال مشدوها. انتقلت إلی القاهرة فرأيت محشر الأمم و إيوان الإسلام و كرسی العلم و حاضرة الدنيا- (نفح الطيب للمقری ۳/ ۱۳۳). و روی ابن خلدون عن قاضی الجماعة بفاس: من لم ير القاهرة و أزهرها لم يعرف عزة الإسلام.

و حين وصف ابن بطوطة مصر قال: إنها أم البلاد و إن قاهرتها قهرت الأمم.

و فی عصرنا كتب أمير الشعراء أحمد شوقی فی صحيفة الأخبار القديمة عدد اليوم السادس من سبتمبر ۱۹۲۴ يقول: سأظل فخورا بأن من أساتذتی شيوخا من صميم الأزهر الشريف و كبار علمائه. و لقد سد الأزهر فراغا كبيرا فی التعليم فی مصر و البلاد الشرقية جميعا.

و حين زار سعد زغلول الأزهر عام ۱۹۲۱ بعد عودته من منفاه لاداء صلاة الجمعة فيه خطب فی علمائه و طلابه، فقال فيما قال:

«جئت اليوم لأودی فی هذا المكان الشريف فريضة صلاة الجمعة، و أقدم واجب الاحترام لمكان نشأت فيه، و كان له فضل كبير فی النهضة الحاضرة؛ و تلقنت فيه مبادیء الحرية و الاستقلال ..»- ص ۶۱ سعد زغلول العقاد-

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۹۱

و فی اليوم الأول للاحتفال بالعيد الألفی للأزهر الشريف خطب الرئيس حسنی مبارك فی الأزهر، فقال:

كان الأزهر علی مر العصور القلعة الشامخة التی حفظت للقرآن لغته، و للحديث مكانته، و للدين تعاليمه و للشريعة أحكامها، و للفقه أصوله و ضوابطه، و للأمة الإسلامية تراثها الحضاری الفريد، و أصالتها الفكرية الراسخة فی مواجهة الغزو الثقافی من الخارج.

و قال رئيس جمهورية المالاديف: إن تاريخ الأزهر ليس هو تاريخ مصر وحدها، بل هو تاريخ الأمة الإسلامية جمعاء.

و صدقوا فيما قالوا و يقولون عن الأزهر الشريف، النغم الحلو فی فم الزمان، و اللواء المرفوع فی مواكب التاريخ، و السهم المسدد فی صدور أعداء الإسلام.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۹۲

علماء أزهريون من العصر المملوكی

اشارة

العصر المملوکی بشقیه الترکی و الجرکسی کان زاخرا بعلماء متصوفة و قد شجع علی ذلک کثیر من السلاطین و الأمراء و المماليک، فکانوا فی حجج و قصرا علی مؤسساتهم العلمیة و الدینیة و الصحیة و غیرها یشترطون لتولی وظائفها أن یکون الطلاب و المدرسون من الصوفیة، حتی و لو کانوا یدرسون علوما أخری کالفقه و الحدیث و التفسیر و غیرها. بجانب عملهم بالتصوف.

و لم یکتف السلاطین و الأمراء بهذا، بل إن غالبیة کبیرة منهم کانوا من کبار الصوفیة، و فی مقدمتهم السلطان قایتبای نفسه.

و قد انسحب ذلک المعنی علی الجامع الأزهر، بل إن ذلک کان أصیلا فیه، فمعالم علمائه نشئوا علی الزهد فی الدنیا مع شظف العیش و البساطة فی المأکل و الملبس و معظمهم أیضا تصدروا الدروس بالأزهر بدون ما أجر طلبا لثواب الله و رضاه ..

و کان الأمراء و المماليک کانوا یرتبون دروسا للتصوف بالجامع الأزهر، و أوقفوا علیها الأوقاف الوفیرة التی تضمن لها الدوام و الاستمرار و کان منهم الأمیر خشقدم الزمام الذی رتب أربعین طالبا و شیخهم من المتصوفین بالجامع الأزهر، و کذلک الأمیر فیروز الناصری و غیرهما من الأمراء.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۹۳

و الحقیقة أن رجال الأزهر من المتصوفین قاموا بدور بارز، بجلد و صبر منقطع النظیر فی الحفاظ علی التراث الموجود الآن بالأزهر و غیره من مکتبات مصر و الهند و ترکیا، فإن السلطان سلیم قد نقل من تراث الأزهر و ملأ به مکتبات استنبول و غیرها.

و لقد عکف المتصوفون بالجامع الأزهر لیل نهار، یکتبون و ینسخون المخططات التی کادت تبل من القدم، و کذلک یبیضون بخطوط جمیلة الأمالی التی أملاها علیهم شیوخهم فی الحلقات العلمیة.

و فضل الصوفیة فی الحفاظ علی التراث الإسلامی، و التمسک بعقیدتهم و مبادئهم و مثلهم و وقوفهم فی وجه التیارات المعادیة للوطن فی کل العصور، و حبهم لطلابهم و مشایخهم و أزهرهم و مصرهم، بالاضافة الی حب الله و رسوله و صحابته و آله و التابعین .. لا ینکره إلا مکابر ..

۱- قنبر بن عبد الله العجمی الشیزواری ثم القاهری الأزهری الشافعی المتوفی سنة ۸۰۱ ه- ۱۳۹۸ م مهر فی العلوم العقلیة، تصدر بالأزهر مدة یدرس للطلبة بعد قدومه للدیار المصریة قبیل سنة ۷۹۰ ه.

۲- محمد بن ابراهیم الشمسی بن عبد الله الشافعی المولود سنة ۷۴۷ ه مات سنة ۸۱۱ ه، قدم القاهرة فقطنها و أقبل علی الزهد و العبادة، فکان لا یضع جنبه بالارض بل یصلی باللیل و یتلو القرآن، فان نعس أغفی اغفاءة، ثم یعود فیواصل الصلاة و القراءة.

۳- إبراهیم بن عمر الادکاوی الأزهری المتوفی سنة ۸۳۴ ه.

و من تلامیذ الادکاوی و ممن لبسوا منه خرقة التصوف العلامة العاصفی شیخ رواق الریافة بالأزهر، و الشمس السکندری المولود سنة ۸۱۸ ه مات سنة ۹۰۶ ه، کما صحبه الابناسی و الشهاب اللامی المعروف بالصندلی مات سنة ۸۸۹ ه و غیرهم.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۹۴

۴- الشیخ خلیفة المغربی المعتقد نزیل جامع الأزهر الذی کان یزوره السلاطین بالجامع الأزهر.

۵- الشیخ سعید المغربی المعتقد الصالح نزیل الجامع الأزهر جاور به عدة سنین. و له مریدون و للناس فی صلاحه اعتقاد کبیر، زاره و زمیله السابق السلطان برسبای.

۶- سلیمان بن شعیب البحیری: تصدر لتدریس الفقه المالکی بالأزهر و غیره.

۷- محمد بن موسی اللقانی ولد سنة ۷۷۲ ه و مات بمنزله بالقرب من الأزهر سنة ۸۴۰ ه، ضبط الاسماء و قرأ الجوق و کان ذا صوت حسن.

۸- شمس الدین أبو عبد اللّه الغمری ثم المحلی الشافعی قدم القاهرة فأقام بالجامع الأزهر فأخذ الفقه و الفرائض و المیقات و غیرها عن شیوخ الجامع، و کان یتکسب بالعطر حرفة أبیه.

۹- محمد بن عبد الله الرشیدی المولود بالقاهرة سنة ۷۶۷ ه کان بیده درس اسماع بالأزهر و کان خطیبا کأسلافه ینشیء الخطبة المناسبة لمقام الحال، و برع فیها حتی ان الناس کانوا یأتون لسماعه من أماکن بعیدة.

۱۰- علی بن عمر بن القاهری الأزهری الشافعی المولود سنة ۸۲۵ ه و انتقل منها الی القاهرة سنة ۸۴۱ ه فأقام و مات سنة ۸۹۰ بالجامع الأزهر.

و کان أحد من یلبسون الصوف، و تنزل فی صوفیة سعید السعداء و البیبرسیه و غیرهما، ثم آل أمره بالذهاب الی الریف بنواحی المنصورة، فأقام ببعض الجوامع و انتفع الناس بعلمه و صلاحه.

۱۱- محمد بن موسی الشمس الفیومی ثم القاهری الأزهری الشافعی درس لبعض الطلبة، و کان خیرا ذا فضیلة.

۱۲- حسن بن علی حسن البدر السفطی الأزهری الشافعی ممن تتلمذ علی ید السخاوی.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۹۵

۱۳- عبد اللطیف بن عیسی بن الحصبای الأزهری الشافعی، تکسب بالشهادة أولا ثم أصبح قاضیا درس بالمدرسة الباسطیة و غیرها.

۱۴- و من أئمة الصوفیة: الشیخ الدردیر رحمه اللّه.

بقی أن نذکر بعض أمراء الممالیک درسوا بالأزهر و تأثروا بعلمائه و حملوا علم التصوف و منهم الامیر الصوفی صاحب المبرات المقصود بالشفاعات «اینال» کان حنفیا جرکسیا من ممالیک «نوروز الحافظی» نائب الشام، تجرد «اینال» هذا فی أیام أستاذه، و جال فی بلاد الروم و غیرها بعد اشتغاله و دراسته بالجامع الازهر ثم قدم القاهرة، و افتدی به تلمیذه الصوفی الأمیر «خجابردی» مات اینال سنة ۸۶۴ ه و دفن بزاویة خجابردی المذکور.

و هذا یؤکد ما قلناه سابقا من أن أمراء الممالیک، تأثروا بالتصوف فی هذا العصر الذی نؤرخ له، و کانت لهم بالأزهر و غیره خیرات و مبرات .

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۹۶

الإمام السیوطی

الإمام جلال الدین السیوطی من أشهر علماء عصره (۸۴۹- ۹۱۱ ه) الموافق (۱۴۴۵- ۱۵۰۵ م)؛ کان نادرة عصره، بقیة السلف و عمدة الخلف کما یقول عنه معاصره «ابن ایاس» فی کتابه «بدائع الزهور» بل کان جلال الدین و الدنیا و معدن التدریس و الفتیا، جمّل اللّه به ملة الإسلام کما یقول الشهاب المنصوری الشاعر المعاصر له.

و لقد عاش السیوطی فی أواخر عصر الممالیک الذین أمتد نفوذهم فی کل مکان، و قامت لمصر فی أیامهم دولة عظمی و امبراطوریة کبری کان لها الرأی الفاصل فی کل القضایا العالمیة آنذاک، و امتدت هیبتهم من الهند إلی شواطیء المحیط الأطلسی، و شمل حکمهم ما بین برقة و ضفاف الفرات و ما بین قبرص إلی مجاهل أفریقیا، کما شمل الیمن و الحجاز و سواحل المحیط الهندی، بل امتد إلی حدود الحبشة و جهات سواکن و جزائرها و حدث عن مجد الممالیک و مصر بعد هزیمة الجیش المصری للتتار فی عین جالوت عام ۶۵۸ ه/ ۱۲۶۰ م، ثم بعد اجلائهم الکامل للصلیبیین من سواحل الشام عام ۶۹۱ ه/ ۱۲۹۰ م، بل حدث عن أثر نقل الخلافة العباسیة إلی القاهرة عام ۶۵۹ ه/ ۱۲۶۱ م و لا حرج حتی لیقول السیوطی فی کتابه «حسن المحاضرة»: «اعلم أن مصر حین صارت دار

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۲۹۷

الخلافة عظم أمرها و صارت محل سکنی العلماء و محط رحال الفضلاء» (۲/ ۶۵ حسن المحاضرة).

و کانت دولة آل عثمان بعد فتح القسطنطینیة عام ۸۵۷ ه/ ۱۴۵۳ م تتطلع و هی فی آسیا الصغری إلی هذا المجد الکبیر و إلی مکانة مصر العالمیة الکبری بعین الحدث و تتربص بامبراطوریتها ریب الأحداث.

و صارت حضارة مصر آنذاك مضرب الأمثال، فمفاتيح التجارة العالمية بين الشرق و الغرب فى يدى الشعب المصرى و الأموال تتدفق عليه بلا حساب و الرخاء و الازدهار تبلغ القاهرة كل أحلامها منهما .. و كان سلطان المماليك يلقب بسلطان البرين و البحرين أى البر المصرى و البر الشامى، و البحر الأبيض و البحر الأحمر .. و كان لقب قلاوون «ملك البرين و البحرين و صاحب القبلتين و خادم الحرمين الشريفين». و أحيانا كان يلقب بسلطان الشام و اليمن ملك البحرين خادم الحرمين الشريفين صاحب القبلتين ملك الديار المصرية و الجهات الحجازية و البلاد الشامية و الأعمال الفراتية و الديار البكرية .. بل لقد خطب للسلطان برقوق باسمه فى توريز من بلاد العجم و فى الموصل و ماردين و سنجار و ضربت النقود باسمه فى جميع هذه البقاع.

و كان عصر السيوطى عصر ازدهار الثقافة الإسلامية و العربية، و حدث عن جامعة مصر الكبرى الأزهر. و يقول المقريزى فيه الزائر له يجد من الأنس باللّه و الارتياح و نزوع النفس ما لا يجد فى غيره .. و مع أن المماليك كانوا ينتمون إلى أصول غير عربية إلا أنهم بإقامتهم فى أرض العروبة اعتبروا أنفسهم عربا، بل حماة للعرب حتى كان من ألقاب سلاطينهم «سيد ملوك العرب» و عدوا أنفسهم مصريين بما اكتسبوا من الروح المصرية لحياتهم الطويلة على ضفاف النيل قبل و بعد قيام دولتهم، و مع أن لغتهم الأولى كانت هى التركية المملوءة بألفاظ فارسية و عربية فإنهم كانوا يتعلمون

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۹۸

العربية و يتقنونها حتى صار كبارهم و أمراؤهم بل جمهرتهم يتكلمون العربية الفصحى و يتخاطبون بها .. و كان السلطان الأشرف خليل يعقد المجالس الأدبية و يطارح الأدباء و الشعراء مع معرفته بصناعة الانشاء، و اشتهر كذلك السلطان «جقمق» و «خشقدم» بفصاحة اللسان بالعربية الفصحى البليغة ..

و كذلك جانى بك (۸۶۸ ه) و خاير بك (۸۸۷ ه) و حبيب العلائى الإينالى (۸۹۳ ه) و كذلك السلطان قانصوه الغورى حيث كان يجيد العربية، شديد الولع بعلومها و آدابها و له فيها مشاركة كبيرة، كما كان يتذوق الشعر و إلى ما شهر عنه من غرامه بقراءة السير و التواريخ، و له مجالس عرفت باسمه عنوانها «مجالس الغورى» و هى مناظرات كانت تجرى فى مجلسه.

و فى القاهرة كانت المدارس العلمية و الخوانق (البيوت) الصوفية تنهض برسالة دينية و ثقافية و علمية كبرى و تعمل من أجل نشر الثقافة الإسلامية و حمايتها و من بينها: المدرسة الصالحية و الكاملية و الظاهرية و المنصورية و الناصرية و المؤيدية و الخانقاه البيبرسية و المدرسة الشيخونية التى درس فيها السيوطى على شيخه البلقينى و منحه فيها إجازة علمية عام ۸۶۴ ه/ ۱۴۶۰ م ثم كان أستاذا فيها ذاتها كذلك عام ۸۷۲ ه/ ۱۴۶۷ م.

و كان الأزهر يشد أزر هذه المدارس و يغذيها بالأساتذة الأعلام، فهو وجه مصر الروحى و الفكرى و الحضارى، و هو أبرز معاهد العلم و الدراسات الإسلامية و العربية فى «دولة البرين و البحرين» و إليه يفد طلاب العلم و شيوخه من مشارق الأرض و مغاربها للتعمق فى دراسة علوم الدين و العربية و فيه كانت تعقد مجالس الوعظ و حلقات التدريس، و قد أكسب مصر سمعة إسلامية عالمية، حتى صارت حاملة مشاعل الثقافة الإسلامية بعد بغداد التى صارت أطلالا دارسة، فالأزهر هو الذى رفع المشاعل و أوقد المصابيح، و أضاء الدنيا و تصدر حلقاته العلمية الأئمة و الأعلام من العلماء، أولى المناهج العلمية و قد عرفت طريقتهم باسم «الطريقة المصرية» .

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۲۹۹

و عاصر السيوطى ثلاثة عشر من سلاطين المماليك الجراكسة، كما عاصر السيوطى كذلك أئمة كبارا من العلماء و بحسبك ابن حجر (۸۵۳ ه/ ۱۴۴۹ م)، و لقد طلب والد السيوطى منه أن يدعو لابنه بالبركة و التوفيق، و كان السيوطى يرى فى هذا العالم المصرى العظيم مصدر اشعاع روحى له، و كذلك الإمام العينى (۸۵۵/ ۱۴۵۱ م) و القسطلانى (۹۲۳ ه/ ۱۵۱۷ م) و السخاوى (۹۰۲ ه/ ۱۴۹۷ م) و المقريزى و ابن إياس و غيرهم من أعلام عصره.

و لقد صار السيوطى واحدا من بينهم و علما من كبار علمائهم، و احتل مركز الصدارة فى القاهرة فى عصره، و صار فى مقدمة الذين

أثروا الثقافة الإسلامية العربية و رفعوا من شأنها و أحلوها مكانا عاليا و منزلة شاهقة تبوأتها من ذلك الحين حتى يومنا هذا، فهو أحد الذين قادوا مواكب الثقافة الإسلامية فی عصره بشخصيته الإسلامية الجليلة و بموسوعيته العلمية التی ليس لها نظير فی تاريخ العقل العربی فی عصر نهايات دولة المماليك.

ولد جلال الدين عبد الرحمن السيوطی فی القاهرة أول رجب عام ۸۴۹ ه الثالث من أكتوبر عام ۱۴۴۵ م فی منزل والده بالروضة. و هو من أسرة بغدادية الأصل استقر بها المقام فی أسيوط قبل ميلاد السيوطی بعدة قرون، و ذلك منذ عصر الدولة الأيوبية و اشتهر منها العلماء و العديد من الرجال، و كان والده كمال الدين أبو بكر السيوطی (المولود بعد عام ۸۰۰ ه و المتوفی فی صفر عام ۸۵۵ ه) من أجلة العلماء و قد نزح من أسيوط إلى القاهرة قبل ميلاد ابنه بأربعة و عشرين عاما و انقطع لطلب العلم فی الأزهر و غيره ثم للتعليم و الافادة و تدريس الفقه فی الجامع الشيخونی و للخطابة فی الجامع الطولونی، و كان بيته بجزيرة الروضة مقصد الطلاب و العلماء، و كان الخليفة المستكفی باللّه يجله و يعظمه، و لعل عطف الخلفاء العباسيين عليه مما يؤيد أصله البغدادی.

و توفی والد جلال الدين و هو طفل صغير فی السادسة من عمره فكفل

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۰۰

الابن الصغير عبد الرحمن صديق لوالده و زميل له فی المدرسة الشيخونية و هو كمال الدين الهمام الحنفی (۸۶۱ ه) الذی أخذ يتعهده و يرعى شئونه، و كان ابن الهمام محققا جدليا ولی مشيخة المدرسة الشيخونية و له كتب مشهورة فی الفقه و فی الأصول منها كتابه فتح القدير و شرح الهداية.

و ظهرت علی الابن الصغير مخايل النبوغ و الذكاء و قوة الحافظة حتی لقد حفظ القرآن الكريم و هو دون الثمانية من عمره، و حفظ فنون العلوم الإسلامية و العربية و هو دون الخامسة عشرة، و أقبل عبد الرحمن علی حضور دروس مشايخ عصره و تلقی العلم علی أيدی علماء عصره منذ مستهل عام ۸۶۴ ه و هو فی الخامسة عشرة، و كان من بين هؤلاء الأساتذة:

۱- شيخ الإسلام البلقينی (۷۹۱ ه/ ۸۶۸ ه) إمام العلماء فی المائة الثامنة و هو من أساتذته فی الفقه، و هو الذی أجازه بالتدريس و الافتاء و كان التصدير الذی ألقاه لما باشر التدريس بجامع شيخون يحضره أستاذه البلقينی هو الكلام علی أول سورة الفتح، كما كان الكلام علی حديث ابن عباس، «احفظ اللّه يحفظك» هو التصدير الذی ألقاه لما ولی درس الحديث بالشيخونية، و لما مات البلقينی لازم عبد الرحمن ولده عليا حتی توفی أيضا بعد وفاة والده العظيم بقليل.

۲- شهاب الدين الشارماصی، الذی أخذ عنه الفرائض.

۳- شيخ الإسلام شرف الدين المناوی (۷۹۸- ۸۷۱ ه) الذی تتلمذ عليه فی الفقه و لما مات رثاه السيوطی بشعر له.

۴- محيی الدين الكافيجی (۷۸۸- ۸۷۹ ه) و قد تلقی علی يديه التفسير و الأصول و المعانی العربية و لزمه أربع عشرة سنة.

۵- تقی الدين الشبلی الحنفی؛ و كان أستاذه فی علوم العربية.

۶- سيف الدين الحنفی: و هو أستاذه فی البلاغة.

۷- ابن الهمام (۸۶۱ ه).

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۰۱

۸- تقی الدين الشمنی (۸۰۱- ۸۷۱ ه): و هو أستاذه فی التفسير و الحديث و فی العربية و قد لازمه أربع سنين و لما مات الشمنی رثاه السيوطی بقصيدة طويلة من شعره.

و غير هؤلاء، و هم كثير و ذكر السيوطی أن شيوخه الذين أخذ عنهم نحو المائة و الخمسين. و قد ترجم لهم فی معجم خاص- و واصل السيوطی مسيرته العلمية حتی تفقه فی علوم عصره و ألف أول كتبه و هو فی الخامسة عشرة و هو تفسير للاستعاذة و البسملة و ذلك عام ۸۶۴ ه و هو دليل علی طموح علمی كبير و هذا النهم العلمی الذی لا يقف عند غاية هو أحد معالم شخصية عالمنا الكبير

حتی لقد أجیز بتدریس العربیة و هو فی الخامسة عشرة، و روی عنه علماء عصره الحدیث و هو فی الثانیة و العشرین من عمره و ذلک عام ۸۷۱ ه و أجیز بتدریس الفقه و بالفتیا و هو فی السابعة و العشرین من سنی حیاته المبارکة و کان أول درس ألقاه فی الأزهر الشریف فی تفسیر سورة الفاتحة.

لقد أحب السیوطی الکتاب منذ صغره، و کان یری فی الإمامین البلقینی و ابن حجر مثله الأعلی فدعا اللّه و هو یشرب من ماء زمزم أن یجعله فی الفقه مثل البلقینی و فی الحدیث مثل ابن حجر، و کان والده قد ترک له مکتبة کبیرة زاخرة بالمخطوطات، فکان یطالع فیها فوق تردده علی مکتبة المدرسة المحمودیة الحافلة بمختلف المؤلفات فی شتی الفنون و العلوم، و کانت من أنفس خزائن الکتب بالقاهرة و بها نحو أربعة آلاف مجلد، و قد قام ابن حجر بفهرستها ثم تلاه السیوطی فکتب فهارس لها جمعها فی کتاب سماه «بذل المجهود فی خزانة محمود» و أخذ السیوطی یبحث عن خزائن الکتب المختلفة و یطالع فیها، ثم أخذ یطوف فی أنحاء مصر یلقی العلماء و یحادثهم و یأخذ عنهم و یأخذون عنه، و بعد أن کان یتولی تدریس الفقه بالجامع الشیخونی خلفا لوالده صار یتولی منصب المشیخة فی المدرسة الشیخونیة و هو المنصب الذی کان یشغله أبوه من قبل، کما شغله أیضا أستاذه الکحال بن الهمام (۸۶۱ ه) و تصدی للافتاء

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۰۲

و املاء الحدیث بالجامع الطولونی و درس الحدیث بالخانقاه الشیخونیة و تولی مشیخة الصوفیة بمدفن برقوق الناصری، ثم تولی مشیخة المدرسة البیبرسیة و هی أکبر خوانق (بیوت الصوفیة) بالقاهرة و بیوتها الصوفیة و أکثرها أوقافا فی عصره ، ثم نحاه عنها السلطان محمد بن قایتبای و کان آنذاک فی الأربعین من عمره فاعتزل الناس و زهد فی الدنیا و عکف علی التألیف طیلة عشرین عاما فی منزله بالروضة و رفض أن یستقبل أحدا من زائریه و مریدیه حتی لقد أغلق نوافذ منزله بالروضة المطلة علی النیل و کتب فی ذلک رسالة سماها «تأخیر الظلامة إلی یوم القیامة».

و لما تولی «طومان بای» الحکم خاف السیوطی أن یضطهده فاختفی حتی توفی هذا السلطان، و لحسن الحظ لم یمکث هذا السلطان فی الحکم إلا شهورا قلائل عاد السیوطی بعدها إلی منزله فی الروضة، و کان قد تولی حکم مصر السلطان قانصوه الغوری، و قد عرض هذا السلطان علیه العودة إلی المشیخة فی المدرسة البیبرسیة فاعتذر و آثر العزلة عن الناس.

حج السیوطی عام ۸۸۷ ه ۱۴۸۲ م، و جاور فی مکة المکرمة عاما کاملا و طاف فی أنحاء العالم الإسلامی دارسا و مدرسا و موجها، فرحل إلی الشام و الحجاز و الیمن و الهند و المغرب و بلاد التکرور، و تصدر مجالس العلم و العلماء فی الأزهر و فی غیر الأزهر من أمهات المدارس الإسلامیة حتی غدا علم الأعلام و رائدا عظیما من رواد الثقافة الإسلامیة.

و بعد عمر غیر طویل و عن اثنین و ستین عاما هجریا أو ستین عاما میلادیا توفی الإمام جلال الدین السیوطی فی التاسع عشر من جمادی

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۰۳

الأولی عام ۹۱۱ ه التاسع عشر من أکتوبر سنة ۱۵۰۵ ه، و قال فیه تلمیذه عبد الباسط بن خلیل الحنفی (۹۲۰ ه):

مات جلال الدین غیث الوریمجتهد العصر، أمام الوجود

کانت الثقافة الإسلامیة قد أصیبت بنکبات کبیرة فی بغداد علی أیدی التتار و فی الأندلس علی أیدی الأسبان المتعصبین، و سلمت مصر بهزیمتها للتتار فی عین جالوت فسلمت لها مجالس العلم و مدارسه و جامعته الکبری الأزهر و سلمت خزائن الکتب فی القاهرة، و بقیت حلقات الثقافة و أندیتها لم یمسها سوء، و ظلت القاهرة ترسل أشعتها إلی کل مکان و توالی أداء رسالتها فی خدمة الثقافة الإسلامیة، و وفد علیها العلماء و الأدباء و الشعراء من کل مکان.

و قد شمر علماء مصر عن ساعد الجد لتعویض ما بدد من التراث الإسلامی فی بغداد و الأندلس و صقلیة و غیرها، فألفوا الکتب و

صنفوا الموسوعات و كتبوا فی كل العلوم و الفنون، و جمعوا ما وصلهم من روايات و مأثورات من مختلف المصادر، و رأوا أن هذه المهمة هی فريضة إسلامية كبيرة ألقيت علی كاهلهم فنهضوا بها و قاموا بأدائها خير قيام، فرأينا المؤلفات الضخمة من مثل: صبح الأعشی و نهاية الأرب و النجوم الزاهرة و فتح البارئ و بدائع الزهور و الدر المنثور و غيرها من أمهات الكتب التی خلفها لنا أمثال: القلقشندی و النويری و ابن تغری بردی و المقريزی و ابن حجر و ابن اياس و السخاوی و القسطلانی و العينی و الدماميني و الشمنی و ابن الكمال و السبكی و ابن فضل اللّه العمری و الدميری و الأسنوی و المناوی و البلقينی و الشعرانی و غيرهم .. و كذلك فعل السيوطی بل لقد فاقهم جميعا فی عظمة التحصيل و غزارة التأليف و روعة التحقيق، و ظلت القاهرة تتصد عواصم العالم الإسلامی حضاريا و ثقافيا، و ظلت أنديتها العلمية و الأدبية حافلة بالعلم و العلماء و الطلاب.

لقد عكف السيوطی علی الكتاب و الكتابة و التأليف طيلة حياته فأثری

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۰۴

المكتبة العربية بنفائس المؤلفات و بذخائر المصنفات مما شهد لها المحققون و أقروا لصاحبها بطول الباع وسعة الاطلاع و بوفرة المحصول و موسوعية المعرفة و بغزارة العلم و الرواية و بالوقوف علی مختلف مصادر البحث و الإحاطة بكل ما تشتمل عليه خزائن الكتب فی القاهرة و غيرها ..

و ذهل الناس لما رأوا من باهر تحصيله و من وقوفه علی دقائق العلوم و حقائق المعرفة و خفايا المخطوطات.

و يقول السيوطی عن نفسه: «لقد رزقت التبحر فی سبعة علوم هی التفسير و الحديث و الفقه و النحو و المعانی و البيان و البديع علی طريقة العرب البلغاء لا علی طريقة العجم و أهل الفلسفة، و الذی اعتقده أن الذی وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوی الفقه و التفول التی اطلعت عليها فيها لم يصل اليه و لا وقف عليه أحد من أشياخی فضلا عمن هو دونهم» و هو فی كتابه حسن المحاضرة يذكر أن مؤلفاته آنذاك بلغت ثلاثمائة، و يذكر ابن اياس أنها فی جملتها تبلغ ستمائة، و يذكر بروكلمان أنها أكثر من أربعمائة و أحصی له المستشرق فلوكل ۵۶۱ مؤلفا، و قد تكون بعض كتبه و ريقات قليلات، ككتابه «المتوكلی» مثلا، و قد تكون أجزاء كثيرة مثل: الدر المنثور و الجامع الكبير و غيرهما و قد جمع السيوطی فی كتابه «الحاوی للفتاوی» الذی يقع فی نحو ألف صفحة ثمانية و سبعين مؤلفا منفردا أغلبها من الفتاوی و البحوث المنفردة و جمع فی كتابه «النقابة» أربعة عشر علما، هی: التفسير و الحديث و أصول الدين و المعانی و البيان و البديع و التشريع و الخط و الصرف و النحو و الفرائض و أصول الفقه و التصوف و الطب .. و له شرح عليه.

و ليس فی العالم من بلغ ما بلغه السيوطی فی كثرة المؤلفات سوی رامون لول الأسبانی و أحد كتاب العصور الوسطی الذی بلغت مؤلفاته نحو

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۰۵

الخمسمائة و يقول الداودی تلميذ السيوطی (۹۴۵ ه) الشافعی المصری العلامة المحدث فی انبهار بعظمة شيخه: كان السيوطی فی سرعة الكتابة آية كبری من آيات اللّه .. و هكذا كان جلال الدين السيوطی أرفع علماء عصره همة و أعظمهم نشاطا و أكثرهم تأليفا و أغزرهم مادة.

و علی ما سبق نقول إن السيوطی كان أغزر علماء العربية قاطبة تصنيفا حتی لقد ضرب به المثل علی طول العصور فی غزارة التأليف، و من أجل ذلك لقب بابن الكتاب و بصديق الكتب و الكتاب ..

و كان التأليف عند جلال الدين هواية و فنا تبحر فيه حتی لقد اتخذ منه سلاحا يدافع به عن نفسه ضد مخالفيه فی الرأی من منافسيه و خصومه و الحاقدين عليه، يقول: خالفنی أهل عصری فی خمسين مسألة فألفت فی كل مسألة مؤلفا بينت فيه وجه الحق .

و اختصر السيوطی الكثير من نفائس كتب التراث حتی لنجد من كتبه:

۱- مختصر الأحكام للماوردی.

۲- مختصر الروضة فی الفقه.

۳- مختصر التنبیه فی الفقه.

۴- مختصر الأحیاء للغزالی.

۵- مختصر معجم البلدان لیاقوت الحموی.

۶- مختصر تهذیب الأسماء للنواوی.

۷- مختصر تاریخ ابن عساکر: سماه تحفة المذاکر فی المنتقی من تاریخ ابن عساکر.

۸- و له کتاب سماه «دیوان الحیوان» و هو خلاصة لکتاب حیاة الحیوان للدمیری، (ت ۸۰۸ ه).

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۰۶

و ألف مئات الکتب فی شتی الفنون و العلوم، فمنها فی التفسیر: الدر المنثور- لباب النقول فی أسباب النزول تکملة تفسیر الجلالین الذی کتب نصفه الأخیر الجلال المحلی (۷۹۱ ه- ۸۶۴ ه) و کتب هو نصفه الأول- الاتقان- و غیر ذلک و للسیوطی الباع الطویل فی التفسیر بالمأثور ..

و تبلغ مؤلفاته فی الحدیث أکثر من مائة و ستین کتابا من أشهرها الجامع الکبیر- و الجامع الصغیر، و یقول السیوطی عن نفسه: لیس علی وجه الأرض من مشرقها إلی مغربها من هو أعلم بالحدیث و العربیة منی .

و له فی الفقه عشرات المؤلفات و منها: جمع الجوامع و کتاب الجامع فی الفرائض، و کتاب «أدب الفتیا».

و فی علوم العربیة: کان له القدح المعلی و له فضل السبق فی ابتکار علم أصول اللغة و النحو و کان یعد من کبار المصنفین فی العربیة. و یقول عن علم أصول اللغة: هو علم اخترعته لم أسبق إلیه، لم یسبقنی إلیه و لا طرق سبیله طارق، و من أجل کتبه فی هذا المجال: شرح ألفیة ابن مالک، الفتح القریب علی «مغنی اللبیب» الاقتراح فی أصول النحو، الأشباه و النظائر، المزهر ..

و فی علوم البلاغة: ألف الکثیر من الکتب و من بینها: عقود الجمان فی المعانی و البیان ..

و فی الأدب له عشرات الکتب: من بینها: دیوان خطب- دیوان شعر- المقامات- دور الکلم و غرر الحکم- شرح بانت سعاد- فصل الشتاء ..

إلخ.

و فی أدب الرحلات نجد له الرحلة المکیة- الرحلة الدمیاطیة- الرحلة الفیومیة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۰۷

و فی التاریخ: نجده فی مقدمة مؤرخی عصره و له فی هذا المضمار کتب کثیرة منها: تاریخ الخلفاء- حسن المحاضرة فی أخبار مصر و القاهرة- تاریخ السلطان الأشرف قایتبای- تاریخ أسیوط- تاریخ الصحابة. و غیر ذلک مما یدل علی منهجه التاریخی الذی بلغ فیه و به غایة التحقیق، و له کتاب فی تاریخ جامع عمر و آخر فی تاریخ جامع ابن طولون ..

و فی التراجم: نجد له کتبا کثیرة منها:

۱- طبقات النحویین و اللغویین: الکبری و هی مفقودة و الوسطی طبعت فی باریس و الصغری هی التی طبعت بعنوان «بغیة الوعاة».

۲- طبقات الکتاب.

۳- طبقات شعراء العرب.

۴- طبقات المفسرین.

۵- طبقات الحفاظ.

۶- طبقات الأصولیین.

۷- طبقات الشافعیة. و غیر ذلک ...

لقد انتشرت مؤلفات السیوطی فی العالم الإسلامی کافة و أقبل علیها الطلاب و الدارسون و العلماء بشوق و لذة و أذن السیوطی فی حیاته لتلمیذه الداودی بروایتها و قرئت فی بلاد الشام و الحجاز و الیمن و الروم و العجم و الحبشة و المغرب و بلاد التکرور و امتدت إلی البحر المحیط .. و بالمثل سارت فتاواه و علومه فی سائر الأقطار مسیر الشمس، و رزق من القبول من علماء عصره ما لم یرزقه أحد سواه ..

و قد کان لمکانته العلمیة و الأدبیة و لأسلوبه السهل الممتنع و لتحقیقاته الفریدة و لا حاطته الواسعة بشتی المصادر و مختلف المذاهب و الآراء و لشخصیته الحرة الشجاعة التی لا تتملق حاکما و لا تتزلف لکبیر، کان لذلک کله أثره فی عموم النفع بعلمه و کتبه إذ کان الشعب یری فیه صورة الأمین علی الشریعة، و الشجاع فی قول کلمة الحق و النزیه فی أحکامه و فتاواه ..

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۰۸

کان السیوطی مخلصا للعلم وحده صادقا فیه مع نفسه بعیدا عن الملق و التزلف و الریاء و حب الدنیا و الریاسة و الجاه، شدید المراقبة للّه عز و جل، و إن غضب علیه الحکام و السلاطین، و کم لاقی فی سبیل جرأته و شجاعته و رأیة الحر الکثیر من العنف ..

أرسل إلیه السلطان الغوری غلاما و ألف دینار، فرد الدنانیر و أخذ الغلام أعتقه، و قال لرسول السلطان: لا تعد تأتینا قط بهدیة فإن اللّه أغنانا عن مثل ذلک.

و کان الأمراء یزورونه و یعرضون علیه هداایاهم و هباتهم فیردها و قد عرض علیه الغوری ریاسة مشیخة مدرسته بأول الغوریة فرفض و قبل البقاء فی عزلته ..

* و لم یکن یکترث لغضب الأمراء و السلاطین، و کان الحریص علی إقامة الحدود و تطبیق الأحکام الشرعیة مهما کلفه ذلک من عنت ..

* رفض جلال الدین الذهاب مع العلماء لتهنئة السلطان بالشفاء من مرض ألم به و ألف فی ذلک کتابه «روایة الأساطین فی عدم المجیء إلی السلاطین».

* ذهب ذات مرة لمقابلة قایتبای فی مظلمة لإنسان و علی رأسه الطیلسان مما خالف فیه التقالید المرعیة آنذاک و مما أخذ علیه عند السلطان فرد علی ذلک بکتابه «الأحادیث الحسان فی فضل الطیلسان».

* و حین عزل مشیخة البیبرسیة کتب کتابا عنوانه «التنفیس فی ترک الفتیا و التدریس».

و کان من أجل تلامیذ جلال الدین: الداودی (۹۴۵ ه) و الشامی المحدث الحافظ (۹۴۲ ه) و ابن طولون الدمشقی المحدث (۸۸۰- ۹۵۳ ه) و سواهم ..

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۰۹

و کان السیوطی کثیرا ما ینوه فی کتبه. بنفسه و بمؤلفاته و بآرائه فیها حتی لنقرأ فی آخر حاشیته علی المغنی: فقد أودعتها من الفوائد و الفرائد و الغرائب و الزوائد ما لو رامه غیری لم یکن له إلی ذلک سبیل.

و فی آخر کتابه «بغیة الوعاة» یقول عن الکتاب: الجامع من کل شریدة و وریدة العجب العجاب. و کذلک کان فی کل کتبه یقول فی أنواع البدیع:

قررت فیها بضعة عشر نوعا من الأنواع البدیعیة ثم وقع لی التأمل فیها بعد ذلک ففتح اللّه بزیادة علی ذلک حتی جاوزت الأربعین، ثم قدحت الفکر إلی أن وصلت بحمد اللّه مائة و عشرین نوعا. و قد استخرج السیوطی هذه الأنواع کلها من الآیة الشریفة اللَّهُ وَلِیُّ الَّذِینَ آمَنُوا یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ إلی آخر هذه الآیة الکریمة .. و من الأنواع التی ابتکرها ما سماه بالتأسیس و التفریع و ما سماه بالانسجام أو بالمنتخل أو بحسن الطلب إلی غیر ذلک ..

و قد دفعت المنافسة إلى إعلان الخصومة بينه و بين السخاوى الذى اتهمه بعدم الأمانة العلمية فيما يكتب، فكتب السيوطى فى الرد عليه كتابه المشهور «الكاوى فى تاريخ السخاوى» كما عرض باقى كتب له ..

و السيوطى بخاصة من أكثر العلماء التزاما بالأمانة العلمية حتى لنراه يذكر فى مقدمات كتبه دائما المصادر التى رجع إليها و أخذ منها فى حرص تام على الأمانة العلمية فى كل ما يكتبه ..

يذكر فى كتابه المزهر بابا جعل عنوانه «عزو العلم إلى قائله» و يقول فيه: لا ترانى أذكر فى شىء من تصانيفى حرفا الا معزوا لقائله ..

و مما يذكره السيوطى فى مقدمات كتبه من المصادر نجده قد أطلع على كثير من المخطوطات التى لم يطلع عليها الكثير من علماء عصره .. و بحق

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۱۰

لقد كان مفخرة من مفاخر العالم الإسلامى الثقافية و سيظل أثره و تراثه خالدين على الأيام ..

و السيوطى كان يرى فى نفسه أنه المبعوث على راس القرن التاسع الهجرى ليجدد للأمة الإسلامية دينها، مصداقا للحديث الشريف «إن اللّه يبعث على رأس كل مائة سنة هذه الأمة من يجدد لها دينها».

و يقول السيوطى: و من اللطائف أن المبعوثين على رأس أكثر القرون مصريون: عمر بن عبد العزيز فى المائة الأولى و الشافعى فى الثانية، و ابن دقيق العيد فى السابعة و البلقينى فى الثامنة و عسى أن يكون المبعوث على رأس المائة التاسعة من أهل مصر و هو يعنى بذلك نفسه ..

و كان السيوطى كثير الاجتهاد فى عصره، و كان يرى أن الاجتهاد فرض كفاية مفروض على العلماء أو خاصتهم، و ألف فى ضرورة الاجتهاد كتابا سماه «من أخلد إلى الأرض و جهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض» و قد تحدث فى هذا الكتاب عن الاجتهاد و ضرورته فى كل عصر لأنه فرض من فروض الكفاية و واجب على أهل كل عصر أن يقوم طائفة فى كل قطر منهم، و يحتوى هذا الكتاب على أربعة أبواب:

الأول: فى نصوص العلماء على أن الاجتهاد فى كل عصر فرض من فروض الكفاية.

الثانى: فى نصوص العلماء على أن الدهر لا يخلو من مجتهد، و أنه لا يجوز عقلا خلو العصر منه.

الثالث: فى ذكر من حث على الأجتهاد و أمر به، و ذم التقليد و نهى عنه.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۱۱

الرابع: فى فرائد الاجتهاد.

و هو فى هذا الكتاب يقف مع العصر و مع العقل و ينأى عن التقليد و المقلدين ..

كملت عند السيوطى أدوات الاجتهاد على ما اشترطه الأصوليون فكان عالما بآيات الأحكام و أحاديث الأحكام و شروط القياس و معرفة مواقع الاجماع، غير أنه لم يجتهد بالفعل إلا اجتهاد المذهب بالترجيح على مذهب الإمام الشافعى .

و يقول السيوطى: «اجتمع عندى- بحمد اللّه- الحديث و الفقه و الأصول و سائر الآلات من العربية، فأنا أعرف كيف أتكلم و كيف أستدل و كيف أرجح .

و يقول: و قد كملت عندى أدوات الاجتهاد- بحمد اللّه- و لو شئت أن أكتب فى كل مسألة تصنيفا بأقوالها و أدلتها العقلية و القياسية و مداركها و نقوضها و أجوبتها و المقارنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك .

و يقول: و قد كملت عندى الآن آلات الاجتهاد و بحمد اللّه تعالى أقول ذلك تحدثا بنعمة اللّه عز و جل .

و بعقلية المجتهد أثرى السيوطى العلم و أثرى التراث الإسلامى و أثرى الثقافة الإسلامية ..

**** و هكذا نرى شخصية الإمام السيوطى الجليلة فى كل شىء شخصية

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۱۲

جعلت منه أعظم رواد الثقافة الإسلامیة فی القرن التاسع الهجری، و هی شخصیة العالم العامل من أجل وطنه و عروبته و دینه، شخصیة المعتز بنفسه و کرامته ..

شخصیة المجتهد ما شاء له الاجتهاد .. المخلص للعلم اخلاصا شدیدا .. الصادق کل الصدق .. الکاره للنفاق و الزلفی و الریاء و الملق للحکام .. المتعفف الزاهد فی المال لا یقبل شیئا منه و ان أتاه من حاکم أو أمیر أو غنی .. شخصیة العالم المفکر و الفقیه الأصیل و الأدیب البلیغ صاحب الأسلوب البارع الجمیل و المضامین الإنسانیة الرفیعة مما نجده فی رسائله و شعره و فی مقدمات کتبه و فی مقاماته و علی الأخص مقامته اللؤلؤیة التی ذکر فیها أسباب ترکه للتدریس ..

و هکذا تصدر السیوطی مواکب العلماء فی عصره حتی کان ظاهرة فکریة فریدة فی تاریخنا العلمی و الثقافی الطویل.

کتبه المطبوعة و المخطوطة فی کل مکتبات العالم و فی مکتبة الأزهر الکثیر من مؤلفاته المخطوطة، و فی مکتبة جامعة الریاض أکثر من سبعین مخطوطة له، و قد صدر بها فهرست خاص .. الدراسات عنه تنمو علی مدی الأیام و کتبت عنه رسائل جامعیة کثیرة ..

فلیس بعجیب أن یصبح السیوطی فی عصره، و بعد عصره رائدا للثقافة الإسلامیة الخالدة، و أن یکون فی عصره کالجاحظ فی عصره کلاهما بعد عن حیاة الوظائف و المناصب و کلاهما کان ممثلا لشعبه و لعصره و لحیاته نفسها، و کلاهما تصدر زعامة الثقافة الإسلامیة العربیة فی أیامه ..

أضاف السیوطی إلی سجل تراثنا الخالد من الثقافة الإسلامیة حتی عصره اضافات کثیرة فی کتبه مما جعل العالم الإسلامی کله یتطلع إلیه بکل حب و تقدیر و إکبار ..

لقد أکسب السیوطی العالم الإسلامی أولا و وطنه مصر ثانیا مجدا کبیرا خالدا علی مرور الأیام .. رحمه اللّه و أجزل مثوبته ..

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۱۳

شمس الدین الحنفی

جامع الحنفی مسجد کبیر معروف فی القاهرة و شمس الدین شخصیة جلیلة من أعلام علماء الأزهر فی القرن التاسع الهجری ..

نشأ شمس الدین یتیما من أمه و أبیه و ربته خالته. و حفظ القرآن الکریم و کان ابن حجر رفیقه فی الکتاب ثم اعتزل الناس للعبادة و الاطلاع سبع سنوات و خرج من عزلته و هو أعلی کعبا فی علوم الدین، و تعلم فی الأزهر الشریف و صار من أنبه طلابه و أکرم خریجیه.

و کان لا یترک حاکما إلا نصحه و أخذ بحق المظلومین منه.

و کان السلطان فجج بن برقوق (۸۰۱- ۸۱۵ ه) من سلاطین الممالیک بعد وقفه لزحف تیمور لنک الکبیر علی الشام قد أخذ یظلم الرعیة و یجور فی حکمها فکان الإمام شمس الدین الحنفی یعارضه و یندد به و یعنف فی نصحه و یغلظ له القول و قال فرج للشیخ یوما بعد أن سمع منه ما ألمه:

المملکة لی أم لک فقال الشیخ: إنها لیست لی و لا لک إنها للّه الواحد القهار. و قام الشیخ متغیرا ثائرا فمرض فرج و عجز الأطباء عن علاجه فطلب السلطان الشیخ لیدعو له بالشفاء. و أرسل خلفه الأمراء فوجده بنواحی المطریة خارج القاهرة فطلبوا منه العودة معهم تنفیذا لأمر السلطان، فأبی

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۱۴

فأخذوا یتلطفون بالشیخ حتی قام فصلی و أخذ یدعو للسلطان و قال لهم: قد برئ.

و یقول العینی فی تاریخه الکبیر: «ما سمعنا أحدا من الشیوخ أعطی من العز و الرفعة و الکلمة النافذة و الشفاعة المقبولة عند الملوک و

الأمراء و أرباب الدولة و الوزراء مثلما أعطى الشيخ، و حسبك إنه لم يقم من مجلسه لأحد من الملوك و الأمراء قط، و لا من القضاة الأربع غيرهم».

و كان السلطان بحق يكره شمس الدين، و مع ذلك كان يقضى للشيخ كل حاجاته و شفاعاته فى الناس و يقول لحاشيته: كلما أقول لا أقبل لهذا الشيخ شفاعته لا أستطيع بل أقبل شفاعته و ذهب الملك «المؤيد» للشيخ ليزوره فى زاويته فوجد الشيخ فوق سطح الزاوية فأخبروا الشيخ بقدوم السلطان، فقال لهم: قولوا له إن مما يرضينى عن السلطان أن يكف عن ظلم أحد.

و بعث الأمير للشيخ بأموال فوزعها شمس الدين كلها على الفقراء، و بلغ ذلك الأمير فجاء للشيخ و قبل يده، و كان «ططر» يذهب إلى شمس الدين و يخدمه فى جملة أتباعه و خدمه، فلما تولى ططر الملك ظل يذهب للشيخ كعادته و الشيخ يقول له: انك صرت سلطانا و الزم القلعة فقال له السلطان: لا أستطيع.

و كان «برسباى» يوقر الشيخ و يجله و يقضى له جميع حاجاته و شفاعاته.

و هكذا عاش شمس الدين العالم الأزهرى معظما موقرا فى قلوب الشعب و الحكام حتى توفى إلى رحمة اللّه عام ۸۴۷ ه.

شهاب الدين السنباطى

كان لانتصار مصر فى موقعة عين جالوت ۶۵۸ ه ۱۲۶۰ م و هزيمتها للتتار، دوى كبير فى أنحاء العالم الإسلامى، و امتدت امبراطورية مصر

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۱۵

امتدادا لم تصل إليه من قبل و لا من بعد .. و لكن مصر فوجئت بالغزو العثمانى لها .. فتوقفت حركة التاريخ و عادت مصر دولة تابعة لاستامبول و كان ذلك أعظم محنة امتحن بها الشعب المصرى على طول عصور التاريخ .. و لكن مقاومة الشعب المصرى و علماء الأزهر للطغاة لم تسكت فى يوم من الأيام .. و كان مظهر هذه المقاومة هو الشيخ الأزهرى الخالد شهاب الدين أحمد بن عبد الحق السنباطى ..

كان عالما جليلا و إماما عظيما و مصريا كريما و كان واعظا فى الجامع الأزهر، و يذكر أمين سامى عنه إنه كان شيخ الجامع الأزهر- تقويم النيل ۲/ ۱۶- و قال الشعرانى عنه لم نر أحدا من الوعاظ أقبل عليه الخلائق مثله.

كان السنباطى ملاذا للشعب المصرى المغلوب على أمره، و كان يهدد الوالى التركى باعلان الثورة عليه كلما تحزبت الأمور و اشتهر ظلم الأتراك للشعب و كان القضاة الأربعة الذين و لا هم سليم على مصر عام ۹۲۳ ه لا يستطيعون مجابهة الوالى التركى بشىء فكان السنباطى يحذر الحاكمين المستبدين من ثورة الشعب و يهدد الوالى إن لم يستمع له.

و كان السنباطى يلقب بشيخ الإسلام و هو لقب كان يطلق قبل الفتح العثمانى لمصر على قاضى القضاة الشافعى و كان آخر من لقب به من علماء الأزهر قاضى القضاة شهاب الدين احمد بن عبد العزيز (۹۴۹ ه- ۱۵۴۲ م) فلما ألغى الأتراك نظام القضاء المصرى و أقاموا فى رياسة القضاء قاضيا تركيا، أصبح هذا اللقب يطلق على ما نرجح على شيوخ الأزهر و على الرغم مما يذهب إليه كثير من المؤرخين من أن الشيخ الخرشى المالكى (۱۱۰۱ ه) هو أول شيخ للأزهر فإننى أرجح أن السنباطى كان هو أول شيخ عرفه التاريخ للأزهر الشريف و بذلك يكون منصب شيخ الأزهر راجعا إلى أواسط القرن العاشر.

و فى شعبان عام ۹۵۰ ه/ ۱۵۴۳ م كان والى مصر و هو داود باشا

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۱۶

الذى تولى حكمها قبل ذلك بخمس سنوات و كان داود ظالما متكبرا متعسفا و كان الشعب يئن من مظالم الأتراك و يتحمل كل ذلك بجلد و صبر ..

و کلم الشیخ الإمام السنباطی داود باشا فی مظلمة من هذه المظالم فلم یبال داود بنصیحة الشیخ فصادف ان کان داود فی موکبه فی أواخر شهر شعبان من عام ۹۵۰ ه فانبری له السنباطی و جابهه بالقول ..

یا داود انک عبد مملوک لا یجوز لک أن تتولی الأحکام و ان أحکامک باطلة ما لم تحصل علی عتقک.

داود لجنده اقبضوا علی هذا الشیخ.

- الجند ینحازون الی جانب الشیخ.

داود یرفع سیفه و یهم بقتل الشیخ.

- الجند: مهلا اطرح الحسام انه شیخ الإسلام، و اننا سنقاتلک معه إذا اضطررنا إلی ذلک.

داود: یجن و ینحدر الی منزله و یرسل الی الخلیفة العثمانی یعلمه بما یحدث.

و بعد قلیل جاء إلی داود أمر عثمانی بعتقه مع تکلیفه بتبلیغ الشکر للشیخ .. و ذهب داود إلی الشیخ لیبلغه رسالة الخلیفة سلیمان القانونی و استرضاه و اعتذر الیه و قدم هدیة الی الشیخ فرفضها.

و أصبح الوالی ذلیلا حقیرا بجانب عظمة الشیخ و صموده و صلابته و کبریائه و صار الوالی لا یرد للشیخ رأیا و لا یرفض له شفاعة ..

و هکذا عاش السنباطی إماما جلیلا و شیخا عظیما حتی توفی الی رحمة اللّه فی آخر عام ۹۵۰ ه و نسینا ذکره إلا من شارع صغیر خلف الأوبرا سمی باسمه و من مسجد متواضع فیه أطلق علیه اسمه .. و لکن التاریخ

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۱۷

لا ینسی أول شیخ للأزهر و أول مظهر لمقاومة الشعب لبطش الأتراک و أول زعیم للمقاومة الشعبیة فی أوائل الفتح العثمانی لمصر .. رحمه اللّه ..

الشیخ أحمد الدردیر

الشیخ الدردیر من أشهر علماء الأزهر الشریف قبیل الحملة الفرنسیة علی مصر، کان شیخ علماء المالکیة فی الأزهر. و کان مشهورا بالزهد و الورع و التقوی. مشهودا له بالعلم الغزیر، و الشجاعة الفائقة، و مراقبة اللّه فی السر و العلن.

قاد ثورة شعبیة لها شهرتها فی تاریخ الوطن ففی یوم من أیام ربیع الأول عام ۱۲۰۰ ه/ ینایر ۱۷۸۶ م نهب أحد أمراء الممالیک و اسمه حسین بک شفت هو و جنوده دارا لشخص اسمه أحمد سالم الجزار و هو نائب رئیس الطریقة البیومیة بالحسینیة بالقاهرة ظلما و عدوانا فثارت ثائرة الشعب و تشاوروا فیما بینهم فیما یجب أن یفعلوه، و اتفقت کلمتهم أخیرا علی الالتجاء إلی أقوی العلماء شخصیة، و أوسعهم نفوذا و هو الإمام الدردیر، فاجتمع الشعب فی الیوم التالی للحادث، و یمموا وجوههم شطر الجامع الأزهر، و قصدوا الشیخ الدردیر و هو فی حلقته بین طلابه و مریدیه و أخبروه بالحادثة فغضب الشیخ لاستهتار الأمراء و تعسفهم.

و نادی الدردیر فی الجماهیر غیر هائب و لا خائف قائلا لهم: أنا معکم، و غدا نجمع الشعب من کل مکان فی الحارات و الضواحی و بولاق و مصر القدیمة، و أرکب معکم و ننهب بیوتهم کما ینهبون بیوتنا و نموت شهداء أو ینصرنا اللّه علیهم.

و أمر الشیخ بدق الطبول علی المنارات، إیذانا بالاستعداد للقتال و ترامت الأخبار إلی الأهالی فأسرعوا نحو الأزهر للاشتراک مع الثائرین.

و بلغت أخبار الجماهیر الثائرة إلی الأمیر إبراهیم بک و بلغه تصمیم الشیخ الدردیر علی قیادة الشعب ضد الأمراء، و کان یعلم مقدار ما للشیخ

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۱۸

من مکانة و نفوذ بین الشعب فخشی أن یستفحل الأمر و تصبح هذه الثورة نهایة لحکمهم و نفوذهم و سلطانهم، فأرسل نائبه و معه

أحد الأمراء إلى الإمام الدردير ليعتذر له عما حدث و وعد بأن يكف أيدى الأمراء عن الشعب كما قرر توبيخ حسين بك شفت على صنيعه، و طلب قائمة بجميع ما نهبه ليأمره برد تلك المنهوبات إلى صاحبها و وافق الشيخ الدردير على ذلك.

و هكذا وضع هذا الإمام الجليل قاعدة دستورية هامة، و هى احترام الحاكمين لارادة المحكومين [۲/ ۱۰۳ و ۱۰۴ الجبرتى].

و عاش الإمام الدردير أربعا و ستين سنة (۱۱۳۷- ۱۲۰۱ ه) و كان فى نهاية حياته العلمية شيخا على المالكية، و مفتيا على المذهب المالكى، و ناظرا على وقف الصعايدة، و شيخا على طائفة هذا الرواق.

و يقول فيه الجبرتى: كان يأمر بالمعروف، و ينهى عن المنكر، و يصدع بالحق، و لا تأخذه فى اللّه لومة لائم و له فى السعى على الخير يد بيضاء.

هذا هو الإمام الدردير شيخ من شيوخ الأزهر حرص على أن يؤدى الأمانة و يحافظ على شرف مصر، و شرف الشعب و شرف الأزهر، و مات راضيا مرضيا عنه من اللّه و الملائكة و الناس أجمعين.

الشيخ الصعيدى

الشيخ الصعيدى (۱۱۱۰- ۱۱۸۹ ه) من أشهر علماء الأزهر قبيل الحملة الفرنسية على مصر. كان أغلب وقته بين تلاميذه و مريديه متوافرا على درس العلم منقطعا للارشاد و الهداية لا يقصد إلى أمير أو حاكم ما لم ير مظلمة يجب عليه أن يسعى لا بطالها.

ذهب فى يوم إلى الأمير على بك و علم الأمير من حاشيته بقدوم الشيخ، فقام كعادته يستقبله من خارج قصره، ثم دخل الشيخ و الأمير

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۱۹

و جلسا فى صدر المكان ثم جاءت حاشية الأمير و شغلته عن الشيخ، فبادره الشيخ يقول له «غضبك و رضاك سواء، بل غضبك خير من رضاك» و قام الشيخ، و قام الأمير يحاول إعادة الشيخ الى مكانه معتذرا إليه، فرفض الشيخ.

و مرت الأيام، و ركب الشيخ فى ليلة من ليالى رمضان، مع شيخه الشيخ حسن الجبرتى، والد المؤرخ الكبير، و قال الشيخ حسن الجبرتى له اذهب بنا إلى على بك نسلم عليه فقال الصعيدى: يا شيخنا انا لا أدخل، و قال الجبرتى: لا بد من دخولك معى، فلم تسعه مخالفة شيخه، و دخلا على الأمير، و كان مصادفة عجيبة ان الأمير مات فى تلك الليلة، فاستبشر أهله بالمغفرة له لزيارة الشيخين له.

و كان الشيخ الصعيدى من بنى عدى و تلقى العلم على كبار الشيوخ فى الأزهر من مثل الديربى، و الملوى، و إبراهيم شعيب المالكى، و الحنفى، و سواهم و تصدر حلقات العلم فى الأزهر الشريف شيخا جليلا- وقورا مهيبا، فى أدب و تواضع و اكباب على الدرس و البحث. فأفاد و أجاد و صار له تلامذة و مريدون. و تخرج على يديه أجيال من العلماء من بينهم القلعى، و الفرماوى، و الدردير، و الجناحى و غيرهم، و كلهم ممن لهم مكانتهم العلمية فى الأزهر.

و كان الصعيدى من الراسخين فى العلم، و المبرزين فيه. فقد عاش منقطعا له، مستزيدا منه، محصلا لمسائله، غيورا على الدين و أهله و من فتاواه تحريم شرب الدخان ..

و كان الشيخ يتردد على محمد بك أبى الذهب يعظه و يذكره باللّه و يخوفه من بطشه، و كان يمسك بيدى ابى الذهب و يقول ما أحسنهما لوسلمتا من عذاب جهنم و أرجو ان يغفر اللّه لك ذنوبك، و يتجاوز عنك.

و كان مريدو الشيخ و تلاميذه كثيرين، و كانوا لا- يملون دروس الشيخ و مجالس علمه و وعظه. و يقبل عليه الطلاب و العامة و جماهير المتعلمين

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۲۰

و المستفيدين و كان بيته يعج بالزائرين و الوافدين و أصحاب الحاجات و المظالم، و الشيخ لا يمل و لا يكل مما يصنعه بالليل و النهار من مآثر و أعمال طيبات ..

و مات الشیخ و خلف وراءه تراثا علمیا خالدا علی الأیام.

عمر مکرم

من أنبه أعلام مصر و الأزهر فی القرن الثامن عشر و التاسع عشر، و أسیرهم ذکرا .. قضی حیاته فی خدمة وطنه. و خدمة شعبه، و فی السعی الی تحریره و الدفاع عن حریته، و کان من زعماء المقاومة الشعبیة ضد الحملة الفرنسیة، و کما سعی لرفع الحیف عن الجماهیر فی بلاده. لتحقیق آمالهم فی الحیاة.

کان ممن أعلن المقاومة ضد طغیان ابراهیم و مراد من أمراء الممالیک منذ عام ۱۷۹۵ م، و فی ثورة شعبیة ألزم الشعب، و علی رأسه العلماء و نقیب الأشراف. امراء الممالیک بوثیقة مکتوبة و موقعة منهم بالتزام العدل فی معاملة الرعیة، و هذه الوثیقة یعدها المؤرخون وثیقة حقوق الانسان الأولی و قد سبقت اعلان حقوق الانسان فی فرنسا فی أعقاب ثورة عام ۱۷۹۸ م، و فی هذه الوثیقة الکبری أعلن أمراء الممالیک أنهم یتعهدون بالعدل، و یتوبون عن المظالم، و یعدون بالقیام بالواجبات التی یفرضها علیهم القانون و العرف، من صرف الأموال علی مستحقیها و رفع الضرائب الاضافیة.

و فی نضال الشعب ضد الغزو الفرنسی لمصر عام ۱۷۹۸ قاد مکرم العالم الأزهری الأسیوطی الجماهیر، إذ هبط من القلعة الی ساحل بولاق یحمل علما یسمیه العامة «البیرق النبوی»، و الناس من حوله، آلاف مؤلفة یحملون السلاح، یشدون أزر جیش الممالیک الذی کان یقاتل علی الضفة الأخری للنیل.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۲۱

و لما احتل نابلیون القاهرة خرج من مصر إلی العریش ثم عاد الی القاهرة و اشترک فی ثورة القاهرة الأولی و الثانیة فنفاه الفرنسیون الی دمیاط.

و بعد جلاء الجیش الفرنسی، کان محمد علی یلتف حول الوطنیین المصریین و یعدهم بالآمال المعسولة فرشحه عمر مکرم حاکما علی مصر، و قاد مکرم الشعب فی ثورته ضد الحاکم خورشید باشا، و فی المناداة باسناد ولایة مصر الی محمد علی.

و قاد بعد ذلک حملة مقاومة الغزو الانجلیزی لبلادنا عن طریق رشید و هزمت حملة فریزر هزیمة ساحقة، رفع بعدها مکرم رأسه للسماء بالحمد و الدعاء و الشکر.

و تولی محمد علی حکم مصر حسب إرادة الشعب و العلماء و کان محمد علی لا یفتأ یلجأ الی مکرم لأنه یدرک مدی زعامته الشعبیة فی نفوس العلماء و الجماهیر و قادة الرأی و جمیع الطبقات و لما اطمأن محمد علی الی نفسه و جیشه قلب للزعیم عمر مکرم ظهر المجن و امتنع عن مشاورته و أقصاه عن جمیع أمور الدولة و عن مسائل الدفاع عن الوطن.

و أخذ محمد علی یغتصب أرض الأوقاف فاجتمع عمر مکرم بالعلماء، محتجین علی مسلک الوالی فکان رده علیهم:

إننی علی استعداد لأن أرمی عنق کل من یستظل بلواء المعارضة فی وجه سیاستی.

و بادر مکرم بجمع العلماء، و فی الاجتماع أعلن أمامهم: إن محمد علی محتال و إذا تمکن فسیصعب ازالته فلنعزله من الآن.

و نفی محمد علی عمر مکرم من مصر، فکان رد هذا الزعیم الشجاع: إن النفی غایة ما أتمناه غیر أننی أرید العیش فی بلد لایدین بحکم محمد علی.

و فی الثالث عشر من أغسطس عام ۱۸۰۹ م احتشدت علی ساحل

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۲۲

بولاق طوائف کبیرة من الشعب یودعون زعیمهم المنفی، و هو یبحر فی مرکبه الی دمیاط، و بکی الشعب بکاء مریرا، و هو یودع الرجل الذی اوقف حیاته فی سبیل الدفاع عن حقوقه ورد المظالم عنه. و هکذا اختفت الزعامة الشعبیة من المیدان، و أصبح محمد

علی یتحرک بهواه کما یرید دون مراعاة للشعب و لا لحقوقه و مواثیقه.

و قضی الشیخ حیاته بین العبادة و المطالعة و خاصة أهله. و لما مات بکاه الناس فی کل مکان.

الشیخ الشرقاوی

شیخ الأزهر الشیخ عبد اللّه الشرقاوی عاصر الحملة الفرنسیة علی مصر، و قاد الشعب من أجل مقاومتها حینا، و من أجل التخفیف من شدة وطأتها علی الشعب حینا آخر، و طار صیته فی کل مکان، و کتب عنه الأوروبیون فصولا طوالا، و ذهب کل من کتب عنه مذهبا یتفق و مدی فهمه للأحداث الجسام التی وقعت فی هذه الفترة القصیرة الحافلة فی تاریخ الوطن.

ولد بالطویلة إحدی قری بلبیس عام ۱۱۵۰ ه- ۱۷۳۷ م، و تعلم فی الأزهر، و تخرج منه، و صارت له حلقة علمیة قیمة، و کثر طلابه، و عم علمه الآفاق.

و لما مات الشیخ أحمد العروسی شیخ الأزهر عام ۱۲۰۸ ه تولی الشرقاوی مشیخة الأزهر بعده، و کان من المرشحین معه لتولی هذا المنصب العلمی و الدینی الجلیل الشیخ مصطفی العروسی، فآلت إلیه، و أسندت له، و تولاها و هو موضع ثقة الجمیع، و کان شیخ علماء الشافعیة و مفتیهم فی عصره، و له مؤلفات دالة علی سعة فضله فی الفقه و الحدیث و العقائد. و من مؤلفاته:

مختصر الشمایل مع شرحه و شرح علی «الحکم» لابن عطاء اللّه،

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۲۳

و مختصر علی «مغنی اللبیب» لابن هشام فی النحو، و طبقات فقهاء الشافعیة المتقدمین و المتأخرین، و تاریخ مصر و هو الذی أنشأ رواق الشراقوة فی الجامع الأزهر.

و اشترک الشرقاوی فی قیادة الشعب فی کل الأحداث السیاسیة و القومیة .. فی الحملة الفرنسیة کان الناطق أمام الغزاة باسم الشعب، و أذاع نابلیون نبأ ریاسة الشرقاوی للمجلس المخصوص الذی ألفه، و دون موافقة من الشیخ، لیسکت ثورة الشعب و غضبه و مقاومته، و قبل الحملة الفرنسیة قاد ثورة شعبیة ضد الممالیک تعد من أشهر الثورات الشعبیة فی مصر ففی شهر ذی الحجة عام ۱۲۰۹ ه/ ۱۷۹۵ م، و بعد تولیه مشیخة الأزهر بعام جاء له الفلاحون من إحدی قری بلبیس و شکوا له من ظلم محمد بک الألفی و جنوده و أتباعه لهم، و فرضهم علی القریة اموالا کثیرة لا طاقة للفلاحین بها، و تأثر الشیخ بما سمع، و بلغ الشکوی الی کل من مراد بک و ابراهیم بک، و لکنهما لم یفعلا شیئا، فعقد الشیخ مؤتمرا شعبیا وطنیا فی الأزهر، حضره العلماء و الطلاب، حیث استقر الرأی علی مقاومة الأمراء الممالیک بالقوة، حتی یخضعوا لمطالب الشعب، و عندئذ امر الإمام الشرقاوی باغلاق أبواب الجامع الأزهر و أعلن للشعب قرارا باضراب العام و باغلاق الأسواق و المحلات.

و فی الیوم التالی رکب الشرقاوی و معه العلماء، و تبعتهم الجماهیر، و سار الموکب الی منزل الشیخ السادات و هو من کبار العلماء، و کان منزله قریبا من قصر ابراهیم بک الذی إفزعته مواکب الشعب الثائرة فبادر- إبراهیم بک- بارسال رئیس دیوانه ایوب بک لیسأل العلماء عن مطالبهم، و حاول المماطلة فی تحقیق مطالب الشعب، و لکن العلماء أصروا علی موقفهم. و تقاطرت الجماهیر صوب الأزهر و بدأت ثورة وطنیة عاصفة.

و هال إبراهیم بک ما بلغه عن الأحداث. فأرسل إلی العلماء یعتذر إلیهم، و فی الیوم التالی توجه إلی مصر العثمانی الی منزل ابراهیم بک،

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۲۴

و اجتمع بأمراء الممالیک حیث أرسلوا الی العلماء لیجتمعوا بهم. فحضر الإمام الشرقاوی و السید عمر مکرم، و الشیخ السادات. و الشیخ البکری و الشیخ الأمیر. و انتهی الاجتماع بالموافقة علی مطالب الشعب التی قدموها.

و تم تحریر وثیقة تتضمن هذه القرارات، وقع علیها الحاکم العثمانی و أمراء المماليک، و کبار العلماء، و رجع العلماء یحیط بهم الشعب بمواکبه الزاخرة.

و یجمع أکثر المؤرخین علی أن هذه الوثیقة کانت بمثابة إعلان لحقوق الانسان، سبقت بها مصر غیرها من الشعوب، و سبقت بها إعلان حقوق الإنسان الذی اعلنته الثورة الفرنسیة فی باریس بسنوات. و مصر دائما هی قائدة المواکب، و رائدة الحریة، و حاملة مشاعل الحضارة فی کل مکان و زمان.

و مات الشیخ الشرقاوی رحمه اللّه یوم الخمیس الثانی من شهر شوال عام ۱۲۲۷ ه/ ۱۸۱۲ م.

الشیخ حسن العطار

ولد الشیخ حسن العطار فی أول الثلث الأخیر من القرن الثامن عشر ۱۷۶۶ أی قبل الحملة الفرنسیة علی مصر باثنین و ثلاثین عاما، فهو یعطینا بمولده هذا صورة لمصر السیاسیة فی القرن الذی کان نهایة لحکم الولاة العثمانیین فی مصر.

و الحق أن مصر فی القرن الثامن عشر کانت تختم القرون الثلاثة من الحکم العثمانی الذی ساقه القدر إلیها علی ید السلطان سلیم الأول الذی فتح مصر ۱۵۱۷ م و هی قرون شهدت البلاد فیها من الظلام و الجهل و الضعف و التأخر فی کل المیادین ما لا یمکن أن یصار الی أسوأ منه. و کان بادیة القرون الثلاثة کنهایتها: سوء حال و ضعف آمال.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۲۵

و کان والد الشیخ حسن عطارا- و من هنا جاءه اللقب- و کان لهذا الوالد مشارکة فی بعض العلوم، فما رأی من ولده إقبالا علی العلم، ساعده علی تحصیله، فکان یتردد علی الأزهر و یحضر حلقات کبار مشایخه فی ذلک العصر، فلما جاء الفرنسیون الی مصر ۱۷۹۸ هرب حسن إلی الصعید خوفا علی نفسه من أذاهم، ثم عاد الی القاهر بعد قلیل فاتصل ببعض رجال الحملة من العلماء فأفاد منهم و أطلع علی کتبهم و آلاتهم و تجاربهم العلمیة فکان ذلک بدء اتجاهه الی تقدیر العلوم الطبیعیة و المناداة بضرورتها و قد اشتغل فی الوقت نفسه بتعلیم اللغة العربیة لبعض هؤلاء العلماء الفرنسیین، کما اشتغل بالتدریب فی الأزهر.

و قد عرف الشیخ حسن العطار بمؤلفاته الکثیرة، کما عرف بأسلوبه الأدبی و عباراته الانشائیة الأنیقة التی کانت تجری علی طریقة الزخرف و المحسنات، و له أشعار رقیقة، أما میله الی العلوم الطبیعیة و الریاضیة و الفلک و الطب، فیدل علیه کتبه و رسائله فی کیفیة عمل الأسطرلاب، و الربعین المقنطر و المجیب، و الطب و التشریح، و أشکال التأسیس فی علم الهندسة بالاضافة إلی اتقانه رسم المزاول اللیلیة و النهاریة بیدیه.

و قد امتاز حسن العطار بقراءاته الواسعة العمیقة للکتب العربیة و المعربة فی زمانه، و لم یختص بعلم معین، او بفن بعینه من الفنون، و لکنه کان حریصا علی الإفادة من کل علم، و کان یطرز الکتب التی یقرؤها بهوامشه و تعلیقاته، و یقول فی ذلک فی تلمیذه الشیخ رفاعة الطهطاوی: کان له مشارکة فی کثیر من العلوم، حتی فی العلوم الجغرافیة، فقد وجدت بخطه هوامش جلیلة علی کتاب تقدیم البلدان لإسماعیل أبی الفداء سلطان حماة المشهود أیضا بالملک المؤید، و للشیخ المذکور هوامش ایضا وجدتها بأکثر التواریخ و علی طبقات الأطباء و غیرها، و کان یطلع دائما علی الکتب المعربة من تاریخ و غیرها .. و کان له و لوع شدید بسائر المعارف البشریة ..

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۲۶

و یعتبر رفاعة الطهطاوی- رائد الفکر و إمام النهضة الحدیثة فی القرن التاسع عشر- أنجب تلامیذ حسن العطار، فأحبه الشیخ لما أنسه فیه من الذکاء و الانکباب علی العلم، و قربه إلیه، و حفه برعایته، و کان التلمیذ رفاعة یتردد علی شیخه کثیرا فی بیته و یأخذ عنه العلم و الأدب و الجغرافیا و التاریخ، و لما کان العطار میالا بطبعه الی العلوم العصریة، و لا یری الانحصار فی دائرة کتب الشرع فحسب، فقد

أودع هذا الميل فی نفس تلميذه رفاعة الطهطاوی، مما أهله بعد ذلک ليکون إماما للبعثة العلمية فی باريس، و مما فتح ذهنه إلی البحث و سلامة التفکير و الاسهام فی نقل العلوم عن الغربيين حتی يفيد منها اهل وطنه، و هنا يظهر فضل العطار علی الطهطاوی فهو أول من وجهه إلی الاغتراف من موارد العلم و الأدب. و هو أول من دله علی قيمة العلوم العلمية الطبيعية و ضرورتها بما لا يقل عن أهمية العلوم الشرعية.

و الشيخ العطار من القلائل الذين جمعوا بين التدريس فی الأزهر- فی اول عمره- و مشيخة الجامع الأزهر فی ختام حياته، و کان حلقته بالأزهر تغص بالطلاب، فکان العلماء يترکون حلقات غيره و يتکاثرون علی حلقته يستمعون. و لا شک أن تحرر الشيخ العطار الفکری و بعده عن الجمود، و دعوته الجديدة الی الأخذ بالعلوم الحديثة مع الاهتمام بالعلوم القديمة، قد جذب إليه الطلاب من کل فج،، و هداهم إلی مجلسه فی أثناء تدريسه بالأزهر، و يستوی فی ذلک مقامه بمصر أم بالخارج، ففی مقامه بدمشق لفت إليه أنظار طلبة العلم هناک (فتلقاه اهلها بما لاق، و عقدوا علی تفوقه و تفرده بالفضائل کلمة الاتفاق).

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۲۷

الشيخ محمّد عياد الطنطاوی

لا يکاد أحد من العرب ممن کان له علاقة بروسيا فی القرن التاسع عشر يکون شخصية طريفة کشخصية أستاذ جامعة بطرسبرج الشيخ الطنطاوی، فالدور الذی لعبه الشيخ فی تاريخ الاستعراب الأوروبی ليس بيسير . کان الطنطاوی رجل الآداب العربية الحديثة العامل فی حفل الاستعراب الروسی و يبرز الطنطاوی فی تاريخ هذا الاستعراب و الآداب الجديدة فی صورة فريدة لا- نظير لها حتی الآن . فشخصية هذا «المستشار» تبرز بروزا فريدا فی تاريخ کرسی اللغة العربية و آدابها فی مدی قرن و نيف فی جامعة بطرسبرج .

هکذا يقول المستشرق الروسی کراتشکوفسکی عن الطنطاوی الذی کان شخصية فذة فی تاريخ الاستشراق، و الذی وضع أصولا ثابتة للدراسات الاستشراقية فی الغرب و قد شغل أذهان المستشرقين و کتاباتهم أمدا طويلا.

و يعد استاذ الکثيرين منهم.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۲۸

۲- کتبت دور الاستشراق عن الطنطاوی کتابات طويلة، و نوهت بدوره الفعال فی خدمة اللغة العربية، و وصفت أعماله العجيبة وصفا رائعا، و سجلت دوائر المعارف العالمية الکثير من المعلومات عنه.

و عکف کراتشکوفسکی شيخ المستشرقين الروس عشر سنوات لکتابة دراسة عنه، و أخيرا ألف بالروسية کتابه الرائع «حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوی ، الذی عهد المجلس الأعلی للفنون و الآداب فی الجمهورية العربية المتحدة إلی السيدة کلثوم عودة. و هی عربية فلسطينية مقيمة فی روسيا، بترجمته الی العربية، و عهد إلی الأستاذين: عبد الحميد حسن و محمد عبد الغنی حسن بمراجعة النص العربی و تحقيقه و التعليق عليه، ثم قام بنشره عام ۱۳۸۴ ه- ۱۹۶۴ فجاء سفرا نفيسا فی نحو ۱۸۰ صفحة؛ و لکنه يمثل جهادا عليا جليلا فی الکشف عن حياة الطنطاوی و مواهبه و آثاره و ثقافته، و فی تفصيل خدماته للاستشراق و المستشرقين فی القرن التاسع عشر.

لقد تناولت الکتاب لقراءاته، فاذا بی أمام بطولة علمية حقة، قام بها کراتشکوفسکی، من أجل تسجيل حياة مواطن عربی، مصری، أزهری؛ اعترافا بفضله علی الثقافة الاستشراقية فی العصر الحديث ...

و کنت أقرأ الکتاب و کأننی امام أحداث مصورة؛ کل الألوان و الظلال و السمات، و کل خطوة خطاها هذا العالم الأزهری الخالد، منذ ميلاده حتی وفاته، و کل حدث علمی أو فکری أسهم فيه؛ قد أبرزه کراتشکوفسکی بصورة زاهية أمينة، معتمدا علی کثير من المصادر و المخطوطات و سجلات المستشرقين و مؤلفاتهم؛ و علی مجموعة الشيخ محمد عياد الطنطاوی

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۲۹

الخطیـة، التی تبلغ نحو ۱۵۰ مخطوطـا عربیا، مودعـة فی مکتبـة جامعـة بطرسبرج، و التی نرجو أن تقوم بعثات دار الکتب المصـریة فی الخـارج بتصویرها کلها أو بعضـها مما له أهمیـة خاصـة. و کان کراتشکوفسـکی یکتب عن الطنطاوی مأخوذا بروعـة أعماله، و جهاده العلمی، و یسجل کل رأی فیه، و یزن أعماله بمیزان نقدی سلیم منصف، و یقول: لقد بدت لی فجأة شخصیة شیخنا واضحة مغیرة .

و کان عمل المترجمـة و عمل المراجعین موازیا لعمل المؤلف نفسه؛ دقـة تامـة، و أمانـة علمیـة بارزة، و تحر لجمیع الحقائق، و وقوف صوفی، کـأنه الاسـتغراق، امـام جمیع النصوص .. مما جعلنی مـذهولا حقا أمام هـذا العمل العلمی الفریـد، الـذی یجب ان ینال تقـدیر الدولـة، و تقـدیر جامعاتها، و بخاصـة الأزهر، و کما أود أن تکون أعمال الطنطاوی فی میـدان الاستشـراق الحـدیث مادة للدراسـة فی جمیع معاهـدنا و جامعاتنا، و أن یطلق أسـتاذنا أحمـد حسن الباقوری مـدیر جامعـة الأزهر اسم الطنطاوی علی احـد مدرجات الجامعة، تخلیـدا لـذکری رجـل نشـأ بین صـفوفه طالبا، و عمل فی حلقاته العلمیـة مـدرسا، و قـدره العالم کله عالما و مفکرا و مصـدرا للحرکة الاستشراقیة فی العالم کله، و أکسب وطنه مصر مجدا علمیا باقیا علی مر الزمان.

۳- کان الطنطاوی أعظم من ضـحوا من العرب فی خدمـة الثقافـة الإنسانیـة، و خدمـة البحث العلمی الحر. و لقـد ولـد فی قریـة نجرید المصریة عام ۱۲۲۵ ه: ۱۸۱۰ م؛ و کان أبوه تاجرا کثیر التجول، من محلة مرحوم بقرب طنطا، و أمه من بلدة الصافیة .

و ذهب الی طنطا فی سن السادسة لحفظ القرآن الکریم. و بدأ فی تلقی دروس العلم فی سن العاشرة فی حلقات الجامع الأحمدی. ثم رحل

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۳۰

مع أبیه إلی القاهرة عام ۱۲۳۸ ه: ۱۸۲۳ م، و دخل الأزهر، و فیه تتلمذ علی: محمد الکومی، و محمد أبی النجا، و مصـطفی القناوی، و إبراهیم الباجوری شیخ الأزهر (ت ۱۸۶۱ م)، و حسن العطار (ت ۱۸۳۵ م)، و إبراهیم السقا (ت ۱۸۸۰ م).

و کان من زملائه فی الدراسة: الشاعر الشـیخ شهاب الدین (۱۸۵۷ م)، و رفاقه الطهطاوی (۱۸۷۳ م)، و محمد قطة العدوی (۱۸۶۴ م)، و محمد الأشمونی، و إبراهیم الدسوقی (۱۸۸۳ م)، الذی تتلمذ علیه کثیر من المستشرقین.

و فی عـام ۱۸۲۷ م توفی أبوه فترک الطنطـاوی الدراسـة فی الأـزهر، تحت ضـغط الظروف القاسـیة، و عـاد إلی طنطا، و منحه أسـتاذه مصطفی القناوی شیخ المسجد الأحمدی إجازة فی التدریس عام ۱۸۲۸ م، ثم عاد و درس فی الأزهر عام ۱۸۳۰ م، ثم عاد و درس فی الأزهر عام ۱۸۳۰ م، و کان أول من قرأ المعلقات و المقامات فی حلقاته العلمیة و هو فی العشرین من عمره.

و ظل فی الأزهر عشر سنین، و له تعلیقات علی مقامات الحریری و شرح الزوزنی علی المعلقات.

و من تلامیذ الطنطاوی فی الأزهر: یوسف الأسیر السوری (۱۸۸۹ م)، و إبراهیم مرزوق (۱۸۶۶ م)، و عبد الهادی نجا الأبیاری.

و اشـتغل مع عمله فی الأزهر بالتـدریس فی المدرسـة الانجلیزیـة بالقاهرة (مدرسـة الارسالیة البروتسـتانتیة) عام ۱۸۳۵ م. و فیها اتصـل بکثیر من الأوروبیین الوافدین علی مصـر، و من بینهم جماعة من المستشرقین مثل فلیمانس فریثل الفرنساوی (۱۸۵۵) الذی ترجم لامیة العرب للشـنفری الی الفرنسـیة بمساعدة أسـتاذه الطنطاوی، و الذی علم أسـتاذه اللغة الفرنسیة؛ و کذلک بیرون و فیل و برونر، و أصبح الشیخ أثیرا عندهم، و اعتمدوا علیه اعتمادا کلیا فی بحوثهم و تتلمذوا علیه تلمذة فعلیة.

و کتب قرینل یقول: «أنه مدین للطنطاوی الشیخ المصری الوحید،

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۳۱

الذی یدرس لغته بمحبة و اهتمام، و یدرس کتب الآداب العربیة القدیمة».

و من تلامیذه: موخین، و قرین الروسیان و بسببهما سافر الطنطاوی الی روسیا عام ۱۸۴۰.

غادر الطنطاوی القاهرة فی ۲۴ من المحرم ۱۲۵۶ ه: فبرایر ۱۸۴۰ م الی الاسکندریة حیث نزل فی ضیافة قنصل روسیا فیها «مدیم» و فی ۲۶ مارس رکب باخرة نمساویة الی استامبول، و منها إلی أودیسا؛ و فی یوم ۲۹ یونیو ۱۸۴۰ وصل الی بطرسبرج.

و کانت روسیا آنذاک تهتم باللغات الشرقیة، و أنشأت فی بلادها دراسات لها. و فی نحو عام ۱۸۳۶ أنشأت معهدا للغات الشرقیة و ألحقته بجامعة بطرسبرج (بتروغراد ثم لینجراد او لنینجراد فیما بعد)، و خصصت کرسیا فیه- لتدریس اللغة العربیة، بجانب اللغات الشرقیة الأخری کالفارسیة و الترکیة، و المغولیة و الصینیة، و الفضل فی ذلک راجع الی م.

بوشکین «وزیر المعارف الروسیة آنذاک»، و أرادت روسیا شغل کرسی اللغة العربیة، فکلفت قنصلها فی القاهرة، لیقوم بالاتفاق مع من یعرف فیه القدرة علی القیام بهذه المهمة، فاتصل بالشیخ و حبب إلیه السفر الی روسیا لهذه الغایة، فتردد الشیخ، إلا أن أصدقاءه رغبوه فی القبول، و أضیف الی ذلک إلحاح القنصل و سخاء العرض، فوافق علی السفر لیأخذ مکانه بین أساتذة اللغات الشرقیة فی بطرسبرج.

و قوبل الشیخ هناک بالحفاوة، و جعل له مرتب سخی، و اشتغل منذ ۲ یولیو ۱۸۴۰ بالتدریس فی معهد اللغات الشرقیة. و بالعمل فی دیوان الخارجیة فی بطرسبرج.

کتب سانیلیف- الذی صار فیما بعد من أشهر علماء الآثار، و أحد، مؤسسی جمعیة الآثار- یرحب بالطنطاوی: و بعث بمقال له- مذیل بتوقیعه، و بتاریخ ۱۷ أغسطس ۱۸۴۰ الی جریدة (فدومستی بطرسبرج)، و نشرت الجریدة المقال فی عدد ۱۸۹ بتاریخ ۲۲/ ۸/ ۱۸۴۰، و جاء فیه:

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۳۲

(انت تسألنی: من هذا الرجل الجمیل، فی لباس شرقی، و عمامة بیضاء، و له لحیة سوداء کجناح الغراب، و عینان تشعان باشعاع غریب، و علی وجهه سمة الذکاء، و قد لفحت الشمس بشرته، و لیست بالطبع شمس بلادنا الشمالیة الباردة، هو ضیف جدید من ضفة النیل، الشیخ الفاضل محمد عیاد الطنطاوی. ان إسمه معروف لدی کل من یدرس اللغة العربیة، و کل السیاح الذین انتفعوا بخدماته و المدنین له بنجاح أبحاثهم یذکرونه بالشکر، و یکنون له المودة، مذیعین شهرته فی أوروبا. فمن هنا نری ما کسبته کلیات اللغات الشرقیة المحلیة التی دعت الشیخ القاهری لیحتل کرسی اللغة العربیة الشاغر. و یمکنک الآن أن تتعلم اللغة العربیة بدون ان تغادر بطرسبرج، و فی الاسبوع الماضی ألقی الشیخ الطنطاوی اول محاضرة له فی قاعة الجامعة حضرها ما عدا تلامیذ المدرسة و بعض المستشرقین غیر المنتمین إلیها).

خلف الطنطاوی فی قسم اللغات الشرقیة سلفه (دیمانج) الذی توفی عام ۱۸۳۹ م؛ و قضی ما یقرب من سبع سنوات مجاهدا فی تدریس اللغة العربیة ثم عین بعد ذلک عام ۱۸۴۷ أستاذا لکرسی اللغة العربیة فی جامعة بطرسبرج و عین المستشرق الروسی «نفروتسکی» مساعدا له. و ظل أستاذا لهذا الکرسی طیلة أربعة عشر عاما (۱۸۴۷- ۱۸۶۱ م)، و علی یدیه تتلمذ کثیر من المستشرقین الروس و الألمان و الفنلندیین الذین کان من أشهرهم «فالین».

و فی سبتمبر عام ۱۸۵۵ أصیب الشیخ بشلل فی رجلیه. و ظل یغالب المرض و المرض یغالبه سنوات صعابا علی نفسه. و أقام فی منزله رهین المرض.

کان یشرف علی العنایة بالشیخ زوجته المصریة «ام حسن» التی ولدت له فی ۱۹ مایو ۱۸۵۰ ولدا سماه «أحمد».

و توفیت زوجه المصریة عام ۱۸۶۰ و ابنه فی سن العاشرة، و لما لم

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۳۳

یکن الشیخ بمستطیع القیام علی تربیة ابنه طلب ادخاله فی داخلیة احدی المدارس الوسطی، و دخل أحمد جمناز لاریتا فی ۱۹ نوفمبر ۱۸۶۰ علی حساب الدولة، و لم یلبث الشیخ غیر قلیل حتی أحیل علی التقاعد فی ۱۹/ ۱/ ۱۸۶۱، ثم وافاه الأجل فی ۲۴ ربیع الثانی ۱۲۷۸ ه: ۲۹ اکتوبر ۱۸۶۱ م، و دفن فی قریة فولکوفا بجوار بطرسبرج بجوار مقبرة زوجه المصریة الوفیة؛ و کان فی هذه القریة مقابر المسلمین. و تسمی المقابر التی دفن فی وسطها مقبرة التتر. و عین نفروتسکی خلفا له فی کرسی اللغة العربیة بالجامعة، و صرفت

الدولـة معـاش الشـيخ الى ابنه أحمـد، و اختير نفروتسـكى وصـيا عليه، و فى عـام ۱۸۷۱ باع أحمـد مجموعـة والـده الخطية الى مكتبة الجامعـة. ثم تزوج أحمـد و خلف بنتـا و لم يلبث كـذلك الا ـ قليلا ـ و توفى عـام ۱۸۸۱، و دفن بجـوار أمه، و ألحقت ابنته بـدار ايتـام الاشـراف باسم هيلانـة، و صارت مسـيحية منذ ذلك التاريخ او اريد لها ذلك، اذ كانت طفلة صـغيرة آنذاك، و لا ندرى من أخبراها بعد ذلك شيئا.

۴- ترك الشـيخ آثـارا كبيرة تبلغ الواحـد و الأربعين مؤلفا، أحصاها كراتشكوفسـكى، و فى مقـدمتها: تاريـخ حياته و كتابه المخطوط «تحفة الأذكياء بأخبار بلاد روسيا»، و ورد اسمه فى مرجع آخر غير كتاب كراتشكوفسكى هكذا «هدية النجباء فى تحقيق اقليم روسيا» ، و قـد ألفه الطنطـاوى عام ۱۸۵۰ م/ ۱۲۶۶ ه، و أهـداه إلى السـلطان عبـد المجيـد، و كانت كتابته فى دقيقـة، و ملاحظاته فاحصـة، و إحسـاسه و روحه عـاليين و لم يكن الكتاب سـردا تاريخيا أو جغرافيا، بل كان وصـفا دقيقا حيا بيئيا لرحلته من القاهرة إلى بطرسبرج و زياراته لأقاليم روسـيا، و انفعالاته مع الإقليم و الشـعب فيها خلال إقامته طيلـة العشـر سـنوات التى قضاها هناك منـذ هجرته عام ۱۸۴۰ حتى تاريخ تأليف الكتاب (۱۸۵۰) و وصف رحلاته فى روسيا و فى دول البلطيق و فنلندا من حولها، و يتضمن الكتاب كذلك دراسة مفصلة لتاريخ روسيا

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۳۴

الحديث و صورا سريعة لطبوغرافية بطبرسبرج فى ذلك الحين؛ و هذا العمل مكتوب بصورة لامعة و لا يزال محتفظا بقيمته العلمية إلى اليوم.

و للطنطاوى كتاب عنوانه «النحو العربى» أو قواعد اللغة العربية»، و هو أول كتاب كتبه كاتب عربى باللغة العربية للتدريس فى جامعات روسـيا و معاهدها العالية، و هو موضع اهتمام المستشرقين، و نال شهرة كبيرة فى كل دوائر الاستشراق الأوروبى. الى كتب أخرى ألفها الشيخ، و أحصاها كلها كراتشكوفسكى فى كتابه القيم.

۵- كان الطنطاوى يجيـد عـدا العربيـة الفرنسـية و الروسـية و الفارسـية و التركيـة و اللغـة التترية، و يقول كراتشكوفسـكى: انه كان إلى جانب اللغة العربية له إلمام بست لغات أخرى، و إن هذا أفق كان بعيدا عن مواطنيه فى ذلك الحين .

۶- إن هـذا الكتاب القيم لتاريـخ حى من تاريـخ مصـر و أزهرها فى العصـر الحـديث فهو ينطق بعظمـة الفكر المصـرى فى أول عصـر النهضـة، و يصور الحياة الثقافيـة فى مصـر و حياة الأزهر العلميـة فى القرن التاسع عشـر تصويرا صادقا أمينا و هو من أجمل الكتب التى أخرجتها المطبعـة العربية، و الفضل فى ذلك راجع إلى عمل المؤلف و عمل الترجمة و عمل المراجعين الفاضـلين الذى ينم عن جهد كبير بذلاه فيه.

و الكتاب مقسم إلى:

۱- توطئة أو مقدمة تحدث فيها المؤلف عن مصادر حياة الطنطاوى و عن ظروف قيامه بهذه الدراسة.

۲- ثم ثلاثـة فصول: الأول عن «الطنطاوى فى مصـر و سـفره الى روسـيا»، و الثانى عن «الطنطاوى فى روسـيا»، و الثالث عن «مصـنفات الطنطاوى».

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۳۵

۳- و يلى ذلك ملحقات بعضها بقلم الطنطاوى نفسه، و بعضها نصوص أخرى للمؤلف و غيره.

۴- ثم رسائل من الطنطاوى إلى غولد المستشرق (۱۸۹۷ م) و الأستاذ فى جامعة قازان.

۵- و يلى ذلك كله تعليقات و تحقيقات بقلم المراجعين كتباها شرحا أو تعليقا على بعض نقاط وردت فى الكتاب.

و فى صـدر الكتاب صورة للطنطاوى رسـمها له مرتينوف عام ۱۸۵۳، و صورة أخرى لقبره أخـذها له بعض المستشـرقين عام ۱۹۲۳؛ و تقديم بقلم المراجعين الفاضلين.

و بعد فقد مضی علی وفاة الطنطاوی أکثر من مائة عام، و مع ذلک فجهوده فی خدمة الاستشراق حدیث الجامعات فی الغرب، فمتی تذکر الجامعات العربیة هذا الرجل الفذ، و متی ترد له بعض دیونه و تعترف بقیمة ما أداه للفکر العالمی و العربی من خدمات جلیلة باقیة علی مر الأیام؟.

و یروی المرحوم أحمد تیمور باشا فی کتابه «أعلام الفکر الاسلامی فی العصر الحدیث» سیرة الشیخ الطنطاوی فیقول إنه من مواليد طنطا، سنة ۱۸۱۰، و قد تلقی تعلیمه فی الجامع الأحمدی، ثم انتقل الی الأزهر.

و کان یجید الشعر و النثر و النقد و النحو و الفقه و علم الکلام و الحساب و الجبر و التاریخ و له أکثر من مائة مؤلف فی کل هذه العلوم، أکثرها لا یزال محفوظا بخط یده فی مکتبة الکلیة البتروغرادیة.

و قد قضی الشیخ الطنطاوی فی روسیا نحو ربع قرن، الی أن مات، و ترک زوجه و ولده هناک من بعده، و لیدفنا إلی جواره.

و کانت بینه و بین رفاعة الطهطاوی مراسلات أدبیة، یقول فی إحداها:

«أنا مشغول بکیفیة معیشة الاوروبیین و ألفاظهم و حسن ادارتهم،

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۳۶

خصوصا ریفهم و بیوتهم المحدقة بالبساتین و الأنهار، الی غیر ذلک مما شاهدته قبل بباریز، اذ بطرسبرج لا تنقص عنها، بل تفضلها فی أشیاء، کاتساع الطرق.

«أما من جهة البرد، فلم یضرنی جدا، و انما الزمنی ربط منديل فی العنق، و لیس فروة اذا خرجت. اما فی البیت، فالمداخن المثبتة معدة للادفاء».

علی أن إقامته الطویلة فی روسیا لم تؤثر فی دینه، و له فی ذلک قصیدة نذکر منها:

انا بین قوم لا أدین بدینهم أبدا، و لا یتدینون بدینی

و یحدثنا تیمور باشا فی هذا الکتاب ان الشیخ الطنطاوی کان تلمیذا للشیخ حسن العطار، و هو الآخر علم من أعلام الفکر الإسلامی، عاصر الحملة الفرنسیة، و أفاد بها من الناحیة العلمیة، و استحدث بما أفاده ثورة فی الأزهر أثارت علیه أثرة کثیر من أصحاب العمائم.

و کان الشیخ حسن العطار فی طلیعة الرواد فقد کان علم الأزهر فی عصره مقصورا علی الدین وحده.

و کان الشیخ العطار قد عاشر علماء الحملة الفرنسیة، و قرأ ما ترجموا من کتب علمیة الی الترکیة و العربیة، فی الهندسة و العلوم الطبیعیة و الفلک و الصناعات الحربیة، و رأی کیف یحولون العلم الی عمل، فآمن بضرورة الدعوة إلی مثل هذا التحول، و وضع بنفسه المؤلفات فی المنطق و الفلک و الطب و الطبیعة و الکیمیاء و الهندسة و العلوم الطبیعیة و الاجتماعیة و الانسانیة.

و تولی منصب شیخ الأزهر، و أمر بتدریس المواد الممنوعة کالجغرافیا و التاریخ.

و حتی تدریس الأدب کان ممنوعا فی الأزهر، فحرض تلمیذه الشیخ

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۳۷

الطنطاوی علی تدریسه .. کما حرض تلمیذه الآخر رفاعة الطهطاوی علی تدریس الحدیث و السنة عن طریق المحاضرة، و بلا نص، مما لم تکن له سابقة فی تاریخ الأزهر.

و یروی تیمور باشا من ان علماء الأزهر غضبوا ایما غضبة عند تعیین الشیخ حسونة النواوی شیخا للأزهر.

و کان لهذه الغضبة أکثر من سبب، و لکن أبرز هذه الأسباب، انه جاء مؤیدا لتدریس الحساب و الهندسة و الجبر و تقویم البلدان و ما إلیها فی الأزهر، بدعوی أنها علوم مستحدثة، بینما هی فی الحق علوم قدیمة، اشتغل بها المسلمون الأوائل، و ألفوا فیها کثیرا، و کانت تدرس فی الأزهر قبل نکسته.

و لکن خصوم الشیخ حسونة زعموا أنها من علوم الفرنجة، و أنها ما أدخلت إلی الأزهر إلا للقضاء علی العلوم الشرعیة أو تقلیل الرغبة

فیها.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۳۸

ائمة الأزهر فی القدیم و الحدیث

الشیخ محمّد بن عبد الله الخراشی

اشارة

ولد ببلدة (أبو خراش) من أعمال شبراخیت بمحافظة البحیرة سنة ۱۰۱۰ ه تلقی تعلیمه علی ید نخبة من العلماء و درس علوم الدین و اللغة و المنطق و کانوا یهتمون فی الأزهر بدراسة (علوم التفسیر و الحدیث و الفقه و اللغة و الفلسفة و المنطق) و استوعب معارف عصره و تخرج علی یدیه علماء کثیرون جاوزوا المائة من أعلام عصره و من تلامیذه (الشیخ إبراهیم بن موسی الفیومی) و قد تولی مشیخة الأزهر بعد ذلک و کان بمثابة معید للشیخ الخراشی یلخص ما قاله الشیخ و یوضح ما غمض (کما هو دور المعید بالنسبة للأستاذ فی الجامعة الآن).

و کان جم الحیاء متواضعا یذهب إلی السوق و یشتری حاجیاته و یحملها بنفسه و تمسک بالسنة و کان لا یتخلف عن صلاة الجماعة بالجامع الأزهر و وفد علیه الطلاب من کل قطر و ذاعت شهرته و وصفه الجبرتی بأنه (الامام العلامة و الحبر الفهامة شیخ الإسلام و المسلمین وارث علم سید المرسلین) و کانت النذور تأتیه من کل الجهات فلا یحتفظ بشیء بل یترکها لمعارفه یتصرفون فیها و کانت له کرامات اشتهرت فی عصره و ظل فی کفاحه العلمی حتی جاوز التسعین و لحق بربه فی ۲۷ من ذی الحجة سنة ۱۱۰۱ ه.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۳۹

مؤلفاته:

کان رحمه اللّه واسع الثقافة و خاصة فیما یتعلق بعلوم التفسیر و الفقه علی مذهب الإمام مالک .. و یمکن إجمال مصنفاته فیما یلی:

۱- رسالة فی البسملة فی نحو أربعین کراسا

۲- الشرح الکبیر لمختصر خلیل فی ثمانیة مجلدات.

۳- منتهی الرغبة فی حل ألفاظ النخبة (و هو شرح لکتاب نخبة الفکر لابن حجر العسقلانی).

۴- الفرائد السنیة فی حل الفاظ السنوسیة

۵- الانوار القدسیة فی الفرائد الخراشیة (و هو شرح للعقیدة السنوسیة).

۶- حاشیة علی شرح الشیخ علی ایساغوجی فی (المنطق) و هو کتاب شهیر.

۷- إجازة أجاز بها تلمیذه الشیخ علی الشبراملسی (لیستحق بها ما یشبه العالمیة)

*** الشیخ إبراهیم بن محمد البرماوی

ینسب الی بلدة (برما) من أعمال محافظة الغربیة.

حفظ القرآن و درس فی الأزهر علی کبار الشیوخ و عکف علی (دروس الشیخ أبی العباس شهاب الدین محمد بن أحمد القلیوبی) و

کـان من أعظم علمـاء عصـره متعـدد الثقافـات و ألف کـثیرا من الشـروح و الحواشـی و الرسائـل ثم أذن له أن یقوم بالتـدریس فـأقبل الطلاب علی علمه و کان من أنجب تلامیذه (الشیخ إبراهیم الفیومی) الذی سبقت الإشارة إلیه و ترک

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۴۰

مؤلفات عدة تدل علی غزارة علمه فی (الحدیث وفقه الشافعیة و المواریث و التصوف).

۱- حاشیة علی شرح القرافی لمنظومة ابن فرح الأشبیلی (کما شرحها کثیرون لأهمیتها).

۲- حاشیة علی شرح ابن قاسم

۳- رسالة فی أحکام القول فی (الکلب و الخنزیر) علی مذهب الشافعی.

۴- حاشیة علی شرح السبط علی الرحبیة فی المواریث.

۵- المیثاق و العهد فیمن تکلم فی المهد.

۶- رسالة فی الدلائل الواضحات فی إثبات الکرامات (فی التصوف و التوحید).

تولی مشیخة الأزهر سنة ۱۱۰۱ ه و لقی ربه سنة ۱۱۰۶ ه.

*** الشیخ محمد النشرتی

کان من أعلام المالکیة و لم یعثر له علی ترجمة دقیقة.

و لکنه کـان واسع العلم و تتلمـذ علی یـده نخبـة من فقهـاء عصـره منهم (الـدیربی الشافعی الأزهری) صاحب المؤلفات العدیـدة (عبد الحی بن الحسن بن زین العابدین) العالم الشهیر (و المحدث الأصولی الشهیر بالجوهری) و کان بمثابة شیخ لعلماء المالکیة.

ولد ببلدة (نشرت) بمحافظة کفر الشیخ و حفظ القرآن و درس فی الأزهر و لما تولی مشیخة الأزهر سنة ۱۱۰۶ ه ظل یواصل الدرس و شغله منصبه و طلابه عن التألیف و لقد سئل جمال الدین الأفغانی لماذا لم تترک

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۴۱

مؤلفات قال: (لقد ألفت رجالا) و هو منطق الشیخ النشرتی و توفی فی الثامن و العشرین من ذی الحجة سنة ۱۱۲۰ ه.

و رغم أنه مـات یوم الأحـد فقـد شـیعت جنـازته یوم الأـثنین لیتمکن العلماء و الأعیان و أمراء المماـلیک من السـیر فیها مما یـدل علی مکانته.

و ظل فی مشیخة الأزهر أربعة عشر عاما و هی مدة طویلة لمن یتولون هذا المنصب.

*** الشیخ عبد الباقی القلینی

ولـد فی بلـدة قلین بمحافظـة کفر الشـیخ لم یعثر له علی ترجمـة وافیة و لکن المؤکد انه کان ذا سـمعة علمیة کبیرة و تتلمذ علی یدیه المشاهیر و کان تلمیذا للإمامین (البرماوی و النشرتی).

و وجه تلامیذه إلی دراسة الکتب القدیمة و عدم الاکتفاء بالشـروح و الملخصات و کان یشـرح ما استغلق فهمه علیهم و یملی الشروح مما یدل علی رسوخ قدمه فی علوم الدین و تولی مشیخة الأزهر عام ۱۱۲۰ ه.

و لم یترک مصنفات علمیة فقد انشغل بالدروس لطلابه کسابقه (الشیخ النشرتی).

*** الشیخ محمد شنن

لم یعثر له علی ترجمة وافیة و إنما الواضح أنه تمیز عمن سبقه من شیوخ الأزهر بثرائه العریض و کان له مماليك و عبید و جوار و لکن ذلك لم یصرفه عن العلم و اشتهر بغزارة علمه وفقهه و کان علما من أعلام المذهب المالکی، و کان ممن حث علی تجدید الجامع الأزهر و أنفق کثیرا من ماله فی سبیل ذلك خوفا علی طلابه بل و رفع مذکرة للسلطان أحمد الثالث

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۴۲

الذی أوفد بعثة عثمانیة رسمیة تحمل المال و الخبراء لاجراء الاصلاحات.

و ظل یواصل البحث و الدرس حتی لقی ربه سنة ۱۱۳۳ ه.

و لم یترك مصنفات لأنه اکتفی بتدریس العلوم لطلابه (کسابقیه).

*** الشیخ إبراهیم بن موسی الفیومی

ولد سنة ۱۰۶۲ ه و عین شیخا للأزهر سنة ۱۱۳۳ ه و توفی سنة ۱۱۳۷ ه.

درس فی الأزهر علی ید الشیخ الخراشی (الرسالة) و هی من أهم کتاب فی ذلك العصر فی العقیدة الاسلامیة و شرحها (و کان کما قدمنا معیدا له) و تلقی علی ید علماء عصره کل فی تخصصه فکان من کبار رجال الحدیث فی عصره و تبحر فی علوم اللغة حیث ألف شرحا قیما للکتاب (المقدمة العزیة للجماعة الأزهریة فی علم الصرف) من تألیف ابی الحسن الشاذلی المالکی و کان ذا موهبة خاصة فی التدریس فکان المئات یتوافدون علیه و یتلقون عنه و کان یلخص ما قاله فی نهایة الدرس و لا یغادر مجلسه حتی یطمئن علی فهم تلامیذه له و من ألمع طلابه (حجة زمانه الشیخ محمد بن عیسی بن یوسف الدمیاطی الشافعی) (و الشیخ الفیومی المالکی) (و الشیخ الصعیدی العدوی المالکی) صاحب المصنفات العدیدة.

*** الشیخ عبد اللّه بن محمد بن عامر الشبراوی

ولد عام ۱۰۹۱ ه بالقاهرة و نبغ من صغره فکان شاعرا مرموقا و کاتبا فریدا و عالما واسع الاطلاع متعمقا فی الفقه و الحدیث و علم الکلام.

ورث عن أبیه وجده حب العلم و کان فاتحة لعصر النهضة و التحرر

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۴۳

من الصنعة فی الکتابة و تتلمذ علی ید (الشیخ الخراشی) (و الشیخ حسن البدری) (و الشیخ خلیل اللقانی) (و الشیخ محمد الزرقانی) (و الشیخ أحمد النفراوی) و کانوا من الأعلام و لما جلس للتدریس تتلمذ علی یدیه کبار العلماء من أمثال (علی بن شمس الدین الخضری) (و الشیخ الزمزمی المکی الشافعی) (و الوالی عبد اللّه باشا الکوبریلی).

کانت للشبراوی مکانة عند الحکام و بین العلماء و سجل أحداث عصره شعرا و نثرا و کانت له قصائد تغنی بها أبناء عصره و تولی المشیخة سنة ۱۱۳۷ و کان من أعلام الشافعیة و نظم قصائد لتیسیر العلوم علی طلابه و ترك مؤلفات عدة منها.

۱- مفاتح الألطاف فی مدائح الاشراف.

۲- الاتحاف بحب الاشراف.

۳- الاستغاثة الشبراویة.

۴- درس الآداب و فرحة الألباب (فی تقویم الأخلاق و نصائح الحکام).

۵- عنوان البیان و بستان الأذهان (فی الأدب و الأخلاق).

۶- نزهة الأبصار فی رقائق الأشعار.

۷- شرح الصدر فی غزوة بدر.

۸- نظم بحور الشعر و أجزائها.

۹- شرح الرسالة العضدیة (فی علم الوضع).

۱۰- العقد الفرید فی استنباط العقائد من کلمة التوحید.

۱۱- منظومة فی علم النحو.

۱۲- عنوان البیان و نسیان الأذهان (فی البلاغة).

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۴۴

۱۳- سند الشبراوی (ذکر فیه مشایخه و مروایاته).

و مات سنة ۱۱۷۱ ه.

*** الشیخ محمد بن سالم الحفنی

اشارة

ولد ببلدة (حفنا) من أعمال بلبیس بمحافظة الشرقیة فی سنة ۱۱۰۰ ه.

و حفظ القرآن و وفد إلی الأزهر الشریف و أخذ العلم عن أشهر علماء عصره و اجتهد حتی أجازه أساتذته للتدریس و الافتاء و من أهم شیوخه (الشیخ محمد البدیری الدمیاطی الشهیر بابن المیت) درس علیه (کتاب أحیاء علوم الدین للإمام الغزالی) و استوعب کل کتب الحدیث الشهیرة و توافد الطلاب من کل فج.

و کان من الاشراف ینتسب إلی العترة النبویة الشریفة شدید الحیاء نقی النفس و برع فی فن النثر و نظم الشعر.

و ذاق مرارة الفقر ثم أقبلت علیه الدنیا فکثر ماله لکنه لم یتخل عن واجبه العلمی و مال للصوفیة فکان من أقطابها یتردد علی (زاویة سیدی شاهین الخلوتی بسفح الجبل) یظل فیها اللیالی متعبدا متأملا فسمت به الصوفیة.

و وجه طلابه الی دراسة المصادر العلمیة العمیقة مثل (الأشمونی فی النحو و الصرف) (و جمع الجوامع فی أصول الفقه للسبکی) (و مختصر السعد فی البلاغة). الأزهر فی ألف عام ؛ ج۲ ؛ ص۳۴۴

کان ذا مهابة یهابه الأمراء و الحکام و لکنه کان متواضعا مع الفقراء سخی الید و ترددت بین الناس کراماته فازداد مکانة فی القلوب و تولی المشیخة سنة ۱۱۷۱ و تسابق العلماء إلی استجازته و کتبوا عنه و ألف

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۴۵

(العلامة الشیخ حسن المکی) کتابا فی مناقبه و نسبه و کذلک (الشیخ محمد الدمنهوری المعروف بالهلباوی) ألف کتابا فی مدائح الشیخ (و أفرد له الجبرتی صفحات طویلة و امتدحه بما لم یمتدح أحدا).

و من مؤلفاته:

- الثمرة البهیة فی أسماء الصحابة البدریة (فی التاریخ).

- حاشية على شرح الأشمونى (لألفية ابن مالك فى النحو).
- أنفس نفائس الدرر (حاشية على همزية البوصيرى).
- حاشية على شرح السمرقندى على الرسالة العضدية (فى علم الوضع).
- رسالة فى النقلية فى الفروع فى أصول الفقه.
- حاشية على شرح الفوائد الشنشورية للشنشورى (فى المواريث).
- رسالة فى الأحاديث المتعلقة برؤية النبى صلى اللّه عليه و سلم.
- رسالة فى فضل التسبيح و التحميد فى الفضائل و الآداب.
- رسالة على شرح الحفيد على مختصر جده السعد التفتازانى (فى البلاغة).
- شرح المسألة الملفقة فى تحليل المطلقة (ثلاثا).
- مجموعة من الإجازات لكثير من تلاميذه إقرارا بقدرتهم على الدرس و الفتوى.

و مات فى ۲۷ ربيع الاول ۱۱۸۱ ه.

***

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۴۶

الشيخ عبد الرؤوف بن محمد السجينى

ولد ببلدة (سجين) بمحافظة الغربية عام ۱۱۵۴ ه و لقبه (أبو الجود).

حفظ القرآن و لزم عمه (الشمس السجينى) و كان من العلماء كما كان والده ايضا رغم أنه كفيف من كبار العلماء و أنه كان فقيها نحويا أصوليا شافعيا.

و لما مات عمه خلفه فى دراسة المنهج (و هو منهج الطلاب للانصارى) و كان من الكتب المقررة فى مذهب الشافعى.

و كان الشيخ السجينى ذا مكانة بين الناس فقد حدث ان أحد التجار تشاجر مع خادم فضربه الخادم فجمع التاجر أعوانه و طارده فلاذ الخادم بمنزل الشيخ السجينى فأطلق التاجر النار فأصابت رصاصة أحد أقارب الشيخ و هرب التاجر فثارت الجماهير من أجل الشيخ و حاصرت الحى الذى اعتصم به التاجر لو لا أن تدخل الوالى و الأمراء و الأعيان و أرضوا الشيخ مما يدل على مكانة العلماء.

و تولى رواق الشراقوة بالأزهر قبل أن يتولى المشيخة سنة ۱۱۸۱ ه.

و لكن لم يطل بها فقد مات سنة ۱۱۸۲ ه.

و لم يعثر له على مؤلفات يبدو لأنه آثر التفرغ للدراسة و الاهتمام بطلابه.

الشيخ أحمد بن عبد المنعم بن صيام الدمنهورى

اشارة

ولد بمدينة (دمنهور) سنة ۱۱۰۱ ه و قدم الأزهر و هو صغير يتيم لم يكفله أحد فاشتغل بالعلم وجد فى التحصيل و أجازه علماء المذاهب الأربعة و كان ذا حافظة قوية و قدرة على التأليف و برع فى الافتاء على (المذاهب الأربعة).

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۴۷

و لم يكتف بدراسة علوم الدين فقد شغف بدراسة الطب و الفلك و الهندسة و المنطق رغم نفور الكثيرين من هذه العلوم فسبق أوانه و كأنه تنبأ أن يدرس الأزهر يوما هذه المواد و جلس إلى (الشيخ على الزعترى) و كان عالما بالحساب و الهندسة و درس آثار (ابن الهيثم) فى الرياضيات و البصريات و آثار (ابن سينا) فى الطب و الفلسفة.

و لم يترك كتابا قديما إلا استوعبه و ترك مصنفات فى كل فن فى عصر اشتهر بالتخلف و لما زار مكة حاجا سنة ۱۱۷۷ ه استقبل أعظم الاستقبال و أقبل عليه العلماء إذ سبقته شهرته و أجله (على بك الكبير) و كان يجلس الى دروسه و تولى المشيخة سنة ۱۱۸۲ ه و كان مهيبا لدى أمراء المماليك فلما نشبت الفتنة بين زعماء المماليك و أتباعهم من طائفتى (العلوية و المحمدية) فر (حسن بك الجداوى) من زعماء العلوية أمام مطارديه فلجأ لبيت الشيخ الدمنهورى فلم يجسر أحد على اقتحامه حتى أجاره (ابراهيم بك) و كان لا يعود من درسه إلا فى وقت متأخر من الليل و يحرص على صلاة الفجر و تحدى علماء عصره بما كان يطرح من أسئلة معجزة ثم يقوم بالإجابة عنها مما جعل (على بك الكبير) يتخذه استاذا و يستشيره فى كثير من أمور الدولة و تركزت هذه الاسئلة فى خمسة.

۱- (فى إبطال الجزء الذى لا يتجزأ) و كان السائد أن المادة لا تتجزأ و كأنما سبق علماء الذرة فى ذلك و استدل بقول اللّه (و ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض و لا فى السماء و لا أصغر من ذلك و لا أكبر إلا فى كتاب مبين) و الأصغر من الذرة هو نواتها (البروتون) و الكويكبات الدائرة حول النواة (الالكترونات).

۲- سأل (ما معنى قول ابن سينا ذات اللّه نفس الوجود المطلق) و هو سؤال عما يسميه الصوفية (بوحدة الوجود) و علماء الإسلام ينزهون اللّه عن (الحلول و الاتحاد).

۳- سأل ما معنى قول أبى منصور الماتريدى (معرفة اللّه واجبة

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۴۸

بالعقل مع أن المجهول من كل وجه يستحيل طلبه) و شرح آراء المعتزلة و فلاسفة اليونان.

۴- ما معنى قول البرجلى (إن من مات من المسلمين لسنا نتحقق موته على الاسلام) و استدل بحديث رسول اللّه (إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يعرفه حيث يشاء) فالعبرة بالخواتيم.

۵- هل الاستثناء فى الكلمة المشرفة (لا إله إلا اللّه) متصل أو منفصل و قد اختلف النحويون فى إعراب (لا إله إلا اللّه).

و من مؤلفاته:

۱- كشف اللثام عن مخدرات الافهام فى البسملة و الحمدلة.

۲- حلية اللب المصون فى شرح الجوهر المكنون (فى البلاغة).

۳- اللطائف الفورية فى المنح الدمنهورية.

۴- نهاية التعريف بأقسام الحديث الضعيف.

۵- درة التوحيد (منظومة فى علم التوحيد).

۶- القول المفيد فى شرح درة التوحيد.

۷- شرح الأوفاق العددية (و هو بحث فى استنباط آفاق المستقبل عن طريق الأعداد.

۸- شفاء الظمآن بسر (يس قلب القرآن).

۹- عقد الفرائد بما للمثلث من فوائد.

۱۰- منتهى الارادات فى تحقيق الاستعارات (فى البلاغة).

۱۱- سبیل الرشاد الی نفع العباد فی الأخلاق.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۴۹

۱۲- الفتح الربانی بمفردات ابن حنبل الشیبانی (فی فقه الحنابلة).

۱۳- رسالة عین الحیاة فی استنباط المیاه (فی الجیولوجیا).

۱۴- القول الصریح فی علم التشریح (فی الطب).

۱۵- منهج السلوک فی نصیحة الملوک (فی السیاسة و الأخلاق).

۱۶- الدرة الیتیمة فی الصنعة الکریمة (فی الکیمیاء).

۱۷- طریق الاهتداء بأحکام الأمانة و الاقتداء (علی مذهب أبی حنیفة).

۱۸- إحیاء الفؤاد بمعرفة خواص الأعداد (فی الحساب).

۱۹- منع الأثیم الحائر عن التمادی فی فعل الکبائر (أخلاق دینیة).

۲۰- الأنوار الساطعات علی أشرف المربعات (فی الهندسة).

۲۱- خلاصة الکلام علی وقف حمزة و هشام (فی القرارات).

۲۲- تحفة الملوک فی علم التوحید و السلوک (منظومة طویلة).

۲۳- حسن الانابة فی إحیاء لیلة الاجابة (لیلة النصف من شعبان).

۲۴- الزهر الباسم فی علم الطلاسم (رموز سحریة).

و مات فی ۱۱ رجب سنة ۱۱۹۲ ه.

*** الشیخ أحمد بن موسی العروسی

اشارة

ولد بقریة (منیة عروس) من أعمال أشمون بمحافظة المنوفیة سنة

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۵۰

۱۱۳۳ ه حفظ القرآن و أحب العلوم علی اختلاف أنواعها فتفوق فی العلوم الدینیة و اللغویة کما تفوق فی الریاضیات و الفلک و المنطق و مال للصوفیة فأخذ العهد علی ید (الشیخ البکری) و درس کل علم علی مشاهیر عصره و لازم (الشیخ أحمد الصعیدی) و کان بمثابة معیدا له یلخص دروسه و یوضح ما غمض منها (و هو عمل المعید بالنسبة للأستاذ الآن فی الجامعة) و کان عالما محققا حقق کثیرا من کتب التراث و کان یکره السطحیة فی العلم و یوصی تلامیذه بالتعمق و قراءة أمهات الکتب.

و أحبه الشیخ البکری فزوجه إحدی بناته و تولی المشیخة سنة ۱۱۹۲ ه و کان ذا مکانة بین العلماء و لهذا لما أراد (إبراهیم بک) أن یولی (الشیخ عبد الرحمن العریشی) مشیخة الأزهر ثار العلماء و اعتصموا بمسجد الأمام الشافعی و التف حولهم الناس و طالبوا ان یکون الشیخ العروسی هو شیخ الأزهر فنزل علی رغبتهم و لما عاد (الشیخ محمد المصیلحی الشافعی) من الحجاز أغراه أعوانه أن یطلب المشیخة لنفسه فهو أحق بها و سایرهم و اقتحم المدرسة الصلاحیة و درس بها و کانت وقفا علی شیخ الأزهر فثار علیه العلماء و لکن الشیخ العروسی هدأ من ثورتهم و ترک الشیخ المصیلحی یدرس بها احتراما لعلمه و منعا للفتنة.

کان الشیخ العروسی قوالا للحق لا یحب الجدال العقیم و کانت شفاعته مقبولة لدی الحکام و کان الأمراء یستشیرونه و یستفتونه فی

مسائلهم و رفض أن تأتی جنود من خارج مصر لحفظ الأمن و بین للوالی (إسماعیل بک) خطر ذلک فعمل بنصیحته و طالب بزیادة أرزاق الجند المصریین فقاموا بواجبهم و لما طغی (أحمد أغا) الوالی علی أهل الحسینیة لجأ إلیه الناس فقام معهم و أقنع (إسماعیل بک) یعزله اتقاء للفتنة فعزله.

و لما اشتد الغلاء و ضج الناس بالشکوی ذهب الی (الوالی حسن باشا) و اتفق معه علی وضع (تسعیرة للخبز و اللحم و السمن) و خرج المحتسب لیعلن فی الأسواق السیاسة التموینیة الجدیدة و یهدد من یخرج علیها فزالت الغمة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۵۱

و رغم صلاحه و تقواه و مهابته فقد کان ینشد الشعر لیسهل به علی الطلاب بعض العلوم و لما مات رثاه کثیر من الشعراء بروائع القصائد تخلیدا لذکره. و مات سنة ۱۲۱۸ ه-

و من آثاره العلمیة:

- شرح نظم التنویر فی اسقاط التدبیر للشیخ الملوی (فی التصوف).
- حاشیة علی الملوی علی السمرقندیة (فی البلاغة).

*** الشیخ عبد اللّه الشرقاوی

ولد بقریة (الطویلة) من ضواحی بلبیس بمحافظة الشرقیة سنة ۱۱۵۰ ه.

حفظ القرآن و رحل الی الأزهر حیث درس علی مشاهیر العلماء مثل (الشهاب الملوی) (الشهاب الصعیدی) (الشیخ الجوهری) (و الامام الدمنهوری) و مال بفطرته (للتصوف) و اتصل بالصوفی الشهیر (الشیخ الکردی) فلازمه و أدبه.

و تقلبت به الأیام بین مرارة الفقر و حلاوة الیسر و عاش مغمورا فترة طویلة ثم رفعته الأقدار إلی مصاف العلماء الکبار.

و أشتهر بالزهد و التقشف فی مأکله و ملبسه حتی بعد أن أقبلت علیه الدنیا و تولی مشیخة الأزهر بعد موت الشیخ العروسی سنة ۱۲۱۸ ه و عرف بعمامته الکبیرة و فی حیاته وقعت أحداث جسام إذ أتت الحملة الفرنسیة علی مصر و ما صحبها من آلام و تعرض لکثیر من الدسائس و المؤامرات و لکن اللّه نصره إذ حاول خصومه إحیاء منصب (ناظر الأزهر) و کان یشبه (شیخ الأزهر) و ساندهم کبار الشخصیات (کالشیخ السادات)

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۵۲

(و القاضی العثمانی) لکن الشیخ بحکمته تغلب علی کل هذا و رغم ما عاناه المصریون من الممالیک فقد رأوا فی الفرنسیین خطرا داهما یجب التصدی له و ارتفع الشیخ الشرقاوی إلی مرتبة الزعامة الشعبیة فقاوم طغیان (محمد بک الألفی) و جمع المشایخ و أغلق المسجد و أمر الناس بإغلاق الحوانیت و جاء الیه (ابراهیم بک) لیسأله عن سر ذلک فقال (نرید العدل و رفع الظلم و إقامة الشرع و ابطال المکوس) و اضطر إبراهیم بک إلی تحقیق مطالب الشیخ نیابة عن الأمة و صمم الشیخ أن تکون الاستجابة کتابة یوقع علیها أمراء الممالیک (و عرفت بالشرطة) و لما أنشأ نابلیون (الدیوان الوطنی) ضم عشرة من العلماء رأسهم (الشرقاوی) و أمر نابلیون أن تؤدی للعلماء التحیة العسکریة إجلالا لهم و کان یستقبلهم عند الباب الخارجی لمقر قیادته (و خصص للعلماء الخیل) ککبار رجال الدولة و شارک فی الأعیاد الدینیة و أمر جنوده بإطلاق المدافع فی هذه المناسبات لکن الشیخ الشرقاوی أحس أنها مجرد مظاهر لتألیف العلماء و لم یر فی نابلیون إلا غازیا معتدیا لکنه رأی مهادنته حتی تنتظم صفوف الشعب علی عکس (الشیخ السادات) و أعوانه الذین رأوا مناوأته.

و استغل الشیخ الشرقاوی علاقته الطیبة بالفرنسیین فکان یشفع للأهالی فی رد المظالم و منع جنود الحملة من العبث و الخروج علی التقالید الاسلامیة و کان نابلیون یلبی طلباته، لکن نابلیون أحس بعداوة الشرقاوی للحملة فقبض علیه و سجنه فی القلعة مع زعماء الجهاد لکنه سرعان ما أخرجه لحاجته إلیه و حاول التقرب إلیه بکل السبل و تنبه الشیخ الشرقاوی الی المدنیة الحدیثة و العلوم المتطورة التی جاءت بها الحملة الفرنسیة و قارنها بالتخلف الذی علیه مصر و کل الولایات الخاضعة للحکم العثمانی و کان نابلیون دائما یقول لرجاله (إذا کسبتم ثقة العلماء و خاصة هذا الشیخ- یقصد الشیخ الشرقاوی- فستکسبون الرأی العام فی مصر کلها).

و علم نابلیون أن الشیخ الشرقاوی یتلقی رسائل سریة من الخلیفة

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۵۳

العثمانی و لکنه لم یستطع إثبات ذلک و لا الوصول الی طریقة تسللها للبلاد و لما قتل (سلیمان الحلبی) القائد کلیبر قبض علی (الشیخ الشرقاوی و الشیخ العریشی) و اتهما بأنهما المحرضان علی ذلک و لکن خاف قادة الحملة من آثار ذلک فسرعان ما أطلقوا سراحهما و یعتبر (الشیخ الشرقاوی) رجل السیاسة الهادی الذی جنب شعبه کثیرا من النکبات و لو تشدد لفقد هذا الخیط الرفیع.

و بعد رحیل الحملة الفرنسیة عانت البلاد من ظلم و طغیان الفرق الأجنبیة و القوی المتعددة (العسکر العثمانیون) (فرقة الانکشاریة) (فرقة الارناءود) (فریق الدلاة و هو الاکراد) الذین استجلبهم (خورشید) لضرب الفرق الأخری و أخذوا جمیعا ینهبون و یستبیحون الحرمات فضج الناس بالشکوی و لجأوا (للشیخ الشرقاوی) فقاد مجموعة العلماء و آلاف المواطنین و ذهب الی الوالی فکتب الی رؤساء الفرق للکف عن النهب و السلب لکنهم لم یسمعوا إلیه فأعلن العلماء و علی رأسهم الشرقاوی (عزل خورشید) و تولیة (محمد علی) و رفض (خورشید العزل) لکن السلطان أقر ما فعله العلماء و علل سبب الموافقة بقوله (حیث رضی العلماء و الرعیة) فکانت هذه فاتحة للشعب لیقرر مصیره و لیختار زعامته.

و بینما کان (محمد علی) یطارد الممالیک فی الصعید جاءت (حملة فریزر ۱۸۰۷ م) و احتلت الاسکندریة و زحفت الی رشید فحمس (الشیخ الشرقاوی) و مجموعة العلماء الشعب للمقاومة فهزموها و رحلت بعد أن تکبدت خسائر فادحة.

و أصبح کل من (الشیخ الشرقاوی و عمر مکرم) بمثابة زعیمین للشعب و اضطر (محمد علی) إلی مهادنة الشیخ الشرقاوی حتی لقی ربه ثم فرق العلماء و نفی (عمر مکرم) إلی دمیاط و لقی ربه فی ۲ شوال سنة ۱۲۲۷ ه.

و کان ذا رأی مسموع فلما حدث أن القاضی العثمانی اعلن ان یوم

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۵۴

الأثنین متمم لشهر شعبان ثم جاءت جماعة للشیخ الشرقاوی و أکدوا له انهم رأوا الهلال فأعلن الصیام و صامت الأمة.

و ترک مؤلفات عدة منها:

۱- التحفة البهیة فی طبقات الشافعیة.

۲- العقائد المشرقیة فی علم التوحید

- حاشیة الشرقاوی علی کتاب التحریر للشیخ أبی زکریا الانصاری.

- حاشیة علی شرح الهدهدی علی أم البراهن السمات بالصغری لأبی عبد اللّه بن یوسف السنوسی.

- شرح جکم ابن عطاء اللّه السکندری.

- ثبت الشرقاوی (ذکر فیه شیوخه).

- مختصر الشمائل و شرح المختصر.

- رسالة فی (لا إله إلا اللّه).

- رسالة فی مسألة أصولیة (فی جمع الجوامع).

- شرح رسالة عبد الفتاح العادل (فی العقائد).

- شرح مختصر فی العقائد و الفقه و التصوف.

- شرح الحکم و الوصایا الکردیة (فی التصوف).

- شرح ورد السحر للبکری.

- مختصر مغنی اللبیب لابن هشام (فی النحو و الاعراب).

فتح المیدی شرح مختصر الزبیدی (فی الحدیث).

- تحفة الناظرین فیمن ولی مصر من الولاة و السلاطین.

***

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۵۵

الشیخ محمد بن علی بن منصور الشنوانی

اشارة

ولد بقریة (شنوان) بالغربیة و تلقی تعلیمه علی أیدی أشهر علماء عصره فی الحدیث و الفقه و التفسیر و اللغة و عرف بالتواضع و السماحة و شدة الحیاء و کان مولعا بالنظافة و خاصة المسجد فکان یخلع ثیابه و یقوم بتنظیف المسجد حتی المراحیض (و یحث الناس علی النظافة و أنها قاعدة من قواعد الدین).

و لما مات الشیخ الشرقاوی تطلعت إلیه العیون لکنه عاف المنصب و اختبأ و لکن الباشا جمع العلماء و طلب منهم ان یختاروا واحدا بعیدا عن کل شبهة فوقع الاختیار علیه فأمر جنده بالبحث عنه حتی وجده فأوکل إلیه المشیخة لکنه حاول الاعتذار فأصر الوالی و أصر العلماء و لما کانت داره صغیرة لا تستوعب مهام المنصب فقد نزل فی دار أوسع و کان ذلک سنة ۱۲۲۷ ه.

و کان عزوفا عن زیارة الامراء و کبار الشخصیات و لکنه کان من قادة الشعب و شارک فی مقاومة الحملة الفرنسیة و قد حاول الوالی أن یستولی علی کل اراضی الدولة و ان یتخذ العلماء مطیة حیث افهمهم أنه سیترک اراضیهم لهم یزرعونها بمعرفتهم و یستغلونها و تصدی له الامام الشنوانی و طالبه بالافراج عن الاوقاف المحبوسة للطلبة فوافقه ثم طالبه بالغاء أمر الاستیلاء علی بقیة الأراضی فرفض.

و لم یترک مکانه فی الدرس بعد تولی المشیخة و کان متبحرا فی علوم اللغة کما کان مولعا بعلم الکلام و الریاضیات. و مات سنة ۱۲۳۳ ه.

و من مؤلفاته:

۱- حاشیة علی شرح الجوهری (جوهرة التوحید).

۲- الجواهر السنیة بمولد خیر البریة.

۳- حاشیة الشنوانی علی مختصر البخاری.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۵۶

۴- ثبت الشنوانی (إجازة أجاز بها تلمیذه المبلط الشهیر).

۵- حاشیة علی السمرقندیة (فی علوم البلاغة).

۶- حاشیة علی (العضدیة فی آداب البحث).

*** الشیخ محمد بن أحمد بن مرسی بن داود العروسی

ولد بالقاهرة و کان أبوه شیخا للأزهر کما قدمنا و کان مزاحما للشیخ الشنوانی لو لا أن (محمد علی) فضل علیه (الشیخ الشنوانی) لأنه ضاق بالمشایخ الشعبیین (کالشرقاوی و عمر مکرم) و اشتغل بالدرس فکان یقضی وقته من الصباح للمساء لا یقوم إلا للصلاة و هذا ما عوقه عن التألیف الذی یحتاج الی وقت و تولی المشیخة سنة ۱۲۳۳ ه و حدثت فی عهده (فتنة حول أکل ذبائح أهل الکتاب) ذلک أن (الشیخ إبراهیم المالکی الشهیر بإبراهیم باشا) قرأ فی درس الفقه (إن ذبائح أهل الکتاب فی حکم المیتة لا یجوز أکلها) و سمع (فقهاء الثغر) بذلک فانکروه و ناقشوه فقال انی اخذت ذلک عن الشیخ علی المیلی المغربی و هو عالم جلیل ورع فأرسلوا الیه فبعث برسالة مفصلة ساق فیها الاسانید علی رأیه و استند هو ایضا لرأی (الشیخ الطرطوشی) فی المنع و عدم الحل و أمر الوالی بجمع العلماء و النظر فی هذه المسألة الخطیرة.

و تقدم الشیخ العروسی و امتدح (الشیخ علی المیلی المغربی) و وصفه بأنه عالم جلیل و لکنه حاد المزاج و بعقله بعض الخلل (اعتذارا عن طعنه فی العلماء المعاصرین) و طلب الاجتماع به لمناظرته لکن (الشیخ علی) رفض فذهب إلیه الجند فوجدوه قد اختفی و أصدر الأمیر أمرا بنفی (الشیخ ابراهیم المالکی) إلی بنی غازی.

و ظل الامام موضع التکریم من الطلبة و العلماء و الامراء.

و لم یترک مصنفات لانشغاله بالتدریس و مهام المنصب. و مات سنة ۱۲۴۵ ه.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۵۷

الشیخ أحمد زین علی بن أحمد الدمهوجی

ولد بقریة (دمهوج) بمحافظة المنوفیة سنة ۱۱۷۰ ه ولی مشیخة الأزهر سنة ۱۲۴۶ و ظل بها ستة اشهر حتی لقی ربه فی نفس العام سنة ۱۲۴۶.

و لم یعرف عن حیاته إلا القلیل و ذلک لشدة زهده و بعده عن مظاهر الدنیا و انقطاعه للدرس و العبادة فکان یدرس من الصباح حتی المساء لا یخلو إلا فی اوقات الصلاة فاذا ما عاد لبیته لزم الصلاة متعبدا متهجدا و لما مات خرجت جماهیر غفیرة لوداعه فی مشهد مهیب.

*** الشیخ حسن بن محمد بن العطار

اشارة

أصله مغربی و لکنه ولد بالقاهرة سنة ۱۱۸۲ ه کان أبوه عطارا و أراد أن یعاونه ولده فی حانوته لکنه مال لطلب العلم فترکه ابوه و کان ذا حافظة قویة و شغف بالعلم و خاصة لما رأی اترابه یروحون و یغدون للأزهر و فی زمن قصیر أجازه أساتذته للتدریس و الفتوی و لم یقنع بالعلوم الدینیة بل أقبل علی العلوم العصریة و درس الفلک و الهندسة و کان حاد البصر یقرأ أدق الخطوط فی ضوء القمر أو الشموع الضعیفة و لا یترک الکتاب حتی یستوعبه و کان کثیر الاستعارة و بذلک استوعب علوم عصره و امتدحه (رفاعه الطهطاوی) و

اعتبره سابقا لعصره.

و له هوامش على كتب الطب غايـة فى الروعـة و اتقن الرصـد للنجوم و درس التشـريح فكان (موسوعة علمية) و اتصل (بعلماء الحملة الفرنسـية) و اتقن الفرنسـية و درس علومهم الحديثة رغم انه فر عند مجىء الحملة الى أسـيوط و عانى من الفقر و الاضـطراب و مرض الطاعون الذى اجتاح اسيوط

و كتب فى ذلك إلى (العلامة الجبرتى رسالة غاية فى الأهمية و وصف الطاعون و أعراضه و آراءه فى مقاومته).

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۵۸

و عاد للقاهرة بعد أن اسـتقر الأمن و كان يرى فى مجىء الحملة الفرنسـية إلى مصر مكسبا علميا و بركة لأنها فتحت أعين العلماء على حقائق خفية و بهذا جمع الشيخ بين الثقافة العربية و الثقافة الغربية و رحل كثيرا الى الخارج و أجاد عدة لغات منها التركية و الفرنسية و الالبانيـة و زار كثيرا من أوطان العرب و كان فى كل بلد يلقى محاضـراته و يقبل عليه العلماء و كان شاعرا مجيدا و كاتبا عميقا و لهذا اسندت اليه (جريدة الوقائع المصرية) فرأس تحريرها و أعلن آراءه و دعا الى ادخال العلوم الحديثة و جلاء التراث العربى، و حث على الرجوع الى أمهـات الكتب و عـدم الاكتفـاء بالحواشـى و المتون (و منه تلقى رفاعـة الطهطاوى) الـذى أسـهم فى نقل مصـر من عصـر التخلف الى عصـر النهضـة و الاحتكـاك بالثقافات العالميـة و كان شـعار الشـيخ العطار (ان بلادنا يجب ان تتغير احوالها و تتجـدد بها المعارف) و هو الـذى وجه تلميـذه (رفاعة الطهطاوى) لتسـجيل كل ما تقع عليه عينه فى فرنسا و ان يسـتجلب معه كل ما تقع عليه يده من ذخائر الكتب و هو الذى شجعه على الترجمة (و تأسيس مدرسة الالسن)

و عالـج علم الجغرافيا معالجـة جديـدة و اهتم بالخرائط و اسـتفاد من خبرة علماء الحملة و اكب على عيون الكتب المهجورة و بسـطها لطلابه و بدأ أول خطوة فى (فن الفهرسة) بحيث يعود الطلاب الى المراجع القديمة بسهولة.

و كان خلية دائبة يدرس و يصنف المؤلفات و يشرح الكتب و دفع طلابه الى الخروج من التراكيب اللغوية العقيمة و تحرير الكتابة من قيود الصـنعة التى شاعت فى عصور الانحطاط و رغم طغيان محمد على فقد كان يجله و يستشـيره و اطلق يده فى النهضة العلمية ففتح الابواب للعلوم الحديثة و أشـرف على انشاء المدارس المتعددة (ثم ولاه مشـيخة الأزهر) سـنة ۱۲۴۶ ه و جدد فى الشـعر العربى و فتح الطريق أمام شـعراء النهضة (كالبارودى و شوقى و حافظ) و أراد الرحيل إلى مكة و لكن طلابه تعلقوا به و هددوا بترك الدراسة حتى رضخ لهم و بقى فى مصر.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۵۹

و من مصنفاته:

- حاشية العطار على الجواهر المنتظمات فى عقود المقولات.
- حاشية العطار على التهذيب للامام الخبيصى (شرح على تهذيب المنطق و الكلام).
- حاشية العطار على شرح ايساغوجى فى المنطق (و كان من أهم الكتب).
- حاشية العطار على شرح العصام على الرسالة العضدية.
- حاشية العطار على كتاب نيل السعادات فى علم المقولات.
- حاشية العطار على جمع الجوامع فى أصول الفقه.
- رسالة فى علم الكلام.
- حاشية العطار على شرح الكتاب المسمى (بموصل الطلاب الى قواعد الاعراب).

- حاشیة علی العطار علی جمع الجوامع فی أصول الفقه.
- حاشیة فی علم الکلام.
- حاشیة العطار علی شرح.
- حاشیة علی شرح الاجرودیة (فی النحو).
- شرح السمرقندیة فی علم البیان.
- منظومة العطار فی علم النحو.
- انشاء العطار فی المراسلات.
- دیوان العطار (و یجمع مئات القصائد).
- مظهر التقدیس بذهاب دولة الفرنسیس.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۶۰

- رسالة فی کیفیة العمل (بالاسطرلاب) و هو علم الرصد.
- جمع و ترتیب و شرح دیوان ابن سهل الاندلسی.
- شرح کتاب الکامل للمبرد.
- نبذة فی علم الجراحة.
- و لقی ربه سنة ۱۲۵۰ ه.

*** الشیخ حسن بن درویش القویسنی

اشارة

ولد (بقویسنا) و لم یعرف تاریخ مولده و ان عرف تاریخ وفاته حیث مات سنة ۱۲۵۴ ه و تمیز عن سائر شیوخ الأزهر بانه کان کفیف البصر و اشتهر بلقب (البرهان القویسنی الشافعی) و کان مهیبا عند العلماء و الأمراء و نافس الشیخ العطار فی علمه و شعره و مال للتصوف و بلغ فیه منزلة سامیة و کان یعتبر حجة فی فقه الشافعی و کان عزیز النفس عازفا عن الدنیا حاول (محمد علی) کثیرا أن یتقرب الیه بالعطایا فکان یأبی و عابه أنه استغرق فی الصوفیة لدرجة الشطحات فکان اذا ما استغرق لا یدری بما حوله و یظل فیما یشبه الغیبوبة حتی یفیق.

و تخرج علی یدیه کبار العلماء (کالشیخ ابراهیم الباجوری) (و السید مصطفی الذهبی) و کان من ألمع تلامیذه (رفاعة الطهطاوی) و تولی المشیخة سنة ۱۲۵۰ ه و حدثت جفوة بینه و بین (الشیخ الامیر) و بلغت الجفوة أسماع الحاکم فاستدعی الحاکم (الشیخ الامیر) و سأله عن الشیخ القویسنی فقال (لیس بیننا إلا الخیر) فأتی الی الشیخ القویسنی فسمع منه نفس الاجابة (اتباعا للحفاظ علی عروة الاسلام).

و من مؤلفاته:

۱- شرح السلم المنورق لعبد الرحمن الاخضری.

۲- سند القویسنی (جمع فیه أصح الأحادیث).

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۶۱

رسالة فی المواریث.

الشیخ احمد بن عبد الجواد السفطی

ولد (بسفط العرفاء) من ضواحی مدینة (الفشن) بمحافظة بنی سویف و اشتهر (بالشیخ أحمد الصائم) و لم یعرف تاریخ مولده.

و تلقی العلم علی نخبة من العلماء فتلقی علی (الشیخ السنباوی الشهیر بالامیر) و الشیخ الدمهوجی و تولی مشیخة الأزهر سنة ۱۲۵۴.

و کان شاعرا موهوبا و سجل کثیرا من الاحداث فی شعره و اشتهر بالعفة و الصلاح و لم یعثر علی مؤلفاته اللهم الا اجازتین (الاولی للشیخ أحمد الجرجاوی) (و الثانیة للشیخ حسنین الملط الحنفی)، لکن شهرته کفقیه طبقت الآفاق و کان دءوبا علی دراسة أمهات الکتب بعیدا عن زخرف الدنیا. و توفی سنة ۱۲۶۳ ه.

*** الشیخ ابراهیم بن محمد احمد الباجوری

اشارة

ولد ببلدة (الباجور) بالمنوفیة سنة ۱۱۹۸ ه و قدم الأزهر سنة ۱۲۱۲.

و اجتهد فی دراسته و تتلمذ علی مشاهیر عصره مثل (الشیخ الأمیر) (و الشیخ الشرقاوی) (و الشیخ القویسنی) (و الشیخ القلعاوی).

و کان یقضی النهار و جزءا من اللیل فی طلب العلم او التدریس ثم یقضی وقتا من اللیل فی ترتیل القرآن بصوت شجی یسعی لسماعه المئات.

تولی مشیخة الأزهر سنة ۱۲۶۳ ه و ظل یدرس لطلابه مع مهام المشیخة و کان مهیبا یسعی (عباس الاول) لزیارته و الجلوس للاستماع الی دروسه فلا یقوم له عند حضوره أو انصرافه و کان یقبل یده.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۶۲

ثم مرض فی عهد (سعید باشا) فقام أربعة من العلماء بشئون المشیخة حتی مات سنة ۱۲۷۷ ه.

و قد تعرض فی حیاته لعدة احداث منها:

- ثورة المغاربة لامور تتعلق بالجرایة و اساءوا الادب معه و لما علم عباس الأول أرسل الجند و نفاهم.

- و هرب کثیر من الشباب من التجنید و سعوا الی دروسه و طاردهم الجند لکنهم لم یجرؤا علی اقتحام مجلسه و لما علم طرد هؤلاء الشباب و حثهم علی الجندیة و أنها خیر من طلب العلم دفاعا عن الوطن.

- و حدث أن وقع نزاع بین فریق الشوام و فریق الصعایدة من طلبة العلم فأرسل الحاکم فرقة اعتدت علی الصعایدة بدون تحقیق و انتهکوا حرمة المسجد فلما عاد سعید باشا من الحج أخبره الشیخ فعزل الحاکم و اعتذر لما وقع.

و من مؤلفاته:

۱- مجموعة من الاجازات لتلامیذه النجباء.

۲- المسلسلات (تعرض فیه لعلم الاحادیث و تبویبها).

۳- حاشیة علی متن الجوهرة سماها تحفة المرید علی جوهر التوحید.

۴- حاشیة علی متن السنوسیة المسماة أم البراهین.

۵- حاشیة علی تحقیق المقام علی کفایة العوام.

۶- حاشیة علی شرح السعد للعقائد النسفیة (للإمام النسفی).

۷- فتح القریب المجید علی شرح بدایة المرید.

۸- منح الفتاح علی ضوء المصباح فی النطاح (فقه شافعی).

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۶۳

۹- تعلیق علی الکشاف (فی تفسیر القرآن الکریم).

۱۰- الدرر الحسان فیما یحصل به الاسلام و الایمان.

*** الشیخ مصطفی بن محمد بن احمد بن موسی بن داود العروسی

اشارة

ولد فی سنة ۱۲۱۳ ه ولی مشیخة الأزهر سنة ۱۲۸۱ ه کما ولیها من قبل أبوه وجده فنشأ فی بیت علم و أدب و مناخ أزهری اشتهر بحبه للنظام و ترک التدریس و کان لا تأخذه فی الحق لومة لائم، قوی الشخصیة و تتبع البدع المعاصرة التی جرت فی البلاد و أعاد الناس الی الدین الصحیح و منع التسول و کان کثیر من المتسولین یتخذون من ساحة الأزهر مجالا لحرفتهم.

و لم یسمح أن یقوم أحد بالتدریس الا بعد اجتیاز امتحان من لجنة کان یرأسها بنفسه و ان یکون ملما بکل علوم الدین و اللغة مما أوغر صدور أدعیاء التدریس فأوعزوا الی الحاکم فتعذر عزله بدون مقدمات فی سنة ۱۲۸۷ ه. و یقال ان (إسماعیل باشا) کان وراء العزل فقد خشی من شخصیة الإمام الذی کان ینقد بالظلم فی خطبه و دروسه و خشی الخدیوی أن یقود ثورة ضده بعد أن ارتفع صوت الشعب بالشکوی عند ما عرض البلاد للإفلاس و مکن الأجانب من السیطرة علی تقالید البلاد.

و من مصنفاته:

۱- حاشیة علی شرح الشیخ زکریا الأنصاری للرسالة القشیریة (فی التصوف).

۲- کشف الغمة و تفنید معانی أدعیة سید الأمة.

۳- رسالة الاکتساب سماها (القول الفصل فی مذهب ذوی الفضل).

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۶۴

۴- العقود الفرائد فی بیان معانی العقائد.

۵- أحکام المفاکهات فی أنواع الفنون المتفرقات.

۶- الأنوار البهیة فی بیان أحقیة المذهب الشافعی.

۷- الفرائد المستحسنة فیما یتعلق بالبسملة و الحمد له.

۸- الهدایة بالولایة.

*** الشیخ محمد المهدی العباس الحنفی

اشارة

ولد بالأسکندریة سنة ۱۲۴۳ ه.

و کان جده مسیحیا و أسلم علی ید (الشیخ محمد الحفنی) و هو صغیر فضمه لاسرته و أقبل علی حفظ القرآن و دراسة الإسلام و رشحه (الشیخ الشرقاوی) لمشیخة الإسلام، و لکن (محمد علی) آثر بها (الشیخ الشنوانی).

و انجب ابنه (محمد الأمین) من خیرة العلماء الذی أنجب (الشیخ محمد المهدی) الذی کان ذکیا واعیا، فدرس علی خیرة العلماء و أحبه (إبراهیم باشا) فأوکل إلیه منصب (الافتاء) سنة ۱۲۶۴ ه و هو فی نحو العشرین دلیل تقدیره و لکنها أثارت العلماء علیه لصغر سنه ثم تولی مشیخة الأزهر سنة ۱۲۸۷ ه.

و اشتهر بالحزم و حب العلم و عدم ممالاة الحکام، و کانت فتاواه دلیل ذلک و تصدی (العباس الأول) حینما أراد أن یصادر کل أملاک أسرة محمد علی بحجة أنه جاء الی مصر و لم یکن یملک شیئا، و یجب ان ترد هذه الأموال للدولة (و هی کلمة حق أرید بها باطل) و طلب من الشیخ المهدی ان یصدر فتوی بذلک فرفض فهدده بالعقاب الرادع و لکنه لم یلن و ارتفع قدره عند الحاکم و عند العلماء لموقفه هذا و یعتبر أول (حنفی) یتولی مشیخة الأزهر إذ کانت وقفا علی (الشافعیین).

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۶۵

و کان أول شیخ للأزهر یقوم بتنظیمات مالیة و إداریة و أعاد للأزهر کل الأوقاف و المخصصات التی سلبت منه و کان موفقا فی انفاق الأموال علی مستحقیها و صمم علی ألا یقوم بالتدریس فی الأزهر إلا من تجیزه لجنة من العلماء فکان أول من سن (قانون تنظیم الامتحان) و جعل الامتحان فی أحد عشر علما من علوم الدین و اللغة و هی الأساس الآن للدراسة فی الأزهر، و کان یحرص ان یشهد بنفسه الامتحان و یناقش الممتحن مما حفز الطلاب علی استیعاب هذه العلوم فتخرج جیل عالم. و لما قامت (الثورة العرابیة) لم یتجاوب معها فطلب (عرابی) من الخدیوی عزله فأجابه لطلبه سنة ۱۲۹۹ ه و تولی (الشیخ الأنبابی) مکانه.

و ظل الشیخ المهدی علی الافتاء فطلب منه قادة الثورة فتوی بعزل الخدیوی فرفض لأنه رأی ان الذی یملک عزل الخدیوی هو الخلیفة العثمانی فوضعه العرابیون تحت المراقبة و لما فشلت الثورة العرابیة اعاده الخدیوی الی المشیخة بجانب الافتاء حتی سنة ۱۳۰۴ ه عند ما علم الخدیوی ان الشیخ یستقبل فی بیته بعض من یتکلمون فی السیاسة و یظهرون سخطهم علی الاحتلال البریطانی.

و التقی الشیخ بالخدیوی فقابله مقابلة جافة فطلب اعفاءه من المنصب فقال الخدیوی: (و من الافتاء ایضا) فقبل ذلک. و یقال ان الخدیوی حنق علیه لعدة فتاوی اضرت بمرکز الخدیوی و ظل ملازما بیته حتی مات سنة ۱۳۱۵ ه.

و من مؤلفاته:

۱- الفتاوی المهدیة فی الوقائع المصریة.

۲- رسالة فی مسألة الحرام (علی مذهب الحنفیة).

***

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۶۶

الشیخ شمس الدین محمد بن محمد بن حسین الأنبابی

اشارة

ولد بمدینة (انبابة) المعروفة الآن (بامبابه) بمحافظة الجیزة سنة ۱۲۴۰ ه و کان والده یعمل بالتجارة و له وکالة بالغوریة. لکن الولد مال للعلم فحفظ القرآن و درس بالأزهر و تتلمذ علی أیدی (الشیخ الباجوری)، الشیخ ابراهیم السقا)، (الشیخ البولاقی) و لفت الانظار إلی علمه و سعة مداارکه فأجازه الأساتذة للتدریس الأزهر سنة ۱۲۶۷ و کان رجلا خیرا جوادا سمح النفس فانتخب أمینا للفتوی عن الشیخ العروسی و وکیلا عنه فی إدارة الأزهر.

و کان اذا ما درس کتابا وضع حاشیته و شروحا و تعلیقات افادت طلابه.

و تخرج علی یدیه علماء کبار (الشیخ حسونه النواوی) (و الشیخ البلاوی)، (و الامام ابو الفضل الجیزاوی)، (و الشیخ الطویل)، (و الشیخ القایاتی).

ثم عین شیخا للأزهر سنة ۱۲۹۹ ه اثناء الثورة العرابیة و کرمه السلطان العثمانی، و لکنه استقال لما رأی من إقبال الخدیوی توفیق علی الشیخ المهدی (کما أشرنا) ثم صدر تعیینه ثانیة سنة ۱۳۰۴ ه و ظل إلی أن استقال سنة ۱۳۱۲ لاعتلال صحته و نال (النیشان المجیدی) (و النیشان العثمانی) من الدرجة الأولی و توفی سنة ۱۳۱۳ ه.

و کان جریئا فی الحق و رغم طغیان (اللورد کرومر) فقد کان لا یقوم له و سأله (لماذا تقوم للخدیوی و لا تقوم لنا) قال: (لأنه ولی الامر و أنت أجنبی عنا) فزاد (کرومر) احتراما له و کتب بهذه الاجابة لحکومته.

و من مکارم الشیخ الانبابی انه افتی بجواز دراسة العلوم الحدیثة و کان الشیوخ یحرمونها.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۶۷

من مصنفاته:

- مجموعة إجازات لتلامیذه الذین تأهلوا للتدریس.
- تقریر الانبابی علی حاشیة الصبان.
- رسالة فی علم الوضع.
- تقریر علی مختصر السعد و حواشیه.
- رسالة فی بیان الربا و أقسامه.
- فتاوی فقهیة.

مجموعة تقاریر و حواشی علی أهم المؤلفات القدیمة.

*** الشیخ حسونة بن عبد اللّه النواوی

اشارة

ولد بقریة (نوای) من أعمال ملوی محافظة أسیوط سنة ۱۲۵۵ ه و حفظ القرآن و وفد إلی الأزهر و حضر دروسه علی العلماء الکبار (کالشیخ الأنبابی)، (و الشیخ البحری)، (و الشیخ الأسیوطی) و عمل استاذا بدار العلوم و مدرسة الحقوق ثم ألف کتابا هاما هو (سلم المسترشدین فی أحکام الفقه و الدین) أوضح فیه المشکلات الفقهیة و تقرر تدریسه بکل المدارس و لما مرض الشیخ الانبابی انتدب للقیام بشئون الأزهر سنة ۱۳۱۱ ه و عین فی لجنة خماسیة کان من أعضائها (الشیخ محمد عبده)، (و الشیخ سلیمان العبد)، (و الشیخ أبو الفضل الجیزاوی) للبحث فی إصلاح الأزهر سنة ۱۳۱۲ ه ثم عین شیخا للأزهر سنة ۱۳۱۳ ه ثم أخذ الافتاء أیضا سنة ۱۳۱۵ و انتخب عضوا فی المجلس العالی بالمحکمة الشرعیة إلی أن عزل من مشیخة الأزهر سنة ۱۳۱۷ ه و تولاها ابن عمه (الشیخ عبد الرحمن النواوی) لأنه عارض اصلاح المحاکم الشرعیة .. و عرض علی مجلس شوری القوانین اقتراح بندب قاضیین مدنیین من محکمة الاستئناف

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۶۸

الاهلیة لیشارکا قضاة المحکمة الشرعیة العلیا فی الحکم فوقف ضد هذا الاقتراح و أشیع أن الحکومة ترید هدم الشریعة و حاول الخدیوی أن یقنع الشیخ بقبول هذا الاقتراح فرفض فتم عزله و بعد محاولة تعیین نحو ستة فی منصب المشیخة لم یستقروا فی المنصب، عاد الشیخ حسونة الی مشیخة الأزهر سنة ۱۳۲۴ لکنه آثر ترک المنصب بعد قلیل لاختلال الاحوال و استقال سنة ۱۳۲۷ ه حتی لقی ربه سنة ۱۳۴۳ ه.

و فی عهده صدر قانون شامل باصلاح الأزهر نظمت بمقتضاه ادارته و اجهزته و فی عهده أیضا تم جمع (مکتبات الأزهر و المساجد الاخری) فی مکتبة واحدة و ساعده (الشیخ محمد عبده) فی کل محاولات الاصلاح.

و من مصنفاته:

- غیر کتاب (سلم المسترشدین) الذی سبقت الاشارة إلیه.
- قانون تنظیم الأزهر.

*** الشیخ عبد الرحمن القطب النواوی

ابن عم الشیخ حسونه و من بلدة (نوای) ولد سنة ۱۲۵۵ ه و تتلمذ علی نفس الاساتذة و تخرج فشغل عدة مناصب هامة قضائیة منها:

- أمانة فتوی مجلس الاحکام مساعدا للشیخ البقلی سنة ۱۲۸۰ ه.
- قضاء مدیریة الجیزة سنة ۱۲۹۰ ثم قضاء الغربیة سنة ۱۲۹۶.
- ثم نقل الی المحکمة الشرعیة بالقاهرة سنة ۱۳۰۶ ثم الی الی قضاء الاسکندریة.
- ثم تولی الافتاء بوزارة العدل سنة ۳۱۳ ه.
- و أخیرا تولی مشیخة الأزهر سنة ۱۳۱۷ ه.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۶۹

و انشغل بمهام هذه المناصب عن التألیف فلم یعثر له علی مؤلفات.

*** الشیخ سلیم بن أبی فراج البشری

ولد (بمحلة بشر) من قری (شبراخیت) بمحافظة البحیرة ۱۲۴۸ ه.

و قدم القاهرة للدراسة فی الأزهر و نزل علی خاله، و کان یعمل بمسجد السیدة زینب فدرس القراءات و علوم الدین و اللغة و درس فقه الامام مالک و تتلمذ علی ید (الشیخ الباجوری) و (الشیخ علیش).

و لما مرض شیخه (الخنانی) أوکل إلیه أن یقوم مکانه بالتدریس لما أنس فیه من علم و أقبل الطلاب علی دروسه و نبغ فی علوم کثیرة و کان یجد لکل مسألة حلا حتی قصده العلماء ثم عین شیخا لمسجد السیدة زینب فقرأ علی الناس أمهات.

ثم عین شیخا للسادة المالکیة و هو منصب کبیر بالأزهر.

و وقع علیه الاختیار ضمن من قاموا بالإصلاح فی الأزهر، ثم عین شیخا للأزهر سنة ۱۳۱۷ ه و کان معتزا برأیه فقد حدث أن ولی (الشیخ أحمد المنصوری) شیخا لأحد أروقة الأزهر و تدخلت الحکومة فی هذا و أصر علی رأیه فهدده بعزله فرحب بذلک و قدم استقالته.

ثم عین مرة ثانیة سنة ۱۳۲۷ ه و ظل الی أن مات سنة ۱۳۳۵ ه.

و واصل قیادة حرکة الإصلاح و إلقاء الدروس و التصنیف العلمی.

و کان جریئا لما قدم استقالته أول مرة لم یترک درس العلم و لم یحاول أحد أن یزحزحه من مکانه و فی عهده طبق نظام امتحان الراغبین فی التدریس بالأزهر، و کان أول من طالب بزیادة مقررات العلماء و الطلاب و رخص لکل طالب أو عالم بالسفر بالسکة الحدیدیة بنصف الأجر و لم

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۷۰

یقبض مرتبه بنفسه أبدا، و لم یدر عنه شیئا و کان کثیرا ما یعطی لأصحاب الحاجات و عرف بالحزم الإداری.

و ترک مصنفات عدة منها:

۱- حاشیة تحفة الطلاب علی شرح رسالة الآداب.

۲- حاشیة علی رسالة الشیخ علیش فی التوحید.

۳- المقامات السنیة فی الرد علی القادح فی البعثة النبویة.

۴- عقود الجمان فی عقائد اهل الایمان.

۵- الاستئناس فی بیان الاعلام و أسماء الاجناس.

۶- شرح نهج البردة لشوقی.

*** الشیخ علی بن محمد البلاوی

ولد بقریة (ببلا) من أعمال دیروط بمحافظة أسیوط سنة ۱۲۵۱ ه و حفظ القرآن ثم وفد للأزهر و درس فیه و اختار حلقات خیرة الأساتذة (کالشیخ الانبانی) (و الشیخ علیش) و کان صدیقا حمیما (للشیخ حسونة النواوی) و باشر التدریس بالمسجد الحسینی و الجامع الأزهر و أقبل علیه الطلاب.

و سافر للحجاز سنة ۱۲۸۰ ه و التقی بمجموعة من کبار العلماء و ناقشهم ثم عین بدار الکتب حتی رأسها سنة ۱۲۹۹ فی وزارة محمود سامی البارودی فنظم الفهارس و نهض بها نهضة عظیمة و لما فشلت الثورة فصله الخدیوی توفیق و لکنه ظل خطیبا للمسجد الحسینی ثم عین سنة ۱۳۱۱ شیخا لمسجد الحسین لنسبه الشریف ثم اختیر نقیبا للاشراف سنة ۱۳۱۲ ه ثم عین شیخا للأزهر سنة ۱۳۲۰ ه.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۷۱

و رغم اکرام الخدیوی له الا انه لم یرض ان یقف ضد الشیخ محمد عبده ارضاء للخدیوی و وافقه فی کل مساعیه الاصلاحیة و لکن

الخدیوی اضطهده فقدم استقالته سنة ۱۳۲۳ ه و مات فی نفس السنة ۱۳۲۳ ه.

و من مصنفاته:

۱- رسالة فی فضائل لیلة النصف من شعبان.

۲- إجازة الی الشیخ محمد بن حامد المراغی المالکی.

۳- إعجاز القرآن و هو مجموعة مقالات.

۴- الأنوار الحسینیة فی شرح الحدیث المسلسل یوم عاشوراء.

*** الشیخ عبد الرحمن بن محمد ابن أحمد الشربینی

حفظ القرآن و تلقی المذهب الشافعی علی أساتذته و أحب التعمیق فی المصادر القدیمة و أجیز للتدریس فی الأزهر.

و لما انقسم العلماء فریقین (فریق یرید الإصلاح)، (و فریق یتمسک بالتقالید الأزهریة) و یعارض التجدید انضم (الشیخ عبد الرحمن) إلی الفریق الثانی مما لفت نظر الحکام إلیه و کانوا یتوجسون خیفة من الإصلاح و رأوا فیه رجلا صالحا عازفا عن الدنیا فعرضوا علیه مشیخة الأزهر مرارا لکنه کان یعتذر و کان الخدیوی یطمع أن تطلق یدیه بعد تولیه الشیخ عبد الرحمن و کان یعمد إلی استئجار الأقلام لشن حملة ضد الإصلاح و دعاته مما دفع الشیخ محمد عبده إلی الاستقالة من منصبه سنة ۱۹۰۵ م و حاول الخدیوی زحزحته عن (الافتاء) أیضا و عارض (کرومر) ذلک لأنه یخشی من آثار اضطهاد الشیخ محمد عبده من ناحیة و لا یرید للخدیو أن تطلق یدیه من ناحیة أخری و لأن (کرومر) یرید جذب الطبقة المثقفة إلیه.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۷۲

و أخیرا قبل الشیخ الشربینی تولی منصب شیخ الأزهر سنة ۱۳۲۳ ه و شن حملة شدیدة علی حرکة الإصلاح و اضطهد کل من یتعاون فیها و لم یکن هدفه إلا الخوف من تهاون الطلبة فی دراسة العلوم الدینیة.

و حدث أن (الشیخ الظواهری) الذی تولی مشیخة الأزهر فیما بعد ألف کتابا أسماه (العلم و العلماء) و دعا إلی اصلاح الأزهر فقام (الشیخ الشربینی) بحرقه و جمع کل نسخه و کان یعزل کل من یثبت أن لدیه نسخة منه مما جعل الخدیوی یزداد تمسکا به و اضطر (الشیخ محمد عبده) إلی مهاجمته فی جریدة المقطم و تفنید آرائه لکن الشیخ الشربینی رفض أن یکون العوبة فی ید الخدیوی و استقال من منصبه سنة ۱۳۲۴ ه و أعید الشیخ حسونة النواوی ..

و مات الشیخ الشربینی سنة ۱۳۲۶ ه.

و من مؤلفاته:

- تقریر علی حاشیة البنانی علی شرح المحلی علی جمع الجوامع للسبکی فی أصول الفقه.

- تقریر علی حاشیة ابن قاسم.

- تقریر علی حاشیة عبد الحکیم.

- فیض الفتاح علی شرح المفتاح فی البلاغة.

*** الشیخ محمد أبو الفضل الجیزاوی

ولد (برواق الحضر) من أعمال مرکز امبابة محافظة الجیزة سنة ۱۲۶۴ ه و حفظ القرآن الکریم و التحق بالأزهر و درس القراءات و فقه الإمام مالک و تلقی علوم الدین و اللغة علی ید (الشیخ علیش)، (و الشیخ العدوی) (و الشیخ السقا)، (و الشیخ الأنبابی) و قام

بالتدریس و تخرج علی یدیه جیل من العلماء.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۷۳

و فی سنة ۱۳۱۳ عین عضوا فی ادارة الأزهر فی مدة (مشیخة الشیخ البشری) ثم وکیلا- للأزهر سنة ۱۳۲۶ ه. و عین شیخا لمعهد الإسکندریة و مکث ۸ سنوات و أخیرا عین شیخا للأزهر فی سنة ۱۳۳۵ ه و أضیفت الیه مشیخة السادة المالکیة سنة ۱۳۳۶ ه.

و عاصر أحداث ۱۹۱۹ و کان علما بارزا و استطاع أن یقود السفینة فی غمار هذه العواصف حتی لقی ربه سنة ۱۳۴۶ ه.

و قد خطا بالأزهر خطوات نحو الاصلاح فقد أصدر قانون سنة ۱۹۲۳ م.

بمقتضاه انقضت مدة الدراسة فی کل المراحل إلی ۴ سنوات و انشیء (قسم التخصص) و کان رحمه اللّه واسع الاطلاع فی العلوم الفقهیة و الفلسفیة و تاریخ الإسلام.

و من مصنفاته:

۱- إجازة للشیخ محمد بن محمد المراغی المالکی الجرجاوی.

۲- الطراز الحدیث فی فن مصطلح الحدیث.

۳- تعلیقات علی شرح العضد.

۴- کتاب تحقیقات شریفة.

*** الشیخ محمد بن مصطفی ابن محمد المراغی

ولد (بمراغة) من أعمال جرجا سنة ۱۸۸۱ م و کان والده عالما جلیلا واسع الثقافة و ظهرت نجابته فأرسله والده إلی الأزهر و اتصل بالشیخ (محمد عبده) و تأثر بفکره و انتفع بمحاضراته فی (البلاغة) (و التوحید) (و التفسیر).

و شجعه الشیخ محمد عبده علی أن یعود للمصادر الأصیلة و ألا یکتفی

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۷۴

بالقشور و نال العالمیة سنة ۱۳۳۲ ه رغم أنه کان مریضا أثناء الإمتحان.

و لما طلبت حکومة السودان من الشیخ محمد عبده اختیار قضاة السودان رشح المراغی سنة ۱۹۰۴ م فتولی قضاء الخرطوم و لم تنقطع صلته بأستاذه الذی لم ینسه حتی الممات و أکرم أرملته و هو شیخ للأزهر وفاء للإمام محمد عبده.

و فی سنة ۱۹۰۷ اختلف و قاضی القضاة فی وجهة نظر فقدم استقالته و عاد إلی مصر ثم عین فی نفس العام مفتشا للدروس الدینیة بدیوان عموم الأوقاف (وزارة الأوقاف) و واصل التدریس بالأزهر.

ثم صدر أمر من الخدیوی بتعیینه قاضیا لقضاة السودان سنة ۱۹۰۸ و لما أرادت حکومة السودان تعدیل لائحة المحاکم الشرعیة تمسک بأن من سلطته أن یختار للقضاة الآراء الفقهیة التی یحکمون بها و أبی السکرتیر القضائی فاحتکما للحاکم فنصره علی السکرتیر القضائی.

ثم قامت ثورة ۱۹۱۹ و امتدت آثارها إلی السودان و حاول الانجلیز قمعها فی مصر بأسالیب وحشیة فأصدر الإمام المراغی نشرة ثائرة عنوانها (اکتتاب لمنکوبی الثورة بمصر) و وصف المآسی التی لحقت بمصر و استجاب السودانیون للنداء و لم یستطع الحاکم السودانی إیقاف هذه الثورة.

و کان معتزا بکرامته و حدث أن مر (جورج الخامس) بالسودان و طلب من الموظفین أن یکونوا بانتظاره علی ألا یصعد إلی الباخرة إلا الحاکم العام و أصر المراغی أن یصعد إلی الباخرة قبل الحاکم العام و إلا فلن یستقبله و تم له ما أراد.

و حدث أن الخدیوی عباس الثانی ذهب للصلاة فی المسجد فرأی الإمام أعمی فغضب و سأل الشیخ المراغی فقال (إن الإسلام لا

یفرق ما بین البصیر و الأعمی) و کان الشیخ الأعمی هو (الشیخ یوسف الدجوی) فاعتبرها الخدیوی إهانة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۷۵

و تولی کرئیس للتفتیش بوزارة العدل سنة ۱۹۱۹ ثم رئیسا لمحکمة مصر الکلیة الشرعیة سنة ۱۹۲۰ فرئیسا للمحکمة الشرعیة العلیا سنة ۱۹۲۳.

و أمر بإجراء إصلاحات هامة حیث شکل لجنة لتنظیم الأحوال الشخصیة و وجه اللجنة إلی عدم التقید بمذهب الإمام أبی حنیفة.

و أصدر عام ۱۹۲۰ قانون الأحوال الشخصیة و عدل (قانون الطلاق) و نادی بفتح باب الاجتهاد و دعا إلی (توحید المذاهب).

و حدث أنه کان ینظر قضیة کبیرة تتعلق بملایین الجنیهات و لوح له أصحابها بآلاف الجنیهات إن حکم لصالحهم و رفض فألقوا علیه ماء نار فأصاب عنقه و وصف المجرم و قبض علیه و نال العقاب.

و من المحن التی تعرض لها أن (الملک فاروق) لما طلق زوجته (الملکة فریدة) أراد أن یحرم علیها الزواج بعده. و رفض الإمام المراغی أن یصدر فتوی. بذلک. و ذهب الملک إلیه و کان یعالج فی مستشفی المواساة فقال کلمته المشهورة: (فأما الطلاق فلا أرضاه و أما التحریم فلا أملکه) و لما غلظ علیه فاروق صاح الشیخ (إن المراغی لا یستطیع أن یحرم ما أحل اللّه) و فی سنة ۱۹۲۸ م تولی مشیخة الأزهر و قام بأعمال جلیلة.

و نادی بالعنایة بحفظ القرآن و الاهتمام بدراسة علومه و دراسة السنة و حرص علی منع التعصب لمذهب، و دعا إلی دراسة الأدیان الأخری و المقارنة بینها.

- و کان من الداعین ألا- تجر البلاد إلی الحرب بین الحلفاء و المحور (فإنها حرب لا ناقة لنا فیها و لا جمل) و لما احتد علیه رئیس الوزراء خوفا من غضب انجلترا صاح به (أتهددنی و أنا شیخ الأزهر).

(إن شیخ الأزهر أقوی بنفوذه من رئیس الوزراء) (و لو شئت لا رتقیت المنبر و أثرت علیک الجماهیر حتی تجد نفسک معزولا عن الشعب).

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۷۶

و کتبت عنه (التایمز البریطانیة) (أن هذا الرجل أخطر علی بلادنا و حیاتنا من ویلات الحرب).

و کان صدیقا لمحمد محمود باشا و قد سأله السفیر البریطانی یوما (من سیفوز فی الانتخابات) قال: (الوفد) فعجب و قال: (إنی أعلم أنک صدیق لمحمد باشا محمود) فقال: (إن الصداقة لا تدفعنی للکذب و النفاق) و مات عام ۱۹۴۵.

و من مؤلفاته:

۱- الأولیاء و المحجورون (نال بها عضویة هیئة کبار العلماء).

۲- تفسیر جزء تبارک (و تکملة لتفسیر جزء عم للشیخ محمد عبده).

۳- بحث فی وجوب ترجمة القرآن الکریم.

۴- رسالة الزمالة الإنسانیة.

۵- بحوث فی التشریع الإسلامی و أسانید قانون الزواج.

۶- مباحث لغویة بلاغیة.

۷- الدروس الدینیة (مجموعة دروس و تفسیر لآیات و سور قصار).- و کتب مقالات عدة فی کثیر من الصحف و المجلات.

*** الشیخ محمد الأحمدی إبراهیم الظواهری

ولد بقریة (کفر الظواهری) بمحافظة الشرقیة سنة ۱۸۸۷ م و کان أبوه من خیرة علماء الأزهر المتصوفین و کان ذا برکات و ذاعت

شهرته كما كان زميلا (للشيخ محمد عبده).

و رغم صداقتهما فقد كان الشيخ محمد عبده يؤمن بالعقل و الفكر و لا يميل لما يجرى عليه أهل التصوف و كان يوصى بدراسة (كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى) الذى ينقى الدين.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۷۷

و أعجب الابن بالشيخ محمد عبده و لكنه لم يتخل عن تقاليد الأسرة الصوفية و احترام الأولياء و قرأ كتاب (حكم ابن عطاء اللّه السكندرى) و تأثر بهذه الحكم فزكت نفسه.

و كانت لجنة الإمتحان لنيل العالمية على رأسها (الشيخ محمد عبده) فأعجب بعلمه و هنأه و أوصاه بعدة وصايا ليظل على تفوقه.

و لما تم إنشاء المعهد الأحمدى حشد له خيرة العلماء فاختير الشيخ الظواهرى فلفت الأنظار و اتسعت حلقته و كان إلى جانب التدريس يباشر معهم الصوفية على نهج (الطريقة الشاذلية).

و لما ألف كتاب (العلم و العلماء) و دعا فيه للإصلاح وجد معارضته من (الشيخ الشربينى) الذى أوصى بحرقه (كما سبق و أن أشرنا).

ثم عين شيخا للمعهد الأحمدى سنة ۱۹۱۴ م و أنشأ عدة جمعيات للنهوض بالدعوة و الخطابة و اللغة و الرحلات و أصدر مجلة (مجلة معهد طنطا) و ألف لجنة لمراقبة سلوك الطلاب خارج المعهد و لجنة للفت أنظار الزائرين إلى البعد عن البدع و التمسح بالضريح، و نظم مكتبة الجامع الأحمدى و حشد فيها عيون الكتب و كان صديقا (للسلطان حسين) فلما تولى الحكم عينه عضوا بالمجلس الأعلى للأزهر.

- ثم شكلت لجان للنظر فى أمر الخلافة الإسلامية و دعى إلى مؤتمر بالقاهرة و ارتابت الدول الإسلامية و ظنت أن مصر تريد أن تكون لها الخلافة و عقد المؤتمر سنة ۱۹۲۶ و لكنه انفض دون أن يؤدى لشىء.

- و فى سنة ۱۹۲۵ م تجددت الدعوة للنهوض بالأزهر و كان له دور بارز.

- و فى سنة ۱۹۲۶ رأس وفد مصر لزيارة السعودية و حضور المؤتمر الإسلامى الذى دعا إليه الملك عبد العزيز، و استطاع الشيخ الظواهرى فى هذا المؤتمر أن يوفق بين أعضاء الوفود فيما يتعلق بحرية المذاهب و فى هذا

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۷۸

المؤتمر انتزع الشيخ الظواهرى قرارا أعلن فيه (وحدة مصر و السودان) و لما علم عبد الخالق ثروت بذلك قال (لم أكن أعلم أن الأزهر يخرج سفراء فى السياسة).

و تولى مشيخة الأزهر سنة ۱۹۲۹ م و سار على منهجه الذى أوضحه فى كتابه (العلم و العلماء) و كان متأثرا بفلسفة الشيخ محمد عبده و الإمام المراغى فى السير نحو الإصلاح الدينى و خطا خطوة عظيمة فى اصدار القانون سنة ۱۹۳۰ م و بمقتضاه.

- انشاء كلية الشريعة لتخريج علماء يتولون الافتاء و القضاء الشرعى.

- إنشاء كلية لأصول الدين لتخريج مدرسى الدين فى الأزهر و المعاهد الدينية و كلية اللغة العربية لتخريج مدرسين للغة العربية.

- كما اهتم بالدراسات العليا فأنشأ (تخصص الدعوة و الإرشاد) (تخصص المادة للتدريس).

- و أصدر (مجلة الأزهر) التى كانت تعرف قديما (بنور الإسلام) لتعبر عن الأزهر و تنشر الثقافة الدينية (و هى الآن تصدر بالعربية و الانجليزية).

- و كان رحمه اللّه متواضعا .. لما ناداه العلماء (بالإمام الأكبر) قال (ما أنا إلا واحد من المشايخ) و قرأ (إن أكرمكم عند اللّه أتقاكم).

و من مؤلفاته:

۱- العلم و العلماء (سبقت الإشارة إليه).

۲- رسالة الأخلاق الكبرى.

۳- خواص المعقولات فی أول المنطق و سائر العقلیات.

۵- الوصایا و الآداب.

۶- صفوة الأسالیب.

۷- حکم الحکماء.

۸- براءة الإسلام من أوهام العوام.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۷۹

۹- مقادیر الأخلاق.

*** الشیخ مصطفی بن أحمد ابن محمد بن عبد الرزاق

ولد سنة ۱۸۸۵ م (أبی جرج) تابعة لبنی مزار بمحافظة المنیا من أسرة عریقة فی الجاه و العلم و الثراء و کان جده صدیقا (لسعید باشا) و صحبه إلی (استانبول).

و أبوه کان رفیقا للشیخ محمد عبده و اشترک معه فی انشاء (الجمعیة الخیریة الإسلامیة) و حفظ القرآن و شغف بالعلم و أحب الصحافة من صغره فأنشأ مع أخواته و أقاربه صحیفة کان یطبعها (بالبالوظة) و أنشأ جمعیة (غرس الفضائل) سنة ۱۹۰۰.

ثم نشرت له الصحف العامة مقالات و بحوثا و قصائد و تأثر بفکر الشیخ محمد عبده.

و لما مات الإمام اتفق مع تلامیذه علی أن یواصلوا سیاسته الإصلاحیة و ألفوا (الجمعیة الأزهریة) و رأسها و نال العالمیة سنة ۱۹۰۸ و أنتدب للتدریس بمدرسة القضاء الشرعی و اشترک فی (جمعیة تضامن العلماء) التی تطالب بالاصلاح و غضب الخدیوی و أوعز إلی مدرسی مدرسة القضاء أن یستقیلوا منها فاستقال الشیخ مصطفی من المدرسة و ظل بالجمعیة و سافر إلی باریس سنة ۱۹۰۹ و صحبه (أحمد لطفی السید) حیث درس بالسربون تاریخ الفلسفة و ترجم کتاب (العقیدة الإسلامیة) للشیخ محمد عبده إلی الفرنسیة و عاد سنة ۱۹۱۴.

فی عام سنة ۱۹۱۵ عین موظفا فی مجلس الأزهر الأعلی و کان (السلطان حسین) معجبا بعلمه و أدبه و حسن لغته و ترجم لبنت السلطان العثمانی کتابا بالفرنسیة إلی العربیة (طیف خیال ملکی).

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۸۰

فی سنة ۱۹۱۶ عین سکرتیرا لمجلس الأزهر الأعلی و استطاع أن یتعرف علی کبار العلماء و أصبح بیته ندوة یومیة یؤمها الأدباء و الشعراء.

و فی سنة ۱۹۱۷ أنشأ رجل سویدی ما سمی (بجامعة الشعب) و ألقی فیها الشیخ مصطفی عدة محاضرات ثم انضم إلی حزب (الأحرار الدستوریین) ثم صدر قرار بتعیینه مفتشا بالمحاکم الشرعیة سنة ۱۹۲۰ م.

و فی سنة ۱۹۲۷ نقل أستاذا مساعدا فی الجامعة و لما خلا کرسی الفلسفة شغله عن جدارة و أعطی طلابه علما متجددا متفتحا ثم أختیر وزیرا للأوقاف سنة ۱۹۳۸ م.

کما عین عضوا بالمجمع اللغوی سنة ۱۹۴۰ و نال رتبة الباشویة سنة ۱۹۴۱.

و شغل منصب وزیر الأوقاف (سبع مرات) و هو ما لم یحدث لأحد و کان أول أزهری یتولی هذا المنصب.

و صدر قانون خاص له لیتولی مشیخة الأزهر سنة ۱۹۴۵ و مات سنة ۱۹۴۷.

- و کان الشیخ مصطفی عبد الرازق أول من وضع مصنفا فی العلوم الدینیة علی منهج علمی بتصنیفه (أصول الفقه).

و کان متعدد المواهب یکتب فی الفقه الحدیث و التفسیر و الفلسفة و الاجتماع و کان شاعرا مبدعا و صحفیا بارزا.

و من مصنفاته:

۱- ترجمة فرنسیة لرسالة التوحید للشیخ محمد عبده.

۲- رسائل موجزة بالفرنسیة عن الأثری الکبیر بهجت بک.

۳- رسائل موجزة بالفرنسیة عن معنی الإسلام و معنی الدین.

۴- التمهید لتاریخ الفلسفة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۸۱

۵- فیلسوف العرب و المعلم الشافی.

۶- الدین و الوحی فی الإسلام.

۷- الإمام الشافعی.

۸- الإمام الشیخ محمد عبده.

۹- مذکرات مسافر و مذکرات مقیم.

۱۰- بحث فی دراسة حیاة البهاء زهیر و شعره.

۱۱- من آثار مصطفی عبد الرازق (مجموعة مقالات و أحادیث).

۱۲- مؤلف کبیر فی المنطق.

۱۳- مؤلف کبیر فی التصوف.

۱۴- فصول فی الأدب.

۱۵- مذکراته الیومیة.

*** الشیخ محمد مأمون الشناوی

ولد فی (الزرقا) بمحافظة الدقهلیة سنة ۱۸۷۸ م و حفظ القرآن ثم رحل الی الأزهر و عاش مع أخیه (سید الشناوی) الذی سبقه للدراسة.

و ضاق فی بادیء الأمر بالمتون و الحواشی و أراد أن یعود لقریته و یعیش فلاحا و لکن والده خفف عنه حتی عاد و انتظم و ظهر نبوغه و أصبح موضع إعجاب شیوخه.

و اتصل (بالإمام الشیخ محمد عبده) و تأثر بفکره.

و قد ضایقه العلماء عند امتحان العالمیة لأنه اتهم بقرض الشعر و هی تهمة شنیعة فی ذلک الوقت و لکنه اجتازها بفضل توجیهات (الشیخ أبو الفضل الجیزاوی) سنة ۱۹۰۶.

عین مدرسا بمعهد الاسکندریة و فی عام ۱۹۱۷ تم اختیاره قاضیا شرعیا.

و اختیر فی سنة ۱۹۳۰ م شیخا لکلیة الشریعة وفی سنة ۱۹۳۴ نال

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۸۲

عضویة کبار العلماء و فی سنة ۱۹۴۴ عین وکیلا للأزهر و تولی منصب (رئاسة لجنة الفتوی).

ثم تولی المشیخة سنة ۱۹۴۸ و استقبل من رجال الأزهر بفرحة غامرة لما یعلمونه من صلاحه و تقواه و علمه.

و بدأ نشاطا واسعا لیخرج الأزهر من المحلیة الی العالمیة و عمل علی تقویة الصلات مع العالم الإسلامی و أوفد البعوث الإسلامیة.

کما أرسل نوابغ العلماء فی بعثة إلی انجلترا لاجادة اللغة ثم کلفوا بنشر الدعوة فی العالم الإسلامی.

و حرص ألا تخلوا عاصمة من معهد دینی. و سعی جاهدا حتی صدر (قانون تحریم البغاء) فی مصر الذی کان سبة و مات سنة ۱۹۵۰ م.

کان رحمه اللّه ذا موهبة فذة و شاعریة أصیلة و کانت فیه نزعة صوفیة سامیة و أسهم فی الحرکة الوطنیة ۱۹۱۹ بقلمه و لسانه و کان ینتقل بین المساجد و الکنائس و یکتب فی الصحف.

و شغلته الأحداث و مهام المناصب عن التألیف و إن کانت له مقالات متعددة جمعها تلمیذه (الدکتور محمد عبد المنعم خفاجی) فی کتابه (الاسلام و مبادئه الخالدة).

*** الشیخ عبد المجید سلیم

ولد فی قریة (میت شهالة) من أحیاء مدینة (الشهداء) منوفیة سنة ۱۸۸۲ م.

و حفظ القرآن ثم درس فی الأزهر فنبغ فی الفلسفة حتی لقب (بابن سینا).

و حضر دروس خیرة العلماء و علی رأسهم (الشیخ محمد عبده) الذی فقهه فی البلاغة و حضر دروس (الشیخ حسن الطویل) و عرف منه فنون

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۸۳

أسالیب الجدل و القیاس و درس الفقه علی فقیه عصره (الشیخ أبو خطوة).

نال شهادة العالمیة سنة ۱۹۰۸ و اشتغل بالتدریس بالمعاهد ثم بمدرسة القضاء الشرعی و عمق فکره و آراء الأئمة و اهتم بالتقریب بین المذاهب الاسلامیة.

و عمل بالافتاء و ترک تراثا رائعا لفتاوی غایة فی الجرأة و الأصالة.

و تولی مشیخة الأزهر سنة ۱۹۵۰ م و لما ضغطت الحکومة میزانیة الأزهر ثار ثورة عارمة و قال عبارته المشهورة (قصد هنا و إسراف هناک) و أعفی من المشیخة عام ۱۹۵۱ ثم عاد إلیها عام ۱۹۵۲ ثم استقال و حاول (الوزیر فتحی رضوان) فی وزارة الثورة ان یثنیه فرفض.

کان فقیها دارسا لآراء الأئمة واسع الأطلاع و لما تألفت لجنة الإصلاح فی قوانین الأحوال الشخصیة انتفعت بفکره و آرائه و لما أدلی (اللواء محمد نجیب) رئیس الجمهوریة وقتئذ بحدیث صحفی یرضی أنصار المرأة اتصل به و حمله علی تکذیب الحدیث و عمل جاهدا علی النهوض بالأزهر و رسالته عالمیا و وجه العلماء إلی وضع مؤلفات باللغات المختلفة لنشر الاسلام ورد مزاعم المستشرقین و دعا إلی ترجمة القرآن إلی اللغات الحیة.

و کتب عنه کبار العلماء و الأدباء و المفکرین یثنون علی علمه و جرأته.

و لم یترک الشیخ عبد المجید سلیم ثروة علمیة إلا فتاواه و مقالاته ..

و انتقل الی ربه فی سنة ۱۹۵۴ م.

*** الشیخ إبراهیم حمروش

ولد فی قریة (الخوالد) التابعة لمرکز (إیتای البارود) بحیرة سنة ۱۸۸۰ م.

و کان أبوه رجلا ورعا فحفظه القرآن و أرسله إلی الأزهر و أوصاه

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۸۴

بالمحافظة على الصلاة، درس على أيدى كبار العلماء (الفقه على الشيخ أبو خطوة) (و النحو على الشيخ الصالحى المالكى)، و أخذ (أسرار البلاغة عن الشيخ محمد عبده).

و أقبل على دراسته الرياضية و تفوق فيها و نال العالمية سنة ۱۹۰۶ م.

و كان (الشيخ إبراهيم الشربينى) حريصا على إنشاء جيل قوى متعمق فكان يباغت اللجان و أعجب بهذا الشاب و ظل يحاوره حتى شهد له بالكفاية.

و عمل بمدرسة القضاء الشرعى سنة ۱۹۰۸ م ثم عين قاضيا فشيخا لمعهد أسيوط ثم مفتشا بالمعاهد الدينية سنة ۱۹۲۹ و نال عضوية كبار العلماء سنة ۱۹۳۴ بعد أن عين شيخا لكلية اللغة فى سنة ۱۹۳۱ ثم عين شيخا لكلية الشريعة سنة ۱۹۴۹.

و فى سنة ۱۹۵۱ عين شيخا للأزهر فدعا إلى الجهاد و مقاومة المحتل.

و لما حاصر الانجليز الشرطة بالاسماعيلية حرض الطلاب و استشار الرأى العام العالمى لتحمل تبعاته هذه فى مواجهة هذه المآسى و لكن الملك أعفاه من منصبه سنة ۱۹۵۲ قبل قيام الثورة بقليل.

و قد عارض فضيلته كتابة المصحف بالطريقة الاملائية مخافة تحريفه و مات سنة ۱۹۶۰ م.

و من مؤلفاته:

۱- عوامل نمو اللغة (و نال به عضوية كبار العلماء).

۲- فصول عديدة و دراسات قيمة.

۳- و له مقالات و أبحاث عديدة نشرتها الصحف.

*** الشيخ محمد الخضر حسين

ولد بمدينة (نفطة) بتونس سنة ۱۲۹۳ ه و أسرته كريمة أصلها من

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۸۵

الجزائر و تنتمى إلى أسرة (الأدراسة) التى كونت دولة بالمغرب.

حفظ القرآن و التحق بجامع الزيتونة سنة ۱۸۸۹ م و هو يشبه (الجامع الأزهر) و نال شهادة العالمية سنة ۱۳۱۷ ه و فى سنة ۱۳۲۴ ه ولى قضاء بنزرت و منطقتها و التدريس و الخطابة بجامعها و عاد إلى جامع الزيتونة حيث نظم كتبه و اشترك فى تأسيس (الجمعية الزيتونية).

و كان شاعرا مجيدا نظم روائع القصائد و ندد بالاستعمار الفرنسى.

و لما قامت الحرب بين الطليان و العثمانيين رحل إلى الجزائر و ألقى بها دروسه العظيمة.

ثم أكرهه الاستعمار على أن يرحل إلى (مصر و دمشق و مكة) و فى مصر تعرف (بالشيخ رشيد رضا) و وصل إلى دمشق فعين مدرسا للغة العربية فى المدرسة السلطانية سنة ۱۹۱۲ ثم سافر إلى الآستانة و أمضى فيها وقتا و لكنه هجرها و رحل.

و رحل إلى (برلين) سنة ۱۳۳۲ ه و أجاد الألمانية ثم عاد إلى الآستانة و ضاق بها فرحل إلى دمشق فأعتقله حاكمها سنة ۱۳۳۴ و نال ألوان العذاب و رحل إلى ألمانيا فالتقى بزعماء الحركة الإسلامية من أمثال (الدكتور عبد الحميد سعيد، و عبد العزيز جاويش) و هكذا لا يستقر به الحال فى بلد حتى يرحل إلى آخر إلى ان استقر فى مصر سنة ۱۳۳۹ و ألف رسالته القيمة (الخيال فى الشعر العربى) ثم تجنس بالجنسية المصرية و نال شهادة العالمية.

ثم أسس جمعية (تعاون جاليات أفريقيا الشمالية) و كان دائب الحركة يحاضر و يسطر المقالات و يكتب البحوث.

و فى سنة ۱۳۴۴ ه ظهر كتاب (أصول الحكم) للشيخ على عبد الرازق و أحدث ثورة و تصدى له (الشيخ الخضر) و نقده نقدا شديدا و

فند آراءه ثم تصدی لکتاب طه حسین (فی الشعر الجاهلی) سنة ۱۳۴۵ و قسا

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۸۶

علیه و أرجع آراءه إلی أساتذته المستشرقین ثم تولی رئاسة تحریر مجلة الأزهر سنة ۱۳۴۹ ه و عین أستاذا بکلیة أصول الدین فأفاد طلابه و جمع مجموعة رسائل فی کتاب أسماه (رسائل الإصلاح).

و اشترک فی کثیر من لجان المجمع اللغوی و فی سنة ۱۳۷۰ ه نال عضویة جماعة کبار العلماء برسالته (القیاس فی اللغة العربیة).

و تولی مشیخة الأزهر سنة ۱۳۷۱ ه و لکنه استقال لعدة أسباب سنة ۱۳۷۳ ه و لقی ربه سنة ۱۳۷۷ ه سنة ۱۹۵۸ م.

و من مؤلفاته:

۱- رسائل الإصلاح (فی ثلاثة مجلدات) أبرز فیها مناهج الدعوة الإسلامیة.

۲- الخیال فی الشعر الغربی.

۳- القیاس فی اللغة العربیة.

۴- دیوان شعر (خواطر الحیاة).

۵- نقض کتاب (الإسلام و أصول الحکم).

۶- نقض کتاب (فی الشعر الجاهلی).

۷- آداب الحرب فی الإسلام.

۸- أبحاث و مقالات عدیدة نشرتها مجلة الأزهر و لواء الإسلام و الهدایة الإسلامیة.

۹- تعلیقات علی کتاب الموافقات للشاطبی.

*** الشیخ عبد الرحمن تاج

ولد بأسیوط سنة ۱۸۹۶ م فحفظ القرآن و انتقلت أسرته إلی الإسکندریة فدخل المعهد الدینی و نال شهادة العالمیة سنة ۱۹۲۳.

التحق بقسم التخصص للقضاء الشرعی و نال شهادة التخصص سنة

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۸۷

۱۹۲۶ و عین مدرسا فی معهد أسیوط الدینی ثم نقل إلی معهد القاهرة و فی سنة ۱۹۳۳ عین مدرسا بقسم تخصص القضاء.

و فی سنة ۱۹۳۵ عین عضوا بلجنة الفتوی للمذهب الحنفی.

و فی سنة ۱۹۳۶ وقع الاختیار علیه لیکون عضوا فی بعثة الأزهر فرحل إلی السربون و رغم قیام الحرب فقد واصل الدراسة فی ظروف قاسیة و نال الدکتوراه عن بحثه القیم (البابیة و الإسلام) و البابیة أساس البهائیة.

و عاد من باریس سنة ۱۹۴۳ و عین مدرسا بکلیة الشریعة ثم مفتشا للعلوم الدینیة ثم عین شیخا للقسم العام و البحوث الإسلامیة بالأزهر.

و نال عضویة کبار العلماء سنة ۱۹۵۱ ببحثه القیم (السیاسة الشرعیة).

ثم أختیر أستاذا للشریعة الإسلامیة بکلیة الحقوق و عضوا فی لجنة الدستور ثم عین شیخا للأزهر سنة ۱۹۵۴.

و من أهم أعماله أنه قرر تدریس اللغات بالأزهر و عنی بالإصلاحات الإداریة و فی عهده سعی لبناء مدینة البعوث الإسلامیة لسکنی طلاب العالم الإسلامی بدل الأروقة و کان أول من أدخل التربیة العسکریة فی الأزهر.

و عین عام ۱۹۵۸ وزیرا فی اتحاد الدول العربیة.

و واصل الکتابة فی الصحف و أصدر عدة بحوث هامة فی تفسیر القرآن الکریم و طاف بکثیر من بلاد العالم الإسلامی.

و توفی سنة ۱۹۷۵ م.

و من مصنفاته:

۱- البابیة و علاقتها بالإسلام بالفرنسیة.

۲- السیاسة الشرعیة (فی الفقه الإسلامی).

۳- الأحوال الشخصیة فی الشریعة الإسلامیة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۸۸

۴- مذکرة فی الفقه المقارن.

۵- تاریخ التشریع الإسلامی.

۶- مناسک الحج و حکمها.

۷- الاسراء و المعراج.

۸- حکم الربا فی الشریعة الإسلامیة.

۹- شرکات التأمین من وجهة النظر الإسلامیة.

۱۰- بحوث فی اللغة العربیة متعددة.

۱۱- من الدراسات اللغویة فی بعض الآیات القرآنیة.

۱۲- بحوث فی بعض الآیات القرآنیة من الناحیة العلمیة.

*** الشیخ محمود شلتوت

ولد فی (مدینة منصور) من أعمال مرکز أیتای البارود بحیرة سنة ۱۸۹۳ و حفظ القرآن و دخل معهد الإسکندریة و التحق بالکلیات الأزهریة و نال العالمیة سنة ۱۹۱۸ م ثم عین مدرسا بمعهد الإسکندریة سنة ۱۹۱۹ م و شارک فی أعمال الثورة بقلمه و لسانه و جرأته ثم نقله الإمام المراغی مدرسا بالقسم العالی لعلمه الغزیر و ناصر حرکة الإصلاح فی الأزهر و فصل من منصبه فاشتغل بالمحاماة ثم عاد للأزهر سنة ۱۹۳۵ م.

ثم اختیر عضوا فی الوفد الذی حضر (مؤتمر لاهای) للقانون الدولی المقارن سنة ۱۹۳۷ و ألقی بحثا قیما تحت عنوان (المسئولیة المدنیة و الجنائیة فی الشریعة الإسلامیة) و نال البحث استحسان أعضاء المؤتمر فأقروا صلاحیة الشریعة الإسلامیة للتطور و اعتبروها مصدرا من مصادر التشریع الحدیث و أنها أصیلة و لیست مقتبسة من غیرها من الشرائع الوضعیة و لا متأثرة بها و قرر المؤتمر أیضا اعتبار (اللغة العربیة) لغة رسمیة من لغات المؤتمر و أن یدعی فی المؤتمر القادم أکبر عدد من علماء الشریعة الإسلامیة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۸۹

و بهذا البحث نال (عضویة جماعة کبار العلماء).

و نادی بتکوین مکتب علمی للرد علی مفتریات أعداء الإسلام و تنقیة کتب الدین من البدع و الضلالات و کانت مقدمة لإنشاء مجمع البحوث الإسلامیة.

و فی سنة ۱۹۴۶ عین عضوا فی مجمع اللغة العربیة و انتدبته الجامعة لتدریس فقه القرآن و السنة لطلبة دبلوم الشریعة الإسلامیة بکلیة الحقوق.

و فی سنة ۱۹۵۰ عین مراقبا عاما لمراقبة البحوث الإسلامیة فوثق الصلات بالعالم الإسلامی.

و فی سنة ۱۹۵۷ اختیر سکرتیرا عاما للمؤتمر الإسلامی ثم عین وکیلا للأزهر.

و فی سنة ۱۹۵۸ صدر قرار بتعیینه شیخا للأزهر.

و قد سعی جاهدا إلی التقریب بین المذاهب الإسلامیة.

و رحل إلی کثیر من بلاد العالم الإسلامی و لاقی کل إجلال.

و سعی جاهدا للإصلاح بالأزهر و صدر القانون فی سنة ۱۹۶۱.

و دخلت العلوم الحدیثة للأزهر و انشئت کلیات متعددة و ارتفعت مکانة شیخ الأزهر و وجد کل إجلال و تقدیر من القادة.

و ترک الشیخ مؤلفات عدة منها:

۱- فقه القرآن و السنة.

۲- مقارنة المذاهب.

۳- یسألونک (و هی إجابات عن أسئلة فی شتی الموضوعات).

۴- منهج القرآن فی بناء المجتمع.

۵- المسئولیة المدنیة و الجنائیة فی الشریعة الإسلامیة.

۶- القرآن و القتال.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۹۰

۷- القرآن و المرأة.

۸- تنظیم العلاقات الدولیة فی الإسلام.

۹- الإسلام و الوجود الدولی للمسلمین.

۱۰- تنظیم النسل.

۱۱- رسالة الأزهر.

۱۲- إلی القرآن الکریم.

۱۳- الإسلام عقیدة و شریعة.

۱۴- من توجیهات الإسلام.

۱۵- الفتاوی.

۱۶- تفسیر القرآن الکریم (العشرة أجزاء الأولی).

و توفی رحمه اللّه سنة ۱۳۸۳ ه.

*** الشیخ حسن مصطفی

ولد بالقاهرة فی سنة ۱۸۹۴ و کان والده شیخا لمسجد الفتح بقصر عابدین الذی یصلی فیه الملک و حفظ القرآن الکریم و اتجه إلی المعهد الدینی ثم مدرسة القضاء الشرعی و تخرج سنة ۱۹۱۸ و أتقن اللغة الفرنسیة.

فی سنة ۱۹۱۹ عین موظفا قضائیا بمحکمة الزقازیق الشرعیة ثم انتقل لمحکمة القاهرة الشرعیة سنة ۱۹۲۰ و رقی بعد ذلک إلی قاض و تنقل بین عدة محاکم إلی أن ارتقی إلی منصب قاض عام سنة ۱۹۳۹ ثم صدر مرسوم ملکی بتعیینه قاضیا لقضاة السودان سنة ۱۹۴۱.

و کانت له مواقف وطنیة أغضبت الانجلیز ثم تمت ترقیته إلی عضو بالمحکمة الشرعیة العلیا سنة ۱۹۴۷ ثم عین مفتیا سنة ۱۹۵۵ ثم عین شیخا للأزهر سنة ۱۹۶۴.

و ظل حریصا علی إلقاء دروسه علی طلاب قسم التخصص بکلیة الشریعة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۹۱

و کان عالما فقیها و قاضیا نزیها.

و أشرف علی إصدار الموسوعة الفقهیة الکبری و کتب بعض موادها.

و مات سنة ۱۹۷۳ م.

و قد وقف من الإستعمار مواقف کریمة فناهضه فی السودان و قاوم قیام دولة إسرائیل و شارک فی مقاومة الاحتلال و ناشد (الملک السنوسی) ألا یسمح بأقامة قواعد استعماریة عسکریة علی أرضه لأنها خنجر مصوب لمصر و لما دبرت إسرائیل حرق المسجد الأقصی وجه الإمام نداء لکل المسلمین یدعو فیه للجهاد.

و أصدر مجموعة من الفتاوی القیمة نقی بها الإسلام من البدع و الخرافات.

و من مصنفاته:

۱- الفتاوی. الأزهر فی ألف عام ؛ ج۲ ؛ ص۳۹۱

دراسات و أبحاث فقهیة متنوعة نشرها أو راجعها.

۳- السیرة العطرة.

۴- الجهاد فی الإسلام.

۵- تفسیر لقصار السور.

*** الشیخ محمد محمد الفحام

ولد (برمل الإسکندریة) فی سنة ۱۸۹۴ و حفظ القرآن و التحق بمعهد الإسکندریة الدینی و ولع إلی جانب العلوم الدینیة بالعلوم الأخری (علم المنطق و علم الجغرافیا) ثم نال العالمیة فی سنة ۱۹۲۲ و من العجیب أنه تفوق فی الریاضیات لدرجة أنه اشتغل مدرسا للریاضیات إلی جانب العلوم الدینیة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۹۲

و فی سنة ۱۹۳۵ نقل إلی کلیة الشریعة لتدریس المنطق.

و فی سنة ۱۹۳۶ رحل إلی فرنسا و معه زوجته و أبناؤه فی بعثة تعلیمیة و لکن الحرب شبت و لم یستطع العودة و عانی ویلات الحرب و مطالب الدراسة و نال دبلوم مدرسة اللغات الشرقیة الحیة فی الأدب العربی سنة ۱۹۴۱.

و نال شهادة الدکتوراه من السربون و کان موضوع الرسالة (إعداد معجم عربی فرنسی للمصطلحات العربیة فی علمی النحو و الصرف) و نال تقدیر الأساتذة المستشرقین و عاد من فرنسا و عمل مدرسا بکلیة الشریعة ثم نقل إلی کلیة اللغة العربیة للأدب المقارن و للنحو و الصرف.

و اشترک سنة ۱۹۴۷ فی لجنة المؤتمر الثقافی العربی الأول المنعقد فی بیت مرعی فی لبنان أجاد جمیع اللهجات السوریة و اللبنانیة ثم زار نیجیریا سنة ۱۹۵۱ و هی أکبر دولة إسلامیة و أمضی فیها خمسة أشهر و قابل علماءها ثم سنة ۱۹۵۲ زار الباکستان ثم صدر تعیینه عمیدا لکلیة اللغة العربیة سنة ۱۹۵۹ و اشترک فی وضع منهج تدریس اللغة العربیة فی باکستان.

ثم سافر إلی موریتانیا سنة ۱۹۶۳ لدراسة أحوال المسلمین هناک.

و شارک فی المؤتمر الإسلامی التمهیدی فی باندونج سنة ۱۹۶۴.

و فی سنة ۱۹۶۷ زار الجزائر و لیبیا و إسبانیا و فی سنة ۱۹۷۱ زار إیران.

و قد نصب شیخا للأزهر فی سنة ۱۹۶۹ م.

و فی سنة ۱۹۷۲ عین عضوا فی مجمع اللغة العربیة ثم أعفی من منصب المشیخة لاعتلال صحته سنة ۱۹۷۳.

و من مؤلفاته:

۱- رسالة الموجهات فی المنطق (ألفها و هو طالب).

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۹۳

۲- سیبویه و آراؤه.

۳- مقالات عدیدة فی مجلة المعرفة.

۴- المسلمون و استرداد بیت المقدس.

۵- محاضرات ألقاها فی معهد الدراسات العلیا للشرطة.

*** الشیخ عبد الحلیم محمود

ولد فی مدینة (أبو حمد) تابعة لبلبیس شرقیة سنة ۱۹۱۰.

نشأ فی أسرة متدینة مشهورة بالکرم و حفظ القرآن الکریم و التحق بالأزهر و لما فتح معهد الزقازیق التحق به کما التحق بمعهد المعلمین و نجح فی المعهدین معا ثم رحل إلی القاهرة حیث نال العالمیة سنة ۱۹۳۲ و کان رحمه اللّه عالما إسلامیا کبیرا فسیح الآفاق بعید الأغوار متصوفا زاهدا و جمع بین الثقافة العربیة و الثقافة الغربیة حین رحل إلی السربون و ظل فی فرنسا ملتزما بالآداب الإسلامیة و التقالید العربیة و آثر أن یدرس تاریخ الأدیان و استعد للدکتوراه فی التصوف الإسلامی و اختار شخصیة (الحارث بن أسد المحاسبی) و کان بینهما تشابه فی المسلک الصوفی و کلاهما یری أن الکتاب و السنة هما أساس المسلک الصوفی.

و فی أثناء الدراسة قامت الحرب و آثر البقاء حتی نال الدکتوراه سنة ۱۹۴۰ فی ظروف صعبة بعد انقطاعه عن الوطن و قررت الجامعة الفرنسیة طبع الرسالة علی نفقتها و هو شرف لم ینله إلا القلیل.

و حاول العودة إلی مصر و لکن الطرق کانت مغلقة و ما زال ینتقل من بلد إلی بلد حتی اضطر أن یلف حول رأس الرجاء الصالح إلی أن وصل بعد عام.

بدأ مدرسا بکلیة اللغة ثم نقل أستاذا بکلیة أصول الدین سنة ۱۹۵۱ فعمیدا للکلیة سنة ۱۹۶۴ و قد ألزم الطلبة بحفظ القرآن الکریم.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۹۴

و وضع القواعد لمجمع البحوث الإسلامیة و ظل حریصا علی نشر الإسلام عالمیا و إعداد الکفایات القادرة علی توصیل الدعوة الإسلامیة و شکل عدة لجان هامة للنهوض بهذه الرسالة و منها:

لجنة بحوث القرآن الکریم:

لوضع تفسیر وسیط مبسط لمعانی القرآن.

لجنة السنة النبویة:

لوضع موسوعة مفهرسة للسنة النبویة.

لجنة المسجد الأقصی:

لجمع کل ما یفید القضیة الفلسطینیة.

لجنة التعریف بالإسلام:

للرد علی خطط التبشیر المعاصر.

لجنة إحیاء التراث الإسلامی:

لكشف النقاب عن أمهات الكتب.

لجنة البحوث الفقهية:

لمواجهة كل ما استجد فى هذا العصر.

لجنة الحضارة و المجتمعات الإسلامية:

لحصر العالم الإسلامى و بيان الاستفادة من مواقعه.

لجنة العقيدة و الفلسفة:

لدراسة التحديات و الانحرافات فى العقيدة و الفلسفة.

لجنة دائرة المعارف الإسلامية:

لوضع دائرة على نسق دائرة المعارف البريطانية و فى سنة ۱۹۷۰ صدر قرار بتعيينه وكيلا للأزهر و قام برحلات متعددة فى الداخل و الخارج و كان

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۹۵

يلقى كل الحفاوة و التكريم أينما حل و التقى بشخصيات عالمية كبيرة مثل (الرئيس كارتر) (وفالدهايم سكرتير الأمم المتحدة).

و ساعده فى لقاءاته هذه إجادته للفرنسية و الانجليزية.

ثم تولى وزارة الأوقاف و أخيرا مشيخة الأزهر سنة ۱۹۷۳ و كأنما أعدته العناية الالهية ليكون عالما دارسا باحثا و مؤلفا و مصنفا و مصلحا اجتماعيا كبيرا و حاول تحقيق أهدافه و تحرك فى كل اتجاه ينشىء المدارس و المعاهد الدينية و يقيم المساجد و ينادى بالبذل و إقامة المؤسسات الإسلامية بالجهود الذاتية تخفيفا عن الدولة.

و نادى بأن ترد الأوقاف للأزهر حتى يستطيع أن ينهض برسالته.

و دعا إلى تطبيق الشريعة الإسلامية و أن فيها النجاة من براثن الاستعمار و الدواء من أمراض العصر و نادى أيضا بالدفاع عن اللغة العربية و النهوض بها حتى لا يستعجم اللسان العربى و تنفصل الأمة عن كتاب ربها الذى لا يفهم إلا بالعربية.

و سعى للصلح بين الدول العربية المتنازعة و دعا إلى وحدة الصف و ناشد حكام العالم العربى خاصة و الإسلامى عامة أن يرأبوا الصدع و أن ينبذوا الخلاف فيما بينهم لتعود للأمة الإسلامية قوتها و تستطيع أن تواجه الأخطار المحدقة بها.

و هاجم الشيوعية و حذر من شرورها و خطورة الالحاد الذى يهدم الأمم.

و لم تغب عنه أحداث العصر فكان يصدر بيانا فى كل مناسبة و يستخدم المنطق فى ذلك و واجه الفتنة الطائفية بحزم و أوضح أن الاسلام يحمى أهل الأديان الأخرى و أن الأقليات تتمتع بحقوقها كاملة على سيادة الوطن.

و حرص أن تكون لشيخ الأزهر هيبته فهو الإمام الأكبر و صاحب الرأى

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۳۹۶

فى كل ما يتصل بالشئون الدينية و المشتغلين بالقرآن و علوم الإسلام و له الرسالة و التوجيه فى كل ما يتضمن الدراسات الإسلامية فى الأزهر و هيئاته و يرأس المجلس الأعلى للأزهر.

و كان جريئا يكتب دون خوف على منصبه أو حرص على مكاسب أو محالاة فى الحق و عرف بصراحته و صدقه مما جعله موضع احترام الجميع و هاجم كل من يريد المساس بالشريعة أو أن يبدل الحلال حراما أو يعبث بالمقدسات الدينية.

و قد حرص أيضا على أن يكون أسوة حسنة و يعلن أن النبى ما نجح فى دعوته إلا بالقدوة و لهذا كان زاهدا عابدا متفانيا فى خدمة الإسلام و عرض فى مؤلفاته لمجموعة من الرجال الذين اعتز بهم الإسلام و خلدهم التاريخ و خلف ثروة طائلة من التراث الدينى.

و لحق بالرفيق الأعلى فى سنة ۱۹۷۸.

و من مؤلفاته:

۱- الحارث بن أسد المحاسبی بالفرنسیة.

۲- وازن الأرواح- مترجم عن الفرنسیة.

۳- الفلسفة الیونانیة- مترجم عن الفرنسیة.

۴- المشکلة الأخلاقیة و الفلسفیة- مترجم عن الفرنسیة.

۵- الأخلاق فی الفلسفة الحدیثة- مترجم عن الفرنسیة.

۶- محمد رسول اللّه- مترجم عن الفرنسیة.

۷- الفیلسوف المسلم- دینیة.

۸- التصوف عند ابن سینا.

۹- أوربا و الإسلام.

۱۰- فلسفة ابن طفیل و رسالته.

۱۱- الرسول صلی اللّه علیه و سلم.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۹۷

۱۲- التوحید الخالص أو الإسلام و العقل.

۱۳- السنة فی تاریخها و فی مکانها.

۱۴- الإیمان.

۱۵- أسرار العبادات فی الإسلام.

۱۶- التصوف الإسلامی.

۱۷- التفکیر الفلسفی فی الإسلام.

۱۸- جهادنا المقدس.

۱۹- القرآن و النبی.

۲۰- الإسلام و الإیمان.

۲۱- العبادة.

۲۲- المدرسة الشاذلیة الحدیثة.

۲۳- الاسراء و المعراج.

۲۴- شهر رمضان کیف یستقبله المسلمون.

۲۵- و تناول فی کتب عدة مشاهیر رجال الصوفیة.

۲۶- و حقق نحو خمسین کتابا فی التراث.

۲۷- فی رحاب الکون.

۲۸- القرآن فی شهر القرآن.

۲۹- الإسلام و الشیوعیة.

۳۰- دلائل النبوة و معجزات الرسول.

*** الشیخ محمد عبد الرحمن بیصار

ولد بمدینة (السالمیة) من أعمال مرکز فوه التابع لکفر الشیخ سنة ۱۹۱۰ م.

حفظ القرآن و التحق بمعهد دسوق الدینی ثم التحق بمعهد طنطا و التحق بکلیة أصول الدین و نال العالمیة سنة ۱۹۳۹ ثم نال درجة الأستاذیة

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۹۸

فی (العقیدة و الفلسفة) سنة ۱۹۴۵ و تم تعیینه مدرسا فی سنة ۱۹۴۹ رحل فی بعثة إلی إنجلترا و درس فی جامعة کمبردج ثم استقر فی جامعة أدنبرة.

و نال الدکتوراه بتفوق فی الفلسفة مع الترکیز علی (حجة الإسلام الغزالی) و الفیلسوف الفرنسی (دیکارت) و کلاهما اتخذ الشک وسیلة للیقین.

و عاد أستاذا فی سنة ۱۹۵۵ بکلیة أصول الدین ثم رشحته مواهبه لیکون مدیرا للمرکز الإسلامی بواشنطن و استطاع أن یحظی بالاحترام من کل الطوائف و عاد سنة ۱۹۵۹ إلی کلیة أصول الدین ثم رأس البعثة التعلیمیة بلیبیا سنة ۱۹۶۳.

ثم عین أمینا عاما للمجلس الأعلی للأزهر مما أتاح له المشارکة و التوجیه و تحقیق الأهداف ثم عین سنة ۱۹۷۰ أمینا عاما لمجمع البحوث الإسلامیة فحرص علی أن یجدد الثقافة الإسلامیة و أن یجردها من الشوائب و آثار التعصب السیاسی و المذهبی.

ثم عین وکیلا للأزهر سنة ۱۹۷۴ و ساعد الدکتور عبد الحلیم محمود فی کل ما یعن له.

ثم عین وزیرا للأوقاف سنة ۱۹۷۸ و شیخا للأزهر سنة ۱۹۷۹.

و لما کان یجید الفرنسیة و الانجلیزیة فقد أطل علی الثقافة الأوروبیة و غذی علوم الإسلام و هو الذی نظم الدراسات العلیا بجامعة أم درمان الإسلامیة.

کان حییا شدید التواضع مبتسما و هو إداری من الطراز الأول منظم الفکر.

و عرض علی المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامیة سنة ۱۹۷۰ و الذی یضم خیرة علماء المسلمین بحثا فیاضا حول (إثبات العقائد الإسلامیة بین السنیین و العقلیین).

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۳۹۹

و کما عنی بالدراسة الفلسفیة فقد عنی بالسلوک و ألقی محاضرات قیمة فی هذا.

و من مؤلفاته:

۱- الوجود و الخلود فی فلسفة ابن رشد.

۲- العقیدة و الأخلاق فی الفلسفة الیونانیة.

۳- الحقیقة و المعرفة علی نهج العقائد النسفیة.

۴- تأملات فی الفلسفة الحدیثة و المعاصرة.

۵- العالم بین القدم و الحدوث.

۶- الإسلام بین العقائد و الإیمان.

۷- الإسلام و المسیحیة.

۸- رسالة (بالانجلیزیة) عن الحرب و السلام فی الإسلام.

۹- رجلان فی التفکیر الإسلامی.

هذا عدا ما نشر من مقالات و بحوث فی مجلات علمیة.

*** الشیخ جاد الحق علی جاد الحق

ولد ببلدة (بطرة) مرکز طلخا بمحافظة الدقهلیة سنة ۱۹۱۷.

حفظ القرآن الکریم و التحق بالمعهد الأحمدی بطنطا و درس المذهب الحنفی.

و التحق بکلیة الشریعة و نال العالمیة سنة ۱۹۴۳.

و دخل تخصص القضاء الشرعی و نال إجازته سنة ۱۹۴۵.

و قد عین موظفا بالمحاکم الشرعیة فأمینا للفتوی بدار الإفتاء المصریة

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۰۰

بدرجة (موظف قضائی) ثم مستشارا بمحاکم الاستئناف فمفتشا أولا بوزارة العدل ثم عین مفتیا للدیار المصریة سنة ۱۹۷۸ و عضوا بمجمع البحوث الإسلامیة سنة ۱۹۸۰.

و ظل مفتیا حتی اختیر وزیر دولة للأوقاف سنة ۱۹۸۲ ثم شیخا للأزهر فی نفس العام.

مکانته العلمیة:

- أصدر أحکاما قضائیة استندت إلی البحوث فی الشریعة.

- کما أصدر مجموعة من الفتاوی الهامة فی کل مجالات الشریعة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۰۱

بعض الزعماء من الأزهر

۱- الزعیم أحمد عرابی تلقی تعلیمه الأزهری ثم التحق بالجیش و قاد نورة کبری ما زال صداها یرن فی أذن التاریخ و کانت مقدمة للثورات الکبری فی المنطقة.

۲- الزعیم الوطنی سعد زغلول الذی درس فی الأزهر و تأثر بفکر الامامین الجلیلین (جمال الدین لأفغانی و الشیخ محمد عبده) و کان قائد ثورة ۱۹۱۹ و خطیبها المفوه و وصل إلی رئاسة الوزراء و أسس (حزب الوفد).

۳- السید/ محمد صدیق خان بن حسن البخاری القنوجی أمیر بهوبال درس بالأزهر و کان منتسبا لرواق البخاریة ثم عاد إلی امارته فأصلح شئونها و أقام فیها المعاهد العلمیة و المجالس الثقافیة و تزویج ملکة بهوبال و حکم المملکة و اشتغل بالتألیف و الدراسة و ترک أکثر من سبعین کتابا و توفی عام ۱۳۰۷ ه.

۴- الأمیر محمد بن علی الادریسی مؤسس دولة الادارسة فی (صبیا و عسیر) بالیمن تعلم بالأزهر ثم عاد إلی الیمن و استولی علی اقلیم صبیا و استولی علی الحدیدة و توفی عام ۱۳۱۱ ه.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۰۲

۵- الشیخ محمد بن عبد اللّه بن حسن الشهیر بالملا الصومالی ..

و لما عاد للصومال عمل علی توحید القبائل الصومالیة و فی سنة ۱۸۹۷ نزلت البعثات التبشیریة إلی الصومال فقاد الکفاح ضد الاستعمارین الانجلیزی و الایطالی و نال انتصارات عظیمة و ظل یناضل حتی مات ۱۹۲۱ م و لم یشغله الکفاح عن التألیف و أصدر عدة رسائل کان أشهرها (مباحث المنافقین) و سجل فیها کیف (تعاون الانجلیز و الفرنسیون و الایطالیون و القبائل المرتدة) ضده.

۶- المجاهد الکبیر السید عبد القیوم الرئیس الحالی لجمهوریة جزر ملدیف الواقعة جنوب غربی جزیرة سیلان (سیریلانکا) بالمحیط

الهندی.

۷- الزعیم الجزائری هواری بومدین الذی درس فی الأزهر و قاد الکفاح ضد الاستعمار الفرنسی حتی تحررت بلاده و تولی رئاسة الجمهوریة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۰۳

الأزهر الجامعة الإسلامیة الکبری

-۱-

نستطیع أن نقول: إن أقدم الجامعات الإسلامیة هی الحلقات العلمیة التی کانت تنعقد فی مسجد رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی عهد صاحب الرسالة العظمی بعد هجرته إلی المدینة المنورة صلی اللّه علیه و سلم، و فی مختلف العصور الإسلامیة حتی العصر الحدیث.

و قد قامت الحلقات العلمیة فی المسجد الحرام بعد فتح مکة فی العام الثامن للهجرة النبویة، و تصدرها کبار الصحابة ثم التابعون من بعدهم، ثم تابعوا التابعین، و استمرت هذه الحلقات تؤدی رسالتها فی خدمة الثقافة الإسلامیة، و الفکر الإسلامی، و شباب المسلمین، فی مختلف العصور حتی العصر الحدیث، و کانت هذه الحلقات العلمیة تشکل ثانی جامعة إسلامیة کبری.

ثم بعد أن بنیت الفسطاط و بنی فیها جامع الفتح، الذی سمی تاج الجوامع، أو جامع عمرو بن العاص، لم یلبث أن قامت فیه حلقات علمیة کبیرة، کان منها مثلا حلقة عبد اللّه بن عمرو بن العاص، ثم حلقة اللیث بن سعد، و حلقة الإمام الشافعی، و غیرهم، فکانت هذه الحلقات العلمیة تشکل ثالث جامعة إسلامیة کبیرة فی بلاد الإسلام.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۰۴

و قبل انشاء الأزهر کان جامع عمرو هو المکان المختار لالقاء الدروس العلمیة، فقد کان مرکزا اتخذه الصحابة و التابعون لنشر الدین و العلم و لاقامة الحلقات العلمیة فیه، و أخذت الحرکة العلمیة فی هذا المسجد تنمو و تتسع حتی أمه الکثیر من العلماء و الاعلام الذین ترکوا ثروة جلیلة من الکتب و التألیف، کما کان لتلک الحلقات فضل اخراج عدد کبیر من الفقهاء و المحدثین حتی أوائل القرن الرابع الهجری، و أشهر هؤلاء عبد اللّه بن عمرو بن العاص و عبد اللّه بن وهب و سعید بن الصلت و یحیی بن أزهر سعید بن عبد الرحمن.

و کانت الدراسة فی أول أمرها دراسة دینیة فقهیة قامت فی الزوایا التی أنشئت علی مر السنین بالجامع العتیق. و أشهر تلک الزوایا، زاویة الامام الشافعی التی کان الناس یهرعون إلیها لسماع شروح الامام و محاضراته و التی تخرج فیها عدد من أعظم الفقهاء و العلماء فی ذلک العهد. ثم بنی محمد الدین أبو المحاسن الأزدی البهنسی الشافعی وزیر الملک الأشرف موسی بن العادل أیوب، زاویة سمیت الزاویة المحمدیة، و رتب فی تدریسها قاضی القضاة وجیه الدین عبد الوهاب البهنسی و أوقف علیها عدة أوقاف بمصر و القاهرة، ثم الزاویة الصاحبیة التی أنشأها صاحب التاج محمد بن فخر الدین، و جعل لها مدرسین احدهما مالکی و الآخر شافعی و جعل علیها وقفا بظاهر، ثم حذا حذوه کثیر من الأمراء و ذوی الیسار المهتمین بالعلم، فما وافی عام ۷۴۹ ه حتی زادت حلقات جامع عمرو علی الأربعین حلقة.

و کانت هذه الحلقات العامة و الخاصة منها تؤدی رسالتها، فالعامة منها ما کان یقام یومیا بجامع عمرو، و الخاصة فی یوم الجمعة الذی کانت حلقته تفوق حلقات بقیة الأیام أهمیة، اذ کان یوم الجمعة هذا یعد موسما علمیا هاما، یهرع الناس فیه لسماع أکبر عدد من الفقهاء و الشعراء و الأدباء و هم یتناقشون و یتباحثون فی الفقه و اللغة و یتطارحون الشعر و یروون الأخبار.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۰۵

أما الحلقات الخاصة فهی التی کانت تعقد فی منازل أکابر العلماء و الفقهاء حیث کانوا یجتمعون بتلامیذهم و أصدقائهم یقرأون علیهم بعض شروح الفقه الاسلامی و بعض کتب العبادات و یروون بعض الأشعار. و قد تألفت بعض تلک الحلقات، اشتهر منها حلقة بیت عبد اللّه بن الحکم الفقیه المالکی و ولدیه عبد الرحمن و محمد و کانوا من أنبغ الفقهاء المحدثین حتی أوائل القرن الثالث. و کانت حلقاتهم موضع التقاء أکابر العلماء و الأدباء المعاصرین الذین کانوا یفدون علی مصر من مختلف الأقطار، فما أن وفد الامام الشافعی إلی مصر، حتی وجد من تلک الأسرة کل عنایة و رعایة و إکرام. فلما أقام حلقته فی جامع عمرو، کانوا هم أول من شجعه و حضر درسه.

و ظل التدریس فی جامع عمرو علی هذا المنوال عامر الحلقات، و موضعا لنشر العلم و التعلیم مدة طویلة، و اقتفی أثره کثیر من الجوامع الشهیرة کجامع أحمد بن طولون، فلم یأت القرن الرابع حتی کان العلم فی جامع عمرو قد وصل إلی مرحلة مثلی بفضل من کان یؤمه من أقطاب الفقه و اللغة، و أشهرهم أبو القاسم بن قدید و تلمیذه الکندی الذی ترک کتابا عظیما فی تاریخ ولاة مصر و من تولی قضاءها- و أبو القاسم بن طباطبا الحسنی الشاعر.

فلما أن کان عصر الأمیر محمد بن طغج الأخشیدی، أصبحت مجالس الدراسة و الحلقات الأدبیة الخاصة من تقالید الحیاة الرفیعة، و قد لقیت العلوم و الآداب، بفضل هذا الأمیر و ولده أنوجور و وزیره کافور، و کثیر من أمراء الدولة کل حمایة و رعایة. و کانت حلقة الشاعر أبی الطیب المتنبی الذی وفد علی مصر عام ۳۴۶ ه (۹۵۷ م) علی أثر مفارقته لبلاط سیف الدولة فی حلب، من أهم حلقات الشعر و الأدب و اللغة فی ذلک العهد.

ثم قامت حلقات للمسجد الأموی بدمشق، و فی مساجد البصرة

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۰۶

و الکوفة و بغداد و فی مسجد القیروان، و فی مسجد القرویین ، و فی غیرها من المساجد الکبری، و لکن هذه الحلقات لم یکتب لها الدوام و الاستمرار ما عدا حلقات مسجد القرویین بفاس بالمغرب.

و کان انشاء الأزهر عام ۳۶۱ ه و قیام الحلقات العلمیة فیه منذ انشائه حتی الیوم و طیلة ألف عام معجزة الثقافة الاسلامیة التلیدة الخالدة، لأن الأزهر الیوم هو أم الجامعات الاسلامیة، و هو الذی یمدها بالتوجیه و بالأساتذة، و بالخطط العلمیة المدروسة.

و قامت بعد ذلک الجامعة النظامیة التی أسسها الوزیر نظام الملک وزیر السلطان السلجوقی الب أرسلان و صدیق الشاعر الصوفی الکبیر عمر الخیام، و ذلک عام ۴۵۷ ه، ثم الجامعة المستنصریة فی بغداد، کما قامت جامعات إسلامیة أخری فی نیسابور و دمشق و بیت المقدس و الاسکندریة و القاهرة و غیرها من عواصم العالم الاسلامی، و لکنها اندثرت و لم یبق منها شیء.

و الأزهر علی أیة حال هو الصورة المشرقة لکل الجامعات الاسلامیة، و هو الذی یلخص تاریخ الحضارة الاسلامیة کلها طیلة ألف عام، فقد ازدهر بازدهارها و ضعف بضعفها، و لأنه لم یکن جامعة اسلامیة لمصر وحدها، بل کان جامعة اسلامیة للعالم الاسلامی کافة، یؤمه طلاب العلم من کل مکان فی بلاد الاسلام، و هو مفخرة المفاخر حظا، لأنه روح الحضارة الاسلامیة و درعها الواقی. و بحسبنا انه کان موئل العربیة و ملاذها الأمین.

-۲-

و الفاطمیون هم الذین أنشأوا الأزهر فی مصر، اثر فتحهم لها مباشرة،

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۰۷

حیث أمر قائد الفتح جوهر الصقلی عام ۳۵۹ ه بالبدء فورا فی انشائه، لا لیکون مکانا للعبادة و الصلاة فحسب، و لکن لیکون منبرا دینیا

للدولة الفاطمية لنشر مذهبها و عقائدها مع ذلك أيضا.

و قد شرع فی بناء الأزهر فی الرابع و العشرين من جمادی الأولی سنة ۳۵۹ ه- ۹۷۰ م و أقيمت الصلاة فيه أول مرة فی اليوم السابع أو التاسع من رمضان عام ۳۶۱ ه- ۹۷۲ م، و اختير لبنائه مكان فی الجنوب الشرقی من القاهرة بالقرب من القصر الكبير بين حی الديلم و حی التركـ.

و سمی الأزهر لأنه كان محاطا بقصور زاهرة، و لأنه كان أكبر الجوامع على الاطلاق فخامة و رواء، و قد ذهب بعض المؤرخين الی القول بأنه سمی باسم فاطمة الزهراء التی ينتسب اليها الفاطميون، و يقال إنه كذلك تفاؤلا بما سيكون له من الشأن و المكانة بازدهار العلوم فيه.

و ما كاد جوهر يضع أساس القاهرة اذن، حتی كان بعد تسعة شهور بناء المسجد يتلقی الناس فيه عقائد المذهب الفاطمی.

و الأزهر أول مسجد أنشیء بالقاهرة المعزية، و عند ما أنشأه جوهر الصقلی ترك امامه رحبة واسعة فكان الخلفاء حين يصلون بالناس بالجامع الأزهر، تدخل العساكر كلها و تقف فی هذه الرحبة حتی يدخل الخليفة الی الجامع. و بقيت هذه الرحبة الی وقت الدولة الأيوبية، ثم شرع الناس بالعمارة فيها حتی لم يبق لها أثر. و كان الأزهر كسائر الجوامع الاسلامية فی العصر الذی بنی فيه يشتمل على محل مسقوف للصلاة يسمی مقصورة و آخر غير مسقوف يسمی صحنا.

و يقول المقريزی إن أول ما درس فی الأزهر من العلوم، هو الفقه الفاطمی على مذهب الشيعة، ففی صفر عام ۳۶۵ ه جلس قاضی مصر أبو الحسن على بن النعمان بن محمد بن حتون بالجامع الأزهر و أملی مختصر أبيه فی الفقه عن أهل البيت (فقه الشيعة)، و يعرف هذا المختصر

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۰۸

(بالاقتصار) و قد حضر هذا الدرس عدد عظيم من الناس. و أثبت أسماء الحاضرين ..

و ذكر لنا المقريزی وصفا حيا لصلاة الجمعة، كما كان يقيمها الخلفاء الفاطميون فی الجامع الأزهر فی شهر رمضان: فكان صاحب بيت المال يذهب مبكرا إلی الأزهر ليشرف بنفسه على تنظيفه و تنظيمه و اعداده لصلاة الجمعة للخليفة، فيفرش الحرم بالسجادات اللطيفة و الحصر، ثم تغلق أبواب المسجد و يجعل عليها الحجاب و البوابون. و كانت توضع فی المقصورة ثلاث طنافس دمقسية او سامانية بيضاء بعضها فوق بعض، و توضع فوق الجميع الحصيرة التی يقال انها كانت لجعفر الصادق و أحضرت الی مصر سنة ۴۰۰ ه (۱۰۰۹ م) فی عهد الحاكم بأمر اللّه، و كان ينصب على جانبی المنبر ستران احمران رقيقان كتب على الأيمن البسملة و الفاتحة و سورة الجمعة و على الآخر البسملة و الفاتحة و سورة المنافقين، و يقوم قاضی القضاة قبل قدوم الخليفة بتبخير القبة التی يقف تحتها الخليفة وقت إلقاء الخطبة، و كان يضعها أحد كتاب البلاد. و كان الخليفة فی هذا اليوم يرتدی ثوبا من الحرير الأبيض، و يتعمم بعمامة من الحرير الأبيض الدقيق كذلك، و يحمل فی يده قضيب الملك و يحف به عدد كبير من الأشراف و العلماء و العسس و حرسه الخاص.

و كان الخليفة يركب بين قرع الطبول و رنين الصنوج و قراءة القرآن بنغمات شجية، بعد ان يسلم لكل واحد من مقدمی الركاب أكياس الذهب و الفضة، و يستمر الحال كذلك إلی أن يصل الخليفة الی قاعة الخطابة و يظل فی القاعة حتی ينتهی الأذان. حينئذ يخرج و يأخذ مكانه تحت قبة المنبر، فيقف الوزير على باب المنبر و وجهه للخليفة، فاذا أومأ إليه صعد فقبل يدی مولاه و رجليه وزر سترى الحرير عليه، و بذلك يكون المنبر و القبة كالهودج، ثم ينزل الوزير و ينتظر على باب المنبر، فاذا لم يكن الوزير صاحب السيف، فان قاضی القضاة هو الذی يزر السترين. و كانت الخطبة التی يلقيها الخليفة قصيرة تشتمل على آية من القرآن. ثم يذكر الخليفة

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۰۹

نفسه بعد الآية، ثم قومه بعبارة موجزة فيقول: (رب اوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على و على والدى و أن أعمل صالحا ترضاه، و أدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) و يدعو بعد ذلك لوالده و جده و لمحمد صلى اللّه عليه و سلم، و لعلى رضى اللّه عنه. ثم يختم الخليفة الخطبة بالدعاء للوزير و بنصر الجيش و خذلان الكفار و المشركين فاذا فرغ من خطبته قال) «اذكروا اللّه يذكركم» ثم يصعد الوزير فيحل السترين، ثم يأخذ الخليفة فى الصلاة، فيبلغ الوزير عنه، ثم قاضى القضاة، ثم المؤذنون، فاذا ما انتهت الصلاة، يخلو الجامع من الناس، و يخرج الخليفة يحيط به الوزير عن يمينه و قاضى القضاة عن يساره و يعود بموكبه الى قصره.

و قد كانت الخطابة فى عصور الأزهر الأولى من مهام الخليفة فنجد المعز لدين اللّه يلقى الخطبة بنفسه مكتسبا صفة الامامة، متخليا بعض الشىء عن صفة الخلافة، بل نجده فى كثير من الأحيان و أثناء قيامه بواجباته الدينية حريصا على امامته، ضنينا من أن يؤديها غيره، بل نراه يحاول ان يتشبه بالنبى صلى اللّه عليه و سلم و الخلفاء الراشدين الذين كانوا يقومون بأنفسهم بالقاء خطبة الجمعة فى الجامع. و مما ساعده على ذلك ما كان عليه المعز من صفات الخطباء، فقد كان مفوها فصيحا ذا تأثير سريع قوى فى سامعيه، و كثيرا ما ذهب بالناس الى حد البكاء بقوة و عظة و عظم بلاغته.

و حذا حذو المعز كثير من الخلفاء الفاطميين، فكانوا يلقون الخطبة بأنفسهم، و على الرغم من حب الحاكم بأمر اللّه للمواكب العظيمة، كان ينيب عنه وزيره فى صلاة الجمعة، لأنه كان يرتج عليه فى الخطبة، و كذلك كان فى العصور المتأخرة، ايام الخلفاء الضعاف، فأصبح للجامع الأزهر خطيب خاص به يلقى الخطبة بين يدى الخليفة فى أيام الجمع و الموالد التى كانت تحتفل بها مصر فى كل عام، و هى المولد النبوى و مولد على بن أبى طالب و مولد زوجه فاطمة الزهراء و مولد ولديها الحسن و الحسين، ثم مولد الخليفة القائم. و لم يقتصر خطيب الأزهر على ذلك، بل كان يخطب فى ليالى الوفود الأربعة متقدما على خطباء المساجد الأخرى.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۴۱۰

و كانت وظيفة خطيب الجامع الأزهر تعد من الوظائف الدقيقة التى يحاول أن يرتفع اليها كثير ممن يتولون مناصب الدولة الكبيرة، و ذكر ابن ميسر ان وظيفة الخطابة بالجامع الأزهر قد أسندت عام ۵۱۷ ه إلى داعى الدعاة أبى الفخر صالح.

و كان نظام الحلقات الذى كان متبعا فى تلك الحقبة من الزمن هو النظام الوحيد للدراسة الممتازة، و كان أساس الحياة العلمية و الفكرية فى مصر. فلما أن تحول الجامع الأزهر الى جامعة منذ انشائه، اتخذت الدراسة فيه طابع الحلقات الموجودة فى ذلك الوقت، اذ لم يكن قد استعيض عنه بنظام آخر. و بانتقال هذا النظام الى الأزهر انتقلت معه دراسة العلوم بمختلف أنواعها، فازدهرت فيه و ترعرعت

-۳-

و استمر الأزهر كذلك الى نهاية القرن السادس حينما ابتدأ ملوك مصر و سلاطينها فى انشاء المدارس. فأنشأ صلاح الدين الأيوبى عام ۵۶۶ ه المدرسة الناصرية بجوار جامع عمرو لتدريس الفقه الشافعى، كما أنشأ بجانبها المدرسة القمحية لتدريس الفقه المالكى، و كان من أشهر من درسوا فيها العالم المؤرخ ابن خلدون، و حذا حذو صلاح الدين كثير من أمراء البلاد و أعيانها، فأنشأوا كثيرا من مدارس للتخصص، بعضها شافعى و البعض الآخر حنفى أو حنبلى، أو لتدريس الفقه و الحديث.

و تعد المدرسة الصالحية التى أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ۶۴۱ ه، أول مدرسة درس فيها الفقه على المذاهب الأربعة.

و لقد عانى الأزهر منافسة شديدة من جراء وجود أمثال تلك المدارس التى كانت مكتظة بالطلاب، مستأثرة بأعظم و أحسن الأساتذة و العلماء، متمتعة بعناية الأمراء و ذوى اليسار و ثقتهم. فوهبوها المال و الهدايا، و أجروا

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۴۱۱

عليها الأوقاف و الرباع. فكان التدريس بتلك المدارس من الأمانى التى يصبو إليها كل أستاذ و عالم. فكانت موضع منافستهم الدائمة.

و ما وافت نهایة القرن الثامن الهجری حتی کان الانتاج العلمی فی أزهی عصوره، و کثر عدد المدارس و معاهد العلم التی کانت تقوم برسالتها بأمانة و اخلاص بجانب الأزهر الذی لم یکن یستطیع مطاولتها فی المرتبة، فقد کان نصیبه من الأساتذة و العلماء لا یزال ضئیلا و کانت المدارس قد استأثرت بهم. و خلا الأزهر فی تلک الحقبة من أعاظم العلماء المعاصرین أمثال سراج الدین البلقینی و المقریزی و جلال الدین السیوطی الذین کانوا یقومون بالتدریس فی تلک المدارس. علی ان الأزهر فی ذلک الزمن لم یفقد ماله من عظیم الهیبة و المکانة، بل کان لا یزال یحتفظ بمکانته العظیمة فی النفوس، لما کان یلقاه فیه الطلاب من الراحة و اتساع الحلقات.

ثم أخذت الحرکة الفکریة تضمحل شیئا فشیئا، فما وافی القرن العاشر حتی کانت المدارس قد أغلقت بذهاب دولة السلاطین حیث لم تجد من یرعاها بماله و هباته، فقلت مواردها فهجرها مدرسوها و طلابها.

و مما زاد الحال سوءا ضیاع استقلال مصر و وقوعها تحت الحکم العثمانی فقد قضی سلیم شاه علی ما بقی من مصر من حضارة و علم و فن.

و انتزع منها تحفها و آثارها و کتبها النفیسة، و سلبها عمالها و علماءها فتلاشت طبقتهم و انحط العلم و التعلیم.

و لم یکن نصیب الأزهر من ذلک بأقل من غیره، فدبت فیه عوارض الضعف و أهملت فیه دراسة کثیر من العلوم. و ان کانت اللغة العربیة قد وجدت فیه ملجأ ترتاح إلیه و تستکن فیه، الی ان قیض اللّه لها الظهور و الانتعاش بعد انقشاع الحکم العثمانی عن مصر الذی رزحت تحت عبئه أمدا طویلا.

کان لکل مذهب من المذاهب الأربعة عمود معین من عمد الجامع لا یتعدی علیه أحد و لا نشب عراک شدید. و کان شیخ المذهب هو المنوط

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۱۲

بالدفاع عن العمود، فاذا تفاقم الخلاف رفع الأمر الی شیخ الجامع الذی کان الفیصل فی کل خلاف، و کان من عادة شیخ المذهب أثناء القاء الدرس أن یجلس علی الأرض بجانب العمود مستقبلا القبلة، ثم استعاض المشایخ عن ذلک بالجلوس علی کراسی من خشب أو جرید بعد أن کانت تلک الکراسی من أخص امتیازات کبار العلماء فیه.

و کان الطلبة یجلسون حول أستاذهم علی هیئة حلقة. و لکل طالب فی الحلقة مکان لا یتعداه، و کانت طریقة التعلیم اذ ذاک هی الطریقة الاملائیة، یبتدیء الشیخ الدرس بالبسملة و الحمد للّه و الصلاة علی النبی، ثم یأخذ فی املاء الدرس علی تلامیذه. و أثناء ذلک یقوم الطلبة بسؤال أستاذهم فیما غمض علیهم. فقد کان عماد الدراسة اذ ذاک المناقشة و الحوار بین الطلبة و أستاذهم بما یثقف العقل و ینمی ملکة الفهم، فاذا انتهی الدرس قبل الطلبة ید شیخهم.

و لم یکن بالأزهر نظام امتحانات فی عهده البدائی، بل کانت الاجازة التی یعطیها الشیخ لتلمیذه، و لها قیمة عظیمة فی تلک الأزمان القدیمة، تدل علی أن الطالب قد فهم نصا معینا، و تجعله أهلا للتدریس، و کان الطالب یتلقی العلم زمنا طویلا، فاذا أنس فی نفسه القدرة علی التصدر للعلم، أعلن ذلک بین زملائه و شیوخه. فتعقد فی إیوان الأزهر حلقة من العلماء النابهین، یجلس الطالب فی صدرها و یناقش نقاشا حادا فی المادة التی یدرسها و فی جمیع المواد التی تجرها المناسبات، فاذا أثبت الطالب کفاءة ممتازة أعطی حق التدریس.

و کانت المواد الأساسیة التی تدرس إحدی عشرة مادة کلها من العلوم الدینیة و العربیة، یزید علیها علم المنطق لمن یمتحن من طلاب العالمیة، و نورد هنا مثلا لتلک الإجازات التی کانت تمنح لطلاب الأزهر. فقد جاء فی سند إجازة الشیخ عبد المنعم الدمنهوری المتوفی عام ۱۱۹۲ ه ما ملخصه إنه تلقی فی الأزهر العلوم الآتیة: و له تألیف فی کثیر منها، و هی الحساب

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۱۳

و المیقات و الجبر و المقابلة و المنحرفات و أسباب الأمراض و علامتها، و علم الاسطرلاب و الزیج و الهندسة و الهیئة و علم

الایماطیفی و علم المزاول و علم الأعمال الرصیدیة و علم المواليد الثلاثة و هی الحیوان و النبات و المعادن، و علم «استنباط المیاه و علاج البواسیر و علم التشریح و علاج لسع العقرب، و تاریخ العرب و العجم.

و من مأثور ذلک الزمن عن علماء الأزهر، ان العلم مقصود لذاته و ان طالبه یجب أن یتجرد عن ملاهی الدنیا، و لا یتطلع لحطامها، و هو قول کان له قدیما أحسن الأثر فی نفوس الأزهریین، الذین أحبوا العلم حبا جما، و قنعوا بما ساق اللّه إلیهم من الرزق، و عاشوا عیشة راضیة یحدوها التقشف و الزهد، و کلهم موضع احترام الکبیر و الصغیر.

و هذا التصور یتمثل فی تقدیم العلوم، ففی رأسها توجد العلوم النقلیة مثل علم التوحید و الفقه و الحدیث و التصوف، ثم تأتی بعدها العلوم العقلیة مثل علوم اللغة و العروض و البلاغة و المنطق و علم الهیئة، و لم یدرس علم الهیئة إلا لأغراض عملیة، مثل علم التقاویم و تحدید مواقیت الصلاة، و من العلوم العقلیة أیضا الأدب و التاریخ و الجغرافیا و العلوم الطبیعیة و الریاضة، و لکن أهملت دراستها منذ القرون الوسطی، و إذا درست فإنما تدرس فی الأزهر حوالی عام ۱۸۲۷ م قبل سفره إلی «سانت بطرسبرج» إنه لا یعرف أحدا قبله، قرأ فی الأزهر ما قرأه هو من مقامات الحریری و المعلقات مع شرح الزوزنی، و لم تتأثر الجامعة الأزهریة بالعلوم المدنیة التی جاءت إلی مصر من أوروبا فی القرن التاسع عشر و أثرت فیها تأثیرا قویا.

و أخذ القول بحرمة بعض العلوم العقلیة یتسرب شیئا فشیئا إلی الأزهر کما تسرب إلی غیره من الجوامع الاسلامیة الأخری حتی انتهی الأمر باهمال تدریسها اهمالا تاما، و یخبرنا الجبرتی بذلک فیقول: انه تولی حکم مصر عام ۱۱۶۱ ه أحمد باشا کور، و کان ولعا بالعلوم الریاضیة «فلما استقر

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۱۴

بقلعة مصر، قابل صدور العلماء، و منهم الشیخ عبد اللّه الشبراوی شیخ الأزهر فتکلم معهم فی الریاضیات، فقالوا له لا نعرف هذه العلوم، فتعجب و سکت» و کان الشبراوی یتردد علی الباشا یوم الجمعة، اذ کان خطیب جامع السرای فقال له الباشا «المسموع عندنا بالدیار الترکیة ان مصر منبع الفضائل و العلوم، و کنا فی غایة الشوق الی المجیء الیها، فلما جئتها وجدتها کما قیل «تسمع بالمعیدی خیر من ان تراه»، فقال له الشیخ: یا مولای، هی کما سمعتم معدن العلوم و المعارف»، فقال: «و این هی و انتم اعظم علمائها و قد سألتکم عن بعض العلوم فلم تجیبونی، و غایة تحصیلکم الفقه و الوسائل، و نبذتم المقاصد»، فقال الشیخ: «نحن لسنا أعظم علمائها، و انما نحن المتصدرون لقضاء حوائجهم، و أغلب أهل الأزهر لا یشتغلون بالریاضیات، الا بقدر الحاجة لعلم المواریث».

و استمر الحال کذلک من اهمال تدریس العلوم الریاضیة و الطبیعیة و الفلسفیة، فقد نهی أهل الأزهر عن قراءتها و نسبوا الکفر لمن یطالعها، و فعلوا ذلک مع جمال الدین الأفغانی عند حضوره الی مصر عام ۱۲۸۸ ه، و کان قد رأی ما آلت الیه حالة تلک العلوم، فأوقف جهوده علی نشرها، مستعینا فی ذلک بتلمیذیه الشیخ محمد عبده و الشیخ عبد اللّه وافی الفیومی.

و قد تنبه لتلک الحالة فی الأزهر کثیر من الأساتذة و العلماء و کثیر من أمراء مصر و وزرائها، فسعوا الی إعادة تدریس تلک العلوم و لکنهم خشوا الطفرة و نتائجها، فتحایلوا باستطلاع رأی بعض کبار العلماء تمهیدا لذلک.

فأوعزوا الی الشیخ محمد بیرم قاضی محکمة مصر حینذاک بمقابلة المرحومین الشیخ محمد الأنبابی شیخ الإسلام و الشیخ محمد البنا مفتی الدیار المصریة. و اتفقوا علی أن یفتی لهما الشیخ محمد الأنبابی فی الأمثلة الآتیة: «ما قولکم رضی اللّه عنکم، هل یجوز تعلم المسلمین للعلوم الریاضیة مثل الهندسة و الحساب و الهیئة و الطبیعات و ترکیب الأجزاء المعبر عنها بالکیمیاء و غیرها من سائر المعارف، و لا سیما ما ینبنی علیه زیادة القوة

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۱۵

فی الأمة، بما تجاری به الأمم، المعاصرین لها فی کل ما یشمله الأمر بالاستعداد، بل هی تجب بعض تلک العلوم علی طائفة من الأمة بمعنی ان یکون واجبا وجوبا کفائیا علی نحو التفصیل الذی ذکره فیها الإمام حجة الاسلام الغزالی فی احیاء العلوم و نقله علماء

الحنفيـة و أقروه. و إذا كان الحكم فيها كـذلك، فهل يجوز قراءتها مثلما تجوز قراءة العلوم الآليـة من نحو و غيره الرائجة الآن بالجامع الأزهر و جامع الزيتونة و القرويين و غيرها؟

افيدوا: الجواب، لا زلتم مقصد لأولى الألباب».

فأجابه الشيخ الأنبابى عام ۱۳۰۵ ه بالفتوى الآتية:

يجوز تعلم العلوم الرياضـية مثـل الحساب و الهندسـة و الجغرافيا لأنه لا تعرض فيها لشـىء من الأمور الدينيـة، بل يجب منها ما تتوقف عليه مصـلحة دينيـة أو دنيويـة وجوبـا كفائيـا، كمـا يجب علم الطب كـذلك، كما أفاد الغزالى فى موضع من الأحياء. و ان ما زاد على الواجب من تلك العلوم مما يحصل به زيادة التمكن فى القـدر الواجب فتعلمه فضـيلة، و لا يـدخل فى علم الهيئة الباحث عن أشـكال الأفلاـك و الكـواكب و مسـيرها علم التنجيم المسـمى بعلم أحكـام النجـوم، و هـو البـاحث عن الاسـتدلال بالتشـكيلات الفلكيـة على الحوادث السـفلية فانه حرام، كما قال الغزالى و علل ذلك بما محصـله انه يخشـى من ممارسة نسبة التأثير للكواكب و التعرض للاحياء بالمغيبات، مع كون الناظر قد يخطىء لخفاء بعض الشروط أو الأسباب عليها لدقتها.

و أما الطبيعيات، و هى الباحثة عن صـفات الأجسام و خواصـها، و كيفية استحالتها و تغييرها كما فى الأحياء فى الباب الثانى من كتاب العلم. فان كان هذا البحث عن طريق أهل الشـرع فلا مانع منها كما أفاده العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمى فى جزء الفتاوى الجـامع للمسائـل المنتشـرة، بـل لهـا حينئـذ أهميـة ثمرتهـا كالوقوف على خواص المعـدن و النبات المحصل للتمكن فى علم الطب، و كمعرفة علم الآلات النافعة فى مصالح

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۴۱۶

العبـاد. و ان كـان على طريقـة الفلاسـفة فالاشـتغال بهـا حرام، لأـنه يؤدى الى الوقوع فى العقائـد المخالفـة للشـرع، كمـا أفـاده العلامة المذكور. نعم يظهر تجويزه لكامل القريحة الممارس للكتاب و السـنة للأمن عليه مما ذكر قياسا على المنطق المختلط بالفلسفة على ما هو المعتمد فيه من أقوال ثلاثة.

ثانيها الجواز مطلقا .. و ثالثها المنع مطلقا ..

و أمـا علم تركيب الأـجزاء المعبر عنهـا بالكيميـاء فان كان المراد به مجرد البحث عن التركيب و التحليل بـدون تعرض لما يخشـى منه على العقيدة الاسلامية، فلا بأس به، بل له أهميته حسب ثمرته و إلا جرت فيه الأقوال الثلاثة المقدمة.

و أما العلم المعروف بعلم جابر و سـمى أيضا علم الصـنعة و علم الكاف و هو أيضا الذى ينصـرف اليه علم الكيمياء عند غالب الناس، فقـد أفـاد العلامـة ابن حجر فى شـرحه على المنهـاج انه ان قلنـا بالمعتمـد من جواز انقلاـب الجسم عن حقيقته، و كان العلم الموصـل لذلك يقينا، جاز تعلمه و العمل به، و الا حرم، و لفقد هذا الشـرط لم يتحصل المشـتغلون به فيما رأينا إلا على ضـياع الأموال و تشتت البال و تغيير الأحوال.

نعلم أن العلوم الرياضـية لاـ بـأس من قراءتها كما تقرأ علوم الآلات، و كـذلك الطبيعيات و علم تركيب الأجزاء حيث كانت تقرأ على طريقة لا يفهم منها جهابذة الشرع بحال كيفية العلوم العقلية مثل المنطق و الكلام و الجدل.

بل يجب كفاية من هذه الثلاثة ما يحتاج إليه فى الحجاج عن العقائد الدينية.

و كتب العلامة الشـيخ محمد البنا مفتى الديار المصرية عام ۱۲۰۵ الفتوى الرسمية الآتية رقم ۱۷۱ ما أفاده حضرة الأستاذ شيخ الإسلام موافق لمذهبنا و ما استظهره من أن الخلاف الجارى فى علم المنطق يجرى فى علم الطبيعة أيضا.

و هذه الردود نفسها تشف عن عدم رضاء رؤساء الأزهر فى ذلك العهد

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۴۱۷

عن هـذه العلوم و عن عـداوتهم لها، و الريبـة فيها، و لكن الجهر هكذا بوجوب ادخالها الى الأزهر، برهان ساطع على أن روحا جديدة

قد ابتدأت تجتاح الأزهر فی ذلک الوقت و ان کان دخول تلک العلوم لم یتم إلا فی عصر عباس الثانی بن إسماعیل.

أما فی تلک الحقبة من الزمن فقد کانت أهمیة کل علم من العلوم تقف لا باعتبار قیمته الموروثة، بل باعتبار شیوعه و اقبال الطلاب علیه، فإننا نری ان اعلاها مرتبة و هو علم الفقه لأهمیته فی الحیاة العلمیة و لکثرة الوظائف التی یؤهل لها.

کما عظم اقبال الطلبة علی علوم اللغة و البلاغة و دروس المبادیء التی کانت تخصص الناشئة من الأغراب و الأجانب، و کان أهم العلوم دراسة هو علم الکلام أو التوحید و یلیه تفسیر القرآن و الحدیث الشریف.

و کان لمذاهب اهل السنة دائما أثر کبیر فی الأزهر و بخاصة فی ادارته، فقد أخرج الشیعة منذ ایام الفاطمیین، أما الحنابلة فلم یعین واحد منهم شیخا لقلة عددهم و ضعف نفوذهم، و کان للمالکیة الذین یعیشون غالبا فی صعید مصر و فی بلاد الدلتا مقام کبیر محترم و ان قل منهم من تولی مشیخة الأزهر، و لم یعلموا قط الاحتفاظ بالنفوذ الذی یخوله لهم کثرة عددهم فظلت المنافسة محصورة دائما بین الشافعیة أتباع المذهب السائد و أتباع المذهب الحنفی الذی کان مذهب الباب العالی و اتباعه التتر و القوقاز و الترک و الذین کانوا ذوی نفوذ کبیر عدة قرون. و هذا الخلاف استغله الحکام لبسط نفوذهم علی البلاد، و لتحویل الأزهریین الذین کانوا یتقربون الیهم إلی المذهب الحنفی.

و قد قامت بین رجال الدین و المتصوفة کثیر من المشاحنات هددت مراکز رجال الدین فی کثیر من الأحیان. و ان کان المتصوفة قد تعرضوا لمهاجمات شدیدة من رجال الدین عندما کان المتصوفة یحاولون تجریح آراء رجال الدین أو تعطیل أصول بعض العقائد، و کانت الغلبة فی النهایة لرجال

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۱۸

الدین، و ان ترکوا الصوفیة احرارا فی الاشتغال بالتصوف و مناسکه عائشین عیشة و ادعة یلطفها الزهد.

و لم یکن بالأزهر حتی آخر العقد الأول من القرن العشرین قانون بضبط أوقات الدروس و عدد الحصص الیومیة و لکن جرت العادة من زمن قدیم أو تکون کما یلی:

بعد الفجر: التفسیر و الحدیث

بعد الشروق: الفقه

بعد الظهر: النحو و الصرف و المعانی و البیان و البدیع و الأصول.

بعد العصر: الحساب و التاریخ و الجغرافیا و سائر العلوم الحدیثة.

بعد الغروب: المنطق و آداب البحث و الهیئة.

و مدة الدرس عادة ساعة أو ساعتان و أغلب الطلبة یتلقی کل منهم درسین صباحا و درسین مساء، و بعضهم یتلقی اکثر من ذلک، و بعضهم اقل حسب نشاط کل منهم و عدد العلوم التی یرغب فی تلقیها.

-۴-

انتهت الدولة الفاطمیة التی کانت تولی الأزهر کل عنایتها، و جاء عهد الدولة الأیوبیة، و فی عهد صلاح الدین الأیوبی اهمل الأزهر و قطع الکثیر مما أوقفه علیه الحاکم بأمر اللّه، و یذکر لنا المقریزی ان صلاح الدین سیف بن أیوب قلد وظیفة القضاء للقاضی صدر الدین بن عبد الملک بن درباس الشافعی فعمل بمقتضی مذهبه و هو امتناع اقامة الخطبتین فی بلد واحد کما هو مذهب الإمام الشافعی، فأبطل الخطبة و التدریس فی الجامع الأزهر، و أقر الخطبة بالجامع الحاکمی، بحجة انه أوسع. فأهمل الأزهر منذ ذلک التاریخ و امتدت ید المغتصبین الی معظم أوقافه، و أخذت جدرانه و أرکانه فی التداعی.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۱۹

ثم أعيد الى الجامع الدرس، و اول ما درس به من مذاهب أهل السنة مذهب الامام الشافعى رضى اللّه عنه، ثم ادخلت اليه المذاهب الأخرى تباعا، و انقضى نحو قرن من الزمان قبل ان يستعيد الجامع الأزهر عطف الولاة و وجوه البلاد عليه، فلما تولى الملك الظاهر بيبرس سلطنة مصر تحدث فى مسألة اعادة الخطبة الى الجامع الأزهر. و لكن قاضى القضاة ابن ثبت العز الشافعى امتنع عن اعادتها فعزله السلطان و ولى مكانه قاضيا حنفيا فأعيدت الخطبة عام ۶۶۵ ه (۱۲۶۶- ۱۲۶۷ م) و زاد بيبرس فى بناء الجامع، و شجع العلم و التعليم فيه، كما حذا حذوه كثير من أمرائه، أشهرهم الأمير عز الدين أيدمر الحلى، الذى أقام احتفالا رسميا عظيما فى الجامع الأزهر، ابتهاجا بعودة الخطبة اليه، كما أقام احتفالا فاخرا فى داره حضره رجال الدولة و الأمراء و الكبراء .. و كان هذا الأمير يجاور الأزهر بسكناه، فلمس ما وصل اليه حاله من التأخر و الاضمحلال، فعزم على اصلاحه، فانتزع له ما اغتصب مما أوقف عليه، و تبرع له بمبلغ كبير من ماله الخاص، و جمع له من الأمراء الكثير من المال، بجانب ما أطلق من يد السلطان، و شرع فى عمارته، فأعاد بناء الواهى من أركانه و جدرانه و سقوفه و بلطه و فرشه بالحصر و كساه فعاد إلى عظمته الأولى كما استجد به مقصورة حسنة الصنع. و قد عاد اثر ذلك و منذ ذلك العهد الى الجامع الأزهر ما كان له من صيت قديم و أصبح معهدا علميا يؤمه الناس من كل فج و لقى الأزهر من عناية الشعب الشىء الكثير، و زاد فى مجده ان غزوات المغول فى الشرق قضت على معاهد العلم فيه، و ان الإسلام أصابه فى المغرب من التفكك العلمى المادى الذى نقلته و أهملت الجانب الروحى فعليها وزرها.

و يأتى الخطر هنا من ان القارىء العادى هذه الأيام و قد شغلته مقتضيات الحياة المعقدة المعاشة لا يجد وقتا للتقصى و التتبع و القراءة الدقيقة المتخصصة، و من هنا تسود البلبلة و تضطرب أفكار الناس و أحوالهم، و من هنا تخطىء اجتهادات الفقهاء الهدف، و يبرز الخطر الذى يسببه ما يلى:

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۴۲۰

* انفراد فقهاء الشريعة وحدهم بالرأى دون الاستعانة بالمتخصصين فى مختلف العلوم.

و الانحلال ما أدى الى دمار مدارسه الزاهرة، و ان المدارس التى أنشأها صلاح الدين الأيوبى لتنافس الأزهر بدأت فى الاضمحلال.

و فى عام ۸۰۲ ه (۱۳۰۲- ۱۳۰۳ م) ضرب مصر زلزال عنيف فسقطت معظم جوامع مصر و من ضمنها الجامع الأزهر و الجامع الحاكمى و جامع عمرو. فتسارع امراء الدولة الى تجديدها، فكان الأزهر من نصيب الأمير سيف الدين سلار (من رجال دولة المماليك البحرية) و كان ثريا، فجدد مبانيه و أعاد ما تهدم منها.

و فى عام ۸۰۹ ه (۱۳۰۹- ۱۳۱۰ م) انتهى الأمير علاء الدين طيبرس الخازندارى (نقيب الجيوش) من انشاء المدرسة الطيبرسية (دار الكتب الأزهرية الآن) و جعلها مسجدا، و قرر بها درسا لفقهاء الشافعية، و تأنق فى رخامها و تذهيب سقوفها، على أشكال المحاريب، و فرشها ببسط منقوشة بشكل المحاريب كذلك، و جعل فى المدرسة خزانة كتب كبيرة.

و فى العهد العثمانى نال الأزهر ما ناله من الاهمال. فقد قضى السلطان سليم على معالم الحضارة الشرقية عامة و المصرية خاصة، فانتزع من مصر جميع نفائسها و كتبها، و أرسلها إلى القسطنطينية. على ان الأزهر نال بعض الاهتمام من الفاتح سليم، و أظهر له بعض الرعاية، و أكثر من زيارته و الصلاة فيه، و أمر بتلاوة القرآن به. و تصدق على فقراء المجاورين، كما زاره السلطان عبد العزيز خان فيما بعد. و فى عام ۱۰۰۴ ه (۱۵۹۵ م) جدد الشريف محمد باشا والى مصر فى عهد السلطان العثمانى محمد الثالث الأزهر، و رتب لطلبته الفقراء طعاما يجهز كل يوم، فكان ذلك حافزا للطلبة على ان يؤموه من جميع البلاد. شرقا و غربا، و فى عام ۱۱۱۵ ه (۱۶۹۲ م) أوقف عليه محمد باى بن مراد حاكم ولاية تونس أوقافا جليلة، كما جدد الأمير إسماعيل بك القاسمى ابن الأمير ايواظ بك القاسمى

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۴۲۱

المتوفى عام ۱۳۳۶ ه (۱۷۲۳ م) سقف الجامع و كان قد آل الى السقوط.

ماشت مصر فى أعقاب غزو العثمانيين لها فى ظلام دامس زهاء الثلاثة قرون. ففى مدة الثمانية اشهر التى قضاها الفاتح سليم فى مصر،

سلب البلاد جميع نفائسها و آثارها و كتبها و مؤلفاتها الخطية لأعلام فقهائها مثل ابن اياس و المقريزى و السخاوى و السيوطى، كما أرسل الى بلاده أمهر العمال و الفنانين و الكتاب فى مصر.

و لم يكن الأزهر أقل من غيره تأثرا بتلك الحركة فقل فيه العلماء النابهون، و انعدم الانتاج الفكرى و الأدبى، و أهملت فيه دراسة العلوم الرياضية اهمالا تاما.

و لكنا لا نستطيع أن ننسى أن الأزهر قد بذل مجهودا جبارا فى الاحتفاظ بمكانته التليدة و هيبته العظيمة حتى فى نفوس الغزاة أنفسهم، فنرى الفاتح سليم يؤدى له الزيارة مرارا، بل كان حكام مصر الأتراك يلجأون وقت الشدة الى علماء الأزهر و شيوخه يلتمسون منهم العون و المساعدة عند شبوب الثورات أو قيام الفتن.

و قد وجدت اللغة العربية لنفسها مأوى فى الأزهر طيلة الحكم العثمانى لمصر. ثم ابتدأت بمجرد انتهاء ذلك الحكم فى الظهور و النمو.

فقد استمر الأزهر ملاذا لطلاب العلوم الاسلامية و اللغة العربية يؤمه هؤلاء الطلاب من جميع البلاد الاسلامية. و استطاع الأزهر منذ أوائل القرن التاسع عشر ان يحيا حياة جديدة. و كانت مهمة الأزهر فى الاحتفاظ باللغة من الصعوبة بمكان. بل يعتبرها المؤرخون أعظم ما وفق الأزهر لاسدائه من خدمات لعلوم الدين و اللغة و الفقه خلال القرون الثلاثة الأخيرة، بل لعلها أعظم ما قام به الأزهر منذ انشائه الى الآن.

و قضت حملة نابليون عام ۱۷۹۸ م على الحكم التركى فى مصر، و على الرغم من أنها لم تستمر فى مصر أكثر من عامين إلا انها تركت أثرا عميقا فى جميع النواحى العقلية و العلمية. فقد ضمت الحملة العلماء

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۴۲۲

و الأطباء و المهندسين. خلفوا لنا بعد ان بارحوا الأرض المصرية كثيرا من الأبحاث و الدراسات كانت دعامة لمن أتى بعدهم من الباحثين فأنشأوا معامل كيميائية و رسموا خرطا جغرافية و عملوا أبحاثا طبية لمس فيها علماء مصر و مفكروها مظاهر حضارة جديدة لم يعرفوها من قبل. كما احضرت الحملة المطبعة، و أنشأت الصحف و المدارس و المكتبات العامة، و عنيت بالفنون الجميلة و البحث عن الآثار القديمة، فتيقظ فى الناس الشعور بحاجتهم الى التهذيب الخلقى و الرقى الفكرى و العلمى. ثم الى الانفصال الذى شغلوا به فى هذا العهد الحديث.

-۵-

فلما جاء محمد على وجه عنايته الى التعليم العملى و حمل الناس عليه حملا، و لم يكن فى مصر كلها فى ابتداء عهده معهد محترم إلا الأزهر حيث كانت تدرس العلوم اللغوية و الدينية بذلك الأسلوب العتيق، و الا تلك (الكتاتيب) المنبثة فى القرى حيث تحفظ القرآن و تدرس الكتابة و القراءة بالرهبة لا بالرغبة. فأنشأ محمد على المدارس المختلفة، و أرسل البعوث العلمية إلى أوروبا.

و من المدارس التى أنشأها: الطب و الهندسة و الالسن و الفنون و الصنائع و كثيرا من المدارس الابتدائية و التجهيزية فأضر ذلك بالأزهر ضررا بليغا، فنافست تلك المدارس الأزهر منافسة قوية، و حولت عنه كثيرا من طالبى العلم.

و كان الأزهريون يعتبرون من عاد من أعضاء البعثات الاوروبية متفرنجا، و ظلوا يسخرون من المصريين الذى تعلموا فى أوروبا.

و ظل الحال على هذا المنوال فى عهد إبراهيم باشا و عباس الأول و سعيد باشا، إلا أن حركة الاصلاح كانت قد فترت و ظهرت فكرة الجمود و الاستبداد فى الحياة العلمية و الأدبية و الفكرية، فقد كان عباس باشا لا يهتم كثيرا بشئون التعليم و ان كان الأزهر قد حظى ببعض زياراته، الى ان حدث الانقلاب الكبير فى عهد إسماعيل.

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۴۲۳

و ربما كان اسماعيل مدفوعا الى هذا الانقلاب بتلك النزعة القوية التى كانت تختلج فى نفسه و التى كانت ترمى الى اقامة دولة عربية مصبوغة بالصبغة الاوروبية مكان تلك الدولة التى تتألف من رعية عربية و راع عثمانى.

و كان لا بد لتحقيق أغراضه، من اصلاح الأزهر اصلاحا يتفق و الآراء الجديدة، فقام إسماعيل، بتأييد الشيخ محمد العباسى المهدى الحنفى، شيخ الجامع الأزهر و كان فقيها ذكيا مستنيرا واسع الخبرة، بإصدار قانون للأزهر بتاريخ ۲۲ من ذى القعدة ۱۳۸۷ ه- ۳ فبراير ۱۸۷۲ م، و نص هذا القانون على ما يلى:

۱- ان يكون نيل العالمية بالامتحان على يد لجنة من العلماء يختارهم شيخ الجامع.

۲- و إن ينقسم العلماء الى ثلاث درجات اولى و ثانية و ثالثة.

۳- و إن يصدر بذلك بيور ولدى عال.

۴- و إن يمتاز أرباب الدرجة الأولى بكسوة تشريف ينعم بها من لدن الجناب العالى.

۵- و إن العلوم التى يمتحن فيها الطلاب هى:

الفقه- الاصول- التوحيد- الحديث- التفسير- النحو- الصرف- المعانى- البيان- البديع- المنطق.

و أراد الشيخ العباسى المهدى بهذا القانون ان يبعد عن الأزهر العناصر التى لا تتميز بالكفاءة و الجدارة. و كان لا بد من تحسين حال الأساتذة بتقرير رواتب ثابتة لهم.

و تأثرت تلك الاصلاحات بالافكار الاوروبية، و على وجه أدق بالآراء الفرنسية التى تبدو فى برامج الدراسة و فى تقرير أداء الامتحان عند التخرج، و كان هذا امرا جديدا بل حدثا بالنسبة للأزهر. و قد ألفت لجنة من ستة

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۴۲۴

أعضاء و عينت المواد التى يجب أداء الامتحان فيها و تقرر للطلاب مكافآت دراسية، و أخذ التنافس و التشاحن على الأمور التافهة يقل بعد ان كان شائعا بين جميع الطوائف الأزهرية.

و الحق أن عصر إسماعيل كان عصرا رائعا فى تاريخ الأزهر. فقد تفتحت فيه ثمار النهضة الحديثة و ابتدأ الأزهر يفيق من سباته الطويل و يتطلع بدوره الى فهم الروح الجديدة و ان كان ببطء. و كان للسيد جمال الدين الافغانى أثر كبير فى انماء هذه النهضة، فقد كان لحلقاته الشهيرة التى كان يشرح فيها كثيرا من علوم الكلام و الفقه و الفلسفة و المنطق بأسلوبه العصرى المبتكر أثر عظيم فى نفوس من استمع إليه فى ذلك الحين من طلاب الأزهر و شويخه.

و كانت الشهادة التى تعطى للعالم فى نهاية دراسته تكتب فى المعية السنية متوجة بختم الخديوى كما يخلع عليه الخديوى (فراجية) و شريطا مقصبا يجعله فى عمامته فى مواضع تشريف، و يكتب للجهات باحترامه و توقيره، و لم يكن يسمح بالامتحان إلا لستة طلبة، فإذا ازداد العدد يرجح منهم من امتاز بالشهرة او بالوجاهة او كبر السن.

و لما جاء الأفغانى إلى مصر، تتلمذ على يده و على حلقته العلمية الخاصة الطالب الأزهرى محمد عبده، و صادفت تعاليم الأفغانى فى نفس الأزهرى الصغير أرضا خصبة. فأخذ عنه كل مبادئه و أغراضه. ثم أصبح و هو ما زال طالبا يقرأ دروسا فى الأزهر على أسلوب أستاذه، موضوعها التوحيد و المنطق و الحكمة و الفلسفة. و كان يؤم تلك الدروس الجم الغفير من العلماء و المجاورين، فيرون كتبا جديدة و روحا جديدة و أسلوبا جديدا، فيه بلاغة و حرية فكر، و هنا ظهر الاصطدام بين مذهبين، مذهب الأزهر القديم الذى كان ينادى به الشيخ عليش، و مذهب محمد عبده و أستاذه، يجهر به هذا الطالب موفقا قادرا يبهر به الناس. كما ظهرت للشيخ الامام المقالات الصحفية فى التصوف و التوحيد الممزوجين بالحكمة و الفلسفة و المنطق،

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۴۲۵

لفتت اليه الأنظار فعضده الكثير من الطبقة النابهة و شجعوه على كتابة المقالات الدينية و الأدبية و الاجتماعية كلها تدعو الى ادخال

العلوم العصرية فی الأزهر. و لما بلغ الثامنة و العشرين تقدم لامتحان العالمية. فنالها عام ۱۲۹۴ ه بعد تلكؤ العلماء و تبرمهم به لعلمهم بنزعته التجديدية و تأثره بآراء جمال الدين الأفغانی. و كلاهما ثائر فی وجه الجمود، داعية الی حرية الفكر.

و عمل الامام محمد عبده جهده علی اصلاح الأزهر و بمساعيه صدر القانون المعروف بقانون عام ۱۸۹۵ م و من ذلك التاريخ دخل الأزهر فی طور جديد.

و لا يمكننا ان ننكر فضل الامام محمد عبده فی اخراج هذا القانون الی حيز الوجود. ففی حكم الخديوی توفيق بذل مجهودا كبيرا فی اقناع الشيخ محمد الأنبابی شيخ الجامع فی ذلك الحين بأن يوسع منهاج الدراسة بالجامع و ان يدخل بعض العلوم الحديثة علی منهاج التعليم فيه. و لكن شيوخ الأزهر عارضوه معارضة شديدة فحاول أن ينال تأييدا من الخديوی و لكنه لم ينل منه عطفا كافيا.

فلما ولی الحكم عباس باشا الثانی. حاول ان ينجح معه حيث فشل مع سلفه، فرفع اليه تقريرا مسهبا عن الأزهر و طرق اصلاحه فصادف ذلك التقرير رضاء عاليا من سمو الخديوی فأصدر القانون السالف الذكر فی ۱۷ رجب عام ۱۳۱۲ ه (۱۵ يناير سنة ۱۸۹۵ م) فألف مجلسا لادارة الأزهر من أكابر شيوخه الذين يمثلون المذاهب الأربعة و مثل الحكومة فيه الشيخ محمد عبده نفسه و صديقه الشيخ عبد الكريم سليمان دون ان يكون لشيخ الجامع و لمجلس ادارته رأی فی انتخابهما.

و علی الرغم من أن الإمام كان مؤيدا فی آرائه الإصلاحية من الخديوی و حكومته، فقد أراد ألا يعمل أی تغيير فی الأزهر إلا برضاء شيوخه.

و استصدر الامام قانون كساوی التشريف التی كان يلبسها العلماء فی

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۲۶

مناسبات معينة تميزهم عن غيرهم، فصارت تعطی لمستحقيها بمراعاة الاقدمية و غيرها من المؤهلات و كان الرأی فيها من قبل لشيخ الجامع يعطی من يشاء و يمنع من يشاء، و الأصل فی هذه الكساوی ان أكابر العلماء و بعض مشايخ الحارات من أهل الحسب و النسب كانوا يزورون محمد علی باشا الكبير فی قصره فی اول يوم من رمضان تبريكا بحلول شهر الصوم، فيخلع عليهم خلعا هی الكساوی المذكورة و بعد وفاته تنوسيت تلك العادة الی زمن الخديوی إسماعيل فأحياها. ثم اهتم الامام محمد عبده بتنظيمها، فصدر امر الخديوی عباس الثانی، بربط بدلها نقودا باسم طائفة اهل العلم بالجامع الأزهر علی الدوام.

و عنی الامام كذلك عناية كبيرة بشئون الأزهر الادارية فابتنی مكاتب قريبة من الجامع يقوم بالخدمة بها عدد من الكتاب لمعاونة شيخ الجامع، بعد ان كان الشيخ فی الماضی يدير الأزهر من منزله حيث كان المدرسون و المجاورون يجتمعون اليه تاركا امور الأزهر العادية الهامة فی يد كاتبه الخاص يبت فيها.

و لم تجذب مبادیء الامام الأزهريين كما اجتذبت طبقة المتأثرين بالحضارة الاوروبية، و كان العدد الاكبر من مريديه و تلاميذه من أرباب المناصب العالية فی القضاء و أساتذة المدارس العليا أو رؤساء المصالح الحكومية. و كان بعض هؤلاء قد تعلم فی الأزهر، و لكن أكثرهم كانوا ممن تلقوا شيئا من علوم الغرب و بعضهم ممن جلس الی جمال الدين الأفغانی.

و انتقل الأزهر بالقانون رقم ۶۰ لسنة ۱۹۱۱ إلی مرحلة أخری من النظام. فقد أوضح القانون واجب الجامع الأزهر من حيث القيام علی حفظ الشريعة الغراء و فهم علومها و نشرها علی وجه يفيد الأمة و يخرج علماء يوكل إليهم أمر التعليم الدينی و يتولون الوظائف الشرعية فی مصالح الأمة، و قد زيد فی هذا القانون من اختصاصات شيخ الجامع الأزهر فهو زيادة علی كونه الإمام الأكبر لجميع رجال الدين و الرئيس العام للتعليم فيه و فی معاهده

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۲۷

الملحقة به فهو المشرف الأعلی علی السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم و حملة القرآن الشريف من مصريين و غير مصريين. و هو المنفذ الفعلی العام لجميع القوانين و اللوائح و القرارات المختصة بالجامع الأزهر و المعاهد.

و جعل لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخ بالجامع الأزهر و كذا لكل معهد من المعاهد الأخرى. و أجيز تعيين وكيل للجامع و الكليات عند مسيس الحاجة، و جعل لكل قسم من أقسام الأزهر شيخ و مراقبون و كتبه، أما انشاء الوظائف فيكون من اختصاص مجلس الأزهر الاعلى.

و أنشىء للأزهر مجلس تحت ادارة شيخه و رئاسته كما أنشئت مجالس ادارة مماثلة للمعاهد التابعة للأزهر. و قد أنشىء مجلس الأزهر الأعلى من شيخ الجامع بصفته رئيسا، و من أعضاء ثمانية هم: شيخ السادة الحنفية، و شيخ السادة المالكية، و شيخ السادة الشافعية، و شيخ السادة الحنابلة، و مدير عموم الأوقاف المصرية، و ثلاثة ممن يكون لوجودهم بالمجلس فائدة لترقية التعليم و حسن انتظام ادارته بشرط ان يكونوا حائزين للصفات الملائمة لحالة الجامع الأزهر و المعاهد الأخرى، و يكون تعيينهم بارادة سنية بناء على قرار مجلس النظار. و فى غياب شيخ الجامع ينوب عنه فى الرئاسة شيخ السادة الحنفية.

و قد عدلت تلك المادة فى القانون رقم ۶ لعام ۱۹۱۶.

و طرأ على هذا القانون كثير من التعديلات فى عام ۱۹۲۰، ۱۹۲۳، ۱۹۲۴ شملت مجلس ادارة الجامع الأزهر و شروط العضوية فيه و العلوم التى تدرس فى الجامع و تقسيم التعليم الى أولى و ثانوى و عال و قد أنشىء قسم التخصص فى قانون عام ۱۹۳۳ م.

و صار الأزهر بعد الاحتلال الانجليزى لمصر مقصورا على وظائف الفتاوى و القضاء، و حتى الأخير كاد يسلب منه حين أنشئت مدرسة القضاء الشرعى.

و لا شك ان هذه الفترة فى تاريخ الأزهر الشريف الى وقت صدور قانون ۱۹۱۱ كانت فترة تسامح، اذ لم يكن الأزهر فى هذه الآونة قد استقر

الأزهر فى ألف عام، ج۲، ص: ۴۲۸

إلى قرار فان كان الأزهر فى هذه الفترة قد خرج فطاحل أمثال الشيخ الإمام محمد عبده، و سعد زغلول، و الشيخ القبانى، و الشيخ على يوسف، و مصطفى الباجورى، و الشيخ النواوى و غيرهم إلا أن القوانين التى كانت قد صدرت لمصلحة الأزهر لم تصل به إلى حد الكمال.

ثم صدر فى ۲۴ جمادى الآخر عام ۱۳۴۹ ه (۱۵ نوفمبر عام ۱۹۳۰ م) مرسوم بقانون رقم ۴۹ باعادة تنظيم الأزهر و المعاهد الدينية و الكليات و بدىء العمل به فى عام ۱۹۳۱ م.

بدأ القانون بإصلاح مجلس الأزهر الأعلى الذى كان حجر عثرة فى سبيل كل إصلاح يدق باب الأزهر فأدخل كثير من المعاهد فى عواصم الأقاليم و ان كانت لم تصل الى مكانة الجامع الأزهر أو معهد طنطا. و قد لاحظ الملك فؤاد ان كثيرا من الطلاب يفضلون الالتحاق بهذين المعهدين.

فحارب جلالته هذه النزعة ليخفف الضغط على الأزهر و المعهد الاحمدى، فأنشأ معهدى الزقازيق و أسيوط فى أبنية رائعة فاخرة تسع كل منها ما يزيد على ألف طالب. كما تكلف كل بناء منها ما يزيد على الأربعين ألفا من الجنيهات.

و كان من أهم مميزات الجامعة الأزهرية انها انفردت بجمعها بين مراحل التعليم الثلاث، الابتدائى و الثانوى و العالى، فى حين كانت المعاهد الدينية مقصورة على المرحلتين الابتدائية و الثانوية.

ثم صار الأزهر جامعة عصرية تجمع كليات حديثة منظمة على احدث الطرق، و هو و ان لم يكن قد وصل بعد إلى طريق الاستقرار و الوضوح، فقد نظمت الدراسة فيه و فى معاهده فى مراحل عدة و أنشئت معاهد جيدة و إجازت تخصص، و أعدت للطلبة أبنية صحية جميلة للدرس و السكنى، بدل الأروقة، و قد وضع تصميم لمشروع إنشاء مدينة جامعة أزهرية فى حى الأزهر لانشاء مساكن على نطاق واسع تسع جميع الطلبة كما عمل تصميم لإنشاء مكتبة عامة تجمع ما تكدس من كتب قيمة و مؤلفات و مخطوطات ثمينة بدل تلك التى تضيق بما فيها من كتب و تفتقر إلى قاعة مطالعة فسيحة.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۲۹

و یجب ألا ننسی ذکر ما أدخل علی برامج التعلیم من التغییرات و التعدیلات و الکثیر من المواد العصریة لصالحه کتاریخ التشریع و النظام الدستوری و مبادیء الاقتصاد و نظم التربیة و الاخلاق و علم النفس و اللغات الأجنبیة و الشرقیة. کما أرسل عدد عظیم من خریجی الجامعة الأزهریة فی بعثات الی باریس و لندن و برلین. و قد عاد بعض هؤلاء الطلبة الی الأزهر لینشروا فیه ما تلقوه فی تلک المعاهد من علوم حدیثة و أفکار جریئة.

و لما مات الشیخ محمد مصطفی المراغی، رحمه اللّه اختیر الشیخ مصطفی عبد الرازق لما عرف عنه من سمعة طیبة و کونه حائزا للشهادة العالمیة الأزهریة و انه قام بالتدریس مدة لیست بالقصیرة بجامعة فؤاد و له مؤلفات قیمة فی الفلسفة و الأدب و التاریخ. و قد طلب الشیخ مصطفی عند تعیینه ان یعفی من حمل لقب الباشویة تواضعا و ذلک لأنه لم یجر العرف فی أن یحمل شیخ الجامع الأزهری ای لقب من ألقاب التشریف سوی لقب شیخ.

و فی عام ۱۹۶۱ وضعت الثورة قانونا جدیدا لتطویر الأزهر فأنشأت فیه کلیات جدیدة للطب و الصیدلة و الهندسة و الزراعة و العلوم و کلیة للبنات، و صار الأزهر جامعة کبری تشمل کل علوم الدین و الدنیا، و تغیر وجه الأزهر القدیم، و صار الأزهر الحدیث هو الماثل بیننا الآن.

هذا هو الأزهر بیت العلم العتیق، و مثابة الثقافة الاسلامیة، و الذی حمل لواء المعرفة فی مصر و فی الشرق الاسلامی قرونا متصلة، و حفظ التراث الاسلامی فی الدین و اللغة و العلوم و نشره علی الآفاق طیلة ألف سنة أو یزید. و قد تخرج فیه أفواج من العلماء خلال عصور التاریخ ممن انتشروا فی بقاع الأرض و حملوا معهم مشاعل المعرفة و الثقافة التی تزودوا بها فی الأزهر فأضاءوا الأرض علما و نورا و رشادا.

و ما یزال الأزهر حتی الیوم کعبة العلوم و الآداب و معقل آمال المسلمین فی مشارق الأرض و مغاربها.

الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۳۰

الفهرس

الموضوع الصفحة

الأزهر للشاعر عزیز أباظة ۷

الباب الرابع: أعلام من الأزهر فی العصر الحدیث ۱۱- ۹۴

الإمام محمد عبده ۱۳

الشیخ محمد رشید رضا ۳۴

الشیخ محمد شاکر ۴۲

مشایخ السادة المالکیة ۴۳

الشیخ البحراوی ۴۵

الشیخ محمد نجیب المطیعی ۴۶

الشیخ حسین والی ۴۸

الشیخ محمد الفحام ۵۰

الشیخ الدجوی ۵۱

الشیخ الدینار ی ۵۸

الشیخ السرتی ۵۹
الشیخ اللبان ۶۰
الشیخ النجار ۶۱
الشیخ الجزیری ۶۲
الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۳۱
الشیخ أبو النجا ۶۳
الشیخ أبو العیون ۶۴
الشیخ قادوم ۷۶
الشیخ عبد العزیز المراغی ۷۷
الشیخ فکری یاسین ۸۱
الشیخ نافع الخفاجی ۸۳
ازهریون فی سجل التاریخ ۹۳
الباب الخامس: صور من الأزهر القدیم و الحدیث ۹۵- ۱۵۶
اول درس للسیوطی ۹۷
الحفنی شیخ الأزهر ۱۰۰
الاجازات العلمیة فی الأزهر القدیم ۱۰۲
الاجازات العلمیة فی الأزهر الحدیث ۱۲۲
اصلاحات جدیدة فی الأزهر ۱۲۷
فی صحائف الذکری ۱۳۴
اروقة الأزهر ۱۴۷
الباب السادس: صورة عن النشاط العلمی فی الأزهر ۱۵۷- ۴۲۹
الأزهر و الحرکة الفکریة المعاصرة ۱۵۹
بعوث الأزهر ۱۶۴
نهج الدراسة بالأزهر ۱۶۹
قوانین الأزهر ۱۷۵
قانون الأزهر لعام ۱۹۶۱ ۱۸۸
التعلیم فی الأزهر ۲۲۸
جماعة کبار العلماء ۲۳۰
الدراسات العلیا فی الأزهر ۲۳۵
حیاة الأزهر الثقافیة ۲۴۲
مکتبة الأزهر ۲۵۷
رفاعة الطهطاوی ۲۶۷
الأزهر فی ألف عام، ج۲، ص: ۴۳۲

العيد الألفى للأزهر ۲۶۹
المدارس العلمية فى الأزهر ۲۷۶
ازهريون فى العصر المملوكى ۲۹۲
الإمام السيوطى ۲۹۶
شمس الدين الحنفى ۳۱۳
الشيخ السنباطى ۳۱۴
الشيخ الدردير ۳۱۷
الشيخ الصعيدى ۳۱۸
الشيخ عمر مكرم ۳۲۰
الشيخ الشرقاوى ۳۲۲
الشيخ حسن العطار ۳۲۴
الشيخ محمد عياد الطنطاوى ۳۲۷
أئمة الأزهر فى القديم و الحديث ۳۳۸
بعض الزعماء من الأزهر ۴۰۱
الأزهر الجامعة الإسلامية الكبرى ۴۰۳

[الجزء الثالث]

الباب السابع

حول الأزهر و رسالته

-۱-

كانت الغفوة الكبرى التى أصابت العالم الإسلامى فى القرون الوسطى ذات أثر بعيد فى حياته السياسية و العقلية و الاجتماعية فى القرن التاسع عشر.

لم يبعد المسلمون هذه الحقبة الطويلة كثيرا عن تقاليد الشرق، و إنما جافوا روح الإسلام، و جهلوا مبادئه و أهدافه، و وقفوا أمام تيار النهضة الغربية جاهلين عاجزين أذلاء. و بادرهم المستعمرون بتحطيم ما بقى فى أجسامهم من منعة، و فى قلوبهم من إيمان، و فى أرواحهم من عزة و مثل عليا ... و كانت الأحداث الكبرى التى هزت العالم الإسلامى هزا عنيفا داعية للمفكرين و المصلحين أن يجاهدوا فى سبيل البعث و الإحياء و تجديد الحياة و الأمل فى نفوس المسلمين. و اقترن ذلك بدعوات جريئة للإصلاح، انبعثت من رجال الدين حينا، و من غيرهم حينا آخر. من أمثال محمد بن عبد الوهاب م ۱۲۰۶ ه، و السيد أحمد خان الهندى ۱۸۹۸ م، و السيد أمير على، و الكواكبى ۱۹۰۲ م، و جمال الدين الأفغانى ۱۸۹۷ م، و محمد عبده ۱۹۰۵ م، و سواهم من دعاة الإصلاح، و حملة رسالته.

كان السيد جمال الدين الأفغانى يريد تحرير الشعوب الإسلامية من

العبودية و الاستعمار، و تكوين حكومة إسلامية موحدة تهتدى بهدى الإسلام، و بعث الروح القومى فى الشرق عن طريق الإصلاح

الدينى العام .. و كان محمد عبده يريد النهوض بالشرق الإسلامى سياسيا عن طريق النهضة الثقافية به، و يرى أن الإسلام هو السبيل لتمهيد حركة الإصلاح و تغذيتها، و أنه هو و العقل و العلم إخوة، و لذلك دأب على الدعوة إلى تصحيح العقيدة، و إذاعة رسالة الإسلام، و إيقاظ الشعور العام بإيقاظ الروح الدينى .. و خفتت بعد محمد عبده دعوة الإصلاح فى الشرق، و إن لمعت جذوتها حينا فى أفكار الشيخ مصطفى المراغى، رحمه اللّه، الذى كان يعمل للنهوض بالأزهر الحديث حتى يصل إلى مستوى الجامعات الكبرى فى الشرق و الغرب .. كما أضاءت الشعلة حينا آخر فى آراء الشيخ مصطفى عبد الرازق و حمروش و عبد المجيد سليم، الذين كانوا يحرصون على إحياء التعارف و التعاون بين المسلمين عامة. و لكن هذه الآثار لم تكن على جانب خطير من الأهمية فى الإصلاح الدينى فى الشعوب الإسلامية فى القرن العشرين.

- ۲- رسالة الأزهر فى رأى المراغى:

رسالة الأزهر عنده هى حمل رسالة الإسلام .. و متى عرفت رسالته عرفت رسالة الأزهر. و الإسلام دين جاء لتهذيب البشر و رفع مستوى الإنسانية و السمو بالنفوس إلى أرفع درجات العزة و الكرامة، طوح الإسلام بالوسطاء بين الناس و ربهم، و وصل بين العبد و ربه، و لم يجعل لأحد فضلا على أحد إلا بالتقوى، و قد العلم و العلماء، و قرر فى غير لبس ما يليق بذات الخالق من الصفات، و ما قرره فى ذلك هو منتهى ما سمت إليه الحكمة، و وصل إليه العقل، و فرض عبادات كلها ترجع إلى تهذيب النفس

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۷

و تلطيف الوجدان، و إبان أصول الأخلاق، و قرر التمتع بالطيبات و لم يحرم إلا الخبائث، و وضع حدودا تحد من طغيان النفوس و نزوات الشهوات، و وضع أصول النظم الاجتماعية و أصول القوانين: قواعد كلها لخير البشر و سعادة المجتمع الإنسانى .. هذه صورة مصغرة جدا للدين الإسلامى، و شرح قواعده و أسراره، و متى أدى الأزهر هذه الرسالة على وجهها فقد أدى نصيبا عظيما من السعادة و الخير للجمعية الإنسانية. و فى القرآن الكريم حث شديد على العلم، و على معرفة اللّه و على تدبر ما فى الكون، و ليس هناك علم يخرج موضوعه عن الخالق و المخلوق. فالدين الإسلامى يحث على تعلم جميع المعارف الحقة. و ليس فى المعارف الصحيحة المستقرة شىء يمكن أن يناقض أصول الدين و يهدمها، نعم قد توجد معارف تناقض ما وضعه العلماء فى شرح القرآن و الحديث و الفقه و غير ذلك، و لكنا لا نهتم لهذا. فليسر العلم فى طريقه، و لنصحح معارف الماضين، و لكن على شريطة أن يكون ما يخالف معارفنا من العلم البرهانى المستقر، و لم يقصد من هذا أن يكون الأزهر مدرسة طب أو هندسة، أو كلية للكيمياء أو ما يشبه هذا: و لكنه يعنى أن هناك علوما و معارف لها صلة وثيقة بالدين، تعين على فهمه، و تبرهن على صحته، و يدفع بها عنه الشبهات. فهذه العلوم يجب أن يتعلمها العالم الدينى أو يتعلم منها القدر الضرورى لما يوجه إليه.

و قد تغيرت فى العالم طرق عرض السلع التجارية، و أصبح الإعلان عنها ضروريا لنشرها و ترغيب الناس فيها. و لديكم الحوانيت القديمة و مخازن التجارة الحديثة، فقارنوا بينها تدركوا ما فى طريقة العرض الحديثة من جمال يجذب النفوس إليها، و ما فى طريقة العرض القديمة من تشويه ينفر النفس منها. و قد توجد فى الحوانيت القديمة سلع أحسن صنفا و أكثر قيمة و أمتن مادة، و مع ذلك فهى فى كساد، و كما تغيرت طريقة عرض السلع تغيرت طريقة عرض العلم، و أحدث العلماء طرائق تبعث الرغبة الملحة فى العلم، و تنفى عنه الملل و السأم، حدثت هذه الطرق فى إلقاء

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۸

الدروس و المحاضرات، و حدثت فى تأليف الكتب أيضا، و هذا المثل ينطبق علينا، ففى جميع الكتب التى تدرس فى الأزهر، و فى جميع العلوم التى تدرس فى الأزهر، أعلاق نفيسة لا تحتاج إلا إلى تغيير طريقة العرض فى الدرس و التأليف، و فى الفقه الإسلامى نظريات تعد الآن أحدث النظريات عند رجال القانون، و فى الفقه الإسلامى آراء يمكن أن يسير عليها الناس الآن من غير حرج، و هى

تحقق العدالة فى أكمل صورها. و لكن هذه النظريات البالغة منتهى الجمال و الحكمة يحجبها عن الناس أسلوب التأليف القديم.

على الأزهر أن يسهل فهم علومه على الناس، و أن ييسر لهم هذه المعارف، و أن يعرضها عرضا حديثا جذابا مشوقا، و مسألة أخرى يجب أن يعنى الأزهر بها: هى تطهير الدين الإسلامى من البدع، و ما أضيف إليه بسبب الجهل بأسراره و مقاصده، فهناك آراء منثورة فى كتب المذاهب و فى غير كتب المذاهب يحسن سترها ضنا بكرامة الفقه و الدين.

من الواجب أن يعترف بأن المذاهب الإسلامية جملة تغنى عن الاجتهاد فى المسائل التى عرضت من قبل متى تخير العلماء منها، و أذكر قصة طريفة تجدونها فى كتاب الولاة و القضاة للكندى: «كان فى مصر قاض شافعى المذهب فى عصر الإمام الطحاوى. و كان يتخير لأحكامه ما يرى أنه محقق للعدل من آراء الأئمة و لا يتقيد بمذهب. و كان مرضى الأحكام لم يستطع أحد أن يطعن عليه فى دينه و خلقه، سأل ذلك القاضى الإمام الطحاوى عن رأيه فى واقعة من الوقعات. فقال الطحاوى: أتسألنى عن رأيى أم عن رأى أبى حنيفة؟ قال القاضى: و لم هذا السؤال؟ قال الطحاوى: ظننتك تحسبنى مقلدا. فقال القاضى: ما يقلد إلا عصبى أو غبى؟»، فتخير الأحكام نوع من الاجتهاد، و لكنه الاجتهاد الذى لم يغلق الناس أبوابه، فإصلاح التعليم فى الأزهر واجب اجتماعى لإصلاح الأمم

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۹

الإسلامية على مختلف أقطارها و أجناسها، و على كل مسلم أن يساهم فيه إذا استطاع إلى ذلك سبيلا، و أن نرجو اللّه سبحانه أن يوفق العلماء و طلاب العلم إلى الإخلاص فى ذلك إخلاصا للّه و لرسوله و للمؤمنين و للدين الحق الذى وعد اللّه أن يظهره على الدين كله، و جعله هداية عامة لجميع البشر .. و نصيحة أقدمها إلى العلماء و طلاب العلم فى الأزهر راجيا تدبرها، و هى احترام حرية الرأى، و التحرج من الاتهام بالزندقة و الكفر، و لا نطالب بشىء يعد بدعة، و لا نحدث فى الدين حدثا بهذه النصيحة، فهى موافقة للقواعد التى وضعها سلف الأمة رضى اللّه عنهم. و ترونها مبسوطة واضحة فى كتب الأصول و فى جميع كتب الإمام الغزالى، و حاصلها- على ما أذكر- أن المسائل الفقهية يكفر منكر الضرورى منها كالصلاة و الزكاة و حرمة الزنا و شرب الخمر و قتل النفس و الربا، أما إنكار أن الإجماع حجة، و خبر الواحد حجة، و القياس حجة، فلا يوجب الكفر، و ما عدا ذلك من المسائل الفقهية لا إثم فى إنكاره مطلقا، على شرط أن يكون الإنكار غير مصادم لنص أو إجماع.

على هذا أجمع الصحابة رضى اللّه عنهم، و أجمع عليه الأئمة، و لم يعرف أن بعضهم أثم بعضا، و على الجملة فما دام المسلم فى دائرة القرآن لا يكذب شيئا منه، و لا يكذب ما صح عن رسوله صلى اللّه عليه و سلم بطريق قاطعة، فهو مسلم لا يحل لأحد أن يتهمه بالكفر .. عرضنا لهذه النصيحة لأنها تسهل على أهل الأزهر معاشرة الناس، و العمل بها يمّكن من نشر الدعوة و من الجدل بطرقه المقبولة، و العمل على خلافها منفر يحدث الشقاق و يورث العداوة.

و إذا كانت مهمة الأزهر حمل رسالة الإسلام للعالم، فمن أول واجب على أهله أن يعدوا أنفسهم لتعلم اللغات، لغات الأمم الإسلامية و غير الأمم الإسلامية، و اللّه لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم، فليحقق الأزهر القدوة، و ليرسل إلى الناس رسلا يفقهونهم فى دينهم بلسانهم .. و قد عنى

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۰

المراغى بهذه المسألة كما عنى بتثقيف إخواننا الذين أسماهم القانون «أغرابا»، فإن لهم من الحقوق و الحرية فى هذا الوطن ما لكل فرد من أهل البلاد، و نرجو أن يفكروا طويلا فيما يفرضه عليهم دينهم من الهداية و الإرشاد و إسعاد المجتمع.

-۳-

و كان الشيخ عبد المجيد سليم يرى و هو فى أول مشيخته الأولى اقتران الإصلاح الدينى فى العالم الإسلامى بإصلاح الأزهر الشريف.

و مهمة الأزهر فى رأيه جد خطيرة، فهى تشتمل: «تعليم أبناء الأمة الإسلامية دينهم و لغة كتابهم، تعليما قويا مثمرا، يجعلهم حملة

للشریعة، أئمة فی الدین و اللغة، حفّاظا حرّاسا لکتاب اللّه و سنة رسوله و تراث السلف الصالح و القیام بما أوجبه اللّه علی الأمة من تبلیغ دعوته، و إقامة حجته، و نشر دینه ... فعلی رعایة هذین الجانبین یجب أن تقوم خطة الإصلاح فی الأزهر، و أن یعمل العاملون علی تحقیق آمال الأمة فیه ».

و وسائل إصلاح هذه الجامعة الإسلامیة العتیدة تتلخص فی رأیه فیما یلی:

۱- مراجعة الکتب الدراسیة، و إبقاء الصالح منها، و اختیار لون جدید یوجه الطلاب توجیها حسنا إلی العلم النافع من أقرب طریق و أیسره.

۲- تشجیع حرکة التألیف و التجدید عن طریق الجوائز العلمیة و غیرها حتی یتصل حبل العلم ... و توجیه العلماء إلی وضع بحوث فی الفقه و التشریع تسایر الروح العلمی الحاضر.

۳- إعداد جیل قوی من أبناء الأزهر یستطیع أن یحمل الرسالة، فإن

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۱

الأمة ترید من الأزهر أن یخرج لها علماء فی الدین و الشریعة و اللغة و سائر العلوم العقلیة و الاجتماعیة المتصلة بها، علی أن یکون هؤلاء العلماء مزودین مع هذا بقدر صالح من العلوم الأخری التی تفیدهم فی مجتمعهم ثقافة عامة، و فی هذا یقول أیضا موجها کلمته إلی الأزهریین: نصیحتی إلیکم أن تعلموا أنکم مجندون فی سبیل اللّه، فأقبلوا علی دراستکم، و تجملوا بالفضیلة بینکم و بین الناس، لتحقیق آمال الأمة فیکم، و إعلاء کلمة الدین و العلم بکم .

۴- تشجیع حرکة البعوث العلمیة التی یرسلها الأزهر إلی جامعات أوروبا للتزود من شتی الثقات .. و لا بدع فإن العلم رحم «بین الناس کافة» کما یقول الأستاذ سلیم لعلماء جامعات أوروبا الذین زاروا مکتبه فی زیارتهم للأزهر الشریف.

۵- تنظیم هذه الجامعة الکبری تنظیما یتفق مع خطر رسالتها، و یساعدها علی أداء هذه الرسالة، بإنشاء مکتبة کبری، و دار کبیرة للطباعة، و إکمال مبانی الأزهر الجامعی، تمهیدا للاحتفال بعیده الألفی، إلی غیر ذلک من وسائل الإصلاح:

أما مهمة الأزهر فی سبیل الإصلاح الدینی فی مصر و الشرق الإسلامی فتتلخص فیما یلی:

۱- العنایة بإصلاح حالة الأسر بإصلاح شئونها، و دعم کیانها، عن طریق بحث التشریعات اللازمة لها: فی الزواج، و الطلاق، و النفقة، و الحضانة، و الولایة، و ما إلیها .

۲- نشر الدین و الثقافة فی کل ناحیة.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۲

۳- إرسال البعوث الأزهریة إلی شتی أرجاء البلاد الإسلامیة لدراسة أحوالها و تهذیب أبنائها.

۴- تشجیع البعوث الوافدة علی الأزهر، و بناء دار کبری لإقامتهم، و رعایة شئونهم العلمیة و الخلقیة و الدینیة.

۵- ربط الأزهر بشتی الجامعات الشرقیة، و إنشاء مراکز ثقافیة له فی عواصم البلاد الإسلامیة.

و أما مهمة الأزهر فی الدعوة إلی الدین فی العالم، فهی کما یری تشمل ما یأتی:

۱- توجیه العلماء إلی وضع مؤلفات باللغات الأجنبیة، لبیان حقیقة الإسلام و مزایاه.

۲- إنشاء إدارة للدعایة الإسلامیة، تتولی توجیه الناس إلی الإسلام و مبادئه الخالدة.

۳- ترجمة تفسیر القرآن الکریم إلی اللغات الأجنبیة.

-۴-

و یری الأستاذ الأکبر الشیخ إبراهیم حمروش أن رسالة الأزهر تقوم علی دعامة التوجیه العلمی لنظم الدراسة فیه، لتکوین جیل قوی

کفء من أبنائه یتحلی بصفات العلماء، و مواهب و أخلاق رجال الدین، دون نظرة إلی الکثرة و العدد، و أن هذا الجیل القوی یستطیع أن یؤدی رسالة الأزهر العلمیة و الدینیة فی مصر و الشرق الإسلامی، و قد بدأ الشیخ فی مشیخته بالتفکیر فی طبع رسائل للتعریف بالدین بشتی اللغات، و بفتح القاعة الکبری للأزهر لمحاضرات علمیة و توجیهیة یلقیها کبار شیوخ الأزهر.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۳

و قد نشر الأستاذ الکبیر الشیخ محمد عرفة عضو جماعة کبار العلماء کتابا عنوانه «رسالة الأزهر فی القرن العشرین»، ذهب فیه إلی أن رسالة الأزهر هی أن یفهم الناس الدین علی وجهه و أن ننقیه من التفسیرات الخاطئة التی دخلت علیه، و فوق ذلک علیه أن یعنی بأخلاق الأمة و تقالیدها.

و قد أخذ الأستاذ علی الأزهر أن التعلیم فی الأزهر لم یعن بالخلق کما یجب، و أن الإقبال علی العلم بین جدرانه أصبح ضعیفا، و أن المادیة قد دخلت فیه و أفسدت الکثیر من حیاته.

و إبان أن ثقة الأمة فی الأزهر تضعف شیئا لعوامل کثیرة: منها قلة الإنتاج العلمی فی محیطه، و انقلاب الأزهریین إلی موظفین لا غیر، و ضعف نفسیة الأزهری و ثقافته و أفق تفکیره، و عدم وجود بیئة صالحة فی وسط الأزهر.

کما ترجع إلی الفساد الذی استشری فی الأزهر من الناحیة الإداریة و غیرها، و إلی بعد الأزهر عن الحیاة العامة، و إلی عدم انتظام الأمور فیه فی الکثیر، و انعدام تنفیذ قوانین الأزهر، و عدم أخذ الأمور بالحزم، و السیاسة الحزبیة التی تفسد علی الأزهر کل شیء، و تدخل فی وسطه للهدم و التدمیر.

-۶-

و فی عام ۱۳۶۲ ه- ۱۹۴۴ ألقی الأستاذ محمود شلتوت عضو جماعة کبار العلماء محاضرة فی دار کلیة الشریعة عنوانها «السیاسة التوجیهیة العلمیة فی الأزهر» تتصل برسالة الأزهر، و جاء فیها:

الغرض من الجامع الأزهر، کما جاء فی المادة الأولی من القانون

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۴

رقم ۲۶ لسنة ۱۹۳۶ بإعادة تنظیم الجامع الأزهر، و هو آخر تعدیل لهذا التنظیم:-

۱- القیام علی حفظ الشریعة الغراء: أصولها، و فروعها، و اللغة العربیة، و علی نشرهما.

۲- تخریج علماء یوکل إلیهم تعلیم علوم الدین و اللغة فی مختلف المعاهد و المدارس و یلون الوظائف الشرعیة فی الدولة.

و هذا هو الغرض من الجامع الأزهر، لا من تاریخ هذا القانون فقط، و لا من تاریخ أول قانون وضع لتنظیم الأزهر، و لکنه غرضه من یوم أن انسلخت عن الأزهر الصبغة الشیعیة التی أنشیء لترکیزها و تنمیتها و القضاء بها علی المذاهب الأخری. من یوم أن تولی الظاهر بیبرس ملک مصر سنة ۶۵۸ هجریة، و أعاد إلی الأزهر حیاته العلمیة التی أبطلها صلاح الدین الأیوبی عملا منه علی إزالة کل أثر للفاطمیین، فمن ذلک الحین- فقط- تبتدیء حیاة الأزهر العلمیة التی لا تتقید برأی و لا مذهب، و لا تقتصر علی علم من العلوم، فقد درست فیه جمیع العلوم الشرعیة علی اختلاف المذاهب و الأصول، و درست فیه علوم اللغة العربیة بجمیع مذاهبها و آرائها، و درست فیه آراء علماء العقیدة لا فرق بین فرقة و فرقة، کما درس فیه کثیر من العلوم الریاضیة و العقلیة، مما رأی سلفنا أن له نفعا فی تکوین الفکرة الإسلامیة، و خدمة الشریعة و العقلیة، مما رأی سلفنا أن له نفعا فی تکوین الفکرة الإسلامیة، و خدمة الشریعة و اللغة، کان هذا هو الغرض من الجامع الأزهر منذ ذلک الحین، و لم یکن موزعا علی طلاب العلم بحیث یختص کل فریق منهم بناحیة معینة علی نحو ما نری الیوم، بل کان جمیع طلابه ینهلون من جمیع علومه، لا اختصاص لأحد بعلم، إلا ما کان عن طریق الاستعداد الفطری، و المیل النفسی، و قد مرت بالأزهر أطوار مختلفة، کان فیها بین الصحة و المرض، و التقدم و التأخر، و النهوض

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۵

و التقاعد، و الإنتاج و العقم، و لسنا بصدد الكلام عن هذه الأطوار التی طواها التاريخ بما لها أو عليها، و لكن مما يهمنا فی هذا الحديث، أن نعرف أن هذه الأطوار ختمت بعهد تجمعت فيه علل ماض طويل، و أخذت تعمل عملها فی صرف الأزهر عن التفكير و الإنتاج، و عن كل نافع من العلوم العقلية و الكونية، و انتهت مظاهر العلم و التفكير فيه إلى أن تغلبت المبادىء الآتية:

۱- تغلبت العناية بالمناقشات اللفظية، و تتبع كلمات المؤلفين فی المصنفات و الشروح و الحواشی و التقارير على الروح العلمية الموضوعية التی من شأنها أن تخدم الفكرة، بقطع النظر عما يتصل بها من لفظ و عبارات.

۲- تغلبت روح التقديس للآراء و الأفهام التی دونها السابقون، و السمو بها على مستوى النقد، و عدم الاكتراث بما قد يظهر من آراء جديدة، و لو كان لها من السداد و القوة ما لها.

۳- تغلبت نزعة الإشتغال بالفروض و الاحتمالات العقلية التی لا تقع و ما يتصل بها من أحكام، فتراهم يقولون: لو طلقها نصف تطليقة أو ربع تطليقة، و لو قال لها أنت طالق إن شئت، فقالت له: شئت إن شئت، و تراهم يقولون: لو تزوج جنية، فالحكم فی النسب و الميراث كذا ...

و لقد أكثروا من هذا فی العبادات و المعاملات، و أنفقوا فيه من الوقت و التفكير ما كان جديرا بهم أن يدخروه للنافع المفيد، و وصل الأمر فی ذلك إلى أن الكمال بن الهمام و هو من أفذاذ علماء القرن التاسع يقول: و من مسائل قبل و بعد ما قيل منظوما.

رجل علق الطلاق بشهرقبل ما بعد قبله رمضان

ثم يندفع فی تخريج هذا الفرض و بيان حكمه، ثم يأتی بعده ابن نجيم الحنفی- صاحب البحر و الأشباه- فيتولى الشرح و البيان و التكميل

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۶

و يقول: «إن هذا البيت يمكن إنشاده على ثمانية أوجه، الخ.

و يشاركه فی ذلك علماء عصره ثم يأتی من بعدهم ابن عابدين من علماء القرن الثالث عشر فيضع رسالة فی هذا الفرض تحت عنوان «إتحاف الذكی النبيه، بجواب ما يقول الفقيه»، يشرح فيها أبياتا أولها:

ما يقول الفقيه أيده الله ما و لا زال عنده الاحسان

فی فتی علق الطلاق بشهرقبل ما بعده قبله رمضان

و يورد فی الرسالة آراء جميع من تقدمه من العلماء فی الشرح و الحكم، و لا بد أن يجعل الجواب نظما كالسؤال، و هكذا اشتغل المتأخرون بمثل هذه الفروض و أعرضوا بها عن تنمية الفقه العملی الذی يحتاج إليه الناس فی معاملاتهم و قضيتهم.

۴- تغلبت نزعة الاشتغال باختراع الحيل التی يتخلص بها من الحكم الشرعی، و لقد تناولت هذه الحيل كثيرا من أبواب الفقه، و لم تقف عند الحد الذی أثر عن الأئمة من جعلها وسيلة للتخلص من ضرر أو مكروه، بل افترضوا حيلا يسقطون بها الواجبات، و يفسدون بها الالتزامات، فتجد حيلا لإسقاط الزكاة و حيلا لإسقاط حق الشفعة، و حيلا لإسقاط عدة المطلقة، و حيلا لإسقاط الحدود .. و هكذا مما لا يتفق و مقاصد الشريعة- و لقد أطنب ابن القيم أحد أفذاذ علماء القرن الثامن فی كتابيه «أعلام الموقعين، و إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» فی الرد على فكرة الاحتيال على هذا النحو، و بين أنها مضادة لروح التشريع، و قال: «إن المتأخرين أحدثوا حيلا لم يصح القول بها عن أحد من الأئمة، و نسبوها إليهم و هم مخطئون»، و إذا علمنا أن العناية بالاحتيال الفقهی وصل أمرها إلى أن جعلوه فنا من كتبهم، و بابا من أبوابها، لأخذ منا العجب مأخذه، فهذا ابن نجيم من علماء القرن العاشر يضع عنوانا فی كتابه (الأشباه و النظائر) فيقول «الفن الخامس من الأشباه و النظائر و هو فن الجبل».

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۷

۵- تغلبت روح التعصب المذهبی الشدید، حتی وصل الأمر فی ذلک بین أتباع الأئمة إلی المناقشة فی صحة الاقتداء بالمخالف فی المذهب، و أخذت هذه المسألة فی کل مذهب مجالا واسعا فی البحث و التفریع، و وصل الأمر أیضا إلی البحث عن حکم التزوج من الشافعیة، فتری الکمال بن الهمام و هو فی الکلام علی حکم التزوج بالوثنیات ینقل عن أحد علماء الحنفیة: أنه لا تجوز المناکحة بین أهل السنة و الاعتزال، ثم یقول بعد هذا النقل: «و مقتضاه منع مناکحة الشافعیة»، و اختلف فیها هکذا: قیل یجوز، و قیل یتزوج بنتهم و لا یزوجهم بنته». و تری أثر هذه النزعة فی حکم الحاکم بحل متروک التسمیة عمدا، و فی حکم العقد الذی یشترط فیه بعض المذاهب ما لا یشترط البعض الآخر .. و هکذا وصل التعصب المذهبی إلی مثل هذا الحد، و صارت المذاهب بین المسلمین- و بین أبناء الأزهر- أدیانا یتقاتل أهلها، و یضلل بعضهم بعضا، و هی لا تخرج عن أنها آراء و أفهام حذر أئمتها الأولون من تقلیدها و العمل بها دون الاطمئنان إلیها بمعرفة الحجة و البرهان.

۶- تغلبت الفکرة القائلة بتحریم تقلید غیر المذاهب الأربعة، فحجروا واسعا، و منعوا رحمة اختص اللّه بها هذه الأمة، و لقد ظهرت هذه الفکرة علی وجه أوضح منذ عهد قریب، یوم وضع الأستاذ الشیخ المراغی، مشروع الزواج و الطلاق، فقام ثلاثة من علماء الأزهر بعمل مذکرة تناهض هذا المشروع، و تبنی مناهضتها علی أنه لا یجوز تقلید غیر المذاهب الأربعة فکتب المراغی مذکرة قیمة، لها خطرها فی التوجیه الفقهی و التشریعی، بین فیها کثیرا من مسائل الاجتهاد و التقلید، کما بین آراء العلماء فی تأثر الفقه بالعرف و العادة، و یجدر بنا فی هذا المقام أن نعلم أن العلماء الذین تناولوا هذه المسألة قدیما و استساغوا أن یحکموا بمنع تقلید غیر الأربعة لم ینظروا إلی خصوصیة فی ذات المذاهب الاربعة، و إنما جعلوا مناط التقلید علی وجه العموم الثقة بالمذهب الذی یقلد، و اطمئنان النفس إلی صحة النقل

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۸

عنه، فمن ثبت عنده رأی من آراء الأئمة أو الصحابة جاز له تقلیده و العمل بمقتضاه، لا فرق بین إمام و إمام، و لا بین الأربعة و غیرهم، و لهذا یقول الشیخ عز الدین بن عبد السلام «لا خلاف بین الفریقین فی الحقیقة، بل إن تحقق ثبوت مذهب عن واحد منهم جاز تقلیده، وفاقا، و إلا فلا»، و یقول أیضا «إذا صح عن بعض الصحابة مذهب فی حکم من الأحکام لم تجز مخالفته إلا بدلیل أوضح من دلیله»، و من هنا یقول القرافی: «انعقد الإجماع علی أن من أسلم فله أن یقلد من شاء من العلماء بغیر حجر، و أجمع الصحابة علی أن من استفتی أبا بکر و عمر فله أن یستفتی أبا هریرة و معاذ بن جبل و غیرهما، و یعمل بقولهما من غیر نکیر، فمن ادعی دفع هذین الإجماعین فعلیه الدلیل» أه، هذا هو أصل الفکرة فانظروا کیف حرفت و جعل التقلید خاصا بالمذاهب الأربعة، بل جعل واجبا یذکر تبیین ما یجب علی المکلف أن یدین به و یعتقده، فیقول بعض المؤلفین فی منظومته: «و واجب تقلید حبر منهم».

ورث الأزهر أیضا فکرة أن من قلد إماما من الأئمة الأربعة فلیس له أن یحید عنه، بل یجب علیه أن یلتزمه بدون حجة و لا بحث وراء دلیل، و لا یصح أن یقلد غیره و لو فی غیر ما قلده فیه، و مذکرة الثلاثة التی أشرنا إلیها قد تأثرت بهذه الفکرة أیضا؛ فأوجبت علی القاضی أن یحکم بمذهبه، و حظرت علیه أن یحکم بغیره، و ذلک علی الرغم من أن علماء الأصول یقولون فی هذه المسألة «و الأصح أنه لا یلزم، إذ لا واجب إلا ما أوجبه اللّه و رسوله، و لم یوجب اللّه و لا رسوله علی أحد من الناس أن یتمذهب بمذهب رجل من الأئمة فیقلده فی دینه و فی کل ما یأتی و یذر دون غیره».

ورث الأزهر أیضا القول بحرمة تتبع رخص المذاهب حتی جعلوا عدم تتبع ذلک شرطا فی صحة تقلید غیر الإمام، و صاحب التحریر یقول أیضا فی هذه المسألة: «و لا یمنع منه مانع شرعی» إذ للإنسان أن یسلک الأخف

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۹

علیه إذا کان له إلیه سبیل، و لا أدری ما یمنع هذا من العقل و السمع، و کون الإنسان یتبع ما هو أخف علی نفسه من قول مجتهد مسوغ له الاجتهاد، ما علمت من الشرع ذمه علیه، و کان صلی اللّه علیه و سلم یحب ما یخف علی أمته».

و ورث الأزهر فکرة کان لها أثر خطیر فی انحرافه عن سبیل التفکیر الصحیح و تقدیر الآراء بقیمتها العلمیة: هی خطة المعاداة لطائفة من العلماء نضجت عقولهم و أدرکوا أسرار الشریعة، و خالفوا الناس فی کثیر مما درجوا علیه، و تحرروا من الإغلال التی قید المقلدون بها أنفسهم، حکم الأزهر علیهم بأحکام جائرة، و شکک فی تدینهم و إخلاصهم و آرائهم، و شوهوا فی الکتب و علی ألسنة الدعاة بغیر حق، و جعل ذلک سبیلا إلی رفض العمل بآرائهم، و عدم الاعتداد بأفکارهم فصرفت الأنظار عنهم، و صرنا نسمع من أسباب رفض الرأی: هذا رأی ابن تیمیة، و ابن تیمیة ضال مضل، و هذا قول ابن القیم تلمیذه، کما یقال: هذا رأی الزمخشری و هو معتزلی، أو ابن رشد و هو فیلسوف ... و هکذا، کأن هؤلاء لیسوا من أهل العلم، و لا من رجال البحث أو کأن الحق وقف علی طائفة من الناس لا یعدوها ..

و أخیرا ورث الأزهر فی ذلک العهد: القول بتحریم الاشتغال بالعلوم العقلیة و الریاضیة و أخذ یحارب المشتغلین بها جیلا من الزمن، و لعل من الطریق فی ذلک أن نشیر إلی الاستفتاء الذی تقدم به بعض الناس إلی الشیخ الانبابی شیخ الجامع الأزهر، و إلی مفتی الدیار المصریة الشیخ محمد البنا سنة ۱۳۰۵ ه یسألون فیه: هل یجوز تعلم المسلمین للعلوم الریاضیة، مثل الهندسة و الحساب و الهیئة و الطبیعیات و غیرها من سائر المعارف؟ و هل یجوز قراءتها کما تقرأ العلوم الآلیة من نحو و غیره فی الجامع الأزهر؟

هذه هی الترکة المثقلة التی خلقتها العصور المظلمة، و احتملها الأزهر فی طور مرضه الشدید کعقائد دینیة، و واجبات یری أن یتمسک بها

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۰

و أن یذود عنها، و أن یرمی خارج محیطه بمن یفکر فی التحلل منها، و لقد کانت النتیجة الحتمیة لهذا المیراث الثقیل أن وقفت حرکة التفکیر العلمی فی الأزهر، و حرم نفسه لذة البحث و النقد، و انحصرت مظاهر التبریز و النبوغ فیه فی القدرة علی حل المشاکل اللفظیة فی المتون و الشروح و الحواشی- التی تعود علی العلم بکبیر فائدة، و بهذا انقطعت علاقة الأزهر بالأمة فی تفکیره و علومه و تشریعه، و أصبحت النظرات المتبادلة بینهما کالنظرات المتبادلة بین طائفتین ضاقت کل منهما ذرعا بصاحبتها، و أخذت تتربص بها الأحداث و الدوائر.

ظل الأزهر کذلک حتی هیأ اللّه له- علی سنة اللّه سبحانه: من عدم إخلاء الأمم ممن یعرف الحق و یدعو إلیه- واحدا من أبنائه لا ینسی التاریخ فضله، هو الاستاذ الإمام المصلح له الشیخ محمد عبده رحمه اللّه و رضی عنه. صاح بالأزهر صیحة أیقظته من نومه، و نبهته بعض الشیء إلی واجبه، و کانت مبادئه و أفکاره بمثابة شعاع انبثق فی أفق الأزهر، انتفع به من انتفع، و أزور عنه من أزور، و لکنه مع ما قوبل به من محاولات متعددة لإطفائه، ظل قویا وهاجا یجذب إلیه أنظار المؤمنین، و ینفذ إلی بصائر المخلصین، و یعلو و یتسع أنفه شیئا بعد شیء. و منذ ذلک الحین اتجهت الأنظار إلی وضع نظم من شأنها أن تمکن الأزهر من الانتفاع بهذا النور، و السیر علی هداه حتی یقوم برسالته، و یصل إلی غرضه المنشود، فوضعت نظم متلاحقة متشابهة ضمت إلی العلوم الشرعیة و العربیة کثیرا من العلوم العقلیة و الریاضیة فاتسع لها صدر الأزهر، و هضمتها عقلیته الجدیدة.

و الأزهر الآن فی کلیاته و معاهده و القضاء الشرعی و الإفتاء، و الوعظ و الإرشاد فی المساجد و غیرها، کل أولئک ینتفعون بطائفة کبیرة من العلماء الذین تخرجوا فی ظلال هذه النظم، لهم أثر واضح فی حیاة الأمة من جمیع نواحیها، و استمر الأزهر کذلک إلی أن تولی مشیخة الأزهر للمرة الأولی الشیخ محمد مصطفی المراغی، و هو من أبناء الأزهر الذین عرفوا تاریخه

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۱

و أدرکوا علله و أمراضه، و هو إلی جانب ذلک تلمیذ بروحه و علمه و عقله و تفکیره للأستاذ الإمام عبده، فوضع مذکرته التی تصف علل الأزهر و أداواءه و تصف الدواء الناجح لهذه العلل.

«و لکن العلماء فی القرون الأخیرة استکانوا إلی الراحة، و ظنوا أن لا مطمع لهم فی الاجتهاد، فأقفلوا أبوابه، و رضوا بالتقلید، و عکفوا

على كتب لا يوجد فيها روح العلم، و ابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة و جهلهم الناس، و جهلوا طرق التفكير الحديثة، و طرق البحث الحديث، و جهلوا ما جد فى الحياة من علم و ما جد فيها من مذاهب و آراء، فأعرض الناس عنهم، و نقموا هم على الناس، فلم يؤدوا الواجب الدينى الذى خصصوا أنفسهم له، و أصبح الإسلام بلا حملة، و بلا دعاة بالمعنى الذى يتطلبه الدين». و يقول فى شأن النظم المتقدمة: «و إنى أقرر مع الأسف أن كل الجهود التى بذلت لإصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة تذكر فى إصلاح التعليم، و أقرر أن نتائج الأزهر و المعاهد تؤلم كل غيور على أمته و على دينه، و قد صار من الحتم لحماية الدين، لا لحماية الأزهر، أن يغير التعليم فى المعاهد، و أن تكون الخطوة إلى هذا جريئة، يقصد بها وجه اللّه تعالى، فلا يبالى بما تحدثه من ضجة و صراخ، فقد قرنت كل الإصلاحات العظيمة فى العالم بمثل هذه الضجة».

و يقول فى وصف الكتب: «هى كتب معقدة لها طريقة خاصة فى التأليف، لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية، و إنما يفهمها من مارسها و مرن على فهمها، و عرف إصلاح مؤلفتها». و يقول فيما يختص بدراسة الفقه:

«يجب أن يدرس الفقه الإسلامى دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب، و أن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة، و أن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عليها فى الكتاب و السنة، و الأحكام المجمع عليها، و النظر فى الأحكام الاجتهادية لجعلها

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۲

ملائمة للعصور و الأمكنة و العرف و أمزجة الأمم المختلفة، كما كان يفعل السلف من الفقهاء». و يقول فيما يختص بدراسة التفسير و الحديث:

«يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة، و أن تدرس السنة دراسة جيدة، و أن يفهمها على وفق ما تتطلبه اللغة العربية، و على وفق قواعد العلم الصحيحة، و أن يبتعد فى تفسيرهما عن كل ما أظهر العلم بطلانه، و عن كل ما لا يتفق و قواعد اللغة العربية».

هذه هى مذكرة المراغى التى جعلها دستوره فى الإصلاح، و التى علقت عليه الأمة من أجلها آمالها فى إعلاء شأن الدين و انهاض أهله، و قد رأى تنفيذا لأغراض هذه المذكرة الإصلاحية، توزيع التعليم العالى فى الأزهر على شعب ثلاث: شعبة للتفسير و التوحيد و تعرف باسم كلية أصول الدين، و شعبة للغة العربية و تعرف باسم كلية اللغة العربية، و شعبة للفقه و الأصول و تعرف باسم كلية الشريعة. تنوع التعليم العالى إلى هذه الكليات الثلاث، و وضعت مناهج لكل كلية تبين علومها الأساسية و الإضافية، و جعل وراء ذلك تخصصات «و إجازات» موزعة على هذه الكليات الثلاث.

-۷-

و يرى الدكتور محمد عبد الله دراز: أن أبدع طابع تمتاز به الجامعة الأزهرية، ليس هو أنها قد جمعت فى تعليمها بين هذين العنصرين الروحى و الزمنى، اللذين نراهما منفصلين فى سائر الجامعات، بل ميزتها الكبرى هى أن الميدان الذى تتدفق فيه حيوتها يتجاوز كل حدود التعليم و التثقيف، و يرتقى إلى دور من أهم الأدوار فى توجيه حياة الجماعة. إن رسالة الأزهر على الجملة، إنما هى امتداد لرسالة الإسلام، ألا و إن الإسلام ليس مجموعة مبادىء نظرية تغرس فى الأذهان فحسب، و إنما هو قوة دافعة خلاقة، غايتها أن تنظم السلوك الإنسانى تنظيما فعليا، طبقا لاسمى المثل و أسلسها قيادا على التنفيذ العملى. فليس يكفيه إذا أن يبين هذه المبادىء

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۳

دون أن يسهر على تطبيقها ... و هذا التطبيق لا يخص سلوك الفرد فى نفسه، أو فى أماكن عبادته و كفى، لأن قانون الإسلام، الذى هو موضوع التطبيق، لا يعرف هذا الفصل بين الدين و شئون الحياة، بل إن قواعده العملية تمتد إلى جميع ميادين النشاط الاقتصادى و الأخلاقى، فى حياة الفرد، و الأسرة. و الأمة، بل فى حياة الجماعة الإنسانية كلها.

و قد عنی الأزهر- إلی جانب تکوینه لأسرة التدریس- بتخریج جماعة من المصلحین الاجتماعیین، لیکونوا فی صلة دائمة بالشعب، و یتجهوا إلیه بإرشاداتهم فی کل مناسبة. و لدی الأزهر منهم الآن أکثر من ۲۵۰ واعظا، موزعون توزیعا متناسبا بین العاصمة و سائر الأقالیم، و إن «العدالة» و «الأمن» لمدینان أعظم الدین لجمیل نصائحهم التی یوجهونها إلی الجماهیر، و إلی الأسوة الحسنة التی یقدمونها لهم فی سیرتهم الشخصیة، و إلی طرق الإصلاح التی یمهدونها لهم فی المنازعات، کما تشهد بذلک السجلات الرسمیة. و فی الوقت نفسه نجد فی الأزهر لجنة دائمة من العلماء تتلقی المکاتبات من کل سائل، عما أشکل علیه من أحوال السلوک و شئون المعاملات، و تجیبه بما یزل شبهته، و ینیر له السبیل السوی.

و من وراء ذلک کله- و فوق کل هذه الخدمات الجلیلة- یتمتع الأزهر بسلطة معنویة أکثر عمقا، و أبعد حدودا، یستعملها فی توجیه المجتمع الإسلامی، لا فی مصر وحدها، بل فی سائر البلاد الإسلامیة. و هاهنا أیضا لا تعوزنا الشواهد لإبراز هذه الحقیقة. فلقد أتی علی عرش مصر لحظة من الزمن، فی سنة ۱۸۰۵ م، کان فیها یبدو مترددا بین «خورشید» و «محمد علی». فکان الثقل الذی وضعه نفوذ الأزهر هو الذی رجح کفة المیزان فی جانب محمد علی، و وضع الباب العالی أمام الأمر الواقع فی اختیاره والیا علی مصر. و فی سنة ۱۹۱۹ کان الأزهر هو المنبر الذی ارتفع منه أقوی صوت فی المطالبة بإلغاء الحمایة الانجلیزیة، و کان حرم الأزهر هو المهد الذی ولدت فیه الوحدة التی لا تنفصم عراها بین أقباط مصر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۴

و مسلمیها، لاحباط الدسائس البریطانیة التی حیکت للتفریق بین العنصرین: أما نفوذ الأزهر فی الأقطار الإسلامیة فلیس من نوع ذلک النفوذ الغامض البعید، الذی یتمتع به الأزهر بفضل مهابة اسمه و جلال مرکزه فحسب، بل إن له فی تحقیقه وسائل حیة، و أدوات ناطقة. نعم، أ لیس للأزهر ممثلوه فی أقطار الإسلام، و لتلک الأقطار ممثلوها فیه؟ أو لیس هؤلاء الممثلون من الجانبین هم حلقة الاتصال المتبادل الذی یحفظ و ینمی هذه العلاقات الوثیقة بین الطرفین فی مختلف النواحی الثقافیة و الأدبیة و الروحیة؟

فأما من أحد الجانبین، فإن الدولة الإسلامیة لا تفتأ تلتمس من الأزهر فی کل عام، عددا من علمائه لیبصروا شعوبها بحقائق الإسلام، أو لیکونوا أعضاء فی هیئات التدریس فی جامعاتها و معاهدها، و لا یسع الأزهر إلا أن یرحب دائما بندائهم فلا یرد لهم ملتمسا. و قد بلغ الآن عدد المندوبین من علماء الأزهر فی خارج القطر ۱۲۵ مدرسا فی الأقطار الممتدة من جزائر الفیلیبین إلی مملکة لیبیا. بل إن الدول الغربیة قد أفادت من نظام الانتداب المذکور، سواء لتغذیة جامعاتها، أو لإدارة مراکز الإسلام الثقافیة فیها. و ما نحن أولاء نری من أساتذة الأزهر مندوبین بالفعل فی «لوندره» و «واشنطن» و «سان فرانسیسکو» و قد نری قریبا وصول هذا المدد إلی «باریس» أیضا ...

و نعود إلی الأقطار الإسلامیة فنقول: إن صلتها الوثیقة بالأزهر تقوم- من جهة أخری- علی تلک الألوف من شباب المتعلمین الوافدین منها، و الذین یتبناهم الأزهر فیطبعهم بطابعه، و یصنعهم علی طرازه. و إن الحفاوة التی یقدمها لهم لمفعمة بأنواع الکرم و الضیافة. فهو یؤویهم بالمجان، و یمنح کلا منهم شهریا مقدارا من المال کافیا لمعیشته، و علی الرغم من زیادة عددهم عاما بعد عام، فإن هذه المرتبات یجدونها مکفولة لهم علی الدوام، کما أن الجامعة تهیء لهم فی أثناء العام رحلات مدرسیة بالمجان

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۵

إلی الأماکن الأثریة و معالم السیاحة، و تعد لهم فی الصیف مقاما هادئا علی شواطیء البحر فی الأسکندریة. و فی نهایة دراستهم تمنحهم شهادات ینتفعون بها عند عودتهم، لا- فی التدریس فحسب، بل فی مختلف المناصب فی بلادهم. و لقد بلغ عدد هؤلاء الضیوف فی هذا العام اکثر من ثلاثة آلاف طالب، هم سفراء الأزهر غدا إلی بلادهم. فإذا سارت الأمور علی هذا المنوال لم تمض بضع عشرات من السنین حتی یکون الأزهر قد جعل من جمیع الشعوب الإسلامیة أمة واحدة متجانسة فی ثقافتها، کما هی متجانسة فی عقیدتها و آدابها.

علی أن الرسالة الحقیقة للأزهر لن تتحقق علی وجهها الأکمل إلا إذا تجاوزت حدودها الإقلیمیة فی الشرق الإسلامی، و أسمعت

صوتها من وراء تلك الحدود.

نعم إننا اليوم- و قد تنازعت العالم قوى متناحرة، و آراء متنافرة، قد عجزت أطرافها أن تلتقى عند حد وسط يوفق بينها. و قد أخذت فى صراعها تسرع بنا الخطا نحو الكارثة الكبرى- أقول إننا اليوم لفى أمس الحاجة إلى قوة ثالثة تتسم بطابع التعادل و التوازن، لا عن طريق التلفيق بين عناصر متناكرة، بل عن طريق وحدة طبيعية متماسكة يتألف فيها عنصر المادة و الروح، و تتساند فيها مطامح المنفعة و عواطف الإيثار، و تتعانق فيها حرية الفرد و سلطان الدولة، و تندرج بها المصالح القومية فى نطاق الرحمة الإنسانية العالمية، و بالجملة فإننا اليوم فى أشد الحاجة إلى تلك الحكمة الشرقية الإسلامية التى يعد الأزهر خير ممثل لآدابها، و يوم يتمكن الأزهر من أن يصوغ هذه السياسة الرشيدة فى أسلوب واضح سائغ محدد، و يتيسر له من الوسائل ما ينشر به هذه المبادىء فى الميدان العالمى، و يبدى فيه المعسكران المتصارعان فى الوقت نفسه من حسن النية و قوة العزيمة ما يجعلهما يصغيان إلى ندائه الحكيم، يومئذ يكون لنا أن نتحدث بحق و صدق

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۶

عن «السلام الشامل» و «الأمن العالمى الكامل» لا حلما من نسيج الأوهام، و لكن حقيقة حية صالحة للبقاء.

-۸-

و يرى مصطفى صادق الرافعى أن أول شىء فى رسالة الأزهر فى القرن العشرين عنده، أن يكون أهله قوة إلهية معدة للنصر، مهيأة للنضال، مسددة للإصابة، مقدرة فى طبيعتها أحسن تقدير، تشعر الناس بالاطمئنان إلى عملها، و توحى إلى كل من يراها الإيمان الثابت بمعناها، و لن يأتى لهم هذا إلا إذا انقلبوا إلى طبيعتهم الصحية، فلا يكون العلم تحرفا و لا مهنة، و لا يكون فى أوراق الكتب خيال ... بل تظهر فيهم العظمة الروحانية آمرة ناهية فى المادة لا مأمورة منهية بها و يرتفع كل منهم بنفسه، فيكون مقرر خلق فى الحياة قبل أن يكون معلم علم، لينبث منهم مغناطيس النبوة يجذب النفوس بهم أقوى مما يجذبها ضلالات العصر، فما يحتاج الناس فى هذا الزمن إلى العالم- و إن الكتب و العلوم لتملأ الدنيا- و إنما يحتاجون إلى ضمير العالم، و قد عجزت المدنية أن توجد هذا الضمير، مع أن الإسلام فى حقيقته ليس شيئا إلا قانون هذا الضمير، إذ هو دين قائم على أن اللّه لا ينظر من الإنسان إلى صورته و لكن إلى عمله، فأول ما ينبغى أن يحمله الأزهر من رسالته ضمائر أهله.

و الناس خاضعون للمادة بقانون حياتهم، و بقانون آخر هو قانون القرن العشرين ... فهم من ثم فى أشد الحاجة إلى أن يجدوا بينهم المتسلط على المادة بقانون حياته ليروا بأعينهم القوى الدنيئة مغلوبة، ثم ليجدوا فى هذا الإنسان أساس القدوة و الاحتذاء فيتصلوا منه بقوتين: قوة التعليم و قوة التحويل .. هذا هو سر الإسلام الأول الذى نفذ به من أمة إلى أمة و لم يقم له شىء يصده إذ كان ينفذ فى الطبيعة الإنسانية نفسها.

و من أخص واجبات الأزهر فى هذا القرن العشرين أن يعمل أول شىء

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۷

لإقرار معنى الإسلام الصحيح فى المسلمين أنفسهم، فإن أكثرهم اليوم قد أصبحوا مسلمين بالنسب لا غير ... و ما منهم إلا من هو فى حاجة إلى تجديد الإسلام. و الحكومات الإسلامية عاجزة فى هذا، بل هى من أسباب هذا الشر لأن لها وجودا سياسيا و وجودا مدنيا، أما الأزهر فهو وحده الذى يصلح لإتمام نقص الحكومة فى هذا الباب، و هو وحده الذى يسعه ما تعجز عنه، و أسباب نجاحه مهيأة ثابتة إذ كان له بقوة التاريخ حكم الزعامة الإسلامية، و كانت فيه عند المسلمين بقية الوحى على الأرض، ثم كان هو صورة المزاج النفسى الإسلامى المحض، بيد أنه فرط فى واجب هذه الزعامة و فقد القوة التى كان يحكم بها و هى قوة المثل لأعلى التى كانت تجعل الرجل من علمائه كما قلنا مرة، إنسانا تتخيره المعانى الإنسانية تظهر فيه بأسلوب عملى فيكون فى قومه ضربا من التربية و التعليم

بقاعدة منتزعة من مثالها مشروحة بهذا المثال نفسه، و العقيدة فی سواد الناس بغير هذا المثل الأعلى هی أول مغلوب فی صراع قوة الحياة .. لقد اعتاد المسلمون من قديم أن يجعلوا أبصارهم إلى علماء الأزهر، و لذلك فهم يتبعونهم و يتأنسون بهم و يمنحونهم الطاعة و ينزلون على حكمهم و يلتمسون فی سيرتهم التفسير لمشكلات النفس و يعرفون بهم معنى صغر الدنيا و معنى كبر الأعمال العظيمة، و كان غنى العالم الدينی شيئا غير المال بل شيئا أعظم من المال إذ كان يجد حقيقة الغنى فی إجلال الناس لفقره كأنه ملك لا- فقير، و كان زهده قوة حاكمة فيها الصلابة و الشدة و الهيبة و السمو و فيها كل سلطان الخير و الشر لأن فيها كل النزعات الاستقلالية، و يكاد الزهد الصحيح يكون هو وحده القوة التی تجعل علماء الدين حقائق مؤثرة عاملة فی حياة الناس أغنيائهم و فقرائهم، لا- حقائق متروكة لنفسها يوحش الناس منها أنها متروكة لنفسها، و علماء الأزهر فی الحقيقة هم قوانين نفسية نافذة على الشعب، و عملهم أرد على الناس من قوانين الحكومة، بل هم التصحيح لهذه القوانين إذا جرت الأمور على عللها و أسبابها، فيجب عليهم أن يحققوا

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۸

وجودهم و أن يتناولوا الأمة من ناحية قلوبها و أرواحها، و أن يعدوا تلاميذهم فی الأزهر كما يعدون القوانين الدقيقة لا طلابا يرتزقون بالعلم. أين صوت الأزهر و عمله فی هذه الحياة المائجة بما فی السطح و ما فی القاع ... و أين وحی هذه القوة التی ميثاقها أن تجعل النبوة كأنها شیء واقع فی الحياة العصرية لا خبر تاريخی فيها.؟ لقد أصبح إيمان المسلمين كأنه عادة الإيمان لا الإيمان نفسه، و رجع الإسلام فی كتبه الفقهية و كأنه أديان مختلفة متناقضة لا دين واحد. فرسالة الأزهر أن يجدد عمل النبوة فی الشعب، و ان ينقی عمل التاريخ فی الكتب، و أن يبطل عمل الوثنية فی العادات، و أن يعطی الأمة دينها الواضح السمح الميسر و قانونها العملی الذی فيه سعادتها و قوتها، و لا وسيلة إلى ذلك إلا أن يكون الأزهر جريئا فی قيادة الحركة الروحية الإسلامية، جريئا فی عمله لهذه القيادة، آخذا بأسباب هذا العمل، ملحا فی طلب هذه الأسباب. مصرا على هذا الطلب. و كل هذا يكون عبثا إن لم يكن رجال الأزهر و طلبته أمثلة من الأمثلة القوية فی الدين و الخلق و الصلابة لتبدأ الحالة النفسية فيهم، فإنها إن بدأت لا تقف، و المثل الأعلى حاكم بطبيعته على الإنسانية مطاع بحكمه فيها. محبوب بطاعتها له. و المادة المطهرة للدين و الأخلاق لا تجدها الأمة إلا فی الأزهر، فعلى الأزهر أن يثبت أن فيه تلك المادة بإظهار عملها لا بإلصاق الورقة المكتوب فيها الاسم على الزجاجة .. و من ثم يكون واجب الأزهر أن يطلب الإشراف على التعليم الإسلامی فی المدارس و أن يدفع الحركة الدينية دفعا بوسائل مختلفة: أولها أن يحمل وزارة المعارف على إقامة فرض الصلاة فی جميع مدارسها، و أن يقود مدرسة حرية الفكر .. و الأمة الإسلامية كلها تشد رأی الأزهر فی هذا. و إذا نحن استخرجنا التفسير العملی لهذه الآية الكريمة: «ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ» دلتنا الآية بنفسها على كل تلك الوسائل، فما الحكمة هنا إلا السياسة الاجتماعية فی العمل. و ليست الموعظة الحسنة إلا الطريقة النفسية

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۹

فی الدعوة، العلماء ورثة الأنبياء. و ليس النبی من الأنبياء إلا تاريخ شدائد و محن، و مجاهدة فی هداية الناس، و مراغمة للوجود الفاسد، و مكابدة التصحيح للحالة النفسية للأمة. فهذا كله هو الذی يورث عن الأنبياء لا العلم و تعليمه فقط.

و إذا قامت رسالة الأزهر على هذه الحقائق، و أصبح وجوده هو المعنى المتمم للحكومة المعاون لها فی ضبط الحياة النفسية للشعب و حياطتها و أمنها و رفاهتها و استقرارها- اتجهت طبيعته إلى أداء رسالته الكبرى للقرن العشرين بعد أن يكون قد حقق الذرائع إلى هذه الرسالة من فتح باب الاجتهاد و تنقية التاريخ الفقهی و تهذيب الروح الإسلامی و السمو به عن المعانی الكلامية الجدلية السخيفة، ثم استخرج أسرار القرآن الكريم المكتنة فيه لهذه العصور العلمية الأخيرة، و بعد أن يكون قد اجتمعت فيه القوة التی تمسك الإسلام على سنته بين القديم و الجديد، لا ينكره هذا و لا بغيره ذاك، و بعد أن يكون الأزهر قد استفاض على العالم العربی بكتبه و دعاته و مبعوثيه من حاملی علمه و رسل إلهامه.

أما تلك الرسالة الكبرى فهى بث الدعوة الإسلامية فى أوروبا و أمريكا و اليابان، بلغات الأوروبيين و الأمريكيين و اليابانيين فى ألسنة أزهرية مرهفة مصقولة لها بيان الأدب و دقة العلم و إحاطة الفلسفة، و إلهام الشعر، و بصيرة الحكمة، و قدرة السياسة، ألسنة أزهرية لا يوجد الآن منها لسان واحد فى الأزهر، و لكنها لن توجد إلا فى الأزهر، و لا قيمة لرسالته فى القرن العشرين إذا هو لم يوجدها فتكون المتكلمة عنه و الحاملة لرسالته، و ما هذه البعثات التى قرر الأزهر ابتعاثها إلى أوروبا إلا أول تاريخ تلك الألسنة.

أنا مستيقن أن فيلسوف الإسلام الذى سينتشر الدين على يده فى أوروبا و أمريكا لن يخرج إلا من الأزهر، و ما كان الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه اللّه إلا أول التطور المنتهى إلى هذه الغاية، و سيكون

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۰

عمل فلاسفة الأزهر استخراج قانون السعادة لتلك الأمم من آداب الإسلام و أعماله ثم مخاطبة الأمم بأفكارها و عواطفها و الإفضاء من ذلك إلى ضميرها الاجتماعى فإن أول الدين هناك أسلوبه الذى يظهر به.

هذه هى رسالة الأزهر فى القرن العشرين يتحقق بوسائلها من الآن، و من وسائلها أن يعالن بها لتكون موثقا عليه، و يحسن بالأزهر فى سبيل ذلك أن يضم إليه كل مفكر إسلامى ذى إلهام أو بحث دقيق أو إحاطة شاملة، فتكون له ألقاب علمية يمنحهم إياها و إن لم يتخرجوا فيه، ثم يستعين بعلمهم و إلهامهم و آرائهم، و بهذه الالقاب يمتد الأزهر إلى حدود فكرية بعيدة و يصبح أوسع فى أثره على الحياة الإسلامية و يحقق لنفسه المعنى الجامعى، و فى تلك السبيل يجب على الأزهر أن يختار أياما فى كل سنة يجمع فيها من المسلمين (قرش الإسلام) ليجد مادة النفقة الواسعة فى نشر دين اللّه. و ليس على الأرض مسلم و لا مسلمة لا يبسط يده، فما يحتاج هذا التدبير لأكثر من إقراره و تنظيمه و إعلانه فى الأمم الإسلامية و مواسمها الكبرى و خاصة موسم الحج.

-۹-

و نشر العقاد كلمة عام ۱۹۴۷ عن الأزهر و إصلاح و رسالته قال فيها:

خير ما يطلب للأزهر هو أن يزداد نصيبه من الجامعية العلمية، و أن يزدان نصيبه من المشاركة فى الأعمال الدنيوية، و أن يحال بينه و بين العزلة و الانقطاع، و نحن من المؤمنين بماضى الأزهر العظيم، و لكننا أشد إيمانا بمستقبله بنا بماضيه، لأن وظيفته فى الماضى كانت وظيفة واحدة لا منازع فيها، أما وظيفته فى المستقبل فوظيفتان ينهض بهما فيكون له شأنان متعادلان فى حكمة الإسلام و حكمة العلم الذى يعمل به المسلمون و غير المسلمين، فالجامع الأزهر أحق مكان بأن يحيى الفلسفة القديمة التى عاشت فيه وحده يوم ماتت فى جوانب الدنيا بأسرها، و من إحياء هذه

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۱

الفلسفة أن يزاوج بينها و بين مستحدثات التفكير فى كل عصر و بين كل قبيل، و الجامع الأزهر أحق مكان بتوسيع المنطق الذى تمكنت فيه أسسه و تهيأت لما يضاف إلى هذه الأسس من أركان جديدة، فى مذاهب المناطقة المحدثين، و الجامع الأزهر أحق مكان بأن يعرض العقيدة الإسلامية المستنيرة على أهل المشرق و المغرب لأنه أقدر على هذه الرسالة من الآحاد أو الجماعات التى تصدت لها فى غير مصر من الأقطار الإسلامية، و الجامع الأزهر أحق مكان بأن يقصده الصينى من أقصى الشرق كما يقصده «الفندلاندى» من أقصى الشمال، أو يقصده الزنجبارى من أقصى الجنوب لأنهم يتعلمون فيه ما لا يجدونه فى غيره من الجامعات المعصورة على العلوم الطبيعية. و الجامع الأزهر أحق مكان بأن يتدارك عيب العصر الحاضر و هو العيب الجسام الذى يتمثل فى العزل بين عالم العقل و عالم الروح.

فيتعلم فيه الرجل و هو مؤمن و يؤمن فيه و هو عالم، و يحسن قيادة المتدينين المتعلمين، و نحن كبير و الرجاء فى إنجاز هذه المهمة العظمى بعد أن صارت مشيخة الأزهر إلى أستاذ الفلسفة الإسلامية على أحدث المناهج العصرية، فإنه أقدر الناس على أن يحقق

للجامع الأزهر وظيفتيه فی ثقافة العقل و ثقافة الروح، و أعوانه من الأزهريين غير قليلين.

-۱۰-

و يقول الاستاذ مصطفی حبيب من كلمة له ألقاها فی المؤتمر الثقافی العربی عام ۱۹۵۰، و قد كان من المندوبين فيه عن الأزهر: الاتجاهات التعليمية السائدة فی الأزهر الآن هی:

۱- العمل علی تعميم التعليم الدينی فی البلاد بافتتاح المعاهد الدينية فی جميع العواصم و المراكز الكبيرة، و تيسير هذا التعليم علی الناس بمتابعة ما جری عليه عرف الأزهر من قديم، من مجانية التعليم الدينی، و تشجيع الطلاب بتقرير مكافآت مادية تعينهم علی مواصلة الدرس، و قد قطع الأزهر فی هذا الاتجاه شوطا بعيدا فافتتح فی السنوات الأخيرة خمسة معاهد،

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۲

هی: قنا و سوهاج و المنيا و المنصورة و سمنود، و أعان علی أن تنشر المعاهد الحرة فی البلاد بما قدمه لها من العون العلمی و المادی. فقد تعهد الأزهر بتزويد كل معهد حر بالمدرسين علی حساب ميزانيته فضلا عن تقرير إعانة استيفاء لكل معهد، مما حفز علی انتشار التعليم الدينی فی البلاد و إنشاء المعاهد الحرة.

۲- تشجيع التعاون الثقافی بين الأزهر و المعاهد الإسلامية فی البلاد الإسلامية جميعها، ليوحد بين ثقافة أبناء هذه الشعوب و ثقافة الأزهر، و ليعاون علی إيجاد رأی عام إسلامی موحد، و ليدخل علی هذه المدارس الأنظمة الإصلاحية التی قام بتجربتها الأزهر، ليساهم بنصيب فی الرقی الفكری و العلمی للشعوب العربية و الإسلامية، و للأزهر الآن فی جميع البلاد الإسلامية و العربية مدرسون من خيرة أبنائه المتأثرين بالأفكار الحديثة يبثون تعاليم الأزهر و رسالته الإصلاحية فی نجد و الحجاز و سوريا و لبنان و العراق و الكويت و أسمرة، و يساهم الأزهر بنصيب كبير فی تمويل هذه الحركة العلمية، إيمانا منه بفائدتها لمصر و العالم الإسلامی كله.

۳- نشر الثقافة الإسلامية فی البلاد المتخلفة علميا و التی هی فی مسيس الحاجة إلی التنوير فی شئون دينها، و الأزهر معنی بهذه الناحية أشد العناية، و قد وجه مبعوثين من رجاله لدراسة أحوال المناطق الأفريقية فی جنوب السودان و أوغندة و أرتيريا و شرق أفريقيا، و قد وضعت تقارير مفصلة عن أوجه المساعدة المثمرة لهذه الجهات، و أرسل الأزهر فعلا بعثة علمية إلی أرتيريا وجوبا، و هو بسبيله إلی إرسال بعثات جديدة إلی الصومال و نيجيريا و أوغندة و شرق أفريقيا.

۴- العناية بنشر الإسلام و تعاليمه الصحيحة فی جميع البلاد، و إيجاد صلة قوية و رابطة متينة بين المسلمين فی كافة أقطار الأرض عن طريق التبادل الثقافی، و إنشاء مراكز إسلامية تزود بالمكتبات و العلماء الباحثين و الوعاظ

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۳

لسد حاجات الناس فی هذه البلاد الی الثقافة الإسلامية، و يسير الأزهر فی هذا الاتجاه بخطی حثيثة، و أستطيع القول بأن الأزهر اليوم متصل بجميع الهيئات العلمية و الإسلامية فی أوروبا و أمريكا و آسيا، و له مكتب ثقافی فی لندن، و آخر فی الباكستان، و ثالث فی الفلبين، و هو يدرس اليوم مشروعات متعددة لإنشاء مكاتب أخری فی الولايات المتحدة و الأرجنتين و الملايو و أندونيسيا، و لكنه علی أية حال لم يحقق بعد كل ما يرجوه من التوسع فی هذه الناحية لأنها تحتاج إلی المال و الرجال:

۵- العناية بالبعوث الإسلامية الوافدة الی الأزهر من كل بقاع الأرض و تعليمها و تثقيفا دينيا و علميا، ليكونوا هداة لقومهم يرشدونهم إذا رجعوا إليهم، و لا يدخر الأزهر وسعا فی هذا السبيل، فهو يشجع الطلاب الراغبين علی الوفود، كما يحض الهيئات الإسلامية و الحكومات الإسلامية علی إرسال أبنائها إلی الأزهر، و هو يعد لهؤلاء الطلاب أماكن صحية للسكن، و يمدهم بمعونة مادية تيسر لهم طلب العلم و تعينهم علی الحياة فی مصر. و فی الأزهر الآن ألفان من طلاب البعوث الإسلامية يمثلون كافة البلاد الإسلامية. و قد أعد لهم الأزهر دراسات خاصة تعينهم علی معرفة اللغة العربية معرفة تؤهلهم للاندماج فی سلك الدراسة مع إخوانهم المصريين.

و قد بلغت البعوث الإسلامية اليوم حدا لم تبلغه فی عصور الأزهر الذهبية فی القرن الثامن الهجری حين سقطت بغداد و فر أبناء المسلمين إلی الأزهر بدينهم. فقد كان تعدادهم حينذاك كما روی المقريزی ۷۵۰ طالبا. و كان هذا يعتبر رقما قياسيا، أما اليوم فهم يربون علی الألفين، و الباب ما يزال مفتوحا علی مصاريعه لتقبل كل من يريد العلم و التفقه فيه. فالأزهر لا يرد عن رحابة طالب علم.

۶- إعداد بيئة من العلماء النابغين فی علوم الدين إعدادا يؤهلهم لنشر الدعوة الإسلامية و الثقافة الإسلامية فی البلاد التی تتكلم باللغات الأجنبية بتمكينهم من الدراسة فی الجامعات الأوروبية، ليتصلوا بالحياة العقلية فی

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۴

الغرب، و يجيدوا اللغات الأجنبية كتابة و خطابة، و يكونوا مزاجا جديدا من الدراسة يلائم، حاجة العصر، و يسد حاجات البلاد الإسلامية الناطقة باللغات الأجنبية الی مدرسين و أساتذة. و قد أدرك الأزهر قيمة هذا العمل العظيم فأرسل بعثة مكونة من عشرة من خيرة أبنائه إلی بريطانيا ليدرسوا فی جامعاتها، و ما يزال الأزهر فی حاجة إلی المزيد من هذه البعثات ليكثر بين أساتذته و مدرسيه من يجمعون بين الثقافتين الأزهرية و الغربية، ليكونوا فی المستقبل القريب نواة لهيئة التدريس الجامعية.

۷- يتجه الأزهر منذ سنوات إلی التخلص من الكتب التقليدية القديمة فی الدراسة، و تشجيع الأساتذة علی تأليف كتب جديدة تتناسب مع العصر الحديث فی حسن العرض و التبويب، ليسهل علی الناس الاطلاع عليها، لأن الكتب القديمة علی وضعها الحالی كتب معقدة لها طريقة خاصة فی التأليف لا يفهمها إلا من مارسها و مرن علی فهمها ... و قد بدأ الأزهريون يكتبون و يؤلفون، و لكنهم لم يحققوا بعد الآمال المعقودة عليهم، إذ لا يزال فی أعناقهم للعالم الإسلامی و أبناء هذا الجيل دين يجب أن يوفوه: هو تبسيط الحقائق العلمية و تقريبها إلی الأذهان، و تشويق الناس للاطلاع علی ما فی الدين الإسلامی و التشريع الإسلامی من كنوز فی المعرفة.

۸- يدرس الأزهر الآن الفقه الإسلامی دراسة خالية من التعصب لمذهب بعينه، بل و يدرس المقارنات بين المذاهب، و قد أتاحت هذه الروح التی تسود الأزهر الآن النظر فی الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصر و العرف و تطور الأمم و الشعوب، و استنباط الأحكام التی تتمشی مع سير الزمن. و قد أصبح بفضل هذه الروح فی الأزهر جماعة من أفاضل العلماء تعمل علی تزويد رجال التشريع بالأحكام الاجتهادية من كافة الأئمة غير مقيدين بمذهب بعينه أو إمام بعينه. و قد صدرت القوانين الأخيرة فی أحكام الوقف و الوصية بعد دراسة حرة لجميع الآراء، و أخذت الأحكام من جميع المذاهب و من آراء الأئمة و المجتهدين بما يلائم مصلحة الأئمة و يسد

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۵

حاجات الجيل. و تلك خطوة جريئة إن أغضبت المتزمتين، فقد أرضت اللّه و رسوله. و يتجه الأزهر فی هذه الأيام إلی إنشاء معهد للفقه المقارن يقوم علی هذه الدراسات الحرة و ينميها، لينتفع العالم بآثار الاجتهاد، مما يحفز العقل البشری علی التقدم لخدمة الإنسانية.

۹- يعنی الأزهر بإحياء كتب السنة و جمعها فی كتاب واحد حسن التبويب، تيسيرا للسنة علی الراغبين فی الاطلاع عليها. و تقوم بالأزهر الآن لجنة برئاسة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر للعمل علی إخراج هذا المشروع.

۱۰- يعنی الأزهر أشد العناية بدراسة اللغة العربية و النهوض بأساليبها التعليمية و إبراز كنوزها للناس. و قد نهض بكلية اللغة العربية نهضة كبيرة أصبحت بفضلها تنافس معاهد اللغة العربية فی مصر منافسة قوية، أفادت العلم و اللغة فی مصر و الشرق. و ها هم أولاء أبناء كلية اللغة العربية منبثون فی جميع المدارس و المعاهد الأزهرية و الحكومية يؤدون رسالة الأزهر فی خدمة اللغة و النهوض بها علی نمط يثير الإعجاب و التقدير من الجميع.

۱۱- عمل الأزهر جادا علی تقرير تعليم الدين فی المدارس الحكومية و جعله مادة أساسية، لينشأ ناشیء الفتيان منا علی التمسك بأحكام الدين و الرعاية لفضائله، إيمانا منه بأن ما ينطبع فی نفس الطفل منذ نعومة أظافره من إيمان و تدين، لا يمكن أن تؤثر فيه

الأیام، بل یظل أساسا صالحا یوجه رجال المستقبل الی الخیر، و یحفزهم علی البر بأنفسهم و أهلیهم و أوطانهم. و قد نجح الأزهر بتقریر دراسة الدین بالمدارس.

۱۲- یعنی الأزهر بإحیاء الشعور الدینی، و تنمیة روح التدین بین الطبقات الکادحة من العمال و الفلاحین، و تنویرهم فی شئون دینهم، و تعریفهم بفضائله، لتتقوی فیهم روح المحبة و التآلف و یبعد عن صفوفهم المبادیء المنحرفة التی تتنافی مع الدین و الخلق. و ینبث الیوم عشرات

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۶

الوعاظ من أبنائه فی صفوف الشعب یخاطبونه بالأسلوب القریب إلی نفسه، و یعالجونه علاجا نفسیا یقوی عزائمه و یثبت إیمانه.

۱۳- یعنی الأزهر عنایة جدیة بوعظ السیدات و تعلیمهن شئون دینهن، لیکن خیر مربیات لأبنائهن، و لیغرس فی نفوسهن منذ الحداثة الإیمان باللّه و حب الوطن، و هو یعقد لذلک مئات الدروس کل یوم من أقصی الصعید إلی القاهرة، و من القاهرة إلی البحر الأبیض المتوسط، للوعظ و الإرشاد و التعلیم.

و فی نفوس رجال الأزهر مشروع لإنشاء معهد لتعلیم البنات و السیدات العلوم الدینیة و العربیة، إحیاء لسنن السلف الصالح من العنایة بتثقیف السیدات و إتاحة الفرصة لهن لیتفقهن فی الدین، نرجو أن یتحقق فی القریب العاجل. و لیس تعلیم السیدات بالأزهر بجدید، فقد سبق الأزهر العالم کله منذ إنشائه حین کانت تعقد فیه دروس خاصة للسیدات، و کان بعضهن یحضرن الدروس العامة لیتفقهن فی الدین کالرجال سواء بسواء.

هذه بعض جهود الأزهر فی ربع قرن، و هذه هی خطواته بعد الإصلاح، و هی إن لم تکن أوفت علی الغایة فقد جاوزت البدایة القلقة، و ثبتت أقدام الإصلاح. و الأزهر بعد یسیر بخطی جبارة، و ما هی إلا عشیة أو ضحاها حتی یجمع فیها أنفاسه بعد هذا الجهد الشاق إلا و یستبق الزمن و یقفز إلی الطلیعة یقود البلاد کعهده فی الثقافة و اللغة و علوم الدین، و یهیء للمجتمع الإسلامی کله حیاة طیبة نافعة تسلکه مع أمم الأرض فی الرقی و الحضارة.

-۱۱-

و قد ألقی الشیخ عباس الجمل فی أبریل عام ۱۹۳۶ محاضرة موضوعها رسالة الأزهر، کان خلاصتها أن الأزهر إنما قام لنشر فقه الشیعة و عقائدهم و مبادئهم الدینیة و السیاسیة. و أن الفرنسیین حین دخلوا مصر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۷

اتخذوا شیوخ الأزهر صنائع للدعایة لهم، و لکن الذی جنی ثمرة ذلک هو محمد علی لا الفرنسیون. ثم ذکر أن الأزهر أدی رسالته العلمیة فی القرن التاسع عشر أداء مناسبا، و کانت زعامة الأدب العربی فی الکتابة و الخطابة إلی ابن من أبنائه هو محمد عبده، ثم سعد زغلول .. و لکن الأزهر لم یظفر بأن ینال من زعامة الشعر شیئا .. و قد رفض الأزهر ما طلبه منه الخدیوی إسماعیل من تشریع قوانین مستمدة من الشریعة الإسلامیة لتکون قوانین للمحاکم الأهلیة، فرجع الخدیوی و حکومته الی القوانین الفرنسیة تأخذ منها ما تشاء، و بذلک تحمل الأزهر هذا الإثم الشدید، و لکنه عاد فقدم للمحاکم الشرعیة قوانین و قضاة.

و فی قوانین الأزهر الأخیرة ما یرشد إلی رسالة الأزهر، فهو المعهد الدینی العلمی الإسلامی الأکبر، و الغرض منه القیام علی حفظ الشریعة الإسلامیة الغراء و أصولها و فروعها و اللغة العربیة، و علی نشرها تخریج من یوکل إلیهم تعلیم علوم الدین و اللغة و یلون وظائف الدولة الشرعیة ..

و استطرد من ذلک إلی أن الأزهر أمامه طریق شائک و لیل مظلم، و أنه لا یستطیع بحالته أن یسیر لأداء رسالته، و طلب أن یرتفع الأزهر بأئمته و علمائه و مفتیه، و أن یجتهد الأزهر فیصلح ما فسد فیه، و یسیر لأداء رسالته الصحیحة، رسالة الهدی و الإصلاح.

-۱۲-

و فی عام ۱۹۳۶ أعلن علی ماهر عن عـدة مسابقات تمنـح الحکومة فیها مکافات سـخیة للفائزین، و کان من موضوعات هذه المسابقة «رسالـة الأزهر فی القرن العشـرین» و قـد فاز بالجائزة الأولی فیها الأسـتاذ أحمد خاکی. و قد ذهب هذا الباحث فیما ذهب إلیه إلی أن تاریـخ الأـزهر یتصـل اتصالا وثیقا بالحرکات الفکریـة التی قامت فی مصـر منـذ السـنة التی أنشـیء فیها، و یتمثل فیه من ناحیـة أخری مبادیء الإسلام و ما کان لها من سلطان، لأن الأزهر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۸

معهـد دینی کانت رسالته دائما رسالة الإسـلام، و کانت لشـیوخه الزعامة الفکریة فی القدیم، حتی أن بونابرت لما دخل مصـر و وجد للأزهر الزعامـة الدینیـة و الاجتماعیـة و السیاسـیة تقرب إلی شـیوخه، و جعل أعضاء «الدیوان» الذی أنشأه منه، و هذا اعتراف بسـلطان الأزهر علی الشعب.

و وسط الزوابع السیاسـیة التی تلت عصـر نابلیون و سبقت ولایة محمد علی قام الأزهریون یثبتون حق الشعب و یؤیدون ما یذهبون إلیه بنصوص من الـدین الحنیف، و لقـد کان للسـید عمر مکرم نقیب الأشـراف حینئـذ المکانـة الأولی بین ممثلی الشـعب، و کان الشـعب غاضـبا علی خورشـید باشا راغبا فی تولیـة محمـد علی، و فی تاریـخ الجبرتی نقاش بین السـید عمر مکرم و بین عمر بک أحـد أنصار خورشید، فقد کان عمر یذکره بالآیة الکریمة أَطِیعُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ فلم یکن من السید عمر إلا أن قال: «أولو الأمر العلماء و حملـة الشـریعة و السـلطان العادل»، ألسـنا نحس فی ذلک الرد وحـده تلک القوة الولیـدة التی شـعر بها زعماء الأزهر و ألسـنا نسـتطیع أن نـدرک دهـاء محمـد علی حینمـا اجتـذب الشـیوخ إلی جانبه فتغلب علی القوی التی کانت تنافسه؟ و سـلطان هؤلاء الأزهریین هو الـذی ظاهره علی المماـلیک و هو الـذی أرغم الخلیفـة علی أن یعترف بولایته، کانت هذه إذن سابقة للأزهر أعلنت من مکانه فظل زعیما للجماعة المصـریة بعد ذلک. و ما برح الأزهر یساـیر الحرکة الفکریة فی مصـر حتی تمخض فی أواخر القرن التاسـع عشـر عن حرکـة شاملة من حرکات الإصـلاح توجهت ضد العناصـر الدخیلة التی مشت بالسوء فی أمم الشـرق، و قد رفع هذه الحرکة جمـال الـدین الأفغـانی و الشـیخ محمـد عبـده، و لعـل خیر ما یـذکر من أیادی الاسـتاذ الإمام أنه خرج الی فلاسـفة الغرب یرد الحجة بالحجـة و یقرع البرهان بالبرهان، و لم یکن الجدل الذی نشب بینه و بین هانوتو إلا ناحیة من الصـراع الفکری بین الشـرق و الغرب، و کان المؤرخ الفرنسی یفتعل الذرائع و المسوغات التی تحلل ما اقترفته السیاسة المادیة التی استحلت لنفسها کل

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۹

ما تحرمه الشـرائع و القوانین، و لم یکن الإمام المصـری فی ردوده إلا مـدافعا عن أصول الإسـلام الأولی یلحق البینة بالبینة یمیز بین ما هو من صـلب الـدین و بین ما هو دخیل علی الـدین علی أن ذلک الکفاح الـذی تولاه الأسـتاذ الإمام و الـذی خلق بعد ذلک مدرسـة بأسـرها من مـدارس الفکر لم یزل حتی أصاب ساعـدا قویا فی أفراد من المتخرجین فی الأزهر ثاروا علی حکومـة الـدخلاء، و اتصـلوا بالجیش آملین أن یحققوا بعض مثلهم العلیا، فکانت الثورة التی اتصـلت باسم عرابی باشا، و قـد نجـح التفکیر الأزهری فی هـذه المرة إلی ثورة عسـکریة لم تکن موفقـة لأنهـا لم تکن من طبیعـة الأـزهر، و عرابی نفسه کـان أزهریـا لکنه لم یکن بالأزهری الرشـید، و قد جمعت هذه الثورة العسـکریة إلی العناصـر الواهیة التی أنهکتها کثیرا من العناصـر السامیة التی خلقت فی مصر أثرا بلیغا، و کانت علی الرغم مما انتابها من وهن نهضة قومیة ما زالت تنمو حتی کانت شاملة بعد الحرب الکبری، و لسـنا ننسـی أن الأزهر کان محطا لرکاب هذه النهضة، فالأزهر کان مرکزا للزعامة فی أوائل القرن التاسع عشـر و قد ظل مصدر للزعماء حتی بدایة القرن العشـرین، و قد ظهرت قوة الأـزهر فی الحالاـت التی احتکت بهـا مصـر بالـدخلاء الأجـانب، ظهرت تلک القوة أمام الفرنسـیین بزعامـة السـید عمر مکرم، ثم انتظمت فی جسم الأمة حتی وضـحت مرة أخری بزعامة الشـیخ محمد عبده، و کانت موجهة فی هذه المرة إلی الذین بسـطوا أقلامهم

فی الدین من الفلاسفة و المؤرخین الأجانب، ثم کان لها بعد ذلک وجه قومی بدأ بقیادة عرابی و انتهی سلمیا بزعامة سعد زغلول، و قد حاولت الحرکة الأولی أن تتخلص من دخلاء الشرکس، و حاولت الثانیة أن تستقل عن کل أجنبی:

لقد رأینا کیف کان الأزهر مصدرا للزعامة و الکفاح، و قد رأینا کیف استعان الفکر المصری فی کفاحه السیاسی و الدینی و الاجتماعی بسلطان الأزهر فقضی علی المبادیء الخربة التی تربصت بالشرق الدوائر، و قد تزعم شیوخ الأزهر المصریین لأن هؤلاء کانوا یستوحونهم الشعور الدینی و کان

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۰

یتمثل فی خلقهم و إرشادهم تلک القوی الحیة التی نماها الإسلام و قواها فإن نحن أردنا أن نضرب بسهم فی سبیل التقدم وجب علینا أن نرجع إلی أصول الإسلام الأولی فنحی تراثه و تلک الرجعة إلی دیننا الحنیف هی من رسالة الأزهر لحمتها و سداها، و جدیر بالأزهر إذا أراد إحیاء لذلک المجد الأثیل أن یعود سیرته الأولی من حیث الکفاح و الزعامة و أن تتمثل فیه کل المثل العلیا التی بسطنا القلیل منها فیما تقدم، و بذلک یستطیع أن یلهم الناس دینهم خالصا نقیا، بل خلیق به بعد ذلک- إذا أراد أن یکون فی الرأس- أن یتصل أتصالا وثیقا بالحرکات الاجتماعیة التی تدب بین المصریین و قد بینا کیف کانت رسالة الأزهر دائما مزدوجة، فهی دینیة من ناحیة و اجتماعیة من ناحیة أخری ذلک بأن الإسلام کما أسلفنا دین یجمع بین العقائد و الشرائع یسعی لخیر الجماعة فی شتی الصور و یؤلف بین خلق الفرد خاصة و بین الأمة بوجه عام، لقد کان اهتمام الأزهر بالحرکات الاجتماعیة فی مصر وحد به علیها أساسا لزعامته التی ظل الجمیع یعترفون بها حتی أواخر القرن التاسع عشر و فی الیوم الذی یعتزل الأزهر فیه الحیاة العامة یضحی من سلطانه الذی کفله الدین نفسه و الذی عنا له المصریون خلال الأحداث التی اکتظ بها تاریخهم الطویل الحافل، و یعتزل الأزهر الحیاة العامة إذا هو اطمأن إلی القیود التی تعوق التقدم فإن ذلک لا یتفق مع روح الإسلام نفسه و مصر- ککل جزء من أجزاء الأرض- ما زالت تنشد الإیمان و الخیر و الحریة لکل المصریین إذ یتشبثون بتلک المبادیء یتلفتون ذات الیمین و ذات الیسار یریدون أن یجدوا ملجأ فیطمئنوا إلیه و یعتصموا به.

فجدیر بالأزهر إذا أن یساهم فی کل نواحی الحیاة المصریة و أن یکون- کما کان فی القرن التاسع عشر- قوة دافعة تستمد من قوة الدین و الحق، إن زعامة الأزهر لنواحی النشاط فی مصر سوف تنتج خیرا شاملا، ذلک لأن التقدم المادی ینتهی دائما بکفاح یخلو من المثل الأعلی، و کل کفاح یخلو من المثل الأعلی یؤدی حتما إلی الفناء کالنار تأکل نفسها، و قد

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۱

تقنعنا نظرة عجلی إلی تاریخ أوروبا بکل ذلک فقد تناست ممالکها فی تنازعها کل المثل العلیا التی جاء بها دینها و هی لا تزال تتناساها إلی الیوم فی نزاعها مع القارات الأخری.

و قد کفل الإسلام الحریة بما رفع من مقام الإنسان و النظام بما أتی من أحکام الشرع و جعل طاعة اللّه و رسوله و أولی الأمر واجبات نقوم بها و نحن راضون، و بذل النصح لأولی الأمر بأن یترفقوا بالناس، ثم أنه قد جعل الناس کلهم إخوة فکان خیر الناس عند اللّه أتقاهم فضمن بذلک حق العامة أمام الخاصة، کل هذا أتی به الإسلام و نزله مبادیء دستوریة یستطیع الفقهاء أن یلائموا بینها فی بیئاتهم و بذلک کفل للإنسان أن یتقدم دائما. و لسنا نری تقدما أرشد من هذا الذی یقوم علی مثل المبادیء، علی أن التوفیق بینها أجمعین کان دائما أس التقدم عند دول الإسلام. یقول النفسیون: إن الإنسان لا یبلغ حدا من الکمال إلا إذا وازن بین القوی و الملکات التی یکسبها، و قد ذهب الی ذلک أفلاطون و قال مثل ذلک قوم آخرون قبل أن یدرس علم النفس، لکن التوازن بین قوی الإنسان و ملکاته أصبح حقیقة علمیة فی العصر الحدیث و ینشأ کثیر من أنواع الجنون إذا اختل هذا التوازن بل نحسب أن الانسجام محبب إلی النفس من الوجهة الجمالیة و قد حاول کثیر من الفلاسفة- و قد کانوا موفقین- أن یبحثوا فی مثل هذا التوازن فی المجتمع و یحدث جنون الفرد إذا هو أفرط فی الأخذ بفکرة من الأفکار أو خیال من الخیالات و کذلک یحدث جنون الجماعة إذا هی أخذت

بمبدأ واحد تمادت فيه- مهما كان هذا المبدأ سليما، و ما نظن إلا- أن الإسلام كفيل بأن يؤلف بين كل تلك المبادىء فيرسل الانسجام فيها إرسالا.

ثم خلص من تلك الى أن رسالة الأزهر هى نشر رسالة التقدم الروحى و الفكرى و الاجتماعى فى البلاد الإسلامية.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۲

-۱۳-

و يقول الدكتور حسين الهمدانى الباكستانى حول رسالة الأزهر:

حفلت البلاد الإسلامية منذ انبثق فجر الإسلام بدور العلم و معاهد العرفان فى وقت كانت ظلمات الجهل تجثم فيه فوق ربوع العالم العربى، و مع أن هذه الدرر كانت تتسم بطابع خاص هو الطابع الإسلامى فإنها كانت تتوسم فى نظامها و اتجاهاتها الحرص على توفير أسباب الطمأنينة فى نفوس طلاب العلم و توثيق الصلة بينهم و بين أساتذتهم و إشاعة تلك الروح الجامعية التى يجب توافرها فى معاهد العلم العليا مثل ما يشاهده المرء الآن فى أعرق الجامعات العربية. و يلوح أنه لم يكن ثمة مناص من أن تغدوا المساجد و الجوامع مقرا لنشر المعرفة كما كانت و ما زالت مصدرا لبث الهداية و الرشد فى نفوس الناس فى الوقت ذاته. و لم يكن هناك تعارض فى اضطلاعها بالمهمتين، فإن الدين الإسلامى الذى يأمر بالتسامح و المساواة و يحث على طلب المعرفة و لو اقتضى الأمر الاغتراب فى مشارق الأرض و مغاربها ما كان ليجد خيرا من المساجد بجوها القدسى لغرس العلم و المعرفة فى نفوس المسلمين، بل إن اختيار المساجد لهذا الغرض يحمل فى طياته الإقرار بقداسة العلم و وجوب تطهيره من حمأة الأغراض الدنيوية و البعد به عن كل جو ينحرف به عن قدسيته. و قد ظهر فى الإسلام معاهد علمية عظيمة القدر رفيعة الاسم، و كان الحكام يتنافسون فى إنشائها، فأنشىء الأزهر فى عام ۳۶۱ ه (۹۷۱ م) و أنشئت الكلية النظامية فى عام ۴۵۹ ه (۱۰۶۶ م)، و أنشئت الصالحية فى القدس عام ۵۸۳ ه (۱۱۸۷ م). و كان الغرض من إنشاء هذه المعاهد هى و غيرها بادىء الأمر- و باستثناء المستنصرية- هو تدريس المذاهب الدينية و الدعوة لها، فأنشىء الأزهر لتدعيم المذهب الشيعى فى مصر بعد فتحها على يد الفاطميين.

و أنشئت النظامية هى و الصلاحية لدعم المذهب الشافعى بينما أنشئت المستنصرية لتدريس المذاهب الأربعة و كان بها كلية لتدريس الطب و أخرى

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۳

لتدريس الرياضيات و اللغات و قد اختفت هذه المعاهد العظيمة و اندثرت و عفا عليها الدهر فيما عدا الأزهر الذى ظل راسخا كالطود بالرغم مما مر به من أحداث بل و اضطهاد فى بعض العصور. و لعمرى أن المرء ليتساءل ماذا كان يصيب اللغة العربية و آدابها و ما يتصل بهما من علوم و معرفة لو أن الأزهر أصابه ما أصاب غيره من معاهد و لم يصمد للحوادث طيلة هذه الأجيال؟

لقد كان هذا الأزهر و لا يزال- و أرجو أن يظل على ذلك أبد الدهر- دعاية العلوم و المعارف فى العالم الإسلامى. و قد أراد اللّه بالأمم الإسلامية خيرا حين كلأ هذا الجامع بعنايته و رعايته و صانه من غوائل الدهر و من الانهيار.

و لم يكن الأزهر بناء أو جدرانا لا حياة فيها. بل كان على الدوام فكرة نابضة و روحا متسامية و حياة فكرية و مبادىء حية. بدأ جامعا فانقلب جامعة لها خصائصها و تقاليدها و سمتها و طابعها. و قد ظلت هذه التقاليد و الخصائص و الطابع و السمة تلازمه على مر العصور. و كان من خير هذه التقاليد أن الطالب يظل يتلقى العلم حتى إذا/ آنس فى نفسه القدرة على التصدر للعلم أذاع ذلك بين زملائه و شيوخه فتعقد فى ديوان الأزهر حلقة من العلماء النابهين يجلس الطالب فى صدرها و يناقش نقاشا حادا فى المادة التى تدرسها و فى جميع المواد المتصلة بها، فإذا أثبت الطالب كفاءة ممتازة منح حق التدريس. و هذا التقليد يذكرنا بما هو متبع فى الجامعات العريقة و فى مناقشة رسالات الدكتوراه فيها فى عصرنا الحديث. و إذا كان الأزهر قد صعد نيفا و ألف عام للأحداث و ظل

راسخا فی أداء رسالته فی دعم أرکان الدین الإسلامی و نشر العلوم الإسلامیة، و استطاع أن یحتفظ بمکانته المرموقة کدعامة قویة للإسلام و منارة لنشر العلم و العرفان، فإن منهجه یجب أن یحتذی فی کافة الأمصار الإسلامیة فلیس فی وسع سکان الباکستان أو غیرها من البلاد الإسلامیة أن یفدوا بقضهم و قضیضهم لیتزودوا من منهل الأزهر الذی لا ینضب و ینهلوا من مورده العذب، عل أن الباکستان و غیرها من البلاد الإسلامیة لا تستطیع أن تترسم الروح الأزهریة الفذة دون أن تنوه

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۴

ببعض ما یجول فی نفوس بعض العلماء من مخاوف بشأن اضمحلال هذه الروح بسبب تلک النظم الحدیثة التی أدخلت فی الأزهر مثل نظام الامتحانات و تحدید المقررات و کثرة المواد الدراسیة التی لا- تتصل بالدراسات الإسلامیة- حتی أن البعض یعتقد أن مستوی التحصیل فی الأزهر قد اخفض انخفاضا ملموسا بسبب انصراف الطلبة إلی إحراز الإجازات التی تعتبر سلاحا للتوظف دون الرغبة فی التزود بالعلم لذاته و التعمق فی المعرفة. و قد کان النظام الذی سلکه الأزهر خلال القرون الماضیة نظاما جامعیا بحتا و کانت الروح العلمیة تسیطر علی جوه، فکانت صلة الطالب بمدرسته صلة وثیقة دعامتها العلم و الرغبة فی اعتراف مناهله ... و حسبک أن تعلم أن الجامعات الغربیة تتهیأ الآن هذا التهیؤ لتأدیة رسالتها.

و لکن ما لبث النظام «المدرسی» الجدید الذی أدخل علی الأزهر أن أضعف من هذه الرابطة العلمیة بین الطالب و أستاذه. ثم إن النظام یعمل علی شحن ذهن الطالب بعلوم لا طائل تحتها و لا یدع له وقتا و لا میلا للتعمق فی نوع عین من المعرفة الإسلامیة تعمق من شأنه أن یخلق لنا علماء من طراز الشیخ محمد عبده و الشیخ مصطفی عبد الرزاق و الشیخ المراغی و إضرابهم من جهابذة العلماء الذین یفخر العالم الإسلامی بهم. و الحق أن النواة لأمثال هؤلاء العلماء موجودة فإن الطلبة الأزهریین ما زالوا یتسمون بالروح العلمیة، و قد علمت من أحد القائمین علی إدارة المعهد البریطانی فی القاهرة أنه وجد فی الطلبة الأزهریین الذین یتلقون اللغة الانجلیزیة فی المعهد المذکور استعدادا و إدراکا و تعمقا و غیرة و إقبالا علی العلم بما هو جدیر بطلبة هذه الجامعة العریقة، و نعتقد أن خیر ما یمکن أن یفعله الأزهر هو أن یعمل جاهدا للعودة لذلک الجو العلمی البحث الذی عرف به و أن یقضی علی نظام الامتحانات أو یعد له، بحیث ینصرف الطلاب للعلم وحده دون النظر للإجازات العلمیة کهدف یتعین علیهم تحقیقه للحصول علی الوظائف.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۵

و بودنا لو عنی رجال الأزهر الأعلام الألمعیون بأمر جدیر بعنایتهم و هو تعلیم الفتیات، فالشاهد أن الأسر الإسلامیة کثیرا ما تدخل فتیاتها فی المعاهد الأجنبیة التبشیریة، و لسنا نجد مبررا لحرمان الفتیات المسلمات من الثقافة الدینیة الإسلامیة ما لم یمد یده لمعونتها. و الواقع أن رسالة الأزهر لا تقتصر و لا یجب أن تقتصر علی مصر وحدها بل رسالته أعم و أشمل. و من حق البلاد الإسلامیة أن تطالبه بأن یمد رسالته عبر البحار لا إلی البلاد الإسلامیة فحسب بل و للبلاد غیر الإسلامیة أیضا. و من حسن الطالع ألا یکون هذا هو رأینا وحدنا بل هو رأی الحکومة المصریة نفسها بدلیل ما وافق علیه مجلس الوزراء فی إحدی جلساته الأخیرة من فتح الاعتمادات لإنشاء معهدین إسلامیین فی مدرید و طنجة. و فی وسع الأزهر أن یساهم مساهمة أدبیة و مادیة فی إنشاء معاهد العلوم الإسلامیة و الدینیة فی البلاد الإسلامیة فیبعث بعلمائه إلی هذه الأمصار التی ستلقاهم بصدر رحب و تحلهم منها مکانة الصدر و الأعزاز، یبثون فیها تلک الروح الفقهیة و العلمیة العمیقة التی انفرد الأزهر بها منذ حوالی عشرة قرون و یضعون برامج الدراسة فی هذه المعاهد وفق النهج الذی مارسه الأزهر منذ إنشائه و یعملون علی نشر اللغة العربیة و دعمها فی البلاد الإسلامیة غیر العربیة. و لسعادة علوبة باشا مشروع فی هذا الشأن یستطیع علماء الأزهر دراسته و تنفیذه کله او بعضه. أما بالنسبة للبلاد غیر الإسلامیة فإن واجب الأزهر یقتضیه- بوصفه دعامة العلوم الإسلامیة و منارة الدین و الهدی- أن ینشیء المعاهد الإسلامیة فی عواصمها و مدنها الکبری و أن یزودها ببعض زملائه الذین یتقنون اللغات حتی یکون فی مقدورهم نشر العلوم الإسلامیة فی هذه البلاد. و إذا کانت بعض الجمیعات الإسلامیة قد أحرزت توفیقا فی هذا المضمار فأحری بالأزهر و هو المؤسسة التلیدة العریقة أن یصیب نجاحا عظیما بما یتوافر لدیه من اعتبارات و عوامل تکفل له

التوفیق و النجاح فی القیام برسالته. و یستطیع الأزهر مثلا أن ینشیء معاهد فی لندن و برلین و باریس و روما و واشنطون و غیرها من المدن الکبری

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۶

علی غرار ما نراه من المعاهد الأجنبیة التی تنشئها الدول الغربیة بین ظهرانینا و نعتقد أن مثل هذا العمل یستدعی إنشاء معهد خاص للغات الأجنبیة فی الأزهر نفسه یدرس فیه العلماء و الطلاب تلک اللغات بتوسیع و تعمق فی وسط ازهری یکفل لهم تغلغل الروح الأزهریة العالیة فی نفوسهم.

-۱۴-

و فی عام ۱۹۵۲ نشر الأستاذ أمین الخولی فی جریدة المصری مقالات متعددة عن «الدین و الحیاة» عرض فیها للأزهر بالتحلیل و النقد، و ندد بحیرته فی أداء رسالته، فقال فی المقال الأول الذی نشره له المصری فی ۲۸ من أبریل من هذا العام:

هل أدی الأزهر رسالته، بما هو بیئة التربیة الدینیة و التوجیه الدینی؟

أن ذلک لیقتضینی أن أرجع بالذاکرة إلی ما قبل اثنین و أربعین عاما، إذ أعود إلی عهد من النشاط دخلت فیه «مدرسة القضاء الشرعی، لا تلقی تلک التجربة، السیاسیة و العلمیة، و الاجتماعیة، التی أرادتها مدرسة الإصلاح الدینی الحدیث، من شیعة «محمد عبده» و علی رأسهم، سعد زغلول باشا، فأرادوا فی السیاسة تجربة استقلالیة مصریة، فی معهد لا تمتد إلیه ید أجنبیة و یتولی أمر نفسه، فی استقلال إداری و ثقافی، لا- صلة له بوزارة المعارف، و مستشارها العتید إذ ذاک کما أرادوا تجربة علمیة تلتقی فیها الثقافتان: القدیمة و الحدیثة، و الشرقیة و الغربیة، إلتقاء معتدلا رزینا، لا تجوز فیه واحدة علی صاحبتها، و لا تنکر واحدة منهما أختها .. و أرادوا مع ذلک کله تجربة اجتماعیة، فی الإصلاح بالقدوة و المثل، یشهدهما المجتمع، فیری مبصر، و یسمع واع .. فعانیت فی دار تلک التجربة ما عانیت أعواما .. دارسا و مدرسا، و رئیس تحریر مجلة القضاء الشرعی، أعود بالذاکرة إلی سنة ۱۳۴۲ ه- ۱۹۲۳ م- حین انطلقت أرقب الحیاة الدینیة، و التعلیم الدینی فی أوروبا، و أرصد شئونها، لأقید نتائج مقابلة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۷

ذلک کله بما فی مصر، متتبعا ذلک، فی إیطالیا مقر البابویة، بمعاهدها الدینیة و فی المانیا و غیرها، بالجامعات المدنیة. ثم أعود بالذاکرة إلا ما بعد ذلک، إذ أرجع إلی مصر فأشارک فی هذه الشئون بها، مشارکة مفکرة منظمة، مشرعة معلمة إلی حوالی سنة ۱۹۴۰ م- نحو سنة ۱۳۶۰ ه- ثم إلی ما بعد ذلک فی تجربة معانیة، مراقبة، عنیفة ...

أعود بالذاکرة إلی ذلک کله، لأرقب سیر التطور فی هذه الناحیة من صلة الدین بالحیاة، و إصلاح الدین، و الإصلاح به فأجیب عن أسئلتک، بما یحدث به اتجاه ذلک التطور، و دلالة سیره، علی هذه الرسالة الأزهریة و أدائها و علی غیر ذلک من الشئون الدینیة الحیویة .. و إذ أعود إلی هذه المذکرات المحفوظة أو المکتوبة؛ أذکر سنة ۱۳۵۵ ه- ۱۹۳۶ م إذ التقی ثلاثة من جلة الأشیاخ، و منهم رابع و آخر جامعی لتقدیر ما کتب من أبحاث، فی مسابقة من تلک المسابقات التی أثارها علی ماهر، و من بینها مسابقة عن رسالة الأزهر فی القرن العشرین .. اجتمع هؤلاء المجتمعون لیروا کیف یقدرون ما کتب عن هذه الرسالة و بأی میزان یزنونه .. فانتهی الأمر بعد لأی إلی أن للأزهر رسالات ثلاثا: رسالة اجتماعیة و أخری دینیة و ثالثة علمیة .. و قبل الانتهاء إلی هذه الرسالات الثلاث کانت الرسالة الاجتماعیة من بین هذه الثلاث موضع اعتراضات و مناقشات حادة طویلة من أحد أولئک الذین عهد إلیهم الدهر بعد بالإشراف علی أدائها .. فقیل: ما ذا تکون الرسالة الاجتماعیة إلی جانب الدینیة؟ و کیف تتغایران؟ و بم تختلفان؟ و هل للأزهر رسالة وراء وجوده الدینی الإسلامی؟! و قیل فی ذلک شیء کثیر، سجل بعضه بحث عن تلک الرسالة الأزهریة لصاحب هذه الکلمات، بیانا لما کان من أمر الأزهر أول إنشائه دعایة لسیاسة معینة و عقیدة معینة، فعرف بذلک التوجیه الاجتماعی فی نشأته، فکیف به الآن، و قد

عمر فی قومه أکثر من عمر نوح بخمسین سنة و أکثر .. ثم هذا الأزهر بعد ذلک و غیر بیئة دینیة قد تهیأ لها من أسباب المناعة و الصیانة ما تستطیع به

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۸

حمایة الشخصیة المصریة خاصة و الشرقیة عامة و الإسلامیة جملة .. و قد کتب حول هذه المعانی و ما إلیها ما دفعته مطبعة الأزهر نفسه، فی ذلک الحین، إلی أیدی القراء و خزائن الکتب تحت عنوان: رسالة الأزهر فی القرن العشرین، و فیه أن رسالة الأزهر الاجتماعیة إنما هی: حمایة الروح القومیة لمصر و الشرق الإسلامی. جماعة عاقلة. متبصرة متدینة لا تقف عند القشور و لا تعنی بالتافه. و فی سبیل هذه الحمایة یحتفظ هو لنفسه بالطابع المصری الإسلامی. ثم الشرقی. النافع، الذی لا یعوق الحیاة فی تجددها و نشاطها العمل. مقدرا نوامیس الاجتماع. و قوانین الحیاة غیر واقف فی طریق شیء من ذلک. أو معارض إلا علی أساس من النظر البعید. و الوزن الدقیق. أذاع الأزهر الحدیث هذه الرسالة الاجتماعیة علی الناس شرقا و غربا. و الأزهریون بالأمس. یعرفون العالم بأنه: العاکف علی دینه العارف بحال قومه .. و للأزهر صحافة غنیة راتبة. فما الذی کان من بحث تفاصیل هذه الرسالة الاجتماعیة؟ و ما الذی درس من اتجاه التطور الاجتماعی. و التجدد الدائم للحیاة المصریة. و النشاط العملی لها؟ أما أنا فلا أعرف من ذلک شیئا. و لعل غیری یهدینی إلی شیء من هذا التعرف للواجب الاجتماعی علی الأزهر لحیاة الأمة التی ساير حیاتها ألف عام.

و فی المقالة الثانیة التی نشرت فی أول مایو ۱۹۵۲ عن «الأزهر فی حیاة مصر الدینیة» ذکر أن الأزهر هو الذی یحمی إحساس مصر، و الشرق الإسلامی بذاتهما إحساسا قویا واضحا، و هو الذی یحمی روح مصر و الشرق الإسلامی الخاصة، و هو الذی یحمی الذوق المصری الشرقی، الصالح، و یحییه. و هو الذی یحمی الفضائل العملیة المصریة و الشرقیة، و یغری الناس بها، و هو الذی یحمی العادات المصریة الشرقیة الصالحة للبقاء، و یقف بها فی وجه العادات الغربیة التی لا تلائم البیئة المصریة و الشرقیة، و هو الذی ینظلأ فیما تقتبسه الحیاة من جدید، و یتدخل فی هذا الاقتباس، بتعقل و لباقة، لیقاوم الضار منه، علی ضوء الهدی الإسلامی،

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۹

و الخبرة الاجتماعیة و الفهم الجید لشئون الحیاة .. فکل هذا و ما إلیه هو ما دعته تلک الهیئة الأزهریة رسالة الأزهر الاجتماعیة، و بالنظر فی هذه الرسالة، وجدناها حینا غیر واضحة فی أذهان رجال هذه البیئة، و حینا یر معتنی بتعرفها، و فهمها الفهم الصحیح، و آنا قد غلبت البیئة الأزهریة غیر شخصیتها ذاتها فاندمجت فی التیار الغالب بغربیته .. و طورا یعوز هذه البیئة الاتصال بالحیاة، اتصالا قویا فعالا، مؤثرا فی سیرها و توجیهها.

و قد تألفت لجنة بحث المسابقة عن رسالة الأزهر فی القرن العشرین، من الشیخ محمد مصطفی المراغی و الشیخ مصطفی عبد الرازق و الشیخ عبد المجید سلیم، و المرحوم عبد العزیز فهمی، و معهم کاتب هذه الکلمات، الذی عرض علیهم بعد الحکم فی المسابقة، ما کتبه قبلها و لم یدخل التحکیم، و قررت اللجنة أنه الصورة المطلوبة فی ذلک، و نشره الأزهر مطبوعا ... و فی الناحیة الدینیة، من رسالة الأزهر، أقرت اللجنة من هذا المکتوب نواحی ثلاثا:

۱- بیان التدین الإسلامی المرجو الیوم.

۲- الهیئة الدینیة التی تقوم به و تحققه فی هذا العصر.

۳- الهدف الذی تعمل لتحقیقه، أو الرسالة الدینیة للأزهر.

و من الحق أن أعتمد علی ما أقرته اللجنة من ذلک، فیما أحدث عنه، من أمر الأزهر فی حیاة مصر الدینیة الآن، و أول ذلک أن تعرف الرأی فی التدین الإسلامی المرجو الیوم، کما اطمأنت إلیه تلک الهیئة الأزهریة، منذ ذلک الزمن غیر القریب، فهل تری، أنه تدین إنسانی القلب، نبیل العاطفة، یؤید التعاون البشری، و لا یعوق الإخاء الإنسانی، و أنه لیس العصبیة المقیتة، المتعمقة الأفق التی تحتقر الآخرین و تنزلهم من مرتبة الإنسانیة، و تنکر صفتهم البشریة، و أنه تدین لا یعرف تلک السلطة الغاشمة التی ترهب العقل الطلیق، و

تفت فی العزم الوثیق، و تفسد الذوق الدقیق.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۰

و تحتکم بجبروت لاهوتی فی حیاة الدنیا، و تسد الطریق إلی الآخرة، و إنه تدین لا یخلق تلک الطبقة التی تحتکر الدین، و تسد المسالک إلی اللّه و لا یعترف بتلک الطبقة أن خلقتها الظروف، لأنه لا ریاسة فی الإسلام، و کلهم قریب إلی اللّه سبحانه و تعالی، و من التدین علی هذا الوجه، تری الهیئة الجلیلة أن یشتق الأزهر صنعته الدینیة، و من التدین علی هذا الوجه یتبین الأزهر رسالته الدینیة، و ما أخال مفکرا یشک، فی أن هذا التدین هو أولا، أقرب ما یکون من حقیقة الإسلام، و جوهره، ثم هو ثانیا ما تتطلع إلیه الروح الصافیة، الطامحة المخلصة، البارئة من کل وهم، أو جهل، أو تعصب أو جحود أو حمق یسیء إلی الحیاة، و أعود بالذاکرة إلی سنة ۱۳۵۵ ه- ۱۹۳۶ م، فأری مؤتمر الأدیان العالمی یعقد فی ۳ یولیو من سنة ۱۹۳۶ نفسها، و یدعی إلیه الأزهر، فیبعث إلیه حضرة صاحب الفضیلة المرحوم الشیخ محمد مصطفی المراغی شیخ الأزهر برسالة. فی موضوع الزمالة الإنسانیة، تنشر بمصر فی شهر یولیو من السنة ذاتها.

و تری فی هذه الرسالة أنوار من آفاق التدین الإسلامی الوضیء، الذی قرأت آنفا وصفه، فهی تحدثک عن زمالة عالمیة یتعاون فیها أصحاب الأدیان جمیعا، تعاونا حقا جادا علی تحقیق أغراض معنویة، و أغراض عملیة جلیلة مسعدة للإنسانیة المعناة بالبغضاء و الجهل و البؤس. فأما الأغراض المعنویة التی تسعی هذه الزمالة الإنسانیة لتحقیقها فهی فی إجمال إزاحة العلل التی حالت دون تأثیر الشعور الدینی، فی تقریب ما بین الناس .. و أما الأغراض العملیة فهی- علی الإجمال- جعل التدین أداة فعالة فی تهذیب الجماعة و تمکین العوامل المعنویة، التی تشترک فیها الأدیان، من التأثیر فی الحیاة الإنسانیة الواقعیة، و تصییر الفضائل العملیة التی تدعو إلیها الأدیان کلها نظما عملیة ... کما أنها تعد الوسائل المختلفة لتحقیق تلک الأغراض النظریة و العملیة من الدرس و التوجیه، و إیجاد الهیئات و .. و ... مما تجده واضحا فی تلک الرسالة التی نشرها الأزهر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۱

نفسه، بالعربیة و الانجلیزیة فی یولیة سنة ۱۹۳۶ م- و التی نشر فی أبریل منها ما کتبه عن رسالة الأزهر.

و فی مقالة أخری نشرت بعنوان «الأزهر و العمل الدینی» ذکر فیها فیما ذکره أن الأزهر هو هذه البیئة الدینیة الأولی و الکبری، فی مصر و الشرق ..

هذه البیئة التی لبثت کثیرا، تؤدی فی مصر و الشرق رسالة دینیة، هذه البیئة التی ستظل دهرا طویلا تؤدی فی مصر و الشرق رسالة دینیة و للدین عمله فی الحیاة، منذ دبت الحیاة علی ظهر الأرض .. و سیکون للدین أثره علی الحیاة، حتی یرث اللّه الأرض و من علیها.

فی هذه البیئة آلاف مؤلفة- کما تعرف- ما بین طلبة دراسین و أساتذة مدرسین، و علماء منقطعین للبحث، و رجال إدارة فی مراکز مختلفة، بالأزهر، و موظفین موکلین بأعمال دینیة لمصر کالواعظ و نحوهم ... و کل أولئک أهل للنشاط العملی، و التدبیر الدینی لحیاة مصر، بل هم أحق بالتدبیر العامل لحیاة مصر، من أهل أیة بیئة أخری؛ علمیة أو عملیة بها .. و ذلک أن ما یقوم به الآخرون، غیر الأزهریین إنما یدفعهم إلیه شعور الوحدة الاجتماعیة، التی تربطهم بقومهم، و یحتاجون فی إثارة هذا الشعور بتلک الوحدة، إلی معان بعیدة، لإدراک أنهم بإصلاح حال قومهم إنما یهیئون المجال الحیوی، الذی یجدون فیه فرصة تکمیل أنفسهم و ترقیة وجودهم، و الحیاة السعیدة الکریمة التی یطمعون فیها، و بدون هذا المجال الحیوی، من المجتمع الصالح الخیر، یستحیل علی الفرد أن یجد فرصة لکمال نفسه هو، و تحقیق وجوده الصالح السعید، و حین یتنادی أهل البیئات غیر الدینیة بهذه المعانی الاجتماعیة، و یجهدون فی العمل لتقویة الشعور بها، تجد أهل الدین یشعرون بمثل تلک الحقائق شعورا قویا، تمده عقیدة وجدانیة، أصیلة بأن الأمر بالمعروف، و النهی عن المنکر هو ما به دون غیره، تکون الأمة خیر الأمم، و بدونه تکون الأمة ملعونة و هذا هو ما یتعبدون بتلاوته، و یتفقهون بدرسه، و یتواصون باتباعه، و الأمر بالمعروف

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۲

الزام بکل خیر، و النهی عن المنکر تجنیب لکل شر، و عمل الفرد فیه یفید الناس جمیعا. و إهمال الفرد له یضر الناس جمیعا و من هنا تکون تلک الآلاف المؤلفة بالأزهر، إذا سلمت فطرتها، و صحت عقیدتها، مصدر قوة کبری فی الشعور بوحدة الجماعة، و مبعث نشاط عامل للمعروف، مانع من المنکر، یتوارثون ذلک کابرا عن کابر، و یقلد فیهم لاحق سابقا، و یفتدی آخر بأول فهم جمیعا یتنفسون فی الجو الدینی، و هم إما معلمون یقررون هذه الأسس الدینیة، أو متعلمون یستمعون لهذا التقریر، أو مدیرون قوامون علی توجیه هذه البیئة نحو غایتها، و الإشراف علی خطوات سیرها إلی تلک الغایة ..

و قد رد علی الأستاذ أمین الخولی و آرائه الأستاذ الکبیر الشیخ محمد عرفة عضو جماعة کبار العلماء فی سلسلة طویلة من المقالات الممتعة، کما رد علیه الأستاذ الشیخ محمد الشربینی عضو الجماعة و رئیس جبهة علماء الأزهر فی مقالة واحدة.

و یقول الأستاذ الجلیل الشیخ محمد کامل حسن وکیل کلیة اللغة العربیة معبرا عن رأیة فی رسالة الأزهر:

رسالة الأزهر هی رسالة نبی الإسلام و إنما ینجح العلماء فی أداء هذه الرسالة بما نجح به نبی الإسلام علی عاملین لا ینفک أحدهما عن الآخر عامل البیان و عامل السلطان فقد بدأ الرسول صلوات اللّه و سلامه علیه الدعوة إلی سبیل ربه بالحکمة و الموعظة الحسنة و لم یزل یتنقل بالعقول التی خضعت للوثنیة، و یذلل لها طریق الهدایة إلی المبادیء الإسلامیة و یوجهها إلی النظر فی الآفاق و الاعتبار بالآیات و یتعدها بالأدلة المقنعة فی أسلوب الحکیم الماهر حتی استطاع بحکمته السامیة و حجته الباهرة أن یقنع الناس بصدق الوحدانیة و أن یبین لهم أمر دینهم و دنیاهم معا، حتی وضح لهم ما أحل اللّه لهم و ما حرم علیهم و دخلوا فی دین اللّه أفواجا عن بینة و اختیار «لا إِکْراهَ فِی الدِّینِ قَدْ تَبَیَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَیِّ». و من طریق هذا البیان أصبح

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۳

الحلال بینا و الحرام بینا کما قال علیه الصلاة و السلام و مع ما قام به الرسول من بیان أوضح معالم الحلال و الحرام فقد اعترضه فی سبیل الدعوة إلی اللّه صنادید قومه الذین أکل الحقد قلوبهم فعز علیهم أن یترکوا ما کان یعبد آباؤهم برغم ما لمسوه من أنه نبی حقا و أن ما دعا إلیه هو الحق و عرفوه کما یعرفون أبناءهم. وقف هؤلاء فی سبیل دعوته و حرضوا علی قتله و أذوا أصحابه بأنواع الأذی و کادت هذه الفتنة تزلزل أثر الدعوة التی قامت علی الحجة و البیان لو لا أن تداارکه مولاه بالعنایة و أمره بالجهاد و أمده بالعامل الثانی عامل القوة و السلطان فأعطاه السیف لا حبا فی إراقة الدماء و لکن لیزیل من طریق الدعوة هذه العقبات و لیسعد العالم بالإسلام رغم أنوف هؤلاء المعاندین المعترضین سبیل الدعوة إلی اللّه، فلما وضع السیف فی أعناقهم محا اللّه صولة الکفر و الکافرین و رسخت دعوته التی قامت علی الحجة و البیان بعد أن عززه اللّه بالقوة و السلطان لذلک یقول سیدنا عثمان بن عفان: «إن اللّه لیزع بالسلطان ما لا یزع بالقرآن» إنه لقول حق و فیه الموقف الفصل و منه یتبین للمنصفین أن رسالة الإسلام إذا قامت علی البیان فإنها لا تکمل و لا تتم إلا بالعامل الثانی عامل السلطان الذی غیر معالم ظلم الظالمین و أزال صولة الکافرین و المعاندین و مهد للإسلام و المسلمین نعمة التمام و الکمال فی قول اللّه عز و جل: الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَ رَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً.

فتعالوا أیها السائلون عن رسالة الأزهر، و هل أدی العلماء رسالتهم أو لا؟ تعالوا لنقول لکم کلمة الحق و الحق أحق أن یتبع. لقد قام العلماء بواجبهم بالنسبة للعامل الأول عامل البیان و تذکیر الناس بمواطن الحلال و الحرام ففریق منهم یعلم أبناء المسلمین أحکام دینهم فی کلیاتهم و معاهدهم لیتخرجوا للناس دعاة إلی اللّه ینذرون قومهم إذا رجعوا إلیهم- و فریق منهم یقوم بالوعظ و الإرشاد و إصلاح ذات البین و ما شجر بین الناس فی البلاد و ما زالوا یجاهدون و یتنقلون لهذا فی کل وادّ.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۴

و فریق من العلماء یقوم بتعلیم العامة فی بیوت اللّه تعالی حین یجتمعون للصلاة و إذا کان فی کل مسجد عالم یدعو إلی دین اللّه فکثیر ما هم. و إذا أردت أن تعرف صدق القول فی ذلک فاسأل أی رجل فی عرض الطریق عما یعرف من واجبات دینه فیقول لک

مثلا الصلاة الزكاة الحج الصوم صلة الأرحام و كل ما يعز دين اللّه و يسعد الأوطان ثم سله عما حرم اللّه فيقول لك: الربا الزنى الخمر الغيبة و التميمة و كل سعى بالفساد بين الناس و هكذا و العامى الذى يجيبك بهذا لم يولد من بطن أمه عالما بهذه الأحكام و لكنه مدين فى علمه بذلك لبيان العلماء الذين هم ورثة الأنبياء.

بعد هذا اعترف للسائل بأن العلماء و إن أدوا رسالتهم بالنسبة لعامل البيان و عليه تقوم نصف الرسالة فإنهم لم يقوموا بتنفيذ ما بينوا للناس من معالم الحلال و الحرام، فهم يرون شارب الخمر يشربها و لا يكسرون كأسه و يرون الربا قد فشا التعامل به، و لم يقضوا على آثاره و يرون النساء العاريات متبذلات و لا يتعرضون للقضاء على هذه المظاهر الخلقية بالقوة و السلطان.

و يرون كثيرا من النكرات يقوم بها العام و الخاص و لا يستطيعون تغيير هذه المنكرات إلا بقلوبهم و ذلك أضعف الإيمان. أتدرى أيها المنصف لما ذا؟ لما ذا ضعف العلماء عن تغيير هذه المنكرات؟ لأن زمام الأمور لما تولاه فى الماضى قوم وهنوا فى أمر دينهم استطاع المستعمرون أن يستخدموهم فى نزع السلطة الدينية من العلماء و مكنوا لهم حتى شرعوا للناس قوانين وقفت عقبة فى سبيل الدعوة إلى اللّه، و حالت دون تغيير ما حرم اللّه فالعالم إذا تعرض مثلا لكسر الكأس الذى بيد شارب الخمر أدين فى القانون الذى رخص بشرائها و شربها و التجارة فيها و إذا تعرض لبيان قوله تعالى: وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا اعترضه المشروع الذى أحل الربا و رخص للقضاء أن يحكم به.

و إذا نهى العالم عن مظاهر الفتنة التى يتسابق فيها النساء الفاجرات رموه بالرجعية و أنه عدو الحرية و إذا أبان للناس ما كرم اللّه به المرأة من قوامة

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۵۵

الرجل عليها و القيام بخدمتها و نفقتها و وضعها دون الحجاب الذى يحفظ لها كرامتها و يديم عليها بهجتها لا يجد فى المجتمع ما يؤيده و يساعده لأن الناس مغرمون بالتشريعات التى تبيح للمرأة الاختلاط بالرجال و مثل هذه التشريعات تحمل المرأة على أن تترجل و تحمل الرجل على أن يتخنث.

الحق أقول لك أيها السائل: إن فى النفس شيئا كثيرا، و يكفى أن أقول لك: إن الرسالة الأزهرية لا يتم أداؤها إلا إذا تعاون معهم أهل السلطان، و هذا هو المنتظر بعد أن يتم القضاء على الاستعمار و أذنابه.

الأزهرى و واجبه الدينى و الروحى

يريدون أن يطفئوا نور اللّه بأفواههم و يأبى اللّه إلا أن يتم و نوره و لو كره الكافرون. ضلت الإنسانية و ذلت البشرية، إن لم تهتد بنور الإسلام المشرق. و ترو سحابة المغدق و تستظل بظله الوارف الأمين. و ساء مثل الأمم و الشعوب إن لم تؤمن بهذه الشريعة الباقية الخالدة، و ذلك الكتاب السماوى الحكيم، الذى جاء به محمد صلى اللّه عليه و سلم نورا و هدى للناس و روحا و ذكرى للعالم و للمؤمنين. و شاهت وجوه أولئك الوارثين لمجد الإسلام الخالد و تراثه التليد. إن لم يضربوا أروع المثل فى سبيل اللّه و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره الكافرون كما ضرب أسلافهم الأروع المشابيب أكرم الأمثال و قاموا بأروع التضحيات و الجهاد، لتكون كلمة اللّه هى العليا. لقد وقعت المعجزة منذ أربعة عشر قرنا: على يدى هادى الإنسانية و ناشر السلام و علم الدنيا و الآخرة محمد صلى اللّه عليه و سلم، و على أيدى أصحابه الأبطال الميامين، فعلت كلمة الحق، و نشرت راية الفضيلة، و رفع لواء الحضارة و المدنية و الثقافة، و ظهرت على دول العالم القديم الأمة الإسلامية المؤمنة، فكان لها الفوز الأكبر، و النصر المؤزر، و الكلمة العليا، و الشرف العظيم. فلم لا يقوم الأزهر بمثل تلك المعجزة من جديد؟

فيقودها ثورة صارمة فى وجه الباطل، و هداية حكيمة تملأ مشارق الأرض

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۵۶

و مغاربها نورا، حتی یطمئن العقل الحائر، و یسعد العالم الشقی، و تنعم الإنسانیة المعذبة، و تسود کلمة الحق و الخیر و الفضیلة، و تعود الحیاة سیرتها الأولی. و لم لا یستصغر المشقات فی جانب روح الأبد، و راحة الضمیر ... لا یأس فی الدعوة، فإنه لا ییأس من روح اللّه إلا القوم الکافرون، و لا ونی فی الهدایة، فإنه لا یبنی فی میدان الجهاد إلا من لبس إیمانه بظلم، و لا عمل إلا للّه و رسوله، فإن أجدر عمل بالظفر و السداد ما کانت غایته اللّه و رسوله. فإما أن یحیی للدعوة مجاهدا لإظهار کلمة اللّه، و إما أن یموت فی میدانها شهیدا.

أین الأزهری الذی یدعو الناس بخلقه و أدبه و طریقته، إلی ما یدعوهم إلیه بقوله و بیانه و حجته؟ .. و هل تکون العظة ذات أثر إلا إذا صدرت من مؤمن عامل بها، و ممن یأمر بالمعروف و لا ینسی نفسه؟ فما أفحم الداعی إلی مکرمة لم یندب نفسه لها و إن کان بلیغا منطقیا. علی الأزهری أن یدعو الناس بالحکمة و الموعظة الحسنة، و الحجة البالغة، و الآیة المبصرة ...

یأخذ الناس علی حسب عقولهم، و یکلمهم بما یؤثر فی نفوسهم و یعرض علیه نواحی الجمال فی العقیدة الإسلامیة، و یبین لهم ما فیها من دعوة إلی الحق و الخیر و الجمال و العدالة، و من إعزاز للنفس الإنسانیة و سمو بها، و تکریم لقدر الإنسان فی الحیاة، و ما فیها من ألوان الإصلاح فی السیاسة و الاجتماع و الاقتصاد و العلم و العمران، و من سماحة فی المبادیء و سهولة فی التشریع، و یسر فی الشعائر، و ما فیها من دیمقراطیة عالیة، و روحیة سامیة، و إخاء کریم و عدالة و مساواة و إیثار ضربت بها الأمثال بین الناس.

و علیه أن یضرب لهم الأمثال بالأسلاف الأولین، و ما کان لهم من المواقف الرائعة، و المشاهد الماجدة، و الصفحات الناصعة فی کل میدان ... و أن یفصل لهم المدی الذی بلغته الحضارة الإسلامیة و الفکر الإسلامی، و ما کان لهما من آثار بعیدة فی النهضة الغربیة الحدیثة. و أن یعاضد رجال الفکر و الثقافة و الصحافة، و یتخذهم أصدقاء یساعدونه علی أداء رسالته الدینیة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۷

و نشرها بین الناس، و أن ینشیء الجمعیات الدینیة التی تسهم بنشاط فی نواحی المجتمع و مرافق الأمة، و علی الأزهر أن یهضم الثقافة الإسلامیة القدیمة، و یحیلها غذاء عقلیا جدیدا بأسلوب یتفق و روح العصر و الزمن، إن الأزهر داعیة للدین و الخیر .. فعلیه أن ینهض بالعبء و یحمل الرسالة، و یؤدی الأمانة. و أن یرشد الناس من جدید إلی کل ما فی الدین من حق و خیر و جمال.

و التصوف و السمو الروحی فی الإسلام جدیر بتأمله و دراسته و إذاعته بین الناس، لیفهموا رسالة الروحیة الحقة، و السلام الأبدی، و الطمأنینة النفسیة العمیقة، التی هی «الطب الروحی» و «العلاج النفسی» الصحیح، الذی سبق بالکشف عنه فلاسفة الإسلام و متصوفوه منذ أجیال مدیدة فی تاریخ الحیاة.

الأزهری کما ینبغی أن یکون

کتب الأستاذ الأکبر المرحوم محمد مصطفی المراغی حول هذا الموضوع یقول:

أول ما یجب أن یکون علیه الأزهری: هو المحافظة علی الشعائر الإسلامیة محافظة تامة بحیث لا یقصر فی شیء منها، و لا یمکن غیره من الاحتفاظ علیه بزلة، حتی یکون قدوة بعمله لا بقوله فحسب، و القدوة العملیة تترک فی النفوس أثرا صالحا، تؤثر فیها ما لا تؤثره الأقوال، و الشعائر الدینیة فی جملتها من أکبر الوسائل لطمأنینة النفس و التحلی بالأخلاق الفاضلة، و هی التی توجد الصلة بین العبد و ربه، و تقوی صلات الأفراد، و تحسن حال الجماعات، و یصاحب هذا ملازمة الأخلاق النبویة، و التبصر فی هدی القرآن و السنة، و مجاهدة النفس و ریاضتها علی احتمال الأذی و المکروه فی سبیل العمل بالأخلاق الدینیة و أداء الشعائر الإسلامیة،

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۸

حتی تصیر الفضیلة شعارا و ملکة، و حتی تصدر أعمال الخیر من غیر تعمل و رویة. و من لوازم الداعی و المرشد أن یکون شجاعا صادقا قوی الإیمان بما یدعو إلیه یری فی الإقدام لذة، و حقا للنفس الخیرة یؤدیه احتسابا للّه لا علی أنه مکلف به، یؤدیه للأجر و

زیادة الـدرجات و المرتبات، و من حق الداعی أن یکون بصـیرا بالوسط الذی یعیش فیه، خبیرا بأحوال النفوس، واسع الحیلة فی التنقل من طریق إلی طریق، یقصـد إلی الهدایة المطلوبة من طریقها النافع. و لیس أفعل فی النفوس من جلال تسـکبه التقوی و ملازمة حدود اللّه، و من جمال یلقیه العلم الناضـج علی صاحبه، و من هیبـة یوجـدها الإعراض عن الـدنیا و عـدم الحرص علیها، و قـد شاهـدنا فقراء لیس لهم جاه رسـمی، و لا عزة عصبیـة، یهابهم أصـحاب المقامات الرفیعـة و الأموال المکنوزة، و ینکمشون أمام هیبتهم التی بسـطتها التقوی وزانهم بها العزیز الحکیم.

و الحرص علی الـدنیا یفسـد علی العالم لـذة العلم، و یفسد علیه الغایة التی یطلبها، و هی الهدایة، و الناس لا شک زاهدون فی العلماء إذا رأوهم مقبلین علیها معرضـین عن الآخرة. فلتکن الدنیا مطلوبة بالقدر الذی تسـتحقه، و فی الدرجة التالیة لدراسة العلم و تحصیله و اللذة به نفسه، و باعتباره وسـیلة من وسائل الآخرة، و طریقا لرضی اللّه و رسوله. و لقد کانت للأزهریین تقالید متوارثة محمودة، و هی عطف الکـبیر علی الصـغیر، و توقیر الصـغیر للکـبیر، و احـترام الأسـلاف، و الصبر علی الـدرس و التحصـیل، و تفهم المسائـل بعللهـا و أسـبابها و مـا یتفرع عنها و یتولـد منها، لا یبالون فی سبیل ذلک بالوقت و الجهـد و یرونه أکبر لـذة للنفس و أکبر متاع للعقل، و یرونه واسـطة المجـد و طریق الشـرف و الکرامـة، و کان طالب العلم إذا لم یفهم کتابا أعاده، و إذا لم یفهم مسألـة فتش عمّن یفهمها منه، و کانت اجتماعاتهم لا تخلو من المـذاکرة فی مسألـة من مسائل العلم، و قد رأینا منهم من کان أهلا للتدریس و للتقدم للامتحان و کان یحجم لأنه یرید الاستزادة و تکمیل النفس،

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۹

فـالعلم نفسه تفوق لـذته لـذة الحصول علی الدرجـة، و الـدخول فی مضـمار الحیاة. کانوا یجیـدون تحضـیر الـدروس قبل إلقائها علی التلامیذ بقدر ما یسمح به الجهد. و کان الطلبة یجیدون تحضیر الدروس و فهمها قبل تلقیها عن الشیوخ بل کان نوابغ الطلبة لا یذهبون إلی تلقی الـدروس إلا لحل مشـکلة عرضت لهم. أو انتظار لتحقیق مسألـة من مسائلها .. کانوا یفعلون هـذا مع الطمأنینـة و اللذة وسـعة الصدر، لا للنجاح فی الامتحان، و لا لطلب الرزق. و کانت القناعة تجمل فقرهم و تزین علمهم، لا یمکن أن یمر فی خاطر أحدهم أن الفقر نقیصة، و أن الإسراف فی البحث مضیعة للوقت.

و لا ننکر مع هـذا أن ملازمـة بعض المؤلفات المختصـرة، و ترک المناهل العذبـة من کتب الأسـلاف، و عدم التوسع فی الاطلاع علی تراث الأقدمین، ضیق دائرة التفکیر، و أوجد إسرافا فی تحلیل الألفاظ و إبداء ما تحتمله من الوجوه، و أوجد انحرافا عن الجادة القویمة فی طلب العلم و بحث مسائله و تحقیقها، و بعـدا عن أسالیب اللغـة العربیة الصـحیة، و إعراضا عن مسایرة الناس فی الحیاة و إدراک ما تتطلبه الحیاة بل و شـغلهم عن القرآن و السـنة من ناحیة الهدایة التی جاء لها القرآن، إلی نواح أخری متکلفة. و تلک هی الأدواء التی ألم منها الناس وسعوا لإزالتها.

لکن فی الوقت الـذی نریـد فیه إزالـة هـذه الأـدواء، لاـ یصـح أن ینسـی الأزهری جوهر تقالیـده، بل یجب علیه أن یحافظ علیها، و أن یصرفها إلی وجوه الخیر، و ما یعود علی دینه و أمته و ملته بالصلاح و الفلاح.

حول رسالة الأزهر

فی مساء الاثنین ۵ من جمادی الأولی سنة ۱۳۷۵ ه (۱۹ من دیسمبر ۱۹۵۵) عقد فی دار المرکز العام لجمعیات الشبان المسلمین مؤتمر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۶۰

إسلامی کبیر لیبحث فیه «رسالة الأزهر الشریف الیوم».

افتتح المؤتمر فضـیلة الأسـتاذ أحمد الشرباصـی الرائد الدینی لجمعیات الشبان المسلمین فقال: الأزهر الیوم فی محنة، و ما أکثر المحن التی مرت علیه، و لکن محنـة الیوم کبطون اللیالی المثقلات بالعجائب، و ذکر أن مهاجمة الناس للأزهریین لم یقصد بها ذلک، و إنما

قصد بها محاربة رسالتهم، و قال: و الناس فی شأن الأزهر ثلاثة أصناف: صدیق محب، و ناقد منصف، و عدو حقود. فالصدیق المحب یفضل مقام المؤید علی مقام المحاسب المؤاخذ، و الناقد المنصف یروم الکمال و یبغی الرفعة، و أما العدو الحقود فهو الداء الذی یستعصی علی الدواء.

ثم قال: و کبر مقتا عند اللّه أن ننکر ما بالأزهر من حاجة ملحة إلی الإصلاح، و لکنه جامعة کبری یعروها ما یعرو کل کریم من تقلبات الزمن، و قد یکون لبعض المنتسبین إلیه ذنوب تحتاج إلی التهذیب. ثم ذکر فضیلته: الفرق بین کلمتی «الأزهر» و «الأزهریین» و قال: إن الأزهریین طائفة یجوز علیهم الخطأ و الزلل، و لکن خطأ الأزهری یکون أوضح مما سواه لأنه مطالب بأن ینفی غایة جهده مواطن الشر من نفسه، لأن حسنات الأبرار سیئات المقربین. و لقد یغدو الأزهری أو یروح علی کلمة ثناء أو تقدیر، و لکنه یغدو علی سهام التجریح من مواطنیه.

و فکر فضیلته: أن الأزهر فی غیر وطنه حصن الإسلام الحصین، و أبناء الإسلام فی جمیع البلاد یتطلعون إلیه کما یتطلعون إلی المساجد الثلاثة، و إذا کانت الرحال تشد إلی هذه المساجد تعبدا فإنها تشد إلی الأزهر تفقها و تدبرا، لینذر أصحابها أقوامهم إذا رجعوا إلیهم لعلهم یحذرون، و التعبد لا یکون صحیحا إلا إذا قام علی التفقه فی الدین.

ثم قال: لعل الذین أنشأوا الأزهر أرادوا أن یکون مظهرا من مظاهر الطائفیة فی الملة، و لکن اللّه لم یرد للأزهر إلا أن یکون للإسلام

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۶۱

و المسلمین، و لقد زال دعاة الطائفیة المذهبیة، و بقیت للأزهر عربیته و إسلامیته. ثم ذکر فضیلته أن الناس یرون فی الأزهری أنه رجل الدین، و أن واجبه أن یقول للمخطیء: أخطأت. مهما کان شأن هذا المخطیء، و أن یغار علی حرمات اللّه، و لکن الواجب علی المجتمع أن یمکنه من ذلک. و ذکر: أن البرلمانات فی الدول الحدیثة تعطی حصانة للنائب تمنع عنه الأذی، فإذا أرید لرجل الدین ذلک کان من واجب المجتمع أن یضمن له حصانة حتی یأمن علی نفسه و أهله و کرامته.

و إذا کنا نغار علی الأزهر أشد الغیرة، و نذود عنه سهام الکائدین له فإننا فی الوقت نفسه نذکر ما علی أبنائه من واجبات ضخام و مسئولیات جسام، فما کان لهم أن یرضوا بموروث الذکر الحکیم و لا یمنوا أنفسهم بمقام کریم ما لم یؤدوا لذلک حقه، فعلیهم أن یحسنوا القوامة، و أن یبرهنوا قولا- و عملا- علی أنهم أهل لذلک، و إلا- مکنوا غیرهم من مهاجمتهم، و أن یتقولوا علیهم بالحق و الباطل.

و اختتم فضیلته حدیثه بقوله: فلیحذر الأزهریون زائد الثناء، و لیتذکروا دائما أن بقاءهم فی الحیاة لا یکون إلا بأداء الواجب. و لیحذر أعداء الأزهر لعنة التاریخ و نقمة الجبار، و اللّه یقول الحق و هو یهدی السبیل.

ثم تحدث فضیلة الأستاذ الشیخ محمد محیی الدین عبد الحمید عمید کلیة اللغة العربیة عن «الأزهر و العالم الإسلامی» فقال: إن صلة الأزهر بالعالم الإسلامی بدأت منذ بدأ الأزهر، و استمرت فی کل طور من أطوار تاریخه. الأزهر ذلک المعهد العتید دارت الأزمان المتطاولة و علوم الأمم المختلفة ما هو فی أقصی الشرق و ما هو فی أقصی الغرب. الأزهر هو ذلک المعهد الخالد الباقی و إن رغمت أنوف و عفرت جباه. ثم ذکر فضیلته أن المسلمین کانوا یعیشون بجوار رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یتعلمون، و یتهذبون حتی

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۶۲

انتقل إلی الرفیق الأعلی، ثم تفرقوا فی البلاد غازین فاتحین معلمین للناس ما تعلموه من رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، و کیف أن هذه البلاد استفادت منهم و تخرج علیهم علماء کثیرون فی مشارق الأرض و مغاربها، و أن الأزهر جمع علم هؤلاء جمیعا و علم مدارسهم کلها من مکة و الشام و المغرب و غیرها من البلاد.

و قال بعد ذلک: إن الأزهر منذ بدأ و له علاقته بالعالم الإسلامی لا فی الثقافات و المؤلفات فقط و لکن فی عالم الأشخاص، و إلا فما هذه الأروقة الکثیرة من أروقة الیمن، و الأتراک، و الجاویین، و الهنود، إلی غیر ذلک.

إن الأزهر يبدو- كما يقولون- منطويا على نفسه، و لعمرى إن هذه فريئة، متى كان الأزهر منطويا على نفسه؟ الآن ..؟ أم فى أعماق التاريخ؟ لا- أريد أن أقول: إن محمدا عبده قد ذهب إلى بيروت و أوروبا و غيرهما .. و لكنى أريد ضرب مثل برجلين من رجال الأزهر القديم هما الشيخان حسن العطار، و الدردير ى، و ذكر ما كان لهما من أثر جليل فى محاربة الفرنسيين، و قيادة الشعب و تأليبه على الغاصب.

أما رجال الأزهر حديثا فهم أكثر من أن يحصوا، فعلماؤنا اليوم فى كل صوب و بلد،- ثم أشار إلى فضيلة الأستاذ عبد المنعم النمر- و قال: و هذا مثل قريب منا فضيلة الأستاذ النمر سيذهب إلى الهند فى الأيام القليلة المقبلة مبعوثا من الأزهر إليها.

ثم تحدث فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى مدير التفتيش بالأزهر الشريف فقال: أستطيع أن أحصر كلمتى فى سؤالين ثم أجيب عنهما أولا: لم كان الأزهر؟؟ .. ثانيا: و لم كان فى مصر و عاش بمصر؟. ثم ذكر أن الدعوة الإسلامية كانت تمتد فى أعماق البلاد على ألسنة من يرتحلون من قطر إلى قطر- و أن هذا ليس بكاف للتعليم- ظلت كذلك مرحلة من الزمن حتى جاء الفاطميون، و أقاموا الأزهر.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۶۳

و يقول المؤرخون: إن الأزهر ولد لحاجة سياسية و هى الطائفية، و أعتقد غير هذا. وهبوا أنهم كذلك! فهل قصدوا من إيجاده أن يستأثروا به دون غيرهم، و أن يستخدموه للقضاء على المذاهب الأخرى؟ هم شيعة و لا شك أنهم مسلمون على أية حال لاشتراكهم معنا فى الإيمان باللّه ربا و بالإسلام دينا- و إن الختلف مذهبهم الفقهى عنا أقول: إن مصر دخلها الإسلام سنة ۲۰ هجرية، و قبل دخوله كانت مسيحية، و قبلها كانت يهودية أفلا يجوز فى نظر العقل أن يكون قصدهم اكتساح اليهودية و النصرانية بإقامة الأزهر؟. تأكدوا أن الأزهر لو كان موجودا لفكرة خبيثة لفنى بفنائهم ..

و لكنه بقى و بقى و سيظل بإذن اللّه باقيا .. ثم بين فضيلته أن الأزهر بقى على رسالته العلمية مع تطوره بتطور الزمن و أنه لم تبعث نهضة وطنية إلا و الأزهر باعثها و متعهدها. و ان الأزهر له مكانته العلمية فى جميع البلاد، و ما زالت الفتوى ترد إليه من جميع الأقطار لأنه قبلتهم الثانية و أن الأزهر يرسل علماءه إلى البلاد حسب إمكاناته. ثم قال: هم يظلمون الأزهر بقولهم إنه جامد لا يجدد.

و قال فضيلته: إنه لا بد و أن يكون للأزهر أعداء و خصوم لأن هذا شأن كل عظيم ثم اختتم كلمته بقوله: أعلن أن الأزهر كما أنه فى ماضيه و أمام العقبات الوكداء لم يتخلف و لم يغلق أبوابه، و لم يسرح علماءه هو فى حاضره كذلك، و سيظل فاتحا بابه ناشرا كتابه معلما أبناءه.

ثم تحدث فضيلة الأستاذ الشيخ كامل محمد حسن وكيل كلية اللغة العربية فبين أن رسالة الأزهر هى رسالة محمد صلى اللّه عليه و سلم، و أن علماء الأزهر لا ينجحون فى دعوتهم إلا إذا سلكوا مسلك صاحب الدعوة، و بين أن هذا المسلك ينحصر فى شيئين: الأول: البيان للناس و تعليمهم أمور الدين.

و الثانى: القوة. و بين فضيلته: أن النبى صلى اللّه عليه و سلم بدأ بالعامل الأول فكشف الحجب، و طهر العقيدة حتى آمن الناس عن رغبة، و لما تخلف عن ذلك قوم حقدا لا عن جهل، و حسدا لا عن عقيدة؛ أعطاه اللّه العامل الثانى

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۶۴

ليسعد الناس بالإسلام رغم أنوفهم (و المرء يثاب رغم أنفه).

ثم قال: لقد علق أحد الغيورين على ذلك بقوله: إذا كانت للعلماء قوة التأثير فهم ليسوا بحاجة إلى القوة. و جوابى أن ذلك ممكن لقوم يريدون معرفة الحق، و لكن قوما عاندوا لا بد لهم من القوة فقد عميت بصائرهم.

و ليس العلماء مهما بلغوا من قوة التأثير بمثل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و مع ذلك احتاج الرسول إلى الجهاد ليخرج به المعاندين إلى حكم الإسلام. و قال فضيلته:

و أخيرا أعود فأقول: هل أدى الأزهر رسالته؟ الحق أن الأزهريين أدوا نصف رسالتهم التى تتعلق بالبيان، و عجزوا عن النصف الآخر، و هو العمل. ثم ذكر أن المسئول عن ذلك هو الاستعمار فإنه وضع العقبات فى طريق الأزهر، و أيضا القوانين التى تحمى الخارجين على الدين.

و اختتم فضيلته كلمته بقوله: لا بد من العلاج لنؤدى النصف الآخر، و إن من حق الأزهر أن يتطلع إلى رجال الثورة فى مد يد المساعدة على ذلك، و يوم أن يتم يكون العلماء كالماء يساق إلى الأرض الجرز فينبتها و يخرج ثمراتها يانعة، و اللّه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

ثم تكلم فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فشرح كلمتى «المجتمع» و «الأزهر» فذكر أن المجتمع يطلق على الأسرة و القبيلة و الشعب و الأمة و العالم، و أن كلمة «الأزهر» كانت تطلق على الجامع ثم أطلقت على المعهد ثم على الجامعة العلمية ثم على الجامعة العلمية الإسلامية. و قال فضيلته: فهل هذا التطور فى كلمتى الأزهر و المجتمع له تطور فى التلازم بينهما؟ أرى أن كلمة الأزهر تعنى كلمة الإسلام، فالصلة بين الأزهر و المجتمع هى الصلة بينهما- الإسلام و المجتمع- ثم تساءل: هل يؤخذ على الأزهر ما يقع فى المجتمع من الرقص التوقيعى و الأغانى الخسيسة التى تغزو قلوب الشبان و الشابات؟ هل يؤخذ عليه الحملات التى توجد فى الصحف من صور عارية و قصص مثيرة؟ ليس الأزهر من القوة

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۶۵

بحيث يطور هذا المجتمع أو يخلع عليه تلك القوة إلا إذا كان هناك تجاوب بينه و بين المسلمين. ثم ذكر فضيلته: أن الأزهر فى العرف التاريخى هو كالمسجد الذى ينشأ قبل المدينة ثم تبنى المدينة بعده، و ضرب أمثلة لذلك بمسجد عمرو بن العاص و مدينة الفسطاط، و جامع طولون و مدينة القطائع، و المسجد الأموى و مدينة دمشق .. الخ.

ثم حى فضيلته كثيرا من رجال الأزهر أمثال عز الدين قائد الجيوش ضد التتار، و الشيخ الدردير و عمر مكرم الذى وقف أمام نابليون ۳۷ يوما، و الشيخ عليش و غيرهم و غيرهم و غيرهم وحى كذلك منبر الأزهر الحر الذى عامت جثث الضحايا حوله فى بحر من الدماء.

ثم تساءل مرة أخرى: من الذين يباعدون بين الأزهر و المجتمع؟

أ هؤلاء الذين لا يعرفون فى هذه الأمة إلا التضليل، و الحديث عن الوجودية؟ أم هؤلاء الذين يلبسون لكل عهد حلة ليأكلوا على كل مائدة؟

أ هؤلاء هم الذين يرددون أن الأزهر بعيد عن المجتمع؟؟.

و اختتم فضيلته حديثه بقوله: أرجو اللّه أن يكون الأزهر فى هذا الجور الحر و نحن فى وقت تتكتل فيه الجهود لمحاربة الاستعمار أن يدفع بالأزهر إلى الرعيل الأول ليدافع عن كل نافع، و أن تتجه أمم العرب و المسلمين جميعا إلى الإسلام.

ثم تحدث فضيلة الأستاذ عبد المنعم النمر مبعوث الأزهر إلى الهند قائلا: إن الحديث عن الأزهر فى الماضى، و عن تاريخه و جهاده فى العلم و الدين و الاجتماع، شىء جميل نحب أن نكرره لنعرف الماضى فنصله بالمستقبل. و إننا إذا دافعنا عن الأزهر فلأنه فكرة، و تاريخ مجيد، و لأنه دفاع عن الإسلام و كيانه، و ليس معنى هذا أن الأزهر قد بلغ غايته من النضج. ثم ذكر أن الأزهر له روحيته و شخصيته الموجهة، و له كذلك تربويته و علمه. أما روحيته و مركزه فى العالم الإسلامى فهو أقل مما يجب

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۶۶

أن يكون. فنحن نريد أن يكون موجها حاكما بروحيته و نفوذه.

ثم قام الشاعر محمد بدر الدين فألقى قصيدة حرة جريئة بعنوان «الأزهر» مطلعها:

ركع الزمان ببابك استرضاءو سعى إليك ليقبس الأضواء

و الشمس تطوی لیلها فی لهفةلتطوف حولک فی النهار ولاء

ثم أجاب بعد ذلک فضیلة الأستاذ أحمد الشرباصی عن أسئلة السامعین و تلا بعدها قرارات المؤتمر و هی:

أولا- إن السهام التی توجه إلی الأزهر محاولة النیل منه أو الغض من شأنه لیست موجهة إلی أبناء الأزهر بقدر ما هی موجهة إلی رسالة الأزهر الکبری التی تدور حول الإسلام و لغة القرآن.

ثانیا: الأزهر الشریف هو المفخرة الکبری لمصر العربیة الإسلامیة، و کل تعویق للأزهر عن السیر فی طریقه یعد تعویقا لمصر و إساءة لسمعتها الکریمة بین أبناء البلاد العربیة و الإسلامیة.

ثالثا: من واجب الدولة أن تبسط للأزهر و رجاله الأسباب الموصلة لتحقیق رسالته و لیتم التعاون بین ولاة الأمر فی الدولة و فی الأزهر، لبناء الوطن المؤمن السلیم فی عقائده و أخلاقه و تفکیره.

رابعا: قد یکون من وسائل التمکین للعماء فی أداء رسالتهم أن تصدر الدولة تشریعا یقضی بتجنید بعض الأزهریین المختارین من معسکرات الأزهر التدریبیة لتکون مهمتهم أن یقاوموا المنکرات الشائعة فی المجتمع بصورة عملیة، و یکون لهم الامتیازات المکفولة لبولیس الآداب و یسمون «الحرس الخلقی الاجتماعی» کما یکون لهم شعار خاص یعرفون به بین الجمهور.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۶۷

خامسا: من واجب الأزهر أن یسارع إلی الأخذ بأسباب الإصلاح الجدی الصحیح حتی یستقیم الرکب الأزهری علی الطریق الموصل إلی تحقیق رسالته الإسلامیة و العربیة و القومیة.

سادسا: یأمل الأزهر من الدولة أن تفسح أمام الأزهریین مجال العمل فی المدارس و فی القضاء و فی الإذاعة و فی کل مجتمع یحتاج إلی دعاة و مرشدین.

رسالة الأزهر فی النصف الثانی من القرن العشرین

-۱-

هذا المعهد العریق، و البیت العتیق، و المنارة الشماء، لم یعد لمصر وحدها، و لا للعرب فحسب، و إنما صار مجدا للعالم الإسلامی کافة، و أصبح بعد ذلک کله خیر مظهر للإسلام، شریعة اللّه المنزلة علی رسوله محمد بن عبد الله صلوات اللّه و سلامه علیه، و التی کان کتابها المطهر هو القرآن الکریم ..

و مصر فی انتفاضتها الحاضرة، و وثبتها الراهنة، و نهضتها الباهرة، و فی زعامتها العالم العربی، و فی قیادتها الروحیة للعالم الإسلامی و فی حملها لواء القومیة العربیة المجیدة، مصر هذه مدینة للأزهر بدیون کثیرة فی ماضیها و حاضرها، و هی مع ذلک کله- فی ظلال ثورتها الکبری- محتاجة إلیه أشد الاحتیاج، لتوطید منزلتها فی العالمین العربی و الإسلامی، و لیسهم معها فی نشر الثقافة و رسالة الإسلام فی ربوع أفریقیا و آسیا، و لیکون الدعامة الأولی للقومیة العربیة، و لقیادة مصر الثقافیة و الروحیة لشعوب العروبة و الإسلام.

و عند ما نفکر فی رسالة الأزهر فی النصف الثانی من القرن العشرین،

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۶۸

لا بد أن نفکر أولا فی طلاب الأزهر و خریجیه و مدرسیه، لا بد أن نکفل لهم الطمأنینة و الاستقرار فی حیاتهم، و أن نفتح أمامهم الأبواب للمستقبل، و أن نستعین بهم فی کل المیادین الثقافیة و الروحیة و الإداریة، حتی یستطیعوا فی ظل هذه الرعایة أن ینصرفوا بکل جهودهم إلی أداء رسالة الأزهر العلمیة و الروحیة فی کل مکان و لا بد مع ذلک کله أن نفکر فی احتیاجات الأزهر المالیة، التی تعینه علی أداء مهمته علی الوجه الأکمل، و التی تساعد علی رفع المستوی العلمی فی معاهده و کلیاته، و تعین علی خلق نهضة فکریة

و روحیة فی أروقته التی عاشت علی مرور الأجیال تکافح فی سبیل نشر ثقافة الإسلام و علومه و آدابه و حضارته فی کل مکان.

-۲-

و عند ما نتحدث عن رسالة الأزهر لا نستطیع أن نقول إنها یجب أن تتجه إلی العنایة بالدراسات الإسلامیة فحسب، و لا إلی الدعوة إلی الإسلام فحسب، و لکن یجب أن تبنی هذه الرسالة علی أصول هاتین الغایتین الکبیرتین معا، علی أن نلاحظ هذه الحقائق التی قام علیها الأزهر طول عصور التاریخ التی شاهدها:

۱- الأزهر رمز للفکر الإسلامی، لأنه أقدم الجامعات الإسلامیة فی بلاد المسلمین، و لأن ماضیه أهله لحمل رسالة الفکر الإسلامی ..

۲- الأزهر جامعة أمم عربیة و إسلامیة، ففیه یجلس الطلاب من کل بلاد المسلمین بل من کل شعوب العالم تقریبا، جنبا إلی جنب، یتعلمون العلوم الإسلامیة و العربیة و الفلسفیة.

۳- الأزهر لیس ملکا لمصر وحدها، و إنما هو ملک العالم الإسلامی عامة، و من ثم یجب أن تسهم الدول الإسلامیة فی نفقاته لیقوم الأزهر بنشر رسالة الإسلام فی کل جهة.

۴- الأزهر لیس فی عزلة ثقافیة أو فکریة عن المجتمع فی مصر و لا

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۶۹

فی البلاد العربیة، إنه قطعة حیة من صمیم المجتمع الإسلامی، و هو مرکز ثقافی ضخم، یسهم فی النهوض بالثقافة فی مصر خاصة و فی العالم الإسلامی عامة عن طریق بعثاته العلمیة التی یوفدها الأزهر إلی الأمم العربیة و الإسلامیة فی أفریقیا و آسیا و غیرهما و لا یمکن أن یکون فی عزلة و أبناؤه من طلاب و أساتذة هم من مختلف طبقات الوطن علی أن التاریخ قد وعی اشتراک الأزهر فی کل الثورات القومیة و الوطنیة فی مصر خلال تاریخها الطویل، و علی أن ثورات التحرر فی العالمین العربی و الإسلامی إنما کان قادتها- فی أغلب الأحیان- من أبناء الأزهر و خریجیه.

۵- تاریخ الأزهر مرتبط بتاریخ الإسلام، فلا یمکن أن یقول قائل:

إن الأزهر لم تعد له ضرورة: فما دام دین اللّه باقیا علی الأرض، فإن الأزهر باق بإذن اللّه لدراسة علوم الإسلام و لنشر هدایته فی الأرض جمیعا.

و رسالة الأزهر لا بد أن تقوم أولا علی خلق وعی فکری إسلامی داخل بیئة الأزهر العلمیة، و هذا الوعی جدیر بتکوین شخصیة فکریة مستقلة للأزهر أولا و لکل من یتخرج منه ثانیا. و لکی نعاون علی خلق هذا الوعی یجب أن نفکر أولا: فی مناهج الأزهر التی یسیر علیها، ففی رأیی أنها لم تعد صالحة کل الصلاحیة للسیر بالثقافة الإسلامیة فیه إلی ما یتمناه لها و له المخلصون.

ثانیا: فی الدراسات العلیا فی الأزهر الجامعی: هذه الدراسات التی لم یعد لها وجود فی الأزهر، و التی ترجع بالأزهر من صبغته الجامعیة الواسعة النطاق إلی صبغة مدرسیة محدودة.

ثالثا: فی قوانین الأزهر کلها، المنظمة له، و الموجهة للثقافة فیه و لا بد من الاستعانة فی هذه السبیل بنظم الجامعات و لوائحها فی مصر و فی کل مکان، علی ألا یفقد ذلک الأزهر طابعه الإسلامی، و شخصیته التی عرف بها منذ أجیال بعیدة.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۷۰

-۲-

و رسالة الأزهر یجب أن تتناول کل شیء یتصل بفهم الإسلام و نشر هدایته فی الآفاق، و من ثم یجب أن یکون من أهم ما تتناوله:

۱- خلق جيل جديد متثقف ثقافة واسعة من أبناء الأزهر، ليستطيع حمل رسالته إلى كل مكان.

۲- عرض الثقافة الإسلامية القديمة فى أسلوب جديد، يلائم أسلوب العصر فى الفهم و البحث و الدراسة، و كتابة و نشر بحوث جديدة عميقة عن الإسلام و علومه و ثقافاته.

۳- فتح مراكز ثقافية إسلامية فى كل عاصمة من عواصم العالم فى الشرق و الغرب، تكون مراكز الدعاية للإسلام عن طريق المحاضرة و عن طريق معاونة المشرقين للمترددين عليها من أبناء الإسلام و غيرهم فى البحث و الدراسة و عن طريق طبع رسائل للتعريف بالإسلام تقوم هذه المراكز بتوزيعها على الجامعات و على المفكرين و العلماء و المهتمين بالبحوث الإسلامية، و سوى ذلك من الطرق .. و تكون هذه المراكز بمثابة مأوى للمبعوثين من الأزهر إلى مختلف هذه الجهات، على أن تزود بجميع المصادر و الكتب الإسلامية، و بشتى الأجهزة اللازمة لها ...

۴- العمل بكل وسيلة على وحدة المسلمين الفكرية و الروحية و الدينية ليكون ذلك معينا على إمكان قيام وحدة سياسية بينهم فى المستقبل.

۵- الاتصال بشتى المفكرين فى مصر و العالم ليكونوا بمثابة أصدقاء و أنصار للأزهر و لرسالته، بشتى طرق هذا الاتصال.

۶- الإشراف على التعليم الدينى و على الهيئات الدينية جميعها فى مصر، و العمل على توجيه الجماعات الإسلامية فى مصر و فى كل مكان توجيها صالحا.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۷۱

۷- إرسال بعثات أزهرية إلى كل مكان فى العالم بقصد دراسة أحوال المسلمين و تفهم كل ما يحيط بهم من مشكلات، للعمل على معاونتهم فى حلها، و خاصة فى الجانب الروحى.

۸- الإشراف على ترجمة القرآن الكريم إلى الانجليزية و الفرنسية و الألمانية و الروسية، و على ترجمة طائفة مختارة من الحديث النبوى كذلك إلى هذه اللغات.

۹- إقامة مواسم ثقافية على نمط عال فى «قاعة محاضرات الأزهر» يتحدث فيها كبار علماء الأزهر و كبار المهتمين بالدراسات الإسلامية من غير الأزهريين.

۱۰- التفكير حاليا فى الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر ، ليمكن عن هذا السبيل ربط الأزهر من جديد بشتى جامعات العالم، على أن يمهد لذلك بطبع مائة مؤلف من خير ما ألف الأزهريون فى القديم و الحديث لتوزيعها على الجامعات المختلفة و ممثليها، و بطبع رسالة عن تاريخ الأزهر تترجم إلى شتى اللغات.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۷۳

الباب الثامن

آراء للأزهر فى مشكلاتنا الفكريّة

-۱-

أصدر الاستاذ على عبد الرازق العالم الأزهرى، و القاضى الشرعى، عام ۱۹۲۵ كتابه «الإسلام و أصول الحكم»، و كان على رأس الوزارة فى ذلك الحين زيور باشا يسنده حزب الأحرار الدستوريين برئاسة عبد العزيز فهمى باشا و حزب الاتحاد برئاسة يحيى باشا إبراهيم .. و كان الوفد فى المعارضة برئاسة سعد.

و قد أثار الكتاب معركة اشترك فيها كل صاحب رأى أو قلم .. و قبل أن نعرض الصراع الذى دار حول هذا الكتاب نوضح فكرته

الأساسیة التی ذهب إلیها المؤلف ... و فکرته هی: أن الإسلام لم یقرر نظاما معینا للحکومة، و لم یفرض علی المسلمین نظاما خاصا یجب أن یحکموا بمقتضاه. بل ترک لنا مطلق الحریة فی أن ننظم الدولة طبقا للأحوال الفکریة و الاجتماعیة و الاقتصادیة التی توجد فیها، مع مراعاة تطورنا الاجتماعی و مقتضیات الزمن. و أن الإسلام بریء من نظام الخلافة، و الأدواء التی عصفت به. فإن الخلافة شلت کل تطور فی شکل الحکومة عند المسلمین نحو النظم الحرة، خصوصا بسبب العسف الذی أنزله بعض الخلفاء بتقدم العلوم السیاسیة و الاجتماعیة، إذ صاغوها فی قالب یتفق مع مصالحهم.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۷۴

و قد أثار الکتاب ضجة کبری فی محیط الأحزاب و الشعب و رجال الأزهر، فجمع شیخ الأزهر الشیخ أبو الفضل الجیزاوی هیئة کبار العلماء و قررت أن ما فی الکتاب من آراء هی کفر و إلحاد و خروج علی الدین، کما قررت استدعاء الشیخ علی عبد الرازق- باعتباره من العلماء لمحاکمته، عن تهم سبع وجهتها إلیه، و انعقدت الجلسة فی ۵ أغسطس سنة ۱۹۲۵.

و جلس العلماء علی مائدة کبیرة، و استدعی الشیخ علی عبد الرازق، فدخل الحجرة، و أشار إلیه شیخ الأزهر بالجلوس.

و دفع المؤلف دفعا فرعیا، هو أنه لا- یعتبر نفسه أمام هیئة تأدیبیة و طلب من الهیئة أن لا تعتبر حضوره أمامها اعترافا منه بأن لها حقا قانونیا فی محاکمته.

و فی ۲۵ أغسطس، أصدرت هیئة العلماء حکمها، «بتجرید الشیخ علی عبد الرازق من العالمیة، لأنه أتی بأمور تخالف الدین و القرآن الکریم و السنة النبویة و إجماع الأمة!. و قد تساءلت «الأخبار» عن موقف عبد العزیز فهمی و حزبه بعد أن أحرجته جریدته بدفاعها عن الکتاب. و أما «السیاسة» فقد نشرت کلمة الشیخ علی عبد الرازق یقول فیها: «لا جرم أننا تقبلنا مسرورین إخراجنا من زمرة العلماء، و قلنا کما یقول القوم الذین إذا خلصوا من الأذی قالوا «الحمد للّه الذی أذهب عنا الأذی و عافانا» ..

و من هذا الیوم، هجر علی عبد الرازق ملابس الشیوخ، و أصبح «أفندیا»! ..

أیه أیها الطرید من الأزهر، تعالی إلی نتحدث عن هذه القصة المضحکة، قصة کتابک و الحکم علیه و علیک و طردک من الأزهر. ما بال رجال الأزهر لم یقضوا علی کتابک بالتمزیق، فقد کان یلذ لنا أن نری نسخه فی صحن الأزهر أو أمام «باب المزینین» أو فی ناحیة من هذه الأنحاء التی لا یأتیها الباطل و لا یصل إلیها المنکر، و لا یسعی إلیها إلا الأخیار و الأبرار

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۷۵

ثم تضرم فیها النار.! دعنا نتحدث فی حریة و لا تکن أزهریا، فقد أخرجت من الأزهر!.

-۲-

و جاء فی قرار هیئة کبار العلماء فی محاکمته:

من حیث أن الشیخ علیا جعل الشریعة الإسلامیة شریعة روحیة محضة لا علاقة لها بالحکم و التنفیذ فی أمور الدنیا فقد قال فی ص ۸۷ و ۷۹ و الدنیا من أولها لآخرها و جمع ما فیها من أغراض و غایات أهون عند اللّه من أن یقیم علی تدبیرها غیر ما رکب فینا من عقول و حبانا من عواطف و شهوات و علمنا من أسماء و مسمیات هی أعون عند اللّه من أن یبعث لها رسولا و أهون عند رجل اللّه من أن یشغلوا بها و ینصبوا لتدبیرها»، و قال فی ص ۸۵ أن کل ما جاء به الإسلام من عقائد و معاملات و آداب و عقوبات فإنما هو شرع دینی خالص للّه تعالی و لمصلحة البشر الدینیة لا غیر. و أوضح من کلامه أن الشریعة الإسلامیة عنده شریعة روحیة محضة جاءت لتنظیم العلاقة بین الانسان و ربه فقط أما ما بین الإنسان من المعاملات الدنیویة و تدبیر الشئون العامة فلا شأن للشریعة به و لیس من مقاصدها. و هل فیه استطاعة الشیخ علی یشطر الدین الإسلامی شطرین یلغی منه شطر الأحکام المتعلقة بأمور الدنیا و یضرب بآیات الکتاب العزیز و سنة رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم عرض الحائط؟

و ما ذا يعمل الشيخ على فى مثل قوله تعالى إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ و قوله تعالى: وَ أَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ و قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ، و قوله تعالى: لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ و قوله تعالى: وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَيْنِهِما فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَماً مِنْ أَهْلِها إِنْ يُرِيدا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُما. و قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا عَلى أَهْلِها. و ما ذا يعمل الشيخ على فى ما رواه البخارى و مسلم فى صحيحهما أن ابنة النضر أخت

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۷۶

الربيع لطمت جارية فكسر سنها فاختصموا إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم فأمر بالقصاص.

فقالت أم الربيع يا رسول اللّه أنقص من فلانة؟ لا و اللّه. فسبحان اللّه. يا أم الربيع كتاب اللّه القصاص و مثل ما رواه البخارى فى صحيحه عن جابر بن عبد اللّه رضى اللّه عنهما أنه قال: قضى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بالشفعة فى كل ما لم يقسم، فإذا وقعت الحدود و صرفت الطرق فلا شفعة. و ما رواه أيضا عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أنه قال قضى النبى صلى اللّه عليه و سلم إذا تشاجروا فى الطريق اذرع- و ما رواه مسلم فى صحيحه عن ابن عباس رضى اللّه عنهما أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قضى باليمين على المدعى عليه و ما رواه أيضا عن ابن عباس رضى اللّه عنهما أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قضى بيمين و شاهد.

و من حيث أنه زعم الدين لا يمنع من أن جهاد النبى صلى اللّه عليه و سلم كان فى سبيل الملك لا فى سبيل الدين و لا لإبلاغ الدعوة إلى العالمين. فقد قال فى ص ۵۳ «و ظاهر أول وهلة أن الجهاد لا يكون لمجرد الدعوة إلى الدين و لا لحمل الناس على الإيمان باللّه و رسوله» .. ثم قال فى ص ۵۳ «و إذا كان صلى اللّه عليه و سلم قد لجأ إلى القوة و الرهبة فذلك لا يكون فى سبيل الدعوة إلى الدين و إبلاغ رسالته إلى العالمين و ما يكون لنا أن نفهم إلا أنه كان فى سبيل الملك، فالشيخ على فى كلامه هذا يقطع بأن جهاد النبى صلى اللّه عليه و سلم كان فى سبيل الملك لا فى سبيل الدين و لا لإبلاغ الدعوة إلى العالمين، و فى كلامه يزعم أن الدين لا يمنع من أن جهاده كان فى سبيل الملك فعلم من كلامه هذا أن الدين لا يمنع من أن جهاد النبى صلى اللّه عليه و سلم كان فى سبيل الدين و لا لإبلاغ الدعوة إلى العالمين و هذا أقل ما يؤخذ عليه فى مجموعة نصوصه. على أنه لم يقف عند هذا الحد بل كما جوز أن يكون الجهاد فى سبيل الملك و من الشئون الملكية جوز أن تكون الزكاة و الجزية و الغنائم و نحو ذلك فى سبيل الملك أيضا و جعل كل ذلك على هذا خارجا على حدود رسالة النبى صلى اللّه عليه و سلم لم ينزل به وحى و لم يأمر به اللّه تعالى.

و من حيث أنه زعم أن نظام الحكم فى عهد النبى صلى اللّه عليه و سلم كان موضع

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۷۷

غموض أو إبهام أو اضطراب و نقض، و موجبا للحيرة فقد قال فى ص ۴۰ «لاحظنا أن حال القضاء زمن النبى صلى اللّه عليه و سلم غامضة و مبهمة من كل جانب».

و إذا كان قد اعترف ببعض أنظمة الحكم فى الشريعة الإسلامية فإنه نقض الاعتراف و قرر أن هذه الأنظمة ملحقة بالعدم.

و ما زعمه الشيخ على مصادم لصريح القرآن الكريم.

و من حيث أنه زعم أن مهمة النبى صلى اللّه عليه و سلم كانت بلاغا للشريعة مجردا عن الحكم و التنفيذ، فقد قال الشيخ على فى ص ۷۱: «ظواهر القرآن المجيد تؤيد القول بأن النبى صلى اللّه عليه و سلم لم يكن له شأن فى الملك السياسى و آياته متضافرة على أن عمله السماوى لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معانى السلطان. ثم عاد فأكد ذلك فقال ص ۷۳ «القرآن كما رأيت صريح فى أن محمدا صلى اللّه عليه و سلم لم يكن من عمله شىء غير إبلاغ رسالة اللّه تعالى إلى الناس و أنه لم يكلف شيئا غير ذلك البلاغ و ليس عليه أن يأخذ الناس بما جاءهم به و لا أن يحملهم عليه .. و لو كان الأمر كما زعم هو كان ذلك رفضا لجميع آيات الأحكام الكثيرة فى القرآن الكريم. و دون ذلك خرط القتاد.

و قد قال الشیخ علی فی دفاعه: «إنه قرر فی مکان آخر من الکتاب بصراحة لا موارية فيها أن للنبی صلی اللّه علیه و سلم سلطانا عاما و أنه ناضل فی سبیل الدعوة بلسانه و سنانه. و هذا دفاع لا یجدی إذ لو کان معنی الذی قرره فی ص ۶۶ و ۷۰ کما أشار إلیه أن عمل رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم السماوی یتجاوز حدود البلاغ المجرد عن کل معانی السلطان لما کان سائغا أن یقول بعد ذلک فی صفحة ۷۱ إن آیات الکتاب متضافرة علی أن عمله السماوی لم یتجاوز حدود البلاغ المجرد من کل معانی السلطان، و أن یقول بعد ذلک فی صفحة ۷۳ «إن القرآن صریح فی أنه علیه الصلاة و السلام لم یکن معه شیء غیر بلاغ رسالة اللّه إلی الناس و لم یکلف شیئا غیر ذلک البلاغ، و لیس علیه أن یأخذ الناس بما جاءهم به و لا أن یحملهم علیه. و الواقع أن السلطان الذی أثبته إنما هو

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۷۸

السلطان الروحی. کما صرح به فی مذکرة دفاعه حیث قال فیها: «إن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یستولی علی کل ذلک السلطان لا- من طریق القوة المادیة و إخضاع الجسم کما هو شأن الملوک و الحکام و لکن من طریق الإیمان له إیمانا قلبیا و الخضوع له خضوعا روحیا»، لکان دفاعه إثباتا للتهمة لا نفیا لها، علی أنه قد نسب فی ص ۶۵ و ۶۶ السلطان إلی عوامل أخری من نحو الکمال الخلقی و التمییز الاجتماعی لا- إلی وحی اللّه و آیات کتابه الکریم، کما أنه جعل الجهاد فی موضع آخر من کتابه وسیلة کان علی النبی صلی اللّه علیه و سلم أن یلجأ إلیها لتأیید الدعوة و لم ینسبه إلی وحی له، و کلام الشیخ علی مخالف لصریح کتاب اللّه تعالی الذی یرد علیه زعمه و یثبت أن مهمته صلی اللّه علیه و سلم تجاوزت البلاغ إلی غیره من الحکم و التنفیذ فقد قال اللّه تعالی: إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْکُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراکَ اللَّهُ و قال تعالی: وَ أَنِ احْکُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وَ احْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوکَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْکَ.

و روی عن ابن سلمة عن أبی هریرة رضی اللّه عنه أنه أتی إلی النبی صلی اللّه علیه و سلم برجل قد شرب فقال اضربوه. و روی عن عروة عن عائشة رضی اللّه عنها أن قریشا أهمتهم المرأة المخزومیة التی سرقت و قالوا من یکلم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و من یجتری‌ء علیه إلا- أسامة حب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، فکلم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فقال: أتشفع فی حد من حدود اللّه. ثم قام فخطب فقال: یا أیها الناس إنما ضل من قبلکم أنهم إذا سرق الشریف ترکوه و إذا سرق الضعیف فیهم أقاموا علیه الحد، و إیم اللّه لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد یدها. فهل یجوز أن یقال بعد ذلک فی محمد صلی اللّه علیه و سلم إن عمله السماوی لم یتجاوز حدود البلاغ المجرد من کل معانی السلطان و أنه لم یکلف أن یأخذ الناس بما جاءهم به و لا أن یحملهم علیه؟

و هل یجوز أن یقال بعد ذلک فی القرآن الکریم أنه صریح فی أنه صلی اللّه علیه و سلم لم یکن من عمله شیء غیر إبلاغ رسالة اللّه إلی الناس و لیس علیه أن یأخذ

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۷۹

الناس بما جاءهم به و لا أن یحملهم علیه.

و من حیث أنه أنکر إجماع الصحابة علی وجوب نصب الإمام و علی أنه لا بد للأمة ممن یقوم بأمرها فی الدین و الدنیا فقد قال فی ص ۲۲ «أما دعوی الإجماع فی هذه المسألة- وجوب نصب الإمام- فلا تجد مساغا لقبولها بأیة حال و محال إذا طالبناهم بالدلیل أن یظفروا بدلیل، علی أننا مثبتون لک أن دعوی الإجماع هنا غیر صحیحة و لا مسموعة سواء أرادوا بها إجماع الصحابة وحدهم أم الصحابة و التابعین أم علماء المسلمین أم المسلمین کلهم». ادعی الشیخ علی أن حظ العلوم السیاسیة فی العصر الإسلامی کان سیئا علی الرغم من توافر الدواعی التی حمل علی البحث فیها، و أهمها إن مقام الخلافة منذ زمن الخلیفة الأول کان عرضة للخارجین علیه، غیر ان حرکة المعارضة کانت تضعف و تقوی، ثم ساق بعد أمثلة یؤید بها ما یدعیه من أن الخلافة کانت قائمة علی السیف و القوة لا علی البیعة و الرضا و لو سلم للشیخ علی ذلک جدلا لما تم له ما یزعمه من إنکار إجماع الصحابة علی وجوب نصب إمام للمسلمین.

فإن إجماعهم على ذلك شيء و إجماعهم بيعة إمام معين شيء آخر و اختلافهم فى بيعة إمام معين لا يقدح فى اتفاقهم على وجوب نصب الإمام، أى إمام كان. و قد ثبت إجماع المسلمين على امتناع خلو الوقت من إمام. و نقل إلينا ذلك بطريق التواتر فلا سبيل إلى الإنكار.

و من حيث أنه أنكر أن القضاء وظيفة شرعية فقد قال فى ص ۱۰۳ «و الخلافة ليست فى شيء من الخطط الدينية و لا القضاء و لا غيرهما من وظائف الحكم و مراكز الدولة، و إنما تلك كلها خطط سياسية صرفة لا شأن للدين بها فهو لم يعرفها، و لم ينكرها و لا أمر بها و لا نهى عنها، و إنما تركها لنا لنرجع فيها إلى أحكام العقل و تجارب الأمم و قواعد السياسة». و كلام الشيخ على فى دفاعه يقضى بأن الذين ذهبوا إلى أن القضاء وظيفة شرعية جعلوه متفرعا عن الخلافة فمن أنكر الخلافة أنكر القضاء.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۸۰

و قال الشيخ على فى دفاعه: «إن الذى أنكر أنه خطة شرعية إنما هو جعل القضاء وظيفة معينة من وظائف الحكم و مراكز الدولة و اتخاذه مقاما ذا أنظمة معينة و أساليب خاصة».

و ما زعمه الشيخ على من إنكار أن القضاء وظيفة شرعية و خطة دينية باطل و مصادم لآيات الكتاب العزيز، قال اللّه تعالى: فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً و قال تعالى: فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِ و قال تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ و قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ.

و من حيث أنه يزعم أن حكومة أبى بكر و الخلفاء الراشدين من بعده رضى اللّه عنهم كانت لا دينية فقد قال فى ص ۹: «طبيعى معقول إلى درجة البداهة ألا توجد بعد النبى صلى اللّه عليه و سلم زعامة دينية. و أما الذى يمكن أن يتصور وجوده فإنما هو نوع من الزعامة جديد ليس متصلا بالرسالة و لا- قائما على الدين، هو إذا نوع لا- دينى». و هذه جرأة لا دينية فإن الطبيعى و المعقول عند المسلمين إلى درجة البداهة أن زعامة أبى بكر رضى اللّه عنه كانت دينية يعرف ذلك المسلمون سلفهم و خلفهم جيلا بعد جيل.

و من حيث أن التهمة الموجهة ضد الشيخ على عبد الرازق ثابتة عليه و هى مما لا- يناسب وصف العالمية وفاقا للمادة (۱۰۱) من القانون رقم ۱۰ لسنة ۱۹۱۱، فبناء على هذه الأسباب حكمنا نحن شيخ الجامع الأزهر بإجماع أربعة و عشرين عالما معنا من هيئة كبار العلماء باخراج الشيخ على عبد الرازق أحد علماء الجامع الأزهر و القاضى الشرعى بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية و مؤلف كتاب «الإسلام و أصول الحكم» من زمرة العلماء.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۸۱

-۳-

و كانت الثورة الثانية عند ما أخرج الدكتور طه حسين عام ۱۹۲۶ كتابه «الشعر الجاهلى» فأحدث ضجة هائلة فى مصر و بين رجال الدين، استمر صداها أمدا طويلا. و كان أول أثر لهذا الصدى هو مصادرة الكتاب، و قد حققت النيابة العامة مع الدكتور و اتخذت النيابة أخيرا قرارا بحفظ أوراق التحقيق إداريا لأن غرض المؤلف لم يكن مجرد الطعن و التعدى على الدين، بل أن العبارات الماسة بالدين التى أوردها فى بعض المواضع من كتابه إنما قد أوردها فى سبيل البحث العلمى مع اعتقاده أن بحثه يقتضيها».

و قد أخرج الدكتور طه كتابه بعنوان جديد هو «فى الأدب الجاهلى» و حذف منه بعض الفقرات التى كانت سببا لثورة الجماهير و رجال الدين على الكتاب، و قد بسطت المسائل الأدبية التى أوردها الدكتور فى كتابه (الشعر الجاهلى)، و ناقشتها مناقشة تحليلية فى كتابى (الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى)، فلا داعى للعودة إليها فى هذا الكتاب.

-۴-

و فی عهد الشیخ المراغی فکر فی ترجمة القرآن سنة ۱۹۳۶، و قد ثار الکثیر علی الشیخ المراغی و عارضوا مشروع الترجمة، و قدم الشیخ إلی رئیس مجلس الوزراء مذکرة بشأن المشروع جاء فیها:

اشتغل الناس قدیما و حدیثا بترجمة معانی القرآن الکریم إلی اللغات المختلفة و تولی ترجمته أفراد یجیدون لغاتهم و لکنهم لا یجدون اللغة العربیة و لا یفهمون الاصطلاحات الإسلامیة الفهم الذی یمکنهم من أداء معانی القرآن علی وجه صحیح، لذلک وجدت فی التراجم أخطاء کثیرة و انتشرت تلک التراجم و لم یجد الناس غیرها فاعتمدوا علیها فی فهم أغراض القرآن

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۸۲

الکریم و فهم قواعد الشریعة الإسلامیة فأصبح لزاما علی أمة إسلامیة کالأمة المصریة لها المکان الرفیع فی العالم الإسلامی أن تبادر إلی إزاحة هذه الأخطاء و إلی إظهار معانی القرآن الکریم نقیة فی اللغات الحیة لدی العالم، و لهذا العمل أثر بعید فی نشر هدایة الإسلام بین الأمم التی لا تدین بالإسلام ذلک أن أساس الدعوة إلی الدین الإسلامی إنما هو الإدلاء بالحجة الناصعة و البرهان المستقیم، و فی القرآن الکریم من الحجج الباهرة و الأدلة الدامغة ما یدعو الرجل المنصف إلی التسلیم بالدین و الإذعان له. و فائدة أخری للأمم الإسلامیة التی لا تعرف العربیة و تشرئب أعناقها إلی اقتطاف ثمرات الدین من مصدرها الرفیع فلا تجد أمامها إلا تراجم قد ملئت بالاخطاء، فإذا ما قدمت لها ترجمة صحیحة تصدرها هیئة لها مکانتها الدینیة فی العالم اطمأنت إلیها و رکنت إلی أنها تعبر عن الوحی الإلهی تعبیرا دقیقا.

لذلک اقترح أن یقرر مجلس الوزراء ترجمة معانی القرآن الکریم ترجمة رسمیة علی أن تقوم بذلک مشیخة الأزهر بمساعدة وزارة المعارف و أن یقرر مجلس الوزراء الاعتماد اللازم لذلک المشروع الجلیل، فأرجو النظر فی هذا.

و قد أرفق المراغی بمذکرته نص فتوی کبار العلماء، و قد وجه إلیهم سؤالا جاء فیه.

ما قول السادة حضرات أصحاب الفضیلة جماعة کبار العلماء فی السؤال الآتی؟ بعد ملاحظة المقدمات الآتیة:

۱- لا شبهة فی أن القرآن الکریم اسم للنظم العربی الذی نزل علی سیدنا محمد بن عبد الله صلوات اللّه علیه و علی آله.

و لا شبهة أیضا فی أنه إذا عبر عن معانی القرآن الکریم بعد فهمها من

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۸۳

النص العربی بأیة لغة من اللغات لا تسمی هذه المعانی و لا العبارات التی تؤدی هذه المعانی قرآنا.

۲- و مما لا محل للخلاف فیه أیضا أن الترجمة اللفظیة بمعنی نقل المعانی مع خصائص النظم العربی المعجز مستحیلة.

۳- وضع الناس تراجم القرآن الکریم بلغات مختلفة اشتملت علی أخطاء کثیرة و اعتمد علی هذه التراجم بعض المسلمین الذین لا یعرفون اللغة العربیة، و بعض العلماء من غیر المسلمین ممن یرید الوقوف علی معانی القرآن الکریم.

۴- و قد دعا هذا إلی التفکیر فی نقل معانی القرآن الکریم إلی اللغات الأخری علی الوجه الآتی:

یراد أولا فهم معانی القرآن الکریم بوساطة رجال من خیرة علماء الأزهر الشریف بعد الرجوع لآراء کبار أئمة المفسرین و صوغ هذه المعانی بعبارات دقیقة محدودة، ثم نقل هذه المعانی التی فهمها العلماء إلی اللغات الأخری بوساطة رجال موثوق بأمانتهم و اقتدارهم فی تلک اللغات بحیث یکون ما یفهم فی تلک اللغات من المعانی هو ما تؤدیه العبارات العربیة التی یصنعها العلماء، فهل الإقدام علی هذا العمل جائز شرعا أو غیر جائز؟.

هذا مع العلم بأنه سیوضع تعریف شامل یتضمن أن الترجمة لیست قرآنا و لیس لها خصائص القرآن و لیست هی ترجمة کل المعانی التی یحتملها النظم العربی و إنما هی ترجمة للمعانی التی فهمها العلماء و أنه ستوضع الترجمة وحدها بجوار النص العربی للقرآن

الکریم.

و قد أجاب السادة العلماء علی ذلک بالفتوی الشرعیة الآتی نصها:

الحمد للّه و الصلاة و السلام علی رسول اللّه، و بعد فقد أطلعنا علی جمیع ما

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۸۴

ذکر بالاستفتاء المدون بباطن هذا و نفید بأن الإقدام علی الترجمة علی الوجه المذکور تفصیلا فی السؤال جائز شرعا و اللّه سبحانه و تعالی أعلم.

إمضاءات: محمود الدیناری عضو جماعة کبار العلماء و شیخ معهد طنطا، عبد المجید اللبان شیخ کلیة أصول الدین و عضو جماعة کبار العلماء، إبراهیم حمروش شیخ کلیة اللغة العربیة و عضو جماعة کبار العلماء، محمد مأمون الشناوی شیخ کلیة الشریعة و عضو جماعة کبار العلماء، عبد المجید سلیم مفتی الدیار المصریة و عضو جماعة کبار العلماء، محمد عبد اللطیف الفحام وکیل الجامع الأزهر و عضو جماعة کبار العلماء، دسوقی عبد الله البدوی عضو جماعة کبار العلماء، أحمد الدلبشانی عضو جماعة کبار العلماء، یوسف الدجوی عضو جماعة کبار العلماء، محمد سبع الذهبی شیخ الحنابلة و عضو جماعة کبار العلماء، عبد المعطی الشرشیمی عضو جماعة کبار العلماء، عبد الرحمن قراعة عضو هیئة کبار العلماء، أحمد نصر عضو جماعة کبار العلماء، محمد الشافعی الظواهری عضو جماعة کبار العلماء:

حیث أن الترجمة المرادة هی ترجمة لمعانی التفسیر الذی یضعه العلماء فهی جائزة شرعا بشرط طبع التفسیر المذکور بحوار الترجمة المذکورة، کتبه بیده الفانیة: عبد الرحمن علیش الحنفی من جماعة کبار العلماء.

و لما تلقی المراغی هذه الفتوی الشرعیة أرفقها بکتاب منه هذا نصه:

بسم اللّه الرحمن الرحیم. وجهت هذا السؤال إلی حضرات أصحاب الفضیلة جماعة کبار العلماء و أنا أوافقهم علی ما رأوه و لا أری داعیا للحفظ الذی أبداه فضیلة الشیخ عبد الرحمن علیش و هو طبع التفسیر مع الترجمة لعدم الحاجة الی ذلک بعد مراعاة الشروط المدونة فی السؤال. رئیس جماعة کبار العلماء: محمد مصطفی المراغی.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۸۵

و مع ذلک فقد بدأت لجنة فی عهد الشیخ المراغی فی ترجمة القرآن، ثم توقفت عن العمل، و لم تنجز شیئا من مهمتها.

و لما تولی المشیخة الأستاذ الأکبر إبراهیم حمروش فکر فی طبع رسائل إسلامیة للتعریف بالإسلام بشتی اللغات، و مع ذلک لم ینجز شیء من هذا العمل.

و فی أکتوبر عام ۱۹۵۴ کتب الدکتور طه حسین یطالب بترجمة معانی القرآن الکریم إلی اللغات الحیة، و أجابت مشیخة الأزهر علی تساؤله بأن المشیخة تفکر فی وضع و طبع رسائل إسلامیة تکتب بشتی اللغات العالمیة الحیة.

-۵-

و فی عام ۱۹۴۷ ألف الأستاذ محمد أحمد خلف اللّه رسالة سماها «الفن القصصی من القرآن الکریم» و قدمها إلی کلیة الآداب بجامعة فؤاد الأول للحصول علی الدکتوراه.

و قد ثار علی هذه الرسالة علماء الأزهر، و فی مقدمتهم الشیخ عبد المجید سلیم، و المرحوم الشیخ عبد الفتاح بدوی الأستاذ بکلیة اللغة العربیة سابقا، و الشیخ شلتوت و کان معهم أحمد أمین، و بعضهم أساتذة الجامعة.

و وقف الأستاذ أمین الخولی و صاحب الرسالة یدافعان عن الکتاب ..

و قد کانت أخبار الیوم و بعض الصحف و المجلات تنشر بین الحین و الحین أنباء المعرکة حول هذه الرسالة، و قد قررت الجامعة

عدم صلاحیة الرسالة، و طالبت المؤلف بتقدیم رسالة أخری، و قد نشر کتابه بعد ذلک.

-۶-

و فی عام ۱۹۵۰ أخرج الدکتور طه حسین کتابه (الوعد الحق)، و اتفقت معه بعض شرکات السینما علی إخراجه فی (فیلم سینمائی) ...

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۸۶

فوافق علی ذلک بعض العلماء، و ثار آخرون علی هذا الفیلم الذی تعرض فیه للصحابة علی الشاشة البیضاء، و منهم المرحوم الشیخ محمود الغمراوی عضو جماعة کبار العلماء الذی کتب فی الأهرام یوم ۱۰/ ۸/ ۱۹۵۰ یقول:

قرأت ما أملاه الدکتور طه حسین وزیر المعارف علی مندوب الأهرام جوابا عن سؤاله الخاص بوضع سیادته سیناریو عن الدین الإسلامی عند ظهوره، و قد جاء فیما أملاه الدکتور علی المندوب أنه أصدر فی شهر ینایر الماضی کتابا عنوانه «الوعد الحق» و إن هذا الکتاب یصور الاضطهاد الذی لقیه المسلمون عند ظهور الإسلام، و کیف ثبت المسلمون لهذا الاضطهاد و صبروا علیه و انتصروا علی الذین کانوا یضطهدونهم. و إن هذا الکتاب ظهر و تلقاه القراء لقاء حسنا، ثم قص ما عرضه علیه الأستاذ عز الدین من رجائه للدکتور أن یأذن له فی أن یستقی من هذا الکتاب سیناریو لفیلم سینمائی، فاستغرب الدکتور الأمر و استبعد أن یکون تحقیقه ممکنا و لکنه لما کلمه فیه مرة و مرة اقتنع بإمکان ذلک، و طلب إلیه أن یستأذن من رجال الدین شیخین عینهما، فلما جاءه منهما کتابان أذنا فیهما بهذا العمل و أظهر استحسانا شدیدا له، أخذ الدکتور فی مراجعة السیناریو الذی کان قد وضعه المخرج، و انتهیا أخیرا إلی إقراره بعد جهد طویل.

تلک هی قصة وضع ذلک السیناریو الذی اعتزم الدکتور طه حسین أن یبرز به المسلمین و خلفاءه الراشدین و أصحابه الأبرار المجاهدین مصورین فی فیلم سینمائی، فیزلزل إیمان العامة، و یفتن جماهیر المسلمین إذ یکون النظارة من الدهماء و غیرهم عند عرض هذا الفیلم علیهم بین أمرین لا ثالث لهما: فإما أن یستقبلوه کعادتهم عند عرض ما یستغرب علیهم فیتلقوه بالصفیر و النعیر، و لازمة ذلک الإستهزاء و التحقیر و ذلک هو الإثم البواح و الکفر الصراح.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۸۷

أو یتلقوا هذه الصور الکریمة بما یلیق لأصحابها من احترام و توقیر، و تعظیم و تقدیر، فیدخلوا فی باب من أبواب التشبه بعبدة الصور، و حینئذ یلجون علی الشرک أو یلج علیهم الشرک من باب أمرنا الإسلام بسده، و نهی الدین عن ولوجه، أو أن یحوم المسلمون حوله بتحریم التصویر و لعن المصورین و حظره اتخاذ الصور، هذا إلی أن تصویر النبی و صحبه و خلفائه (و هم الذین یحرمون التصویر و یحظرون اتخاذ الصور) مؤذن باستخفاف المصور و کل من یقره أو یرضی عن عمله بأصحاب هذه الصور.

فمن أبرز إنسانا علی هیئة أو صورة یکره اتخاذها لغیره، بله أن یکون قد جاء بدین یحرم اتخاذ الصور فهو مزدر بصاحب هذا الدین و مستخف به.

و لو أن إنسانا رسم الدکتور طه حسین الآن فی زی: فوق رأسه عمامة و علیه قفطان و جبة و بیده مسبحة، فإنی أحکم بأن الذی فعل ذلک مستخف بالدکتور مستهزیء به، ذلک بأنی أعلم أن الدکتور طه نبذ الزی منذ أعوام و حرمه علی نفسه، فمن یصور النبی و هو یعلم أن النبی قد حرم التصویر و نهی عن اتخاذ الصور، فقد اقترف إثما مبینا، و اقترب من الکفر بهذا النبی و شریعته و دینه. إن للدکتور طه أن یکتب للناس و یخلبهم بسحر بیانه و أن یعرض علی القراء من صفحات التاریخ الإسلامی صفحات رائعات یبین لهم فیها أن المسلمین فی أول ظهور الإسلام لم یکسبوا حریتهم إلا بالجهد و الصبر و المقاومة و الثبات، تلک الخلال المجیدة التی کسبهم إیاها أیمانهم و مکنها من قلوبهم صدقهم فی الإیمان، و أن یصور لهم فی ذلک ما یشاء بأسلوبه الطلی و بیانه الساحر الوحی، لعلهم یرجعون إلی نفوسهم، و یتعرفون مکامن الداء فی قلوبهم فیداووها، فإن اللّه لیشکر له و یجزل ثوابه علی ما یقدم من عمل علی

حسب نیته، غیر أنی أرباء بالدکتور عن أن یخرج عن طبیعته و یعدل عن صنعته و أن یحاول أن یجحد بیانه و یبدل سحره و إحسانه، و یجعل من ذلک صورا میتة و رسوما جامدة لا فائدة من ورائها، فإن أبی لنفسه إلا ذلک فإنی أنصح له ألا یسیء إلی المسلمین و ألا یمتهن

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۸۸

قداسة النبیین و الصدیقین، یروج الوزیر لمشروعه الخطیر بأنه سیکون له أثر حسن جدا من ناحیتین ذکرهما! فأما عن الناحیة الأولی فقد قدمنا ما سیکون من النظارة عند ما یعرض علیهم هذا الفیلم و ذکرنا ما ینجم عنه من خطر علی عقیدتهم و دینهم.

و إذا کنا نئن و نتوجع مما تأتیه الجماهیر من الآهات المکررة و الأصوات المنکرة حین سماعها للقرآن و هو الذی تقشعر منه جلود الذین یخشون ربهم ثم تلین جلودهم و قلوبهم إلی ذکر اللّه فتراهم حین یسمعون القرآن من قاریء متکسر فی تلاوته یصیحون و یکثرون من التأوه بالنغمة و استحسانا للوحدة ذاهلین عن معانی الآیات التی تقرع أسماعهم فلا تخشع لها جوارحهم أو تلین قلوبهم- فکیف یکون الحال عند ما یشاهدون أبطال المسلمین و نبی الإسلام فی ثیاب بالیة مهلهلة و فی هیئة تنبو عنها أبصارهم و تنفر منها أذواقهم، و هل یبقی لواحد من هؤلاء الدهماء دینه، أو یثبت معه أیمانه و یقینه عند ما یهجم علی قلبه الاشمئزاز و النفور من تلک الهیئة البدویة و الصورة العربیة الوحشیة التی ینکرها ذوقه و یشمئز منها حسه. أیظن معالی الدکتور أن یکون الدهماء فلاسفة عند ما یشاهدون السیناریو الذی یعده معالیه لهم فتقتحم أبصارهم تلک الصور و تتخطی ما یحیط بها من الأستار و یطفرون بعقولهم و یشبون بأفکارهم إلی ما وراء هذه الصور الشوهاء الملخبطة فیدرکون ما تخفی ورائها من المعانی و الأسرار.

أما الناحیة الثانیة التی یروج بها الدکتور لمشروعه و هی الناحیة الفنیة و نهوض صاحبه بها و تقدمه فإنا نتمنی لصاحبه ما یتمناه هو له من النبوغ و التقدم، و أن یکون فی فنه من العبقریین علی أن لا یجری ریشته فی رءوس المسلمین.

أما بعد فإن عهدی بالدکتور طه حسین أنه من أولئک الرجال الذین لا یستفتون غیرهم و إنما یستفتون قلوبهم و إن أفتاهم المفتون لا یدفعه إلی أمر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۸۹

دافع، و لا یرجعه أو یثنیه عن رغیبة أرادها راجع، فما باله الیوم ینزل عن مطیته، و لا یمضی لطیته حتی یجیزه اثنان ارتضاهما من بین رجال الدین.

ثم أقول لحضرتی الشیخین اللذین أجازا فی کتابیهما هذا العمل و أظهرا استحسانهما الشدید له: علی أی أساس بنیتما هذا الأذن و کیف کان هذا الاستحسان؟ فهل غاب عنکما و أنتما من أعرف الناس بروح هذا العصر، و ما یغلب علی أهله من التمرد علی الدین و الإلحاد فیه- ما یترتب علی هذا العمل من خطر، و ما ینشأ عنه من فتن تفتح أبوابها و تفغر أفواهها، و هل نسیتما سد الذرائع؟ عسی أن تعدا فی العصریین، و ألا تکونا مثلنا عن رکب الحیاة متخلفین!

خدعونا بقولهم حسناءو الغوانی یغرهن الثناء

ربنا اغفر لنا ذنوبنا و اسرافنا فی أمرنا و ثبت أقدامنا یا أرحم الراحمین.

-۷-

حول کتاب من هنا نبدأ:

و قد أخرج الشیخ خالد محمد خالد من العلماء کتابا عام ۱۹۵۰ سماه «من هنا نبدأ» .. و قد ثار العلماء علی هذا الکتاب، و کثرت حرکة النقد حوله مما هو مشهور و معروف.

و قد صودر الکتاب و نظرت قضیة مصادرته أمام القضاء، فحکم بإلغاء أمر مصادرته، لأن حریة الرأی مکفولة فی حدود القانون، و

الکتاب لا ینطوی علی جریمة ما، و قد کتب خالد محمد خالد مقالة فی المصری بعنوان «شموع لا حراب» قال فی آخرها: «لقد احتکم الأزهر إلی القضاء، و قال القضاء کلمته، فلننحن لها فی خشوع و إعجاب، فإنها کضوء الفجر منیرة هادیة».

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۹۰

-۸-

و طالبت الهیئات النسائیة بإعطاء المرأة حقوقها السیاسیة، و أیدها فی ذلک بعض الأفراد، فنشر مفتی الدیار المصریة الشیخ مخلوف عام ۱۹۵۲ فتوی جاء فیها:

عنی الإسلام أتم عنایة بإعداد المرأة الصالحة للمساهمة مع الرجل فی بناء المجتمع علی أساس من الدین و الفضیلة و الخلق القویم و فی حدود الخصائص الطبیعیة لکل من الجنسین فرفع شأنها و کون شخصیتها و قرر حریتها و فرض علیها کالرجل طلب العلم و المعرفة، ثم ناط بها من شئون الحیاة ما تهیؤها لها طبیعة الأنوثة و ما تحسنه حتی إذا نهضت بأعبائها کانت زوجة صالحة و أما مربیة و ربة منزل مدبرة و کانت دعامة قویة فی بناء الأسرة و المجتمع.

و کان من رعایة الإسلام لها حق الرعایة أن حاط عزتها و کرامتها بسیاج منیع من تعالیمه الحکیمة و حمی أنوثتها الظاهرة من العبث و العدوان و باعد بینها و بین مظان الزیف و بواعث الافتتان فحرم علی الرجل الأجنبی الخولة بها، و النظرة العارمة إلیها، و حرم علیها أن تبدی زینتها إلی ما ظهر منها، و أن تخالط الرجال فی مجامعهم، و أن تتشبه بهم فیما هو من خواص شئونهم، و أعفاها من وجوب صلاة الجمعة و العیدین مع ما عرف عن الشارع من شدید الحرص علی اجتماع المسلمین و تواصلهم، و أعفاها فی الحج من التجرد للإحرام، و منعها الإسلام من الأذان العام، و إمامة الرجال للصلاة، و الإمامة العامة للمسلمین، و ولایة القضاء بین الناس، و أثم من یولیها، بل حکم ببطلان قضائها علی ما ذهب إلیه جمهور الأئمة، و منع المرأة ولایة الحروب و قیادة الجیوش و لم یبح لها من معونة الجیش إلا ما یتفق و حرمة أنوثتها.

و قد قال تعالی للمؤمنین بعد أن أمرهم بطاعة اللّه و طاعة رسوله و أولی

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۹۱

الأمر (فإن تنازعتم فی شیء فردوه إلی اللّه و الرسول إن کنتم تؤمنون باللّه و الیوم الآخر ذلک خیر و أحسن تأویلا) و الرد إلی اللّه و الرسول هو الرد إلی القرآن و السنة، و قال تعالی: وَ ما آتاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا فلیس للمرأة المؤمنة أن تترک ما حدده لها الشارع الحکیم و تأخذ بما نهاها عنه، و قد قال تعالی لنساء نبیه صلی الله علیه و سلم و نساء الأمة تبع لهن وَ قَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِیَّةِ الْأُولی وَ أَقِمْنَ الصَّلاةَ وَ آتِینَ الزَّکاةَ وَ أَطِعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ عن أنس رضی اللّه عنه أن بعض النساء قلن یا رسول اللّه ذهب الرجال بالفضل و الجهاد فی سبیل اللّه فما لنا من عمل ندرک به عمل المجاهدین فی سبیل اللّه تعالی فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم (من قعدت منکن فی بیتها فإنها تدرک عمل المجاهدین فی سبیل اللّه تعالی و الجهاد سنام الإسلام و عموده و ما دونه لا یدانیه فضلا و أجرا)، و قال تعالی: وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ. قال القرطبی و یدخل فی ذلک جمیع النساء بالمعنی و بما تضمنته أصول الشریعة من أن المرأة کلها عورة بدنها و صوتها فلا یجوز کشف ذلک إلا للضرورة القصوی و فی الحدیث (المرأة عورة و إذا خرجت استشرفها الشیطان و إنها تکون أقرب إلی اللّه منه فی بیتها)، و فی الحدیث الصحیح (لا یخلون أحدکم بامرأة إلا مع ذی رحم) و فیه (لن یفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)- و فیه (لعن رسول اللّه المتشبهین من الرجال بالنساء و المتشبهات من النساء بالرجال) و فیه (صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سیاط کأذناب البقر بها الناس و نساء کاسیات عاریات ممیلات مائلات رءوسهن کأسنمة البخت المائلة لا یدخلن الجنة و لا یجدن ریحها) و هذا من أعلام النبوة التی وقعت. و لا سبیل الی استقصاء الآیات و الأحادیث الواردة فی ذلک لکثرتها، بل ما کنا فی حاجة إلی ذکرها و هی من بدیهیات التشریع و فیها الدلالة

القاطعة على أن الشريعة الإسلامية لا تبيح للمرأة ما تطالب به الآن مما سمته حقوقا لها و هو اعتداء منها على الحقوق التى خص بها الرجال. و كل ما أباحه لها الشارع و ما

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۹۲

منعها إنما هو لخيرها و صونها و سد ذرائع الفتنة منها و الافتتان بها حذرا من أن يحيق بالمجتمع ما يفضى إلى انحلاله و انهيار بنائه و اللّه أعلم بما للطبائع البشرية من سلطان و دوافع و بما للنفوس من ميول و نوازع و الناس يعلمون و الحوادث تصدق. و لقد بلغ من أمر الحيطة للمرأة أن أمر اللّه تعالى نساء نبيه صلى اللّه عليه و سلم بالحجاب و هن أمهات المؤمنين حرمة و احتراما و أن النبى صلى اللّه عليه و سلم لم تمس يده و هو المعصوم أيدى النساء اللاتى بايعنه- و أن المرأة لم تول ولاية من الولايات الإسلامية فى عهده و لا فى عهد الخلفاء الراشدين و لا فى عهود من بعدهم من الملوك و الأمراء و لا حضرت مجالس تشاوره صلى اللّه عليه و سلم مع أصحابه من المهاجرين و الأنصار.

ذلك شأن المرأة فى الإسلام و مبلغ تحصينها بالوسائل الواقية، فهل تريد المرأة الآن أن تخترق آخر الأسوار و تقتحم على الرجال قاعة البرلمان فتزاحم فى الانتخاب و الدعاية و الجلسات و اللجان و الحفلات و التردد على الوزارات و السفر إلى المؤتمرات و الجذب و الدفع و ما إلى ذلك مما هو أكبر إثما و أعظم خطرا من ولاية القضاء بين خصمين و قد حرمت عليها و اتفق أئمة المسلمين على تأثيم من يوليها تاركة زوجها و أطفالها و بيتها وديعة فى يد من لا يرحم. إن ذلك لا يرضاه أحد و لا يقره الإسلام بل و لا الأكثرية الساحقة من النساء اللهمّ إلا من يدفعه تملق المرأة أو الخوف من غضبتها إلى مخالفة الضمير و الدين و مجاراة الأهواء و لا حسبان فى ميزان الحق لهؤلاء .. على المسلمين عامة أن يتعرفوا حكم الإسلام فيما يعتزمون الإقدام عليه من عمل، فهو مقطع الحق و فصل الخطاب، و لا خفاء فى أن دخول المرأة فى معمعة الانتخاب و النيابة غير جائز لما بيناه.

و إننا ننتظر من السيدات الفضليات أن يعملن بجد و صدق لرفعة شأن المرأة من النواحى الدينية و الأخلاقية و الاجتماعية و العلمية الصحيحة فى حدود طبيعة الأنوثة و التعاليم الإسلامية قبل أن يحرصن على خوض غمار الانتخاب و النيابة- و أن نسمع منهن صيحة مدوية للدعوة إلى وجوب تمسك

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۹۳

النساء عامة بأهداب الدين و الفضيلة فى الأزياء و المظاهر و الاجتماعات النسائية و غير ذلك مما هو كمال و جمال للمرأة المهذبة الفاضلة.

و أصدرت لجنة الفتوى فى الأزهر حول هذا الموضوع هذه الفتوى:

إن لجنة الفتوى تتوخى جهدها هذه الأصول و المبادىء- فى بحث ما يعرض لها من المسائل- و تسير على هذا النهج فى بحث المسألة الحاضرة:

مسألة حق المرأة فى الانتخاب. و هى تقرر أن هذه المسألة ذات شقين:

الأول: أن تكون المرأة عضوا فى البرلمان.

الثانى: أن تشترك فى انتخاب من يكون عضولا فيه.

و لمعرفة الحكم فى هذين الأمرين اللذين يتضمن أولهما نوعا من ولاية التصرف فى شئون عامة، يلزم بيان أن الولاية نوعان. ولاية عامة و ولاية خاصة.

فالولاية العامة: هى السلطة الملزمة فى شأن من شئون الجماعة، كولاية من القوانين و الفصل فى الخصومات، و تنفيذ الأحكام، و الهيمنة على القائمين بذلك.

و الولاية الخاصة، هى السلطة التى يملك بها صاحبها التصرف فى شأن من الشئون الخاصة بغيره كالوصاية على الصغار، و الولاية على

المـال، و النظـارة على الأوقـاف. و قـد فسـحت الشـريعة للمرأة فى هـذا النوع الثـانى من الولايـة فهى تملك منها ما يملكه الرجل كما تملك التصـرف فى شـئون نفسـها الخاصة بها. فلها حق التصـرف فى أموالها بالبيع و الهبة و الرهن و الإجارة و غيرها من التصـرفات و ليس لزوجها و لا لأحد من أهلها حق معها فى ذلك.

ملكتها الشريعة ذلك كله مع إرشادها إلى ما يحفظ كرامتها و حياطتها بما فيه ضمان شرفها و مكانتها.

أما الولاية العامة- و من أهمها مهمة عضو البرلمان و هى ولاية سن

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۹۴

القوانين و الهيمنة على تنفيذها- فقد قصرتها الشريعة الإسلامية على الرجال إذا توافرت فيهم شروط معينة.

و قـد جرى التطبيق العملى على هـذا من فجر الإسـلام إلى الآن. فإنه لم يثبت أن شـيئا من هذه الولايات العامة قد أسـند إلى المرأة، لا مسـتقلة و لاـ مع غيرهـا من الرجـال و قـد كـان فى نسـاء الصـدر الأول مثقفات فضـليات، و فيهن من تفضل كثيرا من الرجال كأمهات المؤمنين.

و مع أن الدواعى لاشتراك النساء مع الرجال فى الشـئون العامة كانت متوافرة لم تطلب المرأة أن تشترك فى شىء من تلك الولايات و لم يطلب منها هذا الاشتراك، و لو كان لذلك مسوغ من كتاب أو سنة لما أهملت مراعاته من جانب الرجال و النساء بإطراد. و هذه قصة سـقيفة بنى ساعدة فى اختيار الخليفة الأول بعد الرسول صلى اللّه عليه و سلم قد بلغ فيها الخلاف أشده ثم استقر الأمر لأبى بكر و بويع بعـد ذلك البيعـة العامـة فى المسـجد، و لم تشترك امرأة مع الرجال فى مداولـة الرأى فى السـقيفة و لم تدع لذلك، كما أنها لم تدع و لم تشترك فى تلك البيعة العامة.

و كم من اجتماعات شورية من النبى صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه، و من الخلفاء و إخوانهم فى شئون عامة لم تدع إليها المرأة و لم تشترك فيها.

و الدليل الشـرعى على هذا المنع هو ما رواه البخارى فى صحيحه و أخرجه أحمد فى مسنده و النسائى فى سننه و الترمذى فى جامعه- قال البخارى: حدثنا عثمان بن الهيثم قال حدثنا عوف عن الحسن البصـرى عن أبى بكر قال «لقد نفعنى اللّه بكلمة أيام الجمل، لما بلغ النبى صـلى اللّه عليه و سـلم أن فارس ملكوا ابنة كسـرى قال «لن يفلح قوم و لو أمرهم امرأة». و ظاهر أن الرسول صلى اللّه عليه و سلم لا يقصـد بهذا الحديث مجرد الأخبار عن عدم فلاح القوم الذين يولون المرأة أمرهم، لأن وظيفته عليه الصـلاة و السـلام بيان ما يجوز لأمته أن تفعله حتى تصل إلى الخير و الفلاح. و ما لا يجوز لها أن تفعله حتى تسلم

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۹۵

من الشر و الخسار، و إنما يقصد نهى أمته عن مجاراة الفرس فى إسناد شىء من الأمور العامة إلى المرأة. و قد ساق ذلك بأسلوب من شأنه أن يبعث القوم الحريصين على فلاحهم و انتظام شملهم على الامتثال. و هو أسلوب القطع بأن عدم الفلاح ملازم لتولية المرأة أمرا من أمورهم. و لا شك أن النهى المسـتفاد من الحديث يمنع كل امرأة فى أى عصر من العصور أن تتولى أى شىء من الولايات العامة و هذا العموم تفيده صيغة الحديث و أسلوبه كما يفيده المعنى الذى من أجله كان هذا المنع، و هذا هو ما فهمه أصحاب الرسول صلى اللّه عليه و سلم و جميع أئمة السلف لم يستثنوا من ذلك امرأة و لا قوما و لا شأنا من الشئون العامة. فهم جميعا يستدلون بهذا الحديث على حرمة تولى المرأة الإمامة الكبرى و القضاء و قيادة الجيوش و ما إليها من سائر الولايات العامة. هذا الحكم المسـتفاد من الحديث و هو منع المرأة من الولايات العامة ليس حكما تعبديا يقصد مجرد امتثاله دون أن تعلم حكمته و إنما هو من الأحكام المعللة بمعان و اعتبـارات لاـ يجهلهـا الواقفون على الفروق الطبيعيـة بين نوعى الإنسـان: «الرجـل و المرأة». ذلـك أن هـذا الحكم لم ينـط بشـىء وراء «الأنوثة» التى جاءت كلمة «امرأة» فى الحديث عنوانا لها. و إذا فالأنوثة وحدها هى العلة فيه.

و واضح أن الأنوثة ليس من مقتضاها الطبيعى عدم العلم و المعرفة و لا عدم الذكاء و الفطنة حتى يكون شـىء من ذلك هو العلة، لأن

الواقع یدل علی أن للمرأة علما و قدرة علی أن تعلم کالرجل بل قد تفوق الرجل فی العلم و الذکاء و الفهم؟ فلا بد أن یکون الموجب لهذا الحکم شیئا وراء ذلک کله.

إن المرأة بمقتضی الخلق و التکوین مطبوعة علی غرائز تناسب المهمة التی خلقت لأجلها، و هی مهمة الأمومة و حضانة النشء و تربیته و هذه قد جعلتها ذات تأثر خاص بدواعی العاطفة و هی مع هذا تعرض لها عوارض طبیعیة تتکرر علیها فی الأشهر و الأعوام من شأنها أن تضعف قوتها المعنویة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۹۶

و توهن من عزیمتها فی تکوین الرأی و التمسک به و القدرة علی الکفاح و المقاومة فی سبیله و هذا شأن لا تنکره المرأة من نفسها. و لا تعوزنا الأمثلة الواقعیة التی تدل علی أن شدة الانفعال و المیل مع العاطفة من خصائص المرأة فی جمیع أطوارها و عصورها. فقد دفعت هذه الغرائز المرأة فی أسمی بیئة نسویة إلی تغلیب العاطفة علی مقتضی العقل و الحکمة، و آیات من سورة الأحزاب: تشیر إلی ما کان من نساء النبی صلی اللّه علیه و سلم و تطبعهن إلی زینة الدنیا و منعتها و مطالبتهن الرسول أن یغدق علیهن مما أفاء اللّه به من الغنائم حتی یعشن کما تعیش زوجات الملوک و رؤساء الأمم. لکن القرآن قد ردهن إلی مقتضی العقل و الحکمة فی ذلک یا أَیُّهَا النَّبِیُّ قُلْ لِأَزْواجِکَ إِنْ کُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَیاةَ الدُّنْیا وَ زِینَتَها فَتَعالَیْنَ أُمَتِّعْکُنَّ وَ أُسَرِّحْکُنَّ سَراحاً جَمِیلًا وَ إِنْ کُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْکُنَّ أَجْراً عَظِیماً، و آیة أخری من سورة التحریم تحدث عن غیرة بعض نسائه علیه الصلاة و السلام و ما کان لها من الأثر فی تغلیبهن العاطفة علی العقل، مما جعلهن یدبرن ما یتظاهرن به علی الرسول صلی اللّه علیه و سلم، و قد ردهن القرآن إلی الجادة إِنْ تَتُوبا إِلَی اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُکُما وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَیْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ، وَ جِبْرِیلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمَلائِکَةُ بَعْدَ ذلِکَ ظَهِیرٌ.

هذه هی المرأة فی أسمی البیئات النسویة لم تسلم من التأثر الشدید بدواعی العاطفة و لم تنهض قوتها المعنویة علی مغالبة نوازع الغیرة مع کمال إیمانها و نشأتها فی بیت النبوة و الوحی، فکیف بامرأة غیرها لم تؤمن إیمانها و لم تنشأ نشأتها و لیس لها ما تطمع به أن تبلغ شاؤها أو تقارب منزلتها؟!

فالحق إن المرأة بأنوثتها عرضة للانحراف عن مقتضی الحکمة و الاعتدال فی الحکم، و هذا هو ما عبر عنه الرسول صلی اللّه علیه و سلم بنقصان العقل و رتب علیه- کما جاء فی القرآن الکریم- إن شهادة المرأة علی النصف من شهادة الرجل و قد بنت الشریعة علی هذا الفرق الطبیعی بین الرجل و المرأة التفریق بینهما فی کثیر من الأحکام:

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۹۷

جعلت القوامة علی النساء للرجال؟ الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَی النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلی بَعْضٍ، و جعلت حتی طلاق المرأة للرجل دونها و منعتها السفر دون محرم أو زوج أو رفقة مأمونة و لو کان سفرها لأداء فریضة الحج. و جعلت لها حق الحضانة للصغار دون الرجل، و أوجبت علی الرجل حضور الجمعة و الجماعات و الجهاد و لم توجب علیها شیئا من ذلک.

و إذا کان الفرق الطبیعی بین الرجل و المرأة قد أدی فی نظر الشریعة إلی التفرقة بینهما فی هذه الأحکام التی لا تتعلق بالشئون العامة للأمة فإن التفرقة بینهما بمقتضاه فی الولایات العامة- التی یجب أن تکون بمنأی عن مظان التأثر بدواعی العاطفة- تکون فی نظر الحکمة أحق و أوجب.

و من هنا تقرر لجنة الفتوی، أن الشریعة الاسلامیة تمنع المرأة- کما جاء فی الحدیث الشریف- أن تلی شیئا من هذه الولایات، و فی مقدمتها ولایة سن القوانین التی هی مهمة أعضاء البرلمان. هذا- و لیس من الولایات العامة التی تمنع منها المرأة ما یعهد به إلی بعض النساء من الوظائف و الأعمال کالتدریس للبنات و عمل الطبیبة و الممرضة فی علاج المرضی من النساء و تمریضهن، فإن هذه الأعمال و ما شابهها لیس فیها معنی الولایة العامة، الذی هو سلطان الحکم و قوة الإلزام، و قد استند دعاة حق المرأة فی الانتخاب إلی

بعض وقائع حسبوها من الولایة العامة التی تولتها المرأة علی حین أنها لیست من هذه الولایة فی شیء، فقد قالوا إن السیدة عائشة رضی اللّه عنها تولت قیادة الجیش فی واقعة الجمل لمقاتلة حزب علی رضی اللّه عنه، و إیراد هذه الوقعة علی هذا الوجه لیس فیه إنصاف للحقیقة و التاریخ. فإن السیدة عائشة لم تخرج محاربة و لا قائدة لجیش محارب، و إنما خرجت داعیة للمطالبة بدم عثمان رضی اللّه عنه، و قد دفعها إلی ذلک أنها کانت ساخطة- کغیرها من أهل عثمان و أشیاعهم- علی خطة التریث و التمهل و عدم المبادرة بالبحث قبل کل شیء عن قتلة عثمان و الاقتصاص منهم، و هذا أمر لیس من الولایة العامة فی شیء کما قلنا. علی أن صنیع

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۹۸

السیدة عائشة هذا لیس فیه دلیل شرعی یصح الاستناد إلیه، فإن کان عن اجتهاد منها. و کانت مخطئة فیه. و قد أنکر علیها بعض الصحابة هذا الخروج فاعترفت بخطئها و ندمت علی خروجها. و فی ذلک یروی الحافظ بن حجر فی شرح صحیح البخاری یقول: أخرج عمر بن شبة من طریق مبارک بن فضالة عن الحسن أن عائشة أرسلت إلی أبی بکرة- تدعوه إلی الخروج معها- فقال: إنک لأم و إن حقک لعظیم. و لکن سمعت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یقول: «لن یفلح قوم تملکهم امرأة» و لم یخرج معها أبو بکرة.

و ورد کذلک من طریق قیس بن أبی عاصم قال: لما أقبلت عائشة فنزلت ببعض میاه بنی عامر نبحت علیها الکلاب فقالت: أی ماء هذا؟ فقالوا:

الحواب، فقالت: ما أظننی إلا راجعة فقالت لها بعض من کان معها: بل تقدمین فیراک المسلمون فیصلح اللّه ذات بینهم. فقالت: إن النبی صلی اللّه علیه و سلم قال لنا ذات یوم: «کیف بإحداکن تنبح علیها کلاب الحواب؟» و أخرج هذا أحمد و أبو یعلی و البزار و الحاکم و صححه بن حبان و سنده علی شرط الصحیح. و ورد عن طریق عصام بن قدامة عن عکرمة عن ابن عباس أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قال لنسائه: «أیتکن صاحبة الجمل الأدبب (۱) تخرج حتی تنبحها کلاب الحواب یقتل عن یمینها و عن شمالها قتلی کثیرة و تنجو بعد ما کادت»، و أخرج أحمد و البزار بسند حسن من حدیث أبی رافع أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قال لعلی بن أبی طالب: «إنه سیکون بینک و بین عائشة أمر» قال:

فأنا أشقاهم یا رسول اللّه؟ قال: لا، و لکن إذا کان ذلک فارددها إلی مأمنها.

من هذه الأحادیث المتعددة الطرق یتضح لمن اشتبه علیهم الأمر أن موقف السیدة عائشة رضی اللّه عنها فی واقعة الجمل کان عن اجتهاد منها لم یقرها علیه کثیر من الصحابة و إنها تذکرت ما أنبأ به النبی صلی اللّه علیه و سلم فندمت علی خروجها و اعترفت بخطئها.

و قد روی الطبرانی بسند صحیح عن أبی یزید المدینی قال عمار بن

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۹۹

یاسر لعائشة لما فرغوا من الجمل: ما أبعد هذا المسیر من العهد الذی عهد إلیکن- یشیر إلی قوله تعالی: وَ قَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَ فقالت: «أبو الیقظان؟ قال نعم قالت: و اللّه إنک ما علمت لقوال بالحق، قال الحمد للّه الذی قضی لی علی لسانک» فهی تعترف بخطئها و تقر عمارا علی إنکاره لصنیعها و توافقه علی أن الخروج لمثل ذلک الشأن لا یجوز للنساء.

و یجدر أن نسوق هنا ما رواه أبو یعلی و البزار عن أنس قال: أتت النساء رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فقلن یا رسول اللّه ذهب الرجال بالفضل بالجهاد فی سبیل اللّه فما لنا عمل ندرک به عمل الجهاد فی سبیل اللّه؟ فقال:

«مهنة إحداکن فی بیتها تدرک عمل المجاهدین فی سبیل اللّه»، هذا إلی ما قدمناه من أن خروج السیدة عائشة فی هذه الواقعة لیس من الولایة العامة، فلا یتصل بموضوع الیوم فی شیء.

و أبعد من ذلک عن الموضوع ما یستدل به أنصار حق المرأة فی الانتخاب من أن الرسول صلی اللّه علیه و سلم بایع النساء کما بایع الرجال. و مبایعة النساء هذه، هی التی جاء بها القرآن الکریم فی قول اللّه تعالی فی سورة الممتحنة: یا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِذا جاءَکَ الْمُؤْمِناتُ

يُبايِعْنَكَ عَلى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَ لا يَسْرِقْنَ وَ لا يَزْنِينَ وَ لا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَ لا يَأْتِينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ وَ لا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبايِعْهُنَّ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»، هذه هى المبايعة التى يستدل بها أنصار حق المرأة فى الانتخاب و هى عهد من اللّه و رسوله قد أخذ على النساء ألا يخالفن أحكام اللّه و أن يتجنبن تلك الموبقات المهلكات التى كان أمرها شائعا فاشيا فى العرب قبل الإسلام، فأى شىء فى هذا يصلح مستندا لأنصار هذا الرأى؟. إنه لم يدع أحد أن المرأة ممنوعة من تلقى دروس العلم و المعرفة أو من حضور مجالس العلم محتشمة لسماع تعاليم الدين و الوعظ و الارشاد، بل إن الإسلام يحتم عليها أن تتعلم و تتثقف و تتأدب بآداب الدين الصحيحة كما يحتم ذلك على الرجل، فهذا حق لها و واجب عليها. حق لها على

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۰۰

الأمة أن تمكنها من أن تتعلم كل ما يصلح لها فى دينها و دنياها. و واجب عليها أن تبذل جهدها فى سبيل هذه المعرفة، و لا يجب عليها أن تسأل فى ذلك عما تجهل و أن تناقش فيما لا تقتنع به مما تسمع و مما هى فى حاجة إليه من العلوم و المعارف. و لها فى ذلك أسوة ببعض نساء السلف إذا اعترضت إحداهن على عمر و قد كان يخطب الناس فى المسجد ينهاهم عن المغالاة فى المهور فقالت: أيعطينا اللّه و يمنعنا عمر؟ تشير إلى قوله تعالى: وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً، و فى هذا يروى ابن أبى يعلى عن مسروق أن عمر لما راجعته تلك المرأة بعد ما نزل من المنبر قال: كل الناس أفقه من عمر ثم صعد المنبر فقال: كنت نهيتكم أن تزيدوا على أربعمائة، فمن طابت نفسه فليفعل، كل هذا لائق بالمرأة و هو كما قلنا حق لها و واجب عليها لكنه لا نسبة له بما تطالب به اليوم من الولاية العامة و ما تدعيه من حق الاشتراك فى الانتخاب.

و فى رأينا أن مبايعة النساء للرسول صلى اللّه عليه و سلم إن دلت على شىء يصح التمسك به فى المسألة الحاضرة فذلك هو التفرقة فى الأعمال بين ما ينبغى أن يكون للرجال أو للنساء، فهى حجة على أنصار دعوى المساواة بين الرجل و المرأة و ليست دليلا لهم، ذلك أن مبايعة النساء هذه كانت عقب فراغ النبى صلى اللّه عليه و سلم من مبايعة الرجال عند الصفا يوم فتح مكة. فقد بايع هؤلاء الرجال أولا و لكن على ماذا؟ على الإسلام و الجهاد. فإن هذا الأمر الذى يليق بهم و ينتظر منهم. كما بايعهم قبل ذلك فى الحديبية سنة ست من الهجرة على ألا يفروا من الموت، و كما بايع نقباء الأنصار فى منى قبل الهجرة على السمع و الطاعة و النصرة و أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم و أبناءهم.

أما مبايعة النساء فكانت على ما قدمنا مما وردت به الآية الكريمة من سورة الممتحنة. و للّه الحكمة البالغة، لا يكلف اللّه نفسا إلا وسعها. إذا

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۰۱

لا شىء مما يستدل به دعاة حق المرأة فى الانتخاب يصح أن يكون دليلا لهم. و لا شىء منه يمكن أن يكون من الولاية العامة.

أما الذى هو من الولايات العامة فهو تولى شجرة الدر ملك مصر. لكنا لا نظن أحدا من أهل الجد فى القول يلجأ إلى هذا الأمر فيجعل منه دليلا شرعيا على أن الإسلام يجيز فى الملك أن تتولاه امرأة، هذا ما رأته اللجنة فى حكم أحد الأمرين و هو الخاص بانتخاب المرأة لتكوين عضوا فى البرلمان.

أما الأمر الثانى و هو اشتراكها فى انتخاب من يكون عضوا فيه، فاللجنة ترى أنه باب تريد المرأة أن تنفذ منه إلى تلك الولاية العامة التى حظرتها عليها الشريعة ذلك أن من يثبت له حق الاشتراك فى الانتخاب فإنه يثبت له حق ترشيح نفسه لعضوية البرلمان متى توافرت فيه الشروط القانونية لهذه العضوية. و بعيد أن ينشأ للمرأة قانون يبيح لها الاشتراك فى التصويت ثم يمنعها- لأنوثتها- من ترشيح نفسها للعضوية و هى التى لا تقنع بأن الأنوثة تمنعها من شىء و لا ترضى إلا بأن تكون مساوية للرجل فى كل شىء.

و إذا لا يصح أن يفتح لها باب التصويت عملا بالمبدأ المقرر فى الشريعة و القانون.

إن وسيلة الشىء تأخذ حكمه. فالشىء الممنوع بسبب ما يلازمه أو ما يترتب عليه من ضرر أو مفسدة تكون الوسيلة إليه ممنوعة لهذا

السبب نفسه، فإنه لا يسوغ فی عقل و لا شرع أن يمنع شیء لما يترتب عليه أو يلازمه من مضار و يسمح فی الوقت نفسه بالوسائل التی يعلم أنها تتخذ طريقا إليه، و بهذا يتبين أن حكم الشريعة فی اشتراك المرأة فی انتخاب عضو البرلمان هو كحكمها فی اختيارها لتكون عضوا فيه. كلاهما ممنوع. هذا- و يتبين مما قدمنا أن الحكم فی المسألة بشقيها على هذا الوجه لم ينظر فيه إلى شیء آخر وراء طبيعة هذين الأمرين، أما إذا نظرنا إلى ما يلازم عملية

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۰۲

الانتخاب المعروفة و الترشيح لعضوية البرلمان من مبدأ التفكير فيه إلى نهايته. فإنا نجد سلسلة من الاجتماعات و الاختلاطات و الأسفار للدعاية و المقابلات و ما إلى ذلك مما تتعرض المرأة فيه لأنواع من الشر و الأذى، و يتعرض لها فيه أرباب القلوب المريضة الذين ترتاح أهواؤهم و تطمئن أنفسهم لمثل هذا الاختلاط بين الرجال و النساء فهذه مواقف لا ينبغی للمرأة أن تزج بنفسها فی معتركها غير المأمون. و يجب عليها أن تنادی بنفسها عنها حفظا لكرامتها و صونا لسمعتها. و هذا واقع لا ينبغی إغفاله أو التغافل عنه و يجب تقدير الأمور و تقرير الأحكام على أساسه، و قد تكفی هذه الإشارة فی التنبيه إلى مضار الاختلاط فی اجتماعات الرجال و النساء، و آيات من الكتاب العزيز ترسم لنا الطرق الصالحة فی التربية الاجتماعية و التهذيب الخلقی و الأدب الدينی الصحيح، فعلينا أن نعتبر بها و نقيس بتعاليمها ما هو واقع فی اجتماعاتنا لنعرف مدى قربنا أو بعدنا من هذه التعاليم: يا أَيُّهَا النَّبِیُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ وَ بَناتِكَ وَ نِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً، قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ وَ قُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا ما ظَهَرَ مِنْها وَ لْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ وَ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنائِهِنَّ أَوْ أَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِی إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِی أَخَواتِهِنَّ أَوْ نِسائِهِنَّ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِی الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْراتِ النِّساءِ وَ لا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، بإمضاء: محمد عبد الفتاح العنانی رئيس لجنة الفتوى بالأزهر.

و قد كتب الدكتور أحمد زكی بك و الأستاذ إسماعيل مظهر يؤيدان

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۰۳

قضية المرأة، ورد عليهما علماء الوعظ بالأزهر بآيات و أحاديث شريفة، مغزاها خلاف ما ذهب إليه الدكتور زكی و الأستاذ مظهر.

و قد نشر الشيخ علام نصار المفتی آراء له حول: تعدد الزوجات، و الطلاق و سواها .. و قد قامت معركة حول هذه الآراء، و اشتركت فی مناقشتها و الرد عليها «جبهة علماء الأزهر» فی كتاب نشرته.

- ۹- فكرة توحيد التعليم:

هذه الفكرة أيدها الدكتور طه حسين فی كتابه «مستقبل الثقافة»، فرأى أن يكون التعليم موحدا فی الدولة و أن تكون المعاهد الثانوية مدارس ثانوية خاضعة لوزارة المعارف، و تستقل كليات الأزهر بالدراسات الدينية.

و قد كتب الدكتور محمد يوسف موسى فی ۶ اغسطس ۱۹۵۰ كلمة فی الأهرام يؤيد فيها هذا الرأى، ورد عليه الأستاذ الشيخ الطيب النجار عضو جماعة كبار العلماء و غيره من أساتذة الأزهر.

-۱۰-

لمناسبة الاحتفال بسفر المحمل و الكسوة الشريفة عام ۱۹۵۲ و ما يلازم هذا الاحتفال عادة من تقاليد و الطقوس بعث على ماهر رئيس

الوزراء سابقا إلى فضيلة مفتى الديار المصرية بكتاب يستفتيه فى حكم الشريعة فى هذه التقاليد و الطقوس و قد جاء فيه: جرت العادة فى حفلة المحمل السنوية على نظم و تقاليد و طقوس نرجو التفضل ببيان الحكم الشرعى فيها قبل الموعد المحدد للحفلة فى هذا العام، مع الإحاطة بأننا نعتبر هذه لا تعدوا أن تكون إيذانا بافتتاح موسم الحج، و إذا رأيتم فضيلتكم الاتصال بصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر و صاحب الفضيلة رئيس المحكمة الشرعية

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۰۴

ليكون الرأى إجماعيا نكون لكم من الشاكرين.

و قد قدم حضرة صاحب الفضيلة مفتى الديار المصرية فتواه فى الرد على رئيس الوزراء مؤيدة برأى فضيلة شيخ الجامع الأزهر و فضيلة رئيس المحكمة العليا الشرعية إلى الرئيس على ماهر، و جاء فيها ما يلى بعد الديباجة: تشرفت اليوم بتلقى كتابكم المؤرخ ۱۸/ ۸/ ۱۹۵۲ الذى تطلبون فيه الرأى الشرعى فى النظم و التقاليد و الطقوس التى تجرى فى الحفلة السنوية للمحمل، و نفيد أننا منذ مدة قد بينا الحكم فى ذلك بيانا واضحا و استنكرنا بعض هذه التقاليد استنكارا صريحا لمخالفتها لتعاليم الإسلام، و قد جرت العادة على إقامة هذه الحفلة كل عام عند سفر المحمل و عند عودته بما فى ذلك هذه التقاليد التى ينكرها الشرع و التى هى بدع سيئة لا أصل لها فى الدين و يجب إزالتها و القضاء عليها، من ذلك:

۱- الطواف بالمحمل سبع مرات حول الدائرة التى ترسم له أمام السرادق المعد للاجتماع الرسمى رمزا إلى الطواف حول الكعبة سبعة أشواط مع أن الطواف لم يشرع إلا حول الكعبة فى مناسك الحج و العمرة، و لا يجوز الرمز إلى ذلك بأية حال.

۲- دوران عدة من الجمال حول هذه الدائرة و عليها رجال يطبلون و يزمرون بملابس خاصة و صورة مزرية.

۳- تقبيل أمير الحج و العظماء المدعوين إلى الحفلة مقود الجمل الذى يحمل الهودج المرموز به إلى هودج شجرة الدر حين حجت فى عهد دولة المماليك و ليس لهذا أصل فى الدين فضلا عن أنه مما تأباه النفوس الكريمة. فالتقبيل لم يؤذن به شرعا فى المناسك أو غيرها إلا فى الحجر الأسود و فيه قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه: «و اللّه إنى لأعلم أنك حجر لا تضر و لا تنفع و لو لا أنى رأيت رسول اللّه يقبلك لما قبلتك».

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۰۵

۴- وقوف جماعة من مشايخ الطرق و أتباعهم أمام السرادق يقرأون الفاتحة و يبتهلون بأصوات صاخبة مزعجة و ما كانت تلاوة القرآن لذلك و على هذا الوجه.

و قد تأصلت هذه الأعمال فى النفوس حتى ظن عامة الناس أنها من الدين أو على الأقل من البدع الحسنة، و الدين يأباها و يرشد إلى أنها من السوء بمكان و فى إقراره تضليل للعامة باعتقادهم أنها من الدين و هى ليست من الدين فى شىء. و بما أن الواجب شرعا رد المسلمين إلى الحق و الهدى و إرشاد العامة إلى ترك المعتقدات الباطلة و البدع السيئة و قد صح من المأثور أن من أمات بدعة فقد أحيا سنة.

لهذا كله نرجو أن يفتتح هذا العهد الإصلاحى بتطهير العقائد و الأعمال من شوائب المنكرات، و اللّه يوفقكم و يصلح بكم و يسدد خطاكم

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۰۷

الباب التاسع

ألوان ثقافية فى حياة الأزهر العلميّة

-۱-

کان الأزهر لا یعنی کثیرا بالعلوم العقلیة فی عهد الانحطاط العثمانی، و من شواهد ذلک أن أحمد کور باشا الذی تولی ولایة مصر عام ۱۱۶۱ ه فی عهد مشیخة الشیخ عبد اللّه الشبراوی، ناقش شیخ الأزهر الشیخ الشبراوی، فی إهمال الأزهر و مصر للعلوم الریاضیة .

و مع ذلک فقد کان هناک قلة من العلماء تعنی بهذه العلوم و تدرسها، و من هؤلاء الشیخ حسن الجبرتی الذی کان ذا شهرة عظیمة فی العلوم الریاضیة، و قد ذکر ابنه المؤرخ فی حدیثه عنه فی تاریخه أنه فی سنة ۱۱۵۹ ه- ۱۸۰۵ م أتی إلیه طلاب من الفرنجة، و تلقوا علیه علم الهندسة، و أهدوا إلیه من مصنوعاتهم و آلاتهم أشیاء نفیسة ثم رجعوا إلی بلادهم و نشروا بها ذلک العلم من ذلک الوقت، و أخرجوه من القوة إلی الفعل، و استخرجوا به صناعات بدیعة، مثل طواحین الهواء، و جر الأثقال، و استنباط المیاه، و ما إلی هذا من الصناعات، فأی شیء بعد هذا یحتاج إلیه فی إثبات فضل الأزهر علی العلم؟ و أیة ید أثیمة بعد هذا تحاول

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۰۸

أن تناله بسوء، و أن تقابل فضله بالجحود؟ و قد تلقی الشیخ حسن الجبرتی هذه العلوم الریاضیة فی الأزهر، و کذلک غیرها من العلوم الدینیة و العربیة، و هو فی الأصل من أهل الحبشة الذین رحلوا إلی الأزهر لطلب العلم، و لهم رواق فیه یسمی رواق الجبرتیة، و قد تلقی العلوم الدینیة و العربیة علی السید محمد البنوفری و الشیخ عمر الأسقاطی و الشیخ أحمد الجوهری و غیرهم، و بدأ تلقی العلوم الریاضیة علی الشیخ محمد النجاحی، ثم قدم الشیخ حسام الدین الهندی إلی الأزهر، و کان بارعا فی العلوم الریاضیة و الفلسفیة، فتلقاها علیه بعض طلاب الأزهر، مثل الشیخ الوسیمی، و الشیخ أحمد الدمنهوری، فذهب إلیه الشیخ حسن الجبرتی و لازمه، و تلقی علیه کتبا نفیسة فی هذه العلوم، مثل أشکال التأسیس فی الهندسة، و تحریر أقلیدس، و المتوسطات و المبادیء و الغایات، و الأکر، و علم الأرتماطیقی، و الجغرافیا، و علم المساحة، و لم یزل یطلب هذه العلوم حتی برع فیها، و طارت شهرته بها، و کان یعرف اللغة الترکیة و الفارسیة، و یتکلم بهما کأهلهما، ثم اشتغل بالتدریس فی الأزهر، و تلقی علیه فیه الشیخ أحمد الشیخ عبد الرحمن البنان و الشیخ محمد الصبان و الشیخ محمد عرفة الدسوقی و الشیخ محمد الأمیر، و غیرهم من أفاضل علماء الأزهر.

و کان یقتنی کثیرا من الکتب النفیسة فی العربیة و الفارسیة و الترکیة، و مما کان یقتنیه من الکتب الفارسیة کتاب الکلستان، و دیوان حافظ، و شاهنامه، و کان بها من الصور العجیبة ما یکسبها رونقا و بهاء، و کان عنده کثیر من الآلات الفلکیة، و الکرات النحاسیة، و الآلات الإرتفاعیة، و المیالات، و حلق الأرصاد، و الأسطرلابات، و العدد الهندسیة، و آلات أکثر الصناعات کالنجارة و غیرها، و آلات الرسم و التقاسیم، و کان کل ماهر فی صناعته یجتمع به لیتسفید منه، و کان مع هذا یعرف صناعة التراکیب و التقاطیر و استخراج المایه، و قد رسم فی أیام اشتغاله ما لا یحصی من المنحرفات و المزاول، و فی سنة ۱۱۷۲ ه- ۱۷۵۸ م، وقع الخلل فی الموازین

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۰۹

فتحرکت همته لتصحیحها، و أحضر الحدادین و السباکین، و حرر المثاقیل و الصنج الکبار و الصغار، و رسمها بطریق الاستخراج علی أصل العلم العملی و الوضع الهندسی، و لم ینقص هذا من إلمامه بالعلوم الدینیة، بل کان حجة فی الفقه و غیره من هذه العلوم، حتی إن القضاة لم یکونوا یثقون إلا بفتواه، و کانت وفاة هذا العالم الأزهری سنة ۱۱۸۸ ه- ۱۷۷۴ م ..

-۲-

و قد نعی الشیخ حسن العطار علی الأزهر إهماله هذه العلوم و سواها و ذلک فی حاشیته علی شرح جمع الجوامع فی أصول الفقه و کان من تلامذة العطار رفاعة رافع الطهطاوی الأزهری، الذی سافر مع بعثات محمد علی إلی باریس، و له کتاب «تخلیص الإبریز فی تلخیص باریز» و کتاب مناهج الألباب المصریة فی مباهج الآداب العصریة، الذی یقول فیه عن محمد علی و عهده إنه جدد دروس

العلوم بعد اندراسها، و أوجدت بعد العدم رؤساء العلماء و الفضلاء نتيجة قياسها، لقصد انتشار العلم و الزيادة فی الفضائل، فأتی من ذلک بما لم تستطعه الأوائل، غير أنه- حفظه اللّه و أبقاه- و لو أنه أعلی منار الوطن و رقاه. لم يستطع إلی الآن أن يعمم أنوار هذه المعارف المتنوعة بالجامع الأزهر الأنور، و لم يجذب طلابه إلی تكميل عقولهم بالعلوم الحكمية التی كبير نفعها فی الوطن ليس ينكر، نعم إن لهم اليد البيضاء فی إتقان الأحكام الشرعية العملية و الاعتقادية، و ما يجب من العلوم الآلية كعلوم العربية الإثنی عشر، و كالمنطق و الوضع و آداب البحث و المقولات و علم الأصول المعتبر، غير أن هذا وحده لا يفی للوطن بقضاء الوطر، و الكامل يقبل الكمال كما هو متعارف عند أهل النظر، و مدار سلوک جادة الرشاد و الإصابة، منوط بعدول الأمر، بهذه العصابة، التی ينبغی أن

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۱۰

تضيف إلی ما يجب عليها من نشر السنة الشريفة، و رفع أعلام الشريعة المنيفة، معرفة سائر المعارف البشرية المدنية، التی لها مدخل فی تقديم الوطنية، من كل ما يحمد علی تعلمه و تعليمه علماء الأمة المحمدية، فإنه بانضمامه إلی علوم الشريعة و الأحكام، يكون من الأعمال الباقية علی الدوام، و يقتدی بهم فی اتباعه الخاص و العام، حتی إذا دخلوا فی أمور الدولة، يحسن كل منهم فی إبداء المحاسن المدنية قوله، فإن سلوک طريق العلم النافع من حيث هو مستقيم، و منهجه الأبهج هو القويم، يكون بالنسبة للعلماء سلوكه أقوم، و تلقيه من أفواههم أتم و أنظم، لا- سيما أن هذه العلوم الحكمية العملية التی يظهر الآن أنها أجنبية هی علوم إسلامية نقلها الأجانب الی لغاتهم من الكتب العربية، و لم تزل كتبها إلی الآن فی خزائن ملوک الإسلام كالذخيرة، بل لا زال يتشبث بقراءتها و دراستها من أهل أوروبا حكماء الأزمنة الأخيرة، فإن من اطلع علی سند شيخ الجامع الأزهر الشيخ أحمد الدمنهوری (۱۱۰۱- ۱۱۹۲ ه)- الذی كانت مشيخته قبل شيخ الإسلام أحمد العروسی الكبير (۱۱۳۲- ۱۲۰۸ ه) جدّ شيخ شيوخ الجامع الأزهر، السيد المصطفوی العلم الشهير رأی أنه أحاط من دوائر هذه العلوم بكثير، و أنه له فيها المؤلفات الجمة، و أن تلقيها إلی أيامه كان عند الجامع الأزهر من الأمور المهمة، فإنه يقول فيه بعد سرد ما تلقاه من العلوم الشرعية و آلاتها معقولا و منقولا:

أخذت عن أستاذنا الشيخ المعمر الشيخ علی الزعتری.

خاتمة العارفين بعلم الحساب و استخراج المجهولات و بما توقف عليها.

كالفرائض و الميقات، وسيلة ابن الهائم و معونته- كلاهما فی الحساب- و المقنع لابن الهائم، و منظومة الياسمين فی الجبر و المقابلة، و دقائق الحقائق فی حساب الدرج و الدقائق لسبط الماردينی فی علم حساب الأزياج، و رسالتين إحداهما علی ربع المقنطرات و أخراهما علی ربع

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۱۱

المجيب- كلاهما للشيخ عبد الله الماردينی جد السبط- و نتيجة الشيخ اللاذقی المحسوبة لعرض مصر، و المنخرفات لسبط الماردينی فی علم وضع المزاول، و بعض اللمعة فی التقويم. و أخذت عن سيدی أحمد القرافی الحكيم بدار الشفاء بالقراءة عليه كتاب الموجز و اللمحة العفيفة فی أسباب الأمراض و علاماتها بشرح الأمشاطی، و بعضا من قانون ابن سينا، و بعضا من كامل الصناعة، و بعضا من منظومة ابن سينا الكبری- و الجميع فی الطب- و قرأت علی استاذنا الشيخ عبد الفتاح الدمياطی كتاب لقط الجواهر فی الحدود و الدوائر لسبط الماردينی فی الهيئة السماوية، و رسالة ابن الشاطر فی علم الاضطراب، و رسالة قسطا بن لوقا فی العمل بالكرة و كيفية أخذ الوقت منها، و الدر لابن المجدی فی علم الزيج. و قرأت علی أستاذنا الشيخ سلامة الفيومی أشكال التأسيس فی الهندسة، و بعضا من الجغمينی فی علم الهيئة، و بعضا من رفع الأشكال عن مساحة الأشكال فی علم المساحة، و قرأت علی الشيخ عبد الجواد المرحومی جملة كتب، منها رسالة فی علم الأرتماطيقی للشيخ سلطان المزاحی. و قرأت علی الشيخ الشهير بالسحيمی منظومة الحكيم درمقاش المشتملة علی علم التكسير و علم الأوفاق و علم الاستنطاقات و علم التكعيب، و رسالة اخری فی رسم ربع المقنطرات و المنحرفات لسيط الماردينی، و علم المزاول و منظومة فی علم الأعمال الرصدية و روضة العلوم و بهجة المنطوق و المفهوم لمحمد بن

صاعد الأنصاری، و هی کتاب یشتمل علی سبعة و سبعین علما، أولهما علم الحرف و آخرها علم الطلاسم، و رسالة للإسرائیلی، و رسالة للسید الطحان- کلاهما فی علم الطالع- و رسالة للخازن فی علم المواليد- أعنی الممالک الطبیعیة و هی الحیوانات و النباتات و المعادن- و أخذت عن شیخنا الشیخ حسام الدین الهندی شرح الهدایة فی علم الحکمة، و متن الجغمینی فی علم الهیئة- بمراجعة قاضی زاده و مطالعة السید علیه- و أخذت عن سیدی أحمد الشرفی شیخ المغاربة بالجامع الأزهر کتاب اللمعة فی تقویم

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۱۲

الکواکب السبعة. و لما ذکر ما تلقاه من هذه العلوم أعقبه بما طالعه بنفسه بدون الأخذ عن شیخ فقال: طالعت کتاب إحیاء الفؤاد بمعرفة خواص الأعداد فی علم الأرتماطیقی، فی نحو کراسین، و کتاب عین الحیاة فی علم استنباط المیاه، و رسالة الکلام الیسیر فی علام البواسیر، فی نحو کراسین، و رسالة التصریح بخلاصة القول الصریح فی علم التشریح، فی نحو کراسین، و کتاب إتحاف البریة بمعرفة الأمور الضروریة فی علم الطب، فی نحو خمسة کراریس، و رسالة القول الأقرب فی علاج لسع العقرب، فی نحو کراس، و کتاب منهج السلوک فی نصیحة الملوک، فی نحو عشرة کراریس، و کتاب بلوغ الأرب فی أسماء سلاطین العجم و العرب- معنونا باسم السلطان مصطفی خان بن السلطان أحمد خان، المولود فی رابع عشر شهر صفر سنة تسع و عشرین و مائة و ألف یوم الأربعاء أول النهار فی الساعة الأولی بعد الشمس، الجالس علی سریر الملک فی سابع عشر صفر الخیر سنة إحدی و سبعین و مائة و ألف یوم الأحد قبل الشمس. و یقول رفاعة: فانظر إلی هذا الإمام الذی کان شیخ مشایخ الجامع الأزهر، و کان له فی العلوم الطبیة و الریاضیة و علم الهیئة الحظ الأوفر، مما تلقاه عن أشیاخه الأعلام، فضلا عن کون أشیاخه کانوا أزهریة، و لم یفتهم الوقوف علی حقائق هذه العلوم النافعة فی الوطنیة، و فضل العلامة الجبرتی المتوفی فی أثناء هذا القرن فی هذه العلوم، و فی فن التاریخ أمر معلوم، و کذلک العلامة الشیخ عثمان الوردانی الفلکی، و کان للمرحوم العلامة الشیخ حسن العطار شیخ الأزهر أیضا مشارکة فی کثیر من هذه العلوم، حتی فی العلوم الجغرافیة، فقد وجدت بخطه هوامش جلیلة علی تقویم البلدان لإسماعیل أبی الفداء سلطان حماة، المشهور أیضا بالملک المؤید، و للشیخ المذکور هوامش أیضا وجدتها بأکثر التواریخ، و علی طبقات لأطباء و غیرها، کان یطلع دائما علی الکتب المعربة من تواریخ و غیرها، و کان له ولوع شدید بسائر المعارف البشریة،

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۱۳

مع غایة الدیانة و الصیانة، و له بعض تآلیف فی الطب و غیره، زیادة عن تآلیفه المشهورة، فلو تشبث من الآن فصاعدا نجباء أهل العلم الأزهریین بالعلوم العصریة التی جددها الخدیو بمصر، بإنفاقه علیها أوفر أموال مملکته، لفازوا بدرجة الکمال، و انتظموا فی سلک الأقدمین من فحول الرجال، و ربما یتعللون بالاحتیاج إلی مساعدة الحکومة، و الحال أن الحکومة إنما تساعد من یلوح علیه علامات الرغبة و الغیرة و الاجتهاد، فعمل کل من الطرفین متوقف علی عمل الآخر، فترجع المسألة دوریة، و الجواب عنها أن الحکومة قد ساعدت بتسهیل الوسائط و الوسائل، لیغتنم فرصة ذلک کل طالب وسائل، و کل من سار علی الدرب وصل، و إنما المکافأة علی تمام العمل.

-۳-

و قد ازدهر القرن التاسع عشر بکوکبة من المصلحین، من أمثال الأفغانی (۱۸۳۹- ۱۸۹۷ م) و علی مبارک (۱۸۲۳- ۱۸۹۳ م) و السید عبد الرحمن الکواکبی (۱۸۴۸- ۱۹۰۲ م) و الشیخ محمد عبده (۱۸۴۹- ۱۹۰۵ م)، و کان هؤلاء المصلحون یتجهون أول ما یتجهون إلی إیقاظ الفکر المصری و العربی، و إلی تجدید النهضة الدینیة.

و لما حضر جمال الدین الأفغانی إلی مصر لأول مرة سنة ۱۲۸۶ ه أقام فی القاهرة أربعین یوما، تردد فیها علی الجامع الأزهر، و اتصل به کثیر من العظماء و الطلاب، ثم ترک القاهرة إلی الأستانة، فوصل إلیها فی سنة ۱۲۸۷ ه، و لکن الدسائس أحاطت من کل جانب، و

من أجل ذلک عاد جمال الدین إلی القاهرة فی أوائل سنة ۱۲۸۸ ه، فأکرمه إسماعیل، و أجری علیه راتبا یلیق به، فجعل من بیته مدرسة یقصدها النابهون من طلاب العلم فی الأزهر و غیره، و کان یدرس لهم أمهات الکتب فی علم الکلام و الحکمة و الهیئة و التصوف و أصول الفقه، و لم یکن یقصد من دروسه

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۱۴

التعلیم فقط، بل کان یقصد منها الدعوی إلی الإصلاح، و فتح باب الاجتهاد فی الدین و العلم و بث الأخلاق العالیة فی النفوس، و کان إلی هذا یرشد الطلاب إلی مطالعة کتب الأدب، لیتعلموا منها حسن الکتابة و الإنشاء، و یستطیعوا أن ینهضوا بالأمة بالکتابة فی الجرائد و غیرها، فأیقظ النفوس من غفلتها، و فتح عیون الطلاب فی الأزهر لضعف التعلیم فیه، حتی ألفوا من بینهم جماعة تسعی فی إصلاحه، و کان أول ما عملوه کتابة منشور علقوه علی أعمدة الأزهر فی سواد اللیل، و بینوا فیه مواضع الخلل فی التعلیم بالأزهر، و شرحوا الوسائل التی تؤدی إلی إصلاحه، فبدأ جمال الدین بدروسه فی الإصلاح، الجهاد فی إصلاح الأزهر، و أوجد من أبنائه و غیرهم من یعمل فیه بکل ما یمکنه من الوسائل التی توصل إلیه.

و کان نشاطه التعلیمی ذا شعبتین: دروس علمیة منظمة یلقیها فی بیته (فی خان الخلیلی)، و کان یتلقاها أمثال الشیخ محمد عبده، و الشیخ عبد الکریم سلمان، و الشیخ سعد زغلول، و الشیخ إبراهیم الهلباوی من مجاوری الأزهر و علمائه، و کان یدرس لهم کتب منطق و فلسفة و تصوف و هیئة، و یظهر أن هذه الکتب لم تکن لها قیمة فی ذاتها، و إنما قیمتها کانت فیما یضیفه علیها الشیخ فی شرح آرائه و أفکاره، و التبسط فی مناحی الفکر، و التطبیق علی الحیاة الواقعیة، بربط الحیاة العملیة بالعلمیة، هذا إلی أنه کان یأخذ بید تلامیذه، فیجعلهم یسیطرون علی الکتاب، و یسمون عن قیود الألفاظ و الجمل إلی معرفة الحقائق ذاتها، یحدد لهم موضوع الدرس من الکتاب، و یفیض علیهم فی شرحه من عنده حتی یحیطوا به، و یتفهموه من جمیع أطرافه.

و کانت مدرسته الثانیة غیر النظامیة أکبر أثرا و أعم نفعا، و کان تلامیذه فیها زواره فی بیته أو فی بیوتهم حین یزورهم، و من یلتقی بهم فی (قهوة البوستة) و فی المجتمعات من أمثال: محمود سامی البارودی، و عبد السلام المویلحی و أخیه إبراهیم المویلحی و سعد زغلول، و محمد عبده

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۱۵

و علی مظهر، و أدیب إسحق و غیرهم. و فی هذه المدرسة حول مجری الأدب و نقله من حال إلی حال، کان الأدب عند الحکام لا هم له إلا مدح الملوک و الأمراء، و التغنی بأفعالهم و صفاتهم، فأتی جمال الدین و سخّر الأدب فی خدمة الشعب، یطالب بحقوقه، و یدافع عنه من ظلمه، یبین للناس سوء حالتهم، و یبصرهم بمن کان سبب فقرهم، و یحرضهم أن یخرجوا من بؤسهم و ضلالهم و ألا یخشوا بأس الحاکم فلیست قوته إلا بهم، فکان أدبه ینظر للشعب أکثر مما ینظر إلی الحاکم، و ینشد الحریة و یفیض فی حقوق الناس و واجبات الحاکم، و یجعل من الأدیب مشرفا علی الأمراء، لا سائلا یمد یده للأغنیاء، کنت تتصفح آثار الأدباء أمثال: السید علی أبی النصر، و الشیخ علی اللیثی و عبد اللّه باشا فکری، فلا تری موضوعاتهم غیر غزل فی حبیب، أو رسالة إلی صدیق، أو مدح لأمیر، أو استعطاف له، أو اعتذار إلیه، أو وصف سفینة، أو شکر علی هدیة. أما مصر و حال شعبها، و بؤس أهلها، و ظلم حکامها، و حقوق الناس، و واجبات الحکام، فلا تری لذلک أثرا. فقلب جمال الدین هذا الوضع و فتح للأدباء منافذ القول، و کانت خطته فی ذلک ما یأتی:

۱- کون جماعة حبب إلیهم الکتابة، و رسم لها خطتها و أوحی إلیهم بالمعانی و شجعهم علی إنشاء الجرائد، یکتب فیها، و یستکتب القادر منهم، فأنشأ أدیب إسحق جریدة «مصر» فی القاهرة، و «التجارة» بالأسکندریة، و کان جمال یکتب فیها أحیانا باسم مستعار أو باسمه الحقیقی و قد کتب مقالین: أحدهما فی الحکومات الشرقیة و أنواعها، و الثانی سماه «روح البیان فی الأنجلیز و الأفغان» کان لهما صدی بعید، و لقیت الصحیفتان رواجا کبیرا، ثم أغلقهما ریاض باشا و کذلک وجه الکتاب فی «الوقائع المصریة» و غیرها، و

بـذلک ربی طائفـة من الکتاب تحسن الکتابة» و اختیار الموضوعات، و وضع النواة الأولی للصـحافة الشـرقیة و الکتاب الذین یعالجون شئون وطنهم و حالة شعوبهم، و الذی ساعده علی النجاح فی ذلک

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۱۶

حال مصـر المالیة و السیاسیة و تدخل الأجنبی فیهما و جزع الشعب و الحاکم معا لذلک فشجعوا هذا النقد من الصحافة، و لو لا ذلک لخابت دعوة جمال الدین فی مصر کما خابت فی غیرها.

۲- أحـادیثه فی المقهی و فی المحافل و بیوت الزیـارة، تواتیه المعـانی، و یطـاوعه اللسـان، فیخلق أمتع الأحـادیث، و یحـدث کل من بمجلسه بلسـان عربی مبین، فیـدهش السامعین، و یفحم السائلین، و یبکم المعترضـین، و بـذلک خرج مدرسـة عجیبـة تحسن السـمر و الحدیث و الاستطراد، و تملک علی السامع لبه من أمثال محمد عبده، و سعد زغلول، و الهلباوی، و لطفی السید، و غیرهم.

و هکـذا بـدأ جمـال الـدین تعلیمه فی حجرة ثم فی مقهی أو مجتمع، ثم فی محفل یریـد توسیع العقول، و تعلیم الحریـة فی البحث و النقـد، و تبصـیر الشـعب بحقوقه و واجبات الحاکم نحوه، و یضع یـده فی صـمیم السیاسة فیریـد أن یسیطر علی الوزارات و الحکومة بمحفله، و رأی أول أمره أن لا قیمة لمجلس النواب ما دام الشعب غافلا جاهلا، فلما نضجت الأمة و استبد الحکام، غیر رأیه و ألح فی طلـب الحکـم النیـابی و حرض علیه. و کـان یلتقی بالأمیر توفیـق فی المحفـل فیقـدره و یـدین بمبـادئه، و لکنه لمـا تـولی الحکم بعد إسماعیل دس له الدساسون، فاجتمع مجلس الوزراء و قرر نفی جمال الدین فقبض علیه فی ۲۴ أغسطس سنة ۱۸۷۱، و نفی إلی بمبای فی الهند، و کان ذلک آخر عهد له بمصر.

و سافر الأفغانی إلی لندن عام ۱۸۸۳ و منها إلی فرنسا، و وافاه إلیها تلمیذه و صدیقه الشیخ محمد عبده و کان منفیا فی بیروت. و أخذا یتشاوران فیما یعملان من وجوه الإصلاح، و کان من رأی الشیخ محمد عبده بعد ما رأی من غدر الناس فی ثورة عرابی أن یذهبا إلی مکان بعید، ینشئان فیه مدرسة للزعماء یختاران لها أنجب التلامیذ من الأقطار الإسلامیة،

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۱۷

و یعدانهم للزعامة و نشر الإصلاح، و لکن لم یعجب السید هذا الرأی، و رأی فیه خورا و ضعفا و یأسا، و وضع خطته بإنشاء جریدة فی بـاریس للعـالم الإسـلامی تبصـره بحقوقه و واجباته و وظیفته، و کانت جریـدة «العروة الوثقی» للسـید فیها الأفکار و المعانی، و للشـیخ التحریر و الصـیاغة، و میرزا محمـد بـاقر یعرب لهـا عن الصـحف الأجنبیـة ما یهم الشـرق، و کان وراءها جمعیـة سـریة فی جمیع أقطار الإسـلام، و لها فروع فی بلـدانه یجتمعون للمـذاکرة، و یتبرعون بالمال ینفق منه علی الجریدة و القائمین بها، فقد کانت ترسل بالمجان أکثر أعـدادها، و کـان الأعضـاء یقسـمون الیمین لأحیاء الأخوة الإسـلامیة، و تقویـة الإسـلام بقـدر ما یسـتطیعون. و کان أهم أغراض الجریدة کما لخصت هی ذلک فی أول عدد لها:

۱- بیان الواجب علی الشرقیین، و أسباب فساد حالهم.

۲- إشراب النفوس عقیدة الأمل و ترک الیأس.

۳- الدعوة إلیالتمسک بالأصول التی کان علیهم أسلافهم و عزوا بها.

۴- الدفاع عما یتهم به الشرقیون عموما و المسلمون خصوصا من أنهم لن یتقدموا ما داموا متمسکین بدینهم.

۵- إخبارهم بما یهمهم من حوادث السیاسة العامة و الخاصة.

۶- تقویة الصلات بین الأمم الإسلامیة، و مناصرة من لا یجحف بحقوقهم من أمم الخارج.

و أخذ یکتب فی ذلک فی الجریدة و یفصل هذه الأسباب فی مقالات، و کان مثله الأعلی حکومة إسلامیة موحدة للجمیع، و لما رأی عـدم إمکـان ذلک دعا إلی أن تحکم الأقطار الاسـلامیة بحکومات إمامها القرآن، و أساسـها العـدل و الشوری و ترتبط جمیعا بروابط محکمة.

و قد قاده هذا التفکیر فی الحکومة الإسلامیة و أخلاق الشعب التی

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۱۸

یجب أن یکون علیها إلی أن یناهض فی الجریدة الاحتلال الأجنبی فی الأقطار الإسلامیة و خاصة فی مصر، و شغل هذا حیزا کبیرا منها بأسلوب مهیج و عبارات شدیدة، کما استخدم بجانبها رسلا متخفین إلی الأقطار المختلفة ینشرون التعالیم التی لا یستطیع نشرها فی الجریدة، و کان منهم الشیخ محمد عبده- و هو محکوم علیه بالنفی- فجاء إلی مصر و تونس و کان من نتائج هذا أن روقبت الجریدة من أصحاب السیادة علی حکومات الهند و مصر، فمنعت من دخولهما، و استحال وصولها إلی أصحابها و قرائها فاحتجبت عن أداء رسالتها.

و قد کان یدعو إلی الاجتهاد و ترک التقلید فی الدین، فإن الأئمة اجتهدوا و أحسنوا و لکن لا یصح أن نعتقد أنهم أحاطوا بکل أسرار القرآن، و الفضل بید اللّه یؤتیه من یشاء. و یری أن التفرقة بین أهل السنة و الشیعة سببها مطامع الملوک، فالفریقان یؤمنان بالقرآن و رسالة محمد، ففیم الخلاف و القتال؟. و یری أن الإشتراکیة فی الإسلام ملتحمة مع الدین، ملتصقة مع الخلق، یبعث علیها حب الخیر، علی النقیض من إشتراکیة الغرب التی یبعث علیها جور الحکام و عوامل الحسد فی العمال لأرباب الغنی. کما یری أن المرأة تساوی الرجل فی تکوینها العقلی و التفاوت بینهما أتی من التربیة و إطلاق السراح للرجل، و تقیید المرأة فی البیت.

و مهمتها فی هذا أسمی، و لا تقل عن مهمة الرجل، و من یطلب مساواتها فهو مخطی، و لا مانع من أن تعمل فی الخارج إذا فقدت عائلها، و اضطرتها ظروفها و لکن بطهارة. کما أنه لا مانع عنده من رفع الحجاب إذا لم یتخذ وسیلة للفجور. و یری کذلک أن الدین لا یخالف الحقائق العلمیة، و إذا ظهر غیر ذلک وجب تأویله، فالقرآن أعظم من أن یخالف العلم الحقیقی خصوصا فی الکلیات.

و قد أجمع معاصروه و من درسوا تاریخ حیاته علی أن له غرضین واضحین:

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۱۹

۱- بث الروح فی الشرق لینهض بثقافته و علمه و تربیته، و تنقیة عقیدته من الخرافات و استعادة عزه و مکانته.

۲- مناهضة الاحتلال الأجنبی حتی تعود الأقطار الشرقیة إلی استقلالها مرتبطة بروابط علی أی شکل، لتلقی ما یحیط بها من أخطار.

و لما مات حمل المصلحون بعده لواء هذین الغرضین متفرقین و قد کان یحمل لواءهما معا، فحمل الشیخ محمد عبده لواء الإصلاح الثقافی، فإن الواجب الأول علی المصلح فی رأیه تثقیف الشعب و تهذیبه، ثم الاستقلال یکون الخاتمة. و قد رفع العلم الآخر و هو العلم السیاسی لمناهضة الحکم الأجنبی عبد الله ندیم، ثم مصطفی کامل و فرید، ثم سعد زغلول. و کذلک کان فی غیر مصر من أقطار الشرق من حملوا لواء الإصلاحین و ساروا علی هداه و لکن فی بطء لا یعجبه فقد کان طموحا إلی مقصده، شجاعا مقداما لا یهاب الموت، حدید المزاج، لا یرید الحق إلا من طریق الحق، یریده غایة و یریده وسیلة، و لکن سیاسة الدنیا غیر ذلک تقوم علی المصالحة، و أخذ شیء بترک شیء، و من أراد الحق کاملا- فلیطلب ذلک فی المثل الأعلی للخلق لا فی السیاسة أو فلینتظر حتی تخضع السیادة للخلق و لن یکون.

-۴-

و یقول. فی إهمال العلوم الریاضیة و الفلسفیة فی الأزهر- الأستاذ مصطفی بیرم من رسالة له عن الأزهر قدمها لمؤتمر علماء اللغات الشرقیة المنعقد بمدینة همبورج بالمانیا عام ۱۹۰۲: إن تلک العلوم الریاضیة و الجغرافیة و العقلیة و الفلسفیة مهجورة من الأزهر ینظر إلیها بعین السخط، و یفر من سماعها فرار الصحیح من الأجرب، و لکن بفضل اللّه و کرمه لم یطل الأمر علی ذلک کثیرا، حتی قیض اللّه لنا علماءنا الأعلام من ثنیه لأسباب تأخرنا العلمی، و أخذوا فی السعی لإعادة تدریس تلک العلوم

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۲۰

النافعة المقوية للملكة الذهنية، و لخشية المفاجأة بإعادة تدريسها للجامع بعد ما رسخ فى أذهان الكثير من أن بها ما يعدوا على الدين، رأى ولاة الأمور أن يمهدوا السبيل لادخالها فى الجامع الأزهر بأخذ آراء أفاضل العلماء الأزهريين، فكلفوا والدى المرحوم السيد محمد بيرم بهاته المهمة العلمية، و بعد أخذ و عطاء بينه و بين المرحومين: العلامة الشيخ محمد الأنبابى شيخ الإسلام بمصر و شيخ الجامع الأزهر، و الشيخ محمد البنا مفتى الديار المصرية فى ذلك العهد، استقر الرأى أن يكتب لهما استفتاء صورته، بعد الديباجة: «ما قولكم رضى اللّه عنكم؟ هل يجوز تعلم المسلمين للعلوم الرياضية؟ مثل الهندسة و الحساب و الهيئة و الطبيعيات و تركيب الأجزاء المعبر عنها بالكيمياء، و غيرها من سائر المعارف، لا سيما ما ينبنى عليه منها من زيادة القوة فى الأمة، بما تجارى به الأمم المعاصرين لها فى كل ما يشمله الأمر بالاستعداد بل هل يجب بعض تلك العلوم على طائفة من الأمة؟ بمعنى أن يكون واجبا وجوبا كفائيا على نحو التفصيل الذى ذكره فيها الإمام حجة الإسلام الغزالى فى إحياء العلوم، و نقله علماء الحنفية أيضا و أقروه، و إذا كان الحكم فيها كذلك، فهل يجوز قراءتها مثل ما تجوز قراءة العلوم الآلية من نحو و غيره الرائجة الآن بالجامع الأزهر و جامع الزيتونة و القرويين؟ أفيدوا الجواب، لا زلتم مقصدا لأولى الألباب: فأجابه العلامة الشيخ محمد الأنبابى بالفتوى الآتية بعد الديباجة: يجوز تعلم العلوم الرياضية مثل الحساب و الهندسة و الجغرافيا، لأنه لا تعرض فيها شيء من الأمور الدينية، بل يجب منها ما تتوقف عليه مصلحة دينية أو دنيوية وجوبا كفائيا، كما يجب علم الطب لذلك «كما أفاده الغزالى فى مواضع من الإحياء، و إن ما زاد على الواجب من تلك العلوم مما يحصل به زيادة التمكن فى القدر الواجب فتعلمه فضيلة، و لا يدخل فى علم الهيئة الباحث عن أشكال الأفلاك و الكواكب و غيرها علم التنجيم المسمى بعلم أحكام النجوم و هو الباحث عن الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية، فإنه حرام كما

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۲۱

قال الغزالى، و علل ذلك بما محصله أنه يخشى من ممارسته نسبة التأثير للكواكب، و التعرض للإخبار بالمغيبات، مع كون الناظر قد يخطىء لخفاء بعض الشروط، و أما الطبيعيات و هى الباحثة عن صفات الأجسام و خواصها و كيفية استحالتها و تغييرها- كما فى الإحياء فى الباب الثانى من كتاب العلم- فإن كان ذلك البحث على طريق أهل الشرع فلا منع منها، كما أفاده العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى فى جزء الفتاوى الجامع للمسائل المنتشرة بل لها حينئذ أهمية بحسب أهمية ثمرتها، كالوقوف على خواص المعدن و النبات المحصل للتمكن فى علم الطب، و كمعرفة عمل الآلات النافعة فى مصلحة العباد، و إن كان على طريقة الفلاسفة فالاشتغال بها حرام، لأنه يؤدى للوقوع فى العقائد المخالفة للشرع، كما أفاده العلامة المذكور، نعم يظهر تجويزه لكامل القريحة الممارس للكتاب و السنة، للأمن عليه مما ذكرنا، قياسا على المنطق المختلط بالفلسفة، على ما هو المعتمد فيه من أقوال ثلاثة، ثانيها الجواز مطلقا، و نسبه الملوى فى شرح السلم للجمهور، و ثالثها المنع مطلقا، و نسبه صاحب السلم لابن الصلاح و النووى، قال الملوى: و وافقهما على ذلك كثيرا من العلماء.

و لما كان الإمام النووى ممن يقول فى المنطق بالمنع مطلقا مشى على نظير ذلك فى الطبيعة، فعد فى كتاب السير من الروضة من العلوم المحرمة علوم الطبيعيات بدون أن يفصل، لكن حيث يعتمد التفصيل هناك فلنعتمده هنا، إذ لا فرق فى ذلك، فإن مظنة الضرر و النفع موجودة فى كل منهما، و الظاهر أن موضوع كلام الروضة ما كان على طريقة الفلاسفة، إذ غيره لا محظور فيه اتفاقا كالمنطق الخالص، كما يشعر بذلك تعبيرها بعلوم الطبائعيين دون علوم الطبيعة. و أما علم تركيب الأجزاء المعبر عنه بالكيمياء فإن كان المراد به البحث عن التركيب و التحليل بدون تعرض لما يخشى منه على العقيدة الإسلامية. فلا بأس به، بل له أهمية حسب ثمرته، و إلا جرت فيه الأقوال الثلاثة المتقدمة، و أما العلم المعروف بعلم جابر، و يسمى أيضا الأزهر فى ألف عام ؛ ج۳ ؛ ص۱۲۲

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۲۲

علم الصنعة و علم الكاف، و هو الذى ينصرف إليه علم الكيمياء عند غالب الناس، فقد أفاد العلامة ابن حجر فى شرحه على المنهاج أنه إن قلنا بالمعتمد من جواز انقلاب الجسم عن حقيقته و كان العلم الموصل لذلك يقينا جاز تعلمه و العمل به، و إلا حرم، و لفقد

هذا الشرط لم يتحصل المشتغلون به فيما رأينا إلا على ضياع الأموال، و تشتت البال، و تغيير الأحوال- فعلم أن العلوم الرياضية لا بأس من قراءتها كما تقرأ علوم الآلات. و كذا الطبيعيات و علم تركيب الأجزاء، حيث كانت تقرأ على طريقة لا يفهم منها منابذة الشرع بحال، كبقية العلوم العقلية مثل المنطق و الكلام و الجدل، بل يجب كفاية من هذه الثلاثة ما يحتاج إليه فى الحجاج عن العقائد الدينية.

و كتب الشيخ محمد البنا مفتى الديار المصرية فى ذلك لعهد هذه الفتوى: «ما أفاده حضرة شيخ الإسلام موافق لمذهبنا، و ما استظهروه من أن الخلاف الجارى فى علم المنطق يجرى فى علم الطبيعة أيضا وجيه.

و اللّه سبحانه و تعالى أعلم». و كانت فتوى الشيخ الأنبابى فى غرة ذى الحجة سنة ۱۳۰۵ ه، و كانت فتوى الشيخ البنا فى ۱۷ من هذا الشهر .

-۵-

كانت العلوم و الكتب التى تدرس بالأزهر فى القرن التاسع عشر و أول القرن العشرين كما جاء بيانها فى رسالة مقدمة من شيخ الأزهر إلى الخديو فى سنة ۱۳۱۰ ه، هى كما اشتملت عليه هذه الرسالة :

۱- علم التوحيد، و الكتب التى تدرس فيه هى أم البراهين الصغرى للشيخ محمد يوسف السنوسى بشرح المؤلف و الهدهدى و الباجورى، و أم

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۲۳

البراهين الكبرى للسنوسى، و جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم اللقانى بشرح عبد السلام اللقانى، و العقائد النسفية بشرح السعد التفتازانى، و الخريدة للشيخ أحمد الدردير، و المقاصد لسعد الدين التفتازانى، و المواقف للشيخ عبد الرحمن العضد بشرح الجرجانى، و طوالع الأنوار للبيضاوى بشرح الأصفهانى، و متن السباعى بشرح الباجورى.

۲- التصوف، و الكتب التى تدرس فيه هى الإبريز للشيخ عبد العزيز، و الأنوار القدسية للشيخ عبد الوهاب الشعرانى، و بستان العارفين للشيخ نصر السمرقندى، و تاج العروس لابن عطاء الله السكندرى، و التجليات الإلهية للشيخ محى الدين بن عربى، و تحفة الإخوان للشيخ الدردير، و تفليس إبليس لعز الدين بن عبد السلام، و تنبيه الغافلين للشيخ نصر السمرقندى، و التنوير فى إسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندرى، و الإحياء للغزالى، و قوت القلوب لأبى طالب المكى، و المنن الكبرى للشيخ الشعرانى.

۳- التفسير، و الكتب التى تدرس فيه هى الكشاف للزمخشرى.

و تفسير الجلالين بحاشية الشيخ الجمل، و تفسير الخطيب الشربينى، و تفسير عبد الله بن عمر البيضاوى، و تفسير أبى السعود، و تفسير الفخر الرازى، و تفسير الخازن، و تفسير النسفى، و الاتقان للسيوطى.

۴- التجويد و القراءات، و الكتب التى تدرس فيه هى تحفة الأطفال للشيخ سليمان الجنزورى، و الجزرية للشيخ الجزرى، و التمهيد له أيضا، و جهد المقل للشيخ على زاده، و إرشاد الرحمن للشيخ عطية الأجهورى، و الشاطبية للشاطبى، و الوقف و الابتداء للشيخ الأشمونى.

۵- الحديث، و الكتب التى تدرس فيه هى صحيح البخارى بشرح و العسقلانى و العينى و زكريا الأنصارى، و مختصر البخارى للشيخ ابن أبى حمزة، و صحيح مسلم بشرح النووى، و الشفاء للقاضى عياض

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۲۴

بشرح الخزرجى و منلا على قارى، و موطأ الإمام مالك بشرح الزرقانى و ابن عبد البر، و الجامع الصغير للسيوطى بشرح العزيزى و المناوى و الأبيارى، و الأذكار للنووى بشرح ابن علان، و التجريد للزبيدى، و الشمائل المحمدية للترمذى بشرح الجمل، و الترغيب و

الترهیب للمنذری، و الأربعین للنووی، و صحیح الترمذی، و صحیح النسائی، و صحیح الأشعث و صحیح ابن ماجه، و المواهب اللدنیة للقسطلانی، و السیرة الحلبیة للحلبی.

۶- مصطلح الحدیث، و الکتب التی تدرس فیه هی ألفیة الحافظ العراقی بشرح شیخ الإسلام العدوی. و تقریب النووی بشرح الجلال السیوطی، و النخبة لابن حجر العسقلانی، و البیقونیة للشیخ عمر البیقونی بشرح الزرقانی و منظومة الصبان.

۷- فقه الحنفیة، و الکتب التی تدرس فیه هی نور الإیضاح بشرح الشرنبلالی، و الکنز للنسفی بشرح الطائی و ابن نجیم و الزیلعی و العینی و مثلا، و تنویر الأبصار للتمرتاش بشرح الحصفکی، و البدایة للمرغینانی، و الهدایة، و الغایة، و فتح القدیر، و الأشباه و النظائر لابن نجیم، و الخراج للإمام أبی یوسف، و ملتقی الأبحر للحلبی بشرح الحصفکی، و مجمع البحرین لابن الساعاتی، و متن القدوری للبغدادی، و جامع الفصولین، و السراجیة للسجاوندی.

۸- فقه المالکیة، و الکتب التی تدرس فیه هی العشماویة للشیخ العشماوی بشرح ابن ترکی، و العزیة لأبی الحسن علی الشاذلی بشرح الزرقانی، و رسالة ابن أبی زید القیروانی بشرح الحسن الصعیدی، و أقرب المسالک للدردیر، و مختصر خلیل بشرح الدردیر و الخرسی و الزرقانی و الحطاب و الشبراخیتی، و المجموع للشیخ الأمیر، و العاصمیة، و التبصرة لابن فرحون، و القلصاوی للقرسی.

۹- فقه الشافعیة، و الکتب التی تدرس فیه هی التقریب لأبی شجاع

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۲۵

بشرح ابن قاسم و الخطیب الشربینی، و الأشباه و النظائر للسیوطی، و التحریر للشیخ زکریا الأنصاری، و منهج الطلاب له أیضا، و الروض لابن المقری، و منهاج الطالبین للنووی، و العباب لابن المدحجی، و نهج الطلاب للجوهری، و البهجة لابن الوردی، و الوجیز للغزالی، و الروض للنووی، و الإرشاد لابن المقری، و کشف النقاب للونائی، و فتاوی ابن حجر، و فتاوی الرملی، و الرحبیة، و الترتیب للماردینی، و کشف الغوامض للسبط، و ألفیة ابن الهائم.

۱۰- فقیه الحنبلیة، و الکتب الذی تدرس فیه هی الدلیل للشیخ مرعی، و زاد المستقنع للبهوتی، و المنتهی للفتوحی، و الإقناع للحجاوی، و المقنع لابن قدامة، و مختصر المقنع للحجاوی، و الإنصاف للمرداوی، و مختصر الشطی.

۱۱- أصول الفقه، و الکتب التی تدرس فیه هی جمع الجوامع للسبکی بشرح المحلی، و مختصر ابن الحاجب بشرح العضد. و منار الأنوار للنسفی بشرح بن مالک و الحصفکی و ابن نجیم، و التنقیح لصدر الشریعة، و تنقیح الفصول للقرافی، و الورقات لإمام الحرمین بشرح المحلی و ابن القاسم، و الورقات للحطاب، و التحریر للکمال ابن الهمام، و فصول البدائع، و المرآة.

۱۲- اللغة، و الکتب التی تدرس فیها هی القاموس للفیروزبادی بشرح السید مرتضی، و الصحاح للجوهری، و مختار الصحاح للرازی، و المصباح المنیر للفیومی، و فقه اللغة للثعالبی، و الأساس للزمخشری، و المزهر للسیوطی، و لسان العرب للأنصاری.

۱۳- النحو، و الکتب التی تدرس فیه هی الأجرومیة للصنهاجی بشرح الکفراوی. و الشیخ خالد، و الأزهریة و شرحها للشیخ خالد، و قطر الندی لابن هشام، و شذور الذهب له أیضا، و ألفیة ابن مالک بشرح ابن عقیل

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۲۶

و الأشمونی، و مغنی اللبیب لابن هشام، و الکافیة لابن الحاجب، و التسهیل لابن مالک.

۱۴- الصرف، و الکتب التی تدرس فیه هی المراح لأحمد بن علی بن مسعود، الشافیة لابن الحاجب بشرح شیخ الإسلام و الرضی، و التصریف للغزی بشرح السعد التفتازانی، و الترصیف للأخضری، و نظم العقود للطحاوی بشرح الشیخ علیش، و لامیة الأفعال لابن مالک، و رسالة الجوهری فی الإشتقاق.

۱۵- علوم البلاغة، و الکتب التی تدرس فیها هی التلخیص للخطیب القزوینی بشرح السعد، و المفتاح للسکاکی بشرح السعد و السید، و الجوهر المکنون للأخضری بشرح الدمنهوری، و عقود الجمان و شرحه للسیوطی، و منظومة ابن الشحنة، و الرسالة البیانیة للصبان، و

السمرقندیة.

۱۶- العروض و القوافی، و الکتب التی تدرس فیه هی الکافی للقنائی، و الخزرجیة و منظومة الصبان.

۱۷- الوضع و الکتب التی تدرس فیه هی: الرسالة العضدیة بشرح السمرقندی، و عنقود الزواهر.

۱۸- المنطق و الکتب التی تدرس فیه هی السلم للأخضری بشرح المؤلف و القویسنی و الملوی و الباجوری، و إیساغوجی للأبهری بشرح الشیخ زکریا الأنصاری، و التهذیب للسعد التفتازانی بشرح الخبیصی، و الشمسیة للکاتبی بشرح القطب الرازی و المختصر للسنوسی، و المطالع للأرموی بشرح الرازی.

۱۹- أدب البحث و المناظرة، و الکتب التی تدرس فیه هی آداب الکلنبوی بشرح حسن باشازاده، و آداب السمرقندی بشرح الشیروانی و شیخ الإسلام، و آداب الساجقلی للمرعشی، و آداب الجرجانی.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۲۷

۲۰- التاریخ و الکتب الذی تدرس فیه هی تاریخ الخمیس للقاضی حسین الدیار بکری، و إسعاف الراغبین للصبان، و مقدمة ابن خلدون، و تاریخه العبر و دیوان المبتدأ و الخبر، و الکامل لابن الأثیر، و الخطط للمقریزی، و نفح الطیب للمقری، و تحفة الناظرین للشرقاوی، و العقد الفرید لابن عبد ربه، و الطبقات الصغری لابن السبکی، و طبقات الشعرانی، و لواقح الأنوار له أیضا، و خلاصة الأثر للحلبی، و أخبار الأول للإسحاقی.

۲۱- الحساب و الجبر، و الکتب التی تدرس فیهما هی الوسیلة لابن الهائم، و التحفة السنیة للسبط، و السخاویة للسخاوی، و الیاسمینیة لابن الهائم، و منظومة فی الحساب للأخضری، و نزهة النظار لابن الهائم، و الدرة البیضاء للأخضری، و الخلاصة للعاملی، و التخلیص للدمیاطی، و اللمعة لابن الهائم.

۲۲- المیقات و الهیئة، و الکتب التی تدرس فیهما هی دقائق الحقائق للسبط، و خلاصة المختصرات لابن عائشة، و رسالة فی العمل بالربع للجبرتی، و المقدمة لمحمد المجدی، و تحفة الإخوان لابن قاسم، و الوضع علی الجهات للمالکی الأندلسی، و هدایة الحائر للسبط، و رسالة الوقت و القبلة للقلیوبی، و رسالة فی معرفة التواریخ لابن مهدی، و دستور علم المیقات لرضوان أفندی، و زاد المسافرین لأحمد بن المجدی، و تسهیل الدقائق لخلیل الفرازی، و رسالة المنحرفات له أیضا، و التذکرة للطوسی، و المطلع السعید لحسین زائد.

۲۳- الحکمة، و الکتب التی تدرس فیها هی الإشارات لابن سینا، و الهدایة لأثیر الدین الأبهری، و حکمة العین للکاتبی، و مقولات السجاعی، و مقولات البلیدی، و مقولات المرصفی، و غالیة النشر لعبد الجواد القبانی.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۲۸

۲۴- الرسم و الکتب التی تدرس فیه هی منظومة فی الرسم العثمانی رسم مصحف عثمان- و منظومة فی الرسم القیاسی.

من صحائف الذکری

فی سنة ۱۲۸۰ ه - ۱۸۶۳ م، أراد السلطان عبد العزیز أن یزور الدیار المصریة، و کان هذا فی عهد إسماعیل باشا خدیوی مصر، فلما وصل إلی القاهرة اختار إسماعیل باشا أربعة من علماء الأزهر، لیذهبوا إلی تهنئة نیابة عن إخوانهم، و هم السید مصطفی العروسی شیخ الجامع الأزهر، و الشیخ السقا، و الشیخ علیش، و الشیخ حسن العدوی، و کان لمقابلة سلاطین آل عثمان آداب لا یعرفها علماء الأزهر فطلب إسماعیل باشا من قاضی قضاة مصر- و کان یختار من علماء دولة آل عثمان- أن یعلمهم آداب المثول بین یدی السلطان، فذکر لهم أن المقابلة ستکون فی حجرة یقف السلطان فی صدرها علی منصة مرتفعة، و أنه یجب إذا ما وصلوا إلی باب الحجرة و وقعت أعینهم علی السلطان أن ینحنوا انحناء عظیما، ثم یلقوا علیه السلام، ثم یکرروا الانحناء و التسلیم إلی أن یرد السلطان

علیهم تحیتهم، فینحنوا و یسلموا مرة أخری، و یرجعوا متقهقرین إلی الوراء إلی أن یصلوا إلی باب الحجرة، فینحنوا مرة أخری، ثم ینصرفوا إلی خارج الحجرة. و قد وقعت هذه الآداب من العلماء الأربعة موقع الاستغراب، فقال لهم قاضی القضاة: إن هذا لا بد منه، فقالوا قد فهمنا. ثم ذهبوا إلی مقابلة السلطان، فدخل الشیخ العروسی أولا، و أدی المقابلة بالشکل الذی ذکره قاضی القضاة، ثم أداها مثله الشیخ السقا و الشیخ علیش، و کان الخدیوی إسماعیل واقفا وراء السلطان و عینه ترقب حرکاتهم، فسر لإتقانهم آداب المقابلة، و ظهورهم بهذا المظهر الذی کان موقع استغراب منهم، ثم دخل بعدهم الشیخ العدوی و کان عالما شجاعا لا یخشی إلا اللّه، و لا یقیم

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۲۹

وزنا لعظمة سواه، فانحنی انحناءة خفیفة عند الباب، ثم أقبل نحو السلطان منتصب القامة، و لم یکرر الانحناء أمامه، فخفق قلب إسماعیل باشا لما فعل، و لا سیما حین رآه یجاوز الحاجز و یصل إلی السلطان، ثم یقول له:

السلام علیک یا أمیر المؤمنین و رحمة اللّه. فیبتسم السلطان له و یرد علیه تحیته، و ینحنی له انحناء خفیفا، فیکلمه الشیخ العدوی فیما یجب علی السلطان لرعیته، و یبین له عظم المسئولیة الملقاة علی عاتقه، و أن ثوابه عند اللّه سیکون بقدر تلک المسؤولیة و حسن قیامه بها، و أن عقابه عنده سیکون بقدر تقصیره فیها. فلما رأی ذلک إسماعیل باشا إصفر لونه، و أخذ یتوقع غضب السلطان علیه لهذه المقابلة، و لکن وجد السلطان لم یبد علیه أی أثر للغضب، بل وجده مرتاحا للکلام الذی سمعه. و قد خرج الشیخ العدوی بعد أن انتهی من موعظته، و لم یخرج بظهره کما خرج غیره، بل ولی وجهه نحو الباب و خرج، فوجد العلماء الثلاثة ینتظرونه أمام الباب فأخبرهم بما فعل مع السلطان، فأخذوا یلومونه علی ما فعل، و یخوفونه عاقبة هذا الأمر: فقال لهم: أما أنا فقد قابلت أمیر المؤمنین، و أما أنتم فکأنکم قابلتم صنما، و کأنکم عبدتم وثنا، و لما انصرف الشیخ العدوی سأل السلطان عبد العزیز إسماعیل باشا عنه، فقال له: هذا شیخ من أفاضل العلماء، و لکنه مجذوب، و أستمیح جلالتکم عفوا عن سقطته، فقال له السلطان: کلا، بل إنی لم أنشرح لمقابلة أحد انشراحی لمقابلته.

ثم أمر له بخلعة سنیة، و ألف جنیه.

شعلة لا تنطفیء

لما استولی صلاح الدین علی مصر، و أبطل منها مذهب الشیعة الفاطمیة أبطل الخطبة فی الجامع الأزهر، و أقرها بالجامع الحاکمی لسعته و بقی الأزهر معطلا من إقامة الجمعة فیه زمن الدولة الأیوبیة، و بعضا من عصر الممالیک البحریة- أی نحو مائة سنة- و أهمل أمره مدة تعطیل الجمعة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۳۰

فیه، و أنشئت مدارس أخری لتدریس فقه الشافعیة و التفسیر و الحدیث و غیرها.

و لما ولی ملک مصر الظاهر بیبرس البندقداری کان من أمراء دولته الأمیر عز الدین أیدمر الحلی، و کانت داره بالقرب من الأزهر، فرعی فیه حرمة الجوار، و استعان بماله و جاهه عند السلطان فی عمارته، فجمع بعض ما بددته أیدی الفاطمیین من أوقافه، و أمده السلطان بالمساعدة، فعمر الواهی من أرکانه، و رفع سقوفه، و بلطه، و فرشه، و أثر فیه آثارا حسنة، حتی عاد حرما آمنا فی وسط المدینة. و أنشأ بیلبک الخازندار مقصورة کبیرة رتب فیها جماعة من الفقهاء، و محدثا یتلو الحدیث النبوی و یلقی المواعظ و مقرئین للقرآن، و وقف علی ذلک الغلات الدارة.

و لما کانت الدراسة معطلة فی الأزهر من بدء الدولة الأیوبیة فقد أرید إعادة الخطبة فیه، فامتنع قاضی القضاة تاج الدین ابن بنت الأعز من إقامة خطبتین للجمعة، فیه و فی الجامع الحاکمی، وفقا لمذهبه، و هو مذهب الإمام الشافعی. فولی السلطان قاضیا حنفیا فأذن فی إعادتها، و أخذ بذلک خطوط العلماء. و أعیدت إقامة الجمعة فیه باحتفال عظیم حضره أکابر الدولة، و عاد مسجدا جامعا، و مدرسة

عظیمة. و کان هذا الإذن أساسا اعتمد علیه سلاطین المماليک و کبراؤهم فی صحة بناء مساجد جامعة کثیرة فی القاهرة و غیرها. و عظمت عنایة المماليک بالأزهر فجددوه مرارا، و رفعوا حواليه المنارات السامیة، و أضافوا إليه بضع عشرة مدرسة، حبست علیها الحبوس الجلیلة، و فتحوا أبوابه للعلم، و أجروا علی قاصدیه الجرایات من الطعام و الحلوی، فقصده الطلاب و العباد من أقاصی البلاد. و بلغ عدد طالبی العلم به سنة ۸۱۸ ه نحو سبعمائة و خمسین طالبا من مصریین و مغاربة و أعاجم، و هم عدد عظیم بالإضافة إلی ما کان ینافسه فی الشهرة و ینازعه هذه المکرمة، نحو مائة مدرسة و جامع أنشأها سلاطین المماليک

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۳۱

و أمراؤهم، و وقفوا علیها أضعاف ما وقف علی الأزهر.

و کانت الدراسة فیه مقصورة أول الأمر علی علوم اللغة و الدین، ثم أدخلت فیه بعض علوم الریاضة و النجوم و الطبیعة، و لکنها لم تعش طویلا، و عادت الدراسة فیه سیرتها الأولی. و ظل کذلک تتوالی علیه أحوال عسر و یسر، إلی أن نهض المصلحون لأخذ طلابه بقسط من علوم الحیاة:

کالتاریخ، و تقویم البلدان، و العلوم الریاضیة، فلقوا شیئا من المعارضة.

علی أن الأزهریین لم یلبثوا أن اطمأنوا إلی هذه العلوم، و أقبلوا جاهدین علی دراستها طالبین المزید منها، و الإصلاح فی جمیع أنواع التعلیم بمعهدهم الجلیل فعولج الإصلاح بعدة مشروعات، و تم لهم ما أرادوا و سن للأزهر قانون جعل التعلیم فیه علی ثلاث مراحل: هی مراحل التعلیم الابتدائی ثم الثانوی، ثم العالی، و أنشیء للمرحلة الأخیرة ثلاث کلیات، بکل منها أقسام للتخصص. و اقتضی النظام الجدید أن یختص کل مدرس بنوع من العلم لطائفة من الطلاب محدودة العدد من طبقة واحدة، فضاق نطاق الأزهر عن فرق الدراسة، فوزعت علی کثیر من الأمکنة. و ألحق بالأزهر فی نظامه و إدارته العلیا کثیر من المعاهد العلمیة، کمعهد الأسکندریة، و الجامع الأحمدی، و الجامع الدسوقی، و معهد دمیاط، و معهد أسیوط، و معهد شبین الکوم، و معهد الزقازیق.

و للأزهر الفضل الذی لا یجحد فی حفظ علوم الدین و اللغة فی تلک الحقبة الطویلة، التی ابتلیت فیها مصر بالفقر و الجهل و سائر ألوان الفساد.

و کان ملاذ القاصدین من أبناء اللغة العربیة، و غیاث المتعطشین لورود مناهلها من سائر الممالک الإسلامیة، و مصباحا ینبعث منه نور الهدایة إلی جمیع أنحاء العالم الإسلامی، و له عظیم الأثر فی النهضة الحدیثة، إذ کان الملجأ الذی لجأ إلیه محمد علی فی نهضته، فاختار من بین طلابه بعوثه الی البلاد الأوروبیة للتوسع فی العلوم و الفنون، فعادوا و کانوا أئمة المصلحین. و استعان بعلمائه فی القیام بکثیر من شئون مملکته، کتعلیم

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۳۲

اللغة و الدین بالمدارس التی أنشأها، و الإشراف علی طبع الکتب و تصحیحها، و تحریر الوقائع المصریة، و المشارکة فی وضع مصطلحات العلوم المترجمة. و من الأزهر استمدت مدرسة القضاء الشرعی و دار العلوم طلابها، و تخرج من المدرسة الأولی طائفة من رجال الشریعة، نهضوا بأعباء القضاء فی المحاکم الشرعیة، و أعمالها الکتابیة، کما تخرج من الثانیة کثیر من مدرسی المدارس المصریة فی العصر الحدیث، و إلی الأزهر یرجع الفضل فی توسیع نطاق التعلیم. فقد أمد مدارس المعلمین الأولیة بما تحتاج إلیه من التلامیذ، و ساعد المدارس الحکومیة و الأهلیة برجاله، و عمل طلابه علی إزالة الأمیة، و نشر الثقافة العامة فی قری القطر المختلفة لإنبثائهم بها، و إقامتهم فیها، و به أصبحت مصر مرکز الثقافة العربیة، و المثابة الأخیرة لعلوم الدین و اللغة.

علماء من الأزهر القدیم و الحدیث

لیس فی وسعی فی هذا الکتاب إحصاء جمیع العلماء الذین تخرجوا من الأزهر أو درسوا فیه أو تولوا مناصبه الدینیة و العلمیة الکبری، فذلک شیء لا یمکن أن یحیط به باحث.

و قد ذکرت فی فصول الکتاب أشهر الأعلام فی الأزهر، خلال عصور التاریخ المختلفة، و نذکر الآن أسماء عدیدة، بعضهم ممن سبق ذکرهم، و لکن هنا تحقیق دقیق لتاریخ میلادهم و وفاتهم، و من الأعلام الأزهریین:

۱- الشیخ محمد بن عمر الخفاجی المصری المتوفی عام ۱۰۱۹ ه، و هو والد الشهاب الخفاجی، و کان من جلة العلماء و له آثار علمیة کبیرة .

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۳۳

۲- الشهاب الخفاجی المصری (۹۷۵- ۱۰۶۹ ه ۱۶۵۸ م) و کان من جلة العلماء و المؤلفین، و تولی ریاسة القضاء فی مصر، و رحل إلی الحرمین و الشام و القسطنطینیة، و من مؤلفاته: الریحانة، و طراز المجالس، و شفاء الغلیل و شرح درة الغواص، و حاشیة علی الشفاء، و حاشیته المشهورة علی البیضاوی، و سواها، کما أن له کثیرا من الکتب المخطوطة .

و الشهاب اسمه أحمد بن محمد شهاب الدین الخفاجی المصری، و قد ولد بسریاقوس و تلقی دروسه بالقاهرة ثم رحل مع أبیه إلی الحرمین، ثم الآستانة، و عین قاضیا علی الروملی فی سلانیک، و عینه السلطان مراد قاضیا للعسکر بمصر، ثم استقال و سافر إلی دمشق فحلب فالآستانة، و توفی سنة ۱۰۶۹ ه. و کان أدیب عصره، عالما باللغة و علومها، کاتبا شاعرا مؤلفا. و من شعره قوله:

إن وجدی بمصر وجد مقیمو حنینی کما ترون حنینی

لم یزل فی خیالی النیل حتی‌زاد عن فکرتی ففاضت عیونی

و قوله:

فدیتک یا من بالشجاعة یرتدیو لیس لغیر السمر فی الحرب یغرس

فإن عشق الناس المها و عیونهامن الدل فی روض المحاسن تنعس

فدرعک قد ضمتک ضمة عاشقو صارت جمیعا أعینا لک تحرس

و قوله مضمنا:

یا صاح إن وافیت روضة نرجس‌إیاک فیها المشی فهو محرم

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۳۴ حاکت عیون معذبی بذبولها(و لأجل عین ألف عین تکرم)

و قال یتغزل و یتطرق إلی مدح محمد بن القاسم الحلبی:

حتام یغزونی صدودهو الصبر قد کثرت جنوده

لم أدر: فاتر جفنهو الخصر، أسقم أم عهوده

نشوان یعبث بی کماعبثت بآمالی و عوده

لو لا میاه الحسن جالت فیه لاحترقت خدوده

کالصب لو لا دمعه‌یهمی لأحرقه وقوده

یخفی الهوی و عیونه‌بغرامه المضنی شهوده

فسقی ریاض الحسن من‌دمعی حیا یهمی مدیده

زمن یجید اللهو قدنظمت علی نسق عقوده

إذ دوح أنسی یانع‌بکئوسنا انفتحت وروده

و الکأس نجم لاح فی‌فلک المسرة لی سعوده

یصفو فیحلو ذکر منقد زین الدنیا وجوده

ذاک ابن قاسم الذیما زال فی تعب حسوده

۳- الشیخ محمد الأمیر الکبیر (۱۱۵۴- ۱۲۳۲ ه- ۱۷۴۱- ۱۸۱۷ م)، و قد تولی مشیخة السادة المالکیة فی الأزهر.

۴- الشیخ محمد بن عرفة الدسوقی صاحب حاشیة البلاغة المشهورة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۳۵

علی شرح التلخیص و توفی سنة ۱۲۳۰ ه.

۵- الشیخ عبد الله الشرقاوی (۱۱۵۰- ۲ شوال سنة ۱۲۲۷ ه- ۱۷۳۷- ۱۸۱۲ م) و قد تولی مشیخة الأزهر الشریف.

۶- الشیخ مصطفی بن أحمد الصاوی من الأزهریین الذین اشتهر ذکرهم أیام غزو نابلیون لمصر و کان من أدباء الأزهریین .

۷- الشیخ محمد الخالدی المعروف بابن الجوهری قرأ الدروس فی الأزهر و طار صیته، و توفی فی ۴۱۱+ ۵ ۱۲۱۵ ه- ۱۸۰۱ م.

۸- الشیخ حسن العطار (۱۱۸۰- ۲ ذی القعدة ۱۲۵۰ ه- ۱۷۶۶- ۱۸۳۵ م).

۹- الشیخ حسن قویدر (۱۲۰۴- ۱۲۶۲ ه- ۱۷۸۵- ۱۸۴۶ م).

۱۰- الشیخ شهاب الدین الشاعر المصری (۱۲۱۸- ۱۲۷۴ ه- ۱۸۰۳- ۱۸۵۷ م) و قد درس فی الأزهر.

۱۱- الشیخ إبراهیم البیجوری شیخ الإسلام (۱۱۹۸- ۱۲۷۷ ه- ۱۷۸۴- ۱۸۶۰)، و قد ولد بمدیریة المنوفیة و طلب العلم فی الأزهر.

و اشتهر بالنبوغ بین طلابه، و ألف کتبا عدیدة، و تولی التدریس فی الأزهر، و طار صیته، و ذاعت شهرته، و له کتب مشهورة فی الفقه الشافعی.

۱۲- الشیخ رفاعة الطهطاوی و قد درس فی الأزهر، و سافر فی بعثة أرسلها محمد علی إلی فرنسا، و عاد منها و تولی کبریات المناصب فی الدولة (۱۲۱۶- ۱۲۹۰ ه- ۱۸۰۱- ۱۸۷۳ م).

۱۳- الشیخ محمد الأنبابی شیخ الأزهر (۱۲۴۰- ۱۳۱۳ ه- ۱۸۲۴- ۱۸۹۶ م).

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۳۶

۱۴- الشیخ علیش أحد مشایخ السادة المالکیة (۱۲۳۷- ۱۲۱۹ ه- ۱۸۰۲- ۱۸۸۲).

۱۵- الشیخ حسین بن أحمد المرصفی المتوفی سنة ۱۳۰۷ ه- ۱۸۸۹ م.

و هو العلامة اللغوی الأدیب المحقق الشیخ حسین بن أحمد المرصفی. ولد بمصر و نشأ فیها. و بعد أن حفظ القرآن الکریم، و کان مکفوف البصر، جیء به إلی الأزهر، فأخذ العلم عن کبار شیوخه، حتی أدرک منه قدرا جلیلا، و تصدر للتدریس فیه. و کان شدید الشغف بعلوم العربیة و آدابها، فجد فی دراستها، و أطال النظر فی وجوه بلاغاتها. و لم یطمئن إلی ذلک الأدب الذی کان شائعا فی عصره. بل کان من أوائل من تفطنوا فی هذه البلاد إلی قدر الأدب القدیم. فأقبل علی کتب اعلام البلاغة السابقین، و دواوین فحول الشعراء المتقدمین. و جعل یقرأ و یحفظ و یتدبر، ما اتسع له الوقت للقراءة و الحفظ و التدبیر. کما جعل یروض قلمه علی البیان الصحیح المتین، حتی أصبح الأدیب التام الأداة. و درس الأدب فی دار العلوم للسابقین من طلابها. و کان منهم حفنی ناصف و أترابه. و أخذ عنه کبار المتأدبین فی عصره من أمثال البارودی، و عبد الله فکری، و صاحبوه و لازموه، و عرضوا علیه بیانهم فی منظومهم و منثورهم، فهذب و نقح، و هدی إلی الأجمل الأصلح. و کتب فی مجلة (روضة المدارس) فعلم الأدب علما، کما درب بالعمل و القدرة، علی صحیح البیان. و قد ألف فی البلاغة کتابا جلیلا دعاه (الوسیلة الأدبیة). فشاع الانتفاع به، و لا یزال هذا الکتاب مرجع المتأدبین إلی الیوم. و له کذلک رسالة دعاها (الکلم الثمان)، تحدث فیها عن معانی: الأمة، و الوطن، و الحکومة، و العدل، و النظام، و السیاسة، و الحریة، و التربیة.

و علی کل حال، فالشیخ حسین المرصفی، رحمه اللّه، یعد من

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۳۷

أقوی الدعائم التی قامت علیها النهضة الحدیثة فی اللغة و الأدب.

۱۶- الشیخ عبد الهادی نجا الأبیاری الأدیب الأزهری المؤلف النابه (۱۲۳۶- ۱۳۰۶ ه- ۱۸۲۱- ۱۸۸۸ م).

-۲-

و یذکر أحمد أمین هذه الأغنیة الشعبیة المصریة، و هی بعد حذف دیباجتها: «حصانی فی الخزانة، و الخزانة «عاوزة» سلم، و السلم عند النجار، و النجار عاوز مسمار، و المسمار عند الحداد، و الحداد عاوز بیضة، و البیضة فی بطن الفرخة، و الفرخة عاوزة قمحة، و القمحة عند القماح، و القماح عاوز فلوس، و الفلوس عند الصریف، و الصریف عاوز عصافیر، و العصافیر فی الجنة، و الجنة عاوزة حنا» الخ ....

و یقول عنها: إنها أغنیة لطیفة حقا، لا یزال أطفالنا إلی الآن یتغنون بها بتوقیعهم الظریف، و صوتهم الشجی، و هم إذ ینشدونها لم یدروا أنهم یتغنون بفلسفة عالیة، و فکرة سامیة، قد یلاحظ علیها أن الربط فی بعضها محکم کحاجة السلم إلی النجار و النجار إلی المسمار، و بعضها غیر محکم کحاجة الحداد إلی البیضة، و حاجة الصریف إلی العصافیر، و لکن أظن أن تحکیم المنطق الدقیق الحاد فی الأدب کالشعر و الأغانی و سار الفنون مجاوزة للحد، فالأغنیة لطیفة رغم المنطق، و من أسباب جمالها هذا النوع البدیع الذی یصح أن أسمیه «جمال الدوران» أو جمال التسلسل، مثل قولهم «لا سلطان إلا برجال، و لا رجال إلا بمال، و لا مال إلا بعمارة، و لا عمارة إلا بعدل».

و قولهم: الحجر یکسر الزجاج، و الحدید یکسر الحجر، و النار تذیب الحدید، و الماء یطفیء النار، و الریح تلعب بالماء. و الإنسان یتقی الریح.

و الخوف یغلب الإنسان. و الخمر تزیل الخوف. و النوم یغلب الخمر.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۳۸

و الموت یغلب النوم». و مثل قولهم: «العالم یعرف الجاهل لأنه کان جاهلا. و الجاهل لا یعرف العالم لأنه لم یکن عالما» الخ .. و بعد فما تاریخ هذه الأغنیة و من واضعها؟ لا بد أن یکون فیلسوفا أو حکیما بعید النظر. و مما یؤسف له أن هذه الأغانی و الأزجال و المواویل لم یعن بها عنایة الأدب الأرستقراطی. فبینا یعنی العلماء و الأدباء بنسبة بیت الشعر إلی قائله. و القصیدة إلی منشئها. و یحتدم بینهم القتال علی ذلک. إذ بنا لا نجد هذه العنایة و لا بعضها فی الأغانی و الأزجال الشعبیة. و هذا نوع مما أصاب الأدب الشعبی من الظلم. و کم أصابه من أنواع! و ها هی ذی الأغانی التی تخترع فی عصرنا نجدها علی الأفواه و نستعذبها، و تهش لها نفوسنا. و لا نکلف أنفسنا مؤنة البحث عن منشئها و لکن من حسن حظ هذه الأغنیة أو من حسن حظنا نحن، أننا نجد ظلا لتاریخها فقد ذکرها الجبرتی فی تاریخه فی حوادث سنة ۱۱۴۳ هجریة. فیکون عمرها أکثر من قرنین و ربع و ظلت الأجیال تتعاقبها إلی یومنا. و یظهر من کلام الجبرتی أن واضعها عالم کبیر جلیل من أکابر علماء الأزهر فی القرن الثانی عشر. هو الشیخ الحفناوی أو الحفنی، کان سید الأزهر فی أیامه، له حلقات الدروس الحافلة بنوابغ الطلبة، یقرأ فیها أغوص الکتب و أصعبها، کجمع الجوامع و الأشمونی و حاشیة السعد، و له التآلیف الکثیرة فی البلاغة و المیراث و الجبر و المقابلة. کما کان بیته ساحة کرم یغشاه أعیان مصر و علماؤها و أدباؤها، و یلجأ إلیه الفقراء و ذوو الحاجات و کان راتب بیته من الخبز کل یوم نحو الأردب، و طاحون بیته دائر لیل نهار، و یجتمع علی مائدته الأربعون و الخمسون و الستون، إلی هیبة و وقار، حتی یهاب العلماء سؤاله لجلاله.

و هو مع هذا کله ظریف أدیب، سمع تلمیذا له یوما یقول:

قالوا تحب المدمس؟ قلت بالزیت حارو العیش الأبیض تحبه؟ قلت و الکشکار

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۳۹

فضحک الشیخ و قال أنا لا أحبه بالزیت الحار. و إنما أحبه بالسمن ثم قال:

قالوا تحب المدمس؟ قلت بالمسلیو البیض مشوی تحبه؟ قلت و المقلی

و له المواویل الظریفة کقوله:

بحیاة یا لیل قوامک و صوم الحرتحجز لنا الفجر دا فوت الرفاقه حر

لما یجی الفجر یصبح رکبهم منجرأزداد لوعة و لا عمری بقیت أنسر

إلی غیر ذلک، فیحدث تلمیذه أن الشیخ الحفنی قال له یوما «أحدتک حدوتة بالزیت ملتوتة، حلفت ما آکلها، حتی یجی التاجر، و التاجر فوق السطوح و السطوح عاوز سلم الخ» فحکایة التلمیذ و لم یکن یسمعها من قبل و روایته لها عن شیخه، ترجع الظن أنها من عمل الشیخ الحنفی. و قد زاد الشیخ علی ذلک فشرح الأغنیة علی طریقة الصوفیة ففسر التاجر بالمرشد الکامل و المربی الواصل، و التاجر فوق السطوح فی مستوی عال. و السطوح لا- یمکن صعوده إلا- بمعراج الخ. و قد کان للشیخ جانب آخر صوفی عظیم. فالأشمونی و جمع الجوامع، و الحواشی و التقاریر کلها لم تمنع الشیخ العالم الأزهری الجلیل من أن یکون أدیبا و زجالا، یضع الأغانی و المواویل یتغنی بها الشعب. و هذا یذکرنی بما سمعت عن الأستاذ الشیخ عبد الرحمن قراعة المفتی الأسبق من أنه واضع الدور المشهور: اللّه یصون دولة حسنک».

أموال المسلمین الموقوفة علی الأزهر

رصد المسلمون علی الأزهر أوقافا کثیرة طول العصر الإسلامیة.

و لما جاء محمد علی اغتصب الکثیر من هذه الأوقاف و أهداها لأسرته- و قد کان شیخ الأزهر یشرف علی هذه الأوقاف و نظارتها، و فی العهود الأخیرة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۴۰

تولت وزارة الأوقاف المصریة النظارة علی هذه الأوقاف، و قد أنشئت وزارة الأوقاف (و کانت تسمی دیوان الأوقاف) قبل إنشاء الأزهر بأکثر من مائتین و أربعین عاما، و یرجع تاریخ إنشائه إلی عام ۱۱۸ ه، و یروی أن إنشاءه کان فی عهد هشام بن عبد الملک فقد تولی قضاء مصر توبة بن نمر فی زمن هشام بن عبد الملک، و کانت أوقاف المسلمین فی أیدی أهلها و فی أیدی أوصیائهم، فقال توبة: ما أری مرجع هذه الصدقات إلا- إلی الفقراء و المساکین، فأری أن أضع یدی علیها حفظا لها من الإلتواء و التوارث، و صنع ذلک عام ۱۱۸ ه، فکان ذلک أول إنشاء دیوان الأوقاف فی مصر و لم یمت توبة حتی صارت الأحباس دیوانا عظیما.

و فی العهد الأخیر و بعد حل الأوقاف الأهلیة صودرت جمیع أوقاف الأزهر و حول مصرفها إلی جهات خیریة، و أبعد عنها العلماء المدرسون بالأزهر، علی خلاف نصوص الواقفین و شروطهم.

بعض آراء فی الإصلاح

الأزهر جامعة دینیة کبری، یؤمه المسلمون فی مشارق الأرض و مغاربها، و هو أمانة فی یدی مصر ائتمنه علیه الشرق الإسلامی کله، و مصر مسئولة أمام اللّه و التاریخ عن هذه الجامعة العتیدة الخالدة، و عن النهوض بها و تمکینها من أداء رسالتها.

و أول خطوة للإصلاح فی رأیی هی جعل جماعة کبار العلماء ممثلة تمام التمثیل لکبار رجال الدین، و فی مقدمتهم شیوخ الکلیات و المعاهد الثانویة، و أساتذة الکلیات حرف ا، و رئیس المحکمة العلیا الشرعیة و مفتی الدیار المصریة و شیخ الطرق الصوفیة و شیخ الأزهر و وکیله، و شیوخ الأزهر السابقین، و شیوخ المذاهب الأربعة .. و تکون مهمة الجماعة ما یلی:

(۱) الافتاء فی المسائل الدینیة و الشرعیة، بتکوین لجنة من بین

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۴۱

الجماعة لهذا الغرض، یساعدها بعض الأساتذة المتخرجین من تخصص المادة و المدرسین فی کلیة الشریعة الإسلامیة و تحل هذه اللجنة محل- لجنة الفتوی الحالیة فی الأزهر.

(ب) بحث نظام الإسلام الاجتماعی و الاقتصادی بحثا کافیا .. و وضع أصول التشریعات اللازمة للحیاة الحاضرة فی مصر و العالم الإسلامی ..

و نشر البحوث المتصلة بذلک .. علی أن تقوم بذلک لجنة تختار لهذه المهمة من بین أعضاء الجماعة، و یختار لها أساتذة مساعدون من أساتذة الکلیات (حرف ب و ج).

(ج) بحث نظم التعلیم فی الأزهر، و وجوه الإصلاح فیه .. و یقوم بذلک لجنة تختار من أعضاء الجماعة، و لها أن تختار مساعدین لها من بین أعضاء هیئات التدریس فی الأزهر، أو من کبار الموظفین الإداریین فی الأزهر.

(د) الإشراف علی الجماعات الدینیة الإسلامیة فی مصر، إشراف توجیه و إصلاح، و یقوم بهذا الإشراف جماعة تختار من بین أعضاء الجماعة، یکون من بینها: شیخ الأزهر، و المفتی، و رئیس المحکمة العلیا الشرعیة.

و یقوم التعلیم فی الأزهر الآن علی تخریج عالم لا علی تخریج رجل دین. و أری أن یعالج هذا النقص علاجا سریعا بما یلی:

۱- تعمیم دراسة أحادیث و آیات قرآنیة مختارة فی جمیع مراحل الدراسة فی الابتدائی و الثانوی .. و دراسة مادة «قصص الأنبیاء» و مادة «التصوف»، و مادة «الأخلاق الإسلامیة» فی جمیع سنی الدراسة الابتدائیة و الثانویة.

و دراسة أصول الإسلام و أهدافه و مناهجه فی الإصلاح الدینی و الاجتماعی و الاقتصادی و الثقافی و السیاسی فی کلیات الأزهر.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۴۲

۲- جعل حفظ القرآن ضروریا للنجاح فی شهادات الأزهر، و احتساب عامین من مدة التعلیم الابتدائی فی الأزهر لحفظ القرآن الکریم.

۳- تنظیم طلاب البعوث الإسلامیة، و إعدادها إعدادا یلیق بمهمتها الجلیلة.

۴- تنظیم محاضرات أسبوعیة فی کل معهد أو کلیة أزهریة یلقیها الأساتذة.

۵- حسن أختیار الکتب الدراسیة فی الأزهر.

۶- جعل اختیار شیوخ الکلیات الأزهریة عن طریق انتخاب هیئات التدریس فی هذه الکلیات.

۷- العنایة بدراسة الآثار الإسلامیة و التاریخ الإسلامی دراسة کاملة صحیحة.

۸- الإکثار من بعثات الأزهر التعلیمیة إلی أوروبا، و یختار أعضاؤها للسفر فی بعثات منظمة إلی معاهد التعلیم فی أوروبا وفق الحاجة.

۹- فتح أقسام الدراسات العلیا فی کلیات الأزهر التی أغلقت أبوابها منذ عام ۱۹۴۰- إلی غیر ذلک من شتی الإصلاحات التعلیمیة، و من بین الإصلاحات الواجبة:

۱- إصلاح مجلة الأزهر.

۲- مساواة أساتذة الکلیات بأساتذة الجامعات المصریة، و مساواة أساتذة المعاهد بنظرائهم فی وزارة المعارف.

۳- إنشاء اتحاد عام لطلاب الأزهر علی غرار اتحاد طلبة الجامعة المصریة.

۴- التفکیر جدیا فی الاحتفال بالذکری الألفیة للأزهر.

۵- قیام الأزهر بنشر أصول کتب الشریعة و الحدیث و اللغة و رسائل المتخصصین من أبنائه و نشرها فی العالم الإسلامی.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۴۳

الأزهر و الذكريات القومية

يشارك الأزهر الأمـة الفرح بالأعياد القومية، و من أول هذه الأعياد عيد الجلاء، بمناسـبة توقيع الاتفاقية المصـرية الانجليزية عام ۱۹۵۴ الخاصة بجلاء الجيوش الانجليزية عن مصر.

و قـد وقعت اتفاقية الجلاء بين مصـر و انجلترا الساعة ۱۰ مساء يوم الثلاثاء ۱۹ أكتوبر ۱۹۵۴- ۲۱ صفر ۱۳۷۴ ه فی البهو الفرعونی بدأ مجلس النواب فی القاهرة، و قد وقعها بالنيابة عن حكومة مصر الرئيس جمال عبد الناصر، و احتفلت البلاد احتفالات قومية بتوقيعها، و من الطريف أن يوم ۱۹ أكتوبر ۱۸۰۱ وقعت فيه اتفاقية جلاء الجيوش الفرنسية عن مصر.

و قـد دعا شـيخ الأزهر إلى حفلـة ابتهاج باتفاقيـة الجلاء، و ذلك بقاعـة المحاضـرات بمبنى الكليات الأزهريـة فی الساعة السادسة يوم الاثنين ۲۷ من صفر ۱۳۷۴ ه- ۲۵ أكتوبر ۱۹۵۴، و قد تحدث فيها شـيخ الأزهر، الشيخ عبد الرحمن تاج و الشيخ عبد اللطيف السبكی مدير التفتيش بالأزهر، و ألقى الأستاذ حسن جاد قصيدة بليغة من عيون الشعر.

قال شيخ الأزهر من كلمته:

الآن .. و قد مكنتم بحمد اللّه لمصر أمرها، و ثبتم لها عزتها، و أزحتم الأجنبی عن ديارها، و أعدتم إليها كامل استقلالها.

الآن .. و قد حللتم مشـكلة مصر الخارجية فعليكم أن تعملوا على حل مشاكلها الداخلية، و أن تسيروا فی خطة الإصلاح و الإنشاء الذی بـدأتم فيها، و قطعتم منها شوطا كبيرا .. بنفس العزم و القوة كی تنهض مصـر إلى المسـتوى الجـدير بها و الجـديرة به، أن تنصـروا اللّه ينصركم و يثبت أقدامكم و لينصرن اللّه من ينصره، و اللّه قوی عزيز.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۴۴

و ألقى الاسـتاذ الشـيخ عبد اللطيف السبكی مدير التفتيش بالأزهر و عضو هيئة كبار العلماء كلمة حيا فيها قادة الثورة، و قارن بين حياة مصـر و شـعبها المجيـد الـذی حكمه أبناؤه بعـد أجيال من الاضـطهاد و العذاب، و بين ما كان عليه فی العصور التی ابتلينا فيها بالغرباء الطغاة ثم قال:

و تهيأ لمصـر، الوطن الإسـلامی الكبير، نخبـة من أبناء جيشـها، و تملكتهم العزة القوميـة، و جاشت فی صـدورهم الوطنية، و قوی فيهم الإحسـاس بمـا تقاسـيه مصـر، فأصـبح كـل منهم يسـمع فی أعماق نفسه هاتفا ينادی: أن أنقـذ مصـر من عثرتها، فاتحـدت عزائمهم، و اسـتمدوا من هدی الرسالة المحمدية ما أوضح لهم السبيل، و دفعهم إلى الغاية النبيلة فصـرخوها صـرخة مدوية: لبيك لبيك يا مصر، و كان لهم من جانب اللّه تأييد و توفيق فبارك اللّه لمصر يومها العظيم ۲۳ يوليو، و أبقاهم لشعب مصر حراسا أمناء، و مصلحين أكفاء.

و هذه هی قصيدة الشاعر حسن جاد:

سنا فجره المأمول لاحت بواكرهو هزت ربوع المشرقين بشائره

أطل على ليل الحيارى و أشرقتعلى ظلمات اليأس غرا منائره

و خف إليه الدهر يرهف سمعهو يزحم ركب النور فيمن يسايره

و طالعت النيل السعيد بصبحهمتى طالما جاشت بهن خواطره

تزف بها بشری الجلاء وعيدهفترقص فی شطيه نشوی أزاهره

و تعتنق الأرواح فوق ضفافهعرائس واد جن بالحسن سامره

على لهوات الطير من صبواتهاطرائف شدو أبدعتها حناجره

هو النيل و البشری استخفت و قارهترنح عطفاه و جاشت هوادره

و ما فاض فی شطأنه غير فرحةتضيق بها يوم الجلاء سرائره

و ما هو ماء ما يفيض و إنماعواطفه جياشة و مشاعره

ثوى فی قيود الذل سبعين حجةيكاتم غيظا أو تثور ثوائره

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۴۵ و صابر الاستعباد مستأسد المنييؤمل يوما أن تقال عواثره

تداركه فجر الخلاص بيمنهفصحت أمانيه و قرت نواظره

فمن رام الاستقلال فليشهد الحمیتغنت به أريافه و حواضره

و من ضاق بالأغلال فالقيد حطمتسلاسله و الغل لانت مكاسره

و من ضل فی ليل المظالم سعيهفقد هتكت أستاره و ستائره

و من سره أن يشهد البعث ماثلافهذی معانيه و تلك مظاهره

و من شاقه يوم الجلاء و عيدهفهذی مجاليه و تلك مناظره

كفی يومه أن الزمان بأسرهأوائله يحسدنه و أواخره

رعی اللّه للوادی جمالا و صحبهأسوأ جرح وادی النيل فالتأم ناغره

لقد صيروا حلم الجلاء حقيقةو كان سرابا يخدع العين ظاهره

و كان لتجار السياسة مغنماعلی سوقه السوداء قامت متاجره

و كم من ندی كان قصة لهوهيرددها مخموره و مقامره

فساد و ظلم و انحلال و نكسةأصيب بها الوادی فضلت مصائره

و ما كحمی الأخلاق حصن لأمةإذا نكبت فيه فما ذا تحاذره؟

و قد ينهض الشعب الجريح بروحهو ليس يقوم الشعب ماتت ضمائره

تدارك رحمن السماء مصيرهو طاحت بعرش الظالمين مقادره

مضوا يتساقون الندامة علقماو باءوا بشؤم طار بالنجس طائره

و أضحی كناس النيل غابا ممنعاتهاب بوازيه و تخشی قساوره

صناديد راع الظلم بأس زئيرهمفزلزل مغناه و دكت مقاصره

هی الثورة البيضاء ما شابها دمو لا فارقت غمد الكمی بواتره

فقد بعثوا من رقدة الموت واديأعدت له أكفانه و مقابره

فحل هراء المرجفين فما ثنیأخا العزم يوما جاحد الفضل ناكره

و قل للذی تعيشه أضواء نهضةمضی ليلك الداجی و ولت دياجره

يحث الخطا للمجد موكب نورهاو يدفعه قلب الحمی و يؤازره

سيبنی فلا يثنيه هدم معوقو يمضی فلا يلوی علی من يكابره

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۴۶ و من يجعل الإخلاص رائد عزمهإلی رفعة الأوطان فاللّه ناصره

بنی الشرق هذا الغرب ضل ضلالهو أعمته أطماع تظل تساوره

و دان بشرع الغاب بغيا و شرةفضلت عن الحق القويم بصائره

يعد أساليب الفناء بعلمههل العلم أن يفنی من الكون عامره؟

لقد عزه فی الشرق قوة روحهفراح بأنواع السلاح يفاخره

إذا العرب الأمجاد فيه توحدتصفوفهمو عادت أمانا مخاطره

و هذا زمان لیس فیه لأعزلمکان و لا یصغی لشکواه قاهره

فما ینفع المظلوم منطق حقهو منطق سفاک الحقوق بواتره

إذا الذئب لم یسمع لغیر ضراعهٔمن الحمل الوانی فما هو عاذره

هو الحق لا یعطی لذلهٔ طالبو لکن إذا ضجت غضابا کواسره

به مشعل النور استفاض علی الحمیسناه و جاب المشرقین مسافره

و فی ساحهٔ شب الجهاد تحوطهشریعهٔ حق ما تزال تؤازره

تماثل للبعث الجدید و قد صحتأمانیه و اهتزت رجاء منابره

ألح علیه السقم من طول یأسهو شقت من الحرمان مطلا مرائره

و أوهن عهد الظلم بأس شیوخهو کان أعز المالکین یحاذره

و صار یلقی الأمر من کل تابعو کانت علی الحکام تلقی أوامره

أتنساه مصر و هی تفخر باسمهو یذکره بالقول لا الفعل ذاکره

و تمنع دون الجامعات حقوقهو تعطی کما شاءت مناها نظائره

إذا ما شکا قالوا عهدناه قانعاتقشفه فی العیش تروی مآثره

و إن ضاق بالحرمان قیل له اتئدو علله بالزهد من لا یصابره

ألیس لنا حق الحیاهٔ کغیرناو أین سبیل العدل إن جار جائره؟

مضی عهد تفریق الطوائف و انقضیو راح زمان الظلم، لا عاد غابره

و أدرکه عهد المساواهٔ منصفافهل یرتجی فی ظله الیوم کادره؟

متی ینصفوه ینصفوا خیر معهدمواردهٔ محمودهٔ و مصادره

و إن تنهضوه تنهضوا بحماکموو یزهی علی الماضی، و یعتز حاضره

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۴۷

و قال جمال عبد الناصر بعد انتهاء کلمات المتحدثین: إخوانی رجال الأزهر:

أحییکم ... و أعبر لکم عن سعادتی فی هذه الفرصهٔ التی جمعتنا للاحتفال بجلاء قوات الاحتلال عن أرض الوطن فی رحبات الأزهر.

و فی هذه المناسبهٔ العظیمهٔ، لا یسعنی إلا أن أذکر لهذا الأزهر جهاده علی مر السنین، فقد حمل الأزهر دائما الرسالهٔ و لم یتخل مطلقا عن الأمانهٔ، و کافح کفاحا مریرا فی سبیل الحصول علی أهداف الوطن. و کفاح الأزهر أیام الحملهٔ الفرنسیهٔ معروف، و کم قاسی رجاله، و عذبوا و قتلوا و شردوا، و اقتحم المحتلون الأزهر فلم یتوان عن المطالبهٔ بحقوق الوطن ... و استمر الأزهر یحمل الرسالهٔ حتی سلمها إلی الجیش، و إلی عرابی الذی قام متسلحا بروح الأزهر المعنویهٔ إلی جانب القوات المادیهٔ، یطالب بحقوق البلاد ... و عند ما وطئت أقدام المستعمر أرض مصر، حاول بکل قواته أن یقضی علی رسالهٔ الأزهر، کما حاولوا القضاء علی الجیش و قوته و رسالته، و رغم هذا، استمر الأزهر علی مر السنین یکافح .. ففی ثورهٔ ۱۹۱۹ حمل الأزهر العلم، و قام بأداء الرسالهٔ و الأمانهٔ مرهٔ أخری.

و عمل المستعمر علی تفریق الشعب شیعا و أحزابا و تحطم الجیش و فصله و فصل الأزهر عن الوطن.

و الیوم و بعد أن قامت الثورهٔ أقول لکم علیکم حمل الرسالهٔ و الأمانهٔ مرهٔ أخری فإن أمامنا عملا شاقا طویلا، و هذا العمل یطالبکم بأن تجاهدوا من أجل الأهداف الکبری التی کافح من أجلها السابقون. و رجال الأزهر علی طول السنین.

الأزهر و معارک التحریر الأولی

اشارة

فی أوائل القرن الثالث عشر الهجری (الثامن عشر المیلادی) افتتح رجال الأزهر أولی حرکات التحریر فی تاریخنا القومی، فاشترک کبار العلماء

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۴۸

فی إعداد الثورات و رسم خطط المقاومة الشعبیة مضحین فی سبیل الدفاع عن الوطن بأموالهم و أنفسهم فمنهم من صودرت أملاکه، و منهم من عذب، و منهم من استشهد، و قد کان لهذه التضحیات أکبر أثر فی بعث روح المقاومة فی الشعب الذی نهض لیواجه قوات الاحتلال فی شجاعة نادرة المثال.

إعلان الجهاد:

اضطرب المماليک حین وصلهم نبأ احتلال نابلیون للأسکندریة فی صفر ۱۲۱۳ ه (۱۷۹۸ م)، و عقدوا اجتماعا للتشاور فی الأمر و دعوا العلماء لحضوره- و کانوا قادة الرأی العام إذ ذاک- فحضر منهم السید عمر مکرم نقیب الأشراف، و الشیخ السادات، و الشیخ الشرقاوی، و الشیخ سلیمان الفیومی، و الشیخ الصاوی، و الشیخ المهدی، و الشیخ العربی، و الشیخ محمد الجوهری. و جرت أثناء الاجتماع مناقشة حادة بین العلماء و الأمراء حتی قام الشیخ السادات و وجه الکلام إلی الأمراء قائلا «إن کل هذا من سوء مقالکم و ظلمکم. و آخر أمرنا معکم أنکم ملکتمونا للأفرنج» ثم نظر إلی مراد بک قائلا له: «و خصوصا بأفعالک و تعدیک أنت و أمراؤک علی متاجرهم و أخذ بضائعهم». و أخیرا اتفق المجتمعون علی إخطار الدولة العثمانیة بالأمر و تجهیز العساکر للحرب.

من هذا الاجتماع نستطیع أن ندرک لأول وهلة موقف الأزهر بالنسبة للفرنسیین، فهو موقف المقاومة المسلحة؛ کما أن العلماء بصفتهم وکلاء عن الشعب وضعوا قاعدة دستوریة هامة، و هی محاسبة الحکام علی تفریطهم فی حقوق الشعب .

و لما وصل نابلیون إلی إمبابة أعلن السید عمر مکرم و العلماء الجهاد

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۴۹

و استنفروا الشعب و دعوا إلی التطوع العام، و سار السید عمر مکرم فی مقدمة المتطوعین للقتال، و قام بعرض شعبی فی شوارع القاهرة استجاب له جمیع الأهالی، و لکن إذا کان العلماء قد نجحوا فی تعبئة الشعب إلا أن تخاذل المماليک أسرع بالبلاد نحو الخاتمة المنتظرة.

بین الأزهر و نابلیون:

استفز الفرنسیون المصریین بفرض الضرائب الثقیلة و القتل و مصادرة الأملاک و الاعتداءات المتوالیة، مما عجل بقیام ثورة القاهرة الأولی فی (جمادی الأول سنة ۱۲۱۳ أکتوبر سنة ۱۷۹۸). فقام العلماء و علی رأسهم الشیخ السادات یدعون إلی الجهاد ضد الفرنسیین، و انتخبوا مجلسا للثورة کی ینظم حرکات المقاومة و یمونها بالأسلحة و الذخائر، و فی ذلک یقول نابلیون فی مذکراته: «إن الشعب قد انتخب دیوانا للثورة، و نظم المتطوعین للقتال، و استخرج الأسلحة المخبوءة. و أن الشیخ السادات انتخب رئیسا لهذا الدیوان». و ذکر فی تقریره إلی حکومة الدیر کتوار أن لجنة الثورة کانت تنعقد فی الأزهر.

انتشر رجال الأزهر فی القاهرة یبثون الثورة فی النفوس و یدعون الشعب إلی الجهاد و یعاهدونه علی المقاومة، بینما کان مجلس الثورة یوزع الأسلحة علی أحیاء العاصمة، حتی اقترب الوعد فعقد المجلس اجتماعا لیلة الأحد (۱۰ جمادی الأولی ۱۲۱۳- ۲۱ أکتوبر سنة ۱۷۹۸) لرسم خطة العمل فی صبیحة ذلک الیوم.

یقول الکولونیل دیتروا فی یومیاته وصفا للثورة کما شهدها: فی الساعة السادسة صباحا من یوم ۲۱ أکتوبر احتشدت الجموع فی کثیر من أحیاء القاهرة و کان المؤذنون یدعون إلی الجهاد علی المآذن، و کان المعسکر العام للثائرین الجامع الکبیر المسمی بالأزهر ذلک المسجد الجمیل الذی

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۵۰

طارت شهرته فی أنحاء المشرق و قد قام الثوار بإقامة المتاریس فی الطرق و الأزقة المفضیة إلیه حتی أصبح من المستحیل أن تقتحمه المدفعیة أو الجنود المشاة.

و فی الساعة العاشرة صباحا اصطدم الثوار بکتیبة من الفرسان یقودها الجنرال دیبوی قومندان القاهرة و تغلب الأهالی علی الکتیبة و قتل الجنرال دیبوی أثناء المعرکة. و امتدت الثورة حتی اشتبکت الجماهیر بدوریات الجنود فی کل مکان.

کان نابلیون فی ذلک الوقت یطوف بسرعة لیتفقد الاستحکامات العسکریة فی مصر القدیمة و الروضة و لما عاد إلی بولاق بلغة مصرع الجنرال دیبوی فأصدر أمرا بتعیین الجنرال بون خلفا له و کلفه بإجراء اللازم لإعادة النظام إلی المدینة.

هال الجنرال بون تفاقم الحالة فی العاصمة فکتب إلی نابلیون فی الساعة العاشرة مساء من یوم الثورة یطلب اتخاذ إجراءات فی غایة الشدة و الصرامة مع حی العرب حیث یوجد الجامع الأکبر (الأزهر).

و فی صباح یوم ۱۱ جمادی الأولی ۱۲۱۳ (۲۲ أکتوبر ۱۷۹۸ م) بلغت حماسة الثوار مبلغا عظیما حتی حاولوا ضرب الاستحاکات الفرنسیة فی القلعة من مسجد السلطان حسن، کما تمکنوا من قتل الکولونیل سلکوسکی فی معرکة عند باب النصر.

و فی هذا الیوم أرسل نابلیون الجنرال (برتییه) رئیس أرکان حربه فی الساعة الثانیة بعد الظهر و معه أمر بضرب الأزهر بالمدافع سلمه للجنرال بون و قد أوصی نابلیون بوضع المدافع فی أصلح المواقع لیکون تدمیرها شدیدا.

کما أصدر أمرا إلی الجنرال (دومارتان) بالاستیلاء علی جمیع المنافذ المفضیة الی الأزهر و مما جاء فی هذا الأمر (و علیکم أن تقتحموه بجنودکم

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۵۱

تحت حمایة المدافع و أن تقتلوا کل من تلقونه فی المسجد و أن تضعوا فیه حرسا قویا من الجنود).

و ابتدأ الضرب من بعد الظهر حتی الساعة الثامنة مساء، و أخذت رسائل الوحشیة المقنعة بالمدینة تهال فی صورة آلاف من القنابل علی الأزهر حتی قال ریبو: أوشک الجامع أن یتداعی من شدة الضرب فیدفن تحت أنقاضه الجماهیر الحاشدة فیه و أصبح الحی المجاور للأزهر صورة من الخراب و التدمیر. و لما وجد العلماء أن الاستمرار فی المقاومة سیفضی إلی کارثة محققة، شرعوا فی مفاوضة نابلیون لإیقاف الضرب.

محاکمة العلماء الثائرین:

فی ۱۲ جمادی الأولی ۱۲۱۳ ه (۲۳ أکتوبر ۱۷۹۸ م) أصدر الجنرال (برتییه) أمرا باسم نابلیون إلی الجنرال (بون) قومندان القاهرة بهدم الأزهر لیلا إذا أمکن، و من هذا نری أن نابلیون أراد أن یقضی علی المقاومة الشعبیة بهدم مرکزها، ثم عدل عن هذه الفکرة خوفا من إثارة الحماس الدینی.

و فی ۲۴ أکتوبر توجه وفد من العلماء إلی نابلیون یسأله العفو عن الأهالی لیسکن روعهم، فطالبهم نابلیون بإرشاده عمن تسبب فی الثورة من العلماء، فلم یرشدوه إلی أحد فقال لهم: «نحن نعرفهم واحدا واحدا».

قبض نابلیون علی ثمانین من أعضاء لجنة الثورة أعدموا سرا و ألقیت جثثهم فی النیل أما الذین حوکموا رسمیا من المقبوض علیهم باعتبارهم زعماء الثورة فهم الشیخ إسماعیل البراوی و الشیخ یوسف المصیلحی و الشیخ عبد الوهاب الشبراوی و الشیخ سلیمان

الجوسقی شیخ طائفة المکفوفین و الشیخ أحمد الشرقاوی و کلهم من العلماء و قد حکم علیهم بالإعدام و نفذ

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۵۲

الحکم فی الساعة الثامنة صباحا من ۲۳ جمادی الأولی ۱۲۱۳ ه (نوفمبر ۱۷۹۸ م).

و فی کتاب تحفة الناظرین للشیخ عبد الله الشرقاوی أن الفرنسیین قتلوا فی هذه الثورة ثلاثة عشر عالما.

بین الأزهر و الجنرال کلیبر:

لم تکد تدوی مدافع معرکة عین شمس فی ۲۳ شوال ۱۲۱۴ ه (۲۰ مارس ۱۸۰۰ م) حتی دوی فی القاهرة نداء الحریة فلبت العاصمة النداء مستمدة قوتها من إیمان أهلها و حماستها من وطنیتهم و استبسالها من تضحیتهم وهب السید عمر مکرم و السید أحمد المحروقی و الشیخ السادات و الشیخ الجوهری و غیرهم من زعماء الثورة یحرضون الناس علی القتال.

و لما رجع کلیبر بعد انتصاره علی الجیش العثمانی فی معرکة عین شمس وجد العاصمة أشبه ببرکان ثائر لا یهدأ فاشتبک مع الثوار فی معارک طاحنة دامت أکثر من ثلاثین یوما دمرت خلالها بولاق تدمیرا تاما. و للمرة الثانیة شرع العلماء فی مفاوضة الفرنسیین علی أساس العفو عن جمیع سکان القاهرة فوافق کلیبر علی هذا الشرط و لکنه سرعان ما نقضه و فرض علی الأهالی غرامة فادحة قدرها (إثنا عشر ملیونا من الفرنکات) و ألزم الأهالی بتسلیمه عشرین ألف بندقیة و عشرة آلاف سیف. و کانت أشد الغرامات المفروضة غرامة الشیخ السادات و قدرها ثمانمائة ألف فرنک هذا فضلا عما تعرض له من التعذیب و الإهانة إذ کان یجلد صباحا و مساء فی معتقله، و کانت غرامة الشیخ الصاوی (۰۰۰، ۲۶۰ من الفرنکات) و الشیخ محمد الجوهری و أخیه فتوح الجوهری مثل ذلک.

مصرع الجنرال کلیبر:

کان إسراف کلیبر فی الأنتقام و إهانته للعترة النبویة ممثلة فی شخص

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۵۳

الشیخ محمد السادات من أهم الأسباب التی أدت إلی مصرعه فی ۲۰ المحرم ۱۲۱۵ ه (۱۴ یونیه ۱۸۰۰ م) بید سلیمان الحلبی، و سرعان ما اتجهت أنظار الفرنسیین نحو الأزهر فقاموا بتفتیشه و تفتیش أروقته و قبضوا علی من ذکرهم سلیمان الحلبی فی التحقیق کما قبضوا علی العلماء المعروفین بقیادة الثورات الوطنیة. و رأی کبار العلماء أن الفرنسیین سیتخذون من تفتیش الأزهر بین حین و آخر ذریعة للإیقاع بهم فتوجه الشیخ الشرقاوی و الشیخ الصاوی و الشیخ المهدی إلی الجنرال مینو و استأذنوه فی إغلاق الأزهر فأغلق فی ۲۷ المحرم ۱۲۱۵ ه (۲۱ یونیه ۱۸۰۰ م). و کان هذا ما یریده الفرنسیون و قد استمر الأزهر مغلقا حتی تم جلاء الفرنسیین عن مصر.

یقول تییر: «لو بقی کلیبر حیا لاستمرت مصر خاضعة للحکم الفرنسی حتی انهیار نابلیون علی الأقل، فقد ضاع أکبر قائد و أکفأ من یؤسس الاستعمار الفرنسی فی الشرق».

و هنا لا بد من أن نقول کلمة عن المنشورات التی کان یصدرها الفرنسیون علی لسان أعضاء الدیوان من العلماء: إذ کان الغرض من هذه المنشورات تضلیل الشعب و بث التفرقة بینه و بین زعمائه، و أکبر دلیل علی براءة من اشترک من العلماء فی الدیوان أنهم کانوا من المعروفین لدی الفرنسیین بقیادة الثورات و التحریض علیها.

الأزهر یحرض علی قتال الحملة الإنجلیزیة الأولی:

فی المجرم ۱۲۲۲ ه (مارس ۱۸۰۷ م) نزل الإنجلیز الأسکندریة بقیادة الجنرال فریزر و ما کادت تصل أنباؤهم إلی العاصمة حتی قام

السید عمر مکرم و الشیخ الشرقاوی و الشیخ الأمیر یدعون الناس إلی الدفاع عن الوطن، و حث الخطباء فی المساجد الناس علی القتال، فأقبل هؤلاء یتطوعون فی حماس نادر المثال و انضم إلیهم طلبة الأزهر و العلماء و کان

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۵۴

المتطوعون یذهبون یومیا لضرب الاستحکامات خارج القاهرة تحت إشراف السید عمر مکرم و کبار الشیوخ، کما تطوع البعض الآخر للسفر لیشترک فی فک حصار الإنجلیز لرشید.

و أمام هذا التضامن الشعبی الرائع وجد الإنجلیز أنفسهم عاجزین عن متابعة احتلال البلاد فقرروا الجلاء عن القطر المصری فی ۱۰ رجب سنة ۱۲۲۲ ه (۱۴ سبتمبر ۱۸۰۷ م).

هذا هو الدور الذی قام به الأزهر فی معارک التحریر الأولی، و قد کان لهذه المعارک أکبر أثر فی تکوین الوعی القومی الذی بدأ منذ ذلک الوقت یوجه تاریخنا الحدیث.

إنتاج الأزهر العلمی فی العصر الحدیث

اشارة

فی مکتبات کلیات الأزهر الثلاث مجموعة کبیرة من الرسائل القیمة التی نوقشت فی الأزهر، و قدمها أصحابها للحصول علی العالمیة من درجة أستاذ، و نال مقدموها هذه الدرجة العلمیة الرفیعة، و شغل بعضهم مناصب التدریس فی الکلیات الأزهریة.

و کذلک فی مکتبات الکلیات توجد طوائف کبیرة من رسائل حاملی شهادة التخصص القدیم، الذین تولی أکثرهم المناصب الإداریة فی الأزهر و مناصب التدریس فی الکلیات و المعاهد الثانویة الأزهریة.

و فی مکتب شیخ الأزهر یوجد رسائل علمیة قدمت لنیل عضویة جماعة کبار العلماء فی الأزهر الشریف، و هذه الرسائل علی جانب کبیر من الأهمیة العلمیة و الدینیة.

و لو عنی الأزهر بنشر هذه الرسائل کلها، أو جلها لسدت فراغا کبیرا فی الثقافة الإسلامیة، و مثلت إنتاج الأزهر العلمی فی العصر الحاضر فی صورة مشرقة زاهیة- و هذه الرسائل إلی جانب ما نشره أساتذة کلیات الأزهر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۵۵

من دراسات و بحوث و کتب ثقافیة و علمیة، تمثل الأزهر تمام التمثیل فی فترة من أعجب الفترات التی مر بها فی تاریخه الطویل.

و الذین یشککون فی أهمیة الأزهر الثقافیة و العلمیة، علیهم أن یطلعوا علی إنتاج شیوخه العلمی قبل أن یحکموا له أو علیه، و للأسف فإن جل إنتاج الأزهر العلمی لا یزال مخطوطا، و تحوی مکتبة الأزهر علی الکثیر من المؤلفات المخطوطات التی ألفها علماء الأزهر فی العصور السابقة، و أغلب مؤلفات الأزهریین المتقدمین قد ضاع أو بدد، و ما بقی منه یحتوی علی کنوز ثمینة عظیمة القیمة العلمیة.

و إذا کانت بعض مؤلفات علماء الأزهر فی العصور القدیمة قد کتبت بأسلوب عتیق، علی الرغم مما فیها من ثورة علمیة لا تقدر بقیمة، فإن الأمل معقود علی أساتذة کلیات الأزهر و معاهده لکی ینهضوا لتحقیق هذه الکتب، و إخراجها فی ثوب علمی جدید، حتی یتسنی للأمة و للعالم الإسلامی الانتفاع بما فیها من ثقافات واسعة ذات قیمة کبیرة، و لا بد أن تقوم مطبعة الأزهر الثمینة علی نشر تراث الأزهر العلمی القدیم و الحدیث بإشراف و توجیه جماعة من أفذاذ علمائه.

و من بین رسائل الأستاذیة المخطوطة رسالة نفیسة عنوانها: «أثر الأزهر فی النهضة الأدبیة الحدیثة» للأستاذ محمد کامل الفقی المدرس فی کلیة اللغة العربیة. و رسائل فی الأدب و البلاغة و أصول النحو و مذاهب النحویین لاساتذة یحملون شهادة العالمیة من درجة أساتذة و یتولون التدریس فی کلیة اللغة العربیة الیوم ... و رسائل أخری فی الفلسفة الإسلامیة و أصول الدین، و فی علوم الشریعة

الإسلامیة.

کلیة اللغة العربیة تنشیء صحافة أزهریة

أخرج الأدیب موسی صالح شرف الطالب بکلیة اللغة العربیة مجلة باسم صوت لأزهر فی ۳ ینایر سنة ۱۹۵۳- الموافق ۱۷ ربیع الأول سنة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۵۶

۱۳۷۲ و لا تزال هذه المجلة توالی الصدور ... و کتب المؤلف کلمة فی عددها الأول بعنوان «صوت الأزهر الخالد» و کانت المجلة تنشر مقالات و أحادیث للمؤلف أیضا، و قد خرج علی أثرها مجلة أخری فی کلیة اللغة باسم «النهار» و فی الأزهر قبل هذه المجلة «مجلة الأزهر» و هی مجلة رسمیة تمثل الأزهر، و ینشر علی صفحاتها شیوخ الأزهر و أساتذته المقالات و الأحادیث العلمیة و الدینیة، و یرأس تحریر هذه المجلة کبار العلماء فی الأزهر، و هناک (مجلة نور الإسلام) و هی لسان حال وعاظ الأزهر الشریف و تؤدی رسالتها فی محیط الوعظ و الإرشاد .. و کونت فی العام الماضی أسرة للصحافة بکلیة اللغة العربیة و أصدرت جریدة حائط، و فی هذا العام تخرج مجلة شهریة لأبناء کلیة اللغة العربیة، و کونت لجنة للإشراف علی هذه المجلة من حضرات الأساتذة أصحاب الفضیلة: الشیخ کامل حسن وکیل الکلیة، و محمد عبد المنعم خفاجی، و عبد الخالق سلیمان، و حسن جاد، و یوسف البیومی ..

و تألفت لجنة من طلاب الکلیة لإصدار هذه المجلة مکونة من الأدباء:

موسی صالح شرف و حسن عفیفی و محمود محجوب و رشید أبو الفتوح اللیثی و عمر عطیة و منجود محمد و کمال کامل حسن و أحمد الصاوی، و یصدر العدد الأول من هذه المجلة فی ینایر عام ۱۹۵۵!!

و قد أخذت المعاهد تسیر علی ضوء کلیة اللغة العربیة، فصدرت مجلات أخری لمعهد أسیوط و معهد طنطا و معهد دمیاط.

الأزهر و رسالة الإسلام

فی یونیو سنة ۹۷۲ ألقی إمام الأزهر من منبره الشریف، أول درس جامعی فیما یسمی الیوم بالعلوم الإنسانیة، و منذ ذلک الیوم إلی الآن، و إلی ما شاء اللّه لم تنقطع ینابیع الحکمة، و العلم و المعرفة، ینهل منها الوافدون

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۵۷

إلی الأزهر من أبناء مصر، و أبناء کل شعوب العالم فی مختلف أرجاء الدنیا.

و أحب أن ألخص الرسالة التی کان یؤدیها الأزهر فی هذا الشعب، و ینقلها عنه الوافدون إلیه من مختلف أرجاء الدنیا إلی شعوبهم و أممهم فیستیقظ بها الغافی، و یتنبه الغافل، و یعرف الجاهل، و یمضی إلی غایته المعرفة النافعة، أصحاب العزائم لخیر شعوبهم و خیر الإنسانیة فی کل مکان.

و هذه الرسالة کانت تقوم و لا تزال علی دعامتین: الأولی: الحریة، و الثانیة: العدالة الاجتماعیة.

فأما الحریة فإنها فی رسالة الأزهر تنبع من الإسلام، الذی قام علی نشره و الدعوة الیه و الانتفاع به الوافدون علیه، و المعتزون بالانتساب إلیه.

و الحریة التی تنبع من الإیمان باللّه و الاعتزاز به و التأمل فیه و الالتجاء إلیه هی أمنع و أعز و أسمی ما یتطاول إلیه أعناق طلاب الحریة فی کل عصر و فی کل مکان.

و عن هذه العقیدة الإسلامیة مضی فقهاء الإسلام الی تقویم الحریة تقویما یرتفع بها فی أحیان کثیرة الی منازل لم یقدرها أحد کما

قدرها هؤلاء الفقهاء.

و إليكم هذه الصورة من صور الاعتزاز بالحرية عند فقهاء المسلمين و هى قاعدة فقهية معروفة:

إذا ترافع مسلم و مسيحى أمام قاضى المسلمين فى وليد لا يعرف أبوه فقرر المسلم أمام القاضى أن هذا الوليد عبد له، و قرر المسيحى أن هذا الوليد ولد له، فإن على قاضى المسلمين أن يحكم به للمسيحى ولدا و لا يحكم به للمسلم عبدا.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۵۸

و الذين يتأملون هذه الصورة الفقهية و يقيسونها إلى ما يتراءونه اليوم فى دنيا الناس من الحديث عن الحرية و التشدق بها. لا يكادون يجدون لها مثيلا فى خيال شاعر أو قلم كاتب أو واقع شعب.

و وجه القوة هنا أن الفقيه المسلم وضع تعصبه للحرية قبل تعصبه لدينه على ما فى التعصب للدين من قوة قاهرة و سلطان عظيم.

و أما الدعامة الثانية: و هى العدالة الاجتماعية فإنها تستند فى نفس المسلم الى العقيدة التى يدين اللّه عليها. و تطرق سمعه كل يوم آيات اللّه فى الدعوة الى العدل و احترامه و تكريمه بحيث يرى الدنيا بغير عدل شبحا بغير حقيقة و جسما بغير روح.

و من أفضل ألوان العدل التى جاء بها الإسلام العدل فى توزيع الثروة و يعتبر من أدق صور العدل فى المجال الاقتصادى. و كذلك من أجل ألوان العدل التى جاء بها الإسلام أيضا العدل الذى يقوم على التفاضل بين الناس على قدر ما يقدم الإنسان للمجتمع من خير و ليس على قدر انتسابه إلى لون خاص أو جنس خاص أو عرق خاص. فذلك قول اللّه تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ.

فهذه الصورة من العدل الذى دعا إليه الإسلام و قامت بالدعوة إليه جامعة الأزهر مدة ألف عام أمانة فى أعناقنا، لا لشعوبنا وحدها و لكن للإنسانية جمعاء.

فإن الإنسانية لم تتعرض لمحنة بالغة و ابتلاء شديد كما تعرضت لمحنة التفاضل بالألوان و الأجناس و العروق. فإذا كان لا بد للناس أن يطلبوا السعادة و أن يحرصوا عليها فلا بد لهم قبل كل شىء أن يعملوا على وأد هذه الثغرة، و خنق الدعوة إلى العنصرية القائمة على الأجناس و الألوان و العروق.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۵۹

و إن أحوج ما يحتاج إليه الإنسان ليتم له بده سعادته، و تتوافر به طمأنينته، لا يعدو هذه الأمور الثلاثة:

الأساس العقيدى الذى يملأ قلبه بالإيمان و السكينة.

و الأساس الاقتصادى الذى يكسوه من عدرى و يطعمه من جوع.

و الأساس الإنسانى الذى يجعله فاضلا بما يؤدى من عمل لا بما ينتسب إليه جنس أو لون أو عرق.

و إن من حق شعوبنا على جامعاتنا مديرين و أساتذة أن نسعى دائبين لكى نوفر لها جوا تحيا فيه راضية مطمئنة موفورة الحاجات التى لا بد من توافرها لحياة الإنسان.

الشيخ أحمد حسن الباقورى- من كلمة له نشرت فى الأخبار

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۶۱

الباب العاشر

شخصيّات أزهريّة معاصرة

الشيخ محمد عرفة

هو شیخ جلیل، و مفکر نابه، له مکانته العلمیة فی الأزهر، و تلامیذه الکثیرون و لا نجد فی تاریخ حیاته خیرا مما أرخ به هو لنفسه فی مقالة نشرتها له المصری بعنوان «الدین و الحیاة و الأزهر» فی یونیو عام ۱۹۵۲ و هی من سلسلة مقالاته التی کتبها یرد فیها علی الأستاذ أمین الخولی الذی نشر سلسلة مقالات فی «المصری» ندد فیها بالأزهر و تأخره عن أداء رسالته، قال الشیخ محمد عرفة:

کنت بصدد أن أثبت أن الأزهر شعر بحقیقة الدین المشرقة المتسامحة التی تدعو إلی الإخاء الإنسانی و التعاون البشری و أنه تعدی دائرة الشعور إلی دائرة التنفیذ، و استدللت ببحث کنت کتبته فی العلة فی مشروعیة الجهاد، أهی الکفر أم عدوان الکافرین علی المسلمین، فاستخلصت من بین الأقوال المختلفة إن العلة هی العدوان؛ فما لم یعتد المخالفون فی الدین علی المسلمین فلا جهاد و لا قتال، و بذلک کانت العلاقة الخارجیة بین المسلمین و أمم الأرض هی السلم لا الحرب و یتبع ذلک ما یتبعه مما یکون بین المسالمین من المحبة و التعاون و الإخاء، و جمعت بین الأدلة المتعارضة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۶۲

الظاهرة علی هذا الأساس من کتاب اللّه و أحادیث رسول اللّه، فاستقامت ککعوب الرمح علی توال و اتساق، و إنی أعتز بهذا البحث و أرانی قد خدمت به المسلمین بخاصة و الإنسانیة بعامة، و کنت أذیع هذا البحث فی دروسی و مجالسی .. و إنما کنت بهذا الصدد لأرد علی من قال إن الأزهر لم یشعر بالدین الإسلامی المنتظر الذی یدعو إلی الإخاء و التعاون، و قد نبهته فلم یتنبه و هو لا یطمع فی التنفیذ. فکتب الأستاذ الشرقاوی فی «المصری» یشککک فی قیمة هذا الدلیل دون أن یبین الأسباب، و نقل الکلام إلی أن الأزهر لا یشارک فی المواضیع التی تهم الأمة و لیس کغیره من علماء الأدیان الأخری الذین یشارکون مشارکة فعلیة و قولیة فی کل شأن من الشئون و ضرب أمثلة برجال الدین فی جزیرة قبرص حیث خطب أحدهم یطلب الانضمام إلی الیونان و دقت الکنائس أجراسها احتفالا بالخطیب، و ذکر أن الباب تعاون الإسلام و المسیحیة لمقاومة الشیوعیة و تحدث بذلک سفیر مصر فی الفاتیکان و لم یحرک الأزهر ساکنا، و البعثة التی جاءت إلی الأدیرة فی سینا لتحقیق الوثائق التاریخیة لم یدرسها معها و لم یشارک فی هذا التحقیق.

و إنی أقبل أن ینقل الحوار إلی هذه الناحیة و أذکر أن الأزهر شارک فی الأحداث الجسام فکان مهد الحرکة الوطنیة و منبع الثورة فی سنة ۱۹۱۹ و ظل مدة الثورة یلهب النفوس بالحماسة الوطنیة، و کان منبرا للخطابة و توجیه الثورة، و کان أهل الأقالیم یأتون إلیه فیعمر قلوبهم بالإیمان الوطنی، و یزودهم بالرأی الناصح و المشورة النافعة، و قد نبه إلی ذلک اللورد ملنر فی تقریره. أما مسألة الشیوعیة فإنی أذکر أنی قرأت فی الجرائد أن أساقفة الکنائس اجتمعوا تحت ریاسة رئیس أساقفة کانتربری و قرروا أن الشیوعیة تخالف المسیحیة لأنها تنکر وجود الله و الحیاة الآخرة و توقد نار الحرب بین الطبقات الخ .. فما أن قرأت ذلک حتی عرضت مبادئها علی قواعد الدین الإسلامی و ذکرت مواضع الخلاف و نشرت ذلک بعض الصحف.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۶۳

و أری المساجلة ستضطرنی إلی ذکر بعض ما شارک به الأزهر فی المسائل التی تهم الأمة فی شخص أحد أبنائه کاتب هذه السطور، و لو لا موضع الحجة لما استبحت أن أنطق بکلمة، و إنی أذکرها مع الخجل و الاستحیاء:

۱- رأیت الأسر المصریة کما قلت فی حینها سنة ۱۹۲۲ بمدرجة السیول، و مهب الریاح، تقوضها الریح إذا هبت و یذهب بها السیل إذا جری، یبیع الرجل أو یشتری فیقسم علی سلعته بالطلاق کذبا لترویج سلعته فإذا امرأته طالق- یغضب الرجل و الغضب غول یغتال العقل فیطلق زوجته ثم یبقی نادما علی بیت هدمه و أبناء شتتهم- یطلق الرجل امرأته ثلاثا فی لفظ واحد فتبین منه، و یندم و لات ساعة مندم.

رأیت ذلک فنظرت فی الشریعة الإسلامیة و أقوال الماضین فرأیت الرسول یقول: لا طلاق فی إغلاق- أی غضب- و إذا من الأئمة من یری أن یمین الطلاق التی الغرض منها الحث علی شیء أو النهی عنه لا- تقع طلاقا و إذا القرآن یوجب أن تطلق المرأة لعدتها طلقة واحدة و أن تبقی فی بیت الزوجیة، فإذا بلغت الأجل فأما أن یعاشرها بالمعروف أو یفارقها بالمعروف، و علل ذلک بقوله- لعل اللّه

یحدث بعد ذلک أمرا- فیعطف قلبه بعد نفور، فجعل اللّه له سعة فی مراجعة ما کان منه، و کان الطلاق علی عهد رسول اللّه و أبی بکر و سنتین من خلافة عمر طلاق الثلاث طلقة واحدة فأمضاه علیهم عمر فکتبت ذلک کله فی مقال و نشرته بإمضاء- م.ع فثارت ثائرة بعض المحافظین وردوا علی ذلک، و لکنها کانت حجرا ألقی فی الماء الراقد فنبهت الأذهان و فعلت فعلها حتی صدر قانون المحاکم الشرعیة بعد ذلک مطابقا لکل ما اقترحته .. فإن کان ذلک قد خفظ الأسرة المصریة من التداعی و الانهیار و حفظ الأبناء من الشتات و الضیاع، فعند الله احتسب ما صنعت و أدخر ما قدمت.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۶۴

۲- کتبت فی فتنة القبعة و کنت أرید أن أحفظ علی المسلمین شخصیتهم، و رددت علی القائلین أنها لباس المتقدمین فی العلم و الحضارة، فقلت لیس التقدم بتغییر لباس الرأس و إنما هو بتغییر ما فی الرأس، و اعمدوا إلی رءوسکم فنظفوها من الخرافات و حلوها بالعلوم و المعارف بذلک و بذلک وحده تتقدمون.

۳- حاضر الدکتور فخری فهاجم الاسلام فی أمور کثیرة: منها جعله المرأة علی النصف من الرجل فی المیراث، فدعا الأزهر الشیوخ و النواب و رجالات العلم إلی سماع محاضرة فی قاعة المحاضرات بدار العلوم، فقمت فألقیت هذه المحاضرة، و کتب المرحوم الهباوی فی شأنها یقول:

هذه أول مرة یستمع الناس فیها إلی محاضرة تمکث ساعتین بدون سأم و لا ملل.

۴- زعم مرقص باشا سمیکة فی التقویم السنوی للحکومیة أن المعز لدین الله الفاطمی تنصر و قضی بقیة أیامه فی کنیسة سیفین، فکتبت أرد هذه الفریة بالأدلة التاریخیة القاطعة فلم یسع الباشا إلا أن یعلن فی الصحف أنه أمام هذه الأدلة یرجع عن رأیه.

۵- کتبت فی تفسیر آیات الأحکام و عرضت للوصیة و ما ثبت من أنه لا وصیة لوارث، و بینت أن صاحب المال قد یکون بعض أبنائه بررة به، و بعضهم یعقونه، فیرید أن یوصی للبررة بفضل فی ماله، و هذه إرادة مشروعة عقلا فکیف یحرم منها و بینت بعض المذاهب التی تجیز ذلک و قد نشرت أمثال هذه البحوث بجریدة البلاغ، فجاءنی المرحوم أحمد بک قمحة- وکیل مدرسة الحقوق وقتئذ- و قال: جئتک علی غیر معرفة سابقة لأتعرف بک، و قال لو کتبت الشریعة بهذا القلم لرفع الخلاف بین الشریعة و القانون.

۶- کتبت کتاب نقض مطاعن القرآن الکریم للرد علی الأفکار التی

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۶۵

کانت تذاع فی الجامعة مما تطعن فی القرآن الکریم، و رددت علی کتاب الشعر الجاهلی، و کتبت مقالات فی الرد علی ضمیر الغائب و استعماله اسم إشارة.

۷- أخرجت کتاب «النحو و النحاة بین الأزهر و الجامعة» للرد علی کتاب إحیاء النحو، و کتب بعض شیوخ الأزهر السابقین له مقدمة یظهر فیها الإعجاب و التقدیر، و ذکر لی بعض أصدقائی أن رحالة من النحویین جاء إلی مصر، و بحث عنی و قال: جئت إلی مصر و غایتی منها أن أری صاحب کتاب النحو و النحاة ...

۸- کتبت السر فی انتشار الإسلام و هی رسالة کلفتنی بها جماعة کبار العلماء لحمایة الإسلام و قد طبعها الأزهر و ترجمت إلی اللغة الفارسیة و الصینیة.

۹- أخرجت کتاب اللغة العربیة- لماذا أخفقنا فی تعلیمها- و کیف نعلمها- هدیت فیه إلی الطریق الطبیعی لتعلیم اللغات عامة و اللغة العربیة خاصة- و قد نشر قبل ذلک مقالات فی مجلة الرسالة- و قد لخصه العالم الجلیل عبد القادر المغربی و نشره فی مجلة المجمع العلمی بدمشق، و قدم له بحث المدارس فی بلاد العرب علی الأخذ بما فیه لیکسبوا ملکة التکلم و الکتابة باللغة العربیة ...

۱۰- حملت علی الشعر الفاسق حملة شعواء، لأنه یزین الرذیلة و الخمر و یفسد الشباب، و کان ذلک فی حفل تأبین المرحوم شوقی بک و فی مؤتمر الثقافة العربیة المنعقد بلبنان سنة ۱۹۴۷، و طلبت أن تکون المختارات للطلاب فی دور العلم من الشعر العفیف و کان

أیضا فی محاضرات ألقیتها فی مشاکل الشباب فی محطة الشرق الأدنی، و حملت علی الأغانی الخلیعة و الروایات المفسدة للأخلاق و الصور العاریة فی المجلات و الجرائد و النساء الکاسیات العاریات فی النوادی و الشوارع،

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۶۶

و ناشدت المجتمع أن یرفق بالشباب إذ یعرض أمامه کل هذه المفاتن و یطلب منه الصون و العفاف.

۱۱- والیت أحداث مصر فکنت أکتب فی کل مناسبة أری الرأی النافع فأدلی به و أدعو إلیه فکتب فی فتنة الزقازیق و دعوت إلی الصفاء و الوئام بین عنصری الأمة، و بینت أن الإسلام جعل لهم مالنا من حقوق و علیهم ما علینا من واجبات، و کنت أکتب فی المناسبات الدینیة کالهجرة و المولد، و أحث علی فضیلة أجعلها نصیحة العام، و کنت أؤمن بالوحدة و یمنها و أکره الفرقة و الانقسام فکنت أخوف منهما و أحث علی التعاون و الوحدة، و لقد قلت فی بعض ما کتبت إنکم لو خسرتم کل شیء و ربحتم الوحدة فقد ربحتم کل شیء، و إذا ربحتم کل شیء و خسرتم الوحدة فقد خسرتم کل شیء.

۱۲- کتبت رسالة الأزهر فی القرن العشرین و درست فیها الأزهر و علله و وصفت له أداء رسالته، و کان فیما عرضت له فیها- إضراب الشباب- فقد رأیت الشباب فی الأزهر و فی دور العلم و الجامعات قد هجر الدروس و اعتاد المظاهرات و الاعتداء علی الأملاک العامة، و رأیت أن هذه الحالة تخرج جیلا جاهلا اعتاد الفوضی و عدم احترام القانون من حیث تجعل المدارس مکانا للتعلیم و التربیة و التعود علی النظام و احترام حقوق الغیر، فإذا خرج هؤلاء و أولئک عن الجادة فمن سنة اللّه أن یغلب العلم الجهل، و النظام الفوضی، و الفضیلة الرذیلة، و بحثت فی سبب ذلک و علته فإذا هی السیاسة الحزبیة دخلت دور العلم و أخذ کل حزب فریقا یشغب به إذا أراد الشغب.

و علمت إنی بذکر ذلک أغضب الأحزاب و الحکومات التی تستند إلیها فترفقت و بینت أن ذلک واجب دینی، و إنی أکون من الخائنین للأمة و للشباب و ممن یکتمون ما أنزل اللّه من البینات و الهدی إذا کتمت هذه النصیحة، فلم یجد کل ذلک فعزلت من وظیفة مدیر الوعظ و الارشاد فی سنة ۱۹۴۸ لقیامی بهذا الغرض الدینی. النصیحة للّه و للرسول و لأئمة المسلمین

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۶۷

و عامتهم، و قد تبدلت العهود و ولی الوزارة حزبیون و مستقلون و لم یغیر هذا الظلم حزبی و لا مستقل، کأن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر جرم لا تقال عثرته و لا تقبل توبته، و لست فی ذلک بغاضب و لا متسخط بل ربما کنت راضیا بالقضاء فیه لما أرجو من ثوابه و جلیل جزائه:

و لست أبالی حین أقتل مسلماعلی أی جنب کان فی اللّه مصرعی

و إنما الذی أرید أن أقدم نصیحة أخری و لا أدری ما عاقبة هذه النصیحة أیضا.

إن المنافسة کثیرا ما تکون بین أبناء الطائفة الوحیدة و کثیرا ما تکون غیر مشروعة فیکید بعضهم لبعض عند أولی الأمر، و یصورون الناصح الشفیق بصورة العدو الضار، و یزعمون الخیر الصرف شرا بحتا، و لو تنبه أولو الأمر لهذا الباب لما أصابوا بریثا.

إن الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر فرضان من فرائض الإسلام کالصلاة و الصوم، فالعقوبة علیهما کالعقوبة علی أداء الصوم و الصلاة، و لا یصح أن یکون ذلک فی بلد إسلامی کمصر.

إن العصر الحاضر لا یحترم شیئا کحریة الرأی، لأنه یراها السبیل الوحید لتقدم الإنسانیة، و لیس أدل علی تأخر بلد من الحجر علی الحریات، فإذا شاءت مصر أن تکسب احترام الدول فلتعمل علی احترام الآراء فیها ..

إن أولی الأمر فی مصر إذا ظلوا یخنقون الرأی و یضیقون بالنقد، فإن لیل التأخر باق و طویل و فجر الاصلاح بعید جد بعید.

تلک شقشقة هدرت ثم قرت، و ثورة هاجتها الذکری ثم سکنت فلأرجع إلی ما کنت فیه.

ماذا أرید أن أقول- أرید أن أقول هذه بعض مشارکات شارک بها فرد

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۶۸

واحد من أفراد الأزهر فهل ترونها مشاركة عن فهم و إدراك و تبصر و شجاعة حتى إنها عصفت بصاحبها، و رمت به خارج الأزهر، هل ترونها حركات إصلاحية تولى صاحبها قيادتها و قام بتوجيهها، و هل ترون فيها إنتاجا عقليا ينير عقول الناس و يتركهم خيرا مما كانوا؟.

فإذا كان هذا ما قام به أزهرى واحد فهل يسوغ أن يقول قائل: إن الأزهر لا يشارك الأمة فى عواطفها، و لا يقوم بحركة من حركات الإصلاح فيها، و لا ينتج إنتاجا عقليا ينير العقول و يرضى النفوس ..

هذا و الشيخ محمد عرفة من أكثر علمائنا نشاطا و إنتاجا و جهادا و بلاء فى سبيل الدين و الأزهر.

خدم الثقافة فى الأزهر مدة طويلة، و منذ عام ۱۹۳۰ اختير أستاذا للشريعة الإسلامية بكلية الشريعة، ثم وكيلا للكلية، ثم عضوا فى هيئة كبار العلماء التى ألفت لنشر الدعوة فى سبيل اللّه و لمقاومة التبشير، ثم اختير أستاذا للفلسفة بكلية اللغة العربية، ثم أستاذا للبلاغة فى تخصص الأستاذية بالكلية نفسها، و اختير عضوا فى مجلس إدارتها، و منح عضوية جماعة كبار العلماء، ثم اختير مديرا للوعظ عام ۱۹۴۶ و أنعم عليه بكسوة التشريف العلمية من الدرجة الأولى، ثم اختير مديرا لمجلة الأزهر ثم اختير أستاذا ذا كرسى فى كليات الأزهر الشريف.

و له كثير من المؤلفات و البحوث الذائعة، كنقض مطاعن فى القرآن الكريم، و مؤلف فى تفسير آيات الأحكام، و السر فى انتشار الاسلام، و النحو و النحاة، الذى منح به عضوية جماعة كبار العلماء، و آخر كتاب له «مشكلة اللغة العربية»، هذا إلى كثير من البحوث و المحاضرات و المقالات.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۶۹

و الأستاذ «عرفة» بحق عالم متضلع، و باحث دقيق، و مفكر واسع التفكير كثير الإحاطة بآثار القدامى و بشتى الثقافات الحديثة، و هو من صفوة العلماء الذين يفخر بهم الأزهر، و يعتز بجهادهم العلمى و مكانتهم العلمية الكبيرة، و بجمع إلى ذلك كله التواضع و النبل و عظمة الخلق و جلال العلماء و وقار المرشدين. و توفى يوم الثلاثاء ۵ من ذى الحجة ۱۳۹۲ ه- ۹ يناير ۱۹۷۳.

الشيخ على محفوظ

حفظ الشيخ على محفوظ القرآن فى كتاب قريته ثم رحل إلى مدينة طنطا لتجويد القرآن و تلقى العلم فى معهدها الدينى و بالمعهد أتم تعليمه الابتدائى و الثانوى و تلقى من العلوم ما كان مقررا فيه ثم أشار إليه شيوخه أن يستكمل دراسته العالية بالأزهر فجاء إليه بالقاهرة و أخذ عن كبار شيوخه إذ ذاك. أخذ عن الشيخ محمد عبده و الشيخ أحمد أبى خطوة و الشيخ بخيت المطيعى و الشيخ الحلبى و غيرهم و حصل على الشهادة العالمية سنة ۱۳۲۴ ه. و اشتغل فى التدريس فيه و لما أنشىء قسم الوعظ و الإرشاد بالأزهر اختير للتدريس فيه و وكل إليه أمر الإشراف عليه و وجد الشيخ فى هذا القسم ضالته و وقف عليه فكرة و وقته و جهده و بفضله أصبح هذا القسم معهدا لتخريج الدعاة و المرشدين الذين برزوا فى فنون الدعوة فى مصر و الأقطار الإسلامية. و قد حمله منهج الدراسة فى هذا القسم أن يضع كتبا تلائم الدراسة المقررة على طلابه فوضع بذلك كتابين هامين فى طرق الدعوة و مادتها يعتبران من أهم الكتب التى وضعت فى فنون الدعوة الحديثة و هما كتابا (الإبداع فى مضار الإبتداع) «و هداية المرشدين» إلى طريق الوعظ و الخطابة أما الأول فهو كما يدل عليه اسمه فى بيان البدع التى شاعت و نسبت خطأ إلى الدين و قد تتبع كثيرا من البدع فى العقائد و العبادات و المعاشرة و العادات و بين أصل الخطأ فيها و وضعها من الدين و قدم لذلك

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۷۰

بمقدمات فى بيان السنة و البدعة و أقسامها و اختلاف أنظار العلماء إليها من جهة كونها مستحسنة أو غير مستحسنة.

و قد قال عنه العلامة المرحوم الشيخ يوسف الدجوى: هذا السفر الجليل المسمى بالإبداع الذى وضعه العلامة الفاضل الشيخ على محفوظ فيما رأيت خير كتاب جمع إلى تحقيق الباحث عذوبة الألفاظ و حسن الترتيب و لا غرو فالأستاذ من أجل علماء البرهان و فرسان حلبة الميدان و خير المرشدين و أجل الواعظين- و أما الكتاب الثانى هداية المرشدين فهو كما يدل عليه اسمه أيضا وضعه ليهتدى به المرشدون و الدعاة فى رسالتهم و يستعينوا به على أداء مهمتهم و يقول فى مقدمته: هذا مختصر فى الوعظ و الخطابة جعلته نبراسا للدعاة الناصحين و سراجا يضىء للخطباء الراشدين و قد تكلم فى مقدمته على الدعوة و تعريفها و هدى المصطفى صلى اللّه عليه و سلم فيها سواء بالخطابة أو الكتابة إلى الرؤساء و الملوك و تكلم عن تاريخ الوعظ و ألم بتاريخ القصص و القصاص و عرض لشخصية الداعى و ما ينبغى أن يكون عليه من الصفات العلمية و الخلقية و الطريق التى يستحسن أن يسلكها فى اختيار الموضوعات و الأساليب و ذكر نماذج المحاضرات فى موضوعات مختلفة. و قد تأثر فى هذين الكتابين بالإمام الغزالى فى كتاب الأحياء و بالإمام الشاطبى فى كتاب الاعتصام و بابن الحاج فى كتاب المدخل و ظهر هذا التأثر بالشاطبى فى كلامه عن البدعة و السنة و بالغزالى فى كلامه عن آداب الداعى و صفاته و المنهج الذى ينبغى أن ينتهجه فى دعوته. و لا زال هذان الكتابان منذ وضعا مرجعا لعلماء الوعظ و طلبته، و قد طبع فى مصر مرات عديدة- و للشيخ غير هذين كتب و رسائل منها مجموعة الخطب و الجواهر السنية فى الأخلاق الدينية و الدرة البهية فى الأخلاق الدينية. و سبيل الحكمة و قد كان الشيخ عضوا فى جماعة كبار العلماء و هى أكبر هيئة علمية فى مصر فيما سبق و منح الإمتيازات التى كانت لأعضائها.

و يعتبر الشيخ محفوظ صاحب مدرسة جديدة فى الوعظ فقد جاء على

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۷۱

فترة اضمحل فيها الوعظ و قل الوعاظ لا فى مصر وحدها بل فى العالم الإسلامى كله. و الوعظ كما تعرف أهم الوسائل لنشر الدين بأحكامه و آدابه و تقويم من انحرف عن سبيله و قد أثارت هذه الحال انتباه المصلحين فحاولوا علاجها و فكر جماعة منهم فى سد الفراغ فأنشئوا مدرسة لتخريج الدعاة و تأهيلهم فنيا و سموها دار الدعوة و الإرشاد و لكنها لم تلبث طويلا و لم تحقق الغرض منها فلما بدأ النشاط للشيخ فى ميادين الوعظ أحس الناس بشغل كثير من ذلك الفراغ. فقد كان رحمه اللّه أمة فى فرد يقوم بما تقوم به جماعة وفيرة العدد و لقد امتلأ إيمانا بوجوب حمل تلك الرسالة و حبب اللّه إليه هداية الناس حتى غدا ذلك الحب جزءا من طبيعته. فأنى رمت الهداية وجدت الشيخ يحمل مشاعلها فى النوادى و الجمعيات و فى العواصم و القرى من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب و لا يشغله عن رسالته شاغل. و كان الشيخ أسلوب خاص فى وعظه و كان له أثر فى نجاحه فقد كان يحاول أن يربط وعظه بأحداث المجتمع و مشاكله و يستمد منها العظة و العبرة و يتخير الأسلوب المناسب لمستمعيه محاولا أن يضفى عليه وسائل التشويق و الإثارة من فكاهة طريفة أو نادرة لطيفة أو قصة ذات مغزى و هدف ليبعث نشاطهم و يجذبهم إليه و قد تأثر فى طريقته بالإمام الغزالى و ابن الجوزى فليس الوعظ عنده سرد الأحكام و التحذير الجاف المنفرد و إنما كان منهجه قول اللّه تعالى ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، و قول الرسول صلى اللّه عليه و سلم:

يسروا و لا تعسروا و بشروا و لا تنفروا و قاربوا و سددوا.

و بالموعظة الحسنة و العرض اللطيف كان يبلغ غايته و هذه هى اللباقة فى التبليغ و هذا هدى الأنبياء و المرسلين. و لقد تأثر بطريقة الشيخ تلامذته ففى كثير منهم ملامح من منهج الشيخ و أسلوبه و كان الشيخ سلفيا يحرص على المأثور و يحارب البدع لا يتسمح فى شىء منها و ألف فيها كتابا خاصا سبقت الإشارة إليه و قد أسهم بقلمه و جهده فى أكثر الجمعيات الدينية التى وجدت أو كانت موجودة. أسهم فى جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۷۲

و جمعية الهداية الإسلامية و جمعية نشر الفضائل الإسلامية كما أسهم فى جمعية الرد على المبشرين و فى جمعية تحفيظ القرآن

الکریم هـذا إلی جهوده فی اجتماعـات خاصـة فی منزله و فی عیـادات الأطبـاء و مکـاتب المحامین و غیرهم. و لما اسـتخدمت محطة الإذاعـة بالقاهرة فی نشـر الوعی الـدینی و الثقافـة الإسـلامیة کان للشـیخ نصـیب فیها و کان من عادته أن یقوم بإلقاء الـدروس الدینیة بالأزهر عصر کل یوم من شهور رمضان و ظل محافظا علی ذلک حتی انتقل إلی جوار ربه رحمه اللّه.

و کان الشـیخ مثلا فی الخلق و التواضع سمحا لطیفا تؤمن بوادره و یغضی عما لا یروقه و کان ألفا مألوفا أحبه تلامیذه و زملاؤه و کل من عرفه.

و کان وسـیم الطلعة مشـرق الوجه تبدو علیه سمات الصالحین، فکان مرجو البرکة مطروق الرحاب کما کان موضع التقدیر من الکبراء و العظماء جمعته و المرحوم الشـیخ محمد الخضر حسین التونسی المحبة فی اللّه و الرغبة فی إحیاء دینه فأنشأ جمعیة الهدایة الإسلامیة التی قامت بجهد مشـکور فی التبصـیر بالدین و الأخذ بید الغافلین و قد هدی اللّه علی یدیه خلقا کثیرا. و قد ولد الشـیخ فی قریة محلة روح من قری مدینة طنطا و توفی سنة ۱۳۶۱ ه و اسمه الکامل علی بن عبد الرحمن بن محفوظ.

الشیخ صالح شرف

- ۱- و هو الشیخ الأستاذ الکبیر صالح موسی حسن أحمد شرف عضو جماعة کبار العلماء و السکرتیر العام للأزهر الشریف.

ولد فی بنی عدیات الوسـطانیة مرکز منفلوط مدیریة أسـیوط یوم ۴ یولیو سنة ۱۸۹۴، و التحق فی السابعـة من عمره بمکتب الدردیر و تعلم القرآن الکریم و حفظه و فهم أحکامه و تجویده و سـنه لا تتجاوز الثالثة عشـرة، التحق بالأزهر الشریف فی المحرم ۱۳۲۷ الموافق ۱۹۰۸، و تلقی العلوم الدینیة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۷۳

و العربیة علی أفاضل العلماء، و منهم الشـیخ عبد الحکم عطا و الشـیخ حسن الحواتکی و الشیخ أحمد هیکل و الشیخ محمد حسنین و الشـیخ حسـنین محمد مخلوف و الشـیخ یوسف الدجوی و الشـیخ حسن مدکور و الشیخ البراد و الشیخ عطا المرصفی و الشیخ محمد البرادی، ثم نال الشـهادة الأهلیـة عام ۱۳۳۵ ه، و نـال جوائز مالیـة کـانت تعـدها مشـیخة الأـزهر للمتفوقین فی علوم التوحیـد و الفقه و الأصول و الإنشاء، و نال الشهادة العالمیة ۱۳۴۱ الموافق ۱۹۲۴ و کان لجنة الامتحان مکونة من أصـحاب الفضیلة الشیخ عطا المرصفی رئیسا و الشیخ محمد السرتی و الشیخ البرد و الشیخ الغریبی و الشیخ المرشدی و الشیخ عبد المقصود الفشنی، و حضر الامتحان الشیخ عبـد المجید اللبان و الشـیخ صادق عزام و حصل علی الشـهادة العالمیة و کان ترتیبه الثالث من ۱۴۳ متخرجا، و عین إماما و مـدرسا و خطیبـا فی مسـجد بمدیریـة المنیا، ثم نقل من هـذا المسـجد إلی المسـجد الأموی بأسـیوط فی ینایر ۱۹۲۶ و دخـل مسابقـة امتحان فی التاریـخ أعلنها الأزهر لاختیار مدرسـین بالأزهر و نجح فیها بتفوق، ثم عین مدرسا بمعهد أسـیوط الدینی فی عام ۱۹۲۷ و نقل فی عام ۱۹۳۱ إلی معهد الزفاریق و لکنه لم یمکث به إلا شـهرا، ثم عاد إلی معهد أسـیوط مرة ثانیة، و مکث مدرسا بمعهد أسـیوط منذ تعیینه حتی عام ۱۹۳۸، و نقل فی عام ۱۹۳۸ إلی کلیة أصول الدین للتدریس بها، ثم انتدب وکیلا لمعهد الأسـکندریة الدینی فی عام ۱۹۴۴ و مکث بالمعهد سنتین، و عاد إلی کلیة أصول الدین مرة ثانیة فی ۱۹۴۶، ثم عین شیخا لرواق الصعایدة فی عام ۱۹۴۸، و انتدب شیخا لمعهـد أسـیوط الدینی فی عام ۱۹۵۰ حتی عـام ۱۹۵۲، و عین عضوا فی جماعـة کبـار العلمـاء فی عام ۱۹۵۱ و رجع إلی کلیـة أصول الدین فی عام ۱۹۵۲.

عین سـکرتیرا عاما للجامع الأزهر و المعاهـد الدینیة فی عام ۱۹۵۳ و عین عضوا بـالمجلس الأعلی للأزهر فی أکتوبر ۱۹۵۴، و لا یزال یلقی المحاضرات العلمیة علی طلبة کلیة أصول الدین.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۷۴

الشیخ محمد محیی الدین عبد الحمید

من کبار الشیوخ الأزهریین، و أکثرهم إنتاجا و تألیفا، و أذیعهم شهرة و ذکرا فی العالم الإسلامی، و الکتب التی حققها و نشرها و ألفها تزید الیوم علی مائة کتاب و من بینها العدید من الکتب الدراسیة فی الأزهر الشریف، و طائفة من أصول کتب البلاغة و التاریخ و الأدب و النقد.

و الشیخ محمد محی الدین یتولی الیوم مشیخة کلیة اللغة العربیة إحدی کلیات الأزهر الشریف، و قد تخرج فی الأزهر الشریف عام ۱۹۲۵، و تولی التدریس فی الأزهر ثم اختیر أستاذا فی کلیة اللغة العربیة منذ إنشائها ثم وکیلا لها، ثم ندب مفتشا بالأزهر الشریف، فاستاذا لکرسی الشریعة الإسلامیة فی کلیة غردون بالخرطوم، ثم أستاذا للفلسفة فی کلیة أصول الدین، ثم رئیسا للتفتیش علی العلوم العربیة و الدینیة فی الأزهر، ثم عمیدا لکلیة اللغة العربیة، و کان والده من خیار الشیوخ الأزهریین و تولی قبل وفاته منصب مفتی وزارة الأوقاف و کانت له فی الناحیة الدینیة و الإسلامیة آثار عدیدة.

و قد مثل الشیخ محمد محی الدین عبد الحمید الأزهر فی کثیر من المؤتمرات الأدبیة و الثقافیة و الدینیة، و هو فی طلیعة الشیوخ الذین لهم فقه باللغة العربیة و أصولها و آدابها، و فی مقدمة الأساتذة الذین شارکوا فی دعم کیان الأزهر العلمی فی نهضته الحاضرة.

و توفی رحمه اللّه یوم السبت ۲۵ من ذی القعدة ۱۳۹۲ ه ۳۰ دیسمبر ۱۹۷۲ م.

الشیخ شلتوت

هو أحد أعضاء جماعة کبار العلماء البارزین، و له الکثیر من الإنتاج العلمی و الدینی القیم، و طائفة من المقالات و الأحادیث الإسلامیة الجدیدة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۷۵

فی أسلوبها و منهجها و طریقة تفکیرها .. و الشیخ محمود شلتوت من أسر علماء الأزهر ذکرا، و أذیعهم شهرة، و أکثرهم تقدیرا من شتی البیئات العربیة و الإسلامیة، و قد تخرج فی الأزهر من نحو ثلاثین عاما، و عین مدرسا فیه، ثم أستاذا فی کلیة الشریعة الإسلامیة، فوکیلا لها، فمفتشا فی الأزهر الشریف، فعضوا فی جماعة کبار العلماء، و عضوا فی لجنة الفتوی بالأزهر، فمراقبا عاما للبحوث و الثقافة فی الأزهر، و قد مثل الأزهر فی کثیر من المؤتمرات العربیة و الإسلامیة، و هو من تلامذة الشیخ عبد المجید سلیم الأوفیاء، و ممن درسوا أفکار الإمام محمد عبده الإصلاحیة التجدیدیة و تأثروا بها.

الشیخ محمد کامل حسن

فی عام ۱۹۳۶ اختیر الشیخ أستاذا فی کلیة اللغة العربیة من بین زملائه أساتذة المعاهد الدینیة، و سمعنا منه الکثیر من المحاضرات فی شتی العلوم العربیة، و تلقی علیه کثیر من الذین تخرجوا فی الکلیة و التحقوا بشتی المعاهد و المدارس، و قد راعنا من الشیخ سعة أفقه، و دماثة خلقه، و وداعة نفسه.

و فی عام ۱۹۴۸ أختیر- ثقة به- للتفتیش فی الأزهر فی العلوم الدینیة و العربیة، و فی عام ۱۹۴۹ اختیر وکیلا لکلیة اللغة العربیة بعد وفاة وکیلها الخالد الذکر المغفور له الشیخ محمد أبی النجا، و بعد أن ذهب وفد من أساتذة الکلیة و عمیدها آنذاک إلی شیخ الأزهر المغفور له الأستاذ الأکبر الشیخ محمد مأمون الشناوی یطلبون منه اختیاره لوکالة الکلیة، و قالوا له:

إنه سیکون خیر خلف لخیر سلف، فاستجاب شیخ الأزهر مسرورا لهذه الرغبة، و تم ذلک بقرار مجلس الأزهر الأعلی الصادر فی مارس سنة ۱۹۴۹.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۷۶

و قد وقف الشیخ حیاته علی خدمة الکلیة، و رفع مستواها العلمی و الأدبی فی إخلاص و محبة و صدق و تعاون مع الجمیع، و قد عدلت مناهج الکلیة مرارا بإشرافه حتی سایرت أحدث المناهج فی کلیات الآداب و التربیة الجامعیة المختلفة .. و قد مثل الأزهر و الکلیة فی کثیر من المناسبات و کثیر من اللجان، فکان یرفع دائما من کرامة الأزهری، و یعزز الثقة فیه، مع تواضع المعتز بنفسه. و کثیرا ما یعلل الشیخ فلسفته فی التواضع بهذه الحکمة: «إنما یتدلی من الشجرة فرعها المثمر».

و قد ولد الشیخ فی یوم ۶ من یونیه سنة ۱۸۹۵ و کان والده أزهری النشأة، فعنی بتربیته و تحفیظه القرآن الکریم لیکون طالبا بالأزهر، و أتم تجوید القرآن فی الأزهر سنة ۱۹۱۰.

و فی سنة ۱۹۱۱ انتسب إلی الأزهر طالبا فی بدء النظام الذی وضع له القانون رقم ۱۰ عام ۱۹۱۱ و عرف بنظام الشیخ محمد شاکر، لأنه الذی وضع أسسه و رسم خططه و بدأ بتنفیذه و اختار له المدرسین النابهین النابغین، و کان لهذا النظام ثلاث مراحل (ابتدائی و ثانوی و عال) و مدة کل مرحلة خمس سنوات دراسة- لهذا کان أول فوج تخرج فی هذا النظام سنة ۱۹۲۴، و کان الشیخ من أوائل الناجحین فی جمیع سنی دراسته بهذا النظام.

و عین مدرسا سنة ۱۹۲۵ عقب تخرجه بمعهد طنطا، ثم نقل إلی معهد دسوق ثم الزقازیق.

و کان فی کل مکان قدوة عالیة لرجل الدین المثقف المستنیر، الحریص علی أداء رسالته، و علی تعزیز ثقة المجتمع به، و رأس لجان الامتحان للشهادات الأزهریة الکبری، فکان مثالا عالیا للنزاهة و الکفایة و حسن السمعة بین الناس، و مع أعماله الإداریة الکثیرة فهو یشغل کرسیا

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۷۷

علمیا فی الکلیة و یقوم بنشاط علمی کبیر محمود بین الأستاذة و الطلبة، و یعده الطلاب أبا روحیا، کا یعده الأساتذة زمیلا حمیما لهم، و قد حاز ثقة شیوخ الأزهر علی اختلاف مذاهبهم و اتجاهاتهم و نوهوا بکفایته و أمانته و حرصه علی أداء الواجب فی مناسبات کثیرة، و قد شهدت الکلیة منذ عام ۱۹۵۳ نشاطا رائعا بفضله و توجیهه، و شهدت فی أوائل عام ۱۹۵۴ میلاد صحیفة یومیة داخلیة کاملة یکتبها الطلبة بأیدیهم، و میلاد صحف مطبوعة، و ذلک بفضل یقظته و توجیهه و رعایته ... و الشیخ من أحب علماء الأزهر إلی قلوب الناس و الطلاب، و هو فی ورعه و تقواه قدوة طیبة.

و قد توفی الی رحمة اللّه فی ۲۹ من شعبان ۱۳۸۹ ه نوفمبر ۱۹۶۹ م.

الشیخ حسین خفاجی

کان والده السید محمد خفاجی (۱۲۷۷ ه- ۱۹۴۰ م) من کبار الصوفیین الزاهدین فی ثغر دمیاط- و قد ولد الشیخ حسین فی یونیو عام ۱۸۹۶، و تخرج من الأزهر فی فبرایر عام ۱۹۲۳ بعد أن نال العالمیة بتفوق، و تنقل فی الوظائف الإداریة بالأزهر الشریف، و هو الیوم کبیر المراقبین فی کلیة الشریعة الإسلامیة، التی اختیر لها منذ إنشائها، و له فیها أیاد تذکر بالتقدیر من جمیع شیوخ الأزهر الشریف ...

الشیخ عبد المتعال الصعیدی

من الشیوخ الثائرین فی الأزهر، ذوی الآراء الإصلاحیة التقدمیة، و هو من بینهم یمتاز بمیل إلی التجدید، و عکوف علی البحث و التألیف.

ولد فی قریة «کفر النجبا» من أعمال مرکز أجا بمدیریة الدقهلیة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۷۸

عام ۱۳۱۳ ه- ۱۸۹۴ م و مات والده و هو ابن شهر، فکفلته والدته، و تعلم فی کتاب القریة.

ثم انتسب إلی الجامع الأحمدی، فدرس فیه علی النظام الحدیث و أظهر تفوقا فی الدراسة، و یقول فی ترجمته لنفسه فی تاریخ الإصلاح فی الأزهر:

تابعت دراستی فی جد و اجتهاد، حتی کنت أول الناجحین فی أغلب سنی الدراسیة، فإذا لم أکن الأول کنت الثانی أو الثالث، لأنی کنت علی انتقادی الآن لطریقة التدریس القدیمة آخذ نفسی بأقصی ما نصل إلیه فی البحث اللفظی و المعنوی، حتی کان الدرس یمضی فی عراک علمی بینی و بین المدرس، و لهذا کنت موضع تقدیر أساتذتی و حبهم، و من أشهرهم الشیخ محمد الشافعی الظواهری، و الشیخ محمد الأحمدی الظواهری.

و لکنی کنت مع هذا شدید الشغف بمطالعة کل ما تظهره المطبعة من کتب الأدب و الفلسفة و غیرها، فکنت أطالع کل کتاب قدیم أو حدیث تظهره المطبعة، و أطالع المجلات العلمیة و الأدبیة، و کذلک الجرائد الیومیة، و لا سیما جرائد الحزب الوطنی الذی کان یقوم بالجهاد السیاسی فی ذلک الوقت، فکنت أتلقی فی هذه الجرائد دروس الوطنیة، و کانت تغرس فی نفسی حب الجهاد فی سبیل الوطن، و لقد کنت و أنا تلمیذ بالکتاب آخذ نفسی بالمطالعة، فکنت أطالع الکتب القصصیة الشائعة فی القری، و لا سیما قصة عنترة العبسی، فقد طالعت فیها کثیرا، و أعدت قراءتها نحو أربع مرات، و لعل هذا هو الذی ربی فی حب المطالعة بعد أن صرت طالبا بالجامع الأحمدی، و قد أخذت شهادة العالمیة علی النظام الحدیث فی سنة ۱۹۱۸ م (۱۳۳۶ ه)، و عینت فیها مدرسا بالجامع الأحمدی بعد امتحان

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۷۹

مسابقة جری بین أکثر من مائة عالم نظامی فی نحو عشر وظائف، فنجحت فیه أنا و عالم آخر، و سقط فیه الباقون لصعوبته.

و ألف کتابا سماه «نقد نظام التعلیم الحدیث للأزهر الشریف»، و أهم بحوثه کما یقول الشیخ نفسه:

۱- کلمة فی نقد قانون التخصص.

۲- تمهید فی بیان الحاجة إلی الإصلاح، و فائدة العلوم الحدیثة فی الدفاع عن الدین، و فی بیان قصور النظام الحدیث عن الإصلاح المطلوب.

۳- الموازنة بین العهد القدیم و النظام الحدیث، و خلاصتها أن الفرق قلیل جدا بینهما، لأن النظام الحدیث لا یزال یعتمد علی کتب العهد القدیم، و علی طریقة التدریس القدیمة، و لا یمتاز النظام الحدیث عن العهد القدیم إلا بدراسة بعض العلوم الحدیثة التی تدرس فی المدارس الابتدائیة و الثانویة، و هی دراسة ناقصة لا تناسب المعاهد الدینیة، و لا تحقق الغرض المقصود منها فیها، و هو استخدامها فی الدفاع عن الدین، و کان الواجب أن تدرس علی نحو ما تدرس فی الجامعات الکبیرة فی أوروبا، لأنها تدس فیها دراسة جامعیة، و لا یصح أن یقصر الأزهر فی دراستها عن هذه الدراسة، لأنها هی التی تلیق بأقدم جامعة علمیة دینیة.

۴- نقد کتب الدراسة، و خلاصة نقدها أنها من کتب المتأخرین ذات المتون و الشروح و الحواشی و التقاریر، و لما کانت متونها غامضة معقدة فدراستها تقوم علی أساس فهم عبارات هذه المتون، فهو الذی یقصد فیها أولا و بالذات، أما فهم مسائل العلوم و التمرین علیها فلا یهتم بها کما یهتم بفهم عبارات المتون، و هذا إلی أن هذه الکتب تسلک طریقة واحدة فی

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۸۰

التألیف، و خلط مسائل العلوم بعضها ببعض، فلا تتدرج فی هذا للطلاب بل تأخذ المبتدئین بما تأخذ به المنتهین، و قد کان لتعقیدها أسوأ أثر فی طلاب المعاهد الدینیة، لأنه یظهر فی أسلوب کتابتهم، و یحول دون النهوض به بتعلیم الإنشاء و مطالعة کتب الأدب، و لا یراد من هذا أن نرجع إلی کتب المتقدمین، بل یجب أن نعتمد فی الدراسة علی کتب تؤلف فی هذا العصر الحدیث، و تفتح باب

الاجتهاد فی الدین و العلم.

۵- نقد طریقة التدریس، و خلاصة نقدها أنها طریقة تلقینیة تقلیدیة، لا تعنی بتربیة ملکة الفهم الصحیح، و لا بإعداد الطلاب لیکون منهم علماء و حکماء یرفعون منار العلم فی الدنیا، و یتحدث العالم بعلمهم، کما کان یتحدث بعلم أسلافنا فی الماضی، و کما یتحدث الیوم بعلم أهل أوروبا.

۶- نقد العلوم القدیمة، و خلاصة نقدها أنها علوم جامدة لا تزال علی حالها منذ سبعة قرون، و لیس فیها أثر للتجدید الذی تناول کل شیء فی عصرنا، و قد کان علماؤنا الأولون یجتهدون فیها و یجددون فی کل عصر من عصورهم، فیجب أن نجتهد فیها و نعمل علی تجدیدها فی عصرنا.

۷- نقد نظام التعلیم، و خلاصة نقده أنه لا یتدرج بالطلاب فی مراحل التعلیم، بل یبدأ بالکتاب الأقل حجما و إن کان أصعب فهما، و یبدأ بالعلوم التی اعتید البدء بها فی العهد القدیم، و إن کان الواجب تأخیرها و البدء بغیرها، و کذلک یجعل مدة الدرس واحدة فی کل مراحل التعلیم، و یأخذ المبتدئین فی هذا بما یأخذ به المنتهین.

۸- إهمال التخصص فی العلوم، و خلاصة ما جاء فیه أن النظام الحدیث اتبع العهد القدیم فی تخریج علماء یأخذون کل العلوم التی یدرسونها بنسبة واحدة، فلم یحاول أن یوزعها فی آخر مراحل التعلیم علی الطلاب، و یجعل منها شعبا یتخصص الطلاب فیها، لیعیدوا عهد

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۸۱

التخصص فی علمائنا الأولین، و یتخرج منهم أئمة نابغون فیما تخصصوا فیه، و لا یکون هذا علی نحو ما جاء فی قانون التخصص السابق، لأنه لا یفید فی تخریج أولئک العلماء النابغین.

۹- نقد طریقة الانتساب إلی المعاهد الدینیة، و خلاصة نقدها أنها تجری علی الطریقة القدیمة من الاکتفاء بحفظ القرآن، و معرفة القراءة و الکتابة و لو أقل معرفة، فیجتمع بها فی السنة الأولی أصناف من الطلاب یتفاوتون تفاوتا کبیرا فی استعدادهم، و لا یمکن أن ینتظم سیر التعلیم بمثلهم.

۱۰- نقد طریقة الامتحان، و خلاصة نقدها أنه یجری علی طریقة التدریس، فالامتحان الشفوی یقصد منه اختبار الطلاب فی فهم عبارات الکتب، و الامتحان التحریری یقصد منه معرفة تحصیلهم لها، و حفظهم لمسائلها.

۱۱- إهمال تعلیم اللغات، و إرسال بعثات إلی أوروبا، و إنشاء ناد و مجلة للأزهر و المعاهد الدینیة، و إنشاء مجمع علمی و لجنة تألیف، و إنشاء مطبعة لطبع کتب الدراسة طبعا صحیحا. و هذه هی أهم أبواب ذلک الکتاب، و هو یقع فی ستین و مائة صفحة، و قد طبع عام ۱۳۴۲ ه.

و قد سبق الشیخ الأحمدی الظواهری أن نقد نظام التعلم فی الأزهر فی کتابه «العلم و العلماء و نظام التعلیم»، الذی کان من أهم بحوثه أبواب أربعة:

فالباب الأول فی العلماء، أخذ المؤلف فیه علی العلماء أنهم لا یعرفون شیئا سوی مناقشات الفنون و الکتب التی یدرسونها، فلا یعنون بمطالعة الجرائد و المجلات العلمیة، و لا یعرفون شیئا من اصطلاحات الناس و عاداتهم و غیر ذلک من أمورهم، و لا یمیلون إلا إلی ما وجدوا علیه

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۸۲

من قبلهم، لأنهم لا یرون الکمال إلا فی علومهم و معتقداتهم و کتبهم و طرق تدریسهم و سائر أحوالهم.

و الباب الثانی فی المدارس الدینیة- الأزهر و المدارس الملحقة به- و خلاصة ما جاء فیه أن هذه المدارس صارت لا فائدة فیها، و أصبحت لا تؤدی وظیفتها للعالم الإسلامی، لاختلال نظامها، و فساد طرق التعلیم فیها، فیجب إصلاحها بحمل طلابها علی المطالعة و

معرفة نظم الأشياء و حقائقها، و ما فی هذا العالم من شرائع و دیانات، و ما إلی هذا من الاصطلاحات التی جاءت فی هذا الباب.

و الباب الثالث فی العلوم، و قد عاب فیه طرق دراستها، و رأی أن یضاف إلیها کثیر من العلوم الحدیثة و تاریخ الملل و المذاهب و الآراء و اللغات الأجنبیة، و رأی أیضا أن یؤلف فیها کتب حدیثة ملائمة لهذا العصر، و ذکر أن الکتب التی تدرس فیها لا تختار من جید ما ألفه السلف، و إنما تختار من الردیء القلیل الفائدة.

و الباب الرابع فی طرق التعلیم، و خلاصة ما جاء فیه أن منتهی الکمال فی هذه الطرق هو التفنن فی فهم عبارات المتون، و إیراد ما لا یحصی من المعانی فی فهمها، و الإکثار من الاعتراضات و الأجوبة عنها، و هی طریقة معیبة لا تهتم إلا بهذه المباحث اللفظیة، و لا یعنیها تفهیم الطلاب مسائل العلوم فی ذاتها .. و قد تخرج الشیخ محمد الأحمدی الظواهری من الأزهر عام ۱۹۰۲ و تولی المشیخة عام ۱۹۲۹ و استقال منها عام ۱۹۳۵، و توفی فی ۲۰ جمادی الأولی ۱۳۶۳ ه- ۱۳ مایو ۱۹۴۴.

و قد استمر الشیخ عبد المتعال الصعیدی مثابرا علی البحث و التألیف، و أخرج العدید من الکتب، و لما أنشئت کلیة اللغة العربیة نقل إلیها مدرسا بعد قلیل، و من إنتاجه کتبه هذه.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۸۳

بغیة الإیضاح لتلخیص المفتاح أربعة أجزاء، الکمیت بن زید شاعر العصر المروانی تجدید علم المنطق فی شرح الخبیصی علی التهذیب، شباب قریش فی العهد السری للإسلام، المیراث فی الشریعة الإسلامیة و الشرائع السماویة، لماذا أنا مسلم، النحو الجدید، القضایا الکبری فی الإسلام، السیاسة الإسلامیة فی عهد النبوة، النظم الفنی فی القرآن، فی میدان الاجتهاد، الوسیط فی تاریخ الفلسفة الإسلامیة، المنطق المنظم فی شرح الملوی علی السلم، تعلیقات علی شرح السراجیة فی المیراث، دراسات إسلامیة، المجتهدون فی الإسلام، تاریخ الإصلاح فی الأزهر، الآجرومیة العصریة، زبد العقائد النسفیة مع شرحها و حواشیه، البلاغة العالیة فی علوم البلاغة، أبو العتاهیة الشاعر العالمی، الفقه المصور فی أحکام العبادات، زعامة الشعر الجاهلی بین امرئ القیس وعدی بن زید، روائع النظم و النثر، نقد نظام التعلیم الحدیث للأزهر الشریف.

إلی کتب أخری مخطوطة لم تقدم للطبع، و کتب أخری لم ینته من تألیفها.

السید حسن القایاتی

من علماء الأزهر الشریف، و من الشعراء النابهین فی الشعر العربی الحدیث، و هو حسن بن محمد بن عبد الجواد بن عبد اللطیف، زعیم بیت القایاتی، بیت مصر الوسطی: الجیزة، و بنی سویف، و المنیا، و الفیوم. و عضو المجمع اللغوی، و شیخ رواق الفشنیة فی الأزهر الشریف، ینتهی نسبه من جهة أبیه، إلی صاحب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، أبی هریرة رضی اللّه عنه. و من جهة الأم إلی الحسن السبط رضی اللّه عنه.

و بیت القایاتی أشبه البیوت الدینیة بالزوایا التی کان لها بالأوطان الإسلامیة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۸۴

فی العهود المتوسطة شأن مذکور- و لا زال- محط رجال الوافدین من الواحات، و من بلاد المغرب، و من أقالیم مصر الوسطی. یلقون فی ربوعه الکریمة، و فی رحابة الفیح و فی سماحته الطبیعیة، عودة الغریب إلی وطنه و النازع إلی عطنه، و الطائر إلی فننه. و هو- إلی أنه بیت دین و کرم بیت علم و أدب و سیاسة، فمن أعلام علمائه: السید أحمد عبد الجواد أحد علماء الأزهر و شیخ الفشنیة فی القرن التاسع عشر، و السید عبد العظیم محمد زعیمه السابق، و کل رجاله أدباء، و لهم فی السیاسة المصریة مقام مشهود، فالسیدان: محمد و أحمد عبد الجواد فی الصف الأول من زعماء الثورة العرابیة، و کان حظهم من آثارها النفی إلی سوریا الشقیقة لمدة أربع سنوات. و الشیخ مصطفی القایاتی، و خلفه شقیقه السید إبراهیم شیخ الفشنیة السابق: و علی الجملة: لم نجد فی مصر حرکة وطنیة أو دینیة، لم

یبذل فیها بیتا القایاتی فی القاهرة و فی «القایات» أو فی قسط من الجهود الأدبیة و المادیة بذل السخی المسماح. و السید حسن القایاتی، من لدات الشیخ مصطفی عبد الرازق و الشیخ محمود أبی العیون.

و تمر الأیام، و ذکری الشاعر حسن القایاتی لا تزال ملء القلوب و الأذهان، هذا الشاعر الذی استحدث دیباجة خاصة متمیزة فی الشعر المعاصر، و الذی امتاز شعره بروعة الفکرة و عمقها، و بجمال الأسلوب و عذوبته، و کان شعر القایاتی کأنه وشی منمنم، و کان یمیزه صفاء الطبع و جمال الموهبة و جلالها بطابع خاص.

و القایاتی من أسرة عربیة تنتمی إلی أبی هریرة رضی اللّه عنه، و منها شمس الدین القایاتی قاضی مصر المتوفی عام ۸۰۰ ه، و فی الخطط التوفیقیة لعلی مبارک نخبة من القایاتیین، و فی أحداث الثورة العرابیة یذکر والد السید حسن القایاتی و عمه، و قد نفیا إلی الشام، و کان السید مصطفی القایاتی من زعماء ثورة ۱۹۱۹.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۸۵

و بیت القایاتی یستوطن إقلیم المنیا، و هو من بیوت الدین و التصوف فی مصر.

ولد السید حسن القایاتی عام ۱۳۰۰ ه و التحق بالأزهر، و نبغ فی لأدب و الکتابة، و أحب الشعر و نظمه، حتی صار قرین المنفلوطی و الکاشف، و الهراوی و الرافعی.

طبع الجزء الأول من دیوانه عام ۱۹۱۰ م، و هو فی نحو العشرین من عمره، و مع کثرة شعره فلم یطبع له غیر هذا الدیوان حتی الیوم.

و اشترک فی الأحداث الوطنیة، و کتب فی الصحف و المجلات المقالات الرنانة، و نشرت له القصائد الرفیعة، و انضم إلی کتاب الوفد فی الثورات الوطنیة، ثم صار عضوا فی مجلس النواب المصری، ثم عضوا فی المجمع اللغوی فی القاهرة من عام ۱۹۴۳، و ظل یعانی فی آخر حیاته آلام المرض حتی توفاه اللّه إلی رحمته فی لیلة الثلاثاء الثانی و العشرین من اکتوبر عام ۱۹۵۷.

و لقد مضی السید حسن القایاتی فی شعره بجزالة الأسلوب الشعری و فخامته، و شرف المعنی و دقته.

و من شعر یتناول القایاتی فیه بیت عبد الرازق، فیقول:

یا مصطفی أمل الحجافی أمة خطبت حجاها

فطر الملائک ربهافی مثل خیمک، و احتذاها

الشمس بیتک، و العلاتنهل عارفة وجاها

عرفوا أباک فسدتهمو الشمس ما عرفوا أباها

إن تعل أسرة نابهفتعرفوا: من والداها؟

للدین بیت ثقافةللجامعات و ما بناها

فی هدی طه یعتلی‌ناديک، أم فی علم طه؟!

و یعرض القایاتی للازهر فیقول فی القصیدة نفسها

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۸۶ یا سیدا عصفت به‌شیم الجلالة و ابتناها

فتکت بنفسک عزةکالنار یتلفها لظاها

کرم أحل بربه‌تلف الأزاهر فی نداها

ضحک الغواة لنبله‌فبکی الفضیلة و افتداها

أنف الهوان بساحةالبدر یشرق فی ذراها

و من شعره فی الغزل:

إن فی الغادین منی طفلةقام بدع الحسن منها و قعد

صورت من جوهر الشمس فماهى إلا ريق النور جمد

أوقد الحسن على وجنتهاجمر قلبى، فتلظى و اتقد

يعكف الطرف عليها مغضياقد رأى قبلة حسن فسجد!

لا يرانى اللّه إلا ذاكراليلة التوديع، و البين يعد

أقبلت و الليل يرنو نجمهنظرة الزنجى حقدا أو كمد

لا أذم البين ظلما، و فممن فم دان، و خد فوق خد

تمسح الدمع غزيرا بيدثم تدنينى إلى الصدر بيد

أرشفتنى ريقة قد بردتمن ثناياها بحبات البرد

و من وطنياته قوله فى حرب طرابلس «من مقصورة»:

أكيدا لنا يا باعثات العدا؟دعوا البيض مركوزة و القنا

نصحا لكم. لا تهبجوا الأسودو قد يرسل النصح لا عن هوى

جنيتم وغى، فاجتنوا صابهافإن لكل امرىء ما جنى

أبينا سوى خطتى عزةفإما المعالى، و إما الردى

نجود بأرواحنا لاثنتينغداة الوغى و غداة الندى

زعمتم طرابلس ملكا لكمألا ما أحب حديث المنى!

ترون السماء، فهل تدنىلأيديكمو؟ هى تلك السما!

أجدتم طعان المواسى الرقاقفأما طعان العوالى فلا

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۸۷ و قد تحسنون لقاء الظباءو لا تحسنون لقاء الظبا

رويدا عديد الدبى، تمطروامن النبل مثل عديد الدبى

كأن تدارك وقع النبالعليكم تدارك وقع الحيا

و منها:

ألا يضحك الناس من زائغيرى المهتدين سبيل الهدى؟

و من مستطيل كفور الفؤاديحاول مسعاة أهل التقى؟

أ للعدل جئتم؟ معاذ الأباءمتى عرف العدل فيكم، متى؟

أجودا على العرب الطاعمينو فى داركم كل بادى الطوى؟

و برا بقاصية العالمينو البر أولى به من دنا؟

و ما أصدق ما قال السيد، فى أمم الغرب بعامة، لا فى الطليان بخاصة!

و السيد حسن- إلى أنه شاعر فحل- كاتب بليغ، يتوخى طريقة مزاجا من مذهبى الجاحظ و ابن العميد فى الكتابة: جزالة فخمة، مع الترسل حينا، و مع السجع المطبوع حينا، و ببطىء بقلمه عن المرانة و السرعة التى تستدعيها طبيعة العصر، إباؤه على التبذل، و سموه عن الاتجار فى أسواق الحياة. و لو لا ذلك فى العشرة الأوائل من كتاب الشرق العربى.

و يقول فيه الشيخ عبد العزيز البشرى: لو تهيأ للبيان أن يتمثل خلقا، لما جمع بيان السيد حسن القاياتى، إلا على صورة صاحبه، و فى مثل شكله و دله، سواء بسواء و لو لم يكن قدر لى أن أرى السيد حسنا، ثم رأيته، بعد أن نهلت من بيانه، لخيل إلى أنى أتهدى وحدى إلى أن هذا الإنسان، صاحب هذا البيان! عرفت السيد من صدر أيام الطلب فى الأزهر، و سرعان ما امتد بيننا حبل المودة فكان

من یوم منجمه- وصل اللّه فی عمره- برسل الکلام، و یقرض الشعر، إذ شعره و إذ نثره صورة صادقة حق الصدق، لسهولة نفسه، و جزالة طبعه، و حلاوة خلقه، بل إنک لتحس

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۸۸

فی بیانه بالحیاء الذی تحسه فیه نفسه.

بعد هذا ضع بیان السید حسن القایاتی، حیث یحلو لتقدیرک. ضعه فی الدرجة الأولی أو ما فوقها، أو تخلف به عنها، فلکل من الناس مذهبه فی تقدیر أصحاب الفنون، و لکنک علی أیة حال تراک مرغما علی أن تقضی بأن بیان السید حسن إنما هو صورة تامة الصدق لما یعتلج فی نفسه، و ما یتدسی فی أطواء قلبه، و هذا الضرب من أهل البیان قلیل!! و هذه المزیة و لک أن تدعوها الموهبة، إنما تنشأ فی أصلها بالفطرة، و تنجم مع الطبع، ما یجدی فی خلقها تفکیر و لا تهذیب، علی أنها تربو و تستحصد بد ذلک بطول التدریب و التمرین، حتی ما یجد صاحبها فکاکا من صدق التعبیر عما یحیک فی نفسه من نزعات الإحساس، و کذلک السید حسن القایاتی، و لعل مما أبلغ السید حسنا هذه المنزلة، بعد توافر الأمرین له، أنه نشأ فی بیت حسب، فهو یأنف من أن یرائی الناس، و یبادلهم بما یراه حقا، و أن اللّه تعالی بسط له فی الرزق فهو غنی عن ترضی الناس بالحق و بالباطل!!! طلبا للمنزلة فیهم، و التماسا للمعروف عندهم. هذا إلی أنه رجل رقیق الحس، مهذب العاطفة، جمیل منزع النفس، و من کان له کل هذا، فهو أجل محلا- من أن یکذب علی عواطفه، و یفتری علی ما یجول فی صدره من نوازع الوجدان. یدلک علی هذا من بیان السید، إن کنت محتاجا فیه إلی بیان، أنک تراه یتغزل، و أکثر شعره فی الغزل، فیطلع علیک بأرق الکلام، و أعذبه، حتی لیخیل إلیک أنه لا یقول شعرا، و لکنه ینفث سحرا!!! و مع هذا لا- تری فی نسیبه عنفا و لا- عربدة، علی نحو ما یصنع متکلفو الغزل من الشعراء!!!، ذلک بأنه ترجم عن حسه فحسب، فلم یتکلف، و لم یتعمل لاصطیاد المعانی النائیة، و لم یتعمد المبالغات النابیة، لیزین بها نظم القریض، و إذا کنت ممن یعرفون السید القایاتی و ما أوتی من وداعة الطبع، و ارتیاح النفس، آمنت من فورک بصحة هذا الکلام. و من ممیزات شعره:

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۸۹

التأنق فی اختیار اللفظ مع صفائه و عذوبته. و ابتداع صور من المعانی لم یسبق إلی أکثرها. و جمال التشبیهات المنتزعة من المدرکات الحسیة.

و استقلال کل بیت من قصیدة بفکرة مستقلة. و تخیر الأوزان و القوافی التی لم یطرقها کثیر من الشعراء.

و من غزل القایاتی فی صدر قصیدة وطنیة، و هو فی شرعة الأدب بدع من البدع لا شعر من الشعر، قوله:

هتفت باکیة یوم الظعنلیت هذا البین لم یملک حسن

غضبة اللّه علی یوم النویإنه دل علی القلب الشجن

آه من وقفة بین لم تذردمعة فی مقلة الظبی الأغن

مقلة ملأی بسحر لم تبتلیلة فی الدهر ملأی من وسن

و فؤاد أسکنته لوعةود من طول خفوق لو سکن

أقبلت مطلقة من قرطهازهرة أولی بها ذاک الفنن

تخلط الدل بمضنی حزنحر قلبی، من دلال فی حزن

الشیخ محمد الأسمر

الأسمر معروف فی شتی الأوساط الدینیة، فهو عالم من علماء الأزهر، و موظف فیه، کما هو معروف فی الأوساط الأدبیة، حیث یحبه الناس و یعرفونه بزیه الأزهری الأنیق، و بظرفه المشهور، و بأدبه و شعره الذائعین.

و قد ولد بمدینة دمیاط فی ۶ نوفمبر سنة ۱۹۰۰ میلادیة.

و فی الثامنة من عمره تقریبا دخل تلمیذا بإحدی المدارس الأهلیة بمدینة دمیاط و کان من العلوم التی یتلقاها فی المدرسة حفظ القرآن و قد

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۹۰

حفظ نصفه بها. و بعض المحفوظات الأدبیة شعرا و نثرا، و النحو، و الإملاء و الحساب.

و تخرج فی هذه المدرسة سنة ۱۹۱۴ و زاول التدریس بها شهورا.

لم یسترح إلی التدریس، و کان فی فطرته حب الشعر و المیل إلیه، و مما ساعد علی إظهار ذلک المیل للمحفوظات الأدبیة التی کان یدرسها بالمدرسة الأهلیة، و ما کان یسمعه من قصة أبو زید الهلالی علی الربابة بمقاهی دمیاط، حیث کان یستمع إلیها و هو فی طفولته مع بعض الأطفال الواقفین بجوار المقهی و هو لا یجرؤ علی دخوله و لا تسمح له تربیته المنزلیة و المدرسیة بذلک الدخول، فلما شب قلیلا استغنی عن ذلک الوقوف بشراء قصة أبی زید و غیرها من القصص المعروفة فی ذلک الحین مثل قصة سیف بن ذی یزن، و غیرها و کان یقرأ هذه الأشعار و هذه القصص فی نهم شدید و نشوة تأخذ علیه کل مشاعره.

ثم أحس برغبته إلی الاستذادة من التعلم و حدث أن قابل بعض طلبة معهد دمیاط الدینی و أطلع علی ما بأیدیهم من الکتب فرأی علوما جدیدة بالنسبة له فشاقه ذلک إلی دراستها فالتحق بالمعهد طالبا فی سنة ۱۹۱۵.

و فی سنة ۱۹۲۰ غادر معهد دمیاط لیلتحق بمدرسة القضاء الشرعی و قد نجح فی امتحان المسابقة لدخول هذه المدرسة و ظل بها ثلاث سنوات ثم ألغت الحکومة المصریة لأسباب سیاسیة هذه المدرسة و کانت من خیر المعاهد العلمیة فالتحق طالبا بالأزهر بعد ذلک.

و زاول فی أثناء التحاقه طالبا بالأزهر التصحیح بجریدة السیاسة التی کان یصدرها حزب الأحرار الدستوریین بمصر یعمل بها مساء حتی الساعة الثانیة بعد نصف اللیل و فی الصباح یحضر دروسه طالبا بالأزهر، و استمر علی ذلک ثلاث سنوات ... کان فیها یجمع بین العمل لیلا و نهارا، فی اللیل مصحح بجریدة السیاسة، و فی النهار طالبا بالأزهر و فی ذلک الحین

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۹۱

کانت تنشر له جریدة «السیاسة الأسبوعیة» قصائده الشعریة و مقالاته الأدبیة، و کان یحبه و یعجب به المغفور له الشیخ مصطفی عبد الرازق و کان الشیخ مصطفی عبد الرازق فی ذلک الحین مفتشا بالمحاکم الشرعیة.

تخرج من الأزهر و نال العالمیة النظامیة سنة ۱۹۳۰.

ثم عین بعد ذلک أمین المحفوظات بإدارة المعاهد الدینیة، ثم معاونا لمکتبة الأزهر، ثم أمینا لمکتبة المعهد الدینی بالأسکندریة مع بقائه بالقاهرة منتدبا للعمل بمکتبة الأزهر، ثم أمینا لمکتبة الأزهر.

حینما غادر دمیاط إلی القاهرة سنة ۱۹۲۰، وجد أمامه آفاقا جدیدة فاتصل بأدبائها و شعرائها کما اتصل بالکثیرین من رجال السیاسة بها و عکف علی قراءة الکثیر من الکتب الأدبیة و دواوین الشعراء قدیمهم و حدیثهم، و استطاع بمثابرته أن یکون و هو طالب من شعراء مصر النابهین.

دخل مسابقات شعریة کثیرة نال فیها الجائزة الأولی و من هذه المسابقات المسابقة التی أقامتها إذاعة لندن بین شعراء البلاد العربیة أثناء الحرب العالمیة الثانیة فقد فازت قصیدته «الدیمقراطیة» بالجائزة الأولی بین شعراء العالم العربی، و قالت عنها جریدة الأهرام إن هذا الفوز الأدبی فوز لمصر، و هذه القصیدة فی دیوان الأسمر ص ۴۴۱ فی باب اجتماعیات.

کان بینه و بین انطون الجمیل رئیس تحریر جریدة الأهرام صداقة و مودة و کان أنطون الجمیل یعجب بشعره کثیرا، و کان لهذا الإعجاب و لجریدة الأهرام الأثر المحمود فی نفس الشاعر، کما کان للمغفور له الشیخ مصطفی عبد الرازق و لجریدة السیاسة

الأسبوعية أثرها المحمود فى أدبه قبل ذلك حينما كان الشاعر طالبا بالأزهر.

ندب مرتين- و هو موظف بالأزهر للعمل بوزارة الداخلية فى قسم

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۹۲

مراجعة الكتب لإبداء رأيه فيها من الناحية الدينية و الاجتماعية، كما كان يؤخذ رأيه فى بعض الأفلام السينمائية الأجنبية قبل عرضها.

و اختير عضوا فى لجنة النصوص بالإذاعة المصرية، و عمل هذه اللجنة بحث الأغانى من الناحية الأدبية و الاجتماعية لإقرار أو اختيار الصالح للإذاعة أو تعديله أو استبعاده.

كما اختير عضوا فى كثير من لجان المسابقات الشعرية.

و أنشأ فى جريدة الزمان المصرية بابا أسماه ركن الأدب كان يشرف على تحريره، و كانت الرسالة الأولى لهذا الركن الأخذ بيد الناشئين من الأدباء و تمهيد الطريق أمامهم و أمام الشعراء المغمورين للظهور، و قد لاحت لهذا الركن ثمرات طيبة فى وقت قصير، و كان له أثره المحمود. و توفى فى ۶ نوفمبر عام ۱۹۵۶.

و الأسمر لا يتعصب لأى لون من ألوان الشعر بل يرى أنه من الحق الطبيعى لكل شاعر أن يغرد بما يتفق مع ميوله و فطرته. و لكنه يرى أن الشعر لا بد له من أمرين: أولهما وضوح المعنى و ثانيهما البراعة الفنية فى صياغة التعبير ... و هو يعد هذين الأمرين جناحى الشاعر الذين يحلق بهما فى سماء الشعر، مثله فى ذلك مثل الطائر لا يستطيع التحليق بغير جناحين، لا بجناح واحد.

و من شعره الذى طبع: ديوان «تغريدات الصباح» طبعته و نشرته على نفقتها دار المعارف و قد نفدت كل نسخه، و كتب مقدمة هذا الديوان المغفور له أنطوان الجميل ... و أخرج بعد ذلك مجموعته الكبرى المعروفة باسم ديوان الأسمر و هو يقع فى سبعمائة صفحة تقريبا و قد تناولته بالبحث جميع الصحف و المجلات فى العالم العربى، جمع الشاعر فى هذا الديوان

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۱۹۳

كل شعره تقريبا حتى سنة ۱۹۵۰ ميلادية: و الذى وضع مقدمة هذا الديوان صديقه الشاعر القائمقام عبد الحميد فهمى مرسى.

و لدى الشاعر مجموعة من الشعر معدة للطبع عنوانها بين الأعاصير و هى مجموعة ما نظمه بعد سنة ۱۹۵۰.

و أما نثر الشاعر فالمعد للطبع لديه كتاب «صور و مشاهدات» و هو مجموعة مقالات اجتماعية ... و كتاب تعليقات أدبية.

و من شعر الأسمر قصيدته «الإنسان» أو «و رحلة شهوة».

من شهوة، من دافق بعدهامن دودة، من ذلك الدافق

أودعها الخالق فى ظلمةلم يدر ما فيها سوى الخالق

تحيا و تنمو فى دياجيرهافى كنف المبدع و الرازق

حتى إذا ما تم تكوينهاو أقبلت من بيتها الضائق

و انحدرت من غيبها قطرةتهوى لبحر العيش من حالق

تعجب الكون لها دودةتجيئه فى منظر رائق

أصبحت الدودة طفلا لهما لزهور الروضة الناضره

تراه فى المهد له نظرةباسمة، مشرقة، باهره

يدير فى غرفته عينهيسأل عما حوله ناظره

محدق فيما يراه بهايجيل فيها المقلة الحائره

كأنه فى مهده فاحص‌فكم له من نظرة سابره

ينظر فى عينى مستغربايا لجمال النظرة الساحره

بغامة أجمل فی مسمعی‌من بلبل غرد فوق الشجر

فی صوته العذب و أنغامه‌ما لا أراه فی رنین الوتر

یبسم للدنیا و یشدو لهالم یدر من أحوالها ما استتر

محرک أطرافه راجیاإن لم أبادر محله لو طفر

أشرب راحا من سروری به‌لم یحسها فی حانة من سکر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۹۴ فإن بکی کاد فؤادی له‌یقفز من جنبیه أو ینفطر

ثم حبا، ثم مشی عابثابکل ما فی البیت لا یفتر

یردد الأقوال کالببغاو فعله تقلید ما ینظر

تضحکنا منه محاکاته‌لکل ما یسمع أو یبصر

و هو علی ما فیه من رقةعناده الصخرة لا تکسر

فطبعه غیر مطاع فماأحلاه إذ ینهی و إذ یأمر

أصغر من فی البیت لکنه‌کأنه عائله الأکبر

ثم إذا بالطفل و هو الفتی‌مسترسل الوفرة غض الأهاب

یرنو إلی آماله باسمایمرح فی جیئته و الذهاب

مکتمل الصحة، بادی القوی‌مؤتلق کالسیف، أو کالشهاب

فی خفة الظبی و لکنه‌کأنه من عزمه أسد غاب

یجری کما شاء، و شاء الهوی‌له، و ینقض انقضاض العقاب

یضحک للدنیا ابتهاجا بهاو إنما یضحک فیه الشباب

و ربما أغرق فی کأسه‌و أذبل الزاهر من عمره

یعاقر الخمر و فیها له‌أنیاب ظمآن إلی عقره

یشربها جمرا مذابا و لایحسس لذع الجمر من سکره

نشوتهما أقدر من ساحریودع ما یودع من سحره

فهو علیها عاکف غافل‌عن شر ما یحسوه من خمره

شاربة شاربها!! لو دری‌ما أقرب الکأس الی ثغره

و ربما ألفیته فی الدجی‌مقامرا أعصابه تحرق

بینا تراه آملا باسماتراه و هو الیائس المحنق

فرحان حزنان معا، إن طفافإنه فی لحظة یغرق

فی حیرة، مضطرب، خائف‌فلیس یدری ما هو الأوفق؟!

کأنه یغشی علیه لمایلقی من التفکیر أو یخنق

و من یقامر فهو فی غنمه‌أو غرمه یسرق أو یسرق

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۹۵ و ربما ألفیته فی الهوی‌العوبة تلعب أنثی به

کأنه فی عشه کوکب‌یدور حول الشمس من جذبه

یسیر فی آفاقه قابعالسیرها یسبح فی صبه

هام بها فهو لها خاضع‌فی شرقه إن لاح أو غربه

یحیا علی هامشها مثلمایحیا سواء، و هی فی قلبه؟؟

فهی له دنیاه: إن أعرضت‌ضاق به الکون علی رحبه

إن و أصلته فهو فی وصلهایضمها أفعی إلی صدره

أو باعدته فهو فی بعدهایلقی الذی یلقاه من جمره

الحب، ما الحب؟ و ما سره؟أعیانی المکنون من سره

فأی شیء هو فی خیره؟و أی شیء هو فی سره؟

کل غرام فهو لیل له‌بدر فلا تأمن إلی بدره

کم خدعت أنواره عاشقاحتی رأی الصادق من فجره ..

و ربما لام الفتی معشریقال عنهم إنهم أتقیاء

أطرق فی مجلسهم صامتاو صاح فیهم منه طین و ماء

قال لهم إنی أنا داؤه‌فهل لدیکم للمریض الدواء؟

ألم یکن فی أصله دودةفکیف لا یغمره الاشتهاء

فی الأکل و الشرب، و فی لبسه‌و جاه دنیاه، و دنیا النساء؟

و مرت الأعوام فی سیرهامسرعة، فی صمتها و السبات

علی جوادین لها: أبیض‌و أسود، لا یعرفان الثبات

کرهما أصبح منه الفتییذوی کما یذوی نضیر النبات

و راحت العلات تنتابه‌حتی إذا صاح غراب الشتات

أدرکه ما لیس یخشی الفوات‌و رفرف الموت علیه فمات

و انتهت الرحلة بعد الذی‌کان بها من متعة أو عذاب

قد فعل الموت به مثلماتفعله شمس الضحی بالضباب

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۹۶ فأین طفل الأمس؟ أین الفتی؟و أین من کان شابا فشاب؟

أصبح فی جوف الثری جثةحتی إذا طال علیها الغیاب

عادت إلی الأصل ثری فی الثری‌و حلت الفطرة بین العباب

و قرت الشهوة فی قبرهاو هی تراب أصله من تراب

هیئات التدریس فی کلیات الجامعة الأزهریة

اشارة

فی ۲۴ مارس سنة ۱۹۵۱ اعتمد مجلس الأزهر الأعلی تکوین هیئات التدریس فی کلیات الأزهر، و قد راعی الأزهر فی تکوینها الأسس الآتیة:

أولا: أن یرتب الأساتذة و الأساتذة المساعدون حسب الأقدمیة مع مراعاة الصلاحیة و الکفایة علی أن یختار الأساتذة من بین مدرسی الدرجة الأولی و الثانیة و الثالثة حسبما تقضی المصلحة.

ثانیا: التوسع فی عـدد الأساتـذة المساعـدین بحیث لا یتجاوز فی اختیارهم مدرسـی الدرجة الرابعة علی أن یقسم الأساتذة المساعدون إلی:

(أ)، (ب) بنسبة ۳: ۴ حسب ترتیبهم فی الأقدمیة.

ثالثا: یحتفظ للمندوبین خارج البلاد من الأساتذة ذوی الکراسـی بکراسیهم، و یشغل مجلس الکلیة هذه الکراسی بمندوبین حتی یعود أصحابها.

رابعا: تکون هیئة التدریس علی الوضع الآتی.

۱- أستاذ حرف (أ)، أستاذ حرف (ب)، أستاذ حرف (ج).

۲- أستاذ مساعد حرف (أ)، أستاذ مساعد حرف (ب).

۳- مدرس (أ) مدرس (ب).

و علی هذا الأساس نظمت هیئات التدریس فی کل کلیة.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۹۷

و علی هذا أقر المجلس الأعلی أن تتألف هیئات التدریس فی کل کلیة علی حدة علی النحو الآتی:

فی کلیة أصول الدین

الأساتذة حرف (أ) محمد حبیب و الدکتور محمد ماضی.

و الأساتذة حرف (ب) عبد العزیز حطاب و محمد الشافعی الظواهری و الدکتور محمود حب اللّه و الدکتور عبد الحلیم محمود و عبد القادر خلیف.

و عین الأستاذ حسن أبو عرب و الأستاذ أحمد حسیب الریس أستاذین حرف (ج)

و تتألف هیئـة الأساتـذة المساعـدین حرف (أ) فی کلیة أصول الدین من الأساتذة: إبراهیم جمال الدین و محمود الخضـیری و محمود شاکر عبد الله و الشـیخ محمد عبد الرحیم سـلام و أحمد عیسـی الجرجاوی و برکات أحمد برکات و الطیب النجار و محمود سـلیمان سعد و أحمد علی و إبراهیم البرمالی و عبده محمد عیسـی و حسن شحاته و السید القناوی و الإمام مصطفی و بسیونی نجم الشرقبالی و صالح شرف و محمد الدیناری و إبراهیم المحیص.

و تتألف هیئـة الأساتـذة المساعـدین حرف (ب) فی هـذه الکلیـة من الأساتـذة. حسن المشد و محمد الأودن و السنوسـی أحمد و عبد الفتاح السرنجاوی و الدکتور محمد یوسف موسی و محمد أحمدین و عبد الحمید شقیر و إبراهیم زیدان و عبد الحمید الشاذلی و أبو بکر ذکری و محمد یوسف الشـیخ و الدکتور محمد غلاب و یوسف عبد الرازق و عبد الرازق سلیمان و عبد الرحمن شاهین و أحمد صقر و حامد زین الدین و عبد السلام الزنفلی و محمود

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۹۸

العیسوی و منصور رجب و محمد سلیمان بدیر و أبو زید شلبی و محمد فتح بدران و طه الدسوقی العربی و محمد أبو العیون.

و تتألف هیئة المدرسین حرف (أ) فی هذه الکلیة من الأساتذة:

عبـد الحمیـد إبراهیم و مصـطفی یوسف موسـی و صالح بکیر خورشـید و محمد المتولی سـعد و علی حموده و عبد الوهاب غزلان و بدوی عبد اللطیف و عبد الحمید بخیت و عبد الفتاح شـحاته و علی مصـطفی الغرابی و محمد علی أبو الروس و سـلیمان دنیا و محمد السـماحی و محمـد بیصار و حمودة غرابـة و محمد أبو شـهبة، و عین المشایخ: علی حبر و محمود فیاض و سـلیمان خمیس مدرسـین حرف (ب).

فی کلیة اللغة العربیة

و تتألف هیئة التدریس فی کلیة اللغة العربیة من حضرات الأساتذة:

أستاذ حرف (أ) محمد محی الدین عبد المجید و عبد الحمید ناصف و الدکتور محمد البهی.

أستاذ حرف (ب) أحمد شرف و الدکتور محمد الفحام.

أستاذ حرف (ج) محمد علی النجار و محمد کامل حسن النفاض.

أستاذ مساعد حرف (أ) عبد المتعال الصعیدی و إبراهیم سلیم و حامد مصطفی و یوسف شبانه و عبد المعطی الفضالی و عبد السلام یوسف و أحمد عمارة و محمد طنطاوی کبیش و أحمد الجبالی الجنجیهی و عبد الهادی العدل و أحمد شفیع و محمود رزق سلیم و محمد صلاح الدین أبو علی.

أستاذ مساعد حرف (ب): عمر مرغنی و عبد الحمید عوض و حامد

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۱۹۹

عونی و عبد الله الشربینی و محمد المبارک عبد الله و محمد سلیمان البحری و أحمد ابو غنیم و عبد الغنی إسماعیل و محمد داود البیهی و عبد السمیع شبانه و محمد عبد الجواد خضیر و محمود مکاوی و جابر إسماعیل و یوسف حسن عمر و إبراهیم أبو عطیة و أحمد إبراهیم موسی.

مدرسون حرف (أ): أحمد ریاض و علی عبد الجلیل و عبد الخالق سلیمان و عبد العزیز أحمد و فهمی العنانی و بدیر عبد اللطیف و أحمد الحجار و حامد البلتاجی و محمد مصطفی شحاته و محمود جمیلة و یوسف الضبع و أحمد کحیل و یوسف البیومی البسیونی و عبد الحمید المسلوت و عبد اللطیف سرحان و حنفی عبد المتجلی و حنفی حسنین و محمد أبو النجا سرحان و زکی غیث و محمد أحمد عبد الرحیم و أحمد إبراهیم شعراوی و أحمد السید غالی و عبد الحسیب طه حمیده و محمد نایل أحمد و محمد عبد الخالق عضیمة و محمد کامل الفلاح و أحمد عبد العال أبو طالب و علی إبراهیم البطشة و محمد قناوی عبد الله و عبد المقصود السعداوی و إبراهیم علی شعوط و سلیمان ربیع و محمد رفعت فتح اللّه و إبراهیم محمد نجا و حسن محمد الشافعی الظواهری و محمد یوسف و أمین عبد الله فکری و یحیی محمد عبد العاطی و محمد جمعة حسنین و صادق خطاب و محمد السید نعیم و محمد کامل الفقی و عبد الحمید عبده عطوه و عبد العاطی محمد مصطفی و ریاض هلال و محمود محمد زیادة و حسن جاد حسن و محمد عبد المنعم خفاجی، و جاد محمد رمضان و عبد العظیم الشناوی و عبد السلام أبو النجا سرحان و محمد مصطفی النجار و أحمد مجاهد مصباح و عوض اللّه جاد حجازی و محمود فرج العقدة .

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۰۰

فی کلیة الشریعة

و تتألف هیئة التدریس فی کلیة الشریعة من حضرات الأساتذة:

أستاذ حرف (أ): محمد الجهنی و حامد جاد و عبد الحفیظ الدفتار.

و أستاذ حرف (ب): الدکتور علی عبد القادر و محمد الشایب و طه سلطان و عبد الله عامر.

و أستاذ حرف (ج): محمد عبد السلام القیانی و عثمان صبره و محمد عبد اللطیف السبکی.

أستاذ مساعد حرف (أ): محمد عبد المجید الشرنوبی و حسن علی مرزوق و محمد عبد الله الجزار و عبد الوهاب فره و محمد سامون

و عبد ربه زیادة و محمد سید أحمد جاد و محمد هاشم الشیخ و حسین علی إدریس و محمد البسیونی زغلول و عبد المجید دراز و موسی اللباد و شبل یحیی و محمود عبد الغفار و محمود عبد الدایم و طه ناصر و سلیمان داود و أحمد نور الدین و محمد حبشی السعداوی و محمود شهاب و إسماعیل الدوی و سید شاهین و محمد یوسف البریری و عبد العزیز نور الدین و إبراهیم سعده.

أستاذ مساعد حرف (ب): محمد بدران و قطب سلامة و علی عبد المجید و علی الجنزوری و محمد جیرة اللّه و محمد علی السایس و حسن المرصفی و محمد الکشکی و سلیمان عبد الفتاح و محمد عیسی الشنتلی و عبد الحفیظ فرغلی و عبد الله المشد و یوسف المنیاوی و سید شرف و عبد الحمید حمدی و محمد إسحاق الحداد و محمد إبراهیم المحمودی و محسن أبو دقیقة و أحمد المسلمی و طه الدیناری و محمد حسن شبانه و محمد سلیمان حرب و عبد الرحیم فرغلی و عبد العظیم الرولی و عبد العظیم برکه و مصطفی عبد الخالق و یوسف علی یوسف و محمود خلیفة و عبد الحکیم علی مصطفی

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۰۱

و محمد أبو النور زهیر و محمد السید طه.

مدرس حرف (أ): محمد محی الدین رزق و أبو العنین شحاته و مصطفی ماجد و عبد العزیز عیسی و بدر المتولی عبد الباسط و جاد الرب رمضان و إبراهیم أبو الخشب و طاهر عبد المجید عبد الله و شمس الدین عبد الحافظ و محمد عبد الوهاب بحیری و أحمد أبو سنه و سید جهلان و عبد الحکم عمارة و عبد الغنی عکاشة و عیسوی أحمد عیسوی و أحمد ندا و عبد الغنی عبد الخالق و إبراهیم الدسوقی الشهاوی و محمد عبد النبی عبد السلام و طنطاوی مصطفی و حسن مصطفی و هدان و عبد السمیع إسماعیل و یوسف شلبی و عبد الوهاب عبد اللطیف و عثمان مریزق و محمد عبد اللطیف الشافعی و عبد العظیم فیاض و عبد العال عطوه و زکی الدین شعبان و محمد مصطفی شلبی و أحمد محمود الصاوی و إبراهیم عبد المجید.

مدرس حرف (ب): محمد حسن فاید و محمد أنیس عباده و عبد القوی عامر الزغبی و أحمد البهی و سید خلیل الجراحی و أحمد محمد سید الحصری و محمد محمد فرج سلیم ... و قد وافق المجلس بعد ذلک علی ما اقترحته اللجنة من نقل جمیع المندوبین من المعاهد فی الکلیات إلی الکلیات بصفة نهائیة و قبولهم ضمن هیئة التدریس بالکلیات و کذلک وافق علی تنظیم هیئة تدریس بالکلیات، علی أن یختار الأساتذة من بین مدرسی الدرجات الأولی و الثانیة و الثالثة، ثم قرر الوسع فی عدد الأساتذة المساعدین بحیث لا یتجاوز فی اختیارهم مدرسی الدرجة الرابعة کما قرر أن یکون اختیار المدرسین من الدرجتین الخامسة و السادسة.

أما المدرسون الذین لیست لموادهم کراسی فقد وافق المجلس علی أن یوضع لهم کادر مستقل عن الکادر الجامعی یطلق علیه اسم کادر المدرسین النظراء، و أن یکون حکمه فی الترقیة علی أساس الأقدمیة المشترکة بینهم.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۰۲

و منذ تکوین هیئات التدریس حتی الیوم و أساتذة الکلیات یطالبون بأن یکون لهم کادر جامعی علی غرار کادر الجامعات، و للأسف لم یستجب لطلبهم العادل حتی الیوم.

و مع ذلک فلم یحقق رجاؤهم فی فتح أقسام الدراسات العلیا المغلقة منذ ۱۹۴۰ حتی الیوم، و کان من المأمول افتتاحها لتظل صبغة الأزهر الجامعیة موفورة له، و لکن سیاسة الأزهر لا تزال هی سیاسة الرجعیة الثقافیة و العلمیة، و تعطیل شباب الأزهر من أداء رسالتهم.

أهداف الأزهر الجامعی

اشارة

إن هدف الأزهر الجامعی یجب أن یکون هو حمل نصیبه من المسئولیة فی ترقیة العلوم الإسلامیة و العربیة، و المساهمة فی نهضة

البلاد العامة، و العناية بالبحث العلمى و متابعة تطوره على أتم وجه، و تنمية الاستقلال الفكرى، و أداء رسالته الدينية أداء كاملا.

و يتصل بهذا أن يعمل الطالب الأزهرى بنفسه لنفسه، و ألا يكون اعتماده على الأستاذ إلا للتوجيه أو لتوضيح ما استعصى عليه من المسائل.

و أن يبذل الأزهر مزيدا من العناية لتهيئة البيئة الجامعية الصالحة للطلاب، و توفير أسباب النشاط الدينى و الروحى و الثقافى و الاجتماعى و الرياضى لهم، و تكوين اتحاد عام ينظم شئونهم الاجتماعية و الثقافية.

و يجب أن يكون فى كل كلية مجلس للأساتذة و الأساتذة المساعدين و المدرسين بإشراف عميد كل كلية، و يكون من اختصاص هذا المجلس ما يلى:

الاختصاصات الإدارية:

(أ) ترشيح المعيدين و الأساتذة المساعدين و الأساتذة غير ذوى الكراسى.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۰۳

(ب) إعلان خلو مناصب المدرسين و الأساتذة ذوى الكراسى.

الاختصاصات الدراسية:

(أ) وضع مناهج التدريس و توزيعها على سنى الدراسة.

(ب) ترتيب الأعمال الدراسية التى يقوم بها أعضاء هيئة التدريس فى كل عام.

(ج) الإشراف على التدريس عن طريق الأساتذة و عن طريق تقديم كل عضو تقريرا سنويا عن سير الدراسة فى مادته، و ما عنده من مقترحات فى هذا الشأن.

(د) القيام بأعمال الامتحانات و متابعة أحوال الطلاب فى دراساتهم.

الاختصاصات العلمية:

(أ) تهيئة المحيط العلمى و المكتبات و استقدام أساتذة زائرين للمحاضرة توجيها للبحث العلمى.

(ب) اقتراح البعثات و الإجازات المدرسية لاعضاء هيئة التدريس، و الإجازات الدراسية تكون إما داخلية يتخفف بها العضو من التدريس، أو ينقطع عنه لبحث علمى بعده. و إما خارجية يسافر إلى بلد أجنبى، لإعداد بحث علمى بعينه و يرسم خطته قبل السفر. و تخصص جوائز لمن يقوم ببحوث علمية ممتازة. و يجوز تفرغ بعض قدماء الأساتذة للبحث العلمى و الاقتصار على التدريس فى أقسام الدراسات العليا، لتكوين الطلبة فى هذه الأقسام، بشرط أن يكون الأستاذ قد سبق له إنتاج علمى ممتاز متكرر، و أن يكون قد بلغ من العمر الستين. و أن توافق اللجنة العلمية الدائمة على تفرغه.

(ج) القيام على نشر البحوث العلمية.

و من الضرورى كذلك فتح أقسام الدراسات العليا فى الأزهر و تكون

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۰۴

الدراسة فيها على مرحلتين: مرحلة التحضير للشهادة العالمية، و مرحلة التحضير لشهادة الأستاذية (الدكتوراه) و أن يختار الناجحون من المرحلة الأولى معيدين فى الكليات.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۰۵

الباب الحادی عشر

من تاریخ الأزهر الأزهر جامعا و جامعة

-۱-

أعرق الجامعات العلمیة فی العالم، فهی أطولها عمرا، و أجلها أثرا فی تاریخ الفکر الإنسانی، و فی تاریخ العقل العربی و الإسلامی بل فی تاریخ العلم و میراث الحضارة کافة.

و الأزهر منذ نشأته حارس التراث العربی، و حامل مشعل الثقافة الإسلامیة، و الملاذ الذی تأوی إلیه العلماء، و تهوی إلیه أفئدة المسلمین فی کل مکان، و الضوء الذی ینیر لهم الطریق، و یبصرهم سواء السبیل.

و للأزهر مکانته الخالدة فی مصر و العالم الإسلامی جمیعه، و آراؤه و فتاوی علمائه تقابل من کل مسلم فی جمیع الشعوب الإسلامیة بالتقدیر و الإجلال و الحب العمیق.

و لم تقم فی مصر الإسلامیة جامعة علمیة بالمعنی الصحیح قبل الأزهر، صاحب التاریخ الطویل، و الذکریات المجیدة، و الآثار العلمیة و الدینیة و العقائدیة.

و تاریخ العلم فی الإسلام یرتبط بالمسجد ارتباطا روحیا وثیقا؛

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۰۶

فالمسجد الحرام فی مکة، و المسجد النبوی فی المدینة، و الجامع الأموی فی دمشق، و جامع الفسطاط و جامع القیروان، و مسجد البصرة الجامع، و مسجد الزیتونة، و مسجد قرطبة الجامع، و مسجد القرویین بفاس، و الأزهر، و سواها؛ کلها کانت مأوی الحلقات العلمیة الجامعیة فی تاریخ الإسلام، و الجامعة کذلک نسبة إلی الجامع بمعنی المسجد، و فی ذلک تفسیر واضح لصلة المسجد بالثقافة، و لأهمیة الثقافة فی الإسلام.

-۲-

و الأزهر، أو جامع القاهرة، کما کان یقال، هذا المسجد الجامعی، قاهری البیئة، فاطمی التأسیسی، أنشأه جوهر العقلی قائد الخلیفة المعز لدین اللّه الفاطمی، بعد قیام دولة الفاطمیین فی مصر بنحو عام، و قد شرع فی بنائه یوم السبت لست بقین من جمادی الأولی سنة ۳۵۹ ه- ۹۷۰ م، و یذکر بعض المؤرخین أنه شرع فی بنائه یوم السبت الرابع من رمضان من العام نفسه؛ و کمل بناؤه لسبع خلون من رمضان عام ۳۶۱ ه- ۲۲ یونیو ۹۷۲ م. و کان الغرض من إنشائه أن یکون رمزا للسیادة الروحیة للدولة الفاطمیة، و منبرا للدعوة التی حملتها هذه الدولة الجدیدة إلی مصر، و أطلق علیه اسم الأزهر نسبة إلی السیدة فاطمة الزهراء التی ینتسب إلیها الفاطمیون، أو لأنه کان یحیط به قصور فخمة تسمی الزهراء، أو لأنه کان یظن أنه أکثر الجوامع فخامة و رواء، أو للتفاؤل بأنه سیکون أعظم المساجد ضیاء و نورا. و قد احتفل بافتتاحه فی رمضان عام ۳۶۱ ه، و أصبح مسجد الدولة الرسمی.

و قد حرص وزیر المعز و العزیز یعقوب بن کلس علی أن یقیما حلقة علمیة فی الأزهر، حیث کان یقرأ علی الناس فی مجلس خاص یوم الجمعة مصنفاته فی الفقه الفاطمی، کما کان یجتمع یوم الثلاثاء بالفقهاء و جماعة المتکلمین و أهل الجدل.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۰۷

و حرص الخليفة المعز الفاطمی کذلک علی تکلیف کبار العلماء بإقامة حلقات علمیة فی أروقة الأزهر لتدریس الفقه الفاطمی، و کان یمنحهم مرتبات شهریة، و من ثم صار الأزهر جامعة علمیة، و ظهر ذلک جلیا واضحا حینما بدأت حلقاته تتحول إلی دراسات جامعیة علمیة مستقرة، و ذلک عام ۳۷۸ ه- ۹۸۸ م حیث استأذن ابن کلس الخلیفة الفاطمی العزیز بالله (۳۶۵- ۳۸۶ ه) فی أن یعین بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة و الدرس من کل جمعة یعین بعد الصلاة حتی العصر، و کان عددهم ۳۷ فقیها

و فی عام ۳۸۰ ه- ۹۹۰ م رتب المتصدرون لقراءة العلم بالأزهر؛ و بذلک استکمل الأزهر صبغته الجامعیة، و أصبح معهدا جامعیا للعلم و التعلیم و الدراسة. و من هذا التاریخ بدأ الأزهر حیاته العلمیة الخصبة المنتجة.

و استمرت الحرکة العلمیة و الدینیة فی الأزهر قویة مزدهرة طیلة العصر الفاطمی، و وقفت علیه الدولة الأوقاف الضخمة، و أحاطته برعایتها و اهتمامها، و کان فی مقدمة و أوائل أساتذته المدرسین فیه بنو النعمان قضاة مصر.

و أول درس ألقی فی الأزهر کان فی صفر ۳۶۵ ه فی نهایة حکم المعز لدین الله، ألقاه قاضی القضاة أبو الحسن علی بن النعمان، حیث قرأ فیه مختصر أبیه فی فقه آل البیت المسمی «الاقتصار» و حضره العلماء و الأمراء، و أثبتت أسماء الحاضرین فی سجل خاص أما دروس ابن کلس فبدأت فی رمضان عام ۳۶۹ ه، و لکن جهوده فی سبیل تطویر الدراسة فی الأزهر کانت سابقة علی هذا التاریخ.

و لما أنشأ الحاکم الفاطمی دار العلم (دار الحکمة) لم تزدهر إلا قلیلا، و بخاصة فی عصر الحاکم نفسه. و بقیت للأزهر منزلته العلمیة الرفیعة، و قصده الطلاب من کل مکان، و کان العالم یفخر بأنه أحد أساتذته الأزهر فی ألف عام ؛ ج۳ ؛ ص۲۰۸

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۰۸

أو أنه قد حاضر فیه یوما من الأیام.

و یذکر المقریزی فی خططه أن النساء کن یحضرن حلقات العلم فی الجامع الأزهر [۲: ۲۲۶ الخطط للمقریزی].

و ممن ألقی محاضراته فی الأزهر: المؤید الشیرازی داعی الدعاة فی عهد المستنصر الفاطمی، و أولی محاضراته فیه تقرؤها فی کتاب «الأزهر فی ألف عام» [۱: ۳۲].

و من أوائل الکتب التی درست فی الأزهر: الاقتصار للنعمان القیروانی (۳۶۳ ه)، و کان یدرسه ابنه علی بن النعمان؛ و الرسالة الوزیریة التی ألفها ابن کلس.

و کان التدریس فیه یجری وفق المذهب الشیعی، و شدد علی ذلک فی بادیء الأمر، حتی أنه فی عام ۳۸۱ ه فی عهد العزیز قبض علی رجل وجد عنده کتاب «الموطأ» للإمام مالک، و جلد من أجل إحرازه [۲: ۱۵۷ الخطط للمقریزی]. و فی عام ۴۱۶ ه أمر الخلیفة الفاطمی بتدریس کتاب «دعائم الإسلام».

و من أساتذته فی العصر الفاطمی کذلک: العلامة الحوفی (ت:

۴۳۰ ه) إمام العربیة، و صاحب کتاب «إعراب القرآن»؛ و ابن بایشاذ النحوی (۴۶۹ ه) صاحب کتاب «المقدمة» و «شرح الجمل»؛ و ابن القطاع اللغوی صاحب کتاب «الأفعال»، و المسبّحی الوزیر الکاتب (۴۲۰ ه)، و القضاعی (۴۵۴ ه) و هو من أقطاب الحدیث و الفقه، و ابن زولاق المؤرخ (۳۸۷ ه)، و ابن یونس المنجم (۳۹۹ ه) و غیرهم.

- ۳-

کانت بیئة العلم فی مصر قبل الأزهر تترکز فی حلقات جامع عمرو، ففیها یتعلم الطلبة، و یحاضر الأساتذة، و یتخرج العلماء و الأدباء، و کان من

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۰۹

أوائل الأساتذة الذین درسوا فیه: عبد الله بن عمرو بن العاص، و ابن لهیعة، ثم اللیث بن سعد، و عثمان بن سعید المصری و هو أصحاب القراءات.

و کان للأمام الشافعی حلقة علمیة فیه، یدرس فیها مذهبه، و یدوّن آراءه؛ و علی یدیه تخرج کثیر من تلامذته الذین نشروا مذهبه، کالربیع بن سلیمان، و المزنی و البویطی، و غیرهم، و من ثم أصبحت السیادة للمذهب الشافعی بعد أن کانت للمذهب المالکی، الذی کان أول من أدخله إلی مصر عثمان بن الحکم الجذامی (۱۶۳ ه).

و قد تخرج أبو تمام (۲۳۱ ه) فی الأدب و الشعر فی حلقات مسجد عمرو العلمیة، و کان ذو النون المصری (۲۴۵ ه) ممن تخرج فی حلقاته.

و لما أنشیء جامع ابن طولون عام ۲۶۳ ه فی عهد أحمد بن طولون (۲۵۲- ۲۷۰ ه) شارک هذا المسجد الجدید جامع عمرو فی رفع مشاعل العلم و الثقافة، و أملی الحدیث فیه الربیع بن سلیمان تلمیذ الإمام الشافعی، و صلی فیه القاضی بکار إماما، و خطب فیه أبو یعقوب البلحی.

و کان من أشهر العلماء قبیل انشاء الأزهر ممن کانوا یدرسون فی جامع عمرو (المسجد العتیق) و فی المسجد الطولونی: أبو القاسم بن قریر، و تلمیذه الکندی المؤرخ المشهور، و أبو القاسم بن طباطبا.

و لما وفد المتنبی إلی مصر عام ۳۴۶ ه کانت له حلقة فی مسجد عمرو، و کانت من أحفل حلقات العلم و الأدب و الشعر و اللغة.

و لما قام الأزهر فی عاصمة مصر القاهرة بدأ بفرض سیادته العلمیة علی کل البیئات الثقافیة فی مصر، و تأکدت هذه السیادة کذلک علی بیئات العلم فی مختلف أنحاء العالم الإسلامی.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۱۰

-۴-

و انتهی العصر الفاطمی بعد أن بلغ الأزهر فیه قمة مجده العلمی.

و لم یکد العصر الأیوبی یبدأ حتی بدأت مکانة الأزهر الدینیة تتعرض لضغط الحکام و الأمراء، إذ کان الأیوبیون یحاولون القضاء علی کل مظاهر التشیع فی مصر، و لکن حلقات الأزهر العلمیة الجامعیة لم تتعرض لمثل ما تعرض له الأزهر جامعا و مسجدا فقد حولت عنه صلاة الجمعة و خطبتها إلی مسجد الحاکم، و لم تعد خطبة الجمعة إلی الأزهر إلا عام ۶۶۵ ه فی عهد بیبرس، و ظلت الشخصیة العلمیة للأزهر قویة.

و کان موسی بن میمون طبیب صلاح الدین الأیوبی یلقی دروسا فی الریاضة و الفلک و الطب فی الأزهر، و کذلک کان عبد اللطیف البغدادی یحاضر فی الکلام و البیان و المنطق و الطب. و کان لابن الفارض حلقة صوفیة فیه.

و من أشهر علمائه فی هذا العصر: الإمام المنذری المحدث و کان یلقب بشیخ الإسلام، و ابن أبی الإصبع، و القضطی الوزیر، و غیرهم.

-۵-

و فی عصر المالیک، ازدهرت حلقات الأزهر الجامعیة، و قصده أعلام الفکر العربی لذلک الحین من أمثال السهروردی، و ابن خلدون، و ابن منظور، و الفیروز أبادی، و غیرهم. کما أمّة الطلاب من مختلف أنحاء العالم العربی و الإسلامی، یقیمون حوله، و یقطنون فی أروقته، و یجلسون فی حلقاته، و یشارکون فی نشاطه العلمی، و قد بلغ عددهم فی أوائل القرن الثامن الهجری زهاء ۷۵۰ طالبا، و یقول عالم سودانی من خریجی الأزهر یمدح أحد ملوک الفونج فی سنار، و هو السلطان بادی أبو دقن:

أیا راکبا یسری علی متن ضامرإلی صاحب العلیاء و الجود و البر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۱۱ و یطوی إلیه شقة البعد و النوی‌و یقتحم الأوعار فی المهمة القفر

و ینهض من مصر و شاطیء نیلهاو أزهرها المعمور بالعلم و الذکر

و من أشهر علمائه فی ذلک الحین: العز بن عبد السلام الإمام العالم الثائر، صاحب المواقف المجیدة فی التاریخ الإسلامی، و ابن هشام النحوی، و ابن دقیق العید، و السبکی، و السیوطی، و شیخ الإسلام زکریا الأنصاری، و کذلک ازدان الأزهر بآلاف العلماء البارزین فی علوم الدین و العربیة و الأدب، و من بین من تخرج فیه فی ذلک العهد: القلقشندی، و الدمیری، و المقریزی، و غیرهم.

و استکمل الأزهر سیره فی العهد العثمانی کذلک، محافظا علی تراثه، اللغة و علومها، و علی الآداب و فنونه، إلی دراساته الإسلامیة العتیدة. و من کبار شیوخه فی هذا العهد: الإمام السنباطی (۹۵۰ ه) و مواقفه فی مقاومة طغیان الحکام خالدة، و الإمام المهناوی (۹۵۰ ه)، و العلامة البرماوی (۱۱۰۶ ه)، و الشیخ الخرشی المالکی أول شیخ للأزهر، و من عهده صار منصب مشیخة الأزهر من أکبر المناصب العلمیة فی العالم الإسلامی، و توفی عام ۱۱۰۱ ه. و خلفه البرماوی [۱۱۰۶ ه]، فالتشرتی (۱۱۲۰ ه)، فالقلینی، فالشیخ محمد شنن (۱۱۳۳ ه)، فالشیخ الفیومی (۱۰۶۲- ۱۱۳۷ ه)، فالشیخ عبد الله الشبراوی (۱۱۷۱ ه) و له شعر صوفی رفیع، فالشیخ الحفنی (۱۱۰۰- ۱۱۸۱ ه)، و له شعر صوفی رمزی باللغة العربیة و اللغة الشعبیة الدارجة؛ ثم الإمام السجینی (۱۱۸۲ ه)، فالدمنهوری (۱۱۹۲ ه).

و فی عصر الأتراک العثمانیین قاد الأزهر حرکات التحرر الکبری، و من بینها: ثورة الإمام الشیخ الدردیر التی قادها عام (۱۲۰۰ ه- ینایر ۱۷۸۶ م)، و ثورة الإمام الشیخ عبد الله الشرقاوی عام ۱۲۰۹ ه- ۱۷۹۵؛ و قد کسب الشعب المصری من الثورة الأولی مبدأ دستوریا جلیلا هو وجوب

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۱۲

احترام الحاکم لإرادة المحکومین، و کسب من الثانیة مبدأ آخر هو أن الأمة مصدر السلطات، و کانت بمثابة إعلان لحقوق الإنسان سبق به شعب مصر غیره من الشعوب، کما اعترف بذلک المؤرخون فی الشرق و الغرب.

و قد حمل علماء الأزهر و طلابه عبء الجهاد لتحریر مصر من الاحتلال الفرنسی منذ دخل جیش نابلیون بلادنا فاتحا.

کما قام الأزهر بثورة أخری بقیادة عمر مکرم فی صفر ۱۲۲۰ ه:

۱۸۰۵ م لإنهاء النفوذ الترکی من مصر، و هی الثورة التی استغلها محمد علی، فحولها إلی مغانم شخصیة له و لأسرته.

و الثورة العرابیة هی فی الحقیقة ثورة قام بها أحد أبناء الأزهر و خریجیه، و هو الزعیم أحمد عرابی، و وقف علماء الأزهر معه یؤیدونه و یدعمون ثورته، و لکن خیانة توفیق جرت علی الوطن الاحتلال الانجلیزی البغیض.

و قامت ثورة شعبیة بقیادة أزهری آخر هو سعد زغلول، و ذلک فی مارس من عام ۱۹۱۹، لإنهاء الاحتلال الانجلیزی لمصر.

و من أعظم حرکات الإصلاح فی العالم الإسلامی فی العصر الحدیث حرکة الإمام محمد عبده، و هو من أجل شیوخ الأزهر، و أعظم علمائه، و من تلامذته: محمد مصطفی المراغی، عبد المجید سلیم، محمد الأحمدی الظواهری، مصطفی عبد الرزاق، إبراهیم حمروش، محمد مأمون الشناوی، و هم من أشهر شیوخ الأزهر فی العصر الحدیث.

-۶-

و قد أکد صبغة الأزهر الجامعیة شیخان جلیلان من کبار شیوخه فی العصر الحدیث هما: الشیخ محمد الأحمدی الظواهری الذی أصدر قانون رقم ۴۹ لسنة ۱۹۳۰ بإنشاء کلیات جامعیة فی الأزهر، و الشیخ محمد

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۱۳

مصطفی المراغی، الذی أصدر قانون رقم ۲۶ لسنة ۱۹۳۶ بشأن إصلاح الأزهر و تأکید الصبغة الجامعیة له و إنشاء دراسات علیا فیه.

و کان أعظم حدث علمی فی تاریخ الأزهر الحدیث هو صدور قانون تطویر الأزهر المعروف بقانون رقم ۱۰۳ لعام ۱۹۶۱، و بمقتضی

هـذا القـانون قـامت فی الأـزهر الجامعـة العلمیـة الکبری، تضم کلیات إسـلامیة، و کلیات علمیـة، و أخـذت من القانون سـند وجودها الرسمی، و إن کان لها من التاریخ سند وجودها الفعلی.

و کما تولی مشیخة الأزهر الشیخ حسن مأمون، و إدارة جامعة الأزهر الدکتور محمد البهی، و الشیخ أحمد حسن الباقوری

و حلقات الأزهر العلمیـة الجلیلـة تعیش الیوم کما کانت تعیش خلال الأجیال، لتحمل عن العالم الإسـلامی رسالـة الإسـلام الروحیـة و الدینیـة و الثقافیـة، و لتؤدیهـا ناصـعة بیضـاء کخیوط الفجر، مشـرقة هادیـة کضوء الشـمس، و من هـذه الحلقـات تخرج زعمـاء العـالم الإسـلامی القـدیم، و یتخرج شـباب المسـلمین الیوم، لأن هـذه الحلقات هی عن جـدارة بمثابة مصـنع یصـنع الرجال و الأبطال فی کل عصر، و کل مکان من بلاد الإسلام و المسلمین.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۱۵

الجامع الأزهر

اشارة

کان بناء (المسـجد) أول ما یفکر فیه المسـلمون عنـد إنشاء مدینـة جدیـدة، أو استیلائهم علی مـدائن غیرهم، و قد وضع هذه السیاسـة الخلیفة الثانی عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه الذی کتب إلی ولاة الأمصار باتخاذ مساجد للجماعة فی العاصمة.

و قد نفذت هذه السیاسة فی مصر منذ الفتح الإسـلامی، حیث أسـس عمرو بن العاص مدینة (الفسطاط) سنة ۲۱ ه، و بنی فیهـا جامعة العتیق.

و لما جاء العباسیون أسس صالح بن العباسی مدینة (العسکر) سنة ۱۳۳ ه، و بنی الفضل ابنه مسجد العسکر سنة ۱۶۹ ه، و کان قد ولی مصر من قبل الخلیفة المهدی علی صلاتها و خراجها، فدخلها سلخ المحرم سنة ۱۶۹ ه.

فلما استقل أحمد بن طولون بمصر بنی مدینة (القطائع) لتکون عاصمة لدولته سنة ۲۵۶ ه، ثم أنشأ بها جامعه المشهور سنة ۲۶۳ ه.

و لما استولی جوهر الصقلی قائد المعز لدین الله الفاطمی علی مصر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۱۶

أسـس (القـاهرة و بنی بها (الجامع الأزهر) سـنة ۳۵۹ ه، فأنشـیء الأـزهر غـداة ظفر الفاطمیین بملک مصـر، و مع قیام القاهرة العاصـمة الجدیدة ، فکان الأزهر خیر ما خلفه الفاطمیون لمصـر، بل و للعالم الإسلامی أجمع، فکان بیتا من بیوت اللّه، یعمر النفوس بالإیمان، و یهدیها سواء السبیل، ثم صار جامعة دینیة إسلامیة کبری، یؤمها طلاب العلم من جمیع الأقطار الإسلامیة، و یتخرج فیها العلماء و الأئمة فی جمیع العلوم و الفنون.

تاریخ إنشائه

و قـد بدیء بإنشاء الأزهر فی ۲۴ من جمادی الأولی سنة ۳۵۹ ه (۹۷۰ م)، و تم بناؤه فی عامین و بضـعة أشهر، و افتتح للصلاة فی یوم الجمعة السابع، أو التاسع من رمضان سنة ۳۶۱ ه (۹۷۲ م)، و سمی (بجامع القاهرة) اسم العاصمة الجدیدة، أما تسمیته (بالجامع الأزهر) فقـد جاءت متأخرة بعـد إنشاء القصور الفاطمیـة فی عهد العزیز بالله (۳۶۵- ۳۸۶ ه) الـتی أطلـق علیهـا اسم (القصورة الزاهرة) و من ثم أطلق اسم (الجامع الأزهر)، أو أنه سـمی (الجامع الأزهر) تفاؤلا بما سـیکون له من مسـتقبل زاهر، و مکانـة سامیة بازدهار العلوم فیه، و إن کان المرجح أن هذه التسـمیة مشـتقة من لفظ (الزهراء) لقب السـیدة فاطمة الزهراء ابنة الرسول علیه الصلاة و السلام، و زوج الإمام علی رضـی اللّه عنه التی نسـبت إلیها الدولـة الجدیـدة، و سـمیت باسـمها، و قد ظل المسـجد الجدید یعرف (بجامع القاهرة، و الجامع

الأزهر) ثم تلاشى الاسم الأول مع الزمن و غلب عليه اسم (الجامع الأزهر) إلى اليوم.
الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۱۷

و الغرض منه

و كان الغرض من إنشائه أن يكون المسجد الرسمى للدولة فى حاضرتها الجديدة، و ليكون موطن الدعوة الشيعية، و رمز سيادة الدولة الروحية، و كانت له فوق ذلك أهمية رسمية خاصة، ففيه كان جلوس قاضى القضاة، و فيه مركز المحتسب العام، و فيه كان يعقد كثير من المجالس الخلاقية و القضائية.
فالجامع الأزهر عند إنشائه كانت له الصفة الدينية و الرسمية كسائر المساجد الأخرى، غير أنه لم يلبث أن اتخذ له صفة أخرى هى الصفة (العلمية التعليمية)، و ذلك عند ما فكر الخلفاء الفاطميون فى نشر مذهبهم الجديد، عن طريق دروس تلقى فى حلقاته، لأن جامع عمرو، و جامع ابن طولون قد جرت الدراسة فيهما، وفق تقاليد علمية، لا- تساير تعاليم المذهب الشيعى الجديد فكان من المناسب أن يكون المسجد الجديد (الأزهر) هو المكان المختار، لنشر تعاليم مذهبهم، و أصبح (الجامع الأزهر) مدرسة علمية يتلقى فيها طلاب العلم و رواده الذين قصدوه من كل صوب مختلف العلوم و الفنون، بجانب نشر دعوتهم، و مذهبهم الشيعى الجديد، و سبق الأزهر بصفته العلمية غيره من المساجد الأخرى، التى كانت تقوم إلى جانبه، و ظل مدى قرون، و لا يزال مقصد طلاب العلم من كافة أرجاء العالم الإسلامى.

أول درس فيه

و أول درس ألقى فى (الجامع الأزهر) ألقاه قاضى القضاة (أبو الحسن على بن النعمان) فى صفر سنة ۳۶۵ ه فى أواخر أيام المعز الفاطمى، قرأ فيه مختصر أبيه فى فقه آل البيت المسمى (الاقتصار)، و حضر درسه جمع حافل من العلماء، و الكبراء، و أثبتت أسماء الحاضرين
الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۱۸
فى سجل تخليدا لهذا الحدث الجديد، ثم توالت حلقات بنى النعمان، و قد أسهمت هذه الأسرة فى نشر المذهب الشيعى، و خدمت الفاطميين فى بث دعوتهم، و نشر مذهبهم فى المغرب و مصر ، و كانت فى الواقع دروسا مذهبية خالصة أعدت للدعاية السياسية و المذهبية.

ابن كلس

و فى رمضان سنة ۳۶۹ ه جلس (يعقوب بن كلس) وزير الخليفة العزيز بالله فى الجامع الأزهر، و قرأ على الناس كتابا ألفه فى الفقه الشيعى على مذهب الإسماعيلية، و توالى جلوسه بعد ذلك لقراءته فى الأزهر، و كان يحضر دروسه الفقهاء و القضاة، و كبار رجال الدولة، كما كانت له مجالس علم فى داره، يجتمع فيها الفقهاء و غيرهم من أهل العلم و المعرفة فى سائر العلوم و الفنون.
و لم تقف جهود ابن كلس عند هذا الحد، فأراد أن يجعل (الجامع الأزهر) معهدا للدراسة المنظمة المنتظمة، فطلب من الخليفة العزيز بالله تعيين جماعة من الفقهاء للدرس و القراءة فى أوقات منتظمة مستمرة و ذلك سنة ۳۷۸ ه، على أن تعقد حلقاتهم فى الأزهر، و أن يجرى عليهم الأرزاق، فاستحسن الخليفة الفكرة، و أجابه إلى ما طلب، و كانوا
الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۱۹

نیفا و ثلاثین فقیها، فکانوا یحضرون فی کل یوم جمعة للصلاة بالأزهر، و یأخذون فی قراءة الفقه، و مدارسة الحکمة، و عقائد الدین إلی صلاة العصر.

و هکذا بدأت الدراسة فی (الجامع الأزهر)، و اتخذ منذ ذلک التاریخ صفته التعلیمیة، و قصده الطلاب من کل صوب، و أصبح به طلبة متفرغون للدراسة، و قد وفرت الدولة للمدرسین و الطلاب ما یعینهم علی الدراسة و التحصیل حتی لا تشغلهم مطالب الحیاة، أو السعی وراء الرزق، فرتبت لهم الأرزاق و الجرایات، و بنت لهم المساکن، و قدمت لهم الکسوة فی کل عید، و یسرت لهم سبل الرکوب و الانتقال احتراما لهم، و تقدیرا لعلمهم، و استطاع (الأزهر) بما فیه من أساتذة رسمیین، و طلاب منتسبین تجری علیهم جمیعا الأرزاق الدائمة أن یکون معهدا للدرس، و أن یبدأ حیاته العلمیة الحافلة المدیدة.

و کان الصبغة المذهبیة هی الغالبة علی الدراسة فی الأزهر و لا- سیما فی أول عهده، لأنه کان مرکزا لمجالس الحکمة التی کان یعقدها الدعاة فیه، و التی کانت غایتها بث الدعوة الفاطمیة، و توطید إمامتها، فکانت علوم الشیعة و فقه آل البیت تحتل من حلقاته الدینیة المقام الأول، غیر أن هذا لم یمنع من تدریس علوم الدین، و اللغة و فروعها، و کان للعلوم الدینیة بنوع خاص أوفر نصیب، کما کانت تدرس به علوم: الفلسفة، و المنطق، و الطب، و الریاضیات و إن کان ذلک فی حدود ضیقة.

دار العلم أو دار الحکمة

ظل الجامع الأزهر المرکز العلمی الرئیسی للثقافة الشیعیة، و العلوم الدینیة، و العربیة، و الکونیة حتی ظهر له منافس خطیر هو (دار العلم) التی أنشأها الخلیفة الفاطمی الحاکم سنة ۳۹۵ ه ، فقد انتزعت منه الکثیر من

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۲۰

رواده، و تفوقت علیه، و أثرت فی سیر الدراسة به، بسبب ما وجد بها من دراسات مختلفة للغة، و المنطق، و الفلسفة، و الطب و الریاضیات فی حریة و انطلاق، و لتشجیع الخلیفة الحاکم لطلابها، غیر أن ازدهار (دار العلم) کان قصیرا، لما انتابها من اضطرابات أخلت بالتعلیم فیها، و بقی الأزهر ملاذا للعلوم الدینیة، و العربیة، و لم یقلل قیام (دار العلم) من شأنه کمعهد للقراءة، و الدرس.

و بقیت الصفة (التعلیمیة) ممیزة للجامع الأزهر طوال العصر الفاطمی، فزاد عدد طلابه و أساتذته، و کثرت أروقته، و حلقات التعلیم به، و نمت الدراسة فیه و ازدهرت، حتی بدأ یجتذب إلیه الطلاب و العلماء من خارج مصر، و استطاع أن یکون (جامعة علمیة) جلیلة القدر، و أن یسدی إلی الدین و اللغة أجل الخدمات علی مر السنین، حتی غدا کعبة لقصاده من سائر الأقطار الإسلامیة، کما قال المقریزی فی خططه. «و لم یزل فی هذا الجامع- الأزهر- منذ بنی عدة من الفقراء یلازمون الإقامة فیه، و بلغت عدتهم فی هذه الأیام- سنة ۸۱۸ ه- سبعمائة و خمسین رجلا ما بین عجم، و زیالعة- نسبة إلی زیلع- و من أهل ریف مصر، و مغاربة و لکل طائفة رواق یعرف بهم، فلا یزال الجامع عامرا بتلاوة القرآن، و دراسته، و تلقینه، و الاشتغال بأنواع العلوم، و الفقه، و الحدیث، و التفسیر، و النحو، و مجالس الوعظ، و حلق الذکر، فیجد الإنسان إذا دخل هذا الجامع من الأنس بالله، و الارتیاح، و ترویح النفس ما لا یجده فی غیره، و صار أرباب الأموال یقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب و الفضة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۲۱

و الفلوس، إعانة للمجاورین فیه علی عبادة اللّه تعالی، و کل قلیل تحمل إلیه أنواع الأطعمة و الخبز و الحلاوات لا سیما فی المواسم.

فی عهد الدولة الأیوبیة

استمر الأزهر فی أداء رسالته العلمیة، یحمل مشعل المعرفة الوهاج، حتی غدا منار العلم و موئل العلماء طوال العهد الفاطمی، فلما

قامت الدولة الأيوبية بدأ نجمه فى الأفول، لأن السلطان صلاح الدين الأيوبى قد عمل منذ اللحظة التى استقل فيها بحكم مصر سنة ۵۶۷ ه على محاربة التشيع، و نشر المذهب السنى، فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر مركز الدعوة الشيعية أبطلها قاضى القضاة الشافعى فى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبى، المسمى: (صدر الدين عبد الملك بن درباس)، لأن الشافعية لا يجيزون إقامة خطبتين للجمعة فى بلد واحد، و أقرها فى جامع الحاكم، و بقى الأزهر معطلا من إقامة الجمعة فيه نحو مائة عام، إلى أن أعيدت إليه فى عهد المماليك (الظاهر بيبرس البندقدارى) سنة ۶۶۵ ه.

فى أيام المماليك

غير أن هذه المحنة لم تؤثر فيه، فقد تابع حياته العلمية، و وجد فى ظل المماليك الرعاية الكاملة، و برزت صفته العلمية بروزا واضحا فى عصرهم، و تمكن من المحافظة على التراث الإسلامى خلال المحنة التى حلت بالشرق الإسلامى من جراء الغزو المغولى، ثم ما أصيبت به معاهد العلم و المساجد فى الأندلس، و بلاد المغرب من ذبول و ضعف، مما جعله مقصد العلماء و الطلاب من المشرق و المغرب، يجدون فى رحابه الملجأ و الملاذ، و غدت القاهرة- مقر الجامع الأزهر، و كرسى الخلافة الإسلامية- قلب العالم الإسلامى النابض، و أمل العروبة و الإسلام، و اعتبر عصر المماليك بحق. «العصر الذهبى للجامع الأزهر» من حيث الإنتاج العلمى

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۲۲

الممتاز، و محافظته على التراث الإسلامى، و قيامه على أداء رسالته العلمية و التعليمية للمسلمين كافة، و احتلاله مركز الزعامة.

فى عهد الأتراك

و أصل الأزهر سيره، يؤدى واجبه فى خدمة الدين و الثقافة بهمة فائقة، و نشاط كبير، حتى منيت البلاد بالفتح التركى العثمانى سنة ۹۲۳ ه (۱۵۱۷ م) فحلت بالديار المصرية الكارثة، و اغتصب السلطان سليم الأول خير ما فيها من تحف و آثار، و كتب نفيسة، و سلب البلاد عمالها و صناعها، و بعث بكل ذلك إلى القسطنطينية العاصمة، و كان طبيعيا أن يصيب الأزهر ما أصاب البلاد من أضرار جسيمة، فاختفت من رحابه الصفوة الممتازة من علمائه الأعلام، و خفت صوته و انكمشت أهدافه و برامجه الدراسية، و اقتصرت الدراسة فيه على العلوم الدينية، و العربية، و اختفت العلوم الرياضية، و الفلسفية، و الطبية و غيرها من سائر العلوم الكونية، و خيم عليه ركود طويل كاد يقضى عليه، و يخمد أنفاسه.

و حين جاءت الحملة الفرنسية

و على غير انتظار احتل الفرنسيون الديار المصرية سنة ۱۲۱۳ ه (۱۷۹۸ م) فأيقظت حملتهم الأزهر من سباته، و نبهته من غفوته، و وجد نفسه تحت ضغط الظروف و الحوادث، تشارك فى الحركة القومية بتعبئة قوى الكفاح الشعبى ضد المستعمر الجديد، و غرس الكراهية فى النفوس ضد الفرنسيين، الدخلاء، فلعب دورا سياسيا خطيرا إبان الاحتلال الفرنسى، و احتل موضع القيادة الروحية، و الزعامة السياسية فى البلاد، فكانت يقظة قومية وطنية قبل أن تكون يقظة علمية، قادها كبار رجال الأزهر بزعامة شيخ الأزهر (الشيخ عبد الله الشرقاوى)، و ثارت القاهرة مرتين فى وجه الفرنسيين، ثم قتل (كليبر) نائب نابليون بيد (سليمان الحلبى) المنتمى

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۲۳

إلى الأزهر و ازعجت هذه الأحداث الفرنسيين، فنزحوا عن البلاد نهائيا بتسليم الجنرال (مينو) فى شهر ربيع الآخر سنة ۱۲۱۶ ه (سبتمبر سنة ۱۸۰۱ م) بعد أن مكثوا بها ثلاث سنوات و بضعة أشهر، أرهقوا فيها أهل البلاد عامة من أمرهم عسرا، و نالوا من قداسة الجامع

الأزهر و کرامة أهله.

فی عهد محمد علی

فلما آل حکم الدیار المصریة إلی «محمد علی» سنة ۱۲۲۰ ه (۱۸۰۵ م) لم یجد الأزهر عطفا من النهضة القومیة فی بادیء الأمر، و لم یحفظ سید البلاد الجدید الجمیل لعلماء الأزهر الذین ارتقی علی أکتافهم إلی منصب الولایة، و ابتدأ عهده بالاستیلاء علی أملاک الأزهر الخاصة الواسعة، و فقد الأزهر بسبب اغتصاب أوقافه أهم موارده المالیة، و مع ذلک فإن رغبة محمد علی فی الإصلاح، و فی إقامة بناء دولته الجدیدة علی أسس سلیمة جعلته یرغب فی الاسترشاد بالأفکار الأوروبیة، فاتجه إلی إرسال البعوث العلمیة إلی الخارج، فأنشأ فی سنة ۱۲۴۲ ه (۱۸۲۶ م) البعثة العلمیة إلی باریس، و اختار لها نخبة من أنجب طلاب الأزهر لیتلقوا العلم علی أسالیب جدیدة ، فکانت هذه خطوة عملیة نحو إصلاح الأزهر و إدخال أسالیب البحث الحدیث فیه، و الاهتمام بالعلوم الحدیثة التی کانت مهملة، غیر أن الأزهر لم یستجب لهذه المحاولة، و ظل متمسکا بأسلوبه القدیم، کما عارض رجاله بشدة دعوة الزعیمین جمال الدین الأفغانی، و الشیخ محمد عبده فی إصلاح الأزهر، و ضاعت جهودهما فی سبیل إصلاح الأزهر هباء، و إن کانت دعوتهما قد أثمرت فی خارجه حیث وجدت استجابة من بعض شباب البلاد، و نشأ جیل من المفکرین الأحرار شارک فیما بعد فی إصلاح الأزهر.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۲۴

لم یحل جهود الأزهریین دون بذل عدة محاولات لإصلاح الأزهر بإصدار القوانین المنظمة له، فصدر أول قانون سنة ۱۲۸۸ ه (۱۸۷۲ م) فی عهد مشیخة الشیخ محمد العباسی المهدی، و أدخلت بمقتضاه عدة إصلاحات علی مناهج الدراسة، و نظام الإدارة، و یقرر إدخال (امتحان الشهادة العالمیة، و امتحان الطلاب الراغبین فی الحصول علیها، أمام لجنة بعینها شیخ الجامع الأزهر من بین علمائه).

ثم فی عهد مشیخة الشیخ سلیم البشری صدر القانون رقم ۱۰ لسنة ۱۹۱۱ م الذی یعتبر من أهم قوانین إصلاح الأزهر فی حینه، و أکثرها عنایة بمناهجه، و خطة الدراسة فیه، و بمقتضاه حددت اختصاصات شیخ الأزهر، و أنشیء مجلس الأزهر الأعلی، و جماعة کبار العلماء، و شیوخ المذاهب الأربعة، و أدخلت العلوم الحدیثة فیه.

کما صدر فی عهد مشیخة الشیخ محمد الأحمدی الظواهری المرسوم بقانون رقم ۴۹ لسنة ۱۹۳۰ م، الخاص بإعادة تنظیم الجامع الأزهر، و المعاهد الدینیة العلمیة الإسلامیة، و الذی حولت بموجبه الدراسة العالیة بالأزهر (القسم العالی) إلی کلیات ثلاث، و إلی إنشاء أقسام للتخصص فی المادة، و المهنة بعد الحصول علی الشهادة العالیة من إحدی الکلیات، و لذا فإن هذا القانون یعتبر بحق أول خطوة رسمیة فی تمکین الجامع الأزهر من مسایرة التقدم العلمی و الاجتماعی فی العصر الحاضر فی تزوید طلابه بما یجب أن یحیط به رجل الدین الحدیث من العلوم و من الاتجاهات.

مشیخة الشیخ المراغی

ثم کانت خطوة أوسع نحو الإصلاح علی عهد مشیخة الشیخ محمد مصطفی المراغی الثانیة (۱۹۳۵- ۱۹۴۵ م) بصدور المرسوم بقانون رقم ۲۶ لسنة ۱۹۳۶ م، و قد نجح هذا القانون فی معالجة الکثیر من مشاکل

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۲۵

الإصلاح فی الأزهر، و فی النهوض بالأزهر إلی مستوی الجامعات الحدیثة الکبری، و قد أرفق الشیخ المراغی مشروع هذا القانون بمذکرة أوضح فیها وجهة نظره، و أنه یرید للأزهر أن یساير الحیاة المعاصرة عن فهم و إدراک، کما أنه یرید بهذا الإصلاح أن یفی الأزهر بالأغراض التی تحقق آمال المسلمین فیه، و ترجع به إلی عصوره الزاهرة من البحث العلمی السلیم، و التفکیر الحر، و دراسة

الفنون التی تتفق مع طابعه القدیم، و تطابق مقتضیات العصر، و تلبی رغباته، و أن یتصل بالنهضة الحدیثة فی الغرب عن طریق تعلم اللغات الأجنبیة لیرد شبهات المضللین، و یدفع التهم الموجهة إلی الدین فی کتابات الأجانب المغرضین، و یفید من طریقة وضعهم للکتب، و معالجتهم للمسائل العلمیة، و نورد فیما یلی بعض فقرات من تلک المذکرة، فقد جاء فیها. «.. و نحن إذ نحاول إصلاح الأزهر نرید أن نوجد طالبا یفهم مسائل العلم فهما صحیحا، و یفهم أغراضها، و صلتها بأدلتها، و صلتها بعضها ببعض، و یستطیع التطبیق علی الجزئیات، و یستطیع الاستنباط و التدلیل، و یستطیع فهم الکتب القدیمة التی ألفت فی العصور المختلفة فی جمیع الفنون الإسلامیة، ...، و أحب أن توجد کتب فی جمع الفنون الحدیثة علی أسلوب عربی صحیح مناسب لأذواق الأجیال الحاضرة، تهذب فیه المسائل علی أحسن ما وصل إلیه التحقیق العلمی، و أن تحیا الکتب القدیمة الجیدة فی الأسلوب و الوضع، ...، هذا الذی نحاوله بالتجدید. یجب- علی ما أری- أن یضعه الناس أمامهم، و أن یجدوا للوصول إلیه، ...، و لقد کان أسلافنا أشد الناس عنایة بالعلم، فلم یمض الزمن القلیل حتی أخذوا علم الیونان، و أدب الفرس، و حکمة الهند و استعانوا بذلک کله فی تفسیر القرآن، و فی وضع علم الکلام علی الأسس التی نراها فی مثل المواقف و المقاصد، و استعانوا به فی تنظیم مسائل العلوم جمیعها، فلم یخل علم من أثر الفلسفة و المنطق، و لقد کانت لهم محاولات جدیرة بالإعجاب فی التوفیق بین الدین

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۲۶

و نظریات الفلسفة، ... و تغیرت نظریات الفلسفة، و حدثت نظریات أخری، و کان من شأن هذا کله أن توجه علی الأدیان جملة، و علی الإسلام خاصة حملات، و صار من الواجب الحتم علی علماء المسلمین أن یحیطوا علما بکل ما یوجه إلی الأدیان عامة، و إلی الإسلام خاصة من مطاعن، و أن یردوا تلک المطاعن التی توجه إلی الإسلام، و یذودوا عن عقیدتهم بأدلة ناصعة، و أسلوب مقنع ممتع، لیجنبوا المتعلمین تعلیما مدنیا الشبه الزائفة، و لیضموا إلی الإسلام أفرادا و شعوبا من الأمم التی تتطلع إلی الإسلام، و تبتغی الوقوف علی خصائصه و مزایاه، و هذا لا- یتم لهم علی ما ینبغی إلا بالاتصال بغیرهم اتصالا علمیا، و بتعرف اللغات الحیة التی یکثر فیها الانتاج العلمی، و التی یتناول بها العلماء مسائل الإسلام، و مسائل اللغة العربیة، لذلک وجب أن یکون لأهل الأزهر نصیب من هذه اللغات، و هنالک فائدة أخری لتعلم اللغات، و هی أنها تساعد علی معرفة طریقة وضع الکتب، و علی معرفة الأسلوب الحدیث فی التألیف و التفکیر، و طریقة عرض المسائل علی أنظار المتعلمین ..... الخ ..».

بهذا الإصلاح یکون الشیخ المراغی قد أتم ما بدأه الشیخ محمد عبده، و قد کرس الشیخ المراغی فترة السنوات العشر التی أعقبت صدور القانون رقم ۲۶ لسنة ۱۹۳۶ م علی تنفیذ هذه الإصلاحات حتی لقی ربه فی الثانی و العشرین من أغسطس سنة ۱۹۴۵ م رحمه اللّه.

و قد تعاقب علی کرسی مشیخة الجامع الأزهر بعد الشیخ المراغی عدد من جلة شیوخ الأزهر هم. الشیخ مصطفی عبد الرزاق، و کان مؤمنا بالإصلاحات التی أدخلها الشیخ المراغی، غیر أن المنیة قد عاجلته سنة ۱۹۴۷ م ثم الشیخ محمد مأمون الشناوی، و الشیخ عبد المجید سلیم للمرة الأولی، و الشیخ إبراهیم حمروش، و الشیخ عبد المجید سلیم للمرة الثانیة، و الشیخ محمد الخضر حسین، و الشیخ عبد الرحمن تاج، و الشیخ محمود شلتوت، و قد صدرت خلال هذه الحقبة عدة قوانین معدلة للقانون

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۲۷

رقم ۲۶ لسنة ۱۹۳۶ م، و القانون رقم ۴۰ لسنة ۱۹۵۶ م، ثم القرار الجمهوری رقم ۱۵۲۵ لسنة ۱۹۵۹ م، و کلها تستهدف إصلاح الأزهر و النهوض به، و الارتفاع بمستواه العلمی و المادی.

و هکذا تقلبت الأحوال بالأزهر من عسر و یسر، و ذاق خلالها حلاوة العزة و القوة، و مرارة الوهن و الضعف خلال فترة تجاوزت الألف عام من عمره المدید، و رغم الظروف و الأحداث التی مرت به لم یقصر فی أداء واجبه، و ظل عامرا بالطلاب، زاخرا بالعلماء یؤدی رسالته العلمیة و الوطنیة فی ثقة و اطمئنان، و أخیرا صدر القانون رقم ۱۰۳ لسنة ۱۹۶۱ م بشأن إعادة تنظیم الأزهر، و الهیئات

التی یشملها فی عهد الشیخ محمود شلتوت، و أصبح الجامع الأزهر لأول مرة بموجب هذا القانون (جامعة)، و أضیف إلیه عدد من الکلیات بجانب کلیاته الثلاث السابقة، و أصبحت کلیات (جامعة الأزهر) الجدیدة الیوم هی، المعاملات و الإدارة (التجارة) و البنات الإسلامیة، و الهندسة و الصناعات، و الطب، و الزراعة، و التربیة، و قد ترک الباب مفتوحا لإنشاء کلیات أخری- غیر الکلیات التسع- و معاهد عالیة طبقا لحاجة التطور و مسایرته.

و کان هذا التطور الجدید ضرورة تحتمها الحیاة المعاصرة، و تقتضیها ظروف المسلمین فی أنحاء العالم الإسلامی الذین ینظرون إلی الأزهر علی أنه من بین مقدساتهم، لجلیل نفعه، و عظیم أثره فی خدمة علوم الدین و اللغة، و حفظ تراث الإسلام و العروبة.

و قد نوهت المذکرة الإیضاحیة للقانون رقم ۱۰۳ لسنة ۱۹۶۱ م بمکانة الأزهر، و ما یرجی له من مستقبل، و بما یمکن أن یؤدیه من خدمات جلیلة فی جمیع أجراء العالم الإسلامی بعد إعداد أهله وفق أهداف هذا القانون، فقد جاء فیها: «... لقد قام الأزهر بدور عظیم فی تاریخ العلم، و فی تاریخ الإسلام، و فی تاریخ العروبة، و فی تاریخ الکفاح القومی علی توالی

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۲۸

العصور، و وقف قلعة شامخة فی وجه کل المحاولات لاستعبادنا، و السیطرة علینا، و تحطیم کیاننا القومی و الروحی»، «و کانت التقالید العلمیة فی الأزهر أساسا للنظام الجامعی، و التقالید الجامعیة فی کل بلاد الدنیا، فهو أقدم جامعة فی العالم، و إن لم یکن اسمه بین أسماء جامعاتنا».

(و من علم الأزهر شع نور الإسلام فی بلاد کثیرة من أفریقیا، و من آسیا، و أزداد عدد المسلمین عشرات الملایین، و کانت بعوث الأمم المختلفة إلی الأزهر سببا لتوثیق علاقاتنا ببلاد کثیرة، و شعوب کثیرة منذ أقدم العصور إلی الیوم، و قد اکتسب اسم الأزهر بذلک قدسیة، و اکتسب المنتسبون إلیه احتراما، و صار رأیه هو الرأی فی کل ما یتعلق بالعقیدة و الشریعة، و صار هو الجامعة الإسلامیة الکبری فی الشرق و الغرب، لا یطلب أحد علوم الإسلام إلا عن طریق الأزهر، و لا تتجه قلوب المسلمین فی مشارق الأرض و مغاربها إلی معهد یفد إلیه أولادهم للتزود من أسباب المعرفة غیر الأزهر .... الخ).

ثم تناولت المذکرة بالتفصیل المبادیء التی تحقق ما یهدف إلیه القانون من إصلاح الأزهر حتی یعود إلیه شبابه، و ترتفع مکانته، و ینهض برسالته فی الداخل و الخارج و یصبح ابن الأزهر قادرا علی المشارکة بدور إیجابی نافع لمجتمعه خاصة، و المجتمع الإسلامی عامة، «و حتی یتوافر للأمة نوع من الخبرات التی تملک إلی جانب العقیدة الواعیة کفایة عملیة و مهنیة و علمیة، تشارک فی مجالات العلم و الإنتاج فی نفس الوقت الذی تدعو فیه إلی سبیل اللّه بالحکمة و الموعظة الحسنة».

فالأزهر الیوم سید جامعات الإسلام دون منازع، و إلیه یرجع الفضل فی صیانة الثقافة الإسلامیة العربیة فی ظلمات العصر الترکی العثمانی بمصر، و فی مقدور الأزهر الیوم أن یشق طریقه فی ظل هذا التطویر، و تلک الرعایة التی تظله بها الدولة لیؤدی إلی العالم الإسلامی أعظم الخدمات،

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۲۹

و یضیف إلی مآثره القدیمة مجدا جدیدا إذا جدد نفسه، و فهم رسالة الإسلام العلمیة کما کان یفهمها سلفنا العظیم، حتی تتأکد زعامته، و تتألق مشاعل المعرفة من أرجائه، حتی یعم نورها أرجاء المعمورة، ذلک ما نرجوه، و اللّه ولی التوفیق.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۳۱

بین الأزهر و جامعة القرویین

هناک التشابه بین الأزهر الذی قام بالقاهرة و جامع القرویین الذی قام بفاس فی نقطة البدایة. کل منهما قام علی أنه مسجد، ثم أصبح بعد ذلک مسجدا جامعا لفترة من الفترات، ثم مقرا للدراسات الإسلامیة و العربیة.

و عند ما صار كل منهما مقرا للدراسات الإسلامية و العربية تناولت الدراسة فيهما جميع فروع المعرفة المختلفة التى يتكون منها التراث الإسلامى و العربى.

فبجانب علوم اللغة و الفقه و علوم التفسير و الحديث و العلوم الأخرى الدينية كانت الطبيعة و كان الطب و كانت الرياضة و كانت الفلسفة، كل منها يكون جانبا من جوانب فروع المعرفة التى عنى بها الأزهر و جامع القرويين.

و كان لكل فرع من هذه الفروع علماء مبرزون هنا و هناك يرحل إليهم طلاب العلم و يقيمون لديهم فترة طويلة أو قصيرة للتلمذة عليهم فى موضوع المعرفة و التعرف على منهجهم فى البحث. و كان من أشهر العلماء فى الأزهر الأئمة العلماء: ابن الحاجب، و خليل و الخرشى، و الزرقانى، و العدوى، و الدردير، و الأمير، و البنانى، و ابن السبكى، و جلال الدين المحلى، و السيوطى، و شيخ الإسلام زكريا الأنصارى، و ابن حجر، و العينى،

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۳۲

و الأسنوى، و الأشمونى، و الصبان، و الملوى، و ابن الهيثم الذى وضع الأسس العلمية لنظريات نيوتن فى علم الطبيعة. و كان من أشهرهم فى القرويين: الأئمة العلماء الحافظ أحمد بن على بن قاسم الزقاق، و المفتى محمد بن قاسم القصار، و الفقيه أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجى، و المتكلم أبو عمرو السلالجى و هو من طبقة أبى المعالى الجوينى فى الشرق، و المحدث ابن رشيد السبتى و الحافظ أبو العلاء العراقى، و اللغوى ابن زاكور، و الرياضى ابن البناء المراكشى، و الطبيب أبو القاسم الوزير

و كان هناك تشابه بين الأزهر و جامع القرويين فى طريقة الدرس و فى منهاج البحث: فكانت هناك الحلقة، و كانت هناك المناقشة، و كانت هناك المحاضرة و التعقيب عليها، و كان أسلوب الدراسة فى واقع أمره أسلوبا لتربية العقل، و تخطيط طريق التفكير و الوصول إلى الحق فى ذاته. و ما كان للجامع الأزهر و لجامع القرويين من أسلوب فى البحث إذ ذاك هو ما للجامعات المعاصرة اليوم فى منهج البحث.

و هناك التشابه فيما طرأ على التعليم فى كل منهما من تغيير و ما أصابه من تقلبات، تبعا للعهود السياسية التى مرت على كل من القاهرة و فاس:

فنجد تشابها فى طابع التعليم أيام أن حكم الفاطميون فى مصر و الأدارسة فى المغرب، و تشابها فى طابع التعليم أيام حكم الأيوبيون بمصر و الموحدون بالمغرب. كما نجد تشابها فى إطار المعرفة نفسه: اتسع فترة فشمل جميع الفروع المختلفة التى يضمها اسم التراث الإسلامى و العربى، و ضاق فى فترة أخرى فلم يشمل علوم الرياضة و الطبيعة و الطب و الفلسفة.

و هناك تشابه كذلك بين الأزهر و القرويين فيما مر على التعليم فى كل منهما من مراحل الإصلاح و التطور: سواء فى طريقة التعليم أو فى نظام الاختبار أو فى تعدد المراحل أو فى منهاج المواد، أو فى تغيير الكتاب:

فقسمت مراحل التعليم فى كل منهما إلى ثلاث، و أخذ بنظام المحاضرة

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۳۳

بجانب نظام الحلقة فى طريقة التدريس، و رتبت كتب التعليم على حسب ما بينها من اختلاف فى الحجم و فى أسلوب التعبير، و على أية حال لم ينتقل التعليم فى كل منهما طفرة ليساير الوضع الغربى سواء بسواء بسبب ما لكل منهما من طابع المحافظة على ما ورثناه من تراث روحى و فكرى و علمى، و ما لهما من طابع التمسك بالقيم التى خلفها آباؤنا فى حياتنا و توارثناها جيلا بعد جيل. و ربما كان لهذا الطابع الذى للأزهر و جامع القرويين على السواء دخل كبير فى مقاومة الغزو الفكرى، و الغزو السياسى و الاقتصادى للوطن العربى.

و يسوقنا من أجل ذلك الحديث عن وجه التشابه بين الأزهر و جامع القرويين فى موقف كل منهما تجاه المستعمرين الغازين، و فيما قام به كل منهما من حمل راية الجهاد و الكفاح ضد المستعمر الأجنبى، و فيما أصاب كلا منهما من نقمة المستعمر و عنته، و فيما

سببه المستعمر لحملة التراث الإسلامی و العربی فی کل منهما من أذی و أضرار مادیة و أدبیة فی المجتمع العربی الخاص و العام، و فیما ضیقه من خناق علی هؤلاء و أقامه من عقبات فی سبیل سعیهم فی الحیاة، و فی الحصول علی وضع فی المجتمع یجعل منهم مواطنین لهم ما لمواطنیهم الآخرین من حقوق، و علیهم ما علیهم من واجبات.

و هناک التشابه بین الأزهر و القرویین فی حفظ التراث الإسلامی و العربی و صیانته من التبدید و الضیاع، فلم تفتر عنایة کل منهما عن رعایة حفظ القرآن الکریم و درسه و تفهم معانیه و لم تفتر رعایة کل منهما عن نقل ما کان للأولین العرب و المسلمین إلی خلفائهم من بعد جیلا بعد جیل من أفهام فی القرآن، و من حلول لمشاکل الحیاة و من معارف کانت تدور فی محیطهم الثقافی. و قد کانت صدور علماء و طلاب کل من الأزهر و جامع القرویین مقرا للقرآن الکریم، و کانت عقولهم مرجعا لتفکیر المسلمین، و کانت

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۳۴

ألسنتهم تنطق بأسلوب کتاب اللّه، و هو الأسلوب العربی المبین، فحفظوا القرآن من التحریف، و حفظوا التفکیر من الضیاع.

و هناک التشابه بین الأزهر و القرویین فی تأثر الأزهر بعلماء بغداد الذین وفدوا فی عهد الممالیک إلی القاهرة فی سنة ۶۵۶ ه بعد سقوط بغداد، و فی تأثر القرویین بعلماء الأندلس الذین وفدوا إلی المغرب بعد سقوط الأندلس فی القرن الرابع عشر المیلادی.

و هناک التشابه فی حرکة الإصلاح القویة التی قام بها محمد عبده فی الأزهر فی نهایة القرن التاسع عشر و الشیخ أبو شعیب الدکالی فی القرویین فی أوائل القرن العشرین.

و هناک التشابه بین الأزهر و جامع القرویین فی تربیة الحماس القومی، و ننمیة الروح الوطنی، و القیام بالحرکات المعبرة عن سخط الوطن و تکوین الرأی العام، و الدفع إلی بقائه فی النضال بین الدخلاء الغاضبین و بین أصحاب الوطن المعتدی علیهم.

کل هذه الأوجه من التشابه بین الأزهر و جامع القرویین تجعل لجامع القرویین فی القاهرة صدی قویا لا یتضاءل و لا یضعف مهما فرق الاستعمار فیما مضی بین أجزاء الوطن الواحد و مهما حاول بأسالیبه المختلفة أن یضعف من الصلات الثقافیة و الترابط الروحی بین فاس و القاهرة، و مهما حاول و بذل فی وضع العقبات المادیة و المعنویة فی طریق لقاء العربی القاهری بالعربی المغربی.

و جامعة القرویین من أقدم جامعات العالم بعد الأزهر إذ أن مسجد القرویین لم یتحول إلی جامعة للتدریس إلا سنة ۵۳۸، أما الأزهر فقد هیيء لتدریس الفقه و العلوم فی الرابع الأخیر من القرن الرابع الهجری. و علی ذلک تکون الجامعة الأزهریة أقدم جامعات العالم علی الإطلاق. و یعزی إلیها- و إلی شقیقتها: «الزیتونة» فی تونس، و «الأزهر الشریف» فی

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۳۵

القاهرة، أکبر الفضل فی نشر الإسلام الحنیف و الحفاظ علی تعالیمه السمحة و حمایة لغة القرآن و آدابها و العمل علی إثرائها فی جمیع فروع المعرفة ... بالإضافة إلی ما قامت به هذه الجامعات الإسلامیة الکبری من تزوید شعوبنا العربیة خلال مراحل تطورها بالقادة و العلماء و المرشدین الروحیین طوال القرون الماضیة.

و تاریخ جامعة القرویین بالذات یرتبط أوثق ارتباط بتاریخ مدینه «فاس» التی کانت منذ إنشائها عاصمة للدولة المغربیة فی عهد الآدارسة و من خلفهم إلی مستهل القرن الهجری الحالی، حیث أخذ الاستعمار یتسلل إلیها. و قد سارت هذه الجامعة فی تاریخها الطویل العامر، ککل کائن حی، تنهض و تنمو آنا، و تجمد و تتعثر آنا آخر ... و لکن الأمر الذی لا یمکن أن ینکره أحد علیها، أنها ظلت- فی کل الأحوال- تحمل علم الدراسات الإسلامیة و ما یتصل بها عن جدارة، فی هذا الجزء الهام من وطننا العربی الکبیر. و استطاعت أن تثبت حقا أنها منارة الهدی و العرفان، و أساس الارتکاز الروحی عند المسلمین کافة فی المغرب العربی.

و الفصول الأولی لقصة إنشاء القرویین، تبدأ- کما یجمع المؤرخون- مع هجرة ثمانمائة عائلة أندلسیة، تبعتها هجرة ثلاثة آلاف عربی من القیروان بتونس، إلی مدینة فاس، و اتخاذهم لها وطنا ثانیا فی أوائل القرن الثالث للهجرة.

و قد استقر المغتربون من الأندلس فی شرقی المدینة بضاحیة عرفت فیما بعد، باسم «عدوة الأندلسیین». أما المغتربون من القیروان،

فقد استقر بهم المقام فی الجهة المقابلة بضاحیة علی الضفة الیسری کانت تسکنها القبائل، و سمیت أیضا باسم «عدوة القرویین».

و کان بین المغتربین التونسیین رجل ورع، یعیش فی بسطة من الرزق بسبب ما حمله معه من المال، هو «محمد بن عبد الله الفهری

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۳۶

القیروانی». و قد توفی عقب فترة وجیزة من وصوله إلی فاس. و خلف ثروة طائلة لابنته «فاطمة أم البنین» و شقیقتها «مریم».

و عقدت الشقیقتان العزم علی إنفاق جزء کبیر مما ورثتاه عن أبیهما فی بناء مسجد یخلد اسم أسرتهما و اسم البلاد التی نزحتا منها. و کان من أهم الدوافع لهما علی ذلک علمهما بحاجة الناس الملحة فی کل «عدوة» من فاس إلی مساجد یؤدون فیها الصلاة، نظرا لضیق المسجدین القدیمین القائمین فیها بالناس.

و لم یطل تفکیر الشقیقتین، فشرعت «مریم» فی بناء مسجد «الأندلس» فی شرق المدینة. و بدأت «فاطمة» فی بناء مسجد «القرویین» فی جنوبها. و کان ذلک فی یوم سبت- و هو یصادف غرة رمضان من سنة ۲۴۵ الموافق ۳۰ نوفمبر من سنة ۸۵۹ و هو المسجد الذی عرف بعد ذلک باسم «جامعة القرویین».

و لقد کانت الطریقة التی سلکها البناءون فی البناء أنهم التزموا أن یأخذوا کل حاجاتهم من الرمال و الحجارة من نفس البقعة دون غیرها. کما أنهم عثروا علی عین ماء غزیرة تجاور الموقع الذی اختیر لإقامة المسجد.

و کان ذلک کله تحریا من المشرفین علی البناء کی لا- تدخل فی بناء المسجد شبهة- علی ما یقول «ابن أبی زرع» فی کتاب «الاستقصا لأخبار المغرب الأقصی». و ظلت «فاطمة» صائمة منذ أن شرع فی بنائه، إلی أن تم و اکتمل و أقیمت فیه الصلاة.

و قرویین الأمس، لیست هی قرویین الیوم ... إذ لم تکن القرویین عند نشأتها الأولی، تشتمل إلا علی أربع صحون و علی محراب و فناء غرست فیه بعض الأشجار .. و حینما بنیت لم تکن بها حلقات للدرس کما أصبحت فیما بعد، بل کانت مجرد مسجد یحضره الناس الذین یؤدون فیه صلاة الجمعة، و کانت الفکرة فی إنشائها- کما یروی «أبو الحسن علی

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۳۷

الجزنائی» فی کتابه «زهرة الآس فی بناء مدینة فاس»- هی ضیق المساجد التی یصلی فیها أهل العدوة و افتقارهم إلی مسجد جامع یلم شعثهم و یجمع شملهم و تلقی من فوق منبره الخطبة الرسمیة.

و لقد تطلب تزاید عدد السکان و اتساع نطاق المدینة إدخال إصلاحات جمة علی مبانی القرویین القدیمة و استحداث مبان و صحون جدیدة ألحقت بها ... فلم یکد ینقضی إلا نحو قرن حتی أصبحت مساحتها أربعة أضعاف ما کانت علیه بعد بنائها. کما ذکر مؤلف کتاب «القرطاس فی أخبار ملوک المغرب و تاریخ فاس».

و کان من أوائل الذین لهم فضل السبق فی إدخال هذه الإصلاحات علی مسجد القرویین الخلیفة عبد الرحمن الأموی الذی أسهم بمال کثیر فی تجدیده، و کان شدید الشغف بالمبانی و المنشآت، و کذلک السلطان علی بن یوسف بن تاشفین، و غیرهما من الأمراء الذین عملوا علی توسعة رقعته بشراء الأملاک و الأراضی المجاورة له و ضمها إلی القرویین، حتی صار أعظم مسجد فی أفریقیا الشمالیة. و بدأت مع حلول سنة ۵۳۸ هجریة، تعقد فیه حلقات التدریس فی علوم الفقه و الشریعة علی أیدی علماء أجلاء وفدوا من القیروان و نقلوا معهم جل العلوم الدینیة، و إلیهم یعزی الفضل فی تحقیق هذه الخطوة التی تأخرت قرنین أو یزید!

و تدور عجلة الأیام دوراتها السریعة و یزداد ازدهار القرویین فی عهد المرابطین الذین بنوا فیها للعلم أمجادا و صروحا شامخة خلدها التاریخ.

و استطاعت الجامعة أن تخرج عظماء و علماء أحالوا المغرب فی مدی قصیر من «دویلة» کانت تتهاوی من الضعف، و أمة یشیع فیها التأخر و الجهالة، إلی دولة یحکمها دستور السماء الکریم الذی أنزل علی محمد علیه السلام.

و ظلت القرویین معهد دراسة و علم، و تخرج فیها ملایین من المغاربة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۳۸

فی أجیال مختلفة. و ظلت علی مر القرون حصنا للعروبة و الإسلام.

و اجتذبت شهرتها التی طبقت الآفاق عددا کبیرا من العلماء الأجانب من أنحاء أوروبا و منهم الرحالة «جریریتا» و البابا «سلفستر» الذی نقل الأرقام العربیة إلی الغرب، کما نقل نظریات الفقه الإسلامی و استخدمها فی تطویر القانون الرومانی، و کثیر غیرهم من العلماء الأوروبیین الذین توافدوا علی مر السنین- علی القرویین- للإفادة من خزانتها التاریخیة المملوءة بالمؤلفات و الکتب و المخطوطات النفیسة النادرة، فی مختلف فروع العلوم و المعرفة، و أطلعوا العالم بعد عودتهم إلی بلادهم علی الحضارة التی تغمر البلاد الإفریقیة و المغرب العربی بنوع خاص!.

و لعل أزهر عهد تحقق فیه للقرویین ما کانت تصبو إلیه من أسباب النمو و التقدم، کان عهد السلطان «أبی عنان المرینی» ففیه أنشأت الجامعة أضخم مکتبة مزودة بالمخطوطات النادرة، و شیدت مساکن خاصة للطلاب الذین یردون علیها من أطراف البلاد، کما أجری السلطان علیهم «جرایات» شهریة تکفیهم لیتفرغوا لطلب العلم ... کما کان للعلماء دور خاصة لسکناهم، و خدم معینون یوفرون لهم کل وسائل الراحة حتی یستطیعوا التوفر علی أداء رسالتهم نحو طلابهم علی أکمل وجه.

و کان علماء القرویین من أغنی طبقات الشعب، بسبب ما کان یسبغه علیهم الملوک من الهدایا و ما یجرونه علیهم من الرواتب الضخمة!.

و استمرت جامعة القرویین تقوم بواجبها، فی حریة تامة ... إلی أن ابتلی المغرب بالاستعمار الفرنسی، و أوجس الفرنسیون منها خیفة ...

أرادوا فی مبدأ الأمر أن یوصدوا أبوابها أمام الطلاب، أو یحددوا عددهم، زاعمین أن فی ذلک ترقیة للبلاد ... و لکنهم اصطدموا بمعارضة شدیدة ... إذ فطن «المولی یوسف» الجالس علی عرش البلاد لغرض المستعمرین من ذلک .. و أدی الصراع بینه و بینهم إلی انتباه جماعة من

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۳۹

العلماء و اتجاههم إلی بعث الحرکة السلفیة و محاربة الجمود، و تطویر الدراسات لتسایر روح العصر .. و کانت الخطوة الإیجابیة لتحقیق ذلک الغرض، عند ما عین جلالة الملک محمد الخامس فی سنة ۱۹۳۷، الأستاذ «محمد الفاسی»، و هو من علماء القرویین، و من الذین استکملوا دراستهم فی جامعة باریس، مدیرا للقرویین فأدخل العلوم العصریة و اللغات الأجنبیة فی مناهج التعلیم، إلی جانب المواد الدینیة، کما أنشأ قسما خاصا بالقرویین لتعلیم الفتیات، و قد تخرجت فیه إلی الآن عشرات منهن یحملن شهادة «العالمیة»!.

و یزدان تاریخ الحرکة الوطنیة فی المغرب بأنصع الصفحات التی سجلها کفاح علماء القرویین و طلابها ضد القوی الاستعماریة ... و دورها فی تحریر المغرب یماثل تماما دور الأزهر الشریف فی ثورة سنة ۱۹۱۹ و ما بعدها ...

و أصبحت الیوم تضم ألافا من الطلاب، فضلا عن فروعها التی تتمثل فی المعاهد الدینیة المنتشرة فی أنحاء المغرب، سواء فی «تطوان» أو «طنجة» أو «مراکش» أو منطقة «سوس».

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۴۱

بین الزیتونة و الأزهر

الزیتونة أزهر تونس، و الزیتونیون أزهریون کما یقول الزیتونیون أنفسهم اعتزازا بالأزهر و کما یقول الشیخ محمد الفاضل بن عاشور و أنفاس من الأزهر ما تزال تسری و تداخل جسم الزیتونة، و أخری من الزیتونة ما تزال ترجع علی الأزهر .

و جامع الزیتونة أقیم فی أوائل القرن الثانی للهجرة علی ید بانیه عبید الله بن الحبحاب السلولی، و قد کان والیا علی مصر، و منها قدم

إلی تونس، بعد أن استخلف ابنه أبا القاسم علی مصر - و کانت مدینة الفسطاط، دار ابن الحبحاب، و جامعها، جامع عمرو، الذی هو أبو الجامع الأزهر، قد کان ابن الحبحاب إمام محرابه، و خطیب منبره، فلا ضیر أن ابن الحبحاب کان واقفا علی تخطیط جامع الزیتونة بتونس، و فی ذهنه صورة جامع الفسطاط، و فی قلبه حنین إلیه، و اهتمام به، و حنین و اهتمام بابنه أبی القاسم، و قد خلفه فیه.

و کانت صحبة علی بن زیاد التونسی للیث بن سعد، و روایته عنه

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۴۲

بمصر، ثم انتصابه بجامع الزیتونة محدثا و مدرسا فی منتصف القرن الثانی حلقة أولی فی سلسلة من الاتصالات العلمیة، ظهرت فی مصر القدیمة ثم امتدت إلی القاهرة و أزهرها، و ارتبطت بها حلقات کان منها ما هو واضح إشعاعا، و أتم ظهورا. فالإمام سحنون: عبد السلام بن سعید التنوخی ، و القاضی أسد بن الفرات، بعد أن تخرجا بابن زیاد فی تونس بجامع الزیتونة، قد شدا الرحلة إلی مصر. فأخذا عن ابن القاسم، و أشهب، و ابن وهب، و ابن الحکم، و تکونت بذلک المدونة، فکانت أصل المذهب المالکی، و انعکست الرحلة من القیروان علی مصر، و تتابع العلماء من تونس و القیروان و غیرهما من البلاد الإفریقیة، علی الرحلة إلی مصر یسمعون و یهتفون، مثل: عبد الله بن أحمد التمیمی، نسیب بنی الأغلب، و حمد یس الأشعری، و القاضی عیسی بن مسکین، و جبلة بن حمود، و غیرهم من أهل القرن الثالث الذین أخذوا فی مصر عن بنی عبد الحکم، و یونس بن عبد الأعلی، و ابن المواز، علی ما فصله القاضی عیاض فی «المدارک» و من بعده فی کتب الطبقات.

و قامت الدولة العبیدیة فی أواخر القرن الثالث، و کان الاتصال بین علماء تونس و علماء مصر، مقویا أهل السنة، و لا سیما المالکیة بتونس و بمصر، و بدأ العبیدیون یحاولون إغراء العلماء بموالاتهم.

نقل عیاض فی المدارک عن أبی الحسن القابسی: «أن المعز الفاطمی أرسل قبل دخوله مصر إلی أبی إسحاق بن شعبان صلة من مائة مثقال و کتابا، فقرض ابن شعبان من الکتاب «بسم اللّه الرحمن الرحیم» و أحرق باقیه فی الشمعة أمام الرسول. ورد المائة علیه.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۴۳

و جاء القرن الرابع: قرن أبی عثمان الحداد و ابن أبی زید و الجبلیانی و القابسی و ابن شبلون و ربیع القطان و تأکدت الصلات بین مصر و تونس و القیروان بما کان بین ابن شعبان و ابن أبی زید، و بین التلبانی المصری و أبی الحسن القابسی و بین أبی بکر الحویکی و أبی الحسن القابسی أیضا، و التهبت نار الثورة بمدینة تونس، علی العبیدین، و علی أمیر القیروان بادیس الصنهاجی لموالاته إیاهم و طاعتهم، و تولی أمر أهل تونس فی ذلک صالح المدینة و عالمها و عابدها الشیخ محرز بن خلف الصدیقی فکان لفقهاء مصر فی وجه بنی عبید مثل ما کان لفقهاء تونس و القیروان، و أصبح القول المتردد علی ألسنة المتفقهین فی حلق جامع الزیتونة و جامع القیروان و جامع الفسطاط قولا متصادقا متجاوبا و کان بعضه صدی لبعض، فکانت حلقات أبی بکر بن نصر، أبی الذکر التمار، و أخیه مؤمل و ابن الأسوانی، و ابن أبی حجرة القرطبی. فی جامع الفسطاط بمصر القدیمة، و قد ذکرها عیاض فی الطبقة الخامسة، صورة من حلقات أبی عثمان الحداد بالقیروان و الشیخ محرز بن خلف و الشیخ معاویة بن عتیق بتونس. و هکذا امتدت فکرة مقاومة الدعوة العبیدیة، و الامتناع عن مطاوعتها، من المغرب إلی المشرق، حتی بلغت البلاد الشامیة.

ذکر عیاض فی المدارک ترجمة أبی بکر النابلسی، شهید مصر سنة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۴۴

۳۶۴ ه: «کان شدیدا علی بنی عبید حین ملکوا مصر و الشام ذامّا لهم، منفرا العامة منهم، قالیا لهم، و نقل عن الرقیق أن أبا بکر «کان یفتی فی المحافل باستحلال دم من أتی من المغرب، و یستنفر الناس لقتالهم». یرید بنی عبید، ثم قال عیاض: «و إنما سلک فی هذا مسلک شیوخ القیروان فی خروجهم علیهم ... و لم یستقر للفاطمیین بسبب ذلک قرار، ففرضت ثورة تونس علی خلیفتهم المعز بن بادیس الصنهاجی أن ینقض طاعتهم حتی فعل و تتابعت مظاهر التمرد علیهم، و الاستخفاف بهم فی مصر من ولایة العزیز بن المعز

الفاطمی ثم ولایـة الحاکم و اغتیاله بعـد أن أعلن الرضوخ لقوة الأمـة فی الـدفاع عن عقیـدتها، و صـلابتها فی التمسک بسـنتها فکتب سجله بمـا فیه، و أتی الیوم بما یقتضیه، یطوی ما کان فیما مضـی، فلا ینشـر، و یعرض عما انقضـی، فلا یـذکر، و لا یقبل علی ما مر و أدبر، من إجراء الأمور علی مـا کانت علیه فی الأیام الخالیـة: أیام آبائنا ...» ثم کانت ولایـة الظاهر الـذی بـدأت الدولـة تتضـعضع فی مدته، إلی أن انتهی حکمهم الحقیقی فی ولایة المستنصر و استبداد بدر الجمالی بأمرهم، و تلاشی سیادتهم فی ظلمة العدوان الصلیبی

.

و الروح التی کانت تعمر الزیتونة بتونس و جامع الفسـطاط فی مصر، هی الروح التی ملأت الأزهر و إن کانت السلطة التی أمرت ببنائه نابیـة عن تلک الروح؛ لنسـتنتج من ذلک کله: إن الإخاء قـد کان تاما وثیقا بین جامع الزیتونة و الجامع الأزهر من یوم أنشـیء الأزهر، إخـاء کـان فی البـاطن و الروح، و إن لـم یبـد فی الظـاهر و الشـکل، فیبقی الأـزهر وفیـا لروح العابـدین العـاکفین فیه، مزورّا عن روح الحاکمین المباهین به.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۴۵

و کـذلک أقام بنو عبیـد بالقاهرة ما أقاموا، و زال ملکهم عنها بعد اسـتقراره فیها مائتی سـنة و خمس سـنین من دخول المعز إلیها سـنة ۳۶۲ ه إلی وفاة العاضد سنة ۵۶۷ ه فبقیت القاهرة بعدهم، و بقی جامعها الأزهری کما قال أبو العلاء:

تفنی الملوک و مصر بعد فقدهممصر علی العهد و الإحساء إحساء

و قام حکم السـلطان صـلاح الدین، و عاد التواصل و الامتزاج بین الأزهر و جامع الزیتونة، و أنشـئت المدارس الصـلاحیة و الخوانق، و انتظمت الدراسـة العلمیـة علی الخطـة الجامعـة بین السـنة و الکلام و الفقه و التصوف، و هی الخطـة التی درج علیها، منذ القرن الرابع، الأشـعری، و الماتریـدی، و الباقلانـی، و إمـام الحرمین، و القشـیری: یجمعون بین أبی حنیفـة و مالـک و الشافعی و أحمـد بن حنبل و الجنیدی، و هی التی برزت واضحة مستعلنة فی حکمة الغزالی و بخاصة فی کتابه «إحیاء علوم الدین».

و کانت المدارس التی أنشأها صـلاح الدین فی مصر علی مثال المدرسة النظامیة فی بغداد، و المدارس التی أنشأها الملک العادل نور الدین فی دمشق. أما الذی أنشأه العبیدیون بمصر فلم یکن یعدو مجالس مرتبة فی الجامع الأزهر و جامع الفسطاط، و کان یظلها حکم الدولـة، و یتحین لهـا اجتمـاع النـاس یوم الجمعـة فعمرت المـدارس، و توافر فیهـا الشـیوخ و الطلاـب، و انتظمت حلق العلم فی جـامع الفسطاط، و شاع الفقه علی المذاهب الأربعة، و سارت الدراسة فی العلوم علی المناهج المتصلة بتلک المذاهب.

و لکن الجامع الأزهر قـد اعتراه انطواء امتـد إلی أواسط القرن السابع، فلم یکن لهـذه الحرکـة العلمیـة فیه مجال. و طال کسوف الأزهر قرنا کاملا، إذ لم تقم فیه الجمعة إلا سنة ۷۶۵ ه أیام الملک الظاهر بیبرس و بدأ من

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۴۶

یومئذ یستعید مجده، حتی انتظم أمره، و علا شأنه فی منتصف القرن الثامن علی ید الأمیر بشیر الجامدار فی عهد الناصر بن قلاوون .

أما فی تونس ففی نحو عام ۴۴۱ ه جاء خطاب الخلیفة العباسـی من بغداد بتقلید المعز بن بادیس ولایة أفریقیة . و أعقب ذلک زحف العرب الهلالیـة، فسـقطت القیروان، و خربت، و جلاـ عنهـا المعز و آوی إلی المدینـة. و انتشـر الاضـطراب فی البلاـد، و قامت إمارات الطوائف: فی صـفاقس، وسوسة، و قابس، و قفصة، و بنزرت، و طبرقة، و الکفاف، و غیرها، أما مدینة تونس فقد خلعت طاعة المعز، و قرر أهلها الانضـمام إلی ملک الفرع الصنهاجی الآخر الذی کانت عاصمته قلعة بنی حماد، جنوبی بجایة، فتوجه وفد من مشیخة مدینة تونس إلی بجایـة، و لقوا ملکهـا الناصـر بن حمـاد، فولی بإشـاراتهم علی مدینـة تونس أحـد أبنائها و هو عبـد الحق بن عبـد العزیز بن خراسان فقامت به فی تونس دولة أساسـها الشوری، و عمادها إسـناد الأمر إلی أهل المدینة؛ لتدبیر حمایتها من هجمات القبائل، و من غزوات الولاة. و عظم شأن بنی خراسان، و سـما مظهر ملکهم بتونس، و کان لعلمائها عنـدهم منزلة مرعیة. فکان أهل تونس و بخاصـة علماؤها، و هم أهل جامع الزیتونة، فی منعة و ظهور أمر، إلی أن مضـی الثلث الأول من القرن السادس، إذ امتدت إلیهم ید أمیر بجایة،

ثم كانت الطامة الكبرى باحتلال النصارى الترمانديين أصحاب صقلية السواحل الشرقية للبلاد الأفريقية، فتحركت الثورة من جديد، للاستعداد لمقاومة الاحتلال الأجنبى، و انعكست روح الثورة على المدينة، فتقاتل ربضاها:

الجنوبى ربض باب الجزيرة، و الشمالى ربض باب السويقة إلى أن دخلها عبد المؤمن بن على سنة ۵۵۲ ه، ثم استنقذ جميع البلاد الساحلية من

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۴۷

المغيرين الإفرنج، و استنقذ بقية البلاد من أمراء الطوائف، و وحد البلاد المغربية كلها فى ملكه الذى امتد من الأندلس إلى حدود برقة .

و فى صدر القرن السابع كانت البلاد الإفريقية قد ازدهرت برد غارات الإفرانج النرمانديين، و صارت تونس عاصمة البلاد باستقرار الدولة الحفصية و صارت حلق الوعظ و التعليم القائمة بجامع الزيتونة مزدهرة و كذلك كان شأن مدينة القاهرة قبل ذلك بخمسين سنة تقريبا. لما ردت عنها الغارات الصليبية، و قامت فيها الدولة الأيوبية، و صارت الحلق فى الجامع الأزهر لا تختلف عن الحلق التى يقبلون عليها فى جامع الفسطاط: كلها حلق سنية، لا شائبة فيها للأهواء، ترعاها الدولة، و يغشاها الناس غير مكرهين، و لا وجلين. إلا أن هذا المعنى لم يظهر ظهوره التام فى الجامع الأزهر، و إن ظهر حواليه، فلم يظهر فى الأزهر بذاته إلا فى منتصف القرن السابع لما جددت عمارته، و أقيمت فيه الجمعة على مذهب أهل السنة و الجماعة، و رتبت فيه دروس الحديث و الفقه .

فجامع الزيتونة لما قام الأزهر فى منتصف القرن السابع برسالته العلمية السنية، قد كان قائما على تلك الرسالة نفسها، شديد الساعد فى الاضطلاع بها فالتحمت بذلك الصلات بين الجامعين، و زاد فى تأكيد اللحمة تشابه المناهج العلمية، و تقارب الأساليب التدريسية، و الاتحاد فى أكثر مواد الدراسة، و التفاضل المطرد بين شيوخ المعهدين: أخذا و عطاء.

فالمذهب المالكى بعد أن انقطع علماؤه من الديار المصرية، فى أواخر القرن الرابع تحت حكم الفاطميين، بدأ يعاود منزلته فى أواخر القرن السادس بمن رحل إلى مصر من الأفارقة و الأندلسيين و الصقليين الذين رفعوا لواء المذهب المالكى فيها من جديد، مثل أبى محمد التونسى

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۴۸

و محمد بن الفرح القروى الطليلى- و قد ذكرهما عياض فى المدارك، و مثل أبى بكر الطرطوشى محمد بن مسلم الصقلى المازرى و ابن الحكار العقلى و غيرهم. فشاعت بذلك الكتب المغربية، و مناهج الدراسة الأفريقية و الأندلسية، مثل المدونة، و تهذيبها، و كتب ابن أبى زيد، و كتب أبى الوليد الباجى، و انبعثت فى أصول الدين و أصول الفقه طريقة الأشعرى، و الباقلانى و إمام الحرمين، و الغزالى، و المازرى، و توصلت بذلك المذاهب السنية و لا سيما المذهبان المالكى و الشافعى و كان لشيوع دعوة الغزالى إلى وصل التصوف بعلوم الشريعة، أثرها فى تقريب المحدثين و الفقهاء و المتكلمين من الصوفية، و تأثر هؤلاء بهؤلاء، تأثرا ظهر فى طريقة الشيخ عبد القادر الجيلانى و انتشر فى المغرب كله بأبى مدين و أصحابه، ثم تأصل بتونس فى طريقة الشيخ أبى الحسن الشاذلى التى أوصلها هو أصحابه إلى مصر، و عم انتشارها من تونس و من مصر غربا و شرقا.

فهذه الأسس هى التى كانت قوام طريقة التخرج فى مصر و تونس على السواء، عليها مضى القرن السادس، و عليها سار القرن السابع حتى منتصفه لما قامت الدراسة فى الجامع الأزهر، و استمرت- عليها مناهج الدراسة فى الأزهر بقية القرن السابع و القرون بعده.

فكانت الدراسات بالأزهر و بالزيتونة طيلة هذه القرون، تسير على منهج واحد، و تعتمد مادة من الكتب مشتركة، و سندا من العلماء متحدا:

فيهم المصريون، و فيهم الأفارقة و فيهم غير المصريين و غير الأفارقة: من الأندلسيين و المغاربة، أو من الشاميين و العراقيين و الأعاجم و علماء الروم.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۴۹

ففی فجر القرن السابع ظهرت المدارس بمصر و اتسع إلیها نطاق التدریس بعد أن کان مقصورا علی المساجد. و کان إنشاء المدارس الأولی بمصر فی الفسطاط حول جامع عمرو. فهنالک أنشئت المدرسة الصلاحیة، و المدرسة القمحیة فکان فیها مدارس أنشئت للفقهاء المالکیة مثل القمحیة، و کانت الدراسة فیها بالاعتماد علی أمهات المذهب المالکی المشهورة: من کتب العراقیین و الأفریقیین و الأندلسیین، و من بینها کتب ابن أبی زید و القابسی و المازری و ابن بشیر و غیرهم من أبناء البلاء التونسیة. یشهد لذلک ما ذکره ابن فرحون فی الدیباج فی ترجمة أبی محمد ابن شاس المتوفی سنة ۶۱۰ ه أنه کان مدرسا بالمدرسة المجاورة للجامع العتیق، مع ما ورد فی کتاب الجواهر الثمینة لابن شاس من اعتماد علی ابن أبی زید و یسمیه الشیخ، و ابن بشیر و یسمیه أبا الطاهر، و المازری و یسمیه الإمام أبا عبد الله، زیادة علی أمثال أبی الولید الباجی، و ابن رشد، و ابن العربی، من الأندلسیین و عبد الوهاب و الأبهری، و ابن القصار، من العراقیین.

فلما ظهرت المدارس بتونس فی أوائل القرن السابع، کانت الدروس فیها، و فی حلق جامع الزیتونة، سائرة علی نفس ذلک المنهج، و معتمدة نفس تلک الدواوین. زیادة علی ما کانت تتلافی فیه المناهج العلمیة بین مصر و تونس، فی الفنون الأخری غیر الفقه المالکی، من الحدیث و الأصول و التصوف، و فنون العربیة، مما زاد له تأکد الصلات، و قوة الامتزاج، و رواج الأخذ و العطاء، طردا و عکسا، بین المرکزین.

و ظهر فی ذلک القرن فی مصر العلامة ابن دقیق العید، و الإمام عز الدین بن عبد السلام و الحافظ المنذری، فصربت سمعتهم إلی تونس، و أخذ عنهم من رجال الزیتونة مشاهیر منهم أبو یحیی بن جماعة التونسی أخذ

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۵۰

عن ابن دقیق العید و القاضی أبو القاسم بن زیتون أخذ عن المنذری و عن عز الدین بن عبد السلام و القاضی عبد الحمید بن أبی الدنیا أخذ عن عز الدین بن عبد السلام و ظهر فی تلک الحقبة بتونس الإمام النحوی أبو الحسن بن عصفور، و ظهر کتابه «المقرب» فی النحو و کتابه «الممتع» فی التصریف، و غیرها من کتبه فطار صیتها إلی مصر، و تلقاها عنه بتونس الشیخ أبو حیان، فروجها فی مصر و التزمها و هو الذی اختصر المقرب و وفد علی مصر الإمام الصوفی الشهیر أبو الحسن الشاذلی بطریقته التی کان قد أسسها بتونس من أواخر القرن السادس و فیها ربی أصحابه، و لقن أحزابه و کان له مجلس بجامع الزیتونة، ثم تردد هو بنفسه علی مصر و أخذ عنه فیها و صارت الأسکندریة المرکز الثانی لطریقته و استقر بها خلیفته أبو العباس المرسی، و عنه أخذها ابن عطاء الله و انتقل بها إلی مصر، و اشتهرت الطریقة الشاذلیة فی مصر، و انتشرت منها انتشارها الشرقی کما انتشرت انتشارها الغربی من تونس .

و کذلک استمر هذا التواصل بین القاهرة و تونس یزید ثباتا و توثقا بابن الحاجب، و القرافی، و ابن جماعة، إذ کان من الآخذین علیهم: ابن راشد، أخذ عن القرافی و ابن جابر الوادناشی، أخذ عن ابن جماعة و ناصر الدین الزواوی، أخذ عن ابن الحاجب. الذی نشر مختصره الفرعی فی أفریقیا و المغرب و إبراهیم التنسی المطماطی، أخذ عن القرافی ..

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۵۱

و قابل ظهور هؤلاء بمصر أن ظهر بتونس أمثال ابن هارون الطائی، و ابن الغماز، و التجانی و ابن هارون الکنانی، و ابن عبد السلام، فاعتمدوا کتب المصریین و رووا عنهم، و رووا عن المتخرجین بهم، مثل ابن زیتون، و ابن راشد.

و کان، فی القرن السابع، و الذی بعده، للرحالین المشاهیر، الذین رحلوا من تونس إلی مصر أثر فی إشاعة أسماء الأعلام من القطرین، کل فی القطر الآخر و نعنی بهؤلاء أمثال ابن جابر الوادناشی، صاحب الفهرس المفصل الممتع الذی یوجد مخطوطا بالأسکوریال، جمع فیه تراجم شیوخه و الکتب التی أخذها عنهم، و أسانیدهم فی تلک الکتب إلی مؤلفها، و بواسطته اتصل کثیر من شیوخ مصر بالتونسیین، کما اتصل کثیر من شیوخ تونس بالمصریین من طریقه مباشرة أو بواسطة ابن رشید الفهری السبتی المتوفی بفاس سنة

۷۲۱، صاحب الرحلة الشهيرة التى شملت الأندلس و المغرب الأقصى و القطر الجزائرى و القطر التونسى و مصر و الشام و الحرمين الشريفين، فاتسعت رواياته، و كثرت لقاءاته، و جمع أحاديث ذلك كله فى رحلته الحافلة التى سماها «ملء العيبة بما جمع طول الغيبة فى الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة و طيبة» و قد جمع فى مشايخه أعلاما من التونسيين: مثل ابن هارون الطائى و ابن زيتون، و أعلاما من المصريين:

مثل الحافظ المنذرى و ابن دقيق العيد، و تواصلت بواسطته أسانيد هؤلاء، كما تلاقت فيه كثير من الأسانيد المغربية و الأسانيد المشرقية، و خالد البلورى الذى رحل أواسط القرن الثامن بعد أن أقام بتونس، و دخل مصر، و جمع من أخبار مشيخته فى القطرين، و أورد عنهم من فوائد العلوم و نكت

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۵۲

الآداب ما طفحت به رحلته التى سماها «تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق» و توجد منها نسخ عديدة فى مصر و فى تونس و غيرهما- مراجع أيضا للمدرسين و القضاة و المفتين.

و فى القرن الثامن بلغ التواصل العلمى بين مصر و تونس أوجه، فتأكد اشتراك المشيخات، و تبادل الإفادة و الاستفادة، و تناقل التأليف و الروايات، و استمر ذلك ممتدا متسعا مغرقا فى القرون الموالية. فكان ظهور الشيخ خليل بن إسحاق، الفقيه المالكى، فى القرن الثامن، و بروز شرحه على مختصر ابن الحاجب، الذى سماه «التوضيح» ثم بروز مختصره الفقهى الجامع الذى نال إعجاب أهل المغرب، ممكنا لمصر منزلتها عند فقهاء المالكية بتونس، كما كان فى كتاب التوضيح أثر ظاهر للمشيخة التونسية فى اعتماده على شراح ابن الحاجب الزيتونيين: ابن عبد السلام و ابن هارون، و ابن وليد و فى المختصر أثر واضح لمتقدمى الفقهاء الأفارقة، مثل: اللخمى، و ابن يونس، و المطرزى، و هم ثلاثة من الأربعة الذين بنى على اختياراتهم مختصر خليل، كما هو مبين فى خطبته.

و ما ظهر مختصر خليل حتى أقبل الناس عليه بالحفظ و الدراسة، و تعليق الشروح و رسخت مكانته فى دراسات جامع الزيتونة، رسوخا لم ينقطع بعد. و شرح مختصر خليل أول ما شرح، فى مصر: شرحه القاضى بهرام الدميرى : شرحيه الكبير و الصغير، فاقترن الشرحان بالأصل فى اتساع السعة، حتى أصبح بهرام يلقب بين جميع الكاتبين على مختصر خليل، من بعد، بلقب «الشارح» و درس المختصر بتونس و جميع البلاد المغربية، فكان من أشهر من اعتنى به تدريسا و شرحا: العلامة ابن مرزوق الحفيد و هو تونسى زيتونى، بالطلب و المجاورة و التدريس، و تتابع عليه

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۵۳

الشراح و الدارسون و المعلقون من بعد، فكان من أصول كتب الدراسة بجامع الزيتونة، قرونا متتالية، و مرجع القضاء و الفتوى الذى لا محيد عنه و كان حفظه متنا عن ظهر قلب شائعا بين الطلبة. و صارت شروحه التى صنفت من بعد بمصر.

و قابل ظهور خليل بمصر ظهور شيخ الزيتونة و إمامها: ابن عرفة بتونس و اشتهاره بتحقيق الفقه المالكى، نظرا و نقلا، و تصنيفه المختصر الذى قال فيه الأبى: «ما وضع فى الإسلام مثله لضبطه فيه المذهب مسائل و أقوالا مع زوائد مكملة و التنبيه على مواضع مشكلة و تعريف الحقائق الشرعية»: فكانت سمعة ابن عرفة و شهرة كتبه بالغة إلى مصر، ثم كانت رحلته بنفسه، و أخذ الكثيرين بمصر عنه، و منهم الحافظ ابن حجر، و رحلة طلبته من بعده، و أخذهم عن المصريين، و أخذ المصريين عنهم، ذات أثر فى وصل ما بين الطريقتين طريقة ابن عرفة، و طريقة خليل، وصلا ظهر بصورة جليلة فى شرح ابن مرزوق على المختصر، إذ كثيرا ما اعتمد فى شرح كلام خليل على استظهارات ابن عرفة، كما ظهر الاتصال بين الطريقتين أيضا فى كتاب الشامل للشيخ بهرام، كثيرا ما أشار إلى تحقيقات ابن عرفة، كما نبه على ذلك شراحه و من يومئذ أصبح لا يرى شرح لمختصر خليل، و لا حاشية على شرح له، إلا و مدار التحقيق على كلام ابن عرفة.

و هذا الذى حصل فى الفقه المالكى، فى القرن الثامن، من التواصل الأزهرى الزيتونى قد حصل مثله أيضا فى علوم العربية. فقد ظهر

بمصر، فی ذلک القرن، إمام العربیة: أثیر الدین أبو حیان، و قد مر ذکر أخذه عن ابن عصفور بتونس، و جمال الدین بن هشام، فأظهرا فی علم النحو آثارهما

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۵۴

الجلیلة جمعا و تحقیقا و حسن تصنیف فکانا فرسی رهان فی خدمة العربیة مواصلة لطریق ابن مالک، و اتقانا لأثره، و کان ما بینهما. من کثرة المخالفة و تراد المباحث عتنا مع أبی حیان بابن عصفور، یضع مباحث ابن عصفور بینهما علی بساط المجادلة.

و اختصت کتب ابن هشام بالإقبال علیها، و لا سیما کتاب «مغنی اللبیب» فقد اشتهر و ذاع صیته بالزیتونة منذ القرن الثامن، فی حیاة مؤلفه الذی یقول ابن خلدون عنه : «وصل إلینا بالمغرب لهذه العصور دیوان من مصر منسوب إلی جمال الدین بن هشام من علمائها استوفی فیه أحکام الإعراب فأتی من ذلک بشیء عجیب دل علی قوة ملکته و اطلاعه» فدخل «مغنی اللبیب» فی کتب الدراسة بالزیتونة من أوائل القرن التاسع، درسه الحفید ابن مرزوق، و کان قد تلقاه بمصر عن ابن المؤلف الشیخ محیی الدین بن هشام و اشتهرت دراسة المغنی و الاعتماد علیه، و قد ألف الشیخ محمد الرصاع، فی منتصف القرن التاسع کتابه فی ترتیب آی مغنی اللبیب، فنوه فیه باشتهار کتب ابن هشام، و لا سیما المغنی، و تتابع العلماء علی التسلیم بعظیم قیمته من قدیم، کما صرح بما یشهد لرواج کتب أبی حیان، و خصوصا تفسیره البحر المحیط، و الاعتناء بما فی جامع الزیتونة و اعتماد المدرسین علیه و علی الزمخشری فی تفسیر القرآن و کان ذلک فی الوقت الذی یدرس فیه المغنی بالجامع الأزهر: فقد ذکر بدر الدین الدمامینی فی حاشیته علی المغنی، المعروفة بالحواشی المصریة أنه قرأ المغنی بالأزهر فی مدة مائة و ثلاثین یوما سنة ۸۱۲ ه.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۵۵

و کذلک کان القرن الثامن أیضا ظرفا للتواصل الأزهری الزیتونی فی مجال العلوم العقلیة و الأدب فکانت شهرة آل السبکی، بمصر، حاملة أهل العلوم علی الرغبة فی الاتصال بهم، و الأخذ عنهم کما تری ذلک فی رحلة خالد البلوی، و کانت شهرة ابن خلدون فی تونس و المغرب، ثم رحلته إلی مصر، و تصدره للاقراء بالجامع الأزهر مهیأة لأخذ أعلام الأزهر عنه مثل ابن حجر و المقریزی و الأقفهسی، و زائدة فی ذیوع شهرته؛ و شهرة الزیتونة، و علمائها بالمشرق.

و جاء القرن التاسع بأعلامه الذین علا بهم مجد الأزهر فکان للزیتونیین تطلع إلیهم، و اتصال بهم، فظهر الحافظ ابن حجر، الذی أخذ عن ابن عرفة و ابن خلدون، فشدت إلیه الرحلة من المشرق و المغرب و کان مدرس الأزهر و خطیبه. و قد اتصل به من التونسیین الزیتونیین و أخذ عنه: أبو عبد الله التریکی و أبو الحسن القلصادی الأندلسی الأصل، و الکفیف ابن مرزوق و هو کأبیه ابن مرزوق الحفید، زیتونی بالطلب و ظهر الجلال المحلی، و السراج البلقینی و غیرهما من الذین حفل بدروسهم و تآلیفهم و إسنادهم القرن التاسع، فکان رجوع کثیر من الزیتونیین إلیهم، و أخذهم عنهم ملاقیا بینهم و بین أعلام الزیتونة من أهل أواخر القرن الثامن و أوائل التاسع. فقد أخذ الحفید ابن مرزوق عن الجلال المحلی و جمع بینه و بین ابن عرفة و أخذ القاضی ابن فرحون المدنی، و هو تونسی الأصل عن ابن عرفة فی حجته کما أخذ عن السراج البلقینی، و اعتمده فی مواضع

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۵۶

کثیرة من کتابه «تبصیر الحکام».

و خلف القرن التاسع لمطلع القرن العاشر الإمام الحافظ جلال الدین السیوطی بمجده العالی فی ذیوع التآلیف الکثیرة المهمة، فتأثرت الدراسة فی جامع الزیتونة فی القرن العاشر باسمه تأثرا قویا امتد إلی القرون التالیة، و حطت الرحال علی کتبه، و ثار تحقیق المباحث من رسالته، و دارت الروایات علی أسانیده و تأثرت الدراسة الزیتونیة فی القرن العاشر، بأعلام القرن التاسع من الأزهریین و کتبهم، فشاع تفسیر الجلالین، و کثیر من کتب المحلی، و لا سیما شرحه علی جمع الجوامع، و شرح العینی علی البخاری، و کتب الشیخ خالد الأزهری، مثل التصریح و شرح الأجرومیة، و قد ورد ذکرهما کلها فی المشیخات و الإجازات و التراجم، کما شاع التحدیث فی

الإجازات بأسانيد شيخ الإسلام زكرياء الأنصارى: آنا بروايۀ التونسيين عن تلاميذه المصريين مثل روايۀ الشيخ أحمد بن إبراهيم الأندلسى عن الشيخ زين العابدين البكرى عن أبيه عن الشيخ زكرياء. و آنا بروايۀ التونسيين عمن لقوا الشيخ زكرياء من الفاسيين مثل روايۀ الشيخ خروف عن سقين العاصمى، كما فى كثير من الإجازات التونسيۀ، و المغربيۀ بعامۀ، بسند الشيخ عبد القادر الفاسى المشهور. و ظهر بالأزهر فى القرن العاشر أيضا أمثال الناصر اللقانى، و البدر القرافى، و القسطلانى، و ابن نجيم، فشاعت كتبهم بتونس فى القرن نفسه، و لا- سيما شرح القسطلانى على البخارى، و كتاب المواهب اللدنيۀ له و شرح العلامۀ الشنشورى، خطيب الجامع الأزهر على متن الرحبيۀ فى الفرائض.

و كان من الذين طلعوا بتونس فى أفق الزيتونۀ فى القرن العاشر:

الشيخ محمد خروف و الشيخ محمد مغوش. أما الشيخ خروف فقد رحل إلى مصر، و أخذ عن الناصر اللقانى، و الشمس اللقانى و الشيخ أبى الحسن شارح الرسالۀ، بعد أن أخذ عن جماعۀ من التونسيين مثل الزنديرى، و سليطن و محمد مغوش و قد شاع الأخذ عن الشيخ خروف فى الأسانيد

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۵۷

الفاسيۀ بروايۀ أبى عبد الله القصارى و أبى المحاسن الفاسى و بواسطۀ خروف تتصل الأسانيد الفاسيۀ بكثير من الشيوخ الأزهريين و كتبهم و أما الشيخ مغوش فقد نشأ بتونس و عظم شأنه فيها أواخر العهد الحفصى، ثم خرج إلى المشرق قبل منتصف القرن العاشر، و استقر بمصر، و توفى فيها، و قد انتشرت سمعته العلميۀ، فى المشرق و المغرب، و أخذ عنه المشارقۀ و المغاربۀ. و من أشهر المصريين الذين أخذوا عنه شهاب الدين الخفاجى .

فهؤلاء هم الذين زادوا بتلاواتهم و كتبهم و أسانيدهم، فى تقويۀ الصلۀ و كان انتظام القطرين المصرى و التونسى، فى سلك الخلافۀ العثمانيۀ فى هذا القرن، معينا على زيادۀ التواصل بين الأزهر و الزيتونۀ، كما كان ظهور المذهب الحنفى فى تونس، باستقرار النظام العثمانى، مهيئا لأسباب الاتصال بأعلام من فقهاء المذهب و أساتذته بالأزهر، و ممهدا لانتشار كتبهم فى تونس و دخولها فى مناهج الدراسۀ مثل كتب ابن نجيم التى كان بعضها متابعۀ لدروسه بالأزهر مثل شرحه على المنار. و كتب الشيخ حسن الشرنبلالى التى كانت كذلك ناشئۀ من دروسه فى الأزهر.

و بذلك كان كثير من مدرسى الزيتونۀ فى القرن الحادى عشر تلاميذ لأعلام الأزهر: الشيخ إبراهيم اللقانى، و الشيخ عبد الباقى الزرقانى، و ابنه الشيخ محمد، و الشيخ الشبراخيتى، و شيخ الإسلام محمد الخرشى، فالشيخ المفتى محمد بن مصطفى كان تلميذ الشيخ إبراهيم اللقانى و الشيخ محمد بن شعبان قرأ على الشيخ إبراهيم اللقانى جوهرته فى التوحيد

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۵۸

بالجامع الأزهر و هو الذى أقرأها بتونس، كما ذكر ذلك متلقيها عنه الشيخ محمد قويسم، فى خاتمۀ كتابه: «سمط للآل» .

و كذلك الشيخ محمد زيتونۀ و الشيخ محمد الصفار و الشيخ محمد العوانى و الشيخ أحمد برنار و الشيخ محمد سعادۀ و السيد أحمد الشريف إمام دار الباشا و الشيخ على النورى الصفاقسى إمام القراءات المشهور و الشيخ محمود مقديش الصفاقس كانوا كلهم من تلاميذ أولئك الأعلام الأزهريين و بواسطتهم دخلت كتب هؤلاء الأئمۀ إلى تونس، و شاعت دراستها، و لا سيما شروح الشبراخيتى و الزرقانى و الخرشى على مختصر خليل و شرح الزرقانى على الموطأ، و شرحه على المواهب، و توجد خطوط هؤلاء الشيوخ إلى الآن فى المكاتب بتونس: ففى المكتبۀ العبدليۀ إجازۀ الشيخ إبراهيم اللقانى بخطه، و فى المكتبۀ العبدليۀ أيضا نسخۀ من شرح الأبى على صحيح مسلم بخطه أيضا كتبها سنۀ ۱۰۱۲ ه، و فى تونس نسخۀ بخط الشيخ إبراهيم من كتاب مغنى اللبيب لابن هشام، و نسخۀ من شرح الشيخ عبد الباقى الزرقانى على المختصر هى أصله الذى بخطه.

و فى المكتبۀ العبدليۀ جزء من شرح المواهب اللدنيۀ للشيخ محمد الزرقانى، كانت من أملاك الأمير حسين باشا و قد قوبلت بإذنه

علی نسخة منسوخة من أصل المؤلف، المکتوب بخطه، الذی قرأه بدرسه علی طلبته بالأزهر فی آخر عمود.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۵۹

و کذلک شاعت الروایة بأسانید أعلام المحدثین بالأزهر فی ذلک القرن: مثل أسانید الشیخ الطولونی یروی بها الشیخ محمد زیتونة، و أسانید الشیخ الشبراوی یروی بها السید أحمد الشریف و الشیخ علی النوری .

و کان للعلامة التونسی محمد زیتونة رحلتان إلی مصر سنة ۱۱۱۴ ه و سنة ۱۱۲۴ ه خلفا صدی بعیدا و أثرا حمیدا، فی توثیق الصلات بین علماء الأزهر و علماء الزیتونة، بما عرف أهل الأزهر و علماء الأسکندریة من فضله و علمه، و ما أظهر فی دروسه و مجالسه، مما نال ثناءهم، و جلب اعتناءهم لا سیما درسه فی تفسیر الآیة الأولی من سورة الإسراء لیلة المعراج فی رجب من سنة ۱۱۱۴ ه بجامع تربانة بالأسکندریة، الدرس الذی نوه بذکره حسین خوجه فی ذیل کتابه بشائر أهل الإیمان و کان ممن أخذ عن الشیخ زیتونة من علماء مصر المحدث الشیخ أحمد الصباغ الأسکندری، صاحب الثبت المشهور.

و کثیرا ما تصدت رحاب الأزهر بطلب الفتوی، فی حوادث تنزل بالبلاد التونسیة، أو قضایا یدق محل النظر فیها، کما وقع سنة ۱۰۴۶ ه فی إمارة یوسف دای، أن وجه سؤال إلی علماء الأزهر فی قضیة حال تتعلق بتوریث زوجة شهد بطلاقها بعد موت الزوج، و کتب فی (المسألة) رسالة الشیخ عمر بن علی الفکرونی الأزهری، و هو تونسی الأصل، من مدینة سوسة، و کان قاضیا مالکیا بمصر شیخا لرواق المغاربة بالأزهر- و من تلامیذ الشیخ سالم السنهوری.

و اتصلت سلاسل الروایة، و الملاقاة، و تلقی الدروس، کامل القرن

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۶۰

الثانی عشر، قویة نامیة متتالیة، و فیه شد کثیر من التونسیین الرحلة إلی الأزهر لاستکمال تخرجهم فیه بالأساتذة الأعلام الذین کانت سمعتهم السائرة تجلب إلیهم الشادین فی طلب العلم من الآفاق، لا سیما و قد أثرت القرون الماضیة فی تشابه مناهج الدراسة، و اتحاد الکتب التی یزاولها الدارسون، و یعتنی بتقریرها و التعلیق علیها المدرسون، و الشراح، و المحشون، فمختصر خلیل، و کتب القرافی، و البیضاوی، و کتب ابن هشام، و شرح الأشمونی علی الألفیة، و کتب العضد، و التفتازانی، و کتب ابن حجر و السیوطی، و القاضی زکریاء، و أسانید هؤلاء الثلاثة الأخیرین ذکرا، هی التی کان علیها مدار الدرایة و الروایة، علی السواء، بمصر و بتونس، و علیها عکف الطلبة، و بها تخرج العلماء فی المعهدین العظیمین: الأزهر و الزیتونة. ففی الوقت الذی أقبل فیه الشیخ محمد بن سعید الحجری، الملقب بالنحم الثانی علی جامع الزیتونة، آتیا من قریة أبی حجر، فی الساحل الشرقی التونسی، کان اثنان من تلک البلاد الساحلیة نفسها قد وفدا علی الجامع الأزهر: و هما الشیخ محمد سعادة و الشیخ عبد الرحمن بن جاد الله البنانی. أما الشیخ محمد سعادة فقد رجع إلی تونس مملوء الوطاب، متین الأسباب، من دروس الشیخ محمد الزرقانی، و الشیخ أحمد الفقهیه، و الشیخ عبد الرءوف البشبیشی، و من أسانید الشیخ علی الطولونی، و الشیخ عبید النمرسی .

و أما الشیخ البنانی فقد أقام بمصر، و کان من أعظم علماء الأزهر و أکثرهم طلبة و أبعدهم شهرة، ناهیکم بشرحه علی المحلی، و تقریراته علی شرح التفتازانی علی التلخیص.

و لقد کانت الکتب التی اعتنی بها کل واحد من هؤلاء الثلاثة: هی الکتب التی اعتنی بها بقیتهم فی الزیتونة و فی الأزهر: الأشمونی، و مختصر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۶۱

السعد، و تهذیب المنطق. فقد کتب الشیخ أبی سعید و الشیخ سعادة کل منهما، حاشیة علی الأشمونی. أما حاشیة الشیخ سعادة فکانت قبل حاشیة الصبان، و لکنا لا نعرفها إلا ذکرا. و أما الشیخ ابن سعید، و حاشیته مشهورة مطبوعة، فقد کان تدریسه الأشمونی بتونس، و کتابته «حاشیته علیه فی مدة تدریس الشیخ الصبان الأشمونی بالأزهر، و وضع حاشیته علیه، فقد أتم الصبان حاشیته سنة ۹۳ و أتم ابن

سعید حاشیته سنة ۹۷ و کان الاتصال بین الحلقتین، بتردد الطلبة محققا، حتی أن الشیخ ابن سعید کثیرا ما یجاذب الشیخ الصبان أبحاثه، و یعرض طریقته، و زیادة علی اعتماد کل منهما علی حاشیة الشیخ یوسف.

و توجد بتونس کتب من ممتلکات الشیخ الصبان علیها خطة یقرب أن یکون هو- رحمه اللّه- مکن منها بعض طلبته و فی مکتبتنا نسخة من کتاب النکت للسیوطی علیها تملیک الصبان سنة ۱۱۸۷ و بقیت صلات الود وثیقة بین الشیخ ابن سعید و الشیخ البنانی، و المراسلة بینهما متسقة و هما من قریتین متجاورتین (زینان، و بو حجر). ففی دیوان الشیخ ابن سعید الذی سماه «الفلک المشحون» رسالة من الشیخ البنانی إلیه بمناسبة سفر والده الشیخ ابن سعید للحج و مروره بمصر، یجیبه فیها عن طلبه نسخة من حاشیته علی المحلی بأنه سیکتبها بیده و یوجهها إلیه فیما بعد، إلی أغراض أخری. کل ذلک فی أسلوب بلیغ من خطاب المودة و التعظیم. و کذلک کان جواب ابن سعید الذی تضمن، فیما تضمن من ثناء و تنویه استنجازا للوعد بإرسال حاشیة المحلی.

و قد اشتهر اسم الشیخ ابن سعید بمصر، و اعتنی بکتبه، مع أنه لم یعمر طویلا، حتی أن الشیخ حسن العطار، فی منتصف القرن الثانی عشر اعتمد علی حاشیته علی شرح الخبیصی علی التهذیب و جاذبه کثیرا من

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۶۲

مباحثها، فی ما کتب هو أیضا علی نفس الکتاب، کما صرح بذلک فی خطبة حاشیته و فی ختامها.

و قد طبعت الحاشیتان معا، کتابا واحدا، فی بولاق سنة ۱۲۹۶.

و لم یکن الراحلون إلی الأزهر من الزیتونیین فی هذا القرن الثانی عشر محصورین فی البنانی و سعادة، بل غیرهما کثیرون. منهم الشیخ محمد بن علی الغریانی الطرابلسی الأصل الذی أخذ عن الشیخ محمد بن سالم الحفناوی، و السید البلیدی، و الشیخ محمد العشماوی و الشیخ أحمد العماری، و بعد زیارة- الحرمین الشریفین، و الأخذ عن أعلام البلد الحرام أمثال الجمال الأخیر الطبری، و تاج الدین القلعی، و ابن عقیلة، رجع إلی الزیتونة و انتصب للتدریس و کان أستاذ الأساتذة و به اتصلت روایة الزیتونة بالأزهریین، و عنه یروی بتلک الأسانید الشیخ عمر المحجوب فی إجازته شیخ الإسلام محمد بن الخوجه التی فی ثبته ، و منهم الشیخ محمد بن حسین الهدة، صاحب الحاشیة علی شرح الورقات فقد أخذ عن الشیخ علی الصعیدی و السید البلیدی، و الشیخ الدمنهوری.

و انتصب للتدریس بجامع الزیتونة ، و کان یروی عن الشیخ الحفناوی و أجاز بسنده و عنه یروی به الشیخ عمر المحجوب کما فی ثبت الشیخ ابن الخوجه أیضا. و منهم الشیخ إبراهیم بن علی شعیب الذی روی عن الحفناوی أیضا، و عنه روی الموطأ و الصحیحان بذلک السند فی جامع الزیتونة، روی عنه الشیخ حمودة إدریس، الذی حدث عنه الشیخ المحجوب، کما فی إجازة الشیخ إسماعیل التمیمی .

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۶۳

و زاد فی قوة انجذاب الزیتونیین إلی الأزهر فی هذا القرن الثانی عشر أن حفلت مصر بمقدم أسانید فی البلاد الشرقیة بلغت سمعتهم عنان السماء، یعتبر فی مقدمتهم شهرة و علو مقام الحافظ محمد مرتضی الزبیدی فقد تسابق الناس للأخذ عنه، و تزاحموا علی مجالس إملائه، حتی کان القاصدون إلی الحج- و لو من غیر خاصة الطلبة یغتنمون إقامتهم بمصر عابرین لحضور مجالسه الجامعة و یکتب لهم الشهادة بالسماع، و الإجازة، و بذلک شاعت الروایة عنه، و انتشر خطه فی الإجازات و الأثبات و کتب السنة المقروءة علیه. و من أخص تلامیذه من شیوخ الزیتونة الشیخ عمر بن المؤدب، و الشیخ محمد بن حمودة الصفار، و أبناء الشیخ الغریانی، بل إن عامة طلبة جامع الزیتونة فی ذلک العصر یعتبرون طلبة له، لأنه کتب فی إجازته لأبناء الشیخ الغریانی: کذا أجزت لطلبة العلم الملازمین فی حلقة دروس والدهم و سائر أحبابهم و أصحابهم ممن فیه أهلیة التحمل لهذا العلم و قد کان الشیخ مرتضی أخذ عن الشیخ الغریانی، کما أخذ عن الشیخ أحمد بن عبد الله السوسی من علماء الزیتونة و عن هذا الاتصال المحکم بین الأزهر و الزیتونة، فی القرن الثانی عشر، تولدت صلات أشد إحکاما، و روابط أتم انتظاما، فی القرن الثالث عشر؛ فقد استهل ذلک القرن و سمعة أعلام من الأزهریین قد

ضربت ما بين المشرق و المغرب؛ بكتبهم القيمة التى شاعت فى عصرهم و عم الإقبال عليها: مثل الشيخ محمد بن عرفة الدسوقى، الذى عظمت شهرة دروسه و أسانيده و كتبه و اعتمدت حواشيه، و لا سيما حاشيته على شرح الدردير على المختصر الخليلى، التى اعتمدها فقهاء الزيتونة، فى الدروس و الفتاوى و الأحكام، و علقوا عليها، و جاذبوا مؤلفها بحوثه و نقوله: و تحقيقاته فكان شيخ الإسلام أحمد بن حسين، و الشيخ المفتى محمد الشاهد، و غيرهما من شيوخ المذهب المالكى فى أواسط القرن الثالث عشر، يعتمدون كلام الشيخ

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۶۴

الدسوقى، و يستندون إليه فى فتاويهم و تحاريرهم، كما هو ثابت فى الوثائق و منقول فى الأخبار و كان للطباعة فى القرن الثالث عشر، و لا سيما فى النصف الأخير منه، أثر فى سرعة ايصال الكتب و بسط شهرتها فعرفت كتب الشيخ الخضرى، و الشيخ على الصعيدى، و الشيخ الباجورى، و الشيخ العطار، و شاعت فى مناهج الدراسة الزيتونية فقوى بذلك تشابه المناهج بين الزيتونة و الأزهر، حتى لم يبق فرق يذكر، لا فى المناهج، و لا فى صورة التكوين العلمى للخريجين. ففى الربع الأخير من القرن الماضى كان شيخ الإسلام سالم أبو حاجب يدرس الأشمونى بجامع الزيتونة، درسا اشتهر و شدت له الرحال، و كان يتتبع حاشية الصبان. و يكثر البحث فيها و يكتب بحوثه و تقريراته، أو يكتبها طلبته، و كان الشيخ الأنبانى، فى تلك الأيام نفسها، يدرس الأشمونى بالجامع الأزهر، و يكتب على حاشية الصبان و كان بعض الطلبة يتردد بين الدرسين: مثل الشيخ مصطفى بن خليل، فكانت المباحث التى تثار فى أحد الدرسين يبلغ صداها إلى الآخر حتى أنه لما طبعت تقريراته الشيخ الإنبابى على الصبان، قضى الشيخ سالم العجب من توارد الخواطر، حتى عدل عن طبع تقريراته، إذ أصبح غالبها مستغنى عنه بما طبع من تقريرات شيخ الإسلام المصرى، سمعت ذلك من كثير من أساتذتنا تلاميذ الشيخ سالم، كما سمعت منه شيئا يرجع إلى هذا المعنى فى أسلوب حديثه الفكه و هو فى العقد العاشر من حياته رحمه اللّه و انتهى القرن الثالث عشر بما كان من الروابط موصولا بين الأزهر و الزيتونة فى ذات الفقيه الكبير الشيخ محمد عليش، الذى أخذ عن الشيخ محمود مقديش و روى عن الشيخ محمد بن ملوكة و عنه أخذ كثير من الزيتونيين منهم الشيخ مصطفى بن خليل و كثيرا ما كانت تعرض المسائل عن الحوادث

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۶۵

و الأحكام على الشيخ محمد عليش لأخذ فتواه فيها.

و قد كان من أجل الراجلين من الزيتونة إلى الأزهر فى القرن الثالث عشر: الشيخ مصطفى بن خليل فقد كان أكمل تحصيله بالزيتونة و سمى عدلا بتونس، ثم سافر إلى مصر، فقرأ بالأزهر على الشيخ إبراهيم السقاء، و الشيخ عليش، و الشيخ الإنبابى، و أجازة الشيخ أحمد بن عبد الرحيم الطهطاوى. و يوجد نص إجازته له بخطه فى دار الكتب المصرية، ثم رجع الشيخ مصطفى إلى تونس فى أواخر القرن الثالث عشر، و سمى مدرسا من الطبقة العليا بجامع الزيتونة، و علت منزلته، و أخذ عنه و تخرج به كثير من علماء النصف الأول من القرن الحاضر.

و إنه ليكفى لإظهار الامتزاج الذى اكتمل فى القرن الماضى بين الأزهر و الزيتونة الرجوع إلى قوانين التعليم فى المعهدين، حتى يتبين أن الكتب التى تدرس فى مراتب التعليم الثلاث: الابتدائية و المتوسطة، و العالية، إنما كانت متحدة بصفة غالبة، لا يستثنى من ذلك إلا- عدد قليل جدا، على ما جاء فى الفصول ۳، ۴، ۵، من الأمر العالى الصادر بضبط قانون التعليم فى جامع الزيتونة سنة ۱۲۶۲ مع مقارنتها بما أثبته المرحوم الشيخ منصور رجب من أسماء أشهر الكتب التى تدرس بالأزهر فى كتابه: «الأزهر بين الماضى و الحاضر» علاوة على أن الكتب التى كانت تدرس- بجامع الزيتونة و ضبطها قانون ۱۲۹۲ و هى مائة و خمسون كتابا يوجد من بينها ستة و أربعون كتابا هى مصرية أزهرية و كذلك ارتبط القرن الحاضر بالقرن قبله، إذ انعقدت من القرنين أسباب امتدت من السابق منهما و شدت باللاحق».

نعم «کانت العروة الوثقی لا انفصام لها» الجمعیة التی أنشأها السید جمال الدین الأفغانی، بعد خروجه من مصر سنة ۱۲۹۹ الوثاق الذی شدت به الصلات المتینة بین رجال من علماء الأزهر، انتصبوا لقیادة حرکة الإصلاح فی العالم الإسلامی، و آخرین من علماء الزیتونة، ساروا معهم

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۶۶

فی ذلک السبیل فیهم الشیخ محمد بیرم، و الشیخ محمد السنوسی، و الشیخ أحمد الوربانی، و استمر ذلک الاتصال یملأ قرننا الحاضر حرکات متحدة المصادر، متشابهة المظاهر. بین الأزهر و الزیتونة و زار الشیخ محمد عبده تونس زیارته الأولی سنة ۱۳۰۲ و امتزج بعلمائها ثم عاد بعد عشرین سنة و ألقی محاضرته القیمة «العلم لطرق التعلیم» و کان لمجلة المنار رواج واسع فی تونس و أثر قوی فی إشاعة دعوة الشیخ محمد عبده الإصلاحیة.

و لا نرید أن ندخل فی صلة هذه الحرکة بالأزهر: و ما کان بین المنار و الأزهر، مما کتب فیه صاحب المنار کتابا خاصا. و لکننا نکتفی بأمرین هامین یتضح بهما ما کان لهذه الحرکة من انتساب متین إلی الأزهر؛ یجعل انتشار دعوتها بتونس داخلا فی موضوعنا أولهما أن قوام مجلة المنار، و أعظم مادتها، إنما کان ما تنشره من تلخیص دروس الشیخ محمد عبده فی تفسیر القرآن العظیم، و هی دروس أزهریة کانت تلقی فی الرواق العباسی، و ثانیهما أن أهم ما تحدده المنار، من دعوة الشیخ محمد عبده، هی دعوته إلی إصلاح التعلیم فی الأزهر، و أقصی ما تقصد إلی تحقیقه هو أن یتولی الأستاذ الإمام أمر الأزهر، أو أن یکون مشارکا فیه مشارکة ذات نال، فکان من هنالک منشأ الأحداث التی شطرت الأزهر شطرین: بین مناصرین لدعوة الشیخ محمد عبده، و معارضین لها. و کان ذلک الانقسام ساریا إلی جامع الزیتونة فنشأت فیه حرکة فکریة قویة شطرت رجاله أیضا إلی شطرین بین أنصار دعوة الشیخ محمد عبده و المنار و خصومها، و جعلت أکثر الطلبة من شیعة مفتی الدیار المصریة، و مطالبین بإصلاح التعلیم الزیتونی علی المبادیء التی طالب بها لإصلاح التعلیم الأزهری، و کانت حرکات الطلبة فی الأزهر مثالا موجها لحرکات الطلبة فی الزیتونة فلما أضرب الطلبة فی

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۶۷

الأزهر سنة ۱۳۲۷ لم یتأخر الطلبة الزیتونیون أکثر من أربعة أشهر حتی ابتدأوا المظاهرات و الاضرابات و دخلت بذلک الحیاة الزیتونیة، تبعا للحیاة الأزهریة فی طور جدید .

و إلی جانب هذا التواصل فی الحرکة الإصلاحیة، کان جانب آخر من التواصل الزیتونی الأزهری یتمثل فی ما کان متمثلا فیه من قبل من البحث العلمی و الدراسة لقد استمر طلبة من الزیتونة یقصدون الأزهر، و آخرون من الأزهر یأتون الزیتونة و أصبحت الحیاة النظامیة فی المعهدین تمهد لهؤلاء و هؤلاء سبیل الالتحاق بکل من المعهدین باعتبار ما بلغ إلیه الطالب من درجة فی المعهد الآخر. و إن من أشهر الأزهریین الذین آووا إلی الزیتونة فاعتبرت له دراسته الأزهریة. و سمح له بذلک الاعتبار أن یتقدم إلی امتحان «التطویع» مباشرة بدون أن یتدرج فی مراحل الدراسة العلامة المرحوم، شهید حرکة العلماء المسلمین فی الجزائر الشیخ محمد العربی التبسی الذی تخرج بشهادة التطویع عقب رجوعه من الأزهر سنة ۱۳۴۰.

کما استمرت آثار الدروس الأزهریة العلیا محل الاعتناء و الإقبال من الأساتذة الزیتونیین، و الروایة متصلة الأسانید بینهم أیضا.

فکان لشیخ الإسلام عبد الرحمن الشربینی فی حیاته، رواج عظیم لکتبه فی الزیتونة حتی أن حاشیته علی البنانی علی المحلی علی جمع الجوامع کان یدرسها تدریسا شیخ شیوخ الزیتونة یومئذ أستاذنا شیخ الإسلام محمد بن یوسف فضلا عن أعلام الزیتونة من تلامیذه مثل أستاذنا المحقق الشیخ محمد الصادق القاضی، کان ذلک و الشیخ الشربینی حی، و قد علت سمعة تلک الحاشیة، و اهتم الناس بها، و أصبحت مناط البحث و التحلیل، حتی أن اتقان تدریس المحلی کان یقاس فی الزیتونة باتقان تحلیل الشربینی و تأصل ذلک فی مقایس دروس المناظرات التی یتقدم بها خریجو الزیتونة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۶۸

لنيل منصب التـدريس من الطبقة الثانية. و كذلك كان مفتى الديار المصـرية الشـيخ محمد بخيت معتنى بتحاريره و أسانيده متلقاة من أكفائه سـنا و مقاما- فقد اجتمع به الشـيخ محمد بن يوسف فى رحلته إلى مصـر و الشام سنة ۱۳۲۷ و روى عنه، و حدث بسـنده و قد حدثنى به- رضـى اللّه عنه- فى إجازته إياى المكتوبة بخطه سـنة ۱۳۴۲ عن الشـيخ عبد الرحمن الشربينى عن الشيخ إبراهيم السقا عن الشيخ الأمير الصغير عن الشيخ الأمير الكبير ...

و أخـذت سـهولة الموصـلات، و تيسـير وسائل الحـج تنمو بعد الحرب العالمية الأولى، فنمت معها الاتصالات الأزهرية الزيتونية و كثر سفر شيوخ الزيتونة للحج و العمرة، و كثرت بذلك زياراتهم للأزهر و التقاؤهم بعلمائه.

و حـدثت بعـد الحرب العالميـة الثانيـة صور من التلاقى لم تكن تعرف من قبـل، إذ نشـأ التواصـل الرسـمى بين الجامعتين الأزهريـة و الزيتونية فيما ربطت المواصـلات بين الشـيخين على عهد الشـيخ محمد الطاهر بن عاشور و الشـيخ مصطفى عبد الرازق، و ما اتسق من صور التعاون الرسمى بين الجامعتين حتى أنه لما توفى شيخ الأزهر سنة ۱۳۶۷ أعلن شيخ جامع الزيتونة نعيه فى الصحف ببلاغ رسمى، و عطلت الدروس فى جميع المعاهد الزيتونية بالقطرين التونسى و الجزائرى و كذلك اتبع الأمر فى المناسبات المشابهة.

و لم تزل مظاهر الاتصال تبرز فيما بين المعهـدين متعاقبة فقد ولى الشـيخ محمد الخضـر حسـين التونسـى مشـيخة الأزهر الشـريف عام ۱۳۷۴ ه، ثم كانت زيارة الأسـتاذ مـدير الجامعة الأزهرية الشـيخ أحمد حسن الباقورى، و التف حوله علماء الزيتونة و عظموا مقدمه، و قد خطب فى جامع الزيتونة و قد انتدب غير مرة أسـتاذا زائرا للكلية الزيتونية المرحوم الشـيخ منصور رجب الذى وافاه الأجل فى مدينة تونس فى ذى الحجة ۱۳۸۴- ۱۵ أبريل ۱۹۶۵ بعد أن ترك فيها جمهورا من التلاميذ و الأحبة، و قد صلى عليه

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۶۹

شيوخ الزيتونة صفوفا بإمامة شيخهم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور قبل نقل جنازته إلى مصر.

و طالما اعتزت الكليـة الزيتونيـة بتوالى زيارة الدكتور الشـيخ عبد الحليم محمود الذى كانت زيارته الأولى سـنة ۱۳۸۲، و جلس تحت قبة جامع الزيتونة الأعظم. ثم ترادف فضيلته على الكلية و أبنائها حتى أصبحت مشيخته للزيتونيين لا تضيق عن مشيخته للأزهريين.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۷۱

الباب الثانى عشر

شخصيّات .. و مواقف

ابن السّبكى

عرف تاريـخ الثقافـة العربيـة كثيرا من البيوتـات العلميـة التى اسـتفاض العلم فيها، و كان إرثا طيبا يؤول إلى الأبناء فيما يؤول إليهم من عقار و حطام، فكان علم الأبناء امتدادا ناضجا لعلم الآباء. و قد صان هؤلاء الأبناء ذلك الموروث العلمى العظيم، و عملوا على إثرائه و إخصابه.

و بحسـبنا فى هذا المقام أن نذكر الامام أبا حاتم الرازى، محمد بن إدريس بن المنذر، المتوفى سنة ۲۷۷ ه. و ابنه عبد الرحمن بن أبى حاتم، المتوفى سنة ۳۲۷، من أئمـة علم الجرح و التعديل. و الإمام ضـياء الدين خطيب الرى، عمر بن الحسـين بن الحسن، و ابنه الفخر الرازى، محمد بن عمر، المتوفى سنة ۶۰۶ ه من فرسان علم الكلام.

على أنه لم يسـتعلن تأثير والد فى ولده كما اسـتعلن فى تاريخ الإمام العلامة تقى الدين على بن عبد الكافى السـبكى، المولود فى سنة ۶۸۳ ه و المتوفى فى سنة ۷۵۶ ه. و ولده العلامة تاج الدين أبى نصـر عبد الوهاب بن على، المولود فى سنة ۷۲۷ ه، و المتوفى فى سنة ۷۷۱ ه.

و قد أجمع المؤرخون على فضل الوالد وسعة علمه، فيقول عنه

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۷۲

الذهبی- فيما ينقل عنه السبكی:

«القاضی الإمام العلامة الفقيه المحدث الحافظ فخر العلماء، كان صادقا ثبتا خيرا دينا، من أوعية العلم، يدری الفقه و يقرره، و علم الحديث و يحرره، و الأصول و يقربها، و العربية و يحققها». و يكفی دليلا على علم هذا الرجل أنه كان الوحيد من بين علماء عصره الذی تصدی لابن تيمية- على عنفه و شدته- ورد عليه فی مسألتی الطلاق، و زيارة قبر النبی عليه الصلاة و السلام، و هما المسألتان اللتان زعزع بهما ابن تيمية كيان العلماء فی عصره. فرد عليه الإمام السبكی فی مسألة الطلاق برسالتين: رافع الشقاق فی مسألة الطلاق. و التحقيق فی مسألة التعليق. ورد عليه فی الزيارة برسالة: شفاء السقام فی زيارة خير الأنام. أو شن الغارة على من أنكر السفر للزيارة. و يقول فيه ابن تيمية: «لقد برز هذا على أقرانه».

و قد نبغ صاحبنا تاج الدين فی منتصف القرن الثامن الهجری- عصر الموسوعات العلمية، هذا العصر الذی كان بمثابة الصحوة الفارهة بعد النكسة التی أصابت العالم الاسلامی، و التی كادت تأتی على تراثه الضخم العريض، إبان الغزو التترى الكاسح.

و قد ولد تاج الدين بالقاهرة، و نسب إلى قرية سبك من أعمال المنوفية. و لم ينصرف الفتى فی صباه إلى اللهو و اللعب، كما يفعل لداته و أترابه، فقد هدهد سمعه فی سن تفتحه وفود العلماء، تفد إلى بيت أبيه، تنشد العلم و تطلب الفتيا. فأقبل على ألوان المعرفة يحصلها على مهل و اتئاد فی الأزهر الشريف حتى اكتملت له أدوات العالم المجتهد. و كان مجلى هذه الثقافة الواسعة العريضة فی نهاية الشوط موسوعة علمية ضخمة، لمت أطراف الثقافة العربية، و جلتها على نحو معجب خلاب، على امتداد سبعة قرون فی كتابه الخالد «طبقات الشافعية الكبرى».

لقد انفسح هذا الكتاب العظيم من خلال ترجمته لرجال المذهب

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۷۳

الشافعی- لكثير من المباحث الفقهية و الفتاوى الشرعية، و المقالات، و المناظرات، و النوادر و الملح، كما حفل بالضوابط اللغوية و مسائل علم الكلام و الأصول. كما كان مصدرا أدبيا لكثير من الكتب التی عالجت شؤون الحب.

و كان أيضا مرجعا أصيلا فی جمع أشعار الشعراء. على أن أهميته الكبرى بعد كل ذلك ترجع إلى أنه حفظ لنا كثيرا من النصوص التی ضاعت أصولها. كتاريخ نيسابور، للحاكم النيسابوری محمد بن عبد اللّه، المعروف بابن البيع، المتوفی سنة ۴۰۵ ه و تاريخ مصر لابن يونس، عبد الرحمن بن أحمد المتوفی سنة ۳۴۷ ه، و غير هذين الكتابين كثير من هذه الأمهات التی عبث بها الزمان.

و قد عالج ابن السبكی فی كتابه هذا ذلك المنهج العلمی، الذی عرف فيما بعد، و نسب إلى ابن خلدون، ذلك المنهج القائم على تمحيص الأخبار، و التنبه لما تفعله المعاصرة و العصبية فی المذهب.

استمع إليه يقول فی ترجمة أحمد بن صالح المصری، فی الطبقة الثانية: «و مما ينبغی أن يتفقد عند الجرح حال العقائد، و اختلافها بالنسبة إلى الجارح و المجروح، فربما خالف الجارح المجروح فی العقيدة، فجرحه لذلك». و لم تقف تلمذته للإمام الذهبی حائلا دون نقده مر النقد لمخالفته هذا المنهج القائم على الحيدة و التجرد، فيقول عنه: «و هو شيخنا و معلمنا، غير أن الحق أحق أن يتبع، و قد وصل من التعصب المفرط إلى حد يسخر منه».

و لكن هذه الحياة العلمية المخلصة لم تشغل صاحبنا عن أن يلمس مظاهر الضعف و العسف التی استعلنت فی الحكم المملوكی الجائر.

فظهرت دعواته الإصلاحية النقدية فی كتابه القيم: «معيد النعم و مبيد النقم». لقد كان هذا الكتاب ثورة عاتية على نظم الحكم، و أخلاق الناس

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۷۴

فقد أتیح لابن السبکی من خلال مشارکته فی الحیاة العامة- مدرسا و خطیبا و قاضیا- أن یری و یحس مدی التمزق الذی شمل الأمة نتیجة للحکم المملوکی البغیض، الذی نبتت فیه فکرة «ترکی و فلاح». و الذی استأثر فیه الممالیک بالمناصب الکبری، و ترکوا أصحاب الأرض الحقیقیین یشربون العرق و یقتاتون السهد. و قد وضع ابن السبکی کتابه هذا ردا علی سؤال ورد علیه، أو وضعه هو بین یدی کتابه، موضوعه: «هل من طریق لمن سلب نعمة دینیة أو دنیویة إذا سلکها عادت إلیه، وردت علیه» و أجابه عن هذا السؤال راح ابن السبکی ینقد بقسوة و صراحة طوائف الأمة، ابتداء من السلطان إلی أرباب الحرف، آخذا فی طریقة نواب السلطان و القضاة و المدرسین و رجال الدین من العلماء و الصوفیة.

استمع إلیه یلخص رأیه فی الأتراک عموما، فیقول: «و قد اعتبرت کثیرا من الأتراک یمیلون إلی أول شاک، و ما ذاک إلا للغفلة المستولیة علی قلوبهم» ثم یسخر من هؤلاء الأتراک و تعلقهم من الإسلام بالمظاهر الفارغة، فیقول: «و أما أنک ترتکب ما نهی اللّه عنه و تترک ما أمر به، ثم تزید أن تعمر الجوامع بأموال الرعایا، لیقال: هذا جامع فلان، فلا و اللّه لن یتقبله اللّه تعالی أبدا». ثم یتکلم عن السلطان و یحدد اختصاصاته فیقول:

«إن اللّه لم یوله علی المسلمین لیکون رئیسا آکلا شاربا مستریحا، بل لینصر الدین و یعلی الکلمة». و حین یتحدث عن العلماء و المفتین یأخذ علی بعض هؤلاء و أولئک تعصبهم لمذاهبهم، و أضاعتهم الوقت فی الخلافیات، فیقول مخاطبا العلماء: «لو أن الشافعی و أبا حنیفة و مالکا و أحمد أحیاء یرزقون لشددوا النکیر علیکم و تبرأوا منکم فیما تفعلون» ثم یأتی إلی المفتین فیقول: «و منهم طائفة تصلبت فی أمر دینها، فجزاها اللّه خیرا، تنکر المنکر و تتشدد فیه، و تأخذ بالأغلظ، و تتوقی مظان التهم، غیر أنها تبالغ فلا تذکر لضعفة الایمان من الأمراء و العوام إلا أغلظ المذاهب، فیؤدی ذلک إلی عدم انقیادهم و سرعة نفورهم. فمن حق هذه الطائفة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۷۵

الملاطفة و تسهیل ما فی تسهیله فائدة لمثل هؤلاء إلی الخیر، إذا کان الشرع قد جعل لتسهیله طریقا، کما أن من حقها التشدید فیما تری أن فی تسهیله ما یؤدی إلی ارتکاب شیء من حرمات اللّه».

و یرسم ابن السبکی المعلم للمدرس منهجا تربویا راشدا حین یقول:

«و حق علیه أن یحسن إلقاء الدرس و تفهیمه للحاضرین، ثم أن کانوا مبتدئین فلا یلقی علیهم ما لا یناسبهم من المشکلات، بل یدربهم و یأخذهم بالأهون فالأهون، إلی أن ینتهوا إلی درجة التحقیق و إن کانوا منتهین فلا یلقی علیهم الواضحات، بل یدخل بهم فی المشکلات». و تتجلی دعوة صاحبنا الإصلاحیة فی أبهی صورها حین یأسی للفلاح الذی یستهلک فی السخرة و الإقطاع. فحین یتکلم عن منصب ناظر الجیش و تحدید اختصاصاته یقول: «و من قبائح دیوان الجیش الزامهم الفلاحین فی الإقطاعات بالفلاحة. و الفلاح حر، لا ید لآدمی علیه، و هو أمیر نفسه».

و بعد ... ألا تعتقد معی أیها القارىء الکریم أن هذا الرجل إنما یتکلم بلغة عصرنا، کمصلح اجتماعی، و کعالم نفسانی، بصیر بالنفس الإنسانیة، عالم بضعفها.

و کان طبیعیا بعد هذا النقد المر الجارح لنظام الحکم و أخلاق الناس أن تتعرض حیاة الرجل و مصیر أسرته للزوابع و الأعاصیر. فیعزل عن منصب القضاء، لأسباب واهیة ذکرها الحافظ ابن حجر فی «الدرر الکامنة» و تجری له محاکمة، یحکم علیه فیها بالحبس سنة. و لکن هل ضعف ابن السبکی، أو تخاذل؟ استمع إلی معاصره الحافظ ابن کثیر یقول: «جری علیه من المحن و الشدائد ما لم یجر علی قاض قبله. و حصل له من المناصب و الریاسة ما لم یحصل لأحد قبله، و إبان فی أیام محنته عن شجاعة و قوة علی المناظرة، حتی أفحم خصومه، ثم لما عاد عفا عنهم، و صفح عمن قام علیه».

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۷۶

و بعد هذه الحیاة الخصبة الزاخرة بالعلم و الإصلاح انطفأت هذه الشعلة التی توهجت عبر أربع و أربعین سنة. و حق لابن السبکی أن یقول فی زهو و رضا، فی ورقة کتبها إلی نائب الشام: «و أنا الیوم مجتهد الدنیا علی الإطلاق، لا یقدر أحد یرد علی هذه الکلمة».

توفی تاج الدین شهیدا بالطاعون (بالدهشة) ظاهر دمشق، فی ذی الحجة. خطب یوم الجمعة، و طعن لیلة السبت رابعه، و مات لیلة الثلاثاء سابعه سنة ۷۷۱ ه و دفن بتربة السبکیة بسفح قاسیون، عن أربع و أربعین سنة، بعد أن جلا صفحة مشرقة فی تاریخ علماء المسلمین.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۷۷

الشیخ محمد الحفنی شیخ الأزهر

الشیخ الإمام العلامة، أوحد زمانه علما و عملا، المشهود له بالتحقق و الکمال، و المجمع علی تقدمه فی کل مجال أبو الأنوار شمس الدین محمد الحفنی بن السید سالم بن علی الحفناوی، الأزهری، الشافعی الخلوتی، الذی ینتسب إلی الإمام الحسین بن علی رضی اللّه عنهما، و هو الثامن من الأئمة الکبار، الذین تولوا مشیخة الأزهر الشریف.

ولد رضی اللّه عنه علی رأس سنة ۱۱۰۰ ه بقریة حفنا التابعة لمرکز بلبیس بمحافظة الشرقیة، و نسب إلیها، حتی صارت هذه النسبة علما علیه بالغلبة، و صار لا یذکر إلا بها.

نشأ بقریته، و حفظ بها من القرآن الکریم إلی سورة الشعراء، و کان أبوه وکیلا لأحد الأمراء، و یقطن بالقاهرة. مقر عمله، فأبقاه لدیه.

و لما أکمل حفظ القرآن الکریم، اشتغل بحفظ المتون: کألفیة ابن مالک، و السلم، و الجوهرة، و غیرها، ثم جاور بالأزهر الشریف و أخذ عن شیوخه العلم- و کلهم أئمة بنورهم ینجلی الظلام، و أقطاب ببرکتهم یدرک المرام- منهم: محیی السنة الشیخ أحمد الخلیفی، و الشیخ أحمد الملوی،

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۷۸

و الشیخ محمد الدیربی، و الشیخ عبد الرءوف البشبیشی، و الشیخ محمد السجاعی، و الشیخ یوسف الملوی، و الشیخ عبده الدیوی، و الشیخ محمد الصغیر.

و من أجل شیوخه، الذین سمع منهم: شیخ المحدثین الشیخ محمد البدیری الدمیاطی الشهیر بابن المیت. أخذ عنه التفسیر و الحدیث و الإحیاء للإمام الغزالی، و صحیح البخاری و مسلم و سنن أبی داود، و سنن النسائی، و سنن ابن ماجه و الموطأ و المعجم الکبیر و الأوسط و الصغیر للطبرانی، و صحیح ابن حبان، و الحلیة للحافظ أبی نعیم، و غیر ذلک.

و اجتهد و لازم، حتی شهد له شیوخه جمیعا بالتفوق، و أثنوا علی دقة فهمه، و رجحان عقله، و سعة معرفته و أجازوه بالإفتاء و التدریس، و هو لم یتجاوز الثانیة و العشرین من عمره المبارک، فکان أمره عجبا یلفت النظر، لقصر هذه المدة، التی حفظ فیها القرآن، و أتم طلب العلم فصار أهلا للإفتاء و الجلوس للتدریس، و لکن ابن العنایة ملحوظ فأقرأ الکتب الدقیقة فی حیاة شیوخه، و شهد له معاصروه بالبراعة، و الإجادة فی الإفادة و لازم درسه أکثر طلبة العلم.

و کان إذ ذاک فی ضیق من العیش. و فی ذلک یقول:

إنی أقول لنفسی و هی ضیقةو قد أناخ علیها الدهر بالتعب

صبرا علی شدة الأیام، إن لهاوقتا و ما الصبر إلا عند ذی الحسب

و لکن هذا الحال، لم یخرجه عن القناعة و الرضا، و لم یبد منه أن لدنیا عنده قدرا فقد أنشد:

خبز و ماء و ظل‌هو النعیم الأجل

جحدت نعمة ربی‌إن قلت إنی مقل

ثم أخذ بالأسباب لزيادة دخله، فاشتغل بنسخ الكتب بالأجر، و إن كان ذلك

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۷۹

قد شق عليه، خوفا من أن يشغله النسخ عن متابعة إقراء العلم، و لكنه لم يستمر طويلا حتى أذن اللّه فجاءه الفرج و أقبلت الدنيا عليه، و صار رزقه فيضا إلهيا، فاتجه بكليته إلى العلم و عقد الدروس، و قرأ جمع الجوامع للعلامة السبكى، و الأشمونى على الألفية و مختصر السعد، و حاشية حفيده عليه. و ابن عبد الحق على البسملة، و غيرها.

و اشتغل بعلم العروض، حتى برع فيه و أجاد نظما و نثرا، حتى عرف بالفصاحة، و جودة البيان، و كثيرا ما كان يرتجل الشعر، فمن ذلك قوله:

أتطلبون رضائى الآن عن نفرقلوبهم بنفاق لم تزل مرضى

تجاهروا بقبيح الفسق، لا ربحواإن كنت أرضى، فإن اللّه لا يرضى

و من نثره: من رسالة لبعض تلاميذه فى الطريق، و قد جمعت بين قوة الأسلوب و عذوبة اللفظ، و ضمت إلى حسن التوجيه، نهجا عاليا فى التربية و التهذيب، قال فيها:

«.. و من زاد عليك إقباله، و توجهت إليك بالصدق آماله، فاصرف قلبك إليه، و عول فى التربية عليه، و من عنك بهواه صد، بعد أخذك عليه وثيق العهد، فدعه و لا تشغل به البال، و أنشده قول أستاذنا (أى السيد مصطفى البكرى) لمن عن طريقنا قد مال:

ألم تدر أنا من قلانا سفاهةتركناه غب الوصل يعمى بصده

و من صدعنا حسبه الصد و الجفاو إن الردى أصماه من بعد بعده

و من فاتنا يكفيه أنا نفوتهو أنا نكافيه على ترك حمده

و إنا غدا لما نعد محبناو اتباعنا لسنا نهم بعده

و من أردت زجره للتربية و إرشاده، فليكن ذلك على انفراد، إذ هو أرجى لإسعاده، و لا تزجر بضرب و لا نهر بين الناس، فإن ذلك ربما أوقع المريد من اليأس، و لا تلتفت لمن أعرض، و لا لمن يصحبك لغرض،

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۸۰

و عليك بالرفق للإخوان، سيما أخوك فلان، فالخير لمن صاحب بإحسان، و الأدب و اللطف محمودان، و الغلظة و الحقد موبقان، فاصرح القال و القيل، و اصفح الصفح الجميل، و لك و لكل من أخذ عنك أو حبك، منا و من أهل سلسلة طريقتنا ما سرك، فابشر إن عملت بما أشرنا بكل خير، و مزيد الفتح، و المسير فى السير».

و قد تخرج عليه غالب أهل عصره و طبقته، و من دونهم: كأخيه الشيخ يوسف الحفناوى، و الشيخ إسماعيل الغنيمى صاحب التآليف البديعة، و التحريرات الرفيعة، و شيخ الشيوخ على الصعيدى العدوى، و الشيخ محمد الغيلانى، و الشيخ محمد الزهار، و غيرهم، و كانت على مجالسه هيبة و وقار قلما يسأله أحد لجلالته.

و من مؤلفاته المشهورة التى أتحف بها المكتبة العربية فى كل علم و فن:

۱- الثمرة البهية فى أسماء الصحابة البدرية: فى التاريخ.

۲- حاشية على شرح الأشمونى على الألفية: فى النحو.

۳- حاشيته على شرح الهمزية لابن حجر الهيثمى: فى الأدب.

۴- رسالة فى التسبيح و التحميد: فى الفضائل و الآداب.

۵- رسالة فى التقليد فى الفروع: فى أصول الفقه.

۶- رسالة فى الأحاديث المتعلقة برؤية النبى صلى اللّه عليه و سلم.

۷- حاشیة علی الجامع الصغیر للسیوطی فی جزءین: فی الحدیث.

۸- حاشیة علی شرح الشنشوری علی الرحبیة: فی المواریث.

۹- حاشیة علی مختصر الشیخ التفتازانی.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۸۱

۱۰- حاشیة علی شرح الحفید علی مختصر جده التفتازانی: فی البلاغة.

و کان الشیخ الحفنی، حسن السمت، مهیب الطلعة، معتدل القامة، لا بالطویل البائن و لا بالقصیر، عظیم الهامة، کث اللحیة أبیضها، مقوس الحاجبین، رحب الراحتین، سواء الظهر و البطن، أبیض اللون مشرب بحمرة، کأن علی وجهه قندیلا من النور.

و کان کریم الطبع، جمیل، السجایا لم یضبط علیه مکروه، علی جانب عظیم من الحلم، ما جهل علیه أحد إلا قابل السیئة بالحسنة. یعظم کل الناس، و یتمثل قائما لکل قادم، و یخاطب کل إنسان علی قدر عقله، و یصغی لکلام کل متکلم و لو کان تافها، و لا یضجر إن أطال علیه، بل یظهر له المحبة، حتی یظن أنه أعز الناس علیه، و أقربهم إلی قلبه. و کان لا یعلق نفسه بشیء من الدنیا فلو سأله إنسان أعز حاجة علیه أعطاها له، کائنة ما کانت و یجد لذلک أنسا و انشراحا و إذا دعی أجاب، إلا أنه کان یعتذر من عدم حضور الولائم. لأنه یری أنها غیر مضبوطة بالأمور الشرعیة.

و له صدقات و صلات خفیة، و کان یتولی الصرف علی بیوت کثیر من أتباعه المنتسبین إلیه و لا ینقطع ورود الواردین علیه لیلا و نهارا، و قد قیل إن راتب بیته من الخبز کل یوم نحو الأردب. و یجتمع علی مائدته ما لا یقل عن الأربعین.

و لما بلغ الثلاثین من عمره، کثر انقطاعه للعبادة. و تهیأ للسلوک و الاندماج فی الطریق فأخذ عن الشیخ أحمد الشاذلی المعروف بالمقری و تلقی منه بعض الأحزاب و الأوراد و کان یتردد علی زاویة سیدی شاهین الخلوتی بسفح المقطم و یمکث فیها اللیالی متحنثا. و قد ذکر الشیخ حسن شمه: أنه کثیرا ما کان ینشد فی الدیاجی.

خل الغرام لصب دمعة دمه‌حیران توجده الذکری و تعدمه

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۸۲ و اسمح له بعلاقات علقن به‌لو اطلعت علیها کنت ترحمه

و قال: سمعته مرة ینشد من شعره:

لو فتشوا قلبی لا لفوا به‌سطرین قد خطا بلا کاتب

العلم و التوحید فی جانب‌و حب آل البیت فی جانب

و لما قدم السید مصطفی البکری عمدة أهل الطریقة الخلوتیة من الشام سنة ۱۱۳۳ ه اجتمع علیه و حصل بینهما الارتباط القلبی حال المشاهدة، فأخذ علیه العهد فی أول لقاء، ثم اشتغل بالذکر و المجاهدة و لما علم السید صدق حاله، و حسن فعاله، قدمه علی خلفائه، و أولاه حسن ولائه، و دعاه بالأخ الصادق.

و فی سنة ۱۱۴۹ ه حن إلی زیارة شیخه البکری، فسافر إلی القدس الشریف، و أقام عنده أربعة أشهر، عاد بعدها إلی القاهرة، و أدار مجالس الأذکار، باللیل و النهار، و أحیا طریق الخلوتیة، المؤیدة بالشریعة الغراء، فی الدیار المصریة و لم، یزل أمره فی ازدیاد و انتشار حتی شاع ذکره و أقبل علیه الوافدون من کل فج، و صار الکبار و الصغار، و الرجال و النساء، یذکرون اللّه بطریقته، و أصبح قطب الوقت بحق، و لم یبق ولی من أهل عصره إلا أذعن له.

و کان من تلامیذه: شیخ القراء المحدثین، و صدر الفقهاء المتکلمین العابد الزاهد الشیخ محمد السمنودی المعروف بالمنیر، و علامة وقته الشیخ حسن الشبینی، و الشیخ محمد السنهوری و الشیخ محمد الزعیری، و الشیخ خضر رسلان، و الشیخ محمود الکردی. و الشیخ عبد اللّه الشرقاوی الذی تولی مشیخة الأزهر، و الإمام الأوحد الشیخ محمد بدیر، و الشیخ محمد الهلباوی الشهیر بالدمنهوری، و الشیخ محمد السقا، و الشیخ محمد الفشنی، و الشیخ عبد الکریم المسیری الشهیر بالزیات، و أبو البرکات الشیخ

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۸۳

أحمد محمد الدریر العدوی، و الشیخ حسن بن علی المکی المعروف بشمة.

قوم إذا جن الظلام علیهمقاموا هنالک سجدا و قیاما

و للشیخ الحفنی رضی اللّه عنه، کرامات و بشارات و خوارق و عادات یطول شرحها ذکر بعضها تلمیذه الشیخ حسن شمه، الناظم الناثر فی کتابه الذی ألفه فی نسبه مناقبه و قد ضمنه مقامة فی مدحه، أسماها: فیض المغنی فی مدح الحفنی، جمع فیها سائر فنون الشعر، و لتلمیذه العلامة الشیخ محمد الهلباوی الدمنهوری کذلک مؤلف فی مناقبه و من قصیدة له فی مدحه:

سبحانک اللّه ما الحفنی ذا بشرلکنه ملک قد جاء للبشر

محجب عن عیون الواصلین فمابال الخلیین من سر و من ثمر

هذا الفرید الذی نادی الرفاق بهفسار کل أسیر نحو مقدر

جلت محاسنه عن کل ما وصفوافلیس یحصرها لب من الغرر

و هو الذی ورثته الأنبیا رتبافضلا من اللّه لا بالجد و السهر

علما و حلما و توفیقا و مکرمةو حسن حال مع التسلیم للقدر

و قد تولی مشیخة الأزهر فی سنة ۱۱۷۱ ه و مکث فیها حتی وافاه داعی السماء، بعد أن ملأ الدنیا نورا و برکة، قبل ظهر یوم السبت ۲۷ ربیع الأول سنة ۱۱۸۱ ه، و صلی علیه فی الأزهر یوم الأحد، فی مشهد عظیم جدا و دفن بقرافة المجاورین القدیمة مع أخیه العلامة الشیخ یوسف الحفناوی المتوفی سنة ۱۱۷۸ ه.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۸۵

أزهریون خالدون

اشارة

کانت للعلماء، فی جمیع عصور الإسلام، الریادة و القیادة: یرودون الحیاة أمام الناس و یقدمون لهم ثمرة هذه الریادة من العلم و التجربة و الثقافة و الفضائل و التقوی. و یقودونهم- أفرادا و جماعات- إلی طریق الخیر و الفلاح. و فی بعض عصور التاریخ نجد لهؤلاء العلماء ریادة أخری و قیادة للسیاسة و الثورة فی سبیل رفع الظلم و رد العدوان. کان ذلک أوضح ما یکون الوضوح فی مصر فی القرن الثامن عشر، حین أفحش الظالمون فی ظلمهم و اعتدی المعتدون علی وطنهم.

فی هذا القرن کانت تقوم ثورات شعبیة کثیرة یهب فیها أهل مصر لرد عدوان الظالمین- و عقابهم أیضا- و کان علماء الأزهر یشارکون الشعب إحساسه و ثورته، بل کثیرا ما کانوا یقودونه فی ثورته، و یحرضونه.

الشیخ الدردیر یقود ثورة:

و للشیخ أحمد الدردیر- و کان مفتیا للمالکیة و من أکبر علماء عصره- فی ذلک مواقف کریمة نذکر بعضا منها:

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۸۶

فی یوم من أیام ربیع الأول من سنة ۱۲۰۰ ه (ینایر ۱۷۸۶ م) قام حسین بک شفت أحد کبار الممالیک، و معه طائفة من جنوده قاصدا

منطقة الحسينية و اقتحم دار رجل اسمه أحمد سالم الجزار، كان رئيسا على دراويش الشيخ البيومى، و نهب الأمير حسين دار هذا الشيخ. و فى صباح اليوم التالى ثار جماعة من الحسينية، و خرجوا إلى الأزهر، و شكوا أمرهم إلى الشيخ أحمد الدردير، فشجعهم فى ثورتهم، و غضب لهم و قال لهم: أنا معكم. فقام الغاضبون إلى أبواب الأزهر فغلقوها، و صعدت طائفة منهم على المآذن يصيحون، و يدقون الطبول، و انتشر الناس فى الأسواق و قد ظهر عليهم الغضب و التحفز، و أقفل التجار متاجرهم. فلما رأى الشيخ الدردير ثورتهم هذه قال لهم: موعدنا غدا لنجمع الناس من أطراف المدينة، و بولاق و مصر القديمة، و أسير معكم إلى بيوت هؤلاء الأمراء ننهبها كما ينهبون بيوتنا. و سينصرنا اللّه عليهم، أو نموت شهداء. و بعد ساعات من النهار أرسل إبراهيم بك: شيخ البلد و كبير المماليك، نائبه، و أميرا آخر إلى الشيخ الدردير يرجوه أن يرسل إليه قائمة بجميع ما نهب من بيت الشيخ الجزار حتى يرده إليه.

و فى شهر جمادى الآخرة من السنة نفسها كان مولد السيد البدوى، فى طنطا، و كان الشيخ الدردير فى المولد، و جاء كاشف الغربية، من قبل إبراهيم بك، ففرض على الناس مغارم ثقيلة، و أخذ إبلا لبعض الأعراب كانوا يبيعونها فى المولد، فشكوا أمرهم إلى الشيخ، فأمر بعض أتباعه أن يذهبوا إلى الكاشف، فخشوا بطشه و لم يذهبوا، فركب الشيخ بنفسه و معه بعض أتباعه، و كثير من العامة. فلما أقبل على خيمة الكاشف ناداه فحضر إليه. و كلمه الشيخ، و هو على ظهر بغلته، و قال له: إنكم لا تخافون اللّه، و اشتد عليه بالزجر و التأنيب. فلما رأى الناس ذلك خرجوا عن

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۸۷

طورهم، و ضربوا نائب الكاشف، و قامت فتنة بينهم و بين الجند ضرب فيها و أسر واحد من أتباع الشيخ، و ذهب كاشف المنوفية و كاشف الغربية بعد ذلك يعتذران إلى الشيخ، و لما عاد إلى القاهرة قدم إبراهيم بك بنفسه إلى منزله معتذرا و معه كبار المماليك.

الشيخ عباس و وقف المغاربة:

و قبل ذلك بعشر سنوات آلت بعض الأوقاف المحبوسة على طلبة العلم إلى طلبة المغاربة، و لكن واضع اليد جحد هذه الأيلولة و أبى أن يسلم الحق لأصحابه، و لجأ فى ذلك إلى الأمير يوسف بك أمير الحج فنصره هذا على باطله، و أقام المغاربة دعواهم أمام القاضى فأثبت لهم حقهم، و لكن الأمر كبر على يوسف بك، و أبى أن يمتثل لحكم القضاء، بل أمر بالشيخ عباس- زعيم المطالبين بوقف المغاربة- أن يساق إلى السجن. فلما ذهب رسل الأمير يوسف بك إلى الأزهر لأخذ الشيخ عباس طردهم الأزهريون و سبوهم و لم يمكنوهم منه، ثم قصدوا إلى الشيخ أحمد الدردير فأخبروه الخبر، فكتب الشيخ إلى يوسف بك ألا يتعرض لأهل العلم، و ألا يعاند فى حكم أصدره القاضى، و أرسل الشيخ كتابه هذا إلى يوسف بك مع شيخين اختارهما لذلك. فلما وصل الشيخان برسالة الدردير أمر يوسف بك بالقبض عليهما و زجرهما زجرا شديدا ثم سجنهما.

و وصل خبر ذلك إلى الشيخ الدردير، و أهل الأزهر، فاجتمعوا عند الصباح و أبطلوا دروس العلم، و الأذان، و الصلاة. و أقفلوا أبواب الجامع.

و جلس العلماء عند القبلة القديمة. و كان الأزهر يموج بالناس، فصعد الصغار منهم إلى المنارات و المآذن يكثرون من الدعاء على الأمراء. و شارك الشعب أهل الأزهر شعورهم بالسخط و احتجاجهم على الظلم، فغلقت الحوانيت و المتاجر، و عرف الأمراء ما جرى فأرسلوا إلى يوسف بك ليطلق سراح الشيخين، فأطلقهما، و أرسل شيخ البلد إبراهيم بك، كبيرا من

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۸۸

رجاله إلى العلماء، فلم يستطع إرضاءهم، و جاء كبير آخر يطلب إلى الناس أن يفتحوا متاجرهم، و ينصرفوا لشأنهم. فذهب إليه طلبة الأزهر، و جموع من الشعب بأيديهم العصى و المساوق، و ضربوا أتباع هذا الكبير و رجموهم بالحجارة. فأطلق عليهم هو و رجاله

الرصاص. و قتل ثلاثة من الطلبة، و جرح بعض أفراد الشعب و خشى الأمراء بعد ذلك أن يتفاقم الخطب، و تزيد ثورة الشعب و العلماء اشتعالا، فأرسلوا فى اليوم التالى كبيرا منهم، مع الشيخ السادات، و آخرين من الأمراء. و رأوا من الحكمة ألا يذهبوا إلى الأزهر، فى وسط هذه الفتنة فجلسوا فى مسجد الأشرف، و أرسلوا إلى أهل الأزهر و من معهم من الثائرين، أن طلباتهم أجيبت، فلم يقنعهم ذلك، و لم يتركوا أماكنهم. فلم ير إسماعيل بك، كبير الأمراء، بدا من أن يذهب بنفسه إليهم، فنزل مع الشيخ السادات، و لم يستطع أن يواجه الثائرين داخل الأزهر، فجلس مع السادات فى مسجد المؤيد، و أرسلا إليهم كتابا تعهد فيه إسماعيل بك أن يجيب رغائبهم و يقبل جميع ما يطلبون، و قال: إن ضمينه فى ذلك الشيخ السادات، و ظل إسماعيل بك يراسل المتترسين داخل الأزهر يوما كاملا حتى استجابوا، و فتحوا أبواب الأزهر، و كان مما شرطوه على إسماعيل بك ألا يمر الأغا، و لا الوالى، و لا المحتسب قريبا من الأزهر.

الشيخ السادات يقود الثورة:

كان الشيخ السادات، من أكبر الشيوخ مقاما، و أعظمهم شأنا، و أوسعهم جاها و ثروة، و أعزهم منزلة لدى الناس، و لدى الأمراء على السواء. و لكنه، مع اختيار نابليون له عضوا فى الديوان، و زيارته له فى بيته، كان من أكبر خصوم الفرنسيين، و المحرضين على الثورة عليهم.

فعند ما قامت ثورة القاهرة الأولى تبين أن زعيمها الأول هو الشيخ السادات. و ثبت لديهم ذلك حتى أمر الجنرال كليبر بإعدامه، و لكن نابليون

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۸۹

رده عن ذلك، مع يقينه من زعامته للثورة، و قال: إن قتل شيخ فى مكانة السادات يضر أبلغ الضرر بمركز الفرنسيين، و يزيد فى حقد المصريين و كراهتهم له.

ثم قامت ثورة القاهرة الثانية على الجنرال كليبر. و كان السادات من المحرضين عليها. فجاءت فرصة كليبر لشفاء ما فى نفسه من السادات.

و كان يذكر نصيحة نابليون فلم يقتله. و لكنه أوقع به من العذاب و المهانة شيئا كثيرا. حيث فرض عليه ضريبة فادحة، قدرها مائة و خمسون ألف فرنك. فلما رفض أن يدفعها أمر بسجنه فى القلعة. و كان ينام على التراب، و يمشون به على قدميه فى شوارع القاهرة، و يضرب فى صباح كل يوم خمس عشرة عصا، و مثلها فى كل مساء و حبسوا أتباعه و خدمه. و طلبوا زوجه و ابنه فلم يجدوهما. فعذبوا خادما له عذابا شديدا حتى دل على مكانهما، فسجنوهما. و وضعوا معه زوجته فى سجن واحد، فكانوا يضربونه أمامها، و هى تبكى. و هاجموا داره، ففتشوها و نهبوا ما كان فيها من مال و متاع و حفروا أرضها للبحث عما فيها من سلاح و مال. و جعلوا على بيته عشرين حارسا. و عندما أعادوا تشكيل «الديوان» أخرجوه منه.

و بعد أن أنزلوه من القلعة عادوا فسجنوه فيها مرة أخرى خمسين يوما، ثم أخرجوه بعد أن أتم دفع ما فرضوا عليه، و لكنهم عادوا فصادروا جميع ممتلكاته و إقطاعياته- و كانت شيئا كثيرا- و حبسوا مرتباته و أوقافه و أوقاف زوجاته، و ريع الأوقاف التى كانت محبوسة على زوجة أجداده. و شرطوا عليه ألا يجتمع بالناس، و ألا يخرج إلا بإذنهم، و أن يقتصد فى نفقاته، و ينقص عدد أتباعه و خدمه.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۹۰

و يخاف منه الأتراك أيضا:

و عند ما قدمت الحملة التركية الإنجليزية لحرب الفرنسيين و إخراجهم من مصر، سنة ۱۸۰۱، و علم الجنرال مينو، نائب نابليون و قائد الجيوش الفرنسية، أنها نزلت أبى قير فى الأسكندرية، أمر، للمرة الرابعة، بالقبض على الشيخ السادات حتى لا يثير المصريين عليهم. و سجن فى القلعة، و بقى فيها سجينا حتى بارح الفرنسيون مصر.

و قد مات ابن الشيخ السادات و هو فى السجن فلم يسمحوا له بالخروج ليراه، بل أذنوا له بالسير فى جنازته تحت الحراسة، ثم أعادوه إلى السجن.

و من مواقف الشيخ السادات الوطنية الكريمة، أنه عند ما ضرت الحرب و الحصار بالثائرين فى القاهرة، التزم بالإنفاق على المحاربين و المجاهدين فى المنطقة التى كان يقيم فيها، عند قناطر السباع.

و مات الشيخ السادات بعد ذلك فى مارس سنة ۱۸۱۳ فى عهد محمد على بعد أن عرف له الناس و سجل التاريخ هذه الشجاعة و هذا البذل.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۹۱

الأزهرى الشيخ سليمان الجوسقى

فرغ الشيخ سليمان الجوسقى من صلاة الفجر فى الجامع الأزهر على عادته فى كل يوم، و لكنه فى ذلك اليوم كان يبدو على غير عادته فى كل شىء، فهو ساهم واجم يستغرقه تفكير عميق ثقيل، و هو فى تفكيره منصرف عن كل شىء من حوله، حتى كان إخوانه يتلقونه بتحية الصباح فلا يجيبهم، و كان طلابه يكبون على يده يقبلونها فيلقيها إليهم فى إغفال و استسلام كأنه لا يبالى شيئا من أمرهم.

و مضى الشيخ الجوسقى إلى حلقة الدرس و هو على هذه الحال، ساهم واجم، مستغرق فى ذلك التفكير العميق الثقيل، و لقد أخذ مكانه فى حلقة الدرس و الطلاب يحفون به منصتين، و لكنه جلس صامتا واجما لم يتكلم بكلمة، و لم يعنه أن يسأل الطلاب فيما حققوا من مسائل الدرس أو صادفوا من مصاعبه كشأنه معهم فى كل يوم.

و ما كان الشيخ الجوسقى هكذا أبدا، و لا عرف طلابه عنه هذه الحال فى يوم من الأيام، فقد كان شيخا مكفوف البصر، يتولى شئون طائفة العميان و التدريس لهم فى الأزهر، و لكنه لم يكن يرى فى تلك المحنة حدا

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۹۲

يعوقه عن أى شأن من شئون الحياة، فكان معروفا بين إخوانه بقوة الشكيمة و الصرامة فى الحق، يحرص كل الحرص على مصالح طائفته، و يبذل كل الجهد لاستخلاص حقوقهم، و لو أدى ذلك إلى الاعتماد على القوة، و الالتحام فى المعركة، و كان إلى جانب هذا متفتح النفس، يهش للدعابة، و يطيب له التبسط فى الحديث مع طلابه و مريديه، و يعنيه أن يتحقق بنفسه شئونهم العامة، و مسائلهم الخاصة، و من ثم كان طلابه يخشونه أشد الخشية، و يحبونه أعظم الحب، و كان إذا ما أقبل على الدرس فى كل يوم بعد الصلاة الأولى أقبلوا عليه، فيفضون إليه بما فى نفوسهم، و يسمعون منه بما يشير به عليهم، ثم يفرغون معه لدرس التفسير فى كتاب اللّه الكريم، و ما يزالون حتى ترتفع الشمس، ثم ينصرفون للاستعداد لدرس آخر.

و لكن الشيخ أقبل على طلابه فى ذلك اليوم، و هو على تلك الحال التى لم يألفوها منه، و لم يعرفوها عنه، و أشفق الطلاب أن يكون قد نزل بشيخهم مكروه فى نفسه أو فى أسرته، فقال قائل منهم: لا بأس على مولانا الشيخ فيما نرى، فقد فات موعد الدرس و هو منصرف عنا!

قال الشيخ فى صوت محتبس أجش: كيف و هذا هو اليأس يأخذ بنواصينا و أقدامنا، و هذا هو الكرب يشد على خناقنا شدا عنيفا،

فلیس لنا منه متنفس. و فیم أنتم و هذا الدرس، و ما هو إلا کلام تلو کونه بألسنتکم، و تخورون به خوار البقر، و لکنکم و اللّه لا تحسونه بقلوبکم، و لا تعرفون فیه حق دینکم، و هل حسبتم أن الإسلام هو تلک الکلمات التی ترددونها و تناقشونها ثم تنصرفون بها إلی الناس، و کأنها تجارة کلامیة، حسبکم من الربح فیها تلک الفضلات التی تقیم أودکم، و تمسک رمقکم، إذن فیا ضیعة الإسلام فیکم، و یا خسارته بکم، و لست أدری أهی نهایة الزمان، أم أن اللّه مقیض لهذا الأمر من ینهض به و یبعثه بعثا جدیدا فی عقول هذه الأمة و قلوبها؟!

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۹۳

قال الطالب: و هل عرف شیخنا علی أحد منا سوءا فی دینه، أو تفریطا فی حق من حقوقه؟!

قال الشیخ: و ما ذا بقی هناک من حقوق دینکم؟ و أی أثر لذلک فی نفوسکم؟ لقد جل الخطب حتی أوشک أن لا یبقی من هذا الدین بقیة تتصل بأرواحکم، هؤلاء هم الفرنسیون الکفار قد وطأوا بلادکم فسکتم، ثم انتهبوا دورکم و أموالکم فأذعنتم، ثم انتهکوا حرماتکم و أعراضکم فرضیتم و صبرتم، و ها هم أولاء- فیما عرفت- یعمدون إلی تغییر نظام المواریث فی دینکم، فیجعلون حق الإرث کله للبنت و لیس للولد منه شیء کما هو شرعهم، و متی بطل جزء من الشریعة فإنها جمیعها لا بد صائرة إلی المسخ و الزوال، و إنکم لصائرون غدا أرقاء فی خدمة هؤلاء الفرنسیس الکفار، و بکم تکون نهایة هذا الدین، و زوال الملة، و نعوذ باللّه من هذا الزمان.

و سرت بین الطلاب همهمة و غمغمة، و ارتفعت الصیحات استنکارا لتلک النازلة الساحقة التی حلت بالمسلمین فی دارهم، و وقف بعض الطلاب یتکلمون، فمنهم من یلقی اللوم علی أولئک الممالیک الجبناء الذین فروا من مواجهة العدو و ترکوا الشعب یتلظی فی أتون المعرکة، و منهم من یعتب علی دولة بنی عثمان التی ترکت الفرنسیین یصلون إلی فتح هذه الدیار، و منهم من یسب الخائنین و المارقین من أبناء الطوائف الدخیلة علی البلاد لأنهم تعاونوا مع العدو و مکنوه من رقاب الشعب، و منهم من یقول:

إنه غضب اللّه علی المسلمین جزاء ما فرطوا فی دینهم، و حقوق ملتهم.

و عاد الشیخ الجوسقی یتکلم فقال: حسبکم یا أبنائی هذا الضجیج علی غیر طائل، إننا الیوم لسنا فی مقام توزیع التبعات و لیس من الحکمة أن نترک السفینة تهوی إلی القاع و نحن مشغولون بمعرفة الملوم فی هذه الکارثة، و إنما الواجب أن نفزع لدفع النازلة التی حلت بنا ثم نصفی أمورنا

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۲۹۴

إذا بقی لنا أمر بعد ذلک، فحرام علیکم طعامکم و شرابکم، و حرام علیکم أن تقیموا علی الضیم فی وطنکم، و أن تجلسوا فی هذا المکان باسم الإسلام و الفرنسیون یصنعون بإسلامکم ما شاءوا أن یصنعوا.

قال قائل منهم: و ما ذا فی طاقتنا أن نصنع إزاء حرب الفرنسیین. و قد حرمنا نعمة البصر فما ندری إلی أین نسیر، و اللّه یقول: «لیس علی الأعمی حرج».

و لم یکد الطالب بتم قولته حتی انفجر الشیخ کالبرکان قائلا: ألا لعنة اللّه علیکم إن کان هذا هو مدی إدراککم و یقینکم، نعم لا حرج علیکم فیما هو من شئونکم الخاصة، و لکنکم الیوم إزاء کارثة حلت بدار الإسلام، و إنها لآخذة برقابکم جمیعا، و اللّه یقول: «فَإِنَّها لا تَعْمَی الْأَبْصارُ وَ لکِنْ تَعْمَی الْقُلُوبُ الَّتِی فِی الصُّدُورِ»، فانفروا إلی الناس فی دورهم، و حیث هم فی أعمالهم، و تفرقوا علی أبواب الطرق و الحارات، و قولوا لکل من لقیتم إنکم الیوم بین شقی الرحی، و إن الفرنسیین قد استباحوا حرماتکم، و أهانوا شرفکم، و نهبوا أموالکم، و بدلوا دینکم، فلا عزة لکم بین الأمم، و لا کرامة لکم عند ربکم إذا ما رضیتم بهذا الأمر فیکم.

و وقف الشیخ فی انفعال و قوة، و أخذ یصرخ قائلا و الدموع تنحدر علی خدیه: و اللّه ما قام عمود هذا الدین إلا بالجهاد، و لا أزهرت شجرة الإسلام إلا بدماء الشهداء، و لقد خاض رسول اللّه الحرب حتی شج وجهه و کسرت رباعیته، و فی سبیل اللّه استشهد سادتنا من

الصحابة و التابعين، فلعنة اللّه علينا إن كنا من القاعدين بعد اليوم .. ثم اندفع الشيخ و اندفع معه طلابه إلى الخارج و هم يصيحون: إلى الجهاد و الاستشهاد، إلى الموت فى سبيل اللّه .. و كانت الثورة.

كانت الشمس ترتفع للضحى، و كانت القاهرة تبدو هامدة واجمة

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۹۵

تحت وطأة ذلك الكابوس الفرنسى الذى جثم على قلبها فجأة، و كان الناس يغدون و يروحون و هم لا يدرون من أمرهم شيئا لليوم أو الغد، فما هى إلا ساعات من نهار حتى كانت القاهرة تغلى كالمرجل، و كان الناس يقفون فيها على قدم و ساق متوثبين متحفزين لأمر له ما بعده، فقد تفرق شيوخ الأزهر و طلابه على أبواب الطرق، و تغلغلوا فى الحارات و الأزقة بحى الأزهر و الحسينية، و راحوا يتحدثون إلى الناس بشأن هؤلاء الفرنسيين الذين استعمروا بلادهم و نهبوا أموالهم، و اسباحوا حرماتهم، و أخذوا يذكرونهم بحق الدين فى الجهاد و الاستشهاد، و كأنها كانت الشرارة قد اندلعت فى الهشيم، فإذا بالجموع تتداعى من كل ناحية، و الصيحات ترتفع من كل جانب: إلى الجهاد، إلى الاستشهاد، النصر للإسلام.

و اتصل الخبر بالسلطات الفرنسية، فركب الضابط «ديوى» على رأس قوة كبيرة من الفرسان و الجنود، و مر بشارع الغورية، و عطف على خط الصنادقية، ثم قصد إلى بيت القاضى فوجد جموعا كبيرة من المصريين و هم يصيحون و يتوعدون، فتراجع أمامهم و أراد أن يخرج من بين القصرين، و لكنهم أدركوه و التحموا به فى معركة عنيفة أسفرت عن جرح «ديوى» بجراح بالغة و قتل أكثر فرسانه و جنوده، و لم يفلت القائد الفرنسى من براثنهم إلا بأعجوبة ... و أيقن أبناء القاهرة أن هذه المعركة ليست إلا بداية موقف حاسم بينهم و بين الفرنسيين، و أخذوا من وقتهم يستعدون لهذا الموقف، فرابطت الجموع عند الأطراف و على مداخل القاهرة عند باب الفتوح و باب النصر و البرقية و باب زويلة و باب الشعرية، و أقاموا المتاريس فى كل مكان مفتوح للهجوم، و أخرجوا ما عندهم من السلاح و الذخيرة، و باتوا الليل ساهرين منتظرين.

و أصبح الصباح، و كانت القوات الفرنسية قد أخذت أماكنها فوق تلال البرقية و القلعة، و هى مستعدة بالعتاد الكامل، و المدافع الثقيلة، ثم أخذت تقصف القاهرة بالقنابل و ركزت الضرب على حى الأزهر بصفة خاصة،

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۹۶

و تساقطت القنابل على الدور و فوق السكان، و لم يكن دوى القنابل مألوفا لعامة الشعب، فسار بينهم الفزع و الرعب، و لكن المرابطين على المتاريس وقفوا ثابتين يدافعون فى شجاعة و عناد، و أمضت القاهرة ليلة مظلمة لم تعهدها من قبل، فكنت لا تسمع فى وسط ذلك الظلام الخانق الرهيب، إلا دوى القنابل و هى تتساقط فى كل مكان، و إلا صيحات المجاهدين و المدافعين و هى تتجاوب بالثبات و الإقدام، و طال الترقب، و الفريقان يتبادلان الرمى و الضرب، و أرسل الفرنسيون إلى شيوخ الأزهر أكثر من مرة لعلهم يتدخلون لتهدئة الثورة، و لكن المواطنين أصروا على الكفاح إلى آخر رمق من حياتهم.

و استمرت المعركة دائرة يومين و ليلة و تساقط القتلى من الجانبين فى الشوارع و الطرقات و تهدمت الدور فى كثير من المواقع، و بقى المواطنون فى أماكنهم صامدين، يناضلون و يدافعون حتى فقدت الذخيرة منهم، فوقفوا عن الضرب و الرمى، و انفتحت الأبواب أمام الفرنسيين، فانحدروا إلى القاهرة بخيلهم و رجلهم و هم يمعنون فى الأهالى العزل قتلا و فتكا، و عاثوا فى حى الأزهر جميعه، ثم اقتحموا الجامع الأزهر بخيولهم، و استباح أولئك الذين جاءوا يبشرون فى الشرق بمبادىء الثورة الفرنسية ذلك الحرم المقدس، فربطوا فيه خيولهم، و شربوا فيه الخمور، و عاثوا بكل ما فيه من المصاحف و الكتب و الخزائن فسادا و تلفا و داسوها بنعالهم.

و أصبح الصباح فى اليوم التالى، و كانت القوات الفرنسية كلها قد تجمعت فى حى الأزهر و فى جميع الأحياء التى عضدت الثورة، و أخذوا ينهبون الدور و يبحثون عن السلاح فى كل مكان، ثم أخذوا يبحثون عن الشيوخ الذين تزعموا الثورة و اعتقلوا الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان، و الشيخ أحمد الشرقاوى، و الشيخ عبد الوهاب الشبراوى، و الشيخ يوسف المصيلحى، و الشيخ

إسماعيل البراوى، و حبسوهم فى بيت البكرى

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۹۷

بعض الوقت، ثم نقلوهم إلى القلعة ..

و قصد الشيخ السادات و معه بعض كبار المشايخ بالأزهر إلى القائد الفرنسى و طلبوا منه العفو عن الشيوخ المعتقلين فأمهلهم بعض الوقت، و فى كل يوم كانوا يذهبون إليه متشفعين فيمهلهم حتى يستقر الأمن، و بعد خمسة عشر يوما انكشفت الحقيقة فى صنع الاستعماريين، فقد وجدت جثث الشيوخ الخمسة وراء سور القلعة، بعد أن قتلهم الفرنسيون و مثلوا بهم أشنع تمثيل، ذلك لأنهم ارتكبوا أشنع جرم فى حق أبناء المدنية الفرنسية، فطالبوا بحق أمتهم فى الحرية و الحياة ...

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۲۹۹

رفاعة رافع الطهطاوى

* رفاعة رافع الطهطاوى .. ولد فى ديسمبر سنة ۱۸۰۱ ببلدة طهطا محافظة جرجا و يختلف المؤرخون حول يوم مولده.

* كان والده تاجرا صغيرا توفى و رفاعة فى سن الخامسة عشرة فرحل إلى القاهرة طلبا للعلم و التحق بالأزهر و قد كانت وسيلة سفره سفينة شراعية فاستغرقت الرحلة أسبوعين.

* فى عام ۱۸۲۴ عين واعظا و إماما لإحدى فرق الجيش النظامى الذى أسسه محمد على و كان قائدا لفرقة حسن المانسترلى «بك».

* سافر إلى فرنسا عام ۱۸۲۶ إماما للبعثة التعليمية المصرية بباريس و تقرر له مرتب يوزباشى .. و حضر قيام الثورة الفرنسية ضد شارل العاشر سنة ۱۸۳۰.

* تأثر بالعلوم السياسية الفرنسية فترجم الدستور الفرنسى «دستور ۱۸۱۴» معلقا على مواده بما يدل على فهم دستورى صحيح.

* عاد إلى مصر سنة ۱۸۳۱ فتولى منصب أستاذ ترجمة و تدريس اللغة الفرنسية بمدرسة الطب.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۰۰

* فى عام ۱۸۳۳ نقل من مدرسة الطب إلى المدفعية برتبة أميرلاى و عهد إليه بترجمة العلوم الهندسية و الفنون الحربية.

* أنشأ مدرسة الألسن سنة ۱۸۳۶ بسراى الألفى بالأزبكية.

* فى عام ۱۸۵۱ أرسله الخديو عباس الأول إلى السودان بعد أن أغلق مدرسة الألسن بحجة توليه إدارة مدرسة أنشئت بالسودان و كان القصد إبعاده.

* عاد من السودان عام ۱۸۵۴ بعد وفاة الخديو عباس و تقلب فى عدة وظائف حتى أسندت إليه سنة ۱۸۵۵ وكالة المدرسة الحربية.

* أسس أول مدرسة لتعليم البنات سنة ۱۸۷۳.

* من أشهر كتبه .. «تخليص الإبريز فى تلخيص باريس».

* توفى فى ۲۷ مايو سنة ۱۸۷۳ .. و نشر نعيه بالوقائع السرية جريدة الدولة الرسمية.

إن أول صحفى فى مصر بل و فى العالم العربى كله، كان أزهريا و هو المرحوم الشيخ إسماعيل بن سعد الشهير بالخشاب قال عنه: (الفيكونت فيليب دى ترازى) فى كتابه (تاريخ الصحافة العربية) عند حديثه عن البعثة العلمية التى رافقت حملة نابليون بونابرت إلى مصر أنها أحضرت معها مطبعة من باريس ثم يقول:

(و أول عمل باشرته هذه البعثة العلمية أنها نشرت ثلاث جرائد فى المطبعة المذكورة إحداها (الحوادث اليومية) كان يحررها إسماعيل بن سعد الخشاب و هى جدة الصحف فى لغة الناطقين بالضاد).

و يقول عنه الجبرتى فى كتابه التاريخى المعروف: (تولع السيد إسماعيل بحفظ القرآن ثم بطلب العلم و لازم حضور السيد على

المقدسی

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۰۱

و غیره من أفاضل الوقت و أنجب فی الفقه الشافعی و المعقول و تثقیف اللسان و الفروع الفقهیة الواجبة و الفرائض.

إلی أن یقول:

و لما رتب الفرانساویة دیوانا لقضایا المسلمین تعین المترجم فی کتابة لتاریخ لحوادث الدیوان، و ما یقع فیه من ذلک الیوم .. لأن القوم کان لهم مزید اعتناء بضبط الحوادث الیومیة فی جمیع دواوینهم و أماکن أحکامهم ثم یجمعون المتفرق فی ملخص، یرفع فی سجلهم، بعد أن یطبعوا منه نسخا عدیدة یوزعونها فی جمیع الجیش ... حتی لمن یکون منهم فی غیر المصر من قری الأریاف، فتجد أخبار الأمس معلومة للجلیل و الحقیر منهم.

فلما رتبوا ذلک الدیوان، کما ذکر کان هو المتقید برقم کل ما یصدر فی المجلس: من أمر و نهی، أو خطاب أو جواب، أو خطأ أو صواب، و قرروا له فی کل شهر سبعة آلاف و نصف فضة.

فلم یزل متقیدا فی تلک الوظیفة مدة ولایة عبد الله جاک مینو، حتی ارتحلوا من الإقلیم. و لقد جمع من سجلات الحوادث عدة کراریس و لا أدری ما فعل بها.

هذا هو إسماعیل الخشاب، أول صحفی عربی علی الإطلاق، خرج من الأزهر إلی الصحافة، و کانت صحیفته صغیرة لا یقرؤها إلا القلیلون.

و یجیء من بعده المغفور له الشیخ (رفاعة رافع الطهطاوی) و هو المقصود بحدیثنا و صاحب أکبر فضل علی النهضة العلمیة و الأدبیة و الاجتماعیة فی مصر، و لقد ولد عام ۱۸۰۱ و توفی عام ۱۸۷۳ و کانت مسقط رأسه مدینة (طهطا) فی الصعید و لقد نشأ فی أسرة کانت من أهل الیسار ثم أخنی علیها الدهر فمضی والده فی طلب الرزق إلی مدینة (قنا) و بعدها إلی مدینة (فرشوط).

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۰۲

و قد سافر إلی فرنسا و رأی حریة هناک جعلته یشعر بالطغیان الذی یعانیه أبناء وطنه مصر و رأی ما یمکن أن یقدمه الفکر الراجح من أسالیب النشاط الإنسانی فی شتی مناحی الحیاة، و فی فرنسا رأی الصناعة الزاخرة بالخیر و النفع علی الفرنسیین أجمعین فدعا إلی التصنیع فی بلاده.

و لقد دعا رفاعة الطهطاوی، المصریین إلی الحفاظ علی نعمة الحریة و إعلاء شأن الفکر و إنشاء المصانع لتنافس أمتهم أرقی شعوب العالم فی الحضارة و المدنیة، و لتعود إلیها سیرتها الأولی فی التقدم و الازدهار.

و عاد رفاعة الطهطاوی إلی مصر و کله شعلة من الوطنیة المتأججة، فأشار علی محمد علی بأن یصدر صحیفة «الوقائع المصریة» و تولی الشیخ رفاعة ریاسة تحریرها و راح یکتب فیها المقالات التی تحث علی استنهاض الهمم و بعث الشعور القومی و شحذ العزائم فی سبیل خدمة الوطن.

و هی أقدم جریدة عربیة علی الإطلاق إذ لم تسبقها جریدة عربیة أنشأها عربی فی وطننا العربی الکبیر.

و ما صنعه رفاعة الطهطاوی لأمته یکثر إحصاؤه علی المغرمین بالأرقام، فقد ترجم عشرات الکتب من الفرنسیة إلی العربیة و أودع ثمراتها عقول أولئک المتعطشین إلی العلم و المعرفة، و بارک اللّه فی جهوده فألف و صنف، و کانت غایة جهاده أن یرتقی بأمته إلی المکان الذی رأی فیه فرنسا.

و لقد خلف رفاعة الطهطاوی وراءه ثروة أدبیة ضخمة هی طراز لما یجب أن یقوم به الرائد العظیم نذکر منها: (خلاصة الإبریز) و الدیوان النفیس) و (التعریبات الشافیة لمرید الجغرافیة) و (جغرافیة ملطبرون) و (قلائد المفاخر فی غریب عوائد الأوائل و الأواخر) و (المرشد الأمین فی تربیة البنات و البنین) و (التحفة المکتبیة) و (مواقع الأفلاک فی أخبار تلیماک) و (مباهج الألباب المصریة فی

مناهج الألباب العصرية) و

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۰۳

(مختصر معاهد التنصيص) و (المذاهب الأربعة) و (شرح لامية العرب) و (القانون المدنی الإفرنجی) و (توفيق الجليل و توثيق بنی إسماعيل) و (هندسة ساسير) و (رسالة فی الطب) و (جمال الأجرومية) و (نهاية الإيجاز فی سيرة ساكن الحجاز).

و هكذا عاش رفاعة الطهطاوی حياته كلها خادما أمينا للدين و للعلم و للمعرفة باذلا غاية جهده فی تحريك موجات الفكر فی بحرنا الآدمی المتلاطم.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۰۵

صورة عن الامام الشيخ محمد عبده

نسبه و مولده و نشأته:

هو محمد بن عبده بن حسن خير الله، من أسرة مصرية ريفية متوسطة الثراء، فی قرية من إقليم البحيرة بشمال مصر تسمی محلة نصر، و كان أبوه يشتغل بالزراعة شأنه شأن سكان الريف جميعا. و ولد له ابنه محمد فی عام ۱۲۶۶ ه. و نشأ فی أول الأمر مدللا ثائرا علی وضعه الاجتماعی، فأبی أن يشارك أباه فی عمله، و عزف عن التعليم فی مكتب القرية علی عادة أمثاله ولداته، و ظل كذلك حتی بلغ العاشرة من عمره، و اشتد القلق بوالده فأحضر له فقيها لازمه حتی حفظ القرآن الكريم. و تعلم مبادیء القراءة و الكتابة، ثم أرسل به إلی طنطا فجود القرآن و أحسن تلاوته، ثم ألحقه بمعهدها الدينی. و قد بلغت سنة خمسة عشر عاما، و لكن محمدا لم يتفتح قلبه لطرق الدراسة حينذاك، ففر من معهده مرارا، و أبوه يحاوله و يعالجه، و هو يلج فی العناد و الإباء. و أخيرا نزل ضيفا علی خال لأبيه فی إحدی القری المجاورة لبلدته، و كان عالما ذكيا استطاع أن ينفذ إلی قلبه، و أن يحبب إليه العلم و الدراسة، فلقنه تفسير القرآن. و قرأ عليه عدة كتب فی الحديث من أشهرها موطأ الإمام مالك، ثم عاد بعد ذلك إلی معهده فأتم الدراسة فيه، و انتقل إلی الأزهر فی عام ۱۲۸۲ ه و رأی أن ينتقل من

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۰۶

مذهب مالك إلی مذهب أبی حنيفة لأنه المذهب الرسمی للحكومة و عليه القضاء و الفتيا، و ظل ينازع نفسه، و يغالب السأم و الملال من الدراسات المعقدة و الأساليب الملتوية، حتی حصل علی شهادة العالمية فی عام ۱۲۹۴ ه، و قد انتزعها انتزاعا بعد معارضة بعض العلماء فی منحة إياها لجرأته و صراحته، و زرايته بنظم الأزهر و طريقة التدريس فيه فی ذلك الوقت، و اصطدامه ببعض شيوخه و مخالفتهم فی كثير من الآراء و العقائد.

ثقافته و أساتذته:

كان الإمام ذكيا ألمعيا يتمتع بذهن متوقد، و فكر ثاقب، و نفس طلعة متحررة، لا تحب القيود، و لا تخضع لما تواضع عليه الناس، فمال إلی التزود بجميع أنواع الثقافات، و فتن بالعلوم العقلية و اللسانية و الأدبية، و استقی الدين من منابعه الأولی، ضاربا صفحا عما ابتدعه العلماء من مذاهب و عقائد، و ما أدخلوه فی الدين من بدع و أساطير و خرافات.

اقتنع الشيخ بانحراف العلماء عن سنة السلف، و مال إلی الدراسة الاستقلالية الحرة، و شغف بالتاريخ و المنطق و الفلسفة الإسلامية، و

الریاضة و الفلک، و تلمس السبل لفهم ما استعصی علیه، فاتصل و هو طالب بعالم فحل اسمه الشیخ حسن الطویل، و لازمه و أفاد منه، و وجد عنده ما افتقده عند غیره من العلماء فلم یظفر به، و اتصل کذلک بجمال الدین الأفغانی منذ وفد علی مصر و أخذ عنه الأدب و التوحید و المنطق و أصول الفقه و الفلسفة و غیر ذلک من العلوم- کما أخذ عنه آراءه فی السیاسة و الاجتماع، و ثورته علی ظلم الحکام و استبداد الولاة، و دعوته إلی نظام شوری إسلامی یقضی علی المطامع و النفعیة و الاستغلال.

بیئته و أثرها فی حیاته:

نشأ الشیخ فی عصر یموج بالأحداث و الأعاصیر، و تتوالی فیه الکوارث السیاسیة و الاقتصادیة و الاجتماعیة. فقد کبل إسماعیل البلاد

الأزهر فی ألف عام ؛ ج۳ ؛ ص۳۰۷

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۰۷

بأغلال الدّین، و مکن للأجانب من التدخل فی شئونها، و الإشراف علی مواردها و منحهم امتیازات سیطروا بها علی الوطنیین و انتشروا فی المدن و القری یبیعون الخمر و السموم، و یتعاملون بالربا، و تسقط الثروات فی أیدیهم کما تسقط أوراق الشجر أدرکه الخریف، ثم کان عهد توفیق و قیام الثورة العرابیة، و استعانة هذا الحاکم الخائن بالإنجلیز لیحتلوا البلاد و ینکلوا بقادتها و زعمائها، و یلقوا بهم فی السجون و المعتقلات، و یقذفوا ببعضهم إلی خارج البلاد لیذوقوا مرارة النفی و ألم البعاد و التشرید، و کان للشیخ دور بارز فی مقاومة البغی و العدوان، و جاهد بقلمه و لسانه فی صفوف الثورة، و أفتی بخلع الخدیو فحکم علیه بالنفی، و قضی عدة سنوات بسوریا و فرنسا و تونس، و لقی من الشدائد و الأهوال ما اللّه به علیم.

و لکن الإمام أفاد من هذا الکفاح، و اکتسب خبرة بشئون الحیاة لم تتهیأ لغیره من القادة و الزعماء، و لم یکّف عن أداء رسالته الدینیة و الوطنیة، فتولی التدریس بسوریا و تونس، و اشترک مع جمال الدین الأفغانی فی إنشاء صحیفة العروة الوثقی بفرنسا، و عاد من النفی أمر عودا و أصلب مکسرا، و کانت له بعد ذلک جولات و صولات.

تقلبه فی مناصب الدولة:

تولی الشیخ عقب تخرجه فی الأزهر دراسة التاریخ الإسلامی بدار العلوم، و دراسة اللغة العربیة بمدرسة الألسن، ثم عزلته الحکومة من عمله مخافة انتشار آرائه و أفکاره بین التلامیذ، و قوة تأثیره فی الأوساط الوطنیة و الشعبیة، ثم اختیر بعد ذلک لریاسة تحریر الوقائع المصریة، و بعد عودته من النفی أبعد عن التدریس، و عین قاضیا بالمحاکم الأهلیة، و عضوا فی مجلس الأزهر الأعلی، ثم اختیر لمنصب الإفتاء و عضویة مجلس الأوقاف الأعلی، کما کان عضوا بمجلس الشوری، و رأس جمعیة إحیاء العلوم

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۰۸

العربیة التی أسست سنة ۱۳۱۸ ه، و إلیه یرجع الفضل فی نشاط هذه الجمعیة و إحیاء کثیر من کتب الأدب و الدین و غیرهما.

وطنیته و دعوته للحریة السیاسیة و الفکریة:

عاش الشیخ طول حیاته مجاهدا مکافحا، داعیا للتحرر الوطنی، و إرساء قواعد الحکم الشوری، و مقاومة المحتلین و أذنابهم، و عمل علی نشر الوعی القومی فی نفوس النشء، و تحریر الفکر العربی من شوائب الجهالة، و تکوین مجتمع إسلامی یتعاون أبناؤه لإقامة

وحدة تعمل على ترقية شئونهم السياسية و الاجتماعية، و قد ألهب عواطف الوطنيين بقلمه و لسانه، و بث بذور الثورة على الطغيان التركى، و فساد أداة الحكم فى مصر. و لو أن العرابيين استمعوا لنصحه، و تريثوا قليلا حتى يستكملوا عدتهم و عتادهم لبلغت الثورة هدفها، و آل حكم البلاد إلى بنيها، و نجت مصر من الاحتلال الإنجليزى الذى جثم على صدرها طويلا.

إصلاحاته و آراؤه. و الصراع بينه و بين علماء عصره:

كان الشيخ يرى أن إصلاح المجتمع الاسلامى يجب أن ينبع من الأزهر، و أن يكون علماء الدين هم رسل النهضة و قادة الإصلاح، و لكى يقوم الأزهر برسالته لا بد له من الخروج عن عزلته و جموده، و أن يوثق صلته بالشعب، و يجدد فى نظمه و طرق التدريس فيه، و يطهر الدين من الشوائب و الخرافات، و أن يعيد النظر فى الآراء الاجتهادية التى أثبت العلم بطلانها، و يعالج المشاكل التى نبتت فى العصور الحديثة و يبين حكم الدين فيها، و أن يعنى بالتقويم الخلقى و محاربة البدع و الضلالات، و الرد على ما أثاره خصوم الإسلام من شبه تتناول أصوله و فروعه، و أن يعد أبناءه للاضطلاع بوظائف الدولة، و تولى شئون القضاء و التدريس على النظم الحديثة.

و قد وضع رحمه اللّه نظاما لإصلاح المحاكم الشرعية، و مشروعا

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۰۹

لإصلاح الأزهر فى النواحى الإدارية و العلمية، و أراد أن يجدد فى منهج التدريس بطريقة عملية بارعة حببت إلى الناس طلب العلم، و غشى حلقته كثير من الأزهريين و غيرهم، كما درس التفسير و المنطق و الحكمة و الفلسفة و علم الكلام بأسلوب بليغ و عبارات جزلة فياضة. و قوة فى الدليل و الترجيح بين الآراء، و نفى ما يثبت بطلانه و عدم جدواه.

و قد ثار بعض المتزمتين من الأزهريين و المتصوفة على الشيخ و رموه بالإلحاد و الزندقة، و الخروج عما تواضع عليه العلماء و المؤلفون. و أقاموا من حوله سياجا من الشك و الشبهات، و لجوا فى معارضته و الطعن عليه، و هو صابر محتسب، يقابل أذاهم بالتسامح، و معارضتهم بالحجج الدامغة و البراهين الواضحة. و إلى هذا يشير حافظ إبراهيم فى رثائه للإمام إذ يقول:

و آذوك فى دين الإله و أنكروامكانك حتى سودوا الصفحات

رأيت الأذى فى جانب اللّه لذؤو رحت و لم تهمم لهم بشكاة

لقد كنت فيهم كوكبا فى غياهبو معرفة فى أنفس نكرات

أبنت لنا التنزيل حكما و حكمةو فرقت بين النور و الظلمات

و وفقت بين الدين و العلم و الحجافأطلعت نورا فى ثلاث جهات

وقفت لهانوتو و رينان وقفةأمدك فيها الروح بالنفحات

و إنما كان غضب بعض الأزهريين عليه لأنه كشف عن جهلهم و عجزهم عن أداء رسالة الدين و العلم- كما كان غضب الصوفية عليه لأنه سلفه طرقهم و أوضح دجلهم و تضليلهم لعقول الناس، حتى أحالوا الدين إلى خرافات و أوهام لا تتصل به من قريب أو بعيد.

و يعد الأستاذ الإمام مجدد الأدب النثرى فى العصر الحديث. و محرره من القيود التى أثقلته و جنت عليه فى العصور الوسطى. جدد الشيخ فى أسلوب النثر، و فى معانيه و موضوعاته، و امتازت كتابته بالوضوح و حسن

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۱۰

الترتيب و سلامة التراكيب، و البراءة من الغريب و الحشو و التوعر.

و المتأمل فى أدبه يراه قد تنقل فى أطوار عدة، فقد كان أول أمره يميل إلى السجع و التكلف و الصنعة، و بعض المحسنات البديعية و المصطلحات العلمية. و يستعمل ألفاظا دخيلة من اللغات الأوروبية أو التركية، ثم أخذ يتحلل من قيود الصنعة شيئا فشيئا بعد تضلعه فى

الأدب العربی، و الإکثار من قراءة الکتب القدیمة، ثم سما و عذب ورق بعد دراسته اللغة الفرنسیة و الآداب الأوروبیة الحدیثة- و قد شاعت طریقته بین المتأدبین فی هذا العصر فترسموا خطاه و ساروا علی نهجه.

مؤلفاته العلمیة و الأدبیة:

لم تدع الأحداث السیاسیة و الحرکات الإصلاحیة لدی الأستاذ الإمام متسعا من الوقت للإنتاج و التألیف، و لکنه استرق من وقته فترات ألف فیها رسالة التوحید و تفسیر جزء عم، الإسلام و النصرانیة مع العلم و المدنیة، و شرح نهج البلاغة، و مقامات البدیع، و هو فی جمیع هذه الکتب محقق، واسع الأفق، عمیق الفکرة، واضح الحجة، فخم العبارة، قوی الأسلوب.

و لم یعن الإمام بقرض الشعر مع کثرة حفظه له، و استشهاده به، و لم یسمع عنه سوی أبیات نسبت إلیه، و زعم بعض المتصلین به أنه قالها و هو یستقبل الموت، و هی:

و لست أبالی أن یقال محمدأبلّ أو اکتظت علیه المآتم

و لکن دینا قد أردت صلاحهأحاذر أن تقضی علیه العمائم

فیا رب إن قدرت رجعی قریبةإلی عالم الأرواح و انفض خاتم

فبارک علی الإسلام و ارزقه مرشدارشیدا یضیء النهج و اللیل قاتم

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۱۱

و إنما کانت عنایته منصرفة إلی النثر فی جمیع فنونه و أغراضه، و هذه نماذج منه:

۱- کتب فی رسالة إخوانیة إلی بعض أصدقائه، و فیها سجع متخیر مقبول، قال:

تناولت کتابک و لم یذکر منی ناسیا، و لم ینبه لذکرک لاهیا، فإنی من یوم عرفتک لم یغب عنی مثالک، و لا تزال تتمثل لی خلالک، و لو کشف لک من نفسک ما کشف لنا منها لفتنت بها، و لحق لک أن تتیه علی الناس أجمعین، و لکن ستر اللّه عنک منها خیر ما أودع لک فیها لتزینها بالتواضع، و تجملها بالوداعة، و لتسعی إلی ما لم یبلغه ساع، فتکون قدوة فی علو الهمة، و بذل ما یعز علی النفس من نفع الأمة، زادک اللّه من نعمه، و أوسع لک من فضله و کرمه، و متعنی بصدق ولائک، و جعلک لی عونا علی الحق الذی أدعو إلیه، و لا أحیا إلا به و له. و السلام.

۲- و کتب إلی حافظ إبراهیم حین أهداه کتاب «البؤساء»، و معه رسالة تقدیر و إطراء، فقال:

لو کان لی أن أشکرک لفن بالغت فی تحسینه، أو أحمدک لرأی لک فینا أبدعت فی تزیینه، لکان لقلمی مطمع أن یدنو من الوفاء بما یوجبه حقک، و یجری فی الشکر إلی الغایة کما یطلبه فضلک، لکنک لم تقف بعرفک عندنا، بل عممت من حولنا، و بسطته علی القریب و البعید من أبناء لغتنا.

زففت إلی العربیة عذراء من بنات الحکمة الغربیة، سحرت قومها، و ملکت فیهم یومها، و لا تزال تنبه منهم خامدا، و تهز فیهم جامدا، بل لا تنفک تحیی من قلوبهم ما أماتته القسوة، و تقوم من نفوسهم ما أعذرت فیه الأسوة، کلمة أفاضها اللّه علی رجل منهم فهدی إلی التقاطها رجلا منا، فجردها من ثوبها الغریب، و کساها حلة من نسج الأدیب، و جلاها للناظر،

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۱۲

و جلاها للطالب، بعد ما أصلح من خلقها، و زان من معارفها، حتی ظهرت محببة للقلوب، رشیقة فی مؤانسة البصائر، تهش للفهم، و تبش للطف الذوق، و تسابق الفکر إلی مواطن العلم، فلا یکاد یلحظها الوهم إلا و هی من النفس فی مکان الإلهام، فما أعجز قلمی عن الشکر لک، و ما أحقک بأن ترضی من الوفاء باللقاء.

۳- و کتب إلی أحد أصحابه و هو فی السجن کتابا یفیض بالألم، استهله بقول الشاعر:

تقلدتنی اللیالی و هی مدبرةٌکأننی صارم فی کف منهزم

ثم قال بعد قلیل:

رأیت نفس الیوم فی مهمه لا یأتی البصر علی أطرافه، فی لیلة داجیة غطی فیها وجه السماء بغمام سوء، فتکاثف رکاما رکاما، لا أری إنسانا، و لا أسمع ناطقا، و لا أتوهم مجیبا، أسمع ذئابا تعوی، و سباعا تزأر، و کلابا تنبح، کلها یطلب فریسة واحدة، هی ذات الکاتب، ذهب ذوو السلطان فی بحور الحوادث الماضیة یغوصون لطلب أصداف من الشبه، و مقذوفات من التهم، و سواقط من اللمم، لیموهوها بمیاه السفسطة، و یغشّوها بأغشیة من معادن القوة، لیبرزوها فی معرض السطوة، و یغشوا بها أعین الناظرین.

و قال فی آخره:

آه ما أطیب هذا القلب الذی یملی هذه الأحرف، ما أشد خطبه للولاء، و ما أغیره علی حقوق الأولیاء، و ما أثبته علی الوفاء، هذا القلب الذی یؤلمونه بأکاذیبهم، هو الذی سر قلوبهم بالترقیة، و ملأها فرحا بالتقدم.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۱۳

۴- و من رسالة له إلی بعض علماء الشام حین هنأه بمنصب الإفتاء، قال:

أما قومی فأبعدهم عنی أشدهم قربا منی، و ما أبعد الإنصاف منهم، یظنون بی الظنون، بل یتربصون بی ریب المنون، تسرعا منهم فی الأحکام، و ذهابا مع الأوهام، و ولعا بکثرة الکلام، و تلذذا بلوک الملام، أدعو فلا یستجیبون، و أعمل فلا یهتدون، و أریهم مصالحهم فلا یبصرون، و أضع أیدیهم علیها فلا یحسون بل یفرون إلی حیث یهلکون، شأنهم الصیاح و العویل، و الصخب و التهویل، حتی إذا جاء حین العمل صدق فیهم قول القائل:

لکن قومی و إن کانوا ذوی عددلیسوا من الشر فی شیء و إن هانا

و أقول: و لا فی الخیر

و إنما مثلی فیهم مثل أخ جهله إخوته، أو أب عقته ذریته، أو ابن لم یحن علیه أبواه و عمومته، مع حاجة الجمیع إلیه، و قیام عمدهم علیه، یهدمون منافعهم بإیذائه، و لو شاءوا لاستبقوا باستبقائه، و هو یسعی و یدأب، لیطعم من یلهو و یلعب، علی أنی أحمد اللّه علی الصبر، و سعة الصدر، إذا ضاق الأمر، و قوة العزم، و ثبات الحلم، إذا اشتد الظلم، و إن کنت فی خوف من حلول الأجل، قبل بلوغ الأمل ... الخ.

۵- و من أمثلة کتابته العلمیة قوله فی أحد فصول رسالة التوحید:

جاء القرآن فنهج بالدین منهجا لم یکن علیه ما سبقه من الکتب المقدسة، منهجا یمکن لأهل الزمن الذی أنزل فیه و لمن یأتی بعدهم أن یقوموا علیه، فلم یقصر الاستدلال علی نبوة النبی صلی اللّه علیه و سلم بما عهد الاستدلال به علی النبوات السابقة، بل جعل الدلیل فی حال النبی مع نزول الکتاب علیه فی شأن من البلاغة یعجز البلغاء عن محاکاته، و لو فی مثل أقصر سورة منه، و قص علینا من صفات اللّه ما أذن اللّه لنا، أو ما أوجب علینا أن

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۱۴

نعلم، لکن لم یطلب التسلیم به لمجرد أنه جاء بحکایته، و لکنه أقام الدعوی و برهن، و حکی مذاهب المخالفین وکر علیها بالحجة، و خاطب العقل، و استنهض الفکر، و عرض نظام الأکوان و ما فیها من الإحکام و الإتقان علی أنظار العقول، و طالبها بالإمعان فیها لتصل إلی الیقین بصحة ما ادعاه و دعا إلیه، حتی أنه فی سیاق قصص أحوال السابقین. کان یقرر أن للخلق سنة لا تغیر، و قاعدة لا تتبدل فقال تعالی: سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِی قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِیلًا و صرح سبحانه إِنَّ اللَّهَ لا یُغَیِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّی یُغَیِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْها لا تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللَّهِ.

و اعتضد بالدليل فی باب الأدب فقال (ادفع بالتی هی أحسن فإذا الذی بینک و بینه عداوة کأنه ولی حمیم)، و تآخی العقل و الدین لأول مرة فی کتاب مقدس علی لسان نبی مرسل بتصریح لا یقبل التأویل، و تقرر بین المسلمین کافة- إلا من لاثقة بعقله و لا بدینه- أن من قضایا الدین ما لا یمکن الاعتقاد به إلا من طریق العقل کالعلم بوجود اللّه و بقدرته علی إرسال الرسل، و علمه بما یوحی به إلیهم، و إرادته لاختصاصهم برسالته، و ما یتبع ذلک مما یتوقف علیه فهم معنی الرسالة، و کالتصدیق بالرسالة نفسها، کما أجمعوا علی أن الدین إن جاء بشیء قد یعلو علی الفهم فلا یمکن أن یأتی بما یستحیل عند العقل.

دفاع الشیخ عن الإسلام، و تفنید مزاعم المبشرین:

شمر الشیخ عن ساعد الجد، و انبری للمبشرین المسیحیین الذین تناولوا الإسلام بالطعن و التجریح، و سفهوا عقائد المسلمین، و حاولوا النیل من الرسول و صحبه، و شوهوا تعالیمه و مبادئه، و من ورائهم جمعیات مزودة بالمال و المطابع و الصحف، کی یزعزعوا یقین المسلمین فی دینهم، و یصدوا عنه من أراد الدخول فیه من غیر أهله- انبری الشیخ لهؤلاء جمیعا

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۱۵

و من بینهم رینان و هانوتو و إضرابهما، و أخذ یفند مزاعمهم، و یبطل حججهم و یبین أکاذیبهم و خدعهم، حتی صرعهم و فضحهم فی المجال الدولی، و عرف العالم الإسلام علی حقیقته، و قال بعض فلاسفتهم: إذا کان الإسلام کما یقول الشیخ محمد عبده فأحری بنا جمیعا أن ندخل فیه، و نستظل برایته.

کتب رحمة اللّه حین سخر هانوتو من تشریع الحج عند المسلمین، و کتب بعض الکاتبین مقالة یرد بها علیه و رأی الأستاذ الإمام أنها تحتاج إلی دعم و توضیح فکتب یقول:

یکتب بعض أرباب الأقلام من المسلمین فی حکمة الحج، و یقول:

إنه صلة بین المسلمین فی جمیع اقطار الأرض، و من أفضل الوسائل للتعاون بینهم، فعلیهم أن یستفیدوا منه- و هو کلام حق، لکن لا ینبغی أن یفهم علی غیر وجهه، فإن الغرض منه أن یذکر المسلمون ما بینهم من جامعة الدین، حتی یستعین بعضهم ببعض علی إصلاح ما فسد من عقائدهم، أو أضل من أعمالهم، و فی مدافعة ما ینزل بهم من قحط أو ظلم أو بلاء، و هو معهود عند جمیع الأمم التی تدین بدین واحد، خصوصا عند الأوربیین.

و کتب إلی الفیلسوف تولستوی حین حرمته الکنیسة لدعوته إلی التوحید:

أیها الحکیم، لم نحظ بمعرفة شخصک، و لکنا لم نحرم التعارف مع روحک، لقد سطع علینا نور من أفکارک، و أشرقت فی أفقنا شموس من آرائک، ألفت بین نفوس العقلاء و نفسک، و نظرت نظرة فی الدین مزقت حجب التقالید، و وصلت بها إلی حقیقة التوحید، و رفعت صوتک تدعو الناس إلی ما هداک إلیه اللّه.

و حقا لقد کان الشیخ محمد عبده عالما فذا، و مصلحا قدیرا،

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۱۶

و مجاهدا إسلامیا عظیما، و قد عاش مسلما صادقا، و مات و هو فی صفوف المجاهدین المؤمنین- و قد توفی رحمه اللّه فی عام ۱۳۲۳ ه، ۱۹۰۵ م و لا یزال المصلحون یترسمون خطاه إلی الیوم.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۱۷

الشیخ مصطفی عبد الرازق ۱۸۸۵- ۱۵ فبرایر ۱۹۴۷

ولـد رحمه اللّه عام ۱۳۰۴ ه- ۱۸۸۵ م بـأبی جرج من أعمـال مدیریـة المنیـا، و هو الابن الثـانی من أولاد المرحوم حسن عبـد الرازق (باشـا)، و بعـد أن أتم تعلیمه الأولی حفظ القرآن الکریم و جوّده، ثم التحق لطلب العلم بالأزهر الشـریف، و تخرج فی سـنة ۱۹۰۶، و حصل علی شـهادة العالمیة من الدرجة الأولی بین زملائه الشافعیة، و عین للتدریس فی مدرسة القضاء الشـرعی، و فی سنة ۱۹۰۹ سافر إلی فرنسا و التحق بجامعة السـربون لیضم إلی ثقافة الشـرق ثقافة الغرب، و ندبه مسـیو لابییر لتدریس بعض المباحث الإسلامیة بجامعة لیون، ثم عاد من فرنسا فی أوائل الحرب الکبری، و عین سـکرتیرا لمجلس الأزهر، و کان ذلک فی سـنة ۱۹۱۶، و فی سنة ۱۹۲۱ عین مفتشا فی المحاکم الشرعیة، ثم عین سنة ۱۹۲۷ أستاذ للفلسفة بکلیة الآداب بجامعة القاهرة، و ظل فی کرسی الأستاذیة، حتی اختیر فی سنة ۱۹۳۸ وزیرا للأوقاف فی وزارة محمـد محمود (باشا) الثانیة، اختیر عدة مرات فی وزارات مختلفة لتولی هذا المنصب، حتی انتقل المغفور له الشـیخ المراغی شـیخ الأزهر إلی جوار ربه، فاختیر لهذا المنصب و هو وزیر للأوقاف، و صدر الأمر بتعیینه شیخا للأزهر فی ۲۷ دیسمبر سنة ۱۹۴۵، و اختیر أمیرا للحج فی العام الذی توفی فیه، فکان

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۱۸

خیر مبعوث لمصر بین أبناء البلاد الإسلامیة عند البیت الحرام، و توفی فی ۱۵ فبرایر سنة ۱۹۴۷، و یقول عنه محمد فرید وجدی:

«کان الأسـتاذ الأکبر بشخصیته الممتازة، وسعة أفقه الثقافی، خیر من یدرک آثار هذا العهد فی حیاة الأمم، و أصلح من یوکل إلیه أمر التوفیق بینهما لمصـلحة الدین و الدنیا معا، فلا غرو إن ساور الهلع کل نفس تنتظر عهد الاسـتقرار و الهدوء و التقدم، لم أر فیمن قابلت من القادة و الأعلین. أکرم خلقا فی غیر اسـتکانة، و لا أهدأ نفسا فی غیر وهن، و لا أکثر بشاشة فی غیر رخوة، من الشیخ مصطفی عبد الرازق، و کل ذلک إلی حزم لا یعتوره لوث، و احتیاط لا یشوبه تنطع، و أناة لا یفسدها فتور، و إدمان علی العمل ینسـی معها نفسه، و هی صـفات کبار القادة، و علیـة المصـلحین، ممن خلقوا لمعالجة الشـئون المعقدة، و حسم المنازعات الشائکة، و التوفیق بین المطالب المتنافرة، و هذه مواقف کما تقتضی مضاء العزیمة، تحتاج إلی هوادة الأناة، و کما تستدعی سرعة البت، لا بد لها من القدرة علی إزالة الحوائـل، و قـدیما قـالوا: رب عجلـة أورثت ریثـا، و رب إقـدام جر إلی نکوص، فکـان بما حباه بارئه من هـذه المواهب النادرة، کفاء المهمـة التی وفق المسـئولون فی إسـنادها إلیه، و کنت لاـ أشک فی أنه بما جبل علیه من حب الإصـلاح، و ما اتصف به من الصـفات التی سـردناها آنفـا، سـیصل إلی حل مشـکلة الأزهر حلا حاسـما، یعیش تحت نظامه آمنا شـر العوادی، و فی منجاة من عوامل القلق و الاضـطراب، ذلک أنه بما تضـلع من إلمام بنظم الجامعات، و ما حصل من علم بمقوماتها و حاجاتها، لتمضیته فی صمیمها سنین طوالا من حیـاته طالبـا و مـدرسا، یعرف من أسـرار حیاتها و بقائها و بواعث عللها و أعراضـها، ما لا یعلمه إلا الأقلون، و الأزهر لا یخرج عن جامعـة قدیمة فی دور انتقال، تتفاعل لتتناسب و العهد الذی تعیش فیه، فهی فی حاجة إلی أن تحصل علی المقومات التی تؤاتیها بهذا التناسب، و هو لا ینحصر فی زیادة میزانیتها، و لا فی تهذیب برامج دراستها، و لکنه یتعداهما

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۱۹

إلی ما هو إیجاد المجال الحیوی لخریجیها، و هو أمر لا یسـتطاع حله إلا بعـد تمهید الطریق إلیه، و رفع العقبات دونه. و الشـیخ الراحل لما اتصف به من بعـد النظر، و تخیر الظروف، کان أجـدر الناس بإصابـة هـذا الغرض البعیـد، و لکن اللّه آثر له الـدار الآخرة، فکان ما أراد، و ترک الأمر لمن یخلفه، و للّه فی ذلک حکمة، و هو یتولی الصالحین.

و مما هو جدیر بالذکر أن جمیع مدرسی الفلسفة فی عهدنا الحاضر بجامعتی القاهرة و الأسکندریة من تلامیذه، لم تنقطع صلتهم به، و قـد أسـندت إلیه وزارة الأوقـاف مرتین، و لمـا توفی الأسـتاذ الشـیخ محمـد مصـطفی المراغی، و عز وجود من یملأـ مکـانه، أسـندت المشیخة إلیه فی ۲۷ من دیسمبر سنة ۱۹۴۵، و من مؤلفاته العدیدة:

۱- ترجمة فرنسیة لرسالة التوحید تألیف الشیخ محمد عبده، وضعها بالاشتراک مع الأستاذ میشیل، و حلاها هو بمقدمة طویلة.

۲- رسائل صغیرة بالفرنسیة عن المرحوم الأثری الکبیر بهجت بک، و عن معنی الإسلام و معنی الدین فی الإسلام.

۳- کتاب التمهید لتاریخ الفلسفة.

۴- فیلسوف العرب و المعلم الثانی.

۵- الدین و الوحی فی الإسلام.

۶- الإمام الشافعی.

۷- الإمام محمد عبده، و هو مجموعة محاضرات ألقیت فی الجامعة الشعبیة سنة ۱۹۱۹، و کلها مؤلفات تعتبر غایة فی الإفادة.

و له کتب لم تنشر، منها: مؤلف کبیر فی المنطق، و کتاب فی التصوف، و فصول فی الأدب تقع فی مجلدین کبیرین، و کان رئیسا لمجلس إدارة الجمعیة الخیریة، التی کان والده من مؤسسیها، و کان عضوا فی مجمع اللغة العربیة، و المجمع العالمی المصری.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۲۰

و فی ۲۷ مارس عام ۱۹۴۷ أقیمت حفلة لتأبینه فی جامعة القاهرة، ألقی فیها لطفی السید، و عبد العزیز فهمی، و الدکتور حسین هیکل، و منصور فهمی، و إبراهیم دسوقی أباظة، و طه حسین، و أمین الخولی، و العقاد و غیرهم کلمات و قصائد فی الإشادة بمناقبه.

و من کلمات الشیخ کلمة ألقاها بمناسبة اختیاره رئیسا فخریا لجمعیات المحافظة علی القرآن الکریم بعد وفاة الشیخ المراغی، قال فیها: القرآن مصقلة القلوب کما ورد فی الحدیث، و ما أحوج قلوبنا إلی ما یصقلها، و یجلو منها الصدأ، و القرآن هدی و نور، فهل إلا القرآن لما یغشی العالم الیوم من ظلام و ضلال؟ و القرآن من بعد هذا ثقاف للألسن، یقوم عوجها، و یصلح عجمتها، و یغذی من البلاغة مادتها، فمن عملی علی تنشئة أطفالنا علی حفظ القرآن و ترتیله و مدارسته، فإنما یصلح القلوب، و یقوم الأخلاق، و یخدم العربیة، و ما أشرف ذلک مقصدا و أعظمه نفعا! و یتقاضانا الوفاء بمناسبة أول احتفال سنوی بعد وفاة الرئیس الفخری السابق رضی اللّه عنه أن نذکر مآثره الباقیات فی خدمة القرآن الکریم: کان رحمه اللّه مسلما صادقا، و کان یحب القرآن حبا جما، و قد عنی فی أکثر دروسه الدینیة بالتفسیر فی أسلوب یلائم جلال کتاب اللّه، و یوطد أسباب فهمه لأذواق الأجیال الحاضرة، کما کان یصنع من قبل أستاذنا الإمام «الشیخ محمد عبده»، و وجه الأزهر إلی العنایة بالدراسات العالمیة لعلوم القرآن، و قد أنشأ معهد القراءات و التجوید، و المرجو أن یتابع الأزهر السیر فی هذه السبیل، فیقوی معهد القراءات و یکمله، و ینشیء إلی جانبه دراسات عالیة للحدیث و علومه، حتی یستوفی الأزهر جمیع الوسائل التی تعده لأن یکون کعبة المسلمین فی کل ما یتصل بالقرآن و الحدیث ... و فی مجلة الأزهر دراسة عن الشیخ مصطفی عبد الرازق الشاعر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۲۱

الأزهری یرد علی اسماعیل باشا

نشبت الحرب بین مصر و الحبشة فی عصر الخدیو إسماعیل .. و علی غیر ما کان یتوقع الخدیو توالت الهزائم علی مصر و تواردت الأخبار کل یوم من میادین المعارک تحمل إلیه مزیدا من الأسی و الیأس .. و الخلاف و الخلاف الذی یدب بین قواده!!

و ضاق صدر الخدیو یوما بما یتلقاه من أنباء سیئة فاستدعی شریف باشا و رکب معه محاولا أن یرفه عن نفسه .. و فجأة التفت الخدیو إلی شریف باشا و قال له:

- ما ذا تصنع حینما تلم بک ملمة ترید أن تدفعها؟!

قال شریف باشا:

- یا أفندینا إن اللّه عودنی إذا حاق بی شیء من هذا أن ألجأ إلی صحیح البخاری یقرأه لی علماء أطهار الأنفاس فیفرج اللّه عنی!

انزاح الهم عن صدر الخدیو و اتسعت الابتسامة علی وجهه .. فإذا کان الأمر کما یقول شریف باشا فبمقدوره أن یحول الهزائم إلی انتصارت دون أن یکلف خزانته شیئا!!

عاد الخديو إلى قصره و أرسل فى استدعاء الشيخ العروسى شيخ

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۲۲

الأزهر وقتئذ و طلب منه أن يجمع له جمعا من العلماء الصالحين ليقوموا بتلاوة البخارى إمام القبلة القديمة فى الجامع الأزهر بنية دفع الهزيمة عن مصر!

نفذ الشيخ العروسى أمر الخديو و جلس جمع العلماء، المختارين بعناية .. أمام القبلة يتلون البخارى أناء الليل و النهار، و لكن دون جدوى .. فالهزائم لم تتوقف ساعة واحدة .. و أخبارها تتوالى دون انقطاع!!

و استبد الغضب بالخديو فصحب شريف باشا إلى العلماء .. و قال لهم.

- أما أن هذا الذى تقرأونه ليس صحيح البخارى، أو أنكم لستم العلماء الذين نعهدهم من رجال السلف الصالح فإن اللّه لم يدفع بكم و لا بتلاوتكم شيئا؟!

و جم العلماء و لم يجد أحدهم جوابا .. و وسط الصمت الرهيب الذى ساد المكان ارتفع صوت شيخ من أخر الصف موجها حديثه للخديو:

- منك يا إسماعيل .. فإنا روينا عن النبى صلى اللّه عليه و سلم أنه قال: «لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنكر أو ليسلطن اللّه عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم»!

ركب الفزع وجوه المشايخ لهذه الجرأة من صاحبهم و توقعوا عقابا صارما يشملهم جميعا .. إلا أن الخديو لم ينبس بكلمة و سارع بالانصراف هو و شريف باشا!

التف العلماء حول صاحبهم و أخذوا فى تأنيبه و لومه .. و بينما هم كذلك أقبل شريف باشا يسأل عن الشيخ الذى رد على الخديو .. ثم صحبه معه و زملاؤه يودعونه وداع الذاهب إلى حتفه ..

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۲۳

دخل شريف باشا و معه الشيخ على الخديو فى قصره فطلب من الشيخ أن يجلس على كرسى بجواره و قال له: أعد يا أستاذ ما قلته لى فى الأزهر، فأعاد العالم قوله و شرح للخديو حديث الرسول الكريم .. فقال الخديو:

- و ما ذا صنعنا حتى ينزل بنا هذا البلاء؟

قال الشيخ:

- يا أفنديا أ ليست المحاكم المختلطة قد فتحت بقانون يبيح الربا؟

أ ليس الفجور برخصة، أ ليس الخمر مباحة ..

و أخذ يعدد للخديو أنواع المنكرات التى تجرى دون أن ينكرها أحد .. ثم قال: فكيف تنتظر النصر من السماء؟!

قال الخديو:

- و ما ذا نصنع و قد عاشرنا الأجانب و هذه مدينتهم؟!

- إذن فما ذنب البخارى و ما حيلة العلماء؟!

قال الشيخ:

سكت الخديو و أطرق طويلا .. ثم قال له:

- صدقت .. صدقت .. عاد الشيخ إلى زملائه بعد أن يئسوا من لقائه فى الدنيا، و قد رتب له الخديو مبلغا كبيرا يتقاضاه كل شهر!!!

و انتهت قصة الشيخ الذى حقق قول رسول اللّه: «لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه» ..

أما التاريخ فلم ينته .. إنه ماض فى طريقه يضع بصمته على مصير الشعوب!!

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۲۵

مفتی .. قبرص!

عاش طالبا فی الأزهر منذ سنوات و عاد هذا الشهر إلی القاهرة یحمل لقب مفتی قبرص .. خامس مفتی للأتراک رشح لمنصبه بالانتخاب فی الجزیرة الاستراتیجیة فی البحر الأبیض المتوسط .. عاد یحمل لقب دکتور فی الشریعة الإسلامیة من جامعة أنقرة .. دکتور مصطفی رفعت مصطفی ۴۳ سنة، أحد الوجوه التی اشترک لأول مرة فی القاهرة فی المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامیة فی الأزهر.

«بدأ التاریخ الإسلامی فی قبرص أیام الخلیفة عثمان بن عفان عند ما أرسل معاویة إلی الشام فی حملة استولت علی جزیرة قبرص عام ۲۸ ه.

و کانت الحملة تضم السیدة أم حرم بنت ملحان خالة النبی فی الرضاعة و التی کان النبی یجلها کثیرا و یعتبرها کأمه و کممرضة أولی فی الإسلام کما جاء فی الحدیث النبوی الشریف و عند ما تقدم الجیش الإسلامی الذی فتح الجزیرة من سواحلها الجنوبیة سقطت بنت ملحان من فوق فرسها و ماتت علی الفور و دفنت فی المکان الذی توفیت فیه و أصبح ضریحها هذا منذ ذلک التاریخ البعید مکانا مقدسا یحج إلیه المسلمین و یتبرکون به ثم جلب معاویة إلی الجزیرة ۱۲ ألفا من المسلمین و أسکنهم فیها و أنشأ مدنا إسلامیة مختلفة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۲۶

فی الجزیرة و بعد الأمویین جاء العباسیون و الفاطمیون و الأیوبیون إلی أن جاءت دولة المماليک حیث فتحوا الجزیرة و أسروا ملکها و أخذوه معهم إلی مصر و بعد مدة أعادوه ملکا علی الجزیرة عند ما تأکدوا من إخلاصه لهم و أصبح کل الملوک الذین حکموا بعده تابعین لأوامر المماليک فی مصر حتی عام ۵۷۱ عند ما استولی العثمانیون علی قبرص و بقیت تحت حکمهم و إدارتهم أکثر من ثلاثة قرون».

و جمیع الأتراک مسلمون فی الجزیرة علی مذهب السنیة و یقیمون جمیع شعائر الإسلام بل أن رکعات صلاتهم کثیرة فهی تضم الفروض و السنن المؤکدة و السنن غیر المؤکدة فمثلا رکعات صلاة الجمعة ۱۶ رکعة.

و أسماؤهم محمد و أحمد و إبراهیم و مصطفی و عائشة و أم کلثوم و فاطمة.

أکبر التزامات الأسرة التی تنجب أنثی أن تدخر من أجلها الکثیر لتقدم بها عقد زواجها منزلا مستقلا و عربة لتنقلاتها مع زوجها .. و الطفل یبدأ صلاته فی سن الخامسة و صیام رمضان فی السابعة .. المرأة غیر محجبة لکنها لا تذهب إلی الجامع بل تصلی فی بیتها .. صلواتهم و دعاؤهم باللغة العربیة الفصحی و تحیتهم «السلام علیکم».

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۲۷

مسیرة الألف عام مجلة الاذاعة المصریّة ۲۵/ ۱۱/ ۱۹۷۲

کل مسیرة تبدأ بخطوة .. کذلک بدأت رحلة الألف عام من ۱۴ رمضان سنة ۳۵۹ هجریة .. عند ما بدأ القائد جوهر الصقلی- بعد التمکین للفاطمیین فی مصر- من بناء الجامع الأزهر ..

و هذه الألف سنة، لیست عمر .. المآذن و الصحن و القباب فحسب، و لکنها عمر مصر أیضا، بکل ما تمثله من ریادة فی مختلف نواحی الحیاة الدینیة و الاجتماعیة و السیاسیة، و کمرکز إشعاع یفیض بنوره الذی یصل إلی أرکان الدنیا، فقد امتزج تاریخ الأزهر

امتزاجا عضويا بتاريخ «الشعب المصرى» على توالى الحقب و القرون، بحيث يصعب الفصل بينهما ..

و شمخ الأزهر طوال حياته المديدة و العامرة .. بوصفه أقدم و أعظم جامعة فى دنيا الإسلام، و كان أعتى المتاريس التى تصدت لكل احتلال طمع فى مصر، و معقلا من أهم معاقل القومية العربية، ثم ها هو يستجيب لدواعى التطور و أسبابه فيصبح جامعة عصرية .. تضم جنباته مختلف الكليات العلمية، و تستوعب مدرجاته طلابا من ۶۵ دولة إسلامية ..

و لم يكن دور الأزهر، مقصورا منذ البداية، على إقامة الشعائر فقط، بل كان مدرسة لعلوم الدين و الفقه .. و ارتبط فى أذهان العالم الإسلامى

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۲۸

كجامعة إسلامية .. حملت لواء الفكر الإسلامى و الإنسانى، و مشعلا من المشاعل التى أضاءت للبشرية طريقها على امتداد القرون، و لمع فى صحنه و أروقته .. كثير من الأسماء الخالدة .. التى أعطت و ألهمت و غذت مسيرة الإسلام .. مثل «ابن الفارض» .. و «ابن خلكان» و «البوصيرى»، و «ابن دقمان» المؤرخ المصرى، و «المقريزى» صاحب الخطط و «السيوفى» و له ۵۰۰ مؤلف من بينها تاريخ الخلفاء، و «ابن إياس» المؤرخ المصرى و تألق بجانب هؤلاء .. مفكرون جاءوا إلى مصر ليتلقوا العلم فى الأزهر ... مثل «ابن خلدون» .. و «ابن بطوطة» ..

و «الجبرتى».

و لا شك أن الفكر المصرى و الإسلامى .. يدين بالكثير للأزهر ..

الذى تخرج فيه «ابن الهيثم» العالم الذى يشيد بفضله الأوروبيون خصوصا فى الطبيعة و طب العيون. و «الشعرانى» إمام المتصوفة فى مصر، و مؤرخ! ... «رفاعة الطهطاوى» مؤسس الفكر المصرى الحديث ..

خصوصا فى الترجمة و الصحافة. و «الشيخ محمد عبده» و «عبد الله النديم» و «أحمد عرابى» زعيم الثورة العرابية .. و «سعد زغلول» قائد ثورة ۱۹۱۹. و «الدكتور طه حسين» .. عميد الأدب العربى ... و ..

و ..

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۲۹

و فى رسالة الدكتوراه عن دور الأزهر فى الحياة المصرية أثناء الحملة الفرنسية التى كتبها د. مصطفى رمضان

أبرز الباحث حركة علماء الأزهر قبل الحملة فى مجالين: المعارضة الدستورية فى الديوان العثمانى، مما يدل على أن علماء الأزهر شاركوا فى قضايا المجتمع، و قيادة علماء الأزهر للحركات الشعبية الثورية ضد الحكام الظالمين من العثمانيين و المماليك، و بذلك نظموا كفاح الشعب المصرى قبل مجىء الحملة الفرنسية ..

و أبرزت الرسالة شخصية الأزهر أثناء الحملة الفرنسية، و بروز الزعامة الشعبية فى مجال الدفاع الداخلى، و استشهاد عدد كبير من زعماء الأزهر:

و قد دبرت خطة لاغتيال كليبر قائد الحملة الفرنسية و كان المنفذ سليمان الحلبى، و هو من أبناء حلب بالشام.

و تتضمن الرسالة عدة نقاط أهمها:

إبراز دور الأزهر بعد الحملة الفرنسية حيث عاشت مصر فى ظل عهد من الفوضى السياسية و الاجتماعية و تعددت مراكز القوى فى البلاد و حمل الأزهر لواء المعارضة و إظهار الكيان المصرى مهما كان الثمن:

حارب الأزهر الابتزاز التركى للشعب.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۳۰

- عارض علماء الأزهر سياسة الممالك فی استغلال الشعب، و تزعموا حركة لطردهم من القاهرة سنة ۱۸۰۴.

- عند ما جاء «خورشيد» إلى الحكم، يدفعه جشع شديد لابتزاز الأموال، نظم الأزهر حركة ثورية بقيادة «عمر مكرم»، و حاصرت خورشيد بالقلعة ۱۸۰۵، و أجبرته على التخلی عن الحكم، و عينت «محمد علی» واليا على مصر، متوسمة فيه الحرص على مطالب الشعب .. و لكن «محمد علی» خان مبادیء الشعب و زعماءه، و لعب دورا فی تصفية الزعامة الشعبية، بعد أن استفاد بها فی المجالات الآتية:

جمع الضرائب و خداع المماليك و عدم السماح لهم بدخول القاهرة.

مقاومة الحملة الانجليزية بقيادة فريزر عام ۱۸۰۷.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۳۱

حوار بين العلماء و الوالی

فی عام ۱۸۹ جاء إلى مصر وال تركی جديد هو «أحمد باشا» المعروف بكور وزيرا و كان الوزير كما يقول الجبرتی من «أرباب الفضائل و له رغبة فی العلوم الرياضية ... و قابله صدور العلماء فی ذلك الوقت و هم الشيخ عبد الله الشبراوی شيخ الجامع الأزهر، و الشيخ سالم النفراوی و الشيخ سليمان المنصوری، فتكلم معهم و ناقشهم و باحثهم ثم تكلم معهم فی الرياضيات فأحجموا و قالوا: لا نعرف هذه العلوم فتعجب و سكت».

و يواصل الجبرتی رواية هذه الحادثة الهامة الطريفة معا «فی الجزء الأول من عجائب الآثار ص ۱۹۴، و قد نقل الدكتور حسين فوزی النجار هذه الفقرة عن الجبرتی فی كتابه عن رفاعة الطهطاوی ص ۹» .. يقول الجبرتی:

إن الشيخ الشبراوی دخل على الباشا فی يوم جمعة يحادثه كعادته فقال له الباشا: المسموع عندنا بالديار الرومية أن مصر منبع الفضائل و العلوم و كنت فی غاية الشوق إلى المجیء إليها، فلما جئتها وجدتها كما قيل: تسمع بالمعيدی خير من أن تراه، فقال له الشيخ هی يا مولانا كما سمعتم معدن العلوم و المعارف: فقال و أين هی و أنتم أعظم علمائها و قد

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۳۲

سألتكم عن مطلوبی من العلوم فلم أجد عندكم منها شيئا، و غاية تحصيلكم الفقه و المعقول و الوسائل و نبذتم المقاصد، فقال له: نحن لسنا أعظم علمائها و إنما نحن المتصدرون لخدمتهم و قضاء حوائجهم عند أرباب الدولة و الحكام، و غالب أهل الأزهر لا يشتغلون بشیء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة الموصلة إلى علم الفراض و المواريث كعلم الحساب و الغبار فقال له: و علم الوقت كذلك من العلوم الشرعية بل هو من شروط صحة العبادة كالعلم بدخول الوقت و استقبال القبلة و أوقات الصوم و الأهلة و غير ذلك فقال: نعم معرفة ذلك من فروض الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، و هذه العلوم تحتاج إلى لوازم و شروط و آلات و صناعات و أمور ذوقية كرقة الطبيعة و حسن الوضع و الخط و الرسم و التشكيل. و الأمور العطاردية، و أهل الأزهر بخلاف ذلك غالبهم فقراء و أخلاط مجتمعة من القرى و الآفاق فيندر فيهم القابلية لذلك، فقال: و أين البعض، فقال: موجودون فی بيوتهم يسعى إليهم، ثم أخبره عن الشيخ الوالد «يقصد أباه الشيخ حسن الجبرتی» و عرفه عنه و أطنب فی ذكره، فقال التمس منكم إرساله عندی، فقال يا مولانا إنه عظيم القدر و ليس هو تحت أمری فقال: و كيف الطريق إلى حضوره؟ قال: تكتبون له ارسالية مع بعض خواصكم فلا يسعه الامتناع ففعل ذلك، و طلع إليه و لبی دعوته و سر برؤياه و اغتبط به كثيرا و كان يتردد عليه يومين فی الجمعة و هما السبت و الأربعاء، و أدرك منه مأموله و واصله بالبر و الإكرام الزائد».

ثم يقول الجبرتی بعد ذلك «و كان المرحوم الشيخ الشبراوی كلما تلاقى مع المرحوم الوالد يقول له: سترك اللّه كما سترتنا عند هذا الباشا فإنه لو لا وجودك كنا جميعا عنده حمير».

هـذه هی القصـة الواقعیـة التی یرویها الجبرتی عن مصـر فی منتصف القرن الثامن عشـر، فمصـر آنذاک لم یکن فیها سوی عالم واحد استطاع

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۳۳

باجتهـاده الخاص أن یتعلم بعض أصول الریاضـیات، أما بقیـة علماء مصـر فلم یکونوا یعرفون أکثر من العلوم التی تـدور حول اللغـة و الدین مثل الفقه و النحو و ما إلی ذلک.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۳۵

الأزهر أکسفورد الشرق

تـذکرت الأـزهر .. و أنـا أطوف فی أرجاء «أوکسـفورد» .. صور الأساقفـة ذکرتنی بشـیوخ الأزهر الـذین عاصـروا الحملـة الفرنسـیة، و سجنتهم الثورة الفرنسیة فی القلعة، و انتهز فنان الجیش المناسبة، فخلدهم فی لوحات، قبیل إعدامهم أو جلدهم أو تغریمهم.

المدینـة حول الجامعـة، یعیش فیها الطلاب و الأساتذة، ذکرتنی بجو الأزهر فی عصور سالفة .. یوم کان قلب القاهرة النابض یعیش فیه العلماء فی منازل مسـتقلة، طابقها الأسـفل مفتوح باسـتمرار للضـیوف من العلماء أو الطلبة (المجاورین) یتجادلون و یتبادلون المعرفة و الأحاجی ..

القاعات و الخزائن و الردهات، و بقایا مساکن الطلبة فی القرون الماضیة کلها منقولة عن أروقة الأزهر ..

«فأوکسـفورد» التی قـامت بعـد الأـزهر بقرنین .. إنما أنشـئت علی نظام الأزهر و وفق تقالیـده، بل و بکتب مترجمـة عن مؤلفات علماء الأزهر، بعد أن عاد الصلیبیون من الشرق، و قد تعلموا عادتین: الاستحمام و العلم ...

و حملوا أول ورقة کتابة إلی أوروبا من إنتاج مصانع الورق العربیة!.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۳۶

فلـم تکـن «أوکسـفورد» فی البدایـة، إلاـ مکانـا یلتقی فیـه بعض العـارفین، ببعض الراغـبین فی المعرفـة ثم تطـورت إلی جامعـة لعلـوم اللاهوت، تنقسم إلی أروقة لکل رواق «ماستر» أو «شـیخ الرواق»، کما کان الحال فی الأزهر، و یسـکن فیها الطلبة الذین کان سـنهم لا یزید علی ۱۳ سنة عند الالتحاق .. و قد استمر نظام الأروقة حتی القرن الخامس عشر ..

و لکن الکلیات کانت قد ظهرت منذ أواسط القرن ال ۱۳ بینما استمر نظام الأروقة فی الأزهر إلی القرن العشرین.

و کان لکل رواق شـیخ .. یضم الرواق أبناء جهـة واحدة، فهناک رواق للمغاربة و رواق للشوام، و آخر للصـعایدة .. و کان لکل رواق جرایة (أی راتب) خاصة، یوقفها علیه الأمراء و الأغنیاء، و نفس النظام فی «أوکسفورد» ..

و کانت الجرایـة فی الأزهر تـدفع خبزا، و هی درجات: رغیفان للطالب المنتسب، و الـذی یتحقق انتسابه بحصوله علی خزانة یضع فیها کتبه، و انتسـابه إلی رواق ینـام فیه، و جرایـة «أوتوزبیر» (اسم مملوک) و هی أربعـة أرغفـة لاـ تعطی إلاـ لمن یجتاز امتحانا خاصا .. و جرایة زینب هانم خمسة و عشـرون رغیفا .. و تعطی للعلماء .. و کانت هناک جرایات نقدیة بعضها یصل إلی ثلاثمائة جنیه فی السنة، و أبطل الجرایة الشیخ المراغی ..

و هـذه الوقفیات، مکنت الأساتـذة من التفرغ للعلم، و العیش مع الطلبـة .. و کانت الدراسة حرة علی أحدث النظم الجامعیة الحالیة، أو بمعنی أصح، کما نقلت النظم الجامعیة المعاصرة عن الأزهر ..

فالأسـتاذ ذو الکرسـی .. أو بتعبیر العصـر القـدیم: «مـن له عـامود فی الأـزهر» هـو الـذی امتحنته لجنـة من العلمـاء .. و أجـازت له حق التدریس، و یتم الامتحان علنا أمام جمهور من الطلبة، و علی ید لجنة من شیوخه ..

فإذا جاز الطالب الامتحان سمح له بأن یضع مقعدا بجوار أحد أعمدة

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۳۷

المسجد و بدأ فى تلاوة درسه، و ينضم لحلقته من يشاء من الطلبة الذين يحضرون ما يحلو لهم من دروس بلا تقييد .. و يتقدمون للامتحانات متى وجدوا فى أنفسهم استعدادا .. و كانت تدرس فى الأزهر شتى العلوم من الفقه إلى ضرب العود و الكمان كما كان يفعل الشيخ العطار فى مطلع القرن التاسع عشر ..

أبراج الكنائس التى يعتليها طلبة «أوكسفورد» فى شهر مايو (أيار) من كل عام يتلون من فوقها صلاة لاتينية تمجد الثالوث المقدس .. ذكرتنى بمآذن الأزهر التى كان يعتليها المجاورون (الطلبة) يتلون الابتهالات و المدائح النبوية فى أيام الرضا .. و يكبرون فى غير أوقات الصلاة، إذا ما نشب خلاف بين الأزهر و سلطات المدينة، أو قاد الأزهر ثورة الأهالى ضد استبداد السلطة .. تماما كمعارك طلاب «أوكسفورد» و «كمبريدج» مع سلطات المدينة منذ سبعة قرون .. لقد نشأت أوكسفورد فى القرن الثانى عشر .. بينما وضع حجر الأساس فى بناء الأزهر فى نيسان (ابريل) ۹۷۰ و تم بناؤه فى حزيران (يونيو) ۹۷۲، أى أنه أكمل ألف عام .. شهد فيها الفصل الدرامى من تاريخ حضارتنا .. تألقها .. فجمودها .. ثم انهيارها ..

و لا شك أن كل الذين قارنوا بين تاريخ الأزهر، و «أوكسفورد»، و عرفوا كيف قامت جامعات أوروبا الحديثة على غرار الأزهر و وفق نظمه، بل و بالمعرفة التى نقلتها أوروبا عن الأزهر.

يدركون أن أقدم كتاب فى جامعة «أوكسفورد» مكتوب سنة ۱۳۷۹ ..

و عند ما جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر- و هى أكبر فصل فى تاريخ الأزهر كمؤسسة قيادية- كان أحدث الكتب التى تدرس فيه قد كتبت حول هذا التاريخ! ..

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۳۸

فالأزهر كان ذروة تألق حضارة بدأت رحلة الانهيار .. أما «أوكسفورد»، فكانت بداية حضارة جديدة فى طريق النمو و الازدهار ..

فنمت الجامعات مع المجتمع النامى من حولها.

عند ما بنى الأزهر كانت الحضارة العربية قد امتلكت كل أسس المعرفة اللازمة لانطلاق الثورة الصناعية، لو لا أن هب على العالم الإسلامى اعصاران .. الحروب الصليبية، ثم الخراب المغولى .. فتحول المجتمع المدنى المتحضر، إلى مجتمع عسكرى خشن .. و تراجع العلماء ليحكم العسكر .. و حشدت موارد البلاد و استنزفت فى القتال .. و أحرقت المدن و المزارع و كل آثار الحضارة على يد الفاتح المتقدم، أو المنهزم المنسحب ..

و انتقلت شعلة الحضارة من الشرق المغزو، إلى الغرب الغازى و هناك افرخت و نمت، و تطورت إلى الحضارة الحديثة ..

و كان الثمن فادحا:

تخلفت مسيرة الحضارة العالمية، حوالى خمسة قرون، قضتها أوروبا فى النقل الحذر المستريب للعلوم الإسلامية مع حصر المعرفة بها فى دوائر خاصة .. ثم التوسع فى الترجمة و الدرس و الفهم و التمثل و أخيرا التطور .. و لو استمرت شعلة الحضارة فى النمو على شواطئنا، لما كانت هناك هذه الفجوة ..

كذلك اقترن النمو الحضارى الجديد بالاستعمار، و لو مضت حضارتنا فى نموها لما كانت البشرية قد عرفت الاستعمار، و لا كان التخلف قد فرض على ثلاثة أرباع شعوب العالم، من أجل تقدم و رفاهية الربع ..

فحضارتنا لم تعرف الاستعمار، بل قامت مراكز المدنية و الرفاهية فى كل البلدان، و على قدم المساواة، و وفق إمكانات كل بلد، و لعل أقلها حظا كانت الجزيرة، بلاد الفاتحين ..

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۳۹

ألف عام .. بدايتها الأزهر .. الجامع الجامعة، و الأصل فى المسجد أنه جامعة .. و من المسجد و فى المسجد ظهر و نبغ كل العلماء، و

درست كل العلوم ..

و إن كان الجيل المعاصر، يحفظ أسماء طلاب أوكسفورد و كمبريدج عن ظهر- قلب من اسحق نيوتن إلى سبنسر، و جون ميلتون .. فليسمحوا لنا فى الذكرى الألفية للأزهر أن نقدم لهم أحد العلماء الذين درسوا فيه سنة (١٠٣٨) .. تعرفنا به كاتبة ألمانية هى الدكتورة «سيجريد هونكة» فتقول:

«إن الحسن بن الهيثم توصل إلى نظرية فى علم الضوء خاصة بالأشعة و انكسارها كانت نقطة تحول فى أبحاث الطبيعة و بخاصة علم الضوء .. و هو الذى أثر فى أوروبا تأثيرا بعيدا و عرفته باسم «الهزن» و كان أشهر الأساتذة العرب الذين أخذوا بيدها فى هذا المضمار من البحوث. فقد وضع نظرية حول حركة الأفلاك .. و قد ظلت هذه النظرية تدرس بغير تعديل فى أوروبا أربعة قرون، فوجدت مائدة فى ألمانيا محفورة سنة ١۴٢٨ عليها نظرية «الحسن» فى حركة الأفلاك».

«و قد نقد الحسن سنة ١٠٣٨ نظرية اقليدس و بطلميوس فى علم الضوء، فقال: إن الأجسام المرئية هى التى يصدر منها شعاع الضوء فتراه العين و ليس العكس». «و كانت هذه النظرية قفزة فى علم الضوء. و هو مؤسس العلم التجريبى و ليس روجيه بيكون أو باكوفون فرولام أو ليوناردو دهفينشى أو جاليليو .. و أصبح اسم الحسن بن الهيثم هو النجم الذى أضاء الطريق و مهد لقيام الأبحاث الحديثة بعد أن سبق أوروبا إليها» ... و هو الذى فسر خسوف الشمس و القمر، و اكتشف أن القمر جسم مظلم بعكس النجوم، و هو أول من اخترع صندوقا للضوء يشبه آلة التصوير، و هو أول إنسان رأى صورة العالم مقلوبا من خلال مرور الصورة فى جهازه العجيب .. و هو الذى فسر انكسار الضوء فى الهواء و الماء و استطاع تحديد

الأزهر فى ألف عام، ج٣، ص: ٣۴٠

ارتفاع الطبقة الهوائية المحيطة بالكرة الأرضية. «و الجدير بالذكر أنه توصل إلى تحديدها بدقة، و عرف أنها خمسة عشر كيلومترا» ..

«و فسر قوس قزح الذى عجز أرسطو عن تفسيره، و اخترع أول نظارة للقراءة .. و حتى يومنا هذا تعرف فى جامعات أوروبا المسألة المعقدة المتصلة بالإلمام بالطبيعة و الرياضة معا و التى حلها الحسن بن الهيثم بمعادلة من الدرجة الرابعة أظهرت نبوغه الرياضى فى الجبر .. إذ حسب البعد البؤرى لمرآة مقعرة .. تعرف هذه المسألة باسم «مسألة الهزن» (الحسن)».

و كتابه المتضمن لهذه النظريات لا وجود له بالعربية، بل بقت ترجمته اللاتينية .. ضاع الأصل العربى مع ضياع الحضارة، و نفى العالم العربى و كتابه: «كتاب المناظر» إلى أوروبا حيث ساهم فى بناء العلم الحديث.

و إذا كانت جامعة «أوكسفورد» قد بدأت مكتبتها بكتابين لا زالا مربوطين بالسلال إلى الآن كما كان وضعهما فى القرن الثالث عشر .. فإن مكتبة الأزهر فى القرن العاشر كان بها مليون و ستمائة ألف كتاب .. و لكن الانهيار الحضارى جعل الخليفة يسدد مرتبات الجند و الموظفين بالكتب ..

و كان «الفرنجة» يشترون هذه الكتب بالرطل، و ينقلونها إلى كنائس و أديرة .. فجامعات أوروبا.

فالأزهر لم يبدأ بالفقه و النحو و العروض وحدهم كما يتصور البعض، بل كانت تدرس فيه كل علوم العصر، من علوم الدين و الفلسفة و المنطق إلى الرياضيات و الطب و الهندسة و الفلك .. و استمر الحال على ذلك رغم التدهور الحضارى .. ذلك أن الإسلام، بطبيعته، يحتم دراسة حد أدنى من العلوم التطبيقية، فنظام الميراث يحتم دراسة الحساب بل و يقود إلى الجبر و كذلك الزكاة، و ضبط الكيل و الميزان يفتح الباب لدراسة الأثقال و الحجوم و الروافع و خواص المواد التى تصنع منها. و مراقبة الهلال لمعرفة

الأزهر فى ألف عام، ج٣، ص: ٣۴١

أوائل الشهور و دراسة حركة الشمس و الظل لتحديد مواقيت الصلاة، و تحديد العدة، و القبلة .. كلها تحتم دراسة الفلك و تقسيم الزمن، و تفتح الباب لدراسات عن الجغرافيا و الهندسة و الطب، و قادت إلى اكتشاف البوصلة.

و قد تمركزت الزعامة الشعبية فى العلماء، و كان الأزهر هو مركز القيادة الشعبية، و حلقة الوصل بين السلطة و العامة، و قائد مقاومة

الجماهير ضد استبداد السلطة و انحرافها .. و قد سلمت السلطة بهذه المكانة لشيوخ الأزهر، و التفت الجماهير حول الشيوخ .. الذين قادوها فى أكثر من معركة سجل منها تاريخ القرن الثامن عشر معارك تتعلق باستقلال الجامعة الأزهرية، فعند ما حاول السلطان و الأمراء تعيين شيخ للأزهر من المذهب الحنفى، و هو المذهب الرسمى للدولة، رفض الشيوخ، لأن ذلك اعتداء على استقلال الأزهر، و العرف المقرر فيه أن يكون شيخ الأزهر شافعيا ..

و فشلت كل جهود الدولة فى حماية مرشحها و مذهبها الرسمى، و انتصرت إرادة المشايخ .. و إذا كان عمدة «أوكسفورد» قد أحرق كل وثائق الملكية الخاصة بعلماء و طلبة جامعة «أوكسفورد» عام ۱۳۸۱ .. فإن علماء الأزهر فى ذلك التاريخ كانوا يملكون بيع سلطان مصر فى المزاد العلنى (حادثة العز بن عبد السلام) .. و بعد ذلك بأربعة قرون (۱۷۳۵) حاول السلطان العثمانى أن يعيد تنظيم الأوضاع المالية، بما يشكل اعتداء على الحقوق المكتسبة لبعض الفئات، و ليس المشايخ منهم. فاعترض المشايخ و ألغوا قرار السلطان معلنين أنه «ليس من حق السلطان تجاوز التشريعات لقائمة». و كان ذلك قبل سقوط الباستيل بنصف قرن و قبل أن يفكر عقل فى لقارة الأوروبية بتحدى سلطة الملوك الإلهية.

و أخيرا قاد المشايخ ثورة فلاحين لانتزاع أول دستور مكتوب ..

۱۷۹۴ .. فى الوقت نفسه الذى كان العامة فى فرنسا يبحثون هل دم لأمراء أزرق؟).

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۴۲

فعند ما جاء نابليون بأول احتلال غربى للوطن العربى .. كان الأزهر هو القلعة التى اصطدم بها، بعد انهيار المؤسسة العسكرية (المماليك)، و قاد الأزهر المقاومة العربية ضد الاحتلال الفرنسى، فكانت ثورة القاهرة الأولى، التى قادتها لجنة من مشايخ الأزهر بقيادة الشيخ السادات استطاعت أن تشكل تنظيما دقيقا يمتد من صحن الأزهر إلى أصغر قرية فى الريف المصرى، و هو تنظيم عجز العالم العربى عن تكرار مثله لأكثر من قرن بعد تنحى الأزهر .. و عرف نابليون، ممثل الثورة الفرنسية، خصمه الحقيقى، فصب هجومه على الأزهر، و ضرب المسجد .. الجامعة .. القيادة ..

التراث .. التاريخ .. و أهم من ذلك أنه كان إمكانية المستقبل .. ضرب ذلك كله بالمدافع، و احتله الجنود و دخلته الخيل لأول مرة فى تاريخه ..

معلنة هزيمة الحضارة التى يمثلها ..

و أصدر نابليون أمره بأن «يباد كل من فى الجامع»، و دخلت الجند المسجد: «و هم راكبون الخيول، و بينهم المشاة كالوعول، و تفرقوا بصحنه و مقصورته و ربطوا خيولهم بقبلته، و عاثوا بالأروقة و الحارات، و كسروا القناديل و السهارات، و هشموا خزائن الطلبة و المجاورين، و الكتبة. و نهبوا ما وجدوه من المتاع، و الأوانى و القصاع، و الودائع و المخبآت بالدواليب و الخزانات، و رشقوا الكتب و المصاحف و على الأرض طرحوها، و بأرجلهم و نعالهم داسوها، و أحدثوا فيه و تغوطوا، و بالوا و تمخطوا، و شربوا الشراب، و كسروا آوانيه، و ألقوها بصحنه و نواحيه، و كل من صادفوه به عروه و من ثيابه أخرجوه».

و أعدم نابليون ثمانين شيخا من قيادة الثورة ..

صحيح أن عدوان نابليون على الأزهر، قضى على كل آماله فى الشرق، و لكنه أيضا كشف للأمة العربية أنها عزلاء، لا تستطيع حماية قيادتها، و مقدساتها ..

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۴۳

و أصبحت القضية مطروحة على النحو التالى: من وجهة نظر الاستعمار الغربى .. لا بد أن تتحطم قيادة الأزهر لكى تخضع الأمة العربية للاستعمار.

و من وجهة نظر الأمة العربية، لا بد من حركة بعث قادرة على مواجهة الغرب الاستعمارى.

و أدرک الاستعمار أن تحطیم الأزهر بالمدافع لا یجدی .. فبعد ضربه و احتلاله فی الثورة الأولی، عاد و نظم ثورة القاهرة الثانیة (۱۸۰۰)، و هی الثورة الکبری المعروفة.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۴۵

الأزهر و أثره فی الحیاة الإنسانیة

إن الأزهر الشریف یرجع فی قیامه إلی ألف سنة مضت. و قام لیؤدی رسالة و یحتفظ بتراث. أما الرسالة فهی تنویر المسلمین بمبادیء الإسلام. و أما التراث الذی یحتفظ به فهو تراث المسلمین العقلی و الروحی و الأدبی علی السواء.

و ظل یقوم بهذه الرسالة و یحتفظ بهذا التراث طوال هذه المدة الطویلة التی مضت علی قیامه. و قد مرت به أحداث، و عاصر ظروفا و خرج من هذه و تلک دون أن یفقد هذه الرسالة، و دون أن یبدد هذا التراث.

فهو مدرسة و سجل للتاریخ معا. تری فی بحوثه و دراساته آثار المسلمین الذهنیة، و تسمع من خلال هذه الآثار مبادیء الإسلام کما ذکرنا.

و لأنه قام لمهمة مرتبطة بالبحوث الإسلامیة کان لا یحتک به من الأحداث إلا تلک التی تتصل بکیان الأمة الإسلامیة و الشعوب العربیة، و فی مقدمة هذه الشعوب شعب الاقلیم المصری.

و التحول الذی طرأ علی التوجیه فیه من أنه کان مدرسة لتعالیم

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۴۶

الفاطمیین ثم تغیر الوضع فیه إلی أن یکون التوجیه الذی یباشره یتصل بتوجیه أهل السنة- هذا التحول لا یغیر من مهمته الأصلیة و هی العنایة بنشر مبادیء الإسلام و الاحتفاظ بتراث المسلمین العقلی و الروحی. و لذا فمحاولة وضع هوة فی تاریخه بین عهدین له، و إبراز مراحل تطوره علی أنه کان لاتجاه معین انقلب إلی ضده فیما بعد- لا تقلل من شأن رسالته فی واقع الأمر من حیث أنها رسالة الأمة الإسلامیة و الشعب العربی.

و الأزهر بما له من هذا الماضی الطویل و بما وضع لنفسه من رسالة احتل فی العالم الإسلامی منزلة کبیرة و خالدة فی الوقت نفسه. و أصبح مرکز تنویر المسلمین بمبادیء دینهم و أصبح أمر الاحتفاظ بالتراث الثقافی و الروحی و الأدبی للمسلمین مرتبطا ارتباطا قویا بمهمة الأزهر و بما یباشره من وظیفة و رسالة.

و إذا کان قد مرت علی الأزهر أحداث تأثر بها و هی الأحداث التی تتصل بالوطن الإسلامی أو العربی، و إذا کانت هذه الأحداث قد غیرت من اتجاهه و تحول بسببها من جانب إلی جانب، فإن الشیء الذی یمکن الوقوف عنده فی تاریخه هو سیر الحرکة العلمیة و تغیر طریقة البحث و الدرس فیه. فحرکة التألیف العربی التی وجدت فی آخر القرن الأول الهجری و ازدهرت فی القرنین التالیین له مالت رویدا رویدا إلی الضعف من جانب و الرکود من جانب آخر، و کان للأحداث الخارجیة و هی أحداث المغول و التتار فی الشرق و أحداث الصلیبیین من الغرب أثر آخر بجانب ما لضعف حرکة التألیف و رکود النشاط فیه. و هذا الأثر سواء أ کان عن طریق الأحداث الخارجیة أم طریق العوامل الداخلیة و المحلیة هو تقویة روح التبعیة للخصومات المذهبیة و للمؤلفین فیما کتبوا فی العهود المتأخرة فی تاریخ التألیف العربی.

و الأزهر عند ما قام یؤدی رسالة تنویر المسلمین اعتمد فی ارسال

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۴۷

إشعاعه و فی بحوثه و نشر تعالیمه علی قسط کبیر من کتب أولئک المؤلفین الذین تأخر بهم الزمن فی تاریخ التألیف و تأثروا بموجة الضعف و الرکود الداخلیة و الخارجیة. و لأن مهمة الأزهر تتصل بالدین، أخذ خصیصة التقالید و هی عدم قبوله لمبدأ التطور لا فی

الدين نفسه و لكن فيما صنعه الإنسان المسلم المفكر حول الدين و فيما سطره من آراء يخرج بها بعض أفكاره. و هنا كان تقبل الأزهر للخروج عن نطاق هذه الكتب التى تمثل ظاهرة الضعف و الركود الفكرى فى تاريخ التأليف العربى أمرا ليس هينا، و إن تقبل مبدأ التغير و الانتقال من عهد إلى عهد فى التعرف على مبادىء الإسلام و آراء المسلمين فإنه يتقبلها فى احتياط و فى بطء.

و من ثم كانت مسايرة الأزهر- لا أقول لمبدأ التطور، و إنما أقول لفكرة الانتقال من عهد إلى عهد فى تاريخ التأليف العربى، أى الانتقال من عهد الضعف و الركود مثلا إلى عهد القوة و الأصالة فى العصور السابقة على هذا العهد- مسايرة تجمد تارة و تبطىء فى سيرها تارة أخرى.

و من هنا كان لتوجيهه أثر على الشعوب الإسلامية ينعكس فى هذا الأثر ما يتلزمه هو فى دائرة التوجيه من الركون إلى آراء معينة أو الوقوف فى استمداد التعاليم الإسلامية من بعض مصادر التأليف فى الحقبة الأخيرة.

و بمقدار ما يتحرك الأزهر فى دائرة التأليف العربى الإسلامى بمقدار ما يكون لتوجيهه من أثر إيجابى أو سلبى.

و الحركات الإصلاحية التى قامت فيه و التى باشرها بعض شيوخ الأزهر من أمثال الشيخ محمد عبده لم تقصد إلى الخروج عن دائرة التراث الثقافى و الروحى للمسلمين كلية. و إنما قصدت إلى شىء واحد هو محاولة الانتقال- كى يفهم الإسلام فهما صحيحا- من عهد الركود إلى عهد الإمامة و الأصالة فى تاريخ التأليف العربى الإسلامى. إذ أن تأليف المتقدمين من علماء المسلمين كان أقرب إلى أصول الإسلام و إلى التعبير عما يهدف إليه القرآن مما كان للمؤلفين المتأخرين.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۴۸

و هذا معناه أن يكون للعالم الأزهرى فرصة فى اختيار الرأى من بين آراء المسلمين. كما تكون له فرصة عرض بعض آراء المسلمين اعتمادا على القرآن الكريم و السنة الصحيحة. و أى الآراء من بينها أقرب إلى روح القرآن و السنة الصحيحة هو أقواها وضوحا فى التعبير عن رأى الإسلام و أكثرها قبولا للمسلم فى حياته اليومية.

و النتيجة الحتمية لهذه الحركة الإصلاحية هى وضع العلماء فى مواجهة القرآن وضعا مباشرا دون وسيط يلتزم رأيه و ينفذ حكمه على أداء القرآن لأحكام اللّه و للطريق العملى الذى يسلكه المسلم. و هنا يكون مبدأ التوجيهات حقيقة واقعية يمارسها القادرون فى فهم القرآن أو تحت ضوء القرآن و ضوء السنة الصحيحة.

و بمقدار ما تعبر التعاليم التى يرسلها الأزهر إلى خارجه فى نطاق الشعوب العربية و الإسلامية بمقدار ما تتحقق روح الإسلام فى حياة المسلمين. و روح الإسلام هى روح الإنسانية الصافية فى معاملة المسلم للمسلم و معاملة المسلم لغير المسلم من أهل الكتاب و معاملة المسلم لمن ليس بذى دين أو لمنكر الدين و الإيمان.

و معاملة المسلم للمسلم- كما تملى روح الإسلام- هى معاملة الأخ للأخ و الصديق للصديق و معاملة الإنسان للإنسان فى دائرة دفع الأذى و الضرر و تحقيق السلم و الرخاء العام. و معاملة المسلم لغير المسلم ممن ليس بذى دين أو لمنكر الدين هى معاملة الإنسان لمن يتحدى خصائص الإنسانية و يتحدى علاقة السلم و تبادل النفع و الرخاء بين الناس جميعا. إذ الذى ينكر الدين و الإيمان باللّه ينكر على البشر أن يسلكوا طريق الحق، و سبيل الاستقامة و سبيل الإنسانية مذعنين لتوجيه القادر العليم مدبر الكون كله.

ينكر على البشر أن يطيعوا اللّه خشية منه، و يحرضهم فى الوقت نفسه على أن يتمردوا على القيم البشرية بدعوى ممارسة الحرية الفردية، أو بدعوى

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۴۹

سمو الإنسان عن خالقه، أو بدعوى الاستجابة لوحى الطبيعة و ما تمليه من توجيه و ما ترسمه من قدر و مصير.

و الإنسان مهما سما فى تفكيره و إدراكه لا يصل إلى تحديد المنهج المستقيم تحديدا واضحا لا خلط فيه، أو تحديدا مستمرا صالحا لجماعة معينة فضلا عن أن يكون صالحا لجماعات و شعوب كثيرة. و الطبيعة أن ترك الإنسان نفسه يطيع ما ترسمه من توجيه فإنها

ستجعله يطيع دوما ما تمليه مظاهر الحس المختلفة و عندئذ يكون شأن الإنسان شأن الحيوان فى تبعيته لما يحس و عدم ارتفاعه عن هذا الذى يحس للسيطرة عليه و توجيهه.

و من هنا كان أثر الأزهر الدينى فى توجيه المسلمين أثرا إيجابيا فى علاقة المسلم بالمسلم، و فى علاقة المسلم بأهل الكتاب، و فى موقف المسلم من الالحاد و التحدى بإنكار الإيمان، ما يعبر فى تعاليمه التى، ينشرها عن الإسلام فى صفاء آرائه و وضوح هدفه.

أما الأثر الأدبى للأزهر و رسالته فهو خدمة الإنسانية و خدمة المستوى الفاضل لها. فالإسلام إذا سار المسلمون على مبادئه يكون من الدعائم القوية فى تركيز خصائص الإنسانية فى نفوس البشرية. فهو رسالة كرسالة اللّه فيما أوحاه إلى موسى و إلى عيسى عليهما السلام تساوق الطبيعة الإنسانية فى أخص صفاتها و مقوماتها. و أخص هذه الصفات و المقومات التى تدعو إليها الرسالة الإلهية هى: المحبة، الأخوة، السلام. و لا شك أن هذه الغايات لا تتحق إلا إذا ارتفع الإنسان عن مستوى الخصومة و مستوى الحقد و الضغينة بسبب التهالك على المادة أو بسبب الانطواء تحت مظاهر الحس التى يدعو إليها الالحاد، و يدعو إليها التحدى للإيمان.

و الدين الإلهى لذلك ضرورة لضمان تحقيق هذه الأهداف الثلاثة فى حياة الإنسان. و إذا ما تحققت هذه الأهداف فى حياة الإنسان أصبحت البشرية فى أوضح مظاهرها حقيقة عملية، و بالتالى أصبح الناس سعداء لأن

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۵۰

الشر أو الشقاء لا يكمن إلا فى الخصومة و فى القلق و الاضطراب و الحيرة.

و ليس من أسباب الخصومة و القلق و الاضطراب و الحيرة سوى تنافس الناس على ما فى أيدى بعضهم بعضا، و هنا كان الطمع و الجشع أمرا مكروها لذلك فى كل رسالة إلهية. و كان البر و الإحسان أمرا مطلوبا فى كل رسالة إلهية.

إن رسالة الأزهر فى تمكين السلام العالمى و استقرار النفوس البشرية و توكيد الترابط الأخوى و الإنسانى و دفع شرور الالحاد و تحدى الإيمان باللّه، و هو لذلك ضرورة فى حياة مجموعة الشعوب العربية و الإسلامية كضرورة الدين نفسه فى حياة الإنسانية.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۵۱

قرارات لمؤتمر البحوث الإسلاميّة

فى الدورة الثانية لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الذى عقد بالأزهر و استمر شهرا كاملا .. كانت هذه الدورة مقصورة على أعضاء المجمع فى المؤتمر الذين عهد إليهم بدراسة صورة المجتمع الإسلامى. و انتهت الدراسات إلى حصر المشكلات التى تواجه المجتمع الإسلامى المعاصر تحت أربعة عناصر رئيسية هى: مقاومة العدو المشترك للإسلام و المسلمين.

و تجريد الإسلام مما علق به من الفضول و الشوائب.

و تنظيم العلاقات الاجتماعية و الاقتصادية بين المسلمين على أساس إسلامى سليم العمل على توحيد كلمة المسلمين و محو أسباب التقاطع بينهم و إزالة أسباب الخلافات المذهبية.

و قد اتخذ المؤتمر أربعة قرارات هامة تدور حول هذه العناصر، و هى:

أولا- يقرر المؤتمر أن الاستعمار- سواء فى البلاد التى لم تزل ترزح تحت نيره أو فى البلاد التى جلا عنها مخلفا آثاره- هو الخطر الأول الذى يجب على المسلمين أفرادا و جماعات و دولا أن يجاهدوه بالمقاومة الجادة

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۵۲

المستمرة حتى يتم تحرير المسلم قلبا و ضميرا و وطنا و معرفة، و أن كل تقصير فى ذلك هو عصيان للّه- تعالى- و إثم كبير لأنه يقوى يد العدو على إنزال الأذى بالمسلمين.

و إن الصهيونية التى يحاول الاستعمار بعد أن تحطمت أسبابه الظاهرة أن يغلف بها أهدافه تحت ستار جديد، هى داء استعمارى خبيث

یستهدف به الاستعمار أن یتمکن بآثاره فی حیاة المسلمین لاستمرار سیطرته علیهم، و من ثم کانت مجاهدتها فرضا کذلک علی کل مسلم حیثما کان .. و کل تخلف عن ذلک عصیان للّه ..

ثانیا: یقرر المؤتمر أن الکتاب الکریم و السنة النبویة هما المصدران الأساسیان للأحکام الشرعیة، و أن الاجتهاد لاستنباط الأحکام منهما حق لکل من استکمل شروط الاجتهاد المقررة، کما أن السبیل لمراعاة المصالح و مواجهة الحوادث المتجددة هی أن یتخیر من أحکام المذاهب الفقهیة ما یفی بذلک، فإن لم یکن فی أحکامها ما یفی به فالاجتهاد الجماعی المذهبی، فإن لم یف کان الاجتهاد الجماعی المطلق.

ثالثا: أن موضوع الزکاة و الموارد المالیة فی الإسلام و طرق الاستثمار و علاقتها بالأفراد و المجتمعات و حقوق الملکیة الخاصة و العامة، هی موضوعات الساعة لأنها ملتقی شعبتین من شعب الشریعة الإسلامیة و هما العبادة و السلوک الاجتماعی.

و من أجل ذلک یقرر المؤتمر أن تکون هذه الموضوعات محور نشاط المجمع فی دورته المقبلة.

و یقرر المؤتمر، بعد الدراسة المستفیضة لموضوع الملکیة، أن حق التملک و الملکیة الخاصة من الحقوق التی قررها الإسلام و کفل حمایتها ..

و أن من حق أولیاء الأمر فی کل شلدان یحدوا من حریة التملک بالقدر الذی یکفل درء المفاسد و تحقیق المصالح و أن أموال المظالم و سائر الأموال

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۵۳

المشبوهة یجب أن ترد إلی ذویها أو إلی الدولة .. بل أن المال الطیب، إذا احتاجت المصلحة العامة إلی شیء منه، أخذ من صاحبه نظیر قیمته یوم أخذه و أن تقدیر المصلحة من حق أولیاء الأمور ..

رابعا: یقرر المؤتمر أن واقع المجتمع الإسلامی المعاصر یفرض علی مجمع البحوث الإسلامیة أن یلتمس الوسائل لتوثیق الصلة بین المسلمین فی شتی بلادهم لیجمعهم کلمة و یوحدهم رئیسا و ینظمهم للتعاون أفرادا و جماعات علی ما فیه خیرهم و خیر الإنسانیة من غیر إقلیمیة و لا مذهبیة و لا تنازع.

کما یقرر أن استکمال المجمع لأجهزته اللازمة لنشر المبادیء الإسلامیة و تجلیتها أمر ضروری تجب المبادرة إلیه لینهض المجتمع الإسلامی بمسئولیاته التی یفرضها علیه واقعه.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۵۵

قصّة الأزهر الجامعی بعد عشرین عاما

الأزهر القدیم حافل بالذکریات المجیدة الخالدة المشهورة، التی فصل الحدیث فیها المؤرخون و الباحثون.

أما «أزهرنا» الیوم فلا حول و لا قوة إلا باللّه، فلیس فیه من الأزهر القدیم شبه، و لیس بینه و بینه صلة، و هو حائر الرأی، متبعثر الخطی، کأنما یرید أن ینقض إشفاقا علی حملة تراثه، من جسامة المئولیة، و فداحة التبعة، و هول الحساب .. و أما «أزهرنا» فی الغد، فأتخیله منارة مشرقة، و جامعة تعود إلی فهم رسالتها، و إلی أدائها، و إلی الجهاد مرة أخری من أجل الإسلام و المسلمین و تقدم النهضة الفکریة، و من أجل ازدهار حرکة الأحیاء و التجدید و الإصلاح الدینی .. و سیکون الفضل فی ذلک راجعا إلی یقظة الرأی العام فی الأزهر بعد سبات، و إلی انتباه الشباب فیه بعد غفلة، و إلی حرص الأمة و المسئولین علی إصلاح الأزهر و تجدید معالم النهضة الدینیة و العلمیة فی أروقته و محاربیه.

سیکون الأزهر بعد عشرین عاما جامعة هیکلا و روحا و رسالة، بعد أن کان فی القدیم جامعة بهیکله، و بعد أن کان فی عصرنا الراهن جامعة اسما

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۵۶

فحسب .. و ستؤدی هذه الجامعة الأمانة العلمیة و الدینیة الملقاة علی کاهلها علی خیر الوجوه و أجلها، و ستعود حلقات الدرس فی الأزهر إلی نشاطها العلمی من جدید، منقحة و محققة و مجددة مبتدعة، و سیحفل الأزهر آنذاک بعدید الأعلام من بنیه، الذین سیکونون خیر سند لنهضته الفکریة و الروحیة.

و ستمتلیء نفوس الأزهریین بعد عشرین عاما بالعزة و الکرامة، فلا تجد فیهم ضعیف الرأی، أو منافق اللسان، أو هداما یستر عیوبه بالحقد علی الناس، أو أنانیا یسعی لنفسه و لو کان فی ذلک الهلاک للجماعة ..

و ستقوی صلة الأزهر بالأمة، فتنزله منها منزلة الرائد الأمین، و یحلها من نفسه مکانة عزیزة بالتوجیه و الإیثار و النصح، و الدعوة إلی المثل العلیا الکریمة التی یدعو إلیها الإسلام الکریم.

أما مناهج الأزهر و کتبه و کنوزه القدیمة فسینالها ثورة العصر الجدید، فتعود کنوزنا العلمیة إلی التأثیر فی العقل العربی الحدیث تأثیرا قویا نافعا، و تصبح مناهج الأزهر و کتبه و نظمه محققة لرسالته الجامعیة الصحیحة ..

و سیکون منصب «شیخ الأزهر» بالانتخاب من حملة الدکتوراه أو ما یعادلها من الأزهر، و سیعود لمنصب المشیخة سالف مجده و عظمته و هیمنته الروحیة الکبیرة علی العالم الإسلامی کافة، و ستنال جماعة کبار العلماء و لجنة الإفتاء و مجلة الأزهر و مکتبته و أروقته و معاهده و کلیاته و بعوثه الإسلامیة نصیبها من الإحیاء و البعث و التجدید، و ستسهم البعوث الإسلامیة الأزهریة فی میادین النشاط الدینی و العلمی بنصیب کبیر، و ستحمل مدرجات الأزهر أسماء الخالدین من أبنائه .. و یطلق علی الکراسی العلمیة المنشأة فی کلیاته کذلک أسماء الأعلام من علمائه .. و سنری مدینة الأزهر الجامعیة، و اتحاد الأزهر الجامعی، و حفلات الذکری الألفیة لإنشاء الأزهر، و اللغات الحیة التی تدرس فی جمیع أقسامه و فروعه، و قلوبنا یملؤها البشر و الفخر و الإعجاب.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۵۷

و سوف تقیم کلیات الأزهر مواسم علمیة و أدبیة ضخمة، و سیعلن آنذاک عن رحلات لطلبة کلیات الأزهر فی البلاد العربیة و الإسلامیة خلال إجازة نصف السنة و فی الإجازة الصیفیة.

و سیکون فی کلیة اللغة العربیة عدة کراسی علمیة، للنقد الأدبی و مذاهب الأدب و أصول النحو و البلاغة و اللغات السامیة و اللهجات القدیمة و الحدیثة و سیتبعها معهد للصحافة، و تنطق باسمها مجلة علمیة ضخمة، و سیعلن عن مناقشة رسالة للدکتوراه فیها آنذاک، عنوانها: «مذهب أدبی جدید» یبشر صاحبها فیها بالمثالیة الأدبیة. و فی کلیة أصول الدین ستنشأ کراسی أخری للفلسفة و التصوف الإسلامی و علم الأخلاق الدینی و علم الاجتماع و مناهج الوعظ، و سواها. و سیعلن آنذاک عن مناقشة رسالة للدکتوراه. فیها موضوعها «فلسفة الشک بین ابن عربی و دیکارت»، و عن مناقشة رسالة ثانیة موضوعها «علم الاجتماع بین أرسطو و الفارابی و ابن خلدون و غوستاف لوبون» و سیعکف أحد طلبة الدکتوراة فیها آنذاک علی کتابة رسالة عن «الذرة عند فلاسفة الإسلام» .. و فی کلیة الشریعة ستنشأ کذلک کراسی علمیة جدیدة لأصول الاجتهاد و القانون «المقارن» و الشریعة الإسلامیة و مذاهب المجتهدین و سواها، و سیعلن عن قیام طلبة الدکتوراة فی الکلیة بنشر مجموعات القوانین الجنائیة و المدنیة و الاقتصادیة و القانون الدولی فی الشریعة الإسلامیة، و ستناقش رسالة للدکتوراه عنوانها أصول مذهبی الأوزاعی و اللیث بن سعد .. و ستتبادل الجامعات فی الشرق و الغرب رسائل الأزهر العلمیة.

و من أهم حرکات التجدید فی الأزهر توطید النظام الجامعی و رفع مستوی الکادر الجامعی فی کلیاته و تبادل الأساتذة بین الأزهر و شتی جامعات العالم، و ستقوم الدول الإسلامیة بعبء الأموال اللازمة للبعوث الإسلامیة الأزهریة، و سیتولی الأزهر الإشراف علی المساجد و المعاهد الکبری فی

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۵۸

العالم الإسلامی، و ستعلن جامعة «هارفرد» عن قدوم أستاذ أزهری زائر فیها لتدریس «أصول التشریع الإسلامی و أثرها فی نشأة علم الاجتماع و فی الحضارة العالمیة».

و یومذاک سیکون للأزهر معاهد علمیة ثقافیة فی الخرطوم و إشبیلیة و القدس و کراتشی و بغداد و لندن و برلین و باریس و نیویورک، و سترسل ثلاثون بعثة علمیة لشتی جامعات الغرب .. و ستستعین جامعة إیران و جامعة موسکو و برلین و لندن و السوربون و جامعات الهند و الصین و باکستان و سواها بأساتذة من الأزهر. و من أهم ما سنراه فی الأزهر بعد عشرین عاما تبادل الطلاب بین کلیة اللغة و کلیات الآداب فی مصر و الغرب، و بین کلیات الشریعة و کلیات الحقوق، و بین کلیة أصول الدین و کلیات الفلسفة فی العرب، و کذلک اعتراف الجامعات فی العالم بشهادات الأزهر العلمیة، و سیدرس الطب العربی القدیم فی الأزهر، و سیباح لخریجی کلیة أصول الدین فتح «عیادات» نفسیة للطب النفسی العلاجی. و سیکون لخریجی الأزهر دخول الکلیة الحربیة عاما واحدا یمنحون بعده رتبة عسکریة و یعملون فی الجیش فی شتی وحداته، و سیکون القائد العام للجیش المصری آنذاک أزهری التعلیم، و سینشیء الأزهر کلیة الجامعیة للفتاة المصریة .. و ستنال المعاهد الابتدائیة حظها من الرعایة و التجدید و الإصلاح، و یباح تبادل الطلاب بین الأزهر و المدارس الابتدائیة و الثانویة، و سیوحد الزی بین الأزهر و الجامعات المصریة.

و یومئذ سیکون الأزهر الصرح الإسلامی الأکبر فی البلاد الإسلامیة.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۵۹

الأزهر حصن العربیة

یعنی الأزهر فیما یعنی المعقل الذی حفظ الثقافة العربیة ألف سنة و نیفا، یسهر علیها و یزید فیها و ینفق منها علی طلاب المعرفة فی الشرق و الغرب، علی حین دمر الجهل و الکفر حصونها فی بغداد و الأندلس.

و یعنی الأزهر فیما یعنی، الحصن الذی اعتصمت به اللغة العربیة من عدوان الشعوبیة و العامیة و الترکیة حین استعجم اللسان و استترک السلطان و فشت الجهالة، و ضعفت الخلافة و عز الناصر و ذل الأهل.

و یعنی الأزهر فیما یعنی القبلة الثانیة التی یوجه المسلمون فی جمیع أقطار الأرض قلوبهم إلیها یتلمسون علی هداها الطریق إلی الحق و السبیل إلی اللّه.

و یعنی الأزهر فیما یعنی الملاذ للشعب المظلوم کلما عسفه الطغیان و بغی علیه الحکم فیأوی منه إلی رکن شدید و حام قادر.

و یعنی الأزهر فیما یعنی الجامعة العالمیة التی یؤمها الطلاب من کل أرض و من کل جنس و من کل لون لیتفقهوا فی الدین و لینذروا قومهم إذا

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۶۰

رجعوا إلیهم، لا یبغون من وراء ذلک مالا و لا جاها و لا شهرة.

و یعنی الأزهر فیما یعنی الخانقاة التی آوت العباد و الزهاد و الوعاظ و حفظة القرآن و حملة البرکة.

و یعنی الأزهر فیما یعنی القاعدة الروحیة التی کان یخشاها المستعمرون فحاولوا سرا و علنا أن یدمروها لیتقوها، فلما استیأسوا من تدمیرها أو إضعاف تأثیرها سالموها و نافقوها. ثم جهدوا أن یستمیلوها لیستغلوها.

و یعنی الأزهر فیما یعنی، الصرح الوطنی الذی أجج الثورات علی الفساد، و خرّج القیادات للجهاد، و قام من نهضة العرب الحدیثة مقام الرأس و الید، یمدها بالروح و یرفدها بالقوة. ثار علی الغزو الفرنسی بقیادة ستة من علمائه، و ثار علی الطغیان الترکی بقیادة شیخه عبد الله الشرقاوی، و ثار علی الظلم الخدیو بقیادة ابنه أحمد عرابی، و ثار علی الاحتلال البریطانی بقیادة ابنه سعد زغلول.

کل أولئک یعنیه لفظ الأزهر، و أکثر من أولئک یلازم معنی الأزهر، و لکنی بسبیل الحدیث عن نصیب اللغة العربیة من فضل الأزهر

فلا أخوض فی حدیث غیره.

إن فضل الأزهر علی اللغة العربیة مستمد من فضل القرآن الکریم علیها؛ و بعض فضله أنه کسبها عذوبة فی اللفظ و رقة فی الترکیب و دقة فی الأداء و قوة فی المنطق و ثروة فی المعانی. و کان سببا فی استحداث العلوم الشرعیة و الأدبیة التی حفظت مادتها بالقواعد و فی المعجمات، و وسعت دائرتها بالألفاظ و المصطلحات، کالنحو و الصرف و الاشتقاق لدفع اللحن عنه، و المعانی و البیان و البدیع لتقریر الإعجاز فیه، و علی اللغة و الأدب لتفسیر غریبه و توضیح مشکله، و الحدیث و الأصول و الفقه و التفسیر لاستنباط أحکام الشرع منه، و هو الذی وحدها علی کل لسان، و نشرها معه فی کل

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۶۱

مکان. و حفظها أربعة عشر قرنا إلا قلیلا لا تفسد و لا تجمد و لا تتغیر مصداقا لقول اللّه تعالی: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» و حفظ القرآن یستلزم حفظ لغته، و الناظر فی تاریخ الأدیان السماویة و الأرضیة لا یجد دینا حملته لغته التی أنزل بها أو کتب فیها إلی أقصی الشرق و أقصی الغرب فی مدی ۱۳۸۰ سنة ثم بقیت محافظة علی قوتها وجدتها و وحدتها و طبیعتها إلا دین الإسلام و لغة العرب، أما سائر الأدیان فلا تقرأ کتبها الأصلیة إلا فی لغة البلد الذی ظهرت فیه. فإذا نقلت إلی بلد آخر عن طریق الدعوة قرئت مترجمة إلی لغته، و اختص بمعرفة الأصل طائفة قلیلة من رجال ذلک الدین، فمدونة الأسفار البوذیة المسماة بالسلات الثلاث لا یقرأها أتباع هذه الملة فی الصین و الیابان إلا منقولة إلی الصینیة و الیابانیة، و التوراة و الإنجیل- و هما کتابان منزلان- لا یقرآن فی العالم المسیحی إلا فی لغة کل قطر من أقطاره، لذلک ظل تأثیرهما فی الآداب الأخری ضئیلا حتی ترجما إلی اللاتینیة و التوتونیة القدیمة فظهر أثرهما قویا فی الآداب الأوروبیة.

و لیس کذلک الحال فی القرآن، فإن المسلمین اعتقدوا بحق أن لغته جزء من حقیقة الإسلام، لأنها کانت ترجمانا لوحی اللّه و لغة لکتابه و معجزة لرسوله و لسانا لدعوته، ثم هذبها النبی الکریم بحدیثه و نشرها الدین بانتشاره و خلدها القرآن بخلوده. فالقرآن لا یسمی قرآنا إلا فیها، و الصلاة لا تکون صلاة إلا بها، لذلک سارعوا إلی تعلمها و التکلم بها و التألیف فیها و التعصب لها و الدفاع عنها و الدعوة إلیها حتی حلت محل الفارسیة فی العراق و الرومیة فی الشام و القبطیة فی مصر و البربریة فی المغرب، و أصبحت فی عصر بنی العباس و هو عصرها الذهبی لغة الدین و الأدب و العلم و السیاسة و الإدارة و الحضارة فی أکثر الدنیا القدیمة، و أصبح المسلم علی اختلاف جنسه ینتقل من قطر إلی قطر فی عالمه الإسلامی کما ینتقل من بلد إلی بلد فی وطنه الأصلی، لا یجد مشقة فی التفاهم، و لا صعوبة فی التعامل، و لا شدة فی المعیشة ثم شغل المسلمون- عربهم و عجمهم- بالقرآن و فرغوا له، فکان

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۶۲

دعاءهم فی المسجد، و نظامهم فی البیت، و منهاجهم فی العمل، و دستورهم فی الحکومة، فسری هدیة منهم مسری الروح، و جری وحیة فیهم مجری الطبع، و أثر فی ألسنتهم و أفئدتهم و أنظمتهم تأثیرا لم یؤثره کتاب سماوی آخر فی أهله و من هنا کانت ثقافة الإسلام قائمة علی رکنین أساسیین هما الدین بعلومه المختلفة و اللغة بفنونها المعروفة، و هذان الرکنان یشد احدهما الآخر و یمسکه، فالإسلام بغیر العربیة ینبهم و یضمحل، و العربیة من غیر الإسلام تنکمش و تزول، و اللغات السامیة مدینة ببقائها للدین، فلو لا الیهودیة ما بقیت العبریة، و لو لا المسیحیة ما بقیت السریانیة، و لو لا الإسلام ما بقیت العربیة، و لکن الفرق بین بقاء العربیة و بقاء العبریة و السریانیة هو الفرق بین الروح و الذماء أو بین العین و الأثر. و الأزهر و هو وارث النبوة و حامی العقیدة و ناشر الدعوة لا یمکن أن تقوم رسالته إلا علی هذین الرکنین، و قد أداها بتأیید اللّه و توفیقه تأدیة أحلته من العالم الإسلامی کله محل الزعامة.

علی أن فضله علی علوم القرآن و علوم اللسان قد یشارکه فیه بالکثیر أو بالقلیل طائفة من المدارس و الجوامع أنشأها السلاطین فی القاهرة و دمشق و حلب و بغداد و النجف و قرطبة و القیروان و الزیتونة، کالناصریة و القمحیة و الصلاحیة و المؤیدیة و المنصوریة و الشیخونیة و الظاهریة و الکاملیة و النظامیة؛ و لکن هذه المدارس التی عفی علی أکثرها الزمن لم تستطع فی حیاتها منفردة أو مجتمعة

أن ت (اول الأزهر فضله الخالد على اللغة العربية فى بقائها لسانا للعلم و رباطا للمسلمين إلى اليوم.

تحيفت الخطوب السود لغة القرآن فى محنتين أشفت فيهما على الموت لو لا أن تداركها اللّه بفضله: محنة الغزو المغولى فى منتصف القرن السابع حين انتكث فتل العباسيين فى العراق بتنافس الفرس و الترك، و تحارب الشيعة و السنة، و ذهاب جلال الخلافة من النفوس، فقوص هولاكو عرشها سنة ۶۵۶ ه، و تضعضع أمر الأمويين فى الأندلس بتغلب

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۶۳

البربر و الموالى على ملكهم و تقسيمه بينهم إلى دويلات سهل على الفرنج ازدرادها قطعة قطعة حتى ابتلعوها لقمة سائغة سنة ۸۹۸ ه .. و دالت دولة الفاطميين فى مصر و الشام فوقعتا فى أيدى الأيوبيين، ثم صارتا إلى المماليك و ظلتا تحت سلطانهم حتى دخلتا فى حكم الأتراك العثمانيين سنة ۹۲۳ ه، فأتى على العرب ستون و خمسمائة عام لم يكن لهم فيها سلطان و لا ملك، فأصبحت ديارهم و آثارهم نهبا مقسما بين المغول و الترك و الفرس و الجركس ثم الأسبان بعد قليل، و كان أكثر هؤلاء الأعجام وحشيين أميين فخربوا الدور و هتكوا الخدور و فجعوا اللغة و آدابها و علومها بتحريق المكاتب و تعطيل المدارس و تقويض المراصد و تقتيل العلماء. ناهيكم بما فعله التتار فى بخارى و بغداد، و الصليبيون بالشام، و الإفرنج بالأندلس، فلو أن الزمان عفى على اللغة العربية و ألحقها بأخواتها السامية لما كان ذلك خارقا لطبيعة الأشياء و لا بدعا فى منطق التاريخ، و لكنها بقيت على الرغم من هذه الخطوب لسانا للدين و العلم، و لغة للحكومة و الأمة فى بلاد المغرب و مصر و الشام و بلاد العرب و الجزيرة، و لو لا نعرة الترك و عصبية الفرس لكانت لغة المسلمين كافة. و الفضل فى بقائها بعد إدبار الزمان و السلطان عن أبنائها، إنما كان لهذا الأزهر الجليل الذى اختصه اللّه بمزايا تميز بها على غيره، منها صبغته العربية الخالصة بحكم نشأته و بيئته، و موقعه الوسط بين الشرقين الأدنى و الأوسط، فكان ملتقى المسلمين من هنا و من هناك، و منها قربه من الحجاز فكان طريق الحجاج و الرحالين من علماء إفريقية و الأندلس. و منها تخريجه طائفة كبيرة من أعلام الفقه و أعيان الأدب جمعوا شتات اللغة و العلوم و الآداب فى أسفار أشبه بدوائر المعارف، و منها مكانته التى بلغت من قلوب المسلمين و الحاكمين مبلغ القداسة و كان لها أثر بالغ فى حل بعض المشكلات السياسية و الاجتماعية، و منها كفايته الأساتذة و الطلاب مؤونة العيش بأن كفل لهم الغذاء و الكساء و المأوى و الكتاب، و منها إيواؤه الناجين بحياتهم و دينهم و علمهم و أدبهم و كتبهم من غارة المغول حين

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۶۴

اكتسحوا خراسان و الفرس و العراق، فكان من مهاجرة هؤلاء العلماء من الشرق و الغرب إلى القاهرة من البحث و الابتكار ما كان لمهاجرة علماء المسيحية من القسطنطينية إلى روما من البعث و الازدهار. و منها مناصرة الأيوبيين له بالمال و التعضيد؛ لأنهم و إن كانوا أكرادا قد تكلموا بلغة العرب و تأدبوا بأدب العرب و نبغ من بينهم الشاعر و العالم و المؤرخ، كالملك المؤيد عماد الدين أبى الفداء، و الملك الأفضل على بن صلاح الدين، و كان هذا الملك ضعيف الرأى كثير الغفلة فغلبه عمه العادل أبو بكر و أخوه العزيز عثمان على ملك الشام و مصر، فكتب إلى الخليفة الناصر العباسى كتابا يشكو إليه فيه ذلك و قد بدأه ببيتين من الشعر أجاد فى نظمهما كل الإجادة و هما:

مولاى إن أبا بكر و صاحبهعثمان قد أخذا بالسيف حق على

فانظر إلى حرف هذا الاسم كيف لقىمن الأواخر ما لاقى من الأول

يريد بأبى بكر عمه، و بعثمان أخاه، و بعلى نفسه، فأجابه الخليفة الناصر بقوله:

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنابالصدق يخبر أن أصلك طاهر

غصبوا عليا حقه إذ لم يكنبعد النبى له بيثرب ناصر

فاصبر فإن غدا عليه حسابهمو أبشر فناصرك الإمام الناصر

و الجزالة ظاهرة فی شعر الملک الکردی ظهور الرکاکة فی شعر الخلیفة العربی!.

کذلک أقول فی المماليک فقد أیدوه و أمدوه؛ لأنهم اتخذوا مصر وطنا، و الإسلام دینا، و العربیة لغة، و کان من بینهم شعراء عالجوا القریض و أجادوه کالسلطان الغوری، هؤلاء المماليک قد عضدوا العلماء و قربوا الأدباء، و شدوا أزر المعلمین و المؤلفین، حتی خرّج الأزهر فی ظلمهم أولئک الأئمة الذین استودع اللّه صدورهم ذخائر العلم و الحکمة فأودعوها

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۶۵

الکتب، و أخرجوها للناس: کجمال الدین بن منظور، و جمال الدین بن هشام، و شمس الدین النویری، و ابن فضل الله العمری، و شمس الدین الذهبی، و الحافظ بن حجر العسقلانی، و أبی العباس القلقشندی، و تقی الدین المقریزی، و بدر الدین العینی، و سراج الدین البلقینی، و بدر الدین الدمامینی و شمس الدین السخاوی، و کمال الدین الدمیری، و جلال الدین السیوطی، و تقی الدین الدمیری، و جلال الدین السیوطی، و تقی الدین القشیری المعروف بابن دقیق العید.

لهذه المزایا انتهت إلی الأزهر فی القرون الثلاثة السابع و الثامن و التاسع زعامة الثقافة فی جمیع البلاد العربیة و الإسلامیة، فحفظ وجود اللغة، و رفع سقوط الأدب، و جمع شمل العلم، و لولاه لا انقطع ما بین الأدبین القدیم و الحدیث.

أما المحنة الأخری التی امتحنت بها العربیة و کان للأزهر الفضل فی وقایتها و سلامتها فهی محنة الغزو الترکی فی أوائل القرن العاشر حین استولی السلطان سلیم علی مصر و الشام سنة ۹۲۳ ه فأصبحت الخلافة عثمانیة لا عباسیة، و عاصمة الإسلام القسطنطینیة لا القاهرة، و اللغة الرسمیة الترکیة لا العربیة، و مکث الغازی سلیم فی مصر بعد الغزو ثمانیة أشهر سلبها فیها أنفس أعلاقها من الکتب و التحف و الآثار لنوابغ الفنانین و المؤلفین الذین تخرجوا فی الأزهر و أنتجوا فی مصر مدی القرون الثلاثة التی سبقت الغزو العثمانی، و أخذ الغزاة یغلبون لغتهم علی اللغة العربیة فی الدواوین، و یطاردونها فی المدارس، حتی کانوا یعلمون قواعد اللغة العربیة باللغة الترکیة فی الشام و العراق! ففشا فی اللغة العامی و الدخیل، و ذهبت أسالیبها من النظم و النثر، و خیم الظلم و الظلام علی النفوس فخمدت القرائح، و ضعفت رغبة الحکام فی العلم، و انقطعت أسباب الطلب له، و استطاع الترک أن یتّرکوا کل شیء فی مصر من سیاسة و إدارة و تعلیم و جیش إلا الأزهر، فقد راعهم ما أحسوا من جلاله و ما سمعوا عن مجده، فوقفوا علی

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۶۶

أبوابه خاشعین یلتمسون منه العون علی ما ینجم من أحداث، و الرأی فیما یشکل من الأمور.

و السلطان سلیم نفسه قد زاره مرارا فصلی فیه و تبرک به. و من قبل قد غزا الأزهر بلاد الأتراک بعلمه و أدبه و کتبه فعرب طائفة منهم تعلموا العربیة و تکلموا بها و ألفوا فیها کالفیروز أبادی و أبی السعود و الفناری و ملا خسرو و الجامی و الخیالی و خوجه زادة و ملا مسکین و ملا لطفی و حاجی خلیفة و طاشکیری زاده و ابن کمال باشا و کان سلاطین العثمانیین أنفسهم یدرسون العربی و آدابها کما کانوا یدرسون الترکیة و آدابها، و منهم من قرض الشعر العربی و رواه کالسلطان أحمد الأول فقد رووا له قصیدة غزلیة مطلعها.

ظبی یصول و لا وصول إلیه‌جرح الفؤ بصارمی لحظیه

و لم تضعف عنایة علماء الترک بالعربیة إلا فی عهد السلطان محمود الثانی و ابنه السلطان عبد المجید الأول حین أحییا اللغة الترکیة و قربا مواردها و بسطا قواعدها و سمیاها اللغة العثمانیة، فأنتم ترون أن اللغة العربیة قد أتی علیها ستة قرون قضتها بین الاحتضار و الموت، ثلاثة منها فی العصر المغولی، و ثلاثة أخری فی العصر العثمانی، أمحت فیها من الهند و خراسان و العراق و بلاد الروم و الأندلس، و بقیت فی الأقطار العربیة بقاء المریض أشرف علی الموت و لم یبق منه إلا رمق ذلک الرمق هو الذی کفله الأزهر و تعهده فغذاه و قواه و رعاه، حتی إذا انجاب عن مصر قتام الحکم العثمانی و أراد اللّه لشمس الحضارة أن تشرق مرة أخری علی وادی النیل زایل اللغة الوهن و سرت فیها الحیاة، ففی الأزهر کان ملاذها و غیاثها، و فی الأزهر کان بقاؤها و انبعاثها.

کان الأزهر بعد انتهاء تلک الغمرة باحتلال نابلیون، و ابتداء هذه النهضة باستقلال محمد علی، قائد الشعب فی الکفاح و رائد

الحکومة فی الإصلاح، تمثلت قیادته فی شیوخه الأجلاء خلیل البکری، و عبد الله

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۶۷

الشرقاوی، و محمد المهدی و سلیمان الفیومی، و حسن العطار. و تجلت ریادته فی طلابه النجباء الذین أرسلوا إلی أوروبا لیستفیدوا و یستزیدوا، کإبراهیم النبراوی، و أحمد حسن الرشیدی، و محمد علی البقلی، و رفاعة الطهطاوی، و علی مبارک، و تلک ید أخری لهذا المعهد الجلیل علی اللغة العربیة، ساعدها علی النهوض، کما حماها من قبل دون السقوط.

هاتان هما المحنتان اللتان عانتهما العربیة فی عهدین متواليین، ثم جعل اللّه نجاتها منهما بفضل الأزهر حفظا لکتابه و صونا لدینه.

و هناک محنة ثالثة تجتازها اللغة الیوم و توشک أن تبلبل اللسان و تعطل القرآن و تقطع الدین عن أصله، و تفصل العربی عن أهله، و تهبط بالأدب من جبل الوحی و هیکل عطارد حیث الترفع و السمو و النبل، إلی حضیض المادیة حیث التسفل و التبذل و الفحش.

تلک هی محنة الإباحیة اللغویة التی تغلب العامیة علی الفصحی، و تؤثر أدب العامة علی أدب الخاصة، و تفضل الموضوع المثیر علی الموضوع المنیر، و ترید أن یکتب الکاتب و ینظم الشاعر کما یشاء، لا یتقید بقاعدة من نحو و لا قیاس من صرف و لا نظام من بلاغة و لا وزن من عروض و لا مثال من خلق. و لهذه المحنة أو المشکلة أصلان: الاستعمار و الجهل.

أما الاستعمار فلأنه رأی أن الرابطة بین المسلمین علی اختلاف أقطارهم و تباعد دیارهم هی الدین و اللغة، و ما دامت أمة محمد روحا واحدا بالإسلام، و لسانا واحدا بالعربیة، فإن استغلالها موقوت و إن طال، و إن استقلالها آت و إن تأخر، لذلک سعت فرنسا سعیها الدائب فی الجزائر لفتنة البربر عن دینهم بإصدار الظهیر المعروف، و قطع العرب عن لغتهم بطردها من المدارس و الدواوین. و لکن دین اللّه کان أقوی من ظهیر فرنسا، و لغة المصحف کانت أمضی من لغة السیف. و اکتفت انجلترا علی عادتها من الدهاء و الکیاسة بمحاربة الفصحی فدعت إلی العامیة بلسان موظفیها

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۶۸

و مبشریها و مستشرقیها؛ لأن اللغات العامیة تختلف فی البلاد العربیة اختلافا شدیدا یکاد یجعل من کل لهجة منها لغة مستقلة. و إذا انهزمت أمامها اللغة المشترکة و هی الفصحی استحال التفاهم و ضعفت العقیدة و انقطعت الصلة و تفرقت الوحدة و تبددت القوة و استطاع المستعمر أن یلتقمها لقمة لقمة فلا یغص و لا یشجی. و لکن هذه الدعوة فشلت بضعف الاستعمار فی الشرق، و قوة الوعی فی العرب. و أما الجهل و هو الأصل الآخر لمحنة اللغة العربیة فقد خلف الاستعمار فی هذه الدعوة المجرمة، و المراد بالجهل جهل أبناء العربیة بها، و عزوفهم عن علومها و أدبها، و هو جنایة المدرسة المدنیة الحدیثة، فقد فشلت بعد طول الزمن و کثرة التجارب فی تخریج القارىء الذی یقرأ بفهم، و الکاتب الذی یکتب عن علم، و المفکر الذی یفکر عن أصالة، و لیس أدل علی هذا الفشل من أن الطالب یتعلم النحو عشر سنین دأبا ثم لا یستطیع بعد ذلک أن یعبر عن فکره تعبیرا صحیحا لا بلسانه و لا بقلمه، فإذا دفعه استعداده الأدبی إلی الکتابة آثر العامیة علی الفصحی و دعا إلی التحلل من القواعد و القیود لیجعل الفوضی نظاما و الخطأ مذهبا و العجز شرکة. کانت علوم العربیة تدرس فی الأزهر و دار العلوم و مدرسة القضاء الشرعی و فیما یجری علی منهجه من معاهد لبنان و سوریة و العراق و المغرب دراسة عمیقة تمکن الطالب المجتهد المستعد من فهم ما یقرأ و فقه ما یعلم و تعلیل ما ینقد و تحلیل ما یذوق. فإذا اتصل النظر بالعمل و اقترن الحکم بالتطبیق و صادف ذلک استعدادا فی المتعلم ظهر الکاتب الذی یکتب فیجید، و الشاعر الذی ینظم فیبدع، و الناقد الذی یحکم فیصیب، أما إذا فتر الاجتهاد و ضعف الاستعداد ظهر الأدیب العالم الذی یهیء الوسائل و یقرب المناهل و یوجه المواهب و یسدد الخطی، و من هاتین الفئتین تستمد الحرکة الأدبیة عناصرها الحیویة فتقوی لتزدهر و تنمو لتنتشر و تسمو لتخلد. و کان من خریجی هذا المنهج القدیم أولئک الأدباء الأصلاء الذین حفظوا تراث اللغة و جددوا شباب الأدب و أسسوا هذه النهضة الأدبیة الحدیثة، و لا

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۶۹

یزال من هذه الطبقة الکریمة فئة قلیلة فی أقطار العروبة تستبطن لغتها و تتعمق أدبها و تعرف لماذا تکتب الجملة علی وضع دون آخر، فإذا خلا المجتمع بعد أجل طویل أو قصیر فهل یخلف من بعدهم خلف یحملون أمانة اللغة و یبلغون رسالة الأدب؟

الجواب عن هذا السؤال عند الأزهر وحده؛ فهو بحکم طبیعته و علة وجوده معتصم اللغة و منجاها فی الماضی و المستقبل، أما المعاهد الأخری فکل شیء فیها یبعث علی التشاؤم: منهج تطبیقی یکاد یخلو من القواعد، و تعلیم سطحی مقتضب لا هدف له إلا اجتیاز الامتحان العام بأیة وسیلة، فالمطولات تختصر، و المختصرات تختزل، فلا یبقی بعد ذلک فی ذاکرة الطالب إلا رموز علی معان عائمة غائمة لا هی مستقرة و لا هی واضحة.

ذلکم إلی زهادة فی الجدی النافع من ثقافة اللسان و القلم تقعد النشء عن تعمق الأصول و تقصی الفروع، و تقنعهم بالقدر الذی ینقلهم من سنة إلی سنة أو من شهادة إلی شهادة، فإذا ما تخرج الناشیء بهذا الحظ المنکود من اللغة و کان فی نفسه میل إلی الأدب، و فی طبعه استعداد للکتابة، انصرف عن کنوز الأدب العربی، لأن مفاتیحها لیست عنده، و أقبل علی روائع الأدب الغربی یحاکیها و یستوحیها حتی إذا امتلأ ذهنه و فاض شعوره و أراد أن ینتج شیئا یفید الناس وجد فی نفسه الملکة التی تخلق و فی حسه الصورة التی تمتع، و لکنه لا یجد فی لسانه اللغة التی تعبر، و لا فی قلبه الأسلوب الذی یؤثر، فیضیق و یسخط و یثور، و یزعم أن قواعد اللغة غصة لا تساغ، و أن إعراب الکلمة عقبة لا تذلل، ثم یتطرف فیدعو إلی إطلاق الحریة للکاتب فیکتب کما یشاء.

تلک حال المتخرج الأدیب بطبعه أما المتخرج العادی فإنه یعود أمیا کما بدأ، لا یقرأ إذا قرأ إلا السهل، و لا یطلب هذا السهل إلا فی قصة عامیة تخدر الشعور، أو فی مجلة فکاهیة تنبه الشهوة، حتی نشأ من إفراط القراء فی هذا الطلب، إفراط الکتاب الخفاف فی عرض الأدب اللذیذ

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۷۰

الذی لا ینفع، أو الأدب الماجن الذی لا یرفع، ذلکم إلی طغیان الأدب الأوروبی بمذاهبه و نزعاته و ترهاته علی عقول النائین الذین ثقفوا هذه الثقافة الأدبیة الهشة ففتنتهم عن أدبهم و صرفتهم عن تاریخهم، فالمتفرنسون منهم یعرفون هوجو و لا یعرفون المتنبی، و یدرسون فولتیر و لا یدرسون الجاحظ، و یقرءون لا مرتین و لا یقرءون البدیع، و من هنا نشأت هذه التبعیة التی فرضها الشباب علی أدبنا لأدب الغرب، فأسالیبهم الکتابیة الیوم هی أسالیب الکتابة فی الغرب، و مذاهبهم الأدبیة هی مذاهب الأدب فی الغرب، و مقاییسهم النقدیة هی مقاییس النقد فی الغرب، حتی الرمزیة و هی بنت الأفق الغائم و النفس المعقدة و اللسان المغمغم یریدون أن تتبناها العربیة بنت الصحراء المکشوفة و الشمس المشرقة و الطبع الصریح، و حتی الوجودة و هی بنت الخلق المنحل و الذوق المنحرف و الغریزة الحرة، یحاولون أن تتقبلها العربیة لغة الرسالة الإلهیة التی کرمت الإنسان و فصلته من سائر الحیوان بحدود من الدین و الخلق لا یتعداها و هو عاقل، و لا یتحداها و هو مؤمن.

لیس الأمر فی الأدب کالأمر فی العلم، الأدب للنفس و العلم للناس، الأدب مواطن و العلم لا وطن له؛ الأدب روح فی الجسد و دم فی العروق یکون شخصیة الفرد فیحیا مستقلا بنفسه، و یبرز شخصیة الشعب فیحیا متمیزا بأفراده، الأدب جنس و لغة و ذوق و بیئة و عقلیة و عقیدة و تاریخ و تقالید. و العلم شیء غیر أولئک کله، فإذا جاز طبعا أن نأخذ من غیرنا ما یکمل نقصنا من العلم، فلا یجوز قطعا أن نأخذ من هذا الغیر ما یمثل أنفسنا من الأدب.

إن دراسة العربیة علی النهج الصحیح المنتج بعد المدرسة لا یکلف المتأدبین من الجهد و الزمن أکثر مما تکلفهم دراسة الفرنسیة و الإنجلیزیة:

و لکنهم فی عصر السرعة یطلبون القریب و یتوخون السهل و یتخطفون العلم و یتعجلون الإنتاج، ثم یحقدون علی من یلزمونهم التأنی و یجشمونهم الدرس و یقولون لهم إن أحدا لا یعرف فی تاریخ الآداب القدیمة و الحدیثة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۷۱

من یعد فی لغته کاتبا أو شاعرا أو قصاصا أو مؤلفا، و هو لا یعرف من قواعدها الأساسیة ما یقیم لسانه و قلمه، و إذا کان الناس یقرءون الصحیفة أو الکتاب و لا یقعون فیها علی الخطأ الذی یفضح المستور و یکشف الغش فالفضل لأولئک الجنود المجهولین من الأزهریین الذین یرابطون لیل نهار فی دور الصحافة و النشر و یسمونهم المصححین؛ فإنهم یمرون بأقلامهم الحمر علی المعوج فیستقیم، و علی المعجم فیعرب، و علی الرکیک فیقوی.

لا بأس أن ییسر النحو و الصرف و البلاغة علی الطلاب: و لکن البأس کله فی المدی الذی بلغه هذا التیسیر، لا بأس أن نخفف علی غیر المتخصصین من عبء التقدیرات و التعلیلات التی فلسف بها النحاة النحو، و من حفظ وجوه الإعراب التی بقیت فی اللغة أثرا لاختلاف اللهجات فی الجاهلیة فهو شت القواعد و جعلت کل خطأ صوابا و کل صواب خطأ، و لکن البأس کله فی أن تجرد علوم العربیة من خصائص القوة و الخصوبة و البراعة لتصبح أشبه بالهیکل العظمی، فیه الخفة و البساطة و الشکل، و لیس فیه العضل و العصب و الروح. إن ما یبقی من هذا المنقوص بعد النسیان، لا تحیا به لغة و لا یبقی علیه أدب، فإذا استطاع یوما أن یجیز امتحانا أو ینیل شهادة فلن یستطیع أبدا أن یخرج أمثال من خرجهم الأزهر بشیوخه و کتبه، کمحمد عبده، و سعد زغلول، و المنفلوطی، و البشری، و طه حسین، و لا أمثال من خرجتهم دار العلوم کشاویش، و المهدی، و الخضری و السکندری و الجارم و لا أمثال من خرجتهم مدرسة القضاء الشرعی. کأحمد أمین و عزام و الخولی. و لا أمثال من خرجتهم دار المعلمین العلیا، کالمازنی و شکری و أبو حدید. و لا أمثال من خرجتهم کتب الأزهر کالعقاد، و الرافعی، و شوقی، و حافظ فی مصر. و کالبستانیین و الیازجیین و الشدیاق و مطران و الخوری فی لبنان. و کالمغربی و الشهابی، و جبری، و الطنطاوی، فی سوریا. و کالرصافی، و الزهاوی و کاشف الغطاء، و الشبیبی، و الأثری فی العراق، و کالنشاشیبی و السکاکینی فی فلسطین.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۷۲

إنی أدعو إلی التوفیق بین الفصحی و العامیة، و مذهبی فی مجمع اللغة العربیة إمداد الفصحی بما تزخر به العامیة من ألفاظ الحضارة و تراکیبها التی دخلت فی الحیاة العامة حتی تضیق مسافة الخلف بین اللهجتین و ینتهی بهما الأمر بفضل الصحافة و الإذاعة و التعلیم إلی لغة واحدة عامة فیها من الفصحی السلامة و الجزالة و البلاغة و السمو، و فیها من العامیة الدقة و الطبیعیة و الحیویة و التجدد و الوضوح. أما أن تکون لغتنا کلغة الهمج لا تقوم علی قواعد، و لا تجری علی أنظمة، و لا تشعرنا بجمال، و لا تحفزنا لکمال، و لا تربطنا بماض، و لا تصلنا بمستقبل، و لا تجمعنا فی وحدة، فذلک مذهب لا یقول به رجل و هو جاد، و دعوة لا یستجیب لها إنسان و هو عاقل.

فإذا ترکنا الأمور تجری کما تجری انتهت بنا إلی تغلب العامیة لأن أسالیبها غالبة علی السمع، و قواعدها جاریة علی الطبع، فلا یحتاج تحصیلها إلی کتاب و معلم و مدرسة، و إنما یحتاج إلی بواب و خادم و شارع و تغلب الأسالیب العامیة معناه کما قلت فصل الأدب عن الدین و قطع الحاضر عن الماضی و توهین الصلات بین العرب. و فی یقینی أن أمر العربیة لا یصلح آخره إلا بما صلح به أوله: فقه أسرارها کل الفقه، و فهم قواعدها أدق الفهم، و حفظ أدبها أشد الحفظ، و ذلک یستلزم الجهد و الجد فی إعداد المعلم، و العلم و الخبرة فی وضع المنهج، و المنطق و الذوق فی تألیف الکتاب، و الکتاب الأزهری الذی تخرجنا علیه و ما زلنا نرجع إلیه کنز من المعارف لا یعوزه إلا سهولة مأخوذة و حسن تنسیقه و جمال عرضه، فالفرق بینه و بین الکتاب الحدیث فی العرض کالفرق بین حانوت من حوانیت العطارة فی الغوریة، و بیت من بیوت التجارة فی قصر النیل، قد یکون فی الحانوت القدیم ما لیس فی المتجر الحدیث من السلع التواجر و الطرف النوادر؛ و لکن اختفاءها فی رکن غیر ظاهر، و عرضها فی معرض غیر لائق، یضعف الإقبال علیها و یقلل الاستفادة منها، فإذا عرضت الکنوز

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۷۳

الأزهریة عرضا جمیلا مشوقا فی الدروس و المحاضرات و المذکرات و الکتب کان ذلک عسیا أن یدنی قطوفها من الطلاب علی غیر

مؤونة و لا کد ذهن.

إن رسالة الأزهر قائمة کما قلت علی رکنین من دین و لغة، و لکن الأمر فی تأدیته إیاها جد مختلف. الدین کامل لأنه من عمل اللّه، و اللغة ناقصة لأنها من عمل الإنسان، و الکامل الإلهی لا یتأثر بالمکان و لا بتغیر بالزمان و لا یضیق بالحضارة و لا یبرم بالعلم، فهو جدید أبدا، صالح أبدا، ثابت أبدا. أما الناقص فهو عرضة للفساد و الجمود و التخلف، و موضع للزیادة و التجدید و التطور، لذلک کان الاجتهاد فی اللغة و علومها أمرا تحتمه الضرورة و تقتضیه الطبیعة؛ لأن اللغة لا یمکن أن تثبت ثبوت الدین، و لا أن تستقل استقلال الحی، فهی ألفاظ یعبر بها کل قوم عن أغراضهم، و الأغراض لا تنتهی، و المعانی لا تنفذ، و الناس لا یستطیعون أن یظلوا خرسا، و هم یرون الأغراض تتجدد و المعانی تتولد، و الحضارة ترمیهم کل یوم بمخترع، و العلوم تطالبهم کل حین بمصطلح، و لا علة لهذا الخرس إلا أن البدو المحصورین فی حدود الزمان و المکان لم یتنبأوا بحدوث هذه الأشیاء، و لم یضعوا لها ما یناسبها من الأسماء.

نشأ من إنکار حق الوضع اللغوی علی المولدین و حصره فیمن یعتد بعربیتهم من عرب الأمصار حتی آخر المائة الثانیة، أو أعراب البوادی حتی آخر المائة الرابعة، أن طغت اللغة العامیة طغیانا جارفا حصر اللغة الفصحی فی طبقات العلماء و الأدباء و الشعراء و الکتاب یکتبون بها للملوک، و یؤلفون فیها للخاصة، و سیطرت علی حیاة الأمة فی شئونها العامة و أغراضها المختلفة؛ لأن العامیة حرة تنبو علی القید، و طبیعیة تنفر من الصنعة، فهی تقبل من کل إنسان، و تستمد من کل لغة، و تصوغ علی کل قیاس. و الناس فی سبیل التفاهم یؤثرون السهل، و یستعملون الشائع، و یتناولون القریب.

و تخلف اللغة عن مسایرة الزمن و ملاءمة الحیاة معناه الجمود. و النهایة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۷۴

المحتومة لجمود اللغة اندراسها بتغلب لهجاتها العامیة علیها و حلولها محلها، و قد تنبه مجمع اللغة العربیة لهذا الخطر فقرر فیما قرر استجابة لاقتراح عرضته، فتح باب الوضع اللغوی للمحدثین بوسائله المعروفة من الاشتقاق و التجوز و الارتجال، و إطلاق القیاس لیشمل ما قیس من قبل و ما لم یقس. و تحریر السماع من قیود الزمان و المکان لیشمل ما یسمع الیوم من طوائف المجتمع کالبنائین و النجارین و غیرهم من أرباب الحرف و الصناعات، و اعتماد الألفاظ المولدة و تسویتها بالألفاظ القدیمة، و علی هذه المبادیء و غیرها وضع معجمه الوسیط الذی سیظهر قریبا.

أما الاجتهاد فی الدین فقد فتحت أبوابه أول الأمر لمن تجهز بجهازه و اعتد له بعدته، حتی إذا زخر الفقه الإسلامی علی اختلاف مذاهبه مدی عصوره بالآراء المحکمة و الوجوه المحیطة، وجد فیه المسلمون جوابا شافیا عن کل سؤال یخطر علی الذهن، و حلا جامعا لکل إشکال یعرض فی المجتمع، و حکما عادلا فی کل قضیة ترفع إلی القضاء، فاستغنوا بغزارته و إحاطته عن الاجتهاد فیه، و انصرفوا إلی اجتهاد من نوع آخر هو الاجتهاد فی اختیار الرأی المناسب، و ترجیح الحکم الموفق. جاء فی کتاب الولاة و القضاة للکندی أن قاضیا شافعی المذهب کان بمصر فی عصر الإمام الطحاوی و کان یتخیر لأحکامه ما یری أنه یحقق العدل من آراء الأئمة و لا یتقید بمذهب من المذاهب، و کان مرضی الأحکام لم یستطع أحد أن یطعن علیه فی دینه و لا فی خلقه و لا فی حکمه، سأل هذا القاضی الإمام الطحاوی عن رأیه فی واقعة من الوقائع فقال الطحاوی: أ تسألنی عن رأیی أو عن رأی أبی حنیفة؟ قال القاضی: و لم هذا السؤال؟ قال الطحاوی ظننتک تحسبنی مقلدا فقال القاضی: لا یقلد إلا عصبی أو غبی. هذه الثروة الفقهیة الضخمة لم یحجبها عن الناس إلا أسلوب التألیف القدیم، و الیوم و قد تطورت المدینة و تغیرت العقلیة ینبغی أن یطابق التعلیم و الکتاب مقتضیات العصر. هذه هی المحنة الثالثة التی تعانیها اللغة العربیة الیوم.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۷۵

و هی لا تختلف عن سابقتیها إلا فی أن موقف الأزهر منها یجب أن یکون إیجابیا: یقابل العمل بالعمل، و یرد الکید بالکید، و یقاوم الدعایة بالدعایة، و یقف بالمرصاد لکل من یسول له جهله أو هواه أن یبعث بلغة الإسلام، و یوهن رابطة العرب. و الأزهریون الذی

حملوا أمانة اللّه، و بلغوا رسالة نبيه أكثر من عشرة قرون يستطيعون أن يدرءوا خطر هذه الإباحية عن اللغة و الدين متى صدقوا الجهاد و ذكروا أنهم جند اللّه يرمى بهم العدو فى كل وقت و فى كل أرض و على أية صورة، فيعيشون للموت كالجنود، و يعملون للحياة كالقادة، و يعزفون عن الدنيا كالرسل، و اللّه سبحانه و تعالى قد ضمن للعربية بقاء البيان ببقاء القرآن و على أيدى أبناء الأزهر- المؤمنين برسالته- صدق اللّه وعده، إن اللّه لهو خير الصادقين؟

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۷۷

الأزهر من بعيد .. و من قريب

كتب محمد زكى عبد القادر فى يومياته فى الأخبار عام ۱۹۶۱ يقول:

الأزهر عزيز علىّ جدا، لا لأنه منارة الإسلام و المسلمين عبر قرون طويلة فحسب، و لكن لأنه اقترن بصباى، فقد كان عمى طالبا فى الأزهر و كنت تلميذا بالمدارس الثانوية أقيم معه و يرعى شئونى و أنا و هو مغتربان فى القاهرة لطلب العلم .. و كنت لهذا ألتمسه فى فناء الأزهر، و أراه يشهد الدروس، فأجلس معه أستمع فلا أفهم و لكننى أعجب لطول الدرس و طول الأناة و يشوقنى أن أرى الشيخ يلقى ما يلقى و يسأل من وقت إلى آخر:

ظاهر .. ظاهر .. فيسمع همهمة تقول: ظاهر ياسى الشيخ ..

و كنت أخشى الأزهر فى عبض الامسيات حين أكره وحدتى فى مسكنى، فيقول عمى: لا عليك .. هات كتبك و اجلس معنا ذاكر دروسك .. و كنت فى سن صغيرة أخشى فيها الوحدة، فأوثر أن أحمل كتبى، و آخذ مقعدى كما كان يفعل طلاب الأزهر حينئذ، جالسين على الحصر الممدودة، و من فوقهم قناديل بيضاء جميلة، ترسل نورا كليلا، و لكنه كاف لكى أرى و أقرأ من غير صوت و لكى يروا و يقرءوا بصوت،

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۷۸

يجتمع مع الأصوات الأخرى، فإذا الأزهر كله خلية نحل لا تكف عن الهمهمة، بل ما يشبه الضجيج .. و كان كلاهما يحول بينى و بين أن يأخذنى النوم الذى كان يطاردنى إذا آثرت أن أبقى فى البيت.

و فرغت من دراستى الثانوية، و التحقت بكلية الحقوق، و عمى يرعانى، و صلتى بالأزهر لا تنقطع، أغشاه لكى أقرأ و أدرس، و أغشاه لكى أجلس إلى زملاء عمى من طلاب الأزهر، و أنصت أحيانا إلى ما يقرأون فلا أفهم شيئا أيضا على الرغم من أننى حينئذ كنت قد بلغت من الفهم و الدرس ما أفضى بى إلى الدراسة الجامعية ..

و مرت الأيام و تخرجت، و افترقت الحظوظ بينى و بين من عرفت من طلاب الأزهر، و لكن صورة الأزهر ظلت خيالا يلازمنى طوال حياتى، و قرأت ما قرأت و وعيت ما وعيت و أدركت من تاريخ الأزهر الكثير، و اقترنت القراءة عنه بالصورة التى كابدتها و عرفتها و ثبتت فى خيالى

و كنت أزوره بين الوقت و الآخر، صحيح أن الفترات بين زياراتى كانت متباعدة، و لكننى كنت أزوره لكى تظل صورة هذا المسجد العتيق العريق الأمين حية فى خاطرى و قد اقترنت فى حياتى بمطلع صباى، و قرأت تاريخه منعما متأملا، و قارنت بين مراحل تاريخه و المرحلة التى كان يعيش فيها، فوجدت الفرق الكبير بين الصورتين .. كان الأزهر فيما مضى و منذ إنشائه إلى تاريخه الوسيط منارة العلوم الدينية و الدنيوية، كان ينبوع المعرفة فى الطب و الفلك و الهندسة و الكيمياء و الجغرافيا إلى جانب المعرفة فى علوم الدين. كان يقدم للوطن و الإسلام خلاصة الرجال الذين رفعوا ذكره و رفعوا عنه العدوان .. كان المنارة التى تشع المعرفة بكل أنواعها فى العالم الإسلامى و العالم العربى. ثم شاءت ظروف الحكم و السياسة و قهر الشعب أن ترد الأزهر بعض الشىء عن المشاركة الفعلية فى حياة البلاد، فقصرته

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۷۹

علی دراسة الدین و فصلته أو کادت عن شئون الدنیا المتطورة من حوله.

و لیس هـذا فی شـیء من الـدین و لا هو فی شـیء من الإسـلام، فالدین لا یفرق بین شـئون الدین و الدنیا، و الإسـلام منذ وجد منهج للحیاة، و مشارکـة خالصـة فی سـعادة الإنسان فی الـدنیا بحسـبانه عضوا فی جماعـة متطورة لا بد أن یأخذ حظه من العلم و الحضارة و التقدم المادی

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۸۱

الأزهر الخالد

اشارة

تمهیـد: الأزهر هو أعرق الجامعات العلمیـة فی العالم، فهو أطولها عمرا و أجلها أثرا فی تاریخ الفکر العربی و الإسـلامی، بل فی تاریخ العلم کله.

و الأزهر طوال عصور التاریـخ حارس التراث العربی و حامل مشـعل الثقافـة الدینیة، و الملاذ الذی تهوی إلیه أفئدة المسـلمین من کل مکان، و الضوء الذی ینیر لهم الطریق و یبصرهم سواء السبیل.

و للأزهر مکانـة کبری فی مصـر و العالم الإسـلامی جمیعه، و آراؤه فتاوی علمائه تقابل من کل مسـلم فی العالم الاسـلامی بمزید من التقدیر و الإجلال و الطاعة.

و لم تقم فی مصر جامعة علمیة بالمعنی الصحیح قبل الأزهر، الذی له تاریخ طویل و ذکریات مجیدة و آثار علمیة و دینیة عدیدة.

من تاریخ الأزهر:

أنشأ الجامع الأزهر جوهر الصـقلی قائد الخلیفة الفاطمی المعز لدین اللّه بعد فتحه مصـر بنحو عام، و قد شرع فی بنائه یوم السبت لست بقین من

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۸۲

جمادی الأولی سنة ۳۵۹ ه- ۹۷۰ م، و یذکر بعض المؤرخین أنه شـرع فی بنائه فی یوم السبت الرابع من شهر رمضان فی العام نفسه. و قد کمل بناؤه لسبع خلون من شهر رمضان سنة ۳۶۱ ه- ۲۲ یونیو سنة ۹۷۲ م، و کان الغرض من إنشائه أن یکون رمزا للسیادة الروحیة للدولة الفاطمیة- و منبرا للدعوة التی حملتها هذه الدولة الجدیدة إلی مصر.

و قد أطلق علی هذا المسجد اسم الأزهر نسبة إلی السیدة فاطمة الزهراء التی ینتسب إلیها الفاطمیون، أو لأنه کان یحیط به قصور فخمة تسـمی بالقصور الزهراء، أو لأنه کان یظن أن هـذا الجامع أکثر الجوامع فخامة و رواء، أو للتفاؤل بأنه سـیکون أعظم المساجد ضـیاء و نورا .. و قد احتفل بافتتاحه فی أول جمعة من رمضان عام ۳۶۱ ه.

و أصـبح هذا الجامع مسـجد الدولة الرسمی، و قد حرص وزیر المعز یعقوب بن کلس علی أن یقیم حفلة علمیة فی الأزهر، حیث کان یقرأ علی الناس فی مجلس خاص یوم الجمعة مصـنفاته فی الفقه الفاطمی، کما کان یجتمع یوم الثلاثاء بالفقهاء و جماعة لمتکلمین و أهل الجـدل، و حرص الخلیفـة کذلک علی تکلیف کبار العلماء بإقامة حلقات علمیة فی أروقة الأزهر لتدریس الفقه الفاطمی، و کان

یمنحهم مرتبات شهریة. و لهذا صار الأزهر جامعة علمیة، و ظهر ذلک جلیا حینما بدأت حلقاته تتحول إلی دراسة جامعیة علمیة مستقرة. و ذلک عام ۳۷۸ ه- ۹۸۸ م حینما استأذن ابن کلس الخلیفة العزیز باللّه فی أن یعین بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة و الدرس فی کل جمعة من بعد الصلاة حتی العصر، و کان عددهم ۳۷ فقیها.

و فی عام ۳۸۰ ه رتب المتصدون لقراءة العلم بالأزهر ... و بذلک صار الأزهر معهدا جامعیا للعلم و التعلیم و الدراسة. و من هذا التاریخ یبدأ الأزهر حیاته العلمیة الجامعیة الصحیحة.

و قد استمرت الحرکة العلمیة و الدینیة فی الأزهر قویة مزدهرة فی عهد

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۸۳

الفاطمیین الذین وقفوا علیه الوقوف و أحاطوه بالرعایة، و کان فی مقدمة الأساتذة المدرسین فی الأزهر بنو النعمان قضاة مصر.

و لما قامت الدولة الأیوبیة فی مصر عام ۵۶۷ ه. علی ید مؤسسها السلطان صلاح الدین الأیوبی، محا من مصر المذهب الفاطمی و أحل محله المذهب السنی، و غالی الأیوبیون فی القضاء علی کل أثر للشیعة و أفتوا بإبطال إقامة الجمعة فی الأزهر ..، فلبثت معطلة فیه نحو مائة عام، فقضی الأزهر هذه المدة فی رکود طویل، و قد ظلت حلقات الدراسة فیه علی الرغم من ذلک مستمرة دون أن تحظی هذه الحلقات فی ذلک العصر بکثیر من رعایة الدولة.

و فی عام ۶۶۵ ه أعید افتتاح الأزهر لصلاة الجمعة فی عهد بیبرس الذی شجع العلم فیه هو و لأمراء و القواد، و وقفوا علیه الأوقاف الطائلة ...

و استمر الأزهر یؤدی واجبه الدینی و العلمی فی عهد الممالیک و عهد الدولة العثمانیة و عهد النهضة المصریة الحدیثة.

و أول شیخ تولی مشیخة الأزهر کما یحدثنا التاریخ هو الشیخ الخرشی المالکی المتوفی عام ۱۱۰۱ ه و تولی بعده الکثیر من مشایخ الأزهر حتی بلغوا حتی الیوم ۴۱ شیخا آخرهم شیخ الأزهر الحالی الشیخ عبد الرحمن تاج.

و فی عهد محمد علی و أسرته انتقصت أوقاف الأزهر و حقوقه، و لکنه ظل یؤدی واجبه العلمی و الدینی بنشاط کبیر. و من الأزهر کان طلبة البعوث الذین بعث بهم محمد علی إلی أوروبا و عادوا إلی مصر ینشرون العلم و المعرفة و النهضة فی کل مکان، و کانت جل المدارس التی أنشأها محمد علی تأخذ طلبتها من طلبة الأزهر الشریف، و لما أنشئت دار العلوم عام ۱۸۷۱ م و مدرسة القضاء الشرعی عام ۱۹۰۷ م استمدتا طلبتهما من الأزهر. و کان مدرسو الدین و اللغة العربیة فی جمیع مدارس الدولة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۸۴

و معاهدها من خریجی الأزهر الشریف. و کذلک کان طلبة مدرسة المعلمین الأولیة و أساتذتها.

و قد قام لأزهر بنشاط کبیر، و أسهم بنصیب ضخم من الجهاد الوطنی فی جمیع المواقف القومیة الوطنیة فهو الذی قاوم الاحتلال الفرنسی لمصر و هو الذی أذکی لهیب الثورة العرابیة، و هو الذی غذی ثورة عام ۱۹۱۹، و له فی کل موقف وطنی جهاد مذکور مشکور.

و منذ آخر القرن التاسع عشر إلی عصرنا وضعت قوانین منظمة لشئون الأزهر. و من أشهر هذه القوانین قانون عام ۱۹۳۰ م بإصلاح الأزهر الشریف، و آخر هذه القوانین قانون عام ۱۹۳۶ م الذی یسیر الأزهر علیه الیوم فی نظامه الجامعی و العلمی، و فی تقسیمه إلی معاهد و کلیات .

فضل الأزهر علی العلوم و الآداب:

الأزهر بیت العلم العتیق و مثابة الثقافة الإسلامیة. حمل لواء المعرفة فی مصر و فی الشرق الإسلامی قرونا متصلة و حفظ التراث

الإسلامی فی الدین و اللغة و العلوم و نشره علی الآفاق طیلة ألف سنة أو یزید. و قد تخرج فیه أفواج من العلماء خلال عصور التاریخ ممن انتشروا فی بقاع الأرض و حملوا معهم مشاعل المعرفة و الثقافة التی تزودوا بها فی الأزهر فأضاءوا الأرض علما و نورا و رشادا.

و لا یزال الأزهر حتی الیوم کعبة العلوم و الآداب و معقد آمال المسلمین فی مشارق الأرض و مغاربها.

و الأزهر هو الذی حفظ العلوم الإسلامیة و اللغة العربیة من الضیاع و الاندثار و هو الذی حفظ للأدب العربی، فی شتی بلاد العروبة، رونقه

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۸۵

و بهاءه. و قد تخرج فیه العدید من العلماء و الأدباء و الکتاب و الخطباء و الشعراء فی کل عصر و کل جیل.

أثر الأزهر فی التوجیه الدینی:

و الأزهر منذ أنشیء حتی الیوم هو الذی یتولی قیادة الحرکة الدینیة فی العالم الإسلامی، و آراء شیوخه فی الحجة القویة التی یقابلها المسلمون فی شتی بقاع الأرض بالطاعة و الامتثال و القبول. و قد خرج الأزهر الکثیر من رجال الدین منذ أنشیء إلی الیوم، و خریجوه هم الذین تولوا قیادة الحرکة الدینیة فی کل مکان من بلاد العالم الإسلامی.

و فی الأزهر هیئة کبار العلماء التی أنشئت بمقتضی قانون عام ۱۹۱۱ م. و فیه کذلک لجنة للفتوی عام ۱۹۳۷ م. و هاتان الهیئتان لهما أثر کبیر فی التوجیه الدینی فی العالم الاسلامی.

و من أعلام الأزهر و أئمته فی التوجیه الدینی الإمام محمد عبده (۱۲۶۶ ه- ۱۹۰۵ م) و له فضل کبیر فی الإصلاح الدینی و فی إصلاح الأزهر.

و من أعلامه کذلک محمد مصطفی المراغی، و مصطفی عبد الرازق و سواهما، ممن قادوا الحرکة الدینیة و وجهوها توجیها قویا فی العالم الاسلامی کافة.

و الأزهر بحق قائد الحرکة الدینیة فی العالم الإسلامی قاطبة.

مکانة الأزهر فی العالم الإسلامی:

و لقد ورث الأزهر الحدیث میراثا روحیا و ثقافیا ضخما جلیلا عن الأزهر القدیم، ورث عنه الرسالة الدینیة التی قام منذ أن أنشیء لحمل أمانتها، و التی أخذها بکلتا یدیه لیؤدیها إلی العالم شعلة مضیئة هادیة، و مثلا إنسانیا

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۸۶

رفیعا، و مذهبا فکریا قادرا علی قیادة الحیاة و البشریة جمیعا إلی السلام و الإخاء و الأمن و الرفاهیة.

و ورث عنه الرسالة الثقافیة التی جاهد من أجلها أجیالا طوالا، و التی قامت علیها أروقته و محاریبه و قبابه و مآذنه الشم، و دأبت علی الکفاح فی سبیلها حلقاته الطاهرة، التی تجمع فیها شباب المسلمین- من شتی الأقطار و الشعوب- علی کلمة الحق و التقوی و المعرفة، استجابة لأمر اللّه، و تحقیقا لفکرة الإسلام، و سعیا وراء الحقیقة التی هی أکبر محرر للأمم، و الجماعات و الأفراد. من أغلال الجهل و الجمود و التأخر.

و عاشت حلقات الأزهر الجلیلة طویلا خلال هذه الأجیال، و هی نحمل عن العالم الإسلامی رسالة الإسلام الروحیة و الدینیة و الثقافیة، و تؤدیها ناصعة بیضاء کخیوط الفجر، مشرقة هادیة کضوء الشمس، و من هذه الحلقات تخرج زعماء العالم الاسلامی فی القدیم، و

كانت عن جدارة بمثابة مصنع يصنع الرجال و الأبطال، ممن قادوا الشعوب الإسلامية إلى النهضة، و الحضارة و العزة، مما جعل للأزهر مكانة كبرى فى العالم الإسلامى.

مواقف خالدة للأزهر:

و لا ننس أن الأزهر قد قاد فى القديم ثورتين كبيرتين تعدان من أسبق الثورات الدستورية العالمية، قاد إحداهما عام ۱۲۰۰ ه- يناير ۱۷۸۶ م الشيخ الدردير، و قاد الأخرى عام ۱۲۰۹ ه- ۱۷۹۵ م شيخ الأزهر فى ذلك الوقت الشيخ عبد اللّه الشرقاوى، و كسب الشعب المصرى من الثورة الأولى مبدأ دستوريا جليلا هو وجوب احترام الحاكم لإرادة المحكومين، و كسب من الثانية مبدأ آخر هو أن الأمة مصدر السلطان، و كانت بمثابة إعلان لحقوق الإنسان، و وثيقة فريدة فى سبيل التحرير سبق بها شعب مصر غيره

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۸۷

من الشعوب، كما اعترف بذلك المؤرخون من العرب و الغرب.

و قد حمل علماء الأزهر عبء الجهاد لتحرير مصر من الاحتلال الفرنسى منذ دخل جيش نابليون أرض الوطن فاتحا. و لا ننس كذلك أن الأزهر قام بثورة ثالثة فى صفر عام ۱۲۲۰ ه- ۱۸۰۵ م لانهاء النفوذ التركى من مصر، و لكن دجالا سياسيا بارعا يتدفق فى أعصابه الدم التركى استطاع بدهائه أن يحول المعركة إلى مغانم شخصية له و لأسرته التى حكمت مصر نحو قرن و نصف من الزمان.

و كان قائد الثورة المصرية الرابعة كذلك أزهريا صميما، هو الزعيم الوطنى القائد «أحمد عرابى» الذى قاد الثورة العرابية للقضاء على نفوذ المستعمرين من الأتراك و المستغلين من الإنجليز. كما كان زعيم الثورة الشعبية الخامسة أزهريا صميما هو المرحوم سعد زغلول، الذى كان يعمل للقضاء على الاستعمار الإنجليزى و تحرير شعب مصر من أغلاله. و لا ننس كذلك أن قادة ثورة مصر الأحرار تتلمذوا على شيخ أزهرى ورع زاهد متصوف كان رائدا روحيا لهم هو الشيخ محمد الأودن من علماء الأزهر المعاصرين.

الأزهر و التجديد:

و لقد تطورت البيئة الثقافية فى الأزهر فى العصر الحديث: بتأثير الحضارة الفكرية الغربية، و بفضل لفيف من علمائه الأعلام الخالدين.

و من الحق أن الأزهر منذ بدأ القرن التاسع عشر كان يتطلع إلى ثقافة الغرب و حضارته فى شىء من الفتور و الكراهية، إيمانا بقومية المسلمين السياسية و الفكرية و الثقافية، و لكنه لم يجحد فكرة السعى إلى النهضة، أو الإيمان بالتطور: فسافر بعض أبنائه فى بعثات حكومية إلى باريس و لندن و سواهما من عواصم الغرب، و كان من أشهرهم رفاعة الطهطاوى.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۸۸

و تطلع بعض علمائه فى أواخر القرن التاسع عشر إلى معرفة بعض اللغات الغربية لدراسة أصول حضارة الغرب الحديثة الفكرية و الثقافية، و للرد على ما يثيره بعض الغربيين حول الإسلام من شبهات، و كان فى مقدمة هؤلاء الإمام محمد عبده، الذى كان أكبر رائد أزهرى للفكر المصرى فى العصر الحديث.

و لقد نهض شيوخ الأزهر منذ أواخر القرن التاسع عشر بعبء إصلاح البيئة الثقافية داخل الأزهر، و بعث روح التجديد و الحياة فى حلقات الأزهر العلمية، لتكون على صلة بينابيع الفكر الحديثة المتدفقة.

و فى الحق أن الأزهر المحافظ المتمسك بتقاليده و شعائره و نظمه و حياته الثقافية كان أرجح كفة من عوامل التجديد، و تيارات الجديد.

و منذ أكثر من ربع قرن من الزمان، أو بالتحديد فى مايو سنة ١٩٢٨ تولى مشيخة الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغى و هو تلميذ من تلامذة الإمام محمد عبده، و لكنه ما لبث أن استقال منها فى أكتوبر سنة ١٩٢٩، و خلفه الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى، ثم عاد الشيخ المراغى إلى المشيخة فى ٢۶ أبريل سنة ١٩٣٥، و ظل فيها إلى أن توفى فى ٢٢ أغسطس ١٩۴۵.

و على يد الشيخ الظواهرى تحول الأزهر إلى جامعة علمية لها كليات ثلاث: هى الشريعة و اللغة و أصول الدين، و فيها أقسام للدراسات العليا ذات نظام علمى جامعى، و لكن أثر ذلك لم يظهر إلا فى عهد الشيخ المراغى و على يديه و بتشجيعه و رعايته، فكان يشرف هو و معاونوه من شيوخ الكليات الأزهرية على نظم هذه الدراسات، و يشترك فى امتحاناتها و مناقشات رسائلها، و يرعى خريجى هذه الأقسام و يضعهم فى منازلهم العلمية فى كليات الأزهر. و بذلك صار الأزهر يخضع فى حياته الثقافية الجديدة للنظم الجامعية الصحيحة.

الأزهر فى ألف عام، ج٣، ص: ٣٨٩

هذا عدا ما صنع الشيخ من تقدير للكفايات العلمية، و رعاية للبحث الثقافى الحر فى داخل الأزهر، فصنع بذلك نهضة ثقافية جديرة بالتأمل و التقدير.

الأزهر الخالد

الأزهر جامعة الإسلام العريقة، و منارته الهادية، و سيظل النور متألقا منه إلى قيام الساعة. و من عجب أن تقوم فى مصر دعوة إلحادية ترمى إلى إلغاء التعليم الدينى بحجة توحيد التعليم، أوقل إلى إلغاء المعاهد الإبتدائية و الثانوية الأزهرية، و التى تمثل ثلثى بناء الأزهر العالمى، و نحو ٨٠ فى المائة من طلبة الأزهر الشريف.

و نحن نسائل هؤلاء الداعين إلى توحيد التعليم: هل ألغت فرنسا أو انجلترا أو أمريكا التعليم الدينى فى بلادها؟ كلا ... و هل ألغت هذه الشعوب التعليم الدينى فى المستعمرات التى تحكمها؟ كلا ... و هل ألغت فرنسا المعاهد الابتدائية و الثانوية لجامعة الزيتونة الدينية فى تونس بحجة توحيد التعليم؟ كلا ...

إن هذا الموقف الذى يقفه طه حسين من الأزهر يدلنا على سخف شديد و تفاهة واضحة. فطه حسين هو سفير فرنسا الثقافى فى الشرق الأوسط، و هو الذى تعامل عام ١٩۴٧ مع وكالة يهودية و أصدر لها مجلة الكاتب المصرى، و حشد لها الأقلام ليكونوا جميعا عمالا و أجراء لدى الوكالة اليهودية فى مصر.

و فى الحق أن نقول: إن الأزهر ليس ملكا لمصر وحدها، بل كذلك ملك للعالم الإسلامى كله، و قد شارك العالم الاسلامى الأزهر فى الدفاع عن الأزهر و مقوماته، و أيدت الجماعات الإسلامية فى كل مكان الأزهر الشريف، و إن طه حسين الذى يثرثر فى الصحف و يقول فيما يقول: إن

الأزهر فى ألف عام، ج٣، ص: ٣٩٠

الأزهر لا يتعلم كما يتعلم الناس، يفوته أو ينسى أنه فى عام ١٩۵١ كان و هو وزير للمعارف يصرح فى وفود الأزهر بأن الأزهر هو المكان الأول الذى تحيا فيه علوم الدين و العربية، و ينسى كذلك ما كتبه فى مناسبات عديدة فى تمجيد الأزهر و ثقافته.

و الدكتور لطفى السيد لا يمكن أن يكون متعصبا للأزهر، و له كلمة فى التنويه بالأزهر و ثقافة بمناسبة ترؤسه لجنة مناقشة رسائل العالمية من درجة أستاذ عام ١٩۴۴، و قد قال فى كلمته هذه: أحمد اللّه أن أصبح الأزهر اليوم فى مستوى علمى رفيع، و صرنا نتحدث فيه فى الفلسفة القديمة، و يتحدث أصحاب الرسائل العلمية من خريجيه عن (الإله عند أرسطو) و إنها لنهضة تبشر بالخير كل الخير بإذن اللّه، و كلمته مسجلة فى الجزء الثانى من كتاب (المنتخبات) لعميد الجيل الدكتور لطفى السيد.

و شهادة الدکتور منصور فهمی و أمین الخولی و سواهم للأزهر، لا یمکن أن تحمل علی أی لون من العصبیة، و قد کان هؤلاء و سواهم ممن أسهموا فی أعمال مناقشة رسائل خریجی أقسام العالمیة من درجة أستاذ فی الأزهر الشریف.

علی أن مناهج الأزهر الیوم متخمة بالعلوم الحدیثة فی شتی مراحل التعلیم فیه، و هذه العلوم من الکثرة إلی حد أن صرنا نشکو من أنها أصبحت تستأثر بوقت الطالب الأزهری، و تضعف مستواه فی العلوم الدینیة و العربیة.

و إنا لنرجو أن تزداد الثقة بالأزهر یوما بعد یوم، و ما ذلک علی اللّه بعزیز، و إنه لم یجن علی الأزهر إلا تدخل السیاسة قدیما فی شئونه، و نرجو للأزهر الیوم کل عزة و کرامة، و نهضة و تقدم، فی شتی جوانب نشاطه الروحی و الفکری و الثقافی.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۹۱

الدکتور طه حسین و الازهر

یری د. طه أن إغلاق ثلثی الأزهر إصلاح له .. و أن إبعاد ۹۰ فی المائة من طلاب الأزهر عن معهدهم الذی ینهلون منه الثقافة الإسلامیة الصحیحة یجب أن یکون هو الخطوة الثانیة التی تخطوها مصر فی عهد ثوارها. و الدکتور طه لم یدع فی یوم من الأیام إلی إلغاء جامعة من جامعاتنا اکتفاء بأخواتها، و هو الذی حارب إدماج أقسام اللغة العربیة فی آداب الجامعات الثلاث فی قسم واحد. و فی عهده فی وزارة المعارف کان یشجع إنشاء المدارس الأجنبیة و الخاصة و الحرة، و لم یزعم أن من مبادیء الإصلاح إدماج هذه المدارس أو الجامعات بعضها فی بعض، فکیف به یقف من الأزهر هذا الموقف العابث الذی لا یتصور طه نفسه خطره علی نفسه و علی مصر و علی العالم العربی و الإسلامی.

و لو کان الدکتور طه یحرص علی سمعة الفکر المصری المعاصر حقا لما لجأ إلی هذا المنطق السوفسطائی العجیب الذی یجعل به الحق باطلا و الباطل حقا، و یظن أن الناس قد صدقوا هذا المنطق المقلوب. و أنا أزعم أن الدکتور طه سوفسطائیا و إنما هو یحاول أن یلجأ إلی منطق السوفسطائیین لیقنع الناس برأیه لغرض فی نفسه. و أشهد أن فرنسا الاستعماریة لم تحاول فی یوم من الأیام أن تغلق الأقسام الابتدائیة و الثانویة من جامعة الزیتونة الدینیة فی تونس، بدعوی توحید التعلیم، أو باسم إصلاح الزیتونة، و التعلیم الابتدائی و الثانوی فی الأزهر- و هو الذی تجمع مناهجه بین ثقافات وزارة المعارف و علوم الدین و اللغة علی أوسع نطاق- لیس هو الذی تعمل الدولة علی تصفیته لأن الشعب نفسه، و الدولة نفسها، لا تری فیه إلا الخیر کل الخیر لمصر و للعالم الإسلامی کافة. و لو قدر الغی التعلیم الابتدائی و الثانوی من الأزهر لما استطاع مثل الدکتور طه أن یتعلم و أن یسمع به الناس.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۹۲

و الشعوب الإسلامیة کافة ترسل أبناءها إلی الأقسام الابتدائیة و الثانویة فی الأزهر، فماذا یرید الدکتور طه لأبناء هذه الشعوب الإسلامیة بعد إغلاق المعاهد الأزهریة الابتدائیة و الثانویة، أظنه سیحاول أن یشرع لهذه الشعوب، کما یحاول الیوم أن یشرع لمصر و لشعب مصر و لثورة مصر.

و فی البلاد الإسلامیة معاهد ابتدائیة و ثانویة علی غرار الأزهر، و بعضها تتبع الأزهر، فما ذا تصنع یا دکتور طه بهذه المعاهد بعد إغلاق مثیلاتها من الأزهر فی مصر؟.

و أنت تعلم أن مثل هذه المعاهد هی الوسیلة الوحیدة لتعلیم الثقافة الإسلامیة و العربیة فی بعض الشعوب المسلمة التی یحکمها الاستعمار.

و یعمل جاهدا علی أن یحطم فیها کل مقوماتها لتظل فریسة فی أنیابه إلی الآن.

و ما رأیک یا دکتور طه و أنت تدعو إلی تعلیم الشعب فی أن هذه الأقسام الابتدائیة و الثانویة هی التی کان یلجأ إلیها أبناء الشعب لیتعلموا و یتثقفوا، ثم هی الوسیلة الوحیدة للتعلیم لدی أغلبیة الریف الذین لا یؤمنون إلا بالأزهر و ثقافته.

و الدكتور طه لا يجهل أن هذا التعليم الدينى قد قام تحقيقا لمشيئة أهل مصر الإسلامية، و وقف عليه المسلمون فى مصر و غيرها أوقافا طائلة، و لا يزالون يمدونه بالعون و الرعاية فى مصر الإسلامية و فى غيرها من الشعوب المسلمة، و أنه هو الذى تحققت فيه مجانية التعليم و ديمقراطيته و ظروف تكافؤ الفرص أمام الشباب الإسلامى لا اليوم فحسب، و لا الأمس فقط، بل طيلة ألف عام أو يزيد.

و الدكتور طه يدعو إلى توحيد التعليم تحت راية وزارة المعارف و جعل كليات الأزهر معاهد للتخصص فى الثقافة الإسلامية، و كيف يتخصص طالب فى شىء لم يمهد له؟ و من الذى يستطيع أن يفهم بعد التوجيهية

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۹۳

أصول الفقه و علوم أصول الدين و فلسفة العربية فى كتاب سيبوية و غيره، و فلسفة اللغة فى الخصائص و المخصص و غيرهما.

و الدكتور طه يقول: إنه يحب أن يشارك الأزهريون فى كل ميدان، فيكون منهم مهندسون و أطباء و سوى ذلك، و أنا أحب أن يشرح الدكتور للناس ذلك، فلقد أحب ألا يكون هناك تعليم ابتدائى أو ثانوى خاضع للأزهر، ثم فرض أن حامل التوجيهية سوف يدخل كليات الأزهر ليتخصص فى الدين و اللغة، فمتى يكون مهندسا أو طبيبا؟ أيكون ذلك و هو يحمل التوجيهية فقط، أم سوف يكون كذلك بعد تخرجه من الأزهر؟ أليس هذا هو عين سوفسطائية الدكتور طه، التى ينعتها بلقب التجديد و اسم المنطق.

و الدكتور طه، يعلم أن حامل التوجيهية لن يدخل الأزهر لأنه لا يستطيع أن يدرس بعد التوجيهية علوم الأزهر و ثقافته. أرح نفسك يا دكتور من هذا الالتواء و التعقيد و التكلف البغيض، ادع فى الناس إلى إغلاق الأزهر لا لذنب جناه الأزهر و لكن لأنه لم يستطع أن يؤمن بمنطقك بأفكارك. ثم لأن له تاريخا مضيئا، و منزلة كريمة فى العالم الإسلامى منذ عشرة قرون.

إى و اللّه عشرة قرون كاملة، حقق الأزهر فيها لمصر العزة و الكرامة و معانى القومية الصحيحة و رباها على الحرية، و تعشق الثورة و الإيمان بمصر، مصر الخالدة العزيزة و ظل فيها معقل القومية، و ملاذ الفكر الحر المتوثب المنطق إلى أهدافه النبيلة فى الحياة.

الأزهر فى القرن العشرين

من روح مصر، و من ضميرها الوطنى، و كفاحها القومى، انبثق فجر الحرية و الثورة و الكرامة و العزة و الاستقلال لمصر الخالدة، مصر التى تقهر

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۹۴

الأحداث، و التى تسلم أبناؤها الثائرون أمانة الوطن المفدى، بعد أجيال طويلة ملؤها النضال فى سبيل الشعب: حريته و عزته و كرامته.

و فى هذا المجال نذكر الأزهر، الأزهر العريق فى التاريخ، فى المجد، فى الجهاد، و الذى عرفت له مصر أروع الأعمال، و سجلت الأيام له أمجد الصفحات فى تاريخنا القومى و الوطنى.

و عند ما نريد الحديث عن «رسالة الأزهر فى القرن العشرين» لا بد أن نشير إلى تاريخ الأزهر فى الكفاح الوطنى، لأنه جزء لا يتجزأ من تاريخه الثقافى و الدينى، و من رسالته التى حملها خلال العصور و الأجيال، بل من تاريخ بلادنا التى حملت رسالة الثقافة و الحضارة، و ألهمت الإنسانية أرفع معانى النهضة و التقدم و الحياة.

و فى هذه السبيل نذكر الشيخ الإمام الدردير رضوان اللّه عليه، و تذكر كفاحه من أجل مصر و شعبها الحر الأبى، ففى عام ۱۲۰۰ ه: ۱۷۸۶ م أعلن علماء الأزهر الشريف الثورة ضد الأمراء من المماليك، لإسرافهم فى فرض الضرائب، و نهب أموال الشعب، و كانت الثورة بقيادة الشيخ الدردير، الذى بادر فأعلن تصريحه الخالد المأثور: سنثور مع الشعب، و ننهب بيوت المماليك كما ينهبون بيوتنا، و نموت شهداء أو ينصرنا اللّه عليهم».

و جاء الأمراء يعتذرون للإمام الزعيم، و لم يقبل الشيخ اعتذارهم حتى ألزمهم بميثاق وطنى مكتوب، أعلن فيه لأول مرة حقوق

الإنسان قبل میلاد الثورة الفرنسیة بسنوات ثلاث، و نص فیه علی حریة الشعب، و عدم جواز فرض ضرائب إلا بإرادته، و علی أن الأمة مصدر السلطان.

و نذکر کذلک الشیخ الإمام عبد اللّه الشرقاوی، و جهاده من أجل مصر. ففی عام ۱۲۰۹ ه: ۱۷۹۵ م أعلن علماء الأزهر الشریف الثورة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۹۵

علی الممالیک، و أجمعوا علی مقاومة أمرائهم بالقوة إلی أن یستجیبوا لمطالب الشعب، و کان قائد هذه الثورة هو الإمام الشیخ عبد اللّه الشرقاوی شیخ الأزهر أیام ذاک، و کان مجلس الثورة یعقد فی الأزهر، و أعضاؤه هم:

الشیخ الشرقاوی: و الشیخ البکری، و الشیخ الأمیر، و السید عمر مکرم، و لم تنته الثورة إلا بعد اعتذار أمراء الممالیک، و بعد أن أصدر أعضاء مجلس قیادة الثورة وثیقة وقعوا علیها و ألزموا الأمراء بالتوقیع کذلک علیها، و کانت إعلانا وطنیا جلیلا لحقوق الشعب، حیث تضمنت ما یلی:

۱- ألا تفرض ضریبة إلا إذا أقرها مندوبو الأمة.

۲- أن ینزل الحکام علی مقتضی أحکام المحاکم.

۳- ألا تمتد ید ذی سلطان إلی فرد من أفراد الأمة إلا بالحق و الشرع.

و عند ما دخلت الحملة الفرنسیة مصر نبعت ثورة القاهرة الأولی من الأزهر الشریف عام ۱۲۱۳ ه- ۱۷۹۸ م، و کان مجلس الثورة مکونا من کبار علماء الأزهر آنذاک؛ و رئیسه هو الشیخ السادات؛ و کان یعقد اجتماعاته فی الأزهر. و قد بطش نابلیون بالثوار الأحرار، و أغلق الأزهر، و أعدم ثلاثة عشر عالما من أبر علمائه بوطنهم و دینهم.

و کذلک قامت ثورة القاهرة الثانیة عام ۱۲۱۴ ه- ۱۸۰۰ م من قلب الأزهر، و کانت بزعامة الشیخ الأزهری و السید الوطنی عمر مکرم نقیب الأشراف فی مصر، و قد أخمدت هذه الثورة بقوة و عنف، و قبض علی زعمائها، و نکل بهم تنکیلا شدیدا.

و فی عام ۱۲۲۰ ه- ۱۸۰۵ م أعلن علماء الأزهر الثورة علی الوالی الترکی خورشید باشا»، و أجمعوا علی عزله، و کتبوا للخلیفة العثمانی بذلک؛ و قد کان عمر مکرم زعیم هذه الثورة، و لا ننسی کلمة خالدة له

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۹۶

یومذاک، عند ما ذکره أحد قواد الأتراک بالآیة الکریمة: «أَطِیعُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ»؛ فرد علیه عمر مکرم فی عزة و إباء: أولو الأمر هم العلماء و حماة الشریعة و السلطان العادل.

و لما ولی محمد علی حکم مصر استبد بالحکم، و تنکر للشعب، و بطش بالحریات، و أسرف فی فرض الضرائب، و خان العهد الذی عاهد علیه العلماء بأن یحکم بالعدل و الشریعة، فاجتمع فی الأزهر الشریف مجلس وطنی من العلماء، فی أواسط جمادی الأولی ۱۲۲۴ ه- أول یولیو ۱۸۰۹ م لمقاومة محمد علی حتی یخضع لمشیئة الشعب فی عدم فرض ضرائب جدیدة، و إلغاء الضرائب المستحدثة، و رفض السید عمر مکرم زعیم العلماء التوقیع علی میزانیة محمد علی السنویة، و قال کلمة خالدة مأثورة: «إن هذا الحاکم- یرید محمد علی- محتال، و إذا تمکن فسیصعب إزالته، فلنحاربه من الآن، و أسرع محمد علی فخلع السید عمر مکرم من نقابة الأشراف، و نفاه إلی دمیاط، و قد ألقی السید عمر مکرم تصریحا عقب إبلاغه بصنیع محمد علی معه، جاء فیه: «إنی راغب عن منصب النقابة، زاهد فیه، فلیس فیه إلا التعب. و أما النفی فهو غایة مطلوبی، حتی لا أکون مسئولا أمام اللّه عن ظلم یقع علی الشعب، و إنی لا أرید إلا أن أعیش فی بلدة لا تدین لحکم محمد علی». و ظل السید عمر مکرم منفیا فی دمیاط و طنطا حتی توفاه اللّه عام ۱۲۳۷ ه- ۱۸۲۲ م.

و لسنا ننسی الثورة العرابیة و زعیمها الأزهری المصری القائد: أحمد عرابی، و کیف وقف علماء الأزهر وراءه صفا موحدا، یدعون الشعب إلی الجهاد تحت رایته، و أصدروا فتوی شرعیة بمروق الخدیوی توفیق عن الدین لانحیازه إلی الجیش المحارب لبلاده. و أعلنوا فی المؤتمر الوطنی عزل توفیق، و وقف أوامره و تکلیف عرابی بالدفاع عن البلاد، و أن یبلغ المجلس الوطنی هذه القرارات إلی

السلطان.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۹۷

و قد نکل الإنجلیز و توفیق بعد ذلک بعلماء الأزهر تنکیلا شدیدا.

و استمر شیوخه لا- یبالون بالحکام من أسرة محمد علی، و لهم فی ذلک مواقف مشهورة، حتی قامت الثورة المصریة عام ۱۹۱۹. فنبعت من قلب الأزهر، و اشتعلت شرارتها فی صحته، و انبثق من منبره و محرابه فجر الحریة لشعبنا المجید الذی نال ما تمناه بفضل کفاحه الطویل العتید.

و لا ننس موقف الشیوخ الثلاثة: عبد المجید سلیم و مأمون الشناوی و إبراهیم حمروش، من سیاسة القصر و عبثه بقوانین الأزهر و استقلاله و حریته، و کیف أصدروا بیانا مطبوعا موجها إلی العالم الإسلامی، ینددون فیه بفاروق و رئیس دیوانه و رئیس وزرائه، و یسجلون علیهم فی صراحة تدخلهم فی شئون الأزهر و عبثهم بقوانینه. و للشیخ عبد المجید سلیم عند ما هدده رئیس الدیوان بالخطر کلمة مأثورة خالدة: ما دمت أتردد بین بیتی و المسجد فلا خطر بإذن اللّه، و له کلمة أخری ندد فیها بفاروق و عبثه و مجونه عند ما أقام فی کابری لاهیا عابثا، قالها الشیخ و أعلنها و سارت مسیر الأمثال، و هی: «تقتیر هنا و إسراف هناک».

هذه قطرة من کفاح الأزهر و أدائه لرسالته، و للأمانة الملقاة علی کواهل علمائه نحو الشعب. و هی تصور لنا فی وضوح روح الأزهر و جوهره و سر خلوده و بقائه شاهق الذری علی مر الأجیال، راسخا یرسل الضوء و النور و الهدی إلی کل مکان رسوخ الجبال الراسیات. و هل هناک أروع من أن یصدر شیخ معمم فتوی ببیع أمراء المماليک الأتراک لیصرف ثمنهم فی مصالح المسلمین، لأن حکم الرق سار علیهم، و هم أرقاء لسادتهم من أبناء مصر، لأن السلطان اشتراهم من مال الدولة، و لا یزال حکم الرق مستصحبا علیهم. و کان من جملة هؤلاء الأمراء نائب السلطنة، و کلهم أصحاب حکم، و سلطان و نفوذ و جاه، و کان ذلک فی منتصف القرن السابع الهجری، و بعد منتصف القرن الثانی عشر المیلادی بقلیل، و کان هذا

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۳۹۸

الإمام هو الشیخ عز الدین بن عبد السلام رضوان اللّه علیه.

و بعد فإن رسالة الأزهر فی القرن العشرین تشمل الرسالة الدینیة الکبری، و الرسالة الثقافیة و الأدبیة، و رسالته الوطنیة و الاجتماعیة.

فمن صمیم رسالته الدینیة:

۱- إنشاء المراکز الإسلامیة فی دول أوروبا و أمریکا و الشرق الأقصی و أفریقیا لنشر رسالة الإسلام و تعالیمه الصحیحة.

۲- و تلخیص رسالة الإسلام فی مؤلفات حدیثة، و نشرها بجمیع اللغات العالمیة.

۳- و محاربة المادیة و المذاهب الهدامة الوافدة علینا من أوروبا و أمریکا و الدعوة إلی الروحیة السامیة المهذبة، و إذاعتها بین جمیع الطبقات.

۴- و العمل علی إنماء الأخوة الدینیة و الروحیة بین المسلمین فی مشارق الأرض و مغاربها، و نشر رسالة التقدم الروحی و الدینی فی البلاد الإسلامیة.

۵- و إذاعة مبادیء الإسلام و أصوله الرفیعة الصالحة لقیادة الإنسانیة بین مختلف الجماعات و الطبقات، و إحیاء الشعور الدینی و تنمیة روح التدین بین الأفراد و الشعوب.

و من صمیم رسالة الأزهر الثقافیة و الأدبیة:

۱- نشر التراث القدیم فی شتی العلوم الإسلامیة نشرا علمیا حدیثا.

۲- و وضع مؤلفات حدیثة فی جمیع فروع الثقافة، و تناول مشکلاتنا العامة و الخاصة بالدراسة و البحث علی ضوء الدین.

۳- و إقامة معاهد دینیة فی جمیع مدن مصر و العواصم العربیة و الإسلامیة لتعمیم الثقافة الدینیة الصحیحة.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۳۹۹

۴- و ترجمة معانى القرآن الكريم ترجمة دقيقة إلى شتى اللغات.

۵- و النظر إلى مناهج الأزهر و علومه و كتبه الدراسية نظرة جدية جديدة تتفق و حياتنا الفكرية و مطالبنا الروحية.

۶- و دعم التقاليد الجامعية الصحيحة فى الأزهر مما يتفق و تقاليده القديمة الموروثة، و تعزيز النظام العلمى الجامعى فيه، و إقرار نظام الدراسات العليا فيه على أسس جامعية رفيعة.

۷- و إنشاء أقسام جديدة فى كليات الأزهر لدراسة اللغات و الآداب الأوروبية الحديثة، و أهم المذاهب الروحية و الفكرية المعاصرة.

۸- و تنمية التعاون الثقافى بين الأزهر و مختلف المعاهد و الجامعات فى الشرق و الغرب.

۹- و كذلك نشر الثقافة العربية و الأدبية، و إخراج أمهات كتب اللغة و مصادر الأدب إخراجا علميا منظما.

۱۰- و تنظيم المواسم الثقافية و الأدبية لزيادة ثقافة الشباب، و الارتفاع بمستواهم الفكرى.

و من صميم رسالة الأزهر الوطنية و الاجتماعية.

۱- العمل على بعث الروح الثورى فى الشعب.

۲- و مشاركة الدولة فى التوجيه الاجتماعى و الوطنى فى صفوف الأمة.

۳- و المعاونة فى محو الأمية، و فى نشر الأمن، و إذاعة الوئام بين الناس، و فى خلق روح التضحية و القومية و الإيثار و العدل و حب تحمل المسئولية فى نفوس الشباب.

۴- و تخفيف الآلام عن المنكوبين و المحرومين و الأشقياء فى

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۰۰

المجتمع، إلى غير ذلك من صميم رسالة الأزهر التى هى جزء لا يتجزأ من رسالة الإسلام ديننا الكريم.

و من المؤسف حقا أن تكون القوانين فى الأزهر رجعية عتيقة بالية إلى الحد الذى يحول بين الكثير من الشباب و التعليم الدينى، و أن تهمل أمور الشباب فيه إهمالا خطيرا فلا يلقون رعاية و لا توجيها خارج حجرات الدراسة. و لا يتمتعون برحلات علمية منظمة، و لا بنواد رياضية صغيرة أو كبيرة، و لا باتحاد منظم يرعى شئونهم إلى غير ذلك من شتى ألوان التقصير الذى نشكو منه و نطالب بتلافيه.

و يحضرنى هنا رأى قديم للمرحوم مصطفى صادق الرافعى، إذ قال:

إنه لا ضير على الأزهر أن تعاونه الشعوب و الحكومات الإسلامية بالمال و النفقة الواسعة؛ ليسير قدما نحو أداء رسالته كاملة غير منقوصة فى خدمة الشعوب العربية و الإسلامية، و إنه لا ضير عليه كذلك من منح ألقاب علمية للمفكرين المسلمين فى كل مكان، فإن فى ذلك زيادة لنفوذه الدينى و الروحى فى شتى أنحاء العالم الإسلامى.

و بعد فلقد اجتمعت كلمة مصر و الأزهريين على النهوض بهذا المعهد العتيق، و رفعه إلى الأمام بيد قوية و عقل فتى، و روح وثاب، و نحن لا ننسى موقف الثورة منا؛ و رعايتها للأزهر وسط المحن و الشدائد و الدعوات الإلحادية السافرة، فلقادة الثورة و أبطالها الشكر و التقدير على تصريحاتهم القوية النبيلة التى أعزوا بها من شأن الأزهر، و دافعوا فيها عن حضارة الإسلام و معهده العتيق.

و منذ اليوم سيساند الأزهر الثورة و تساند الثورة الأزهر لخلق مصر الناهضة الحرة الأبية، و لإعزاز الدين و الإسلام و الوطن.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۰۱

الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى

فقدت مصر و العالم الإسلامى فى مارس ۱۹۶۹ عالما من أجل علماء الأزهر .. هو فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء و رئيس لجنة الفتوى بالأزهر، انتقل للرفيق الأعلى عن ۷۳ عاما .. قضاها فى سبيل نشر لواء العلم و الدين ..

کان آخر من تولی منصب شیخ مذهب الحنابلة بالأزهر .. و آخر بحوثه التی أعدها بحثا من المقدس و بحثا عن الجهاد فی سبیل اللّه .. و آخر کتاب- ما زال تحت الطبع- هو کتاب الوحی و یقع فی ۳۰۰ صفحة و سیصدره المجلس الأعلی للشئون الإسلامیة، و کان قد أتمه قبل وفاته بساعات.

تخرج الشیخ السبکی فی الأزهر الشریف عام ۱۹۲۵ و عین فور تخرجه مدرسا بمعهد الزقازیق الدینی، ثم نقل أستاذا بکلیة الشریعة عام ۱۹۳۵.

و فی نفس العام عین عضوا بلجنة الفتوی حین کان الإمام الراحل الشیخ المراغی شیخا للأزهر و تولی رئاسة اللجنة منذ خمس سنوات .. و اختیر مفتشا عاما للعلوم الدینیة و العربیة بالأزهر سنة ۱۹۴۷، و فی عام ۱۹۵۱ عاد إلی منصبه أستاذا بکلیة الشریعة و ظل بها حتی أحیل للمعاش عام ۱۹۵۹، و قضی ۴۴ عاما فی خدمة العلم و الدین، و جند نفسه لتفسیر الدین کما أنزله اللّه.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۰۲

اتسع نشاط لجنة الفتوی فی عهده و أصبحت تتلقی الفتاوی و ترد علیهم .. و کان للشیخ السبکی مکانة فی مقدمة العلماء الدارسین فی علوم الدین و اللغة .. و عین شیخا لمذهب الحنابلة بالأزهر و هو آخر من تولی هذا المنصب و فی عام ۱۹۵۴ عین مدیرا لمجلة الأزهر و عضوا فی جماعة نشر الثقافة بالأزهر.

و فی السنوات الأخیرة عین رئیسا للجنة إحیاء التراث الإسلامی و العربی و عضوا بلجنتی الخبراء و موسوعة عبد الناصر للفقه الإسلامی بالمجلس الأعلی للشئون الإسلامیة.

و قبیل وفاته بأیام راجع فیلما تلیفزیونیا عن الإسلام سجله تلیفزیون النمسا و أعد مادته العلمیة فضیلة الشیخ عبد الحکیم سرور مدیر الشئون العامة بالأزهر. و شاهد الشیخ السبکی- رحمه اللّه- الفیلم فی عرض خاص و أشاد بجودته، و سیترجم الفیلم إلی مختلف اللغات، و یعرض فی أنحاء العالم.

ترک سجلا حافلا من التراث الإسلامی .. فی مقدمته کتب نغمات القرآن، و ریاض القرآن، و فی ظلال الکعبة و الهجرة النبویة، کما ترک عددا کبیرا من المقالات فی منبر الإسلام و لواء الإسلام و الوعی الإسلامی و مجلة الأزهر و الشبان المسلمین، و العدید من الأحادیث المسجلة بالتلیفزیون و الإذاعة .. فی برامج نور علی نور، و رحاب الإیمان، و رأی الدین.

و أبناؤه هم المهندس حباب المعید بهندسة جامعة الأزهر و الدکتور عادل بالقصر العینی وهانی و وفاء بطب قصر العینی جامعة القاهرة.

لقد عاش الشیخ السبکی عالما و معلما و سیظل مثلا أعلی یذکره بنوه و تلامیذه و عارفو فضله- بالتقدیر و الوفاء- فی أرجاء العالم الإسلامی ..

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۰۳

ما ذا حدث؟

فی ۱۴ اغسطس عام ۱۸۵۹ .. ما ذا حدث؟: استنکر رجال الأزهر الأمر الصادر بالسماح بإقامة «الحانات» بالقاهرة و کتبوا عریضة ضمنوها استنکارهم و رفعوها إلی جناب الباب العالی .. و جاء بالعریضة أن عدد الحانات بالقاهرة بلغ ۱۲ حانة مما ینذر بالخطر الوبیل علی سمعة الدین.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۰۵

نشاط أزهری

عن نشاط الدعاة الأزهریین نشرت مجلة لیبیا الحدیثة فی عددها الصادر فی ۱/ ۴/ ۱۹۶۹ حوارا بینها و بین رئیس المرکز الإسلامی فی

بریطانیا الشیخ محمد إبراهیم الجیوشی- الدکتور فیما بعد- جاء فیه:

بدأت معه الحدیث عن موضوع رسالة الدکتوراه التی یعد لها فی جامعة لندن .. موضوع شیق و جدید لم یطرقه أحد من قبل، هو البحث عن آثار مفکر إسلامی متصوف کان له أثر بعید فی الفکر الإسلامی و خاصة فی التصوف .. و له بذلک منهج انصرف به عن کل شیوخ التصوف .. فمن المعروف أن شیوخ الصوفیة یعتمدون فی نقل أفکارهم و آرائهم علی تلامیذهم و مریدیهم ثم ینقلها هؤلاء إلی أتباعهم و هکذا .. إلا أن الشیخ الحکیم الترمذی- موضوع البحث- لم یسلک هذا المسلک بل وضع أفکاره و آراءه فی کتب و رسائل بلغت أکثر من سنتین کتابا لا یزال معظمها مخطوطا و لم یطبع منها إلا حوالی أربعة کتب .. و شعرت بأن الشیخ محمد إبراهیم الجیوشی المدیر المساعد للمرکز الإسلامی بلندن سیغوص فی أعماق هذه الکتب و تلک الدراسات الصوفیة .. و أنا لا أزال أشعر بغمرة السعادة بعد أن أدیت صلاة العید فی المرکز الإسلامی بلندن الذی یتجمع فیه أکثر من عشرة آلاف مسلم و مسلمة فی مثل هذه المناسبات فیمثلون أروع صورة لتجمع

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۰۶

المسلمین علی اختلاف أجناسهم و جنسیاتهم .. تراهم من الهند و باکستان و أفغانستان و الملایو إلی آخر قطر عربی و کأنهم فی حج صغیر ..

- قلت لفضیلة الشیخ الجیوشی ما هی قصة المرکز الإسلامی بلندن ..

فکرت انجلترا خلال الحرب العالمیة الثانیة أن تقوم بعمل تربط به أواصر الصلة بینها و بین العالم الإسلامی فقامت بتقدیم هذا المرکز إلی الحکومة المصریة فی ذلک الوقت لیبنی علیه مسجد للمسلمین .. و فی نظیر ذلک قدمت الحکومة المصریة للجالیة البریطانیة فی القاهرة قطعة أرض لتقام علیها کنیسة لهم .. بنیت الکنیسة عام ۱۹۴۵ و لم یبن المسجد حتی الآن .. اعترضت بلدیة لندن علی المئذنة فی بادیء الأمر ثم علی شکل البناء بحجة أنه لا یتناسب مع الأبنیة المجاورة بعد أن حذفنا من نموذج البناء الأول المئذنة و لا تزال القضیة معلقة حتی الآن!.

- ما هو عدد المسلمین فی بریطانیا و مراکز تجمعهم و نشاطهم؟ ..

اعتقد أن عددهم یبلغ حوالی ملیون أو أکثر منهم سبعون ألفا فی مدینة لندن و الباقی موزع فی کل أنحاء الجزر البریطانیة و أغلب المسلمین من الهند و الباکستان حیث یشکلون ۹۵ بالمائة من الجالیة الإسلامیة و الیمنیون من أکثر المسلمین العرب و اذکر أنه کان یتزعمهم فی مدینة کارادیف رجل متدین هو الشیخ عبد اللّه الحکیم و کان له نشاط دینی واسع حتی أنه أصدر صحیفة عربیة و مطبعة عربیة طبعت له العدید من المؤلفات ثم توقفت الجریدة عن الصدور بعد وفاة هذا الرجل الذی بنی مسجدا فی مدینة کارادیف یسمی مسجد نور الإسلام.

- ما هو نشاط المرکز الإسلامی هنا؟ ..

ینقسم نشاطنا إلی ثلاثة أقسام رئیسیة.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۰۷

۱- قسم دینی

۲- قسم ثقافی

۳- قسم اجتماعی.

القسم الدینی- یتمثل فی إقامة الصلوات و خاصة صلاة الجمعة التی یحضرها حوالی خمسمائة رجل و تلقی الخطبة باللغتین العربیة و الانجلیزیة و یبدو هذا النشاط ملحوظا فی شهر رمضان المبارک حیث تقام صلاة التراویح کل لیلة و إلی جانب ذلک الاحتفال بالمناسبات الرسمیة کالعید النبوی الشریف، و الهجرة و غزوة بدر و فتح مکة المکرمة و لیلة القدر و لیلة الاسراء.

الخ. و فى كل ذلك نحرص على ربط المسلمين ببعضهم و ربط هذه الأحداث بتاريخنا المعاصر .. و فى الأعياد تجمع الزكاة و توزع على المحتاجين إن وجدوا و لكن الذى اتبع فى العيد الماضى أن الجانب الأكبر منها صرف للمنظمات الفدائية و فكرنا أن نصرف الجانب الآخر لهذه المنظمات أيضا لأنه فى نظرنا أحق الوجوه إلا أن مجلس المركز الأعلى رأى أن يأخذ رأى مشيخة الأزهر فى هذا.

القسم الثقافى- يتلخص فى تعليم اللغة العربية لمن يرغب من المسلمين .. و عندنا فى المركز الإسلامى فصل لتدريس اللغة العربية مرتين كل أسبوع و الدراسة فيه مجانية للجميع و هناك فصل آخر لتعليم تلاوة القرآن الكريم تلاوة صحيحة .. بجانب هذا توجد محاضرات شهرية ينظمها المركز يوم السبت الأخير من كل شهر عن موضوع إسلامى يلقيه أحد المحاضرين ثم يتبعه مناسبة عامة .. و هناك نقطة مهمة هى أن كثيرا من الكنائس و المدارس و الكليات و النوادى و الجمعيات المختلفة فى بريطانيا تطلب منا محدثين يحدثونهم عن الإسلام فنبعث إليهم بمتحدثين يجيدون اللغة الإنجليزية و لهم اطلاع واسع بالثقافة الإسلامية و لم تكن هذه الظاهرة موجودة من قبل بهذه الصورة التى تزداد يوما بعد يوم فالناس فى شوق لمعرفة حقيقة الإسلام. و هناك أيضا مجلة يصدرها المركز باللغة الإنجليزية مرة كل ثلاثة

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۰۸

أشهر فيها أبحاث تتعلق بالفكر الإسلامى العربى ..

القسم الاجتماعى- و نشاطه واسع يشمل عقود الزواج و اعتناق الدين الإسلامى و مشاكل المسلمين و معظمها نابع من البيئة التى يعيشون فيها و التى تخالف بيئتهم الأصلية كالطعام و الشراب و معاملة الناس و تربية أطفالهم تربية إسلامية فى مجتمع اضطروا لأسباب مختلفة أن يعيشوا فيه .. و كثيرا ما تتصل بنا المستشفيات و تبلغنا بأن مريضا أو مريضة مسلمة ترفض أن تأكل أكلة معينة فنذهب إلى المستشفى و نوضح لهم ما ينبغى عدم أكله و الواقع أنهم يستجيبون لمثل هذه التعاليم .. كذلك فإننا نقوم بزيارة بعض السجناء المسلمين و نبين لإدارة السجن أوقات الصلاة و ما هو محرم على المسلم أكله أو ما شابه ذلك و يشكروننا على ذلك .. و بصورة عامة فإن هذا القسم بالإضافة إلى كل ذلك ينظم الصلة بيننا و بين الجاليات الإسلامية فى الجزر البريطانية ..

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۰۹

المرأة فى الأزهر

التحقت فاطمة الحلفاوية من بلدة «الكمايشة» مركز تلا منوفية قد التحقت بالأزهر فى سنة ۱۳۰۲ ه.

و قطعت فى معهد طنطا مراحل التعليم كلها- و لما حاولت الحصول على الشهادة «العالمية» أخفقت فى الامتحان أمام لجنة كان رئيسها المرحوم الشيخ دسوقى العربى «طه حسين حين أراد الحصول على العالمية».

و فى سنة ۱۳۰۴ ه انتسبت بمعهد طنطا السيدة «فاطمة الغنامية» و هى من مدينة طنطا، و فى نفس العام التحقت سيدة أخرى اسمها فاطمة «العوضية» من بلدة طمبول الكبرى مركز السنبلاوين و جاء ذلك كله فى سجلات الأزهر الشريف.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۱۱

عميد الأدب العربى فى الأزهر

اشارة

دخل الدكتور طه حسين الأزهر يوم الاثنين.؟ ۱۲ أكتوبر بعد غياب طال ۳۷ عاما دخل يتكلم اللغة الفرنسية و يقدم لشيخ الأزهر مستر

رودلف سالات مدير الشئون الثقافية بهيئة اليونسكو. و يسترجع مع الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ذكريات الماضى القريب و البعيد.

و قبل أن يغادر طه حسين المعهد الذى تلقى فيه دروسه الأولى قال له شيخ الأزهر!.

– إن عليك حقا للأزهر .. إن خدمته واجبة عليك لقد وضع الأزهر أساس حياتك العلمية و حان الأوان لترد الدين.

لقد دام اللقاء ساعة جرى خلالها حديث فى الدين و العلم.

و الذكريات .. و لم يحضر هذا الحديث سوى صحفى واحد هو حنفى عاشور سكرتير عام التحرير بالجمهورية.

قال الدكتور طه حسين للأستاذ الأكبر: «إننى أحب زيارة الأحرار و الارتباط بهم و أقصد من الحرية، حرية الفكر و حرية المعرفة، الحرية الموصلة إلى السمو فى الهدف و النبل فى الغاية و التى تحقق آمال الناس جميعا فيما يهدفون إليه، أملا يبنى و لا يهدم، و يعلى و يرفع و لا يخفض.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۱۲

جئت فى صحبة المستر رادولف سالات ليقدم إليكم تحية هيئة اليونسكو جميعا مقدرين لكم جهودكم فى إثارة الوعى الدينى المنظم الذى يجمع و لا يفرق، و إنه ليقدر هو و الهيئة أن الأزهر أقدم جامعات العالم و هو مصدر من مصادر الإشعاع العالمى فهو جدير بالتقدير و لذا رأى أنه من الواجب عليه أن يزور الأزهر جميعا ممثلا فى شخصكم».

و قال الأستاذ الأكبر للدكتور طه حسين

: إننا نضع يدنا فى يدك و فى يد كل محب لإعلاء شأن العقل الإنسانى حتى نتمكن جميعا بيد واحدة، و تماسك واحد، أن نخوض غمار الحياة الحرة الرتيبة، و أنا أعتقد أن أول من يقدر الأزهر و يقدر جهاده إنما هو هيئة اليونسكو و نعتقد أيضا أن توجيه العالم إلى الخير إنما هو إلى الأزهر .. إلى كل هيئة تنشد العلم و تسعى إلى المعرفة و من بينها هيئة اليونسكو، و ذلك مما يركز الأمن و الاستقرار فى ربوع العالم و يمنع من وقوع مثل هذه المذابح الدامية التى تقع دائما صراعا بين الحق و الباطل و بين الحرية و الاستعباد و أنا أرى أنه لا يصح أن تقف الهيئات العالمية على حد البحث العلمى الجامد، و إنما يجب عليها أن تعمل دائما لتوطيد أركان الأمن و تركيز السلام، فإنه لا يجوز أن نستخدم النعم التى أنعم اللّه بها علينا من عقول مفكرة و آراء سديدة و قوة فى الإدراك، لا يجوز أن نستغل هذه أو نوجهها إلى الشر و إلى إثارة الخواطر و تحطيم القوى، و ذلك كله إنما يكون عن طريق التعارف الذى يبعث على الحب و التآلف فإن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، و ما تناكر منها اختلف ...

ثم التفت الأستاذ الأكبر إلى الدكتور طه حسين و قال:

لعلكم تذكرون يا أخى الدكتور أن الأزهر خطا خطوة واسعة فى سبيل التقريب بين المذاهب جميعا، خطا هذه الخطوة حتى فى التقريب بين أهل السنة و الشيعة، و كلية الشريعة الآن تدرس الفقه المقارن بين المذاهب الأربعة و بين غيرها من المذاهب الأخرى، و أنا حريص على أن يعرف

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۱۳

الطلاب و يدرك العلماء الأصول و يقدروا المراجع، و أنا شخصيا أرى ذلك .. أى ليس فى الدين ما يلزم بمذهب معين، فكل الأئمة صح عنهم «إذا صح الحديث فهو مذهبى» و أنا حريص على أن يكون مرجعنا الكتاب و السنة نستقى منهما و نأخذ عنهما و ننهل من

منهلهما العـذب، على أن كل ما يخالف هـذا الأصل و يخالف الكتاب و السـنة نرده و لا نقبله، و أبو حنيفـة يا دكتور يقول: إن من لم يعرف من أين أتينا برأينا لا يصـح أن يقلدنا، و لقد سـمعنا فى أوقات كثيرة أن ابن تيمية ضال مضل و نفر المرجفون الناس من مذهبه و لكن تكشف لهم الأمر فعرفوا أنه هاد و مهد.

ثم تطرق الحديث إلى الذكريات .. فسأل الأستاذ الأكبر الدكتور طه حسين: أتذكر يا دكتور الموضوع الذى أسقطوك فيه فى الشهادة العالمية؟

فأجاب الدكتور طه: نعم، أنه المطلق و المقيد.

ثم سأله الأستاذ الأكبر: كم سنة قضيتها فى الأزهر؟ الأزهر فى ألف عام ؛ ج۳ ؛ ص۴۱۳

ل الدكتور طه: أنا دخلت الأزهر سنة ۱۹۰۲، و تركته سنة ۱۹۱۲، و بقيت فيه عشر سنوات، أنا أحب الأزهر و أؤمن بأنه المشعل القوى و القوى جدا الذى ينير للعالم الطريق المستقيم، و أحب فيه العلم و المعرفة و أكره التزمت، أنا أذكر يا فضيلة الشيخ يوم إن كنت طالبا و كـان معى ثلاثـة من الزملاء و كنت أحضـر النحو على الشـيخ أبو النجـا و كنت حريصا على النقاش العلمى و لكن ذلك الشـيخ لم يعجبه ذلـك و كـأننى قـد أفرطت فى النقاش فطردنا من الـدرس و أقسم ألا يـدرس و نحن فى الفصل فامتثلنا و تركناه و رحنا نحضـر على الشيخ عبد المعطى الشرشيمى فى زاوية العميان، و كان ما كان ..

ثم عاد الدكتور حسين بالذكريات إلى الماضى البعيد فقال موجها حديثه إلى الأستاذ الأكبر: أتذكر فضيلتكم يوم أن جلسنا سويا أنا و فضيلتكم و الأستاذ على عبد الرازق و أخذنا نبحث فيما يجب علينا أن نقدمه لخدمة

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۱۴

الشـريعة الإسـلامية و للعقل البشرى فاتفقنا يوم ذاك على أن يكتب الأستاذ على عبد الرازق فى العقيدة و تكتبون فى الشريعة و أكتب أنا فى تاريخ التشريع؟.

فرد الأسـتاذ الأكبر و قال: إنه لمن حسن الحظ أن تجيئوا اليوم و قـد انتهت المطبعـة من طبع كتابى فى العقيـدة و الشـريعة تحت عنوان «الإسلام عقيدة و شريعة».

فقال الدكتور طه حسـين: و قد كتبت أنا أيضا فى قسم التاريخ كتابا باسم «مرآة الإسـلام» و لا زلنا فى انتظار ما يكتبه الأستاذ على عبد الرازق.

مضـى من الوقت نصف ساعة و المسترسـلات و الدكتور تقى و الأسـتاذ عبد الحكيم سـرور و أنا نسـتمع فى سعادة إلى الحديث الذى يـدور بين الرجلين الفاضـلين ثم قـال المستر سالاـت- باللغـة الفرنسـية طبعا- و قام بالترجمـة الـدكتور طه حسـين .. قال للأسـتاذ: إننى لأستحيى أن أذكر النسـبة بين عمر اليونسـكو و عمر الأزهر المديد و بين عملها و عمل الأزهر المجيد، و اليونسـكو و إن كانت مؤلفة من جميع دول العـالم فإننى أعتقـد أن قـدرتها على نشـر السـلام فى الأرض أقل بكثير من الأزهر و لكننا نطمع فى الكثير من الأزهر و خاصة فى عهدكم الذى يؤمن المصلحون برسالتكم فيه،

ثم قال الأسـتاذ الأكبر موجها كلامه للـدكتور طه حسـين: إن عليك حقا للأزهر و هـذا الحق كـذلك على كل من تتلمذ فى الأزهر و أخـذ من الأزهريين، و إذن فخدمـة الأزهر- إن شاء اللّه- سـيصل بمعونة اللّه و معونة لإخوانى المصـلحين إلى جمع كلمة المسـلمين و رجال الإنسانية على كلمة واحدة و هدف واحد.

قال الأسـتاذ الأكبر: إن الجمهوريـة العربية معنية كل العناية بأمر هذه البعوث و مظهر ذلك إقامة هذه المدينة التى تتكون من إحدى و أربعين عمارة

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۱۵

ضمت خمسـين جنسـية من مختلـف الجنسـيات الإسـلامية ليتفقهوا فى دينهم و يتعرفوا إلى نواحى الاجتمـاع و التعـاون و الـديمقراطية

الصحیحة فی إسلامهم، و لینذروا قومهم إذا رجعوا إلیهم، و لیکونوا رسائل حیة لجمهوریتنا یربطون بیننا و بین إخواننا فی جمیع الدول و هؤلاء یعد لهم الآن منهاج دراسی یتفق و طبیعتهم و یحقق الرباط بیننا و بین دولهم و یساعدنا و یساعدهم علی تحقیق رسالة الإسلام، و لقد وفد إلی الأزهر فی هذه الآونة أحد المسلمین الأمریکان لیدرس فی الأزهر، و قد أمرت له بمنحة شهریة.

أدعو اللّه لهذا و لغیره أن یکون جهاده و تعلمه فی سبیل العلم .. فی سبیل الربط الحر المتین بین دول الأرض بما ینشر السلام و یحققه.

ثم استطرد الأستاذ الأکبر قائلا: إن مشیخة الأزهر تدعوک یا دکتور طه و المستر سالات و الدکتور تقی، تدعوکم من الآن لزیارة هذه المدینة المعدة علی أحدث النظم فی العالم ..

ثم سأل المستر سالات: لما ذا لا تترجمون کتب فضیلتکم إلی اللغات الأخری؟

فأجاب الأستاذ الأکبر: إننی أعدکم بترجمتها ..

فتدخل الدکتور طه حسین فی الحدیث و قال: إننی أتمنی لو ترجمت إلی الأسبانیة و اذکر بهذه المناسبة أننی عند ما کنت وزیرا للمعارف أرسلت بعثة إلی اسبانیا فاشترک الأزهر بواحد و کنت أود أن لو انتفع به الأزهر و هو الآن أستاذا فی کلیة دار العلوم.

و بعد ساعة .. انتهی حدیث شیخ الأزهر و طه حسین و المستر سالات .. انتهی حدیثهم عن حریة الفکر .. الحریة التی توصل إلی السمو فی الهدف و تحقق آمال الناس جمیعا فیما یهدفون إلیه .. الحریة التی تأبی توجیه العلم إلی الشر و تحطیم القوی .. الحریة التی تهدف إلی التعارف الحر علی أساس العلم لا علی أساس السیاسة ..

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۱۶

و انصرف الضیوف الثلاثة .. و أحسست بأنهم خرجوا بشیء جدید عن الأزهر .. أقدم جامعات لعالم واحد المصادر الکبری للإشعاع العالمی ..

کانوا یسیرون إلی الباب الخارجی و کأنهم یحاولون الخطو إلی الوراء ..

لیتحدثوا من جدید .. عن حریة الفکر .. و حریة المعرفة.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۱۷

محمد عبد المنعم خفاجی – أدیبا–

– ۱–

عالم یخطو إلی السبعین، فی صدره عزیمة الشباب، و علی ظهره أعباء سنین طوال، قضاها مجاهدا مکافحا فی سبیل خدمة الثقافة و الأدب، و علی تجاعید وجهه تلوح سمات المحتد و عراقة الأصل و طیبة النفس و التصمیم علی مواصلة الکفاح فی رحلة شاقة إلی المجد، و الإعتماد علی النفس دون محاولة للاستعانة بجاه أحد أو بنفوذه.

و من وراء ذلک کله مؤلفات ینوء بحملها جلد إنسان، و ذکر ذائع فی کل مکان من أرجاء العالم العربی و الإسلامی، و اعتزاز من کثیر من المفکرین به و بأدبه.

و قد کتب عنه من المقالات ما لا یمکن حصره، و نشرت عنه دراسات عدیدة من أهمها:

(۱) کتاب صورة من الفکر المعاصر تألیف الأستاذ فکری أبو النصر.

(۲) کتاب من رواد الأدب المعاصر تألیف الأستاذ حلیم متری.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۱۸

(۳) الکتاب العربی.

و عنه کتبت تراجم فی کتب عدیدة من أمثال: الأزهر فی ألف عام، و بنو خفاجة و تاریخهم السیاسی و الأدبی، و نشر کثیر من شعره فی کتاب «مع الشعراء المعاصرین» و فی دیوانه «أحلام الشباب».

-۲-

و یمکننا أن نتعرف إلی المذهب الأدبی عند أدیبنا فی کتبه، مما یمکن تلخیصه فیما یلی:

۱- یؤمن أدیبنا بضررة الملکة الأدبیة و الموهبة الذاتیة کأساس لبناء الأدیب من الجانب الفنی و الثقافی، و من ثم نجده یحیل کل الخصائص الذاتیة التی تمیز أدیبا عن أدیب إلی أثر هذه المواهب.

۲- و یری أن الثقافة الأدبیة الحدیثة للأدیب یجب- فوق تناولها لجمیع الثقافات الممکنة- أن تتناول التعرف إلی جمیع الثقافات الأدبیة القدیمة و الحدیثة و المعاصرة عند جمیع الشعوب، و من ثم یحرص علی الاتصال بروائع الآداب الأوروبیة المترجمة، و یری وجوب التعاون و الإخاء الأدبی بین الأدب العربی و هذه الآداب. کما یری وجوب دراسة الآداب الشرقیة عامة و العربیة خاصة عند جمیع الشعوب التی یتصل تاریخنا بتاریخها و حیاتنا بحیاتها و من أجل ذلک أسهم فی نشر کثیر من الآثار الأدبیة القدیمة و المعاصرة لأدباء من أبناء مصر و البلاد العربیة. و بحثه عن الشعر السودانی المعاصر الذی نشره فی کتابه «قصص من التاریخ» یعد بحثا جامعا أصیلا جدیدا.

۳- و أدیبنا یری أن الأدب لا بد أن یخدم هدفا اجتماعیا أو قومیا أو إنسانیا، و إلا فقد جزءا کبیرا من مقوماته، و من أجل ذلک نراه فی کتابته عن

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۱۹

الأدب المعاصر یشید بروائع الآثار الواقعیة فی الأدب و الشعر (راجع مقدمة کتابه قصص من التاریخ).

۴- و هو مع ذلک یری أن الأدب المعاصر تنقصه الملکة و الذوق البلاغی، کما أن الأدب القدیم کان ینقصه الاتجاه و المذهب و الرسالة، و من أجل ذلک فهو یبشر بأدب جدید تتجلی فیه خصائص الأدبین أکثر وضوحا عما هی علیه الآن.

و من صور آرائه فی الأدب الحدیث ما کتبه فی مقدمة کتابه «قصص من التاریخ» بعنوان (الأدب و الحیاة) قال:

«الأدب لم یعد الیوم ترفا و فنا خالصا، و تصاویر مزخرفة منمقة و بلاغة أدبیة محضة، و لم یعد یقصد للترفیه و التسلیة و قطع الوقت، و لیس الأدب مقصورا علی إثارة الشهوات الجنسیة کسبا لجمهور القراء الفارغین التافهین، و لیس بخورا یحرق فی مواکب الطغاة تمجیدا و تسبیحا بحمدهم، و لا دعایة تنشر لتضلیل الرأی العام و إلهائه و کسبه بجانب الدیمقراطیة أو غیرها، فلم یعد لأمثال هذه الآداب بیننا قیمة، و لم یعد القارىء المثقف یؤمن بمثل هذا الأدب الأجوف، و لم تعد أحکام النقد وقفا علی طائفة من الکتاب و النقاد المضللین، الذین ساروا فی کل رکب، و مشوا تحت لواء کل موکب، و وقفوا حیاتهم علی الدعایة لسیاسة الغرب باسم الصداقة و الأحلاف و الدیمقراطیة فی الشرق العربی.

و نحن نبدأ عهدا أدبیا جدیدا نحطم فیه هذه الأصنام الزائفة، و هذه الأقلام الجوفاء، و هذه الأغراض التی تاجرت بحریتنا الفکریة و الأدبیة، و أخضعت الأدب لأهواء السیاسة و مشیئتها، و أثرت علی حساب الأدباء المساکین.

نحن نمقت هذه العصابات الأدبیة الضالة، التی قتلت النبوغ و حاربت

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۲۰

الفکر و ضاقت ذراعا بمواهب الشباب من الأدباء فقبرتها، و سخرت الأقلام للتسبیح بحمدها بین الناس.

أصبح الأدب یدعو إلی الحریة و الکرامة و الحیاة الطیبة للأفراد و الجماعات و الشعوب، الحریة الفکریة و الاجتماعیة و الاقتصادیة و السیاسیة، و الکرامة التی تدع الإنسان مؤمنا بأنه لم یخلق عبدا لإنسان، و إنما خلق إنسانا یشعر بکرامته الإنسانیة و قیمته فی المجتمع، و الحیاة الطیبة التی تتکافأ فیها الفرص، و تتساوی فیها المواهب، و یجد فیها کل إنسان له عملا لائقا، و عیشا شریفا، و مستوی ماديا مناسبا و عنایة واحدة من الحاکمین، و التی تنعدم فیها الفروق بین الناس، و تقل فیها المشکلات أمام الفرد، فلا یضطر إلی الانتحار لأنه لا یجد الخبز لنفسه و أولاده، و لا یعیش متسولا عالة علی الناس و لا یقعد به المرض أو الجهل عن أن یعیش و أن تحفظ علیه کرامته فی وطنه .. یجب أن یکون الأدب الیوم صدی الحیاة المدوی، و صوتها المجلجل فی کل سمع، و لسانها المعبر عن آمال الإنسانیة و آلامها و أفراحها و أحزانها و سعادتها و شقائها، و أن یعبر فی وضوح عن حیاتنا التی نحیاها: حیاة الفلاح فی حقله، و حیاة العامل فی مصنعه، و حیاة الموظف فی وظیفته، و حیاة الفتاة التی نادینا بحریتها، و حطمنا الأغلال دونها، ثم لم نعمل شیئا فی سبیلها، لتستطیع الاحتفاظ بحریتها الطبیعیة التی تحمیها لها الحیاة، فلم نساعدها علی العمل الشریف و لا علی الزواج المناسب، و علی حیاة الأسرة الهادئة، و ترکناها وحدها فی المیدان، تقضی حیاتها محرومة من الزوج السعید الصالح، و الأولاد الذین تتشوق فی لهفة إلیهم.

و الوضوح و البساطة و الجمال و الصدق هی الخصائص الأدبیة الأولی، و العناصر الفنیة الأساسیة لکل أدب جمیل بلیغ. و لکن خلود هذا الأدب و ذیوعه یتوقف فوق ذلک علی مضمونه و علی أن یکون الأدب إنسانی النزعة، رفیع الهدف و الغایة، یعمل مساعدا لنوامیس الحیاة علی التقدم و النهضة و الازدهار».

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۲۱

-۳-

و العوامل الثقافیة التی أثرت فی عقلیة أدیبنا، یمکن تلخیصها فیما یلی:

۱- العامل الأول: ثقافة الأسرة، و هی أسرة تنتمی إلی أصول عربیة قدیمة بسط صاحبنا تاریخها فی کتاب خرج منه حتی الآن تسعة أجزاء- و من هذه الأسرة أعلام قدیمة و حدیثة و معاصرة من الأدباء و العلماء و الشعراء و الکتاب، و هو کتاب «بنو خفاجة».

۲- العامل الثانی: ثقافة فی الأزهر الذی عاش فیه تلمیذا من سنة ۱۹۲۷ إلی ۱۹۴۶ حیث تخرج من کلیة اللغة العربیة یحمل شهادة «العالمیة من درجة أستاذ فی البلاغة و الأدب، و تعادل الدکتوراه حرف (أ) من الجامعات المصریة- و تخول لحاملها التدریس فی کلیات الأزهر و کلیات الجامعات المصریة، و کانت الرسالة التی قدمها هی «ابن المعتز و تراثه فی الأدب و النقد و البیان» و هی مطبوعة.

۳- العامل الثالث: مطالعاته الشخصیة فی الأدب قدیمه و حدیثه و یقول لنا: إنه حتی تخرجه طالع ما لا یقل عن خمسة آلاف کتاب فی الأدب عدا الکتب الثقافیة الأخری.

۴- اتصاله الوثیق بالبیئات و المدارس و المذاهب الأدبیة المعاصرة، و دراساته فی کلیة اللغة لتلامیذه.

۵- الاستعداد الشخصی و الملکات الذاتیة، التی تکون لصاحبها أفکارا ثقافیة و أدبیة خاصة متمیزة.

۶- اتصاله المباشر بالبیئات الثقافیة الأجنبیة و کان لعمله فی الیسیه الفرنسیة مدرسا بها أثر ما فی حیاته، و کذلک اتصاله بالعدید من العناصر و البیئات الثقافیة.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۲۲

-۴-

و مؤلفات الخفاجی تنقسم إلی عدة مجموعات:

۱- فالأولی طائفة من المؤلفات فی الدین، و من بینها: الإسلام دین الإنسانیة الخالد، الإسلام و حقوق الإنسان، الإسلام رسالة الإصلاح و الحریة، مبادیء الإسلام الخالدة (بالاشتراک)، من ماضی الإسلام و حاضره (بالاشتراک)، الذکر الحکیم، مأثورات نبویة.

۲- و الثانیة کتب فی التاریخ و من بینها: بنو خفاجة و تاریخهم السیاسی و الأدبی و هو فی تسعة أجزاء، الأزهر فی ألف عام و هو فی ثلاثة أجزاء، قصة التصوف فی مصر، الصوفی المجدد.

۳- کتب فی النقد و من بینها: مذاهب الأدب، فصول فی النقد، موقف النقاد من الشعر الجاهلی، وحدة القصیدة فی الشعر العربی، حکومة القاضی الجرجانی فی النقد الأدبی.

۴- کتب فی التاریخ الأدبی القدیم و الحدیث و المعاصر، و من بینها:

الحیاة الأدبیة فی العصر الجاهلی، الحیاة الأدبیة بعد ظهور الإسلام، الحیاة الأدبیة فی العصر العباسی، و الحیاة الأدبیة فی الأندلس و العصر العباسی الثانی، و الحیاة الأدبیة بعد سقوط بغداد فی عصر بنی أمیة، و الحیاة الأدبیة الأدب العربی بین الجاهلیة و الإسلام، الأدب العربی فی ظلال الأمویین و العباسیین، و هما (بالاشتراک)، و الأدب العربی و تاریخه و هو فی أربعة أجزاء (بالاشتراک).

و قصة الأدب فی مصر، فی خمسة أجزاء، قصة الأدب فی الأندلس فی خمسة أجزاء، قصة الأدب المعاصر فی أربعة أجزاء، قصة الأدب فی الحجاز بالاشتراک مع الأدیب الحجازی عبد اللّه عبد الجبار و سیقع فی عدة أجزاء، صور من الأدب الحدیث فی أربعة أجزاء.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۲۳

۵- کتب فی تاریخ أعلام الأدب العربی، و من بینها: ابن المعتز و أثره فی الأدب و النقد و البیان، رائد الشعر الحدیث فی جزءین، أعلام الأدب فی عصر بنی أمیة فی جزءین، أشعار الشعراء الستة الجاهلیین، أعلام الأدب العربی (بالاشتراک)، الشعراء الجاهلیون، مع الشعراء المعاصرین. أبو عثمان الجاحظ.

۶- کتب فی الأدب و من بینها: فصول فی الأدب، من بلاغة العرب و هما بالاشتراک، نداء الحیاة، التشبیه فی شعر ابن المعتز و ابن الرومی، و غیرها.

۷- کتب فی البلاغة العربیة و من بینها الإیضاح فی البلاغة فی ستة أجزاء و عبد القاهر و أثره فی البلاغة العربیة، و البلاغة العربیة.

۸- کتب فی اللغة العربیة و هی عدیدة.

۹- کتب قدیمة نشرها الخفاجی و حققها و هی عدیدة کذلک، و من بینها: البدیع لابن المعتز، فحولة الشعراء للأصمعی، قواعد الشعر لثعلب.

و رسائل ابن المعتز، إعجاز القرآن للباقلانی، فصیح ثعلب، مقامات الحریری بشرح الشریشی، و غیرها.

و للخفاجی مقدمات لکتب کثیر من الأدباء المعاصرین، و ممن کتبوا عنه: الدکتور أحمد زکی أبو شادی، و الناقد مصطفی السحرتی. روکس العزیزی. عبد اللّه زکریا الأنصاری. عبد اللّه عبد الجبار. محمد سعید العامودی. ودیع فلسطین. حسن جاد. حلیم متری. أحمد الزین صاحب مجلة العرفان بلبنان. الشیخ محمود النواوی. کامل أمین. محمد فوزی العنتیل. رضوان إبراهیم. إبراهیم الواعظ من أدباء العراق. عبد المسیح حداد. أحمد الشرباصی. کامل السوافیری. فکری أبو النصر. جمیلة العلایلی. أبو الوفا التفتازانی. أبو السعود الجهنی، و غیرهم.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۲۴

-۵-

و من شعر الخفاجی قصیدته «الشهداء»:

بطولتهم لکل فتی نشیدو ذکر فدائهم أبدا جدید

و مجد جهادهم فی الدهر باقیضن به علی الدهر الخلود

شباب للعلا ثاروا غضاباتناديهم و قد ثاروا الجدود

مشیئة مصر أن تحیوا کرامافذودوا عن حقوق الشرق ذودوا

حیاة العز أو موت زؤامو لا یجدی التردد و القعود

دعاهم للعلا داع فهبواجنود فی نضالهم أسود

فما یلهیهم فی الروع وعدو لا یثنی عزائمهم وعید

أباة و الأبی یعیش حراکأن مضاءه القدر العید

یثور علی الحدید فلا حدیدو یزأر فی القیود فلا قیود

و ینهض للعظائم فی جلالو یفعل ما یرید کما یرید

لمصر حیاتهم کانت فداءو شعب تلک غایته یسود

هم الشهداء قد ضحوا کرامافکل بین وادیه شهید

و یوم فدائهم للمجد ذکریو یوم جهادهم للشرق عید

هم الکرماء قد بروا و جادواو یحیی ذکرهم بر وجود

قبورهم تفوح شذا و عطراو تجفوها الأزاهر و الورود

و فی البیداء تخشع فی جلالو یخشع من جلالتها الوجود

کسی الشهداء تلک البید مجداتشید بذکره أرض و بید

و لیس لما بنی الشهداء مثلو لیس لتضحیاتهم ندید

و یهتف باسمهم شعب أبیتکاد الأرض إذ غضبوا تمید

عزیز أمسه الماضی کریمطریف مجده الباقی تلید

-۶-

و یقول الشاعر المصری کامل أمین، من قصیدة له وجهها إلی الخفاجی:

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۲۵ یا أخا الخیر «یا خفاجة» و الخیر شباب الندی و روح الحیاةکل أرض نما بها البر روح ألبسته الحیاة ثوب النبات

قد عهدناک یا أخی تعبر الناس فتسعی بهم کسعی الفراتتبعث الیأس القنوط من الآمال کبعث الحیاة بعد الممات

یا أخی أین یوم کنت ألاقیک و کلی مجرح من کفاحیلم أجد فی الحیاة لما تمزقت سواک أمرا یداوی جراحی

کنت أجتاز زحمة الناس کالبید خوت لم تفض بغیر الصیاحضحلة البر و التعاون تجتر الشحاح الندی بها من شحاح

کم أرتنی الخطوب من صور الناس زیوفا قد فتحت عینیارب خدن طننته ملء کفی نفض الخطب من یدیه یدیا

كان كالشوك لا نبات و لا ظل و إن كان كالنبات نديافإذا فزت من تجارب دنياك بحر كسبت بالحر دنيا

يا أخى كيف مد سحرك فى الليل فمد الصباح بين بيانكريشة الساحر الصناع بكفيك و سحر البيان تحت لسانك

و خيال الحديث يجذب كاللحن فماذا عزفته فى كمانكالكمان الذى استحال يراعا هز داود فيه من ألحانك

-۷-

و فى قرية صغيرة قديمة من أعمال مركز المنصورة، تسمى «تلبانة»، ولد الخفاجى فى ۲۲ يوليو عام ۱۹۱۵ بين أحضان الطبيعة الجميلة فى

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۲۶

الريف، و بين الفلاحين المكدودين المرهقين الذين يعيشون فيه عيشة تجمع إلى البساطة سذاجة التفكير، و إجهاد العيش، و شظف الحياة.

و فى إبان الحرب العالمية الكبرى، و ما تلاها من أحداث الثورة الوطنية المصرية عام ۱۹۱۵ ولد و نشأ الخفاجى .. تنطبع فى ذهنه صور من كفاح الحياة و الإنسانية و من جهاد مصر فى سبيل حريتها و آمالها، هذا الجهاد الذى ظل أمدا طويلا شغل المصريين كافة، و موضع تفكيرهم، و ألهم المقعد الناصب لهم فى حياتهم المعاصرة.

و لم يترك الخفاجى القرية إلا فى أثناء دراسته، و ظل وفيا لها و لأهلها الأبرياء البسطاء طول حياته.

و هذا الميلاد و ما صاحبه و تلاه من أحداث فى حياة الخفاجى يصوره فى قصيدة ساحرة له عنوانها «يوم الميلاد» جاء فيها:

يوم ميلادى حمده صيغ لى اسماو ارتدت فى سناه روحى جسما

و رأيت الوجود طفلا صغيرايستطيب الدنيا رضاعاه و نوما

و يحب الحياة مهدا وثيراو أبا صاغه الحنان و أما

و نشيدا و أغنيات عذاباتملأ الغرفة لصغيرة نغما

و مناغاة إخوتى لى فى المهدو قبلات تشبع المهد لثما

و السماء الزرقاء تسحر عينىفأحصى النجوم نجما فنجما

و أرى كل ما أشاهد حلماو أرى صادق الحقيقة و هما

و منها:

ما أنا؟ صورة لجد وجدو كتاب عنهم ينبىء علما

أنا مرآة صورت كل ما طافبوهم الحياة وهما و حلما

أنا أغنية تلحنها البيئةرمزا على الحياة و وسما

أنا قيثارة العصور و لحنربما بالحياة زادك فهما

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۲۷ و نشيد فم الخلود يغنيهأمانا على الزمان و سلما

بين نجد و فى العراق و مصرعاش قومى يأبون ذلا و ضيما

ملكوا الملك شيدوا العرش ساسواالناس بالعدل و الشجاعة حزما

أنصت التاريخ القديم إليهمو لهم طالما أشار و أومى

فزعت بغداد و أتراك بغدادلقوم لم يقبلوا قط ظلما

ثم أضحی المجد التلید حطاماو الجلال القدیم أصبح وهما

و عیون التاریخ تهزأ بالدهرالوفی الذی تحول خصما

بین أرض الریف الجمیلة نشئتو شمت الحیاة صحوا وغیما

و حملت الأعباء طفلا صغیراو حسمت الأمور بالحزم حسما

و بنیت المستقبل الضخم صرحاو دعمت البناء وحدی دعما

و منها:

یا لذکری المیلاد عودی و عودیفالرجاء البعید بالوصل هما

املأی العیش بهجة و سروراطالما ذقته شجونا و هما

أنطقی الدهر، أسمعی الدهری لحنیو اللیالی فطالما کن صما

أنا أحیا علی الرجاء و أسعیلأنال المنی کفاحا و رغما

أنا ما أبتغی یجل عن الوصفو جل ما أرتجی أن یسمی

أنا أحیی التاریخ مجدا و جاهاو أعید الأیام یوما فیوما

-۸-

إن الخفاجی لم یکن وحدة فی الحیاة، إن تاریخ قومه یمتد إلی أکثر من ألف و خمسمائة عام.

فهو من سلالة عربیة عریقة، أرخ لها فی کتابه «بنو خفاجة و تاریخهم السیاسی و الأدبی»، و الخفاجیون قبیلة عربیة حجازیة کبیرة نشأت فی العصر الجاهلی و زاد نفوذها، و هم من العقلیین العامریین القیسیین، و قد تعددت

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۲۸

فروع القبیلة بعد الإسلام و هاجرت سلالات منها إلی الشام و مصر و العراق و المغرب و الأندلس، و منهم أعلام خالدون فی کل مکان، و لا ننسی الشاعر الأموی توبة الخفاجی العربی الحجازی، و الأمیر ابن سنان الخفاجی الحلبی المتوفی عام ۴۶۶ ه، و الشهاب الخفاجی المصری المتوفی عام ۱۰۶۹ ه، و ابن خفاجة الأندلسی الشاعر المشهور، و غیرهم.

و من الخفاجیین أسر حاکمة فی حلب فی القرن الخامس الهجری، و فی العراق فی القرن الرابع إلی السابع الهجری، و کانت ولایاتهم فی الناصریة بقرب الکوفة و کان یتولاها منهم بعد أمیر، و کانوا فی شبه استقلال داخلی عن الخلافة العباسیة.

إن هذا الماضی العریق یحمله الخفاجی فی قلبه و دمه و أعصابه و یقف مزودا منه بإیمان راسخ، و عبقریة حادة، و قوة ضخمة تعاونه علی کفاحه فی الحیاة.

و حفظ الخفاجی القرآن الکریم و تعلم مبادیء و أطرافا من الثقافة الأولی فی مکتب القریة أو المدرسة الأولی التی کان یتعلم فیها الشباب فی ریف مصر إلی عهد قریب.

و فی عام ۱۹۲۷ رحل إلی مدینة الزقازیق یتلقی ثقافته الإبتدائیة و الثانویة فی معهدها الکبیر، الذی تخرج منه عام ۱۹۳۶، و بین هذین التاریخین قصة کفاح طویل لیس هنا فی هذا الکتاب مجال تسجیلها، إنما موضعه فی کتاب مفصل آخر.

و من أهم ما ظهر علی الخفاجی فی هذه الفترة الاتجاه الوطنی الذی دفعه إلی الکفاح فی سبیل وطنه فی الأزمات السیاسیة التی مرت بمصر منذ عام ۱۹۳۴، و کان رئیس اتحاد طلبة أبناء الشرقیة فی مدینة الزقازیق، و کان هذا الاتحاد قوة کبیرة سیاسیة فی هذه الفترة، و الخفاجی و أصدقاء له هم الذین کونوه، و کانت مؤتمراته الوطنیة تنشر فی الصفحة الأولی فی جریدة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۲۹

الجهاد المصریة، و فی شتی الصحف فی هذه الفترة.

و من أهم ما یلاحظه الخفاجی علی الثقافة المصریة فی هذه الفترة انعدام التوجیه و ضعف تربیة الملکات، و إهمال شئون الطالب النفسیة و العقلیة إهمالا کبیرا. و قد جاهد الخفاجی فی أزمة الأزهر عام ۱۹۳۵ مع زملائه جهادا طویلا.

و التحق الخفاجی بعد مرحلة الثانوی بکلیة اللغة العربیة بالقاهرة و هی إحدی کلیات الأزهر الشریف و بدأ دراسته فیها فی أول أکتوبر عام ۱۹۳۶، و فی الیوم الثانی من أکتوبر من هذا العام توفی والده، و بعد ذلک بعشرین عاما أی فی یوم الخمیس ۲۷ جمادی الثانیة ۱۳۷۵ ه- ۹ فبرایر ۱۹۵۶ توفیت والدته.

و فی خلال هذه الفترة اشترک الخفاجی فی الحرکة الوطنیة؛ و تابع دراسته و عمل أحیانا فی الصحافة فی جریدة السیاسة و الدستور، و فی صحف أخری، و کتب المقالات و البحوث و الدراسات فی شتی الصحف و المجلات.

و کان قیام الحرب العالمیة الثانیة فی هذه الفترة عام ۱۹۳۹ أهم حدث عالمی تأثر به الشباب العربی أیما تأثر، بل تأثر به شباب العالم قاطبة.

و فی هذه الفترة تأثر بآراء عالمین، و مفکرین کبیرین من رجال الفکر و الثقافة و الإصلاح، هما الأستاذ الأکبر الشیخ إبراهیم حمروش شیخ الأزهر فیما بعد، و الأستاذ الکبیر الشیخ محمد عرفة عضو جماعة العلماء بالأزهر.

و کان الأستاذ الأکبر الشیخ حمروش عمید کلیة اللغة آنذاک و کان بعقله الواسع و أفق تفکیره البعید و ثقافته العلمیة العریقة أرفع مثال لطلاب کلیته، یستمدون منه القدوة و یحتذون حذوه فی الفهم و التفکیر.

و کان الأستاذ الکبیر محمد عرفة أستاذا للخفاجی فی الفلسفة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۳۰

و البلاغة، و من ثم تأثر بآرائه التجدیدیة العلمیة تأثرا خاصا.

و تخرج الخفاجی فی یولیو عام ۱۹۴۰ من کلیة اللغة یحمل شهادته العالیة.

و التحق بأقسام الدراسات العلیا فی کلیة اللغة العربیة فی أکتوبر عام ۱۹۴۰ فی قسم البلاغة و الأدب، فعکف فی خلال الأحداث العالمیة التی صاحبت الحرب العظمی، و فی أحداث مصر القومیة التی امتدت من هذا التاریخ، و فی خلال أزمات الأزهر التی کانت نتیجة للصراع بین الحکومة و القصر و التی کان الأستاذ الأکبر الشیخ محمد مصطفی المراغی مظهرا لکثیر من صور الحرب الخفیة فی هذه المعرکة، فی هذه الظروف عکف الخفاجی علی دراساته العلیا إلی أن تخرج عام ۱۹۴۵ یحمل شهادة النجاح فی الامتحان التمهیدی لشهادة العالمیة من درجة أستاذ.

ثم قدم رسالته الجامعیة «ابن المعتز و تراثه فی الأدب و النقد البیان» و نوقش فیها فی أکتوبر عام ۱۹۴۶، و نال بها بتفوق شهادة العالمیة من درجة أستاذ فی الأدب و البلاغة من کلیة اللغة العربیة و هی أرقی شهادات الأزهر الجامعیة و تعادل الدکتوراه الممتازة حرف (أ).

و من الجدیر بالذکر أن الخفاجی قدم للکلیة مع رسالته المخطوطة ثلاثة کتب له مطبوعة عن ابن المعتز فی جوانب تخدم موضوع رسالته و هذه أول مرة یقدم فیها باحث رسالة علمیة مخطوطة و معها ثلاثة کتب تخدم رسالته و فی موضوعها.

و کان هذا الجهد الأدبی موضع تنویه الأدباء و العلماء و الصحف فی حینه.

و لا ننسی أن نقول: إن الخفاجی أمضی مع عمله الضخم هذا سنوات طوالا یشغل وظیفة أستاذا فی الیسیه فرانسیه فرع شبرا.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۳۱

و قد ترک بعد حصوله علی شهادة العالمیة من درجة أستاذ وظیفته فی الیسیه لیتولی أستاذیة البلاغة فی معهد أسیوط الکبیر الذی عمل فیه من نوفمبر عام ۱۹۴۶ حتی أکتوبر عام ۱۹۴۷، ثم فی معهد الزقازیق الذی کان طالبا فیه من قبل، و الذی عمل فیه من عام

۱۹۴۷ إلی عام ۱۹۴۸.

و انتقل الخفاجی فی ۱۷ أغسطس عام ۱۹۴۸ إلی کلیة اللغة العربیة مدرسا للأدب و النقد و البلاغة فیها، و هو الیوم أستاذ فیها.

و من الطریف أن نذکر أن الخفاجی متزوج من عام ۱۹۴۸ و له ولد هو ماجد خفاجی، و توفیت له بنت کان اسمها «وفاء خفاجی».

و هو عضو فی شتی الهیئات العلمیة و الأدبیة فی مصر و العالم.

و له العدید من المؤلفات. و هو من أکبر دعاة التجدید و الإصلاح و الوحدة العربیة، و من أکبر الثائرین علی النظم السیاسیة الجائرة السائدة فی کثیر من شعوب العالم العربی المتخلفة عن رکب الحیاة و الحضارة و عن مبادیء الإسلام الکریمة.

-۹-

و من صور مقالات الخفاجی کلمة کتبها بعنوان «أیام المجد»:

أیام عشتها و کأنی عشت بها الدهر کله، فقد جمعت المجد من أطرافه، و اهتزت خلالها النفس هزة الفرح و الإعجاب.

أیام و یا لها من أیام، لقد حسدت علیها نفسی، و حسدت الجیل الذی أعیش به، و حسدت وطنی مصر لأن تاریخه احتواها، و لأن العالم کله قد اهتز إعجابا به و بها.

أیام و یا لها من أیام، فلو قدمت الیوم لما کان قد بقی لی من أمنیة فی الحیاة أتمناها لی و لوطنی المجید.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۳۲

فأولاها: أیام الثورة الوطنیة عام ۱۹۱۹ فی مصر، و قد شاهدتها فی قریتی الخضراء طفلا صغیرا. و شاهدت المظاهرات الوطنیة التی کان یقوم بها أهالی القریة و أنا بینهم فی شوارع قریتی الصغیرة و حاراتها. یهتفون للوطن بالحریة و الاستقلال، و للانجلیز بالدمار و الهلاک، و یطالبون بحریة الوطن العزیز: مصر وطن الأحرار و المجد و التاریخ، و کم کان یسعدنی و أنا طفل صغیر أن أخرج مع جموع الفلاحین نحمل الهراوات و العصی و نستقبل بها السیارات الوافدة علی طریق القریة، فإذا کان فیها أجانب استوقفناهم و طالبنا منهم أن ینزلوا معنا نحن الثائرین، و یهتفوا معنا بحریة مصر و استقلالها و سقوط انجلترا و الاستعمار.

و ثانیتها: أیام ثورة مصر الکبری فی معرکة القنال، حیث قامت المعرکة فی أرض القتال بین قوات البولیس المصری و جیوش الاحتلال، و ضرب المصریون فیها أروع الأمثال و أمجد صفحات البطولة التی دونها التاریخ، و عرفها الزمن و قد انتقم الانجلیز لهذه الثورة الوطنیة الجلیلة الخالدة بأیدی الخوتة المصریین فی ذلک الحین، و علی رأسهم صاحب العرش فاروق بن فؤاد، فأحرقوا القاهرة و کتبوا الحریات، و أعلنوا الأحکام العرفیة، و أقالوا الوزارة الدستوریة القائمة آنذاک و صبوا علی البلاد سوط عذاب، و مع ذلک فقد صمدت مصر فی وجه الأحداث صمود الجبال و الأبطال.

و ثالثها: أیام الثورة المصریة القومیة الکبری، ثورة التحرر و التحریر فی ۲۳ یولیو ۱۹۵۲، حیث استیقظت فی صباح هذا الیوم الجمیل، فشاهدت جیش الوطن قد احتل مرافق القاهرة: و أقام حکما جدیدا فی البلاد، قضی علی الخونة و الفساد و الإقطاع و سماسرة الحکم، و أخذ یصنع البلاد، و یکون فیها جیشا قویا، یحمی حریة الوطن و استقلاله.

و رابعتها: أیام معارک الوطن الکبری فی أواخر أکتوبر ۱۹۵۶، و أوائل

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۳۳

نوفمبر من هذا العام، حیث تآمرت انجلترا و فرنسا و معهما عدوتنا إسرائیل التی یحرکها الإستعمار کما یشاء، و غزوا بقواتهم منطقة سینا، ثم انهالت الطائرات و القنابل تدمر مدن مصر و منشآتها وفق ما یشاء الأعداء، و صمدت مصر و المصریون صمود الأبطال.

و قامت المعرکة فی بور سعید، هذه المعرکة الخالدة التی کتب فیها المصریون أروع الصفحات طول عصور تاریخهم المجید، و التی

سار فيها القتال من شارع إلى شارع، و من منزل إلى منزل، و وقف جيش مصر و شعبها فى بور سعيد يصدون العدوان، و يقامون جنود الامبراطورتين العجوزتين و معهم جنود إسرائيل من مجرمى الحرب، و من الهابطين من الجو، و الصاعدين من البحر. و تتبع الوطن المصرى أنباء القتال أولا بأول؛ و ساعة بساعة، و وقفوا حول المذياع يسمعون وصف المعركة.

و ينصتون لأنبائها، يزدهيهم الفخر و الكبرياء و المجد و العظمة لبطولة جيشهم النادرة، و عظمة الشعب المصرى الكامنة المتوارثة خلال الأحقاب و الأجيال، و كأن مجرمى الحرب إيدن و موليه أرادا أن ينتقمان من مصر لتأميمها قناة السويس فى ۲۶ يوليو ۱۹۵۶ فرصدوا لها الأساطيل الجيوش و الطائرات.

و لكن مجرم الحرب إيدن، و مجرم الحرب موليه، و معهما تابعهما بن غوريون هزموا و انتصرت مصر فى معركة بور سعيد و قاوم المصريون فى أرض المعركة و ثبتوا ثبات الجبال، و احتمى إيدن و موليه بقرار هيئة الأمم المتحدة الذى نص على وجوب وقف القتال فى الساعة الثانية صباح الأربعاء ۷ نوفمبر عام ۱۹۵۶.

و هل أنسى الأسبوع الأول للحرب، و كانت غارات طائرات الأعداء مستمرة على القاهرة كل دقيقة، حيث لا يجد أحد متنفسا يأخذ فيه لحظة هادئة متمتعا بنعمة الأمن و التفكير و التحرر من الخوف، و كنا فى القاهرة

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۳۴

نطفىء الأنوار منذ دخول الليل، و تتقطع الطرق، و تتوالى صفارات الانذار كل دقيقة، و نسمع أزيز المدافع و أصوات القنابل فى كل مكان، و كانت طائرات العدو تتهاوى كأنها الورق أمام مدافع مصر و بسالة أبنائها. لم نكن نجد دقيقة واحدة نخلو فيها إلى أنفسنا للتفكير أو التأمل أو القراءة أو الاستمتاع بالطعام، و كانت المعسكرات تنتظم شباب مصر و شيوخها من المتطوعين للدفاع عن وطنهم الأكبر، و كنا نتساءل بأى حق يبيح مجرما الحرب إيدن و موليه لأنفسهما حق غزو الشعوب التى خلقها اللّه حرة طليقة من كل قيد، و فشل إيدن و فشل موليه و معهما بن غوريون، نعم فشلوا فى تحطيم الروح المعنوية فى شعب مصر أو فى تحطيم المقاومة الشعبية فى وطنى مصر. و انسحب المعتدون من بور سعيد مكرهين فى الرابع و العشرين من ديسمبر عام ۱۹۵۶.

أيام كلها مجد و ذكريات خالدة، كتبت فيها مصر صفحات رائعة من المجد، و المجد لمصر و لشعبها الحر الأبى، و للعرب الأحرار الميامين.

-۱۰-

و من صور نثر الخفاجى هذه القطعة و هى بعنوان «يا وطنى».

يا وطنى الخالد: لك المجد و لك أمجد صفحات التاريخ.

يا وطنى، يا مصر يا أم الحضارة. و مهد المدنية، و معلمة الشعوب، لك العزة و الثناء، و لك الحرية و الفداء، و لك العظمة و الكبرياء.

يا وطنى: لقد كتبت اليوم أروع أعمال البطولة فى دفاعك المجيد عن بور سعيد، مما شهد به العالم، و سجلته الأحداث، لقد قاتل شعبك المجيد قتال الأبطال من شارع إلى شارع و من منزل إلى منزل، فعلمت

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۳۵

البرابرة الغزاة أن أرض مصر حرام على المستعمرين، و أنها أمنع من العقاب، ما دام شباب مصر و شيوخها حريصين على أن يفتدوها بالمهج و الأرواح.

يا وطنى: لقد وقفت خلال عصور التاريخ ضد الغزاة الفاتحين مقاتلا باسلا، و محاربا صلبا، فطردت الهكسوس و الفرس و اليونان و الرومان من أرضك، و طردت الصليبيين و التتار من ثراك الطاهر، و أقمت بسواعد أبنائك حضارات مشرقة، و امبراطوريات مصرية

ضخمة انحنى لها التاريخ، و هتف بذكرها الزمان.

يا وطنى: بيد أحمد و رمسيس، و بيد عمرو بن العاص و صلاح الدين، و بيبرس و برقوق، و عرابى و جمال: رفعت أعرق لواء، و أمجد راية، و أرفع شعار للحرية و المجد و العظمة و الجلال و القوة.

يا وطنى: إن الامبراطورية المصرية فى عهد عمرو بن العاص و خلفائه، ثم عهد المعز و ذريته، ثم فى عهد صلاح الدين الأيوبى و سلالته، ثم فى عهد المماليك، ثم فى القرن التاسع عشر: كانت من أعظم الأعمال فى التاريخ، و كانت رمزا و عزة و منارة للإسلام و المسلمين، و كهفا تأوى إليه الحضارة و الثقافة الإسلامية.

يا وطنى الخالد: لقد وقف الإنجليز فى القرنين التاسع عشر و العشرين لنهضتك و حريتك و مجدك بالمرصاد، فقضوا على الأسطول المصرى فى نافارين، و قضوا على الجيش المصرى و حرموه ثمرة انتصاراته الحربية العظيمة فى عهد محمد على، و نهبوا امبراطورية مصر بسياسة الخداع و التضليل، ثم صفوا بقاياها فى عهد إسماعيل، ثم ورثوها فى عهد توفيق بعد الاحتلال، و لكنهم و شرفك و كفاح أبنائك و نضال شعبك الحر

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۳۶

الأبى لن يتمكنوا من هزيمة مصر سياسيا و لا حربيا فى عهد الأحرار.

بمجدك و تاريخك، و بأبطالك و أبنائك، و بثورة شعبك الأبى، و بثراك الطاهر، سنقاوم الغزاة، و سننتصر على الغزاة، و النصر لنا بفضل اللّه، و بسواعد شعبنا العريق.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۳۷

لو أن للدين رجالا

اشارة

الإسلام هو المنهج الذى وضعه اللّه لهداية البشر كى يصلوا بالسير عليه إلى شرف الدنيا و كرامة الآخرة.

و قد استهدف هذا المنهج أعلى الأهداف و أسمى الغايات .. فمن هذه الأهداف ۱- تحرير النفس ۲- تنمية الذات ۳- تكوين أمة ۴- تحقيق السلام.

تحرير النفس:

من الأهداف الأولى للإسلام تقوية الصلة باللّه عن طريق الإيمان و الصلاة و الذكر و الشكر و الدعاء و العبادة و الطاعة. و متى قويت الصلة باللّه تحررت النفس من معوقات التقدم نحو الخير و الحق و الكمال و الجمال .. و يتمثل هذا التحرر فيما يلى:

۱- التحرر من الخضوع للطغاة و المستبدين.

۲- و التحرر من الخوف و القلق و الاضطراب.

۳- و التحرر من القيم الزائفة، قيمة الجاه و المال و النسب.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۳۸

۴- و التحرر من الهوى و الشهوة و المتاع الزائل.

۵- و التحرر من الجهالة و الضلالة و فی هذا یقول الرسول صلی اللّه علیه و سلم:

«احفظ اللّه یحفظک .. احفظ اللّه تجده أمامک .. إذا سألت فاسأل اللّه، و إذا استعنت فاستعن باللّه، و اعلم أن الأمة لو اجتمعوا علی أن ینفعوک لم ینفعوک إلا بشیء قد کتبه اللّه لک، و لو اجتمعوا علی أن یضروک لم یضروک إلا بشیء قد کتبه اللّه علیک».

تنمیة الذات:

و الإسلام یعطی الأهمیة القصوی لتنمیة الذات و تکوین الشخصیة فهی حجر الزاویة فی بناء المجتمع القوی الرشید.

و تنمیة الذات ثمرة التربیة العقلیة و تقویة الإرادة و تزکیة النفس.

(أ) فالتربیة العقلیة قوامها الاستزادة من العلم و الحکمة و التطلع إلی المعرفة و الثقافة و التفکیر فی ملکوت السموات و الأرض و السیاحة فی دنیا اللّه الفسیحة.

۳و غایة هذه التربیة:

اشارة

تعمیق جذور الإیمان و ترسیخها حتی یصل الإنسان إلی درجة الیقین عن طریق الحجة و البرهان.

الکشف عن سنن اللّه فی الکون کی یستخدمها فی ترقیة حیاته.

فتح المیادین أمام العقل کی یکشف و یخترع و یبدع و یصل إلی الکمال المنشود.

(ب) و تقویة الإرادة بتعویدها الصبر و الثبات و احتمال المشاق و اقتحام الصعاب رغبة فی الوصول إلی معالی الأمور و تطلعا إلی تحقیق جلائل الأعمال.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۳۹

و فی الحدیث الصحیح یقول الرسول صلی اللّه علیه و سلم: «إن اللّه یحب معالی الأمور و أشرافها و یکره سفسافها».

إذا غامرت فی شرف مرومفلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت فی أمر حقیرکطعم الموت فی أمر عظیم

(ج) و تزکیة النفس تتم بتخلیصها من الهوی و کبت الشهوات الدنیئة و تصفیتها من الریاء و النفاق و الأثرة و الأنانیة و الحقد و الحسد و غرس العواطف الکریمة و المشاعر النبیلة.

و یحتاج الإنسان کی یصل إلی هذا المستوی الرفیع إلی ما یلی.

۱- الأمل و العمل .. یقول الرسول صلی اللّه علیه و سلم: «لیس الإیمان بالتمنی و لکن ما وقر فی القلب و صدقه العمل، و أن قوما غرتهم الأمانی حتی خرجوا من الدنیا و لا حسنة لهم و قالوا نحن نحسن الظن باللّه و کذبوا، لو احسنوا الظن لأحسنوا العمل».

۲- الیقظة و الحرص علی الإصلاح و التقدم و الترقی .. یقول الرسول صلی اللّه علیه و سلم: «احرص علی ما ینفعک و استعن باللّه و لا تعجز، و إذا أصابک شیء فلا تقل لو أنی فعلت. کذا کان کذا و کذا، و لکن قل قدر اللّه و ما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشیطان».

۳- مجاهدة النفس و تحدی المغریات و المثیرات و الوقوف منها کالطود الشامخ أمام العواصف الهوج قال تعالی: فَأَمَّا مَنْ طَغی وَ آثَرَ الْحَیاةَ الدُّنْیا فَإِنَّ الْجَحِیمَ هِیَ الْمَأْوی وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَی النَّفْسَ عَنِ الْهَوی فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِیَ الْمَأْوی.

و متی تزکت النفس کان الإنسان جدیرا بوصف الإنسانیة.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۴۰

تکوین الأمة:

و الإسلام یحرص علی إیجاد کیان قوی و أمة قادرة تستطیع إحقاق الحق و إبطال الباطل و تأدیب الطغاة و تطهیر الأرض من الشر و الظلم و الفساد، و من أجل ذلک دعا إلی کل ما من شأنه أن یجمع القلب إلی القلب و یضم الصف إلی الصف حتی یکونوا کما وصفوا فی الحدیث «کالبنیان المرصوص یشد بعضه بعضا» و «کالجسد الواحد إذا اشتکی منه عضو تداعی له سائر الجسد بالحمی و السهر».

فدعا إلی التآخی و الاتحاد و إلی التعاون و التضامن و إلی المودة و المحبة إلی العطف و الرحمة و إلی التضحیة و الإیثار و إلی التواصی بالحق و التواصی بالصبر و إلی الحریة و المساواة و إلی کفالة المحتاج و رعایة المعوز. «إِنَّ هذِهِ أُمَّتُکُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّکُمْ فَاعْبُدُونِ».

تحقیق السلام:

و الإسلام یعرف أن الناس و أن اتفقوا فی بعض النواحی فإن هناک عوامل تفسدهم و تجعل الفرق بینهم بعیدا والبون شاسعا، فالتربیة الفاسدة و التقلید الأعمی و التعصب الذمیم و الجهل الممقوت، کل ذلک یمنع کثیرا من الناس من الخضوع للحق و السیر وفق منهج الصواب. قال تعالی:

وَ لا یَزالُونَ مُخْتَلِفِینَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ وَ لِذلِکَ خَلَقَهُمْ.

و الإسلام و هو یقرر هذه السنة الاجتماعیة یجعل السلام هو العلاقة بین المسلمین و غیرهم من المخالفین ما لم یقع ظلم أو اعتداء. «المسلم من سلم المسلمون من لسانه و یده، و المؤمن من أمنه الناس علی دمائهم و أموالهم».

و السلام إنما یتحقق بإقامة العدل و إعطاء کل ذی حق حقه و المحافظة علی النفس و العرض و المال و الجدیة و الکرامة بالنسبة لکل قرار بغض النظر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۴۱

عن دینه و لونه و جنسه و لغته و مرکزه الاجتماعی.

فالإنسان أهل للتکریم من حیث کونه إنسانا. قال تعالی: وَ لَقَدْ کَرَّمْنا بَنِی آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلی کَثِیرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِیلًا.

مرت جنازة رجل من الکافرین علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فقام لها، فقالوا:

یا رسول اللّه إنها کافر، فقال: «أو لیست نفسا؟».

و هکذا یعمل الإسلام علی تحریر النفس و تربیة الفرد و تکوین الأمة و تحقیق السلام لیأخذ البشر طریقه إلی التقدم الصحیح و الکمال المنشود.

قد جاءکم من اللّه نور و کتاب مبین یهدی به اللّه من اتبع رضوانه سبل السلام و یخرجهم من الظلمات إلی النور بإذنه و یهدیهم إلی صراط مستقیم.

و ما أصدق ما قيل: يا له من دين لو أن له رجالا.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۴۳

الشيخ محمود شلتوت

تـوفی رحمه اللّه فی ۱۰ دیسمبر ۱۹۶۳ ففقـدت مصـر عظیمـا من عظمائها و عالما تفقه فی مختلف نواحی الحیاة الدینیـة و الاجتماعیة کان بصیرا بالأحکام الشرعیة الملائمة لحاجات الناس و مقتضیات العصر و مفسرا الم بکتاب اللّه و سنن الکون و عالما اجتماعیا یعرف أمراض المجتمع و وسائل علاجها.

فی عام ۱۹۲۸ بدأ الشـیخ شـلتوت ینشـر مقالاته فی الصحف محاربا الروتین و داعیا إلی إصلاح الأزهر و تطویره حتی عام ۱۹۳۱ حین تعارضت أراؤه الإصلاحیة مع المشرفین علی سیاسة الأزهر فی ذلک الوقت حتی انتهی الأمر إلی فصله و بعد الفصل. لم یهدأ أو ییأس بل تابع نقـده و نشـر أفکاره و اشـتغل بالمحاماة و البحوث العلمیـة خلال أربع سـنوات حتی أعیـد إلی الأزهر وکیلا لکلیة الشـریعة ثم مفتشا بالمعاهد الدینیة.

و منـذ تولی الشـیخ شـلتوت أمر الأزهر أعاد النظر فی تنظیم المناهـج و أدخل الـدراسات القانونیـة فی کلیـة الشـریعة لتتم المقارنة بین دراسـة الفقه الإسـلامی و القوانین المعاصـرة و أدخـل فقه الشـیعة مما کان له أکبر الأثر فی التقریب بین جماعات المسـلمین فی أنحاء العالم.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۴۴

و تقدیرا للشیخ شلتوت منحته جامعة شیلی الدکتوراه الفخریة عام ۱۹۵۸ .. کما منحته جامعة جاکارتا الدکتوراه الفخریة عام ۱۹۶۰.

و کـان المسـلمون فی یوغوسـلافیا و الیابـان و الجزائر و روسـیا و ألمانیا و إیطالیا قـد وجهوا إلیه الـدعوة لزیارة المسـلمین فیها و تفقد أحوالهم.

و لقـد أجمع العلمـاء و أهـل الرأی أن التوفیق قـد حـالف الأزهر عنـد ما ولی أمره الشـیخ شـلتوت فوجـد فیه مفکرا و عالما من الیقظة الفکریة و الدرایة العلمیة ما یمکنه من القیام بدوره.

قبل أن تصـعد روحه إلی بارئها بـدقائق .. جلس یتحدث إلی زواره عن الإسـراء و المعراج ثم توقف قلیلا و تبین للحاضـرین أنه یعانی أزمة طارئة و حاول الأطباء انقاذه و سارعوا بأنابیب الأوکسجین لیساعدوه علی التنفس و لکن روحه کانت قد صعدت إلی بارئها.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۴۵

أعلام معاصرون

الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد رائد مدرسة التحقيق العلمي

بمثل الشـیخ محمـد محیی الـدین عبـد الحمیـد جیلا کاملا من الکفاح العلمی الکبیر، حتی لیعد رائدا عظیما لمدرسة التحقیق العلمی، سار علی ضوئه المحققون، و شراح کتب التراث الإسلامی العربی.

و قـد تتلمـذ الشـیخ محمـد محیی الـدین عبد الحمید علی جیل الرواد الإسـلامیین الکبار، الذین ازدانت بهم الحیاة المصـریة فی أوائل القرن العشرین، و کانوا دعامة النهضة العربیة و الأدبیة فی العالم العربی کافة.

و قـد تخرج الشـیخ محمد محیی الدین من الأزهر الشـریف عام ۱۳۴۷ ه الموافق ۱۹۲۵ م یحمل شـهادة العالمیة أعلی شهاداته العلمیة آنذاک، و کان نجاحه بل تفوقه یومئذ مثار الدهشة، فقد جاء الأول علی أقرانه من فحول العلماء.

و شغل فی هذه الحقبة الطویلة الکثیر من المناصب العلمیة الرفیعة:

أستاذا بالأزهر، فأستاذا بکلیة اللغة العربیة، فمفتشا عاما بالمعاهد الدینیة، فوکیلا لکلیة اللغة، فأستاذا بکلیة أصول الدین، فرئیسا لمفتشی العلوم الدینیة و العربیة بالأزهر، فعمیدا لکلیة اللغة العربیة، فعضوا بالمجمع اللغوی، و عضوا بلجنة الفتوی بالأزهر، و عضوا فی الجلس الأعلی للشئون

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۴۶

الإسلامیة، و فی کثیر من الهیئات العلمیة، و لا ننسی أنه اختیر عام ۱۹۴۰ للسفر للسودان؛ لیشارک فی تأسیس مدرسة الحقوق العلیا فی الخرطوم، و قد قام حینذاک بمهمته خیر قیام، و کان مضرب المثل فی علو المنزلة و سمو المکانة بین السودانیین و المصریین علی السواء.

و مثل الأزهر فی کثیر من المؤتمرات الثقافیة و اللغویة و الأدبیة، و وجه الثقافة فیه الوجهة الرفیعة العمیقة، التی أثرت فی بناء الجیل الحاضر تأثیرا کبیرا.

و یمثل الشیخ محمد محیی الدین عبد الحمید أفکارا لغویة، لها منهجها و دقتها و عمقها، فهو یری ضرورة تربیة الحس اللغوی، لینتهی بصاحبه إلی الذوق الأدبی، و یبدأ بالکلمة لینتهی إلی الأسلوب فالأدب نفسه، و دور الکلمة فی الأدب دور کبیر، و أثرها فی بناء العمل الأدبی ضخم و جلیل.

و الشیخ محمد محیی الدین یقف دائما فی مجال الریادة:

فهو أول من فکر فی تألیف کتب دینیة مزدانة بالمناسب للأطفال، فألف خمسة أجزاء: اثنین للبنین، و اثنین للبنات، و کتابا مشترکا، و قد ذاعت هذه الکتب آنذاک، حتی کان المرحوم الدکتور عبد الوهاب عزام یذکر أنه شاهد لها ترجمات بالفارسیة و بالترکیة.

و هو من أول من عنی بکتب التراث و تحقیقها تحقیقا علمیا دقیقا، مما یتجلی لنا فیما حقق من أمهات کتب التراث فی الأدب و النقد و البلاغة و اللغة و النحو و الصرف، و لذلک یعد بحق شیخ العلماء المحققین.

و هو أشهر شارح و مفسر لکتب القدماء فی مختلف فنون العلم، و قد سهل بذلک علی الجیل المعاصر قراءة هذه المصادر، و الإفادة منها و الاغتراف من بحرها .. و قد اختارت مؤسسة (بریل) فی هولندا نشر شرحه

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۴۷

علی: (شرح ابن عقیل) بالحروف البارزة لیقرأه المکفوفون، و نحن نشکر لها هذا العمل العلمی و الإنسانی معا.

و إذا عدنا إلی الأعمال العلمیة لهذا العالم الجلیل من أعلامنا المعاصرین نجدها تنقسم ثلاثة أقسام.

القسم الأول: دراسات أدبیة و لغویة و إسلامیة ألفها، و کانت مثلا لرصانة العلماء، و عمق البحث، و دقة التألیف، و منها:

۱- دراسة کبیرة له عن المتنبی و نقد شعره، نشرها فی مجلة الأزهر تباعا، و تعد من أهم المراجع عن أبی الطیب و شعره.

۲- دراسة عن الفکر الإسلامی عند الشیخ محمد مصطفی المراغی شیخ الأزهر الأسبق، و قد نشرت فی مجلة (الکتاب) التی کانت تصدر عن (دار المعارف) عدد: نوفمبر ۱۹۴۵ م.

۳- تصریف الأفعال: و هو کتاب مشهور لم یؤلف مثله حقا، و یعد مکملا لمنهج القدماء فی دراسة الأفعال، و طبع عدة طبعات، و کان مرجعا علمیا للأساتذة و الطلبة فی کلیات اللغة و دار العلوم و الآداب.

۴- أحکام المواریث فی الشریعة الإسلامیة- المعاملات الشرعیة- الأحوال الشخصیة- أصول الفقه. و هی کتب أربعة مشهورة، کانت تدرس فی کلیات الحقوق و أصول الدین، و فی مدرسة الحقوق العلیا فی الخرطوم، و طبعت عدة طبعات.

القسم الثانی: کتب من أمهات التراث فی مختلف العلوم، حققها عالمنا الجلیل تحقیقا علمیا دقیقا، عنی فیها عنایة فائقة بتقویم النص، و ضبط مشکله، و شرح غریبه، و منها:

سیرة ابن هشام- الموازنة للآمدی- یتیمة الدهر للثعالبی- العمدة لابن رشیق- نفح الطیب للمقری- وفیات الأعیان لابن خلکان- زهر الآداب

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۴۸

للحصری- فوات الوفیات لابن شاکر- معاهد التنصیص للعباسی- مروج الذهب للمسعودی- مقالات الإسلامیین للأشعری، و غیر ذلک مما یضیق المجال عن حصره، و مما تلقاه قراء العربیة فی کل مکان بالتقدیر و الإعجاب، إذ رأوا فیه طاقة علمیة فریدة، و اتخذوا منه عمدة المصادر لجمیع طلاب الجامعات فی العالم الإسلامی العربی.

القسم الثالث: کتب من التراث شرحها شرحا وافیا، و ذلل صعوباتها للباحثین، و أضاف إلیها الکثیر من الدراسات .. و منها أهم کتب الثقافة العربیة: کشرحه للأجرومیة الذی خرج بعنوان: (التحفة السنیة)، و ظل إلی الیوم یدرس فی جمیع أنحاء العالم العربی و الإسلامی، و طبع أکثر من خمس و عشرین طبعة. و کشرحه للأزهریة و شرحه علی: (شرح قطر الندی لابن هشام) الذی طبعه ثلاث عشرة طبعة. و کشرحه علی: (شرح شذور الذهب) لابن هشام. و شرحه علی: (شرح ابن عقیل) فی أربعة أجزاء کبار، و طبع خمس عشرة طبعة. و شرحه علی: (أوضح المسالک) لابن هشام، و یقع فی أربعة جزءین ضخام، و طبع نحو عشر طبعات. و شرحه علی: (المفصل) للزمخشری، و هو من أصول اللغة العربیة. و شرحه علی: (شرح الأشمونی علی ألفیة ابن مالک) و یقع فی أربعة أجزاء کبیرة، و هو یطبع الآن للمرة الثالثة.

و شرحه علی کتاب: (الإنصاف فی مسائل الخلاف بین البصریین و الکوفیین) فی جزأین کبیرین، و یدرسه المستشرق الفرنسی بلاشیر لطلابه بالسوربون، مؤثرا لهذه الطبعة علی الطبعة الأوروبیة.

و کشرحه علی: (متن التلخیص فی البلاغة) و طبع عدة طبعات.

و قد تتلمذت علی عالمنا الجلیل أجیال عدیدة من الشباب، و فی مقدمتهم أساتذة و عمداء کثیر من الکلیات الدینیة و اللغویة و الأدبیة فی مصر و السودان و العالم العربی، و منهم جمهرة من کبار رجالات الدولة فی العالم

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۴۹

العربی .. و ما أکثر تلامیذه فی الشرق و الغرب، و جمیع المستشرقین فی العالم یولون بحوثه و تحقیقاته عنایة فائقة، و اهتماما کبیرا.

و قد توفی- رحمه اللّه- فی شهر المحرم سنة ۱۳۹۳ ه الموافق مارس ۱۹۷۳ عن نیف و سبعین عاما .. أجزل اللّه له الثواب کفاء ما قدم لدینه و لغة کتابه الحکیم و لتراث العربیة و آدابها من جهود خالدة علی مرور الأیام.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۵۱

الشیخ عبد السمیع شبانة

أحد علماء الأزهر الذین شارکوا فی تحقیق رسالته و النهوض بطلابه، تخرج علی یدیه الآف العلماء من أبناء العالم الإسلامی.

کان- رحمه اللّه- یعطی جهده کله لخدمة العلم و العلماء. کان بیته منتدی یجتمع فیه طلاب العلم من کل جنس لینهلوا من فیض علمه الغزیر .. یستوضحونه ما أبهم علیهم و ینتفعون بما یدور فی مجلسه من مسائل علمیة سواء ما یتصل منها بالعلوم الدینیة أو العربیة ..

فلم یکن- رحمه اللّه- یقف عند حدود تخصصه فی النحو أو الصرف بل جاوز ذلک إلی العلوم الشرعیة فکان حجة فیها یأتی إلیه الناس یستفتونه فی أنور دینهم فیرشدهم إلی الحق و الهدی .. کان فقیها فی علم المواریث و قد صدرت له الآف الفتاوی التی کانت تستند علیها المجالس العرفیة فی حل المنازعات بین الأسر و الأفراد.

ولد رحمه اللّه فی ۱۲ ینایر سنة ۱۹۰۳ فی بلدة فرسیس من محافظة الشرقیة .. و بعد أن أتم حفظ القرآن الکریم، ألحقه والده بالأزهر

الشریف و المساجد المحیطة به حتی حصل علی الشهادة العالمیة و نال إجازة التخصص القدیم التی تعادل درجة الدکتوراه سنة ۱۹۳۲.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۵۲

بدأ دوره فی الدعوة إلی اللّه و تبصیر الناس بأمور دینهم بعد أن عین أستاذا فی معهد الزقازیق فکان یتنقل بین قری محافظة الشرقیة و مدنها یخطب فی الناس و یبین لهم الحق من الباطل فلم یکن یمضی أسبوع من غیر أن یشترک فی ندوة دینیة أو یلقی عظاته التی کان یقبل الناس علیها.

و فی الوقت نفسه کان أحرص ما یکون علی أهل بلدته فکان یعقد لهم مجالس العلم و یساعد أبناءهم فی دراستهم حتی عرفت قریته (فرسیس) بأنها بلد العلم حیث کان أبناؤها یعرفون مسائل الدین و کل ما یتصل بالعبادات و المعاملات بسبب تعلیم الشیخ لهم .. و کان یتخرج من الأزهر منها فی کل عام أکثر من ثلاثین عالما و هی القریة الصغیرة التی لا یتجاوز تعدادها فی هذا الوقت ألفی نسمة ..

و اختارته مشیخة الأزهر للتدریس فی کلیة اللغة العربیة سنة ۱۹۳۹ لمکانته العلمیة.

ألف الکتب الکثیرة فی النحو و الصرف و قد أعید طبعها مرات کثیرة و أسهم فی تطویر کلیة اللغة العربیة و أحدث تغییرا شاملا فی دراسة النحو و الصرف بها مما کان له أثره النافع علی المتخرجین منها.

و بقی رحمه اللّه مشرفا علی قسم اللغویات بکلیة اللغة العربیة رافضا کل المناصب التی یتهافت علیها الجمیه، حتی توفی رحمه اللّه فی ۲۱ مایو سنة ۱۹۶۸ .. ففقد العالم الإسلامی بموته عالما ورعا ..

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۵۳

الشیخ محمد الطنطاوی

منذ خمسة عشر عاما أخرج الشیخ محمد الطنطاوی المدرس بکلیة اللغة العربیة کتابه المشهور «نشأة النحو»، الذی کان له أثره فی نفسی و عقلی بل عند علماء العربیة و ثقاتها جمیعا. و أشهد أنی فرحت بالکتاب فرحا کبیرا ظهر فیما کتبته عن الکتاب من نقد آنذاک، و لست أدری رأی النقاد فیما کتبته، و لکنه کان وجهة نظری یفی هذا السفر النفیس حقه، و مما جاء فی هذه الکلمة:

«لمنزلة النحو من الدین و العربیة، و من التراث الإسلامی العظیم، و من لغة الشرق و لسانه، و لتجدید النشاط العلمی فی مدارس النحو الحدیثة، و لأداء واجب کبیر لعلماء العربیة الراحلین و شیوخها السالفین الأمجاد، و حرصا علی خدمة اللغة و طلابها .. لهذا کله ألف الأستاذ الجلیل محمد الطنطاوی رسالته: نشأة النحو فجأت سفرا جلیلا و أثرا خطیرا فی الناحیة التاریخیة لعلم قواعد العربیة.

و مما یجعل لهذا السفر الحافل مکانة عظیمة بین کتب العربیة و مؤلفاتها أنه الحلقة المفقودة لکتب طبقات النحاة التی ألف فیها العلماء من قرون، و أنه أثر فرید فی بابه و نوعه، فلم یظهر فی مدارس النحو الحدیثة فی مصر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۵۴

و الشرق العربی کتاب قبله فی النواحی التاریخیة لمدارس العربیة و رجالها و مؤلفاتها فی القدیم و الحدیث ..

و قد کتب الأستاذ فصول کتابه بلغة جمعت بین بلاغة الآداء و جمال الأسلوب و جزالة التراکیب، و النقد التحلیلی التاریخی لأطوار علم العربیة و مذاهبه و مدارسه و رجالاته، و فی الکتاب فصول عظیمة الأهمیة فی أسباب تدوین القواعد العربیة، و عن الرجل الذی ذهب بشرف وضعها و تدوینها، و عن نشأة النحو و أطواره فی مراحله المختلفة، و عن حیاة شیخ العربیة الأول أبی الأسود الدؤلی، و عن مدرسة النحو الأولی بالبصرة، و رجالها، و مدرسة الکوفة التی نشأت بعد ذلک و رجالها، و یبین المؤلف نزعات مذهبی النحو بالبصرة و الکوفة، و المناظرات التی قامت بین رجالهما، و یحلل أسباب الخلاف بین مدرسة البصرة و الکوفة، و البواعث التی دعت

إلی نسوء کل مدرسة و استقلالها، و العناصر التی بنیت علیها، و الاتجاهات التی اتجهت إلیها و المسائل العلمیة التی اختلفت فیها، و آثار هذا الخلاف العلمی، و یعقد الموازنات بینهما .. ثم یتکلم عن مدارس النحو التی قامت ببغداد و فارس و مصر و الشام و الأندلس، و منهج کل مدرسة و علمائها و آثارها .. کل هذا فی أسلوب قوی دقیق و بحث علمی عمیق.

و الکتاب و هو یعرض علینا النحو من أول نشأته إلی العصر الحدیث یمتاز عن کتب الطبقات القدیمة بسعة البحث و کثرة التفصیل، و دراسة مدارس النحو القدیمة دراسة مستفیضة، و یمتاز عن کتب المستشرقین بنفوذ مؤلفه إلی أعماق العربیة و أسرارها و وقوفه علی أطوارها».

و لم یکن کتاب «نشأة النحو» هو الصلة الفکریة بیننا و بین الشیخ، و لکنه کثیرا ما جلسنا فی دروسه و محاضراته فی کلیة اللغة معجبین نتلقف طرائفه، و یسحرنا بشمائله و تواضعه و علمه، بل کان لی کذلک حظ التلمذة علیه منذ أکثر من ربع قرن، و کان یدرس لنا علوم البلاغة فی الفرقة الثالثة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۵۵

من القسم الابتدائی، و کان له کتاب ألفه فی هذا المجال، و سماه «نفحة الریحان فی علم البیان»، و کان الکتاب یحوی مباحث کثیرة دقیقة، و لکنه لم ینح فیه هذا المنحی التجدیدی الممتع الذی لمسناه فیما بعد فی «نشأة النحو».

و للشیخ الطنطاوی عدا ذلک کتابه «تصریف الأسماء»، الذی أشهد أنه یجب دراسته فی أقسام الدراسات العلیا لا فی الفصول الدراسیة فی الکلیة نفسها .. و له کذلک مقالات کان ینشرها فی مجلة «رسالة الإسلام» التی تصدرها دار التقریب، و التی لا یطلع علیها أحد، و ما کان أجدره أن ینشر هذه المقالات فی کتاب لیتسنی للناس أن یقفوا علی علم الرجل و سعة إطلاعه ..

أما حیاة الشیخ فبسیطة بساطة نفسه و أخلاقه، و لکنها حیاة کبیرة بمغزاها و أثرها ..

ولد الشیخ فی ۷ سبتمبر ۱۸۹۵ ببلدة أکوة الحضة مرکز تلا منوفیة من أسرة متدینة محافظة تعیش فی الریف عیشة الهدوء و الاستقامة، و مهد له والده السبیل إلی التعلیم الدینی، فأدخله مکتب القریة لحفظ القرآن الکریم، و حفظ کتاب اللّه، و أخذ یتلقی تجویده علی ید فقیه من فقهاء القریة، ثم بعث به والده إلی الجامع الأحمدی فی طنطا عام ۱۳۲۷ ه ۱۹۰۹ فی أول عهده بالنظام، فانتسب إلی الشعبة الأولی علی مذهب الإمام مالک، و استمر فی التعلیم یحوطه التوفیق حتی نال الابتدائیة عام ۱۳۳۱ ه- ۱۹۱۳ م، ثم تزوج إتباعا لسنة الریف فی الحرص علی الزواج المبکر، و استمر یوالی کفاحه العلمی حتی کان فی طلیعة الناجحین فی الشهادة الثانویة عام ۱۳۳۵ ه- ۱۹۱۷. و فی القسم العالی بسنواته الأربع دأب فی التحصیل، وجد فی الإطلاع. و ثابر علی الدراسة حتی فاز فی النهایة بنیل شهادة العالمیة النظامیة عام ۱۳۴۲، ۱۹۲۳ م. ثم أنشیء قسم التخصص

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۵۶

و افتتح فی ینایر ۱۹۲۴، فتقدم إلیه و التحق بشعبة «النحو و الصرف و الوضع» و اجتاز مراحله الثلاث بتفوق، و فی السنة الأخیرة حازت رسالته فی الإعلال تقدیر أساتذته و لجنة الامتحان کذلک.

و لما عقد الشیخ المراغی عام ۱۹۲۸ لسابقة بین خریجی التخصص للتعیین فی وظائف التدریس بالأزهر و معاهده کان حظ الشیخ فیها حظا طیبا، فعین مدرسا فی معهد الزقازیق الدینی فی الیوم السابع و العشرین من ربیع الثانی عام ۱۳۴۷ ه، ۱۱ أکتوبر ۱۹۲۸، و بعد قلیل توفی والده یوم الثلاثاء ۱۹ رجب ۱۲۴۷ ه- ۲۱ دیسمبر ۱۹۲۸، و لکنه مات و هو قریر العین بابنه الشیخ المدرس فی الأزهر الشریف، و مکث أربع سنوات فی معهد الزقازیق کان فیها محل تقدیر شیوخ المعهد و أساتذته و طلابه و مفتشی الأزهر الشریف، و من ثم انتقل منها إلی کلیة اللغة العربیة عام ۱۹۳۳ مدرسا، و ظل فیها إلی أن توفاه اللّه إلی رحمته عام ۱۹۵۵.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۵۷

الشیخ عبد الجلیل عیسی

من جديد، و بعد مرور خمسة و سبعين عاما، على وفاة الإمام محمد عبده، طيب اللّه ثراه؛ تنتفض هذه المدرسة العجيبة، مدرسة الإمام محمد عبده عن رائد من أعلامها، يتلقى من يدى الرئيس محمد أنور السادات، فى عيد الثقافة، جائزة الدولة التقديرية، إكبارا و تقديرا من الدولة لعلمه، و لما أسداه فكره إلى جيلنا المعاصر من آثار جليلة.

إن تفسيره الشيخ عبد الجليل عيسى للقرآن الكريم يسير على منهج الأستاذ الإمام، من موضوعية و نفاذ بصيرة، و عقلية أصيلة تزن كل شىء، و تحكم فى عمق على الآثار و المرويات و المأثورات.

و كتابه «اجتهاد الرسول» يحمل طابع الإمام العقلى فى كتابه المشهور «رسالة التوحيد»، فهو قبس من جذوة الفكر العلمى، التى أنار بها الإمام محمد عبده الطريق لجيله، و للأجيال التى خلفته.

و الشيخ عبد الجليل عيسى هذا الأزهرى النابغة، عاش حياته نضالا و رأيا و عملا، من أجل أن يكون للعالم صوت فى مجتمعه، و عمل دائب فى خدمة وطنه، و جهاد متصل من أجل كلمة الحق تقال فى كل وقت و كل مكان ..

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۵۸

و انتماؤه العربى و الإسلامى عزز فى نفسه الشعور بأصالة تراثنا، و بعظمة الماضى و جلاله، و يمجد الأزهر العلمى العريق؛ و كانت هذه الانتماءات كلها هى مكونات شخصيته.

و فى ظل ما يقرب من قرن كامل عاشه و يعيشه عالمنا الجليل، كانت الأحداث الكبرى فى تاريخ وطننا، التى شارك فيها الشيخ بقلمه و روحه و نضاله.

توفى رحمه اللّه عام ۱۹۸۱.

كان أحد علماء الأزهر الذين وقفوا على أسرار الشريعة الإسلامية، و ملكوا ناصية اللغة العربية و البيان فى العصر الحديث- عرفته شيخا لمعهد شبين الكوم الدينى الذى أنشىء فى عهد الإمام المراغى- رحمه اللّه- و قد اختاره أول شيخ له، لأنه كان موضع ثقته، و أحد تلاميذه المقربين إليه و كان للشيخ عبد الجليل فى قلوبنا مكانة كبيرة من التقدير و الاحترام و الحب و الاعزاز، لأنه وضع نصب عينيه النهوض بهذا المعهد الدينى، و لأنه كان له مزيد من الهيبة و السطوة، و لحرصه الشديد على مصلحتنا، و ظهورنا بمظهر الطالب الأزهرى المثالى الذى يحرص على عزته و كرامته، و فى سبيل ذلك كان لا يسمح لأحد بدخول المعهد إلا إذا كان يلبس الزى الأزهرى كاملا، و إذا نمى إليه أن أحدنا لا يظهر فى الخارج بصورة سلوكية مشرفة، قام بفصله من المعهد مدة و لا يسمح له بالحضور إلا بعد تعهد من ولى أمره بضمان سلوكه و استقامته، و ذلك بعد أن يتحرى الأمر، و قد انعكس علينا هذا جدا و استقامة، و تفوقا فى العلم و اخلاق.

و الشيخ عبد الجليل من الرعيل الأزهرى الأول الذى اشترك فى المظاهرات و قاد مع زعماء الأزهر ثورة ۱۹۱۹ ضد الانجليز و كان يحدثنا بذلك فخورا، لينقل إلينا شرارة الوطنية- و كان معروفا عنه أنه أشد تلاميذ

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۵۹

المراغى إخلاصا، حيث ترسم خطاه فى ميادين إصلاح الأزهر و تطويره تطويرا يساير سمة العصر العلمية، مع الاحتفاظ بعناصر التراث الأصيل للأزهر و كان للشيخ قلم موهوب فى كتابة الموضوعات المتعددة ..

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۶۱

الشيخ سعاد جلال

توفى رحمه اللّه فى يونيو عام ۱۹۸۳، و كان علما من أعلام الشريعة الإسلامية و أستاذا جليلا فى كلية الشريعة الإسلامية.

قال عنه زمیله الدکتور الشیخ عبد الجلیل شلبی:

عرفت «الشیخ محمد سعاد جلال» منذ أکثر من نصف قرن عرفته أول ما جئت إلی القاهرة طالبا فی کلیة اللغة العربیة سنة ۱۹۳۷، و کان هو فی السنة الثالثة فی کلیة الشریعة و کانت الکلیتان فی مبنی واحد، فتعارفنا بلحظة، و تآلفنا فی لحظة، ثم مضت الأیام تزید مودتنا قوة، و تکسو تآلفنا إخاء و إعزازا.

و التحق الشیخ سعاد عقب تخرجه بتخصص المادة، لیدرس الفقه الإسلامی و أصوله، و کان هذا التخصص یستغرق نحو سبعة أعوام، و کان طلابه یختلفون فی درجاتهم العقلیة و یتباینون فیما یحصلون من علمه تباینا واسعا، فقد کان الأزهر حدیث عهد بالدراسات العلیا، و کانت دراسته تقوم علی درس الکتاب لا علی درس الموضوع، و قلیلون من أبناء هذا القسم بنوا أنفسهم بأنفسهم و کما کان یقول المرحوم أحمد أمین: إن من ینبغ من أبناء الأزهر لم ینبغ بمنهجه و توجیهه و لکن نبغ علی الرغم من منهجه

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۶۲

و توجیهه، و کان الشیخ سعاد من هؤلاء.

و عدا الناحیة العلمیة، أو لعله بسببها، کان نزوعا إلی الخیر و نفع الناس بما لدیه، و کانت موهبته الخطابیة مما یساعده علی بث علمه و إذاعة أفکاره و هی أیضا مما هیأ نمو مدرسته و کثرة تلامیذه، کان و هو لا یزال فی هذا التخصص یخطب یوم الجمعة فی مسجد الخازندار بشبرا و ذهب وزیر الأوقاف یومئذ لیصلی فی هذا المسجد، و ربما جذبه إلیه اسم الشیخ سعاد، فأعجبه حدیثه فقرر له علاوة استثنائیة تقدیرا لکفائته و علمه، و بعد أن أنهی الشیخ دراسته کان یخطب ثانیا فی مسجد المحکمة بمصر الجدیدة ثم المسجد قاهر التتار فمسجد عمر مکرم بالقاهرة و کان یتطوع بإلقاء الدروس الدینیة فیها، فکان له بها مدرسة ثانیة، بعد مدرسته فی کلیة الشریعة.

و کان من لباقته فی دروسه أنه یوازن بین قانون الشریعة و القوانین الوضعیة، و یوازن بین مجتمعاتنا و المجتمع الإسلامی فی حذق و حسن تصویر، و هو مع هذا یتحاشی الاحتکاک بتیارات السیاسة، و لکن کانت تلمیحاته أبلغ من تصریحات الآخرین، و کان تلامیذه فی کلیة الشریعة یحبون درسه و یقدرون تفکیره، و هم الآن فی شتی المعاهد و المدارس داخل القطر و خارجه یشعرون بدینهم له.

ثم انضم إلی هاتین المدرستین حدیثه «قرآن و سنة»، و به أضاف إلی تلامیذه تلامیذ لا یعرفهم و لم یروه، و لکنهم أحبوه علی البعد، و عرفوه من غیر أن یلقوه.

و مات الشیخ سعاد جلال، فشیعت جنازته فی غیر حشد، ففی ذمة اللّه و ذمة التاریخ.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۶۳

الدکتور أحمد الشرباصی

اشارة

من مواليد بلدة البجلات مرکز دکرنس، مدیریة الدقهلیة، و تاریخ میلاده ۱۷ نوفمبر سنة ۱۹۱۸. تخرج من کلیة اللغة العربیة سنة ۱۹۴۳، و کان ترتیبه «الأول» بین المتخرجین کما کان «الأول» بین زملائه فی سنوات الدراسة بالکلیة.

نال شهادة العالمیة و التخصص فی التدریس سنة ۱۹۴۵، و کان ترتیبه «الأول» بین الحاصلین علی هذه الشهادة.

کانت هذه أول مرة یجمع فیها متخرج بین «الأولیة» فی الشهادة العالیة و «الأولیة» فی التخصص.

اشتغل مدرسا فی وزارة المعارف مدة، ثم نقل مدرسا فی معهد الزقازیق، فمعهد القاهرة فمعهد سوهاج، فمعهد القاهرة. و اختیر أمینا للجنة الفتوی بالأزهر.

ألف ما يزيد على العشرين كتابا فى مباحث الدين و التاريخ و الأدب و الاجتماع، و من هذه الكتب: حركة الكشف، محاولة، بين صديقين، سيرة السيدة زينب. واجب الشاب العربى، المحفوظات الأزهرية، لمحات عن أبى بكر، محاضرات الثلاثاء، صلوات على الشاطىء، أمين

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۶۴

الأمة أبو عبيدة، عائد من الباكستان، مذكرات واعظ أسير، النيل فى ضوء القرآن من أجل فلسطين، فى رحاب الصوفية، غربة الإسلام، أيام الكويت، القصاص فى الإسلام، فى عالم المكفوفين، الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز.

أذاع سلسلة أحاديث فى الراديو عن الدين و صلته بالحياة، كان يقصد فيها دائما إلى تزكية المجتمع بالمبادىء الدينية الفعالة فى إصلاح الحياة و الأحياء. و من هذه الأحاديث سلسلة «الإسلام و الشباب» و سلسلة «آداب المجتمع فى الإسلام» و سلسلة «الإسلام و منهج الاستقامة» و سلسلة «آدب السنة فى بناء الأسرة».

اشترك ببحوثه و مناقشاته و آرائه فى مؤتمرات كثيرة، مثل: مؤتمر الشعوب الإسلامية بالباكستان، و مؤتمر العلماء بالباكستان، و المؤتمر الإسلامى بالقدس، و مؤتمر الخريجين العرب بالقدس، و المؤتمر الرياضى بالقاهرة. و نظم عدة مؤتمرات إسلامية و اجتماعية و قومية فى دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين.

نال دبلوم الدراسات اللغوية و الأدبية من معهد الدراسات العربية العليا سنة ۱۹۵۵، و كان ترتيبه «الأول». و كان مجموع درجاته أكبر من أى مجموع فى جميع شعب المعهد المذكور.

يعرف اللغة الانجليزية، و تقدم أكثر من مرة قبل قيام الثورة فى مصر لبعثة خارجية علمية، و حيل بينه و بين ذلك بسبب خطبه و مقالاته التى كان يقاوم فيها الفساد الماضى و الطغيان البائد.

دعا منذ عشرين عاما إلى إدخال نظام الكشافة فى الأزهر، و ألف فى ذلك كتابا، و خطب و كتب عن ذلك مرارا، كما دعا حينئذ و بعد ذلك إلى نشر التربية الرياضية فى الأزهر و المعاهد.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۶۵

ألقى سلسلة من المحاضرات فى عدة مواسم دراسية على مبعوثى البلاد العربية إلى «المركز النموذجى لتوجيه المكفوفين بالزيتون»، و هؤلاء المبعوثون يأتون للتخصص فى شئون المكفوفين و توجيههم، و ألف كتابه «فى عالم المكفوفين» الذى نال جائزة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية سنة ۱۹۵۶.

رحل رحلات علمية و اجتماعية و إسلامية إلى: فلسطين و الأردن، و لبنان، و سوريا، و الكويت، و الباكستان، و اليونان، و تركيا، و له بحوث و دراسات عن هذه البلاد، و تكررت رحلاته إلى أكثر هذه البلاد.

كان مبعوثا علميا للأزهر الشريف فى الكويت عام ۱۹۵۲- ۱۹۵۳.

و ألف كتابا عن الكويت و شئونها المختلفة فى قرابة خمسمائة صفحة.

اختير لألقاء محاضرات عن الشريعة الإسلامية على طلبة معهد الخدمة الاجتماعية فى مستوى جامعى منذ أول سنة ۱۹۵۷ الدراسية.

قام بمهمة الرائد العام لجمعيات الشبان المسلمين منذ عهد بعيد، و كان ينظم محاضرات: «أحاديث الاثنين» و محاضرات «مواسم التفسير»، كما يشارك بمحاضراته و كلماته فى أعمال الشبان المسلمين المختلفة، و ينشر بحوثا فى مجلتها منذ سنوات، و له محاضرات فى جمعيات كثيرة إسلامية و اجتماعية و قومية و رياضية، و هو عضو فى كثير من هذه الجمعيات.

أسندت إليه أمانة الفتوى فى الأزهر الشريف بالإضافة إلى عمله فى التدريس بالأزهر.

دعاه رئيس الجمهورية أكثر من مرة للخطابة فى الأزهر الشريف فى مناسبات تاريخية مشهورة، مثل يوم معركة القتال، و يوم الوحدة بين مصر و سوريا، و يوم الجمعة الأخيرة من رمضان و يوم عيد الفطر، و غيرها.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۶۶

کلفته ریاسة الجمهوریة عن طریق الاتحاد القومی برحلة إلی سوریة قبیل إعلان الاستفتاء علی الوحدة بین مصر و سوریة فی مطلع سنة ۱۹۵۸، و ألقی هناک عشرات الخطب و المحاضرات فی مختلف المدن السوریة حثا علی الوحدة و تعریفا بالعروبة و الإسلام.

دعاه الرئیس شکری القوتلی إلی إلقاء خطبة تاریخیة فی المسجد الأموی بدمشق یوم الاستفتاء علی الوحدة. و قد أذیعت هذه الخطبة بالرادیو، ثم نشرت و نوهت بها الصحف کثیرا.

اختارته وزارة الشئون الاجتماعیة و العمل سنة ۱۹۵۵ عضوا فی اللجنة التی وضعت مناهج الدراسة لقسم الدراسات الاجتماعیة لطلبة الکلیات الأزهریة.

منذ سنة ۱۹۴۰ و هو یقوم بالخطابة الدینیة المصطبغة بالصبغة الاجتماعیة، و قد تنقل بین مسجد المنیرة، و مسجد الشامیة، و الجامع الأزهر، و مسجد الرفاعی، و غیره من المساجد.

ألف جملة مسرحیات إسلامیة و تاریخیة، مثل أکثرها علی مسارح:

جمعیة الشبان المسلمین، و دار الأوبرا، و حدیقة الأزبکیة، و الغرفة التجاریة، و غیرها.

اشترک فی موضوع فیلم «خالد بن الولید» بوضع المعلومات التاریخیة و الحوار و شارک فی السیناریو.

کتب و خطب کثیرا فی الدعوة إلی التقریب بین الدین و الفن و شعاره هو: إذا تدین رجل الفن و تفنن رجل الدین التقیا فی منتصف الطریق لخدمة العقیدة الإسلامیة السلیمة و الفن القویم».

اختارته إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة فی اکتوبر سنة ۱۹۵۸ لیکون رائدا لبعثة الضباط الأندونیسیة المرکونة من قادة التربیة الروحیة التی

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۶۷

قدمت لدراسة الشئون الإسلامیة و الروحیة و الأخلاقیة للانتفاع بها فی تعبئة الروح المعنویة بالجیش الأندونیسی.

و کانت له صلاته المستمرة بالقضایا العامة للبلاد العربیة و الإسلامیة.

کتب کثیرا فی إصلاح الأزهر لأداء رسالته الکبری فی مصر و العالم الإسلامی.

و کانت کتاباته و محاضراته- فوق اتجاهها الاسلامی و العربی- و قد حصل علی الدکتوراه فی الأدب و النقد من کلیة اللغة العربیة عام ۱۹۶۷ تتّسم دائما بالنزعة الإنسانیة.

توفی إلی رحمة اللّه عام ۱۹۸۰.

کتب إلیّ عام ۱۹۵۸ من دمشق یقول:

أخی البحاثة الدءوب الأستاذ الجلیل محمد عبد المنعم خفاجی:

سلام اللّه علیک و رحمته و برکاته. أکتب لک هذه الرسالة من دمشق الفیحاء بعد أن قضیت أسبوعا فی هذا الشطر الشمالی من الجمهوریة العربیة المتحدة، و قد جلنا فی أنحاء هذا الإقلیم الکریم فزرنا طرطوس و قدموس و اللاذقیة و حلب و حماة و معرة النعمان (بلد أبی العلاء) و حمص و غیرها، و ألقیت فی کل بلدة من هذه البلاد أکثر من خطب عن الوحدة و العروبة و الإسلام و مقومات هذه الأمة المؤمنة، و قد سعدنا فی الیوم التالی لوصولنا بمقابلة الرجل العظیم الرئیس شکری القوتلی، و خطبت أمامه، و أهدیت إلیه نسخة من کتابی «الحاکم العادل عمر بن عبد العزیز» لأنه کان مصری المولد و تولی الخلافة فی الشام و جمع فی خلافته بین مصر و سوریا و غیرهما من بلاد العروبة و الإسلام.

و قد تفضل الرجل المجاهد فتقبل الهدیة و علق علیها بأنها أحسن هدیة یتلقاها لأنها تذکرة بالزهد و الورع و العدالة ... ثم رد علی

خطبتى بخطبة

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۶۸

جليلة قيدنا خلاصتها، و كان ذلك كله فى القصر الجمهورى السورى. و قد طلب منى أثناء خطبته أن ألقى خطبة الجمعة يوم الاستفتاء ۲۱ فبراير ۱۹۵۸ فى المسجد الأموى الجليل لكى تذاع بالمذياع و ليسمعها ألوف المصلين بالمسجد، و قد استحببت لذلك، و جعلت خطبتى دائرة حول معانى الوحدة و ثمرات الاتحاد، و قد ذكرت فيها أيضا عمر بن عبد العزيز و ضربت بعض الأمثلة من حياته، و كان لها و الحمد للّه أثر طيب حميد كما ذكر لى الناس هنا و هناك.

دمشق الآن يا أخى فى بحر لجى من الفرح و السرور و البهجة ..

المظاهرات فى كل مكان، الهتاف يملأ الآذان .. الرجال و النساء، الشيوخ و الشباب، الطلاب و الطالبات .. الجميع يصفقون و يهتفون ..

إنك لا تستطيع أن تفرق مبلغ هذا الشعور الجارف الفياض إلا إذا رأيته بعينيك ...

إننا الآن بين أشقائنا و أحبائنا، و فى بلادنا ... البلد واحد، و القائد واحد، و الوجهة واحدة ... نصر اللّه كلمة الأمة، و أعز بها شأن الحق و العدل، و ثبتها فى طريق اليقين و الإيمان ...

تحياتى لك و لأهلك و لكل أحبائك، و إلى لقاء قريب، و سلام اللّه عليك و رحمته.

دمشق فى ۲۲/ ۲/ ۱۹۵۸

أحمد الشرباصى

و كتب عنه صديقه محمد رجب البيومى يقول:

أصدر للأستاذ أحمد الشرباصى كتابه القيم: «فى عالم الملفوفين» ...

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۶۹

و الكتاب كما يراه كثير من الناقدين مجهودا علميا إنسانيا، فلا غرابة إذا أخذ نصيبه من ثناء المنصفين!! ... و يقول زميله د. رجب البيومى عنه:

رجعت بذاكرتى إلى الوراء، أيام كنت طالبا بالنسة الأولى بمعهد دمياط الدينى، و قد سبقنى فى التخرج فيه زميلى أحمد الشرباصى، تاركا خلفه ثناء مستطابا، تفيض به ألسنة المدرسين فى المعهد، و آراء الأدباء، خارج الدراسة، من أندية السمر، و نزهات الراحة، و دهشت كثيرا حين علمت أن الطالب المتخرج فى المعهد الابتدائى قد أصدر كتابا أدبيا فى موضوع توجيهى تحت عنوان: «حركة الكشف»، و لم يكن الكتاب مقالات متناثرة فى موضوعات متفرقة، تزدحم بها الأساليب الإنشائية و الخيالات البعيدة. كما نلاحظ دائما فى إنتاج الشداة من الناشئين، و الطامحين من المراهقين؛ و لكنه كان كتابا هادفا يسعى إلى غرض، و يدور حول فكرة، فاجتمعت له الأصالة و الجدة مع التوجيه الدافع، و الحرص الغيور، ..

و قد انتقل الإعجاب بهذا الكتاب إلى الدوائر الأدبية فى القاهرة، فأفردت له مجلة الرسالة (عدد ۱۰ يناير سنة ۱۹۳۸) صفحة خاصة تحدث فيها الأستاذ محمد سعيد العريان عن الكتاب و صاحبه، فقال فيما قال:

«ها هو ذا أزهرى فتى يضرب المثل لإخوانه الأزهريين فى الفتوة الرحيمة، التى تعمل للإنسانية ... يا له من فتى متمرد؛ لا ... لا تسموه متمردا، إنه يعرف ما عليه من تبعات الرجولة فى غد، فأعد للغد عدته، فلا عليه إن كان هو وحده الفتى الكشاف من الأزهر الكبير و روافده .. إنى لفخور به»!! ...

و أخذنا حينئذ نطالع مقالات أسبوعية يفاجئنا بها الشرباصى فى مجلات مختلفة، و كان عجيبا أن تصدر «السياسة الاسبوعية» (فى ۹ يوليو

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۷۰

سنة ۱۹۳۹) عددا خاصا عن ذکری الإمام محمد عبده، یتحدث به منصور فهمی و جاد المولی و أمین الخولی و محرم و الجارم و غیرهم من أدباء الصف الأول، ثم یکون للفتی الناشیء بهذا العدد مقالان اثنان لا مقال واحد (ص ۱۸، و ص ۳۰).

شیء رائع حقا، و نشاط حمید مشکور دفع بالأستاذ فلیکس فارس- و هو یومئذ فی طلیعة کتاب الرسالة الشیوخ- أن یسجل تقدیره فی تقریظ مشجع یقول فیه (الرسالة، عدد ۶ فبرایر سنة ۱۹۳۹):

«إن المؤلف یذهب فی محاولته ذهاب من رسخت عقیدته متعالیة عن تردد المحاولین، و إن العبقریة العربیة تنتبه فی هذا الجیل الذی سیقدم لیحل محلنا علی الذروة نحن النازلین منها إلی الأغوار. لقد ولدت اقلامنا أقلاما خیرا منها».

و ثناء فواح کهذا الثناء تعبق به مجلة الرسالة الارستقراطیة جدیر بالتقدیر و الاعتبار ...

مضت الأیام و الشرباصی لا ینی عن رسالته الأدبیة، بل یزاحم الأدباء إنتاجا و تألیفا علی طراءة العمر و لدونة الیفاع، و کان لا بد لهذا النشاط المتوثب أن یخرج للناس کتابا ثالثا تحت عنوان: «بین صدیقین»؛ و کان لا بد لجمهرة المنصفین من الأدباء أن یسابقوا إلی تکریمه و تشجیعه، فهیأت جمعیة الشبان المسلمین ساحتها مساء الأربعاء ۲۸ نوفمبر سنة ۱۹۴۰ م لحفلة تکریمیة ساهرة خطب بها کبار الأساتذة و نوابغ الأدباء، و قد أظهر الوفاء دلائله الصادقة فی نفوس کریمة تحتفل بالنشاط الدائب، و تبارک الجهد الموصول؛ و أنت تدرک کفاح الکاتب الناشیء حین تسمع زمیله الأستاذ محمد فهمی عبد اللطیف یتحدث عنه، فیقول :

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۷۱

«لقد کنت أتلقی برید الرسالة فأجد الشرباصی فی الیوم الواحد کاتبا فی (المکشوف) اللبنانیة و (الحدیث) الحلبیة و (التفیض) العراقیة و (المجلة) الدمشقیة»!! ... و هذه الحقیقة المائلة تنطق بنشاط حافل، تمده الموهبة، و ینمیة الإطلاع!! ..

و قد آثرت أن أستشهد بالنصوص لیعلم هذا المبتسم عن ریبة و اتهام أننی لا أبارک وحدی جهود أدیب طامح، فإذا کان لا بد من الابتسام فلیوجه إلی جمیع من یستمعون القول فیحبون أحسنه، و یهتفون بقائله: مرحی مرحی فقد سلکت الطریق!! ...

و إذا کان لنا أن نحکم علی إنتاج الکاتب، فإننا نلاحظ أنه من مبدأ أمره قد احتفل بالأدب العربی دراسة و تحلیلا، فقرأ و حفظ و ناقش، و أعد نفسه لیکون أستاذا فی الأدب العربی وحده، فهو غایة یهدف إلیها، و لم یدر أن الأیام ستجعل هذه الغایة وسیلة إلی هدف أسمی و مطلب أحب، تلک هی الدعایة للإسلام و نصرة الحق الصریح! ..

لقد أکب الشرباصی علی دراسة الأدب فی مختلف عصوره، فأفاد إفادة غزیرة، و لا زالت أبحاثه الأدبیة ترتفع إلی قمة عالیة. و قد قرأت له سلسلة عن «الخطابة فی الأندلس» بمجلة الأزهر، فشاهدت من أصالة الرأی و براعة الاستنتاج و طرافة النقاش ما أعجب و أمتع؛ بل أذکر أن أحد أساتذة العراق المرموقین قد کتب مؤلفا تحت عنوان: «بعث الشعر الجاهلی» فانبری الشرباصی لنقضه فی مجلة المقتطف، و أبدی من غزارة المادة و قوة العارضة ما جعل الدکتور المؤلف فی حرج و ضیق، و لو تفرغ أحمد للأدب وحده لرأینا مجهودا حافلا تنشرح به الصدور!! ...

و لکن الأستاذ یتعرض فی نقده الأدبی إلی مأزق ضیق یکابد منه تبریحا أی تبریح! ... فهو یحرص علی التشجیع و التنویه، و تدفعه المجاملة أحیانا إلی إهمال حقوق النقد الصریح، و کثیرا ما تقرأ له بحثا أدبیا عن

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۷۲

کتاب معاصر أو شاعر صاحب، فلا ترضی عمّا یشیع فیه من تنویه و تقدیر ... فإذا اضطر الکاتب إلی النقد ساقه فی ثوب حریری ناعم ...

و قد تخلو إلیه فیحدثک عن بعض المآخذ التی رآها و لکنه تحامل علی نفسه فأغفلها؛ و تلک حال تذکرنی بشاعر العربیة الابتداعی خلیل مطران، فقد کانت له فی الشعر رسالة ناهضة مجددة، و لکن قیود المجتمع و قوانین المجاملة قد دفعته- فی ضیق منه- إلی النظم

السطحی فی حفلات الأعراس و مواقف التأبین، و الخلق السمح یجد حرجا شدیدا فی مغاضبة الناس، فتکون المأزمة الضائعة للإنتاج الأدبی و صاحبه المسکین.

لقد قرأت فی کتاب «أیام الکویت» بحوثا أدبیة عن شعراء مقلدین لم یتصلوا بالنهضة الفکریة الحدیثة؛ و الأستاذ المؤلف ینظر إلیهم بعین الرضا الکلیلة عن العیب؛ فکنت أقول فی نفسی: أرضی الناقد عن فطمهم التقلیدی فهتف بأصحابه مع الهاتفین، أم أنه احتقر الموازین الجدیدة للشعر الحدیث؟! ...

و لم یطل التساؤل، فقد قرأت للأستاذ بحثا استعراضیا عن کتاب «الشعر بعد شوقی» للدکتور محمد مندور، فوجدت الکاتب یتفق معی فی الاتجاه!! .. و ینحی باللائحة علی ذوی الهمود من الجامدین، و إذ ذاک تصورت الحرب النفسیة التی قاساها الشرباصی لیوائم بین الرأی الصریح و الخلق السمح الحلیم!! ...

علی أن أحمد فی مجاملته للزملاء لا یتهاون قید شعرة مع کبار الأساتذة من الأدباء، و قد تعرض لغضب صاحب مجلة أدبیة لامعة، حین نشر نقدا أدبیا لبعض آرائه بمجلة الثقافة سنة ۱۹۴۰ م، کما أغضب الأستاذ أحمد أمین حین انحاز مجاهرة إلی تأیید غریمه الدکتور زکی مبارک فی هجومه علی صاحب الجنایة الأدبیة! ...

و مع مناصرته لزکی مبارک فقد وقف الشرباصی الطالب الشاب موقف

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۷۳

الناصح المرشد من دکتور نابغة نقاد، إذ یقول له علی صفحات الرسالة (عدد ۱۶ اکتوبر سنة ۱۹۳۹ م):

«أی صدیقی الدکتور، قد انتهی لغو الصیف، و جاء جد الشتاء، فلا تکسل و لا تنم، علی أنی أرجو أن تتحاشی ما یسبق إلیه قلمک من عبارات تنال من شخصیة الأستاذ أحمد أمین و تجرح شعوره» فأی توجیه ذاک؟! ...

و قد کان التحاق الشرباصی بکلیة اللغة العربیة بالقاهرة نقطة تحول کبیر فی إنتاجه و اتجاهه، و کان المظنون به أن یتوسع فی الدراسة الأدبیة وحدها، و لکنه وجد بالقاهرة مجالا للنشاط الإسلامی عن طریق المحاضرة و المناظرة و الخطابة، فانفرجت دائرة کفاحه إلی حیث تتسع و تمتد، و رصد نفسه إلی خدمة الفکرة الإسلامیة بالقلم و اللسان!!.

و صاحب اللسان البلیغ لا- یری فی أسلوبه الخطابی ضرورة لقیود المقال المرکز، و من هنا سرت عدوی اللسان إلی القلم فی کتابة الشرباصی، فقد تجد بها تفصیلا و إطنابا لا یرضیان صاحب المنطق المحدد؛ و لکن الشرباصی یتعمد الإثارة الانفعالیة فی نفوس القراء، إذ یهمه أن یجتذبهم إلی فکرته مستعملا شتی ضروب التأثیر، من منطق عقلی، أو مهیج عاطفی، أو حافز وجدانی؛ و إذا قرن القارىء شخصیة الداعیة بشخصیة الکاتب فی بعض مؤلفات الشرباصی فقد أراح و استراح!! ...

اقرأ مثلا- کتب الرجل: ۱- النیل فی ضوء القرآن. ۲- واجب الشاب العربی. ۳- أمین الأمة أبو عبیدة بن الجراح. ۴- صلوات علی الشاطیء ... فستجد المنطق العقلی سابحا فی أمواج التأثیر الوجدانی، و لهذه الطریقة حسناتها فی استنهاض الهمم و حفز البواعث، و إن کانت لا تسلم من نقد یؤکدة عقل منهجی محدود ..

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۷۴

لقد أصدر الکاتب مؤلفا صغیرا عن السیدة زینب، کما أصدرت السیدة بنت الشاطیء مؤلفا عنها، و صاحبة السیرة رضی اللّه عنها ذات مجال محدود لا یسمح بکتاب خاص، فماذا صنع الکاتبان؟! ..

لقد لجأت الدکتورة الجامعیة إلی الأساطیر و الأخیلة تنسج فیها خیوط البحث التاریخی، و لم أعجب بهذا المنهج، فنقدته نقدا صریحا بالسنة العشرین من مجلة الرسالة سنة ۱۹۵۲ م. أما الشرباصی فقد هدف إلی العاطفة الدینیة یستثیرها استثارا حبیبا، و قد عالج مشاکل دینیة و اجتماعیة تتصل بالموالد و الأذکار و الصلوات، فجاء بحثه نمیرا مستطابا ینعش الروح المؤمنة، و یرضی الوجدان الصافی، و لکنه لا یخرج عن مجال التأثیر الخطابی إلی مجال التأمل و الاستنباط؛ و فائدة القارىء فی المجال الأول محتومة مفروضة، فقد زاد

إيمانا، و رسخ عقيدة، وصفا نبعا و أخلاقا، و ذلك ثراء أى ثراء.

هذا و قد فرغ الكاتب إلى البحث العلمى الدينى فى بعض مؤلفاته القوية مثل: «القصاص فى الإسلام»، و «محاضرات الثلاثاء». و لن يضيره فى شىء أن يعرض بحوثه الدقيقة النافعة فى ثوب رائق واضح، فالحقيقة العلمية لا ينتقص معدنها أسلوب مشرق و استطراد نافع، و إنما يضيرها أن يتشعب بها القول فى متاهة لا تحد، و هذان الكتابان من النفاسة جوهرا، و الوضوح أسلوبا، و التحديد منطقا، فى مستوى رفيع، و إذا اكتمل للمؤلف كل ذلك فقد نجح و أفاد ...

يقول فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف فى معرض الحديث عن «محاضرات الثلاثاء» فى «منبر الشرق» عدد أول فبراير سنة ۱۹۵۲:

«من عادتى ألا أكتب عن كتاب إلا بعد أن أقرأ أكثر مباحثه على الأقل، فإن استمالنى لمتابعة القراءة فيه بغزارة مادته، و طلاوة عبارته، و جودة معانيه مضيت فيه إلى نهايته ... و قد أهدانى فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصى

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۷۵

كتابه: «محاضرات الثلاثاء» و أنا أعلم أنه رجل موهوب، ازدان علمه بتقواه، و أسلوبه بالأدب الرفيع، و قلمه بالسلاسة و الرواء، فعكفت على قراءته كعادتى فوجدت فيه طلبتى» الخ ...

و إذن فقد أصبح الاتجاه الإسلامى للداعية الأديب محور الحديث فى الخطابة، و مجال القلم فى التأليف ... و قد سافر بحافز من هذا الاتجاه إلى ممالك الإسلامية كثيرة، و صادف محنا و عقابا جمة، و لكنه لم يترك تجاربه تهرب من الذاكرة هروبا لا رجعة منه، بل أفرد لها كتبا خاصة من إنتاجه مثل: «أيام الكويت» و «عائد من الباكستان» و «مذكرات واعظ أسير» ...

و قد سلك فى كتابته مسلكا يلتزمه الكثيرون، فهو يدون الحوادث اليومية مجزأة متصلة، تتماوج فى سلسلة متعاقبة، يوما وراء يوم، و أذكر أنى كتبت إليه فى رسالة خاصة نقدا لهذه الطريقة، إذ أرى أن الأوفق أن تمتزج هذه اليوميات، لتتداخل فى أبوبا عامة، تتخذ لها عناوين دالة موحية ...

و كنت أعتقد أن هذا المنهج لا يختلف فيه اثنان، و لكنى وجدت من كبار الأدباء من يعدل إلى طريقة الأستاذ الشرباصى مندد بما أشرت إليه، فقد كتب الدكتور محمد عوض محمد بالرسالة (العدد السابع من السنة الأولى) ينقد كتاب: «جولة فى ربوع أفريقية» للرحالة محمد ثابت، فيفضل أن يكتب المؤلف مذكرات يومية أثناء السياحة، يصف فيها حركاته و سكناته، و ما مر به من الحوادث و كل شىء رآه، و بديهى أن ذلك لا يتضح بجلاء فى الأبواب الكلية كما أريد، و لكل وجهة هو موليها ...

و قد لاحظت أن أفكار الكاتب فى نشأته الأولى لم تتبدل فى شبابه المكتمل، بل أكسبها الزمن عراقة و أصالة دون أن يميل بها إلى استئصال و إبادة. و لتوضيح ذلك: قرأت للشرباصى على سبيل المثال- ثلاثة فصول

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۴۷۶

مختلفة عن الأستاذ الإمام محمد عبده، و قد كتبت فى فترات مختلفة، تبتدىء من سنة ۱۹۳۸ و تنتهى سنة ۱۹۵۶ م، فلاحظت أن الروح التى تغمر مقال «محاولة» هى نفسها التى تترقرق فى مقال «محاضرات الثلاثاء»، و هى نفسها أيضا تتوهج ببزوغ فى مقال أخير نشر بالعام الماضى فى مجلة الأزهر سنة ۱۳۷۵ ه .. و لا عجب إذا أكثر الشرباصى من الحديث عن الإمام المصلح، فهو مثل يحتذيه من ناحية، و عالم أزهرى كبير له رحمة الماسة من ناحية ثانية!! ...

لقد أصبح توفيق الشرباصى فى محاضراته المتتالية حديث الكثيرين، فكيف إذا ضمت إليه مؤلفاته التى تتقاطر متتابعة دون انقطاع، و قد يجمع المؤلف الواحد منها ضروبا فى القول تتباعد مصادر و مراجع، و تتحد هدفا و غاية؛ و تلك حقيقة سجلها الأستاذ محمود تيمور حين قال عن كتاب «فى عالم المكفوفين» بالرابطة الإسلامية، عدد ۱۶ أبريل سنة ۱۹۵۶ م:

«و أكبر ظنى أيها الصديق أنك ستشق بكتابك هذا على من يريدون إلحاقه بفن من فنون التأليف، فإنهم يحارون فيه ... إن ألحقوه

بالعلم فهو ذاک، لما حوی من دراسة و تحقیق، و إن وصلوه بالتاریخ فله منه نصیب موفور، و إن درجوه بالاجتماع فما ظلمون، و إن عدوه کتابا فی الأخلاق فلیس هو منها ببعید».

هذه شهادة منصفة، و هی بعد تحقیق لنبوءة الأستاذ أحمد شفیع السید- الأستاذ بکلیة اللغة العربیة- حین سجل إعجابه- من أمد بعید- بتلمیذه الطالب أحمد الشرباصی، فقال عنه من قصیدة عامرة تنطق بسماحة الأستاذ و تقدیر التلمیذ:

قبس من الإصلاح لاح بصیصه‌سیزیده کر المدی إشعالا

و إذا رأیت الفجر یبسم ضوؤه‌فارقب لأنوار الضحی إقبالا

البحر ما ذا کان؟ کان جداولاو البدر ماذا کان؟ کان هلالا

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۷۷

الدکتور الخفاجی- محمد عبد المنعم خفاجی- عالما-

اشارة

فی قریة صغیرة قدیمة من أعمال مرکز المنصورة، تسمی «تلبانة»، ولد الخفاجی فی ۲۲ یولیو عام ۱۹۱۵ بین أحضان الطبیعة الجمیلة فی الریف، و بین الفلاحین المکدودین المرهقین الذین یعیشون فیه عیشة تجمع إلی البساطة سذاجة التفکیر، و اجهاد العیش، و شظف الحیاة.

و فی أبان الحرب العالمیة الکبری، و ما تلاها من أحداث الثورة الوطنیة المصریة عام ۱۹۱۵ ولد و نشأ الخفاجی .. تنطبع فی ذهنه صور من کفاح الحیاة و الإنسانیة و من جهاد مصر فی سبیل حریتها و آمالها، هذا الجهاد الذی ظل أمدا طویلا شغل المصریین کافة، و موضع تفکیرهم، و ألهم المقعد الناصب لهم فی حیاتهم المعاصرة.

و لم یترک الخفاجی القریة إلا فی أثناء دراسته، و ظل وفیا لها و لأهلها الأبریاء البسطاء طول حیاته.

و هذا المیلاد و ما صاحبه و تلاه من أحداث فی حیاة الخفاجی یصوره فی قصیدة ساحرة له عنوانها «یوم المیلاد».

و الخفاجی لم یکن وحدة فی الحیاة، إن تاریخ قومه یمتد إلی أکثر من ألف و خمسمائة عام.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۷۸

فهو من سلالة عربیة عریقة، ارخ لها فی کتابه «بنو خفاجة و تاریخهم السیاسی و الأدبی»، و الخفاجیون قبیلة عربیة حجازیة کبیرة نشأت فی العصر الجاهلی و زاد نفوذها و هم من العقیلیین العامریین القیمیین، و قد تعددت فروع القبیلة بعد الإسلام و هاجرت سلالات منها إلی الشام و مصر و العراق و المغرب و الأندلس، و منهم أعلام خالدون فی کل مکان، و لا ننسی الشاعر الأموی توبة الخفاجی للعربی الحجازی، و الأمیر ابن سنان الخفاجی الحلبی المتوفی عام ۴۶۶ ه، و الشهاب الخفاجی المصری المتوفی عام ۱۰۶۹ ه، و ابن خفاجة الأندلسی المشبور، و غیرهم.

و من الخفاجیین أسر حاکمة فی حلب فی القرن الخامس الهجری، و فی العراق فی القرن الرابع إلی السابع الهجری، و کانت ولایاتهم فی الناصریة بقرب الکوفة و کان یتولاها منهم بعد أمیر، و کانوا فی شبه استقلال داخلی عن الخلافة العباسیة.

إن هذا الماضی العریق یحمله الخفاجی فی قلبه و دمه و أعصابه و یقف مزودا منه بإیمان راسخ، و عبقریة حادة و قوة ضخمة تعاوند علی کفاحه فی الحیة.

و حفظ الخفاجی القرآن الکریم و تعلم مبادیء و أطرافا من الثقافة الأولی فی مکتب القریة أو المدرسة الأولی التی کان یتعلم فیها الشباب فی ریف مصر إلی عهد قریب.

و فی عام ۱۹۲۷ رحل إلی مدینة الزقازیق یتلقی ثقافته الابتدائیة و الثانویة فی معهدها الکبیر، الذی تخرج منه عام ۱۹۳۶، و بین هذین التاریخین قصة کفاح طویل.

و من أهم ما ظهر علی الخفاجی فی هذه الفترة الاتجاه الوطنی الذی دفعه إلی الکفاح فی سبیل وطنه فی الأزمات السیاسیة التی مرت بمصر منذ عام ۱۹۳۴، و کان رئیس اتحاد طلبة أبناء الشرقیة فی مدینة الزقازیق، و کان

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۷۹

هذا الاتحاد قوة کبیرة سیاسیة فی هذه الفترة، و الخفاجی و أصدقاء له هم الذین کونوه، و کانت مؤتمراته الوطنیة تنشر فی الصفحة الأولی فی جریدة الجهاد المصریة، و فی شتی الصحف فی هذه الفترة.

و من أهم ما یلاحظه الخفاجی علی الثقافة المصریة فی هذه الفترة انعدام التوجیه و ضعف تربیة الملکات، و إهمال شئون الطالب النفسیة و العقلیة إهمالا کبیرا. و قد جاهد الخفاجی فی أزمة الأزهر عام ۱۹۳۵ مع زملائه جهادا طویلا.

التحق الخفاجی بعد مرحلة الثانوی بکلیة اللغة العربیة بالقاهرة و هی إحدی کلیات الأزهر الشریف و بدأ دراسته فیها فی أول اکتوبر عام ۱۹۳۶، و فی الیوم الثانی من أکتوبر من هذا العام توفی والده، و بعد ذلک بعشرین عاما أی فی یوم الخمیس ۲۷ جمادی الثانیة ۱۳۷۵ ه- ۹ فبرایر ۱۹۵۶ توفیت والدته و تخریج الخفاجی من کلیة اللغة عام ۱۹۴۰، حیث کان فی طلیعة المتفوقین فی جمیع مراحل الدراسة فیها.

و فی خلال هذه الفترة اشترک الخفاجی فی الحرکة الوطنیة، و تابع دراسته، و عمل أحیانا فی الصحافة فی جریدة السیاسة و فی صحف أخری، و کتب المقالات و البحوث و الدراسات فی شتی الصحف و المجلات.

و کان قیام الحرب العالمیة الثانیة فی هذه الفترة عام ۱۹۳۹ أهم حدث عالمی تأثر به الشباب العربی أیما تأثر، بل تأثر به شباب العالم قاطبة.

و کان الخفاجی المتنقل بین القریة و العاصمة صورة للشباب المصری المکافح فی سبیل وطنه و فی سبیل قومیة بلاده و فی سبیل الثقافة التی حمل لواءها بقوة.

و فی هذه الفترة تأثر بآراء عالمین مفکرین کبیرین فی الفکر و الثقافة و الإصلاح، هما الأستاذ الأکبر الشیخ إبراهیم حمروش شیخ الأزهر فیما

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۸۰

بعد، و الأستاذ الکبیر الشیخ محمد عرفة عضو جماعة العلماء بالأزهر. کما کان للإمام محمد عبده صداه العمیق فی نفسه.

و کان الأستاذ الأکبر الشیخ حمروش عبید کلیة اللغة آنذاک و کان بعقله الواسع و أفق تفکیره البعید و ثقافته العلمیة العریقة أرفع مثال لطلاب کلیته، یستمدون منه القدوة، و یحتذون حذوه فی الفهم و التفکیر.

و کان الأستاذ الکبیر محمد عرفة أستاذا للخفاجی فی الفلسفة و البالغة، و من ثم بآرائه التجدیدیة العلمیة تأشرا خاصا.

و تخرج الخفاجی فی یولیو عام ۱۹۴۰ من کلیة اللغة یحمل شهادته العالیة.

و التحق الخفاجی بأقسام الدراسات العلیا فی کلیة اللغة العربیة فی أکتوبر عام ۱۹۴۰ فی قسم البلاغة و الأدب، فعکف فی خلال الأحداث العالمیة التی صاحبت الحرب العظمی، و فی خلال أحداث مصر القومیة التی امتدت من هذا التاریخ، و فی خلال أزمات الأزهر التی کانت نتیجة للصراع بین الحکومة و القصر، و التی کان الأستاذ الأکبر الشیخ محمد مصطفی المراغی مظهرا لکثیر من صور الحرب الخفیة فی هذه المعرکة، فی هذه الظروف عکف الخفاجی علی دراساته العلیا، إلی أن تخرج عام ۱۹۴۴ یحمل شهادة النجاح فی الامتحان التمهیدی لشهادة العالمیة من درجة أستاذ.

ثم قدم رسالته الجامعیة «ابن المعتز و تراثه فی الأدب و النقد و البیان» و نوقش فیها فی أکتوبر عام ۱۹۴۶، و نال بها بتفوق شهادة

العالمیـة من درجـة أسـتاذ فی الأدب و البلاغـة من کلیـة اللغة العربیة و هی أرقی شـهادات الأزهر الجامعیة و تعادل الدکتوراه الممتازة حرف (أ).

و من الجدیر بالذکر أن الخفاجی قدم للکلیة مع رسالته المخطوطة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۸۱

ثلاثـة کتب له مطبوعـة عن ابن المعتز فی جوانب تخـدم موضوع رسالته و هذه أول مرة یقدم فیها باحث رسالة علمیة مخطوطة و معها ثلاثة کتب تخدم رسالته و فی موضوعها.

و کان هذا الجهد الأدبی موضع تنویه الأدباء و العلماء و الصحف فی حینه.

و لا ننسی أن نقول: أن الخفاجی أمضی مع عمله الضخم هذا سنوات طوالا یشغل وظیفة أستاذ فی الثیسیه فرانسیه فرع شبرا.

و قد ترک بعد حصوله علی شـهادة العالمیة من درجة أسـتاذ وظیفته فی الثیسـیه لیتولی أسـتاذیة البلاغة فی معهد أسـیوط الکبیر الذی عمـل فیه من نوفمبر عام ۱۹۴۶ حتی أکتوبر عـام ۱۹۴۷، ثم فی معهـد الزقـازیق الـذی کان طالبا فیه من قبل، و الـذی عمل فیه من عام ۱۹۴۷ إلی عام ۱۹۴۸.

و انتقـل الخفاجی فی ۱۷ أغسطس عام ۱۹۴۸ إلی کلیـة اللغـة العربیـة مدرسا للأدب و النقد و البلاغة فیها، و لا یزال حتی الیوم یتولی هذا المنصب فیها.

و من الطریف أن نذکر أن الخفاجی متزوج من عام ۱۹۴۸ و له ولد هو ماجد خفاجی، و توفیت له بنت کان اسمها «وفاء خفاجی».

و هو کـذلک رئیس رابطـة الأدب الحـدیث فی القاهرة، و عضو فی شتی الهیئات العلمیة و الأدبیة فی مصـر و العالم. و قد اختیر عضوا فی اتحاد أبناء الدقهلیة و هو من أکبر دعاة التجدید و الإصلاح و التعاون و القومیة العربیة.

و لا أنسی أن أنوه بکفاح الخفاجی فی سبیل إصلاح الأزهر، منذ التحاقه بقسم الدراسات العلیا حتی الیوم.

و فی هذا السبیل ناضل کل شیوخ الأزهر، و طالبهم بالإصلاح و التجدید و البناء.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۸۲

و أنوه کذلک بکفاحه فی سبیل الأدب الذی أنفق علیه کل ما یملک من مال.

ثم بکفاحه من أجل وطنه منذ انتهاء الحرب العالمیة الثانیة حتی الیوم.

و کفاحه من أجل الثقافة قد لا یصل إلیه کفاح آخر.

عمل فی کلیـة اللغة العربیة بالقاهرة مدرسا فأسـتاذا مساعدا فأسـتاذ فرئیس قسم الأدب و النقد. ثم اختیر عمیدا لکلیة اللغة بأسـیوط، ثم عاد إلی القاهرة أستاذا متفرغا یدرس لطلابه فی الدراسات العلیا علوم الأدب و النقد.

و العوامل الثقافیة التی أثرت فی عقلیة أدیبنا یمکن تلخیصها فیما یلی:

۱- العامل الأول: ثقافـة الأسـرة و هی أسـرة تنتمی إلی أصول عربیـة قدیمة بسط صاحبها تاریخها فی کتاب خرج منه حتی الآن تسـعة أجزاء- و من هـذه الأسـرة أعلام قدیمـة و حدیثة و معاصـرة من الأدباء و العلماء و الشـعراء و الکتاب، و قد بسط صاحبنا تاریخهم فی کتابه «بنو خفاجة».

۲- العامـل الثانی: ثقافته فی الأزهر الـذی عاش فیه تلمیـذا من سـنة ۱۹۲۷ إلی ۱۹۴۶ حیث تخرج من کلیـة اللغة العربیة یحمل شـهادة «العالمیـة من درجـة أسـتاذ فی البلاغـة و الأدب» و تعادل الـدکتوراه حرف (أ) من الجامعات المصـریة- و تخول لحاملها التدریس فی کلیات الأزهر و کلیات الجامعات المصریة، و کانت الرسالة التی قدمها هی کما قدمنا «ابن المعتز و تراثه فی الأدب و النقد و البیان» و هی مطبوعة.

۳- العامل الثالث: مطالعاته الشخصیة فی الأدب قدیمـة و حدیثـة، و یقول لنا: إنه حتی تخرجه طالع ما لا یقل عن خمسة آلاف کتاب

فی الأدب عدا الکتب الثقافیة الأخری.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۸۳

۴- اتصاله الوثیق بالبیئات و المدارس و المذاهب الأدبیة المعاصرة، و دراساته فی کلیة اللغة لتلامیذه.

۵- الاستعداد الشخصی و الملکات الذاتیة، التی تکون لصاحبها أفکارا ثقافیة و أدبیة خاصة متمیزة.

۶- اتصاله المباشر بالبیئات الثقافیة و الأجنبیة التی کان لعمله فی الیسیه الفرنسیة مدرسا أثر ما فی حیاته، و کذلک اتصاله بالعدید من العناصر و البیئات الثقافیة.

یؤمن أدیبنا الخفاجی بضرورة الملکة الأدبیة و الموهبة الذاتیة کأساس لبناء الأدیب من الجانب الفنی و الثقافی، و من ثم نجده یحیل کل الخصائص الذاتیة التی تمیز أدیبا عن أدیب إلی أثر هذه المواهب.

و یری أن الثقافة الأدبیة الحدیثة للأدب یجب- فوق تناولها لجمیع الثقافات الممکنة- أن تتناول التعرف إلی جمیع الثقافات الأدبیة القدیمة و الحدیثة و المعاصرة عند جمیع الشعوب، و من ثم یحرص علی الاتصال بروائع الآداب الأوروبیة المترجمة و یری وجوب التعاون و الإخاء الأدبی بین الأدب العربی و هذه الآداب، کما یری وجوب دراسة الآداب الشرقیة عامة و العربیة خاصة عند جمیع الشعوب التی یتصل تاریخنا بتاریخها و حیاتنا بحیاتها.

و یری أن الأدب لا بد أن یخدم هدفا اجتماعیا أو قومیا أو انسانیا و إلا فقد جزءا کبیرا من مقوماته و من أجل ذلک نراه فی کتابته عن الأدب المعاصر یشید بروائع الآثار الواقعیة فی الأدب و الشعر (راجع مقدمة قصص من التاریخ).

و هو مع ذلک یری أن الأدب المعاصر تنقصه الملکة و الذوق البلاغی کما أن الأدب القدیم کان ینقصه الاتجاه و المذهب و الرسالة و من أجل ذلک

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۸۴

فهو یبشر بأدب جدید تتجلی فیه خصائص الأدبین أکثر وضوحا عما هی علیه الآن.

و یقول عنه الدکتور أحمد زکی أبو شادی رائد مدرسة أبو للو:

الخفاجی ظاهرة فذة شائقة فی الوراثة و الإطلاع و الاستقراء و الإنتاج فهو سبط الأدیب الکبیر الشیخ نافع الخفاجی و هو من أسرة بنی خفاجة التی تنتمی إلی أصول عربیة «قدیمة»، و منها الأمراء الخفاجیون فی إقلیم الکوفة و الأمراء الخفاجیون بحلب، و منهم الأمیر ابن سنان الخفاجی الحلبی، و من أشهر النابغین فی مصر من الخفاجیین الشهاب الخفاجی المصری. و هذا الرجل یحمل أعلی شهادات الأزهر العلمیة و هی «شهادة الأستاذیة فی الأدب و البلاغة» التی تعادل (الدکتوراه) من الجامعات السامقة کالسوربون مثلاه و الذی أخرج حتی الآن نحو ستین کتابا فی فنون الأدب. و من العسیر أن یختار المرء کتابا من کتبه للعرض فی مجال الحدیث عن الأدب العربی، نظرا لکثرتها و تنوعها متناولة جمیع فروع الأدب. و الأستاذ خفاجی لیس لغویا و لا أدیبا فحسب، بل هو شاعر أیضا، شأنه فی ذلک شأن الدکتور طه حسین، و ذلک- إلی جانب ثقافته الواسعة التی تلتهم کل معرفة میسورة- کان طابع کتابته شعریا جمیلا مع الحرص علی الدقة العلمیة فی الوقت ذاته. و لذلک نالت تصانیفه احتراما عاما فی جمیع الأوساط الأدبیة ببلاد الغرب و فی دوائر الاستشراق .

و یقول عنه الأستاذ روکس العزیزی:

«الأستاذ الخفاجی واحد من هؤلاء الأفذاذ الذین وقفوا علی ماضی الأدب العربی وقوف فهم و تعمق و دراسة و رافقوا جدیده فکانوا

من خیرة مجددیه، لأن فکرته فی التجدید فکرة نیرة حاذقة. لذا جاءت أحکامه

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۸۵

محکمة تتمیز بالالمعیة فهو یجمع بین دقة العالم، صفاء ذهن الباحث، و قدرة الکاتب المجید و روح الشاعر المرهفة الحساسة، و یضاف إلی هذا أنه أستاذ فی معهد کان و ما زال أمینا علی تراث هذه الأمة الأدبی و الفکری.

و قال الناقد مصطفی السحرتی فی الخفاجی :

أصدق تعریف بالخفاجی أنه هادیء ثائر معا، حریص علی الإصلاح و الجهر برأیه حتی فی أدق الظروف و المناسبات و له فی ذلک مواقف عدیدة فی الأزهر و فی خارج الأزهر علی السواء.

و هو رائد فی الأدب و الشعر و النقد و التاریخ و التصوف کما هو رائد فی علوم الدین .

و قال عنه الدکتور سعاد جلال الأستاذ بجامعة الأزهر:

الخفاجی عرفته المجامع العلمیة و الأدبیة باحثا مدققا مبرزا، فیه الکثیر من تواضع العلماء، و تبریز الباحثین و المفکرین، مما یصوره أدبه و إنتاجه و تآلیفه، التی هی آثار أدبیة یعتز بها أدبنا المعاصر، و التی ستبقی خالدة علی الأیام.

و قال الدکتور عبد المنعم النمر فیه:

إننی أطالب مجلس الفنون و الآداب بإعادة طبع موسوعات الدکتور الخفاجی کی یعم النفع بها و أطالب النفع بها و أطالب إدارة الأزهر بإخلائه من العمل لیضاعف الإنتاج و بهذا نکون قد کرمنا الرجل حقا و وضعناه فی مکانه.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۸۶

و قال عنه الأدیب الحجازی الکبیر الأستاذ عبد الله الجبار:

إن الأدب العربی لیفخر بنتاج الخفاجی الأدبی و العلمی المتصل المستمر علی مرور الأیام.

و قال الأدیب الحجازی الکبیر أحمد عبد الغفور عطار :

الخفاجی أحد أعلام العلماء الذین خرجهم الأزهر، و یفخر بهم، و هو أعجوبة من الأعاجیب. فهو قد ألف و صنف العدید من الکتب و کتب مئات الفصول و الرسائل. و لئن کنا ندهش عند ما تقرأ أن الکندی و ابن سینا و السیوطی و غیرهم من أقطاب العلماء الذین ألفوا کتبا و رسائل تسد بالمئات فإن هذا الدهش سیزول عند ما نجد عالما معاصرا مشغولا بالتدریس و الأندیة و الجمعیات الأدبیة و العلمیة و مشغولا بکثیر من أعمال هذه الحضارة و هذا المجتمع المضطرب یستطیع- مع کل مشاغله- أن یخرج لنا العدید من المؤلفات. بینها من الکتب ما یتجاوز عدد صفحاته الآلاف .. إنه أدیب متمکن، و شاعر مبدع، و عالم کبیر.

و قال فیه الشاعر الکبیر محمود غنیم:

هتفوا بذکر أغر نابهعمرو بن یجر فی نیابه

إن لم یکنه فی حقیقته فبینهما مشابه

لا فی ملامح وجههبل فی توفره و دابه

حبیت فیه طالباللعلم أمعن فی طلابه

بل کاتبا فی الأفق حلاق غیر و إن عن شهابه

أن ینسب سفر إلیه تاه فخرا بامتسابه

فندفق الأسلوب نحسبه غیرا فی أنسابه

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۸۷ فی لفه قلم لعاب النحل قصر عن لعابه

أسفاره منهلهٔ کالغیث تهطل من سحابه

أناره نست علیه و جردته من نقابه

کالطیب فی الاخفاق ینفخ ریحه رغم احتجابه

السیف سیف مصلباأو مستکا فی قرابه

و قال فیه الشاعر الکبیر الدکتور حسن جاد:

حیو الأدیب الذکیاو العالم الألمعیا

رب الیراع المجلسیرسائلا و دویا

و من یهز .. خطیباو یستثر الندیا

فما یمل دءوباو لا یکل مضیا

فقل لمن کرموهرمتم مراما عصیا

حوی الفنون جمیعافلیس ینقص شیئا

و شق کل طریقمن ذا یصد الأتیا؟

و طبق الشرق ذکراو شهوهٔ و دویا

حتی شای کل میتو بذ من کان حیا

و لم یدع للسیوطیفی الکتب ذکرا بقیا

أخا الصبا و صدیقیأفدیک خلا وفیا

مؤلفاتک شتیو ما برحت فتیا

الدین جلیت فیه کتابه القدسیا

و کم خدمت احتساباحدیثه النبویا

و کم سهرت لتحییتاریخنا العربیا

تکسو البیان جدیدامن الثیات بهیا

و انهض إلی المجد و اصعدإلی مدار الثریا

و اللّه حسبک حصنامکافئا و ولیا

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۸۸

و قال فیه الشاعر کامل أمین:

یا أخا الخیر، یا خفاجة، و الخیر شباب الندی و روح الحیاة کل أرض نما بها البر روح ألبسته الحیاة ثوب النبات، قد عهدناک یا أخی تعبر الناس فتسعی بهم کسعی الفرات تبعث البائس القنوط من الآمال کبعث الحیاة بعد الممات.

یا أخی کیف مد سحرک فی اللیل فمد الصباح بین بیانک ریشة الساحر الصناع بکفیک و سحر البیان تحت لسانک و خیال الحدیث یجذب کاللحن فإذا عزفته فی کمانک الکمان الذی استحال یراعا عز داود فیه من ألحانک.

و قالت فیه الشاعرة جلیلة رضا:

إنه کالفجر فی سناه الولید ذائم الخلق، دائم التجدید و هو الحق و الفضیلة و الصدق و نور الإیمان و التوحید و هو العلم و البلاغة و الفصحی و رمز الإجلال و التمجید و هو کالطفل فی سماحته الحلوة فی قلبه الشفیف الودود و هو کالوحش إن غزا الکتب استأسد و انقض فوقها کالأسود و هو فی مجلس التشاحن و البغض کوجه السماء بعد الرعود بسمة کالندی و وجه صبوح و اتضاع فی عزة و صمود فإذا هم بالحدیث فأطراق العذاری و حکمة ابن الرشید قلم عاشق و طرس عشیق و بیان یفی بکل الوعود هکذا بذرع الوجود خفاجی بین بحث و فکرة و جهود فهو فخر الکتاب فی عصرنا الحاضر رمز البقاء و التخلید و أبو المجد و العلا للخفاجیین من قبل و من قدیم الجدود.

و قال الشاعر محمود الماحی فیه:

إنی أکرم همة لم یؤتهابشر بعصر قد نسی کتابه

و لسان مقتدر علیم بسارعمستصغر رغم الشقاء عذابه

فی هذه الدنیا التی من هولهاسئم الأدیب و عودها الخلابة

یجری وراء سرابها و سرابهایجری بلا أمل یرید سرابه

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۸۹ یا أیها القلم السخی بعلمهدرر الحجا و قلائد منسابه

لا جف منک و مدادک الغالی و لافارقت قلبا مبدیا إعجابه

و قال عنه الشاعر أحمد أبو المجد عیسی:

هذا الذی هام بالأسفار یکتبهاحبات عقد بدیع جد مؤتلق

لک الأنامل کم صاغت لنا أدبابه شغلنا عن الأجیال و الحدق

لک الطرائف من علم و من أدبسارت مسیر ضیاء الشمس فی الأفق

و أنت للجیل أستاذ تعلمهبما یحلیک من علم و من خلق

و نلت بالعلم جاها أنت کاسبهو لم تتله بتزییف و لا ملق

و کم رفعت أدیبا کان فی ظلمکأنما عاش تحت الأرض فی نفق

و نحن حولک إن کنا ذوی أدبفالطیر تهفو لفیض الجدول الغدق

و الصادح العبقری اللحن یسعدهأن یستجیب إلی بستانه العبق

یکفیک أنک فی الأقطار جامعةتزود الفکر بالأضواء و الالق

و قال عنه الشاعر إبراهیم شعراوی:

خفاجی، هاتف ینساب طهرابأعماقی و یسکب فی نشوه
فاهتف و النداء یهز نفسیخفاجی لفظة کالشهد حلوه
أبی یا فرس الآداب إنیلأبصر فیک میدانا و صهوه
إذا ما سأرجع الناس یومإلی العلیا بتصمیم و قوه
لکنت کشعلة بین الدیاجیتسیر أمام هذا الجمع خطوه
الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۹۱

أبو الجامعات فی الشرق و الغرب قلعة حضاریة فی تاریخ مصر الإسلامیة

هذا البناء الشامخ، و المسجد العریق القائم فی نهایة شارع الأزهر بالقاهرة، و المجاور لمیدان الحسین، و الذی رفع قبابه جوهر الصقلی، قائد جیش فتح مصر فی عهد المعز الفاطمی- هو جامعة الجامعات، و معهد العلم فی عاصمة مصر قاهرة المعز الخالدة، و هو حقا قلعة حضاریة فی تاریخ مصر الإسلامیة طوال ألف عام أو یزید .. إنه الأزهر أبو الجامعات فی الشرق و العرب.

و شیخ معاهد العلم فی مختلف أرجاء العالم. و إذا کان مسجد القرویین قد أنشیء فی فاس عام ۲۴۵ ه ۸۵۹ م، فإنه لم یتحول إلی جامعة إلا فی زمن متأخر جدا، بینما صار الجامع الأزهر جامعة إسلامیة بعد إنشائه بسنوات، و صار مقصد الطلاب و الأساتذة من أنحاء الدنیا، و قام برسالة ثقافیة کبیرة طیلة ألف عام، مما لم یحدث فی تاریخ أیة جامعة من الجامعات فی الشرق و لا فی الغرب.

و کان إنشاء الأزهر و قیام الحلقات العلمیة الجامعیة فیه بعد إنشائه مباشرة و حتی الیوم، معجزة المعجزات فی تاریخ الثقافة الإسلامیة .. و الأزهر هو أبو الجامعات الدینیة، فی عالم الإسلام، و هو الذی
الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۹۲

یمدها بالتوجیه و الخبرة، و بالخطط العلمیة المدروسة، و بالمناهج و الأساتذة، و علی نمطه قامت مختلف الجامعات الاسلامیة الحدیثة فی أنحاء العالم الاسلامی، و صار هو الصورة المشرقة لکل الجامعات و هو الذی یلخص تاریخ الحضارة الإسلامیة کلها طوال ألف عام ..

إنه روح هذه الحضارة، و المعبر عنها و المترجم لثقافاتها. و هو موئل العربیة و ملاذها الأمین. منذ قیامه إلی الیوم و قد سمی الأزهر لأنه کان محاطا بقصور زاهرة فی رأی، أو لأنه کان أکبر الجوامع علی الاطلاق رواء و جلالا و فخامة فی رأی، أو لأنه ینتسب إلی الفاطمیة و إلی فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی رأی آخر، أو للتفاؤل بما سیکون له من المکانة و الجلال و الازدهار العلمی فی تاریخ الثقافة الاسلامیة.

و قد شرع المعز الفاطمی منذ تولی الحکم فی دولة الفاطمیین فی المغرب فی بناء دولة واسعة، و امبراطوریة ضخمة لآل البیت فی وسط العالم الإسلامی، و من ثم امتد بصره إلی مصر، و شرع فی التمهید لفتحها، و نشط الدعاة الفاطمیون فی الدعوة لآل البیت فی أنحاء مصر کلها، ثم عین قائده جوهرا قائدا لجیش الفتح، فخرج من القیروان بجیش ضخم فی ۱۴ من ربیع الأول عام ۳۵۷ ه فبرایر ۹۶۹ م، فاستولی علی الأسکندریة، ثم واصل زحفه إلی الجیزة، فدخلها فی ۱۱، من شعبان عام ۳۵۸ ه- یولیو ۹۶۹ م، و فی الیوم التالی دخل جوهر الفسطاط عاصمة مصر الإسلامیة الأولی آنذاک.

و مکث جوهر فی شمالی الفسطاط ثمانیة أیام استراحت فیها جنوده بعد عبورهم النیل من الجیزة إلی الفسطاط و أخذ جوهر فی وضع

أساس عاصمة جديدة لمصر الفاطمية، فوضع أساسها فى يوم الثلاثاء ١٧ من شعبان ٣٥٨ ه ٧ يوليو ٩٦٩ م كما ورد فى خطط المقريزى (ج ٢ ص ٢٠۴)، و وضع أساس القصر الفاطمى الكبير- الشرقى فى اليوم التالى ليكون مقر

الأزهر فى ألف عام، ج٣، ص: ۴٩٣

الخليفة الفاطمى المعز لدين اللّه.

و فى يوم السبت ٢۴ من جمادى الأولى عام ٣٥٩ ه- ١٢ من أبريل ٩٧٠ م شرع القائد جوهر فى بناء الجامع الأزهر إلى جانب القصر الكبير- الخطط ج ٣ ص ٣٧٣- و ظل البناء عامين (٩٧٠- ٩٧٢ م)، و تم البناء و أقيمت الصلاة فيه لأول مرة فى السابع من رمضان عام ٣۶١ ه- ٢٢ من يونيو عام ٩٧٢ م و لم يلبث ان صار هذا المسجد هو المسجد الرسمى لدولة الفاطميين، و بعد تسعة أشهر من افتتاحه أخذ الناس يتلقون فيه عقائد المذهب الفاطمى.

و كانوا يجتمعون كل يوم جمعة فيما بين صلاة الظهر و صلاة العصر، و على رأسهم الوزير أبو يعقوب قاضى الخندق (خطط المقريزى ج- ۵ ص ۴٩) و منذ عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمى بنيت الأروقة حول الأزهر، و صارت جزءا منه، و فرشت بما يلزم من الفرش، و صارت مساكن يقيم بها الطلاب، و فى مقدمتهم الطلاب الوافدون على الأزهر من أنحاء العالم الإسلامى و من شتى مدن مصر الفاطمية.

و كان نظام الحلقات الذى كان متبعا فى تلك الحقبة من الزمن هو النظام الوحيد للدراسة فى الجامع الأزهر، و هو أساس الحياة العلمية و الثقافية فى مصر. و كان لكل مذهب من المذاهب الأربعة عمود معين من عمد الجامع لا يجلس فيه إلا أهل هذا المذهب، و كان شيخ المذهب حريصا على أن تكون حلقته العلمية بجوار هذا العمود، و كان من عادته فى أثناء إلقاء الدروس أن يجلس على الأرض بجوار العمود مستقبلا القبلة، ثم صار أخيرا يجلس على كرسى من الخشب أو الجريد، و صارت تلك الكراسى من أخص امتيازات كبار العلماء فيه، و من ذلك أخذت الجامعات نظام الأساتذة ذوى الكراسى، و كان الطلبة يجلسون حول أستاذهم على هيئة حلقة و لكل طالب مكان فى الحلقة لا يتعداه. و كان فى الحلقة طالب

الأزهر فى ألف عام، ج٣، ص: ۴٩۴

من أنبه طلابها يكلفه الأستاذ بإعادة درسه على زملائه و بقراءة الموضوع العلمى للدرس فى مختلف مصادره، و سمى هذا الطالب معيدا، و عن الأزهر أخذت الجامعات نظام المعيدين أيضا. و كانت طريقة التعليم إذ ذاك هى أن يبدأ الشيخ درسه بالبسملة و الحمد للّه و الصلاة على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، ثم يلخص موضوع درسه، ثم يقرأ النصوص التى كتبت حوله فى مختلف المصادر، و يقوم الطلاب بسؤال أستاذهم فى كل ما غمض عليهم، و يستمر الحوار و المناقشة و الأسئلة و الإجابة عنها طول الدرس بين الأستاذ و طلبته!

و لا ننسى أنه بعد انتهاء الدولة الفاطمية، و تولى صلاح الدين الأيوبى حكم مصر عام ۵۶٧ ه. أفتاه قاضيه صدر الدين بن عبد الملك بن درباس الشافعى بامتناع اقامة خطبتين فى بلد واحد كما هو مذهب الإمام الشافعى، فأبطل صلاح الدين الخطبة و التدريس فى الجامع الأزهر، و أقر الخطبة فى الجامع الحاكمى بحجة أنه أوسع، ثم أعيدت إلى الأزهر الدراسة، و كان أول ما درس به من مذاهب أهل السنة مذهب الإمام الشافعى رضى اللّه عنه، ثم درست المذاهب الأخرى على التتابع، فلما تولى الملك الظاهر بيبرس حكم مصر عام ۶۵٨ ه لم يلبث أن أعاد الخطبة الى الجامع الأزهر عام ۶۶۵ ه- ١٢۶٧- ١٢۶٧ م.

و زاد بيبرس فى بناء الجامع و شجع العلم و التعليم فيه، و أقام الأمير عز الدين أيدمر الحلى احتفالا رسميا عظيما فى الجامع الأزهر، ابتهاجا بعودة الخطبة إليه، كما أقام احتفالا عظيما آخر فى داره حضرهما رجال الدولة و قادتها، و كان هذا الأمير يجاور الأزهر بسكناه، و تبرع له الكثير من ماله الخاص، و جمع له الكثير من التبرعات من الدولة و من الأمراء، و أخذ فى ترميم مبانيه، و فى عمارته.

و لقی الأزهر من عنایة الشعب الشیء الکثیر فعاد الی حلقاته العلمیة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۹۵

الازدهار و الجلال، و بخاصة بعد أن دمر المغول فی غزواتهم کل معاهد العلم فی العالم الاسلامی، و بعد أن قضی الاسبانیون علی المدارس الإسلامیة فی الأندلس، و لم یبق فی العالم الإسلامی علی رسالة العلم و الثقافة و بناء الحضارة غیر الأزهر الشریف.

و لما فتح سلیم الأول العثمانی مصر، أخذ یظهر التودد إلی العلماء، و الرعایة للأزهر، و یکثر من زیارته و الصلاة فیه، و أمر بتلاوة القرآن به، و تصدق علی فقراء طلابه.

و فی عام ۱۰۰۴ ه- ۱۵۹۵ م جدد الأزهر و إلی مصر العثمانی الشریف محمد باشا فی عهد السلطان العثمانی محمد الثالث، و رتب لطلبته الفقراء طعاما یجهز لهم کل یوم، فکان ذلک حافزا کبیرا علی زیادة الاقبال علیه.

و لم یکن للأزهر قانون معین، حتی عام، ۱۲۸۸ ه- ۱۸۷۲ م، ففی هذا العام، و فی عهد شیخه الشیخ محمد العباسی وضع قانون للتدریس فی الأزهر صدر به مرسوم خدیوی بتاریخ ۲۲ من ذی القعدة عام ۱۲۸۷ ه- ۳ فبرایر ۱۸۷۲ م- نص فیه علی ما یلی:

۱- أن یکون الحصول علی شهادة العالمیة بامتحان یجری علی ید لجنة من العلماء یختارهم شیخ الجامع.

۲- أن یقسم العلماء إلی درجات ثلاث: أولی و ثانیة و ثالثة.

۳- أن تکون العلوم التی یمتحن فیها الطلاب هی: الفقه- الأصول- التوحید- الحدیث- التفسیر- النحو- الصرف- البلاغة- المنطق.

و لم یکن یسمح بدخول الامتحان إلا لستة من الطلاب، فإذا ازداد العدد یرجح منهم من امتاز بالشهرة أو بکبر السن.

و فی عام ۱۳۱۲ ه- ۱۸۹۵ م فی عهد الخدیو عباس الثانی وضع

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۹۶

قانون جدید للأزهر، ألف بمقتضاه مجلس لإدارة الأزهر من أکابر شیوخه الممثلین للمذاهب الأربعة، و من ممثل للحکومة.

و لا ننسی أن أقدم أساتذة الأزهر کان هو القاضی أبو الحسن علی بن النعمان (- ۳۷۴ ه) فهو أول أستاذ ألقی درسا فی الأزهر- ثم تلاه أخوه القاضی محمد بن النعمان (- ۳۸۹ ه- ۹۹۹ م)- ثم ابنه الحسین بن النعمان قاضی الحاکم بأمر اللّه الفاطمی.

و من أساتذته أبو عبد اللّه القضاعی الفقیه و المؤرخ (- ۴۵۴ ه- ۱۰۶۲ م) و کان هو سفیر المستنصر باللّه الفاطمی إلی قیصرة القسطنطینیة «تیودورا» لعقد صلح بین مصر و الامبراطوریة الرومانیة الشرقیة، و من کتبه «المختار فی ذکر الخطط و الآثار».

و من الأساتذة کذلک الأمیر المختار عز الملک محمد المشهور بالمسبحی (- ۴۲۰ ه- ۱۰۲۹ م) و هو من أقطاب العلماء و مشهوریهم و له کتاب بعنوان «أخبار مصر و فضائلها».

و منهم کذلک الشاطبی (۵۳۸- ۵۹۰ ه- ۱۱۹۴ م) إمام القراءات فی عصره.

و ممن قام بالتدریس فی الأزهر المؤرخ عبد اللطیف البغدادی (- ۶۲۹ ه)، و قد قدم علی مصر عام ۵۸۹ ه- ۱۱۹۳ م، و تولی التدریس بالأزهر أعواما عدة، فی مواد الکلام و البیان و المنطق، کما ألقی بعض دروسه الطبیة فی حلقات خاصة.

و کذلک الشاعر الشیخ الصوفی الکبیر شرف الدین عمر بن الفارض (- ۶۳۲ ه- ۱۲۳۴ م)، و ابن خلکان شمس الدین (- ۶۸۰ ه- ۱۲۸۱ م) الذی وفد علی القاهرة عام ۶۳۷ ه- ۱۲۳۹ م.

و کذلک ابن هشام أمام العربیة فی مصر (- ۶۴۶ ه)، و شیخ

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۹۷

المؤرخین ابن خلدون (- ۸۰۸ ه- ۱۴۰۶ ه). و لما قدم ابن بطوطة إلی مصر عام ۷۲۶ ه- ۱۳۲۵ م زار الأزهر، و تعرف بعلمائه و ذکر بعضهم، و منهم: قوام الدین الکرمانی- شرف الدین الزواوی المالکی- شمس الدین الأصبهانی (راجع الرحلة لابن بطوطة ص ۲۵).

و کذلک ممن درسوا فی الأزهر ابن حبان الغرناطی العالم اللغوی المشهور، حیث کان یلقی دروسه فیه.

و کذلک المؤرخ المشهور تقی الدین المقریزی.

و منذ أواخر القرن الثامن قلما نجد شیخا مشهورا أو أستاذا کبیرا، لم یأخذ مجلسه فی الأزهر، و بحسبنا أن ابن خلدون شیخ المؤرخین اتخذ حلقة علمیة له فیه، و کان تدریسه فی الأزهر و جلوسه فی حلقاته العلمیة، حدثا علمیا کبیرا.

و ممن درسوا فیه کذلک: تلمیذ ابن خلدون المؤرخ المشهور العلامة المغربی محمد تقی الدین الفاسی (- ۸۴۲ ه).

و من شیوخه کذلک: الإمام شهاب الدین بن عبد الحق السنباطی (- ۹۵۰ ه- ۱۵۴۳ م)، و الشیخ الخرشی المالکی شیخ الجامع الأزهر (- ۱۱۰۱ ه- ۱۶۸۹ م)، و الشیخ إبراهیم بن محمد البرماوی (- ۱۱۰۶ ه- ۱۶۹۵ م) و کان من شیوخ الأزهر الشریف، و الشیخ حسن بن علی الجبرتی (- ۱۱۱۶ ه- ۱۷۰۴ م) و هو جد المؤرخ الشیخ عبد الرحمن الجبرتی.

و منهم کذلک العلامة المغربی شهاب الدین المقری (- ۱۰۴۱ ه- ۱۶۳۳ م) و قد وفد علی مصر عام ۱۰۲۷ ه- ۱۶۱۸ م و منذ ذلک التاریخ لازم التدریس فی الجامع الأزهر، و أقبل علی حلقته العلمیة الأساتذة و الطلاب.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۹۸

و منهم کذلک الشیخ الإمام الصوفی عبد الغنی النابلسی الذی زار مصر عام ۱۱۰۵ ه، و الذی تصدر حلقة علمیة من حلقاته، و کذلک مرتضی الزبیدی الیمنی صاحب شرح القاموس، و کان من کبار العلماء فی الحدیث و اللغة و الأدب، و کتابه «تاج العروس من جواهر القاموس» مشهور، و قد ترجم له تلمیذه الجبرتی فی تاریخه (۲ ص ۲۰۸- ۲۲۰ عجائب الآثار للجبرتی).

و من أعلام شیوخه و مدرسیه الإمام محمد عبده (- ۱۹۰۵ م) مفتی مصر، و مصلح الأزهر، و منشیء مکتبته، و واضع أهم قوانینه. و کان یلقی دروسه فی التفسیر فیه فی الرواق العباسی.

و ممن تخرجوا فیه أو درسوا فیه طائفة کبیرة من أعلام نهضة مصر، و منهم الزعیم أحمد عرابی، و سعد زغلول، و عبد اللّه فکری باشا (- ۱۸۸۹ م)، و المنفلوطی (- ۱۹۲۴ م)، و الشیخ محمد شاکر (- ۱۹۳۹ م)، و الشیخ عبد العزیز البشری (- ۱۹۴۳ م)، و الشیخ أحمد الزین، و د. زکی مبارک (- ۱۹۵۲)، و طه حسین، و أحمد حسن الزیات، و غیرهم.

و من أعلام المتخرجین فیه کذلک: الشیخ عبد الهادی نجا الأبیاری (- ۱۸۸۸ م)- و الشیخ حسین المرصفی (- ۱۸۸۹ م)، و الشیخ حمزة فتح اللّه (- ۱۹۱۸ م)، و الشیخ سید المرصفی (- ۱۹۳۱)، و غیرهم.

و قد تولی مشیخة الجامع الأزهر منذ العصر العثمانی إلی الیوم ثمانیة و أربعون شیخا، أولهم الشیخ محمد بن عبد اللّه الخرشی المالکی المتوفی فی ۱۷ من ذی الحجة عام ۱۱۰۱ ه.

و منهم: الشیخ البرماوی (- ۱۱۰۶ ه) و النشرتی (- ۱۱۲۰ ه)،

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۴۹۹

و الشیخ عبد اللّه الشبراوی أمام الصوفیة فی عصره (۱۰۹۲- ۱۱۷۱ ه) و منهم الشیخ عبد اللّه الشرقاوی الشافعی (۱۱۵۰- ۱۲۲۷ ه: ۱۷۳۷- ۱۸۱۲ م) و الشیخ حسن العطار (- ۱۲۵۰ ه)، و الشیخ مصطفی العروسی، و الشیخ محمد العباسی المهدی، و الشیخ محمد الإنبابی، و الشیخ حسونة النواوی، و الشیخ عبد الرحمن النواوی، و الشیخ سلیم البشری المتوفی فی ۱۷ من أکتوبر عام ۱۹۱۷ م، و الشیخ أبو الفضل الجیزاوی ثم الشیخ المراغی، و الشیخ الأحمدی الظواهری، و الشیخ المراغی للمرة الثانیة حتی توفی عام ۱۹۴۵، ثم الشیخ مصطفی عبد الرازق (- ۱۹۴۸)، فالشیخ مأمون الشناوی، فالشیخ إبراهیم حمروش، فالشیخ عبد المجید سلیم، فالشیخ محمد الخضر حسین، فالشیخ عبد الرحمن تاج، فالشیخ محمود شلتوت، فالشیخ حسن مأمون، فالشیخ محمد الفحام، فالشیخ عبد الحلیم محمود، فالشیخ محمد عبد الرحمن بیصار شیخه الذی تولی مشیخة الأزهر.

و لا ننسی ثورات الأزهر الوطنیة، ثورة الشیخ الدردیر التی وضعت أول میثاق لحقوق الإنسان، و ثورة الشیخ عبد اللّه الشرقاوی التی ألزمت الحکام الممالیک بالعدالة فی معاملة الشعب، ثم ثورة عرابی، و ثورة عام ۱۹۱۹، و هما اللتان أیدهما الأزهر و شارک فیهما

مشارکة فعالة .. و لا ننسی کذلک ثورة القاهرة الأولی و الثانیة التی قام بها الأزهر من أجل تحریر مصر من الاحتلال الفرنسی.

و بعد، فهذا هو الأزهر، و هذا هو تاریخه الحافل، فی بناء الثقافة و الفکر و الحضارة فی مصر الإسلامیة، بل فی العالم الإسلامی کافة.

و لا یزال الأزهر یتصدر حتی الیوم الجامعات الإسلامیة فی العالم الإسلامی.

و سوف تحتفل مصر الخالدة بالعید الألفی للأزهر بعد شهور قلیلة،

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۰۰

لتقدم باسمها و باسم العالم الإسلامی لهذه الجامعة العریقة کل عرفان بالفضل، و تقدیر للصنیع، علی ما قام به طوال ألف عام من بناء للفکر و للوطن و للإنسان.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۰۱

ترجمة القرآن الکریم

اقترح شیخ الأزهر الشیخ محمد مصطفی المراغی ترجمة معانی القرآن الکریم إلی اللغات العالمیة و تقدم بها مشیخة الأزهر بمساعدة وزارة المعارف و أن یقرر مجلس الوزراء المصری الاعتماد اللازم لذلک المشروع الجلیل.

و ذلک فی خطاب بعث به الشیخ المراغی إلی رئیس مجلس الوزراء فی مصر. الأزهر فی ألف عام ؛ ج۳ ؛ ص۵۰۱

قد ناقش المشروع کثیر من الناس، و کتب الشیخ محمد سلیمان القاضی الشرعی کتابا بعنوان «حدث الأحداث فی الإسلام الإقدام علی ترجمة القرآن»، و أخرج محمد مصطفی الشاطر کتابه «الرد علی مشروع ترجمة القرآن الکریم».

فأصدرت جماعة کبار العلماء فی الأزهر الشریف فتوی بإجازة ترجمة معانی القرآن الکریم، وقع علیها الأعضاء، و هم:

- محمود الدینارى شیخ معهد طنطا.
- عبد المجید اللبان شیخ کلیة أصول الدین.
- إبراهیم حمروش شیخ کلیة اللغة.
- محمد مأمون الشناوی شیخ کلیة الشریعة.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۰۲

- عبد المجید سلیم مفتی مصر.
- محمد عبد اللطیف الفحام وکیل الأزهر.
- دسوقی عبد اللّه العربی.
- یوسف الدجوی.
- محمد سبیع الذهبی شیخ الحنابلة.
- أحمد الدلبشانی.
- عبد المعطی الشرشیمی.
- عبد الرحمن قراعة.
- أحمد نصر.
- محمد الشافعی الظواهری.

و بعد ذلک أصدر مجلس الوزراء قرارا بالموافقة علی ترجمة معانی القرآن الکریم ترجمة رسمیة فی جلسته المنعقدة فی ۱۶ أبریل ۱۹۳۶.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۰۳

الشیخ المراغی

هو الشیخ محمد مصطفی المراغی، ولد فی مراغة أحد مراکز سوهاج فی مارس ۱۸۸۱، بدا رحلته التعلیمیة بحفظ القرآن الکریم، ثم ذهب إلی طهطا لمواصلة العلم و اتجه بعدها إلی الأزهر الشریف و حصل منه علی العالمیة فی عام ۱۹۰۴، اشتغل فی مستهل حیاته الوظیفیة بالسودان، و قد عین قاضیا فی دنقلة فی نفس السنة التی تخرج فیها من الأزهر ثم عین قاضیا لمدیریة الخرطوم فی دیسمبر ۱۹۰۶ و رقی بعدها لیشغل وظیفة قاضی القضاة فی دیسمبر ۱۹۰۸ و هو أکبر منصب قضائی فی السودان کله، نظم خلاله القضاء الشرعی بالقطر الشقیق. ثم نقل إلی مصر فی سبتمبر ۱۹۱۹، و ظل یرقی المناصب القضائیة إلی أن عین رئیسا لمحکمة مصر الشرعیة العلیا فی عام ۱۹۲۳ مما أتاح له أن ینهض بقانون الأحوال الشخصیة بعد أن برم الناس به، و استطاع أن یأخذ من التشریع الإسلامی من غیر تقید بمذهب، و لمس الناس أثر إصلاحاته الکبری.

ثم حاول القیام بأخطر مهمة فی تاریخ الأزهر و ذلک عن طریق تطویره و إصلاحه و مسایرته لروح العصر إذ عین شیخا للجامع الأزهر فی مایو ۱۹۸۲. بدأ عمله بنهج طیب مفاده أن یحفظ للخریج مکانته. إذ أرادت وزارة الأوقاف منذ عام مضی (أی فی عام ۱۹۲۷) إنشاء مدرسة الوعظ

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۰۴

و الإرشاد، لأنها ظنت أن علماء الأزهر غیر قادرین علی تأدیة هذه المهمة.

و کان لهذه المدرسة مخصصات فی میزانیة ۱۹۲۸. فتدخل الشیخ متعللا بأنه فی الإمکان الاستغناء عن تلک المدرسة بعد إصلاح الأزهر، و کان بالفعل قد سار شوطا فی هذا المجال. فکتب مذکرته الإصلاحیة الشهیرة- و التی تعتبر بحق دستور الإصلاح فی الأزهر الحدیث- ضمنها آراءه و أفکاره و خلاصة تجاربه، و أهم ما جاء فیها تقسیم القسم العالی بالأزهر إلی کلیات ثلاث: کلیة أصول الدین و الشریعة و اللغة العربیة و إنشاء قسم للدراسات العلیا یسمی تخصص المادة، ثم بعض المواد فی کیفیة ادارة الأزهر.

و انقسم الأزهر أمام تلک الآراء إلی قسمین: مؤید و معارض، وقف الملک فؤاد بجانب الفریق المعارض، للخلاف الناشیء بینه و بین المراغی فی بعض مواد القانون فقدم استقالته من مشیخة الأزهر، و بالرغم من قصر المدة التی قضاها و هی لا تتعدی أربعة عشر شهرا، إلا أنها کانت فترة حافلة بآثارها و نتائجها. فقد کان لآرائه وقع کبیر فی نفوس کل من العلماء و طلبة الأزهر، یدل علی ذلک أن قام الأزهریون عن بکرة أبیهم شیوخا و طلابا فی مظاهرة من العنف و الشدة و من ورائهم الأمة جمعاء، و لیس لهم من مطلب سوی عودة الشیخ إلی الأزهر لیواصل المسیرة الإصلاحیة، فرضخ المسئولون و علی رأسهم الملک لمطلب الشعب و عاد الشیخ إلی الأزهر.

فسکنت نفوس الأزهریین و أرادوا التعبیر عن ولائهم له و السرور بعودته فأقاموا لتلک المناسبة حفلا لتکریمه بأرض المعرض الزراعی احتشد فیه أکثر من ثلاثین ألف رجل من جمیع فئات الشعب، و حضره بعض الأمراء و رجال الفکر و السیاسة فی العالم.

و قد صدرت الصحف صباح الحفل تشید بنظامه و مما ألقی فیه من خطب و قصائد و تهنیء الشیخ و تغبطه علی مقامه فی الأزهر و فی الأمة حتی

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۰۵

لقد قال بعض رجال الصحافة: لم یشهد العالم لا فی أوروبا و لا فی مصر حفلا اجتمع له من أسباب الروعة و النجاح مثلما اجتمع لذلک الحفل العظیم.

عاد الشیخ إلی الأزهر مرة ثانیة لیواصل ما بدأه من إصلاح و کان الإصلاح فی نظره یقوم علی رکنین: تخریج العالم الکفء الذی یصلح لتأدیة رسالة الأزهر و هی نشر الدین فی مصر و غیرها و الثانی کفالة المستقبل لخریجی الأزهر لیحتفظوا بکرامتهم و یؤدوا

رسالتهم. و لتحقیق الرکن الأول أضاف إلی العلوم التی کانت تـدرس فی الأزهر علوما رآها ضـروریة، کما أضاف إلیها بعض اللغات الأجنبیـة، و لتحقیق الرکن الثانی، بین فی القانون حقوق الخریجین فی کل کلیـة من وظائف الدولة. و أخذ الشـیخ یواصل خطواته فی إصـلاح الأزهر فأوفد بعثات أزهریة إلی أوروبا، و أنشأ قسم الوعظ و الإرشاد و وضع مشروع مبانی المدینة الأزهریة التی تجمع کلیاته و معاهـده و مکتبته العامـة و مساکن للطلبة، و أنشأ لجنة الفتوی بالأزهر فأصـبحت منارة للمسـلمین من سائر أنحاء العالم الإسـلامی فی شئونهم الدینیـة. و قـد أحیا فی عهد مشـیخته الثانیة سـنة علمیة دینیة قدیمة و ذلک بالقاء کبار العلماء دروسا للملوک و الأمراء، فأخذ یلقی علی الملک فاروق و کبار رجال الدولـة و جمهرة من الشـعب دروسا فی تفسـیر القرآن الکریم فی عصور و أمسـیات کل جمعة من رمضان مدة عشر سنوات بأسلوب مبتکر فی التفسیر آثار إعجاب العالم الإسلامی کله.

أما عن مواقفه السیاسیة و الوطنیة فهی أکثر من أن تحصی، و إن کان لا بد لنا من أن نعدد جانبا منها، فعلینا أن نسرد التالی: حدث بعد تخرجه فی الأزهر أن عین قاضـیا للسودان ثم غضب علیه الانجلیز، فعاد إلی مصـر و عین مفتشا فی المساجـد، و بعد ذلک عرض علیه الانجلیز مرة أخری منصب قاضـی قضاة السودان، و بـذلک یقفز مرتبة من ۶ جنیهات إلی ۴۵ جنیها فقال: إنه یوافق علی ذلک بشـرط أن یعین بمرسوم مصری- دیکریتو-

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۰۶

فاسـتدعاه اللورد کتشـنر العمید البریطانی فی ذلک الحین و قال له: کیف تشترط هذا و نحن نرفع مرتبک إلی أکثر من سـبعة أضعاف مرتبک الحالی؟

فقـال فضـیلته: «لن أقبـل التعیین إلاـ إذا عینت بمرسوم مصـری فسن بـذلک سـنة أجبرت علیهـا بریطانیـا، بـأن صار تعیین قاضـی قضاة السودان بموجب مرسوم ملکی مصری.

و کان للشیخ أثناء عمله بالسودان موقف مشرف تجاه ثورة الشعب المصری عام ۱۹۱۹، فقد روی ضباط الجیش المصری الموجودون بالسودان روایات کثیرة عن وطنیته آنـذاک. حیث قاد الثورة المصـریة فی السودان بخطبه الثوریـة الفوارة و ظل الشـیخ و هو بالسودان یرقب أحداث الثورة المصریة و تطورها و یوجه المصریین وجهة الخیر، و کان قطبهم الذی یدورون حوله. و کان یجمع من المصریین و السودانیین، التبرعات المالیة للإنفاق منها علی بعض نواحی الثورة کاسـعاف الجرحی و مواساة أسر المنکوبین، مما جعل وجوده فی السودان خطرا مستفحلا علی النفوذ الانجلیزی به، فتخلصوا من الشیخ و سافر إلی مصر.

و من أشـهر مواقفه السیاسـیة ما کان منها أثناء نشوب الحرب العالمیـة الثانیة فقد هاله و روعه ما أحدثته غارات دول المحور علی مدن مصـر من دمـار و خراب و تقتیـل و تشـرید للأـنفس البریئـة، فخطب فی مسـجد الرفاعی خطبـة بلیغـة أعلن موقف مصـر منها و أنها لا مصـلحة لها فیها فی الاشتراک فی الحرب و لا ناقـة لها فیها و لا جمل. و لقـد أحـدثت تلک الخطبة ضـجة هائلة و قامت لها الحکومة المصـریة و قعـدت و اهتزت لهـا الحکومـة الإنجلیزیـة بعنف. و طلبت إلی الحکومـة المصـریة بیان موقفها من هـذه الفکرة و اتصل به رئیس الوزراء و خاطبه فی لهجة یفوح منها رائحة التهدید فثارت ثائرته و قال له:

مثلک یهدد شـیخ الأزهر و شـیخ الأزهر أقوی بمرکزه و نفوذه بین المسـلمین من رئیس الحکومة؟ و لو شـئت لصعدت منبر الحسین و أثرت علیک الرأی العام و لو فعلت لوجدت مکانک علی الفور بین عامة الشعب.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۰۷

هذه لمحة سـریعة عن بعض مواقفه الوطنیة، و مجمل القول کان الرجل طرازا فریدا من نوعه اعتمد علی حب الشعب له، فبادله الشعب حبا بحب، و لذلک بکته مصـر و العالم الإسـلامی عند وفاته فی ۲۲ أغسطس سنة ۱۹۴۵ إذ خرجت مئات الآلاف لتودیع رجلها الـذی کانت تحس به .

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۰۹

شيخ جامعة الأزهر الحالى الدكتور محمد السعدى عوض فرهود

اشارة

علم من أعلام الأزهر المعاصرين، و شيخ جليل من كبار شيوخه.

ولد بمدينة الزرقا بمحافظة دمياط فى أول يناير سنة ۱۹۲۳ و حصل على الابتدائية الأزهرية من معهد دمياط سنة ۱۹۳۹ و على الثانوية من معهد الزقازيق الأزهرى سنة ۱۹۴۴ و تخرج فى كلية اللغة العربية سنة ۱۹۴۸ و حصل على دبلوم معهد التربية العالى للمعلمين سنة ۱۹۵۰ و دبلوم الدراسات العليا للمعلمين سنة ۱۹۵۴ و دورة الصحافة المدرسية سنة ۱۹۵۶، و دبلوم معهد الدراسات العربية العالية فى الدراسات الأدبية و اللغوية سنة ۱۹۵۶ م، و الماجستير بتقدير ممتاز فى الدراسات الأدبية سنة ۱۹۵۸ و الدكتوراه فى الأدب العربى الحديث سنة ۱۹۶۷ بمرتبة الشرف الأولى.

بدأ وظيفته مدرسا بمدرسة سوهاج الثانوية سنة ۱۹۵۰ ثم اختير للتدريس بالمدارس النموذجية سنة ۱۹۵۴ و هو أول مدرس للغة العربية بالمدرسة الثانوية النموذجية للمتفوقين سنتى ۱۹۵۶، ۱۹۵۷.

شغل عدة وظائف أخرى منذ سنة ۱۹۵۷ منها:

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۵۱۰

عضو فنى و باحث بإدارة البحوث الفنية و المشروعات بوزارة التربية و التعليم (۱۹۵۷).

عضو فنى و وكيل إدارة قسم آسيا بالسكرتارية الفنية للجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية بوزارة التعليم العالى (۱۹۵۹).

مدير مساعد المركز الثقافى العربى بالرباط بالمملكة المغربية (۱۹۶۰).

مدير إدارة الخطة بوزارة العلاقات الثقافية الخارجية (۱۹۶۴).

مستشار بوزارة الإرشاد القومى (۱۹۶۶).

عضو مكتب وزير الدولة لشئون الأزهر (۱۹۶۶).

انضم إلى هيئة التدريس فى قسم الأدب و النقد بكلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ۱۹۶۸، ثم رقى أستاذا للأدب و النقد فى التاسع من مارس سنة ۱۹۷۷ م.

اختير وكيلا لكلية اللغة العربية بأسيوط سنة ۱۹۷۳، و وكيلا فعميدا لكلية اللغة العربية بالمنصورة سنة ۱۹۷۶ حيث شارك فى إنشائهما و وضع أسس العمل بالكليات الإقليمية الناهضة بجامعة الأزهر.

انتدب فى سبتمبر سنة ۱۹۷۹ وكيلا لجامعة الأزهر للدراسات العليا و البحوث و فى أغسطس سنة ۱۹۸۰ عين نائبا لرئيس الجامعة لشئون الدراسة و التعليم و الطلاب.

عين وكيلا للأزهر- بدرجة وزير- فى ۱۶/ ۲/ ۱۹۸۱. و هو أول وكيل للأزهر يعين بهذه الدرجة.

عين رئيسا لجامعة الأزهر فى أول سبتمبر ۱۹۸۳.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۵۱۱

نشاطه:

* عضو المجلس الأعلى للجامعات بمصر.

* عضو مجمع البحوث الإسلامية.

* عضو مجلس أكاديمية البحث العلمى و التكنولوجيا.

* عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

* عضو نائب رئيس رابطة الجامعات الإسلامية.

* عضو المجلس القومى للتعليم و البحث العلمى.

* عضو المجلس القومى للثقافة و الآداب و الفنون.

* عضو مجلس اتحاد الإذاعة و التلفزيون بمصر.

رئيس اللجنة الدينية باتحاد الإذاعة و التلفزيون.

* رئيس مجلس إدارة مركز صالح عبد اللّه كامل للدراسات و البحوث الاقتصادية بجامعة الأزهر.

* رئيس مجلس إدارة المركز الدولى الإسلامى للبحوث السكانية بجامعة الأزهر.

* أشرف على أكثر من ۶۰ رسالة ماجستير و دكتوراه، و ناقش أكثر من مائة و خمسين رسالة جامعية فى الدراسات الأدبية و الدينية و التربوية.

- أستاذ غير متفرغ بكلية اللغة العربية بالمنصورة للإشراف على الدراسات العليا بها منذ تعيينه وكيلا للأزهر.

* مقرر اللجنة العلمية الدائمة للترقية إلى وظائف الأساتذة بجامعة الأزهر.

- بدأ منذ أول يناير سنة ۱۹۸۳ تفسير القرآن الكريم فى برنامج يومى بإذاعة القرآن الكريم من القاهرة تحت عنوان (على هامش التلاوة) و البرنامج مستمر.

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۵۱۲

مؤلفاته:

اشارة

- له عدة مؤلفات فى الدراسات الاسلامية و الأدبية منها:

- فى البيان القرآنى

: ۱- تفسير سورة الرعد، ۲- و تفسير سورة إبراهيم.

- فى الحديث النبوى: ۱- التعريف بالحديث الشرف. ۲- و فى رحاب الهدى النبوى، ۳- و الهدية السعدية شرح الأربعين النبوية.

- فى الدراسات الأدبية

: ۱- ابن زيدون و شعره، ۲- و الوصف فى شعر المتنبى، ۳- و الاتجاهات الفنية فى شعر عبد الرحمن شكرى، ۴- و التيار الفكرى فى شعر شكرى، ۵- و التيار الاجتماعى فى شعر شكرى، ۶- و النديم الأديب، ۷- و النبع الصافى، ۸- و الكوثر العذب.

– فی الدراسات النقدیة

: ۱– اتجاهات النقد الأدبی العربی، ۲– و قضایا النقد الأدبی، ۳– و المذاهب النقدیة بین النظریة و التطبیق، ۴– و نصوص نقدیة لأعلام النقاد العرب.

– فی الدراسات البلاغیة

: ۱– أسرار البلاغة فی التشبیه و التمثیل، ۲– و مبحث التقدیم فی دلائل الإعجاز، ۳– و العبارة و تألیفها بین کتابی نقد النشر و البرهان.

– فی الدراسات اللغویة

: ۱– فن القریض، ۲– و من أدب الکاتب.

و أتم تفسیرا کاملا للقرآن الکریم فی عدة أجزاء کبیرة.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۱۳

الإمام نافع الخفاجی الکبیر ۱۲۵۰ ه– ۱۸۳۴ م– ۱۳۳۰ ه– ۱۹۱۲ م

اشارة

إمام کبیر، و عالم جلیل، و أدیب نابغة، و فقیه مجتهد، عنه مصادر واسعة تحدثنا عنه فی إفاضة وسعة و دقة تحقیق و تحلیل.

ترجم لنفسه فی صدر معلقته الخفاجیة ترجمة طویلة مستفیضة سننقل عنها فی إیجاز و اختصار، قال: «نافع الخفاجی بن الجوهری بن سلیمان بن حسن بن مصطفی بن أحمد الخفاجی التلبانی من بنی خفاجة و أمی من أولاد الحسن بن علی بن أبی طالب، و جدتی أم والدی من بنی شاکر و لهم اتصال فی شرف الحسب.

«و کان مولدی فی حدود سنة ۱۲۵۰ ه، «و کنت بعد سن التمییز فی مغرس طیب النبت عزیز، فی حجر والدی، ممتعا بذخائر طریفی و تالدی، مربی بغذاء النعم فی الظاهر و الباطن، فی النعیم المقیم بأرفع المساکن، و مقام والدی الجوهری غنی عن المدح، و الورق بأوکارها لا تعلم الصدح».

«و حفظت القرآن و لی دون اثنتی عشرة سنة، ثم حفظت المتون کمتن أبی شجاع و منهج الفقه و ألفیة ابن مالک و الأجرومیة و الرجبیة و الجزریة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۱۴

و الجوهرة و السنوسیة و متن السلم و تحفة المیهی و متن السمرقندیة و متن الزبد لابن رسلان و غیرها».

فلما درجت من عشی ترکت تلک النعم المتکاثرة و رحلت فی طلب العلم إلی القاهرة» .. «کان وصولی الأزهر أواخر سنة ۱۲۷۱ ه ثم فی أول سنة ۱۲۷۲ حضرت ابن قاسم و الکفراوی، و فی سنة ۱۲۷۳ حضرت البرماوی و الکفراوی أیضا، و فی هذه السنة زلزلت الأرض و البلاد زلزلة عظیمة هدمت منها بعض البیوت و المآذن بمصر، و فی سنة ۱۲۷۴ حضرت شرح الخطیب ثانیا و شرح الأزهریة و حاشیته و شرح القطر. و فی هذه السنة توفی أخی محمد الغندور، و فی سنة ۱۲۷۷ حضرت التحریر و شرح القطر ثانیا و شرح

الشذور».

«حضرت علی سیبویه زمانه و علامهٔ عصره و أوانه شیخ الإسلام و تاج العلماء الأعلام شیخنا إبراهیم الباجوری طیب اللّه ثراه و جعل الفردوس مأواه، فحضرت دروسه فی المنهج و التحریر و کتب الحدیث و التفسیر، و هو الإمام الذی اقتدت به علماء الأمصار، و تنزهت من فضائله فی حدائق ذات بهجهٔ و أنوار».

و قرأت علی من رقی فی معارج الفنون مولانا الشیخ إبراهیم السقا شرح الجامع الصغیر و شیئا من کتب التفسیر، و قرأت الفقه و شیئا من الحدیث علی الشیخ محمد الأشمونی، و قرأت علی شیخنا الخضری شرح المنهج و التحریر و النحو و البیان، و نافست فی الجد و الطلب جمیع الإخوان، و قرأت علی الشیخ مصطفی البدری شیئا من الفقه و النحو و غیرهما، و قرأت علی الشیخ الرهابینی شیئا من المنطق و النحو و البیان، و کتب لی بخطه أجازهٔ (موجودهٔ لدی صورتها الخطیهٔ)، و هی «تبارک اسم ربک ذی الجلال و الإکرام، المحی مآثر الأعیان، بنشر ثنائهم المخلد فی صحائف الأیام، و الصلاهٔ و السلام علی أفضل الرسل الکرام، و علی آله

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۱۵

و صحبه ما طرز البرق برود الغمام أما بعد فقد سألنی الأخ فی اللّه تعالی الشیخ العالم العلامهٔ نافع بن الجوهری بن سلیمان الخفاجی التلبانی أن أجیزه بجمیع مروایاتی من فقه و حدیث و تفسیر و نحو و منطق و بیان و بدیع و عروض من معقول و منقول و إفتاء و تدریس و کل ما أخذته عن مشایخی الأجلهٔ، لکونه و سمنی بسمهٔ العلم و لست من أهله:

إذا کان الزمان زمان سوءفیوم صالح فیه غنیمهٔ

فعلمت لیاقته لذلک فقلت: أجزته بجمیع مروایاتی من مشایخی الأخیار، و ما لهم من التآلیف و الآثار، و أوصیه بتقوی اللّه و الوقوف علی حدود شریعهٔ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، و أن یتحری فی القول و العمل، و أن لا ینسانی من صالح دعواته، صانه اللّه و حماه، و قلد جید مجده بفرائد حلاه» ..

و تاریخ هذه الإجازهٔ جمادی الآخرهٔ سنهٔ ۱۲۸۳ ه.

و نظرت فی کتب المذهبین: مذهب الشافعی و النعمان، مؤسسا علی الأصلین من مشایخ العصر، متنزها فی حدائق السحر، و شحا لآدابی بحلل النظم و النثر».

و من أجل من أخذت علیه شیخنا الرافعی، قرأت علیه شرح الشفا و قطعهٔ من البخاری فأجازنی بذلک» «و ممن قرأت علیه الشیخ علی الملبط، حضرت علیه طرفا من العلوم و شیئا من حدیث الرسول فأمدنی بدعاء لا شک أنه علی أکف القبول محمول، و منهم الشیخ النجریدی کان ینوه باسمی و یفتح جریدته برسمی. و منهم شافعی زمانه و علامهٔ أوانه الشیخ نور الدین المنوفی، حضرت دروسه الفقهیهٔ».

«و حمدت فی طلب العلم السری، و نبهت عیون حظی من سنهٔ الکری؛ و قلت: دار بدار، و العمر فرصهٔ فالبدار. و کل ما تهواه حسن: و لیس لما قرت به العین ثمن، ففارقت من فارقت غیر مذمم. و یممت من یممت خیر میمم و أخذت الفقه و النحو و التوحید و الفرائض و البیان و المنطق

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۱۶

و التفسیر و الحدیث عن جماعهٔ من الشیوخ، و قد فتح اللّه علی فی علوم الفقه و الفرائض و التوحید و التفسیر و الحدیث و النحو و المنطق و البیان و اللغهٔ و العروض و الإنشاء و الطب و الحساب، و الحروف و الأوقاف و التاریخ ...

و دون هذه: أصول الفقه و التصریف و الاشتقاق و الجدل و الوضع، و دونها:

القراءات و لم آخذها من شیخ: و لضیق یدی عن شراء ما أحتاج إلیه من الکتب کنت أطالع کل ما أمکننی مطالعته».

ثم أذکر جملهٔ أسماء الکتب التی قرأها علی العلماء أو طالعها أو حفظها و کانت کثیرهٔ جدا تفوق علی الألف کما یقول هو فی

مقامته، و نلاحظ أن من الكتب التى قرأها فى فن العربية و الأدب و ما يتصل به هذه الكتب:

الوسيلة الأدبية للمرصفى، حلبة الكميت؛ أساس البلاغة للزمخشرى، أدب الكاتب لابن قتيبة، صحاح الجوهرى، فقه اللغة، المزهر، المثل السائر، شفاء الغليل، الشفا فى بديع الاكتفا للنواجى، تاريخ ابن خلدون؛ ابن خلكان، الخطط للمقريزى، حسن المحاضرة للسيوطى، نفح الطيب، الأغانى، الكامل لابن الأثير، الغناء فى دمشق الفيحاء، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، آثار البلاد للقزوينى، الخصائص للسيوطى، المسامرات لابن عربى، فاكهة الخلفاء، فوات الوفيات، الخزانة، مقاماتالحريرى و شرح الشريشى عليها، طراز المجالس للشهاب الخفاجى، الكشكول، الموازنة للآمدى، قلائد العقيان، يحانة الألباب للشهاب الخفاجى، حديقة الأفراح، رسائل الخوارزمى و البديع، حياة الحيوان للدميرى، ثمرات الأوراق، شرح رسالة ابن زيدون، ديوان الصبابة، المستطرف، الإنشاء للعطار، إنشاء مرعى، ربيع الأبرار، شرح ديوان ابن الفارضى، شرح لامية العجم، شرح ديوان امرىء القيس، سوى الدواوين الكثيرة التى قرأها، و ذلك كله مما يوقفنا عليسر ثقافته الأدبية.

ثم قال: «و مصنفاتى فى هذا الوقت تبلغ الخمسين و لم يكن لى

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۵۱۷

شغل بالليل و النهار سوى المطالعة:

ولدى الآن صورة خطية للأجازة العلمية التى كتبها له الشيخ الباجورى ..

بدأها بالحمد و الصلاة على الرسول فى إفاضة، ثم أفاض فى فضل العلم ... إلى أن قال:

«و إن ممن قدم علينا بمدينة القاهرة، التى هى بالمحاسن ظاهرة، و بأكابر العلماء زاهرة، و بمدارس العلوم عامرة، و روضتها بأنفاس أكابر العلماء عاطرة، و أشعة شموس علومهم بها باهرة، لا سيما الجامع الأزهر و المسجد الأنور، الذى فيه العلوم تقرر، و بساط العرفان ينشر، فهو بذلك عن كل المساجد متفرد، و بتلك الخصيصة مشهور لمن إليه يرد. تجنى من رياض دروسه ثمار العلوم، و تنبت- كما ينبت البقل- بأرضه الفهوم، فمحله فى الفضل غير منكور. و مهارة علمائه فى الفنون أمره مشهور:

العالم الفاضل الماهر الكامل، الألمعى اللوذعى، صاحب الأفهام الدقيقة، و المعانى الدقيقة. نافع الخفاجى التلبانى، و قد أخذ المذكور عن علمائه و مشاهير فضلائه؛ و تفيأ فى ظلال معارفهم، و اقتطف أزهار لطائفهم، و تعطر بعبير أنفاسهم، و استضاء بمشكاة نبراسهم، حتى حصل من علمهم الجم، و غاص على تلك اللآلىء فى ذلك اليم، و جد و اجتهد، و حرر و قيد، فربحت تجارته و حسنت شارته و عظمت فائدته، و جلت عائدته، و امتلأ و طابه، و شرف بالانتماء إلى العلم انتسابه، و لما حن حنين الفحل إلى وطنه، و أراد الرجوع إلى وطنه؛ زودته بالدعوات الصالحات، و كسوته حلل الكرامة بتسطير الإجازات، رجاء الانتظام مع هؤلاء العداء، فقلت: أجزت المذكور بكل ما تجوز لى به الرواية، و ما تلقيت عن أشياخى- ضاعف اللّه أجورهم- رواية و دراية، و بما لى من تأليف و تصنيف».

الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۵۱۸

و تحمل هذه الإجازة هذا الامضاء: «الفقير إبراهيم الباجورى- خادم العلم.

و مع هذه الوثيقة صورة أخرى لرجاء أساتذته: الشيخ الملط و الشيخ البدرى و الشيخ على محمد المرفوع إلى شيخ الجامع الأزهر لإعطاء «ولده الفقير خفاجى بن الجوهرى خفاجى من أهالى ناحية تلبانة بولاية الدقهلية تذكرة أسوة بأمثاله بإكرامه و عدم المعارضة له بطريق ما و إجازته بكل ما أفتى و ما فعل، و العهدة علينا فى ذلك».

و يلى ذلك إجازة شيخ الأزهر له و منها: «انتظم المذكور فى سلك العلماء و أخذ عن الشيوخ الموجودين فى هذا العصر بعضا من العلوم؛ و دأب فى التحصيل فمنح دقائق الفهوم، فأجازه أشياخه بما أخذ عنهم تلقاه منهم، و لما أراد الرجوع إلى وطنه التمس إجازته بما تجوز له روايته و تنسب له عن أشياخه درايته، فسارعت لسؤاله، و بادرت لتحقيق آماله، فأجزته بما تجوز لى روايته من منقول و معقول و ما تنصرف إليه همم أرباب العقول، و عليه العمل بتقوى اللّه و أن لا ينسانى من دعواته الخ».

و عاد الفتی الشاب العالم من القاهرة یحمل معه إجازته العلمیة و استقر أخیرا فی قریته.

لا نعلم فی أی تاریخ عاد من مصر إلی تلبانة و لکنه علی کل حال عاش فی البلدة ضجرا ملولا کارها لجوها و للحیاة فیها، یقول فی مقامته:

فرجعت إلی بلدی فلم أجد بها أحد یحسن قراءة الفاتحة، و صرت فیهم غریب الفضل منفردا کبیت حسان فی دیوان سحنون، و ما زلت معتکفا فی حرم المطالعة من کتاب قدیم إلی کتاب جدید، حتی جذبتنی حاجة الحیاة إلی مخالطة الجهال الأغمار.

و أخذ یطالع و یدرس و یؤلف و ینظم الشعر، و یتصل برجال إقلیم

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۱۹

الدقهلیة، و کان صوفیا و خلیفة السید أحمد البدوی کما فی وثیقة مخطوطة عام ۱۲۸۲ ه، و فیها یذکر مشایخه فی الطریقة أولهم عمر الصاوی المالکی الحفناوی.

و صار بعد قلیل کبیر العلماء فی هذا الإقلیم و إمام الإفتاء فیه، و العلم المشار إلیه بالبنان، و قصده الناس من کل جهة و حدب، و عاش مبجلا بین الناس فی وسط بلده و أسرته.

تزوج أربع زوجات و خلف ذریة کبیرة صالحة، و کان ینفق فی حیاته بسخاء علی أسرته الکبیرة الضخمة.

و أخیرا و بعد جهاد طویل و عمر حافل بجلائل الأمور و عظائم الأعمال توفی عام ۱۹۱۲ الموافق سنة ۱۳۳۰ ه عن ثمانین عاما.

مؤلفاته:

اطلعت علی فهرس لمکتبة هذا العالم الکبیر المغفور له الشیخ نافع خفاجی بخطه فوجدته قد وضع الکتب فی مجموعات کل مجموعة بحسب الفن الذی ألفت فیه، فعلم الفقه و علم الحدیث و علم التفسیر، و علم التاریخ الخ، و کتب فی کل مجموعة ما له من مؤلفات فی هذا الباب، و قد جمعت ما ذکره من مؤلفاته و وضعت لها أرقاما مسلسلة و هی:

۱- الطب لنافع الخفاجی.

۲- رسالة الکیمیاء لنافع.

۳- الألغاز لنافع و هو موضوع فی «مجموعة الحکم و مجموعة العلم و الأمثال و الألغاز و المسائل».

۴- مناسک الحج لنافع.

۵- مسامرات نافع.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۲۰

۶- شرح کنز الطالبین فی التوحید لنافع الخفاجی.

۷- العقد الفرید فی علم التوحید لنافع الخفاجی.

۸- دیوان نافع الجوهری فی الخطب و المواعظ.

۹- مجموعة خطب نافع مرتبة علی حروف المعجم «و هی خطب دینیة».

۱۰- تحفة الأذکار لنافع الجوهری «فی مجموعة الفضائل و الأوراد».

۱۱- فضائل رمضان فی آیة القیام لنافع الخفاجی.

۱۲- فضل رمضان و فضل العید لنافع الخفاجی.

۱۳- أوراد نافع.

۱۴- إعراب لا سیما.

۱۵- الزهر الفائح «فی مجموعة التصوف و المواعظ».

۱۶- عنوان المجاوبة لنافع الخفاجی «کتاب إنشاء».

۱۷- إنشاء نافع خفاجی المجموع من الصحف.

۱۸- إنشاء نافع فی المدائح و غیرها.

۱۹- الهجاء لجامعة نافع الخفاجی.

۲۰- المرائی لجامعة نافع الخفاجی. فی مجموعة.

۲۱- الاعراضات لجامعة نافع الخفاجی، الأدب.

۲۲- الإفادات لجامعة نافع الخفاجی، و الإنشاء.

۲۳- الأرجوزة المفحمة فی المکاتبة و المخاصمة.

۲۴- تمرین القراء و دعاء الختم لنافع الخفاجی فی مجموعة علوم القرآن.

۲۵- السیرة النبویة لنافع الخفاجی.

۲۶- الفلسفة لنافع الخفاجی.

۲۷- الجغرافیا لنافع.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۲۱

۲۸- کتاب الأمثال و الحکم المنظومة لنافع.

۲۹- الکواکب الدریة فی المسائل الفقهیة لنافع الخفاجی.

و معظم هذه الکتب فقد مع مکتبته الکبیرة التی فقد الکثیر منها بعد وفاته فی حریق نکبت به البلدة. و الباقی منها لا یزال غیر معروف لی إلی هذا الوقت، و توجد بقایا منها فی مکتبة ابنه الأستاذ الکبیر المرحوم الشیخ عبد اللطیف نافع خفاجی و لم أطلع علیها للآن.

أما الکتب الموجودة لدی من مؤلفاته فهی:

۱- رسالة تنویر الأذهان فی علم البیان تألیف نافع الخفاجی بن الجوهری ابن سلیمان التلبانی الشافعی و هی دراسة واسعة للتشبیه و المجاز و الاستعارة و الکنایة، و ستتهیأ فی المستقبل القریب أسباب طبعها إن شاء اللّه.

۲- مطالع الأفکار و تنویر الأبصار فی علم المنطق لمؤلفه نافع الخفاجی التلبانی.

۳- السر المکتوم و الدر المنظوم فی علوم المنطوق و المفهوم و هو کتاب فی شرح جمیع أنواع العلوم من فقه و أصول الدین و توحید و تفسیر و تجوید و قراءات و علم روایة الحدیث و علم درایة الحدیث و أصول الفقه الخ.

و الکتاب لیس کاملا- کله و من محتویاته أرجوزة فی النکاح علی مذهب أبی حنیفة و قد طبعها بعد فی کتاب مستقل و سماها: «نصیحة الإخوان».

و هذا الکتاب فذ فی نوعه فقد کتب فی أسلوب مقامة أدبیة، و کتابة العلوم بأسلوب أدبی یشرحها و یضیء جوانبها و یجعلها قریبة إلی العقل حبیبة إلی النفس مما لم یکن مألوفا قبل هذا الکتاب.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۲۲

و یقول فی مقدمته: لما رأیت العلوم فی ید الامتهان، و میدانها قد عطل من الرهان، و بواترها قد صدئت فی أغمادها، و شعلها قد خمدت برمادها، عن لی أن أجمع هذه المقامة تحفة لکل أدیب. و جعلتها ذکری حبیب، و هی و إن کانت جزءا صغیرا و شیئا یسیرا، إلا أنه یری علی ما رواه تحت بردیه، و یروی ظمأ کل وارد علیه، قطف من أزاهیر الفنون کل مشموم بهی، و جمع من ثمار العلوم کل

مطعوم شهی، و تحلی بفرائد العلوم الأدبیة، و تجلی بنفائس الفنون الشرعیة و العقلیة، مع التحیل بأجمل حیلة علی جمع فرائد الفوائد الجلیلة فی الأوراق القلیلة، بشیء یحسن فیه جمع المتفرقات و إن کانت غیر متناسبات، و تتألف به العلوم الشاردات و إن کانت متنافرات غیر متوافقات .. و قد افتتحته بالعلوم الشرعیة؛ و ثنیته بالفنون العددیة، و ثلثته بالعلوم العربیة ثم الفنون العقلیة حتی فاقت علی السبعین».

و الجزء الموجود عندی یحتوی علی ثلاثة عشر فنا من الفنون الشرعیة، و سأوالی البحث عن باقی هذا الأثر الثمین، و لعلی أجده بفضل اللّه.

۴- کتاب «جواهر الکلم فی منظوم الأمثال و الحکم» من جمع و تألیف نافع الخفاجی التلبانی»، و هو کتاب ضخم جدا و یقول فیه فی مقدمته:

«قد جمعت فی هذا الکتاب فصولا جامعة لحکم منظومة و نوادر مأثورة معلومة صدرت من کلام من تقدم من العلماء و الخطباء و سلف من البلغاء و الحکماء ممن أشرقت بأسمائهم صفحات الزمان و طلعت من أقمار سماء الإحسان، فأخذت بمجامع الأفکار و عمرت بها مشاهد التذکار، فصارت أنسا للسمار و نزعة للأسماع و الأبصار و قد أثبت منها فی هذا الکتاب مارق وراق و شحنت به الصحائف و الأوراق من حکم مرفوعة و أمثال موضوعة»،

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۲۳

ثم یتحدث فی هذه المقدمة عن الشعر و مکانته و أثره، و حکمة رسول اللّه و بلاغتها ما روی منها، ثم یسرد بعد هذه المقدمة الطویلة ما روی من رائع الشعر فی الحکمة و المثل عن کثیر من الشعراء مرتبا لها علی حروف المعجم فی عدد ضخم من الصفحات، و ألم فیه ببعض من شعره هو، و الکتاب ذخیرة أدبیة ثمینة و سنشرع فی طبعه بإذن اللّه فی أقرب فرصة ممکنة.

۵- المقامة الخفاجیة (أو التلبانیة) المسماة بمروج الذهب و ریاض الأدب لمؤلفها نافع الخفاجی التلبانی و هو مقامة ساحرة الأسلوب رائعة الدیباجة ذکر فیها المناظرة التی کانت بینه و بین بعض الفقهاء أمام قاضی مرکز السمبلاوین الشرعی، و صدرها بإهداء لهذا القاضی و کان صدیقا حمیما له ثم ترجم لنفسه فیها ترجمة وافیة ثم ذکر المناظرة فی بسط و مزید تطویل و کیف انتصر علی منافسیه جمیعا و تجلت للناس کافة سعة ثقافته و قوة عقلیته و قد ألفت بعد وفاة والده سنة ۱۲۹۴ و لا ندری السنة التی ألفت فیها بالتحدید و یقول فی أولها فیما یقول:

«قد کنت و أدهم الشبیبة طرب العنان، و ورقها أخضر مائس الأفنان، أتجر فی بضاعة الأدب، فوردت سهل بحره الصافی و طالعت منه هامی العروض و القوافی، و کنت مغرما بصید الشوارد، و قید الأوابد، و استنبات الفضائل، و استنساخ أقوال الأمائل. ثم اتفق لی أن أشار إلی و أومأ لدی صدر المدرسین و مفید الطالبین مولانا الشیخ محمد سیف الدین قاضی مرکز السنبلاوین، أن أشنف سمعه الثاقب، بحلیة أدب من الغرائب، و کان کثیرا ما یجاملنی بحسن المجاملة، و یعاملنی بلطف المؤانسة، فالتمس منی کتابا فی الأدب یعذب وردا و منهلا، قاصدا بذلک تنویه ذکری، فأجبته مطیعا، ثم اتفق لی فی هذا الأوان أن سألنی من أمره مطاع لدی أن أملی جمیع ما جری لی بالمحکمة الشرعیة الکبری من المناظرات و ما حصل لدی من المحاورات، فتلقیت أمره بالامتثال، و سلکت فیها طریقا لم تسلک قبلی لوارد، و بسطت فیها نمطا لم ینسجه ناسج، و لا نحا نحوه قاصد، و رسمتها

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۲۴

مقامة تعرب بحسن معانیها عن لطائف المعانی، و تفصح عن عذوبة السجع بما یفوق رنات المثانی، قد احتوت علی جد القول و هزله، و رقیق اللفظ و جزله و ملح الآداب و نوادره، إلی ما وشحتها به من الآیات و محاسن الکنایات، و رصفته فیها من الأمثال اللغویة و اللطائف الأدبیة و الأهاجی النحویة و الفتاوی اللغویة و الرسائل المبتکرة و الخطب المحبرة، فهی حقیقة أن تکتب بسواد للعیون، و أن تشتری بنفائس الأرواح لا بنقد العیون» إلی آخر ما یقول. و هذا الوصف لهذه المقامة أقل فی الواقع مما تستحقه من إعجاب و تقدیر،

و من میزاتها:

أولا: تحتوی علی تاریخ للأسرة حتی عصر مؤلفها.

ثانیا: تحتوی علی تاریخ لحیاة هذا الرجل العظیم الذی ألفها.

ثالثا: و هی بأسلوبها الأدبی الممتاز مثل فی البلاغة و البیان.

رابعا: ثم هی بهذا الأسلوب الساحر تبسط قواعد العلوم الشرعیة و اللغویة و الأدبیة و تعرض کل ما عرضت له منها عرضا یقبله الذوق و ترتاح له النفس و تهش له المشاعر و الوجدانات.

خامسا: احتواؤها علی کثیر من شعر المؤلف الخالد.

۶- المقامة السعفانیة لمؤلفها نافع الجوهری الخفاجی و هی أقل بکثیر جدا من حجم المقامة السابقة، و کلها هزل ممتع، و فکاهة بارعة، یقول فی أولها:

«حدثنا عجلان، عن أبی عطوان، عن أبی عیسی الهتان، عن ناظر الوسنان، عن أبی سعفان، عن أبی عیسی جوهری الزمان، عن راح الروح و الریحان، عن أبی ثعلبة بن ثعلبان، قال مررت یوما علی بلدة و ریقة، خضراه نضرة أنیقة، یقال لها تلبانة عدی بن مضر، و إذا بها أربعة من الشبان، قد تحلی بألفاظهم فم الزمان، و تجلی بوجوهم ناظر الإنسان،

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۲۵

و هم قیام علی منابر الافتخار، بین من بها من الأقمار، فقلت لبعض من حضر: ما الخبر؟ فقال: إن بعض أصحاب المکاتب الأهلیة، قد حضرت، و إن نواطق الألسنة التلبانیة قد نظرت لما نضرت، و اتفقت علی عقد مجلس حافل، لاختیار من هو بآذان المسجد الجامع أحق و کافل، و ها هی ذی أکابر المؤذنین قد صعدت المنابر، لیبدی کل إنسان حجته للناظر.

۷- رسالة فی التحلیل و طلاق الثلاث و الحرام و غیر ذلک تألیف نافع الخفاجی التلبانی و تقع فی أکثر من خمسمائة صفحة.

۸- تهییج الأشواق فی حکم الخلع و الطلاق تألیف نافع بن الجوهری الخفاجی التلبانی. و هو غیر کامل، و الذی لدی منه أکثر من مائة صفحة.

۹- خطبة عبد الفطر لنافع الخفاجی و هی خطبة کبیرة.

۱۰- مواعظ شعریة مجموعة و مرتبة علی حروف المعجم جمع نافع الخفاجی.

۱۱- قصة الإسراء و المعراج لنافع الخفاجی.

۱۲- قصة الإسراء المولد النبوی لنافع الخفاجی.

و هذه هی کل الکتب الموجودة عندی من مؤلفاته و یضاف إلیها:

۱۳- دیوان شعر نافع خفاجی و موجود لدی جزء کبیر منه بعضه مجموع فی کراسة و البعض الآخر فی مسودات کثیرة.

۱۴- کما یضاف إلیها فتاواه الکثیرة الهائلة العدد ولدی العائلة کثیر من الأوراق القدیمة التی کتبت فیها هذه الفتاوی و هی فی حاجة إلی الجمع و لکن ربما لا یتسنی ذلک و ستضیع هذه الفتاوی الثمینة کما ضاع الکثیر من کتبه، فیکون مجموع الکتب المفقودة و الموجودة ثلاثة و أربعین کتابا، و فی اعتقادی أن مؤلفاته لا تقل عن السبعین و هی ثروة علمیة ضخمة تضع

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۲۶

صاحبها فی الرعیل الأول من جلة العلماء الخالدین.

و قد وصلنی بعد ذلک مخطوطات أخری من تألیفه.

جملة مؤلفات الخفاجی المخطوطة الموجودة فی مکتبتی:

۱- رسالة تنویر الأذهان فی علم البیان.

۲- مطالع الأفکار و تنویر الأبصار فی علم المنطق.

۳- السر المکتوم و الدر المنظوم فی علوم المنطوق و المفهوم.

۴- جواهر الکلم فی منظوم الأمثال و الحکم.

۵- المقامة الخفاجیة أو التلبانیة المسماة بمروج الذهب و ریاض الأدب.

۶- المقامة السعفانیة.

۷- رسالة فی التحلیل و طلاق الثلاث و الحرام.

۸- تهییج الأشواق فی حکم الخلع و الطلاق.

۹- خطبة عید الفطر، و خطبة عید النحر.

۱۰- مواعظ شعریة.

۱۱- قصة الإسراء و المعراج.

۱۲- قصة المولد النبوی.

۱۳- أجزاء من دیوان نافع الخفاجی الشعری، و منها: الأجزاء ۱ و ۲ و ۶ و ۹ و ۱۰ و ۱۵.

۱۴- بعض فتاویه.

۱۵- رسالة فی علم المنطق.

۱۶- رسالة الإعجاز فی شیء من المسائل و الألغاز. الجزء الأول و الثانی و الثالث.

۱۷- مجموع المراثی الجزء الأول و الثانی و الثالث.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۲۷

۱۸- دیوان خطب نافع الخفاجی.

۱۹- مجموع فی المیراث.

۲۰- الدر الثمین بشرح کنز الطالبین.

۲۱- عنوان المکاتبة.

۲۲- جزء صغیر من کتاب فی العروض.

کتب مفقودة لنافع الخفاجی:

فضائل شهر رمضان لنافع

سیرة الأنبیاء لنافع

ألغاز التاریخ لنافع

مسائل التوحید لنافع

السیرة النبویة

قواعد الحدیث لنافع

مناسک الحج لنافع

الزهور الندیة فی الدروس النحویة

الإنشاء لنافع

خواص الحيوان و النبات لنافع

الجزء ۳ و ۴ و ۵ من أشعار نافع

أشعار نافع

الغزل لنافع

جواهر الكلم فی الحكم لنافع

رسالة الطلاق لنافع

مسائل الميراث لنافع

رسالة صوم يوم الشك لنافع

الحكم المبرم فی الفقه و مختصر الحكم

الكواكب الدرية فی المسائل الفقهية لنافع

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۲۸

نفحات العطر فی زكاة الفطر

الفواكه الجنية فی القواعد النحوية لنافع فی النحو

مجموع العلوم لنافع

المسائل اللغوية لنافع

ألغاز القراءات لنافع

التحفة البهية فی القواعد النحوية

رسالة فی البيان لنافع

العقد الفريد لنافع

الرمل لنافع

لوامع الاشراق فی الأوفاق لنافع

إغاثة الملهوف فی علم الحروف لنافع

كشف الأحوال فی ترتيب الأعمال لنافع

البدر النورانی فی الطب الجسمانی لنافع

الدرة المنتجة فی الأدعية المجربة لنافع

إغاثة اللهفان فی تسخير الجان لنافع

كفاية المهمات إلی قضاء الحاجات لنافع

الفيض الربانی فی علم الروحانی لنافع

الكيمياء لنافع

لوامع الإشراق فی جلب الأرزاق لنافع

رسالة فی الميقات لنافع

فضائل رمضان لنافع

شرح الستین بخط أحمد نافع

السر المکتوم فی علم النجوم

کنز الطالبین و معدن الراغبین فی علمی الفقه و التوحید.

تحفة الأدعیة و الأذکار

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۲۹

التاریخ لنافع

حکم و أمثال بخط نافع

المفاکهات لنافع

الحکایات لنافع

الجغرافیا لنافع

المسامرات لنافع

الإفادات لنافع

الإعراضات لنافع

الفتاوی لنافع

عنوان المکاتبة لنافع

قواعد الحدیث لنافع

رسالة البسملة لنافع

الهجاء لنافع

و أما مکتبة العلامة نافع الخفاجی فقد کانت مکتبة حافلة عامرة بالمخطوطات النفیسة، و کانت تبلغ ۱۰۶۹۸ کتابا و لکن أغلبها فقد فی حریقین متتالیین فی القریة و الباقی بدد و لم یحافظ علیه، و کانت فی حوزة خالی المرحوم العلامة الشیخ عبد اللطیف نافع الخفاجی.

شعره: نجد شعر هذا العالم الکبیر فی ثلاثة مصادر:

الأول: فی ثنایا مؤلفاته الأدبیة و العلمیة.

الثانی: فی أوراق کثیرة مهملة کانت محفوظة فی مکتبته.

الثالث: فی کراسة خاصة جمعها الفقید الخالد من شعره بیده.

و شعره قسمان:

(أ) الشعر العلمی و نری الکثیر منه فی مقامته «السر المکتوم و الدر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۳۰

المنظوم» فی علوم المنطوق و المفهوم» و من هذا الشعر أرجوزته المطبوعة «نصیحة الإخوان فی أحکام النکاح علی مذهب النعمان».

(ب) الشعر الأدبی الوجدانی و هو کثیر.

صور من شعره

قال: من قصیدة طویلة مذکورة فی صدر المقامة الخفاجیة:

مالی و للأیام ویح صروفهاأبدا تلاحظنی بعین عناد

وا حسرتا نال الزمان مرادهمنی و لم أظفر بنیل مرادی

لا مسعد یرجی و لا متوجع‌نشکو إلیه حرارة الأکباد

سل مخبرات الشعر عنی هل رأت‌فی قدح نار الفهم مثل زنادی

لم تبق حلبة منطق إلا و قدسبقت سوابقها إلیک جیادی

للّه در خفاجة أبرزتهامن خدر فکرک فی حلی الإنشاد

حظ من النظم البدیع أفادنی‌حظ الکرام و خطة الأمجاد

و قال:

خلیلی فی تلبان هل أنتما لیاعلی العهد أم غدا العهد بالیا

و هل ذرفت یوم النوی مقلتاکماعلی کما أمسی و أصبح باکیا

و هل أنا مذکور بخیر لدیکماإذا ما جری ذکر من کان نائیا

و دون الذی رام العواذل صبوةرمت بی فی شعب الغرام المرامیا

و قلب إذا ما البرق أومض موهناقدحت به زندا من الشوق واریا

خلیلی إنی یوم طارقة النوی‌شقیت بمن لو شاء أنعم بالیا

و لا تیأسا أن یجمع اللّه بیننا‌کأحسن ما کنا علیه تصافیا

أعد اللیالی لیلة بعد لیلةو قد عشت دهرا لا أعد اللیالیا

خلیلی لا و اللّه لا أملک الذی‌قضی اللّه فی لیلی و لا ما قضی لیا

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۳۱ و ما لهم لا أحسن اللّه حالهم‌من الحظ فی تصریم لیلی حبالیا

و بعد فشعر نافع الخفاجی کثیر جید رائع و هو فی الصف الأول من شعراء عصره، و إنما لم تسر شاعریته و لا فضله لأنه آثر الحیاة فی هذه القریة النائیة بعیدا عن القاهرة الصاخبة، و لو أقام فی العاصمة لکان العلم المفرد فی عصره فی کل ناحیة من نواحی حیاته العظیمة.

و بعد فهذا هو نافع الخفاجی فی شبابه و طموحه، فی دراسته الطویلة المستقصیة، و فی تآلیفه الجیدة الممتعة، و فی أدبه الساحر و شعره الرائع.

و قد رثاه ابنه العالم الکبیر نافع الخفاجی بمرثیة طویلة جدا قال منها:

لو دام عیش بدنیا لما ذهبت‌منها مصابیح جود قد جلت ظلما

أو کان شهم بها یبقی لما حزنت‌لفقد شهم تناهی جوده وسما

المحسن العارف البحر الذی اغترفت‌منه العفاة و عادت لا تخاف ظما

من کان فی ذروة الإحسان ذا شرف‌و کم حوی من کمال و احتوی کرما

و کان رکنا له یهدی المقال إذاما الأمر من مشکلات الدهر قد عظما

و مجلس الحکم منه فوقه هتفت‌هواتف البین إذ سر الندی هدما

ما للزمان أراع المجد أجمعه‌و بدل الدمع من تلک العیون دما

ما للزمان نراعی حسن معهده‌و ما رعی قط فی أحسابنا ذمما

استل من غمده بالقهر سیف علاماضی الغرارین مرهوبا إذا انتقما

هو اللبیب الذی طابت مآثره‌کالروض حیاه نوء المزن منسجما

و ذو عزة لو بأیدی الناس مقودهاما زال فیه کریم النفس و اهتضما

مضی و أبقی لنا الذکر الجمیل علی‌أیدی الزمان کتابا طاهرا رقما

ولی شریفا عفیف النفس طاهرهامهذب الخلق من عیب الوری سلما

یا ویح تلبانة من بعد ما وخدت‌به المنون تقل الفضل و الکرما

لو کنت شاهده و النعش یحملهرأیت رضوی علی أیدی الرجال سما

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۳۲ من للسیاسة فینا بعد ما خسفت‌بدور رأی تنیر الظلم و الظلما

من للألی شیدوا من عزمه نعماو استوطنوا من علاه الصدر و القمما

إلی آخر هذه المرثیة الخالدة الطویلة البلیغة .

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۳۳

نافع الخفاجی حفید العلامة نافع الخفاجی الکبیر

اشارة

هو العالم الشاعر الأدیب نافع بن محمد بن نافع الخفاجی بن سلیمان الخفاجی حفید العالم الکبیر الشیخ نافع الخفاجی الذی مرت ترجمته، و ابن خالی الشیخ محمد بن نافع الخفاجی من أعیان الأسرة و أظهر شخصیاتها، والدته آمنة طربای من أقاربنا أسرة الطرباهیة.

ولد فی یوم الجمعة ۲ شوال سنة ۱۳۲۲، الموافق ۹ دیسمبر سنة ۱۶۰۴.

ثم تعلم الکتابة و حفظ القرآن الکریم و عکف علی قراءة سیر الأبطال کأبی زید الهلال و عنترة و غیرها فنشأ بطبعه شاعرا ناضج ملکات القریض.

و ذهب إلی المعهد الأحمدی بطنا سنة ۱۹۱۹ لیتعلم فیه و أخذ منه

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۳۴

الابتدائیة عام ۱۹۳۲، ثم کان قد أنشیء فی ذلک الحین معهد الزقازیق فالتحق به و استمر فی دراسته إلی أن أصیب بمرض عصبی عضال کان یحول بینه و بین المشی وحده فأخذ یعالج نفسه منه و لکن العلاج لم یجد شیئا، اللهم إلا فی تأخیر زحف المرض علی صحته، ثم أخذ الثانویة من الخارج من معهد الزقازیق عام سنة ۱۹۲۸ الموافق سنة ۱۳۴۶ ه ثم التحق بالقسم العالی بالأزهر و نال منه شهادة العالمیة فی یونیو سنة ۱۹۳۲ الموافق سنة ۱۳۵۱ ه.

و عاد العالم بعد ذلک فأقام بالقریة یطالع فی أسفار الأدب و ینظم القریض و یعالج نفسه من مرضه العضال، ثم تزوج فی سبتمبر سنة ۱۹۳۹ و وافاه أجله المحتوم فی ۱۳ أغسطس سنة ۱۹۴۰- الثلاثاء ۹ رجب سنة ۱۳۵۹ ه، فعلیه رحمة اللّه و رضوانه.

شاعریته:

إذا ترکنا الجانب العلمی لشخصیة المغفور له الخالد نافع الخفاجی، وجدنا أهم مظهر فی شخصیته هو الشاعریة الفذة الناضجة القویة الأسباب الوطیدة الملکات.

نماها فی نفسه أثر الوراثة عن جده نافع الخفاجی الکبیر، و قراءته و هو صغیر لهذه القصص الحماسیة الکبیرة کسیرة أبو زید و عنترة، ثم عکوفه علی کتب الأدب و مصادره الأولی و دواوین فحول الشعراء، نظم الشعر طفلا و کانت کل حیاته مظهرا لهذه الشاعریة الناضجة. کان مرضه یحول بینه و بین کل شیء إلا الشعر، رسم فیه صورة لحیاته التی کان یحیاها، و عواطفه التی کانت تجیش بها

نفسه، عبراته التی کان یسکبها علی آماله المحطمة، و صحته المکدودة. و سنتحدث عن شعره فی تفصیل بعد قلیل.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۳۵

شخصیته:

کان الفقید المغفور له قوی الملکات، ناضج العقلیة، واسع الثقافة، لا یغلب علی رأی، و لا تتلعثم فی لسانه حجة، و کان قوی الحجاج شدید الجدل، کما کان جذاب الشخصیة، ودیع النفس، بعید التفکیر، معتدا بنفسه و رأیه، یأبی أن تهأن کرامته، و یقف فی سبیل ذلک مواقف العناد و اللجاج.

و کانت حیاته کلها آلاما و أحزانا، بکی لمرضه، و بکی لآماله الذاویة، و بکی لجسده المحطم، و یئس من الحیاة، و أخذت أشباح الموت ترتسم فی ذهنه و أمام بصره، حتی هدت قوته و حطمت کیان صحته، و خر صریعا بید الأمل.

شعره:

جمعت معه شعره الضخم کله فی دیوان، ثم عرض علیه ناظر المدرسة تلبانة الإلزامیة- و کان اسمه الشیخ عبد الباسط- أن یأخذ دیوانه لطبعه فأعطاه له، و ظل لدیه أکثر من ثلاث سنین، ثم مات الفقید، فأنکره و ادعی أنه فقد من المطبعة التی سلمه إلیها.

و علی أیة حال ففقدان هذا الدیوان الثمین لم یحل بینی و بین جمع کثیر من أصول قصائده الشعریة، مما نشرته فی کتابی «بنو خفاجة» ..

و من شعره قوله یهنیء ابن عمه محمود عصر خفاجی باللیسانس:

أهلا و سهلا طالع میمون‌فلیهنأ التشریع و القانون

فخر لمدرسة الحقوق و عزة‌و فخارها بنجاحه مقرون

أوتیت سؤلک و العدالة ترتجی‌قسا بشخصک للحقوق یبین

یا عبقریا للطروس یساره‌ترجی و للأقلام منه یمین

فخر لأصل أنت بعض فروعه‌دنیاک وافت و اطمأن الدین

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۳۶ شیدت مجدا فی ذرا الأهرام لم‌یدرکه رمسیس و لا أخناتون

لسواهم الأهرام و الذکری لهم‌لکن جهدک بالخلود قمین

سر فی سبیل المجد فالتاریخ فی‌صفحاته لک موضع مرهون

إن رمت تهنئة فإنی عاجزمن ذا أهنیء لا أکاد أبین

أأهنیء اللیسانس أن فازت به‌أم رب حق حقه مکنون

و من شعره کذلک هذه القصیدة:

إلی اللّه شکوای لا للبشرفمنه له المبتدأ و الخبر

هو المرسل الضر و هو الذی‌بقدرته أن یمیط الضرر

و ما الناس؟ و الناس کل له‌لهیب شکاة تذیب الحجر

و ما بلغ الناس ما أملوامن الدهر و الدهر جم الغیر

یموت الفتی دون آماله‌و کم أمل فی ثنایا الحفر

و ما الأدباء و ما الأغنیاءو کل له أمل ینتظر

و لکن أولئک قد صرحواوعی سواهم لهم قد ستر

و فرقهما أن آمال ذاعظام و آمال ذا تحتقر

فذاک یری الشمس من تحتهو ذا لا یجاوز سطح النهر

و لیس مصابی سوی أننیفقدت السعادة حتی الأثر

مصابی شبابی و عهد الصباو قد کان لی باسما فاکفهر

شباب یضیع کزهر الربیعهوی حین یبسم غض الزهر

کأن المحلق أصاب الهلالو لم یکتمل لیلة اثنی عشر

و قد کان مستقبلی زاهرافجف و لم یؤت بعض الثمر

و ما بی سوی مرض فی الفقارتغلغل فی الجسم حتی انفطر

فأفقدنی کل مستمتعمن السیر فالجسم إن قام جر

مناطق مخی منهوکةمن الداء و النطق قد خور

سألت الطبیب فلم یغننیوعی و قد نال منه الحصر

و قال (انکسیک) موروثةو قد ینقل الداء ممن غبر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۳۷ فقلت العلاج فقال الدواءإلی الآن عند القضا و القدر

فلو شاء ربک تم الشفاءو عند المشیئة لیس خطر

فیا رب لم یبق لی ملجأسوی لطف رحمتک المدخر

سئمت المحاقن و الکهرباءو مر الدواء و وخز الأبر

و عفت التجارب و الفحص فیدمی و نخاعی وقاع النظر

و ها وقف الداء عن سیرهففی کل یوم عن الأمس ظهر

و من شعره قصیدته فی شکوی الزمان، و ها هی ذی:

أواه من عثرات الحظ أواهو الحظ ما شاءه قد شاءه اللّه

لا الحزن یجدی و لا حظی یساعفنیو لا الزمان رفیق فی سجایاه

أرزاء شتی إذا ما خلت أصغرهامضی أری ضعفه یحتل مأواه

تتری دراکا کطیر طاب موردهافزاد وارده شوقا لمرعاه

یلج صرف اللیالی فی معاکستیکأنما أنا وحدی کل أعداه

خطوب دهری لا تتفک تذکرنیبعطفها ذکر مجنون لیلاه

فالحزن و السهل فی سیری سواسیةو اللیل و البوم فی الظلماء أشباه

کلما قلت لما استحکمت فرجتأری قشیب شقاء کنت أنساه

إن غاب عنی شقاء جاء مصطحباإخوانه لیقیموا فی رعایاه

ما حیلتی و هی الدنیا و سلطتهاأی امری نال منها ما تمناه

نصیب کل امریء فی عکس همتهو رفع کفة وزن خفض أخراه

و رب ذی عزمة تنبو مضاربهو طائش السهم أصمی الحظ مرماه

و نابه النفس سوء الحظ أخمدهو خامل القدر حسن الحظ رقاه

و کم حریص له من علمه صفهٔو کم کسول له من جهله جاه

هی المقادیر لا سعی و لا کسلو کل ذی قدر لا بد یلقاه

انظر إلی قطع الشطرنج إذ نحتتماذا أتی الشاه حتی إنه شاه

کم بیدق مات لم یذنب و صاحبهسما مسوقا و لم یعمل لمرقاه

کذلک الکون لم تعلم عواقبهو لیس یعلم ساع غب مسعاه

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۳۸ الدهر علمنی الشکوی فقمت بهاطوعا و کرها و خیر العلم أفشاه

أشکو الزمان و فی الشکوی رفاهیهٔو ما علاج شقی غیر شکواه

تنفس الصعد تفریج ذی حرجو الضیق یفتح من ذی ضیقهٔ فاه

القدر منفجر لو لا تبخرهو القلب منفطر لو لا شکاواه

فالقلب من حطب و البؤس من لهبو فی الشکاهٔ لنار الهم أمواه

الهم یثقل و الشکوی تخففهفقد تری سامعا یؤتیک جدواه

إن لم أجد صاحبا فالیل یؤنسنیٰنجومه و دیاجیه و إصغاه

و رب سامع شکوی شامت فرحو ذی ملال یرینی غیر نجواه

و لا أری مخلصا فی الضیق یسعدنیو لا غنی لی عمن لست أهواه

طبائع الناس شر لا یفارقهمو الخیر کسب لبان الفکر غذاه

لو نالنی الشر منهم کنت عاذرهمو إن أتی الخیر قلت للطرف هیاه

إن یجهلوا خاصموا أو یعلموا نقدواو یبطنون بلؤم ضد ما فاهوا

فالکل للکل أعداء و عنصرهمبه أنانیهٔ فی بدء مبناه

مهما أحبوا فحب الذات رائدهمو عبرهٔ الحب برهان بمغزاه

و هکذا الناس عباد لأنفسهم کل یری الغیر عبدا و هو مولاه

لو لا حوائجهم ما ألهوا أحداأدنی الأنام من الإلحاد أغناه

هم و الوحوش سواء لا یمیزهمإلا عقول و تقدیم و أفواه

مع التمدین و القانون أنفسهمشتی و کل له فی العیش أهواه

کل له غرض تحفیه طینتهو لو دری خلد ما فیه جافاه

الخیر یخدع فی معسول منطقهو الشر یکمن فی داجی حنایاه

لو شف صدر جمیل عن دخائلهلشوهت نفسه ما فی محیاه

لو أخطأ الشر إنسانا و لم یرهفسله و حیا فما جبریل إلا هو

و ما أبریء نفسی إننی بشرالنفس تأمره و الروح تنهاه

صدری لضدین من جیشین معترضما یرض هذا فهذا لیس یرضاه

لکن نفسی صفت من طول ما رزقتحتی رأت کل ما یسطاع مرآه

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۳۹ و ما رأیت کمثل الصبر عاقبهٔفالمر أوله و الحلو عقباه

لسوف أصبر حتی لا أعی أملاو لیبق لی أملی و لیرحم اللّه

کلمة أخیرة:

و بعد فهذا بعض من نتاج شاعریة هذا العالم الفذ و الشاعر المبدع، و إنتاجه الشعری کله سحر و روعة و إبداع، و فیه عاطفة و قوة إلهام و حسن تصویر و عمق فکرة، و هو بین الأدب العربی أدب خالد سائر، و سیجیء الیوم الذی ینشر فیه دیوان الشاعر کاملا لیضعه شعره فی مکانته الخلیق بها بین شعراء العربیة الخالدین.

لقد نقلت من شعره بعضا مما یصور لنا جوانب حیاته و نواحی شخصیته، و مما یرسم لنا صورة واضحة عن شاعریته و فنه الأدبی.

و أکتفی بهذا علی أن أعود فی المستقبل القریب للکتابة عن هذا الشاعر الفذ فی کتاب مستقل بعد أن ننشر علی جمهور العربیة ما بقی لدینا من شعره و محاسن قریضه.

و لقد کان الفقید زمیل الشاعر البلیغ الأستاذ محمد الأسمر فی الدراسة، و اطلعت علی عدة خطابات أرسلها الأستاذ الأسمر له توضح ما کان بینهما من صداقة و زمالة .

فرحمه اللّه و خلد ذکره، و لقاه فی الآخرة من الثواب و حسن الجزاء ما هو أهل له، و فی الدنیا من الذکر و الخلود ما هو به جدیر.

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۴۰

و هذه هی نص کلمة الرثاء التی ألقیتها علی قبره یوم وفاته.

عقد الخطب اللسان، وعیّ لهول المصاب البیان، و ارتاع لهذا الرزء الفادح الجنان، و أی رزء هو!!

لقد انطفأ المصباح الهادی، و خبا النبراس المنیر، و ذهب بالرجل أجله، و لقد کان یسیر به أمله، إلی ضیق القبر، و فسحة الأجر و النعیم.

ذهبنا به فی ربیع الحیاة إلی أرض حافلة بالعبر و العبرات، آهلة بالعظات و الذکریات، فأودعناه فی حمی آمن، یستبشر به المتقون، و ییأس فیه من رحمة اللّه القانطون، ثم عدنا بالدموع و الذکری، فاجتمعنا فی هذا الجمع نحیی ذکری الفقید، و بأی شیء نحیی ذکراه؟

لقد کان شاعرا و أدیبا و شاعرا، فحری بنا أن نستمد من ذکراه العظة البالغة، و خلیق بنا أن نذکره لعلمه و أدبه إن لم نذکره لحسبه و نسبه.

لقد عاش الفقید مجاهدا فشقی بعذاب الجهاد فی حیاته، جاهد أول شبابه فی سبیل آماله الواسعة، و أمانیه الکبیرة، ثم جاهد بعد ذلک آلام الحیاة التی لاحقته و حالفته و سارت به إلی أجله المحتوم، فما أروعه جهادا و ما أعظمه مجاهدا، و ما أسعده بأجر الجهاد.

لقد کان الفقید یستمد علمه و أدبه من عقلیة واسعة، و ذهن ثاقب، أکثر مما کان یستمده من اطلاع واسع، و دراسة مضینة، و کان ینظم الشعر بملکة صناع، و روح مبدعة، و یعرضه فی أسلوب جمیل و دیباجة مشرقة، ظلت تلازم أدبه. حتی وهنت صحته، و وهی أمله، فدبت إلیها روح الضعف، کما دبت فی نفسه روح الیأس و القنوط، و علی حین غفلة سکت الشاعر البلیغ، و ذهب العالم العبقری إلی عالم الأبدیة، و دنیا الخلود.

فسلام علیه یوم ولد و یوم یموت و یوم یبعث حیا.

و هذه قصیدة من غر قصائده نثبتها هنا، قال:

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۴۱ ذهبت و من رام المعالی یذهبو أبت و لم أظفر بما أتطلب

سعیت إلی العلیاء غایة طاقتیو رحت إلی أفلاکها أتوثب

سبحت علی بحر المجرة ماخراعبابا من الآمال أطفو و أرسب

رصدت السهی حینا فأبصرت طالعیجمیلا و لکن فیه سر محجب

فیا طالعی باللّه هل من هناءةتألق لی أم أن برقک خلب

و هل مطمئن أنت أم أنت خائف‌تفر من النحس البغیض و تهرب

و هل لی إلی النعمی سبیل موصل‌و هل لی من البؤسی مناص و مهرب

أتسعدنی الآمال بعد مطالهاو یدنو من الآمال ما أترقب

إزاء شقائی مطعم الصاب کالجنی‌و نور نهاری من مشاکیه غیهب

و لو لم أصادف سوء حظی و شؤمه‌لعشت سعیدا لم یضق بی مذهب

یسمونه حظا وجدا و طالعاو أما المسمی فالقضاء المغیب

مقادیر شتی و المقدر واحدمشیئته کالسیف بل هی أثقب

له المثل الأعلی و فی کل ذرةمن الکون سر بالتأله یعرب

هنالک شیء کل فکر یمسه‌و یلمسه الوحشی و المتهذب

هو اللّه سماه الطبیعی قوةو طبعا و فی علم الأثیر تربب

و من شأنه فینا الظهور بفیضه‌و آثاره و الشأن فینا التعجب

أ أجهل روحی ثم أعلم ربهاضلال غریب و التشبث أغرب

سننظر وجه اللّه فی الخلد ظاهراکما هو یجلوه الجلال فنطرب

نراه بإحساس بدیع مخصص‌یطیب خیالا و التحقق أطیب

هنالک یبدو کل حسن مذمماو کل ارتیاح غیر ذلک متعب

عن المثل و الأضداد جل جلاله‌و راجی سوی التوفیق منه مخیب

و ما الکون إلا ذرة فوق ذرةسماء و أفلاک و أرض و کوکب

فکل بکل فی نظام مدبرجماد وحی کل شیء مرتب

بدائع إحکام و إتقان صانع‌فسبحانک اللهم أنت المحجب

تمنیت موتا لیس فیه جهنم‌و إلا فعیشا لست فیه أعذب

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۴۲ و کیف حیاة المرء ناء بعبثه‌و جمر الأسی فی صدره یتلهب

و کیف حیاة المرء عی طبیبه‌و أعضله الداء العقام العصوصب

برمت بآمالی و عفت تجلدی‌و مل جلیسی ما أقول و أکتب

و لو نلت من عین العنایة نظرةفما مر بی عذب و ما بعد أعذب

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۴۳

الأزهر فی صور

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۵۰

الدکتور محمد السعدی فرهود رئیس جامعة الأزهر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۵۱

المؤلف

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۵۲

المؤلف فی مناقشة رسالة دکتوراه فی رحاب جامعة الأزهر الشریف للطالب السعودی الدکتور عثمان صالح الصوینع (المؤلف علی

یمین الصورة)

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۵۳

مناقشة رسالة دکتوراه فی کلیة اللغة العربیة- جامعة الأزهر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۵۴

الدکتور علی علی صبح، عمید کلیة اللغة العربیة بالقاهرة، جامعة الأزهر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۵۵

مناقشة رسالة دکتوراه فی کلیة اللغة العربیة- جامعة الأزهر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۵۶

مناقشة رسالة ماجستیر فی کلیة اللغة العربیة- جامعة الأزهر

مناقشة رسالة ماجستیر فی کلیة اللغة العربیة- جامعة الأزهر

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۵۷

رسم تاریخی للباب الغربی للأزهر الشریف کما أنشأه عبد الرحمن کتخدا (۱۱۶۷ ه)

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۵۹

حلقات الدرس بالأزهر الشریف

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۶۰

القاهرة الفاطمیة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۶۲

طالبات یستذکرن دروسهن

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۶۳

فی مطعم المدینة الجامعیة

الأزهر فی ألف عام، ج۳، ص: ۵۶۵

الفهرس

الباب السابع: حول الأزهر و رسالته ۵

الباب الثامن: آراء للأزهر فی مشکلاتنا الفکریة ۷۳

الباب التاسع: ألوان ثقافیة فی حیاة الأزهر العلمیة ۱۰۷

الباب العاشر: شخصیات أزهریة معاصرة ۱۶۱

الباب الحادی عشر: من تاریخ الأزهر

الأزهر جامعا و جامعة ۲۰۵

الجامع الأزهر ۲۱۵

بین الأزهر و جامعة القرویین ۲۳۱

بین الزیتونة و الأزهر ۲۴۱

الباب الثانی عشر: شخصیات و مواقف

إبن السبكى ۲۷۱
الشيخ محمد الحنفى شيخ الأزهر ۲۷۷
أزهريون خالدون ۲۸۵
الأزهرى الشيخ سليمان الجوسقى ۲۹۱
رفاعة رافع الطهطاوى ۲۹۹
الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۵۶۶
صورة عن الإمام الشيخ محمد عبده ۳۰۵
الشيخ مصطفى عبد الرازق ۳۱۷
أزهرى يرد على إسماعيل باشا ۳۲۱
مفتى قبرص ۳۲۵
مسيرة الألف عام ۳۲۷
حوار بين العلماء و الوالى ۳۳۱
الأزهر .. أكسفورد الشرق ۳۳۵
الأزهر .. و أثره فى الحياة الإسلامية ۳۴۵
قرارات المؤتمر البحوث الإسلامية ۳۵۱
قصة الأزهرى الجامعى بعد عشرين عاما ۳۵۵
الأزهر .. حصن العربية ۳۵۹
الأزهر .. من بعيد و من قريب ۳۷۷
الأزهر الخالد ۳۸۱
الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى ۴۰۱
نشاط ازهرى ۴۰۹
المرأة فى الأزهر ۴۰۹
عميد الأدب العربى فى الأزهر ۴۱۱
محمد عبد المنعم خفاجى أديبا ۴۱۷
لو أن للدين رجالا ۴۳۷
الشيخ محمد شلتوت ۴۴۳
أعلام معاصرون الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد
رائد مدرسة التحقيق العلمى ۴۴۵
الشيخ عبد السميع شبانة ۴۵۱
الشيخ محمد الطنطاوى ۴۵۳
الشيخ عبد الجليل عيسى ۴۵۷
الشيخ سعاد جلال ۴۶۱
الأزهر فى ألف عام، ج۳، ص: ۵۶۷

الدكتور أحمد الشرباصى ۴۶۳
الدكتور الخفاجى- محمد عبد المنعم خفاجى عالما ۴۷۷
الأزهر .. أبو الجامعات فى الشرق و الغرب
قلعة حضارية فى تاريخ مصر الإسلامية ۴۹۱
ترجمة القرآن الكريم ۵۰۱
الشيخ المراغى ۵۰۳
شيخ جامعة الأزهر الحالى
الدكتور محمد السعودى عوض فرهود ۵۰۹
الإمام نافع الخفاجى الكبير ۵۱۳
نافع الخفاجى، حفيد العلامة نافع الخفاجى الكبير ۵۳۳
الأزهر فى صور ۵۴۳

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.
مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...
– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.
– من الأنشطة الواسعة للمركز:
الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التـّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهـذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِی الحجمَ المتزايد و المتـّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثـّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلک، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفـّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التـّمكـّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹